شرح شفاء شهاب الدين
جلد الثاني

المجلد الثاني من نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض
لشهاب الدين الخفاجي

T. C.
MİLLÎ EĞİTİM BAKANLIĞI
RAGIP PAŞA KÜTÜPHANESİ
MÜDÜRLÜĞÜ
Sayı: 204/8

RAĞIP P.
Ka. N.
275

279

حسبي الله ونعم
من الكتب التي وقفها الفقير
إلى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور براغب
وكفى عليه

في حديث البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والظن
فان الظن اكذب الحديث واستشكل بان الكذب لا يقبل الزيادة والنقصان فكيف عبر بافعل
التفضيل واجيب بان معناه الظن اكثر كذبا من سائر الاحاديث فان قلت الظن ليس بحديث
اجيب بانه حديث نفساني والمعنى الحديث الذي منشاؤه الظن اكثر كذبا من غيره ه من شرح
البخاري للقسطلاني

الحمد لله وحده هذا الجزء
والذي قبله ... كتبت الفقير الى ...
الفقير محمد بن عبد الرحيم بن ...
ابراهيم ...

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل ومن ذلك اي من خصائصه صلى الله عليه وسلم وكراماته الباهرة ما
اطلع عليه هو اما مبني للمجهول من الافعال اي اطلعه الله عليه او من الافعال المبني للفاعل
يتشدد به الطا من الغيوب جمع غيب مصدر على خلاف القياس من غاب
بمعنى استتر عن العين يقال غاب عني كذا ويستعمل في كل غائب عن الحاسة وما يغيب عن
الانسان بمعنى الغائب والغيب بالنسبة للناس لا لله فانه لا يعزب عنه مثقال ذرة وقوله
عالم الغيب والشهادة اي ما يغيب عنكم وما تشاهدونه وقوله يؤمنون بالغيب اي بما لا يقع تحت
الحواس ولا تقتضيه بداهة العقول وانما يعلم باخبار الرسل عليهم الصلاة والسلام وما يكون
في المستقبل وهو معطوف على الغيوب من عطف الخاص على العام لان الغيب اما باعتبار انه
موجود لم يطلع عليه غير الله او ما سيوجد فهو قبل وجوده والعلم به من المغيبات والاحاديث
الواردة في هذا الباب اي في هذا النوع من كراماته صلى الله عليه وسلم في اخباره عن الغيب
الذي اطلعه الله عليه فانه لا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول بحر تشبيه بليغ اي
في كثرتها كالبحر لا يدرك قعره بالبنا للمجهول والادراك الوصول وقعره قراره وارضه
اي لا يصل احد الى نهايته ولا ينزف بمعجمة وفا مبني للمفعول والفاعل نزفه نضب والنزف
والنزح بمعنى اي لا ينفد ولا يفنى غمره بفتح الغين المعجمة وسكون الميم قبل را مهملة وهو الماء الكثير
جدا وهذه المعجزة في اطلاعه صلى الله عليه وسلم على الغيب من جملة معجزاته اشارة الى
كثرتها في البحر حديث عنه ولا حرج المعلومة للناس على طريق بحثها بحيث لا يمكن انكارها
او التردد فيها لاحد من العقلا وقوله المعلومة على القطع صفة للمعجزات والقطع بنوعها وجموعها
وكذا تواترها تواترا معنويا حاصلا من مجموعها بقطع النظر عن كل فرد فرد منها مما لا يستند فيه
كثرة ان جود حا نر وهذا اعتبار التواتر المصطلح عليه فانه جار في بعضها كالقران والى هذا
اشار بقوله الواصل الينا خبرها جاريا على نهج التواتر المشهورة لكثرة رواتها
اي رواة مجموعها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب اي الامور المغيبة وهذا
لا ينافي الايات الدالة على انه لا يعلم الغيب الا الله وقوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت
من الخير فان المنفي علمه من غير واسطة واما اطلاعه عليه باعلام الله له فامر متحقق لقوله
تعالى ولا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول قال ابن عطا الله في لطائف المنن
اطلاع العبد على غيب من غيوب الله بنور منه بدليل اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله
لا يستغرب وهو معنى قوله كنت بصره الذي يبصر به فمن كان الحق بصره اطلاعه على غيبه
غير مستغرب وقال بعض العارفين قوله الا من ارتضى من رسول لا ينافي قول المرسي في تفسيرها
الا رسول او صديق او ولي ولا زيادة فيه على النص فان السلطان اذا قال لا يدخل علي
اليوم الا الوزير لا ينافي دخول اتباع الوزير معه فكذلك الولي اذا اطلعه الله على غيبه لم يره
بنور نفسه وانما رآه بنور متبوعه ولم يكلفنا الله الايمان بالغيب الا وقد فتح لنا باب غيبه والى
هذا اشار الغزالي في اماليه على الاحياء قال ويحتمل ان يكون المراد بالرسول في الاية ملك
الوحي الذي بواسطته تنكشف الغيوب فيرسله للاعلام بمنا فهما او الثاء في ردع او ضرب

مثل

مثل في يقظة او منام ليطلع من اراد وفائدة الاخبار الامتنان على من رزقه الله ذلك
واعلامه بانه لم يحصل ابه بحوله وقوته فلا يظهر على غيبه احدا من عباده الا على يدي رسول
من ملائكته ارسله لمن فرغ قلبه لانصباب انوار العلوم الغيبية في اوديته حتى يحصل كاسرار
الغيب المكنونة في خزائن الالوهية انتهى فاعرفه فانه من المهمات واليه اشار القاضي
في تفسيره ونبي ثمة اسرار لا تسعها الحروف ثم انه بين ما اجمل بحديث رواه ابو داود عن
حذيفة وعدل عما رواه الشيخان لما في طريقه التي رواه منها من الزيادة فقال حدثنا　　　الذي
الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهري المعروف اجازة منه بروايته عنه وقراءة
على غيره اشارة الى انه رواه من طرق متعددة في بعضها القراءة والاجازة طريقان
اختلف في ايهما اقوى وقيل انهما مستويان وهو الظاهر قال ابو بكر حدثنا ابو
علي التستري علي بن احمد بن علي الامام المشهور احد رواة سنن ابي داود وتستر
بلد بخوزستان وفيه معروفة وسينه مهملة وتائها يحكن قال حدثنا ابو عمر الهاشمي وهو
القاسم بن جعفر بن عبد الواحد قال حدثنا اللؤلؤي وهو ابو علي محمد بن احمد بن
عمرو السابق ترجمته قال حدثنا ابو داود صاحب السنن المشهور كما تقدم قال
حدثنا عثمان بن ابي شيبة ابن محمد بن ابراهيم ابو الحسن الكوفي الحافظ توفي سنة تسع
وثلاثين ومائتين واخرج له اصحاب السنن وغيرهم وترجمته في الميزان قال حدثنا
جرير ابن عبد الحميد الضبي صاحب المصنفات المشهورة الثقة توفي سنة ثمان وثمانين
ومائة واخرج له الستة وترجمته في الميزان وغيره عن الاعمش هو سليمان بن مهران
كما تقدم في ترجمته عن ابي وائل شقيق بن سلمة الاسدي المخضرم توفي سنة اثنتين
وثمانين وهو من العلماء العاملين ثقة اخرج له الستة عن حذيفة ابن اليمان الصحابي
المشهور صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي اخبره بالفتن وما سيكون وروي
عنه احاديث كثيرة وكان عمر رضي الله عنه اذا لم يشهد حذيفة جنازة لا يشهدها هو
لاطلاعه على المنافقين باعلام منه صلى الله عليه وسلم له بذلك توفي رضي الله عنه سنة ست
وثلاثين بعد قتل عثمان وروى عنه لا تقوم الساعة حتى يسود كل قبيلة منافقوها
وحديثه الطويل في الفتن مشهور واليه اشار بقوله قام فينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم الضمير للصحابة والمراد به انه خطبهم يوما فعبر بالقيام عن الخطبة لان
الخطيب يخطب قائما اي قام ونحن عنده فالظرفية مجازية مقاما بفتح الميم اسم مكان
او مصدر ميمي فهو مفعول مطلق فما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقامه هذا
شيئا مما يكون اي يوجد ويحدث بعده مما يهم من احوال المسلمين ومن يتولى
امورهم بعده وما يكون بعده من الفتن والحروب فيكون تامة والجملة صفة شيئا في
مقامه ذلك اي في خطبته التي خطبها وهو من وضع الظاهر موضع المضمر لكمال
العناية به الى قيام الساعة اي من اول زمنه الخ فقدره لدلالة المقام عليه الا حدثه
اي الا حدثنا به وذكر لنا انه سيوجد وفي نسخة حدث به والفعل في تاويل الاسم كقولهم
انشدك الله الا فعلت والاستثناء متصل لدخول المحدث به في الشيء وقيل انه منقطع

يعني لكن حفظه من حفظه الضمير للحديث المفهوم من السياق ونسيه من
نسيه اي حفظه بعض السامعين له ونسيه بعضهم قد علمه اصحابي هؤلاء الحاضرون
عنده او المراد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الزيادة في رواية ابي داود
لم يذكرها البخاري وانه الضمير للشان ليكون منه الشي اي ليوجد الشي مما حدثنا
به في ذلك المقام في الخارج قد نسيته لطول العهد بحديثه فاراه يعني بعد ما وجد
فاعرفه فاذكره اي اتذكره بعد ما نسيته فاتذكر ما اخبرنا به رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم شبه تذكره ايضاحا له بقوله كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه
ثم اذا راه عرفه فيه تقديم وتاخير اي كما ان الرجل اذا غاب عنه رجل كان يعرف وجهه
وسيماه وهو في مخيلته الا انه لم يذكره فاذا راه تذكره وعرفه فليس اذا متعلقا بتذكر
بل بمعنى المعلوم من الكلام وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس تشبيها تمثيليا ثم قال
حذيفة فيما رواه ابو داود وزاده على ما رواه الشيخان ما ادري انسي اصحابي هذا
الحديث ام تناسوه اي اظهروا النسيان له خوف الفتن لا لقلة الاهتمام به كما قيل بل لانه
من الاسرار التي لا ينبغي ان يحدث بها كل احد والله ما ترك رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قايد بالقاف والدال المهملة ومن زايدة والمراد به المتقلبة
الذين معهم جند يتبعهم كما يتبع الجمل والفرس من يقوده ديني خلفه فتنة فيما في للمحاربة
واتباع الكفر بالمسلمين كالحجاج وغيره من اصحاب البدع من زمنه الى ان تنقضي
الدنيا اي الى ان تتم وتنتهي مدتها ويخرب العالم وتبيد وعند قيام الساعة بخروج الدجال
وياجوج وماجوج يبلغ من معه اي يصل من معه من اتباعه والضمير للقايد ثلاثماية
رجل فصاعدا الا قد سماه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم باسمه واسم ابيه وقبيلته
بحيث لم يبق شبهة فيه وهذا الحديث روي من طريق اخر متصلا على كلام فيه ذكره ابن
الجوزي وغيره وقال ابوذر الصحابي المشهور في حديث رواه احمد
والطبراني وغيرهما بسند صحيح لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ذهب
عنا وانتقل الى الاخرة من بين اظهرنا ولم يدع شيا الا بينه لنا بحيث لا يخفى علينا شي بعده
وكان قد خطب قبل موته خطبا اطال فيها مرة من الصباح الى الظهر ومرة من الظهر الى
قبيل الغروب ولم يدع شيا الا بينه لاصحابه وما يحرك طاير جناحيه في السما اي في
الجو وهو كناية عن بيان كل شي الا ذكر لنا منه علما وفي نسخة الا ذكرنا منه علما اي تذكرنا
من طيرانه علما يتعلق به فكيف بغيره مما ههنا في الارض وهذا تمثيل لبيان كل شي تفصيلا
تارة واجمالا اخرى وقد خرج اهل الصحيح اي رووا باسانيدهم ما صح عندهم
كالشيخين واصحاب السنن والمسانيد والايمة الحفاظ الثقات كاحمد والشافعي وابي
حنيفة ومالك ما اعلم به اصحابه صلى الله عليه وسلم مما وعدهم به بيان لما من الظهور
على اعدايه بغلبتهم وفل شوكتهم وفتح مكة الذي اخبر به قبل وقوعه فحققه الله وفتح
بيت المقدس كما رواه البخاري وغيره وبيت المقدس تقدم الكلام فيه وقد اخبر صلى الله
عليه وسلم تميما الداري بفتحه لما اسلم واقطعه ارضا بها ثم فتح في خلافة عمر رضي الله عنه فاعطى

تميما

تميما اقطاعه في سنة ستة عشر من الهجرة والشام وفتح اليمن وفتح العراق يعني به ما
يشمل العراقين عراق العرب والعجم وكلها مجرورة بالعطف على مكة كما علم والشام واليمن
والعراق بلاد معروفة وكان اخباره صلى الله عليه وسلم بذلك بمكة قبل الهجرة في حديث
رواه ابن دحية في كتاب مرج البحرين في اخبار المشرقين والمغربين واصل معنى العراق
شاطي البحر وقيل انه معرب وظهور الامن في الممالك الاسلامية وهو مجرور اي اعلم
اصحابه بظهور الامن حتى تظعن المراة بظا معجمة وعين مهملة ونون اي تسافر وحدها
من الظعن بفتح العين وسكونها وهو السفر قال تعالى يوم ظعنكم وذكر المراة للمبالغة
في الامن لانها مع ضعفها وشدة خوفها اذا امنت علم امن غيرها بالطريق الاولى من
الحيرة الى مكة بكسر الحا المهملة وسكون المثناة التحتية وفتح الرا المهملة والها مدينة
بقرب الكوفة واسم بلدة اخرى بقرب نيسابور لا تخاف المراة الا الله كناية عن انها
لا تخاف احدا من الناس من قطاع الطريق واللصوص وغيرهم وان المدينة يعني طيبة
وهو علم بالغلبة عليها واصل معناها كل قصر يجتمع فيه الناس ستغزى روي بتحتية وزاي معجمة
من الغزو وهو القتال وهو اشارة الى وقعة الحرة الاتي ذكرها فانها وقعة عظيمة قتل بها
المسلمون حتى تركت الصلاة في الحرم وروي بعين وراء مهملتين ومثناة فوقية مفتوحة وهي مضمومة
في الرواية الاولى اي تخرب وتخلو فتصير عرا ليس فيها احد والعرا الفضا الخالي من الناس
قال تعالى فنبذناه بالعرا وهذا لم يقع بعد وانما يكون قرب الساعة وقيل انه وقع وهو مقتضى
السياق فهو اشارة الى قصة الحرة ايضا فان الناس ارتحلوا منها وتركت الصلاة والاذان حتى
سمع الاذان من مرقده صلى الله عليه وسلم ثم اتتهم بعد حتى عادوا لها واعلمهم صلى الله عليه وسلم
بفتح خيبر على يد علي في غد يومه الذي اخبرهم فيه بفتحها كما رواه الشيخان عن سهل بن
سعد لما كانت وقعة خيبر وتعسر فتحها قال صلى الله عليه وسلم لاعطين الراية غدا رجلا يحب
الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فدعا عليا وكان ارمد فبصق في
عينيه فبرا وفتحها الله على يديه على ما فصل في السير وقد تقدم الكلام على شي منه واعلم
صلى الله عليه وسلم اصحابه بما يفتح الله على امته اي بما ييسره الله لامته من فتح البلدان
وما يوسعه لهم من الدنيا بكثرة المال والعزة وبما يوتون بالبنا للمجهول اي يعطيهم الله
من زهرتها اي زهرة الحياة الدنيا وهي زينتها وطيب نضارتها ونعيمها وهذا رواه
الشيخان من طرق صحيحة وقسمهم كنوز كسرى وقيصر الكنوز جمع كنز معرب كنج وهو
المال المدفون ويطلق على كل نفيس يدخر والمراد هنا خزاينهما وما لهما وكسرى بكسر
الكاف وفتحها وهو علم لملك من ملوك الفرس ثم صار علم جنس لكل من ملكهم وكذا قيصر
علم ملك من ملوك الروم ثم اطلق على كل من ملكهم كذلك ومعناه المشقوق لان امه ماتت حين
ارادة وضعه فشقت بطنها واخرج منها حيا وهو اشارة لحديث رواه الشيخان عن ابي
هريرة وغيره من طرق وفيه اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر
بعده والذي نفس محمد بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله وقد حقق الله ما اخبر به صلى
الله عليه وسلم وصدق الله وعده وكان ذلك على يد خلفايه رضي الله عنهم وما يحدث بينهم

اى اعلمهم صلى الله عليه وسلم بما يحدث بين امته **من الفتون** بوزن دخول مصدر بمعنى
الافتتان كما فى اكثر النسخ جمع فتنة كما قاله البرهان والفتنة اصلها الاختبار ثم قيلت لكل ما
يقع بين الناس من النزاع والحروب وقيل صوابه الفتن جمع فتنة كما فى بعض النسخ لان الفتون
الميل للزنا ونحوه من الفجور وليس بشئ فانه ورد بمعنى الفتنة ايضا وهو بطريق المجاز اى مطلق
الميل **والاختلاف** فى الكلمة والاراء وهو سبب الفتن ولذا قيل انه لو قدمه كان احسن
والاهوا بالمد جمع هوى وهو ما تهواه النفس وتميل له واذا اطلق خص بالامور الباطلة
وسلوك سبيل من قبلهم من الامم اشارة لما رواه الشيخان لتتبعن سنن من قبلكم شبرا
بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قيل يا رسول الله اليهود والنصارى
قال فمن والسنن بفتحتين الطريق وهو تمثيل لما احدثوه من الضلال والبدع والتحريف
كما صرح به فى الحديث **وافتراقهم** اى افتراق هذه الامة **على ثلاث وسبعين فرقة** اى
ينقسمون الى هذه الاقسام وعداه بعلى لما وقع عليه الانقسام من النهج المخصوص كما يقال
الدار مبنية على طبقات ثلاث وعلى ابنية كما قال الدوانى فى حواشى الشمسية فى قوله رتبته
على مقدمة الخ فقال الترتيب لا يتعدى بعلى تاما ان يكون بتضمين معنى الاشتمال واما ان يريد
بدخول على هذا الاسلوب الخاص وح فاما ان يقال اذا تعدى بعلى انه تضمين معنى البناء فانه
يتعدى بعلى الى اسلوبه فيقال بنى الدار على طبقتين او يقال تعدى لها بناء على ان معنى الترتيب
جعل الاجزاء متوالية وهو مقصور على الخبر فتعدى بعلى الى النحو المعين انتهى وهذا الحديث
رواه احمد وابو داود والترمذى والحاكم كما فى مناهل الصفا للجلال السيوطى **الناجية منها
واحدة** اى الفرقة الناجية من هذه الفرق فرقة واحدة وهم اهل السنة والجماعة المتمسكون
بكتاب الله وسنة رسوله كما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث فانه قال فيه
ليأتين على امتى ما اتى على بنى اسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة وان بنى اسرائيل
افترقت على ثنتين او سبعين ملة وستفترق امتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار الا
ملة واحدة او فرقة واحدة قالوا يا رسول الله من هم اى الناجون منهم قال من كان على
ما انا عليه واصحابى فمعنى الناجية انهم على الحق فهم ناجون من غضب الله وعذابه وفى قوله
ستفترق اشارة الى انه ليس فى زمانه صلى الله عليه وسلم اختلاف وانه انما يحدث ذلك بعده
بل بعد الخلفاء الراشدين وفى قوله ملة اشارة الى ان الخلاف المذكور فى الدين والاعتقاد
فلا ينافيه ما وقع بينهم فى امور جزئية وقد بينت هذه الفرق وفصلت فى كتاب الملل والنحل
وفى علم اصول الدين وهذا من جملة ما اطلعه الله عليه من المغيبات **وفى حديث رواه الشيخان**
عن جابر رضى الله عنه **وانهم سيكون لهم انماط** جمع نمط ككتب واسباب وهو البساط
يعنى ان امته صلى الله عليه وسلم يتوسعون فى الدنيا حتى يتخذوا الفرش النفيسة لبسط
الله لهم الرزق بعدما كانوا فيه من الفقر وضيق المعيشة وقوله **يغدو احدهم فى حلة
ويروح فى اخرى** وما بعده من حديث رواه الترمذى عن على وحسنه والغدو بغين
معجمة ودال مهملة سير اول النهار ويقابله الرواح والحلة هو الثوب النفيس ولا تطلق
الا على ثوبين احدهما فوق الاخر كما مر الا انهم توسعوا فيه فاطلقوه على ما قلناه والمراد

تعدد لباسهم ونفاسته بعدما كانوا عليه من التقشف كما ان قوله **وتوضع بين يديه**
اى بين يدى احدهم **صحفة** بزنة قصعة وهى اناء الطعام **وترفع اخرى** اى صحفة اخرى
اشارة الى تلون اطعمتهم وتعددها ونفاستها **وتستر بيوتهم** بالبنا للمجهول اى يسترون
حيطان بيوتهم وابوابها وفى نسخة ويسترون بيوتهم **كما تستر الكعبة** وهذا كما يفعله
الامراء والعظماء الذين اتسعت دنياهم حتى كسوا الجدران والجدرات وهذا لم يكن فى العصر
الاول وهو اسراف وقد ورد النهى عنه **ثم قال** صلى الله عليه وسلم مخاطبا اصحابه **فى اخر
الحديث** الذى رواه الترمذى وغيره **وانتم اليوم** المراد به مطلق الزمان الحاضر
خير منكم يومئذ اى احسن منكم حالا من حالكم الاتى الذى يبسط لكم فيه الرزق ويوسع
عليكم فتفضلهم على انفسهم باعتبار ان الرزق الكفاف خير من غنى يشغل عن عبادة الله وتعب
القلب والبدن كما يشاهده من ابتلى به **ومما اعلم به** صلى الله عليه وسلم اصحابه انهم **اذا مشوا
المطيطاء** كما ورد فى حديث رواه الترمذى عن ابن عمر الا ان الذهبى قال فى ميزانه انه
لم يصح والمطيطاء بضم الميم وفتح الطاء المهملة ومثناة تحتية ساكنة والف ممدودة كما
فى الصحاح ويقصر ايضا كما فى النهاية وهو مبنى على التصغير كالكميت وهى مشية فيها مد
اليدين فهو منصوب على المصدرية والمراد به التبختر وهو كالتمطى والمريطاء ويجوز
فتح ميمه وكسر طائه وهو من مط بمعنى مد او من مطا يمطو كما بين فى كتب اللغة **وخدمتهم
بنات فارس والروم** اى اتخذوا الجوارى والخدم منهم وخصهما لان الرقيق كان منهم
فى الاكثر لانهم كثرة يجلبون منهم لاهل الاسلام كثيرا او لانهم مع تكبرهم وتعاظمهم يصيرون
خدمة ارقاء لاهل الاسلام فيفيد اشارة لعزتهم وعلوهم على غيرهم وفارس علم للجيل المعروف
ممنوع من الصرف ويطلق على بلادهم ايضا وهو معرب پارس بالعجمية ولا يدخل
عليه الالف واللام والروم جيل معروف ايضا سموا باسم ابيهم **رد الله باسهم بينهم** جواب
اذا والباس معناه الخوف الشديد لا مطلقه والمراد به العداوة ووقوع القتال
بينهم لان الله كان اعطى نبيه صلى الله عليه وسلم النصرة بايقاع الرعب فى قلوب اعدائه الكفرة
وبقى من ذلك اثر فيمن اقتدى به من الخلف فلما اشتغلوا بزخرف الدنيا نزع الخوف من
قلوب الاعداء وصار بعضهم يعادى بعضا ويقاتله لما بينهم من التحاسد والتباغض
وطلب كل منهم ما فى يد الاخر كما ظهرت الملوك المتغلبة وصار الامر لمن غلب **وسلط
شرارهم على خيارهم** الشرار جمع شرير بمعنى شرير وخيار جمع خير بمعنى اخيار او مخفف
خير وتسليطهم بقهرهم والعلو عليهم بالباطل وهو كالتفسير لما قبله وكان ابتداء ذلك بعد
فتح فارس والروم وسبى ذراريهم واستخدامهم وتنافسهم فى الدنيا وذلك من الدولة
الاموية الى الان **ويقاتلهم الترك** كما ورد فى حديث اخبرهم صلى الله عليه وسلم رواه
الشيخان لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك صغار الاعين حمر الوجوه ذلف الانوف
كان وجوههم المجان المطرقة وقد ورد هذا الحديث من طرق بالفاظ مختلفة والترك
بضم التاء جيل معروف من الناس يقال لهم بنو قنطوراء وهى امة لابراهيم الخليل عليه
الصلاة والسلام واختلف فى نسبهم اختلافا كثيرا والمشهور انهم اولاد يافث بن نوح

عليه الصلاة والسلام وقيل انهم الديلم وقيل المراد بهم هنا ياجوج وماجوج وعلى كل حال فهم
قوم من الكفرة دارهم بعيدة من ديار الاسلام ومنهم الشاذ ولهم وقايع مشهورة كوقعة جنكيز
وهلاكه المفصلة في التواريخ **والخزر** بضم الخاء وسكون الزاي المعجمتين وراء مهملة وهم جيل
من الناس كفرة قيل انهم من الترك وقيل من العجم وقيل من التاتار لانهم جمع اخزر وهو الضيق
العين وقيل المراد بهم الاكراد ووقايعهم كلها مشهورة فقد وقع ذلك كما اخبر به صلى الله
عليه وسلم وروى الخزر بتحتين الجيم في بعض نسخ الشفا بخاء مضمومة وواو وراء اي عجمة
الانف وفيه نظر والخزر صغير العين كما علمت او النظر بموخرها **والروم** اي مما وقع من
اخباره صلى الله عليه وسلم اصحابه اخباره بما سيكون من قتال الروم وهم قوم معروفون
من ولد روم بن عيص بن اسحاق سموا باسم ابيهم فقيل روم ورومي كزنج وزنجي وقد ملكوا
الشام واختلط بهم قوم من العرب من غسان واصلهم من جهة الشمال **وذهاب
كسرى** بفتح الكاف وكسرها كما مر اي ذهاب ملكه وقومه بعد ظهور دولته وتغلبه
وفارس من ارض العراق وغيرها وقد تقدم قريبا انه **حتى لا كسرى ولا فارس**
اي حتى لا يبقى له ذكر ولا ملك الى يوم القيمة ولا انما تدخل على نكرة فاما ان تقول انه نكرة كما
في هذا الحديث لا قيصر فهو كقولهم لكل فرعون موسى اي لكل جبار متسلط من يغلب عليه
ويجازيه او فيه مقدر اي لا مثل كسرى ومثل وغير لا يتعرفان بالاضافة **بعده** اي
لا يكون بعده من جنسه **وذهاب قيصر** ملك الروم بذهاب ملكه وقومه **حتى
لا قيصر بعده** وهذا مما اورده الشيخان ايضا بدون فارس الا انه وقع في رواية من
غير طريقهما **وذكر** صلى الله عليه وسلم فيما اخبر به من المغيبات التي كانت كما قال **ان الروم**
اي جنسهم المعروف **ذات قرون** وفي نسخة ذات القرون بالتعريف جمع قرن وهم الجماعة
في عصر واحد اي كلما مضى قرن خلفه قرن وقوم يملك ملكهم منهم وقيل القرن السيد اي كلما
هلك ملك ملك بعده غيره كما بينته رواية كلما هلك قرن خلفه مكانه قرن وقيل المراد
قرون شعورهم التي كانوا ايطولونها ويعرفون بها للاشارة الى طول عمرهم **الى اخر
الدهر** اي يمتد ملكهم بدا بحلاف فارس فان الله مزقهم ومزق ملكهم بدعوته صلى
الله عليه وسلم عليهم لما مزق كتابه لهم كما هو مذكور في السير وقد تقدم ايضا وهو مشاهد
الى الان ليس لغيرهم ملك كملكهم وذلك انه صلى الله عليه وسلم لما ارسل الكتب للملوك في
عهده كتب لكسرى فلما قرا كسرى كتابه مزقه فقال صلى الله عليه وسلم مزق الله ملكهم فكان كما
قيل • وكسرى اذ تمزق بالكتاب فقد • اذاقه الله تمزيقا بتمزيق •
واما قيصر فلما اتاه كتابه صلى الله عليه وسلم مع دحية قبله واجله ودعا له رسول الله
صلى الله عليه وسلم بان يثبت ملكه وقد ذكروا ان مكتوبه صلى الله عليه وسلم الى الان عند
ملوكهم يجلونه وهو محفوظ عندهم في صندوق من ذهب واوصى بعضهم بعضا بحفظه فان
ملكهم لا يزال باقيا ما دام هذا الكتاب عندهم حتى انهم اخرجوه لابن الصايغ الحنفي لما ارسله
السلطان قلاوون الى ملك النصارى بالمغرب لا سرهم وقالوا هذا كتاب نبيكم نحن نا
نحفظه ونتبرك به وكان عند ملك طليطلة وهو الى الان عندهم والله تعالى يهدي من يشا

واعلم

واعلم صلى الله عليه وسلم اصحابه **بذهاب الامثل فالامثل من الناس** الامثل هنا
بمعنى الاشرف لانه اكثر مماثلة ومشابهة لاهل الحق والصدر الاول والفاء لترتيب
التفاضل لاثباته للاول ثم للثاني وهكذا الى ان يبقى حثالة لا عبرة بهم وفي الصحاح
فلان امثل بني فلان اي ادناهم للخير وهولاء اماثل القوم اي خيارهم اي اعلمهم صلى الله
عليه وسلم بموت الاقرب الى الخير قبل غيره وفي البخاري يذهب الصالحون الاول فالاول
ويبقى حثالة كحثالة الشعير او التمر لا يباليهم الله بالة اي لا يرفع لهم قدرا ولا يقيم لهم وزنا
والحثالة بالفاء والثاء المثلثة من كل شي رديه **وتقارب الزمان** في حديث رواه
الترمذي عن انس رضي الله عنه لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان فتكون السنة كالشهر
والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كالساعة والساعة كالضرمة بالنار بضاد معجمة
مفتوحة وراء مهملة مفتوحة وهو حشيش يحترق بسرعة والتقارب تفاعل من القرب
والمراد قصره وقلته لان المتقارب يقرب بعضه من بعض ويقال للمتصير متقارب
ومتدانية وهذا يكون اذا قربت الساعة في اخر الزمان كما ورد التصريح به في بعض
الروايات واختلفوا في معناه فقيل المراد انهم يوسع عليهم من الدنيا فيتلذذون بعيشتهم
ويكونون مسرورين ومازال الناس يصفون الايام الطيبة بالقصر والشعراء فيها مبالغة
ومعاني لطيفة يعرفها من له المام بالادب كقول ابي تمام •
• اعوام وصل كان ينسي طيبها • ذكر النوى فكانها ايام •
• ثم انبرت ايام هجر اعقبت • نحوي اسى فكانها اعوام •
• ثم انقضت تلك السنون واهلها • فكانها وكانهم احلام •
وهو الذي ارتضاه الخطابي واعترض عليه الكرماني بانه لا يناسب قوله بعده **وقبض
العلم** وقال ابن حجر انما احتاج الخطابي لتاويله بما ذكر لانه لم يقع نقص في زمنه
والذي تضمنه الحديث نجده في زماننا هذا فانا نجد من سرعة الايام ما لم نجده في العصر
الذي قبله وان لم يكن هناك عيش مستلذ كما قيل •
• كفى حزنا ان لا حياة هنية • ولا عمل يرضى به الله صالح •
فالحق ان المراد نزع البركة من كل شي حتى من الزمان وذلك من علامات قرب الساعة
وهذا هو الذي ارتضاه النووي رحمه الله وقيل المراد بتقاربه وقصره قصر الاعمار
فان كل قرن اهله اقصر اعمارا من اعمار القرن الذي قبله وقال البيضاوي في شرح المصابيح
المراد تسارع انقضاء الدول وانقراضها وهذا وجه احسن قريب من الاول وهو انه لكثرة
الظلم والاحزان والاشتغال بامور الدنيا وكثرة الحرص على تحصيلها يغفلون عن
اوقاتهم ولا يشعرون بها كما قلت •
• ان الزمان مقصر ذهبت به • بركاته اذ زادت الاثام • الاثام
• ما ذاك الا انه قد فر من • خوف وقد جارت به الحكام •
وهو مناسب لذكر الفتن بعده في قوله **وظهور الفتن والهرج** وهي جمع فتنة وهي معروفة
وهذا قد شاهدناه **وقبض العلم** بمعنى اخذه ورفعه من الناس وذلك بموت العلما حتى لا يبقى

الاناس جهلة اذا استفتوا افتوا بغير علم وبهذا فسره صلى الله عليه وسلم لما سئل عنه
وسوالهم بالكلية ان يكون اذا قربت الساعة ولا ينافى هذا قوله فى الحديث الصحيح لا تزال
لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق حتى ياتيهم امر الله فانه قبل ذلك و الهرج
بالها وسكون الرا المهملة وجيم بمعنى القتل واصل معناه لغة الكثرة وقد ورد تفسيره
فى الحديث بالقتل وورد بمعنى اختلاط الناس بعضهم ببعض وقيل انكرانه لغة حبشية
فهو معرب صار عربيا فصيحا ومنه قولهم هم فى هرج ومرج **وقال** صلى الله عليه وسلم
فى حديث رواه الشيخان عن زينب ام المومنين رضى الله عنها **ويل للعرب من شر
قد اقترب** اى قرب ودنا زمنه وويل كلمة تفجع وتعجب فتعجب مما يا لهم من المشقة
والهلاك يعنى فتن بين المسلمين كقطع الليل المظلم يصير المتمسك بها بدينه كالقابض
على الجمر يشير الى امر عثمان وعلى رضى الله عنهما وويل مبتدا وان كان نكرة لما فيه من
الدعا مثل سلام عليكم وهى ترد للتحزن والتحسر والكلام عليها مفصل فى العربية واللغة
والمراد بالتحزن ما مر لقوله اقترب وقيل انه اشارة لفتح سد ياجوج وماجوج كان
الحديث اوله قالت زينب رضى الله عنها استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من النوم محمرا
وجهه وهو يقول لا اله الا الله ويل للعرب الخ فتح اليوم من ردم ياجوج اى السد وعقد
تسعين يعنى جعلهما بهئة مضمومة لاصل الابهام بطرف المرجحة السبابة بينهما بحيث يعم المشهور
ومثله كثير فى الحديث لتعارفه بينهم والحديث والكلام عليه مبسوط بشروحه **و**اعلم صلى
الله عليه وسلم اصحابه ايضا **بانه زويت له الارض** مبنى للمجهول اى جمعت وضم بعضها الى
بعض حتى يطلع على جميعها **فارى مشارقها ومغاربها** اى جميع الارض وجوانبها كما يضم
البساط الكبير حتى يصير فى محل واحد يحيط به الناظر اليه سريعا وارى بضم الهمزة مبنى
للمجهول اى اراه الله جميع ذلك ومشارقها مفعول ثان والمشارق والمغارب كناية عن الجميع
كما فى قوله رب المشارق والمغارب والجمع باعتبار تعدد المطالع كما ذكره المفسرون
وقيل انه لم يذكر الجنوب والشمال لان معظم امتداد ملك هذه الامة فى جهتى المشرق
والمغرب وهكذا هو فى الواقع كما اخبر به صلى الله عليه وسلم وفى قوله **وسيبلغ** اى يصل
ملك امته اى سلطانهم وحكمهم اشارة اليه **ما زوى له** صلى الله عليه وسلم **منها**
اى الارض او المشارق والمغارب وهو من تتمة الحديث ومن تفصيلية او بيانية او تبعيضية
لما مر **وكذلك كان** اى وقع ما ذكر من الامتداد **امتدت** ممالكهم واتسعت او امتد
يعنى انتشرت فى نواحيها **فى المشارق والمغارب ما بين ارض الهند** بيان للمشارق
والمغارب او بدل **اقصى المشرق** بيان لارض الهند او بدل ايضا **الى بحر طنجة**
بفتح الطا المهملة ونون ساكنة وجيم بلدة مشهورة بساحل بحر المغرب **حيث لا عمارة
وراءه** اى انتهت الى مكان من ذلك البحر لا عمارة بكسر العين اى ليس بعده بلاد والجزاير
معمورة وطنجة لفظ بربرى وهى مدينة عظيمة فتحت فى الاسلام ثم استولى عليها النصارى
فى سنة سبعين وثمانمائة بعد قتال عظيم فلما راى المسلمون ان لا معين لهم ولا مغيث
سلموها لهم فانا لله وانا اليه راجعون ولم تزل النصارى ظاهرين ثمة حتى تملكوا اكثر

البلاد

البلاد فعاد الاسلام غريبا كما بدا ومن اراد تفصيل ذلك فلينظر تاريخ الاندلس
وذلك الذى امتد لهذه الامة **مالم يملكه احد من الامم السالفة ولم يمتد** الممالك
الاسلامية **فى جهة الجنوب ولا فى جهة الشمال مثل ذلك** اى مثل امتدادها
فى المشرق والمغرب كما قيل فى تفسيره انه بلغ ملكها اقصى الجهات الاربع مهاب الريح قبولا
ودبورا وجنوبا وشمالا لم يتنبه لما قلناه **وقوله** صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه مسلم
عن سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه **لا يزال اهل الغرب** سياتى تفسيره مفصلا فى
كلامه **ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة** غاية لاستمرار ظهورهم ثبتا بهم الله لهم
واعلا به لكلمة الدين بجهادهم وقوله ظاهرين اصل معنى الظهور العلو على الظهر ويطلق
على ما يلزمه وهو الشهرة والعلو وقد يراد به العلو المعنوى وهو الغلبة والقهر وقد
اختلفوا فى المشرق والمغرب ايهما افضل فذهب الى كل منهما طائفة وهو خلاف لا طائل
تحته قال ابن العماد فى كتابه كشف الاسرار استدل لمن قال بتفضيل الغرب بهذا الحديث
واجيب بان الثابت لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق حتى ياتى امر الله وهم بالشام
فان ثبت هذا اللفظ فالمراد الشام لانه غربى المدينة وقوله على الحق خبر بعد خبر
لانه ليس المعنى على الظهور على الحق بل انهم ظاهرون وانهم على الحق وهو ضد الباطل او
هو متعلق بظاهرين بتضمنه معنى ما ثبتين مداومين على اقامة الحق وتظاهر الدين
ذهب ابن المدينى فى تفسير هذا الحديث وهو على بن عبد الله بن جعفر بن نجيح
ابو الحسن امام اهل الحديث واعلمهم به فى عصره وقال النسائى كان الله لم يخلقه الا لهذا
الشان وقال البخارى ما استصغرت نفسى الا بين يدى على ابن المدينى الخ وكان من احسن
الناس كلاما على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى بالمدينة يعنيها من ذى القعدة
سنة اربع وثلاثين ومائتين وله ثلاث وسبعون سنة وروى عنه البخارى وغيره من
اصحاب السنن وهو منسوب لمدينة الرسول على خلاف القياس والقياس مدنى كما
بينه النحاة والمشهور ان يقال مدينى فى النسبة لمدينة المنصور فرقا بينه وبين المنسوب
للمدينة المنورة ولكنه اشتهر بذلك وله ترجمة فى الميزان وقال ابن الاثير النسبة الى
المدينة مدينى والاكثر مدنى والمدينى نسبة الى مداين سبعة غيرها كما فصله وقال
الجوهرى المدنى نسبة لمدينة الرسول والمدينى نسبة لمدينة المنصور وبين كلاميهما
تناف وقال ابن الصلاح فى الكلام على المسلسل بالاولية المدينى نسبة لمدينة اصبهان
وهو من المدينة اللا انه سكن البصرة وفى القاموس النسبة لمدينة الرسول مدنى ولمدينة
المنصور واصبهان وغيرهما مدينى وقال الكرمانى قال الحافظ المقدسى قال البخارى المدينى
الذى اقام بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يفارقها والمدنى الذى تحول عنها وكان
منها انتهى **الى انهم العرب** مطلقا ووجه تسميتهم اهل الغرب بقوله **لانهم المخصوصون
بالسقى بالغرب** بفتح الغين المعجمة وسكون الرا المهملة والموحدة **وهى الدلو** العظيمة
المعروفة تذكر وتونث سماعا وقيل المراد بالغرب فى الحديث الحدة والشوكة وتقدم
تفسيره بالشام ايضا ومنه غرب الشباب لحدته وللغرب معان كثيرة فى كتب اللغة

وغيره اى غير ابن المديني من علماء الحديث **يذهب الى انهم** في الحديث **اهل**
المغرب بميم في اوله **وقد ورد المغرب كذا** اى بهذا اللفظ في بعض الروايات وهو
مويد للتفسير الثاني ولا يعينه لاحتمال انه روى **في الحديث بمعناه** فهو رواية
بالمعنى ولولا هذا لم نغيره بغيره **وفي حديث اخر** من هذا القبيل رواه الطبراني
وعبد الله بن احمد بن حنبل **من رواية ابي امامة** عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم من الكفرة بالجهاد
في سبيل الله **حتى ياتيهم امر الله** يعني الساعة واشراطها ونهاية لظهورهم على
ظاهرها او المراد انهم لا يعدم ظهورهم كقوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يمل حتى
تملوا كما حققه الكرماني وغيره **وهم كذلك** اى باقون على حالهم والجملة حالية **قيل**
يا رسول الله واين هم من البلاد وغيرها **قال ببيت المقدس** بالاضافة وفيه
لغات فتقدس بكسر جمع اسم مكان او مصدر ميمي من القدس وهو الطهر اى المكان
الذي يطهر فيه العابد من الاصنام وجاء بضم الميم وفتح القاف والدال المشددة
اسم مفعول من التقديس اى التطهير وجاء بكسر الدال المشددة اسم فاعل لانه يقدس
العابد فيه من الاثام ويقال البيت المقدس بالتوصيف والاشهر الاضافة والظاهر
ان الطائفة المذكورة الامراء والحكام وولاة الامور لانهم المعروفون بالقهر والغلبة
وقيل انه يشملهم ويشمل غيرهم من الفقهاء والمحدثين وكل من يامر بالمعروف وينهى عن
المنكر وقال البخاري هم اهل العلم ونقل عنه ايضا انهم اهل الحديث وكل محتمل فالتعميم
اولى كما لا يخفى وفي شرح مسلم للقرطبي بعد ما ذكر رواية اهل المغرب من طرق متعددة
وصححها انه يدل على ابطال التاويلات فيه والمراد بالمغرب جهة الغرب من المدينة
الى اقصى بلاد المغرب فيدخل فيه الشام وبيت المقدس فلا منافاة بين الروايات وفي
رواية للطرطوشي ارسلها لاهل المغرب وذكر فيها هذا الحديث وقال فيها هل اراد كم
رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا او لما انتم عليه من التمسك بالسنة وطهارتكم من
البدع واقتفاء اثر السلف وفيه دليل على صحة الاجماع **واخبر** صلى الله عليه وسلم في
حديث رواه الترمذي والحاكم عن الحسن بن علي رضي الله عنهما **بملك بني امية** وهذا من
جملة ما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات وهم بنو مروان بن الحكم بن ابي العاص
ابن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي وقد رواه البيهقي مرسلا من طريق اخر
في سنده ضعف **وولاية معاوية** بن ابي سفيان بن حرب بن امية بن عبد شمس ولعل
اجادة المصنف رحمه الله اذ عبر في بني امية بالملك ولم يدخل فيهم معاوية وعبر في
معاوية رضي الله عنه بالولاية الشاملة للملك والخلافة كما ستبينه عن قريب والفرق
بين الملك والخلافة والولاية ان الملك هو السلطنة بطريق التغلب والخلافة ما كان
ببيعة اهل الحق لمن هو قرشي جامع لشروط الخلافة المذكورة في الاصول والولاية
اعم منهما فتشملها وتشمل الامارة ونيابة الخلفاء وغيرهم كما في الحديث الاتي مع الكلام عليه
الخلافة بعدي ثلاثون عاما ثم تصير ملكا عضوضا ومعاوية كما تقدم كان اول

امراء الاسلام صار ملكا وهو اول ملوك الاسلام ثم لما بايعه الحسن رضي الله عنه برضاه
صار خليفة فلذا كان ذكر الولاية فيه اشارة لهذا ولم يعد عثمان رضي الله عنه من
بني امية لانه خليفة بحق ومعاوية وان كان منهم نسبا لان ابا سفيان كما علمت ابن
حرب بن امية فلم يدخله المصنف فيهم لما ذكرناه وقيل انه اول ملوك بني امية ولكل
وجهة وقد ورد في الحديث انه صلى الله عليه وسلم راى مناما بني امية على منبره الشريف
فساءه ذلك فانزل الله عليه تسلية له صلى الله عليه وسلم سورة الكوثر وسورة القدر
لان ملك بني امية كان الف شهر لا تزيد ولا تنقص فاعطى الله امته في كل سنة ليلة
تعدل ملكهم وتزيد عليها لا يحصى من الثواب الواقعة في تلك الليلة مما لا يعلم مقدار
ثوابه الا الله تعالى بحيث ذلك من الهمه الله تعالى النعم التام وخصه بالمواهب
وفيه من الاسرار الخفية ما لا يخفى على ذي بصيرة **ووصاه** اى وصى عليه الصلاة والسلام
معاوية اذا ملك بالعدل والرفق لما قال له اذا ملكت فاسجح قال معاوية رضي الله عنه
فما زلت اطمع في الخلافة منذ سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل في قوله اذا
ملكت اشارة الى انه رضي الله عنه لم يكن خليفة وانما كان ملكا وروى البيهقي عن معاوية
انه قال ما حملني على الخلافة الا قوله صلى الله عليه وسلم يا معاوية ان ملكت فاحسن وهو
ضعيف الا ان له شواهد منها ما روى انه سمع بالاداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
له يا معاوية ان وليت امرا فاتق الله واعدل وروى ما يقرب منه من طرق متعددة
وهذا من جملة ما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات **و**منه ايضا قوله **واتخاذ**
بني امية مال الله دولا كما ورد في حديث رواه الترمذي والحاكم والبيهقي عن ابي
هريرة رضي الله عنه اذا بلغ بنو ابي العاص اربعين او ثلاثين اتخذوا دين الله دغلا
وعباد الله خولا ومال الله دولا ودول بضم الدال المهملة وفتح الواو ولام جمع دولة
بالضم والفتح وهو ما يتداول اى ياخذه واحد بعد واحد والمراد انهم استاثروا
به ومنعوا حقوقه فاسرفوا وبذروا وصنعوا بيت مال المسلمين وهم اول من
فعل ذلك في الاسلام واول ملوكهم بعد معاوية بن يزيد مروان بن الحكم ثم ولي
ابنه عبد الملك وتمت دولتهم بالرابع عشر مروان بن محمد كما فصله المورخون **و**منه
ايضا **خروج ولد العباس** بعد انقراض الدولة الاموية اى ولد العباس
ابن عبد المطلب كما ورد في حديث رواه احمد والبيهقي بسند فيه ضعف وهو مما
اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم والولد يطلق على الواحد والجمع والمراد
هنا الثاني **بالرايات السود** اشارة الى ما في هذا الحديث تظهر الرايات السود لبني
العباس حتى ينزلوا الشام ويقتل الله على ايديهم كل جبار وعدو لهم وفي رواية تخرج
الرايات السود من خراسان لا يردها شيء حتى تنصب بايليا اى بيت المقدس وفي سنده
ضعيف وكان صلى الله عليه وسلم اخبر العباس ان الخلافة تكون في ولده فكانوا ينتظرون
ذلك وقد روى تبشيره صلى الله عليه وسلم بذلك له ولام الفضل زوجته من طرق اوردها
السخاوي بما لعله ليس بدعا تفصيله هذا المقام وكان شعار بني العباس السواد

في لباسهم وراياتهم وسببه انه صلى الله عليه وسلم اخبرهم بذلك وقيل سببه ان مروان
الحمار اخر بني امية لما بلغته دعوة ابي مسلم الى محمد بن علي الامام ومات محمد فعهد الى ابنه
ابراهيم فاتى به مروان وسجنه فلما احس بالقتل اوصى اتباعه بالثبات على امرهم
واستخلاف اخيه السفاح فلما قتل لبسوا السواد اظهارا للحزن عليه وحزنا للاخذ بثاره
فاستمر ذلك فيهم وادنا فاة بين الروايتين ولم يزل ذلك الى عهد المامون بن الرشيد
في سنة احدى ومائتين فامر بترك السواد ولبس الخضرة لمحبته للعلويين حتى خلع
اخاه المؤتمن وجعل العهد لعلي الرضى فمات ولم يتم امره فكلمه العباسيون في اعادة
شعار السواد وترك الخضرة ففعل وهذا اول لبس العلويين الخضرة ولبس
مبداوه كما توهمه المتاخرون في سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة برسم الملك الاشرف
بمصر وفي ذلك يقول ابن جابر الاندلسي

جعلوا لابناء الرسول علامة ❊ ان العلامة شان من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوههم ❊ يغني الشريف عن الطراز الاخضر

وقال ابن حبيب

عمائم الاشراف قد تميزت ❊ بخضرة رقت وراقت منظرا
وهذه اشارة ان لهم ❊ في جنة الخلد لباسا اخضرا

وقال ابن المزين

اطراف تيجان اتت من سندس ❊ خضر كاعلام على الاشراف
والاشرف السلطان خصهم بها ❊ شرفا ليفرقهم من الاطراف

ولكن الاول لما لم يستمر وترك حتى نسي توهموا ان ابتداءه كان كذلك وكان سبب
حدوث شعارهم ان يهوديا دخل بعمامة فعظم ودخل بعض الاشراف ثم جلست اليه
لعدم العلم به فامر بذلك وقال السبكي انه مستحب واستنبطه من قوله تعالى ذلك ادنى
ان يعرفن فلا يؤذين وهو كلام حسن **وملكهم** اي ملك بني العباس الخلفاء **اضعاف**
ما ملكوا اي اضعاف ملك بني امية واضعاف خلفائهم فان اولهم السفاح بويع في ربيع الاخر
سنة اثنتين وثلاثين ومائة واستمر ملكهم الى سنة ست وخمسمائة وكانوا الخوف تلا يثبت
بعده اذ ثم انقضت تلك السنون واهلها ولله الامر من قبل ومن بعد **وخروج**
المهدي في اخر الزمان كما ورد في حديث رواه اصحاب السنن وغيرهم من طرق كثيرة
الا انه قيل ان اسانيده لا تخلو من ضعف وقد اختلاف كثير افرد بالتاليف فقيل انه
عباسي وقيل انه علوي وانه يملك سبع سنين وكنيته ابو القاسم واسمه محمد بن عبد
الله وفي زمنه ينبسط الامن والعدل وقيل المراد به عيسى ابن مريم عليه الصلاة
والسلام وذكره النبي صلى الله عليه وسلم باسمه وصفته كما فصلوه واحواله مبسوطة
في تذكرة القرطبي وهو ممن ملك الارض كلها وقد ملكها قبله مسلمان سليمان عليه
الصلاة والسلام وذو القرنين وكافران نمرود وبخت نصر **وما ينال اهل بيته**
وتقتيلهم وتشريدهم نقتيل ناله كذا اذا وصل اليه فيجوز ان يكون فاعله مستتر

يجوز

يجوز لما فاعل منصوب ويجوز رفعه بتقدير اي ما يناله اهل بيته وما قيل انه لا
يجوز رفعه لا وجه له اي مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات كما في حديث رواه
الحاكم ان اهل بيتي سيلقون بعدي من امتي قتلا وتشريدا وصححه الذهبي والتشريد
الطرد والتفريق من شرد البعير اذا ند وشردت فلانا من البلاد وشردت به
قال تعالى فشرد بهم من خلفهم **وقتل علي** بن ابي طالب كرم الله وجهه اي مما اخبر
به صلى الله عليه وسلم قتل علي كما رواه احمد والطبراني في حديث فيه **وان اشقاها**
اي اشقى الخلائق او الدنيا او الطائفة الخوارج واشقى هذه الامة **الذي يخضب**
هذه اشارة الى لحيته **من هذه** اشارة لراسه اي يضربه على راسه ضربة يسيل
بها دمه حتى يبل لحيته والخضاب صبغ معروف فشبه دمه بالخضاب لتغييره لونها
كما يغير الخضاب ففيه استعارة وهو عبد الرحمن بن ملجم بضم الميم وسكون اللام وفتح
الجيم على زنة اسم المفعول كما قاله النووي في تهذيبه وغيره **اي لحيته من راسه** اي
من دمها وهو تفسير لما قبله وقصة الخوارج والتحكيم وقتل علي مشهورة لا حاجة لنا
بها وكذا قصة اهل بيته واخباره بقتل سبطه بكربلا **وانه** يعني عليا كرم الله وجهه
قسيم النار ظاهر كلامه ان هذا مما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم الا انه قال لم يرد
احد من المحدثين الا ان ابن الاثير قال في النهاية الا ان عليا قال انا قسيم النار يعني
اراد ان الناس فريقان فريق معي فهم على هدى وفريق علي فهم على ضلال فنصف معي في
الجنة ونصف علي في النار انتهى قلت ابن الاثير ثقة وما ذكره علي لا يقال من قبل
الراي فهو في حكم المرفوع اذ لا مجال فيه للاجتهاد ومعناه انا ومن معي قسيم لاهل
اي مقابل لهم لانه من اهل الجنة وقيل القسيم القاسم كالجليس والسمير وقيل اراد بهم
الخوارج ومن قاتله كما في النهاية **يدخل اولياؤه الجنة** اي من والاه ونصره وكان
من حزبه ويدخل بفتح المثناة التحتية وضم الخاء المعجمة ويجوز ضم اوله وكسر ثالثه فيرفع
اولياؤه او ينصب او تدخل بفوقية وذلك باذن من الله تكريما له على الثاني لان كبار
الامة لهم شفاعة ثمة كما ورد في الحديث **ويدخل اعداؤه النار** لبغضهم له وعدم اتباعهم
الحق وفي الغيلانيات انه نادى يوم العقبة ابن اصحاب محمد ثم بين بالكلية رضي الله عنهم
فيقول الله لهم ادخلوا من شئتم الجنة ودعوا من شئتم اوما هو بمعناه **فكان ممن عاداه**
اي اظهر العداوة له **الخوارج** وهم الذين خرجوا عليه عند التحكيم فكانوا اثني عشر الفا
اصحاب صلاة وصيام وقد اخبر عنهم النبي صلى الله عليه وسلم وذكرهم بصفاتهم وكان لعلي
رضي الله عنه معهم وقائع مدونة في التواريخ وهم من الفرقة الضالة ولهم اعتقادات
فاسدة واعمال كاسدة والواحد منهم خارج وخارجي **والناصبة** اي الفرقة
او الطائفة الناصبة ويقال لهم النواصب وهم قوم تدينوا ببغض علي كرم الله وجهه
قال ابن السيد من نصبت الشرك والحبالة فاستعير ذلك لكل من يكيد ويوقع
في المكروه واشتق منه هذا الاسم انتهى وفي الكشاف النصب بغض علي وعداوته
وهو بالصاد المهملة وهو من الخوارج ايضا **وطائفة ممن ينسب** الى التحتية

مطلب المهدي

او بالمثناة الفوقية وروى ينتسب اتباعا لمن الفتنة اليه اى الى على لانهم كانوا يعتقدون
انه الخليفة بحق وان الامامة حقه وتلك الطائفة من الروافض من الرفض وهو
الترك سموا بذلك لتركهم السنة والجماعة كفروه اى نسبوه الى الكفر لتركه الخلافة
وهى حقه وهو زعم فاسد وحماقة وهم المنكرون للتحكيم وقولهم لا حكم الا لله وهى
كلمة حق اريد بها باطل وقد كفروا غيره من الصحابة ايضا وفى قوله السابق من
عاداه اشارة الى ان من عاداه ليس منحصرا فيمن ذكر فان كثيرا من بنى امية والعباسيين
اظهروا عداوته وسبه وقال صلى الله عليه وسلم كما رواه الشيخان يقتل عثمان
وهو يقرأ القرآن فى داره فى المصحف وروى الترمذى عن ابن عمر انه صلى الله عليه
وسلم ذكر فتنة فقال يقتل فيها هذا مظلوما يعنى عثمان رضى الله عنه وحسنه وهو من
جملة ما اخبر به من المغيبات فكان كما قال والمصحف بضم الميم وكسرها محل الصحف
لجمعه ما كان فيها كما يأتى وان الله عسى ان يلبسه قميصا اى يعنى هنا ربما لعدم
جزمه واستعمالها للاستقبال اللازم للترجى اى سيلبسه واستعار القميص للخلافة
استعارة مرشحة بقوله وانهم يريدون خلعه ان الضمير للقميص ويجوز عوده لعثمان
وخلعه يعنى عزله فانهم اجتمعوا ليخلعوه فلم يرض لانه صلى الله عليه وسلم نهاه عنه بقوله فلا تخلعه
فقتلوه فاهدر الله بدمه سبعين الفا قتلوا بصفين وغيرها كما رواه الترمذى عن
عائشة رضى الله عنها وهو حديث حسن وعن ابن عمر رضى الله عنهما ان عثمان اصبح
يحدث الناس فقال رايت النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا عثمان افطر عندنا فاصبح صائما
وقتل فى يومه وانه سيقطر دمه على قوله فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم اى
حذونا لك ممن يقتلك وهذا رواه الطبرى فى كتابه الرياض النضرة ورواه الحاكم
عن ابن عباس وقال الذهبى انه موضوع وتبعه السيوطى والظاهر منه ان دمه
وقع على هذه الاية وقيل المراد انه اريق دمه وهو يقرؤها وهو بعيد وفيه اخبار
بغيبات منها وقوع هذه الفتنة وان عثمان سيقتل شهيدا وان القرآن سيجمع فى
مصحف فانه لم يكن فى زمنه صلى الله عليه وسلم مصحف واختلفوا فيمن قتله فقيل رومان
ابن سرحان وقيل الاسود التجيبى وهذه اول فتنة ومصيبة وقعت فى الاسلام ومن لم
يقاس الدهر لم يعرف الاسى وفى غير الايام ما وعد الدهر وما اخبر به صلى الله عليه
وسلم ان الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا روى البيهقى هذا الحديث عن ابن عمر
رضى الله عنهما والشيخان عن حذيفة ولقى يوما عمر ابا ذر فاخذ بيده وعصرها
فقال دع يدى يا قفل الفتنة فقال له ما هذا يا ابا ذر فقال لحبث يوما وكنت عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم فكرهت ان اتخطى الناس فجلست فى ادبارهم فقال لا تصيبكم فتنة
ما دام هذا فيكم وقال عمر رضى الله عنه يوما ايكم يحفظ ما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى الفتنة التى تموج كموج البحر فقال حذيفة ليس عليك منها يا امير المؤمنين
ان بينك وبينها بابا مغلقا قال ايفتح ام يكسر قال يكسر قال اذن لا يغلق ابدا فقيل
له اكان عمر يعلمه قال نعم كما ان دون الغد الليلة اقول فى هذا اسرار من كنايات

البلاغة

البلاغة عجيب فان قوله تموج اشارة الى انها ليست فتنة المال والاولاد وقوله
يكسر يشير الى انه يقتل فيتجرأ الناس على الخلفاء والباب اذا انكسر لا يقفل وقوله
دون الغد الليلة كناية عن انه كان يقينا عنده وانا سالتهم هل علمه غيره ام لا
وخطب خالد بن الوليد يوما فقال ان امير المؤمنين قد بعثنى الى الشام وهو
بهم فالقى بوانيه بثنية وعسلا اراد ان يؤثر به غيرى فقال له الرجل اصبر ايها
الامير فان الفتن قد ظهرت فقال اما وابن الخطاب حى فلا انما ذاك بعده اذا
كان الناس بذى بلى وذى بليان فينظر الرجل هل يجد مكانا لم ينزل به مثل ما نزل
بمكانه من الشر فلا يجده نعوذ بالله ان تدركنى واياكم اولئك الايام وبوانيه جمع
بانية اى خيره وسعته والبثنية حنطة منسوبة لبثنية ناحية بدمشق وقيل هى
الزبدة اى كانها عسل وزبد لما يجىء من اموالها وذى بلى وذى بليان يريد به طوائف
بلا امام وكل من بعد حتى لا يدرى موضعه فهو بذى بلى من بلى فى الارض اذا ذهب
اراد ان امور الناس تضيع بعد عمر رضى الله عنه و اخبر صلى الله عليه وسلم فى حديث
رواه البيهقى من طرق وهو مما اخبر به من المغيبات بمحاربة الزبير لعلى وهو ظالم
له وكان صلى الله عليه وسلم راهما يوما وكل منهما يضحك فقال لعلى اتحبه فقال كيف لا
احبه وهو ابن عمتى صفية وعلى دينى فقال للزبير اتحبه فقال كيف لا احبه وهو ابن
خالى وعلى دينى فقال اما انك ستقاتله وانت له ظالم فلما كان يوم الجمل قاتله
فبرز له على رضى الله عنه وقال انشدك الله اسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم
قوله انك ستقاتلنى وانت لى ظالم قال نعم ولكن انسيته وانصرف عنه فلما كان بوادى
السباع خرج عليه ابن جرموز وهو نائم فقتله واتى براسه كما فصله المؤرخون
مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات نباح كلاب الحوءب على بعض ازواجه
يعنى عائشة رضى الله عنها وهو بحاء مهملة وواو ساكنة وهمزة مفتوحة وموحدة
اسم ماء او موضع وقرية فيه الماء فى طريق الذاهب من المدينة الى البصرة قال ابن عبد
ربه فى العقد وبعضهم يقول فيه الحوب بضم الحاء وتشديد الواو والمشهور الاول
قال الشاعر من الخوارج

وانا البرىء من الزبير وطلحة ۞ ومن التى نبحت كلاب الحوءب

وفى معجم البلدان اصل معناه الوادى الواسع وانما كان المراد عائشة رضى الله عنها
لانه صلى الله عليه وسلم كان يوما جالسا وعنده نساؤه يتحدثن معه فقال ايتكن
تنبحها كلاب الحوءب سائرة الى الشرق فى كتيبة فكانت عائشة فى وقعة الجمل
ولما مرت بذلك المكان نبحتها كلابه فسالت عن اسم ذلك المكان فقيل لها الحوءب
فهمت بالرجوع فحلفوا لها انه ليس بالحوءب والحواب ايضا اسم مخلاف بالطائف لكنه
فيه سلمى المراد بها عتيقة عائشة وقيل ايضا انها المرادة بالحديث ايضا لانها
كانت مرتدة به صلى الله عليه وسلم لما حدثنى به كما فى المعجم والصحيح خلافه لما يأتى
فى تتمة الحديث والنباح بضم النون وكسرها صوت الكلب والتيس وقيل انه

اى الحواب سمى باسم حواب بنت كلب لنزولها به كما قاله ابن ماكولا واختلف فى وزنه فقيل فوعل وقيل فعال وفيه الاخبار بالمغيبات وهو حديث صحيح رواه البزار عن ابن عباس وهو من تتمة حديث الزبير رضى الله عنه لان عايشة ذهبت معه لتصلح بينه وبين على فاتفق ما اتفق فى وقعة الجمل واخبر صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث **انه يقتل حولها** ممن كان معها **قتلى كثيرة** قيل كانوا نحو ثلاثين الفا **وتنجوا** اى تسلم هى **بعد ما كادت** اى قاربت عدم النجاة **فنبحت** كلاب الحواب **على عايشة عند خروجها الى البصرة** وهذا الحديث صحيح كما مر روى من طرق عدة فعن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال لنسائه ليت شعرى ايتكن صاحبة الجمل الادبب تنبحها كلاب الحواب والادبب كثير شعر الوجه وذلك ادغامه وعدمه لمشاكلة الحواب وكان ما اخبر به لانه لما قتل عثمان رضى الله عنه وكانت هى وامهات المومنين حاجات فى ذلك العام فبايع الناس عليا واتخاذ الهم قتلة عثمان من غير رضى منه لكنه خشى الفتنة لكثرتهم وتغلبهم واشتد غيظ الناس فخطبتهم عايشة رضى الله عنها وحثتهم على الطلب بدمه ودفع الخوارج عن البلد الحرام فاجابها الناس وقالوا لها حيثما سرت فنحن معك فسارت فى هودجها على جمل يقال له عسكر وودعها امهات المومنين يبكين فسمى ذلك العام عام النحيب فلما وصلت الى الحواب واناخوا جملها نبحتها الكلاب فقالت ردونى واخبرت بما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها الزبير يا ام المومنين اصلحى بين الناس اصلحى بين الناس فسارت لذلك وكان ما كان **و**مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات **ان عمارا** ابن ياسر الصحابى المشهور **تقتله الفئة الباغية** من البغى وهو الخروج بغير حق على الامام ولفظ مسلم قال النبى صلى الله عليه وسلم لعمار تقتلك الفئة الباغية وروى وقاتله فى النار **فقتله اصحاب معاوية** وكان هو مع على بصفين وهو صريح فى ان الخليفة بحق هو على رضى الله عنه وان معاوية مخطئ فى اجتهاده كما فى حديث اذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق وابن سمية هو عمار رضى الله عنه كان مع على وعند اهل الذى ندين الله به وهو ان عليا كرم الله وجهه على الحق ومجتهد مصيب فى عدم تسليم قتلة عثمان ومعاوية رضى الله عنه مجتهد مخطئ فدع القيل والقال فما بعد الحق الا الضلال وقد تاول معاوية حديث عمار لما لم يجد مجالا لانكاره فقال انما قتله من اخرجه ولذا قال على كرم الله وجهه لما بلغه قوله فرسول الله صلى الله عليه وسلم قتل حمزة رضى الله عنه لما اخرجه لاحد كما نقله ابن حجة رحمه الله وقتل عمار بصفين وهو ابن سبعين سنة قتله ابن الغادية واحتز راسه ابن جزء ودفنه على رضى الله عنه **وقال** صلى الله عليه وسلم فى حديث تقدم **لعبد الله بن الزبير** لما شرب دما من فضلاته صلى الله عليه وسلم **وويل للناس منك وويل لك من الناس** وويلها للتحسر والتاسف وتكون الدعاء لاهلاك وكان صلى الله عليه وسلم احتجم واعطاه دمه وقال له ارقه فى محل لا يرى فلما رجع قال له صلى الله عليه وسلم لعلك شربته فقال نعم فقال له ذلك واستدل به على طهارة فضلاته صلى الله عليه وسلم كما مر وكان الناس يرون ان ما عنده من القوة والجراة مكتسبة من ذلك الدم والمراد من الناس الجنس وويله من الناس لان من كان على الحق حربا على

المقاتلة

المقاتلة عليه يكثر اعداؤه وحساده ويناله من الناس اذى ووقوع له ذلك رضى الله عنه حتى قتل هو وابنه ظلما وعدوانا كما اخبر به صلى الله عليه وسلم فلم يرق ذلك الدم حتى اراق دمه **وقال** صلى الله عليه وسلم فى اخباره عن المغيبات فى حديث صحيح رواه الشيخان **فى حق قزمان** بقاف مضمومة وزاى معجمة ساكنة وهو ظفرى وهو مولى لبعض الانصار وكان شجاعا لكنه منافق وكان قد قاتل قتالا شديدا اعجب الصحابة رضى الله عنهم كما اشار اليه بقوله **وقد ابلى مع المسلمين** وابلى بفتح الهمزة وموحدة ساكنة واللام والف مقصورة فعل ماض من ابلى بمعنى اختبر ويقال ابلى بلاء حسنا فى الحرب اذا اصيب فى قتاله واجاد والجملة حالية اى ابان شجاعته واقدامه الا ان ذلك لم يكن خالصا لله وقد اطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على حاله **فقال فيه انه من اهل النار** فعجب الناس من ذلك لما ظهر من اسلامه **فقتل نفسه** لما كثرت الجراحة فيه واختلفت الرواية فى هذا الحديث بعد الاتفاق واختلفت الرواية فى اى موطن قال صلى الله عليه وسلم هذا الحديث على صحته لرواية الشيخين له عن ابى هريرة فقيل انه كان ذلك باحد وقيل بحنين وقيل بخيبر وان حنين الواقع فى صحيح مسلم محرف من خيبر لقرب رسمها خطا وقيل ان القصة تعددت فانه صلى الله عليه وسلم فى بعض غزواته راى رجلا فقال انه من اهل النار فلما قاتلوا قاتل معهم اشد القتال حتى اثخن بجراحات كثيرة فقال صلى الله عليه وسلم انه من اهل النار فكاد بعض الناس يرتاب فلما اشتد عليه الم جراحاته قتل نفسه فقيل انه جعل سيفه بين ثدييه وتحامل عليه حتى مات وقيل اخرج من كنانته سهما نحر به نفسه وقيل قطع عروق يده فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك تصديقا لمقالته فقال ان الله ليؤيد الدين بالرجل الفاجر وامر مناديا ينادى فى الناس انه لا يدخل الجنة الا مومن اى مومن كامل او قد علم منه انه منافق او انه ارتد قبيل موته والمنادى قيل انه عمر رضى الله عنه وقيل بلال وقيل عبد الرحمن بن عوف وجمع بين الروايات بتعدد القصة او انه وقع ذلك من كامله وغيره وتعدد من نادى وفيه اشارة الى انه لا ينبغى النظر لظاهر العمل ولا الاتكال عليه **و**روى الطبرانى والبيهقى من طرق بعضها متصل وبعضها مرسل وبعضها منقطع انه صلى الله عليه وسلم **قال فى حق جماعة** من الصحابة كانوا عنده **فيهم ابو هريرة وحذيفة وسمرة بن جندب اخركم موتا فى النار** اخركم مبتدا خبره محذوف تقديره يموت موتا فى النار فموتا مفعول مطلق والجار والمجرور متعلق بالخبر او بالمصدر او اخركم فاعل يموت واما كونه مبتدا وموتا تمييز والظرف خبره وان احتمل فليس بمراد ولذا ابدل ان قبلها ما وتوريه لان المراد انه يحترق فى الدنيا حريقا يموت به الا انه يدخل نار جهنم لان ابن عساكر روى عن ابن سيرين ان سمرة اصابه كزاز وهو مرض يصيب صاحبه برد لا يهدا قوته فكان يوقد له قدر عظيم ثابتة ويجلس عليه ليدفا من بخاره فسقط فيه فاحترق وقيل انه مات فى حريق قيل ويحتمل انه على ظاهره بان يدخل النار فى الاخرة ثم يخرج لامر صدر منه والذى صححه السيوطى وغيره الاول واليه يشير المصنف بقوله **فكان بعضهم** اى بعض من

قتيل في حفة ذلك ممن تقدم **ينبا لعن البعض** من رفقا به الذين قال صلى الله عليه وسلم
فيهم ما مر قال ابن حكيم الضبي لما ان اتيت ابا هريرة سالني عن سمرة فان اخبرته
بصحته فرح قال لنا عن ذلك فقال كنا عشرة في بيت فقال صلى الله عليه وسلم اخركم موتا
في النار فمات منا ثمانية ولم يبق غيري وغيره وكان اذا قيل له مات سمرة يغشى عليه حتى
مات قبله **فكان سمرة اخرهم موتا هرم** بزنة علم اى كبر سنه وضعف بدنه واصابه
من الخرف وهو اختلال العقل **وخرف** بخاء معجمة مفتوحة وراء مهملة مكسورة اى فسد عقله ونقص
من الكبر **فاصطلى** اصله اصتلى فابدلت التاء طاء لمجاورة الصاد اى تدفى **بالنار** اى
بنار اوقدت له **فاحترق فيها** لغفلة اهله عنه وضعفه عن الحركة فثبت صحة ما اخبر به
الرسول صلى الله عليه وسلم قبل وقوعه ولم يكشف لهم الغطا عن مراده ليجد وا في اعمالهم
ويد وموا على الخوف والمراقبة او لانه صلى الله عليه وسلم لم يوذن له في ذلك ولهو من
الحكم الخفية قيل ان ما ذكر لم يرمنقولا عن غير المصنف ولم يذكر احد ان سمرة حرق بل لم
ينقل ان احدا من الصحابة حرق الا بسر بن ارطاة او ابن ابي ارطاة على القول بانه
صحابي وقد نفي بسرا سفينة مولاه صلى الله عليه وسلم كما قال البرهان **وقال** صلى الله
عليه وسلم في حديث رواه ابن اسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة انه قال **في حنظلة**
ابن ابي عامر الانصاري الصحابي المشهور **بالغسيل** فعيل بمعنى مفعول من الغسل
سمي بذلك لان الملائكة غسلته لما استشهد باحد وكان جنبا فقتله سفيان بن حرب
وقيل قتله شداد بن اوس الليثي وهو حنظلة بن عامر الراهب الذي لقبه رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالفاسق فراى رسول الله صلى الله عليه وسلم الملائكة تغسله مع انه
شهيد فقال **سلوا زوجه** يعني امراته وزوجة فانه يقال للمراة زوج كالرجل في الفصيح
وقد يقال زوجة للفرق **عنه** اى عن حاله فانه صلى الله عليه وسلم كان اشار اليه بقوله علم
ان تغسيله لجنابته وهي لا يطلع عليها غيرها كما اشار اليه بقوله **فاني رايت الملائكة
تغسله** والشهيد لا يغسل وكان ذلك باحد **فسالوها فقالت** انه **خرج** من
بيته لاحد **جنبا** من جماع امراته **اعجله الحال** اى محنة الجهاد والعون لرسول الله
صلى الله عليه وسلم **عن الغسل** بضم فسكون اى عن ان يغتسل من جنابته لخوفه ان
يبطي عن حضوره معه صلى الله عليه وسلم فيفوته ذلك الموقف وفي رواية قالت كان
جنبا فغسلت احدى شقي راسه فلما سمع صوتا خرج فقتل وكان ابتنى بزوجته في تلك
الليلة وهي جميلة بنت ابي بن سلول المنافق **قال ابو سعيد** بن مالك بن سنان
الخدري وقد تقدم ذكره مرارا **ووجدنا راسه** اى راس حنظلة لما قتل **يقطر
ما** من اثر تغسيل الملائكة له وهذا من ظهور ما في عالم الغيب وهذا انما وقع في
بعض النسخ ملحقا بالام والشهيد في المعركة لا يغسل لانه لكنه لو كان جنبا هل يلزم
تغسيله ام لا اختلف فيه فقيل يجب لانه بسبب اخر وهو ظاهر الحديث والكلام عليه
مفصل في كتب الفقه **وقال** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه احمد والترمذي
وهو مما غفل عنه اذ فيه مع الحكم اخبار ببعض المغيبات **الخلافة في قريش** ولو كان

هذا

هذا المجرد الحكم لم يكن مما نحن فيه لانه صلى الله عليه وسلم حكم با ستحقاقهم لها وقع ام لم يقع
وقد وقع كما اخبر مدة طويلة الى انقضا دولة بني العباس **و**في حديث اخر رواه البخاري
لن يزال هذا الامر يعني الخلافة **في قريش ما اقاموا الدين** بيان لغاية اى ما
حموا شوكة الاسلام واقاموا شعائر الدين الظاهرة فاذا غيروا اغير عليهم الله ونزع الملك
منهم وقد وقع كما قال صلى الله عليه وسلم وفيه روايات متغايرة تحتاج لكلام طويل طويناه
خوف السامة والملل وفي رواية حتى يبقى منهم اثنا عشر خليفة وما ظرفية مصدرية
اى مدة اقامتهم والاجماع منعقد على ان الخلافة مختصة بقريش **وقال** صلى الله عليه وسلم
في حديث رواه مسلم والبيهقي **يكون** اى يوجد بعده صلى الله عليه وسلم **في ثقيف**
قبيلة معروفة **كذاب ومبير** اى مهلك يكثر القتل يعبر حتى من البوار وهو الهلاك
قال تعالى وكنتم قوما بورا اى هلكى **فراوهما** من الراى اى راى العلما ان المراد في
الحديث بهما **الحجاج** ابن يوسف الثقفي وهذا مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من
المغيبات ففي حديث اسما رضي الله عنها من طريق مسلم انها قالت للحجاج ان في ثقيف كذابا
ومبيرا اما الكذاب فقد رايناه واما المبير فلا اخالك الا اياه وقال النووي رحمه الله اجمع
العلما على ان المبير هو الحجاج وقال هشام بن حسان انه قتل مائة وعشرين الفا **و**الكذاب
هو **المختار** بن ابي عبيد الثقفي بن مسعود بن عمر بن عمير فهو غيا رند لف ونشر مشوش
وابوه اسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره فلم يعد في الصحابة والمختار هذا كان يزعم
ان جبريل عليه الصلاة والسلام ياتيه وكان يظهر مدح ابن الزبير ومحمد ابن الحنفية
واستولى على الكوفة واظهر التشيع واجتمع عليه ناس كثيرون وطلب الحرب بالحسين
فقتل كثيرا من قتلته وعظم امره وكان يتكهن ويزعم انه يوحى اليه وله كرسي يعظمه ويقول انه
تابوت بني اسرائيل فهو ضال مضل واستمر على ذلك مدة حتى قتله مصعب بن الزبير وامر
الحجاج اشهر من ان يذكر **وان مسيلمة يعقره الله** اى مما اخبر به صلى الله عليه وسلم
من المغيبات ما ورد في الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما
من ظهور مسيلمة الكذاب وان الله يقتله ومسيلمة بصيغة التصغير فلامه مكسورة
والعامة تفتحها وهو خطا قبيح كما مر وهو رجل من بني حنيفة كنيته ابو ثمامة ادعى
النبوة وزعم انه ياتيه الوحي بقران وكان له هذيانات سخيفة تقدم بعض منها
ولما قدم وفد بني حنيفة المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معهم يقابله
وقال لو جعل الامر لي بعده اتبعته فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال له فقال له
لو سالتني هذه القطعة ما اعطيتها له فرجع معهم وتحزق بتعبدة فاستغووا الله وزعم
ان النبي صلى الله عليه وسلم اشركه معه في امره وكتب اليه من مسيلمة رسول الله الى
محمد رسول الله اما بعد فاني قد اشركت في الامر معك فان لنا نصف الارض
ولقريش نصفها ولكنهم قوم يعتدون فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من
محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشا من
عباده والعاقبة للمتقين فاخفى الكتاب وكتب كتابا من عنده اظهره لاصحابه زعم

انه صدقه فيما قال له فكذبه من بني حنيفة ثمامة بن مالك رضي الله عنه ونهى الناس عنه
وقال يخاطبه وكان مؤمنا رضي الله عنه

مسيلمة ارجع ولا تمحك … فانك في الامر لم تشرك
كذبت على الله في وحيه … هواك هوى الاحمق الانوك
فاني السالك مصعده … ومالك في الارض من مبرك

وكان يلقب نفسه برحمن اليمامة ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع جموعا
سفها فجهز له ابوبكر رضي الله عنه جيشا اميرهم خالد بن الوليد رضي الله عنه فقتل
مسيلمة كافرا لعنه الله قتله وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه وشاركه فيه ناس والعفر
اصله يستعمل في الحيوان كعفر الناقة ونحوها فنبه اشارة الى انه بهيمة من البهائم مات ميتة جاهلية
فلم يؤذ ولم يترك **وما** اخبر به صلى الله عليه وسلم كائنا من المغيبات ما رواه الشيخان عن
عائشة رضي الله عنها **ان فاطمة** الزهراء بنته صلى الله عليه وسلم ورضي عنها **اول اهله**
لحوقا وسعى **به** اي اول من يموت بعده صلى الله عليه وسلم من اهل البيت فماتت بعده بستة
اشهر وقيل ثمانية اشهر وقيل مائة يوم وهي اصغر بناته صلى الله عليه وسلم واحبهم اليه
وهي اول من غطي نعشه من النساء في الاسلام واول الحديث انه صلى الله عليه وسلم سارّها
في مرض موته فبكت ثم دعاها وسارها ثانيا فضحكت فسئلت عن ذلك بعد موته صلى الله
عليه وسلم فقالت سارّني اولا بانه يموت في مرضه هذا فبكيت ثم سارّني اني اول اهله يتبعه
فضحكت ولما توفيت دفنها علي كرم الله وجهه ليلا واختلف في محل دفنها فقيل في قبة ولدها
الحسن قرب محرابها وروى احمد بن حنبل في المناقب انها اغتسلت ولبست ثيابا لها وكفنا
وقالت اني مقبوضة فلا تغسلني ولا يكشفني احد فامتثل امرها وفيه كلام لان فيها وانه هل
يكفي غسلها في الحياة عن غسل الميت اولا الا انه يعارضه ما روي من انها امرت فاطمة بنت
عميس ان تغسلها وقيل انه من خصائصها وفي اللالي للسيوطي عن ام سلمة قالت مرضت
فاطمة فقالت يا امتاه اسكبي لي غسلا فسكبته فاغتسلت ثم قالت هاتي ثيابي الجدد فناولتها
فلبستها فقالت قدمي الفراش فقدمته فاضطجعت مستقبلة ثم قالت اني اليوم مقبوضة
فلا يكشفني احد فقبضت مكانها وان عليا اخبرته فدفنها بغسلها وقال ابن الجوزي انه
موضوع ورد بانه رواه الطبراني الا انه يعارضه ما روي بخلافه كما مر ولعله من خصوصياتها
وانه صلى الله عليه وسلم اخبرها به **وانذر بالردة** اي اعلم صلى الله عليه وسلم اصحابه بمن
يرتد بعده وما يكون من قتالهم وقد وقع ذلك في خلافة ابي بكر رضي الله عنه والانذار
اخبار بامر مكروه مخوف ضد التبشير ومنها ما رواه الشيخان ايضا عن ابن عمر رضي
الله عنهما وكان ذلك بعد ابتداء خلافة الصديق بسبعة اشهر وسبعة ايام فانه بعد
انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد كثير من الناس الا اهل الحرمين والبحرين
فكفى الله امرهم بابي بكر رضي الله عنه بعد ان قاسى منهم امورا اشد به **وما** اخبر به
صلى الله عليه وسلم من المغيبات في حديث رواه اصحاب الكتب الستة مسند او غيره
ان الخلافة اي خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحق وخلافة النبوة انما تكون

لمن

لمن تمسك بالسنة من قريش وهي **بعده ثلاثون سنة ثم يكون** اي يصير الخلافة
وتصير **ملكا** عضوضا اي سلطنة بالقهر والتغلب من غير وجود شروطها **فكانت**
الخلافة الحقيقية **كذلك** اي كما اخبر به صلى الله عليه وسلم وتمت المدة التي ذكرها
بمدة الحسن بن علي ابن ابي طالب كما رواه سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكانت خلافة الصديق رضي الله عنه سنتين واربعة اشهر وخلافة عمر رضي الله عنه
عشر سنين ونصفا وخلافة عثمان رضي الله عنه اثنتي عشرة سنة الا اياما وخلافة علي
رضي الله عنه اربع سنين وتسعة اشهر واياما وفي المغرب خلافة ابي بكر سنتان
وثلاثة اشهر وتسع ليال وعمر عشر سنين وستة اشهر وخمس ليال وعثمان اثنتي عشرة
سنة الا اثنتي عشرة ليلة وعلي خمس سنين الا ثلاثة اشهر فتمت المدة بمدة الحسن لما بويع
في عشر رمضان الاخير سنة اربعين من هجرته ثم سلمها لمعاوية في نصف جمادى
الاولى سنة احدى واربعين فمدته كانت سبعة اشهر ونصفا واياما فبها تم الثلاثون
كما ذكره المصنف والملك بضم الميم والعضوض بفتح العين صيغة مبالغة ويروى ثم يكون ملك
عضوض بضم العين جمع عض بكسرها وهو الشرس الخبيث والملك السلطان والخليفة
امير المؤمنين ويقال خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه خلفه في القيام بامر المسلمين
ولا يقال خليفة الله لعبده او وصلى الله عليه وسلم **وقال** صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه البزار عن ابي عبيدة رضي الله عنه والبيهقي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه **ان هذا**
الامر اراد به دين الاسلام وامر الشريعة المحمدية **بدأ** بهمزة في اخره اي ابتدأ في اول
امره او بالف مقصورة بمعنى ظهر وبرز من كمون العدم الى الخارج والظاهر الاول هنا
نبوة ورحمة بالنصب على الحالية او بنزع الخافض اي بالنبوة صلى الله عليه وسلم ورحمة
للعالمين بانقاذهم من الضلال والكفر وامور الجاهلية وهذا في حياته صلى الله عليه وسلم
ثم يكون بعده **رحمة وخلافة** في زمن الخلفاء الراشدين واخر الرحمة اولا لانها نتيجة
من النبوة وقدمها هنا لسبقها على الخلافة فان رحمته صلى الله عليه وسلم كانت قبلهم
واستمرت **ثم يكون** بعد الخلافة **ملكا عضوضا** بفتح العين وضمها كما تقدم في رواية
ملك عضوض وهو استعارة تصريحية او مكنية بتشبيه ظلمهم وتعديهم على الرعية
بعض حيوان مفترس يعض من رآه **ثم يكون** بالتحتية والضمير للامر **عتوا وجبرية**
العتو بضم العين الخروج عن طاعة الله يقال عتا يعتو عتوا وعتيا والجبرية بفتح الجيم
والموحدة ويسكن ايضا من الجبر وهو الاكراه والقهر قال الراغب الاجبار في
الاصل حمل الغير على ان يجبر الامر لكن تعورف في الاكراه المجرد فقيل اجبرته على
كذا وسمي الذين يدعون ان الله يكره العباد على المعاصي في تعارف المتكلمين مجبرة
وفي قول المتقدمين جبرية وجبرية انتهى وقال غيره الجبرية بفتح الباء اي قهرا
وتكبرا ولفظ الحديث الذي رواه البيهقي ان الله بدأ هذا الامر نبوة ورحمة
وكائنا خلافة ورحمة وكائنا ملكا عضوضا وكائنا عتوا وجبرية وفسادا في
الامة يستحلون الفروج والخمور والحرير وينصرون على ذلك ويرزقون ابدا

حتى يلقوا الله وهما منصوبان خبر كان وروي بالرفع فكان تامة وروي حبوًا وثنا
بمثناة فوقية والعتو بمثناة ايضا وما قيل انه بمثلثة ومعناه الفساد رده قوله تعالى ابن اقيس
ولا تعثوا في الارض مفسدين فانها حال مؤكدة وفي له في الحديث عتوا وجبروتا
وفسادا في الامة يلزمه عطف الشيء على نفسه وفي الكشاف معناه اشد الفساد
فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم انتهى وكونه اشد الفساد يحتاج الى النقل
وفي الصحاح ما يخالفه لانه فسره بمطلق الفساد ويلزمه ان يكون النهي عن التمادي
في حال الفساد انتهى ملخصا وفيه بحث وانما تركناه لانه اطال فيه من غير طائل وانا
اقول لا يخلو ما في كلامه من الخبط فان العثو هنا بالمثناة فقط والمثلثة تحريف واعتراض
على العلامة من قصور نظره فان مثله لا يطلب منه النقل ومراده ان العثو ان كان
بمعنى الفساد فما المراد بقوله مفسدين على الفساد لان الاصل التأسيس
وتقرره في سورة البقرة في امر المؤمنين بالايمان ومثله كثير **و**مما اخبر به صلى الله
عليه وسلم عن المغيبات مما اشار اليه بقوله **واخبر** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم
بشأن اويس ابن عامر المرادي نسبة لمراد قبيلة مشهورة **القرني** بفتحتين نسبة
لقرن ابن ردمان بن ناجية بن مراد وغلط الجوهري في نسبته لقرن المنازل كما غلط
في فتح قرن المنازل كما في القاموس وتبعه بعض الشراح هنا وقال ابن حجر في فتح الباري
بالغ النووي في حكاية الاتفاق على تخطئته في تحريك قرن المنازل وحكى المصنف تعليقا
القابسي ان من قاله بالاسكان اراد الجبل ومن قاله بالتحريك اراد البلد وقال الكرماني
اويس القرني منسوب الى قبيلة بني قرن ولا منافاة بينه وبين ما نقلناه وفي طبقات
الاولياء للشرجي انه خير التابعين مطلقا بشهادة النبي صلى الله عليه وسلم له وكان ادرك
زمن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره لاشتغاله ببر امه وعن عمر رضي الله عنه انه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأتيكم اويس بن عامر مع امداد من اهل اليمن
من مراد من قرن كان به برص فبرأ منه الا موضع درهم منه لانه دعا الله ان يزيله الا لمعة
اذكرها نعمة على من ادركه منكم فاستطاع ان يستغفر له فليفعل ووصفه صلى الله
عليه وسلم بانه اشهل ذو صهوبة بعيد ما بين المنكبين شديد الادمة ضارب بذقنه
الى صدره رام ببصره الى موضع سجوده يبكي على نفسه ذو طمرين لا يؤبه به مجهول في
الارض معروف في السما لو اقسم على الله لابره تحت منكبه الايسر لمعة بيضاء الا وانه
اذا كان يوم القيامة قيل للناس ادخلوا الجنة ويقال لاويس قف واشفع فيشفعه
الله في ربيعة ومضر يا عمر ويا علي اذا انتما لقيتماه فاطلبا منه ان يستغفر لكما فمكثا
عشر سنين يطلبانه فلم يلقياه فلما كانت السنة التي توفي بها عمر قام على ابي قبيس
فنادى يا اهل اليمن هل فيكم اويس فقام شيخ وقال لا ندري ما اويس ولكن ابن اخ لي
احمل ذكرا واهون من ان نرفعه اليك وهو في المنابر يرعاها فخفي عليه عمر رضي الله
عنه كانه لا يريده ثم قال اين هو فقال بأراك عرفات فركب عمر وعلي رضي الله عنهما
اليه فاذا هو قائم يصلي فسلما عليه وقالا لانا الرجل فقال راعي ابل واجير قوم فقالا له

لسنا

لسنا نسألك عن ذلك ما اسمك فقال عبد الله فقالا كلنا عبيد الله ما اسمك
الذي سمتك به امك قال ما تريدان فاخبراه بما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم
لهما وعرفاه بما نعتهما فقام وسلم عليهما وقال لهما جزاكما الله عن امة محمد خيرا واستغفر
لهما كما امرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له عمر رضي الله عنه مكانك
يرحمك الله حتى اتيك بنفقة من عطائي وكسوة من ثيابي فقال لا ميعاد بيني ولا تراني
بعد اليوم وما اصنع بالنفقة والكسوة ثم اقبل على العبادة وتوفي بصفين على ما قيل
عام سبع وثلاثين شهيدا مع اصحاب علي رضي الله عنهم وقال ابن سلمة غزونا اذربيجان
في زمن عمر رضي الله عنه ومعنا اويس فلما رجع مرض فحملناه فدفناه وحملنا على القبر
علامة فلما رجعنا لم نجد له اثرا ولا دلا اصح لقول ابي هريرة ان اجتماعه بعمر في السنة
التي توفي بها فكيف يكون غزا في ايامه وقيل دفن بدمشق والله اعلم انتهى وهذا
هو المراد بثنائه الذي اشار اليه المصنف ومما مر علمت ان اويسا لم يكن باليمن كما
توهمه بعض الناس وانه افضل التابعين وانه لقي عليا وعمر وادرك زمنه صلى الله
عليه وسلم لما ورد في الحديث الصحيح ان خير التابعين رجل يقال له اويس القرني
وقال احمد بن حنبل افضل التابعين سعيد بن المسيب قال العراقي لعل احمد لم
يقف على هذا الحديث او لم يصح عنده وفيه انه ذكره في مسنده ولم يضعفه وانما وجهه
انه رواه ان من خير التابعين بمن التبعيضية وقال النووي افضلية اويس بسبب
زهده وخشيته لله وافضلية سعيد بكثرة علمه وحفظه الحديث فلا منافاة بينهما وقيل
افضلهم الحسن البصري وقيل حفصة بنت سيرين ولا شك ان الافضلية على الاطلاق
لاويس وبالعلم النافع لسعيد وفيه نظر **و**مما اخبر به صلى الله عليه وسلم ما رواه مسلم
من طرق عن ابي ذر رضي الله عنه **بان امرا يؤخرون الصلاة عن وقتها**
لفظ الحديث كيف انت اذا كانت عليك امراء يؤخرون الصلاة عن وقتها قلت فما تأمرني
قال صل الصلاة لوقتها فان ادركتها معهم فصل فانها نافلة لك وفي رواية والا كنت
قد احرزت صلاتك قال النووي المراد في الحديث تأخيرها عن وقتها الاختياري
لا عن وقتها مطلقا بشهادة امره صلى الله عليه وسلم باعادتها معهم بعد ادائها منفردا
اذ لا اعادة بعد خروج وقت الصلاة ولا جماعة في الصلاة المقضية والقول بان المراد
تأخيرها عن جميع وقتها دعوى بلا بينة وذلك يشهد لم يكن نقل الرثا والمراد الامرا
لغة نبتلي الملوك وحضهم لان الامامة كانت وظيفة لهم فكل سلطان او حاكم بلدة
يؤم الناس في المكتوبات او يستخلف من يصلي بهم وقد وقع هذا في زمن بني امية
لانهم اول من غير رسم الخلافة وقد وقع هذا التأخير في زمن الحجاج وانكر عليه
ذلك **و**مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما رواه احمد والطبراني والبزار انه
قال **سيكون في امتي** وفي بعض النسخ في امته **ثلاثون كذابا فيهم اربع نسوة**
ادعاء النبوة فيهم بطريق التغليب والذي في صحيح مسلم انهم قريب من ثلاثين وورد
في حديث اخر انهم سبعة وعشرون دجالا فيهم اربع نسوة والذي ذكره المصنف رواية

وتسميتهم امة بناء على ظاهر حالهم او المراد بالامة امة الدعوة والمراد بالكذب فيهم كذب مخصوص وهو ادعاء النبوة وقد وقع هذا بعده صلى الله عليه وسلم من الرجال كمسيلمة والاسود العنسي بالنون ومن النساء كسجاح التي ظهرت باليمن وقصتها مشهورة وتفسيره بما ذكر ورد مصرحا به في الحديث كحديث في امتي دجالون كذابون وانا خاتم النبيين لا نبي بعدي ولو استقصي عددهم بلغت ما ذكر والدجال الكذاب الذي يخلط ويلبس يقال دجل امره اذا خلطه وموهه ولبس فيه حتى يخفى ومنه الدجال المشهور وجمعه دجالون ودجاجلة **وفي حديث اخر** رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه **ثلاثون دجالا كذابا** عطف بيان على ما قبله **اخرهم الدجال الكذاب** الاعور الذي يظهر في اخر الزمان ويقتله عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فالتعريف فيه للعهد وتقدم انه من الدجل وهو الكذب والتمويه وفي تذكرة القرطبي فيه اقوال احدها انه ابن صياد يدعي الالوهية ويظهر امورا خارقة للعادة ولا يدخل مكة والمدينة والقدس معه جنة ونار وجبال من خبز **كلهم يكذب على الله ورسوله** كذبه على الله قوله انه اوحى اليه وعلى رسوله قوله انه بشرني واخبر بنبوتي كقول مسيلمة المتقدم انه اشركني في امره ويحتمل ان يكون الرسول من رسل الملائكة كقولهم ان جبريل نزل علي واوحى الي كذا **وقال** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البزار والطبراني بسند صحيح من حديث طويل فيه **يوشك** بضم اوله مضارع اوشك بمعنى قرب ودنا واسرع يقال وشك واوشك **ان يكثر فيكم العجم** خلاف العرب مطلقا لان العجم اي غير ظاهرة لهم وتختص باهل فارس والاول اقرب هنا والمراد انه يكثر فيهم حكمهم واما رئيهم عليهم كما في كثير من الدول كالاموية والاكراد والاتراك الذين كانت فيهم السلطنة والدولة ولذا اتى بـ **ياكلون افياءكم** جمع فيء وهو الغنيمة من الكفار بغير قتال ويطلق على مطلق الغنيمة والاكل فيه مجاز عن الاستيلاء عليه واخذه قهرا ومنع المستحقين منه بغير وجه واضافة الافياء اليهم باعتبار انها حقهم ويحتمل ان يراد بافيائهم مالهم الذي بايديهم سماه فيئا لانه مما افاء الله لهم بغير مشقة عليهم **ويضربون رقابكم** اي يقتلونهم بغير حق والخطاب خطاب مشافهة لجنس المؤمنين من العرب فيشمل جميع من بعد عصر النبوة كما في غيره من خطابات الشارع وانما جعله قريبا منهم لان كل ات قريب والدنيا ساعة وقد فسره الشارح الجديد بما لا وجه له فتركه خير من ذكره **وقال** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان **لا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه** اي يملك الناس ويسخرهم كما يريد من غير مانع ولا لوم ولا تعب وفيه استعارة تمثيلية لتشبيهه براعي الغنم يسوقها بعصاه يهش بها عليها وفيه اشارة الى ضعف الناس وجهلهم فكانهم غنم سائمة همها ان ترعى والعصا فيه كما في قولهم فلان تحت عصا فلان اي منقاد لامره وحكمه وهم عبيد العصا **رجل من قحطان** اي من عرب اليمن وقحطان ابو اليمن وهذا الرجل يسمى الجهجاه كما ورد في الحديث وقحطان اسمه يقطا ويقطان وكان غير ومنع ارزاق الناس

فسمى

فسمى قحطان لقحط الرزق بسببه **وقال** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان ايضا **خيركم** المراد امته ولفظ الصحيحين خير امتي وهو المراد **قرني** اي عصري وزماني الذي انا فيه والمراد اهله لقوله **ثم الذين يلونهم** اي يلحقون بعدهم بلا فصل وهم الصحابة والتابعون لهم باحسان **ثم الذين يلونهم** وهم تبع التابعين والقرن اهل زمان اجتمعوا واشتركوا فيه في اعمارهم وجميع احوالهم وفي تفصيله كلام تقدم والخيرية ان كانت بالنسبة لما بعده وهو الظاهر فلا كلام فيه وان كان على اطلاقه لا يلزم منه تفضيل اصحابه على الانبياء عليهم الصلاة والسلام لان المراد تفضيل الجملة والمجموع على المجموع لا تفضيل كل فرد على كل فرد وثم لبيان التراخي في الرتبة كالافضل والافضل ولا شبهة في فضل العصر وجملة اهله من غير تفصيل فلا ينافي حديث امتي كالمطر لا يدرى الخير في اوله ام في اخره فان هذا من وارد وذاك من وارد اخر وهذا اشارة الى انه قد يجيء في الامة من ينفع الناس نفعا عظيما لم يتيسر لغيره ممن سبقه وهذا بالنظر لافراد مخصوصة وذاك بالنظر لمجموع العصر وشتان ما بينهما ولذا اعتبر بالتنزل فلا يتوهم واهم نظر لعمر ابن عبد العزيز وما صدر منه ولعثمان وما كان في عهده تفضيل لعصره فيفضل ويفضل **ثم ياتي بعد ذلك قوم** وروي ثم ان بعدكم قوما **يشهدون ولا يستشهدون** اي يؤدون الشهادة قبل ان تطلب منهم ومثله لا يقبل وهذا لا ينافي ما ورد في الحديث ان خير الشهود من ياتي بالشهادة قبل ان يسالها فان ذلك محمول على من كان عنده علم بامر وشهادة فيه وصاحبها لا يدري انها عنده فيخبره بما عنده ليستشهده عند حاجته ولئلا يتم مقاله **ويخونون ولا يؤتمنون** هو عطف مؤكد لما قبله لان الخائن لا يؤتمن او المراد ظهور خيانتهم حتى لا يامنهم احد بعد ذلك بخلاف من خان مرة فانه قد يؤتمن او المراد انهم يخونون فيما ائتمنوا عليه كمن سرق او غصب ونحوه **وينذرون** بضم الذال المعجمة وكسرها **ولا يوفون** بما نذروه من غير عذر ومانع لهم ولنذر الدفق واوفى بمعنى **ويظهر فيهم السمن** اي عظم البدن بكثرة لحمه وهذا علامة على كثرة اكلهم وشربهم وترفههم وعدم خوفهم من الله وعدم تفكرهم في عواقب الامور وروي ياتي في اخر الزمان قوم يتسمنون وفي التوراة ان الله يبغض الحبر السمين وفي الغالب ان من سمن وكثرت رطوبة بدنه كان بليدا مغفلا غير مكترث بدينه ودنياه فيحمل هذا كناية عما ذكر لانه من لوازمه غالبا فلا ينافيه ما يشاهد من كون بعض العلماء والصلحاء سمينا لخلقة انشاها الله عليها لقوة نطفة ابويه وقيل المذموم منه ما يكتسب دون الخلقي لانه ورد في الحديث ويل للسمانات يوم القيامة اي اللواتي يتعاطين السمنة وهي دواء يتسمن به وروي تخلف قوم يحبون السمانة بفتح السين المهملة وهي السمن **وقال** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البخاري عن انس رضي الله عنه **لا ياتي زمان الا والذي بعده شر منه** المستثنى جملة حالية يجوز في مثلها الواو وتركها والحديث هكذا قال الزبير بن عدي اتينا انسا رضي الله عنه فشكونا له الحجاج فقال

اصبروا فانه لا يأتي زمان الا والذي بعده شر منه حتى تلقون ربكم سمعته من
نبيكم صلى الله عليه وسلم وروى اشر على الاصل كاخير والمستعمل منهما خير وشر وسماعهما
على الاصل نادرا وفي معنى هذا الحديث ما اشتهر من انه صلى الله عليه وسلم قال كل عام ترذلون
الا انهم قالوا انه لم يرد بهذا اللفظ وان كان معناه ثابت في احاديث كثيرة فهو
رواية بالمعنى وقال الحسن البصري لما ذكر يحيى ابن عبد العزيز بعد الحجاج لا بد للناس
من تنفيس يعني ان الله ينفس عن عباده ويكشف عنهم البلاء احيانا وقال صلى الله عليه وسلم
في حديث رواه الشيخان هلاك امتي على يدي اغيلمة من قريش اغيلمة تصغير
اغلمة وهو جمع قلة يجوز فيه التصغير على لفظه وهو في حكم المفرد وفي القاموس جمع غلام
غلمة واغلمة وغلمان والغلام الشاب قد طر شاربه وهو المراد هنا وما في النهاية من انه
تصغير غلمة على القياس ولم يرد في جمعه اغلمة ومثله اصيبية تصغير صبية فكلام لا وجه
له فان رد جمع القلة لجمع قلة اخر في التصغير مما لا يعقل ولا يسمع ولو لم يرد غير هذا ح وللعالم
لكن على انه سمع فيه اغلمة فلا حاجة للتعسف فتأمل والمراد هلاكهم ضياع امورهم
وهلاك بعضهم قال ابو هريرة راويه اي راوي هذا الحديث لو شئت سميتهم لكم
بنو فلان وبنو فلان اي لو اردت ان اسميهم لكم سميتهم كيزيد فانه اباح المدينة ثلاثة
ايام وقتل من خيار اهلها ناسا منهم ثلاثة من الصحابة وازيلت بكارة الف عذراء ۞
وكبني مروان بن الحكم وغيرهم من بني امية ولم يسمهم خوف الفتنة واخبر صلى الله
عليه وسلم عن بعض المغيبات في حديث رواه الترمذي وابو داود والحاكم بظهور القدرية
في قوله صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة وهم الذين قالوا ان الامور كلها ليست
بقضاء الله وقدره وان الانسان خالق لافعاله وانها بقدرته سموا قدرية لاثباتهم
للعبد قدرة لا لانكار قدرة الله على افعالهم وشبههم بالمجوس لانهم اثبتوا الها لفعل خالق
الخير وهو النور الذي سموه يزدان وخالق الشر الظلمة سموها اهرمن وهؤلاء
لما نسبوا افعال العباد لهم فكانوا يثبتون الخالق على ما تقرر في الاصول واما معنى
القضاء والقدر فعند السلف القضاء ارادة الله الازلية المتعلقة بجميع الاشياء خيرها
وشرها والقدر ايجاده اياها على ما قضاه اولا وعند الفلاسفة القضاء علمه بما
عليه الوجود حتى يكون على احسن نظام ويسمونه العناية والقدر خروجها على وفقه
وهؤلاء القدرية هم المعتزلة واما القدرية الذين انكروا القدر وان الامر انف
اي مستأنف لا يعلمه الله الا بعد وجوده فليس المراد بالحديث هم لانهم انقرضوا ولم يبق
منهم احد والرافضة الذين اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهورهم كما ورد
في حديث رواه البيهقي من طرق الا انها كلها ضعيفة فقال يكون في امتي قوم في آخر
الزمان يسمون الرافضة يرفضون الاسلام ويلفظونه فاقتلوهم فانهم مشركون
انتهى وفيه بيان لوجه التسمية فان الرفض معناه لغة الترك وقيل هم قوم تركوا
حب الشيخين من الشيعة وهم اثنان وعشرون فرقة وقد وقع ما اخبر به الصادق
الامين لما ظهر الفاطميون ومن بالعجم الان منهم وسب آخر هذه الامة اولها

اى

اي اخبر صلى الله عليه وسلم بان من تأخر من امته سيظهر سب اولها وهذا من المغيبات
ورد في حديث رواه البغوي عن عائشة مرفوعا قال لا تذهب هذه الامة حتى
يلعن آخرها اولها وقد وقع هذا لكثير من الرافضة فاظهروا سب الشيخين وسب
عائشة ومعاوية وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم ووقع من بني امية سب
علي كرم الله وجهه على المنابر ودخل بعضهم في هذا من سب بعض الاولياء وعلماء
السلف وذكرهم بالسوء وافترى عليهم ما لم يقولوه كما شاهدناه من بعض السفهاء يسب
العارف بالله تعالى سيدي محيي الدين بن عربي وسيدي ابن الفارض ونحوهما من اولياء
الله حتى صنف بعضهم تصانيف في الرد عليهم ومقامهم اعلى من ذلك والاشتغال
بمثل هذا تضييع للزمان وتسويد لوجوه الاوراق ويخشى عليه من سوء الخاتمة
نفعنا الله ببركاتهم وحشرنا في زمرتهم واخبر صلى الله عليه وسلم بقلة الانصار بعد
عصر النبوة وهم الاوس والخزرج وسموا انصارا لانهم نصروا الرسول صلى الله
عليه وسلم واووه وهو جمع ناصر او نصير غلب على هذه القبيلة ولذا نسب اليهم انصاري
ولم يرد لواحده وهذا اشارة لما رواه الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما انه
قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه فجلس على المنبر
وحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فان الناس يكثرون وتقل الانصار حتى يكونوا
كالملح في الطعام فمن ولي منكم شيئا يضر فيه قوما وينفع فيه آخرين فليقبل من
محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم اي ان الاسلام لا يزالون يدخلون فيه افواجا وهؤلاء
يقلون ويفنى نسلهم فان خيار الاكثر قليل في كل جيل ولم يزل قلتهم الى ان صاروا
بالنسبة لغيرهم كالملح في الطعام ووجه التشبيه انهم مع قلتهم فيهم صلاح واصلاح وانهم
يذوبون بينهم كالملح فانه يذوب فيما وضع فيه وقد كان كما قال فان الان في المدينة
لم يبق منهم الا اقل من القليل كما اشار اليه بقوله فلم يزل امرهم يتبدد المراد
بامرهم ما به بقاؤهم وانتظام حالهم من املاكهم واموالهم ويتبدد بمعنى يتفرق ويتشتت
حتى يفنى ويضمحل ويقلون حتى لم يبق لهم جماعة اي لم يبق من نسلهم قوم مجتمعون
بالمدينة كما كانوا عليه اولا وهكذا السادات العظام اذا مات واحد منهم لم يعقبه
بعده من يخلفه واشار لسبب ذلك بقوله وانهم سيلقون بعده اي يلقى
الانصار بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اثرة بفتح الهمزة والمثلثة والراء المهملة
قيل ويجوز كسر الهمزة وسكون المثلثة وهما بمعنى وهو الاستبداد وقيل
الثاني بمعنى الاستبداد اي يلقون بعده صلى الله عليه وسلم من يوثر عليهم غيرهم
ويقدمه عليهم في العطا من الديوان ويقل نصيبهم من الفيء فتضيق معيشتهم وفي
نفسهم شرف وحمية فيتشتتوا ويتبدد امرهم قال ابن سعد الناس كان ابتداء هذا
في زمن معاوية رضي الله عنه ويجوز في اثرة ان يكون جمع اثير ككاتب وكتبة اي
اثر لنفسه وقومه عليهم وبعده فاصبروا حتى تلقوني على الحوض والحديث طويل
في الصحيحين وهذا اكثر من الاخبار عن المغيبات ومما اخباره صلى الله عليه وسلم

بيان الخوارج الذين خرجوا على امير المؤمنين علي كرم الله وجهه بالنهروان وهم نحو اربعة آلاف فقاتلهم حتى قتلهم واستشهد بحربهم بعض اصحابه وقيل كانوا اكثر من ذلك بكثير وحديثهم رواه الشيخان **وصفتهم** انجر غطاء على شأن وهم فرق من اهل الضلال كالمحكمة الذين انكروا تحكيم الحكمين والازارقة المنسوبين الى نافع بن الازرق وغيرهم مما لا حاجة لتفصيل احوالهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم فيهم انهم اهل صلاة وصيام يحقر احدكم صلاته في جنب صلاتهم وصيامه في جنب صيامهم الا انهم مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية وقد كفروا امير المؤمنين واكثر الصحابة وسواطنهم الجزيرة وعمان فالموصل وحضرموت وبعض نواحي المغرب **واخبر صلى الله عليه وسلم بالمخدج الذي فيهم** وهو بضم الميم وسكون الخاء المعجمة وفتح الدال المهملة ويروى بفتح الخاء وتشديد الدال والعين واحد وروي المخدوج وهو الناقص خلقة ومنه الخداج وهو اشارة لما في حديث الصحيحين من انه صلى الله عليه وسلم قسم في بعض الايام قسمة فقال له رجل من تميم وهو ذو الخويصرة اعدل يا رسول الله فقال ويحك ومن يعدل اذا لم اعدل خبت وخسرت فقال له عمر رضي الله عنه ايذن لي اضرب عنقه فقال له دعه ان له اصحابا يحقر احدكم صلاته الخ وانهم رجلا اسود احدى عضديه مثل ثدي المرأة او مثل البضعة تدردر ولما كانت وقعتهم وقتالهم علي لهم خطب الناس وذكر الحديث وقال اطلبوا ذا الثدية فطلبوه فوجدوه تحت القتلى فجاوا به فقال اشفعوا فيه فنشفوه فلما راى احدى يديه مثل ثدي المرأة عليه شعرات سجد شكرا لله تعالى اذ صدق نبيه صلى الله عليه وسلم وعلم انه على الحق وهم على الباطل **وان سيماهم** بكسر السين وهي العلامة **التحليق** اي يحلقون شعورهم ولم يكن في الصدر الاول حلق الروس الا في النسك وهذه الاحاديث ظاهرة في تكفيرهم كما قاله الخطابي وفيه اختلاف وقيل المراد جاوزتم حلقا حلقا وليس بشيء وقيل المراد به العلو والارتفاع من قولهم حلق الطائر اذا طار وعلا وبما ذكرناه علم ان حلق جميع الراس ليس بممنوع وليس فيما ذكر دليل على حرمته ولا كراهته على انه استدل لجوازه بحديث صحيح على شرط الشيخين انه صلى الله عليه وسلم راى صبيا حلق بعض راسه فقال احلقوه كله او اتركوه كله قال النووي رحمه الله في شرح مسلم وهو صريح في اباحته وقال قال العلماء انه جائز على كل حال فان شق عليه تعهده بالتسريح والدهن استحب حلقه وان لم يشق استحب تركه **وبرى رعاء الشاء** يرى بالتحتية مبني للمجهول ورعاء بكسر الراء المهملة والمد جمع راع كرعاة ورعيان والشاء بالمد جمع شاة وهي معروفة **روس الناس** ورؤس جمع راس وهو مجاز مشهور بمعنى الرئيس وروي يرى بالتاء الفوقية والخطاب لغير معين كقوله لو ترى اذ المجرمون ناكسو روسهم ويجوز رفعه ونصبه **والعراة الحفاة** العراة جمع عار من اللباس والحفاة جمع حاف وهو من ليس في رجله نعل وهذا الحديث في الصحيحين

بمعناه

بمعناه وبعض الفاظه فان مسلما رواه من طريق اخرى ورواه بلفظ **يتباهون في البنيان** اي يتفاخر بعضهم بعضا في بنائه ويريد كل منهم ان يزيد على غيره ويتطاول الى ان يعارضه فيتبارى ويتبارك وهذا وما قبله كناية عن توسع من لا ثروة له في الدنيا وعلوه على غيره حتى يصير رئيسا بعد فقره وذله وكثرة تفاخر بعضهم لبعض في ابنية العالي كالقصور المشيدة والمساجد المزخرفة وفي مسلم ان ترى الحفاة العراة رعاء الشاء الصم البكم ملوك الارض وروي يتطاولون في البناء يعني ان من اشراط الساعة ان اهل البادية ونحوهم ممن لا لباس له ولا نعل يتوطنون البلاد ويبنون القصور ويراسون وجهلة الناس ورذالهم يصيرون حكاما وما اعظم الشان ولعل اظهر ما اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه المغيبات وهو الان عيان راي العين وكنى بكونهم رعاء الى انهم يجهلون الكتاب بجهلة وانهم مشغولون عن عبادة الله وروي يتباهون بالميم بمعنى يتنازعون والمعنى واحد **وان تلد الامة** اي الجارية المملوكة التي اتخذت سرية **ربتها** اي مالكتها ورب ورب بمعنى سيد وسيدة والرب لغة له معان السيد والملك والمربي والمدبر والقيم والمنعم ويطلق على الله وعلى غيره مضافا وغير مضاف نكرة ومعرفة بحسب القرائن والمقامات والمراد هنا السيد ذكرا كان او انثى وانثه باعتبار النسمة وهو من حديث صحيح مشهور رواه الشيخان وغيرهما وهو من المغيبات واشراط الساعة التي اخبر بها صلى الله عليه وسلم اصحابه وفي معناه اختلاف كثير فقيل معناه ان الاماء تلدن الملوك فتكون امه احدى من جملة رعيته وقيل هو عبارة عن فساد احوال الناس في آخر الزمان وكثرة بيع امهات الاولاد حتى يشتري الرجل امه وهو لا يدري انها امه فلا يخفى بأم الولد والامة قد تلد حرا من غير سيدها لوطئها بشبهة او رقيقا بنكاح او زنا ويعتق وتتكرر اول الابدي امه حين يشتريها ابنها وقيل معناه كثرة العقوق حتى يستطيل الولد على امه استطالة السيد والذي يعد من الاشراط على الاول كثرة التسري ولانها في تسري النبي صلى الله عليه وسلم بمارية وغيره وفي الشروح كلام مبسوط في هذا الحديث وفيه من دلائل النبوة الاعلام بكثرة التسري والسبي بعد ظهور الاسلام واستيلاء المؤمنين على الكفرة وتملك ديارهم والانذار بانعكاس الاختلاط لا بد انه يقيام الساعة وكل شيء بلغ الحد انتهى **و**مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات مما رواه الشيخان وهو **ان قريشا والاحزاب لا يغزونه ابدا** الاحزاب جمع حزب وهو الطائفة الكثيرة المجتمعة للتعصب والقتال وتعريفه للعهد اذ المراد احزاب مخصوصون في الغزوة المشهورة **وانه هو الذي يغزوهم** بعد اخباره بذلك في الاحزاب وهو غزوة الخندق وبعد احد والخندق فلم تغزه قريش وهو صلى الله عليه وسلم غزاهم حتى فتح مكة واتى بالجملة مؤكدة بلا سيما وان وضمير الفصل لتحقيق وقوعه ونصره ولذا قال صلى الله

عليه وسلم يوم فتحها لا تغزى قريش بعد هذا الى يوم القيمة اى لا تعود مكة دار كفر ولا تغزو وهذا الكفار خلافا فى ما وقع لبعض المسلمين كالحجاج وكذا حديث ذى السويقتين قال الواقدى انه صلى الله عليه وسلم قال هذا السبع يتبين من ذى العقد نوها رواه الشيخان ايضا انه صلى الله عليه وسلم اخبرنا بالموتان بضم الميم بزنة بطلان وبفتحها وسكون الواو وهو مصدر بمعنى الموت الكثير وفتح الميم والواو لا يصح هنا لانه اسم بمعنى الحيوان وفى القاموس الموتان بالتحريك خلاف الحيوان او ارض لم تحى بعد وبالضم موت يقع فى الماشية ويفتح انتهى يعنى ان فعلان بفتحتين فى المصادر يختص بما يدل على الحركة كالجولان والدوران وهو من محاسن اللغة العربية اذ جعل اللفظ على وفق معناه فلذا امتنع تحريكه هنا الذى يكون بعد فتح بيت المقدس وكان ذلك فى خلافة عمر رضى الله عنه بعمواس بفتحتين وهى قرية من قرى بيت المقدس نزل بها عسكره وهو اول طاعون وقع فى الاسلام مات فيه سبعون الفا فى ثلاثة ايام وكان ذلك سنة ثمانى عشرة من الهجرة وعمواس هذه القرية التى بين الرملة وبيت المقدس مات فيها ابو عبيدة بن الجراح والحديث اوله عن عوف بن مالك رضى الله عنه قال اتيت النبى صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك وهو فى قبة من ادم فقال اعدد ستا بين يدى الساعة موتى ثم فتح بيت المقدس ثم موتان ياخذ فيكم كقعاص الغنم بقاف وعين وصاد مهملتين داء تموت به الغنم من وقتها ثم استفاضة المال وعدها الى اخرها وفتنة وهدنة بينكم وبين بنى الاصفر والموتان ان خص بالماشية كما مر فهو هنا مجاز مرسل لمطلق الموت او استعارة ولا ينافيه التصريح باداة التشبيه لانه من وجه اخر وهو شدة السرعة والمنافى له ذكر التشبيه فى ذلك المجاز بعينه وقد اشار لما قلنا الشريف فى حواشى الكشاف كان ان فى قلبه خطلا وان وهو من الفوائد النفيسة وما وعد من سكنى البصرة بتثليث الباء ومعناها ارض غليظة او ذات حجارة والفتح اشهر وافصح وهى بلدة اسلامية ويقال لها بصيرة بالتصغير ايضا بناها عتبة بن غزوان فى خلافة عمر سنة سبع عشرة وسكنت سنة ثمان ومن شرفها انه لم يعبد بها صنم وينسب اليها بصرى بكسر وفتح ولا يجوز الضم وهذا الحديث رواه ابو داود عن انس انه قال له صلى الله عليه وسلم يا انس ان الناس يمصرون امصارا وان مصرا منها يقال له البصرة فان انت مررت بها او دخلتها فاياك وسباخها وكلاءها وسوقها وباب امرائها وعليك بضواحيها فانه يكون بها خسف وقذف ورجف وخسف وضواحيها نواحيها ومنه قريش الضواحى لمن نزل ببطاحها وظواهرها وكلاؤها بتشديد اللام مرسى سفنها وفى هذا من اعلام النبوة والاخبار بالغيب ما لا يخفى ويجوز كسر صادها ولم يكن بلدة بالعرب تسمى البصرة ايضا والمراد الاولى وسكنى مصدر كبشرى بمعنى الاقامة بها ونزولها ومن اخباره صلى الله عليه وسلم عن الغيب ايضا فى حديث رواه الشيخان انهم اى امته عليه الصلاة والسلام يغزون فى البحر بعده صلى الله عليه وسلم فانه لم يكن ذلك فى حياته والمراد بالبحر البحر الملح لانه اذا اطلق ينصرف اليه ولم يعهد فى غيره الا نادرا

كالملوك

مطلب ترجمة البصرة

كالملوك على الاسرة وهو تشبيه بليغ والاسرة جمع سرير وهو مقعد يجعد للملوك مرتفع يجلسون عليه ترفعا وتعظيما وهو خبر المراكب المعدة للغزو الذى يقعد عليه رئيسهم بعلى على هيئة سرير الملك بعينه كما يعرفه من شاهده فهو من الاعلام العجيبة لانه لم يكن ذلك بديار العرب ولم يره احد منهم فتوصيفه صلى الله عليه وسلم له كمن عرفه وجلس عليه مما كان فيه الغفول والحديث عن انس رضى الله عنه عن خالته ام حرام بنت ملحان وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نام عندها يوما لانه محرم لها ثم استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتبسم فقالت له ما اضحكك يا رسول الله قال اناس من امتى عرضوا على يركبون البحر الا خضر كالملوك على الاسرة قالت ادع الله ان يجعلنى منهم فدعا لها ثم نام فراى ذلك فقالت لها ما قال اولا ودعا لها وقال لها انت من الاولين فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت مع المسلمين الغزاة فى البحر مع معاوية رضى الله عنه فلما انصرفوا قربت لها دابة تركبها فوقعت وماتت شهيدة ثمة واختلف فى زمنه فقيل فى زمن معاوية كما علمت وقيل فى زمن عثمان رضى الله عنه وجمع بينهما بانه فى زمن عثمان امر معاوية بغزو البحر فغزاه بامر عثمان ثم لما ولى الخلافة غزاه بنفسه وفى الحديث معجزات اخباره صلى الله عليه وسلم عن غزو امته اى البحر وغلبتهم وظهور شوكة الملوك فيهم وان ام حرام من اولهم وفيه دليل على جواز ركوب البحر للرجال والنساء خلافا لمالك فى كراهته للنساء فى رواية عنه وان الغزو فيه مشروع مطلوب وورد فى الحديث ان غزو البحر يزيد اجره على البر بعشر درجات لما فيه من المشاق وهذه الغزاة اول غزاة فيه وهو فتح قبرص وكان عمر رضى الله عنه لم ياذن فى ذلك اولا ثم لما ذكر له هذا الحديث امر به وجهز الاسطول كما هو مفصل فى محله وليس المراد بالبحر فى الحديث بحر الشام ونحوه للعهد بل مطلقه كما لا يخفى وام حرام رضى الله عنها مدفونة بقبرص وقبرها معروف بها يزار وفى نسخ يتجر البحر بمثلثة وموحدة وجيم وهو وسطه ومعظمه واخبر صلى الله عليه وسلم ان الدين لو كان منوطا اى معلقا بالثريا لناله اى وصل اليه رجال من ابناء فارس اى ناس منهم ومناط الثريا كناية عن غاية البعد وهى كواكب مجتمعة اختلف فى عددها كما مر وهى المنازل المشهورة اى الثريا وهى مشهورة بالعلو فى السماء ويضرب بها المثل ولفظها مصغر من الثروة كما تقدم والدين بمعنى الايمان او الشرع وما يتعلق به وهو كناية عن ان هؤلاء يصلون منه لما لم يصل اليه غيرهم قط وهذا من حديث رواه الشيخان وهو من اعلام النبوة ايضا لما ظهر منهم من الاولياء والعلماء وما ظهر منهم من التصانيف التى لا تعد والايات الدهر مثلها وما كان فيهم من خدمة كتاب الله وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم فلا تجد فنا الا وقد حازوا قصب السبق فيه وانظر الى البخارى هل له مثيل وليت هذه شعوبية كما يتوهمه من يتعصب تعصب الجاهلية وانا ما يكفينى لما اخبر به سيد البرية صلى الله عليه وسلم وفارس جيل معروف ويقال لهم الفرس ايضا وهم من اولاد سام بن نوح على الاشهر وفارس اسم جدهم سموا به ويطلق على بلادهم ايضا والحديث مروى عن ابى هريرة رضى الله عنه قال كنا جلوسا عنده صلى الله عليه وسلم

جواز ركوب البحر للتجارة

مطلب ورد ان غزو البحر يزيد اجره على البر [illegible]

فانزل عليه سورة الجمعة وقوله فيها وآخرين منهم لما يلحقوا بهم فقلت من هم يا رسول الله وفينا سلمان الفارسي رضي الله عنه فوضع صلى الله عليه وسلم يده عليه ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال او رجل من هؤلاء وفي رواية لو كان العلم وروي ايضا ان ذلك كان عند نزول قوله تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ولا مانع من تعدد سبب النزول كما حققه المفسرون والاشارة بهؤلاء مع ان المشار اليه واحد وهو سلمان لان المراد به الجنس او هو بتقدير من جنس هؤلاء من ذلك ما رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه انه **هاجت** اي هبت **ريح** بشدة **والنبي صلى الله عليه وسلم في غزاته** اي في غزوة من غزواته وهي غزوة تبوك وهو محل من ارض الشام كما قيل وفيه نظر **فقال انها لموت منافق** اي رجل من المنافقين وهو رافعة بن زيد بن التابوت احد بني قينقاع وكان من عظماء اليهود وكهف المنافقين فلذا سماه منافقا وقال ابن الجوزي انه عم قتادة ابن النعمان وذكر عند قتادة رضي الله عنه انه راى منه ما يدل على صحة اسلامه وقال الذهبي في التجريد ان له صحبة فتسميته منافقا على حقيقته وظاهره وروي انها لموت عظيم من عظماء الكفار وهو ايضا محمول على ظاهره او هو باعتبار ما في قلبه من الكفر المضمر وصحح البرهان ان هذه الغزوة غزوة بني المصطلق وكان ذلك في رجوعه منها سنة ست او اربع او خمس قبل الخندق على اختلاف فيها وهذه علامة لما ذكر لانها تدل على غضب الله كما في ريح عاد التي اهلكتهم كما تهلك ريح السموم من هبت عليه لا انه استدل بها كما يستدل بالنجوم وحوادث الجو عند الحكماء والمنجمين ولا حاجة الى ان يقال انها علامة لما صنعه الله وقدره واطلع من اراد عليه والممنوع انما هو اسناده لها وجعلها مؤثرة فيه **فلما رجعوا** اي النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من تلك الغزاة **وجدوا ذلك** اي ما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من الغيب بموت ذلك المنافق المذكور فهلك في وقت اخباره صلى الله عليه وسلم **وقال** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الطبراني عن رافع ابن خديج رضي الله عنه بسند صحيح **لقوم من جلسائه** من الصحابة رضي الله عنهم وهو جمع جليس بمعنى مجالس مثل كريم وكرما **ضرس احدكم** اي واحد منكم ايها الحاضرون **في النار** اي اذا كان في جهنم **مثل احد** اي كالجبل المذكور عظما وهو عبارة عن ان احدكم يموت كافرا لما في حديث اخر ضرس الكافر مثل احد وجسم المعذب كلما زاد عذابه وكان اشد عليه وكونه عبارة عن شدة عذابهم وقوة صبرهم عليه كما قيل في غاية البعد **قال ابو هريرة** رضي الله عنه الذي كان الخطاب له **فذهب القوم** الذين كانوا جلساءه اي ماتوا كلهم كما اشار اليه بقوله يعني ابو هريرة بقوله ذهب القوم **ماتوا** فان الذهاب حقيقته الانصراف عن مكان وقد يختص بالموت كقول قس في الذاهبين الاولين لنا بصائر **وبقيت انا ورجل** منهم ولم يعينه لكراهته والستر عليه كان صوابا بحسب الظاهر واسمه الرحال بن عنفوه والرحال براء مهملة وحاء مهملة ولام وقيل انه بالجيم وهو الاصح رواية وهو من اهل اليمامة **فقتل مرتدا** حال من ضمير قتل النائب عن الفاعل والضمير لرجل **يوم اليمامة** اي في حرب كان باليمامة وهي اسم ارض

معروفة

معروفة شرقي الحجاز ومدينتها العظمى الحجر ويسمى حجر اليمامة ايضا وقتله زيد بن الخطاب في حرب مسيلمة لعنه الله وكان معه وقدم مع بني حنيفة على النبي صلى الله عليه وسلم واسلم وتعلم القرآن فلما ادعى مسيلمة الشرك مع النبي صلى الله عليه وسلم في الوحي ارتد وشهد له بذلك **واعلم** الصحابة رضي الله عنهم بغيب عنهم وهو ماض مبني للفاعل بوزن اكرم وفاعله ضمير النبي صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث رواه ابو داود والنسائي عن زيد ابن خالد الجهني **بالذي غل** بغين معجمة ولام مشددة من الغلول وهو السرقة خفية كان الايدي غلت عنها او من الغلل وهو الماء الجاري تحت النبات ولكثرة استعماله في السرقة من الغنائم **خرزا** بخاء معجمة وراء مهملة وزاي معجمة واحده خرزة وهي حجارة تنظم ويتزين بها وكل جوهر **من خرز يهود** ممنوع من الصرف لانه علم لهذه الطائفة سموا باسم جدهم يهوذا بن يعقوب اخي يوسف والمراد يهود خيبر لانه توفي بها فذكر ذلك له صلى الله عليه وسلم فقال صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال ان صاحبكم قد غل في سبيل الله ففتشنا متاعه وما معه **فوجدت** تلك الخرز التي غلها **في رحله** اي في منزله وما معه بعد موته وهي لا تساوي درهمين واصل الرحل ما يوضع على البعير ويتجوز به هنا عن محل النازل فيه بما معه وهذا الرجل لا يعرف اسمه **و**اعلم ايضا بما هو من الغيب **بالذي غل** اي سرق كما مر **الشملة** او هي المرة من الشمول وكساء صغير يشتمل به الانسان وهذا الحديث رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه قال اهدى رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما اسمه مدعم فبينما هو يحط رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه سهم عاير فقتله فقلنا هنيئا له الجنة فقال صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفسي بيده ان الشملة التي اخذها يوم خيبر من الغنائم قبل القسمة لتشتعل عليه نارا ففيه اخبار عن الغيب باعتبار اخباره بسرقته وبكونه معذبا وعاير بعين وراء مهملتين اصابه من غير قصد من عار الفرس اذا انفلت وقيل انه اشارة لحديث المصابيح وهو ان رجلا ثقل عليه صلى الله عليه وسلم يقال له كركرة بفتح الكاف او كسرها فمات فقال صلى الله عليه وسلم هو في النار فذهبوا ينظرون فوجدوا عنده عباءة قد غلها واقتصر السيوطي رحمه الله على الاول وانه الذي عناه المصنف وهو الظاهر والنووي في المبهمات على الثاني والبرهان تبعه والذي اوجب عدول الحلاد عنه لفظ الشملة وفيه تعظيم الغلول في المغانم لتعلق حق المسلمين كلهم به واذا عرف يرد للامام او يتصدق به وقيل انه يحرق وقيل انه مبني على التعزير باخذ المال وهو منسوخ واذا كان هذا من الكبائر فما حال ولاة الامور اليوم فانا لله وانا اليه راجعون **وحديث ناقته** اي مما اعلم به صلى الله عليه وسلم من المغيبات حديث ناقته الذي رواه البيهقي عن عروة مرسلا **حين ضلت** ناقته وغابت عنه حتى لم يروها **وكيف تعلقت** ناقته **بالشجرة بخطامها** بكسر الخاء المعجمة وهو زمامها ومقودها وكان صلى الله عليه وسلم طلبها لما ضلت فقال رجل من المنافقين كيف يزعم محمد انه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته الا يخبره الذي ياتيه بالوحي فاتاه جبريل واخبره بقول المنافق وبمكان ناقته فقال صلى الله

عليه وسلم ما ازعم انى اعلم الغيب وما اعلمه ولكن الله اخبرنى بقول المنافق وبمكان ناقتى وهى فى الشعب قد تعلق زمامها بشجرة كذا اخرجوا ابتغوها فذهبوا قبل الشعب فوجدوها قد تعلق زمامها بشجرة كذا اخرجوا ابيمون قبل الشعب فوجدوها
قال وكما وصف لها وابها وامن ذلك المنافق وهو زيد بن اللصيب او ابن اللصيت بفتح اللام وكسر الصاد المهملة وكان اولا من اليهود وما ذكرناه من عبارة المتن هو الصحيح كما ذكره السيوطى فى مناهل الصفا فى تخريج احاديث الشفا ووقع فى بعض النسخ وحيث هى ناقته حين ضلت وفى اخرى ومن ضلت ناقته حيث هى حين ضلت وكتب الخ فقال بعضهم هو مجرور عطف على الذى او مبنى على الكسر كما جوزه النحاة وحيث خرجت عن الظرفية معمول لاعلم وناقته مبتدأ او هى مبتدأ ثان خبره محذوف اى موجودة والجملة فى محل جر باضافة حيث وانت فى غنى عن مثله **و** من المغيبات التى اعلم النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه بها ما رواه الشيخان عن على كرم الله وجهه حين اعلم **بشأن كتاب حاطب** ابن ابى بلتعة الصحابى البدرى المشهور الذى ارسله **الى اهل مكة** لما تجهز النبى صلى الله عليه وسلم لفتح مكة ولم يعلم احدا بتوجهه ومقصده فكتب حاطب كتابا اليهم فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل واقسم بالله لو سار اليكم وحده نصره الله عليكم فانه منجز له ما وعده فعليكم الحذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى وبعض الصحابة اذهبوا الى روضة خاخ فان بها جارية معها مكتوب فاتونى به وكان صلى الله عليه وسلم اخبرهم بسيره فاتوا المحل فوجدوا الجارية فانكرت ففتشوها فلم يجدوا معها شيئا فهموا بالرجوع ثم بدا لعلى رضى الله عنه ان خبره صلى الله عليه وسلم صدق فهدد الجارية فاخرجت الكتاب من عقيصتها فلما اتوا به قال عمر رضى الله عنه دعنى اضرب عنق حاطب فقال صلى الله عليه وسلم لا فان الله اطلع على اهل بدر وقال اصنعوا ما شئتم فاعتذر له حاطب بان له ثمة اهلا وما لا فخشى ضياعه فاراد ان يصنع فيهم يدا يحفظه فقبل عذره كما تقدم والقصة مفصلة فى شروح السير والبخارى والكتاب كان مع امراة تسمى ام سارة **و** مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما رواه ابن اسحاق والبيهقى والطبرانى حين اعلم **بقضية عمير** بالتصغير ابن وهب بن خلف **مع صفوان** ابن امية بن خلف **حين ساره** اى اخبر عمير صفوان سرا فى خفية لم يسمعه واحد وذلك السر انه يقتل النبى صلى الله عليه وسلم اذا بيته بغتة بحيث لم يشعر به احد وكان شجاعا فاتكا **وشارطه على قتل النبى صلى الله عليه وسلم** اى اشترط عليه ما يعطيه ان فعل ذلك **فلما جاء عمير الى النبى صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتله واطلعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الامر والسر** الذى كان بينهما لم يطلع عليه غيرهما وهما بمكة **اسلم** عمير وحسن اسلامه لما شاهده من المعجزة الباهرة وحاصل ذلك ان عمير بن وهب جلس مع صفوان بن امية وهو ابن عمه فى الحجر بعد بدر فتذكروا اصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان والله ليس فى العيش بعدهم خير فقال عمير صدقت والله لولا دين على ليس عندى قضاؤه وعيال اخشى ضياعهم لكنت اتى محمدا حتى اقتله فان لى فيهم علة ابنى اسير عنده فاغتنمها صفوان فقال على دينك اقضيه وعيالك مع عيالى اواسيهم ما بقوا فقال اكتم

عني

عني شأني ثم شحذ سيفه اى سنه وسمه وانطلق حتى اتى المدينة واناخ بباب المسجد متوشحا بسيفه فرآه عمر رضى الله عنه فقال هذا الكلب عدو الله ما جاء الا لشر واخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ادخله على فاقبل عمر رضى الله عنه حتى اخذ بحمالة سيفه لببه بها ثم ادخله فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال ارسله يا عمر ادن يا عمير فدنا فقال ما جاء بك قال جئت لهذا الاسير فاحسنوا فيه قال فما بال السيف فى عنقك قال قبحها الله ما اغنت شيئا قال اصدقنى الذى جئت له قال ما جئت الا لذلك قال بل قعدت انت وصفوان بالحجر وذكرا اصحاب القليب وقلت لولا دين على وعيالى خرجت الى محمد حتى اقتله فتحمل دينك وعيالك وجئت لتقتلنى فقال اشهد انك رسول الله وقد كنا نكذبك وهذا امر لم يحضره الا انا وصفوان فوالله انى لاعلم انما اتاك به الا الله فالحمد لله الذى هدانى للاسلام وتشهد فقال صلى الله عليه وسلم فقهوا اخاكم دينه فاقرؤه القرآن واطلقوا اسيره واما صفوان فهرب خائفا يوم الفتح ثم جاء مستأمنا فاسلم وحسن اسلامه وكان عمير ابغض الناس لعمر فلما اسلم كان احب الناس اليه وهو من سادات قريش وفصحائها ثبت سيادته بالاسلام وله احاديث فى السنن **و** اخبر ايضا صلى الله عليه وسلم فيما رواه احمد عن ابن عباس والحاكم والبيهقى عن عائشة بسند صحيح **بالمال الذى تركه عمه العباس** بمكة **عند ام الفضل** لبابة بنت الحارث بن حرب الهلالية زوجته كنيت باسم ابنها الفضل كما كنى العباس ابو الفضل وهى من اشراف الصحابة رضى الله عنها يقال انها اول امراة اسلمت بعد خديجة وكان كتم ما له عندها واخفاه حتى عن اولاده كما اشار اليه بقوله **بعد ان كتمه** فلما اسر يوم بدر لما خرج مع كفار قريش وطلب منه الفدا فقال لا مال لى فقال له صلى الله عليه وسلم ما صنع المال الذى وضعته عند ام الفضل **فقال ما علمه غيرى وغيرها فاسلم** وقيل له لم لم تسلم قبل الفدا ليبقى لك مالك الذى افتديت به فقال لم اكن لاحرم المؤمنين ما طمعوا فيه من مالى وقد قيل انه اسلم قبل ولكن كان يخفى اسلامه لما فيه من نفع المسلمين من وجوه لا تعد وفى بعض النسخ ام الفضيل بالتصغير وهو خطأ من النساخ واصل الحديث انه كانت قريش بعثت بفداء اسراهم فقال العباس يا رسول الله انى كنت مسلما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اعلم باسلامك فان يكن كما تقول فالله يجزيك فاما ظاهر امرك فقد كان علينا فافد نفسك وابنى اخيك نوفل بن الحارث وعقيل بن ابى طالب وحليفك عتبة واخى بنى الحارث قال ما عندى ما يفى بالفدا قال فاين المال الذى دفنته عند ام الفضل وقلت ان اصبت فى سفرى فالمال لولدى فقال والله يا رسول الله هذا شىء ما علمه غيرى وغيرها فاحسب لى ما اصبتم فقال لا ذاك اعطاه الله لنا ففداهم فانزل الله يا ايها النبى قل لمن فى ايديكم من الاسارى الآية ومقتضى قوله المصنف فاسلم انه ما اسلم الا حينئذ والذى قالوه انه اسلم قبل فتح خيبر وكان يكتم اسلامه وقال ابن عبد البر قيل ان اسلامه كان قبل بدر وكان المسلمون بمكة يثقون وكان العباس

يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم احوال المشركين واحب ان يقدم عليه المدينة فكتب اليه فقاتله بمكة خير ولذا قال صلى الله عليه وسلم يوم بدر من لقي العباس فلا يقتله فانه انما خرج مكرها وما اخبر به صلى الله عليه وسلم فيما رواه البيهقي عن عروة وسعيد ابن المسيب مرسلا انه اعلم انه سيقتل بنفسه ابي بن خلف كما تقدم تخرجه بعينه في احد فانه كان يسمى سرحا وكان اذا لقيه بمكة يقول عندي فرس اعلفها كل يوم لا قتلك عليها فيقول له صلى الله عليه وسلم بل انا اقتلك ان شا الله فلما كان يوم احد اقبل يقول اين محمد لا نجوت ان نجا فاعترض دونه جماعة من المسلمين فقال صلى الله عليه وسلم خلوا سبيله وتناول حربة من ربعه على ترقوته فطعنه طعنة لم يخرج منها دم ووقع عن فرسه ورجع اليهم فقالوا له ما بك من باس فقال لو بصق على محمد لقتلني فقتل قاتله الله في مرجعه من احد وما اعلم به صلى الله عليه وسلم انه قال في عتبة ابن ابي لهب انه يأكله كلب من كلاب الله فاكله الاسد وهو ذاهب الى الشام والاسد يسمى كلبا وهو يشبهه صورة ولما اضافه لله افادت الاضافة تعظيما كما قاله الثعالبي في المضاف والمنسوب وقد تقدم ان ابا لهب كان له اولاد معتب وعتبة وعتيبة بالتصغير وان المصغر هو عقير الاسد والمكبر اسلم وكان من كبار الصحابة فالصواب ان يقول المص عتيبة بالتصغير الا ان من علما الحديث من قال مثل ما قاله المص فالاعتراض عليه مسلم كما مر ان المص ذكر هذا في فصل اجابة دعائه فتكون هذه الجملة دعائية انشائية وكلامه هنا يقتضي انها خبرية اخبر بها عن امر مغيب وبين كلاميه تدافع والجواب عنه ان كلا منهما محتمل فذكره ثمة باعتبار وهنا باعتبار ويؤيده انه لما خاف من الاسد قال له رفقاوه لم اشتد رعبك قال ان محمدا دعا لي كذا وهو لا يقول الا صدقا فالصدق من خواص الخبر وقد يقال ان الدعاء عند من تحقق اجابته خبر معنى وما اخبر صلى الله عليه وسلم عن مصارع اهل بدر اي محال قتلهم ووقوعهم على الارض يعني من قتل بها من كفار قريش وصناديدهم فقال قبل وقعتها هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان مشيرا الى محال قتلاهم بها قبل وقوعه وسماهم اهلها لما حتم فيها كما يقال اهل الدار لمن بها فكان ما اخبر به صلى الله عليه وسلم عن مصارعهم كما قال لم يتجاوز واحد منهم موضعه الذي عينه له رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه من الاخبار بالغيب واصل هذا الحديث كما في صحيح مسلم وغيره انه صلى الله عليه وسلم قام بعد قتلهم وقال هذا مصرع فلان ووضع يده على الارض ثم قال هذا مصرع فلان ووضع يده عليها وعدهم واحدا واحدا لشبر المصارعهم فلم يتجاوز احدهم موضعه فصرعوا كذلك ثم جروا بارجلهم وطرحوا في القليب ثم جا صلى الله عليه وسلم حتى وقف عليهم وقال يا فلان ابن فلان يا فلان بن فلان يناديهم باسمايهم واحدا بعد واحد هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فقال الصحابة يا رسول الله اتكلم اجسادا لا ارواح لها فقال والذي نفسي بيده ما انتم باسمع منهم لكلامي ولكنهم لا يستطيعون ان يردوا وقال صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه الشيخان وغيرهما في الحسن ابن علي بن ابي طالب ان ابني هذا

سماه

سماه ابنا له مجازا لانه يطلق على الولد وعلى ولد الولد اطلاقا مشهورا حتى صار حقيقة عرفية فيه سيد اي شريف رئيس مسود في قومه لشرف نسبه وذاته وفضله على غيره من جهات وللسيد اطلاقات ويطلق على الله وعلى غيره كما تقدم تفصيله وسيصلح الله به اي بسببه سيقع الصلح والاصلاح بين فئتين عظيمتين من المسلمين والفئة الجماعة من فاء بمعنى رجع والمراد بهما من كان معه ومن كان مع معاوية رضي الله عنهما وفي صحيح البخاري عن الحسن عن ابي بكرة قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن الى جنبه وهو يلتفت الى الناس مرة واليه مرة ويقول ان ابني هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين من المسلمين وهو حديث صحيح مروي من طرق وفي رواية فئتين عظيمتين قال ابن عبد البر رحمه الله في الاستيعاب لما قتل علي رضي الله عنه بايع الحسن اكثر من اربعين الفا على الموت وكانوا اطوع واحب له من ابيه فبقي نحو سبعة اشهر خليفة بالعراق وخراسان وما وراءها ثم سار رضي الله عنه الى معاوية وسار معاوية اليه فلما تراءى الجمعان بناحية الانبار علم الحسن انه سيقع قتال يذهب فيه كثير من المسلمين فارسل الى معاوية يخبره انه يفوض الامر له بشرط ان لا يطالب احدا من اهل المدينة والحجاز والعراق بشيء كان في ايام ابيه فاجابه معاوية لذلك وقد طار فرحا الا انه قال عشرة انفس لا اومنهم منهم قيس بن سعد فراجعه الحسن وقال لا ابايعك وانت تطلب احدا منهم لا قيس ولا غيره فارسل له معاوية رقا ابيض وقال اكتب فيه ما شئت وانا التزمه فاصطلحا على ذلك وعلى ان الامر له بعد معاوية فلم يلتزمه كله معاوية وساء ذلك اكثر الناس حتى كانوا يقولون للحسن يا ذل المسلمين وعار المومنين ولما سلم الامر قال له اخطب الناس فحمد الله واثنا عليه ثم قال اما بعد فان اكيس الكيس التقى وان اعجز العجز الفجور الا وان هذا الامر الذي اختلفت فيه انا ومعاوية حق لامرء كان احق به مني او حق لي تركته لمعاوية ارادة اصلاح المسلمين وحقن دمايهم وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين ثم استغفر الله ونزل وما اخبر به صلى الله عليه وسلم ما رواه الشيخان من قوله لسعد ابن ابي وقاص مالك بن وهيب بن عبد مناف احد العشرة واصحاب الشورى ولقبا دره اذا اطلق لم يقيده لما يخرج سعد بن معاذ وغيره ممن سمي سعدا من الصحابة فلا اعتراض عليه كما قيل ولسعد معطوف على قوله في الحسن اي قال لسعد لعلك تخلف وفي نسخة انك ان تخلف بان المصدرية في خبرها حملا لها على عسى لانها اختها في الترجي كما قال ـــ لعلك يوما ان تلم ملمة وكان سعد رضي الله عنه مرض بمكة وكان يكره ان يموت بالارض التي هاجر منها فاتاه صلى الله عليه وسلم يعوده فقال يا رسول الله اوصي بمالي كله فقال لا الى ان قال الثلث والثلث كثير الى اخر الحديث وهو مشهور ولم يكن له الا ابنة وقد طال عمره فخشي ان يموت ثمة وذلك في حجة الوداع وقوله تخلف بضم المثناة الفوقية وتشديد اللام اي يبقى بعد هذا الزمان فكان كما قال فانه عاش بعد ذلك نحو خمسين سنة وقوله حتى ينتفع بك اقوام ويستضر بك اخرون قال النووي في هذا الحديث من المعجزات تحقق ما اخبر به فانه عاش بعد ذلك زمانا كما تقدم ونفع الله

به المسلمين لما كان على يديه من الفتوح وهدى الله به ناسا اسلموا على يديه وغنموا معه
وضر الله به ناسا من الكفار جاهدهم وقتل منهم وسبا وليس المراد بضرره ضرر المسلمين لان
ابنه عمر كان اميرا على الجيش الذين قتلوا الحسين لانه لم يرض بذلك ولا تزر وازرة وزر
اخرى وقال ابن حبيب المراد به انه تولى العراق واتى بقوم ارتدوا وسجعوا سجع مسيلمة
الكذاب لعنه الله فاستتابهم فتاب بعضهم واستمر به وابى بعضهم فقتلهم فتضرروا وايده
وهذا انه ولد عند بعضهم وقيل الرواية المنافي بضربك اخرون والمص اراد استعمل
لعل وجعل المص الترجي اخبارا لانه بمعناه وهو المراد لكن عبرنا دبا منه وقد صرحوا
بان الترجي في حق الله والرسول تحقيق معنى كما قال ابن الملقن واخبر صلى الله عليه وسلم
في حديث صحيح رواه البخاري عن انس بقتل اهل موتة بضم الميم وسكون الواو والهمزة
فان فيها لغتين كما في القاموس وهي اسم موضع بالشام كان فيه غزاة مشهورة واضافة
اهل للعهد ولا يجوز ان يكون للاستغراق كما قيل لانه انما اخبر بقتل ناس منهم قبل مجي الخبر له
صلى الله عليه وسلم بيوم والذي اتى بالخبر يعلى بن منيه وكان صلى الله عليه وسلم نعاهم لاصحابه
فقال اخذ الراية زيد فاصيب ثم اخذها جعفر فاصيب ثم اخذها ابن رواحة فاصيب
وعيناه تذرفان حتى اخذ الراية سيف من سيوف الله يعني خالد بن الوليد ففتح الله عليهم
فلما اتاه يعلى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت اخبرني وان شئت اخبرتك فقال
اخبرني فاخبره ووصفهم له فقال والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفا واحدا وقوله
يوم قتلوا متعلق باخبر وبينه صلى الله عليه وسلم وبينهم اي المقتولين بموتة مسيرة شهر
او ازيد ذكره تحقيقا لانه اخبار بالغيب لبعده بحيث لا يمكن مجي الخبر له صلى الله عليه وسلم
في يومه ولذا ورد في هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله رفع لي الارض حتى
رايت معترككم وما قيل ان المدينة ليس بينها وبين موتة هذا المقدار بل بينهما نحو عشرة
مراحل كما يعرفه من سلك طريقها لكنه لم يعرفه لبعد بلاده انه قال من نفسه من غير
تثبت فيه وليس كذلك فانه يختلف باختلاف الاحوال كالسير ماشيا وكسير الجمال في
القافلة بحالها بخلاف الفرسان ويختلف ايضا بطول الايام وقصرها والامر فيه
سهل وبموت النجاشي اي اخبر صلى الله عليه وسلم بموته كما رواه الشيخان عن ابي
هريرة رضي الله عنه يوم مات متعلق باخبر وذلك سنة تسع من الهجرة وصلى
عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الغائب وبه استدل الشافعي على جوازها
وهو ملك الحبشة واسمه اصحمة كما تقدم وهو الذي ارسل اليه مكتوبه خلافا لابن القيم
في الهدي النبوي اذ قال ان الذي كاتبه غيره فان كل من ملك الحبشة يقال له نجاشي
بفتح النون وكسرها وتخفيف الياء وتشديدها وهو بارضه جملة حالية والضمير
للنجاشي اي والحال ان النجاشي مات بارض الحبشة فهو اخبار عن الغيب ويحتمل ان
يعود للنبي صلى الله عليه وسلم اي والنبي صلى الله عليه وسلم وقت موت النجاشي كان بارضه
اي المدينة فلا يحتمل انه راه عادة وان امكن ان يرفع له حتى راه كما قاله من لم يقل بالصلاة
على الغائب كما قيل انه من خصائصه ايضا واخبر ايضا صلى الله عليه وسلم في حديث

عرضي

اخر

اخر رواه البيهقي فيروز علم عجمي ممنوع من الصرف وهو وزير كسرى ملك فارس
ومعناه الفوز والظفر وفاؤه مفتوحة وقد تكسر وفيروز ديلمي والديلم جيل من
العجم اذ ورد اي جاء فيروز وقدم عليه اي على النبي صلى الله عليه وسلم رسولا من
كسرى بموت كسرى ذلك اليوم بنصبه على الظرفية اي يوم ورد عليه او يوم مات كسرى
فلما تحقق فيروز القصة التي قصها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره بموت
كسرى الذي امر رسوله اسلم فآمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وفاز فوزا عظيما
وقصته وردت من طرق وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم كتب لكسرى مكتوبا فيه
بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى
وآمن بالله ورسوله وشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وادعوك بدعاية
الله عز وجل فاني رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين
فاسلم تسلم الخ فلما قرا كتابه مزقه فمزق الله ملكه وكتب الى باذان عامله على اليمن ان ابعث
اليه رجلين جلدين يأتيانه فبعث قهرمانه بابويه ومعه اخر من الفرس ومعهما مكتوب
يأمره فيه بالانصراف معهما فلما اتياه قال ابقيا في غد فلما اتياه قال لهما ان الله
سلط على كسرى ابنه شيرويه فقتله في وقت كذا فاخبرا باذان بما قاله صلى الله عليه وسلم
فقال لننظرن ما قال فان تحقق فهو نبي مرسل فلم يلبث ان قدم عليه مكتوب شيرويه بما
وقع فاسلم واسلم معه ابناء فارس باليمن وحسن اسلامهم ووزير كسرى هذا اسمه بابويه
وهذا ما ذكره المورخون واصحاب السير واما ما ذكره المص فلم يشتهر ولم يقل احد
ان من الصحابة من اسمه فيروز لكن السيوطي نقله عن دلائل النبوة للبيهقي فقيل انه
ليس فيها ذلك وفي الاستيعاب ان فيروز الديلمي وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانه الذي قتل الاسود العنسي واخبر صلى الله عليه وسلم ابا ذر الغفاري كما رواه
احمد في مسنده بتطريده اي بنفيه من المدينة وقد ذكر الحريري في الدرة الغراء ان
طرده واطرده وطرده المشدد وانه انما يقال في النفي الا مشددا كقول ابي سفيان
وانت الذي طردتني كل مطرد وطرده واطرده بمعنى خالفه كثير من اهل اللغة لم يفرقوه
كما كان اي وقع ما اخبر به صلى الله عليه وسلم ووجده اي وجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم ابا ذر في المسجد اي مسجده بالمدينة نائما فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم كيف بك اذا اخرجت منه اي من هذا المسجد وكيف استفهام عن الحال
والظاهر انه ليس على حقيقته هنا فانه صلى الله عليه وسلم علم ما يجري عليه وانما مراده
اخباره بحاله وما يكون له كقوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى والمعنى كيف ظنك وعلمك
بك في هذه الحال قال اسكن المسجد الحرام يعني مكة المشرفة قال فاذا اخرجت
منه الحديث اي اقرا الحديث او اذكر الحديث الذي رواه احمد ومعناه انه كان بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام في المسجد وليس له ماوى غيره فخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليلة فراه نائما فقال له اراك نائما فقال ابن ادم وهل لي بيت غيره
فقال له صلى الله عليه وسلم كيف بك اذا اخرجوك منه قال الحق بالمسجد الحرام فقال

عرضي
ولذلك ذكر قصة فيروز الديلمي على الوجه الذي ذكره
المص الماوردي في اعلام النبوة واطال فيها

لك كيف بك اذا اخرجوك منه قال الحق بالشام ارض الهجرة المنشر والمحشر وارض الانبيا
فاكون رجلا من اهلها قال فاذا اخرجوك من الشام قال ارجع اليه فيكون منزلي قال
فكيف بك اذا اخرجوك منه الثانية قال اخذ سيفي واقاتل حتى اموت فغمزه صلى الله
عليه وسلم بيده وقال خير لك منه ان تنقاد حيث قادوك حتى تلقاني وانت على ذلك واما
نظريه رضي الله عنه فرواه بعض الشيعة على وجه منكر استدوا فيه لعثمان رضي الله عنه مالا
اصل له والصحيح ما رواه قتادة من انه صلى الله عليه وسلم قال لابي ذر اذا رايت المدينة
بلغ بناوها سلعا فاخرج منها واشار الى جهة الشام فلما زاد بناوها ذهب الى الشام
ثم انه رضي الله عنه انكر على معاوية بعض اموره فشكاه لعثمان فكتب اليه اقبل الينا
فنحن ارعى لحقك فقدم عليه ثم استاذنه في الخروج الى الربذة فاذن له فاقام بها الى ان
مات والذي قيل ان عثمان امر بازعاجه بعنف فلما وصل اليه قال له ما حملك على وما قيل
ما صدر منك قال اشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا بلغ بنو العاص ثلاثين
رجلا جعلوا مال الله دولا وعباد الله خولا ودين الله دغلا ثم يريح الله العباد منهم
فقال له اخرج من هذه البلدة فخرج منها فلا الكلام لا اصل له **ويعيش وحده** اي
اخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه يعيش بعد خروجه من المدينة نائيا وحده
معتزلا عن الناس وفي نسخة عيشته بالتا **ويموت وحده** فكان كما قال لان البيهقي
روى ان ام ذر لما حضرته الوفاة بكت فقال لها ما يبكيك فقالت مالي لا ابكي وانت
تموت بفلاة وليس عندنا كفن فقال لا تبكي فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لنفر كنت فيهم ليموتن احدكم بفلاة يشهده عصابة من المسلمين وانا ذلك الرجل فابصري
الطريق فخرجت فاذا برجال على رحالهم فاخبرتهم بذلك فدخلوا عليه فقال اشهدكم
الله ان يكفنني منكم من لم يكن نقيبا ولا اميرا فقال غلام منهم انا اكفنك يا عم في ردائي
وثوبين في عيبتي من غزل امي قال فكفني فلما مات كفنوه وصلوا عليه ودفنوه **واخبر**
صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم **ان اسرع ازواجه به لحوقا** اي اول من يموت من
امهات المومنين بعده **اطولهن يدا** لم يقل طولى لانهن بالتانيث لان اسم التفضيل المضاف
يجوز فيه المطابقة وعدمها وهذا يحتمل ان يكون من الطول بالضم ضد القصر ومن الطول
بالفتح وهو الجود والانعام ولاحتمال المعنيين قيل انه واحد صلى الله عليه وسلم بعده كن
يتقسن اذرعهن لينظرن الاطول منها فلما ماتت زينب رضي الله عنها علمن ان المراد الثاني
قال كان من الاول كان استعارة وبه الترشيح للاستعارة مع ما فيه من التورية لان اليد
بمعنى النعمة **فكانت** اي اطولهن يدا واسرعهن لحوقا به صلى الله عليه وسلم فاسمها ضمير عايد
على ما ذكره وقوله **زينب** بالنصب خبرها وهي زينب بنت جحش ام المومنين رضي الله عنها
لطول يدها بالصدقة بيان للمراد كما تقدم وتوفيت رضي الله عنها سنة عشرين
او احدى وعشرين وليس المراد بذلك زينب بنت خزيمة التي كانت تدعى ام المساكين
والحديث عن عايشة من طرق قالت قلن ايتنا اسرع لحوقا بك قال اطولكن يدا فاخذن
يتذارعن وفي رواية اخذن قصبة يتذرعن بها اي يقسن اذرعهن لظنهن ان المراد

الحنفية

الحنفية فلما توفيت زينب علمن المراد لانها كانت اكثرهن صدقة وكانت تعمل بيدها
وتتصدق وما في البخاري عن عايشة رضي الله عنها انه اجتمع زوجاته صلى الله عليه
وسلم عنده فقلن له ايتنا اسرع لحوقا بك قال اطولكن يدا فكانت سودة بنت زمعة
تتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت اسرعنا لحوقا فعرفنا ان اطول يدها
الصدقة وكانت تحب الصدقة مشكل لمخالفته لما رواه مسلم من انها زينب وهو الذي
صححوه وفيه اضطراب ايضا لان اوله يقتضي ان المراد الطول الحقيقي وما بعده
يدل على خلافه ولذا قال الكرماني ان فيه تلفيقا وحذفا ولم يلتفت لابهام خلاف
المراد اعتمادا على شهرة القصة وهو غاية ما يقال فيه فتامل وهو مجاز مرسل عرضي
بعلاقة مجاورة الصدقة لليد وشبه الصدقة باليد فهو استعارة مصرحة والطول
ترشيح والقرينة ان عظم الابدان لا يقتضي حوز هذه الفضيلة فلا يرد انه لم يكن فيه
قرينة لم يصح المجاز وان كانت كنية بعضهن خلاف المراد حين تذارعن وهن من اهل
اللسان **اقول** التحقيق انه استعارة تمثيلية بان يشبه كثرة الاحسان والتصدق
وايصال البر ومن او صله لشخص لطول في يده يصل به لما يصل اليه غيره اذا مدها
او هو مجاز مرسل باستعمال طول اليد في لازمه وهو ايصال الانعام او اليد استعارة
مصرحة والطول ترشيح ويحتمل انه كناية **واخبر** صلى الله عليه وسلم فيما رواه البيهقي من
طرق **بقتل الحسين** ابن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما **بالطف** بفتح الطا المشددة المهملة
وتشديد الفا وهو مكان بناحية الكوفة **واخرج** صلى الله عليه وسلم **بيده تربة** اي مقدار
شيء من ترابه اراه لبعض اصحابه واهل بيته **وقال** اذ اخرجها **فيها** اي في ارض هذا
التراب منها وفيها يموت ويقتل **مضجعه** اي مصرعه اذ يقتل وجهه مفتوحة وتكسر
والاولى انقيس وافصح وفي التعبير به ايما الى انه رضي الله عنه شهيد لان اصله
محل يضطجع فيه النائم واصل الحديث عن عايشة رضي الله عنها ان جبريل كان عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليه الحسين فقال جبريل من هذا قال ابني
قال ستقتله امتك فان شئت اخبرتك بالارض التي يقتل بها واشار جبريل بيده
الى الطف من ارض العراق واخذ تربة حمرا فاراه اياها ولا ينافي ذلك ما جاء انه
يقتل بكربلا لان كربلا اسم الموضع والطف ناحية تشتمل عليه وكان قتله في عاشورا
وقتل معه جماعة من اهل البيت وقيل ان هذه التربة كانت عندهم وانها في يوم
قتله يظهر عليها دم واختلف فيمن باشر قتله قاتله الله واخزاه وجعل سجين مثواه
ولابن العربي هنا مقالة اظنه بريئا منها **وقال** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
ابن عدي والبيهقي مسندا **في زيد بن صوحان** بضم الصاد المهملة وواو ساكنة
وحا مهملة والف ونون وهو زيد بن صوحان ابن حجر بن الحارث العبدي اخو صعصعة
وله وفادة على النبي صلى الله عليه وسلم وقيل انه تابعي وقال الذهبي ومن خطه نقلت
كان زيد بن صوحان مواخيا لسلمان حتى يكنى باسمه يحبه له وكان زاهدا عابدا
ذكر له مناقب كثيرة وعده من الصحابة وصوحان معناه اليابس يقال صوح

النبت اذا اصابه شيء **بسبقه عضو من اعضائه الى الجنة** اي يدخل الجنة قبله لانه قطع
في سبيل الله قبل موته ومعنى السبق اما تقدمه حقيقة ولا مانع من ان يحفظها الله في
الجنة فاذا استشهد وصلها ببقية اعضائه في الجنة وامور الاخرة لا تقاس على امور الدنيا
ويجوز ان يراد ان يده تقطع في سبيل الله او لانه يستشهد بعد ذلك فكنى عنه بما ذكر ولفظ
الحديث من سره ان ينظر الى رجل يسبقه بعض اعضائه الى الجنة فلينظر الى زيد بن
صوحان وفي سنده هذيل بن هلال وهو ضعيف **فقطعت يده** الشمال كما رواه
الذهبي في **الجهاد** لم يعينه للخلاف فيه فقيل انه كان يوم نهاوند وقيل في قتال
المشركين وقد روي انه صلى الله عليه وسلم شهد لثلاثة من ان يعين بالجنة وبين الفرقى
وزيد بن صوحان وجندب الخير وقتل مع علي رضي الله عنه في وقعة الجمل وعلى هذا فاخبار
عن المغيب اقوى وابلغ في اطلاعه على امره قبل خلقه **وقال** صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه مسلم وغيره **في الذين كانوا معه** اي حاضرين معه وهم **على حرا** اسم جبل معروف
بقرب مكة بنحو ثلاثة اميال بمد وبقصر ويذكر ويؤنث فيجوز صرفه وعدم صرفه
كما تقدم فتحرك وهم عليه فقال له صلى الله عليه وسلم **اثبت** اي لا تتحرك وترجف تزلزلا
ولفظه كما في صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حرا هو وابو بكر وعمر
وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحرك بهم فقال اهدأ فما عليك الا نبي او صديق او شهيد
وزاد بعضهم سعدا واورده بعضهم مكان علي والمصنف رواه **انما عليك نبي وصديق
وشهيد** والمعنى واحد والنبي معناه المراد به ظاهر وكذا الشهيد وتفصيله وتدوخ
الترتيب في الحديث علي وتقدما في القران والصديق فعيل صيغة مبالغة من الصدق
ضد الكذب ولهم في تفسيره اقوال فقال ابن المطهر انه من صدق بامر الله ورسله
بحيث لا يخالجه شك في شيء وقال الكلبي رحمه الله الصديقون افاضل الصحابة واختاره
النووي وقيل من صدق الانبيا حين عاينهم واختار الرازي انهم اول من صدق الرسل
وبه يرد قوله صلى الله عليه وسلم ما عرضت الاسلام على احد الا وله كبوة الا ابو بكر
فله رضي الله عنه مزية بانه صادق قد وثق لغيره ولذا اجمعوا على تخصيص هذا اللقب له ومرتبة
الصديقية بل مرتبة النبوة وقد افرد لذلك بابا الكمال ابن الزملكاني **فقتل علي
وعمر وعثمان** فقتل عليا كرم الله وجهه عبد الرحمن بن ملجم من الخوارج وقصته مشهورة
وقتل عمر رضي الله عنه ابو لولوة غلام المغيرة بن شعبة وكان عمر رضي الله عنه لا ياذن لاحد
من المشركين ان يدخل المدينة فاستاذنه المغيرة في غلامه هذا لانه كان نجارا لصانع
ينفع بها الناس فاذن له في دخوله وضرب عليه سيده في كل شهر مائة درهم فتشكى ذلك
لعمر فسأله عن صنعته فاخبره فقال ما خراجك بكثير فغاظه ذلك واضمر قتله فضربه
بخنجره وهو يصلي فاستشهد وعثمان رضي الله عنه استشهد يوم الدار في قصته
المشهور **وطلحة والزبير** اما طلحة بن عبيد الله فقتل يوم الجمل وهو محارب لعلي وقيل
كان مراده ذكره ووعظه فاعتزل حربه ثم اصابه سهم فمات منه واما الزبير رضي الله
عنه فرجع عن قتال علي بعد تذكيره له بامر فقتله ابن جرموز بوادي السباع كما تقدم

وطعن

وطعن بالبنا للمجهول **سعد** بن ابي وقاص سنة خمس واربع وخمسين اخر من
مات من العشرة المبشرة بالجنة وقيل مات سنة ست وقيل سبع وخمسين وقيل سنة
ثمان وقيل سنة اثنان وثمانون وطعن بمعنى اصيب بالطاعون وهو من اقسام الشهادة
ايضا وان لم يكن مثل غيره من كل وجه ولذا اخره المصنف وقول بعضهم انه لم تنله الشهادة
غير مناسب هنا الا ان يدخله في الصديق **وقال** صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه البيهقي **لسراقة** بضم السين وفتح الرا المهملتين مخفف وقاف وهو سراقة
ابن مالك ابن جعشم بن مالك بن عمرو وابو سفيان الكناني المدلجي سكن مكة وهو
الذي خرج في طلب النبي صلى الله عليه وسلم فساخت به فرسه في القصة المشهورة وياتي في كلام
المصنف الاشارة لبعضها ثم اسلم وتوفي في سنة اربع وعشرين وقيل مات بعد عثمان وفي
الصحابة من اسمه سراقة غيره وفي هذا اخبار عن الغيب وخص سراقة لانه اعرابي من
البادية ولبس مثله لما يلبسه الملوك من ملوك العجم اية عظيمة من ايات النبوة
وعز الدين **كيف بك** كيف جواب عما ابهم من الاحوال وهو استخبار يتضمن التعجب من
حاله التي هو عليها لان كل احد لا ينفك عن حال من الاحوال اذ اطلع عليه ما لم يعهد مثله
ونال ما لم ينله امثاله وكني بما ذكره فيه من البلاغة ما لا يخفى **اذا لبست** اي وضعت
في يديك وساعديك ومثله يسمى لبسا وان كان المعروف اطلاقه على ما يعم البدن من
الثياب والحلل **سواري** مثنى سوار بضم السين وكسرها ويقال اسوار بضم الهمزة
وكسرها ايضا وهذا مما كان يتزين به العجم والملوك وان كان مستقبحا عند
العرب وبعد الاسلام حتى يعاب على غيره **كسرى** تقدم انه كل من ملك العجم ويخص
بعضهم وهو كسرى الذي ادرك عهد الاسلام كما تقدم وان كافه مكسورة وتفتح وهو
معرب خسرو ومعناه واسع الملك **فلما اتي بهما** اي بسواري كسرى **لعمر** رضي الله عنه بصيغة
المجهول معنا وصل تعدى باللام وفي نسخة عمر بدونها **البسهما اياه** اي سراقة تحقيقا
لما اخبر به صلى الله عليه وسلم ويجوز البسه اياهما وقيل وهو الاولى **وقال** عمر رضي الله
عنه **الحمد لله** حمد الله على تصديق كلمة النبوة واعزاز دينه وعز الشوكة لعدله
وما فتح الله على يديه **الذي سلبهما** من يدي **كسرى والبسهما سراقة** وهو بدوي
اعرابي متقشف مالوف احاد امته صلى الله عليه وسلم واصل الحديث كما في دلائل النبوة
عن الحسن ان عمر رضي الله عنه لما اتي بسواري كسرى ابن هرمز وضعهما بين يديه وفي
القوم سراقة فوضعهما في يديه فبلغا منكبيه فقال الحمد لله الذي جعل سواري كسرى
ابن هرمز في يدي سراقة بن مالك ثم قال له قل الله اكبر الله اكبر وحمد الله لما من به
من نعمة الفتح واعز الدين وكبر تعظيما لمالك الملك الذي يؤتي ملكه من يشاء وينزعه
ممن يشاء فتبارك الذي بيده الملك الذي نضم من نازعه رداء الكبرياء به فلا سلطان الا
سلطانه ولا عز لغير من اعزه ولبس هذا استعمال للذهب ولبس الرجال له
وهو من المحرمات لانه لم يفعله الا تحقيقا وتصديقا لقول رسول الله صلى الله عليه
وسلم من غير ان يقرها ومثله لا يعد استعمالا فلا حاجة لما قيل انه فيه مصلحة

ومفسدة ارتكبت المفسدة فيه لاجل المصلحة وهي تحقيق المعجزة فانه لا يحصل له وقال
صلى الله عليه وسلم في جملة اخباره عن المغيبات في حديث رواه ابو نعيم في الدلايل والخطيب
في تاريخه تبنى بالبنا للمجهول والباني ابو جعفر الدوانيقي ثاني خلفا بني العباس
مدينة هي البلدة العظيمة من التمدن وهو التعيش والسكنى الكثيرة ويكون اكبر
من البلدة والقرية بين دجلة بدال مهملة مفتوحة او مكسورة من دجلة اذا غطاه
ومنه الدجال لخفا امره بتخليطه في اموره وهو علم لنهر مشهور بالعراق ولا يجوز
دخول الالف واللام عليه لانه علم مرتجل ودجيل مصغر علم نهر بالاهواز حفره ازدشير
ابن بابك اول ملوك بني ساسان بالمداين عليه قرى كثيرة ومخرجه من اصبهان وقيل
انه خليج منشعب من دجلة وقطربل بضم القاف وسكون الطا المهملة وضم الرا المهملة
وضم البا الموحدة المشددة وقد تخفف وتشديد اللام وهو موضع بالعراق تنسب اليه
الخمر والصراة بفتح الصاد المشددة والرا المهملتين ثم الف وها وهو نهر بالعراق
ايضا مشهور وهو الاصح المعروف وفي بعض النسخ والهراة بها بدل الصاد وهي بلدة
بالعجم وقد ضرب عليه وصحح الصراة وهو المعتمد تجبى اليها اي يجمع مال غيرها من البلاد
الى تلك المدينة وهو عبارة عن انها دار الخلافة العظمى وكرسي الممالك يقال جبى الخراج
والمال اذا جمعه للسلطان بامره خزاين الارض اي ما كان مخزونا في غيرها من
البلاد بعيدا عنها ليخسف بها اي يخسف الله ارضها ودورها باهلها وقد وقع ما اخبر
به صلى الله عليه وسلم مما يتعلق بها في الدولة العباسية وجباية الاموال اليها وبقي امر الخسف
وسيظهر كما اخبر به صلى الله عليه وسلم وقد ذكره الذهبي في ميزانه في ترجمة عمار بن سيف
الضبي الكوفي راوي هذا الحديث وقال انه منكر جدا والله اعلم بامره يعني بغداد
اسم المدينة المشهورة وتسمى دار السلام وهو اسم اعجمي عرب وفيه لغات تقدم الكلام
عليها وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الامام احمد والبيهقي عن سعيد بن المسيب
مرسلا وحسنه قال ولد لاخي ام سلمة من امها غلام سموه الوليد فقال صلى الله عليه وسلم
لا تسموا باسما فراعنتكم فسموه عبد الله فانه سيكون في هذه الامة رجل يقال له
الوليد هو شر لامتي من فرعون لقومه قال الاوزاعي كانوا يرون انه الوليد
ابن عبد الملك ثم راوا انه ابن اخيه الوليد ابن يزيد بن عبد الملك الجبار الذي كان
مفتاح ابواب الفتن على هذه الامة وكان ماجنا سفيها موسوما بالخمر نسب اليه ما يقتضي
الكفر ويجوز ان يراد كلاهما لخبثهما وعتوهما الا ان الثاني اشقاهما وفي هذا معنى
حسن وهو ان فرعون مصر الكافر كان اسمه الوليد كما اشار اليه في الحديث وقال
ابن الجوزي ان هذا الحديث موضوع فكانه ثبت عند المص ان موضوعات ابن عوض
الجوزي مدخولة تكلم في كثير منها وصحح في الشرح الجديد ان المراد به هو الثاني المعروف
بالفاسق بويع بالخلافة بعد هشام بن عبد الملك لست خلون من ربيع الاخر سنة
خمس وعشرين ومائة واظهر من فسقه ولعبه بالملاهي وتهاونه بالدين امورا شنيعة
لا حاجة لنا بها ولذا جعله صلى الله عليه وسلم شرا من فرعون موسى مع الاتفاق على كفره

لانه كان في زمان الكفر وهذا كان والاسلام غض طري وقال صلى الله عليه وسلم
في حديث رواه الشيخان لا تقوم الساعة اي لا تاتي زمانها وتقرب اوانها حتى
يقتتل فئتان اي طايفتان وجيشان من هذه الامة المسلمة دعواهما في اعتقادهما
ودينهما واحدة وهي الاسلام والدين الحق وقد وقع في هذا في صفين في دولة علي
ومعاوية رضي الله عنهما ثم سرى ذلك لكثير بعد ذلك فكم وقع بين المسلمين من الحروب
والوقايع التي لا تحصى لان الوقعة الاولى اول ما دهم اهل الاسلام من الامور المنكرة
التي كانت ثلمة في الدين وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البيهقي والحاكم عن
الحسن بن محمد مرسلا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه في سهيل بن عمرو ابن عبد شمس
ابن عبد ود ابو يزيد العامري القرشي احد خطبا قريش اسلم يوم الفتح واستشهد
باليرموك وقيل توفي بالشام سنة ثمان عشرة وقال الواقدي توفي سنة تسع عشرة في
طاعون عمواس وكان يقوم خطيبا يحرض المشركين على قتال النبي صلى الله عليه وسلم فلما
اسر يوم بدر قال عمر يا رسول الله انه رجل مفوه فدعني انزع ثنيتيه السفليين فلا
يقوم خطيبا عليك بعد اليوم لانه كان اعلم السفلي اي مشقوقها فاذا انتزعت ثنيتاه
السفليين يختلج لسانه فلا يطيق الكلام وهذا من عمر رضي الله عنه امر بديع فقال
صلى الله عليه وسلم لعمر دعه عسى ان يقوم مقاما اي يقوم خطيبا في مقام يشبه خطبته
ويأتي بما يحمد مقاماته الاول وقد مر انه نهي من الله ومن رسول الله صلى الله عليه
وسلم تحقيق يسرك يا عمر وكان كذلك اي وقع ما قاله صلى الله عليه وسلم وتحقق
ما اخبر به من المغيبات فسره وسر المسلمين مقامه لما قام بمكة ابي بكر الصديق
رضي الله عنه اي مثل مقامه بالمدينة وخطب بخطبة مثل خطبته يوم بلغهم اي بلغ
المسلمين بمكة موت النبي صلى الله عليه وسلم وخطبهم في مقامه بمكة بنحو خطبته
اي بخطبة مثل خطبة ابي بكر بالمدينة لفظا ومعنى ثم بين المماثلة بقوله وثبتهم
اي ثبت المسلمين على دينهم وقوى بصايرهم باعلامهم ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم بشر وكل نفس ذايقة الموت فقال من كان يحمد الله فان محمدا قد مات والله
حي لا يموت وابو بكر رضي الله عنه قال من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات
ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت فتواردا على معنى واحد في مقام عقل
فيه كثير من كبار الصحابة دهشة من هذه المصيبة العظيمة وقال صلى الله
عليه وسلم كما رواه ابن اسحاق والبيهقي لخالد بن الوليد حين وجهه اي
ارسله صلى الله عليه وسلم متوجها لاكيدر بضم الهمزة وكاف مفتوحة ومثناة
تحتية ساكنة ودال مكسورة ورا مهملتين كمصغر اكدر ويقال له اكيدر دومة
بضم الدال المهملة وقد تفتح ويقال لها دوما ومنه الجندل ويقال دوما بالمد
وهي ايليا وهو موضع بين مكة وبرك الغماد او بين الحجاز والشام سمي
به دومان بن اسماعيل لانه كان ينزلها انك تجده اي تصادف اكيدر يصيد
البقر اي بقر الوحش لانها التي تصاد وكان صلى الله عليه وسلم بعثه في اربعماية

لمقام

وعشرين فارسا الى أكيدر بن عبد الملك بن عبد الجن بن اعبا بن الحارث بن معاوية الكندي كما قاله الخطيب والماوردي وفي مختصر الشفاء انه من كندة او غسان وكان نصرانيا قد ملك دومة واهلها فاتاه خالد رضي الله عنه في ليلة مقمرة فوجده يصطاد الوحش هو واخوه حسان فقتل واعليه فاستأسر أكيدر وقاتل اخوه حتى قتل فقدم به على النبي صلى الله عليه وسلم فصالحه على الجزية وحقن دمه وخلى سبيله فكان نصرانيا وقال البلاذري انه عاد الى دومة فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم نقض العهد فحاصره خالد وقتله مشركا نصرانيا وقيل انه اسلم واهدى للنبي صلى الله عليه وسلم حلة سيرا فوهبها لعمر وعده ابن منده وابو نعيم في الصحابة وقال ابن الاثير ان الهدية صحيحة واما اسلامه فغلط بانفاق اهل السير وقيل انه اسلم ثم ارتد بعده صلى الله عليه وسلم وعلى هذا لا يعد في الصحابة ايضا **فوجدت** بالبنا للمجهول **هذه الامور** المذكورة في هذا الفصل **كلها في حياته** بعضها اخبر بها **و** وجد بعضها **بعد موته كما قاله صلى الله عليه وسلم** اي مطابقة لخبره ومماثلة له منتهية او مصحوبة **الى ما اخبر به جلساءه من الصحابة من اسرارهم** اي ما اسروه واخفوه **وبواطنهم** اي امورهم الخفية وقلوبهم وهو بيان لما اخبر به **واطلع عليه** عطف على ما اخبر به **من اسرار المنافقين** اي ما اسروه في انفسهم ولم يخبروا به احدا منهم ولا من غيرهم او ما كانوا يقولونه سرا بينهم بحيث لا يقف عليه المؤمنون **وكفرهم** المضمر في قلوبهم مع اظهارهم الايمان **وقولهم فيه** اي في حق النبي صلى الله عليه وسلم **وفي المؤمنين** وهو معطوف على امور المنافقين عطف تفسير كقول ثابت بن قيس ابن ابي لهم وقد استقبله الصحابة انظر واكيف ارد هولاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر وقال له مرحبا بسيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني اثنين في الغار وباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد عمر فقال له مرحبا بسيد بني عدي الفاروق في دين الله ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رايتموني فعلت فاثنوا عليه **حتى ان** بكسر الهمزة وسكون النون المخففة من الثقيلة واسمها ضمير شان محذوف **كان بعضهم** اي بعض المنافقين **ليقول** وفي نسخة ليقول **لصاحبه** اي من هو معه منهم اذا اراد ان يتكلم بشي في حقه صلى الله عليه وسلم سرا معه **اسكت** ولا تنطق بشي من امره ثم بين وجه امره بالسكوت مقسما عليه بتحقق ما قاله **فوالله لو لم يكن عنده من يخبره** بما نقول له في شانه من ملك او جن يبلغه ما يقال فيه **لاخبرته حجارة البطحا** وهي ارض مستوية يسيل فيها الما والمراد بحجارتها ما فيها من الحصبا يعني ان الحجارة تعلمه بما غاب عنه وهذا اشارة ايضا لما وقع له صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة وامر بلالا ان يطلع ظهر الكعبة ويؤذن عليها وابو سفيان بن حرب وعتاب بن اسيد والحارث بن هشام جلوس بفنا الكعبة فقال عتاب لقد اكرم الله اسيدا اذ لم ير هذا اليوم وقال الحارث اما وجد محمد مؤذنا غير هذا الغراب الاسود فقال ابو سفيان اني لا اقول شيئا

ولو تكلمت لاخبرته هذه الحصبا فخرج عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال علمت الذي قلتم وذكر مقالتهم فقال الحارث وعتاب نشهد انك رسول الله ما اطلع على هذا احد كان معنا فنقول اخبرك به **واعلامه** بالجر معطوف على ما اخبر به وهو اشارة الى ما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها وهو مصدر مضاف لفاعله ومفعوله محذوف اي اعلامه الناس **بصفة السحر الذي سحره به لبيد بن الاعصم** وهو يهودي من بني زريق وقصة سحره مشهورة في السير والتفسير **وكونه** اي السحر المذكور الذي وصفه **في مشط** بضم الميم وكسرها وسكون الشين المعجمة وطا مهملة اسم الة معروفة يسرح بها الشعر ويقال لها مشط ايضا **ومشاطة** بضم الميم وهي ما يسقط من الشعر اذا سرح وفي نسخة مشاقة بقاف بدل الطا وهما بمعنى او الاول من الشعر والثاني من الكتان **في جف** بضم الجيم وتشديد الفا وهو وعا الطلع الذي يكون عليه كالغشا وفي نسخة جب بالموحدة بمعنى داخل جوف ومنه جب البير وهو مضاف لقوله **طلع نخلة ذكر** والطلع ما يخرج من النخل في ظرف منطبق عليه معروف والنخلة منه ذكر وانثى نخل بثمرها المعروف **وانه** بفتح الهمزة والضمير للسحر المذكور **القي في بير ذروان** اي وضع في هذه البير وهي بير بالمدينة لبني زريق وهي بذال معجمة مفتوحة وراء مهملة ساكنة وواو وبزنة فعلان **فكان ما اخبر به** رسول الله صلى الله عليه وسلم **كما قال ووجد السحر على تلك الصفة** التي وصفها فهو من اخباره بالغيب بوحي من الله كما فصلوه وعن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة انه صلى الله عليه وسلم لما سحر قال اتاني رجلان فقعد احدهما عند راسي والاخر عند رجلي فقال احدهما لصاحبه ما وجع الرجل قال مطبوب اي مسحور قال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال في اي شي قال في مشط ومشاطة وجف طلع ذكر قال واين هو قال في بير ذروان فجاءها صلى الله عليه وسلم في ناس من اصحابه فاستخرجه فلما رجع قال يا عائشة كان ماءها نقاعة الحنا وكان روس نخلها روس الشياطين فقالت هلا احرقته يا رسول الله قال قد عافاني الله فكرهت ان اثير على الناس منه شرا فامر بها فدفنت قال ابو عبيدة هو عند المحدثين هكذا بير ذروان وقال ابن قتيبة عن الاصمعي هو خطا وصوابه اروان بالهمزة انتهى وفي القاموس بير ذروان بالمدينة وهي ذ واروان بسكون الراء وقيل بتحريكه انتهى وفي مسلم بير ذي اروان قال النووي وهو صحيح والاول اجود واصح ويحتمل ان الاول مخفف منه **واعلامه** صلى الله عليه وسلم **قريشا** كما رواه البيهقي عن الزهري في الدلايل **باكل الارضة** بفتحات دودة تاكل الورق وتكون منه اذا انطبق زمانا بحيث لا يدخله الهوا وهي صغار وتدعى انواعا ومنها ما يا كل الخشب فمن ثم فسرها هنا بعضهم بدويبة تاكل الخشب قال تعالى ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منساته والارض بالسكون مصدر ارض اذا كان به ارضة اصابته لها لم يطبق المفضل وليست هي الدابة المسماة سرفة كما قيل ولذا من قال انها سوس الخشب **ما في صحيفتهم** الاضافة للعهد اي الصحيفة المشهورة وسيأتي بيانها **التي تظاهروا بها** اي تعصبوا وتعاونوا وتوافقوا ثم على عهود كتبوها في تلك الصحيفة كما سياتي **على بني هاشم** وهم مختصون من قريش **وقطعوا بها رحمهم** اي قصدوا بما كتب في

عرضي ونجي

الصحيفة قطع رحمهم اى قرابتهم اى ابطلوا حقوق القرابة بينهم وبين بنى عمهم من بنى هاشم واصل الرحم مقر الولد ثم شاع فى القرابة حتى صار حقيقة فيها ولزها اى الارضة وهو معطوف على اكل الارضة اى واعلامه صلى الله عليه وسلم بانها اثبت فيها اى الصحيفة كل اسم لله دون غيره مما عاهدوا عليه لحقيته لانه باطل واثبت اسم الله تبركا وتأدبا وهذا على احدى الروايتين والاخرى تنافى وتوجيهها فوجدوها كما قال صلى الله عليه وسلم واخبره عن الغيب فهو من معجزاته وما ذكره المصنف من انها ابقت اسم الله تأدبا ومحت غيره للاشارة الى انه امر باطل على احدى الروايتين كما علمت وفى رواية اخرى انها لحست اسم الله وابقت غيره من عهودهم الفاسدة للاشارة الى ان الله برئ منهم وانه لا يليق ذكر اسمه بين ذكر عهودهم ولكل وجهة والروايتان ذكرهما ابن سيد الناس فى سيرته فاذا صحت الروايتان اشكل ذلك لان القصة واحدة والصحيفة واحدة وقول البرهان فى التوفيق بينهما ان لم تقل ان رواية انها لحست اسم الله اقوى والقول انما هو عليها انه كتب نسختان علقت احداهما فى الكعبة والاخرى كانت عندهم بعيد اذ لم يقع ذلك فى رواية اصلا وقد قيل ان كاتبها شلت يده وهو منصور بن عكرمة وقيل بغيض بن عامر بن هاشم وحاصل قصتها انهم لما اشتد عليهم امره صلى الله عليه وسلم واشتد على المسلمين فهزهم اراد واقتله فلم يرض به ابو طالب وبنو هاشم فقالوا اما ان تسلموه لنا او نقتل ولد اعبد منا فى الشعب بحيث لا يعاملوننا ولا يجتمعون معنا فرضوا بذلك وكتبوا العهد صحيفة علقوها فى الكعبة وكان كلما جاء اهل البادية بمتاع منعوهم عنهم فمكثوا ثلاث سنين كذلك حتى ضاق عليهم الحال وندم بعض قريش واراد نقض العهد فبيناهم كذلك اذ قال النبى صلى الله عليه وسلم لابى طالب يا عم ان الله ابطل عهدهم واكلته الارضة فخرج اليهم فطلبوا انه انام ليسلم لهم النبى صلى الله عليه وسلم فاخبرهم بالقصة فاتوا بالصحيفة فوجدوها كما قال فاذن لهم بالخروج من الشعب على ما فصل فى السير وكان ذلك مما اطلعه الله عليه من غيبه وهذا يقتضى صحة ما قاله المصنف وان الرواية الاخرى غير ثابتة عنده وعلى كل حال فلم يجد ما يشفى الصدور ووصفه للكفار قريش بعد الاسرا كما تقدم تفصيله بيت المقدس مفعول وصف وقوله حين كذبوه فى خبر الاسرا اى فى اخبارهم انه اسرى به لبيت المقدس ونعته اياه اى بيت المقدس نعت من عرفه بالنصب مفعول نعته والنعت والوصف متقاربان والمصدر بينهما تفننا وقيل النعت يقال فى غير الله ولا يقال نعت الله ذكره بعض النحاة ولم يذكر له وجها واعلامهم بالجر اى اعلام الكفار بعيرهم بكسر العين اى قافلتهم من عار بمعنى سار واما بالفتح فهو الحمار وليس مرادا هنا التى مر عليها فى طريقه لما رجع من الاسرا وانذارهم بوقت وصولها لهم والانذار هنا بمعنى الاعلام مجازا واصله التخويف والاخبار بما فيه خوف ضد التبشير كما تقدم ومن فسره بالتخويف هنا لم يصب بمعنى قوله صلى الله عليه وسلم انها تقدم وقت كذا يقدمها جمل اورق كما مر فكان ذلك كله اى وجد ووقع كما قال صلى الله عليه وسلم من غير زيادة ولا نقص فيما اخبر به وقد قدمنا تفصيله ثمة فلا حاجة لاعادته الى ما اخبر به من الحوادث

اى

اى ما تقدم لنبينا او بعض لغيره مما اخبر به مما سيحدثه الله بعده من الامور التى تكون فى المستقبل ولم تأت بعد مبنى على الضم اى لم تقع عقب اخباره بل بعده بازمان متباعدة بعضها ظهرت معجزاته قديما وبعضها لم تظهر فاذا جاء الاوان تجيء فان خبره صلى الله عليه وسلم لا يتخلف والى ذلك اشار بقوله منها ما ظهرت مقدماته بكسر الدال اى علاماته المتقدمة عليه كقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه ابو داود فى سننه عمران بيت المقدس بضم العين مصدر كالغفران بمعنى كونه معمورا بتمام بنائه وكثرة سكانه وذلك باستيلاء الكفرة عليه وتغييره وتقدم معنى كونه مقدسا بما فيه وهو مبتدأ خبره خراب يثرب بالمثلثة ومنع الصرف وهو اسم المدينة الشريفة وحمله عينه مبالغة كقولهم عنايته السيف وليس المراد التشبيه فالحمل فى قوله عمران بيت المقدس خراب يثرب وما بعده على طريق المجاز فى النسبة الاسنادية بجعل ما يقرب من الشئ وبلا صقه كانه هو بعينه فلا يقال انه غيره فكيف اخبر به عنه وخراب يثرب الذى يعقبه بيت المقدس خروج الملحمة اى ظهورها والملحمة بميم وحاء مفتوحة ولام ساكنة مهملة وهى موضع المعركة والقتال ويكون بمعنى الحرب نفسه كما فى النهاية الاثيرية وفى الصحاح انها الوقعة العظيمة فى الفتنة من اللحم بمعنى اشتباك ودخل بعضه فى بعض كالسدا واللحمة او من اللحم لكثرة لحوم القتلى فيها ومنه الملحمة اسم كتاب يذكر فيه احكام النجوم واثار الجو من السحاب ونحوه والمراد به الفتن العظيمة والهرج الذى يكون فى اخر الزمان وخروج الملحمة فتح القسطنطينية وفى نسخة قسطنطينية بغير الف ولام وبعد النون الثانية يا مشددة وتخفف وهى مدينة عظيمة هى قاعدة ديار الكفر وكرسيها وهى منسوبة لقسطنطين اسم اول ملك بناها وفيها لغات بضم القاف وفتح الطاء الاولى وضمها مع تخفيف اليا الاخيرة وتشديدها وحذفها فهى ست وقعت فى الحديث بالالف واللام واستعملها الناس بحذفها تقول حتى انوى من فتح قسطنطينية على حسطان قسطنطينية الاعصار وهى المسماة برومية وقد اختلف هل فتحت هذه ام لا فقيل فتحت فى زمن الخلفاء والاصح انها انما تفتح فى اخر الزمان قبل خروج المهدى وهو الذى صححه القدسى فى كتاب الدرر فى اخبار المهدى المنتظر والذى اوقعهم فى اللبس اشتراك الاسم فانه سمى بها مدن متعددة والمذكور فى هذا الحديث مما يكون اذا قرب نزول عيسى عليه الصلاة والسلام وما معه من الاشراط واليه اشار بقوله ومن اشراط الساعة وامارات حلولها معطوف على قوله من الحوادث والاشراط جمع شرط بفتحتين وهى العلامة والمقدمة وهى والاية بمعنى وقيل هى ما ينكره الناس من صغار امورها وعلامات القيامة التى تكون فى اخر الزمان كالدجال ودابة الارض وغيرها مما هو مشهور غنى عن البيان وهذا كله مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات وقد فصله القرطبى فى تذكرته وذكر النشر والحشر الذى هو اخر الاشراط واخر الدنيا اذ ينفخ فى الصور والنشر للميت اى حياتهم من قبره من نشر الثوب اذا انبسط قال الشاعر

طوتك خطوب دهرك بعد نشر ... كذاك خطوب دهرك طيا ونشرا

والحشر سوق الناس الى المحشر للحساب **واخبار الابرار** بالجر اى مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما ورد فى الحديث من اخباره عن صلحا امته ونجباء هم او اخبارهم بما يبوهم ونشر بما عنهم واخبار غيرهم بما يسوءهم وينكبهم فاخبار بفتح الهمزة جمع خبر او بكسرها مصدر اخبر والابرار جمع برّ او بار كرب وارباب وصاحب وصحاب وهو المتقى الصالح **والفجار** جمع فاجر وهو الفاسق المجاهر بالمعاصى والمعنى انه صلى الله عليه وسلم اعلم امته بما سيكون فيهم وهو كثير فى الاحاديث **والجنة والنار** اى ذكر احوالها واهلها وما سيكون فيها **وعرصات القيمة** بفتحات جمع عرصة بسكونها وهى كل موضع واسع لا بنا فيه اى مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما ورد فى الحديث من بيان مواقف القيمة وعرصاتها ووصفها بصفاتها **ويحتب هذا الفصل** البارلوية كما فى قولهم يحسبك درهم وهو بكون السين المهملة مبتدا خبره **ان يكون ديوانا** اى كتابا مدونا مستقلا وقد تقدم لفظ الديوان ومعناه وهذا الفصل اشارة الى الفصل المعقود لاخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيبات وهذا عبارة عن المبالغة فى كثرته كما ذكره فى اوله وانه لو الف فيه تاليف مستقل دون غيره من معجزاته امكن امر اعتزابها **مفردا** عن غيره من المعجزات **يشتمل** ذلك الديوان المفرد له **على اجزا** بتمييز انواعه وافراد كل نوع بباب **وحده** منفرد اى بينها ثم اعتذر لعدم افراده بالتاليف بقوله **وفيما اشرنا اليه** اى ما ذكره فى هذا الفصل منه وهو خبر مقدم **نكت من نكت الاحاديث التى ذكرناها** اى لطايف ودقايق تغنيه وقد تقدم بيان النكت مفصلا وقوله **كفاية** مبتدا مؤخر ولو حذف قوله نكت كان احسن لانه اذا كان مبتدا كان قوله كفاية مبتدا اخر او بدلا وصفة لها وبليد يا فيه وكلفه تكلف اى العذر الذى اقتصر عليه المصنف كاف عن افراده بالتاليف **واكثرها** اى النكت المذكورة فى هذا الفصل منقول **فى الصحيح** من كتب الحديث المعتمدة **وموجود عند الايمة** من علما الاثر ومشايخ المصنف وفى تعبيره بالاكثر اشارة الى ان فيه ما هو ضعيف او لم يثبت كما بيناه لك فى اثنا شرحه

فصل فى عصمة الله صلى الله عليه وسلم من الناس

اصل معنى العصمة الامساك والمنع قال الراغب الاعتصام التمسك بالشى واستعصم استمسك كانه طلب ما يعتصم به من ركوب الفاحشة وعصمة الله للانبيا حفظه اياهم بما خصهم من صفا الجوهر ثم بما اولاهم من الفضايل الجسمية والنفسية ثم بالنصرة وتثبيت اقدامهم ثم بانزال السكينة عليهم وبحفظ قلوبهم وبالتوفيق انتهى يعنى ان حقيقتها التمسك ثم صار حقيقة فى المنع عن ارتكاب المعاصى وفى الحفظ عن نيل المضرة من اعدايهم والمراد هنا المعنى الاخير كما اشار اليه بقوله **وكفايته من آذاه** اى كفاية الله اياه بحفظه ممن قصد اذيته والمراد بالناس ما يشمل الانس والجن فانه ورد بهذا المعنى كما ذكره فى تفسير المعوذتين او خصهم لانهم الذين عادوه صلى الله عليه وسلم وقصدوا اذيته وقوله من اذاه من ذكر العام بعد الخاص ليشملهم صريحا واستشهاده

واستشهاده له بقوله **قال الله تعالى والله يعصمك من الناس** يقتضى انه لم يقصد الاخير بحسب الظاهر وهذه الاية وسورتها مدنية على الاشهر وقال العلامة الخيضرى فى الخصايص بعد ما روى عن ابن عباس وغيره انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج بعث معه ابو طالب من يحرسه حتى نزلت هذه الاية فقال له يا عماه ان الله عصمنى من الجن والانس فلا حاجة لى بمن تبعثه معى وهذا يدل على انها مكية وفى مسلم عن عايشة ارق رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اى عند قدومه فقال ليت رجلا صالحا من اصحابى يحرسنى الليلة فسمعت صوت السلاح فقال من هذا قال سعد بن ابى وقاص جئت لاحرسك فنام حتى سمعنا غطيطه وروى الترمذى عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت الاية الخ وهذا يدل على انها مدنية فيحتاج للجمع وكونها نزلت مرتين معينين فالناس على الاول اهل مكة وعلى الثانى اعم خلاف الظاهر قال اهل المعنى ان هذا الذى كان يخشاه نفس منه القتل لا الالم فلا يرد عليه انه اذا اعصم لم لبس الدرع وشج وكسرت رباعيته وكان يحرس مع انه قيل انه كان يفعل ذلك لاقتدا الامة به واخذا بالحزم وكسر الرباعية والشج قيل انه لحكمة وهى كما سراه لمشاركة المومنين فى المصيبة تسلية لهم عما نالهم من فقد احبابهم وليشتد غيظهم على الكفار فيشتد بطشهم بهم انتهى واما العصمة عن الذنوب فسياتى فى محله والى ما قدمناه اشار فى الكشاف ومن لم يفهم كلامه اعترض عليه بما لا يحصل له وقد تقدم انه صلى الله عليه وسلم سم بخيبر وقال انه سبب موته لقوله اكلة خيبر قطعت ابهرى وقالوا لوا حكمته ان ينال اجر الشهادة ورتبتها مع مرتبته العلية فيرد هذا على ما قالوه واجيب بان الله كفاه قتله بالسم حين اكله فلم يؤثر فيه فلما قضى اجله اثر فيه ليتم له مقامه وليس لاحد حظ فيه والقول بان الشج وغيره كان قبل نزول الاية بنا فيه ثبوت انها نزلت بمكة ولا مانع من ضمان الله عصمته بوحى غير متلو بمكة وضمانها بالمتلو بالمدينة انتهى ولا يخفى ما فى كلامه كما يعلم مما مر وقصة السم غير واردة على العصمة من القتل لان المفهوم منه حفظه عن ان يقتله عدوله مجاهرة بالبطش فيه بسلاح ونحوه خصوصا ولم يظهر له اثر حال اكله ولا بعده بما يطلع عليه اعداوه وانه كان بالسراية بعد زمان طويل ومثله لا يعد قتلا **وقال تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا** امره بالصبر على اعباء الرسالة ومشقة تبليغ ما امر بتبليغه ثم سلاه بان لا يخاف من احد فانه محفوظ بعين العناية من الله فاستعار العين للحفظ وجمعها جمع قلة لانه محفوظ من جهاته الست ومن ظاهره وباطنه وهذا اظهر مما فى الكشاف وما قيل انه للمبالغة والتاكيد قال الراغب يقال فلان بعينى اى احفظه وارعاه نحو لهم هو منى بمراى ومسمع وقوله واصنع الفلك باعيننا اى بحيث يرى ويحفظ وفيه كلام مفصل ليس هذا محله **وقال اليس الله بكاف عبده** فيه اثبات لكفاية الله له على ابلغ وجه لانه استفهام انكارى وهو نفى بمعنى ونفى النفى اثبات بمعنى ان عباده يحفظون عهودهم ويكفيه انه حفظ عبده ولما كان العهد عنه معنى هنا اشار بقوله نقلا عن السلف

ابن الفرس

عرص
ربية

انه قيل ان معناه **بكافٍ محمداً** المراد بعبده لان الاضافة عهدية **اعداء المشركين**
وهذا يكون دالاً على المقصود ومطابقاً لما تقدم وما قيل من انها نزلت لما ان اولا له
صلى الله عليه وسلم انا نخاف ان تخبلك الهتنا لكونك تعيبها ليس مطابقاً لهذا المقام
وقوله اعداء المشركين اياه **وقيل** في تفسير هذه الاية **غير هذا** كالقول ان المراد
انه تعالى تكفل بارزاق جميع عباده بصيغة الجمع **و**ما يدل على عصمة الله قوله تعالى
انا كفيناك المستهزئين الهزء والسخرية والتهكم على سبيل التحقير والمراد بهم نفر من
قريش كانوا يؤذونه صلى الله عليه وسلم ويهزؤن به فاهلكهم الله لما اشتدت اذيتهم
ودعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بينه المفسرون والمحدثون في تفسير هذه
الاية وهذا نوع من حفظ الله له بتعجيل اهلاك عدوه وقد تقدم الكلام على هذه الاية
وبيان هؤلاء المستهزئين وذكر هلاكهم والمقصود من ذكر هذه الايات الاستدلال على ما
عقد له الفصل بما يدل عليه وبذكر بعض افراده المثبت لمراده **وقال واذ يمكر بك الذين
كفروا الاية** وقد تقدمت هذه الاية وبيان معناها وانما اتى بها المصنف هنا استشهاداً
على عصمة الله له كما هو دابه والمكر الحيلة والخداع ولا يوصف به الله الا مجازاً على طريق
المشاكلة وفيها اشارة لما كان منهم بدار الندوة وهو مشهور غير محتاج للبيان واعلم
ان الشيخ الاكبر قال في بعض رسايله ان الله كما عصم نبينا في حياته عصمه بعد وفاته في المنام
بعد وفاته من دعاية الشيطان التخيلي وتمثله في صورته فعصمه لذاته معصوم من ان
تؤذيه الاحلام وعبارته كل من يرى في المنام فتمثله في خيال الراي الملك او النفس او
الشيطان الا الانبيا عليهم الصلاة والسلام فان الشيطان لا يتمثل به عصمة لهم كما كانوا
في حياتهم معصومين في البواطن من القايه فانسحبت عليهم حياة وموتاً في المحل الذي كانوا
معصومين فيه والرؤيا والنوم من عالم الباطن انتهى ثم شرع في ذكر الحديث الذي
رواه الترمذي عن عايشة فقال **القاضي الشهيد ابو علي الصدفي** الاندلسي
المعروف بابن سكرة ووصف بالشهيد لانه استشهد في وقعة بالاندلس وقد تقدم
الكلام عليه وترجمته والصدفي بفتحتين نسبة لصدف بفتحتين قرية بالمغرب قيل وان
قرأت عليه لا بالاجازة **والفقيه الحافظ ابو بكر محمد بن عبد الله المعافري**
هو القاضي ابو بكر بن العربي ويقال ابن عربي ايضاً معرفاً ومنكراً او بعضهم يخصه
بالتعريف ويقول ابن عربي بدون ال هو الشيخ محي الدين الصوفي نفعنا الله به
وهذا المذكور هو محمد بن عبد الله صاحب التصانيف الجليلة وابوه من كبار اصحاب
ابن حزم الظاهري وابنه ممن اخذ عن الغزالي وغيره ورحل لملاقاة الكبار والاخذ
عنهم وتوفي بفاس في ربيع الاخر سنة ثلاث واربعين وخمسماية ونسبته لمعافر بفتح
معجمة وفا وراء مهملة وجيم مفتوحة وحكي في اسم الحي الضم وانكره ابن السكيت حي
من همدان هو بلده دالا منصرف والبه تنسب الثياب المعافرية **قالا حدثنا ابو الحسين
الصيرفي** المبارك بن عبد الجبار والحسين بالتصغير وما في بعض النسخ الحسن مكبراً
خطأ من الناسخ وقد تقدمت ترجمته **قال حدثنا ابو يعلى البغدادي** بفتح المثناة

التحتية

التحتية واللام والقضية للمدينة المعروفة **قال حدثنا ابو علي السنجي** نسبة لسنج
بسين مهملة مكسورة ونون وجيم وهي قرية بمرو **قال حدثنا ابو العباس المروزي**
وهو محمد بن احمد بن محبوب راوي الترمذي وقد تقدم **قال حدثنا ابو عيسى
الحافظ** ابن سورة الترمذي صاحب السنن امام الحديث المشهور وشهرته تغني عن
ذكره **قال حدثنا عبد بن حميد** بلا اضافة لعبد وقد تقدم **قال حدثنا مسلم
ابن ابراهيم** الازدي الفراهيدي ابو عمرو الامام الحافظ الذي اخرج له الستة
توفي في سنة مايتين واثنين وعشرين **قال حدثنا الحارث بن عبيد** ابو قدامة الايادي
البصري له ترجمة في الميزان **عن سعيد بن الجريري** بضم الجيم وفتح الرا كالمصغر
نسبة لجرير بن الضبي كما في الكاشف للذهبي عابد وترجمته في الميزان **عن عبد الله بن شقيق**
التابعي العقيلي من كبار التابعين توفي سنة مائة او ثمان وماية **عن عايشة قالت كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس** بصيغة المجهول اي يحرسه الصحابة رضي الله عنهم
في وقت الحاجة لذلك كالليل ووقت القيلولة اذا كان نايماً في خيمته **حتى نزلت هذه
الاية والله يعصمك من الناس** ونزولها بالمدينة لان سورة المايدة من اخر ما نزل
وتقدم القول اخر بانها مكية لكن الصحيح خلافه وفي بعض الحواشي عن ابن عرفة انهم
اختلفوا في صحة الدعا بالعصمة لغير النبي صلى الله عليه وسلم والاية تدل على صحته لان
العصمة مقولة بالتشكيك وقد كان صلى الله عليه وسلم معصوماً قبل نزولها والمراد بالناس
الكفار فهو عام مخصوص ولا مانع من ابقايه على عمومه لان من المسلمين من يتصور اذيته له
من غير قصد انتهى قلت قال شيخ والدي الشهاب ابن حجر في شرح الارشاد اختلف في
سوال العصمة فقيل يجوز لقول ملك وانت في الرسالة نسالك العصمة وكذا قول
الشاذلي نسالك العصمة في الحركات والسكنات وفي الحديث اذا دخل احدكم المسجد فليسلم
على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم اعصمني من الشيطان وقيل يمتنع والحق انه ان
سال التوقي عن جميع المعاصي والرذايل في جميع الاحوال امتنع لانه طلب مقام النبوة فان
قصد التحصن عن افعال السوء فلا باس به انتهى وهذا كله غير مهذب لان العصمة لها معنيان
احدهما الحفظ من اذية الناس والثاني حفظه في نفسه عن ارتكاب المعاصي وكل منهما
يكون مقيداً ومطلقاً فان قيد فهو جايز فيهما كاللهم اعصمني من الكذب او الزنا او اللهم
احفظني من اسر الكفار واعصمني من كيد الشيطان والفجار ومطلق فيهما ولا مانع منه
ايضاً اذا لاحظ ان يقول اللهم اعصمني من جميع الذنوب او من جميع الناس فانه امر مطلوب
وقوله انه طلب مقام النبوة كلام واه والذي اختصت به الانبيا عليهم الصلاة والسلام
وتوجه لهم لا طلبه فقد خلط هؤلاء المصنفين ولم يفرقوا اعلى الفرق بين المقامين فاعرفه
فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من القبة بالضم وتشديد الموحدة وهي
كل مرتفع من البنا او الخيمة والخيام وقيل اذا علا وليس معناه ما هو مستدير على شكل
كرى كما تفهمه العامة فانه عرف طارى والمراد به هنا خبا كان فيه صلى الله عليه وسلم في بعض
اسفاره وقيل انه بيت صغير مستدير من الخيام وبيوت العرب ومن يحرسه من الصحابة

ناس كثيرون عدهم النجاني في شرحه ولا يترتب عليه فائدة هنا فلذا تركناه فقال لهم ايها الناس انصرفوا من حولي واتركوا احراسي فقد عصمني وحفظني ربي عز وجل فلا حاجة لي ان يحرسني الناس وروي بصيغة المجهول انه صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اي اقام به زمانا اختار له اصحابه شجرة يقيل تحتها من قال يقيل قيلولة اذا نزل في وقت القائلة وهي الظهيرة وما قرب منها للاستراحة سواء نام ام لا وان كثر فيها النوم فاتاه اعرابي هذه فا تصحيفه اي ذا تحتا روا له في بعض اسفاره شجرة ليقيل لتنزل تحتها وليس معه من يحرسه فاتاه الخ والاعرابي رجل من اهل البادية تقدم بيانه فاخترط سيفه اي سله واخرجه من قرابه ليضربه به وضمير سيفه اما للاعرابي فهنا سل سيفه لاصحه او للنبي صلى الله عليه وسلم فانه كان سيفه معلقا بالشجرة فلما هجم عليه الاعرابي اخذه وسله وهو صريح ما يأتي في لفظ رواية الصحيحين واصل معنى الاختراط اذا اما على الغضب من ورقا وقشر وشبه اذا اغمده بذلك او هو من اخترطه اذا اخرجه من خريطته يجعل الغمد كالخريطة ثم قال الاعرابي بعد اختراطه له صلى الله عليه وسلم من يمنعك مني الاستفهام انكاري بمعنى النفي اي لا يمنعك مني احد لاني رحلت على حين غفلة وليس معك احد وعطف بثم والظاهر الفاء اذ لا مهلة هنا فاما انه يكون تربص لينظر ما يصنع او كان اتاه من خلفه او استعمل ثم بمعنى الفاء وهو كثير فقال الله اي يمنعني الله او الله يمنعني وحافظي فارعدت يد الاعرابي ووقع في بعض النسخ بالهمزة المضمومة مبني للمجهول اي اصابته رعدة بكسر الرا وفتحها وهي اهتزاز البدن واضطرابها من غير قصد لشدة الخوف وقال العلماء في انه الصواب يعني لا رعدت الثلاثي وهو خطأ منه فان الذي صححه البرهان انه رعدت ثلاثي مبني للمفعول وتبعه الشمني وغيره وقال لو انه من الافعال التي لم يسمع فيها الا المجهول كحجن ونحو الموافق للدراية والعقد وسقط سيفه من يده لشدة ارتعاده من خوفه وضرب ذلك الاعرابي براسه الشجرة لما اعتراه من ذهاب عقله فلم يزل ينطحها حتى تكسر عظم راسه وسال دماغه لما كسر قحفه الذي كان فيه الدماغ فنزلت الاية المذكورة والله يعصمك الخ وسيلان دماغه لانه كالدهن فلما انكسر راسه سال منها وليس فيه كما توهم حذف لتذهب النفس كل مذهب ممكن اي سال دما او نحوه وهذا الحديث بهذا اللفظ لم يوجد في الكتب المعتبرة عند اهل الاثر ولم يذكروه في اسباب النزول واليه اشار بما يقوله وقد روت هذه القصة يعني قصة الاعرابي في الصحيح اي في الحديث الصحيح او في صحيح البخاري وان غورث ابن الحارث وفي نسخة غويرث بالتصغير وغورث بغين معجمة مضمومة وواو ساكنة وراء مهملة مفتوحة في المكبر ومثلثة صاحب هذه القصة وان النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه وهذا يخالف ما قبله في تلك الرواية من انه ضرب براسه الشجرة الخ اذ صريحها انه هلك بذلك السبب فينافي العفو عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس لما رواه من حلمه وعفوه عنه مع قدرته عليه وهذا

الحديث

الحديث رواه البخاري ومسلم عن جابر رضي الله عنه قال غزونا قبل نجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قفلنا ادركتنا القائلة في واد كثير العضاه فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس يستظلون بالشجر ورسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة علق بها سيفه ونمنا نومة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا وعنده اعرابي فقال ان هذا اخترط سيفي وانا نائم فاستيقظت وهو في يده مصلتا فقال من يمنعك مني فقلت الله عز وجل ثلاثا ولم يعاقبه وروي انه فشام السيف اي اغمده وفي سيرة ابن سيد الناس ان غورث رجل من محارب قال لقومه الا اقتل لكم محمدا اتيتك به فاقبل اليه وسيفه في حجره فقال يا محمد اعطني سيفك انظر اليه فاعطاه له فاستله وجعل يهزه ويهم به فيمنعه الله فقال يا محمد اما تخافني وفي يدي السيف قال لا يمنعني الله منك فرد السيف فانزل الله يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم الاية وروي ان السيف سقط من يده فاخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له من يمنعك مني فقال له كن خير اخذ واسلم ورجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وقد حكي مثل هذه الحكاية وفي كثير من النسخ حكيت مثل هذه الحكاية بتاء التانيث لان المضاف يكتسب التانيث من المضاف اليه كقوله كما شرقت صدر القناة من الدم وهو كثير وجعله صفة مؤنث مقدر اي حكاية مثل هذه الخ كما قيل تكلف لا حاجة اليه وفي بعض النسخ وقد حكيت هذه الحكاية وهي ظاهرة بحسب اللفظ والاولى اظهر بحسب المعنى وانها جرت له صلى الله عليه وسلم اي وقعت يوم بدر اي في وقعة بدر يقال جرا لنا كذا اي وقع وهو مجاز من الجري فاستعير لما ذكر ثم حقق صار حقيقة عرفية فيه وقوله وقد انفرد من اصحابه جملة حالية من ضميرله اي منفردا عنهم لقضاء حاجته كناية عن البراز مشهورة فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله بالنصب مفعول ذكر ومما تقدم له في سل سيفه وقوله من يمنعك ونحوه مما ذكر قبله وهذا الرجل لا يعرف كما قال البرهان والحديث لم يخرج ايضا وقد روى رواه ابن اسحاق في سيرته عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما انه وقع له صلى الله عليه وسلم مثلها اي مثل هذه الحكاية والواقعة في غزوة غطفان بغين معجمة وطاء مهملة مفتوحتين وهي قبيلة مشهورة غزاها النبي صلى الله عليه وسلم في سرية نحو اربعمائة وخمسين فارسا في ربيع الاول بعد خمسة اشهر من الهجرة بذي امر بهمزة وميم مفتوحتين وراء مهملة وهو اسم مكان ويسمى غزوة غطفان وغزوة انمار وغزوة ذي امر وانما راسم ذلك المكان ايضا مع رجل متعلق بوقع اسمه دعثور بضم الدال وسكون العين المهملتين ومثلثة وواو ساكنة وراء مهملة وهو علم بزنة بهلول منقول من اسم الحوض الصغير ابن الحارث وهو رجل من بني محارب وتقدم ان غورث بن الحارث وقال ابن سيد الناس في غزوة ذات الرقاع ان الخبر بن الرجلين واحد وكان جمع بني ثعلبة ومحارب للاغارة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمع بذلك خرج لحربه واستخلف على المدينة عثمان بن عفان فهربوا في رؤوس الجبال وكان قبل

Margin notes: عرض (beside the line beginning "صدر القناة"); دلي (beside the line beginning "الاية المذكورة").

ذلك يحكي انه يهجم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غرته ويقتله فكان منه
مثل هذه القصة وروى ان الرجل اسلم فلما رجع الى قومه الذين اغروه به
اي حرضوه على الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم فعصمه الله منه وكان ذلك الرجل
سيدهم واشجعهم جملة معترضة بين لما وجوابها بيان لسبب اغرائهم له واقدامه على
ذلك قالوا له جواب لما اين ما كنت تقول انكار عليه لما هرب وقد كان يقول
اني اقتل محمدا وقد امكنك فاعله ضمير مستتر يرجع لما وامكنه الامر اذا لم يمنعه مانع
فصار ممكنا له ويجوز ان يكون للنبي صلى الله عليه وسلم لعلمه من السياق اي تمكنت منه
لمصادفته له وحده ومعه سيف مسلول في يده فقال اني نظرت الى رجل ابيض
طويل حال بيني وبينه ودفع في صدري فوقعت لظهري اي وقعت على ظهري لشدة
دفعه وقوته وسقط السيف الذي كان بيدي من يدي فعرفت انه اي الرجل الذي
دفعني ملك لانه لم يكن ثمة احد حتى تحمل عليه ولان قوة دفعه ومهابته ليست
مما عهدته واسلمت لما شاهدته مما يدل على نبوته قال ابن اسحاق اصابه صلى الله
عليه وسلم في بعض اسفاره مطر فنزع ثوبه ونشره على شجرة ليجف واضطجع تحته
فقالوا لدعثور امكنك محمد فعليك به فاقبل بسيفه حتى قام على راسه وقال من يمنعك
اليوم مني فقال الله فتمثل له جبريل عليه الصلاة والسلام ودفع في صدره فوقع سيفه
فاخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له من يمنعك مني فقال لا احد وانا اشهد
ان لا اله الا الله وانك رسول الله ورجع لقومه ودعاهم للاسلام قيل وفيه اي في هذا
الرجل وقصته نزلت هذه الاية يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم الاية
وفي سبب نزولها اقوال اخر فقيل نزلت بعسفان لما شرعت صلاة الخوف وقيل في بني قريظة
وقيل في بني النضير كما سياتي وفي رواية الخطابي وهو حمد او احمد بن محمد بن
ابراهيم الامام الجليل في العلوم الشرعية ينتسب لجده الخطاب وقيل لزيد بن الخطاب
اخي امير المومنين عمر رضي الله عنه وتاليفه جليلة مشهورة ككتاب الاثار وشرح
السنن وغيره ان غورث بن الحارث المحاربي منسوب لمحارب القبيلة المشهورة
وفي نسخة غويرث بالتصغير كما تقدم وقد مر ان ابن سيد الناس قال في غزوة
ذات الرقاع في دعثور بن الحارث ان المذكور في غزوة ذي امر من الخبر يشبه هذا
الخبر فالظاهر انه الخبر واحد وقال الذهبي في التجريد دعثور بن الحارث الغطفاني
الاشبه انه غورث وقال البرهان انه صحف عليه فهو غورث غلط وفي هامش
نسخه من الشفاء عوض دعثور غورث وعليها علامة نسخة وصحت ايضا انتهى وهو
كلام مضطرب يحتاج للتحرير اراد ان يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم الفتك مثلث
الفا من الفتك وهو الهجوم من حيث لا يشعر به على امر عظيم فيه مخاطرة ويطلق ويراد
به القتل مطلقا وقيل الفتك القتل مجاهرة فلم يشعر به اي لم يعلمه ويحس به في حال من
الاحوال الا وهو قائم على راسه المراد فيما مر على راسه وقوله خلفه متصلا به
منتضيا بضاد معجمة ومثناة تحتية اي مجردا او سالا سيفه ليضربه به فقال

قال صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنيه بما شئت الضمير لغورث وبما شئت ما موصولة
عايدها مقدر اي بالامر والسبب الذي شئته واردته والمراد تفويض امركفايته الى
الله وتسليم امره له كما ورد اللهم اكفنا السوء بما شئت وكيف شئت وهو اقرب الى الاجابة
من تعيين ما يدفعه عنه فعقيب قوله من غير مهلة انكب لوجهه اللام بمعنى على اي
سقط على وجهه يقال كبه فاكب وانكب اذا وقع وثلاثيه متعد ومزيده لازم على خلاف
القياس واللام بمعنى على كما في قوله تعالى يخرون للاذقان وقوله من زلخة
متعلق بانكب والزلخة بضم الزاي المعجمة وفتح اللام المشددة وخاء معجمة كقبرة وروى بعضهم
تخفيف لام زلخة وفي الطهر زلخها بضم الزاي وتشديد اللام المكسورة وخاء مفتوحة
معجمة وقاف مصغر للزلخة وقراه بعضهم بالجيم وهو غلط كما قاله الخطابي وهو ماض مجهول
متعد لمفعولين من باب اعطى وفاعله الله والمراد اوجعها الله حتى سقط السيف وقوله
بين كتفيه لا بيانا في تفسير الزلخة المذكور فان ما بين كتفيه من اعلى الظهر فهو تاسيس
واشارة لعلة سقوط سيفه فانه اذا اشتد الكتفين ضعفت اليد عن حمله وندر سيفه من
يده اي من داخل قبضة كفه واصابعه وندر بنون ودال مهملة مفتوحتين وراء مهملة اي
سقط يقال ندر اذا خرج وسقط من جوف او من بين اشياء والزلخة وجع يحدث في الظهر
فيمنع الانسان من الحركة من الزلخ وهو الزلل ويقال لزحلوفة تلعب بها الصبيان وقيل
اي قال غير الخطابي في قصته اي قصة غورث غير هذا المذكور من ارادته الفتك
فانه روى انه جمع ناسا للاغارة على المسلمين فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم هربوا
في رؤس الجبال كما مر وان الامر الثاني فضميره متعدد فيه اي في غورث نزلت الاية
يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الاية وقيل كان صلى الله عليه
وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الاية وهي يا ايها الذين امنوا الخ وقوله والله يعصمك
من الناس استلقى اي نام صلى الله عليه وسلم واضعا ظهره على الارض لامنه اعداءه واطمينان
قلبه ثم قال من شاء فليخذلني تجاوز الد مضمومة معجمتين والخذلان ترك النصرة واللام
للامر وظاهره غير مراد فانه انشا بمعنى الخبر اي انى غني عن المعين والحرس لان الله تعالى
وعدني ان لا يضرني احد يصل الى ولذا استلقى على ظهره واظهر بعينه الامن والمبرى
من حوله وقوته اعتمادا على وعد الله وحكاه بقيل لانه يقتضي ان هذه الاية مكية لان خوفه
من قريش انما كان بمكة وسورة المائدة كلها مدنية على الصحيح وذكر النزول بعيد كما تقدم
وذكر عبد بن حميد الحافظ المشهور وقد تقدم بيانه وهذا رواه ابن جرير في تفسيره
مرسلا قال كانت حمالة الحطب وهي ام جميل بنت حرب بن امية اخت ابي سفيان بن
حرب زوجة ابي لهب وسميت حمالة لانها كانت تضع العضاة بمهملة وضاد معجمتين
واحدة العضا وهو شجر له شوك اذا وقد كان شديد الاحتراق فلذا قيل لو قنا ر العضا
لنار القوية وقوله وهي جمر يحتمل ان يكون تفسير العضا لانه يطلق على ناره كما يطلق
على محله قاله في الفضا والنار كنيه وان هم شبه بين جوانحي وضلوعه وان يكون
حالا من العضا وجمر بمعنى متوقدة اي تضعه حالة كونه جمرا على طريق رسول الله صلى الله

عليه وسلم ومره من بيته للحرم وغيره تقصد بذلك ان تبنى عليه فتؤذيه وتؤثر في
قدمه وقد قيل في تسميتها حمالة الحطب وجوها اخر مذكورة في التفاسير منها انه على
ظاهره ومنها انه عبارة عن النميمة وحمل الاوزار فكان صلى الله عليه وسلم وفي نسخ فكانما
يزيا دتها بطوها اي يضع قدمه على تلك القضاة وهو حاف او بنعل يؤثر مثلها فيه
فيجدها كثيبا بالمثلثة وشاة تحتية وموحدة وهو ما اجتمع من الرمل اهيل مبنى
للمجهول يقال هال الرمل اذا سال له ولم يجمد كالربوة والمثنى علوج اسهل والين اي بحرمة
صلى الله عليه وسلم سهلا لا يؤذيه كما كانت نار الخليل عليه الصلاة والسلام قال ابن نفيل
يتبين هيل النقا لانت جوانبه ... بها لحينا وبها ه الثرى حينا
وذكر ابن اسحاق امام اهل السير وهو محمد بن اسحاق بن يسار الامام الثقة الصدوق
وان طعن فيه بعضهم وترجمته مفصلة في الميزان وغيره انها لما بلغها نزول سورة تبت
يدي ابي لهب وذكرها حمد مرفوع معطوف على نزول بما ذكرها الله به مع زوجها
من الذم بيان لما وهو ما في السورة اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في
المسجد ومعه ابو بكر رضي الله عنه وفي يدها فهر بكسر الفا وسكون الها وراء مهملة وهو
حجر ملؤ الكف او هو الحجر مطلقا وهو في قوله يعني وحجر جوان فهرهم يبيت دراسهم كلمة معربة
اصلها بهر لبا وقوله من حجارة بيان لفهر فلما وقفت عليهما اي على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابي بكر لم تر الا ابا بكر واخذ الله ببصرها اي قبض وحبس نظرها عن نبيه صلى
الله عليه وسلم اي عن رؤيته وهو جالس عندها فاخفاه الله عصمة له صلى الله عليه وسلم عن
اذيتها وهذا يقتضي ان عصمته صلى الله عليه وسلم كانت ثابتة قبل الهجرة كما تقدم فقالت يا ابا
بكر اين صاحبك فقد بلغني انه يهجوني اي يذمني على ان الهجو لا يختص بالشعر حقيقة او مجازا
او هو منها لتوهمها انه شاعر كما ادعاه غيرها نزيد بدما نزل في حقها في سورة تبت
والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه حصته لانه محل النطق بذمها في حقها خاسية
وهذا رواه البيهقي وغيره عن اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما كما رواه ابن اسحاق
وروى ابو نعيم في الدلائل والطبراني بسند جيد عن الحكم بن ابي العاص والد مروان وهو
ممن اسلم عام الفتح وتوفي في خلافة عثمان وفي الصحابة من وافقه في اسمه واسم ابيه ولكن
المشهور هو هذا فلذا لم يميزه المص تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم اي تواعد هو وبعض
الكفرة على قتله صلى الله عليه وسلم والفتك به في بعض الليالي وخرجنا في الميعاد ووقفنا في قيد
حتى اذا رايناه اي لما قربنا وابصرناه بحيث يمكنا منه سمعنا صوتا اي صيحة عظيمة خلفنا
اي من خلفنا ما ظننا انه لم يبق بتهامة احد ما يحتمل ان تكون زائدة ان كان التقدير انه
لم يبق احد بتهامة الا وقد هلك بتلك الصيحة وان تكون نافية اذا اريد ان جميع اهل تهامة
صاحوا علينا صيحة واحدة وقد كنونا ليقتلونا فالمعنى انا ايقنا وجودهم خلفنا والمعنيان
متقاربان والمال واحد ولهم هنا كلام لم يتضح به المراد وتهامة بكسر التاء معناها ارض
منخفضة ويقابلها نجد من النجو وهو الانخفاض او شدة الحر والريح او لتغير هواها
تهم الدهر اذا تغير وهي ارض معينة وراء مكة من المغرب من ذات عرق الى البحر والمدينة
لانها منها ولا نجد به فوقعنا مغشيا علينا من هول تلك الصيحة والغشي كالاغماء
ذهاب العقل مع سقوط القوى فما افقنا من ذلك الغشي حتى قضى صلاته اي فرغ
منها واتمها ومضى الى اهله اي رجع صلى الله عليه وسلم من صلاته بالمسجد الحرام الى منزله
ليلا ولم نظفر منه بشيء اردناه ثم تواعدنا على ما قصدناه وان نعود لذلك ليلة اخرى
فجينا حتى اذا رايناه يقربنا وهو مار للمسجد ليصلي به كما في المرة الاولى جاءت الصفا
والمروة هما ربوتان مرتفعتان في محل سعي الحجاج معروفتان والمراد بمجيئهما تحركهما
من مكانهما حتى كانا بيننا وبينه صلى الله عليه وسلم كما بينه بقوله فحالت اي الصفا والمروة
بيننا وبينه فمنعنا من الوصول اليه لعصمة الله له والصفا كالمروة مونثة باعتبار البقعة
والربوة وان ذكرهما وكان الظاهر فحالتا وبلد بحالت كل واحدة منهما وفي هذا
معجزة له صلى الله عليه وسلم ظاهرة وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه تواعدت انا وابو
جهم بن حذيفة واسمه عامر وعبيد بن حذيفة بن غانم
ابن عامر العدوي اسلم عام الفتح وصحبه صلى الله عليه وسلم وكان معظما في قريش توفي في ايام
معاوية وترجمته معروفة وهو صاحب الانبجانية ليلة منصوب على الظرفية منون قتل
رسول الله صلى الله عليه وسلم منصوب على انه مفعول له او بنزع الخافض اي على قتله او
لقتله او بتقدير اي واضمرنا قتله ونحوه فجينا منزله لم لا جهنة فسمعنا اليه وفي
نسخة له وفي نسخة فتسمعت اي اطلنا السماع لا تكلفنا كما قيل وعداه بالحرف لتضمنه معنى
اصغينا لقراءته حتى نسمعها وهو يجهر في صلاة الليل فافتتح ابتدا قراءته وقرا الحاقة
ما الحاقة حتى انتهى الى قوله فهل ترى لهم من باقية يعني قوله كذبت ثمود وعاد بالقارعة
فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال
وثمانية ايام حسوما فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية والمراد
بالحاقة ما حق وقوعه بهم من الداهية او الساعة التي وقعت فيها من حق بمعنى وجب وثبت وقوله
وما ادراك ما الحاقة تهويل وتعظيم لها والطاغية الداهية المجاوزة الحد وهي الصيحة
او الرجفة وعاتية شديدة العتو والطغيان والحسوم ايام نحسة من صبيحة يوم الاربعا
الى اربعا اخر الشهر وقوله فهل ترى لهم من باقية استفهام بمعنى النفي اي ما ترى لهم بقية او بقاء على
انه مصدر بزنة فاعلة وهو قليل في كلامهم او نفسا باقية وضرب ابو جهم على عضد
عمر وقال لعمر انج اي تخلص لتنجو من وقوع الهلاك بك خوفا من ان يحل بهما ما حل بثمود
وعاد لانهما كانا مكذبين له كما كذب اوليك رسلهم وفراها ربين اي فاسا من محلهما
مسرعين حاديين في الهرب لخوفهما مما ذكر او هو كقوله فتبسم ضاحكا فهما ربين حال
موكدة وعلى الاول هو تجريد نحوي فكان اي ما ذكر من هذه القصة من مقدمات
اسلام عمر لتاثيرها في قلبه فاسلم بعدها بمدة يسيرة وهذا الحديث لم يوجد بهذا
اللفظ الا انه في مسند احمد بما يقرب منه وهو ان عمر رضي الله عنه قال خرجت ليلة لا
تعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان اسلم فوجدته قد سبقني الى المسجد فقمت
خلفه فاستفتح الحاقة فجعلت اعجب من تاليف القران وقلت والله ما هو الا شعر

كي قالت قريش فنفى الله بقوله انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون فقلت
هو كاهن فنفاه بقوله ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين الخ فوقع
الاسلام في قلبي كل موقع وليس فيه انه صحب اباجهل وفي التعبير بالتبعيضية اشارة
الى ان له مقدمات اخر الى ان اسلم لما سمع سورة طه في بيت اخته في قصته المشهورة
ومنه اي ما يشهد لان الله تعالى عصمه صلى الله عليه وسلم من اعدائه العبرة المشهورة
بكسر العين وسكون الموحدة وهو الامر العجيب الذي يعتبر به ويتعظ من الاعتبار
والعبرة هي الحالة التي يتوصل بها من معرفة المشاهد الى الغائب من العبور ومنه
العبارة واشار بقوله المشهورة الى انها ثابتة مشهورة بين المحدثين غير محتاجة الى
النقل من كتاب معين والكفاية التامة اي كون الله عصمه وصانه صيانة تامة ليست
كفايته غيره كما قال يا ايها النبي حسبك الله عنه ما اخافته قريش تفعل من الخوف وهو
توقع المكروه بمال خوفه واخافه اذا فعل او قال ما يدل على انه يهم بايقاع المكروه به
ونفره بقوله واجمعت على قتله اي اتفقوا على ذلك الا قليل منهم فلم يعيدوا وبيتوه
فعله اي قصدوا قتله وايقاعه ليلا في خفية قال الراغب التبييت قصد العدو ليلا وبيتا لكل
فعل دبر بالليل بيت قال تعالى اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وعلى هذا احديث لا
صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل وبات موضوعة لما يفعل بالليل كظل لما يفعل بالنهار
انتهى ويقال هذا امر بيت بليل اي دبر فعله ليلا لتوقع غيلته على غيره فخرج عليهم
صلى الله عليه وسلم من بيته وهم لا يشعرون كما رواه ابن اسحاق والبيهقي فنام على
رؤسهم اي وقف عندهم وهم نيام وقد ضرب الله على ابصارهم اي لم يحجبه دبروه
لاستغراقهم بالنوم وحجب عنه وقد كانوا احاطوا ببيته ليقتلوه عليه الصلاة والسلام
وذر بذال معجمة وراء مهملة مشددة اي نثر التراب على رؤسهم اهانة لهم وخلص منهم
اي نجا مما دبروه وهموا به واصل ذلك لما قال ابن عباس رضي الله عنهما ان قريشا حين اسلم
الانصار رضي الله عنهم خافوا ان يتبعا امره صلى الله عليه وسلم عليه الصلاة والسلام فاجتمع
كبارهم في دار الندوة واتفقوا على قتله وبيتوه فخرج عليهم وفعل ما ذكر وذهب الى الغار
مهاجرا الى الله كما فصل في السير وذكر فيها هؤلاء الذين اجتمعوا وبيتوا باسمائهم وانهم
نحو مائة وانه صلى الله عليه وسلم خرج من ظهر البيت وطاطات له جارية اسمها ريحانة ظهرها
حتى تسور الجدار الذي من ظهر البيت وحمايته اي حماية الله له صلى الله عليه وسلم وحفظه
لبعضه من اعدائه ومنعهم عن رؤيتهم اياه وابا بكر رضي في الغار اي غار ثور وثور اسم
جبل بمكة والغار كالمغار نقرة في الجبل كالبيت وسمي بثور بن عبد مناة لنزوله به
ويقال له ثور اطحل وهو اسم جبل اخر خلف احد بما حباه الله اي بما اعده ويسره له
والجار متعلق بحمايته والباء السببية العادية من الايات بيان لما اي المعجزات والعلامات
الدالة على نبوته وصدقه وعصمته ومن العنكبوت الذي نسج عليه نسج سنين في طرفة
عين والعنكبوت دويبة معروفة تذكر وتؤنث ونسجها خيوط دقيقة تمدها في الهوا
لصيد الذباب وانما يكون ذلك في مكان خال لا يرهب شيئا حتى قال امية بن خلف احد

صناديد

صناديد قريش وقد تقدم انه مات كافرا يشرف وهو اسم موضع معروف حين قالوا
اي كفرة قريش لما قصوا اثره صلى الله عليه وسلم وانتهوا الى فم ذلك الغار ندخل الغار
لنفتشه لاحتمال انه مختف به ما اربكم بفتح الهمزة والراء المهملة والموحدة ويجوز كسر
الهمزة وتسكين الراء وهو الحاجة المطلوبة وما استفهامية اي ما فيه اي ليس لكم مطلوب وهو
محمد صلى الله عليه وسلم ولا حاجة فيه اي في الغار وعليه اي على فم الغار ومدخله ورد
ما اراكم من الريبة اي ما اوقعكم في الشك فيما لا شك فيه من نسج العنكبوت ما ارى
بضم الهمزة وفتحها اي اظن واعتقد انه قديم قبل ان يولد محمد اي قبل وجوده وولادته
لان مثله لا يكون الا في مدة طويلة وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم كما قيل

الغني في لظى فان احرقتني ¤ فتيقن ان لست بالياقوت
جمع النسج كل من حاك لكن ¤ ليس داود فيه كالعنكبوت

وقال الابوصيري رحمه الله

وقاية الله اغنت عن مضاعفة ¤ من الدروع وعن عال من الاطم

ووقفت حمامتان ذكر وانثى على عش فيه بيض لهما ومثله لا يكون الا في محل خال من
الناس ووقفت بالقاف وروي بالعين المهملة من وقوع الطائر ونزوله بمحل على فم
الغار اي مدخله فقالت قريش لو كان فيه اي في الغار احد لما كان هناك الحمام
لما عرفت انفا وفي نسخة هنالك باللام وهو اسم اشارة للمكان وقصة الحمام كما رواه البزار
مسندا وغيره ان الله امر العنكبوت فنسجت على فم الغار وارسل حمامتين وحشيتين فوقفتا
على وجهه وصد به المشركين عنه وحمام مكة من نسلهما وفي المواهب ان الحمامتين باضتا في
اسفل فم الغار ونسج العنكبوت عليه فقالوا لو دخلاه لتكسر البيض وتفسخ النسج وروي
ايضا كما تقدم انه نبت في فمه شجرة صغيرة تسمى شجر الراء وهي شجرة بمقدار القامة لها
زهر وشئ كالقطن يحشى به الوسائد كما امرها الله بان تنبت لتستره لما اقبل فتيان
قريش باسلحتهم حتى انتهوا الغار فلما راوا ما بدا من الامور المذكورة رجعوا وقال ابو بكر لو نظر
احدهم الى قدمه لرآنا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما
وقد قص القافة اثرهما فانتهى للغار فلما راهم ابو بكر اشتد حزنه على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال ان قتلت انا فانما انا رجل واحد وان قتلت انت هلكت الامة فقال له
لا تحزن ان الله معنا قال نظر في قوله لا تحزن دون لا تخف فان فيه اشارة الى انه لم يخف على
نفسه وانما حزن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته لانه احب اليه من نفسه وكل شئ ولسع
ابو بكر في هذه الليلة غير مرة فخرق ثوبه وجعله في الثقوب التي في الغار وسد بعضها
بعقبه مع انقضاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم واقام فيه ثلاثة ايام ثم خرج منه فلقيه سراقة
ولذلك ذكر المصنف قصته عقب ذلك بقوله وقصته صلى الله عليه وسلم اي وما يدل على
عصمة الله له وحمايته سيرته الواقعة له مع سراقة بن مالك بن جعشم بضم الجيم
والشين وروي فتح شينه ايضا وفي بعض النسخ بتقديم الشين كما في المغني وقد
نظم قصته في الصحيحين وهي مشهورة فانهم كما ذكره المصنف جعلوا لكل من دل عليه صلى

وهو ان الكل من الناقة او فتكه وتبعه صح

الله عليه وسلم جعلا عظيما فلما خرج من الغار راه سراقة وكان ينزل بقديد بين مكة والمدينة
وهو من جملة من توجه اليه لطلبه فركب فرسه ليدركه فدنا منه صلى الله عليه وسلم ساخت
قوايم فرسه الى ابطها في الارض لدعايه عليه كما يأتي بقوله اللهم اكفنا سراقة ثم ان الله هداه
للاسلام فاسلم في مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من حنين فهو صحابي مدلجي حجازي كنانى
وهو الذي اخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بلبس سوارى كسرى لما راى ذراعيه دقيقتين
اشعرين في حديثه المشهور المتقدم وقوله **حين الهجرة** اى وقت هجرته من مكة الى
المدينة وذكر ابن سعد ان سراقة عارضهم يوم الثلاثا بقديد والهجرة ترك الوطن من
الهجر وهو بكسر الها وفتحها وقد تضم **وقد جعلت قريش** جملة حالية وجعلت من الجعل
وهو ما يعطى في مقابلة عمل ما **فيه** اى في شان رسول الله صلى الله عليه وسلم والاخبار به
وفي ابي بكر لانه كان رضي الله عنه كما علمت **الجعايل** جمع جعيلة وهي كالجعالة بمعنى الجعل
مثلثة الجيم ويقال جعال ككتاب وجعل بزنة قفل ومعناه تقدم وتلك الجعالة كما قاله
السهيلي كانت مائة ناقة اى حمرا كما قاله الماوردي في الاعلام **وانذريه** بالبنا للمجهول
اى اعلم سراقة بالنبي صلى الله عليه وسلم يقال انذرته كذا بمعنى وبمعنى اى اعلمته ويكون
الانذار بمعنى التخويف ايضا وكيفية الاعلام مشهورة في السير ايضا وحاصلها ان رجلا
اتى سراقة وقال له اني رايت اسودة بالساحل اظنهم محمدا واصحابه فقال بعدما عرف
انهم هم ليسوا اياهم ثم خرج بعد ذلك فرسه وذهب خلفهم وكان ما ذكره المصنف بقوله **فركب
فرسه واتبعه حتى اذا قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت قوايم
فرسه** اى غاصت في الارض ودخلت فيها حتى كادت تبتلعها وتخسف من تحتها يقال
ساخ يسوخ ويسيخ بسين مهملة وخا معجمة في اخره بمعنى غاص ودخل وبمعنى الخسف فيقال
ساخ الفرس وساخت الارض وهما بمعنى واحد يختلف باختلاف المسند اليه وهذا مما
اتفقت عليه كلمة اهل اللغة وفي القاموس ساخت قوايمه تاخت والشي رسب والارض
به سيوخا انتهى وتاخت في تفسيره بتا مثلثة بمعنى غاصت كما ذكره في فصله وقد تحرف
على الشارح المجد فتوهم انه تاخت بنون بمعنى برك فقال لا ينبغي هذا والذي ينبغي ان
يفسره بغاصت وهو غلط فاحش منه وقوايم الفرس رجلاها ويداها **فخر عنها** اى
سقط من فوق ورمى نفسه عنها خوفا من ان تخسف به الارض فيهلك لدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليه لما كفته كما مر وضمير عنها للفرس لانها تذكر وتونث وسع على الذكر
والانثى وقد قيل انها كانت انثى تسمى العود وقد نقل بعض اهل السير ان الصديق
رضي الله عنه قص فيها هذه القصة منها

حتى اذا اتلت قد اخذن عارضها ٭ من مدلج فارس في منصب وارى
يردي به شرف الاقطا رمعتزم ٭ كالسيد ذي اللبوة المستاسد الضاري
فقال كروا فقلنا ان كرتنا ٭ من دونها لك نصر الخالق البارى
ان تخسف الارض بالاحوى وفارسه ٭ فانظر الى اربع في الارض غوارى
فهيل لما راى ارساغ مهرته ٭ قد سمحن في الارض لم يجوز بحار

عرض

فقال هل لكم ان تطلقوا فرسي ٭ وتاخذوا موثقي في نصح اسراري

واستقسم بالازلام جمع زلم بفتحتين وبضم وفتح بزنة عمر وهي قداح اى سهام لا ريش
لها ولا نصل كانوا في الجاهلية يكتبون على بعضها افعل وعلى بعض لا تفعل ويضعونها في
مناعيهم اذا سافروا فاذا عرض لهم مهم اخرجوا منها واحدا لما يتفا لون به فيعملون او يتركون
وهو معنى الاستقسام اى طلب ما قسم وقدر له وقيل كان يكتب على بعضها امرني ربي وعلى
بعضها نهاني ربي وبعضها غفل اى خال من الكتابة فاذا خرج غير الغفل عملوا به وان
خرج الغفل اعاد واحتى يخرج غيره ويسمى ذلك استقساما ولهم ازلام اخر اى سهام
كانت في الكعبة مكتوب عليها النوازل وهي التي استقسم بها عبد المطلب على ذبح ولده وكذا
كان عند كهانهم ولهم مثلها اقداح الميسر السبعة التي كانوا يتقامرون بها وقيل الازلام حصى
صغار بيض يتفا لون بها والصحيح الاول **فخرج له** اى لسراقة **ما يكره** اى ما لم يرده لانها نهي
ليرده صلى الله عليه وسلم وابا بكر ويلحقه من قريش الجعل المتقدم فخرج لا تفعل ثم ابتغيه **ثم ركب**
فرسه ثانيا بعد ما سقط عنها وساخت قوايمها **ودنا** اى قرب من رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو سائر نحوه **حتى اذا سمع قراة النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت** لعدم
مبالاته ولا التفاته على ربه **وكان ابو بكر يلتفت** وراه لكونه على رسول الله صلى
الله عليه وسلم اى ليرى ما يفعله من سراقة وخوفه لشدة حبه وان كان قال له في الغار
لا تحزن ان الله معنا لانه قد يتوهم انه مخصوص بذلك الوقت وقد مر **فقال ابو بكر له**
صلى الله عليه وسلم **اتينا** بالبنا للمجهول اى اتانا العدو وادركنا حتى يطلبنا منهم **فقال**
له رسول الله صلى الله عليه وسلم **لا تحزن** وتخف من اتانا **ان الله معنا** اى مصاحبا
لنا بتاييده ونصره وحفظه وعصمته لنا من جميع الاعدا فلا تخف ممن يطلبنا منهم ولذا
لم يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم لتمكنه وشدة ثقته وحزن ابي بكر رضي الله عنه كرفقة وشفقته
على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقرر وليس بمعصية لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عنه
لانه امر طبيعي وله نسبنا تقوله له في الغار فان المحب ظنين وصنين بمحبوبه لا سيما هذا
الرسول العظيم ولنبين هنا ما يحتاج لجرد بل البيان فانه تطويل بغير طايل **فساخت**
قوايم فرس سراقة مرة **ثانية** بعد المرة الاولى **الى ركبتيها** تثنية ركبة وهي ما بين
من يديها ورجليها **وخر عنها** اى وقع وسقط عن فرسه لما ساخت وانكبت على وجهها
وزجرها اى صاح عليها **فنهضت** اى قامت وخلصت قوايمها من الارض **ولقوايمها**
مثل الدخان اى غبار مرتفع في الجو كانه دخان كما ورد التصريح به في السير قال
ابن سيد الناس ولقوايمها عثان مثل الدخان والعثان بضم العين المهملة ومثلثة
هو الغبار هنا ويكون بمعنى الدخان والدخان بضم الدال وتخفيف الخا وقد تشدد
ويقال دخ ودخن والكل بمعنى وفي رواية ولقوايمها دخان وهو استعارة للغبار **فناداهم**
اى نادى سراقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعامر ابن فهيرة ورفيقهما **بالامان**
اى رفع صوته به قابلا لهم الامان الامان كما يفعله الناس والمراد تامينهم منه وانهم لا
يلحقهم منه ضرر وخوف باخباره الاعدا وطلبهم والمراد رسول الله صلى الله عليه وسلم

ابن الفرس

عرض

ان يعطوه امانا فلا يلحقه ضرر لخوفه منه ومن دعا به عليه وقد ورد التصريح
بالامانين في سيرة ابن اسحاق والى الثاني اشار بقوله فكتب له النبي صلى الله عليه
وسلم امانا اي امر بكتابته له فاسناد الكتابة له مجاز عقلي لقوله كتبه اي كتاب الامان وهو رقعة
من ادم وفي رواية يكتب لي كتابا في عظم او رقعة او خرقة ثم القاه اي فاخذته ثم جعلته
في كنانتي ثم رجعت ابن فهيرة بضم الفاء وفتح الهاء وهو عامر بن فهيرة مولى ابي بكر رضي الله
عنه وهو من مولدي الازد مملوك للطفيل فاشتراه ابو بكر منه واعتقه واسلم وكان
يرعى غنما لابي بكر ويجي لهما كل ليلة في الغار باللبن ثم هاجر معهما وشهد
بدرا واحدا وقتل ببئر معونة فلم يوجد جسده مع القتلى فيقال ان الملائكة
دفنته وقيل رفعته الى السما وقيل كتبه ابو بكر وجمع بينهما بان ابن فهيرة كتبه
اولا فلم يرض سراقة بكتابته وطلب كتابة ابي بكر لشرفه وشهرته فكتبه له وللنبي صلى الله
عليه وسلم كتاب تزيد على الاربعين مذكورة في المطولات وافردها ابن ابي الحديد بالتاليف
مستقل واخبرهم اي اخبر سراقة النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر وابن فهيرة بالاخبار
اي باخبار قريش وما جرى منهم بعد خروجهم من مكة وجعلهم الجعائل لمن اتى بهم او قتلهم
ديتهم كامله وامره النبي صلى الله عليه وسلم اي امر سراقة ان لا يترك احدا من قريش
اي لا يدع احدا او يتركه باختيار منه يلحق بهم اي يدرك خلفهم ويصل اليهم بان يقول
لم ارهم ونحوه ولو كذبا اذ هو يجوز عند الضرورة والحاجة وفي حديث انس فقال يا نبي
الله مرني بما شئت قال تقعد مكانك لا تتركن احدا يلحق بنا قال فكان اول النهار
جاهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اخر النهار مسلحة له فانصرف اي رجع
سراقة عنهم حال كونه يقول للناس جملة حالية مضارعية لا معترضا بها او في الفصيح
اي قائلا للناس والمراد بالناس ان كان من لقيهم ممن ذهب لطلبهم فقوله كفيتم ما
هاهنا معناه ارجعوا كفيتم الطلب فاني لم اجدهم وما موصولة ويحتمل ان تكون نافية
اي ما هنا احد وان كان المراد النبي ورفيقاه فالمعنى عصمتم وسلمتم فما هاهنا من الخوف
والى كلا الوجهين ذهب الشراح وفي الشرح الجديد خلط هنا فتنبه عن الرد وذكر ابن
سعد انه لما رجع قال لقريش قد عرفتم بصري بالطريق وبالاثر وقد استبرأت لكم فلم
ار شيا فرجعوا وقيل بل قال لهما اي للنبي صلى الله عليه وسلم ولابي بكر رضي الله عنهما
ولم يذكر ابن فهيرة لانه انما خاف دعاهما لاعتقاده فيهما اراكما دعوتما علي فلذا
كادت الارض تبتلعني فادعوا لي بالسلامة فدعوا الله فنجا اي ذهب امنا مما خافه
ووقع في نفسه اي خطر بباله ووقر في قلبه واعتقد لما شاهده ظهور النبي صلى الله
عليه وسلم اي ظهوره على اعدائه وغلبتهم وظهور نبوته وعلو شانه وكان ذلك من
مقدمات اسلامه قال ابن اسحاق وقد لامه ابو جهل لما بلغه ما لقي سراقة فلامه في
تركهم فانشده

ابا حكم واللات لو كنت شاهدا ... لامر جوادي اذ تسيخ قوائمه
عجبت ولم تشكك بان محمدا ... نبي وبرهان فمن ذا يكاتمه

وفي

وفي خبر اخر يتعلق بما نحن فيه الا انه قيل انه لا يعرف من رواه ان راعيا من
رعاة الغنم في البرية عرف خبرها اي خبر النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه ومكانهما
في الغار فخرج الراعي من محله يشتد اي يسرع في مشيه قال الراغب الشد العدو ويجوز
ان يكون من قولهم اشتدت الريح انتهى وانما اسرع لاجل ان يعلم قريشا بخبرهما ومكانهما
فلما ورد الى مكة اي جاءها من محله الذي يرعى فيه الغنم واصل الورود المجي للما فاستعير
للغريب القادم كما جاءهم ثم لكل جاء وشاع فيه حتى صار حقيقة فيه ضرب بالبنا للمجهول
اي ضرب الله على قلبه اي منع من الادراك وذهل عما جا له كقوله تعالى وضربنا
على اذانهم وهو مستعار من ضرب القبة في الارض لضرب اوتادها واصله ايقاع شي
على شي كانه الزمه فلبس كناية عن الذهول والغفلة كما قيل فما يدري وما يعرف يدري
ما يصنع ويقول واتى مجهولا ايضا ما خرج له اي ما جاء له من مكانه الذي خرج
منه حتى رجع الى موضعه الذي جاء منه وهذه معجزة ظاهرة وعصمة في بيته وفي دلائل
ابي نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه فيما ذكر
ابن اسحاق في سيرته وغيره ابو جهل عمرو بن هشام فرعون هذه الامة لعنه الله
وهو فاعل جاء وقوله بصخرة متعلق به اي حجر كبير وهو اي رسول الله صلى الله عليه
وسلم في المسجد ساجد وقريش ينظرون له ما يصنع وكان ذهب ليطرحها اي
ليرمي الصخرة عليه وفي نسخة هنا وقد كان حلف ان راه ساجدا ليدمغنه اي ليضربنه
بها ضربة تكسر راسه وتبلغ دماغه وتسمى هذه الدامغة احد الشجاج التي ذكرها
الفقها في الجنايات فلزقت الصخرة بيده ولم يقع عليه صلى الله عليه وسلم ولزق بلام وزاي
معجمة لغة في لصق بالصاد بمعنى التصق ويبست يداه الى عنقه اي يبست بحيث لا يمكنه
تحريكها واقبل اي انصرف من مقصده نحو قريش حال كونه يرجع اي راجعا القهقرى
ومعناه الى خلفه موليا عن وجهته وفي الصحاح القهقرى الرجوع على الدبر ولم يقرب خ اللعين
منه وهو مفعول مطلق مؤكد للرجوع ثم سالوه اي سال ابو جهل لعنه الله رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو له ففعل اي دعا له صلى الله عليه وسلم لكرمه وحلمه
فانطلقت يداه اي عادتا لما كانتا عليه ولم يلتفت لبركة دعائه صلى الله عليه
وسلم وكان ابو جهل تواعد مع قريش بذلك اي بطرح الصخرة عليه صلى الله عليه
وسلم اذا راه يصلي وحلف لئن راه ساجدا ليدمغنه اي ليضربنه بصخرة تكسر
راسه وتخرج دماغه وهي احدى الشجاج يقال دمغه اذا اصاب دماغه فقتله
وهذا تقدم في بعض النسخ كما مر ويدمغنه بفتح اليا ويجوز ضمها والظاهر
الاول فسالوه اي سال قريش ابا جهل عن شانه اي امره وما منعه عما قصده
فذكر لهم انه اي الشان او ابو جهل عرض لي اي له كما في نسخة ففيه التفات وقيل
على معنى التكلم لان ذكر بمعنى قال دونه ظرف اي حال بيني وبينه فحل اي جمل عظيم
هائج وهو مخصوص بذكر الابل الذكر ما رايت مثله في عظمته وشدته قط اي في جميع
الزمان الماضي وهي ظرف لتوكيد نفي الماضي بفتح القاف وتشديد الطا المهملة

وكسرها وسكونها مخففة هم بي اي عزم على الحملة علي والهجوم وقوله ان يا كلني بدل
اشتمال من ضمير المتكلم اي هم باكلي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع مقالته لهم ذاك
جبريل تمثل له بصورة فحل لو دنا اي قرب ابو جهل من رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالعجزة التي اراد طرحها لاخذه واكله واهلكه اخذ عزيز مقتدر وتفصيله كما
في دلايل البيهقي والسيران ابا جهل قال يا معشر قريش ان هذا الرجل قد ابى الا ما ترون
من عيب ديننا وشتم ابايِنا والهتنا وتسفيه احلامنا واني اعاهد الله لاجلسن غدا عنه
الحجر بحجر ما اطيق حمله فاذا سجد رضخت به راسه فاسلموني فامنعوني فليصنع بعد ذلك
بنو عبد مناف ما بدا لهم فقالوا والله لا نسلمك لاحد فامض لما تريد فلما اصبح جلس
ينتظره صلى الله عليه وسلم وجلسوا في انديتهم ينتظرون ما هو فاعل فلما جا صلى الله
عليه وسلم فعل ما ذكره المص وله وقايع مثل هذه حماه الله منها وعصمه وذكر السمرقندي
امام الحنفية المشهور وقد تقدمت ترجمته ان رجلا من بني المغيرة بن عبد الله بن
عبد الله بن عمر وبن مخزوم حي ابي جهل وهذا الرجل قال البرهان لا اعرفه وقال
غيره انه الوليد بن المغيرة وقيل انه ابو جهل اتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله
فطمس الله بصره اي غطاه وغشاه حتى لم يره لا انه اعماه واذهبه بالكلية كما يدل
عليه قوله فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه باسمه
فعرف مكانهم وانا هم اراد بعد ذلك شيئا دقة حتى ويحتمل انه عمي وذهب بصره وذكر
السمرقندي ان في هاتين القصتين اي قصة ابي جهل وقصة هذا الرجل نزلت
انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الاتين يعني في الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من
بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون قال البغوي في
تفسيره هذه الاية نزلت في ابي جهل ورفيقه المخزومي حين حلف انه ان راه صلى الله
عليه وسلم ليرضخن راسه وذكر ما ذكره المص غير قوله انه حال بينه وبينه فحل
وقال المخزومي انا اقتله بهذا الحجر فاتاه وهو يصلي فاعماه الله الى ما ذكر المص في تفسير
القرطبي انها نزلت في ابي جهل وصاحبيه المخزوميين وذكر قصة ابي جهل وان صاحبه
الثاني هو الوليد بن المغيرة وانه الذي اعمى الله بصره ولم ير اصحابه حتى نادوه فقال
الثالث والله لاشدخن راسه وانه رجع وقال لهم ما خرمعتت عليه وسيل عن امره
عرض فقال حال بيني وبينه فحل لو دنوت منه اكلني وانه لم ير مثله فنزلت هذه الاية فقيل
انه معارض لما ذكره المص فانه يقتضي ان الذي حال بينه وبين الفحل الرجل الثاني لا ابا
جهل واما كونه من بني المغيرة او مخزومي فلا منافاة فيه لان كلا ينتسب الى احد جديه
كما مر واجيب بان قصة ابي جهل تكررت فعلها مرة وحده وراى الفحل ومرة مع غيره
واقتصر في هذه الرواية على بعض القصة وفيه نظر والاية على هذا من الاستعارة التمثيلية
فشبه يبس يديه وعدم قدرته على تحريكها والرمي بما عنده بيده لعنقه وشبه حالهم
وما حال بينهم وبينه بمن بينه وبين مقصده سد مانع عن الوصول وما قيل من ان
الاية تقرير لتصميم اهل مكة على كفرهم وابطال اسكيرهم فشبهت حالهم بهذه الحال

لامنافاة بينه وبين ما قبله لصدقه هذا على ما قبله ومن هذا اعلم ما في كلام البيضاوي
من سوال وجواب كما بيناه في حواشيه ومن ذلك اي حفظ الله وعصمته ما ذكره
ابن اسحاق امام اهل السير في سيرته وغيره كالكلبي في تفسيره في قصته
صلى الله عليه وسلم اذ خرج الى بني قريظة بالظا المعجمة وصيغة التصغير وهيه
قبيلة من يهود خيبر معروفة في اصحابه اي في جماعة منهم ابو بكر وغيره فجلس
مستندا الى جدار بعض اطامهم بالمد والطا المهملة جمع اطم بضمتين وهو الحصن
هنا ويكون بمعنى البيت المربع والقصر فانبعث مطاوع بعثه فانبعث اي توجه
وقام واصل معنى البعث الاثارة وقيل معناه هنا اسرع واندفع عمرو بن جحاش
بفتح الجيم والحا المهملة المشددة واخره شين معجمة وهو من بني قريظة قبل كافرا احدهم
اي بني قريظة ليطرح من فوق الجدار عليه صلى الله عليه وسلم رحى يقتله بها لانه
صلى الله عليه وسلم لما جلس تحت الحايط تخاقتوا بينهم وقالوا لن تجدوه على مثل هذه
الحالة ابدا فمن يعلو الجدار ويرسل عليه حجرا يقتله فقال سلام بن مشكم لا تفعلوا فان الله
ليخبرن بما هممتم به ويكون هذا سببا لنقض العهد بيننا وبينه فاخبره جبريل عليه
الصلاة والسلام بذلك فقام النبي صلى الله عليه وسلم وانصرف الى المدينة وكان
هذا سببا لغزوهم ونقض عهدهم واعلمهم بقصتهم اي اخبر بني قريظة في نقض عهدهم
واصحابه بعد انصرافه او قبله وقد اعترض على المص بان هذه القصة ليست مع بني
قريظة كما في السير وسياتي ايضا في هذا الكتاب وانما هي مع بني النضير وهو سبب
غزوة بني النضير واما سبب غزوة بني قريظة فهو وقعة الخندق وتظاهرهم مع قريش
ونقضهم العهد وهو الصواب قال ابن سيد الناس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى بني النضير يستعين بهم في دية العامريين اللذين قتلهما عمرو بن امية الضمري
كلحلف بينهم وبين بني عامر فقالوا نعم يا ابا القاسم على ما احببت ثم خلا بعضهم
الى بعض وهو ابه كما مر وقال ابن الملقن انه روي ان بني النضير لما تامروا ان يلقوا عليه
حجرا فاخبره جبريل ولم يصل اليه صلى الله عليه وسلم واتى ما فيه وقد قيل ان قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم في هذه القصة نزلت
وجعل الهم بالمومنين وان بسط اليد اليهم مع انه بالنبي صلى الله عليه وسلم وحده لان ما
يصيبه يصيبهم وسيئه موت لهم ولذا قيل انها نزلت في الكفرة لما كانوا غالبين على المومنين
يوصلون اليهم الضرر والاذية وقيل نزلت في الاعرابي الذي اخترط سيفه اذ وجده
صلى الله عليه وسلم وحده كما مر في قوله وقد قيل الى يحتمل ان يكون اشارة الى ان هذه
القصة في بني قريظة وان خالف الصحيح المنقول الواقع وقع في بعض التفاسير فتامله
فانه غفلة عما ذكر بعبارة مع قوله عقبه وحكى السمرقندي انه صلى الله عليه وسلم كما رواه
ابن سيد الناس وغيره من اصحاب السير وقد تقدم انه الصحيح وان في كلام المص رحمه
الله اشارة اليه خرج من المدينة الى بني النضير بنون مفتوحة وضاد معجمة مكسورة وهم
قوم من يهود خيبر يستعين في عقل الكلابيين مثنى كلاب رجل منسوب لبني كلاب وهي

قوم

قبيلة من قريش والعقل مصدر عقل البعير يعقله اذا ربطه بالعقال المانع له
من الحركة واصل معنى العقل المنع ومنه العقل المعروف لمنعه عما لا يليق كما اشار اليه
القائل فتى عقلنا والعقل اى وثاق ده وصبرنا والصبر مر المذاق
وسميت به دية المقتول لانها كانت عند العرب ابلا يسوقها القاتل ونحوه فيعقلها
بفنا اهل القتيل ليأخذوها واستعانته صلى الله عليه وسلم المراد بها طلبه ان يعينوه
فى الدية لما سياتى الذين قتلهما عمرو بن امية وفى نسخة الكلابى بالافراد وقتل
مفرد ايضا وعمرو بن امية هو الضمرى بضاد معجمة مفتوحة وميم ساكنة مفتوحة
وراء مهملة نسبة لبنى ضمرة وهم قومه فهو عمرو بن امية بن خويلد بن عبد الله بن اياس
الصحابى الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثه فى اموره وهو الذى ذهب للنجاشى
بكتابه فاجابه واسلم وزوجه صلى الله عليه وسلم ام حبيبة اسلم بعد احد وشهد بئر
معونة ومات بالمدينة فى خلافة معاوية رضى الله عنه وهو الذى قتل الكلابى فهو
مرفوع فاعل قتل والتثنية هى الواقعة لما فى السير من انه صلى الله عليه وسلم بعث
المنذر بن عمرو الساعدى احد نقبا ليلة العقبة فى ثلاثين راكبا من المهاجرين والانصار
الى بنى عامر بن صعصعة فلقوا عامر بن الطفيل ببير معونة فاقتتلوا فقتل المنذر واصحابه
ونجا عمرو الضمرى وحده او وصاحب له على اختلاف فى الرواية ورجعا فلقيا رجلين من
بنى سليم وكان بينهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم موادعة فانتسبا لهما الى بنى عامر فقتلاهما
وكان عمرو لا يعرف ذلك العهد ولو عرفه لم يفعله ولذا لزمته الدية لانه خطا فقدم
قومهما على النبى صلى الله عليه وسلم يطلبون ديتهما فخرج لبنى النضير هو وابو بكر وعمر وعلى
رضى الله عنهم يستعينهم فى العقل لانهم كانوا عاهدوه على ترك القتال والاعانة فى
الديات فلما دخل عليهم وطلب ذلك منهم اجابوه وقالوا اجلس حتى ناتى لك بما سالت
فجلس بجنب جدار من بيوتهم كما اشار الى ذلك بقوله فقال له اى لرسول الله صلى
الله عليه وسلم رجل منهم اسمه حيى بضم الحاء المهملة ومثناة تحتيتين الاولى مفتوحة
مخففة والثانية مشددة ابن اخطب بزنة افعل بخاء معجمة وطاء مهملة وموحدة
وجوز فى حاشية الكسر وهو من يهود بنى النضير ومن روسائهم والد صفية ام المؤمنين
اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سالتنا من الدية وهو عطف تفسير
على نطعمك لان الطعم بالضم فى الاصل الماكول فتجوز به عما ذكر كما يقال اقطعه الارض
طعمة له اى عطية فجلس النبى صلى الله عليه وسلم مع ابى بكر وعمر وزاد ابو نعيم الزبير
وطلحة وسعد بن معاذ واسيد بن حضير وسعد بن عبادة وفى سيرة ابن اسحاق
فى نفر من اصحابه منهم ابو بكر وعمر وعلى ولا منافاة بين الروايات وتوامر بفتح التاء
الفوقية والواو وتقال بالهمز تفاعل من الامر اى تظاهر كل امر الاخر والمراد به
هنا التشاور يقال وامره وامره وتبدل الواو لغة العامة حيى معهم اى مع بنى
النضير اى تشاوروا واتفقوا على قتله صلى الله عليه وسلم بالقاء الحجر عليه فاعلم
جبريل النبى صلى الله عليه وسلم بذلك الذى ارادوه قبل وقوعه فقام من

نحت

نحت الجدار بسرعة كانه يريد حاجة اى اراهم صلى الله عليه وسلم انه يريد حاجة له
وفى نسخة حاجته بالاضافة فتحتمل قضا الحاجة المعهودة للانسان فانه يكنى بها عنها
لكنها حتى دخل المدينة ثم سار اليهم وحاصرهم ست ليال وهم داخل حصنهم فقطع نخلهم
وحرقها تنكيلا لهم كما قال حسان

وهان على سراة بنى لوى ٭ حريق بالبويرة مستطير

فقال صلى الله عليه وسلم لهم اخرجوا ولكم ما حملت الابل فنزلوا على ذلك وحملوا ما لهم من
الامتعة على ستمائة بعير ولحقوا بخيبر واخذ منهم صلى الله عليه وسلم الاموال ومن الحلقة
خمسين درعا وخمسين بيضة وثلاثمائة واربعين سيفا فكان ذلك مرصدا لنوائبه
ولم يسهم منها لاحد غير ابى دجانة وسهل بن حنيف لفقرهما ثم قسمها بين المهاجرين
رفعا لمؤنتهم عن الانصار اذ كانوا قاسموهم الاموال والديار لما هاجروا الى المدينة ثم انه
قيل ان ما ذكره المصنف يقتضى ان اليهود هموا بالقاء الحجر عليه ولم يلقوه وذكر ابن الملقن
كما مر انهم القوه عليه صلى الله عليه وسلم فاخذه جبريل عليه الصلاة والسلام ومنعه
عن الوصول اليه والتعويل بالاول وذكر اهل التفسير معنى الحديث عن ابى هريرة
كما رواه مسلم عن النساى اى رووه بلفظ المعنى وفى بعض النسخ وروى اهل التفسير
الحديث عن ابى هريرة وهذا احسن لما فى بعض النسخ وذكر اهل التفسير ومعنى الحديث بالواو
العاطفة فانه يحتاج لتقدير اى وذكر اهل الحديث وعلى هذا فقوله عن ابى هريرة خبر
عن معنى وهو مبتدا او الجملة معترضة بين ذكر ومفعوله وهو ان ابا جهل وعد قريشا
لئن راى محمدا جواب قسم مقدر لما مر من انه حلف لهم على ما وعدهم به وقوله يصلى
جملة حالية ليطان رقبته اى يدوس على عنقه الشريف برجله حماه الله فلما صلى النبى
صلى الله عليه وسلم بالمسجد الحرام اعلموه اى اعلمه قريش به فاقبل متوجها اليه ليهينه وسد
اهانته منه لمن اعزه الله فلما قرب منه ولى ورجع عن مقصده حال كونه ناكصا على
عقبيه اى متاخرا راجعا لخلف والعقب مؤخر القدم متقيا بيده به اى ما دايده به كمن
يدفع امرا بتقيه وفى بعض النسخ ولى هاربا ناكصا على عقبيه فهى حال مؤكدة او مترادفة
ونكص على عقبيه يستعمل بمعنى ولى عن خيرا وعن شر مخافة عاقبته كما هنا الا انه قيل ان
الثانى نادر وذهب الجوهرى وصاحب النهاية الى انه يختص بالاول وفى القاموس نكص
عن الامر نكا كاعنه واحجم وعلى عقبيه رجع عما كان عليه من خير فهو خاص بالرجوع عن
الخير ولم الجوهرى فى اطلاقه او هو فى الشر نادر انتهى وفى نفوذ السهم فيها فى الجوهرى
من الوهم كون النكوص مخصوصا بما ذكر غير ثابت فى اللغة وقوله فلما تراءت الفئتان نكص
على عقبيه لا دليل فيه لانه وان كان رجوع الشيطان عن معاونة الكفار بعد رليهى رجوعا
عن خير يحتمل الاستعارة التهكمية وقد مر الكلام عليه ايضا فى اعجاز القران فسئل
فسيل اى سال قريش ابا جهل عن ذلك اى عن رجوعه كذلك وما سببه فقال مجيبا لهم
لما دنوت منه اشرفت اى اطلعت قريبا منى على خندق حفير مملوءا نارا كدت
اهوى اليه اقع واسقط فيه وابصرت هولا عظيما اى امرا مخوفا عظيما لم ار مثله

ما ذكر ومن غيره كالقتل الذى اراد اهلاكه وخفق اجنحة اى اجنحة تضرب بعضها لها
اصواتها هايلة قد ملات الارض الذى كان فيها وهى اجنحة الملايكة التى ارسلت
لحمايته ونصره صلى الله عليه وسلم كما اشار اليه بقوله فقال عليه الصلاة والسلام
تلك الملايكة لو دنا اى قرب منه لا تباع ما قصده لاختطفته الملايكة عضوا عضوا
اى مزقته وفرقت اعضاه وهو منصوب على الحال اى وقيل مزقا لفرات الخيا بابا با
كما فصله النحاة ثم انزل الله وحيه على النبى صلى الله عليه وسلم فى شان ذلك فقال
كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى الى اخر السورة يعنى ان الى ربك الرجعى ارايت
الذى ينهى عبدا اذا صلى الخ ويناسب ما ذكر قوله كلا لين لم ينته لنسفعا بالناصية وقوله
سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب فالمراد بالانسان ابو جهل وطغيانه تجاوزه حده
قيل هذه القصة فى صحيح مسلم فالذى ينبغى نقلها منه دون التفاسير وهو امر سهل لا ينبغى
الاعتراض بمثله وتفصيل معنى الاية فى التفاسير فلا حاجة لذكره وروى الراوى له
ابو نعيم فى الدلايل ان شيبة بن عثمان الحجبى بفتح الحا المهملة والجيم وموحدة ونسبة
لحجبة جمع حاجب ككتبة جمع كاتب وفى النسبة الى الجمع يرد الى مفرده والقياس حاجبى لكنه
لما غلب على حجبة الكعبة جاز النسبة اليه كانصارى او لانه على زنة المفرد ومثله ينسب
اليه على قول والحاجب من يتولى الحجابة وهو البواب ومن بيده المفتاح من الحجب وهو المنع
وشيبة علم منقول من الشيب المعروف وهو شيبة بن عثمان بن ابى طلحة بن عبد العزى بن
عثمان بن عبد الدار بن قصى الصحابى المشهور خادم الكعبة ومن بيده مفتاحها وهو بيد
اولاده الى الان اسلم يوم الفتح وقيل يوم حنين ومات سنة تسع وخمسين واخرج له البخارى
واحمد فى مسنده وابو داود وترجمته معروفة وما فى بعض النسخ الجمحى بالميم غلط من الناسخ
ادركه صلى الله عليه وسلم اى لحق به ووصل اليه يوم حنين فى غزاتها وهو واد قريب من
الطايف معروف وكان قبل ذلك حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد الشهدا قد
قتل اباه عثمان بن ابى طلحة وعمه طلحة بن ابى طلحة المشهور وكان قتل لهما باحد وكان
طلحة ليث الكتيبة وحامل لوا الكفرة فلما قتل حمل اللوا اخوه عثمان فقتل الا انه قيل ان المذكور
فى السير ان الذى قتل طلحة على بن ابى طالب فلما اخذ اللوا اخوه عثمان حمل عليه حمزة
فقتله وقال الذهبى فى تجريده ان الذى قتل ابا شيبة على ايضا وهو مخالف لما قاله المصنف
كما قاله البرهان الحلبى وفى سيرة ابن سيد الناس ان عليا ضرب اباه فازالت منه فحمل
عليه حمزة فقطع يده وكتفه وقده حتى بلغ سحره اى رئته فكل من على وحمزة له دخل فى قتله
الا ان عليا لما ازال منعته وقوته نسب القتل له حتى استحق سلبه فلا منافاة بين كلام
المصنف وكلام غيره فقال شيبة لما ادركه اليوم المراد به الوقت الحاضر ادرك ثارى
بمثلثة وراء مهملة بينهما الف وتهمز وهى الاصل وهو طلب الدم واخذ حق من قتله من محمد
لانه سبب قتله فاراد ان ينتقم منه ويشفى غيظه وحزازة نفسه لتمكنه منه فلما اختلط الناس
فى القتال وازدحموا ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم اتاه من خلفه بحيث لا يراه ورفع
سيفه بيده ليصبه عليه اى ليضربه ويقتله ويأخذ ثاره ويشفى غليله ممن كان سببا

لقتل

لقتل ابيه وعمه واصل الصب اراقة الما واستعير للضرب بالالة كالسيف قال تعالى
فصب عليهم ربك سوط عذاب وبرشحه ان السيف يشبه بالماء لرونقه وفرنده قال
شيبة فلما دنوت منه اى لما قصدته دنا ارتفع الى اى علا وصعد الى من جانبه
شواظ اى لهب من نار والشواظ اللهب مطلقا او لهب لا دخان له او لا يخالطه
غيره او يخالطه شى اخر وهو بضم الشين المعجمة وكسرها وقوله من نار بيان موكد لان اللهب
لا يكون الا من النار اسرع فى ارتفاعه من البرق فولبت هاربا خوفا من ان
يحرقنى وحمشنى رسول الله صلى الله عليه وسلم اى علم رجوعى عنه فدعانى فجيته فوضع
يده على صدرى وهو ابغض الخلق الى لانه اسلم خوفا من القتل ولم يخلص ايمانه فى
قلبه حقد على رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل ابيه وعمه فما رفعها اى يده عن صدرى
الا وهو احب الخلق الى فبدل الله بغضه بحبه وازال عن صدره وقلبه الحقد واثر الكفر
فلما علم ذلك منه الرسول صلى الله عليه وسلم احبه وقال لى ادنه من العدو وادن منى
وقاتل فى سبيل الله خالص السريرة مخلصا ببركة مس يده صلى الله عليه وسلم له فتقدمت
امامه بين يديه اضرب بسيفى كل من لقيته من الكفار واتقيه بنفسى اى احميها وقاية
له صلى الله عليه وسلم ما نقمة عنه ولو لقيت تلك الساعة التى قاتلت فيها ابى لو قفت به
سيفى وقتلته وفى بعض النسخ دونه وانما حض للمبالغة فى عموم قتله لمن لقى حتى اعز
الناس وللاشارة الى ان سبب بغضه وهو قتل ابيه قد زال بالكلية حتى يجوز عنده ان يقتله
بنفسه فضلا عن قتل قاتله والحديث مفصل فى سيرة ابن سيد الناس بسند صحيح مروى عن
شيبة نفسه وكان مما كان افضل حدث باسلامه وانه انما سار كبنى ليغتال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لكراهته له وان ذلك يزداد فى قلبه ويضمم عزمه على قتله فلما اختلط
الناس نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بغلته فدنوت منه وذكر ما تم به وان رسول الله
صلى الله عليه وسلم مسح صدره وقال اللهم اعذه من الشيطان فاذهب الله ما يقلبه حتى صار
احب اليه من نفسه واهله وابيه فلما رجع ودخل خباه دخلت عليه كعيرى حتى رأيت وجهه
فقال لى يا شيب الذى اراد الله بك خير مما اردت لنفسك وحدثنى بكل ما اضمرته فى نفسى
مما لم اذكره فقلت انى اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقلت استغفر لى فقال غفر
الله لك وعن فضالة بن عمرو عند ابن اسحاق وابن سيد الناس وفضالة بفتح
الفا وتخفيف الضاد المعجمة واللام وابوه عمرو ويقال عمير الضمير ابن الملوح الليثى
والضمير اصح والملوح بكسر الواو المشددة وفتحها واقتصر على الثانى فى القاموس قال
اردت قتل النبى صلى الله عليه وسلم عام الفتح اى فتح مكة وهو يطوف بالبيت فلما
دنوت منه قال افضالة الهمزة للندا وفى نسخة فضالة بدون همزة وحرف الندا
مقدر فيه فقيل ويمكن ان تكون الهمزة للاستفهام وفضالة خبر مبتدا محذوف تقديره
اانت فضالة فقال نعم نضد بيانا له والاستفهام حقيقى وكونه للتعجب مما يختلج فى صدره
او اجابة لندايه او اعلام له بانه فضالة كما قيل تكلف لا يخفى قلت نعم قال ما كنت تحدث
به نفسك حديث النفس عبارة عما يخطر بالقلب قلت لا شى اى لم يخطر بقلبى شى مما ظننته

عرضى

فضمك واستغفر لي اي دعا لي بان يغفر الله لي ما خطر بقلبي ووضع يده على صدري
ليذهب الله ما فيه من الضلال وما عزم عليه من الاوهام فسكن قلبي اي اطمان وذهب
ما فيه من الوسواس وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم وثلج صدره ببرد اليقين قال
فضالة فوالله ما رفعها اي رفع يده عن صدره حتى ما خلق الله شيئا احب الي منه وحديثه
كما في سيرة ابن اسحاق وابن سيد الناس انه اراد قتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف
عام الفتح وذكر ما ذكره المصنف ثم قال فرجعت الى اهلي ومررت بامراة كنت اتحدث اليها
فقالت هلم الى الحديث فقلت لا وانبعثت اقول

قالت هلم الى الحديث فقلت لا   يابى عليك الله والاسلام
او ما رايت محمدا وقبيله   بالفتح يوم تكسر الاصنام
لرايت دين الله اضحى بينا   والشرك يغشى وجهه الاظلام

وفضالة الليثي هذا هو ابن وهب بن بحرة بن بجي بن مالك وليس هو الزهراني فانه
تابعي عنبري ومن ظنه هذا فقد اخطا ومن مشهور ذلك اي عصمة الله لنبيه صلى الله
عليه وسلم ما رواه ابن اسحاق والبيهقي بلا سند وابو نعيم في الدلائل بسند الى عروة خبر عامر
ابن الطفيل العامري وهو عامر بن الطفيل عامر بن مالك سيد بني عامر في الجاهلية مات
كافرا لا نفاق واربد بن قيس بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وفتح الموحدة ودال مهملة
وهو اخو لبيد بن ربيعة الصحابي لامه وكان شاعرا مفلقا ومات على الكفر ايضا حين
وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انه لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك
واسلمت ثقيف ودخل الناس في الاسلام افواجا قدمت عليه وفود الناس افواجا وفد عليه
اربعة من رؤسائهم عامر بن الطفيل واربد بن قيس وغيرهما وكان عامر قال له اي لاربد
انا اشغل عنك وجه محمد اي انبهه حتى تبطش به فاضربه انت وخصه به لما بينهما
من الصداقة فامتثل امره وهم بذلك فانتظره ليفعل ما امره به فلم يره اي لم ير عامر اربد
فعل شيئا مما اتفقا عليه من البطش به وحاصر تكلمه صلى الله عليه وسلم وتلهيه فلما كلمه اي كلم
عامر اربد في ذلك اي في الامر الذي اتفقا عليه بان قال له ما لك لم تفعل ما اتفقنا عليه
من البطش برسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذر اليه ثم قال والله ما هممت ان اضربه
اي اضرب النبي صلى الله عليه وسلم بالسيف الا وجدتك بيني وبينه اي اراك حيث حائلا
بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم بحيث لو ضرب ضرب صاحبه افاضربك انكار لذلك
كيف اضربك وكان عامر شاعرا ورئيسا مطاعا في قومه فقال لو اراد لما جاء العرب افواجا
للاسلام ان الناس قد اسلموا فاسلم فقال اني اليت لا انتهي حتى تتبع العرب عقبي افاتبع
فتى من قريش ثم قدم هو واربد على قتل النبي صلى الله عليه وسلم وقال والله ما قصه المصنف فخرجوا
راجعين لبلادهم وفي الدلائل انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم خالني يا محمد فقال لا حتى تؤمن
بالله وحده وقال ذلك مرارا وهو يجيبه بذلك فقال والله لاملانها عليك خيلا ورجلا فولى
منه ان يغزو المدينة فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اكفني عامرا فلما رجع اصابه طاعون
في عنقه فمات في بيت امراة من سلول فكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية

يعني

يعني اخس موته في اخس قبيلة فمات كافرا ودار واجتنه التراب ورجع اصحابه لقومهم
فقالوا لاربد ما وراءك يا اربد فقال لاشيء لقد دعانا لعبادة شيء ولقد وددت انه
عندي الان فارميه بالنبل حتى اقتله ثم خرج بعد مقدمنا لقدومه هذه بيوم او يومين ومعه جمل
له فاصابتهما صاعقة احرقتهما فهلك كافرا وعن ابن عباس ان عامرا قدم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد مع اصحابه وكان من اجمل الناس الا انه
كان اعور فجعل الناس ينظرون لجماله واخبروا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ان يرد الله به خيرا يهده فقام وقال يا محمد ما لي ان اسلمت فقال لك ما للمسلمين وعليك
ما عليهم فقال اتجعل لي الامر من بعدك قال ذلك ليس الي انما هو لله يجعله حيث يشاء قال
اتجعلني على الوبر وانت على المدر اي حكم البادية وحكم المدن قال لا قال فما تجعل لي قال
اجعل لك اعنة الخيل الجهادية في سبيل الله قال اوليس لي اعنة الخيل اليوم قم معي اكلمك فقام
صلى الله عليه وسلم معه وكان عامر اوصى اربد اذا خلا به ان يدور من خلفه ويضربه بسيفه
وروى ان الغدة كانت في ركبته وردت القصة على وجوه اخر هذا محصلها كما في السير
وكتب التفسير عن ابن الجوزي والقرطبي في التفسير ذكرا ان اربد دار خلفه صلى الله عليه وسلم
واخترط سيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فوقعت عليه صاعقة فاهلكته وهو يقتضي انه
مات قبل عامر وفي تهذيب التفسير ان اربد بن ربيعة والمصنف قال انه ابن قيس ولا منافاة
بينهما كما توهم لان ربيعة جده الاعلى وفي اربد نزل قوله ويرسل الصواعق فيصيب بها
من يشاء واجمعوا على ان عامرا مات كافرا كما مر وفي التجريد للذهبي عامر بن الطفيل بن مالك
العامري سيد بني عامر في الجاهلية روى عنه ابو امامة كما ذكره المستغفري ونقله البرهان
الحلبي وفيه نظر ومن عصمته اي حفظ الله له ان كثيرا من اليهود والكهنة جمع كاهن
وهو الذي يخبر عن المغيبات وما يقع في المستقبل مما يلقنه او يعرفه بفراسته ويسمى الثاني
عرافا انذروا به اي اخبروا واعلموا والانذار اعلام المخوف قبل وقوعه وعينوه لقريش
اي بينوا انه المشار اليه لهم واخبروهم بسطوته بهم اي انه يغزوهم ويقتلهم وحضوهم على
قتله اي حثوهم وحرضوهم على ذلك حتى يحاولوه فعصمه الله عز وجل بان حفظه ومنعه
من كيدهم مع انه صلى الله عليه وسلم كان بينا ظهرانيهم بمفرده حتى بلغ الله بلطفه وحفظه له
فيه امره بان نصره واظهر دينه على جميع الاديان ان الله بالغ امره وبلغ بفتح اللام المخففة
من البلوغ قال الراغب هو الانتهاء الى اقصى الامد والمنتهى مكانا او زمانا او امرا من الامور
المقدرة انتهى ومن ذلك اي عصمة الله له صلى الله عليه وسلم وصيانته منا رواه الشيخان
وهو نصره بالرعب اي بالقاء الخوف منه في قلوب اعدائه وممن يبعد مسيرة شهر اي
من مكان بعيد عنه اقل ما يقطع مسافته في شهر اي في ثلاثين يوما كما قال صلى الله عليه وسلم
اي انه ثابت بهذا اللفظ في الحديث الصحيح كما تقدم وهو في الصحيحين وفي مسند احمد عن ابي
هريرة رضي الله عنه انه قال عليه الصلاة والسلام بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب قيل
وهو مخصوص به صلى الله عليه وسلم ولو كان وحده وتقييده بالشهر لانه لم يكن بينه وبين اعدائه
اكثر منه وتخصيصه به باعتبار من قبله فان ابن حجر رحمه الله قال ان ذلك لانه من

بعده ايضا ويؤيده انه في مسند احمد الرعب يسعى بين يدي امتي شهرا او الرعب كناية عن لازمه
من الظفر **فصل** فيما اكرمه الله به صلى الله عليه وسلم **من معجزاته** اي
اموره الخارقة للعادة التي عجز غيره عنها وعن معارضتها والاتيان بمثلها والتاء في المعجزة للمبالغة
كما في علامة او للتانيث لان المراد الاية والعلامة او الخصلة المعجزة **الباهرة** اي الغالبة
او الظاهرة على غيرها من بهر القمر يضوء به الكواكب حتى اخفاها وهو تشبيه بليغ او استعارة
مصرحة **ما جمعه الله من العلوم والمعارف** جمع معرفة لا معروف كما قيل لانه على تقدير
غير مناسب والعلم والمعرفة بمعنى وقد يفرق بينهما بتخصيص الثاني بالامور الجزئية او بما
يسبقه جهل على كلام فيه تقدم تفصيله ومن بيانية ويجوز ان تكون تبعيضية والاول
اظهر **وخصه به** اي جعله مخصوصا به دون من قبله وكذا خص امته بما لم يكن لغيرهم
من الامم من العلم وكثرة التاليف والتصنيف الذي لم يكن لامة من الامم مع قصر اعمارهم وضعف
ابدانهم والباء تدخل على المقصور والمقصور عليه وفي ايهما الاصل كلام مفصل في حواشي المطول
لا حاجة لنا به هنا **من الاطلاع** اي الوقوف والعلم وهو بيان لما **على جميع مصالح الدنيا**
والدين متعلق بالاطلاع ومصالح الدنيا ما يصلح به امر المعاش ومصالح الدين معرفة
احكامه المصلحة لهم في الدارين ولا ينافي هذا اي اطلاعه على مصالحهما قصة بدر في اختياره
صلى الله عليه وسلم الفدا وكان الاولى به ما راه عمر رضي الله عنه من قتلهم حتى عوتب صلى الله عليه
وسلم على ذلك وكذا امره صلى الله عليه وسلم الناس من تابير النخل ثم لم يثمر في ذلك العام فقال
انتم اعلم بامور دنياكم مني اما لانه كما قيل كان له حالات واطوار منها ما يغلب عليه فيه عدم
الالتفات للاسباب الظاهرة لقصره نظره على تفويض الامر لله والتوجه للعلم بالله وقطع
نظره عن الحوادث الكونية وعلم عمر رضي الله عنه مقتبس منه ومن نور مشكاته كما قيل

كالبحر يمطره السحاب وماله ٭ من عليه لانه من مائه

وما قيل من انه صلى الله عليه وسلم بنى امره في ذلك على الظن دون الجزم والانبيا قد يظنون
في امور الدنيا المجردة عن الاخرة ما الامر على خلافه ليس بشيء وقيل انه انما كان بحكم الله نبيه
صلى الله عليه وسلم بالمشاهدة وتبين الامر حتى يكون شرعا متبعا ولو بقي الامر كما كان لفقد
نبيا لا انه كما وجد بقي والحكم بالدليل اقوى منه بالسكوت وفيه نظر وقال السنوسي اراد
صلى الله عليه وسلم ان يحملهم على خرق العوائد في ذلك اعتمادا على الله والتوكل فلم يمتثلوا ولم يصبروا
ولو صبروا كان يحثهم بان يمتثلوا او يصبروا سنين فاكثر فلو فعلوه لكفوا ذلك لانه
اعلم منهم بذلك وغيره قيل وهو في غاية الحسن لمن تامله وسيأتي تتمته ان شاء الله تعالى
ومعرفته صلى الله عليه وسلم **بامور شرائعه** التي شرعها الله له ولعباده على لسانه
جمع شريعة وهي في الاصل طريق مسلوكة ومورد ماء يباح نقلت لوضع الهي موصل لسعادة
الدارين والمناسبة بينهما ظاهرة **وقوانين دينه** جمع قانون وهو لفظة معربة من
الرومية معناه الاصل المقيس عليه ثم نقل لقضية كلية يستخرج منها احكام جزئياتها بجعلها
كبرى لصغرى سهلة الحصول لتنتج المطلوب كما تقرر في محله والدين والملة بمعنى وان
تغايرا مفهوما والمراد بمصالح الدنيا والدين هنا غير ذلك وحكمه وفوائده وهو غير ضبطه

لامور

لامور الشرعية وفي ايهما كما قيل من انه اذا حصل له العلم بجميع مصالح الدنيا والدين
فقد خص بما لم يخص به بشر قبله فيكون الثاني غير الاول فلا موقع لقوله ومعرفته الخ
لان جملة الدين مبنية على جلب المصالح ودرء المفاسد خبط لا فائدة فيه كما يعلم مما قررناه
وسياسة عباده اي القيام بضبط العامة من عباد الله لصغرهم والسياسة لفظ
عربي من ساسه يسوسه اذا دبر امره ومن قال انه معرب من سه سا اي ثلاثة قوانين
فقد اخطا ولها معنى اخر عند الفقها وربما تجعل مقابلة للشرع ولا يصح ذلك هنا وفي
القاموس السياسة مصدر سست الرعية سياسة اذا امرتها ونهيتها **ومصالح امته** المراد امة
الاجابة وامة الدعوة والظاهر ان المراد غير ما تقدم كالسؤال عن امورهم وقضا ديونهم
والاحسان الى فقرائهم ونحو ذلك من لطفه بهم **ومعرفته ما كان في الامم قبله** مما وقع لهم
وجرى بينهم **من الاختلاف** اي مخالفة بعضهم لبعض وما جرى لهم من النعم والنقم التي لا يعلمها الا
القليل من اهل الكتاب وعلمائهم وهو امي نشا في امة امية ولم يدخل البلاد ولم يباشر كتابا
الامم الخالية مما بينه احسن بيان وقرره احسن تقرير **وقصص الانبيا والرسل** من عطف العام
على الخاص والفرق بينهما مشهور وقصص بكسر القاف جمع قصة او بفتحها مصدر قص يقص
قصصا اذا حكاه **والجبابرة** جمع جبار وهو المتكبر قال الراغب الجبار في صفة الانسان الذي
يجبر نقيصته بادعاء منزلة من التعالي لا يستحقها ولا يقال الا على طريق الذم كقوله وخاب كل
جبار عنيد ويقال للقاهر لغيره جبار كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار انتهى وقد تقدم ما فيه
الكفاية **والقرون الماضية** قبله من الامم وقد تقدم معنى القرن ومقدار زمانه واصله
الزمان ثم اطلق على اهله قيل يجوز ان يراد الامم التي هلكت ولم يبق منها احد لانه يطلق على
ذلك وان يراد الزمن نفسه **من لدن ادم الى زمنه** لدن ظرف زمان مبني ومعرب
في لغة قيس وهو قريب من معنى عند وبينهما فرق ذكره النحاة اي احاط علمه بذلك واخبر به
امته **وحفظ شرائعهم وكتبهم** ولم يقرا ولم يكتب **ووعى سيرهم** الوعي الحفظ والجمع والسير
جمع سيرة بالكسر وهي حالة الانسان غريزية او مكتسبة يقال سيرة حسنة وسيرة قبيحة قال
تعالى سنعيدها سيرتها الاولى اي الى حالتها الاولى اي حفظه وجمعه في ذهنه لاحوالهم وما
كانوا عليه **وسرد انبائهم** اي سوق اخبارهم للناس سوقا حسنا منتظما كسرد حلقات
الدرع ونسجها **وايام الله فيهم** اي وقائعه التي قدرها الله لهم والايام تطلق على الوقائع
والحروب كايام العرب وهو معنى مشهور صار حقيقة عرفية وقيل المراد نعمه ولا وجه له
وصفات اعيانهم اي كبارهم ورؤسائهم وقيل المراد ذواتهم كما وقع في الاسرا من ذكر الانبيا
عليهم الصلاة والسلام وصفات ذواتهم **واختلاف ارائهم** جمع راي اي عقائدهم ونحوها **والمعرفة**
بمددهم جمع مدة وهي مقدار من الزمن اي كم كانت مدة كل امة ومدة ملكهم وملوكهم وانبيائهم
واعمارهم جمع عمر بضم العين وفتحها وهي مدة الحياة **وحكم** جمع حكمة وهو القول الصواب
المتضمن النصيحة اي موعظة **حكمائهم** جمع حكيم وهو العالم بالحكمة الناصح لغيره المعلم للحكمة
في عصره كحكما الفرس والعرب وغيرهم **ومحاجة كل امة من الكفرة** اي ذكر حجته وبرهانه
وما حاج به غيره وقيل المراد محاجته نفسه لغيره كمحاجته لنصارى نجران ومباهلته لهم

والظاهر ما قدمناه ومعارضة اى مخالفة ورده كل فرقة وطايفة من الكتابيين اى
اهل الكتاب والمراد به التورية والانجيل لان الزبور والصحف لم تتضمن الاحكام وانتشهر
وهو جمع كتابى بيا النسبة بما فى كتبهم متعلق بمعارضة وجمعها لاشتمالها على ما فى غيرها
ولان الجمع بمعنى المعنى كثير واعلامهم باسرارها اى دقايق معناها التى لم يطلعوا عليها باعتبار
ومخبارة علومها واخبارهم بكسر الهمزة مصدر مضاف للفاعل ويجوز فتحها اى ما خفى
عليهم منها بما كتموه اى اخفوه كصفته صلى الله عليه وسلم وقصة رجم الزانى المشهورة
من ذلك الاعلام وما معه وغيروه بتحريف لفظه وتاويله بغير معناه الى الاحتوا
اى الاشتمال والحفظ والتضمن متعلق بجمع السابق اول الفصل لتضمنه معنى ضم اوالى بمعنى مع
على لغات العرب جميعها من غير قومه وغريب الفاظ فرقها جمع فرقة وهى الطايفة
المتفرقة والاحاطة بضروب فصاحتها تركيبا وافرادا فكان صلى الله عليه وسلم يخاطب
كل قوم بلغتهم كما تقدم وامثالها جمع مثل وهو كلام شبه مضربه بمورده وحكمها اى جوامع
كلمها فى النصايح فان العرب معروفة بذلك وحكما العرب وحكمهم مشهورة ومعانى اشعارها
فانه صلى الله عليه وسلم كان يعرفها وان لم ينشدها موزونة ويتكلم بها والتخصيص اى
تخصيص الله اياه بنطقه بجوامع كلام العرب اى الالفاظ الحسنة البليغة الجامعة للمعانى
الكثيرة فى الفاظ قليلة وقد يراد به القران وليس مرادا ومفرده جامعة الى المعرفة بضرب
الامثال الصحيحة الامثال المتقدمة امثال صادرة ممن قبله وهذه امثال ابتدعها
صلى الله عليه وسلم والامثال النبوية مشهورة مدونة والى كالتى تقدمت والجار والمجرور
هنا وما بعده متعلق بمقدر او بدل مما قبله او متعلق به بعد تضمينه والى فيها بمعنى اللام
لان العامل الواحد لا يتعدى بحرفين بمعنى واحد فالاكثر الاعلى هذه الوجوه كما قرره فى
قوله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا وتقدم تفسير المثل وان ضربه من ضرب الخاتم
اذا طبعه وصاغه وانها صادرة لكثير من الانبيا عليهم الصلاة والسلام لتقريب المعانى فى
النفوس وايضاحها بجعل المعقول كالمحسوس كما حقق فى الكشاف والحكم البينة اى الظاهرة
فى نفسها المظهرة لامور بديعة ومعان لطيفة لتقريب التفهيم للغامض اى المعنى الخفى
الدقيق وهو فى الارض المكان المنخفض فاستعير لما ذكر وتقريبه ايضاحه والجار الاول
متعلق بضرب الامثال والثانى بالتفهيم وقوله والتبيين للمشكل اى اظهار ما التبس
وان كان غير غامض واصل معنى الاشكال كونه غير متميز عن اشكاله واشباهه وهو متعلق
وراجع للحكم البينة الى تمهيد اى بسط بتوطية له وبيان مقدمات قواعد الشرع
اى اساسه وقضاياه واصوله الكلية المحمدى الذى جاء بوحى من الله الذى لاتناقض
فيه اى لاتخالف بين قضاياه واحكامه لاحكامها ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا
كثيرا ولا تخاذل تخاذل المجتنبين ولا مرتناعل من الخذلان وهو ترك نصرة من يستحق
نصرته وهو استعارة تمثيلية لان الشرع يعضد بعضه بعضا ويؤيده واحكامه متناسبة
متناصرة كما ان القران يفسر بعضه بعضا ومن فسره بان قواعد الشرع مشتملة على انه
لا يخذل اخاه اذا ظلم لاقتضا قواعد الشرع استوا الرفيع والوضيع والمالك والمملوك

والعالم والجاهل فى جريان احكامه عليه من غير فرق بين صغير وكبير لم يات بشىء يعتد به مع
اشتمال شريعته وتضمنها واحتوائها على محاسن الاخلاق اى على بيانها للناس وحث
الناس على التخلق بها وقد ورد فى الحديث بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقد تقدم معنى الخلق
وان منه مكتسبا وطبيعيا وان الخلق يقبل التغير ولذا ورد فى الشرع النهى عن الاخلاق
الردية والامر بضدها ولولا ذلك لم يفد ومحامد الاداب جمع محمدة وهى ما يحمد فعله
والاداب جمع ادب بفتحتين وهو معاملة الخلق بلطف وقد ادبنى ربى فاحسن تاديبى وهو من اضافة الصفة للموصوف اى الاداب المحمودة
وفسر الادب فى القاموس بالظرف وحسن التناول والفعل الجميل وكل شىء مستحسن عند ارباب
الطباع السليمة وهو مجرور معطوف على محاسن الاخلاق معتضل بزنة اسم المفعول بالضاد
المعجمة والصاد المهملة كما قاله اى مفضل على غيره او فضله الناس تفضيلا لم ينكر منه ملحد
اى عادل عن الحق زنديق ومعناه لغة المايل فخص بالمايل عن الحق قال الراغب الالحاد ضربان
الحاد الى الشرك بالله والحاد الى الشرك بالاسباب فالاول ينافى الايمان ويبطله والثانى
يوهن عراه ولا يبطله انتهى ذو عقل سليم مستقيم مدرك ادراكا سالما مما يمنعه ويصده
من العدول عن الحق شيا مفعول ينكر الا من جهة الخذلان تقدم ان الخذلان لغة
عدم النصر والمراد به عدم التوفيق والتوفيق خلق قدرة الطاعة فى العبد عندنا وقدرة
المنزلة يلطف الله بعبده والخذلان الخفا بل هو عدم لطفه به كما فصل فى علم الكلام يعنى لا ينكره
الا من خذله الله ولم يوفقه للعلم به ومشاهدة احواله التى تنفى عما ذكره فاضطرب اضطرابا انقالبا
او اطالبا لانكاره باثبات ضده فقال بل كل جاحد اى منكر له اى لما ذكر مما قدمه وكافر
بما جاء به من الجاهلية اى اهلها بدليل اذا سمع ما يدعو صلى الله عليه وسلم الخلق اليه من الحق
المبين صوبه اى اعتقد انه صواب واعترف به لان انكاره مكابرة تاباها العقول السليمة
والطباع المستقيمة واستحسنه اى عرف حسنه واعترف به دون طلب اقامة برهان
وحجة عليه اى على ما اتى به لظهور حقيته كما دل على علم كعبد الله بن ابى ابن سلول وغيره مما ذكر
فى كتب الحديث والسير ثم ما احل لهم من الطيبات اى اشتمال شريعته على ما جعله حلالا
للناس مما حرمه غيره كبنى اسرايل الذين حرموا كل ذى ظفر من البقر والغنم لحومها الا ما حملت
ظهورهما او الحوايا وحرم عليهم من الخبايث كالميتة والدم ولحم الخنزير والزنا وغير ذلك
من المحرمات وعطف بثم لما بينهما من تفاوت الرتبة وقيل لان الاول تفصيل وهذا اجمال
وبينهما تفاوت وهو ظاهر وقراءته فى الطيبات بما ليس مستفيد دوالخبايث بضده والعز
فى ذلك بالطباع السليمة واشتمال شريعته على ما صان به انفسهم من الهلاك كتحريم
قتل النفس بغير حق وقصاص القاتل واعراضهم بفتح الهمزة جمع عرض بكسر العين وسكون
الراء وهو فى العرف كل ما يجل تركه بالانسان وهو المراد واختلف فى معناه الحقيقى لغة فقيل هو
ما يمدح به المرء او يذم سواء وصف به دون اسلافه ام لا وفى الحديث كل المسلم على المسلم حرام
دمه وعرضه وفى حديث اهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون وانما هو عرق من اعراضهم فغسر
بكل موضع يعرق من الجسد وقال الاصمعى يقال هو طيب العرض اى الريح وفسر بعضهم العرض

باعتبار
والحفظ لايامها م
الاصل
ومعتمر

ما تنفس فعلى هذا امر عطف تفسير واموالهم فمن امن به صلى الله عليه وسلم واتبع شرعه صان
دمه وعرضه وماله من العاقبات بيان لما صان كالحد والتعزير والحبس والحدود
كحد الزنا والسرقة والقذف وشرب الخمر عاجلا اى فى الدنيا وهو حال مقيد للعاقبات
والحدود والتخويف بالنار آجلا فى الآخرة لانه مستقبل من الاجل وهو الوقت المحدود
وفى بعض النسخ بدل التخويف التحريق تفعيل من الحرق بالنار اى نار جهنم واختلفوا فيمن
حد وعوقب فى الدنيا هل يسقط عنه عذاب الآخرة ام لا فقيل يسقط مطلقا وقيل بشرط التوبة
ايضا والى هذا ذهب المعتزلة وقيل لا يسقط وانما شرع زجرا لغيره ليرتدع الناس عنه والاصح الاول
لما ورد فى الحديث من اصاب من ذلك شيئا فعوقب فهو كفارة له ومن اصاب من ذلك شيئا
ثم ستره الله فهو الى الله ان شاء عفى عنه وان شاء عاقبه وما ورد فى الحديث من انه صلى الله
عليه وسلم قال لا ادرى الحدود كفارة لاهلها ام لا فقيل الاول اصح وقيل انه صلى الله عليه وسلم قال
له قبل العلم به فهو منسوخ وقوله مما لا يعلم بالبناء للمجهول اى لا يعلمه غيره من الناس وهو بيان
لجميع ما تقدم من اول الفصل الى هنا ولا يقوم به جملة اى يحفظه ويتقنه كما هو حقه وبه تم
العموم بل ولا بعضه فضلا عن كله الا من دارس الدرس اى لازم دراسة الكتب واجتهد
فيها والعكوف على الكتب اللغة قال الراغب العكوف الاقبال على الشى وملازمته على سبيل
التعظيم ومنه الاعتكاف انتهى وهذا تابيد لانه منحة الهية خصه الله بها فما قيل انه لا حاجة
اليه وهم من قائله تقوله لا حاجة اليه لا حاجة اليه اذا عرفته فانه فى غاية الظهور ومثافنة
بعض هذا الظاهر انه بعين ونون وقاف ومثلثة وهو بمعنى الاستخراج كما فى القاموس معطوف
على الدروس والمعنى ظاهر وما فى بعض النسخ من انه بالفا مفاعلة فهو من النفث وهو نفل
الريق من الساحر والراقى ويطلق على لازمه وهو السحر والسحر يدس فى الدقة وكانه المراد
اى والدقيق فى بعض هذه الامور وقوله مما يهم الى ههنا ساقط من اكثر النسخ ولم يتعرض
له الشراح الى لا احتوا اى مع اشتمالها اوضموا الى الاشتمال على ضروب العلم اى
انواعه جمع ضرب بفتح الضاد وكسرها ويكون بمعنى المثل ايضا وفنون المعارف اى اقسام
المعرفة المتعلقة باحوال الدنيا واهلها كما ان ضروب العلم المراد بها ما يتعلق بالشرائع والآخرة
فهو من عطف المتغاير بين لا من عطف غيره على انه تفنن والفرق بين العلم والمعرفة مشهور كالطب
اى معرفة ما يتعلق ببدن الانسان من حيث الصحة والسقم وكان صلى الله عليه وسلم
اعرف الناس به كما فى الطب النبوى وهو من العلوم القديمة المدونة وله معان فى اللغة
وهو مثلث الطاء مشدد الباء والعبارة بكسر العين المهملة اى تعبير الرؤيا والمنام وفعله
عبر بتخفيف الباء والناس يشددونها وقد انكره بعض اهل اللغة الا انه سمع فى بيت
انشده المبرد رحمه الله فى الكامل وهو

رأيت رؤيا ثم عبرتها ... وكنت للاحلام عبارا

كما فى الكشاف ووقع فى بعض النسخ العبارة مضبوطا بفتح العين ولا وجه له والفرايض
جمع فريضة وهو النصيب من الميراث والفرائض صار علما لعلم يذكر ذلك وهو قسم من علم
الفقه افرد بالتاليف فصار علما مستقلا ولذا نسب اليه فقيل فرضى والحساب هو علم

يتعلق بالعدد ولا يتاتى الفرائض عليه فى الاكثر قرنه به والنسب اى معرفته بانساب
العرب وغيرهم وهو من علم التاريخ وكان الصديق رضى الله عنه اعلم الناس به بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من العلم وانواعه مما اتخذ اهل هذه المعارف
لو قال اهله كان اظهر واشمل واخصر كلامه صلى الله عليه وسلم فيها اى فى هذه العلوم
والمعارف وقيل الضمير للشريعة اى فى شريعته وهو خلاف الظاهر قدوة واصولا اى
ادلة متقنة لها او قواعد وضوابط يرجعون اليها فى الحوادث الجزئية اذا وقعت لهم فى
علمهم اى علومهم التى دونوها فى هذه الفنون كقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه
ابن ماجة عن انس الرؤيا ما يرى فى المنام من الاحلام مصدر يختص بذلك ويقال فى غيره
رؤية بالتاء ورأيا لاول عابر متعلق بمقدر اى مصادفة وموافقة لاول تفسير يعبر به
والعابر هو الذى يبين الرؤيا ويفسرها واول الحديث اعجبه وهما بما يحبها وكنوها بكنوها
والرؤيا لاول عابر اى فسرها بما يناسب الفاظها كما قيل سالم فاول بالسلامة وهو نوع
من التعبير والتكنية ليس من الكناية المشهورة بل المراد به التمثيل كما فى النهاية وهى عند
اهل السنة امور يخلقها الله فى قلب عبده كالالهام وورد ان ملكا يلقيه وهو ملك الرؤيا
وعند الحكماء ان الروح فى النوم تفارق البدن وتتصل بالملا الاعلى فيلقى اليها ما يفيضه
على ذهن النائم فمنه ما يقع بعينه ومنه ما يؤول بتعبيره ومنها اضغاث احلام ووساوس
شيطانية لا تاويل له ومن هذا القبيل ما هو من غلبة الاخلاط كالصفراء اذا غلبت
يرى النائم نارا والبلغم يرى ماء والسوداء يرى شيئا اسود وليس كل رؤيا كذلك كما يوهمه كلام
الاطباء وانكار هذا القسم لا وجه له ايضا والكلام على الرؤيا وحقيقتها واقسامها مبسوط
فى محله وقيل المراد بالعابر هنا العالم باحوال الرؤيا لا كل عابر وظاهر كلام اهل هذا الفن
خلافه لانه عندهم كالفال والالهام فلا يختص بمن ذكر وقد قيل ان رجلا رأى انه شرب
البحر فقصه على ابن سيرين فقال له هل ذكرته لاحد قال لا قال لما تقول لك قال رأه
يشق بطنك ثم يعبرها له وقال قضى الامر وفق له وهى على رجل طائر رواه ابو داود
والترمذى عن ابى ذر وصححه بهذه بل بعينه واول الحديث رؤيا المؤمن جزء من ستة
واربعين جزءا من النبوة وهى على رجل طائر ما لم تعبر فاذا عبرت وقعت فلا تحدث
بها الا حبيبا او لبيبا ورجل بكسر الراء وسكون الجيم ولام وهو تمثيل لكونها كالفال
على قدر جار من خير او شر وقدر لصاحبها فكانها تصعد وقرب من ان تقع بادنى حركة
فهو بمعنى قوله لاول عابر وهو من الطف البلاغة وسرها ما لا يخفى فان الطائر
يكون للفال ومنه التطير وليس المراد به ظاهره كما توهم وقد وقع فى بعض الكتب
الرؤيا على جناح طائر اذا قص وقع ولا ادرى هل هى رواية بالمعنى نظرنا او رواية وفيه
تورية فى القص لانه يكون من قص الجناح اذا قطع ريشه ومن قص الرؤيا اى ذكرها للعابر
توقع محتمل للمعنيين اعنى الوقوع والسقوط ونظمه بعض المتاخرين فقال رؤيا اذا
قصصتها وانت لم تتحقق طلع على جناح طائر فهى اذا قص وقع وهذا الحديث روى
من طرق اختلف العدد فيها فروى سبعين واربعة وعشرين وستة واربعين جزءا والاخير

من رواية البخاري وجعلها جزءا من النبوة لان رؤيا هم وحي صادق فقيل حكمة العدد وكونه غير مقصود والمقصود التكثير وقيل وجهه انه صلى الله عليه وسلم اوحي اليه احد وعشرين سنة منها منام والباقي وحي يقظة على انواع بينوها وجات امراة للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت رايت ان جذع السقف من بيتي وقع وعندي ولد اعور فقال يقدم زوجك وتلدين ولدا برا ثم راتها بعد ذلك فقصتها على ابي بكر رضي الله عنه فقال يموت زوجك وتلدين فاجرا لانها في زمن الرؤيا كان زوجها غائبا وهو عمود البيت فسقوطه يجيبه قال

فاسقط علينا كسقوط الندى ليلة لا ناه ولا زاجر

واول العور بالبر لغض بصره عن المحرمات وفي وقت نقلها لابي بكر كان زوجها مقيما وسقوطه موته والاعور يتشاءم به فالمنام واحد اختلف تاويله بحسب الحال وامثاله كثيرة **وقوله** صلى الله عليه وسلم **الرؤيا ثلاث** انواع **رؤيا حق** بالاضافة والتوصيف والظاهر الثاني وهو المناسب لما بعده وعلى الاول الاضافة بيانية اي رؤيا هي حق فالمعنى واحد **ورؤيا يحدث بها المرء نفسه** فالمراد انها خواطر تخطر بالبال لا امور مفاضة من عالم المثال والملك لتشبه بمن يجاور غيره في خلوة لما يورده عليه من الاماني والاوهام وهو في معنى التجريد المذكور في علم البديع فهو بديع وليس المراد من نفسه ذاته وهما معنيان متغايران يعني انه راى في منامه ما كان في ذكره قبله وهو من اضغاث الاحلام **ورؤيا من تحزين الشيطان** بان يلقي له ما يكره ويخاف بوسوسته وورد في الحديث انه ينبغي للانسان ان يتحول من شقه الذي نام عليه ويستعيذ بالله من شره ويتفل عن يساره او يصلي ركعتين او انتبه ولا يحدث به احدا قال السيوطي في مناهل الصفا في تخريج احاديث الشفا هذا الحديث رواه الشيخان وغيرهما عن بضعة عشر من الصحابة الا انه قيل ان الذي في مسلم عن ابن سيرين عن ابي هريرة اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المومن تكذب واصدقكم رؤيا اصدقكم حديثا ورؤيا المسلم جزء من خمسة واربعين جزءا من النبوة والرؤيا ثلاث رؤيا صالحة بشرى من الله ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا يحدث بها المرء نفسه فان راى احدكم ما يكره فليقم فليصل ولا يحدث بها الناس قال واحب القيد واكره الغل والقيد ثبات في الدين فلا ادري اهو في الحديث ام قاله ابن سيرين انتهى ما في مسلم وقد اختلفوا فيما ذكر من كون الرؤيا ثلاثا الخ فقيل هو مدرج في الحديث من كلام ابن سيرين وقيل هو موقوف على ابي هريرة وقيل فيه انه مرفوع ويؤيده ان ابن حنبل رفعه بسنده والحافظ السيوطي اعتمده ولذا المص فلا يرد عليه ان ابن الملقن قال في شرح البخاري ان الصحيح انه ليس من كلامه صلى الله عليه وسلم واختلف في نا ديه والصحيح انه ابن سيرين وقول ابن حجر في فتح الباري انها ليست منحصرة في الثلاث فان منها رابعا وهو تهويل الشيطان وخامسا وهو ما يهم به المرء في يقظته وسادسا وهو تلاعب الشيطان وسابعا وهو ما يعتاده الانسان وبينه وبين حديث النفس عموم وخصوص فيه ما فيه لانه راجع لما ذكر او في معناه وقد بسطنا الكلام على الرؤيا في تعليقة مستقلة

يجتنب عنها نطاق المقام فانظرهما ان شئت **وقوله** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن ابي هريرة مسندا **اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المومن تكذب** التقارب تفاعل من القرب ضد البعد واختلف في المراد به هنا فقيل المراد به زمان الربيع وقرب الليل والنهار من التساوي وهو زمان تدرك فيه الثمار وتتفتح الازهار ويرق النسيم تعتدل الطباع البشرية فيه فتقوى قواها على تلقي ما يفاض عليها ولذا قال اهل التعبير اصدق زمان لوقوع الرؤيا زمان الربيع وقيل المراد به اخر الزمان اذا قربت الساعة كما في زمان المهدي وتقاربه وقصره اما حقيقة لما في الحديث في ايامه السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كساعة وقيل انه لكثرة اشتغال الناس بالدنيا وفتنها عليهم او لغير ذلك وذهب كل لترجيح احد الوجهين لامر ووجه يؤيده وقوله لم تكد الخ نفي للكذب بابلغ وجه بيدها في لان ما لا يقرب من الوقوع ابلغ مما لا يقع وليس نفيها اثباتا ولا اثباتها نفيا كما توهم والغريب واجيب عنه كما فصله النحاة وسره نفي عن ذكره وخص المومن لان نفسه اقوى وعقله اتم من غيره وقيل انه لبعد العهد بالوحي عوضوا المبشرات **وقوله** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الدارقطني وضعفه فلا وجه لما قيل من انه لا صحة له **اصل كل دا** اي مرض وتغيير مزاج **البردة** بموحدة وراء ودال مهملتين مفتوحات وهي والتخمة الاكثار من الطعام حتى لا يقدر المعدة على هضمه سميت بها لبرد المعدة حتى تضعف عن طبخه وتصفية اخلاطه والمراد بكونه اصلا لذلك انه منشؤه ومبدؤه وفي المقالات

فان الداء اكثر ما تراه يكون من الطعام او الشراب

وما روي عنه صلى الله عليه وسلم والراوي له الطبراني في الاوسط كما ياتي بيانه والمص لم يبينه **في حديث ابي هريرة من قوله** صلى الله عليه وسلم **المعدة** بوزن كلمة وبكسر الميم وسكون العين ودال مهملة مقر الطعام كالكرش للحيوان والحوصلة للطائر **حوض البدن** تشبيه بليغ والحوض مجمع الماء شبهها به وشبه البدن بما يسقى منه وقيل شبهها بعروق الشجر والبدن بفروعها وورقها وهو مكرر لما في الحوض من الصفا والتشبيه ثم رشح ذلك بقوله **والعروق اليها واردة** جمع عرق وهو مجرى الدم والورود الاتيان لما يقصد ليرجع واردة شبه ايصال خلاصة الغذاء الى الاعضاء لاحتباس الحوض المورود والعروق تنتهي الى الشريانات واردة كما ذكره اهل التشريح **وان كان هذا حديثا** خبر كان وقوله **لا نصححه** اي لا نحكم بصحته خبرها الموصولة قيل وروي حديث بالرفع بدلا من هذا والنصب اولى **لضعفه وكونه موضوعا** بالجر عطف على ضعفه ويجوز رفعه على انه مبتدا خبره **تكلم عليه** الامام ابو الحسن **الدارقطني** نسبة لدار القطن محلة ببغداد ولا يرد على المص انه كيف ذكر الموضوع وهو كذب عليه صلى الله عليه وسلم وهو ممتنع لان ذلك في ذكره مع بيانه وقد اختلف فيه فقيل انه مرفوع قال الطبراني في الاوسط عن الزهري عن ابي هريرة مرفوعا المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة فاذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة واذا سقمت المعدة صدرت العروق بالسقم ولم يروه عن الزهري الا يحيى ابن ابي انيسة تفرد به الرهاوي وقوله تكلم الخ اي

ابن ابي انيسة

حديث في مسنده وكونه مرفوعا وقال في كتاب العلل اختلف فيه عن الزهري فرواه
ابو قرة الراوي عنه وقال عن عائشة ولم يقل عن ابي هريرة وكلا الروايتين عن ابي
هريرة لم يصح ولا يعرف من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وانما هو من كلام عبد الملك
ابن سعيد ابن ابجر وقيل انه من كلام الحرث ابن كلدة وعن ابن منبه ما يقرب منه
وذكر ابن ابي الدنيا اجمعت الاطبا على ان راس الطب الحمية والحكما على ان راس الحكمة
الصمت وعن عائشة رضي الله عنها انها قالت الازمة دوا والمعدة دا وعودوا كل بدن
ما اعتاده وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله
عنهما خير ما تداويتم به السعوط بفتح السين وضم العين وواو وطا مهملات وكذا
كل ما يداوى به فانه على فعول بالفتح وهو ما يجعل في الانف ويستنشق به لفتح السدد
الدماغية ومنع النزلات واللدود بفتح اللام وضم الدال المهملة وواو ودال مهملة
وهو ما يجعل في احد شقي الفم ويغمز به لدفع ورم به يعتري الصبيان غالبا وهما في
الاصل اسمان لمرضين في الراس واعلى الحلق ويسمى ايضا نزلة الحلق وهو ورم فيه معروف
وكان النسا يعالجنه برفعه بالاصبع فنهاهم صلى الله عليه وسلم عنه وامرهم بما ذكر وهو العود الهندي
يحك في الماء فيجعل به ذلك فيحلله عن اذنه وهو ماخوذ من الدبر وهو جانب الوادي
كما قاله الاصمعي وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم فانه مرض خفي لا يعرفه اكثر الاطبا
فضلا عن زماننا وفي الهدي النبوي لابن القيم من هذا النوع ما فيه شفا للصدور
والحجامة وهي مص الدم بالة معروفة في الراس وبين الكتفين وهي في مؤخر الدماغ
تورث النسيان وهي دوا للشقيقة في الراس مع انه مرض مزمن وورد فيها احاديث منها
انه صلى الله عليه وسلم ما مر ليلة الاسرا بملا من الملائكة الا قالوا له مر امتك بالحجامة والمشي
بفتح الميم وكسر الشين المعجمة وتشديد المثناة التحتية وهو المسهل لانه يثير مشيا
وسمي به لان صاحبه يكثر المشي للخلا وفي الحديث لو كان شي فيه شفا من الموت ابن القيم
لكان في السنا ولبعض الشراح هنا كلام يحتمل تركه خير منه وخير الحجامة اي انفعها بعد
نصف الشهر يوم سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين في الوتر دون الشفع
وهذا الحديث رواه الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما وصححه وابو داود عن ابي هريرة
مرفوعا وشينه مفتوحة وساكنة وغلب فيه المؤنث على المذكر او ذكر بحذف المميز ونهى
عن الحجامة في يوم الاربعا والسبت والاحد ويروى عن ابن حنبل انه كره الحجامة في هذه
الايام وانما كانت الحجامة في النصف الاخير والربع الثالث من الشهر انفع لان الاخلاط
تهيج في اوله وتسكن بعده لهبوط القمر فالاستفراغ فيما اقل فلا يضعف ويقولون
انه ينبغي ان يكون في الساعة الثانية والثالثة ولا يكون عقب حمام ولا جوع وشبع ولا
في الصوم وفي العود الهندي سبعة اشفية والمراد بالعود الهندي العود المعروف
وقيل القسط الابيض وهو مبين في باب المفردات من الطب والاشفية جمع شفا على
خلاف القياس والقسط بضم القاف ويقال كسط بالكاف والسبعة انه ينفع من ذات
الجنب وحصر البول وضعف شهوة الطعام والجماع والسم ويدر الطمث وينفع

امراض

امراض الكبد والربع والسبعة علمت بالوحي وما عداها بالتجربة وقوله صلى الله
عليه وسلم كما تقدم الكلام فيه ما ملا ابن ادم وعاء شرا من بطن شبه البطن بالوعا الذي
فيه الطعام وفي بعض النسخ من بطنه والشرية في البطن محققة لانه تصدر عنه الكسل
المحقق كرم المانع من العبادة وفي المفضل عليه تقدير به فان كان ولا بد اي ان لزم واصل معنى
اللابد الفارق يقال لا بد من كذا ولا محالة اي لا مفارقة ولا تحول فاريد به لازمه
فثلث من البطن للطعام وثلث للشراب وثلث يكون خاليا للنفس اي لدخوله
وخروجه وهذا ابلغ الى انه لا ينبغي ملوه بتمامه وان يكون ما فيه اقل من ذلك تنبيه
حبان وهذا بعض حديث رواه ابن ماجة والترمذي وابن خزيمة مرفوعا وحسنوه وهو
ما ملا ابن ادم وعا شرا من بطن حسب ابن ادم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا محالة
فثلث الخ وجعله مرتبة لانه يعين مبدا الصحة والمرض ومقدار ما يكفي البدن وربما
يتوهم بعضهم انه يضعفه وقد قال بعض اهل الكتاب ليس في كتابكم الطب فقال له
بعضهم قوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال انها جمعت طب جالينوس ثم ذكر
ما يتعلق بعلمه صلى الله عليه وسلم بالانساب ولم يراع في اللف والنشر ترتيبا فانه ليس بلازم
وقد يستحسن تركه اعتمادا على فهم السامع فقال وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
الترمذي عن فروة واحمد عن ابن عباس مسندا وقد سئل عن سبا بهمزة في اخره ويجوز
ابدالها الفا وعلى همزه يصرف ولا يصرف ويجوز تنوينه وعدمه ولهذا اختلفوا فيه
وفي مسماه اهو رجل ام امراة ام هو اسم ارض كان يسكنها ومن نزل بها فقال هو اسم
رجل سمي باسمه ارض وهو مدينة بلقيس باليمن فلا خلاف بين القولين وصرفه ظاهر
وشمه لانا نريد به قبيلته فان اريد به الارض فباعتبار البقعة ولد عشرة من الاولاد
الذكور ولذا قال عشرة تيامن منهم ستة اي سكن اليمن فتولد منهم الكرام ونسبوا
له وهم مذحج وحمير وكندة والازد والاشعريون كما ذكره علما النسب واهل التاريخ
واليمن اقليم معروف سمي بها منه ومنها المدينة وتشام اربعة اي سكنوا الشام بالهمزة
وقد تمد وتبدل الفا وهو من الفرات الى العريش وهم لخم وجذام وعاملة وغسان
كما قاله الواحدي في تفسيره وكتب هولا قبايل وبطون وافخاذ وليس هذا محل تفصيلها
الحديث بطوله بالنصب اي اذكر هذا الحديث وفيه اشارة الى انه اقتصر على بعض منه
يكفي فيما اراده وترك الباقي لطوله والغنى عنه واختلف في وجه تسمية الشام شاما فقيل
لانها في جانب اليسار ويقال له شامي كيسرى وقيل سميت باسم سام بن نوح وعربت بالاعجام
وقيل انه يعني الشامة لشامات حمر وسود فيها وكذلك اي مثل ما تقدم من علمه صلى الله
عليه وسلم بالانساب جوابه صلى الله عليه وسلم لمن ساله وهو عمرو بن مرة في نسب قضاعة
في حديث رواه احمد وابو يعلى والطبراني عن عمرو بن مرة الجهني انه صلى الله عليه وسلم
قال من كان هنا من معد فليقم فقمت فقال اقعد فقلت ممن نحن قال انتم من قضاعة بن مالك
ابن حمير وقضاعة بضم القاف وضاد معجمة وعين مهملة ابو حي من اليمن لقب به لانفصاله
عن الناس لان القضاعة ما ينفصل عن اصل الحائط وقيل من قضع بمعنى قهر فهو لقهره لهم عنه

من عاداه وقيل الفضاعة من اسما العهد او كلب الما وغير ذلك المذكور مما اضطرت
بالبنا للمفعول وهو لغة القران الفصحى او للفاعل افتعال من الضرورة والاحتياج قال
تعالى امن يجيب المضطر اذا دعاه العرب على اى مع شغلها بضم الشين المعجمة ويجوز فتحها
والاول هنا اولى اى اشتغالها وتقيدها بالنسب اى بمعرفته وحفظه لاعتنائهم بضبط
انسابهم ومع ذلك اضطروا وافتقروا الى سواله صلى الله عليه وسلم عما اختلفوا فيه كخفايه
عليهم من ذلك اى معرفة ذلك اى شكل انسابهم ومعرفة ما اشكل عليهم مما جل امرهم
ضبطه وهو صلى الله عليه وسلم لا يعتنى به ولا يشتغل بحفظه وذلك يدل على قوة معرفته
بالانساب وفى نسخة مصححة ومن ذلك بالواو فهو خبر مقدم وحتى له قوله مبتدا او
اى فى قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه البزار حمير وهم قوم من العرب بوزن درهم
ابن سبا بن يشجب راس العرب اى منزلتهم من الشرف فى العرب بمنزلة الراس فى الجسد
ونابها وهو من كبير خلقها الراعية اى هم عمدتهم ومن اشدهم وهم من ولد معد بن عدنان
ومن ذرية اسماعيل ومذحج بفتح الميم وسكون الذال المعجمة وكسر الحا المهملة وجيم وهما حيان
من العرب مالك وطى سميا باسم اكمة ولدتهما امهما عندها وميمه زائدة فوزنه مفعل وقال
الجوهرى اصلية فوزنه فعلل ووهم فيه عما فصل فى كتاب سيبويه وشروحه وليس هذا محله
هامتها اى راسها وغلصمتها بفتح الغين المعجمة وسكون اللام وفتح الصاد المهملة وميم
وها وهى محل بين الراس والعنق او راس الحلقوم وفيه اشارة الى اشتراكهما فى الشرف
وتخصيص كل بفضيلة مع التفنن فى التعبير فان الراس والهامة مترادفان والناب والغلصمة
يحتاج لكل منهما فى اساغة الطعام الذى هو مادة الحياة وقيل انه تفضيل لمذحج لان الحاجة
للغلصمة اشد ولك ان تقول انه اشارة الى ان طى جمع مع الشرف شدة وقهر وفى مذحج
لين ونفع وعلى كل حال فما وصفوا به دال على المدح والشرف على طريق التشبيه البليغ والمجاز
المرسل بتسمية الكل باسم الجزء وقول ابى بكر رضى الله تعالى عنه فى حديثه المشهور امن هامها
ام من لهازمها اى اشرافها او اوسطها يدل على تفضيل حمير والازد بهمزة مفتوحة
وزاى معجمة ساكنة ودال مهملة وهو الازد بن الغوث وهو بالسين افصح كما فى القاموس
ابو حى باليمن منه الانصار ويقال ازد شنوءة وعمان وسراة وازد بن الغوث محدث كاهلها
بوزن فاعل وهو ما يلى العنق من اعلى الظهر كما قاله الخليل وعليه الكل والحل وقيل ما
بين كتفيها او موضع العنق فى الصلب وجمجمتها بضم الجيمين وسكون الاولى ساكنة والثانية
مفتوحة وهى عظام الراس وتطلق على الراس نفسها وجماجم العرب بطون منها والجمجمة
ايضا اسم فحج ونقل معروف وفيه اشارة الى ان غيرهم وان كان اشرف كالمهاجرين والخلفا
فهم لهم الفضل بما دينهم وحل لديهم لان الانصار منهم وهمدان بسكون الميم والدال المهملة
قبيلة باليمن وبفتح الميم اسم بلدة غاربها بوزن البعير كالكاهل من الانسان والكتف وذروتها
بكسر الذال المعجمة وضمها وسكون الراء المهملة اى اعلاها وسنامها فهو من المعرفة بانساب
العرب ومنازلها فى الشرف والاحاطة باحوالها ما لا يهتدى له سواه صلى الله عليه وسلم
وقيل اراد بالذروة اعلى السنام وان مخايل الصنعة والنكارة لائحة على هذا الحديث

لتكريره

لتكريره ذكر الراس بالفاظ مختلفة ولذا جزم ابن حجر بانه منكر قلت اما انكاره من جهة
الرواية فمسلم واما من جهة تكراره المذكور فتفنن بديع ونوع من الفصاحة فلا وجه للانكار
به وهو عليه وقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الشيخان عن ابى بكرة فى خطبة حجة
الوداع ولفظ قوله فى جميع ما وقع هنا بالجر وابتدا عن الضم وان جاز رفع بعضها ان الزمان
قد استدار اى عاد لما كان عليه كالدائرة التى يرجع انتهاؤها الى ابتدائها كهيئته يوم
خلق الله السموات والارض وتتمة الحديث اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاثة متواليات
ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر بين جمادى وشعبان انتهى والمراد بذلك دفع النسى
وتغيير الشهور الذى كانت الجاهلية تفعله فانهم كانوا اهل حروب وغارات فربما اتاهم بعض
الاشهر الحرم وهم محاربون فيشق عليهم الترك فيحلونه وينقلونه من شهر الى اخر ويستمر
نقله من شهر الى اخر سنة بعد سنة حتى يعود لموضعه الاول فيا كل فيتنقل بذلك شهر الحج
وكانوا يحجون فى كل شهر عامين فوافق حجة ابى بكر العام الثانى من حجة ذى القعدة فلما حج
صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وافق حجه شهر الحجة المشروع فوقف بها وقال ان خطبته وعلمهم
ان حجة فى هذه الشهر ليس اتفاقيا بموافقته لعدد الشهر فى الجاهلية وانما هو امر شرعه الله
وقدره فى الازل وامره به سبحانه وتعالى لما كانوا يفعلونه وامرهم صلى الله عليه وسلم بالمحافظة
عليه وان لا يبدل ويغير ورد دور الجاهلية الاولى بقوله قد استدار يعنى رجع لما فى علم
الله وقضائه قديما وهو معنى قوله يوم خلق السموات الخ نفى النسى ونسخ وكانوا اذا ارادوا
ذلك يقوم رجل من كنانة لانهم اهل غارات على جمل بالموسم وينادى على صوته ان الهتكم قد
احلت لكم المحرم فاحلوها واستدارته بموافقة حجة للمشروع ولذا لم يحج صلى الله عليه وسلم
قبله وارسل ابا بكر رضى الله تعالى عنه بالعهد ليظهر الحرم قبل حجه ونقل ابن حجر ان حجة الوداع
كانت والشمس فى الحمل وتدنا وى الليل والنهار واعتدل سرف شمس النبوة وقال الصدر
القونوى فى شرح الاربعين حديثا له ان فى هذا الحديث اسرار الهية لا يطلع عليها الا
بعض الكمل وقال ان النوع الانسانى اوجد بالاسم الالهى فى اول دور السنبلة ومدته سبعة
الاف سنة بعث نبينا فى الالف الاخير منها الجامع بين احكام السنبلة والميزان المختص
بالاخرة والبرزخ تمازج بالغروب فامتزج فى زمان بعثته الدنيا بالاخرة البرزخية كالصبح
بالنسبة للنهار فظهور النور تدريجا حتى تطلع الشمس وكذلك ظهور احكام الاخرة من خفية
البعث الى طلوع الشمس من مغربها ومنه ظهور سر ختمية النبوة والولاية انتهى ملخصا ومن لم
يفهم الحديث ذكر ما لا اساس له به ولا ينبغى ذكره وذكر هذا الحديث هنا اثباتا لعلمه عليه الصلاة
والسلام بالحساب فان الزمان وحركاته الدهرية مبنية عليه وقوله صلى الله عليه وسلم
فى حديث رواه الشيخان عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما فى الحوض اى فى شان حوضه
الذى يكون يوم القيامة تشرب منه العطاش وقد تقدم الكلام رزقنا الله وروده وسقانا
منه شربة لا نظما بعدها زواياه سوا جمع زاوية وهو ما يحصل من تلاقى خطين من
داخله وسوا بمعنى متساوى وهذا يقتضى انه مربع متساوى الاضلاع مستقيمها فانه لا تساوى
زواياه الا ان استقامت اضلاعه وهذا امر مبنى على المساحة ودقائق الهندسية وذكر ابن

أي الأصبع أنه نوع من البديع غريب سماه الاستقصاء وأن منه قوله تعالى إلى ظل ذي ثلاث
شعب فقال إنه أيضا إلى أنه ليس بظل لأن المثلث لا ظل له وهذا كلام محتاج للتحرير لكن
لكل مقام مقال وهذا الآن فيما ورد فيه من أن مسافته ما بين أيلة وصنعا ومسافة شهر
وعرض ذلك تماما لأنه أعلم بأحوال الدنيا بعد نشئ كما قيل بل لأن المراد من كل زيادة سعة فهو كما
في المثل ملا جانبي سرسي البطريق **وقوله** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه أبو داود وابن
ماجه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما **في حديث الذكر** وهو أنه صلى الله
عليه وسلم قال خصلتان لا يحصيهما رجل مسلم إلا دخل الجنة وهما يسير ومن يعمل بهما قليل يسبح الله
عز وجل دبر كل صلاة عشرا ويحمده عشرا ويكبره عشرا قال فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعقدها بيده فتلك خمسون ومائة باللسان وألف وخمسمائة في الميزان فإذا أوى إلى فراشه
سبح وحمد وكبر مائة فتلك مائة باللسان وألف في الميزان فأيكم يعمل في اليوم ألفين وخمسمائة
سيئة الحديث **وأن الحسنة بعشر أمثالها فتلك مائة وخمسون على اللسان** إذا
جرت على اللسان وذكرت في دبر كل صلاة من الصلوات الخمس فإنها تكون مضروبة في خمسة
وألف وخمسمائة في الميزان التي توزن به الأعمال والوزن إما لصحفها أو لها نفسها
بجعل الأعراض أجساما وعند المعتزلة أنه تمثيل لمضاعفة أجرها فإن الحسنة بعشر أمثالها كما
ورد به النص وهو أقل مراتبها وقد يزيد على ذلك وهذا الاستدلال من المصنف على معرفته صلى الله
عليه وسلم بالحساب وهو الشبه لمقامه وحده زمنه أمر سهل وقوله يعقدها إشارة إلى أنه
لم يكن له صلى الله عليه وسلم سبحة يسبح بها ولذا قال بعضهم إنها بدعة وقال السيوطي في رسالة سماها
المنحة في السبحة إنها سنة وإن لم يباشرها بنفسه لأنه صلى الله عليه وسلم رأى عند بعض الصحابة
نوى يعد به الذكر فأقرها عليه **وقوله** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الطبراني عن أبي رافع
بسند قالوا إن فيه ضعف **وهو في موضع** جملة حالية وفي نسخة وهو بموضع **نعم موضع**
الحمام هذا بفتح الحاء المهملة وتشديد الميم بيت يعد للغسل يذكر ويؤنث ولم يكن في
عصره صلى الله عليه وسلم بالمدينة حمام ولم يدخله وهذا أشبه مما لم يذكره فإن فيه الإخبار
بحال البناء ومهاب الهواء ونعم للمدح والمخصوص به هذا وقيل موضع الحمام كقوله نعم دار
المتقين **وقوله** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي عن أبي هريرة وصححه **ما بين**
المشرق والمغرب قبلة القبلة على السجدة كما في قوله واجعلوا بيوتكم قبلة في أحد التفاسير
وعلى الكعبة وعلى جهتها وسمتها وهو المراد هنا لأنه المراد عند الإطلاق وهو إنما بيان القبلة
لأهل المدينة لأنهم المخاطبون أو على من هو في جهتها وشمالها والتثبت عليه وقال ابن عمر
إذا جعلت المغرب عن يمينك والمشرق عن يسارك فما بينهما قبلة وأما كون الواجب استقبال
عين الكعبة أو جهتها فبحث طويل مفصل في التفسير وكتب الفقه لا يسعه هذا المقام وإن ورد
في الحديث أنه يدل على علمه صلى الله عليه وسلم في حديث ذكره ابن الأثير في النهاية ولم يخرجه وقوله م
السيوطي لأنه لم يقف عليه **لعيينة** بن حصن الفزاري ويكنى أبا مالك وأسلم يوم الفتح وكان
من المؤلفة وكان من جفاة الأعراب وهو الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم إنه الأحمق المطاع
لأنه كان سيد قومه وعيينة علم منقول من تصغير العين **أو الأقرع بن حابس** ابن عقال

ابن

ابن محمد بن سفيان بن مجاشع التميمي واسمه فراس ولقب بالأقرع لقرع في رأسه وهو
من المؤلفة أيضا وكان شجاعا عاقلا رئيسا شريفا في قومه في الجاهلية والإسلام أسلم وقدم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بني تميم وهو الذي نزل فيه إن الذين ينادونك
من وراء الحجرات وقصته مذكورة في السير والشك في القول من الراوي وقال ابن الأثير
إنه صلى الله عليه وسلم عرض عليه الخيل وعنده عيينة فقال أنا أعلم بالخيل منك فقال صلى الله
عليه وسلم **أنا أفرس بالخيل منك** أي أبصر وأعرف ومصدره الفراسة بفتح الفاء والفراسة
بالكسر من الفرس وهو معنى آخر وهو رد عليه بأسلوب حكيم ولم يقل له ليست كذلك لما
يعلم من أنه أعرابي جاف **وقوله** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي عن زيد
ابن ثابت **لكاتبه** وكان له كتبة عدة والمقول له منهم قيل إنه معاوية رضي الله تعالى
عنه وقد عد البرهان في حاشيته هنا كتاب النبي صلى الله عليه وسلم فبلغ عددهم ثلاثة
وأربعين وعدهم شيخه الحافظ العراقي وقال إن شيخه الجمال الأنصاري أفردهم بالتصنيف
قلت وقد وقفت أنا أيضا على تأليف لابن أبي الحمد فيهم وكأنه لم يقف عليه ولم يفصلهم هنا
لأن له مقاما آخر وكان المداوم على الكتابة له صلى الله عليه وسلم زيد ومعاوية **ضع القلم**
على أذنك اليمنى والمراد اليمين **فإنه** أي وضعه كذلك **أذكر** أي أكثر ذكرا بكسر الذال
وضمها وهو ضد النسيان **للمملي** اسم فاعل أصله المملل وجوز فيه أن يكون اسم مفعول أيضا
أي ما يتذكر ويملي أمل وأملى بمعنى وهو إلقاء ما يكتب على الكاتب وبهما ورد القرآن قال تعالى
فليملل الذي عليه الحق وقال تعالى فهي تملى عليه بكرة وأصيلا والأصل أمللت فقلبت تخفيفا كما
قاله الراغب وأما قوله تعالى وأملي لهم إن كيدي متين فمعناه أمهلهم **هذا** أي خذ هذا أو
اذكره وقيل ها اسم فعل بمعنى خذ من غير تقدير وأراسم بها له وهي كلمة مستعملة في الانتقال
والتخلص من كلام لآخر أو تنبيه وهي كذلك في القرآن وكلام العرب إلى معرفته صلى الله
عليه وسلم بالكتابة وأحوالها **مع أنه صلى الله عليه وسلم** أمي من أمة أمية لا يكتب ولا يحسب وهو
من معجزاته لأنه **كان لا يكتب** كما تقدم بيانه والله قيل إنه كان ذلك في أول أمره وإنه
كتب بعد ذلك في الحديبية كما ذكره بعضهم وقد ردوه وشنعوا عليه كما فصله ابن حجر في تخريج
أحاديث الرافعي وقد تقدم بيانه في غير ما موضع **ولكنه** صلى الله عليه وسلم **أوتي** بالبناء للمفعول
للعلم بأن المؤتي له هو الله **علم كل شيء حتى قد وردت آثار** جمع أثر وهو ما يؤثر ويروى
مطلقا وقد يخص بما ليس الحديث المرفوع من كلام بعض الصحابة أو التابعين **بمعرفته**
حروف الخط أي كيفية رسمها **وحسن تصويرها** أي صورتها المستحسنة عند أهلها ومن
ما رسم منها **كقوله** صلى الله عليه وسلم لكاتبه **لا تمد بسم الله الرحمن الرحيم** أي لا تجعل
السين مدة طويلة من غير بيان أسنانها فإنه يلبس صورتها وفي نسخة لا تمد **ورواه**
ابن شعبان من طريق ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وابن شعبان هو محمد بن
القاسم بن شعبان بن إسحاق المصري المالكي توفي سنة خمس وخمسين وثلاثمائة وضعفه
ابن حزم وله ترجمة في الميزان وقال السيوطي حديث ابن عباس لا تمد بسم الله الرحمن الرحيم
لم أجده وللديلمي من حديث أنس إذا كتب أحدكم بسم الله الرحمن الرحيم فليمد الرحمن

وله من حديث زيد بن ثابت اذا كتبت فبين السين في بسم الله الرحمن الرحيم **وقوله** صلى
الله عليه وسلم في الحديث **الاخر الذي يروى** بالبنا للمجهول ونايب فاعله قوله **عن**
معاوية بن ابي سفيان احد كتبته صلى الله عليه وسلم كما تقدم وفي نسخة الذي يروى
معاوية اي يرويه عنه صلى الله عليه وسلم مبني للفاعل على هذا **انه كان يكتب بين**
يديه اي عنده وفي محله **فقال له الق الدواة** الق امر بفتح الهمزة وكسر اللام
والقاف لالتقا الساكنين يقال لاق الدواة يليقها ليقة ولتقا والاقها ولاق يتعدى
ولا يتعدى اصلح مدادها من قولهم لاق به اذا الصق ومنه يليق بك كذا ولا يليق
اي يناسب واشتهر استعمال ذلك فيما يجعل في حبر اي ليد او نحوه لانه يصلحها لمنعه
كثرة اخذ المداد في القلم الذي قد يفسد الخط **وحرف القلم** اي اجعل قطعه محرفا لانه
اعون على تصوير السنان ويكون تحريفه من جهة اليمين **وانصب البا** اي اجعلها منتصبة
او طولها قليلا لانها عوض عن الف اسم **وفرق السين** اي اجعلها سنها منفصلا بعضها
من بعض **ولا تعور الميم** اي لا تجعل دايرتها مطموسة كالعين العورا وهو بضم المثناة
الفوقية وفتح المهملة وكسر الواو المشددة وراء مهملة **وحسن الله** اي كتابته وصورة
لفظه تعظيما لمسماه **ومد الرحمن** اي كتابته وصورته لم يبينوا معنى المد فيه فهو بمعنى
مدنا بين الميم والنون هكذا الرحمن عوضا عن الالف الساقطة خطا والمراد رسم القاعدة
وتبعيته مخالفة رسم المصحف العثماني **وجود الرحيم** اي حسن كتابته والتجويد مطلق التحسين
وخص في العرف بتحسين الخط وفي القراة التحسين للفظ بالحروف ورعاية محال رجها وصفاتها
وهذا الحديث رواه الديلمي في مسند الفردوس **وهذا** اي صدوره منه صلى الله عليه وسلم خط
وهذا مبتدا اخبره قوله الا تحله بعيد والفا زايدة او خبر مقدم اي محقق ونحوه والفا في جواب
الشرط **وان لم تصح الرواية انه عليه الصلاة والسلام كتب** بيده الشريفة اشارة الى
ما قاله الباجي من انه روى انه صلى الله عليه وسلم كتب بيده في الحديبية كما تقدم وانه لا يقدح في
كونه اميا لانه كان في بدء امره لامر اقتضى انقضا سببه فهو معجزة اخرى له صلى الله عليه
وسلم **فلا يبعد** عقلا **ان يرزق علم هذا** اي علم الخط من غير تعليم **ويمنع الكتابة والقراة**
من المصحف قبل ولا يبعد ان يمنع منه الكتابة والقراة في وقت معجزة اخرى يشهد له ما في البخاري
انه صلى الله عليه وسلم اخذ الكتاب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم في عمرة القضا وانه قال لعلي كرم الله وجهه امح رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اباه
بعض المشركين فقال والله لا امحوها ابدا فاخذ الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا
ما قاضى عليه محمد بن عبد الله قيل قد علمت ان هذه مقالة صدرت عن الباجي انكرها
عليه بعض عصره وقالوا انه مخالف لنص الحديث والقران وكونه عدمن معجزاته فاجاب
بانه صرح به في حديث البخاري والتجوز خلاف الاصل وفي القران ما يشير اليه لان قوله
ما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك يقتضي كتابته من بعده وهو معجزة لان كونه
اميه معجزة في اول امره وقد ذكره ابن حجر وغيره من شرح البخاري **واما علمه صلى الله**
عليه وسلم بلغات العرب جميعها قبايل وبطون وكل احد لا يعرف ولا ينطق الا بلغته

حتى لو حاول التكلم بغيرها لم يطق **وحفظ معاني اشعارها** وان كان لا يقول الشعر
ولا ينشده وانشده غيره نادرا في اكثر احواله الا انه كان يرد عليه شعرا العرب
المفلقون بمدايح يمدحونه بها وينشدونها بين يديه فيصغي لها ويعلم منها ما لم يعلمه غيره
من صحابهم الاترى كما لما انشده قصيدة وقال فيها

فقوا اني حر بها البصير لها ... عتق مبين وفي الخد منه تسهيل

قال الصحابة رضي الله تعالى عنهم الجربان العينان فقال لهم صلى الله عليه وسلم لا بل الازيان
وهو كذلك عند العرب الا ترى قول علقمة

له جربان يعرف العتق فيهما ... كسامعتي مذعورة وسط ربرب

وقد نقل بعضهم نظاير لهذه القصة والثمرة تدل على الشجرة وفي ذكره الشعر بعد الكتابة
مناسبة اذ كل منهما ما عرفه صلى الله عليه وسلم الا معرفته لم يتلبس به وهو من مقاصده
الكتبة وفيه دليل على ان ذكر الشعر والبحث عنه امر حسن لكثير من العلوم وقد قالوا
ان معرفته من فروض الكفاية حتى شعر المولدين كما ذكره السيوطي في شرح منظومة المعاني
والبيان واختلفوا بعد الاتفاق على امتناع الخط حتى قال الثلث مقيدة بحرمتها هل كان
يحسنها اولا فقيل بكل من القولين كما في الروضة والحفظ يتعلق بالمعاني والالفاظ فلا
وجه للاعتراض عليه لانه لو قال فهم معاني اشعارها كان اظهر **فامر مشهور قد نبهنا**
على بعضه في اول الكتاب في فصل فصاحته كما تقدم **وكذلك** اي مثل معرفته للغات
العرب **حفظه لكثير من لغات الامم** غير العرب وهذا اشرف في معرفته لذلك ودليل
على انه معجزة وموهبة ربانية **كقوله في الحديث** الذي رواه البخاري عن ام خالد **سنة**
سنة قال صلى الله عليه وسلم لام خالد وهي بنت خالد بن سعيد بن العاص وامها اميمة
بنت خلف تزوجها الزبير وهي صحابية ولدت بالحبشة وتزوج بها وهي صغيرة ولذا تلطف
النبي صلى الله عليه وسلم بها وخاطبها بما تعرفه من لغتهم وان كانت عربية من صميم العرب وقال
لها لانها اتت بثياب فيها خميصة صغيرة سودا لها اعلام صفر وحضر فدعا لها والبسها لها
وقال لها ذلك كما فصله البخاري وفيها لغات سنه سنه كما ذكروا سابها لعضر وسناه
سناه مع تخفيف النون وتشديدها وانكر بعضهم تخفيفها ودكسر سين سنا تقول الكرماني
انها عربية واصلها حسنة فحذف الحا كقوله لقا بالسيف اي شا هذا باه هذه
الروايات وان الحذف من الاسما في غير ترخيم النداء مع شذوذه ولم يعهد من الاول **وهي**
اي سنه عن **حسنة** انها بما عنبار الخميصة ولها سنة سنة لفظها **بالحبشية** اي بلغة الحبشة
وهم جيل معروف وقوله **وقوله** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان وغيرهما من طرق
في حديث اهل المتقدم **ويكثر الهرج** بفتح الها وسكون الرا المهملة وجيم **وهو القتل بها**
اي بلغة الحبشة نعرفه صلى الله عليه وسلم وقال ابن قرقول في المطالع فسر في الحديث بالقتل
بلغة الحبشة وهو وهم من بعض الرواة والا فهي عربية صحيحة واصل معناه اختلاط الناس
بعضهم ببعض ومنه لن يزال الهرج الى يوم القيامة والعبادة في الهرج كهجرة الخ انتهى وهو
رد لما قاله الصغير ولمن توهم ان تفسيره مروى في الحديث ومنه يعلم انه ورد بمعنى الفتنة وما قيل

من انه اليوم الذي قتل فيه يحيى بن زكريا لا وجه له لانه ينبغي انه قاله رسول الله ولم يقله احد وقيل الصحيح انه من قول الصحابي وهو اقرب الى الصواب ان صحت الرواية فيه ومنه المثل في هرج ومرج والمرج بمعناه وتسكينه للازدواج وقد تطرف القائل

اني زمن الربيع فهاج قوم هم الى الصهباء في هرج ومرج

وقوله صلى الله عليه وسلم **في حديث ابي هريرة** الذي رواه ابن ماجه عنه **اشكمت** وفي بعض الروايات اشكم درد بزيادة ميم ساكنة واشكمت بهمزة مفتوحة وشين معجمة ساكنة وكاف عربية مفتوحة ونون ساكنة وباء موحدة ساكنة وفسره المصنف بالبطن وفي الفارسية بهمزة مكسورة وقد تفتح ويزاد فيها هاء فيقال اشكنبه بكسر الشين فعربت وغير لفظها ومعناها فان معناها الكرش عند العجم ودرد بدالين مهملتين مفتوحتين بينهما راء ساكنة والميم عندهم ضمير المتكلم وسيأتي ما فيه وقد علمت ان الصحيح اثبات الدالين واسقاط الميم وكما رواه ابن ماجه وضبطت بها رواية عنه فانه فارسي اعلم بلغته ودقة الرواية ثم قيل ان ذلك درد الاول مهملة وهم من رواية ثم رواية الميم لانه يناسب قوله **اي وجع البطن** فانه لو صح لكان قال اي وجع بطني ونحوه غيره يوجع بطنك وهو انسب بترك الميم الان يقال ترك معناه التغريب والذي رواه ابن ماجه شكم بشين مكسورة وكاف مفتوحة وهو اصح لان شكم بالفارسية معناه البطن وفي سننه قال ابو هريرة هجر النبي صلى الله عليه وسلم فهجرت فصليت ثم جلست والتفت الي وقال شكم درد فقلت نعم يا رسول الله فقال قم وصل فان في الصلاة شفاء كذا صححه الشارح الجديد نقلا عن شيخه ابن عبد الحق السنباطي وغيره وهو الحق المعتمد فاعرفه فان شيخنا هذا خاتمة الحفاظ بمصر والبياشي عم الفراق وله تآليف مشهورة رحمه الله تعالى وروي اشكنب بكسر الهمزة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لابي الدرداء والمشهور الاول كما قاله التلمساني ولم يذكروا وجه تكلمه صلى الله عليه وسلم معه بالفارسية وهو لبس بعجمي ولعله اراد سترته ولذا اورد انه قال ثم حبره لي وذكر البرهان بعضا مما تقدم وقال انه في بعض النسخ استقنب بالقاف وهو غريب ولم يسنده لرواية فاعتمد على ما قدمناه وقوله **بالفارسية** اي باللغة الفارسية نسبة لفارس بن كرموث ولاهوت بن سام او ابن ... وقيل انه ولد الصلبه وقيل انه ادم عندهم ويقال لهم الفرس ومما تكلم به صلى الله عليه وسلم بالفارسية لفظ سور في حديث جابر وهو الدعوى للطعام وبالفارسية الفرس **الى غير ذلك** اي بعضها مما ذكر من معرفته باللغات او من معارفه التي لا تحصر **مما لا يعلم بعض هذا** وفي نسخة بعضه فضلا عن كله **ولا يقوم به** اي يرى في حقه كله **ولا ببعضه** فضلا عنه كله **الا من مارس الدرس** اي عالجه واجتهد في حفظه ودراسته وتلقيه من اهله وفي نسخة الدروس **والعكوف على الكتب** اي ملازمته مطالعتها ومذاكرتها والنظر فيها من الاعتكاف وهو ملازمة المكان فاستعارة فيها ذكر وفيما تقدم دليل على جواز التكلم بغير العربية ولو بلا ضرورة خلافا لمن ذهب بالكراهة وروي فيه احاديث واهية كمن تكلم بالفارسية نقصت مروءته وانه يورث النفاق وانه لسان اهل النار

ويدل لعدم الكراهة احاديث تحديث الفارسية الدرية لسان اهل الجنة في الجنة **ومنافقة اهلها** سفاعلة من تفره مثله دقا وتون اي رجالهم ولا زمهم وهو ابلغ منه لانه ثقر البعير اذا برك والتقاء مناعلظ لطول سنه للارض كالركب وصدر الداب من ذوات الارض يعني حبس بينهم تكلمهم كالبعير البارك على الارض وهذه بعينه المنفعم في ادبه وقال التلمساني هي المنفعة من ثنا فيندا عنه وروي منافقة بمثلثة وقاف وموحدة كالمقدم انتهى وفي بعض النسخ مثانية بنون وقاف ومثلثة اي مساحته وتطرق الذي في التي كثفات السمر وفيه نظر وفي بعض الشروح ما لا معنى له هنا **عمرة** منصوب على الظرفية متعلق بجميع ما قبله اي نقل ذلك مدة عمره كله ولم يتركه طرفة عين **وهو صلى الله عليه وسلم رجل كما قال الله تعالى امي** منسوب الى الام كانه كما خرج من بطن امه لم يتعلم وهو مبرؤ من كل عيب او الى امة العرب لانهم يعرفون بذلك كما مر وقال الشاعر عمي خالي وابن امي نفى له **لم يكتب ولم يقرا** صفة كاشفة مفسرة وانما ذكر في له كما قال الله تعالى تاديبا يعني ان صفته صلى الله عليه وسلم نعت الذات لما وصفه الله به بقوله ان اوحينا الى رجل منهم وهو يفيد لما بعده وما قبله ولا يقال انه ترك ادب فان مثله لا يقال له رجل يا رجل كما لا يناديه باسمه فقد دره المصنف ما اعتمد مرماه **ولا عرف بصحبة من هذه** اي الكتابة والقراءة **صفته** حتى يقال انه تعلم منه فهذه الصفة في حقه معجزة وفي غيره نقص

كفاك بالعلم في الامي معجزة

ولا دلت اي لم يكن من اولئك ونشأته **الى بعثته بين قوم لهم علم** اي معرفة شيء من العلوم لانهم من الجاهلية **ولا قراءة لشيء من هذه الامور** اي الكتب وغيرها لانهم لم يكونوا اهل كتاب **ولا عرف هو** صلى الله عليه وسلم **قبل** مبني على الضم اي قبل بعثته وظهور معرفته بما ذكر **بشيء منها** اي مما ذكر من المعارف الدينية ثم استدل على ذلك **قال الله تعالى** وفي نسخة عز وجل **وما كنت تتلو من قبله** اي القران وما علمك الله **من كتاب ولا تخطه بيمينك** اي بيدك اليمنى التي يكتب بها وهو تاكيد وتصوير وبين الله علة ذلك بقوله **اذا لارتاب المبطلون** اي شكوا وقالوا تعلمه من قراءة وكتبه ثم بين حال قومه في عدم ما ذكر بقوله **انما كانت غاية معارف العرب** اي ما انتهى اليه علمهم **النسب** اي معرفة انساب قبائلهم اي اجدادهم الحدة لام **واخبار اوائلها** اي ما وقع لابائهم واسلافهم من الحروب والوقائع **والشعر** اي حفظ شعر من قبلهم من الفصحاء بعد العظمات والابيات **والبيان** ليس المراد به علم البيان المعروف لانه امر حدث كانوا في غنى عنه بالسليقة ولا ثمرة علم البلاغة كله كما توهم ايضا وانما المراد به المنطق الفصيح المعرب عما في الضمائر وعلى به الخطب والرسائل ونحوها من الكلام المنثور الذي كانوا يذكرونه في محافلهم لمقابلته للشعر وهو المعني بقوله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا **وانما حصل ذلك لهم** اي معرفة النسب وما بعده **بعد التفرغ لعلم** اي مع ذلك لم يكن علمهم بما ذكر الامداولة واسباب وصرفه زمان لكسبه حتى عرف به بعضهم دون بعض فكان يقال فلان نسابة وفلان رواية ونحوه **الاشتغال بطلبه ومباحثة**

اهلمعنه مالسوال عنه والحفظ ولم يجد منه اعنتا بذلك في اول امره سهل الكفرة
وهذا الفن اى النوع الذى كانت العرب تعرفه وتفتخر به نقطة من بحر علمه صلى
الله عليه وسلم اى اقل قليل بالنسبة لما ظهر من علمه لهم ونقطة استعارة وبحر علمه
استعارة او كلمتين ايما ولا سبيل الى جحد الجحد اى لا سبيل الكفرة المائلين عن الطريق
المستقيم انكاره وهو اشارة لتفسير قوله اذا لارتاب المبطلون لشىء مما ذكرناه من معارضة
متعلق بجحد واللام زائدة للتقوية في دفع ما قصصناه مما قدم تفصيله الا قولهم
اساطير الاولين استثنا منفصلا لانهما احتالوا به على بعض ضعفا المعقول والمنتطع
لانه لا حيلة فيه وهو جمع اسطورة كاحدوثة او جمع اسطار جمع سطر وقالوا انما يعلمه
بشر اى هو ما تلقاه من غيره ونقله فرد الله قولهم المذكور وابطله بقوله لسان الذى
يلحدون اليه اعجمى وهذا لسان عربى مبين اى لسان من ادعوا انه تعلم منه لسان
عجمى فكيف يمكن تعليمه منه ومعنى يلحدون يميلون عن الحق بقولهم هذه ما قالوا من انه يعلمه
رجل اعجمى وفي نسخة قالوا بها الضمير مكابرة العيان بكسر العين ولا تفتح فيه كاسر والمكابرة
الانكار من غير دليل واصل معناه هجوم السارق نهارا اى معاندة في المحسوس لا تقيده فان
الذى نسبوا التعليم له صلى الله عليه وسلم بزعمهم الباطل اليه متعلق بنسبوا اى اسندوه له
اما سلمان الفارسى الصحابى المشهور رضى الله تعالى عنه لانه كان عنده صلى الله عليه وسلم
او العبد الرومى وهو يعيش غلام حويطب بن عبد العزى الرومى وكان من نزل الكتب
ثم اسلم وسياتى تفصيل قصته وسلمان انما اسلم وعرفه بالمدينة بعد الهجرة وعلومه
صلى الله عليه وسلم ومعارفه هذه كانت ظاهرة قبل ذلك فكيف انه كان يعلمه وبعد نزول
الكثير من القران حتى هذه الاية وبعد ظهور ما لا يعد لكثرته من الايات
الغرائب اى العلامة الدالة على نبوته من المعارف المذكورة الدالة على ابطال زعمهم واما
العبد الرومى فكان اسلم قبل الهجرة ولكنه كان يتردد على النبى صلى الله عليه وسلم
ويتعلم منه فكيف يقال انه يعلمه واختلف بالبنا للمجهول اى اختلف المحدثون في اسمه
كما سياتى في كلامه قيل انه بلعام او يعيش وجبرا ويسار اما بلعام فبموحدة مكسورة
وقال البرهان انها مفتوحة لا اصل له ولام ساكنة وعين مهملة والف وميم ويعيش
ما ياتى انه بفتح التحتية وعين مهملة مكسورة وتحتية ساكنة وشين معجمة وذكره الذهبى في
الصحابة وقال انه غلام المغيرة وهو الذى نزل فيه قوله تعالى انما يعلمه بشر وجبرا في
ابيها انه بجيم مفتوحة وموحدة ساكنة وراء مهملة قال البرهان لم اقف عليه في الصحابة
وكذا يسار بفتح التحتية المثناة وسياتى تتمة لهذا في محله وقيل بل كان النبى صلى الله عليه
وسلم يجلس عنده اضرب عن اسلامه وقراءته عليه الى انه كان عبدا روميا يجلس في بعض
السوق عند المروة مع الناس فكيف قالوا انه تعلم منه وهو لم يجلس معه ولم يعرف وقيل
انما لغة بينه وبين الاول لى ابهما كان يجلس عند الاخر لاضراب انتقالى او اضرابى
وكلاهما اى سلمان والغلام الرومى اعجمى اللسان اى لسان كل منهما فيه عجمة وهم اى
الطاعنون فيه بما ذكر واسناد التعلم له الفصحا جمع اللد وهو الشديد الخصومة

ويجمع

ويجمع على الداد ايضا من اللدد وهو العناد وفي الحديث ابغض الرجال الى الله تعالى
الالد الخصم والخطبا جمع خطيب وهو من يقوم على رؤس القوم بكلام بليغ
منمق ولا يشترط فيه ان يكون سجعا وقد كان للعرب ولكل قوم منهم خطبا معروفون بالبلاغة
وارتجال الكلام الجزل اللسن بفتح اللام وسكون السين فلا اسهاب فيه كما قيل وقد
عجزوا بفتح الجيم وكسرها عن معارضة ما اتى به اى مقابلته بكلام يحكيه والاتيان
بمثله عطف تفسيرى مع تحديه وطلبه منهم وتقريعهم بل عجزوا كلهم عن فهم وصف
ومعرفة كيفية بلاغته ووجه اعجازه ونظمه فتارة قالوا هو شعر وتارة قالوا انه سحر
وكهانة والحس يكذبهم والفصاحة تنادى على فصاحتهم وصورة تاليفه اى عجزوا
عن فهم صورة تاليفه ونظمه المحكم فانه لا يشبه كلام البشر وتاليفه اخص من التركيب
لانه تركيب مع الفة ومناسبة وفي اكثر النسخ رصفه بالراء المهملة جمع رصف بفتحتين وهو
في الاصل وضع بعض الحجارة على بعض فاستعير لترتيب الكلام المتين المحكم وفي بعض النسخ
ونظمه وهو وما قبله معطوف على وصفه ويجوز عطفه على معارضة واو والنظم
مستعار من نظم الدر لتناسق الكلمات التى هى كالجواهر وما بعده بل ترقى في العجز ومنازعة
لما قبله ظاهرة لا تحتاج لتوجيه الاعتذر عدم الفهم فكيف في الالسنة عن الحالة والوصف
المبهم وهى اداة التعجب نحو كيف تكفرون بالله وقوله باعجمى متعلق بمقدر اى كيف الظن
باعجمى وهذا تركيب سائغ في كلامهم تقول كيف بك اذا حاطت الناس الكن من اللكنة وهى عدم
افصاح اللسان وبيان النطق نعم بفتحتين وقد تكسر عينه ويقال نعام ايضا في لغة وهى
كلمة تقع في جواب الكلام الموجب وقد تقع في ابتداء الكلام كما هنا وكانها جواب سؤال
مقدر وفي غير جواب كما يقال لمن طرق الباب نعم نعم وعليه حمل قول محمد نعم نعم وارا
كما ياتى وقال بعضهم
الهلال كما نراه
الهازل ايه في مثله وفيه كلام لم يحضرني الان وقد كان سلمان الفارسى رضى الله عنه
او بلعام وهو بفتح الباء الموحدة كما تقدم واشتهر كسرها ويقال بلعم ايضا وهو
اسم الغلام الرومى او يعيش بفتح المثناة التحتية وعين مهملة مكسورة وبالتحتية ساكنة
وشين معجمة علم منقول من المضارع او جبر بفتح الجيم وسكون الباء الموحدة وراء مهملة
وهو عبد للفاكه ابن المغيرة وقيل للعباد والحضرمى قيل ان سيده كان يضربه ويقول
له انت تعلم محمدا فيقول لا والله بل هو يعلمنى ويهدينى او يسار بفتح المثناة التحتية وهذا
المذكور مبنى على اختلافهم في اسمه كما تقدم بين اظهرهم خبر كان اى مقيما بينهم يعرفونه
ويقال لظهرانيهم بالنون مفتوحة كانه لا سادة ابهم ظهره وراءه وظهر قدامه ثم كثر فشاع
في الاقامة بين قوم يكلمهم ويكلمونه فكيف لا يعرفون حاله وهو استفهام للاستدلال على كذبهم
واصل معنى المدا الغاية ويطلق على جميع المدة الطويلة كما في النهاية وذكر الماوردى ان
غلامين نصرانيين من عين التمر احدهما يسار والاخر جبر كانا يسندون لهما ما ذكر
وقيل غير ذلك فهل حكى عن واحد منهم اى من الكفرة شئ من مثل ما جاء به محمد صلى الله
عليه وسلم تقديره نقلا عن هذين فان كان صحيحا منهم لسلمان والغلام فهو تعقيب في المثنى بضمير

الجمع تجوزا وفي نسخة من مثل ما كان يجيء به صلى الله عليه وسلم وهل عرف واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات الباهرة وهو كالذي وما منع العدو حسبه ببغيه اي حين حضورهم معه على كثرة عدده بفتح العين اي مانع لهم مع كثرتهم وحرصهم على تكذيبه ودوب طلبه بدال مهملة وهمزة وواو وموحدة مصدر بمعنى العود من الداب وهو الجد والتعب يقال اذابه اذا انعبه ثم صار بمعنى العادة المستمرة عن ذلك وصار حقيقة فيه وقوة حسده بحا مهملة وهو ما يجبنهم على الطلب ويجثهم ان يجلس الى هذا الذي زعموا انه يعلمه فيأخذ عنه اي يتعلق ويتعلم منه ايضا اي كما تعلم منه النبي صلى الله عليه وسلم على زعمهم الفاسد ما يعارض به ما جاء به ويتعلم ما يحتج به اي يجعله حجة ودليلا على شغبه اي لجاجه في خصومته وعناده وتهييج الشر مفتعلة يقال شغب به وعليه وهو بفتح الغين المعجمة هنا كما وقع عدها فيه لقوله طلبه وهو لغة فيه كما في القاموس وغيره ويسكن ايضا وهي اللغة المشهورة فيه ومن انكر الفتح وقال انه لغة عامية كالحريري ابعد مع ان الكوفيين يجيزون ما يعرف بعينه حرف حلق كالشعر على انه لو صح ما قاله قلنا له انه ازدواج ومشاكلة وحرفه بعض شيعة كفعل النضر بن الحارث وهو من كفار قريش وكان ذهب الى الحيرة ليتعلم منهم اخبار ملوك الفرس رستم واضرابه فكان اذا النبي صلى الله عليه وسلم القرآن وقص عليهم قصص الامم وحذرهم ما وقع جلس النضر بين قريش وقص عليهم قصص ملوك الفرس وقال قد انبئكم باحسن مما جاءكم محمد وهو الذي نزل فيه ومن قال سأنزل مثل ما انزل الله الاية انه لم يزل كذلك مصرا على عداوته صلى الله عليه وسلم حتى اظفره عليه فقتله كما ذكر في السير بما كان يمخرق متعلق بفعل والمخرق بمعنى يكذب والمخرقة لفظة مولدة ومعناها افتعال الكذب يلهى به احمق وهامن المخراق وهي خرقة يلعب بها من يرقص وهذه لفظة عربية بينها زيادة تصرف فيها المولدون وتوهموا اصالة ميمها كما في قولهم تمسكن وتمخرق بضم المخرقة بفتح الميم وخاء معجمة وراء مهملة وقاف من اخبار كتبه التي كان يأتي بها ويقصها عليهم ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه ولا خرج من ملده الى بلاد بعيدة اقام بها اقامة يحتمل انه لقيها من تعلم منه وهذا معطوف على قوله ولا عرف الخ ولا يضره طول الفصل وما اعترض بين المعطوفين ولا كثرت اختلافاته اي ترداده ومجيئه مرارا عديدة يقال فلان يختلف الى بلاد كذا اي يتردد ويذهب اليها لانها مخالفة للغة المعروف الى بلاد اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى والتعبير بالكثرة هنا اشارة الى ما اتى انه صلى الله عليه وسلم وقع له ذلك مرة او مرتين الا انه فيهما لم يفارق رفقاءه من قومه ولم يقع عند غيرهم حينئذ والى الشام كما يأتي فيقال انه استمده منهم اي طلب المدد والاعانة من اهل الكتاب بتعليمه لشيء مما كان يتلوه على قريش بل لم يزل مقيما عندهم بين اظهرهم في وسطهم مختلطا بهم وتقدم انه يقال بين اظهرهم وظهرانيهم يرعى ضبطه بعضهم بضم المثناة التحتية اي يلاحظ ويحفظ فيه برأيهم وسمع لا يخفى امره عليهم وبعضهم بفتحه وجعله من رعاية الغنم والمواشي والمناسب لقوله في صغره اي وهو طفل وشبابه اي بعد ما بلغ وصار شابا وكان من ذهب الى الاول انه ليس جعله صلى الله عليه وسلم راعيا لكنه وقع ذلك له ولعبره في اثبات ما ادعاه لان من يرعى يكون في الغالب ممتهنا لا يعن الناس بعيدا عن العلم ثم

لم يخرج عن بلادهم بعد ما شب وبلغ او بعد ما رجع وعرف حاله الا في سفرة واحدة او سفرتين الى بلاد الشام مرة مع ابي طالب ورده من الطريق باشارة بحيرا الراهب كما مر ومرة في تجارة لام المؤمنين خديجة رضي الله عنها مع غلامها ميسرة فلم ينفرد عن اهل بلده ابدا سفرا واقامة ولم يزد على الصدق في السفرتين حتى يرد عليه قول البرهان ان السفرتين محققتين كما في السير وكان ينبغي ان يقول الا في سفرتين جزما لان السفرة الاولى لما رده فيها عمه ابو طالب من الطريق كانت كالعدم فانه يقال لمن رجع انه لم يسافر فلا وجه للاعتراض عليه ومثله لا يخفى واما ذهابه صلى الله عليه وسلم مع مرضعته حليمة لبني سعد فلا يعد مثله سفرا لا سيما والمراد سفر خاص لديار اهل الكتاب وسفر يمكنه التعلم فيه وكذا ذهابه صلى الله عليه وسلم الى الطائف الى بني عبد ياليل فانه لقربه لا يعد سفرا واهلها جهلة اهل شرك لا علم عندهم يعلمونه له وفي له لم يطل فيها اي في حين السفرة مكثه اي اقامته وهو بفتح الميم وضمها مدة يحتمل معها اي في المدة تعليم القليل وتعلمه من علم وغيره فكيف الكثير الذي كان يأتي به وفي نسخة وهو استفهام انكاري بمعنيه بطريق برهاني ثم اكده وانبت مدعاه بقوله بل كان في سفره في صحبة قومه لم يفارقهم ولم يخالط غيرهم طرفة عين ورفاقه بفتح اوله مصدر كالمساحة بمعنى المرافقة وهي الاجتماع في السير والنحو من الرفق لان كلا منهما يرفق بصاحبه عشيرته اي قومه وقبيلته من العشرة وهي الاختلاط قال في القاموس عشيرة الرجل بنو ابيه الادنون او قبيلته لم يغب عنهم ولا خالفهم مفارقة تحتمل ملاقاة اهل الكتاب وتعلمه منهم ولا اختلفت حاله التي نشأ عليها وعرف بها مدة مقامه بضم الميم مصدر بمعنى الاقامة بمكة الى ان هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة وفي على حال المصدر يعود له صلى الله عليه وسلم وحاله مفعوله وقوله من تعليم بيان لمحذوف في قوة المذكور تعلمه ما قبله اي ما خالفه لامر آخر من تعليم الخ وليست من زائدة في الفاعل ومحله رفع كما قيل واختلاف اي مجيء وذهاب واصله مجيء القوم بعضهم خلف بعض ثم استعمل المجيء في المطلق ومنه اختلاف الليل والنهار الى حبر بكسر الحاء وفتحها وهو العالم من علماء اليهود او منجم اي عالم بالنجوم واحكامها او قس بفتح القاف كما في القاموس وغيره واشتهر ضمه وذكره ابن السيد في المثلث رئيس علماء النصارى او كاهن وهو من العرب من يخبر عن المغيبات بواسطة جني ونحوه فاشتمل على اقسام من يمكن التعلم منه من انواع الناس مع نزول في ارطال ما قالوه فقال بل لو كان هذا اي لو فرض خلاف ما ذكر من حاله صلى الله عليه وسلم بان فرضنا اسفاره الكثيرة له ومكثنا مع اهل الكتاب واختلافه للمنجمين والاحبار بعد مبني على الضم والتقدير بعد ثبوت خلافه لا بعد مكثه بين اظهرهم يرعى في صغره وشبابه كما قيل فانه غير مناسب لمن تأمل كلامه كله لكان مجيء ما اتى به صلى الله عليه وسلم من معجزات القرآن الذي لا يشبه شيئا من كلام البشر قاطعا لكل عذر اعتذر واحد عن نفسه لعدم ايمانه وتصديقه منهم وجعله عذرا لهم الى انهم معترفون بعجزهم بدلالة الحال ومدحضا اي مزيلا ومبطلا من الادحاض وهو الازلاق فهو استعارة مكنية لتشبيهم بمن زلت قدمه لشبهه في اوحال الشرك لكل حجة تمسكوا بها وهي

ابن ابي بريس

دبحى

دبحى

او هي من بيت العنكبوت وفي نسخة لكل شبهة ومجليا بضم الميم وفتح الجيم وكسر اللام المشددة
ويجوز تخفيفها وتسكين الجيم وقال البرهان انه بضم الميم وسكون الخاء المعجمة والظاهر ما قدمناه
اي موضحا وكاشفا او مزيلا ومبعدا لكل امر غيهب بغبلوه وتلبيس اختلوا به
فصل ومن خصايصه صلى الله عليه وسلم التي خصه الله بها عن غيره
من الرسل عليهم الصلاة والسلام وساير الخلق وكراماته التي اكرمه الله وشرفه بها وباهر اياته
اي ظاهر علامات نبوته ومعجزاته والكبار والمجرور خبر مقدم للحصر والاعتنا وقوله انباؤه
بفتح الهمزة جمع نبا وهو الخبر اي اخباره الصحيحة الواقعة له صلى الله عليه وسلم مع الملايكة
والجن ولقد امداد الله له بالملايكة بكسر الهمزة مصدر امده امدادا من المد قال الراغب
امددت الجيش بمدد والانسان بطعام واكثر ما جا الامداد في المحبوب والمد في المكروه نحو
امددناهم بفاكهة ونمد له من العذاب مدا انتهى اي ارسال الله الملايكة عليهم الصلاة والسلام
مددا له صلى الله عليه وسلم واعانة كما سياتي وطاعة الجن له باتباعهم واسلامهم له بامدادهم
ولذا خالف في العبارة بينهم وبين الملايكة ورؤية كثير من اصحابه لهم اي للملايكة والجن
كما سياتي ولا وجه لتخصيصه بالجن ثم ابتدا بتثبيت ما قاله من القران فقال قال الله تعالى
وان تظاهرا اي تتعاونا عليه اي النبي صلى الله عليه وسلم بما يسوءه فان الله هو مولاه
اي ناصره ومعينه وجبريل وصالح المؤمنين الاية اي والملايكة بعد ذلك ظهير ابو
بكر وعمر معطوف على محل اسم ان فيكونون ناصريه الاية اي والملايكة بعد ذلك ظهير وضمير
تظاهر الحفصة وعايشة امها المؤمنين والاية وسبب نزولها وتفسيرها مبسوط في محله وقد
تقدم في اول الكتاب بعض منه وقال تعالى اذ يوحي ربك الى الملايكة اني معكم بنصري
وتاييدي فثبتوا الذين امنوا بالقتال معهم وتقوية قلوبهم بوعدهم بالنصر وظهورهم على
اعدايهم وهذا كان ببدر وقد كثر لعداده المشركين وعددهم وقلة المسلمين وضعفهم وهو
تعالى يؤيدهم بنصره وقال في وقعة بدر اذ تستغيثون ربكم تطلبون غوثه واعانته
فاستجاب لكم اجاب دعاكم وانجز وعده لكم اني ممدكم بالف من الملايكة مردفين اي متتابعين الاية اي اتباعهم الى اخرهم اي اني
ممدكم بالف من الملايكة مردفين اي متتابعين وقال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من
الجن يستمعون القران الاية اي امكناهم واوصلناهم اليك والنفر ما دون العشرة وهولا
جن نصيبين وهذا كان ببطن نخلة في منصرفه صلى الله عليه وسلم من الطايف وقد ذكر هولا
النفر وعددهم واسماهم في مطولات التفسير واجتماع الجن به صلى الله عليه وسلم وقع مرتين بل اكثر
وهو شاهد على انه صلى الله عليه وسلم مرسل للجن ولا شبهة فيه ولا خلاف عند من يعتد به
حدثنا سفيان بن العاصي الفقيه بسماعي عليه تقدم بيانه وبيان السماع ورتبته قال
حدثنا ابو الليث السمرقندي تقدمت ترجمته قال حدثنا عبد الغافر الفارسي تقدم
ايضا قال حدثنا ابو احمد الجلودي تقدم ضبطه وترجمته قال حدثنا ابن سفيان
هو ابراهيم بن محمد بن سفيان راوي صحيح مسلم وترجمته معروفة قال حدثنا مسلم القشيري
النيسابوري صاحب الصحيح المشهور قال حدثنا عبيد الله بن معاذ ابو عمرو العنبري
الحافظ الفصيح الثقة توفي سنة مايتين وسبع وثلاثين واخرج له اصحاب السنن قال حدثنا

الى

ابي معاذ بن معاذ التميمي الحافظ قاضي البصرة واليه انتهى علم الحديث توفي سنة ماية وستة
وتسعين واخرج له اصحاب السنن ايضا قال حدثنا شعبة تقدمت ترجمته ايضا قال
حدثنا سليمان الشيباني ابن ابي سليمان فيروز ابو اسحاق الشيباني بالمعجمة مولاهم الكوفي
الحافظ الثقة توفي في سنة ثمان وثلاثين او احدى او اثنين واربعين وقول الواقدي وابن كثير
سنة تسع وعشرين غلط واخرج له الايمة الستة سمع زر بكسر الزاي المعجمة وتشديد الرا المهملة
ابن حبيش بالتصغير بحا مهملة وموحدة وتحتية ساكنة وشين معجمة وهو ابو مريم الاسدي
ادرك وسمع عليا وعمر رضي الله عنهما وعاش ماية وعشرين سنة وتوفي في سنة اثنين وثمانين
واخرج له الستة عن عبد الله بن مسعود الصحابي المشهور وهذا التفسير الاتي اخرجه مسلم
والترمذي والنسائي موقوفا والذي ذكره المصنف رواية السنن وقال الترمذي انه حسن صحيح
ولفظه قال تعالى لقد راى من ايات ربه الكبرى قال ابن مسعود رضي الله عنه في تفسيره
وهو موقوف له حكم الرفع راى جبريل في صورته الاصلية التي خلق عليها له ستماية جناح
اللام جواب قسم مقدر اي راى الاية الكبرى من ايات ربه والكبرى اسم تفضيل مؤنث اكبر ومن
تبعيضية وفيه اشارة الى انه راى ربه وهو قول الاكثر فقد راه ببصره وهو مذهب ابن عباس
فارتضاه الاشعري والنووي وما نقل عن عايشة رضي الله عنها من انكاره فقيل ان الذي قالته
كما في مسلم عن مسروق انه قال كنت متكيا عند عايشة فقالت يا ابا عايشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن
فقد اعظم على الله الفرية قلت ما هن قالت من زعم ان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه فقد اعظم
على الله الفرية قال وكنت متكيا فجلست فقلت يا ام المؤمنين انظريني ولا تعجلي الم يقل الله عز وجل
ولقد راه بالافق المبين ولقد راه نزلة اخرى فقالت انا اول من سال عن ذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال انما هو جبريل لم اره على صورته غير هاتين المرتين رايته منهبطا من السما
سادا عظم خلقه ما بين السما والارض الحديث فليس فيه نفي رؤيته لربه وانه صلى الله عليه وسلم ذكر
لها ذلك وقد تقدم جميع ذلك مع ما فيه وقد ذكر هنا انه راى جبريل وله ستماية جناح سدت
ما بين السما والارض والعدد لا مفهوم له ولا منافي في ان يكون اجنحته تزيد على ذلك فان الملايكة
اجسام مجردة قابلة للتشكل والخبر اي الحديث الصحيح المسند في محادثته صلى الله عليه
وسلم مع جبريل واسرافيل وغيرهم من الملايكة اعاد ضمير الجمع على المثنى لفظها لما نزل بلالها
منزلة الجماعة او لتنزيل ذلك منزلة تعدد الصور الذي يتبع البدن ما قبله ويليه بقوله بعده
وما شاهده من كثرتهم وعظم صورهم ليلة الاسرا مشهور وفي نسخة وصورة بعضهم
وفي نسخة وعظيم صورهن وحديث الاسرا ورؤيته صلى الله عليه وسلم الملايكة والانبيا مشهور
وتقدم طرف منه ورؤيته للملايكة كملك الجبال وملك المطر واسرافيل صحيح مشهور ايضا
ومن اراد تفصيله فلينظر كتاب السيوطي المسمى بالحبايك في اخبار الملايك فانه كتاب جليل
في بابه وفيه عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عيره المشركون بالفاقة
اي الفقر وقالوا اما وجد الله من يرسله ما لهذا الرسول ياكل الطعام الاية حزن لذلك فنزل
عليه جبريل وقال رب العزة يقريك السلام ويقول لك وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم
لياكلون الطعام الخ فبينا جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم يتحدثان اذ ذاب حتى صار مثل البردة

وهي المقدسة فقال له صلى الله عليه وسلم مالك يا جبريل فقال فتح باب من ابواب السماء لم يفتح
قبل ثم عاد كما له فقال ابشر يا محمد هذا رضوان خازن الجنة فاقبل رضوان وسلم وقال
يا محمد رب العزة يقريك السلام ومعه سفط من نور يتلالا ويقول لك هذه مفاتيح خزاين
الارض فنظر لجبريل كالمستشير فضرب جبريل بيده الارض وقال تواضع لله عز وجل
فقال يا رضوان لا حاجة لي في الدنيا قال اصبت اصاب الله بك ويرون ان هذه الاية
انزلها رضوان تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل
لك قصورا **اقول** ومن هذا علم انه لم ينزل بالقران الا جبريل عليه هذه الاية والسر فيما
ذكر ان نزول رضوان وهو مالك الجنة وتخييره دون ان يعطاها علم منه جبريل ان الله
اراد له صلى الله عليه وسلم ما هو ارقى من ذلك في الجنة وانه لم يرض بعجوز الدنيا الفانية ان تكون
له ولو اراد خلافه اتاه ملايكة الارض ومن له التصرف فيها كاسرافيل والا فجبريل عليه الصلاة
والسلام لا يقول شيا برايه ولا يفعل الا بما يومر به فافهم **وقد راه** اي الملايكة **بحضرته** اي في
مجلسه صلى الله عليه وسلم والحضرة مثلث الحا مصدر حضر يحضر اذا جا وقدم ويجوز فيه تجوزا
مشهورا عن مكان الحضور نفسه ويستعمل للتعظيم في صاحب المجلس فيقال الحضرة العالية كما مر
مكة اي المقام كما يكنيه اصحاب الرسل **جماعة من اصحابه في مواطن** جمع موطن وهو محل الوطن
وهو هنا لمطلق المكان مجازا مرسلا **مختلفة** اي متعددة واصل معناه المتنافرة فاستعمل في
لازم معناه وقد تقدم بعض من الكلام على روية بعض الصحابة للملايكة عنده صلى الله عليه وسلم
وفي بعض النسخ **فراى اصحابه جبريل في صورة رجل يسالـه عن الاسلام والايمان**
والاحسان وعن الساعة وهو اشارة الى الحديث الذي في اول البخاري والكلام عليه وعلى الفرق
بينه وبين الاسلام مفصل في شروحه **وراى ابن عباس واسامة بن زيد وغيرهما من**
الصحابة كما لبثة وام سلمة وعمر وحارثة **عنده** صلى الله عليه وسلم **جبريل في صورة دحية**
ابن خليفة الكلبي الصحابي الجليل المشهور توفي في خلافة معاوية وكان من اجمل الناس
واجلهم ولذا كان جبريل عليه الصلاة والسلام ياتي النبي صلى الله عليه وسلم على صورته رضي الله
عنه ودحية بفتح الدال وكسرها ومعناه الرييس بلغة اليمن وتمثل الملك مع عظم خلقته الاصلية
بصورة صغيرة ليس باخفا بعض اجزايه ولا بان الله تعالى ازاحها كما قيل بل لانهم انوار لطيفة
قابلة للتشكل والانضمام والانتشار كما يشاهد في اللهب في هبوب الرياح وقال امام الحرمين
انه كالقطن المنفوش يتشكل ويتركب للعقول ايضا فلا ينقلب حقيقة اذا تمثل رجلا انا نسب
لمن يخاطبه ولا يبعد في ان يخص الله بعض الانفس القدسية الملكية بقوة تقدر بها على
التصرف في بدنه كما يريد كما قيل ان الابدال سموا ابدالا لانهم كانوا يرى لهم في بعض الامكنة
شبحا يقوم مقامهم لقدرة ارواحهم القدسية على التصور بصورتهم وهو المسمى بعالم المثال
وفيه كلام في كتب الاصول والحكمة وبعض اهل الشرع ينكره ويتبعهم شارح الشاهد وقوله
في صورة دحية يقدر بمضاف اي في مثل صورة دحية وما قيل انه تمثيل لتمكنه منها واستقراره
فيها استقرار المظروف في ظرفه تكلف لا حاجة اليه لان مثله للتنزل والاحاطة يجعل
ظرفا حقيقة في العرف ورويه ابن عباس رضي الله عنهما له مرتين رواها الترمذي وروية

اسامة له رواها الشيخان عنه فقول الشارح الجديد لم اقف عليها من قصور النظر **وراى**
سعد بن ابي وقاص في حديث رواه الشيخان **عن يمينه ويساره جبريل وميكاييل**
لف ونشر مرتب **في صورة رجلين عليهما ثياب بيض** تثنيتهما وقع في الحديث عن غير واحد
وهذا كان يوم احد وقد قاتلا معه صلى الله عليه وسلم قال النووي في شرح مسلم هذا
ما اكرمه الله به وفيه رد لمن قال ان الملايكة لم تقاتل معه بغير بدر وقد صح انهم قاتلوا معه
يومين وهذا هو الصواب وقال القرطبي في تفسيره لم تقاتل الا يوم بدر ووعد الله المومنين
باحد ان صبروا واتقوا ان يمدهم بالملايكة فلم يصبروا ولم يمدهم وكان للنبي صلى الله عليه
وسلم ملكان يقاتلان عنه دايما وفي الحديث دليل على ان روية الملايكة لا تختص بالانبيا عليهم
الصلاة والسلام بل ترام الصحابة والاوليا **ومثله عن غير واحد** اي روي مثل ما في هذا
الحديث عن ناس كثيرين من طرق متعددة **وسمع بعضهم** اي بعض الصحابة وغيرهم من
الحاضرين **زجر الملايكة** زجرها حثها **خيلها** على الجري بصوت **يوم بدر** اي وقعتها حين
القتال وهذا رواه ابو نعيم والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا من غفار قال
قدمت انا وابن عم لي ونحن مشركان وصعدنا على جبل مشرف على بدر ننظر الوقعة وننظر على من
تكون الدبرة فبينا نحن كذلك اذ دنت سحابة فيها حمحمة خيل فسمعت قايلا يقول اقدم حيزوم
فمات ابن عمي من خوفه وكدت اهلك وحيزوم منادى اسم فرس الملك بالميم وروي حيزون بالنون
والصحيح الاول **وبعضهم راى تطاير الرووس** اي سرعة وقوعها بخفة كطاير طار عن مقره
وهذا رواه البيهقي عن سهل بن حنيف وابي واقد الليثي **من الكفار** في يوم بدر **ولا يرون**
الضارب لانه ملك خفي عنهم وبعضهم راه وعرفه وقد روي كلاهما في احاديث ذكرتها وغيره
ان يقول ان التطاير استعارة شبهت بطاير وحمام طار من برج بدنه بنفسه كانه ليس جزا منه
بدليل قوله ولا يرون الضارب ولا الضرب قال ابو داود المازني اني لاتبع رجلا من
المشركين يوم بدر لاضربه فوقع راسه قبل ان يصل اليه سيفي وكانوا يعرفون قتلى الملايكة
بانهم سمة نار وكحوه **وراى ابو سفيان بن الحارث** بن عبد المطلب قبل اسلامه **يوم بدر**
اي يوم بدر **رجالا بيضا** وجوههم وابدانهم **على خيل بلق** اي فيها بياض ولون اخر
ما يقوم لها شي اي لا يمكن ان يثبت ويرسخ لها ويقابلها شي غيرها قتلا وكثرة لما راه من مهابة
بطشها وسرعته وقيل ان الرايي لذلك سهيل بن عمرو كما رواه البيهقي وهو مخالف لما رواه
المصنف هنا وهو هكذا في تخريج السيوطي لاحاديث هذا الكتاب وفي الشرح الجديد انه رواه
ابن اسحاق في سيرته ونقله في حديث طويل في مهلك ابي لهب والعهدة فيه عليه **وقد كانت**
الملايكة تصافح عمران بن حصين بالكفها والذي رواه مسلم انها كانت تسلم عليه ولا منافاة
بينهما فان المتلاقيين يسن لهما السلام والمصافحة اكراما لان السلام امان والمصافحة
تسليم بيده له فهو امان لفظا ومعنى وحسا وعمران بن حصين هذا هو الصحابي الخزاعي رضي
الله عنه وحصين علم منقول من مصغر حصن وهو كما قال اول من قدم البصرة توفي
في خلافة معاوية سنة اثنين وخمسين ومصافحة الملايكة مشهورة في الكتب المعتمدة واما
السلام ففي صحيح مسلم مسندا الى مطرف ان عمران رضي الله عنه قال له كانت الملايكة تسلم علي حتى

ثياب بيض

خيل م

الكثيرة فتركت الملائكة السلام عليه ثم ترك الكي فعاد واوتى له الكتة ما دمت حيا قال النووي رحمه الله كان به بواسير فاكتوى لها لتقطع دمها وكان عظيم الصبر والتوكل وفي العلاج ترك التوكل فلذا قطعت الملائكة السلام عليه والاولى الكي ليس محرما وان قيل بكراهته اذا امكن العلاج بغيره كما ورد في المثل اخر الدواء الكي وروي انه كان يسمع في داره السلام عليه من غير ان يرى اهل الدار الملم كما ذكره الترمذي وهذا وان كان خارجا عما عقد له الفصل من روية النبي صلى الله عليه وسلم الملائكة وروية الصحابة لهم عنده فهو يعلم منه المقصود بالطريق الاولى او هو استطراد **ورأى النبي صلى الله عليه وسلم** في حديث رواه البيهقي مرسلا عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما ورأى بصرية تعدت باللام لمفعولين اولهما **حمزة** بن عبد المطلب عمه صلى الله عليه وسلم وفي نسخة لحمزة باللام فهي زائدة كما في ردف لكم وثانيهما **جبريل في الكعبة** اي في داخلها او عندها **فخر مغشيا عليه** حمزة من هيبته لانه رآه على صورته ففي دلائل البيهقي وطبقات ابن سعد عن عمار بن ياسر ان حمزة رضي الله عنه قال يا رسول الله ارني جبريل على صورته قال انك لا تستطيع ان تراه قال بلى فارنيه فقال له اقعد فقعد فنزل جبريل على خشبة كانت في الكعبة فقال له صلى الله عليه وسلم ارفع طرفك فانظر فرفع طرفه فرأى قدميه مثل الزبرجد الاخضر فخر مغشيا عليه واعلم ان رأى اذا تعدى لمفعولين كان من باب اعطى قال ابن مالك لا تدخل اللام عليهما لانه يلزم تعدي فعل بحرفين بمعنى وان تعدى احدهما لزم الترجيح بلا مرجح ما لم يتقدما او احدهما فتتعدى هنا باللام لا وجه له وقال ابن هشام انه شاذ واللام زائدة كقول ليلى الاخيلية

احجاج لا يعطى العصاة مناهم ... ولا الله يعطي للعصاة مناها

فان كان هذا ورد كذا فهو من الشاذ المسموع ولا اعتراض عليه واعلم ان الحافظ السخاوي قال في كتابه عمدة الناس في مناقب العباس رضي الله عنه ان العباس بعث ابنه عبد الله الى النبي صلى الله عليه وسلم فقام وراءه وعنده رجل فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآه فقال له متى جئت فقال منذ ساعة قال هل رأيت رجلا قال نعم قال ذاك جبريل ولم يره خلق الا عمي الا ان يكون نبيا لكن اسال الله ان يجعل ذلك في اخر عمرك وله طرق من الاسانيد الا انه معارض برؤية جماعة من الصحابة لجبريل لم يعموا ولكن هذا اضعف وتلك صحيحة فلا يتكلف الجمع بينهما وقد عمي ابن عباس في اخر عمره فقال

ان ياخذ الله من عيني نورهما ... ففي لساني وقلبي منهما نور

عقل صحيح ورأي غير ذي خلل ... وفي فمي صارم كالسيف مشهور

وقال بعض الامويين ما لكم يا بني هاشم تصابون في ابصاركم فقال وانتم يا بني امية تصابون في بصائركم انتهى **اقول** ما ذكره من حديث عمى الرائي لجبريل اذا ورد من طرق صارت قوية وليس من قبيل الاحكام فيحمل معارضه انسخا فلا بد من التوفيق فيحمل على من رآه وحده في بيت ونحوه من مكان منحصر كالبيت من غير علم للنبي صلى الله عليه وسلم برؤيته فلا يرد روية عائشة وغيرها وذلك لانه نور شديد قد يوثر ضعف البصر المودي للعمى اذا حدق فيه الناظر واطال نظره في نوره الذي لم يتعرف وهو من الاسرار الالهية فتامله ثم ان

المص

المص تقدم الملائكة لشرفهم ذكر امر الجن فقال **ورأى ابن مسعود** في حديث رواه البيهقي **الجن في ليلة الجن** اي في ليلة رأى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم الجن وتدارسها تذاكرهم ودعوتهم للاسلام ندعاهم **وسمع كلامهم** قال البرهان في المقتفى الذي في صحيح مسلم من حديث ابن مسعود انه لم يكن مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن وقال ابن سيد الناس في سيرته ان حديث ابن مسعود في كونه كان حاضرا في ليلة الجن روي من طرق وفيه انه توضأ بنبيذ التمر وذكر الشراح هنا كلاما لا محصل له والحق ما قاله ابو البقاء الشبلي الحنفي في كتابه اكام المرجان في احكام الجان من انه روي فيه احاديث متعددة منها ما رواه ابو داود عن ابن مسعود ان علقمة قال له هل صحب النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن احد قال ما صحبه منا احد ولكن فقدناه ليلة فالتمسناه في الاودية والشعاب فقلنا اغتيل فبتنا بشر ليلة فلما اصبحنا اجاء من قبل حرا وقال اتاني داعي الجن فذهبت معه وقرأت عليهم القرآن وانطلق بنا واراني آثارهم ونيرانهم وذكر انهم سألوه الزاد فقال لكم العظم والبعر ونهى عن الاستنجاء بهما رواه احمد وهذه الليلة غير الليلة التي حضرها ابن مسعود وفي دلائل النبوة مسندة قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه بمكة من احب منكم ان يحضر الليلة الجن فليفعل فلم يحضر احد غيري فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة خط لي برجله خطا امرني بالجلوس فيه وانطلق حتى قام وافتتح القرآن فغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما اسمع صوته الى الفجر وسمعتهم يقولون له من يشهد لك انك رسول الله وبقربه شجرة فقال ارأيتم ان شهدت هذه الشجرة تؤمنون قالوا نعم فدعاها والله فشهدت له فامنوا به وجمع البيهقي بين الروايتين فقال قوله ما صحبه منا احد اراد به حال ذهابه لقراءة القرآن الا ان قوله انه اعلم اصحابه بغير وجه ينافي تقدم له حتى قال لو انه استطير او اغتيل وفيه تصريح بانه من تقدمه والتمسه وفي هذا الحديث انه خرج له وخط له خطا جلس فيه فلا يصح ما قاله البيهقي وهذا كله مشعر بظهور انها ليلة واحدة ولا شك انها تعددت فمنها ما كان بمكة كما تقدم ومنها ما كان بالمدينة كما في دلائل النبوة لابي نعيم مسندا لابن مسعود وانه قيل له انت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة وفد الجن قال اجل اخذ كل رجل رجلا من اهل الصفة ليعشيه ولم ياخذني احد فمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما اخذك احد يعشيك قلت لا قال انطلق معي لعلي اجد لك ما يعشيك فانطلقت معه لحجرة ام سلمة فتركني ودخل ثم خرجت جارية فقالت لي لم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لك عشاء فرجعت الى المسجد والتقت بقرب غابت الجارية وقالت اجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيته ارجو العشاء فخرج وفي يده عسيب نخل فعرض به على صدري وقال انطلق معي حيث انطلقت فقلت ما شاء الله وكررها ثلاث مرات فانطلقنا حتى اتينا بقيع الغرقد فخط بعصاه خطا وقال اجلس فيه حتى اتيك ولا تبرح فانطلق واني اراه خلال النخل فثارت مثل عجاجة سودا فخفت عليه وقلت الحق او استغيث الناس لظني هوازن مكرت به ثم ذكرت قوله صلى الله عليه وسلم لا تبرح فسمعته يقول اجلسوا وهو يقرعهم بعصاه فجلسوا حتى كاد ينشق عمود الصبح فذهبوا واتى لي فذكرت له ما في نفسي فقال لم وقد نصيبني الخ فهذه الليلة كانت بالمدينة حضرها

ابن مسعود وما سبيل عنه ادلا كان بمكة وقد وفد وا عليه صلى الله عليه وسلم مرة اخرى حضرها
ابن الزبير رواها الطبراني ومرارا اخر ذكرها في باب مستقل بطولها ثم قال وهذه الاحاديث
تدل على ان وفادة الجن كانت ست مرات الاولى فقد فيها دقيل اعتيل والثانية بمكة
والثالثة كانت بالحجون والثالثة كانت باعلا مكة بالجبال والرابعة كانت ببقيع الغرقد والخامسة
كانت خارج المدينة حضرها ابن الزبير والسادسة كانت في بعض اسفاره حضرها بلال
انتهى ملخصة وشبههم اي ابن مسعود لا النبي صلى الله عليه وسلم لقول قتادة ان ابن مسعود
لما قدم الكوفة راى شيوخا سودا افزعوه فقال اخرجوهم ما اشبههم بالنفر الذين صرفوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني الجن وفيه دليل على انه راهم برجال الزط متعلق بقوله
شبههم والزط بضم الزاي المعجمة وتشديد الطاء المهملة قوم من السودان طوال وفي القاموس
انهم جيل بالهند معرب جت بفتح الجيم والقياس يقتضي فتح معربه والواحد زطي وذكر ابن
سعد وهو محمد بن سعد كاتب الواقدي وقد تقدم وهو بصري ان مصعب بن عمير القرشي
العبدري الصحابي البدري وهو ممن اسلم قديما وكان يحمل راية رسول الله صلى الله عليه وسلم بين
يديه لما قتل يوم احد اي في وقعته قتله ابن قمئة لعنه الله ظانا انه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفي صحيح البخاري عن خباب ان مصعبا لما قتل لم يكن له الا نمرة كنا اذا اعطينا راسه
بها بدت رجلاه واذا غطي رجلاه بدت راسه فجعلوا على رجليه شيئا من الاذخر اخذ الراية
ملك على صورته اي تشكل بشكله وبرز على صورته حتى لا تقع راية المسلمين فان وقوع راية
العسكر فيه ضعف لهم ولتمام هذه الصورة فيه حجل كانه عليها راكب لتمكنها فيه فكان النبي صلى
الله عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب نحو الاعداء في القتال فان الراية يتبعها المقاتلون
فانه صلى الله عليه وسلم لشدة توجهه للقتال لم يشعر بقتل مصعب ولم يتامل حامل الراية فقال
له الملك لست بمصعب كما ظننته وفيه لطف وتبشير بسهولة الامر وظهور النصر وان مع
العسر يسرا وهذا بنا على انه لم يعلمه كما رواه ابن سعد في طبقاته وعلى ما رواه ابن ابي شيبة في مصنفه
من انه صلى الله عليه وسلم قال يوم احد انزع مصعب فقال له عبد الرحمن بن عوف لما سمع مقالته
يا رسول الله الم يقتل مصعب يعني فكيف تناديه قال بلى ولكن ملك قام مقامه وتسمى باسمه
فهو الذي ناديته فيكون علم صلى الله عليه وسلم انه ملك وانما تسمى باسمه لئلا يهم الناس قتل
حامل الراية فيحصل فيهم اضطراب وتشتت الاعداء بهم ويظنون انهزامهم فعلم صلى الله عليه وسلم
قتل مصعب وعلى الاول لم يشعر بقتله وكونه علمه ونسي او ظن ان الله احياه كما قيل بعيد
فلا يقال كيف ناداه باسمه بعدما علم انه ملك مع ان هذا السؤال عليه وارد راسا بعد علمه
انه تسمى باسمه لما مر وكان مصعب رضي الله عنه حامل راية المهاجرين باحد ولواء الخزرج
حامله الحباب بن المنذر وقيل سعد بن عبادة وراية الاوس بيد اسيد بن حضير وما روى
من ان حامل رايته باحد علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لا ينافيه لان الراية كانت اولا
بيد مصعب فلما استشهد اخذها الملك فلما انجلى الامر وعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يقتل كما شنع به ابن قمئة وصرخ ابليس اللعين ان محمدا قد قتل اخذ علي الراية بعد ما امسكها
الملك لحظة لئلا تسقط ويخذل المسلمون وتقر اعين الكفار وقول الملك لست بمصعب

بعني

بعني لست مصعبا بكم فلا يقال كيف قال ذلك بعد ما تسمى مصعبا وذكر غير واحد من
المصنفين كالبيهقي وابن ماكولا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال بينا نحن
جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ اقبل شيخ بيده عصى كونه بيده عصا كناية
لشيخوخته فان العصا سلاح الشائخ ولله در الباخرزي في قوله

حمل العصا للمبتلى ... بالشيب عنوان البلا
وصف المسافر انه ... القى العصا كي ينزلا
فعلى القياس سبيل من ... حمل العصا ان يرحلا

وهو تلميح لقوله

فالقت عصاها واستقرت بها النوى ... كما قر عينا بالاياب المسافر

فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم سلامه بان قال
له وعليك السلام وجواب السلام يقال له رد حقيقة وهو في الاصل مجاز لتشبيهه بمن
اعطى شيئا فاعاده لصاحبه ثم صار حقيقة فيما ذكر وقال صلى الله عليه وسلم لمن سلم
عليه بعد رده جوابه نغمة الجن وفي نسخة نغمة جني اي هذه النغمة نغمة الجن وصوتهم
فهو خبر مبتدا مقدر وقال الثعالبي في فقه اللغة حرش الكلام وحسن الصوت والنغمة
بالفتح جمعها نغم بفتح الغين وكسرها وهو شاذ ومع شذوذه فله نظائر كقصبة وهضبة
رحبة وخيم ونصفه وبضع من انت من الجن وما اسمك ونسبك وفيه اشارة الى انه
صلى الله عليه وسلم يعرفهم لانهم وفدوا عليه مرارا كما تقدم قال انا هامة بن الهيم بن
مكسورة فمثناة تحتية فميم ابن لاقيس ابن ابليس وفي ضبط هذه الاسماء اختلاف فقيل
هامة بوزن عامة وقيل الهام بالف ولام دون هاء والصحيح الاول والهيم بوزن الفيل
كما مر وقيل انه الهيم بوزن كيف وعلى ذلك في الشرح انه مضبوط بخط الحافظ بتشديد الياء
بوزن قيم ولا يعتمد عليه والكلام على ابليس مشهور وهو ابو الجن كما ان ادم عليه الصلاة
والسلام ابو البشر ويسمى عزازيل وقيل الحارث ويكنى بابي مرة ولاقيس بزنة فاعل
وفي بعض النسخ لاقيس بزيادة ياء وهو الاشهر الاصح حتى قيل ان اسقاطها سهو من
الكاتب فذكر للنبي صلى الله عليه وسلم انه لقي نوحا عليه الصلاة والسلام ومن
بعده من الرسل والانبياء في حديث طويل وان النبي صلى الله عليه وسلم علمه سورا
من القران ستاتي والحديث عن عمر رضي الله عنه قال بينا نحن مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم على جبل من جبال تهامة اذ اقبل شيخ في يده عصا فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم
ورد عليه السلام وقال نغمة الجن وعنتهم فقال له من انت قال هامة بن الهيم بن لاقيس بن ابليس قال ليس بينك
وبين ابليس الا ابوين قال نعم قال فكم اتى عليك من العمر قال افنيت الدنيا عمرها وكنت مع نوح في
مسجده مع من امن به من قومه فلم ازل اعاتبه على دعوته عليهم حتى بكى وابكاني فقال لا جرم
اني على ذلك من النادمين واعوذ بالله ان اكون من الجاهلين وقلت له يا نوح اني ممن شارك
في دم الشهيد هابيل فهل تجد لي من توبة قال يا هامة هم بالخير وافعله قبل الحسرة والندامة
اني قرات فيما انزل الله على انه ليس من عبد تاب الى الله بالغا ذنبه ما بلغ الا تاب الله عليه

ثم وتوضأ واسجد لله سجدتين تفعل من ساعتي ما امرني به فقال لي ارفع راسك فقد
زدت توبتك من السما فخررت ساجدا لله وكنت مع نوح في سفينته مع من امن به من قومه
فما زلت اعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى وابكاني وكنت مع يوسف بالمكان المكين
وكنت التقي الياس في الاودية واني القاه الان ولقيت موسى بن عمران فعلمني من التورية
وقال ان لقيت عيسى بن مريم فاقرأه مني السلام فبكى صلى الله عليه وسلم وقال على عيسى عليه
السلام ما دامت الدنيا وعليك يا هامة لادائك الامانة فقال يا رسول الله افعل بي ما
فعل موسى بن عمران فانه علمني من التورية فعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة
المرسلات وعم يتساءلون عن النبإ العظيم واذا الشمس كورت وقل هو الله احد والمعوذتين
وقال له ارفع الينا حاجتك يا هام ولا تدع زيارتنا فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم
ينعه لنا فلست ادري احي هو ام ميت انتهى واعلم انهم اختلفوا في هذا الحديث فقال ابن الجوزي
انه حديث موضوع لا اصل له وذكر له طرقا ذكر في رواتها من الكذابين ومن لم تقبل روايته
وخالفه فيه غيره وقال ان تعدد طرقه تدل على صحته وابن الجوزي له مجازفة في موضوعاته
اكثرها مردودة وقد روى هذا الحديث من يعتمد عليه كالبيهقي كما علمت وابن عساكر وغيرهما
وذكر الواقدي محمد بن عمر واقد المدني صاحب التاليف الكثيرة الغريبة وقد وثقه كثير
وطعن فيه اخرون توفي ببغداد سنة سبع ومايتين وعمره ثمان وسبعون كما تقدم وهذا حديث
صحيح رواه البيهقي والنسائي وغيرهما وهو مذكور في اكثر التفاسير قتل خالد بن
الوليد وهو مصدر مضاف لفاعله ومفعوله السودا عند هدمه العزى وفي نسخه
قطعه وهي اظهر لان العزى كانت شجرة او ثلاثة اشجار في مكان واحد بنوا عليها بيتا
وكانوا يعبدونها ويسمع منها اصوات فذكر الهدم باعتبار ما حولها فهو بتقدير مضاف
وهو مفعول هدم كقطع اي قطعها وهدم بنائها وكانت لغطفان وهي سمرة السودا مفعول
قتل كما مر وفي نسخة للسودا واللام للتقوية وهي شيطان في صورة امراة سودا التي
خرجت له اي لخالد رضي الله عنه لما باشر قطعها ناشرة شعرها عريانة واضعة يدها
على راسها صائحة يا ويلها وناشرة وما بعدها منصوب على الحالية وشعر يكون بالمعجمة
وفتحها فجزلها بجيم وزاي اي محته مفتوحتين والزاي مشددة للمبالغة ومخففة اي جعلها جزلتين
اي قطعتين وروي حجلها بالحاء المهملة مشددة وروي عن خطه بخا وذال معجمتين بمعنى
قطعها ومعانيها متقاربة واشهرها اولها والضمير للسودا اي قطعها قطعا بسيفه
وهو يقول يا عزى كفرانك لا غفرانك اني رايت الله قد اهانك والعزى تانيث الاعز واعلم
خالد بذلك فعله النبي صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى ان كانت الاشارة لما وقع به
الفعل من الشجرة فظاهر وان كانت الاشارة للسودا فتسميتها عزى وهي اسم للشجر والبنا
باعتبار انها هي التي تعبد وهي حقيقة وسموا بها ما كانت تخبرهم به من المغيبات ونحوها كما يقال
الجن النجم والجن اطلاق الشي على المقصود منه فهي مجاز وكانت بنخلة تعبدها قريش وكنانة
وهي من اجل اصنامهم وقصة هدمها مفصلة في السير وكان خروج خالد لها في ثلاثين فارسا
والجن قادرة على التشكل بصور مختلفة كالملايكة الا ان هذه اذا قتل ما تصور منها هلك

ولما

ولما قتلها خالد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك العزى لن تعبد ابدا وقتل سادنها
اي خادمها الموكل بها وهو دبية بضم الدال المهملة وفتح البا الموحدة وتشديد المثناة التحتية
ابن حرمي من بني مرة وقال صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه الشيخان عن ابي
هريرة رضي الله عنه ان شيطانا هو المتمرد من الجن من شطن اذا بعد او من شاط
اذا احترق فنونه زايدة او اصلية تفلت بتشديد اللام تعدى اي وثب بسرعة بغتة
واصله التخلص بغتة يقال انفلتت الدابة اذ انخلصت من مربطها البارحة هي الليلة
الماضية قبل وقتك التي تكلمت فيه بعني في ليلة يومه وقد ترد بمعنى اليوم الذي قبل يومك
وفيه كلام في شرحنا لدرة الغواص ليقطع علي بتشديد اليا متعلق بيقطع بمعنى يبطل
صلاتي التي كنت اصليها ويجوز ان يتنازعه هو وتفلت فامكنني الله منه اي اقدرني
عليه وعلى اخذه وحبسه فاخذته اي امسكته وعصرته عن مضيه وهروبه مني فاردت
ان اربطه بكسر البا وضمها اي ازنقه بوثاق تصحبه الى سارية اي عمود واسطوانة من
عمد المسجد ومن سواري جمع سارية المسجد المدني حتى تنظروا اليه كلكم لاجل
ان تروه مربوطا فذكرت دعوة اخي سليمان بن داود نبي الله عليهما الصلاة والسلام
وهي قوله في دعايه رب اغفر لي كل ما صدر مني من تقصير بالنسبة لمقام النبوة وان
كان معصوما وهب لي ملكا اي سلطانا عظيما لا ينبغي لاحد من بعدي اي لا يتيسر
لاحد غيري وهو احد معاني الانبغا مطاوع بغى بمعنى طلب وليس هذا حرصا منه عليه
الصلاة والسلام على الملك وسعة الدنيا وانما طلب عظمة ينفرد بها لتكون خارقة للعادة
دالة على نبوته مقدورة له على تنفيذ اوامر ربه واظهار دينه وفي تقديم الدعا بالمغفرة على حصول
الملك ايما الى ان السلطنة لا تخلو من امور تحتاج لعفو الله او حيا من الله لطلبه امرا لا يليق
بغيره ولتركه مقام العبودية الذي ارتضاه نبينا صلى الله عليه وسلم وقال الزمخشري ان
سليمان عليه الصلاة والسلام نشا في بيت ملك ونبوة فاراد ان يكون ما ورثه ابيه اعلى
غيره خارقا للعادة ليتم به امره ويعلم انه ما استحق للقبض الالهي لا مجرد معجزات كما ولد
الملوك ولا يتوهم انه طلب نقص نعم الله عليه فالمومن يحب لاخيه ما يحب لنفسه فكيف لا للنبي
صلى الله عليه وسلم لان من خصايص الانبيا وطلبها الكلام في اسرار اخر ورده ان هذا
الشيطان ما ورد هي المردة وبان تعيينه الغى على النبي صلى الله عليه وسلم تشعثنا ووهو
يصلي ليقطع صلاته فاخذه هو بنفسه لا ملائكته كما قيل ولبعضهم هنا ابحاث ورابد لا
طايل تحتها وقوله رب اغفر لي بدل مفسر لقوله دعوة اخي وتفسير لكن داخل في هذه
الدعوة لقوله بعدها فسخرنا له الريح تجري بامره رخا حيث اصاب والشياطين الخ ولما
استجاب الله دعوته ترك صلى الله عليه وسلم ذلك تادبا معه ونفى اضمار وتوقير السليمان صلى
الله عليه وسلم قال ابن عرفة رحمه الله وما نقل عن الحجاج من انه قال في حق نبي الله سليمان
انه كان حسودا من فسقه وجهله بل من كفره وعدم علمه بمقامات الانبيا عليهم الصلاة والسلام
فان للانسان ان يطلب من الملك شيا يخصه به اذ اعلم انه لا يعطيه الا لواحد من مملكته
فيجوز ان يكون هو ذلك الواحد وقوله فرده الله اي رد الله ذلك الشيطان خاسيا ذليلا

عليه ويتمكنني منه خاسيا اى خا ئبا حقيرا مطرودا من كلامه صلى الله عليه وسلم كما هو واضح
وقول البخارى قال ردح رده الله خاسيا بيان لانه وقع من رواية لانه رد وقد رده
وهى صريحة فى ذلك وهذا الحديث ورد من طرق وبيان بارزة واختلاف ففى بعضها عرض
لى فى صورة هر واخذته فخنقته حتى وجدت برد لسانه على يدى وروى انه سمع صلى الله
عليه وسلم يقول فى صلاته اعوذ بالله منك والعنك بلعنة الله ثلاثا وبسط يده كانه يتناول
شيئا فسالوه عن ذلك فقال ان عدو الله ابليس لعنه الله جاء بشهاب من نار ليجعله فى
وجهى وقوله فى الرواية المارة فاخذته وخنقته يعلم منه ان قول المص فى شرح مسلم انه يحتمل
لم يقدر عليه لا وجه له فانه صلى الله عليه وسلم كان قادرا على ذلك فانه اوتى مثل كل معجزة لغيره
كما مر وفى بعض طرق هذا الحديث تصريح بان الشيطان هو ابليس وقيل يحتمل انه غيره
وان الواقعة تعددت قال ابن عبد البر الجن على مراتب جنى وعامر وهو الذى يجالط الناس
وارواح وهم الذين يتعرضون للصبيان واجنة قيل وقرين الانبياء والعباد يقال له
الابيض كما فى تفسير القرطبى وهذا اى ما كان له صلى الله عليه وسلم مع الملائكة والجن
باب واسع اشارة الى ان ما ذكره قليل من كثير وغيض من فيض وفى اكام المرجان ربطه
الى السارية من التصرف الملكى الذى تركه لسليمان وتصرفه صلى الله عليه وسلم نبوى بالدعوة
للاسلام والامر والنهى فانه كان عبدا رسولا وهو افضل من الملك النبى ثم ان خنقه وفعله به
ما فعله فى صلاته احتج به على جواز مثله فى الصلاة كدفع المار وقتل الاسودين والمسايفة
فى صلاة الخوف انتهى وفيه تامل فصل ومن دلايل نبوته صلى الله
عليه وسلم والدليل ما يعلم منه شئ اخر ويكون قطعيا وظنيا قال الاسنادى والدى الشيخ احمد
ابن قاسم فى الايات البينات هى جمع دليل على خلاف القياس ويحتمل ان يكون جمع دلالة بمعنى
دليل فان امام الحرمين قال ان الدليل يسمى دلالة وجمع فعالة على فعائل قياسى والظاهر
ان تسمية الدليل دلالة مجاز انتهى وقال الراغب الدلالة ما يتوصل به الى معرفة الشئ
وتسمية الدال والدليل دلالة كتسمية الشئ بمصدره انتهى وفيه دليل لما نقله امام الحرمين
وانه سمع فلا وجه للتوقف فيه ولا لقول بعض شراح المنهاج الاصولى فى قوله دليل العقه
صوابه ادلة وقال ابن مالك فى شرح الكافية لم يات فعائل جمع اسم جنس على فعيل فيما اعلم
لكنه يقتضى القياس جابز فى علم المونث كسعيد علم امراة جمع على سعائد وذكر النحاة انه فى غاية
القلة وردته لتطبق لا يقاس عليها وهى وصايد جمع وصيد وهو الباب وسلايل جمع سليل
وهو الولد وزاد الجوهرى تبايع جمع تبيع وافايل جمع افيل وهو الصغير من الابل وقول
بعضهم انه فيه وبخلمه فقد يقال انه لا يمتنع سماعا ولا قياسا خطا لا معنى له وعلامات
رسالته العلامة الامارة واكثر ما تستعمل فى الظنيات وفيما يكون قبل الوقوع والفرق
بين النبوة والرسالة مشهور وقد يكونان بمعنى واضاف الدلايل للنبوة والعلامات
للرسالة تفننا وقيل لان النبوة والرسالة وصف زائد انتهى والظاهر ما قلناه انه غاير
بينهما تفننا والمراد بالدلايل الدلايل القطعية وقدمها لشرفها واضافها للنبوة لسبقها على
الرسالة وكل ما دل على النبوة دل على الرسالة للزوم تصديقه بعد ثبوت نبوته فى قوله

ابن الحبرى

ابن الحبرى

الى

انى رسول الله اليكم وكذا الرسالة مستلزمة للنبوة ومبنية عليها فعلاماتها علاماتها ما تراد فت
به الاخبار اى تتابعت فجا بعضها يتبع بعضا من غير انفصال كان بعضها ركب خلف
الاخر ففيه استعارة مكنية وتخييلية والاخبار جمع خبر عن الرهبان وهم عباد النصارى
وعلماؤهم كبحيرا فى قصته المشهورة جمع راهب من الرهبة وهى الخوف لانهم لخشية الله
والخوف منه مقابل للراغب لتركهم الرغبة فى الدنيا كما قيل

يهوى غلاما من نصارى جاف ... فما عجبه من راغب فى راهب

والاحبار جمع حبر بالفتح والكسر كما مر وهو العالم من اهل الكتاب واشتهر فى علماء اليهود
وقوله وعلماء اهل الكتاب من عطف العام على الخاص واهل الكتاب غلب على اليهود والنصارى
فالمراد بالكتاب الجنس التوراة والانجيل وغيرهما من الكتب السماوية وفى نسخة الكتب جمعا
وهما بمعنى من صفته صلى الله عليه وسلم وصفة امته واسمه وعلامته ففى التوراة
عن كعب محمد رسول الله عبدى المختار الخ وامته الحامدون وفى الزبور عن وهب بن منبه
سياتى من بعدك نبى يسمى احمد ومحمدا امته مرحومة اعطيتهم مثل ما اعطيت الانبيا الى
غير ذلك مما نقلناه ثقات كقوله فى علامته فى الانجيل صاحب المدرعة والعمامة والهراوة
الجعد الراس الصلت الجبين الى اخر ما ذكره من حليته فيه وذكر الخاتم بالفتح والكسر يعنى
خاتم النبوة الذى بين كتفيه وقد تقدم الكلام عليه وانه مثل زر الحجلة او بيضة الحمام
وانه ختم به بعد شق صدره وفيه شعرات وخيلان عند نغض كتفه اليسرى وهو مذكور
فى كتب الله القديمة ومما وجد بالبناء للمفعول من ذلك اى مما يدل على نبوته ورسالته
فى اشعار المتقدمين من العرب المتالهين قبل بعثته صلى الله عليه وسلم العالمين بما فى الكتب
السماوية القديمة من شعر تبع بيان لما وجد وتبع بضم التاء وتشديد الباء الموحدة اسم
لملك اليمن وجمعه تبابعة سمى به لكثرة اتباعه المنقادين له واصل معناه الظل ولا يسمى
تبعا الا اذا ملك حمير وحضرموت واشهرهم اثنان تبع الاكبر الاول والثانى ابو كرب
وتبع الثانى هو الذى اراد تخريب المدينة واستيصال اليهود لما شكى له الانصار منهم
لانهم من اليمن نزلوا عنده ثم قال له رجل معه الملك اجل من ان يطير به نزق او يستخفه غضب
وامره اعظم من ان يضيق حلمه او كرم صحبه وهذه البلدة مهاجر بلدة نبى يبعث بدين
ابراهيم قال السهيلى وهذا الرجل من اليهود وهو احد الحبرين اللذين كلما الملك فتحيب
وسبه او بينا سمعوا ياتى ان شاء وكله ايضا انه من بدو كسى الكعبة وهو اول من كساها
والشعر المذكور قوله

شهدت على احمد انه ... نبى من الله بارى النسم
فلو مد عمرى الى عمره ... لكنت وزيرا له وابن عم
وجاهدت بالسيف اعداءه ... وفرجت عن صدره كل غم
له امة سميت فى الزبور ... وامته هى خير الامم
ويأتى بعدهم رجل عظيم ... نبى لا يرخص فى الحرام
يسمى احمدا يا ليت انى ... اعمر بعد مبعثه بعام

وقوله

رسول

عليه الصلاة والسلام صح

والاوس بن حارثة بن ثعلبة العنقاء بن عمرو بن مزيقيا بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن بن الازد بن الغوث بن نبت بن مالك ابن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان والاوس في اللغة الذئب او العطية سمي به وله تنتسب الانصار وكان اوس من عدة ناس في الفترة هداهم الله للتوحيد ولم يعبد والاصنام وكانوا يباشرون اهل الكتاب فيخبرونهم بما في كتبهم من ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فيذكرونه في خطبهم واشعارهم ولاوس شعر فيه لم يذكره احد فيما من الشراح وهو سيد جواد طائي كان صديقا لحاتم الطائي والاوس بالالف واللام للمح ولذا قال السهيلي انه منقول من اسم العطية لا من اسم الذئب لانه علم جنس كاسامة لا تدخل عليه الالف واللام قبل النقل فجعله اولى وقال التلمساني انه روي هنا بدون الالف واللام وهو مما نقد لما قاله الامام السهيلي وكعب بن لؤي هذا هو الصواب وفي بعض النسخ لؤي ابن كعب وهو غلط من الناسخ ولؤي يهمز ولا يهمز وهو تصغير لاي بمعنى البطء وهو اول من جمع يوم الجمعة وسماها جمعة وكانت تسمى عروبة في الجاهلية وكان يخطب فيها الناس ويبشر بالنبي صلى الله عليه وسلم فمما نقل من كلامه نظما ونثرا انه قال في خطبة له اما بعد فاسمعوا وتعلموا وافهموا واعلموا ليل ساج ونهار ضاح والارض مهاد والسماء بناء والجبال اوتاد والنجوم اعلام الى قوله الدار امامكم والظن غير ما تقولون حرمكم زينوه وعظموه فسيأتي له نبأ عظيم وسيخرج منه نبي كريم وينشد

نهار وليل كل يوم بحادث ... سواء علينا ليلها ونهارها

يئوبان بالاحداث حين تاوبا ... وبالنعم الضافي علينا ستورها

على غفلة يأتي النبي محمد ... فيخبر اخبارا صدوقا خبيرها

الى اخرها رواه ابن الجوزي مسندا في كتاب الوفا وسفيان بن مجاشع التميمي الدارمي المجاشعي جد الفرزدق والاقرع بن حابس وكان اخبر عن قومه بانه خرج حي من تميم فاذا هم مجتمعون عند كاهنة فاتاهم وجلس عندهم فسمع الكاهنة تقول العزيز من والاه والذليل من خالاه والموفور من والاه والموتور من علاه فقال سفيان من تذكرين لله ابوك فقالت صاحب هدى وعلم وبطش وحلم وحرب وسلم ورأس رؤوس ورابض شموس وماحي بؤس وما هدر عوس وناعس ومنفوس فقال سفيان لله ابوك من هو قالت نبي مؤيد قد اتى حين يوجد ودنا اوان يولد يبعث الى الاحمر والاسود بكتاب لا يفند اسمه محمد قال سفيان لله ابوك اعربي هو ام عجمي فقالت اما والسماء ذات العنان والشجر ذات الافنان انه لمن معد بن عدنان فامسكت عن سؤالها ثم ان سفيان ولد له ولد فسماه محمدا لرجاء ان يكون هو النبي المذكور وهو احد من سمي باسمه صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه كما تقدم وهذا ما ذكره المصنف من تبشيره به وله شعر فيه الا ان الشراح قالوا لم يقف عليه وذاكر يكفي في المقصود وقس بن ساعدة الايادي بضم القاف وتشديد السين والقس العالم والايادي بكسر الهمزة نسبة لاياد حي من معد وكان من الحكماء الزهاد كعمه وخاله مشتغلا بالعبادة في برية وامن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ورآه النبي صلى الله عليه وسلم مرتين بسوق عكاظ وله قاعدة ينشد فيها

وغيره

وغيره في الصحابة وعمر حتى قيل انه عاش ستمائة او سبعمائة سنة وادرك الحواريين فكان على دين عيسى عليه الصلاة والسلام قبل وكانت السباع تدور عنده وتاوى اليه وهو يتكئ على عصاه وهو خطيب مفلق يضرب به المثل وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما قدم الجارود على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان سيد قومه قال يا رسول الله والذي بعثك بالحق لقد وجدت صفتك في الانجيل وبشر بك ابن البتول وانا اشهد ان لا اله الا الله وانك محمد رسول الله فامن هو وكل سيد من قومه وسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له يا جارود هل في وفد عبد القيس من يعرف قسا قال كلنا نعرفه ولكن اقفو اثره كاني انظر اليه يقسم بالرب الذي هو له ليبلغن الكتاب اجله ويقول

هاج للقلب من جواه ادكار ... وليال خلالهن نهار

في ابيات اخر فقال له صلى الله عليه وسلم رأيته بسوق عكاظ يذكر كلاما ما احفظه فقال ابو بكر رضي الله عنه كنت حاضرا وانا احفظه سمعته يقول في خطبته يا ايها الناس اسمعوا وعوا واذا وعيتم فانتفعوا انه من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو ات ات مطر ونبات وارزاق واقوات وابا وامهات واحيا واموات وجمع وشتات وايات بعد ايات ان في السماء لخبرا وان في الارض لعبرا ليل داج وسماء ذات ابراج وارض ذات رتاج وبحار ذات امواج ما لي ارى الناس يذهبون فلا يرجعون ارضوا بالمقام فاقاموا ام تركوا هناك فناموا اقسم قس قسما حقا لا حانثا فيه ولا اثما ان لله دينا هو احب من دينكم الذي انتم عليه ونبيا قد حان حينه واظلكم اوانه فطوبى لمن امن به فهداه وويل لمن خالفه وعصاه تبا لارباب الغفلة من الامم الخالية والقرون الماضية يا معشر اياد اين الاباء والاجداد واين المريض والعواد واين الفراعنة الشداد واين من بنى وشيد وزخرف ونجد وغره المال والولد اين من بغى وطغى وجمع فاوعى وقال انا ربكم الاعلى الم يكونوا اكثر منكم اموالا واطول منكم اجالا وابعد منكم امالا طحنهم الثرى بكلكله ومزقهم بتطاوله فتلك عظامهم بالية وبيوتهم خاوية عمرتها الذئاب العاوية كلا بل هو الله الواحد المعبود ليس بوالد ولا مولود وانشد يقول

في الذاهبين الاولين من القرون لنا بصائر ... لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر

ورأيت قومي نحوها يمضي الاصاغر والاكابر ... لا يرجع الماضي الي ولا من الباقين غابر

ايقنت اني لا محالة حيث صار القوم صائر

انتهى وروي له اشعار كثيرة فيها ذكره صلى الله عليه وسلم كقوله

الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبث ... ولم يخلنا سدى من بعد عيسى واكترث

ارسل فينا احمدا خير نبي قد بعث ... صلى عليه الله ما حج له ركب وحث

الى اخرها ذكره الا ان ابن الجوزي قال حديث قس المذكور موضوع وذكر اسانيده وبين ما فيها من الكذابين ورده السخاوي وقال انه تجاوز في الوضع ولا يلزم من كون السند فيه كذاب ان يكون المتن كذبا اذا تعددت طرقه وقد رواه ابن سعد باسناد ليس فيه كذاب ورواه غيره ايضا فالصحيح انه ليس بموضوع وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم ابن ذي يزن من ملوك حمير ونسب اليه الرماح فيقال رمح يزني واذن ذي يزن فيه وفي اشتقاقه

كلام طويل للصاغاني وقال البرهان انه مصروف والذي في القاموس انه ممنوع من
الصرف لوزن الفعل واصله بزان ورد الصاغاني في الذيل والصلة منع صرفه واطال
فيه وقال مادة زان غير معروفة ولا تضاف ذو هنا الا الى اسما الاجناس وفي شرح
الدريدية لابن الهاس فيه قولين احدهما انه من وزن حذفت الواو لوقوعها بين فتحة
وكسرة ثم ابدلت الكسرة فتحة تخفيفا ولا ينصرف على هذا الثاني انه ماض اصله وزن قلبت
الواو همزة كما في احد ثم ابدلت يا وسمي به فهو مصروف انتهى وهذا الاخير دعليه ما اورده
الصاغاني وقوله لا تضاف ذو الا الاسما الاجناس ممنوع فانه تضاف للاعلام كما هنا وهي لغة
اهل اليمن فيجيبونه لاعلام ملوكهم وعظمائهم وهو من اضافة المسمى للاسم وقيل لملوك
اليمن الاذواء وقصة سيف مشهورة في التواريخ والسير وكان ظهر على اليمن وظفر بالحبشة
بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين فاتته وفود العرب تهنيه وتمدحه فاتاه وفد
قريش وفيهم عبد المطلب وامية بن عبد شمس وخويلد بن اسد وغيرهم من وجوه قريش واستاذنوا
عليه فاذن لهم وهو معطر بالمسك والعنبر وحوله ابنا الملوك فقال لعبد المطلب ان كنت
ممن يتكلم بين الملوك فتكلم فقال ايها الملك ان الله قد احلك محلا رفيعا شامخا منيعا وانبتك
منبتا طابت ارومته وعذبت جرثومته وثبت اصله وبسق فرعه في اطيب موطن واكرم معدن
وانت ابيت اللعن ايها الملك راس العرب وربيعها التي تخصب به وراسها الذي له ينقاد وعمودها
الذي عليه العماد ومعقلها الذي اليه يلجا العباد وسلفك لنا خير سلف وانت لنا منهم خير خلف
ولم يخمل ذكر من انت خلفه ولن يهلك من انت سلفه ونحن ايها الملك اهل حرم الله وبيته اشخصنا
اليك الذي ابهجنا بك لكشف الكرب الذي قد دحنا فنحن وفد التهنية لا وفد المرزية فقال له
سيف وايهم انت ايها المتكلم قال انا عبد المطلب بن هاشم قال ابن اختنا قال نعم فادناه واقبل عليه وعلى
القوم وقال مرحبا واهلا وناقة ورحلا ومستناخا سهلا وملكا رحلا يعطي عطا جزلا قد سمعت
مقالتكم وعرفت قرابتكم وقبلت وسيلتكم وانتم اهل الليل والنهار لكم الكرامة ما اقمتم والحبا اذا
ظعنتم انهضوا الى دار الضيافة والوفود واجرى لهم الانزال فاقاموا شهرا لا يصلون اليه ولا
ياذن لهم في الانصراف ثم ارسل الى عبد المطلب وقال له بعدما قرب مجلسه يا عبد المطلب اني مفض
اليك من سر علمي امرا لو يكون غيرك لم ابح له ولكن وجدتك معدنه فليكن عندك مطويا حتى ياذن الله فيه
فانه بالغ امره اني اجد في الكتاب المكنون والسر المخزون الذي اخترناه لانفسنا دون غيرنا
خبرا عظيما وخطرا جسيما فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس كافة ولرهطك عامة ولك
خاصة فقال عبد المطلب مثلك ايها الملك من سر وبر فما هو فداك اهل الوبر والمدر زمرا
بعد زمر فقال له اذا ولد بتهامة غلام به علامة بين كتفيه شامة كانت له الامامة ولكم به
الزعامة الى يوم القيامة فقال له عبد المطلب ابيت اللعن لولا هيبة الملك واجلاله سالته عما ازداد
به سرورا قال هذا حين زمانه الذي يولد فيه او قد ولد واسمه محمد يموت ابوه وامه ويكفله جده
وعمه قد ولدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له منا انصارا يعز بهم اولياءه ويذل بهم اعداءه
ويضرب بهم الناس عن عرض ويستبيح بهم كرائم الارض يعبد الرحمن ويدحر الشيطان ويخمد
النيران ويكسر الاوثان قوله فصل وحكمه عدل يامر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر

وعزت

فاكرم ... واطيب ...

من

وابه ...

ويبطله

ويبطله فقال عبد المطلب ايها الملك عز جارك وسعد جدك وعلا كعبك وعلا امرك وطال
عمرك فهل للملك ان يسرني بافصاح فقد اوضح لي بعض الايضاح فقال والبيت ذي الحجب
والعلامات على النصب انك لجده غير كذب فخر عبد المطلب ساجدا فقال له ارفع راسك
فقد ثلج صدرك وعلا امرك فهل احسست شيئا مما ذكرت فقال نعم ايها الملك انه كان لي ابن
كنت به معجبا فزوجته كريمة من كرائم قومي امنة بنت وهب بن عبد مناف فجاءت بغلام سميته محمدا
ومات ابوه وامه وكفلته انا وعمه بين كتفيه شامة وفيه كلما ذكرت من علامة فقال الذي ذكرت
كما ذكرت فاحتفظ به واحذر عليه اليهود فانهم له اعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا واطو ما
ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك فاني لست امن ان تدخلهم النفاسة فيبغون لك
الغوائل وينصبون لك الحبائل وهم فاعلون او ابناؤهم ولولا اني اعلم ان الموت مجتاحي قبل
مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى اتي يثرب واصيرها دار ملكي فاني اجد في الكتاب الناطق
والعلم السابق ان يثرب استحكام امره وموضع قبره واهل نصرته ولولا اني اقيه الافات
واحذر عليه العاهات لاوطات العرب كعبه واعلنت على حداثة سنه ذكره ثم امر لكل رجل منهم
بمائة من الابل وعشرة اعبد وعشرة اماء وعشرة ارطال فضة وخمسة ذهبا وكرش مملوء عنبرا
وامر لعبد المطلب باضعافه وقال له اذا كان راس الحول فائتني بخبره وما يكون من امره
فهلك قبل راس الحول فكان عبد المطلب يقول لا يغبطني احد من قريش بجزيل الملك فانه الى
نفاد ولكن الغبطة بما يبقى لي شرفه وذكره في العقبى فاذا سئل عنه قال سيظهر بعد حين
وفيه شعر له وعن ابن عباس انه قال لعبد المطلب اشهد ان في احدى يديك ملكا وفي الاخرى
نبوة فكانت النبوة والخلافة العباسية كما في كتب السير والتواريخ وبما ذكرناه من انه مات قبل
الحول يعلم انه ليس بصحابي ولا تابعي وقد ذكر الذهبي له في الصحابة لا وجه له والعجب من بعض
الشراح حيث نقل ما ذكرناه وقال انه تابعي فاكثر انه ليس كذلك ولا مخضرم ايضا كما قيل ولعل
الذي ذكره الذهبي اشارة الى ان مثله لا يبعد القول بالرائي ايضا **وما عرف به من امره** وكونه
نبيا مرسلا وعرف يتعدى الى واحد بنفسه فالراجح انه مبني للفاعل لا للمفعول وان صح بنا على انه عرفه به اهل
الكتاب والفاعل ادناه به **زيد بن عمرو بن نفيل** قال الذهبي هو زيد بن عمرو بن نفيل
ابن عبد العزى بن رباح العدوي الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يبعث امة
وحده لانه كان يطلب دين ابراهيم ويكره الشرك واهله ويوحد الله ويقول لقريش يا قوم
على شيء قد اخطاوا دين ابراهيم ما اتي لا اتضر ولا انتفع بعد وكان يحيا بغنم ولا ياكل ذبائحهم
فاجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل نبوته وتوفي قبل مبعثه وقال شامت اليهودية والنصرانية
فكرههما وكتب بالشام فاتيت راهبا فقصصت عليه فقال اراك تريد دين ابراهيم يا اخا اهل
مكة انك لتطلب دينا لا يوجد اليوم وهو دين ابيك ابراهيم فالحق ببلدك فان الله يبعث لك
من يأتي به دين ابراهيم الحنيفية وهو اكرم الخلق على الله انتهى المراد منه وبرحله فقلت وهو ذاك
غيره ايضا انه لقي راهبا بالجزيرة فساله عن دين ابراهيم فقال له ان كل من رايته من الاحبار
والرهبان في ضلال وانه انه لسائل عن دين الله وقد خرج في ارضك او هو خارج نبي يدعو اليه
فارجع اليه وصدقه فلقيه قبل مبعثه بالبطحاء فقال يا عم مالي ارى قومك قد ابغضوك فقال

عرض

دكي

اما والله ان ذلك لخبر بايرة سني اليهم ولكني اراهم على ضلالة فخرجت ابتغي هذا الدين ثم اخبره بما عرفه به الراهب من امره صلى الله عليه وسلم وهذا اما انا رأيته المصنف وعده من الصحابة توسعا لانه لم يجتمع به صلى الله عليه وسلم بعد النبوة ونقل تصغير نقل وهو العطية نقل للعلمية وقيل ان اليهود قتلوه بلخم **وورقة بن نوفل** احد النفر الذين كانوا في الفترة على الدين الحق من قريش وهو ورقة بن اسد بن عبد العزى بن قصي وهو معطوف على زيد اي ومما عرف به ورقة من امره صلى الله عليه وسلم واخبر به خديجة ام المؤمنين رضي الله عنها كما ذكره البخاري وامن به بعد رسالته ولذا قيل انه اول الصحابة وكان شيخا كبيرا يقرأ الكتب ويعرف العبرانية وقال للنبي صلى الله عليه وسلم لما اخبره بامره ابشر فانك الذي بشر به ابن مريم ورآه صلى الله عليه وسلم في الجنة عليه ثياب خضر وقال لا تسبوا ورقة كما تقدم وله اشعار مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم **وعثكلان الحميري** بفتح العين المهملة وسكون المثلثة وكاف ولام ونون والحميري نسبة لحمير قبيلة باليمن سميت باسم حمير بن سبا اي ما عرف به من امره صلى الله عليه وسلم ممن لقيه من الرهبان وقال الشراح لم نقف على قصة عثكلان وفي الخصائص ان ابن عساكر اخرج من طريق عبد الرحمن بن عبد بن عوف بن عبد عبد عوف عن ابيه عن جده قال سافرت الى اليمن قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فنزلت على عثكلان ابن عواكن الحميري وكان شيخا كبيرا انزل عليه ازاحنيه اليمن فنزلت عليه مرة فسالني عن مكة والكعبة وزمزم وقال هل ظهر منكم احد خالف لدينكم فقلت لا ثم قدمت عليه بعد بعثته صلى الله عليه وسلم وقد ضعف وثقل سمعه فنزلت عليه واجتمع عليه ولده وولد ولده واخبروه بمكاني فشد على عينيه عصابة واسند وقعد وقال لي انتسب يا اخا قريش فقلت انا عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة قال حسبك يا اخا زهرة الا ابشرك ببشارة هي خير لك من التجارة قلت بلى قال انبئك بالعجب وابشرك بالرغبة ان الله قد بعث في الشهر الاول من قومك نبيا ارتضاه صفيا وانزل عليه كتابا وجعل له ثوابا ينهى عن الاصنام ويدعو الى الاسلام يامر بالحق ويفعله وينهى عن الباطل ويبطله فقلت ممن هو قال لا من الازد ولا ثمالة ولا من السرو ولا تبالة هو من بني هاشم وانتم اخواله يا عبد الرحمن احث الوقفة وعجل الرجعة ثم امض ووازره واحمل اليه هذه الابيات

اشهد بالله ذي المعالي ... وفالق الليل والصباح
انك في السر من قريش ... يا ابن المفدى من الذباح
ارسلت تدعو الى يقين ... ترشد للحق والفلاح
اشهد بالله رب موسى ... انك ارسلت بالبطاح
فكن شفيعي الى مليك ... يدعو البرايا الى الفلاح

قال عبد الرحمن فحفظت الابيات وانصرفت فلما قدمت مكة لقيت ابا بكر رضي الله عنه واخبرته الخبر فقال هذا محمد قد بعثه الله فاتيته فلما اتيت بيت خديجة راني صلى الله عليه وسلم فضحك وقال لي ارى وجها خليقا ان ارجو له خيرا فما وراءك قلت وديعة فقال ارسلك مرسل برسالة هاتها فاخبرته واسلمت فقال اخا حمير مؤمن مصدق بي وما

شاهدني

شاهدني اولئك من اخواني حقا انتهى **وعلماء يهود** وفي نسخة علماء اليهود بالالف واللام وكلاهما صحيح كما بينه سيبويه في باب المنع فانه يكون علما لهذه القبيلة فيمنع من الصرف ولا تدخله الالف واللام قال الشاعر

اولئك اولى من يهود بمدحة ... اذا انت يوما قلتها لم تؤنب

واذا قلت اليهود فانه بمعنى اليهوديين ولكن حذفوا ياء النسبة انتهى وفصله شراحه اي ما عرف به من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم علماؤهم مما قرأوه في كتبهم ورووه عن اسلافهم كابن صوريا وابن اخطب وابي ياسر ووهب بن يهودا وغيرهم ممن لا يحصى ومنهم من اسلم ومنهم من عاند حسدا وثبات على كفره ثم ذكر بعضا منهم وعطف عطف الخاص على العام فقال **وشامول عالمهم** بشين معجمة وميم ولام بينهما الف بوزن فاعول وهو من علماء اليهود وكان مع تبع وصاحبه وفي كتاب الوفا لما قدم تبع المدينة لنصرة الاوس والخزرج على اليهود قال اني مخرب هذه البلدة حتى لا تقوم بها يهودية ويرجع الامر لدين العرب فقال له شامول اليهودي وهو يومئذ اعلم اليهود ايها الملك ان هذه البلدة مهاجر نبي من بني اسماعيل مولده مكة واسمه احمد وهذه دار هجرته وان منزلك الذي انت به سيكون فيه من القتلى من اصحابه واعدائه امر عظيم فقال تبع ومن يقاتله وهو نبي قال له قومه قال وابن قبره قال بهذه البلدة قال فاذا قوتل لمن تكون النصرة قال تكون له مرة وعليه اخرى ثم تكون العاقبة له فيظهر حتى لا ينازعه احد ثم سأله عن صفته فاخبره بها كما مر في حديث الحلية الشريفة وقوله **صاحب تبع** اي الذي كان معه ورهبانه اخبرني لما قدم المدينة فقالوا له لما قص عليهم شامول القصة المارة انا لن نبرح ههنا لعلنا ندركه وانا وانا فاعطى كل واحد منهم مالا وجارية فمكثوا بها وقوله **من صفته وخبره** صلى الله عليه وسلم كما عرفته انفا بيان لما عرف به **وما الفي من ذلك** اي من صفته وخبره في **التوراة والانجيل** والفي بهمزة مضمومة ولام ساكنة وفاء مكسورة ومثناة تحتية مبني للمجهول بمعنى وجد ونصوص التوراة والانجيل كثيرة وسيأتي طرف منها واعلم ان التابعة اربعة وقد اختلفوا في ايهم امن به صلى الله عليه وسلم هل هو الاكبر او غيره كما قال السهيلي وليس هذا محل تفصيله وتقدم بيانه اجمالا وقوله **مما جمعه العلماء** في كتبهم بيان لما الفي فيها من صفته صلى الله عليه وسلم وخبره **وبينوه** اي اظهروه ووضحوه للناس **ونقله عنهم ثقات من اسلم منهم** اي من اهل الكتابين **مثل** عالمهم وحبرهم **عبد الله بن سلام** بتخفيف اللام وهو من اليهود وتقدم الكلام عليه وعلى اسلامه **وبني سعيه** بجمع ابن وسعيه بسين مفتوحة وعين مهملة ساكنة ومثناة تحتية وقيل صوابه النون بدل المثناة التحتية بل قيل النون اكثر واشهر وهم ثعلبة واسيد بالتصغير والتكبير وفتح الهمزة وزيد وقيل انهم سعنة لكن الذي في سيرة ابن سيد الناس عن ابن اسحاق ان ثعلبة بن سعية واسد بن عبيد وهم نفر من هدل بنو عم قريظة والنضير اسلموا في الليلة التي نزلت بها قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البرهان وهذا هو الذي اعرفه وانهما اثنان لا جماعة فيحتمل ان القاضي راى معهم اسد بن عبيد فظنه اخاهم ويحتمل انه وقف على انهم ثلاثة انتهى وسبب

اسلامهم انه قدم عليهم رجل من اهل الشام يقال له ابن الهيبان اقام عندهم وكان عالما
يتبركون به ويستسقون فيسقون فلما حضرته الوفاة قال يا معشر يهود انما اقدمني هذه
البلدة خروج نبي قد اظل زمانه وهذه البلدة مهاجره ورجوت ان ادركه فاتبعه
فلما بعث صلى الله عليه وسلم وهاجر وحاصر بني قريظة قال لهم بنو سعية وهم احداث
والله انه هو الذي عهد اليكم فيه ابن الهيبان فقالوا ليس به قالوا بلى هو هو بصفته
فنزلوا واسلموا واحرزوا اهليهم واموالهم ودماءهم كما في الاكتفا ودلائل البيهقي وابن
يامين بن عمير بن عمرو بن كعب بن جحاش من بني النضير وقيل انه جبامين وقيل يامين
باللام وهو احد الحبرين اللذين قدما من اليمن مع تبع واسم الآخر مخيبر كما مر وكان له
نصحي بسحب كان له الثاني وقال الشارح لم اطلع عليه ومخيريق بضم الميم عرضي
وفتح الخاء المعجمة والباء الساكنة وكسر الراء المهملة والياء الساكنة وقاف بصيغة المصغر وهو كما
مر كان عالما حبرا من احبار اليهود كثير المال والنخيل وكان يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
بصفته الا انه غلب الف دينه فلما كان يوم أحد يوم السبت قال يا معشر يهود انكم لتعلمون
ان نصر محمد الحق عليكم فقالوا اليوم يوم السبت فقال انكم لا سبت لكم ثم اخذ سلاحه وخرج
حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه باحد وعهد الى قومه ان قتلت هذا اليوم
فاموالي لمحمد يصنع بها ما اراه ثم قاتل حتى قتل فجعل ماله صدقة بالمدينة وكان صلى الله عليه
وسلم يقول مخيريق خير يهود ويهود كما اسم هذه القبيلة ولا شك انه منها ومن خيرها
فلا يقال كيف اضافه لهم بعد اسلامه والامر فيه سهل وكعب بن ماتع وهو كعب الاحبار
كما تقدم التابعي المشهور ادرك زمنه صلى الله عليه وسلم واسلم في خلافة ابي بكر رضي الله عنه
وقيل في خلافة عمر رضي الله عنه وتوفي في خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين ودفن بحمص على
هامش ويروى عنه اثار كثيرة في صفاته صلى الله عليه وسلم في التورية كما في الوفا وكتاب الشرف
لابي سعيد وفي خير البشر لابن ظفر سأله عمر رضي الله عنه عن صفته صلى الله عليه وسلم في التورية
فقال ان فيها ان اسمه الناس والصفوة من ولد ادم وخاتم النبيين يخرج من جبال فاران
ومنبت القرظ من الوادي المقدس فيظهر التوحيد والحق ثم ينتقل الى طيبة فيكون حروبه
وايامه بها ثم ينقبض ويدفن بها الى غير ذلك مما لا يحصى كثرة واتباعهم من علمائهم
الذين كانوا يعرفون امره صلى الله عليه وسلم واخباره من كتبهم ممن اسلم وامن برسول الله
صلى الله عليه وسلم ورآه كمخيريق او لم يره ككعب من علما يهود وبحيرا عطفه على علما يهود
لانه ليس منهم فانه كان نصرانيا وبحيرا بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة ومثناة تحتية وراء
مهملة والف مقصورة على المشهور الان البرهان قال ان راه ممدودا بخط العلامة [illegible]
فلعله وقف على لغة فيه وقصته صحيحة مشهورة في السير وهو راهب كان منقطعا للعبادة بصومعة
له عند محل يقال له بصرى في طريق الشام وكانت قافلة قريش تمر عليه فلا يلتفت لاحد منها
فلما ذهب ابو طالب للشام ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صبي ابن تسع او اثنتي
عشرة سنة نزل لهم وقال يا معشر قريش اني صنعت لكم طعاما فذهبوا معه وتركوه في رحالهم
لصغر سنه فقال لهم هل بقي احد قالوا لا الا ولد صغير فدعاه حتى اتى فسألوه عن سبب

هذا

هذا ولم يكن رآه فقال اني رأيت غمامة تظله ولما نزل عند الشجرة مالت اليه بغصنها وانه
لا يكون الا نبي وانا نجده في كتابنا وهذه صفته ونظر خاتم النبوة فيه فقال لابي طالب
احترس عليه من اليهود واقسم عليه ان يرده فقيل انه رده وقيل اسرع في سفره وعاد به
والقصة مفصلة في السير وبحيرا هذا من اول من امن به وعده من الصحابة ان قلنا ان
من اجتمع به مؤمنا مطلقا يعد من الصحابة ونسطور الحبشة احترز به عن نسطور الشام
وغيره ونسطور معرب ويقرأ بالسين والصاد كما في بعض الشروح ونسطور الشام قصته
مذكورة في السير وهي قريبة من قصة بحيرا وفي بعض النسخ نسطوريه بدون اضافة
للحبشة وقد قال الشارح ان نسطور الحبشة غير معروف ولعله من علما اهل الكتاب الذين
كانوا عند النجاشي وصاحب بصرى بضم الباء كحبلى بلدة بالشام وهي بين المدينة
والشام ويقال لها حوران وهذا هو المعروف وفي نسخة راهب بصرى وصاحبها ملكها
الذي ارسل اليه النبي صلى الله عليه وسلم دحية بكتابه وهو الحارث بن ابي شمر الغساني كما قال
ابن حجر وقال انه مات عام الفتح ولم يذكر قصته واسلامه وما اخبر به عن امره صلى الله عليه وسلم
واسقف الشام وفي نسخة اساقفة الشام ويعني بهم صاحب ايليا وهو هرقل وابن الناطور
وغيرهم واسقف بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم القاف وتشديد الفاء ولا
نظير له الا اسرب وحكى ابن سيدة ثالثا وهو الاسلف للصالح وقال العيني في شرح البخاري
ولا يرد عليه الاترج لانه جمع والكلام في المفرد وفيه نظر لا يخفى وقال عبد الغافر الفارسي
في كتاب مجمع الغرائب في الحديث في كتابه صلى الله عليه وسلم لاهل نجران لا يمنع اسقف
من سقيفاه وجمعه اساقفة والسقيفى مصدر كالخليفى ومعناه لا يمنع اسقف من تسقيفه ولا
راهب من ترهبه والسقف الطويل مع انحنا ولذا الاسقف ويقال هو بين السقف وفي خطبة
الحجاج المعروفة اياكم وهؤلاء السقفا قال القتيبي اكثرت السؤال عنه فلم يعرفه احد وقال
بعض اهل اللغة انما هو الشفعا اي الذين يشفعون عند السلطان في المغرب انتهى وفي القاموس للترتيب
وقول الحجاج اياكم وهذه السقفا تصحيف صوابه الشفعا لانهم يجتمعون عند السلطان فيشفعون
في المغرب انتهى وليس كما قال فان الزمخشري اثبته في الفائق والاسقف عالم النصارى
وربانيهم وضغاطر بضاد وغين معجمتين مفتوحتين بعدهما الف وطا وراء مهملتان ويقال له
ضغاطر بنون وبقاطر بموحدة تحتية مفتوحة وقاف وهو اسقف من كبار الروم اسلم على
يد دحية رضي الله عنه لما ارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هرقل وغير لباسه واظهر
اسلامه فقتلوه كما ذكره الذهبي وكان ذلك في سنة ست من الهجرة وهو الذي ابهمه البخاري
في اوله في قصة هرقل حيث قال كتب هرقل الى صاحب له برومية كان نظيره في العلم قال
دحية لما خرج عظما الروم من عنده هرقل ادخلني عليه وارسل الى اسقف كان صاحب امرهم فسأله
عن امر النبي صلى الله عليه وسلم فقال له هذا الذي كنا ننتظره وبشرنا به عيسى عليه الصلاة والسلام
اما انا فمصدقه ومتبعه فقال قيصر له ان فعلت ذهب ملكي فقال لي الاسقف خذ هذا
الكتاب واذهب به الى صاحبك واقرأ عليه السلام واخبره اني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله واني قد امنت به وصدقته وروى ابن اسحاق ان هرقل ارسل دحية الى ضغاطر

الرومي وقال انه في الروم اتخذني لاهوتي فاظهر اسلامه والقى ثيابه ولبس ثيابا بيضا وخرج ودعا الروم الى الاسلام وشهد شهادة الحق فقتلوه فلما رجع دحية الى هرقل قال له اما قلت لك انا نخافهم على انفسنا وضغاطر كان عندهم اعظم مني وقيل ضغاطر تابعي مخضرم وقيل انه المراد باسقف الشام السابق لكونه كان ساكنا بها وهو عندهم رئيس دينهم وعالمهم المتعبد المتخشع وهو فوق القسيس ودون المطران وكان عالما بصفة النبي صلى الله عليه وسلم في كتبهم وقيل انه غيره ودحية رضي الله عنه وفد على هرقل مرتين والجارود بن عمرو بن المعلا او ابن العلا ويكنى ابا غياث واسمه بشر وكان سيد عبد القيس على دين النصرانية وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع فعرض عليه الاسلام ورغبه فيه فاسلم هو واصحابه وحسن اسلامه وكان متصلبا في دينه وادرك الردة ولما ارتد قومه دعاهم الى الحق وقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله واكفر من لم يشهد وله اشعار رويت في السير كقوله

شهدت بان الله حق وسامحت ... بنات فؤادي بالشهادة والنهض

فابلغ رسول الله عني رسالة ... باني حنيف حيث كنت من الارض

وسكن البصرة وقيل بفارس وقتل بها وفي سنة احدى وعشرين وسمي الجارود لانه غار على بكر بن وائل فجردهم كما قال العبدي

ودسناهم بالخيل من كل جانب ... كما جرد الجارود بكر بن وائل

وقيل لانه فر بابله وبها داء الى اخواله بني شيبان فغشا الداء في ابلهم حتى اهلكها فهو فاعول من الجرد بالجيم وهو الاستئصال وسلمان الفارسي وقصة اسلامه وملاقاته للرهبان وتبشيرهم له ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم مشهورة تقدم بعض منها وتميم الداري نسبة للدار وهم بطن باليمن من لخم ولدها ابن حبيب بن نمارة بن لخم بن عبد الحارث بن مرة بن ادد منهم تميم بن اوس بن خارجة بن سواد ويقال سود بن جذيمة بن دراع بن عدي ابن الدار ويكنى بابي رقية واسلم تميم سنة تسع وسكن المدينة ثم انتقل الى الشام بعد قتل عثمان وكان من اهل الكتاب عالما بكتبهم فقرا انباء بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبشير به فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وامن به واقطعه اراضي بالقدس وقصته مشهورة افردها ابن حجر كذا السيوطي بالتاليف والنجاشي بفتح النون وكسرها وتشديد اليا وتخفيفها واسمه اصحمة وقيل غير ذلك كسليم بالتصغير وهو ملك الحبشة توفي في السنة التاسعة من الهجرة في شهر رجب وصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الغائب وهاجر اليه المسلمون الهجرة الاولى وكان من قصة اسلامه المشهورة انه قال للقسيسين اشهد انه رسول الله وانه الذي بشر به عيسى ولولا ما انا فيه من الملك لاتيته وكنت احمل نعليه وكان من اعلم اهل عصره بالانجيل يقرأ صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبكي حتى تبل لحيته وقد تقدم الكلام في ترجمته ونصارى الحبشة هم قوم منهم عرفوا صفته صلى الله عليه وسلم في الانجيل واتبعوها واساقفة نجران وفي نسخة اساقف بدون هاء جمع اسقف وقد تقدم الكلام عليه قريبا اي علماؤهم ورؤساؤهم ونجران بفتح النون وسكون الجيم وراء مهملة والف

ونون

ونون

وهو موضع باليمن سمي بنجران بن زيدان بن سبا بينه وبين مكة سبع مراحل وليس من الحجاز وبه بيعة اهله وهم نصارى وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ستون راكبا من اشرافهم وكان لهم علم بالكتاب واشرفهم ابو حارثة وكان ملوك النصارى يجلونه لعلمه بالنصرانية فملكوه وموّلوه وبنوا له الكنائس واخدموه فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه اخوه كوز بضم الكاف واخره زاي فجعل على بغلة له فعثرت فقال له كوز تعس الابعد فقال له بل انت يا اخي قال لم قال والله انه النبي الذي كنا ننتظره فقال بلى والله فقال له ما يمنعك قال ما صنع بنا هؤلاء القوم شرفونا وموّلونا وقد ابوا الا خلافه فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى فاضمرها في نفسه حتى اسلم وكان يحدث به فلما دخلوا المسجد النبوي وقت العصر وعليهم الحبرات في جمال لم ير مثله فحانت صلاتهم فقاموا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون الى المشرق فقال دعوهم ثم اتوه صلى الله عليه وسلم فكلمه منهم ابو حارثة والعاقب والايهم والسيد دينهم النصرانية والتثليث فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلموا قالوا اسلمنا قال كذبتم يمنعكم الاسلام دعاؤكم لله ولدا وعبادة الصليب واكل الخنزير فانزل الله فيهم اول سورة آل عمران فلما اراد صلى الله عليه وسلم ملاعنتهم تشاوروا وقالوا انما انه ما لاعن نبي قوما الا استؤصلوا ثم نزلوا على امره فاسلم بعضهم وقبل بعضهم الجزية وارسل معهم ابا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه يقضي بينهم والقصة مفصلة في كتب التفسير والسير وغيرهم ممن اسلم من علماء النصارى وقد اعترف بذلك اي بنبوته صلى الله عليه وسلم وانه بشر به في الكتب القديمة هرقل ملك الروم وقصته مذكورة في اول البخاري وهرقل بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف كما مر وحكي اسكان الراء وكسر القاف وكان يعرف امره صلى الله عليه وسلم في الكتب الالهية ولكن احب الملك فحكم بشقاوته مالك الملك وفي الاستيعاب انه آمن به صلى الله عليه وسلم وفيه نظر لانه قاتل المسلمين بمؤتة ووعدهم انه يأتيهم في العام القابل فالاصح الاول وقد مات على النصرانية وكان عالما بالكتاب واحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما اخبر به دحية وصاحب رومة بضم الراء وسكون الواو وميم مخففة مفتوحة يليها ها في اكثر النسخ وفي بعضها رومية بيا مخففة عند اهل اللغة كانطاكية وغيرها وعدوا التشديد لحنا لانه ليس بنسبة عربية وبعضهم يشدد وهنا ما اختلف فيه فقيل هو ابن الناطور بطا مهملة وهو لفظ اعجمي معناه حارس الكروم والعامة تقول ناطر بدون واو وتجعله بمعنى الحارس مطلقا واعجمه بعضهم وقيل هو ضغاطر الذي تقدم واعترض بانه اسلم فلا يناسبه قوله بعده انه ممن حمله الشقا على البقا على كفره الا ان يخص ذلك باليهود وهو بعيد وفي القاموس رومة بلدة عند طبرية فيها رايتهم وعلمهم وقيل غير ذلك ولا وجه لما قيل ان الصواب صاحب برومة كما ورد في الحديث ولا دليل لما ذكره على ما زعمه عالما النصارى مثنى عالم ورئيساهم مثنى رئيس وهو سيد القوم وحاكمهم وهذا صريح فيما قلناه من انه كان صاحب رومية اي حاكمها ومقوقس صاحب مصر اي ملكها ومقوقس بزنة اسم فاعل فوعل علم رومي قيل معناه عندهم مطول البنا وهو الذي اهدى الى النبي صلى الله عليه وسلم قدحا من قوارير وجاريته مارية ومنه اخذت مصر ولم يسلم وغلط من عده من الصحابة

عرض

كيف وهو لم يلاق النبي صلى الله عليه وسلم وما زال نصرانيا على الاصح واسمه جريج بن مينا كما
قاله الدارقطني ولهم مقوقس آخر عد في الصحابة قال الذهبي ولعله الاول وهو ملك القبط
وصاحب الاسكندرية وارسل له النبي صلى الله عليه وسلم كتابا يدعوه فيه الى الاسلام فاجابه
بما هو معلوم في كتب الحديث والسير وقد يدخلون عليه الالف واللام **والشيخ صاحبه**
اي صاحب المقوقس قال البرهان وغيره وهذا الشيخ لا نعرفه الا ان المسعودي ذكره
وذكر له قصة في كتاب العجائب احال عليها في مروج الذهب ولم نقف عليها لنحكيها هنا
وابن صوريا بضم الصاد المهملة وواو ساكنة بينها وراء مهملة مكسورة ومثناة تحتية والف
مقصورة وقيل انها ممالة وهو عبد الله بن صوريا الاعور اليهودي ولم يكن في زمانه اعلم
منه بالتوراة وقال النقاش اسلم وقيل اسلم ثم ارتد ولم يذكر ابن اسحاق اسلامه وعده في الاصابة
من الصحابة وفي معالم التنزيل انه الذي نزل فيه قوله تعالى من كان عدوا لجبريل وكلام المصنف
مبني على عدم اسلامه **وابن اخطب** بزنة افعل من الخطبة وهو حيي ابو ام المؤمنين صفية
رضي الله عنها **واخوه** ابو ياسر اليهوديان اللذان قتلا كافرين صبرا في اسرا بني قريظة وكانا
يعلمان امر النبي صلى الله عليه وسلم وما في التوراة من ذكره بصفته ومع ذلك كانا اشد الناس
عداوة له كما ذكرت ذلك صفية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما اسلمت وقالت لما قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة غدا اليه ابي وعمي ثم جاءا بالعشي فسمعت عمي يقول
لابي اهو هو قال نعم الحديث **وكعب بن اسد** من بني قريظة وهو صاحب عقدهم وقال
لهم لما حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر يهود انكم ترون ما نزل بكم من الامر
فتعالوا لو اننا نتبعه ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انه نبي مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم
فتامنوا على انفسكم واموالكم واهليكم فقالوا لا نفارق حكم التوراة ولا نستبدل به غيره الى اخر
القصة وما فيها من نقضهم العهد وقتلهم ويقال ان اسم كعب كند بفتحتين وكاف ومثناة فوقية
ودال مهملة **والزبير بن باطيا** الزبير هنا بفتح الزاي المعجمة وهو من يهود بني قريظة ايضا قتل
كافرا في وقعة بني قريظة وهو جد عبد الرحمن بن الزبير بضم الزاي وقيل انه بفتحها كاسم
جده وقيل والصحيح انه بالضم كما في تاريخ البخاري وقال ابن مرزوق الزبير بفتح الزاي في
اليهود وفي غيرهم بالضم والزبير هذا قتله ثابت بن قيس بن شماس يوم بني قريظة وكان
من اعلم اليهود روي عنه انه كان يقول اني وجدت سفرا كان ابي يختمه فيه ذكر احمد نبي
يخرج بارض القرظ صفته كذا وكذا فتحدث به الزبير بعد ابيه والنبي صلى الله عليه وسلم لم
يبعث فما هو الا ان سمع بان النبي صلى الله عليه وسلم خرج بمكة عمد الى السفر فمحاه وكتم شانه
صلى الله عليه وسلم وصفته وقال ليس به وباطيا بموحدة والف بعدها طاء مهملة ومثناة تحتية
والف مقصورة وفي بعض النسخ باطا بدونها وكتب عليها صح وقال التلمساني الفا رواية فيه
وغيرهم من علماء يهود الذين عرفوا نبوته صلى الله عليه وسلم وذكروه بصفته نقلا عن كتبهم
واخبارهم ولم يذكر في معضلات السير **من حملة الحسد** له صلى الله عليه وسلم كابن سلول
والحسد للعرب اذ كان هذا الرسول منهم دون بني اسرائيل **والنفاسة** بفتح النون بمعنى
المنافسة وفسرت بالحسد وهي مغايرة له لانها المنازعة في الاشياء بان يدعي انه انفس

واحق

واحق بما هو فيه وانه لا يستاهله ويتمناه وحمله بغيه وعناه لما ذكر حتى كانه حمله حتى
اوصله له ثم ما رحيقنه عن نيه فيما ذكر **على الثبات على الشقا** اي اصراره على كفره وارتداده
عنادا والتقاصد السعادة وبين الشقا والبقا تجنيس **والاخبار** الواردة **في هذا الباب**
كثيرة لا تنحصر اشارة الى ان ما ذكره قليل بالنسبة لما تركه منها اذ هي لا يمكن حصرها اي
الاحاطة بها **وقد قرع** بالقاف مبنيا للفاعل والتخفيف والتشديد والقرع الضرب والصدم
بما يبيح له صوت فاذا اشتد كان مبالغة فيه ويكون بمعنى التوبيخ والتعيير فان اخفف
فهو استعارة للمبالغة في الجهر حتى كانه يضرب اسماعهم فاذا اشتد فالمراد به توبيخهم بما
ذكر **اسماع اليهود والنصارى** خصهم لانهم اهل الكتاب وقدم اليهود لانهم اشد عداوة
له صلى الله عليه وسلم واكثر انكارا وعنادا وفي بعض النسخ يهود والنصارى بتعريف النصارى
بالدون يهود لانه علم كما مر وقيل لان اليهود اشد عداوة للمؤمنين وفيه نظر **بما ذكر انه**
في كتبهم متعلق بقرع وفاعله النبي صلى الله عليه وسلم **من صفته صلى الله عليه وسلم وصفة**
اصحابه وفي نسخة وصفة امته وكلاهما صحيح متقارب المعنى فانه وقع في الكتب الالهية ذكرهم
خصوصا وعموما ففي التوراة انهم خير امة وهم الاخرون السابقون يوم القيامة اناجيلهم صدورهم
يؤمنون بالكتاب الاول والاخر ويقاتلون اهل الضلالة الى غير ذلك مما استوفاه ابن ظفر في
كتاب خير البشر بخير البشر **واحتج** صلى الله عليه وسلم اي اقام الحجة عليهم **بما انطوت عليه**
صحفهم اي بما حوته واشتملت عليه وفيه اشارة الى اخفائها فيها وكتمه لان الصحيفة اذا طويت
لا ينظر لما فيها وصحف بضمتين وتسكن تخفيفا جمع صحيفة وهي الكتاب والاكثر جمعه على صحائف
لان فعيلة لا تجمع على فعل الا نادرا **من ذلك** اي صفته صلى الله عليه وسلم وصفة امته **وذمهم**
بتحريف ذلك المذكور في كتبهم بتغيير بعض الفاظه وتغييره بغير المراد منه كقوله تعالى
من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه الاية فبدلوا اوصافه صلى الله عليه وسلم حتى
اضلوا جهالهم وقالوا ليس هو الموعود به في كتابنا **وكتمانه** اي اخفا صفته صلى الله عليه وسلم
وصفة امته كما قال تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون **وليهم السنتهم**
ببيان امره اي صرفه لغيره حسدا وبغيا بان يذكروا بيانه ويميلوا عنه لغيره واصل
اللي فتل الحبل ونحوه فاستعير لصرفها عن الصدق الى الكذب قال الراغب لوى لسانه بكذا
كناية عن الكذب قال تعالى يلوون السنتهم بالكتاب انتهى **ودعوتهم الى المباهلة على**
الكاذب اي قرع اسماعهم بدعوتهم اليها وطلبها منهم كما وقع له صلى الله عليه وسلم مع نصارى
نجران اذ دعاهم للمباهلة فابوا وبذلوا الجزية كما مر والمباهلة الملاعنة من البهل وهو
اللعنة بان يقول كل منهما لعنة الله على الظالم والكاذب منا وقد جرب ان المباهل لا تمضي
عليه سنة وقيل معناها التضرع والاجتهاد في الدعا ويتعدى بعلى **فما احد منهم** اي
اليهود والنصارى **الا من نفر** اي اعرض وهرب **عن معارضته** فيما قرع به اسماعهم وذمهم
به فترك المعارضة لعدم قدرته عليها **وابدى** فاعله ضمير من وافرده نظرا للفظه وجمعه في قوله
ما الزمهم نظرا للمعنى من وقع عليه الزام رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق له **من كتبهم** بيان لما
اي ما الزمهم به من نصوص كتبهم كقصة الرجم المشهورة **اظهاره** مفعول الزم اي الزمهم اظهاره

اى الكمنوه **ولو وجد واختلاف** قوله في ليتهم **لكان اظهاره** اسم كان وقوله **اهون عليهم**
اى اسهل خبر كان **من بذل النفوس** بوحده وذال معجمة اى اعطايها لهم للقتل **والاموال**
التي غنموها واخذوها منهم قهرا **وتخريب الديار** كما وقع ليهود خيبر وبني النضير **ونبذ**
القتال اى تركه وهو اشتق لفعلهم يقال نبذ النواة اذ اطرحها **وقد قال لهم** جملة
حالية اى لليهود لما زعم اسلافهم بقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات
احلت لهم وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر فقالوا لسنا اول من حرمت عليه
فقد حرمت على ابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فقال لهم **قل فأتوا بالتوراة فاتلوها**
ان كنتم صادقين ليظهر انها لم تحرم الا عليكم لظلمكم وبغيكم فامر بمحاجتهم بما فيها توبيخا لهم
فلما قال لهم ذلك بهتوا ولم يأتوا ببنت شفة لانقطاع حجتهم وظهور كذبهم كما في قصة
الرجم وكانوا ادعوا على ان لحوم الابل حرمت على يعقوب وبنيه في التوراة فنحن نحرمها
فقال لهم صلى الله عليه وسلم انها لم تحرم عليه وانما امتنع يعقوب من اكلها لانه كان به عرق
النسا وهي نذره **الى ما انذر به الكهان** جمع كاهن وهو الذي كان يخبر بالامور قبل
وقوعها ويدعي الاطلاع عليها والانذار الاعلام بما فيه موعظة وتخويف والى غاية لما تقدم
اى انتهى ما ترادف من الاخبار الى ان انذر به بقرب زمانه والمعنى مع وكانت الكهان
تتلقى ذلك من الشياطين **مثل شافع بن كليب** شافع بفتح بعين معجمة كاسم الفاعل من
الشفاعة وكليب مصغر كلب وهو كاهن من كهان العرب اخبر بنبأ بخبر النبي صلى الله عليه
وسلم ومهاجره الى المدينة كما تقدم بيانه وقال الحافظ ومن تبعه لا اعرفه **وشق وسطيح**
وهما كاهنان من كهان العرب وشق بكسر الشين المعجمة هو شق بن صعب بن يشكر وجده
الاعلى ربيعة بن انمار وكان بيد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة وكانت العرب
تاتيه فيخبرهم بما سيأتي وسطيح بفتح السين وكسر الطا المهملتين ومثناة تحتية ساكنة وحا
مهملة وهو ابن ربيعة بن مسعود بن مازن بن غسان قيل ان جسده كان لا عظم فيه غير
جمجمة راسه وكان يدرج كالثوب فاذا غضب انتفخ وقيل انه عاش ثلاثمائة سنة وقصتهما
وذكرهما النبي صلى الله عليه وسلم لما ارسل كسرى عبد المسيح ليسأله عن رؤيا هالته مذكورة
في السير مشهورة ولهما قصص كثيرة في التواريخ وادركا زمانه صلى الله عليه وسلم **وسواد**
ابن قارب بلفظ السواد ضد البياض وقارب بزنة اسم فاعل من القرب وهو سواد
الدوسي الصحابي وكان كاهنا من كهان العرب له رئي من الجن ياتيه ويخبره بالمغيبات
فبينما هو ذات ليلة اذ اتاه فضربه برجله وقال له قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي
ان كنت تعقل انه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته
ثم اتاه ليالي يقول له مثل مقالته فركب ناقته واتى المدينة واجتمع مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وامن به واخبره بخبر رئيه وما قال له من الاشعار وتبشيره بـ
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفصيله في السير **وخنافر** بضم الخاء المعجمة والنون
والف بعدها فاء مكسورة وراء مهملة وهو كاهن من حمير له رئي من الجن اخبره ببعثة
النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم على يد معاذ رضي الله عنه كما يأتي ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم

فهو

فهو تابعي وهو ابن التوام الحميري وله جنية تسمى شصار وكان غائبا زمانا
وسمعه فاسلم وحسن اسلامه وفي امالي القالي عن الكلبي قال كان خنافر بن التوام الحميري
كاهنا قد اوتي بسطة في الجسم وسعة في المال وكان عاتيا فلما وفدت وفود اليمن على النبي
صلى الله عليه وسلم وظهر الاسلام اغار على ابل لمراد فلحق باهله وبها الشحر فحالف بها
جودان وهو سيد منيع ونزل عنده بواد مخصب وكان له رئي في الجاهلية لا يكاد يغيب
عنه فلما شاع الاسلام فقده مدة حتى ساءه ذلك فبينما هو بذلك الوادي هوى عليه هوي
العقاب فقال خنافر فقلت شصار فقال اسمع اقل فقلت قل فقال عه تغنم لكل مدة نهاية
وكل ذي امد الى غاية قلت اجل قال كل دولة الى اجل ثم يتاح لها حول انتسخت النحل
ورجعت الى حقائقها الملل انك غير موصول والنصح لك مبذول انى انست بارض
الشام نفرا من ال العرام حكاما على الحكام يذبرون ذا رونق من الكلام ليس بالشعر المؤلف
ولا السجع المتكلف فاصغيت فزجرت فعاودت فظلمت فقلت بم تهينمون والام تعتزون
قالوا خطابا كبارا جاء من عند الملك الجبار فاسمع يا شصار عن اصدق الاخبار واسلك اوضح
الاثار تنج من اوار النار فقلت وما هذا الكلام فقالوا فرقان بين الكفر والايمان
رسول من مضر من اهل المدر ابتعث فظهر فجاء بقول قد بهر واوضح نهجا قد
دثر وفيه مواعظ لمن اعتبر ومعاذ لمن ازدجر ألف بالاي الكبر قلت ومن هذا المبعوث
من مضر قالوا احمد خير البشر فان امنت اعطيت الشبر وان خالفت اصليت سقر
فامنت يا خنافر واقبلت اليك ابادر فجانب كل نجس كافر وشايع كل مؤمن طاهر والا
فهو الفراق عن تلاق قلت من اين ابغي هذا الدين قال من ذات الاحرين والنفر
اليمانين اهل الماء والطين قلت اوضح قال الحق بيثرب ذات النخل والحرة ذات النعل
فهناك اهل الطول والفضل والمواساة والبذل ثم املس عني فبت مذعورا اراعي
الصباح فلما برق لي النور امتطيت راحلتي واذنت عبدي واحتملت باهلي حتى وردت الجوف
فرددت الابل على اربابها بحولها واسقابها واقبلت اريد صنعاء فاصبت بها معاذ بن جبل
امير رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته على الاسلام وعلمني سورا من القرآن فمن الله
علي بالهدى بعد الضلالة والعلم بعد الجهالة ثم ذكر له شعرا وشرح ما في الخبر من اللغة
فان اردته فارجع اليه وقد ذكرنا كفاية **وافعى نجران** هو ملك من ملوك نجران كان
كاهنا وهو الافعى بن الافعى الجرهمي عن عاصم بن عمر بن قتادة قال قدم شيخ من
جذام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه اربعون رجلا يحجون به فقال يا رسول
الله حرفت ودردت وتشظت رجع ذلك فاسود شعري وثار عقلي ونبتت اسناني
وهؤلاء ولدي لصلبي وخلفهم من نسل اصنافهم وقد سمعت افعى نجران يذكر في غابر الزمان
انه سيبعث نبي من صفته انه له خاتم يسطع نوره بين كتفيه ببيت مكة ويهاجر الى طيبة
فبالذي فضلك بالرسالة وايضاح الدلالة الا كشفت لي عن خاتم نبوتك فنظر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال حفظت على طول العهد وان فيك لمعتبرا ثم كشف له عن
خاتم النبوة فاكب عليه يقبله وافعى نجران هذا هو الذي حكم بين ولد نزار لما تحاكموا

في ميراث ابيهم ونعم مضر وربيعة وانما سواها د وقال يا معشر ايت ابو البنى النهامى كانا نجد
في الاثار انه من ولد نزار بن معد بن عدنان واني لارى للنبوة بين عينيك نورا واجلسه على
سرير ملكه وجلس تحته وهذا اما اشار اليه المصنف والشراح كلهم لم ينبهوا عليه **وحجل بن
جذل الكندي** قال الحافظ الحلبي لا اعرفه ونبه غيره من الشراح وهو كاهن من
كهان العرب اخبر ببعثته صلى الله عليه وسلم قديما ولم ار تفصيل قصته الان النلسانى
قال جذل بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة ولام وقيل انه بجيم ودال مهملة مفتوحتين من
كندة وهي قبيلة معروفة لما ولدته امه التمس ذكره فلم تجده من شدة البرد فطلبته جارية فطلع
وزوجها في سكرات الموت فاشتغلت بموته ثم ذكرت بعد ثلاث وبشرت فيها بولد ذكر فسميه
باسم ابيه فقالت وهو تطلق انه مات فوجدت كلبة ترضعه فخلته وسمته باسم ابيه **وابن خلصة
الدوسي** بخا معجمة ولام وصاد مهملة مفتوحات فهو كاهن من كهان العرب بشر بالنبي صلى
الله عليه وسلم ولم يذكر واله ترجمة ودوس بفتح الدال المهملة قبيلة معروفة وقال في الخصائص
الكبرى نقلا عن الهواتف عن سواد بن قيس الدوسي قال ذكرت الكهانة عند النبي صلى الله
عليه وسلم فقلت يا رسول الله كانت عندنا جارية يقال لها خلصة لم نعلم عليها الا خيرا فجاءتنا
فقالت يا معشر دوس هل علمتم لي الا خيرا قلنا وما ذاك قالت اني لفي غنمي اذ غشيتني ظلمة
ووجدت كحس الرجل مع المرأة فحبلت فلما دنت الولادة وضعت غلاما اعصى له اذنان
كاذني الكلب فكث فينا وكان لا يقول شيئا مما كان فيصيبك حتى يكذب فقلنا له ما هذا فقال
ما ادري كذبني الذي كان يصدقني استجيروني في بيتي ثلاثا ثم ائتوني ففعلنا واتينا عنه
فاذا امامه كانه جمرة نار فقال يا معشر دوس حرست السما وخرج خير الانبيا قلنا من ابن
قال بمكة وانا ميت فادفنوني برأس جبل في ساصطرم نارا فاذا رايتم ذلك فاقذفوني بثلاثة
احجار وقولوا مع كل حجر باسمك اللهم فاني اهدى واصطفى ففعلنا ذلك واقمنا حتى قدم
علينا الحاج فاخبرونا بمبعثك يا رسول الله انتهى ومنه تعلم ان الشراح لعدم وقوفهم على قصتها
ظنوها كاهنا ذكرا وانما هي كاهنة فان عرفه فان خلصة امرأة والكاهن ابنها **وسعدى
بنت كريز** بضم الكاف المعربية والرا المهملة وآخره زاي معجمة وفي النسخ هنا اختلاف
والصحيح ما ذكرناه وهي خالة عثمان بن عفان اخت امه كانت في الجاهلية لها علم وكهانة
فاخبرت عثمان ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم وتزوجه بابنته رقية وصدقها وكان
ذلك سبب اسلامه فلما اسلم كانت تنشد

هدى الله عثمانا بقولي الى الهدى ... فارشده والله يهدي الى الحق

وفي بعض النسخ سعدى بنت كريز **وفاطمة بنت النعمان** قال التلمساني هي فاطمة
بنت النعمان النجارية كان لها تابع من الجن وكان اذا جاء انقحم عليها فلما بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتاها وقعد على حائط الدار فقالت له لم لا تدخل فقال قد بعث نبي
بتحريم الزنا فكان ذلك اول ما سمع بذكر النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وكانت في الجاهلية
عالمة كاهنة ونعمان بضم النون هو نعمان بن فراد وقيل هو علي بن نعمان بن فراد وروى
عن ابن عمر وغيره فهو تابعي ونعمان اسم موضع واسم الدم ايضا **ومن لا يعد كثرة** وفي

نسخة

نسخة سعد مطاوع بعد ان لا يعد الكثرة لا لعدم اعتباره مضمونا او منها **الى ما ظهر
على السنة الاصنام** الظاهر انه استعارة تمثيلية شبهها في ظهور صوت يخص تكلم
بكلام وقيل هذا لا يصح لانه على مذهب الجبائي الذي يشترط الالة المخصوصة للنطق ونحن
لا نشترط الا الحياة فالصواب كلام الاصنام او نطق الاصنام الا ان يراد بالسان
الكلام وليس بشي لما علمت من انه استعارة وهذا التعبير في وجوه الحسان وقد ذكر
ابن اسحاق وغيره كثيرا مما سمعه المشركون من اجواف اصنامهم يقولون ان امرهم بطل
بظهور الرسول صلى الله عليه وسلم ويامرهم باتباعه وان الباطل بطل وقد جاء الحق **من
نبوته صلى الله عليه وسلم وحلول وقت رسالته** ومن ذلك ما نقل ان صنما كان لمازن
الطائي فذبح له يوما قربانا فسمعه يقول يا مازن اقبل الى اقبل تسمع ما لا تجهل هذا نبي
مرسل جا بحق منزل آمن به كي تعدل عن حر نار تشعل الى اخر ما في السير من انه سمعه منه
مرارا فكسره ورحل الى النبي صلى الله عليه وسلم واسلم ونظائره كثيرة وكانت الشياطين هي
التي تسمعهم الكلام من عبران يرونهم **وسمع من هواتف الجن** مبني للمفعول معطوف على
ظهر **من هواتف الجن** وفي نسخة الجان وهما بمعنى وقد فرق بينهما بان الجان ابو الجن
والجن الجنس كله والهواتف جمع هاتف من الهتف وهو الصوت العالي مطلقا ثم خص
بصوت يسمع ممن لا يرى شخصه من صريخ ولذا اختص بالجن عند العرب وكان عند بعثة
النبي صلى الله عليه وسلم كثير ذلك وللخرائطي كتاب الهواتف جمع فيه ذلك وكانت تلك الهواتف
تخبر ببعض احواله صلى الله عليه وسلم وهذه اية عظيمة مرايا به وظهور بيانه كسماع
ذباب بن الحارث هاتفا يقول يا ذباب يا ذباب اسمع العجاب بعث محمد بالكتاب يدعو فلا
يجاب وسماع ابن قرة الغطفاني هاتفا يقول جاء حق فسطع ودمر باطل فانقمع وسماع قريش
هاتفا يخبر بنزوله صلى الله عليه وسلم على ام معبد الى غير ذلك فكل الكون السمع تنطق
تخبر به وتدل على علو منزلته ولكن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء والصوفية يقولون
الواردات الالهية هاتفا كامر **ومن ذبائح النصب** اي ما سمع منها اذ ذبحت الذبح والذبائح
جمع ذبيحة وهي ما يذبح من نعم ونحوه والنصب بضمتين جمع نصب بفتح فسكون وهو ما
ينصب من الحجارة والاصنام للعبادة وهو مثل ما سمع عمر رضي الله عنه من عجل قربه رجل
لينحره قربانا لصنم فقال يا ال ذريح امر نجيح رجل فصيح يقول لا اله الا الله الى اخر ما روي
واجواف الصور اي ما سمع من الاصنام التي كانوا يصورونها فهو جمع صورة بمعنى
جثة مصورة وهي التمثال والاجواف جمع جوف وهو داخل كل شي **وما وجد من اسم
النبي صلى الله عليه وسلم مكتوبا في الحجارة والقبور** اي وعلى القبور **بالخط القديم**
المتقادم عهده كتابته **وابيات مشعرة له بالرسالة** بذكر اسمه وانه نبي مرسل من الله **ما اكثره
مشهور** بين الناس وما الثانية بدل من الاولى او خبر والاولى مبتدا وهما موصولتان
وقد نقله ثقات المورخين في قصص لا تحصى ومكتوب وقع حالا من فاعل وجد وقد مر ان ما في تحته
ونصوبها مفعول ثان لوجد والخبر مقدر اي ثابت وقد تقدم انه وجد بخط عبراني
على بعض الحجارة محمد تقي مصلح امين وان في تفسير قوله تعالى وكان تحته كنز لهما عن

عن ابن عباس انه لوح من ذهب مكتوب فيه عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب وعجبا لمن ايقن
بالنار كيف يضحك وعجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها انا الله لا اله الا انا
محمد عبدي ورسولي وتقدم شرح ذلك كله بعاليه الكتابة واسلام من اسلم بسبب ذلك
اي بسبب ما راه من الكتابة المذهبة والمراد انها تعبير اللسان الغزلي وهو مما يدل
على صدق ما كتب فانه معلوم مذكور في السير والتواريخ وفصل
ومن ذلك اي مما يدل على نبوته صلى الله عليه وسلم ورسالته ما ظهر من الايات
اي العلامات او الادلة عند مولده اي ولادته صلى الله عليه وسلم فهو مصدر ميمي
ما حكته امه امنة بنت وهب وهي اشهر من ان تذكر ومن حضر ولادته من
العجائب قيل اخر هذا الفصل وكان ينبغي تقديمه لانه اول التقدم المعجزات بحسب
الشرف ويجاب انه ذكر فيه ما يتعلق بنبوته صلى الله عليه وسلم وهي متاخرة فهو ناظر
لذلك او لانه لا يختص بزمان وهو لا جال لما تقدمه والمناسبة تؤخر والعجائب وما
معه اشارة الى ما رواه ابو نعيم عن ابن عباس من ان امه صلى الله عليه وسلم لما حملت به اتاها
آت في منامها بعد ستة اشهر وقال لها يا امنة انك حملت بخير العالمين فاذا ولدتيه فسميه
محمدا واكتمي شانك فلما اخذني ما ياخذ النسا لم يعلم بي احد واني لوحيدة في منزلي في طوفه
فسمعت وجبة عظيمة وامرا عظيما هالني فرايت كان جناح طاير ابيض قد مسح على فوادي فذهب
عني الرعب وكلما احده النفث فاذا انور عالب ونسوة طوال حولي فقلت من ابن علمن بي وفي
رواية انهن قلن عن اسية امراة فرعون ومريم ابنة عمران وهؤلاء من الحور العين فبينا انا
كذلك واذا انا بديباج ابيض بين السما والارض وقايل يقول خذاه عن اعين الناس
ورجال في الهوى بايديهم اباريق من فضة وقطعة من الطير ما نبرها من زمرد واجنحتها
من الياقوت فكشف الله عن بصري فرايت مشارق الارض ومغاربها وعلما بالمشرق وعلما
بالمغرب فوضعته صلى الله عليه وسلم وكانت فيه بحرية فاخصبت الى غير ذلك مما ذكروه
وقال ابن الجوزي في تلقيح الفكر اتفقوا على انه ولد يوم الاثنين في شهر ربيع الاول عام
الفيل واختلفوا فيما مضى منه على اربعة اقوال فقيل لليلتين خلتا منه وقيل لثمان وقيل لعشر
وقيل لاثني عشر خلت منه ومات ابوه وهو ابن ثمان وعشرين سنة ورسول الله صلى الله
عليه وسلم حمل وقيل ابن سبعة اشهر وقيل ابن ثمانية وعشرين شهرا والاصح الاول وكونه
رافعا راسه عندما وضعته اي نحو السما كما رواه البيهقي شاخصا ببصره الى
السما قال الراغب شخص من بلده ذهب وشخص سمعه وبصره واشخصه صاحبه وقوله
شاخصة ابصارهم اي اجفانهم لا تطرف انتهى وقوله الى السما تنازعه رافعا وشاخصا
وهذا اشارة الى تعلقه صلى الله عليه وسلم بالملا الاعلى وتوجهه لذلك في اول امره كما قال
الابوصيري رافعا راسه وفي ذلك الرفع ... الى كل سودد ايما
رافعا طرفه السما ومرمى ... عين من شانه العلو العلا
وروي انه خرج معه نور اضا له المشرق والمغرب وروي انه ولد واضعا يده مقبوضة
مشيرا بالسبابة كالمسبح ومارأته امه كما رواه احمد والبيهقي من النور الذي خرج

معه

معه عند ولادته وحديث النور الذي خرج معه اضا له جميع الارض رواه جماعة
وصححه ابن حبان والحاكم وعن ابي اسحاق بن عبد الله ان امه صلى الله عليه وسلم قالت لما
ولدته خرج من فرجي نور اضا له قصور الشام وتقدم في كلام المصنف عن امه انها قالت
ولدته نظيفا ما به قذر قال ابو شامة كان امر هذا النور اشتهر ذكره في قريش واليه
اشار العباس كما مر بقوله
وانت لما ولدت اشرقت الارض ... وضاءت بنورك الافق
الخ وقال حسان رضي الله عنه
نورا اضا على البرية كلها ... من يهد للنور المبارك يهتدي
قال ابن رجب رحمه الله وهو اشارة الى نور هذا النبي الذي يجلي ظلمة الشرك كما قال تعالى
قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقوله واضا له قصور الشام خصه لانه مشرق انوار
النبوة وهي دار ملكه وما رأته اذ ذاك اي وقت ولادته ام عثمان بن ابي العاص
ابي عبد الله بن بشر الثقفي واسمها فاطمة بنت عبد الله وعثمان هذا من اكابر
الصحابة وله فتوحات وتولى قضا البصرة روي عنها انها انها شهدت مولده صلى
الله عليه وسلم ورأت مما رأته من تدلي النجوم التدلي الدنو والقرب كما قال الراغب وهو
في الاصل استعارة من الدلو صار حقيقة عرفية في القرب وظهور النور الذي خرج
معه كما مر ويحتمل انه نور النجوم لقربها حتى ما تنظر اي ام عثمان المذكورة بتا المضارعة
ويجوز ان يقرا بالنون للحاضرين او الموجودين والاول اولى رواية ودراية الا النور
اي لا ترى شيئا غير النور وما ذكرها لغة في قوته وانتشاره في جميع النواحي والظاهر ان
تدلي النجوم على ظاهره قال الابوصيري رحمه الله
وتدلت زهر النجوم اليه ... فاضاءت بضوءها الارجا
وقيل معنى تدليها سقوطها ولا يثبت مثله وقول الشفا ام عبد الرحمن بن
عوف الشفا بشين معجمة مفتوحة وفا مشددة ومد كما قاله الذهبي والمعول عليه وما
قاله البرهان الحلبي انه بكسر الشين والقصر وهم كما قال الذهبي بنت عوف بن عبد الحرث
من المهاجرين والدة عبد الرحمن وبنت عم ابيه عوف بن الحارث وقال السهيلي ان اسمها بعد
ايضا وفي الاستيعاب انها اخت عبد الرحمن بن عوف وحكاه من الزبير قال وقد قيل انها امه
لما سقط صلى الله عليه وسلم على يدي اي وضعته امه نزل على يديها واستهل اي عطس لا
صاح وان كان يقال استهل الصبي اذا صاح بدليل قولها سمعت قائلا اي ملكا يقول له
صلى الله عليه وسلم رحمك الله او رحمك ربك او يرحمك ربك تشميتا له بنا على ان رحمك
بفتح الكاف وقال التلمساني انه روي بكسرها والظاهر الاول وهو لم يفسره فالخطاب لامه
او له صلى الله عليه وسلم باعتبار النعمة وتفسير استهل بعطس ذكره الدلجي ويشهد له قول
الابوصيري شمتته الاملاك اذ وضعته ... وشفتنا بقولها الشفا
اذ القول المذكور لا يقال الا عند العطاس اي الذي هو التشميت بالشين المعجمة والمهملة ولذا
حمل الاستهلال على العطاس مع تصريحهم بانه لم يجي في شي من الاحاديث انه صلى الله عليه وسلم

لما ولد عطس وفي الجامع الصغير استهلال الصبي العطاس فاستهلال المولود لا يعتبر بمجرد
رفع الصوت والعطاس فلذا حملناها على العطاس بقرينة الجواب الذي لا يقال الا عند
العطاس وهذا الحديث رواه ابو نعيم في الدلائل عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه واضا
لي ما بين المشرق والمغرب حتى رايت قصور الروم ولا منافاة بين هذه الرواية وبين رواية
قصور بصرى والروم لانها كانت اذ ذاك بيد الروم وتتمة الحديث ثم اضجعته فلم انشب ان
غشيتني ظلمة ورعب وقشعريرة ثم غيب عني فسمعت قائلا يقول اين ذهبت به قال الى
المشرق ثم لم يزل ذلك على بالي حتى ابتعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنت اول الناس
اسلاما وفي الكلام بعض امور غريبة من تنكيس اسرة الملوك وذهاب الحيوانات من المغرب
للمشرق للتبشير به صلى الله عليه وسلم وروي كما تقدم في كلامه انه ولد مختونا مسرورا اي مقطوع
السرة كما تقدم الجزم به في كلام المصنف قال الحاكم في مستدركه انه تواترت به الاخبار ورد قال
الذهبي لا اعلم صحته فضلا عن تواتره واجاب بعضهم بانه اراد بالتواتر الاشتهار فقد
جاءت احاديث كثيرة من ذلك قال الحافظ ابن كثير فمن الحفاظ من صححها ومنهم من ضعفها ومنهم
من راها من الحسان تقدم ان هذا الجواب بعيد وقيل انه ختن يوم سابعه وتقدم ما
عليه من الكلام وما تغرت به حليمة بنت ابي ذويب السعدية مرضعته صلى الله عليه وسلم
وخبر مشهود وزوجها الحارث بن عبد العزى ظئراه عطف بيان او بدل من حليمة
وزوجها وهو تثنية ظئر وهو المرضعة في الاصل ويطلق على الاب من الرضاعة كما هنا
فالظئر مشترك معنوي لانه من ظأر اذا عطف فلا اشكال في تثنيته فانه ليس كالعينين
مع انه مسموع ايضا من بركته صلى الله عليه وسلم لما اخذته من امه ودر درلبنها له اي
زيادة خروجه له صلى الله عليه وسلم ولاجله من الرضاعة بعد قلته ولبن شارفها اي
ودر لبن شارفها والشارف الناقة المسنة والغالب ان لبنها لا يدر وخصب غنمها بكسر
الخاء اي رعيها في مكان مخصب في سنة مجدبة او هو مجاز عن سمنها وكثرة لبنها وكل ذلك
ببركته صلى الله عليه وسلم لكونه عندها واصل معنى الخصب بكسر الخاء المعجمة المكان الكثير العشب
واول من ارضعته صلى الله عليه وسلم ثويبة جارية ابي لهب ثم حليمة رضي الله عنها وقد تقدم
ان حليمة وفدت على النبي صلى الله عليه وسلم فاكرمها وبسط لها رداءه لتجلس عليه وقال
ابن عبد البر انها اسلمت وانكره الدمياطي وصنف فيه مغلطاي جزءا وله صلى الله عليه
وسلم اخوة من الرضاعة مفصلة في السير كما فصل فيها احوال مرضعته وذهابها به صلى الله
عليه وسلم الى ارض قومها وسرعة شبابه وحسن نشاته اي سرعة نمو خلقته وقامته ونشاته
ابتداء امره في صغره من نشا ينشا نموا نشوا وان حليمة قالت واسرعا بلغ سنتيه حتى صار
غلاما جفرا وما جرى اي دفع وحدث من العجائب ليلة مولده اي في ليلة ولادته
مما رواه البيهقي وغيره وفي نسخة ميلاده وهما بمعنى وهذا يدل على انه ولد ليلا وهو الذي
رواه ابن السكن وفي حديث نقلوه والذي في مسلم وصححوه انه ولد نهارا بعد الفجر وقبل
طلوع الشمس وجمع بينهما بان تلك الحصة قد تعد ليلا لقربها منه وبعضهم يرى ان اليوم
من طلوع الشمس والحاصل انه لا تنافي فيما تقرر من ولادته نهارا الحديث المتقدم عن ام

عثمان بن ابي العاص على تقديرصحته من دلالته على انه ولد ليلا فان زمان النبوة صالح
للخوارق ويجوز ان تسقط النجوم نهارا اي تنفصل من ان تكاد تسقط بها ان قلنا ولم
عند النجم الا ان ذلك ملحق بالليل كما تقرر من ارتجاج اي تحرك واضطراب ايوان
كسرى وهو قصره ومن الاولى بيان لما والثانية للعجائب وقيل بيان لما ايضا وفيه
نظر وكسرى تقدم انه بكسر الكاف وفتحها معرب خسرو وكسرى هذا هو انوشروان
ابن قباد وهو غير كسرى الذي كتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم فمزق كتابه فهو ابرويز
ابن هرمز بن انوشروان وهذا الحديث رواه البيهقي وابن ابي الدنيا وابن السكن والايوان
الصفة العظيمة والبنا العالي العظيم واصله اوان فشدد بالواو فابدلت الاولى يا وفسر
بعضهم الايوان الملك العظيم المعد لجلوسه مع وزرائه لفصل الامور وسقوط شرفاته
بضمتين كما في تثقيف اللسان ويجوز سكونها وفتحها كما قاله البرهان جمع شرفة بضمتين او
بفتح فسكون بوزن غرفة وشرفة بالضم وانما هو ما يبنى على الحائط اعلى منفصلا بعضه
من بعض على هيئة معروفة وله شرفات كثيرة فسقط منها اربعة عشر بعدد من ملك
من اولاده بعد ظهور الاسلام وانقضت مدتهم في زمان قليل واطلاق شرفات على ما ذكر
لا ينافي القلة والكثرة فيه لاضافته او لانه لا جمع له سواه او لانه يجوز استعمال كل من الجمعين
في معنى الاخر وغيض بحيرة طبرية غيض بفتح الغين المعجمة وسكون الياء التحتية وضاد
معجمة مصدر غاض يغيض اذا قل او ذهب يقال غاض الماء وغاضه الله واغاضه فيتعدى
ولا يتعدى وبحيرة تصغير بحرة وهو البركة الكبيرة التي كثر ماؤها ويطلق على الارض
الواسعة والمراد الاول وطبرية بلدة بالشام معروفة من الارض المقدسة بينها وبين
القدس مرحلتين وبحيرتها عظيمة الان البرهان قال المعروف بالغيض بحيرة ساوة اللهم
الا ان يريد خروج ياجوج وماجوج فانا دلهم يشربونها وهي احزم فيقول كان بها هنا ما انتهى وقد
ما قاله غير صحيح هنا لان الكلام فيما حصل عند ولادته صلى الله عليه وسلم من الايات والعجب ممن
تابعه على هذا مع ظهوره وساوه بلدة اخرى بينها وبين الري اثنان وعشرون فرسخا والجواب
الحق ان المراد بحيرة طبرية وطولها ستة اميال وكذا عرضها وقد روى الحديث البيهقي
وابن ابي الدنيا وابن السكن كما نقله السيوطي وغيره فالمعترض لم يقف على هذه الرواية فلعل
ماءها نقص نقصا لا ينقص مثله في زمان طويل او غار زمانا ثم عاد بعد ذلك لما فيها من
العيون التي تمدها الامطار وقد علمت ان بحيرة تصغير بحرة لا بحر والتاء زائدة كما قيل وهي
ممنوعة من الصرف للعلمية والتانيث وليست التاء مترتبة فيها بعد العلمية كذا التدرية
لتاويلها بالبقعة وهو تكلف لا داعي له وخمود نار فارس بمنع الصرف لانه علم اعجمي وفارس
اقليم معروف فهو واهله فكان ما غاض من الماء فاض على النار فاطفاها والخمود الانطفاء وكان
هذا ليلة مولده صلى الله عليه وسلم كما تقرر وكان لها اي لتلك النار الف عام لم تخمد لشدة
اشتعالها وكثرة امدادها دائما وكانوا يعبدونها كما قال ابن هانئ سجدت الى النيران
اعصرها وقد سعرت به سجدت له نيرانها وقال اخر
وذاك دليل للغباوة من الطغاة به لا نطفا النار من كل موقد

وقوله لم تخمد بضم الميم وفتحها لانه ورد من باب نصر وعلم وكان كسرى واتباعه يعبدونها ويرمون فيها المسك والعنبر ونحوه ولهم بها فتنة عظيمة اذ لم تزل تؤجج وان لم تخمد وقصة النار ورؤيا كسرى وغيضها على سطيح مذكورة فى السير مشهورة وانه صلى الله عليه وسلم كان وهو طفل صغير كما رواه ابن سعد وغيره عن ابن عباس اذا اكل مع عمه ابى طالب واله اى اهل بيته وكان صلى الله عليه وسلم عنده فى حضانته بعد عبد المطلب وهو صغير جملة حالية شبعوا من الطعام ورووا اذا شربوا اللبن ونحوه لاما ولذا جعله ما كولا لانه عن بركته صلى الله عليه وسلم ما لا يشبع منه مثلهم لقلته فاذا غاب عنهم فلم يكن معهم فاكلوا وحدهم فى غيبته عنهم لم يشبعوا وباتوا جياعا وكان سائر ولد ابى طالب اى جميعهم او بقيتهم بعده صلى الله عليه وسلم منهم تغليبا وانكر بعضهم ورود سائر بمعنى جميع وردوه فى شرح الدرة بصبحون اذا قاموا من نومهم شعثا جمع اشعث وهو المغبر المتغير لونه كما هو عادة الاطفال اذا قاموا من نومهم فى مضاجعهم ويصبح صلى الله عليه وسلم اى يدخل وقت الصباح اذا قام من نومه صقيلا اى رائق اللون غير متغير البشرة فهو استعارة من المراة الصقيلة دهينا اى كان وجهه دهن لما لبة وكثرها كانوا يدهنون به حتى يشرف وجوههم كحيلا اى يكحل العين وكل ذلك من غير صنع لاحد وهو منصوبة بيصبح اذ كانت تامة او احوال واولاد ابى طالب سبعة اذ ذاك عقيل وجعفر وطالب وعلى وام هانى وام طالب وجمانة وكلهم اسلموا الا طالبا فانه مات كافرا وهذا مجاز حقيقية وقيل المدهون خلاف الاشعث والمصقول المستوى الشعر والكحيل الذى لا رمص بعينه ولا قذى وكان ابو طالب يحبه صلى الله عليه وسلم حبا شديدا ويؤثره على اولاده فاذا اتى بطعام يقول لا تاكلوا حتى ياتى ابنى وروى فى بعض النسخ وقالت ام ايمن هى بركة بنت محصن بن ثعلبة ابن عمرو بن حصن بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم حاضنته اى التى كانت تربيه طفلا سميت حاضنة لانها تجعل الولد فى حضنها وقيل انها ارضعته وهى حبشية وابنها ايمن بن عبيد الحبشى وزوجها زيد بن حارثة وكانت وصيفة لعبد الله ابيه صلى الله عليه وسلم وروى عنها فى الصحيحين وادركت خلافة عثمان كما نقله الذهبى عن الواقدى وفى مسلم عن الزهرى انها توفيت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة او ستة اشهر وهو الذى صححه النووى وخطا الواقدى فيما قاله وانما حضنته لموت امه امنة ما رايته صلى الله عليه وسلم يشكو جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا لان الله تكفل به فكان يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه كما قال وجدك يتيما فاوى وحاضنة اسم فاعل مونث من الحضن وليس فعلا من المفاعلة وانه عدل عن حضنته كحاضنته للاشعار بالفاعلية من جانبه تبركا كما توهم وهو خطا فاحش على عادته ومن ذلك اى دلايل رسالته المشاهدة عند ولادته حراسة السما بالشهب وهى شعل النار المرمى فى نجوم السماء جمع شهاب وقطع رصد الشياطين اى ترصدهم وترقبهم لسماع ما تقوله الملايكة فيحفظه ويلقيه للكهنة فهو مصدر ويكون بمعنى راصد وجمعا له فلذا اطلق على الواحد وغيره والشياطين مردة الجن ومنعهم اى منع الله لهم من استراق السمع وهو ان يختفى احد يسمع كلام من لم يرد سماعه

فكانه

وكانه يسرق الكلام الذى سمعه واعلم ان رمى الشياطين بالشهب لم يحدث فى زمنه صلى الله عليه وسلم فانه كان قبل ذلك ايضا لكنه لما ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى زمان كان كثير الكهنة وكانت الجن تخبرهم ببعض المغيبات فيلقونها للناس منعهم الله من ذلك بالكلية حتى لا يلتبس الوحى بغيره فكثر الرجم بالشهب من جميع النواحى فبطلت الكهانة ومنع الجن من الاطلاع على المغيبات ولذا لما رات قريش كثرة القذف بالنجوم قالوا قربت الساعة وخراب الدنيا فقال لهم عتبة بن ربيعة انظروا الى العيوق ان كان رمى به فقد ان قيام الساعة والا فلا والى هذا يشير قوله تعالى وانا لمسنا السما فوجدناها ملئت حرسا شديدا الاية وقد روى ان ابليس كان يخترق السموات فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام حجب عن ثلاث سموات فلما ولد صلى الله عليه وسلم حجب عن جميعها ومنع غيره من القرب منها والشهاب الذى يرمى به قيل انه لا يخطيه ولكنه يحرقه ولا يقتله وقال الحسن انه يقتله فقد علمت ان رمى الشهب لم يحدث فى زمنه صلى الله عليه وسلم كما توهمه بعضهم وانما كثر وانتشر فيه وكانوا فى الجاهلية اذا راوا شهابا سقط قالوا يموت او يولد عظيم كما ورد فى الحديث ومن دلايل نبوته صلى الله عليه وسلم ما نشا عليه اى خلقه الله عليه ابتدا انشائه وطفوليته من بغض الاصنام وكراهة قربها ومسها كما روى البيهقى ان زيد بن حارثة مر بصنم فتمسح به فقال له صلى الله عليه وسلم لا تمسه ونهاه عن القرب منه كما نهى ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ازره عنها والعفة عن امور الجاهلية التى كانوا يرتكبونها فخلقه الله متنفرا عنها لسلامة طبعه كاللهو واللعب وغيره والعفة حالة للنفس تمنع من غلبة الشهوة والتعفف عن تعاطيه كما قاله الراغب وما خصه الله به من ذلك فجعل فيه اخلاقا مرضية واعمالا زكية ونفسا قدسية تصانه وحماه قبل بعثته من الصفات الردية حتى فى ستره بفتح السين المهملة وسكون المثناة الفوقية مصدر اى سترعورته حتى لا يرى احد منه صلى الله عليه وسلم ما لا ينبغى رويته كالعورة فكان لا يتعرى عند احد وكانت الجاهلية تفعله حتى كانوا يطوفون عراة احيانا وفى نسخة حتى ستره مجرور بحتى وهو غاية لما قبله من الحماية وما قيل ان كان المراد كشف العورة فهو قبيح عقلا وما دونها ليس بقبيح عقلا وشرعا الا ان يقال انه من خصوصياته الدالة على نبوته امر لا طايل تحته فى الخبر المشهور الذى رواه الشيخان عن جابر رضى الله عنه والبيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما عند بنا الكعبة اى لما بنتها قريش وتنقلهم الحجارة لبنائها وكان صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة معهم اذا خذ ازاره اى ملحفته التى كان يتزر بها يجعله على عاتقه اى اخذ الازار ليجعله على كتفه الذى يضع عليه الحجارة حتى لا تؤذيه ليحمل عليه اى على عاتقه اوازاره الحجارة وتعرى اى انكشف اسفله لنزع الازار عنه فسقط الى الارض مغشيا عليه وغيبته حاضنة للسما حتى رد ازاره عليه وستر عورته فقال له عمه وهو العباس كما صرحوا به ما بالك اى ما شانك وحالك عرض لك حتى سقطت قال انى نهيت بالبنا المجهول عن التعرى وكشف العورة لغيرى وكانت قريش بنت الكعبة لسيل اتى من فوق الردم ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن خمس وثلاثين سنة قال العباس فكانوا ينفردون رجلين رجلين يحملون الحجارة فكان العباس

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا يجعلون ازرهم على عواتقهم فاذا دنوا من
الناس لبسوها فبينما هو كذلك صرع رسول الله صلى الله عليه وسلم بشخص ببصره
الى السما فقال له ما بالك يا ابن اخي فقال نهيت ان امشي عريانا فكتمتها حتى بعثه الله مخافة
ان يقال انه مجنون وفي رواية ان ملكا هبط اليه فشد عليه ازاره وروى انه لكمه لكمة
شد بيده قبل وهو اول ما نودي به **ومن ذلك** اي مما دل على نبوته في اول امره ما رواه
الترمذي والبيهقي **اظلال الله تعالى بالغمامة له في سفره** اي كون غمامة تسير معه
صلى الله عليه وسلم اي تسايره تقيه حر الشمس دون غيره من الركب كما رواه بحيرا لما سافر
للشام مع عمه ورآه ميسرة غلام خديجة لما سافر معه للشام وخص السفر لانه محل التأذي
من الشمس **وفي رواية** لابن سعد ان خديجة ام المؤمنين **ونساها** اي النسا اللاتي كن
معها عند الرؤية فالاضافة لادنى ملابسة **رأينه لما قدم** لمكة من سفره للشام في
تجارة لها **وملكان يظللانه** اي بعد ان اجتمعتا عليه ليكون ظلة له دون غيره من
الشمس **فذكرت** خديجة **ذلك** اي ما رأته **لميسرة** غلامها الذي بعثته معه صلى الله عليه
وسلم في سفره وميسرة بفتح السين وضمها **فاخبرها** ميسرة **انه راى ذلك** اي كونه مظللا
من السما بالملكين فلا تنافي في ان خديجة رأت تظليل الملائكة وميسرة رأى تظليل الغمام
او ان الغمام كانت تسوقه ملائكة فجعلت مظللة له لكمال الظل بهما يظللانه **منذ خرج معه
في سفره** الى الشام اي من اوله الى اخره وهذا الحديث رواه الواقدي عن نفيسة
بنت منية وهي احدى النسا اللاتي كن مع خديجة في علية لها تنظر الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين قدم قال البرهان لم يذكر ميسرة في الصحابة وكانه مات قبل نبوته
صلى الله عليه وسلم وفي رواية خديجة الملائكة كرامة لها رضي الله عنها **وقد روى** بالبنا
للمجهول والذي رواه الواقدي وابن سعد وابن عساكر في تاريخه عن ابن عباس
ان حليمة بنت ابي ذؤيب السعدية التي ارضعته صلى الله عليه وسلم **رأت غمامة تظله**
وتقيه من حر الشمس **وهي** ترعى **غنمها** لما اخذته صلى الله عليه وسلم تحبها لترضعه
روى ذلك اي تظليل الغمامة له **عن اخيه من الرضاعة** يعني اخوه في صغره ورواه
بعد كبره لانه كان معه والظاهر انه مراده انه هو الذي ذكره لامه وانها لم تشاهده
لان عبارة الواقدي عن ابن عباس ان حليمة خرجت تطلبه صلى الله عليه وسلم فوجدته
مع اخته من الرضاعة وهو لديها فقالت اي حر الشمس بكت شفقة عليه صلى الله عليه
وسلم منها فقالت اخته يا اماه ما وجد اخي حرا رأيت غمامة تظله اذا وقف وقفت واذا
سار سارت معه وهذا ابين على انه ليس امرا اتفاقيا وهل كان هذا دائما او احيانا
لم يتحصل فيه شي وما في المواهب نقلا عن الزركشي في شرح البردة عن بعض العارفين انه
صلى الله عليه وسلم كان مزاجه معتدل الحرارة والبرودة ولا يحس بالحر ولا البرد فكانه
صلى الله عليه وسلم في ظل غمامة من اعتداله قيل عليه انه ساقط لانه يقتضي ان تظليل
الغمامة لم يكن حقيقيا محسوسا وانما هو على طريق التمثيل قلت ان اراد ذلك فهو وارد عليه
ويحتمل انه يريد انه لم يدم ذلك ولم يكن بعد بلوغه سن الاعتدال بعد النبوة لتمام اعتداله

المعنى

المعنى عنه او انه كان غمامة وانما هذا انكره من الله لم يرد عليه شي فاعرفه فانه لا
يحتج مثله على مثله وقد علمت ان الذي في شرح الشفا كان له البرهان عن اخيه لم يذكر
ببابكتبه والذي في سيرة ابن سيد الناس اخته بالمثناة الفوقية فهذا تصحيف او رواية
رآها ايضا **ومن ذلك** اي مما يدل على نبوته صلى الله عليه وسلم وهذا لم يذكره من
رواه من المحدثين **انه نزل** اي قعد في محل نزل به **في بعض اسفاره قبل بعثته**
مصدر ميمي بمعنى بعثته ونبوته **تحت شجرة يابسة** اي ليست مخضرة وليس لها ورق
فاعشوشب ما حولها من الارض اي ظهر به عشب لم يكن واخضرت من ساعتها وافعوعل
للمبالغة اي كثر عشبه ونباته والعشب الكلا ما دام رطبا وتقدم لما فيه من المبالغة
واينعت هي اي الشجرة وابرز الضمير لئلا يتوهم انه عائد على ما حولها باعتبار انه ارض
وهي مؤنثة سماعية ومعنى اينعت ظهر خضرة ورقها وزهرها او ثمرها يقال ينع الثمرة
ينعا وينعا وايع ايناعا اذا انضجت قال تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر وينعه وقرئ ويانعه
وهي جمع يانع وهو المدرك كذا قاله الراغب **فاشرقت** اي ثمت وعلت اغصانها **وتدلت عليه**
صلى الله عليه وسلم اغصانها لتقيه وتظله **اغصانها** جمع غصن وهي اعلاها وفروعها
بمحضر من راه اي ان من كان عنده شاهد حدوث ذلك وعلم منه ما يدل على كرامته
لربه **و**من ذلك **ميل في الشجرة** التي هي الظل مطلقا او بعد الظهيرة لانه من فاء
اذا رجع والكلام عليه مفصل في كتب اللغة وميل الفي اما وحده او مع ميل الشجرة نفسها
في الخبر الاخر الذي روى عنه صلى الله عليه وسلم في سفره الى الشام وقصته مع بحيرا الراهب
كما تقدم **حتى اظلته** عليه او غاية مقصودة من ميلها وكان دفعا وصلى الله عليه وسلم سبقوه
فجلسوا في الفي فلما جلس في الجانب الاخر مالت الشجرة عليه بفيها واظلته فرآه الراهب
في قصته التي تقدمت وكان مع عمه ابي طالب وهو ابن عشر سنين **و**من دلائل نبوته صلى الله
عليه وسلم **ما ذكر** بالبنا للمجهول والذي ذكره ابن سبع **من انه** بيان لما الموصولة **لا ظل
لشخصه** اي لجسده الشريف اللطيف اذا كان **في شمس ولا قمر** مما ترى فيه الظلال
كبقية الاجسام ضوء النيرين ونحوهما وعلل ذلك ابن سبع بقوله **لانه** صلى الله عليه وسلم
كان نورا والانوار شفافة لطيفة لا تحجب غيرها من الانوار فلا ظل لها كما هو مشاهد
في الانوار الكثيفة وهذا رواه صاحب الوفا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لم يكن
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظل ولم يقم مع شمس الا غلب ضوءه ضوءها ولا مع سراج الا غلب
ضوءه ضوءه وقد تقدم هذا والكلام عليه وربما عبرنا فيه وهي

ما جر لظل احد اذنا لوا ... في الارض كرامة كما قالوا
هذا عجب وكم به من عجب ... والناس بظله جميعا قالوا

اى انبرس

وقالوا هذا من القيلولة وقد تطلق القرآن بانه النور المبين وكونه بشرا لا ينافيه كما توهم لانه
فهمت فهو نور على نور فان النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره وتفصيله في مشكاة الانوار
للغزالي **و**من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم **ان الذباب كان لا يقع على ما ظهر من جسده
ولا يقع على ثيابه** وهذا مما قاله ابن سبع ايضا الا انه قال لا يعلم من روى هذا والذباب

واحده ذبابه قيل انه سمى به لانه كلما ذب آب اى كلما طرد رجع وهذا ما اكرمه الله به
لانه طهر من جميع الاقذار ومن مواضع استقذاره نذبح من مستقذر قيل وقد نقل مثله عن
ولى الله العارف به الشيخ عبد القادر الكيلانى ولا بعد فيه لان معجزات الانبيا قد تكون
كرامة لاوليا امته ولى رباعية فى

من اكرم مرسل عظيم جلاله ٭ لم يدن ذباب اذا ما حلا
هذا العجب ولم يدن ذ ونظره ٭ فى الموجود انه من جلاله احلا

وتظرف بعض علما العجم فقال محمد رسول الله ليس فيه حرف منقوط لان الموجود ان النقط
تشبه الذباب فصين عنه اسمه ونعته عنه كما قلت فى مدحه صلى الله عليه وسلم

لقد ذب الذباب فليس يعلوه ٭ رسول الله محمود امجد
ونقط الحرف يحكيه بشكل ٭ لذاك الخط عنه فيجرد

ومن ذلك اى من دلايل نبوته صلى الله عليه وسلم فى اول امره ومنتهاه كما رواه الشيخان تحبيب الله كجعله طبيعة له الخلوة اى الوحدة والانفراد عن الناس للعبادة اليه حتى اوحى اليه اى انه كان يفعل ذلك قبل بعثته حتى نزل الوحى عليه تكريما له صلى الله عليه وسلم وفى البخارى ثم حبب اليه الخلا اى العزلة عن الناس اذ بها فراغ القلب والاعانة على التفكر والانقطاع عن مالوفات النفس فكان يخلو بغار حرا فيتحنث فيه وهو التعبد الليالى ذوات العدد قبل النبوة فاذا نزل منه طاف بالبيت وذهب لاهله وخص حرا كما قال ابن ابى جمرة لانه كان يتبرك به وينظر منه البيت فيتقبله وقال حبب بصيغة المجهول اشارة الى انه ليس تقليد الغيره وانه موجبلى بالهام الله له وهو من الارهاصات حتى جاء الوحى وهو فيه ثم اعلامه صلى الله عليه وسلم اى اعلام الله له بقرب موته ودنو اجله اى اخر عمره الذى اجل له دنو وهذا ما رواه الشيخان وفهمه صلى الله عليه وسلم من قوله تعالى فسبح بحمد ربك وفى الصحيحين انه صعد على قتلى احد بعد ثمان سنين كالمودع للاحيا والاموات ثم طلع المنبر فقال انى بين يديكم فرط وانا عليكم شهيد وان موعدكم الحوض الخ وقوله فى خطبة له ان عبدا خيره الله بين ان يوتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عنده فبكى ابو بكر رضى الله عنه وقال فديناك باباينا وامهاتنا فقال عمر انظروا لهذا الشيخ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خيره بين زهرة الدنيا وما عنده فاختار ما عنده فكان الصديق اعلمهم بكلامه صلى الله عليه وسلم واسره لفاطمة كما تقدم فى الحديث المعجز ذلك مما لا يحصى واعلامه صلى الله عليه وسلم بان قبره بالمدينة كما رواه ابو نعيم من معقل بن يسار بحفظ المدينة مهاجرى ومضجعى من الارض وان قبره فى بيته فقبره صلى الله عليه وسلم فى مسكنه وكذا كان الكثير من الانبيا عليهم الصلاة والسلام اشارة الى انهم احيا عند ربهم يرزقون وان بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة كما سياتى يعنى انها تنقل وتجعل روضة فى الجنة وان العمل فيه يوجب لصاحبه روضة من رياض الجنة وقال ابن ابى جمرة الاظهر ارادة المعنيين والجمع بينهما معا اذ لا مانع منه ومن لم يعرف هذا قال لابد من تاويله باعتبار القرب من اقرب الخلق الى الله ومن قرب منه

كالجالس فى رياض الجنة لتنزل الرحمات والتلذذ بالمشاهدات كما يقال اللهم اجعل قبر فلان روضة من رياض الجنة وتخيير الله له عند موته اى لما قرب موته خيره الله بين البقا فى الدنيا والرحيل للاخرة كما سمعته اخبارا رواه البيهقى فى دلايله وعن عايشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صحته يقول لم يقبض نبى قط حتى يرى مقعده فى الجنة ويخير فلما اشتكى صلى الله عليه وسلم غشى عليه فلما افاق شخص بصره لسقف البيت وقال اللهم الرفيق الاعلى فقالت لا يختارنا وعرفت انه خير وفهمت ما فهم ابوها رضى الله عنهما وهو حديث صحيح رواه احمد فى مسنده وغيره وقد صرح به صلى الله عليه وسلم فقال لما وهبت مفاتيح خزاين الارض والخلد فيها ثم الجنة فاخترت الخ مما يطول ذكره وما اشتمل عليه حديث الوفاة اى وفاته صلى الله عليه وسلم وهو حديث طويل رواه الشافعى والبيهقى فى سننه من كراماته التى اكرمه الله بها عند موته كسماع بكا الملايكة وسماع صوت من السما ينادى وامحمداه الحديث وقول جبريل له صلى الله عليه وسلم ان الله يقريك السلام ويقول لك وهو اعلم كيف تجدك الى غير ذلك وتشريفه بما مر وغيره وصلاة الملايكة على جسده وفى نسخة عليه وكان اقحام الجسد هنا لان الصلاة معناها الدعا وروحه صلى الله عليه وسلم غير محتاجة لذلك ولكنه احترز فيه عن ان الصلاة على جسده وروحه مستمرة دايما لقوله ان الله وملايكته يصلون الاية على ما روينا فى بعضها اى فى بعض طرق حديث الوفاة وهو ما روى عن ابن عباس انه لما جهز صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثا وضع على سريره فى بيته فصلت عليه الملايكة فوجا فوجا ثم نسا وهم ثم الناس ثم الصبيان ولم يومهم احد وكان صلى الله عليه وسلم اوصى بذلك وكان لعظم امره ولئلا يتنافسون فى الامامة والخلافة لان الخليفة يستحقها ومن زعم ان المراد بالصلاة مجرد الدعا دون صلاة الجنازة ثابت بشى وكونهم لم يومهم احد ذكره الامام الشافعى رضى الله عنه فى الام وغيره وصححوه وحكمته ما ذكر ولم يجمع له صلى الله عليه وسلم بدعا الجنازة المشهور كما ذكره السهيلى بل قالوا انا نشهد انك بلغت الرسالة ونصحت الامة الى اخر ما ذكره والحديث بطوله مذكور فى كثير من كتب الحديث تركناه لطوله واستيذان ملك الموت عليه اى طلبه الاذن منه فى قبض روحه الشريف ان اراد او تركه حيا ولم يستاذن على غيره نبيا او غيره قبله روى ان جبريل قال له صلى الله عليه وسلم ان ملك الموت ما استاذن عليك ولم يستاذن على احد قبلك ولا بعدك فقال ايذن له فقال السلام عليك يا محمد ان ربى امرنى ان اطيعك فيما امرتنى به ان اقبض نفسك قبضتها وان اتركها تركتها فقال اقبض يا ملك الموت كما امرت فقال جبريل السلام عليك يا رسول الله هذا اخر موطى من الارض ونداهم اى نداء الملايكة لهم الذى سمعوه ولم يروا من ينادى ان لا اى بان لا اى انها مصدرية ولا نافية تنزعوا القميص عنه اى قميصه الذى عليه لما ارادوا نزعه عند غسله بعد الغشى وبيرى فيها اشارة لما فى حديث ابى داود والبيهقى الصحيح عن عايشة رضى الله عنها انهم لما ارادوا غسله صلى الله عليه وسلم قالوا لا ندرى انجرده من ثيابه كما نجرد موتانا ام نغسله وعليه ثيابه واختلفوا فغشيهم النوم فاداهم بل من ناحية البيت لا يدرون غسلوه فى ثيابه فغسلوه وعليه قميصه يصبون الما فوق القميص ويدلكونه بالقميص دون جلده

حديث الوفاة وهذا تكريم لها جرا به على عادته فانه صلى الله عليه وسلم كان لا يتجرد عند
احد واشارة الى ان تغسيله ليس للاحتياج اليه وانما هو لاجراء السنة وتمن في ثلاثة اثواب
يمنية سحولية **وما روى من تعزية الخضر عليه الصلاة والسلام** كما رواه البيهقي في
دلائله مشيرا الى ما روى عن على كرم الله وجهه ورضى عنه انه قال لما توفي رسول الله صلى
الله عليه وسلم سمعوا صوتا ولم يروا شخصا وهو يقول السلام عليكم اهل البيت ورحمة الله وبركاته
كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيامة وان في الله عز وجل عزاء من كل مصيبة
وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا واياه فارجوا واعلموا ان المصاب
من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته فكانوا يرون انه الخضر عليه الصلاة
والسلام كما رواه البيهقي وابن ابي حاتم وقال في مراة الزمان ان المعزى هو جبريل لا
الخضر ورواه العراقي في تخريج احاديث الاحياء بلفظ ان في الله خلفا من كل احد ودركا
لكل رغبة ونجاة من كل مخافة فالله فارجوا وبه فثقوا فسمعوا آخر بعده يقول ان في الله عزاء
من كل مصيبة وعوضا من كل رغبة فالله فاطيعوا وبامره فاعملوا فقال ابو بكر رضى الله عنه
هذا الخضر واليسع ولم احد في رواية ذكر اليسع واما ذكر الخضر في التعزية فقد انكر النووي
وجوده في كتب الحديث وانما ذكره الاصحاب قلت بل رواه الحاكم في المستدرك من
حديث انس ولا يصح ولا يصح وروى ابن ابي الدنيا في كتاب العزاء انه لما قبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم اجتمع اصحابه حوله يبكون فدخل عليهم رجل طويل شعر المنكبين في
ازار ورداء فتخطى الصحابة حتى اخذ بعضادتي الباب فبكى ثم قال ان في الله عزاء من
كل مصيبة وعوضا من كل ما فات وخلفا من كل هالك فالى الله فانيبوا وليصرف الله
البلاء نظروا فان المصاب من حرم الثواب فقال ابو بكر لعل هذا الخضر اخو نبينا
جاء يعزينا رواه الطبراني في الاوسط واسناده ضعيف جدا وابن ابي الدنيا عن على بسند
واه ايضا وذكره الشافعي في الام من غير ذكر الخضر انتهى واما قال الحاكم وغيره انه غير
صحيح لحديث انه لا يبقى على وجه الارض ممن هو عليها احد على راس مائة سنة من تلك الليلة
واراد به انخرام كل احد فيشمل الخضر انتهى واما قال الحاكم وغيره انه غير صحيح لحديث
انه لا يبقى على وجه الارض ممن هو عليها احد وغيره يعنى به انكار وجوده وسئل عنه ابن حجر
رحمه الله تعالى سنده ضعيف ولو ثبت لا يدل على ثبوته ايضا لان الحديث المذكور لانه يخص من
عمومه ان صح ما ينقل عن بعض الصالحين من اجتماعه بالخضر الا انا لم نجد خبرا صحيحا
يقتضى انه صاحب موسى عليه الصلاة والسلام والعلم عند الله والحاصل انهم قد اختلفوا في وجوده
فالصوفية يثبتون وجوده وان منهم من رآه والمحدثون ينكرونه وبعضهم توقف فيه كابن
حجر ومنهم من شدد النكير على من اثبت حياته كصاحب مراة الزمان حتى صنف في ابطاله
كتابا مستقلا سماه عجالة المنتظر في شرح حال الخضر ولكنا انكر ما قاله المشايخ واختلفوا
فيه هل هو نبي او ملك او عبد صالح من اولياء الله تعالى اطال الله عمره وجعل مرجع الاولياء
والاقطاب اليه وحاصل من انه لم ير تخصيصه يقتضى انه ذلك دون قوله **والملائكة** بالجر عطفا على
الخضر بشيرا لما قلناه **اهل بيته** مفعول التعزية وهو الارشاد للصبر والتسلية عند المصيبة

واعلم

واعلم انه ليس الخلاف في وجود الخضر صاحب موسى عليه الصلاة والسلام انما هو في كونه
عاش الى زمن النبوة والى الآن **الى ما ظهر على اصحابه** صلى الله عليه وسلم والى هذه
متعلقة بمقدر اى مضموما ما ذكر من اول الفصل الى هنا او منتهيا وقوله يقول له
المضمون الى آخره اشارة الى انه ترك امورا كثيرة في حصر ما ذكره والمراد بظهورها
عليهم ان شرف صحبته صلى الله عليه وسلم اثر فيهم حتى ظهرت منهم امور تشابه ما ظهر منه بركة
صلى الله عليه وسلم **من كراماته وبركاته** اى من مثل ذلك **في حياته ومماته** اى بعد موته
كاستسقاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه **بعمه** العباس رضى الله عنه ابن عبد المطلب
اى تقديمه في دعاء الاستسقاء كما رواه البخاري وتعبيره عمه صلى الله عليه وسلم بالعباس
وان كان له اعمام غيره لانه لا يعيش بعده صلى الله عليه وسلم منهم غير العباس وقد صرح
به في الحديث واعمامه ابو طالب والزبير وعبد الكعبة وحمزة والغيداق وحجل واسمه المغيرة
والعوام وضرار والحارث وهو اكبرهم وقثم مات صغيرا وابو لهب واسمه عبد العزى والعباس ق
واسمه مصعب او نوفل فهم ثلاثة عشر ولم يسلم منهم غير حمزة والعباس وجعل بعضهم الغيداق
وحجل واحدا فعدهم اثنى عشر واسقط بعضهم العوام وعبد الكعبة فعدهم احد عشر وبعضهم
عدهم سبعة وبعضهم عشر لاسقاط بعضهم وحاصل ما اشار اليه انه كان في زمن عمر رضى الله
عنه اذا وقع قحط استسقى بالعباس رضى الله عنه فوقع جدب شديد في خلافته عام الرمادة
سنة سبع عشرة فقال كعب يا امير المؤمنين ان بني اسرائيل كانوا اذا حصل لهم مثل هذا استسقوا
بعصبة الانبياء فقال عمر هذا عم النبي صلى الله عليه وسلم صنو ابيه وسيد بني هاشم ثم صعد المنبر
ومعه العباس وقال اللهم انا نتقرب اليك بعم نبيك ونستشفع به اليك نستغفرك ونستشفعك
ثم اقبل على الناس وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الى قوله
انهارا ثم قال العباس رضى الله عنه وعيناه تنضحان فقال اللهم عندك سحابا وعندك ماء
فانشر السحاب ثم انزل الماء منه علينا فاشدد به الاصل واطل به الفرع وادرر به الضرع
اللهم انك لم تنزل بلاء الا بذنب ولم تكشفه الا بتوبة وقد توجه القوم بي اليك فاسقنا اللهم
الغيث وشفعنا في انفسنا واهلينا اللهم فيمن لا ينطق من بهائمنا وانعامنا اللهم اسقنا سقيا
وادعا نافعا طبقا سحا عاما اللهم لا نرجو الا اياك ولا ندعو غيرك ولا نرغب الا اليك اللهم
اليك نشكو جوع كل جائع وعرى كل عار وخوف كل خائف وضعف كل ضعيف اللهم انت الراعي لا
تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى
وانت تعلم السر واخفى اللهم واغثهم بغياثك قبل ان يقنطوا فيهلكوا فانه لا ييأس من روح
الله الا القوم الكافرون فلم يتم دعاءه حتى نشأت سحابة فقال الناس ترون ترون ثم تلاءمت
ومشت واستقرت ثم درت وارخت عزاليها فواه العرب فما برحوا حتى علقوا الحذاء وقلصوا
المآزر وطفق الناس يتمسحون بالعباس ويقولون هنيئا لك يا ساقي الحرمين وفي ذلك قال
حسان رضى الله عنه: سال الامام وقد تتابع جدبنا ۞ فسقى الغمام بغرة العباس
احيى الاله به العباد فاصبحت ۞ مخضرة الارجاء بعد الياس
وابيات اخر **وتبرك غير واحد** اى كثير من الناس **بذريته صلى الله عليه وسلم**

من السادة الاشراف نفعنا الله بهم ولهم في ذلك حكايات كثيرة ليس هذا محلها وقد اورده السيد السمهودي شكر الله سعيه بما ليس مستقلا نافع

فصل

منه فمن لكة هذا الباب قال القاضي ابو الفضل عياض المولف رحمه الله قد اتينا اي ذكرنا وجمعنا في هذا الباب الرابع المذكور فيه معجزاته صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته واصل الاتيان المجي بسهولة وقد يكون بمعنى المرور فيتعدى بعلى ولذا قال على نكت من معجزاته واضحة الا انه تجوز به عما ذكر من الجمع وعداه بنفسه فيه الاصلية لانه من لوازم من جرى احد شيء وجمعه ان ياتي له حتى يصل اليه ويقال اتى على كذا اذا استوفاه واستوعبه والنكت جمع نكتة وهي الامر الدقيق الذي يحصل بفكر فيه تارة نكت الارض بقضيب ونحوه كما مر والنكت بمثناة فوقية ومن نطق بها بالمثلثة فقد اخطا فلا وجه لما ذكره البرهان هنا وجمل جمع جملة وهي الامر المجمل من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم مغنية اي كافية عن غيرها مستغنا بها عن القناعة وفي نسخة مغنية بالعين المعجمة والنون اي يستغنى بها عن غيرها وهو مجرور صفة جملة ويجوز نصبه على الحالية في واحد منها الكفاية عن غيره كما تقول اي في الاقتصار عليه وضميرها للنكت والجمل والغنية بالفتح والسكون في نسخة بدله اي الاستغناء عن غيره لانه يدل عليه دلالة قوية وتركنا الكثير منها سوى ما ذكرنا اشارة الى ان ما ذكره قليل بالنسبة لما تركه مما قصرنا من الاحاديث الطوال بكسر الطاء جمع طويل على عين الغرض عين الشيء المختار منه وهو المراد منه الا الحقيقة وان كان احد معانيها والغرض ما يقصد منه ويرجى به واصل معناه الهدف كما مر فتمثيل لما ذكر وفص المقصد اي الامر المقصود والفص مثلث الفا بمعنى الاصل يقال اتى بالامر من فصه اي من اصله قال الشاعر

ورب امر تزدريه العيون ... ويأتيك بالامر من فصه

وفص الخاتم ما يزين به من الجواهر ويقال نقل الحديث بفصه اذا استوفاه ونظمه ابن نباتة رحمه الله تعالى في قوله

حملت خاتم فيه فص ازرقا ... من كثرة اللثم الذي لم احصه
لولاه ما علم الرقيب فيا له ... من خاتم نقل الحديث بفصه

وقول الجوهري العامة تقول الفص بالكسر ظاهره انه غير صحيح وقد نقل التثليث كابن السيد وغيره تثليثه مما قصرنا من كثير الاحاديث وغريبها هو بمعناه اللغوي اي ما بعد مستغربا غير معهود او غير مشهور والمراد به ما اصطلح عليه المحدثون وهو كما قال ابن الصلاح ما انفرد به بعض الرواة سواء انفرد به بعض الرواة سواء انفرد بجملة او بزيادة فيه كزيادة ثلاث في حديث حبب الي من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة التي تفرد بها ابن فورك وتبعه غيره كما مر وهو لغرابته في الصحة اذا كان رواته ثقة وقد يكون ضعيفا واضافة كثير من اضافة الصفة للموصوف اي الاحاديث الكثيرة على ما صح نقله ورواته واشتهر بين المحدثين الا يسيرا اي قليلا نورده وان لم يصح ويشتهر واليسير ما تيسر وسهل وشاع استعماله بمعنى القليل لسهولته من غريبه

اى

اي غريب الحديث وانما اقتصر على المشهور الصحيح الشامل للحسن لان المعجزات الخارقة للعادة لا تكون الا لما تم اعتبار عن ايراده في كتابه بقوله بما ذكره مشاهير الائمة لانه يعتمد على نقلهم لشهرة علمهم وفضلهم وان ابره لغيرهم وحذفنا اي تركنا وعبر بالحذف وهو الترك بعد الذكر اما لتنزيل ذكر غيره منزلة ذكره او بجعله لكونه مهما وحقه ان يذكر بمنزلة المذكور والحذف اخص من الترك الاسناد اراد به السند تسمية للسبب وهم رواة الحديث او هو بمعناه الحقيقي في جمهورها اي معظم الاحاديث واكثرها وقد يورد الحديث مسندا طلبا للاختصار وعدم التطويل وهو مفعول لاجله وبحسب هذا الباب المذكور فيه المعجزات وحسب بمعنى فتكون بمعنى كاف او كفاية وهو مصدر مجرور بالباء الزائدة وخبرها ان يكون اي يكفيه في شرفه والعلم بكثرة ما ورد فيه عن ذكره واستقصائه وهو في المعنى تعليل ثان لاختصاره الا ان العبارة لا تخلو من الحزازة لو تقصي مبني للمجهول بقاف وصاد مهملة اي استوفي وبلغ اقصاه ونهايته وضبطه بعضهم بفا بدل القاف وهو غير مناسب هنا لان التقصي التخلص وهو غير مراد وتفسيره بتتبع وخلص في مظانه تكلف لا يخفى ان يكون ديوانا اي كتابا مستقلا مدونا جامعا لما في غيره وتقدم الكلام على الديوان وانه معرب بكسر الدال وفتحها يشتمل على مجلدات عدة اي كتب مرتبة ان تجلد متعددة وعدة بكسر العين بمعنى معدودة ومعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم اظهر من سائر معجزات الرسل عليهم الصلاة والسلام اي من ثبتها وحججها بوجهين احدهما كثرتها وشهرتها لان الكثرة تستلزم الشهرة غالبا قال الثعالبي مجلدات جمع مجلدة وهي الكتب الكبيرة وهي عبارة فقهية مولدة ولا وجه له لان المجلد ما عليه جلد كما في القاموس وفي رسالة المجلد لابي العلاء المعري المجلد لا يراد فيما غير مر الزمان تغيض مجلد العرب من شام ويمان قال الراجز هل انت كما سل المقلي مجلد يكشف عن محض الاهل انتهى فقد ابنت ذلك وما يعجب به من امام في اللغة فان اراد تخصيصها بالكتب الضخمة وانها لم ترد في كلام العرب فهو مجاز لا يتوقف على السماع والتجلد يكون بمعنى التصبر وتظرف بعض المتاخرين في قوله

ملكت كتابا اخلق الدهر جلده ... وما احد في دهره بمخلد
اذا عاينت كفي القديمة جلده ... يقولون لا تهلك اسى وتجلد

وانه لم يوت نبي معجزة الا وعند النبي صلى الله عليه وسلم مثلها اي من نوعها وجنسها او معادلة في الاعجاز او ما هو ابلغ منها ابلغ ليس من البلاغة كما توهمه من قال كالقرآن العظيم فانه ابلغ معجزة او ثبت فان معناها هاهنا اعظم واقوى ليس معناه ان القرآن لان بلوغ الشيء وصوله لغايته ومنتهاه او هو من المبالغة على خلاف القياس وكثيرا ما يقولونه بهذا المعنى والمعجزة هنا في سياق النفي فتعم ويفيد الكثرة والخارق للعادة اذا عظم من شانه الشهرة والظهور فلا يرد عليه انه كان ينبغي ان يقول اظهر وانه لا يجزم لما ذكره الظهور الذي ادعاه وقد نبه الناس على ذلك اي نبه علما الحديث والاثار وفصلوه في كتبهم كابن المنير في كتاب المقتفى فان اردته اي اردت معرفته والوقوف على ما بينوه فتامل فصول هذا الباب اي اعد النظر فيه وتامل تدبر معانيه ومعجزات من تقدم من الانبيا عليهم الصلاة

والسلام تعقف مجزوم في جواب الامر على ذلك ان شا الله تعالى والوقوف في الاصل القيام تجوز بها به عن المعرفة وهو مجاز مشهور ثم ان بعض الشراح ذكرهنا امورا استوفناه بها لغيره من الانبيا لاماس لها بالمعجزات تركناها ولم نطول بذكرها واما كونها كثيرة فهذا القران كله معجز وفي بعض النسخ وكله معجزا لواو فالتقدير بعض القران موجود معروف وجميع اخوانه معجزة فما ظنك به لكثرة ثم شرع في بيان المقدار الذي يقع به الاعجاز فقال واقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض ائمة المحققين سورة انا اعطيناك الكوثر وهي اقصر سورة في القران او اية تقدرها اي تساويها في الحروف والكلمات وسوره موضوع حينئذ في نسخة سورة مبتدا الخ وذهب بعضهم الى ان كل اية منه كيف كانت طويلة بقدر سورة ام لا معجزة وزاد بعضهم وفي نسخة اخرون اي نزل عن هذا المقدار الى ان كل جملة منتظمة منه اي مفيدة تامة معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين فان قلت كيف تكون جملة منتظمة وهي كلمة قلت يكون فيها مقدر كما لو قدرها اذ ونحوها فتامل وليس هذا مبني على ان اعجازه بالصرفة كما قيل والحق ما ذكرناه اولا من ان المعجز اقصر سورة او مقدارها لقوله تعالى فاتوا بسورة اي سورة كائنة من مثله في الاعجاز والضمير للقران او للنبي صلى الله عليه وسلم كما في الكشاف وفيه كلام مشهور ودخل مقدار السورة فيه بدلالة النص ولا يتوهم انه ليس فيه التعرض للدليل على ما ادعاه فهو اي ما ذكر اقل ما تحداهم الله او الرسول صلى الله عليه وسلم به اي طلب منهم معارضته مع ما ينصر هذا القول المذكور اولا اي يقويه ويؤيده من نظر اي فكر وتدبر وتحقيق يطول بسطه بحيان الحق بالادلة والبراهين القاطعة لمن تدبره ونظر فيه من مراعاة كل مقام وما احتوى عليه من الجزالة واللطافة التي تحير العقول فقد تحداهم اولا بجملته فقال فاتوا بكتاب من عند الله ثم تحداهم بعشر سور فقال فاتوا فقال فاتوا بعشر سور مثله ثم تحداهم بسورة تسجيل عجزهم بعد ارخاء عنان التكلف والحاصل ان الكلام اللفظي هو الذي وقع التحدي به لا النفسي فانه لا يتصور فيه ذلك على الصحيح اختلفوا في مقدار معجزه فذهب بعض المعتزلة الى انه جميع القران ورد بالايتين المذكورتين وقال القاضي يتعلق بسورة طويلة او قصيرة لظاهر الايتين وقال في موضع بها او بمقدارها قالوا ولم يقم دليل على المعجز عن اقل من هذا القدر وقيل لا يحصل المعجز الا بايات كثيرة وقيل قليله وكثيره معجز لقوله فليأتوا بحديث مثله فاذا كان هذا اي ثبت ان ما تحداهم به هذا المقدار الاقل ففي القران من الكلمات نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف اي وزيادة على هذا المقدار من نيف بمعنى زاد وياؤه مخففة وتشدد وكلما زاد على عقد حتى يبلغ ما بعده ونيف على عدد بعضهم اي هذا مقداره عند بعض دون غيره فانه كما قال الداني رحمه الله سبعة وسبعون الفا وتسعماية واربعماية وثلاثون كلمة وحروفه ثلاثماية الف وثلاثة وعشرون الفا وقيل ثلاثماية الف واحد وعشرون الفا وخمسماية وثلاثة وثلاثون حرفا وقيل الله الصواب لان ما ذكره المصنف وهذا اصح تصحيحه بالنقل وانتانه بلفظه غير وارد عند من انصف ولهم في عدده اختلاف

قيل

قيل لان الكلمة والحروف لها اطلاقات وقول السخاوي لا فائدة في عدد حروفه لانه لا يحتمل زيادة ولا نقصا لا وجه له عند الكل وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات فتجزى القران بصيغة المصدر وفي نسخة فتجزي بالمضارع المجهول واخره مهموز ويجوز ابداله الفا اي بان تعد عشرا بان عشرة اجزا على نسبة انا اعطيناك الكوثر اي على مقدارها وانما زاد نسبة ليشمل اية واحدة بمقدارها كما مر فالنسبة مجاز عن المقدار ومعناها الحقيقي لغة واصطلاحا مشهور وازيد بالرفع خبر تجزى المصدر وبالنصب ان كان فعلا اي تجزيه ازيدا ويكون ازيد من سبعة الاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه اي بقطع النظر عن غيره فيه ازيد من سبع الف معجزة وهذا مبني على ما تقدم من العدد ثم اعجازه اي القران كما تقدم من ذكر الاختلاف في مقداره بوجهين الاول بلاغته اي ما فيه من مراعاة الوجوه التي بها مطابقة اللفظ لمقتضى الحال والثاني طريق نظمه اي اسلوبه وكونه على نسق لا يشبه غيره من الكلام نظما وسجعا ونثرا وتناسب كلماته وجمله واتيانه كل كلمة منه ما تستحقه وتنزيلها في محل لا يليق بها غيره كما يعرفه من ذاق طعم البلاغة فقال رب لا يقيله وان كرره كما لا يخفى على من تامله حق التامل ونظر فيه بنور الايمان فصار في كل جزء من هذا العدد المذكور انفا معجزتان من جهة بلاغته ومن جهة نظمه فتضاعف العدد اي عدد معجزاته وما هو ماض من التفاعل او مضارع من المفاعلة من هذا الوجه اي من هاتين الجهتين البلاغة والنظم اذ قلنا كلما انه معجزة صار فيه من المعجزات ما لا يعد ولا يحصى قال ابن عطية رحمه الله الصحيح الذي عليه الحذاق ان اعجازه بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة الفاظه لانه عز وجل احاط بكل شي علما وبكل كلام تالف في كلامه بما لا يحيط به علم غيره وقدرته وبهذا ابطل القول بالصرفة ثم فيه وجوه اعجاز اخر غيرما ذكر من الطريقين من الاخبار بعلوم الغيب بيان لوجوه اي الامور المغيبة بما سبق او سيقع فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزية اي الاجزاء المذكورة المضاعفة من جهتي الاعجاز الخبر اي الاخبار ثم انبا من الغيب اي الامور المغيبة عن علمنا كل خبر منها بنفسه معجز اي باعتبار اخباره عن الغيب وقطع النظر عن غيره من وجوه الاعجاز فتضاعف بصيغة الماضي والمضارع كما مر العدد المذكور اي العدد المضاعف لقوله كرة اخرى اي بعد مضاعفته السابقة والكرة بمعنى مرة واصل الكر الرجوع بعد الفر فهو ضد الفرار قال امرؤ القيس مكر مفر مقبل مدبر معا ثم وجوه الاعجاز الاخر التي ذكرناها وهي ذكر المغيبات توجب التضعيف والزيادة الى ما لا يكاد يحصى كثرة هذا في حق القران دون غيره من المعجزات التي زيد على معجزات ساير الانبيا فلا يكاد ياخذ العد معجزاته وفيه نسخة العدد وهنا يعني والمراد بالاخذ الاحاطة مجاز ابليغا كقوله لا تاخذه سنة ولا نوم اي لا يغلبه ذلك اي لا يحيط بها العدد لكثرتها ومعنى لفظة ولذا قال لا يكاد ولم يقل لا يعد ولا يحوي الحصر اي الاحاطة براهينه اي براهين اعجازه لان كل جزء فيه معجزة قاطعة البرهان واضحة البيان ولما فرغ من وجوه الاعجاز العقلية ارد فها بالنقلية فقال ثم الاحاديث النبوية الواردة

عن م [2]

في الروايات الصحيحة والاخبار الصادرة عنه عليه الصلاة والسلام في هذه الابواب اي
ابواب اعجاز القران والتحدي به او ابواب معجزاته عليه الصلاة والسلام كما يوميه قوله ومن
ما دل على امره اي نبوته وعلو شانه مما اشرنا فيما سبق من هذا الكتاب الى جملة منه
وفي نسخة الى جمل يبلغ نحوا اي قريبا من هذا المقدار الكثير الوجه الثاني من وجهي ظهور معجزاته
وشهرتها وانها اظهر من معجزات سائر الرسل وضوح معجزاته اي شهرتها بحيث لا يجهل وهذا
عين ظهورها او مستلزم له والمراد به شدة ايضاحها بحيث لا يخفى على احد غير اعمى الفكر
والنظر وانها لا يرتاب فيها عاقل مع بقائها على ممر الدهور وازديادها شهرتها في كل عصر
كالشمس في رابعة النهار وهذا مما يدل على اظهريتها دلالة ظاهرة لا عينها فسقط ما قيل ابن انثر
ان المدعى ان معجزاته اظهر من غيرها والوضوح عين الظهور فهو مصادرة للاستدلال
على الشيء بنفسه وحاصله الظهور بالكثرة فيرجع الى الوجه الذي قبله الا ان يقال المراد بقاؤها
على وجه الدهر الى يوم القيمة فيكون المراد الزيادة في الوضوح بهذا الاعتبار وان كان فيها الاخبار
بمعجزات الرسل وفيه خلط وخبط لا يخفى وقد اشار الى ما ذكرناه المص بتغييره بقوله فان
معجزات الرسل كانت بقدر همم اهل زمانهم اي همتهم فيما يهتمون به ويعتنون وبحسب بفتح الحا
والسين المهملتين وقيل انه بسكون السين وهو بمعنى المقدار الفن اي النوع الذي سما اي اشتهر
وعلا مقداره منهم لاعتنائهم به فيه قرنه بفتح القاف وسكون الرا اي عصره والمراد به اهله
مجازا ويتصف باوصاف والقرن الزمن المتقدم فيه اعمارهم واحوالهم واختلف في مقداره هل
هو مائة سنة او ثمانون او اقل كما تقدم في فصل هذا بقوله فلما كان زمان موسى كليم الله عليه
الصلاة والسلام اي زمن بعثته ونبوته غاية علم اهله اي اهمه واعظمه عندهم السحر وهو
معروف تقدم الكلام عليه بعث اليهم معجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه وليتبين الفرق
بين السحر والمعجزة فجاءهم منها على يد موسى عليه الصلاة والسلام ما خرق عادتهم اي خالف
ما يعتادونه ويسهل عليهم فعله واصل الخرق ابانة جسم من اخر فقيل لما ذكر لخرق الاجماع اي
مخالفته وهو استعارة صارت حقيقة عرفية وذلك كقلب العصا حية واليد البيضا من غير سوء
ولم يكن ما جاء به في قدرتهم اي لا يقدرون عليه ولا يدخل في جملة معتاد ورائهم وقد ابطل سحرهم
بما عارضهم به وهي جملة حالية تشير الى ما قصه الله تعالى في كتابه العزيز وفي نسخة وابطل
بدون قد فهو معطوف على جاءهم وكذلك اي كزمن موسى عليه الصلاة والسلام زمن عيسى
ابن مريم صلى الله عليه وسلم اغنى ما كان الطب اي اعظم ما كان في عصره وعهد رسالته
علمه والطب في اللغة معناه العادة والسحر وفي العرف علم يعرف به احوال الانسان من حيث
الصحة والسقم واغنى افعل تفضيل بمعنى مجد ونون من الغنا وهو النافعة وقيل انه بعين مهملة
ومثناة تحتية من الغاية وهو النهاية وهو صحيح ولم نره في كلامهم لتفسيره باهي والطب مثلث الطا
مثلث الدال واوفر ما كان اهله اي اهل الطب وعلماؤه اي اكثر ما كانوا في زمنهم فجاءهم على يد عيسى
عليه الصلاة والسلام امر لا يقدرون عليه بواسطة علمهم بالطب فانهم لا يقدرون على ازالة
الامراض المزمنة والخلقية وقدرتهم في الاكثر على حفظ الصحة وكم مرض اعيى الطبيب المداويا
واتاهم ما لم يحتسبوه اي ما لم يخطر ببالهم وقدرة حسابهم وما لم يترقبوه وحسابه وما فاعل

ولم يقل اتاهم بما مر وبما وهو الظاهر اشارة الى انه من عند الله من غير تصنع وحيلة وفي نسخة
يحسبوه اي يظنوه ويقدروه وقيل وجوز فيه ضم اليا اي ينكرونه وهو بعيد لفظا ومعنى من
احيا الميت بتخفيف اليا وتشديدها وابرا الاكمه اي الذي ولد اعمى مطموس العين اي فتح عينيه
حتى يبصر والابرص وهو الذي فيه بياض يخالف لونه والخفيف منه يسمى بهقا من دون
معالجة المعالجة المزاولة وعند الاطباء مداواة الامراض بعد تشخيصها وطب المراد به هنا
المعنى المصدري اي اعطا الدوا وانما كان مداواة عيسى عليه الصلاة والسلام بالدعا والتوجه
الى الله وكان يجتمع عنده من المرضى العدد الكثير ومن لم يقدر على المجي اليه يذهب بنفسه اليه
وكان اطبا عصره لا يقدرون على ما ذكر فلذا كان معجزة له صلى الله عليه وسلم تنبيه قال البخاري
في تفسير الاكمه الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل انتهى ونقل السهيلي انه قول فيه خلاف ورد
الاعتراض بانه معنى الاعشى وانما الاكمه من ولد اعمى وهكذا اي مثل ما ذكر سائر معجزات الانبيا
في انها كانت بمقدار علم اهل زمانهم وما يهتمون به من الاحوال والعلوم ثم ان الله تعالى بعث محمدا
صلى الله عليه وسلم وجملة معارف العرب جمع معرفة بمعنى المعروف عندهم لا جمع معرفة ضد
النكر والجحود كما قيل وعلومها اي ما يعلمونه من الجزئيات والكليات اربعة انواع البلاغة
اي الملكة والجبلة التي يعرفون بها ايراد الكلام حسنا في كل مقام من مقاماته نظما ونثرا وهم فرسان
ميدانها والشعر الكلام الموزون المقفى والخبر عمن سلف وما لهم من الوقايع والايام والانساب
والمنازل والكهانة بفتح الكاف مصدر وبكسرها صناعة وحرفة وهي معاناة علم الغيب
بتلقيها عن الجن كما مر فانزل عليه القران اي انزل الله عليه صلى الله عليه وسلم ما يناسب قرنه
واهل عصره اعني القران اي كلامه الموحى اليه الخارق اي المخالف لهذه الاربعة فصول
اي الانواع المذكورة وهي البلاغة وما معها فهي جمع فصل وهو النوع المستقل المنفصل المتميز
عن غيره من الفصاحة وهي خلوص الكلام عن الغرابة وغيرها مما يشينه من فصح بمعنى خلص
وتشمل البلاغة والفرق بينهما اصطلاح طارئ في علم المعاني ومعناهما عندهم غني عن البيان لشهرته
والايجاز اي اختصار الكلام اختصارا غير مخل ويقابله الاطناب والمساواة ولم يذكرها لعلمها
بالمقابلة ولانه الاكثر ونكات الايجاز اكثر والعظم فنوائم عندهم والبلاغة وقيدها بقوله
الخارجة لهذه عن نمط كلامهم اي كلام العرب لدخولها في الفصاحة كما مر والنمط بمعنى الجنس
والطريقة اي لا يعرفون مثل بلاغته لخروجها عن جنس بلاغتهم وما يعهدونه في مخاطباتهم
ومحاوراتهم والنمط الجماعة من الناس امرهم واحد فاستعير لما ذكر اي نوعه وطريقته ومن
النظم اي ترتيب الكلمات وتركيبها متناسبة كنظم الجواهر وعقدها وليس المراد الكلام المنظوم
شعرا الغريب اي الذي لم يعهده البلغا في كلامهم والاسلوب اي الطريق العجيب الذي يتعجب
منه سامعه او يعجبه ويستحسنه الذي لم يهتدوا اي لم يصلوا ولم يقدروا في المنظوم اي المؤلف
من كلامهم الى طريقه فضلا عن الاهتدا اليه نفسه حتى يعارضوه وينسجوا على منواله الذي
هو نسيج وحده ولا علموا في اساليب الكلام مطلقا او المنثور من خطبهم واسجاعهم والاوزان
الشعرية الموزونة على بحوره منهجه اي طريقه ومن الاخبار بكسر الهمزة ويجوز فتحها جمع خبر
عن الكوائن اي عما سيكون في المستقبل من الغيبيات جمع كائن وهو معطوف على قوله من النظم

واعادة من لانه نوع اخر من الاعجاز ولطول الفصل بينهما كقوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا والحوادث
اى ما يحدث فى المستقبل انبا والاسرار اى ما اسروه فى انفسهم كقوله تعالى فى قصة ازواجه
صلى الله عليه وسلم واظهره الله عليه والخبايا اى ما اخفوه عنه فاطلعه الله عليه والضماير
اى ما اضمروه فى انفسهم كقصة مسجد الضرار ثم فسر ذلك بقوله فتوجد تلك الامور المخبر عنها
مما اسر واخفى عنه على ما كانت عليه ذاتا وصفة مطابقة لما اتى له ويعترف ويقر المخبر بفتح
الباء اسم مفعول اى من اخبره الرسول بما اطلعه الله عليه عنها بصحة ذلك الخبر الذى اخبره به
وصدقه لمطابقته للواقع وان كان المخبر بفتح الباء اعدى العدو اى اقوى اعدائه واشدهم
عداوة له صلى الله عليه وسلم فاعدى افعل تفضيل من العداوة مسموع على خلاف القياس والعدو
بمعنى الاعداء لانه يطلق على الواحد وغيره كقوله تعالى لحرص فانهم عدو لكم اى مع شدة عداوته
لا يمكنه انكاره هربا من وصمة التكذيب لظهور صدقه فابطل القرآن او النبى صلى الله عليه وسلم
الكهانة بفتح الكاف مصدر وبكسرها صناعته وحرفته كالامر والرواية هنا الكسر لانه
الانسب التى تصدق مرة وتكذب عشرا صفة الكهانة اى التى كذبها اكثر من صدقها كما
ورد فى الحديث انه تعالى كان اذا قضى امرا فى السما سبحت حملة العرش ثم اهل كل سما حتى ينتهى الى السما
الدنيا فتستخبر اهل كل سما من فوقهم حتى ينتهى الخبر الى اهل هذه السما فتختطفه منهم الجن ويزيدون
فيه من عندهم ما يزيدون من اكاذيبهم وبما قررناه ظهر سقوط ما قيل صوابه ما يزيد بدل قوله
عشرا لانه ورد فى الحديث يكذب الكهانة اكثر من مائة ثم اجتثها بجيم ومثناة فوقية ومثلثة
والضمير للكهانة اى قطعها بعد ابطالها وعطف بثم لانه ابلغ مما قبله وابعد رتبة واصل معناه نزع
الشجر ونحوه بعروقه واصوله كقوله اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار فهنا استعارة مرشحة
بقوله من اصلها وان كان المراد به ازالتها بالكلية برمى الشهب بضم الهاء وسكونها جمع شهاب اى
رمى الشياطين بشهب تمنعهم من استراق السمع لما يلقى الكهنة والمراد زيادة الرمى وكثرته فانه كان
قبل كما مر وفى نسخة رجم بدل رمى ورصد النجوم رصد بسكون الصاد المهملة مصدر رصد
يرصده اذا ترقبه واعد له ما يمنعه ويجوز فتحها ويكون واحدا وجمعا لراصد كخدم فهو من اضافة
الصفة لموصوفها اى النجوم المرصدة اى المعدة لمنعهم من السمع وذلك لان الشهب نجوم او شعل
نار تنفصل منها وارتضاه كثيرون فرصدها لانها مهيأة لمنعهم وجا فى القرآن من الاخبار
عن القرون والامم السالفة اى الماضية قديما وانبا جمع نبا وهو الخبر الانبيا والامم
البائدة اى الهالكة الغائبة فى الزمن السابق يقال باد يبيد اذا هلك وفى الحديث الجنة
لا تبيد ابدا اى لا تهلك ولا تموت اهلها والحوادث اى الامور الواقعة من خير وشر فى الازمان
السالفة الماضية قبل ذلك ما يعجز من تفرغ لهذا العلم اى العلم بالاخبار وتواريخ الامم
عن بعضه اى عن معرفة بعض منه فضلا عن جميعه وما اتى على جا ومن فاعل يعجز على الوجوه
التى بسطناها اى حاسبنا على وجوه تقدمت مفصلة وبينا المعجز فيها اى وضحنا المعجزات
فيها بما اغنى عن اعادته ثم تبيت هذه المعجزة اى القرآن وفى نسخة المعجزات باعتبار وجوه اعجازه
الجامعة لهذه الوجوه اى وجوه الاعجاز المذكورة انفا المضمومة الى الفصول الاخر
يعنى الاربعة المتقدمة التى ذكرنا فى معجزات القرآن ثابتة الى يوم القيامة لا تبدل ولا

تتغير

تتغير ولا تذهب ابدا ما دام الله بينة الحجة اى ظاهرة الدلالة على رسالته صلى الله عليه وسلم
لكل امة تاتى تعجز زمن نزل القرآن جيلا بعد جيل وعصرا بعد عصر لا يخفى وجوه ذلك
الاعجاز الذى ذكرناه على من نظر فيه اى من نظر فى القرآن بتلاوته او سماعه وتامل
وجوه اعجازه اى اطال النظر فيها وكرره وهو من التامل تفعل يجوز به عما ذكر لتركيب الامل
وامتداده الى ما اخبر به من الغيوب اى مع ما اخبر به من المغيبات على هذا السبيل
الطريق المذكور فلا يمر عصر وزمن اى يجى كما لمار على اهله وليس المراد به مضى قوله
الا ويظهر فيه صدقه اى صدق القرآن او النبى صلى الله عليه وسلم بظهور مخبره بفتح الباء
اى ما اخبر به واخبر وعلى ما اخبره اى كائنا متحققا على وفق خبره اوبقا على حاله فى
وجوه اعجازه السابقة اى الحكمية فهو مبنى للفاعل فيتجدد الايمان مع كل ما ظهر امر
جديد يصدق له بوقوع ما فيه ويتظاهر البرهان اى يتقوى الدليل ويزيد قوة
واصل التظاهر المعاونة والمساعدة كانه يستند لظهره وليس الخبر كالعيان وهو بكسر
العين المعاونة والمشاهدة ولا تفتح فيه العين وهو مثل وورد فى الحديث الصحيح ليس الخبر
كالمعاينة لان الخبر يحتمل الصدق والكذب بخلاف النظر فابلغ فا ذلك حصنا هو بان المراد
واطمان الفواد ولذا قال ابراهيم ولكن ليطمئن قلبى كما قيل

ولكن للعيان لطيف معنى ۞ لذا سال المعاينة الكليم

والمشاهدة تمنى الحصر زيادة فى اليقين الذى كان بالبرهان القاطع والنفس اشد
طمانينة الطمانينة والاطمينان السكون بعد الانزعاج الى عين اليقين اى الى ما يتيقن
بالمعاينة والمشاهدة منها اى من طمانينتها الى علم اليقين اى العلم المتيقن بالبرهان القاطع
فالنفس تفضل وتفضل عليه باعتبار حالتيه وان كان كل من عين اليقين وعلم اليقين عندها
اى عند النفس وفى علمها فان عندكون بمعنى العلم كما فى عند الله يعلمه تارة وحكمه اخرى
حقا اى متحققا ثابتا بلا مرية لكن الاول اقوى وفيه اشارة الى الفرق بين عين اليقين وعلم
اليقين وحق اليقين وفيه كلام فصلناه فى غير هذا المحل والاول ضرورى وغيره نظرى
وسائر معجزات الرسل تقدم وفصلنا فى شرح الدرة ان لفظ سائر ورد بمعنى الباقى من
السور المهموز وبمعنى الجميع من السير المعتل وان من انكر الثانى كالحريرى وغيره لم يصب انقرضت
بانقراضهم اى انقطعت وذهبت معهم بسبب ذهابهم وعدمت بعد وجودها وعدم مبنى
للمجهول لانه يقال عدمه كعلمه بمعنى اعدمه وعدم لازمه كرم بعدم تتخففين وبعض يكون
ذواتها اى الرسل وفى نسخة ذواتهم جمع ذات بمعنى نفس وفى ثبوتها فى اللغة كلام تقدم وبأن
والمعروف انه بمعنى صاحبة مونث ذو والمشهور فى العربية اى تلك المعجزات تقدم فتنقرض وان
علم ثبوتها لكونها امر غير موجود ومعنى عدم ذوات الانبيا فقدها من الدنيا وعن الحس وان
كانت باقية فى البرزخ احيا لا يموتون كما فى حديث الاسرا والاحتجاج بالانبيا ومعجزة نبينا صلى
الله عليه وسلم يعنى القرآن لا تبيد اى لا تفنى وتعدم ولا تنقطع اى تذهب بالكلية وآياته
اى معجزاته صلى الله عليه وسلم التى تضمنها القرآن تتجدد ولا تضمحل بالضاد المعجمة والميم
والحا المهملة واللام المشددة اى لا تنحل وتفنى كاضمحل السحاب اذا انقشع ولهذا المذكور

من نبينا معجزته صلى الله عليه وسلم **اشار صلى الله عليه وسلم بقوله** في حديث صحيح رواه
البخاري رحمه الله والاشارة هنا بمعنى التصريح او عبر به لانه غير صحيح فيما ذكر لان الوحي
الاتي من القران يحتمل ان المراد به احكام شريعته الباقية الى يوم القيامة والظاهر ان
الاشارة به ما مر من ان القران فيه معجزات لا تحصى وليس بصريح الحديث كما ستبينه **فيما**
حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي بن سكرة وقد مر ترجمته **قال حدثنا القاضي ابو**
الوليد تقدم ايضا **قال حدثنا ابو ذر** الهروي وقد تقدم **قال حدثنا ابو محمد**
ابن حموية السرخسي وقد تقدم **وابو اسحق** المستملي كما تقدم **وابو الهيثم** الكشميهني
كما تقدم **قالوا حدثنا الفربري** راوي صحيح البخاري وقد تقدم ضبط نسبته **قال**
حدثنا البخاري صاحب الصحيح المشهور **قال حدثنا عبد العزيز بن عبد الله**
العامري الاويسي الفقيه الحافظ الثقة وترجمته في الميزان **قال حدثنا الليث**
تقدمت ترجمته **عن سعيد** المعروف بالمقبري **عن ابيه** كيسان ابو سعيد المقبري نسبة
للمقبرة لانه كان ينزل في حفرها وهو مولى بني ليث روى عنه اصحاب الكتب الستة وتوفي
سنة مائة في خلافة الوليد وهو ثقة **عن ابي هريرة** رضي الله عنه عبد الرحمن بن صخر
وفي اسمه اختلاف كثير لشهرته بكنيته كما مر **عن النبي صلى الله عليه وسلم** في حديث صحيح
رواه البخاري ومسلم والنسائي وما ذكره المصنف لفظ البخاري **قال ما من الانبياء** تقديره
ما من نبي من الانبياء **الا اعطي** بالبناء للمجهول اي الا اعطاه الله **من الايات** اي المعجزات
الظاهرة **ما مثله** ما موصولة او موصوفة **امن** بالمد ماض اي صدق **عليه البشر**
على تغليبه كما في قوله تعالى على ما بعد الم او تعدى بمعنى مستغرا عليه البشر يعني اهل عصره
وانما كان الذي اوتيت من الايات والمعجزات **وحيا اوحاه الله الي** يعني القران المعجز
المتحدى به ثم رتب عليه قوله **فارجو** من الله بما اكرمني به من المعجزة المشتملة على معجزات
لا تتناهى الباقية الى يوم القيامة التي ليست كمعجزة غيري تنقرض بانقراضهم فيرى بها في كل
امة ما لا يحصى فلذا رجوت **ان اكون** دونهم **اكثرهم تابعا** اي امة **يوم القيامة** اذا حشرت
الامم مع انبيائها **هذا معنى** هذا **الحديث عند بعضهم** من فسره وبين المراد منه ففيه
اشارة الى كثرة ما فيه من المعجزات وانه باق على وجه الدهر الى يوم القيامة لا يقبل نسخا
ولا تبديلا ولا يبلى كغيره من الكتب والمعجزات ومثله المتقدم المراد به تقسيمه كما في
قولهم مثلك لا يبخل وعليه للتعليل كما عبر بها لما فيها من الدلالة على الاستعلاء بالقهر والغلبة
الملزم لهم الايمان به وقال انما مع كثرة ما له من المعجزات اشارة الى انه اعظم معجزاته
والعرب قد تخص الشيء في زمن كامل منه بما ان ما عداه لا يعد معه لكفايته عن غيره
وقد حقق الله رجاه صلى الله عليه وسلم **وهو الظاهر** من معنى الحديث **والصحيح ان شاء**
الله وقد تقدم الكلام على هذا الحديث مستوفى ثم اشار الى ان فيه وجوها اخر بقوله
وذهب غير واحد اي كثير **من العلماء** اي علماء الحديث **في تاويل هذا الحديث** اي
تفسيره وبيان ما يؤول اليه وعبر بالتاويل اشارة الى انه خلاف الظاهر بعد ما صرح به
وظهور معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم اي في بيان وجه ظهورها **الى معنى اخر** غير

ما ارتضاه **من ظهورها** اي بيان ظهورها **بكونها** اي هذه المعجزة الباهرة **وحيا**
اي كلاما موحى اليه من الله تعالى تنزيله **وكلاما** عطف تفسير لان الوحي يحتمل المعنى
المصدري ثم بين وجه الظهور على هذا فقال **لا يمكن** لاحد ممن ينكره **التخيل فيه** تفعل
من الخيال بالخاء المعجمة وفي نسخة التخييل بالتفعيل منه والاول انسب بقوله **ولا التحيل عليه**
بالحاء المهملة لانه كلام بليغ دال على معناه وما يقصد به ذلك لا يمكن الوقوف عليه ان يقول انه
تخييل وتمويه لا اصل له ولا ان يحتال حيلة في الاتيان بمثله كما فعل سحرة موسى عليه الصلاة
والسلام بحبالهم اذ جعلوها تتحرك كعصاه **والتشبيه به فان غيرها** اي غير المعجزة القرانية
من معجزات الرسل كلها **قد رام** اي قصد وطلب **المعاندون** اي المنكرون **لها** عنادا **باشيا**
متعلق برام **طمعوا** اي توهموا فجعل كالمتوهم لقربه منه معنى **في التخيل** فالتمويه **بها** باطلا
لا حقيقة له **على الضعفا** المراد بهم العامة الذين ضعفت عقولهم عن الفرق بين السحر والمعجزة
لعدم تمييزهم **كالقاء السحرة** عند فرعون جمع ساحر **حبالهم وعصيهم** جمع حبل وعصا لابطال
معجزة عصى موسى بالاتيان بمثلها فلما ابتلعت عصى موسى عليه الصلاة والسلام ما القوه واعلموا
علموا انها معجزة فامنوا به واختاروا القتل على اتباع فرعون ولم يغن كيده شيئا **وشبه هذا**
المذكور في قصة موسى **مما يخيله** بالمعجزة اي يلبس به ويموهه **او يتحيل فيه** بالحاء المهملة اي
ياتي به بحيلة منه عنها وقصته ثم اشار الى ان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لا يقبل ما ذكره بقوله
والقران كلام من جنس الكلام البالغ غاية البلاغة ومثله **ليس للحيلة** ممن لا يقدر عليه
ولا للسحر في التخيل فيه بان يجعل بقوة السحر ما يوثر في شخص لا بلاغة له حتى يتكلم بكلام
بليغ خطبة او شعرا **عمل** اي تاثير كما عرفته انفا فان ساحر الوالي عاميا لا قدرة له على كلام
حسن ثم سحره بجميع انواع سحره لا يمكنه ان يقوم في نادي منشدا او خطيبا فانه لم يجعل لا
يمكن ايجاده لغير خالق القوى والقدر فتجد الجلف الاعرابي يتكلم بكلام عند اعقل الناس
واظرفهم لا يمكنه ان ياتي بشيء منه وبهذا علم ان الكلام لا يكون بحيلة ولا بسحر وبذلك
بكلام الحكم جميع الفصحاء واخرس السنة البلغاء وهو المراد بقوله **فكان** القران من حيث
كونه كلاما **من هذا الوجه** اي من الجهة المذكورة بقطع النظر عن غيرها من جهات الاعجاز
عندهم اي عند المعتنين بهذا الحديث مما ذكرناه **اظهر من غيره من المعجزات** لعدم
قبول التخييل والتمويه به **كما لا يتم** اي يحصل ويتيسر وعبر بالتمام لانه يتحقق به الامر ولذا
قيل الاعمال بخواتمها اي باواخرها **لشاعر** يتكلم بالمنظوم **ولا خطيب** يتكلم بالمنثور **ولا**
خطيب ان يكون شاعرا وخطيبا بضرب اي بشيء ونوع **من الحيل** جمع حيلة **والتمويه**
اي التخييل والتلبيس وهو ماخوذ من قولهم موه النحاس بذهب او فضة ليوهم من رآه
انه ذهب او فضة او هو في الاصل من الماء بالمد فيصيبه الماء ثم يطلى به وتقول العامة
ما الذهب وما الفضة وصيغه فعل يكون للنسبة كثيرا فانكار اهل المعاني لقوله انه مسح
يبنى كالسراج في البريق واللمعان لا وجه له كما مر **والتاويل** اي التفسير **الاول** الذي قال
انه الظاهر الصحيح **اخلص** افعل تفضيل من خلص بالمعجمة ولام وصاد مهملة اي صفا
من الكدر اي الاشكال قال في المغرب الخلوص الصفاء ويستعار للوصول انتهى او هو

يعني اجودا ومن الخلاص بمعنى النجاة والسلامة وارضى افعل تفضيل من الرضى اى اكثر
رضى وقبولا عند العقول السليمة وفى هذا التاويل الثانى الذى ذهب اليه غيره من علما
الحديث ما يغضى بالبنا للمجهول وتشديد الميم قبل ضاد معجمة من تغميض الجفن وهو غطا
العين ومعنى تغمض عليه الجفن ان يغض عنه البصر والنظر فلا يلتفت اليه ويعتنى به او يهو
كالقذا فى العين الذى يمنع انفتاح الاجفان وهو كناية عن انه غير سالم من الاعتراض ويغضى
بغين وضاد معجمتين والبنا للمجهول لا جلها فيه السمع من اغضى الجفن اذا اطبقه
او بمعنى سكت وهو قريب مما قبله قيل جعله مرجوحا لما فيه من ايهام ان معجزات الانبيا عليهم
الصلاة والسلام يمكن معارضتها ولو بطريق التخييل والحيلة وفيه وجوه اخر وجهتا لك
فى اعجاز القران وانه اعظم معجز انه صلى الله عليه وسلم على مذهب من قال بالصرفة اى
ان اعجازه بصرف الله قدرتهم وتمكنهم من معارضته مع انهم بحسب الجبلة قادرون على الاتيان
بمثله لولا ما ذكروا اليه ذهب النظام وكثير من المعتزلة والشريف المرتضى من الشيعة
وان المعارضة له والاتيان بمثله كانت فى قدرة البشر فصرفوا عنها اما بسلب قدرتهم
ودواعيهم او بسبب علمهم بتاليف كلام وتمكنهم منه او على احد مذهبى اهل السنة من ان الاتيان
بمثله من جنس مقدورهم على الاتيان بكلام من جنسه اى مما هو فى قدرتهم متمكنون منه
ولكن لم يكن ذلك قبل بالبنا على الضم اى قبل ظهوره ولا يكون بعد بالضم وقبل المراد
قبل التحدى وبعده لان الله لم يقدرهم بسكون القاف وفتحها وتشديد الدال وتخفيفها اى لم
يجعل فيهم القدرة على الاتيان بمثله قبله لانهم لم يجمعوا كلاما مثله ولا يقدرهم عليه بعده
ولما كان هذا المذهب قريبا مما قبله اشار الى الفرق بينهما بقوله وبين المذهبين اى
مذهب الصرفة والمذهب المذكور بعده فرق بين بالتشديد اى واضح ظاهر لتمكنهم على الاول
من الاتيان بمثله لكن صرفوا عنه ولعدم تمكنهم منه على الثانى مع انه من جنس مقدورهم
ومثله فى الجملة وليس هذا نوعا من الصرفة وذهب اليه بعض اهل السنة كما توهم وهو
عجيب من قائله فتدبر وعليهما جميعا اى على هذين القولين فترك العرب المعنى على
المذهب الاول الاتيان بما فى مقدورهم اى قدرتهم على الاتيان بما هو من مثله او من
مثل بعضه كاقصر سورة منه او تركهم على الثانى ما هو من جنس مقدورهم اى من
جنس كلامهم البليغ الذى يقدرون عليه ورضاهم اى اختيارهم بالبلا اى بما ابتلوا
به لعنادهم والجلا بفتح الجيم واللام والمد بوزن البلا وهو اخراجهم من ديارهم
واوطانهم والسبا بكسر السين المهملة والموحدة والمد وهو سبى اولادهم واهلهم واسترقاقهم
والاذلال لانفسهم واهليهم وتغير الحال التى كانوا عليها من العزة والشهامة وسلب
بالقتل والنهب فيهم والاموال باخذ الغنايم منهم والتقريع باللوم والزجر والتعيير
والتوبيخ تبعهم وتقبيح ما هم عليه من الجهل والتعجيز باظهار عجزهم بالتحدى والتهديد
لهم بانذارهم بعذاب الدنيا والاخرة والوعيد بما يفجعهم ان لم يؤمنوا ابين اية اى اظهر
علامة وهو خبر قوله فترك العرب للعجز عن الاتيان بمثله اى بمثل القران فى فصاحته
واعجازه والنكول وهو النكوص اى الرجوع والاعراض عن معارضته اى الاتيان

بمثله

بمثله وانهم منعوا من شئ هو من جنس مقدورهم اى كلامهم الذى يقدرون عليه لامن
نوع المشابه له من جميع الوجوه والى هذا المذهب وهو انهم قادرون على شئ من جنسه
عاجزون عن مثله لان الصرفة المصرفة وهذا هو الفرق بين القولين ذهب اى اختاره
مذهبا الامام ابو المعالى الجوينى منسوب الى جوين بلدة بالصحرا اسم بلدة وهو امام
اهل السنة عربا وعجما ذكرنا اسمه عبد الملك بن عبد الله بن يوسف النيسابورى الشافعى امام
الحرمين اعلم ائمة الشافعية هو ووالده ولد فى ثامن عشر المحرم سنة تسع عشرة واربعمائة
وتوفى فى سنة ثمان وسبعين واربعمائة فى الخامس والعشرين من ربيع الاخر وغيره من اهل
السنة قال ابو المعالى وهذا الاعجاز عندنا ابلغ اى اقوى واكثر مما لغة يخرق العادة
فى الافعال البديعة اى المبتدعة الغريبة فى انفسها اى فى حد ذاتها وهو متعلق بالبديعة
وفى نسخة فى انفسنا وهو متعلق بابلغ كقلب العصا حية لموسى عليه الصلاة والسلام وكانت
من شجر اللوز وفيها معجزات كانت تتولد ونقى وينتفع بها الى غير ذلك مما فصلوه ونحوها
كاليد البيضا وابرا الابرص والاكمه واحيا الموتى فانه اى الامر والشان او كونه ابلغ
قد يسبق الى بال الناظر فيها وفكره وخاطره بدارا اى مبادرة وسرعة فى اول نظرة ان
ذلك الامر البديع الخارق للعادة نشا من اختصاص صاحب ذلك الامر الذى
ظهر على يديه بمزية معرفة اى بزيادة معرفة امتاز بها عمن لم تعد عليها فى ذلك الفن اى
النوع الذى كان يعتنى به اهل زمانه وفضل علم به واحواله الى ان يرد ذلك الخاطر
الذى سبق لفهمه صحيح النظر بالتامل والتدبر فيه حتى يعلم اعجازه ثم بين المعتبة وفى نسخة
بقوله واما التحدى اى طلب معارضة الكلام وتقدم انه مشتق من الحدا لغنا بالحداة
فى حداثهم للابل للخلائق جمع خليقة بمعنى خلق سنين بكسر الميم جمع مائة من السنين
فى عصر النبوة وبعده الى غير النهاية بكلام من جنس كلامهم المعتاد لهم لياتوا بمثله
علة للتحدى فلم ياتوا اى لم يقدروا على مثله وهم فحول البلاغة وقد تحدوا وعجزوا
على رؤس الاشهاد ولم يبق بعد توفر الدواعى اى كثرة ما يدعوهم لمعارضته ويحثهم عليها
من الحمية الجاهلية على المعارضة ثم عدمها اى المعارضة مع كثرة دواعيها الا ان منع
الله الخلق عنها بالصرفة او بعدم القدرة على نوع من جنسه فيصدق على المذهبين
وفى نسخة الا منع الله الخ بمثابة اى هذا المنع بمنزلة واصل المثابة المكان الذى يرجع الناس
اليه او يكتسبون فيه الثواب ثم شاع فيما ذكر كما اشار اليه الراغب وقيل اصله بلغ حوم البير
والحجارة حولها ثم نقل لما ذكر وقد اصطلح الفقها على استعماله للتنبيه كما قيل فالمراد انه
نحو ما لو قال نبى ومعجزتى ان يمنع الله القيام على الناس مع قدرتهم عليه وارتفاع
الزمانة عنهم بان لا يكونوا مقعدين ودعوتنا ان تعذرتهم على القيام والقدرة بتضعيف الدال وفتحها
كما تقدم فلو كان ذلك اى عدم قيامهم وعجزهم بفتح الجيم اى جعلهم الله عاجزين عنه لكان
ذلك من ابهر اية اى اقوى معجزة واظهر دلالة على نبوته وبالله التوفيق فيه اشارة
الى ان فيه توفيقا بين القولين لا تنافيهم من وجه واختلافهم من اخر وقد غاب عن بعض
العقل اى خفى عليهم لان من شان الغائب ان يخفى فلا يدرى به لازمه ظهور انه صلى الله

عليه وسلم ولتضمينه معنى العلو قال على سائر آيات الانبيا الذين سلفوا قبله حتى احتاج للعدول عن ذلك اى عن كون معجزته اظهر من معجزات غيره مع ان احيا الموتى ونحوه من آيات الانبيا قد يتوهم انه اقوى واظهر بدقة افهام العرب اصل معنى الدقة كون الشى دقيقا ثم استعير للوقوف على ما خفى من الامور وذكا الباب‍ها جمع لب وهو العقل الخالص والذكا قوة للذهن تقتضى سرعة الانتقال ووفور عقولها الوفور من الوفرة وهى الكثرة والزيادة والعقول جمع عقل وهو القوة المدركة ينبغى ان هذا من شان ذهن الجنس ولا يضره تفاوت بحسب الاشخاص فيما ذكر كما توهم مع انه لا يرد على المصنف لانه حكاه عن غيره وانهم لما حصل له من الذكا والفطنة ادركوا المعجزة فيه اى فى القران لما علموه من خواص تراكيبه وجزالة معانيه وحسن نظمه واتسقه بفطنتهم اى قوة ذكائهم وجاءهم من ذلك اى حصل فى نفوسهم من معرفة اعجازه وظهوره على غيره بحسب ادراكهم بفتح السين اى حصل منه على مقدار ادراكهم ودقته وغيرهم من الامم من القبط وغيرهم القبط بكسر القاف جيل من الناس كانوا قوم فرعون بمصر وبنى اسرايل اى اولاد يعقوب بن ابراهيم واسرايل لقب يعقوب لم يكونوا بهذه السبيل اصل معناه الطريق وهو هنا كناية عن عدم ذكائهم وفهمهم كالعرب ونفى سبيل الشى ابلغ من نفيه بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة الغباوة عدم الفهم والبلادة وعطف قلة الفطنة عليه عطف تفسير ورحل عنى حاجهل قال

لبس الغبى بسيد فى قومه … لكن سيد قومه المتغابى

بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم حيث ظرف مكان وهو خبر كان اى بلغت غباوتهم ان فرعون قال لهم انا ربكم الاعلى فلم يروا ذلك وهذا راجع لنسبة القبط وجوز عليهم السامرى وهو رجل من بنى اسرايل يسمى موسى بن ظفر وهو منسوب لرجل اسمه سامر ذلك فى العجل اى انه ربهم فعبدوه والعجل الصغير من البقر بعد ايمانهم بالله فاضلهم السامرى وكان من اهل كرمان قوم تنسى السامرة يعبدون البقر وكان منافقا يظهر الاسلام فلما مضى موسى عليه الصلاة والسلام صاغ لهم عجلا من الحلى ورينه بالجواهر وقذف فيه ترابا من اثر فرس جبريل وكان يتحرك فقال لهم هذا الهكم واله موسى وان موسى اخطا الطريق اليه فجاءكم يكلمكم فتبعوه لسخافة عقولهم كما تصله المفسرون وغيرهم وعبدوا اى بنو اسرايل المسيح عيسى بن مريم مع اجماعهم على صلبه واذا كان ربا كان يصلب مع انه اعتقاد باطل وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم اى الق شبهه على رجل اسرائيلى فظن اليهود انه عيسى عليه الصلاة والسلام فصلبوه وهذا جهل عظيم منهم وجاءهم من الآيات الظاهرة البينة للابصار اى لعدم دقة افهامهم كانت اياتهم فى غاية الظهور تدرك بالبصر بقدر غلظ افهامهم ما لا يشكون فيه فاعلجا وعدم شكهم لظهور ما جاءهم ومع هذا الظهور فقالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة اى معاينة بابصارنا تكلم فيها امامنا وتغضبه فى التفاسير غنى عن البيان ولم يصبروا اى بنو اسرايل على المن وهو طل كالعسل ينزل على الاشجار فيجمع ويوكل

والسلوى وهو طائر كالسمانى واحده سلواه وكانوا لما خرجوا من التيه قالوا لموسى عليه الصلاة والسلام اخرجتنا من العمران للقفر فادع الله ان يرزقنا فرزقهم المن ثم سالوه ان يطعمهم من اللحوم فاتاهم بالسلوى فكانوا يا كلونها بايديهم ثم قالوا لن نصبر على طعام واحد واستبدلوا الذى هو ادنى اى طلبوا ابداله لا ما عندهم وهو الفوم والعدس والبصل بالذى هو خير وهو المن فى كل ما جاء به من ربه ويدخل فيه الايمان بانه رسول والايمان بسائر الرسل والكتب المنزلة وقدمه لانه الاصل ولا حاجة لما قيل من انه خصه لانه المقصود من تصنيف الكتاب ولانه اشرفهم وخاتمهم واتباعه صلى الله عليه وسلم اى الاقتدا به فيما ليس من خواصه وهو مجرور معطوف على تصديقه اى بان يجب اتباعه فى وجوب الواجب وسنية المسنون واباحة المباح وتحريم المحرم وقيل ينبغى تقييده بالواجب لا المسنون وطاعته بامتثال اوامره واجتناب نواهيه والطاعة كما قال الراغب الانقياد وتضادها الكره قال تعالى ائتيا طوعا او كرها والتزم ما يقال لما امر

ابن ابرس انتهى فلذا اعطفها على الاتباع فانه قد يكون ذكرها فيه قال فى العرف ان المطيع مسلوب الاختيار مع المطاع وفى الصحاح فلان مطيع لك اى منقاد لم ينصب فى مدعاه واسند لا له ومحبته بان يكون صلى الله عليه وسلم احب اليه من نفسه واهله وماله والمحبة الميل الغنائى ولى معروفه ومناصحته له وهى لغة الخلوص وشرعا ارادة الخير للمنصوح وسنا فى وعبر بالمناصحة دون نصح لانها ابلغ ولان الرسول صلى الله عليه وسلم نصح الامة وبالغ فى نصحهم وتوقيره اى تعظيمه والتادب معه بما هو لايق به صلى الله عليه وسلم وبره صلى الله عليه وسلم ببذل ما فى وسعه له من المال وغيره من امور الدنيا فما قيل من انه تكرار ينبغى تركه لان الطاعة لا وجه له وحكم الصلاة عليه والسلام من الوجوب ومحله وزيارة قبره اى وحكم زيارة قبره عليه الصلاة والسلام وعبر بالحكم فيهما لان وجوب ما قبلها مستمر دونهما وتعبيره لانه فى نبيه صلى الله عليه وسلم وبعد احكمه دفنه فيه دون المقابر

الباب الاول

فى فرض الايمان به صلى الله عليه وسلم عبر بما سبق بوجوب تصديقه وهنا بفرض الايمان تفننا واشارة الى ان الفرض والواجب بمعنى عنده هنا وان المراد بالتصديق الايمان لان معناه اللغوى والحنفية نعم انهم فرقوا بين الفرض والواجب بان الفرض ما ثبت بدليل قطعى بخلاف الواجب فان الفرض لغة القطع وخالفهم فيه غيرهم كما بين فى الاصول ووجوب طاعته اى بوجوب هذا لما ذكرناه وللاشارة الى انه فيما سبق معطوف على تصديقه لا على وجوب فلا

ابن ابرس وجه لما قيل انه لا حاجة اليه وانه ينبغى تقديمه واتباع سنته اى طريقته التى سنها صلى الله عليه وسلم وشرعها نهو بالمعنى اللغوى فيدخل فيه السنن الاصطلاحية وغيرها وهو مثال بل لقوله اولا اتباعه ولا يعد فى لانه غير مغاير لما قبله لان اتباع سنته طاعة له فلا يقال انه ينبغى ذلك اذا تقرر ونلت بما قدمناه فى هذا الكتاب ثبوت نبوته بالوحى اليه وصحة رسالته لجميع الخلق واخرها لانها اخص وعبر بالصحة تفننا ولان من الكفرة من ادعى عدم صحتها كاليهود المنكرين للنسخ وبعض من غيرهم ادعى عدم عموم رسالته وجب الايمان به وتصديقه فى جميع ما اتى

متن

٧ والعرب على جاهليتها اكثرها يعترف بالصانع وانما كانت تتقرب بالاصنام الى الله زلفى ومنهم من آمن بالله وحده من قبل الرسول بدليل عقله وصفاء لبه ولما جاءهم الرسول بكتاب الله فهموا حكمته وتبينوا بفضل ادراكهم لاول وهلة معجزته فآمنوا به وازدادوا كل يوم ايمانا ورفضوا الدنيا كلها فى صحبته وهجروا ديارهم واموالهم وقتلوا اباءهم وابناءهم فى نصرته وآت فى معنى هذا بما يلوح له رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج اليه وحقق لكنا قدمنا فى بيان معجزة نبينا وظهورها ما يغنى عن ذكره بطونه هذه المسالك وظهورها القسم الثانى فيما يجب على الانام من حقوقه عليه الصلاة والسلام قال القاضى ابو الفضل رحمنا فيه الكلام فى اربعة ابواب على ما ذكرناه اول الكتاب ومجموعها فى وجوب تصديقه م م متن

به واخبرناه به ومنه الايمان بالله ورسله وكتبه وغيرها. ان لم نقل ان الايمان بالله واجب عقلا
متقدما على ما عداه لئلا يلزم الدور كما ادعاه بعض الماتريدية وخالف فيه بعض الاشعرية
كما حقق في كتب الكلام وقيل الايمان بالله تعالى متقدم على الايمان بالرسل والايمان بالرسل متوقف
على ثبوت الرسالة كما قال ثم امن به وجب عليه طاعته بامتثال ما جاء به من الشرائع انتهى وفيه
نظر قال تعالى فامنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم والنور الذي انزلنا يعني ما
اوحي به الى النبي صلى الله عليه وسلم من الشريعة وهذا هو المناسب لما قبله وقيل المراد به
القران اذ هو بإعجازه ظاهر بنفسه مظهر لغيره ببديع بيانه فاطلاق النور عليه استعارة
كما ذكر اولانه يهتدى به والامر للوجوب والاستدلال لانه ظاهر وقال تعالى
انا ارسلناك شاهدا على من صدق وكذب لئلا يعاقب ومبشرا لمن امن
ببشارة الدارين وحذف المبشر به تفخيما له ليذهب نفس السامع كل مذهب كما في قوله
ونذيرا اي منذرا ومخوفا لمن عصاك لتؤمنوا بالله ورسوله الخطاب في انا
ارسلناك له صلى الله عليه وسلم ولام لتؤمنوا لام كي وقيل انها يحتمل ان تكون لام امر
وهو بعيد وقرئ ليؤمنوا بالغيبة وهي ظاهرة لان خطابه صلى الله عليه وسلم خطاب
لامته دخل كلام بينا في حاشية القاضي والاستدلال لانه على التعليل لان الانذار يقتضي
وجوب اتباعه على انه في غنية عنه بما قبله وبعده من قوله وقال تعالى فامنوا بالله ورسوله
النبي الامي الاية اي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وقد تكرر الامر
به في القران في ايات كثيرة فالايمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم واجب لامر الله به مرارا
متعين اي فرض عين لا فرض كفاية فيجب الاعتراف به باللسان ان قدر والتصديق
بالجنان ولا يسقط منهما شرعا اذ لا يتم ويصح ايمان لاحد بالله الا به اي الا بالايمان برسوله
صلى الله عليه وسلم وبكل ما جاء به ولا يصح اسلام الا معه اي الا مع الايمان بالله والايمان
برسوله بعينه وليس هذا مبنيا على تغاير الايمان والاسلام على قول بل هو هنا كهو لما قبله
لتغايرهما بحسب المفهوم وان اتحدا بحسب الماصدق فانه لا يكون مؤمنا الا وهو مسلم
ولا مسلم الا وهو مؤمن لقوله تعالى فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها
غير بيت من المسلمين قال تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين
سعيرا وفي الاية نص على ان الايمان المعتد به انما يكون بالجمع بين الايمان بالله وبرسوله
فينتفي بانتفاء احدهما والتصريح في قوله فانا اعتدنا الخ عليه حدثنا ابو محمد الخشني متفق
عليه وهو حديث صحيح رواه مسلم والبخاري والخشني بضم الخاء وفتح الشين المعجمتين ونون
وياء نسبة تقدمت ترجمته قال حدثنا الامام ابو علي الطبري تقدمت ترجمته قال
حدثنا عبد الغافر الفارسي تقدمت ترجمته قال حدثنا ابن عمرويه الجلودي
وقد تقدم وان عمرويه بفتح العين وسكون الميم وفتح الراء وضمها وان مثله صيغة
تصغير عند اهل البصرة مولدة قال حدثنا ابن سفيان ابراهيم بن محمد بن سفيان
راوي مسلم قال حدثنا ابو الحسين هو الامام مسلم القشيري صاحب الصحيح المشهور
قال حدثنا امية بن بسطام بكسر الباء الموحدة وفتحها وفيه الصرف وعدمه

ثوفي سنة احدى وثلاثين ومائتين وهو امام جليل احتج له الشيخان والنسائي قال
حدثنا يزيد بن زريع بزنة مصغر الزرع الامام الحافظ ابو معاوية البصري
كما تقدم قال حدثنا روح بفتح الراء المهملة والواو الساكنة وحاء مهملة وهو ابن القاسم
التميمي البصري الامام الثقة مات سنة نيف وخمسين ومائة عن العلاء بفتح العين المهملة
والمد ابن عبد الرحمن بن يعقوب عالم المدينة وهو ابو شبل مولى الحرقة احتج
له مسلم واصحاب السنن عن ابيه عبد الرحمن عن ابي هريرة رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امرت بالبناء للمجهول اي امرني الله اذ لا امر
له صلى الله عليه وسلم سواه ان اقاتل الناس اي بان اقاتلهم ومحله بعد حذف
الجار نصب او جر وهو عام للناس كلهم خص منه من ضربت عليه الجزية حتى يشهدوا
ان لا اله الا الله غاية لقتالهم ينتهي به ويتخصص بالغاية ويؤمنوا بي اي بكوني
نبيا رسولا ويؤمنوا بما جئت به من الله واوحاه اليه من شريعته التي امر
بتبليغها وتكليفهم بها فاذا فعلوا ذلك المذكور من الشهادة والتصديق لما جاء به
والتزام احكام شريعته عصموا اي صانوا وحفظوا مني دماءهم بعد المقاتلة لهم
واموالهم فلا يؤخذ بالغنائم ولا بسبب من الاسباب الا بحقها اي لتستحق اباحة
دمائهم بقتل نفس ظلما ونحوه او تستحق اموالهم بمنع زكاة او بثبوت حق عليهم وحسابهم على
الله اي امرهم بعد ما ذكر موكول الى الله اذ احاسبهم على ما اسروه في انفسهم وما لم تقف
عليه من الكفر والمعاصي فيثيب من يشاء ويعاقب من يشاء والمنافق لا يقتل الا اذا ظهر منه ما يقتضي
كفره ومثله الزنديق واختلفوا في قبول توبته فقيل يقتل مطلقا وقيل تقبل الاحدى وقيل
لا يقتل مطلقا وتوبته ان خلصت نفعته في الاخرة وقيل ان جاء بصيرة قبلت وان تكررت
لا وقيل لا تقبل ان دعى لزندقته وقوله صلى الله عليه وسلم ويؤمنوا بي اشارة الى ان
اهل الكتاب لا ينفعهم لم يجرد الشهادة بان لا اله الا الله ودخل في قتال الصلاة وما في
الزكاة وما بعد الصلاة في قوله الا بحقها وفي الحديث دليل على ان الايمان يكفي فيه الاقرار
بما ذكر فيه وانه لا يشترط فيه معرفة الادلة الاصولية كما قاله النووي رحمه الله وليس
مبنيا على قبول ايمان المقلد كما توهم قال القاضي ابو الفضل عياض المؤلف
رضي الله عنه والايمان به صلى الله عليه وسلم هو تصديق نبوته اي التصديق
بها ورسالة الله له اي ارساله والاضافة اضافة صفة لا بمعنى الباء كما توهم
وان كان المعنى عليها وتصديقه في جميع ما جاء به عن الله بالوحي بانواعه وما قاله
اي في جميع اقواله لانه صلى الله عليه وسلم معصوم لا يصدر منه ما يخالف الواقع لا سيما
ما امر بتبليغه ومطابقة اي موافقة تصديق القلب اي اعتقاده والجزم به واصل
المطابقة وضع شيء على شيء مع طبقه وقوله بذلك اي بالتصديق بالنبوة والرسالة وما
جاء به بذلك اي بالتصديق بالنبوة والرسالة شهادة اللسان بنطقه واعترافه
بانه رسول الله فاذا اجتمع التصديق به صلى الله عليه وسلم بالقلب والنطق
بالشهادة بذلك المذكور من رسالته وما جاء به باللسان تم الايمان الحقيقي الحقي

في الدنيا والاخرة **والتصديق** له اي تحقيقه ولفظه **كما ورد في الحديث** الذي رواه
المصنف عن ابي هريرة **نفسه** بالجزم تأكيد للحديث **من رواية عبد الله بن عمر**
رضي الله عنهما امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله وهذه رواية مسلم عن ابن عمر وفيها ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة
فاذا فعلوا الخ وقوله بترك الايمان اي تحقيق وصح وليس مراده انه اذا وجد احدهما
كتصديق القلب كان ايمانا ناقصا كما سنفصله والنطق بالشهادتين مع انه لا بد منه
اختلف فيه هل هو شطر او شرط والاعمال ليست داخلة فيه عند المحققين وفيه كلام
مفصل في كتب الاصول وشروح الصحيحين بضيق المقام عنه **وتقرر ذلك وضوحا**
اي زاده صلى الله عليه وسلم ما ذكر بيانا **في حديث جبريل** عليه الصلاة والسلام الذي
رواه الشيخان كما تقدم **اذ قال** له جبريل لما جاءه صلى الله عليه وسلم في صورة انسان
اخبرني عن الاسلام اي حقيقته ومعناه شرعا وهو في اللغة الانقياد والطاعة
وقيل السؤال عن شريعته وشروطه **فقال** صلى الله عليه وسلم **ان تشهد ان لا اله الا**
الله ان مخففة من الثقيلة وتشهد بمعنى تعلم ان تقول اشهد الخ وقد اختلف هل يشترط
فيه لفظ الشهادة او يكفي ما يؤدي معناه والصحيح عندنا الثاني معاشر الحنفية ولو بغير
لفظ العربية لمن لا يقدر عليه **وان محمدا رسول الله** ارسله لجميع خلقه **وذكر اركان**
الاسلام يعني قوله ويقيم الصلاة بالنصب عطف على تشهد وجوز بعضهم رفعه استئنافا
فانظر الى انه يكفي في اجراء احكام الاسلام الشهادتان وكذا ما بعده وجوابه انه بيان لاكمله
وانا مة الصلاة اداؤها وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ان استطعت
اليه سبيلا قال صدقت فعجبنا له كيف يسأله ويصدقه **ثم سأله** صلى الله عليه وسلم
عن الايمان اي عما يجب التصديق به شرعا **فقال** مجيبا له **ان تؤمن بالله** اي تصدق
بوجوده وانه واحد في ذاته وصفاته وافعاله ولا شريك له في ذلك وليس هذا تعريفا
للشيء بعينه لانه يكون متعديا بنفسه ومعناه الامان من التكذيب ومتعديا بالباء لتضمنه
معنى الاعتراف وقد يتعدى باللام لتضمنه معنى القبول والاذعان والمعروف هو الاول
وما وقع في التعريف هو الثاني بل ان الاول معلوم والمسؤول عنه بيان متعلقاته
التي يجب الايمان بها اجمالا وعلم من الحديث تغاير مفهوم الاسلام والايمان فان الاسلام
كما مر لغة الاستسلام والانقياد وهو جزء من مفهوم الايمان الذي هو التصديق بالقلب
واللسان وقيل انهما مترادفان والاظهر انهما متلازمان لا ينفك احدهما عن الاخر
وقيل بينهما عموم وخصوص مطلق وان الاسلام يبنى على التصديق واصل الطاعات
كما فصل في علم الكلام **وملائكته** جمع ملك من الالوكة وهي الرسالة واصله مالأك ثم نقل وجمع
وخففت مفرده والتاء لتانيث الجمع والمبالغة وتقدم الكلام على ذلك في الخطبة وانهم
اجساد نورانية سالمة من الكدورات الجسمانية قابلة للتشكل والايمان بهم ان تؤمن
بانهم عباد الله معصومون لا يفعلون غير ما يؤمرون لا يعلم عددهم الا الله **وكتبه** التي
هي كلامه تعالى المنزل على رسله الاولى فيصدق بحقيتها وحقية ما تضمنته **ورسله**

كما علم

مطلب اختلف هل يشترط لفظ الشهادة

يجي

جمع رسول وهو من اوحي اليه بشرع وكتاب وامره بتبليغه عباده **الحديث** بالنصب
اي اذكره او اقرأه واعرف ذلك الخ وهو واليوم الاخر والقدر خيره وشره واقتصر
المصنف رحمه الله على المقصود منه **فقد فسر** اي بين النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث **ان**
الايمان به اي بالله او بما ذكر في الحديث **يحتاج الى العقد** اي الاعتقاد الجازم
بالجنان بفتح الجيم وهو القلب سمي به لاستتاره واستتار ما فيه من جهة اذا
ستره **والاسلام به** اي بالله او بما ذكر **مضطر** اي محتاج اليه ضرورة لانه لا
يظهر الانقياد بدونه ولذا غاير بينهما **الى النطق باللسان** ليعلم ما في قلبه **وهذه**
الحالة اي اعتقاد الجنان والنطق باللسان **هي المحمودة** عند الله والناس **التامة**
بناء على انه اسم لفعل القلب واللسان كما ذهب اليه بعض الاشعرية ووصفها بالتمام
اشارة الى ان عقد الجنان كاف وان لم ينطق به والنطق شرط لاجراء احكام الاسلام عليه
في الدنيا كالصلاة عليه ودفنه في مقابر المسلمين ونحوه ولم يبلغ به احد نفعه ايمانه
الا على وجه الا **واما الحالة المذمومة** لضررها في الاخرة **فالشهادة باللسان**
اي الاقرار والتلفظ بالشهادة **دون تصديق القلب** بالاعتقاد الجازم **وهذا**
هو النفاق الذي يسمى صاحبه منافقا وهو من يظهر الايمان ويخفي الكفر وهو نقيض
اظهار خلاف ما يضمر من نافقاء اليربوع وهو ما يخفيه من ابواب جحره يخرج منه اذا
احس بصائده كما قال ويستخرج اليربوع من نافقائه **قال الله تعالى اذا جاءك**
المنافقون الخطاب له صلى الله عليه وسلم **قالوا نشهد انك لرسول الله** فاكدوا
شهادتهم بما يفيد انها من طيبة قلوبهم لزعمهم انه علام الغيوب بقوله **والله يعلم انك لرسوله**
وهو تذييل لقوله **والله يشهد ان المنافقين لكاذبون** في قولهم ذلك اي قولهم
انك لرسول الله عن اعتقاد وتصميم لان ما قد موكدا بهذه التاكيدات يقتضي انه
ناشئ **عن اعتقادهم الجازم وتصديقهم** القلبي واللساني **وهم لا يعتقدون** ولا
حالية اي والحال انهم ليسوا معتقدين لذلك كما اخبر الله به **فلما لم يصدق في ذلك**
القول **ضمائرهم** اي ما اضمروه في قلوبهم او قلبهم لان الضمير يطلق عليه **لم ينفعهم**
ان يقولوا اي قولهم لم ينفعهم في الاخرة لانهم في الدرك الاسفل من النار **بالسنتهم**
ما ليس في قلوبهم لاعتقادهم خلافه فهو كذب غير مطابق للواقع وليس هذا مبنيا
على ان الكذب ما خالف الاعتقاد كما حققه اهل المعاني وهذه الاية نزلت في ابن ابي بن
سلول رأس المنافقين واصحابه وقصته مشهورة في كتب الحديث فلا نطول بها
فخرجوا من اسم الايمان اي عن ان يسموا به انتفى فيقال لهم مؤمنين في الدنيا
عند من عرفهم **ولم يكن لهم في الاخرة حكمه** وهو دخول الجنة فهم في الدرك الاسفل
من النار مع الكفار كما بان وقوله في الاخرة اشارة الى انهم يجري عليهم في الدنيا حكمه نظرا
لظاهر حالهم كما بينه بقوله **اذ لم يكن معهم ايمان** في الاخرة لانكشاف حالهم وافتضاحهم
فيها وقال معهم ولم يقل انهم يكونوا مؤمنين ايماء الى ان ايمانهم لم يكن في قلوبهم فكانه كان
دنيا لهم لتلفظهم به فاذا ماتوا فاتهم وبطل حكمه **ولحقوا بالكافرين في الدرك**

الاسفل من النار الدرك بفتح الرا وسكونها ما ينزل به لاسفل ضد الدرج يعني انهم في قعر جهنم واخر طبقة منها وهي سبع طبقات جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم سقر ثم الهاوية وتطلق اسم كل طبقة منها على الجميع ايضا بالاشتراك اللفظي والمعنوي وبقي جار عليهم حكم الاسلام في الدنيا فيعاملون معاملة المسلمين فيما لهم وعليهم باظهار شهادة اللسان اي بسببه لانا نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر والمراد بحكم الاسلام كل ما كان داخلا في احكام الدنيا اي ما يحكم به لهم وعليهم من احكام الشرع المتعلقة بالائمة اي السلاطين والخلفا لا العلما لانهم ليسوا مامورين باجرائها وحكام المسلمين كالقضاة وغيرهم من النواب وهذا حكم من لم يظهر لنا حاله منهم فان من ظهر حاله يكون كالزنادقة وجه لا يراده تفصا هنا كانوهم ولذا لم يصل النبي صلى الله عليه وسلم على ابن ابي بن سلول وان كنا نصلي عليهم وانما لم يقتله لمصلحة اشار اليها في الحديث الاتي بقوله لئلا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه فكان هذا من خصائصه في ابتدا الاسلام ثم انتهى بانتها سببه ولذا دفع عمر رضي الله عنه حكم المولفة قلوبهم وهذا من عطف العام على الخاص ثم زادهم شانا بقوله الذين احكامهم جارية ومبنية على الظواهر من احوال الناس كلهم بما اظهروه من علامة الاسلام اي ان احكام الدنيا جارية عليهم بسبب اظهارهم الاسلام بانقيادهم له والتزامهم احكامه ظاهرا وان لم يعتقدوها بقلوبهم وفي نسخة علامات وافرادها اشارة الى انهم ليسوا مسلمين حقيقة وانما عليهم علامة اذ لم يجعل بفتحا المجهول اي يجعل الله للبشر اي الناس كلهم سبيل اي طريق الى السرائر جمع سريرة وهي ما في القلب مما لم يطلع عليه فلم يكلفهم بمعرفته واجرا حكمه ولا امروا بالصيغة المجهولة بالبحث اي التفحص والتفتيش عنها اي عن السرائر ثم في تكاد بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها اي الحكم على السرائر وعبر بالتحكم لما فيه من التكلف او لانه ليس بحكم كما يقال تحكم الرجل لمن لا حكم له فقال صلى الله عليه وسلم لاسامة بن زيد في حديث صحيح رواه البخاري لما اضطر بعض الكفار قاسم فقتله اسامة لاعتقاده ان اسلامه بلسانه خوفا من القتل فقال له اقتلته بعد ان اسلم هلا شققت عن قلبه وهلا اداة تحضيض اذا دخلت على المستقبل افادت الامر واذا دخلت على الماضي افادت الانكار والتوبيخ وشق متعد بنفسه وعداه بعن لتضمينه معنى التفتيش اي شققت قلبه لتفتش عما فيه من الاعتقاد وتعلم انه ما قاله خوفا ام لا وهو كناية عن استحالة الوقوف عليه لانه تحقيقه لا يدري ما فيه والذم فيه ظاهر لما فيه من التوبيخ على ما لا يليق به وكان عليه ان يخبره حتى يعلم هل هو مخلص ام لا لكن لما راه لم يسلم حتى رفع السيف لقتله ظنه ايمان باس لا ينفعه كما ل العزعزة فهو متاول لا يتهم بالخطا في قتله والحديث كما في الصحيحين عنه بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحرقة من جهينة فهزمناهم ولحقت انا ورجل من الانصار رجلا منهم فلما غشيناه قال لا اله الا الله فكف عنه الانصاري وطعنته برمحي حتى قتلته فلما قدمنا بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي يا اسامة اقتلته بعد ما قال لا اله الا الله قلت يا رسول الله انما كان متعوذا فقال اقتلته

بعد

بعد ما قال لا اله الا الله ولم يزل يكررها وقال هلا شققت عن قلبه فكيف تصنع بلا اله الا الله اذا جاءت يوم القيمة فقلت استغفر لي يا رسول الله فقال كيف تصنع بلا اله الا الله الخ فلم يقبل عذره وفيه تنبيه وموعظة وزجر والرجل المقتول اسمه مرداس الفزاري والفدكي وبما ذكرناه علم ان اسامة رضي الله عنه متاول في قتله ولم يسمع منه كلمة الشهادة بتمامها حتى يحكم باسلامه وانما لامه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعجلته وعدم تثبته وانما كان يجب عليه ان يخبره فلم يقتله وهو مسلم شرعا كما لا يخفى فقول الداودي انه لم يلزمه الدية لقتله لمسلم خطا وانما سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذكرها لعلمه لعلم السامع بذلك او لانه كان قبل نزول اية الدية والكفارة وقول القرطبي انه لا يلزم من السكوت عدم الوقوع وقول غيره انه يحتمل انه لم يجب عليه شي لانه ماذون له في اصل القتل فهو كالطبيب والخاتن او لم يكن له وارث مسلم ولا ولي واسامة رضي الله عنه ارث بحديث لا حاجة اليه اقول اذا لم يكن له وارث ديته لبيت المال ولا يصح عفو الامام عنه عندنا وان رجح السبكي في فتاويه جوازه لمصلحة ولا دليل في الحديث له لعدم معرفته ولانه يستحق من بيت المال فتقبله الدية لا يكون عفوا والفرق بين القول اي مجرد التلفظ بالشهادة بلسانه والعقد اي التصديق بقلبه واعتقادا جازما به ما جعل مصدريه اي جعله في حديث جبريل الذي تقدم في سواله عن الاسلام والايمان الشهادة اي التلفظ بها ركنا من الاسلام لما قال في جوابه ان تشهد الخ وجعل التصديق من الايمان اي الاعتقاد بالقلب وهذا بنا على تغاير الاسلام والايمان وفيه اشارة الى تفسير تؤمن في قوله ان تؤمن بالله الخ وبقيت حالتان اخريان بين هذين اي الاقرار بلسانه والتصديق بجنانه اي الجمع بينهما احداها ان يصدق المكلف بقلبه ثم يخترم بالمعجمة والمثناة الفوقية والراء المهملة مبني للمجهول يقال اخترمته المنية والموت اذا اتاه بغتة بسرعة واصل معنى الخرم القطع وتغير بين المتصل فقيل له ذلك لقطعه للحياة كما اشار اليه بقوله قبل اتساع وقت الشهادة اي التلفظ والنطق بها هو لضيق الزمن فهذه حالة بين الحالتين السابقتين وهما الاقرار باللسان والتصديق بقلبه الموافق له وهو مومن بالاتفاق والثانية الاقرار باللسان وقلبه غير مصدق وهو منافق بالاتفاق وحكمه ما مر وهذه حالة بينهما فاختلف فيه اي في من هذه حاله امومن هو ام لا فشرط بعضهم اي قال انه من تمام الايمان القول والشهادة به باللسان فلا يكون هذا مومنا عنده لعدم تمام ايمانه وفقد شرطه عنده وعند بعضهم ان الشهادة جزء من الايمان وركن لا شرط فعرفه بانه اقرار باللسان وتصديق بالجنان وهو المشهور عند الاشاعرة فلا ايمان الا بها الا عند العجز عن النطق ورآه اي من الراي بعضهم فقال من اعتقد بقلبه واخترم قبل تمكنه من النطق مومن كامل فيكون مومنا حقيقة مستوجبا اي مستحقا للجنة ودخولها لعذره بعدم تمكنه ولقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان يخرج روي بالبنا للفاعل والمفعول من النار من كان في قلبه اي اعتقاده مثقال ذرة اي وزنها ومقدارها في الثقل والذرة

٧ من ايمانه

بالجملة صفات النقص والهيا وهو كناية عن غاية القلة وان كان عند الله عظيما وهو بعض
من حديث في الصحيحين ولم يقل يدخل الجنة ابتدا لان المراد به العصاة المعذبون
بسبب اخر او بترك الشهادة فيكون عاصيا بذلك والظاهر الاول ولذا بينته
وبينا الاستدلال به بقوله فلم يذكر في الحديث شيا سوى ما في القلب من ايمان
بمقدار ذرة وهذا المصدق بقلبه دون لسانه لعدم تمكنه من النطق مومن بقلبه
فينفعه ايمانه عند الله لانه غير عاص اى تارك لما يلزمه ولا مفرط بتشديد الرا
المهملة اى مقصر عمدا بترك غيره وهو التلفظ بالشهادة وهذا الراى الذى يراه
بعضهم هو الصحيح في هذا الوجه اى الحالة المعبر عنها بعدم تمكنه ولهذا وان
صححه المتكلمون الا انه قيل ان ما استدل به المصنف لا يثبت ما ادعاه لان هذا في عصاة
امته الذين ثبت ايمانهم ويدل عليه ما في الصحيح عن انس انه صلى الله عليه وسلم قال
يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ثم ان ذكر الوزن
في الايمان وهو من المعاني لانه كما قال الكرماني شبه بالجسم فاضيف اليه ما هو من
لوازمه وهو الوزن فهو استعارة بالكناية الثانية اى الحالة الثانية من هاتين
الحالتين ان يصدق بقلبه ويعتقد اعتقادا جازما ويطول بضم التحتية وفتح
الطا المهملة وتشديد الواو المكسورة مهلة بميم وها مفتوحتين مفعول يطول ويجوز
تسكين هايه مع فتح ميمه وضمها وهي التؤدة والثاني قريب به لازمه وهو طول الزمان له
والمراد زمان سكوته وعدم نطقه بالشهادة وعلم ما يلزمه من الشهادة والنطق بها
وهذه جملة حالية بتقدير قد اى سكت زمانا طويلا مع علمه بلزوم النطق والاعتراف
بما صدق به قلبه فلم ينطق بها اى بالشهادة جملة منصوب على الحالية والمراد به مجموعها
بان لم يومن بالله وملايكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره او اجمالها بان لا يفصل
الملايكة والكتب ونحوها ولا استشهد في عمره ومدة حياته اى اتى بالشهادة وفي نسخة
يشهد ولا مرة اى مرة واحدة فهذا اختلف فيه ايضا كما اختلف في الذى قبله وهو
في الاصل مصدر اض اذا رجع وشاع في التثنية وفي نصبه كلام مشهور فقيل هو مومن
لانه مصدق وحقيقة الايمان هو التصديق القلبي وقد اتصف به فيكفيه والشهادة
من جملة الاعمال الزايدة على حقيقة الايمان وان كانت لازمة شرعا فهو عاص بتركها
كمرتكب الكباير غيرها فهو غير مخلد في النار عند اهل السنة القايلين بان اصحاب
الكباير غير مخلدين وقيل ليس بمومن لان الشهادة شرط فيه او شطر حتى يقارن
عقده اى اعتقاد قلبه وجزمه شهادة اللسان اى التلفظ بها مطابقة لما في قلبه
اذ الشهادة انشا عقد عند الاصوليين لانها عندهم انشا تتضمن الاخبار بالمشهود
به لا اخبار وعزى الثاني اى انه خبر لابي حنيفة وانكره السروجي وقال لا نعرفه وانما
هو انشا عندنا ايضا ونظر فيه بانهم عرفوها بانها اخبار بحق للغير على اخر وقد يقال
انه يجب ظاهرهم لانه خبر لفظا اريد به الانشا كقوله والمطلقات يتربصن بانفسهن تعالى
ومن ابهم مراده قال انشا وهو معنى ابتدايه والتزام ايمان اى التزام لاحكامه

وهي

وهي اى الشهادة مرتبطة اى ملازمة متصلة مع العقد الجناني لا تنفك عنه فلا
يكتفى باحدهما ولا يتم التصديق ويكتفى به مع المهلة اى تاخير النطق زمانا طويلا
من غير مانع الا بها اى بالشهادة والنطق بها وهذا القول هو الصحيح من انه
ليس بمومن لعدم مقارنة الاعتقاد للاقرار مع التمكن منه ومن يقول ان التصديق
فقط يقول انه مومن وان لم يقر بلسانه وان لم يجر عليه احكام الايمان في الدنيا فهو
ينفعه في الاخرة والاصح انه لا بد منه في الاعتداد به في الدنيا والاخرة وهو شرط
او شطر ثم اتفقوا على انه يلزم المصدق ان يعتقد انه متى طولب به اتى به فانه ان
طولب به فلم يقر فهو كفر عناد وهذا نبذ بفتح النون وسكون الموحدة وذال معجمة
وهو الشى اليسير واصله الرمى والطرح فكانه لقلته مما يطرح وفي نسخة هذه نُبَذ
بضم النون وفتح الموحدة جمع نبذة بوزن غرفة ونقل انه بضم فسكون والمفرد فيما يشاء دبحى
تفضي الى متسع من الكلام تفضي بضم المثناة الفوقية وسكون الفا وكسر الضاد المعجمة
فيليها ساكنة مضارع افضى بمعنى اوصل واصل معناه الايصال الى الفضا والمتسع بزنة اسم
المفعول وهو مصدر ميمي او اسم يعني انها تحتاج الى بسط وانتشار لكثرة مباحثه وما
للعلما فيه من القيل والقال في الاسلام والايمان اى فيما يتعلق بهما وابوابها المعقودة
لتفصيلها وفي الزيادة فيهما والنقصان فيهما والكلام في انهما يقبلان زيادة ونقصا
وفيه اختلاف مشهور وهل التجزى بالزيادة والنقص فيهما ممتنع على مجرد التصديق
فهو في نفسه من غير نظر لما ينضم له من الاقرار والاعمال لا يقبلهما فانه كما قيل انها
مجرد التصديق وهو لا يزيد ولا ينقص وقيل انه يقبل والاعتقاد فعلى هذا يقبل التجزى
وقوله لا يصح فيه اى في التصديق تجزى بزيادة ونقص جملة اى مجموعه والاجمال منه لا
يقبل التجزى وانما يرجع تجزيه والزيادة فيه الى ما زاد عليه اى ما زاد على التصديق
من عمل ونحوه فانه قد يزيد وقد ينقص فقد لا يكون كمن اسلم ثم مات فانه لم يات بشى من
الاعمال الصالحة وقد يعرض فيه اى قد يطرو على التصديق نفسه زيادة ونقص ولكن
فانه من الكيفيات النفسانية وهي تتفاوت قوة وضعفا فان العلم بطلوع الشمس وان الواحد
نصف الاثنين ليس كالعلم بحدوث العالم ولا شك في ان ايمان ابى بكر رضي الله عنه ليس
كايمان غيره وقال التمتنى في الصحاح عرض له كذا يعرض اى ظهر وعرضت العود على الانا
اعرضه واعرضه هذه وحدها بالضم وعرضت له الغول بالكسر لاختلاف صفاته
قوة وضعفا وتباين اى بعد وافتراق حالاته بعضها عن بعض من قوة يقين بيان
للصفات والحالات وتصميم اعتقاد اى الجزم به بحيث لا يقبل السلب لشدة هذه وقوة
ادلته ووضوح معرفة اى ظهورها كمن شاهده صلى الله عليه وسلم وعاين معجزاته ودوام
حالة اى استمرار التصديق واستبداده فانه زيادة فيه وحضور قلب اى حضور التصديق
به حتى لا يغفل عنه قلبه المطمين وفي بسط هذا اى بسط الكلام فيما ذكر وذكر تفاصيله
وتحقيق ادلته مع ما لها وعليها خروج عن غرض التاليف اى المقصود منه وهو بيان علو
مقامه صلى الله عليه وسلم وما يجب له وهذا يكفي فيه الاجمال وقطع النظر عن الاستدلال

وفيما ذكرناه غنية بضم الغين المعجمة وتون ساكنة وبالمثناة تحتية مفتوحة اى كفاية مغنية عن غيره ان شاء الله فيما قصدناه في هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وهذا الذى ذكره المصنف مذهب المحققين الاظهر المختار ان التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الادلة ولاشك فى ان ايمان الصديقين اقوى من ايمان غيرهم

فصل

واما وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم بامتثال اوامره واجتناب نواهيه فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جاء به من الله وقد علم هذا مما تقدم فى اول الباب وجبت طاعته لان من صدقه واخبره بما يلزمه يلزمه اتباع امره ونهيه فلو خالفه من غير انكار منه كان عاصيا بترك ما يجب عليه لان ذلك اى وجوب طاعته مما اتى به عن الله بوجيه كما يدل عليه ما قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله قدم طاعة الله تمهيدا لوجوب طاعة رسوله واشارة الى ان طاعة الله تعالى بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وهما شى واحد فلذا افرد الضمير فى قوله ولا تولوا عنه وهو قياس منطقى تقديره وجوب طاعته بما اتى به من عند الله وكلما اتى به من عند الله يجب الايمان به فيجب طاعته وشركه بينهما فى صيغة الامر لما ذكرناه وقال تعالى قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول قال القاضى امره الله ان يبلغ المومنين ما خاطبهم به مبالغة فى تبكيتهم يعنى ان هذه الاية نزلت فى بشر المنافق لما دعى خصما له يهوديا الى كعب بن الاشرف ودعاه خصمه الى الرسول الله صلى الله عليه وسلم الاتى بيانه ولا ينافى هذا ان الكلام فى وجوب طاعته على المومنين لان العبرة بعموم اللفظ دون خصوص السبب وقال تعالى واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون الترجى بلعل وعسى على لسان العباد للاشارة الى عزة المطلوب وان العبد دايما بين الرجا والخوف وقال تعالى وان تطيعوه تهتدوا فجعل هدايتهم متوقفة على طاعته والهداية للحق والايمان وغيره امر لازم لهم وقال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله فجعل طاعته هى طاعة الله لانه لا يامر الا بامره ولا ينهى الا بنهيه ولذا اورده بقوله وقال تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا هذا محمول على العموم فى جميع اوامره ونواهيه لانه لا يامر الا بصلاح ولا ينهى الا عن فساد وان كانت الاية نزلت فى الفى والغنايم كما يدل عليه قوله وما اتاكم الرسول فخذوه اذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فلا يتوهم كما تقرر انها غير مناسبة لما هو بصدده وقال ومن يطع الله والرسول فاولئك المطيعون مع الذين انعم الله عليهم الاية من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين وسيانى ان هذه الاية نزلت فى ابن عبد ربه الانصارى حين قال للنبى صلى الله عليه وسلم اذا مت كنت فى عليين فلا اراك وذكر شدة حزنه لذلك فنزلت فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم دعى الله ان يعمى بصره حتى لا يرى غيره بعده مكانه وهو الذى راى رويا الاذان وقيل نزلت فى ثوبان مولاه صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب لرسول الله لا يصبر عن رويته فجزن حتى تغير لونه فساله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال يا رسول الله غير انى لا اصبر عنك فذكرت الاخرة وانى لا اراك ثمة لرفعة مقامك وهبوط منزلتى والمراد بالمعية سهولة الاجتماع والتزاور بينهم فى الجنة وان تفاوتت مراتبهم وحصل لهم فيها وقال تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع

باذن الله الاذن مجاز عن ارادة التسهيل والتوفيق او هو نفس التسهيل والتوفيق اى الا ليطيعه من بعثه ويرضى بحكمه فمن لم يرض به لم يرض رسالته فهو تارك لما يجب عليه كافر وقيل انه بمعنى امره وقال القاضى كانه اى الله احتج بذلك على ان الذى لم يرض بحكمه وان اظهر الاسلام كافر مستوجب القتل انتهى وقيل فى توجيهه انه لم يرض بحكمه لم يرض بحكم الله ومن لم يرض بحكم الله كافر ولذا لما تخاصم المنافق واليهودى وطلب اليهودى حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان محقا يعلم حكم رسول الله له فابى المنافق وطلب ان يتحاكما عند كعب بن الاشرف وابى اليهودى واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم له فلم يقبل المنافق فاتيا ابا بكر رضى الله عنه فحكم بما حكم به رسول الله فلم يرض فاتيا عمر وذكر له اليهودى ما وقع فقال رويدكما ودخل بيته وخرج بسيفه وضرب به المنافق فقتله وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكره فجعل طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم طاعته فهما شى واحد لانه لا يامر الا بامره ولا ينهى الا بنهيه بنص قوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وقرن طاعته بطاعته فى القران كما فى قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول وفيه من تعظيمه ووجوب طاعته ما لا يخفى ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد على مخالفته بسوء العقاب الجزيل بمعنى العظيم او الكثير وعبر فى جانب الثواب بالوعد وفى جانب العقاب بالايعاد والوعيد لما اشتهر من الفرق بينهما فى اصل الاستعمال كما قال الشاعر

وانى وان اوعدته او وعدته ٭ لمخلف ايعادى ومنجز موعدى ٭

وقد يستعمل كل منهما فى مكان الاخر لنكتة وتقدم الكلام على ذلك مبسوطا فى خطبة الكتاب وسوء العقاب بمعنى العقاب السىء وهو ظاهر واوجب الله تعالى امتثال امره بالاتيان بما امر به واجتناب نهيه بترك ما نهاه عنه فقال وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا كما تقدم بيانه وقال المفسرون فى تفاسيرهم والايمة اى ايمة الدين من الفقها والمحدثين طاعة الرسول التى امرنا الله بها فى القران متحققة ومتبينة فى التزام سنته اى المداومة على سلوك طريقته فالسنة معناها اللغوى فيعمل ما عمله ويترك ما تركه والتسليم اى الانقياد والمتابعة له لما جاء به من شريعة الموحى اليه الذى اخبرنا به وتصديقه فيما اخبر به من غير تحكيم العقل وقالوا ايضا ما ارسل الله من رسول من زايدة فى النفى لتاكيد العموم الا فرض طاعته اى جعلها فرضا محتما يثاب فاعله ويعاقب تاركه على من ارسله اليه لتبليغ شرعه والضمير لمن باعتبار لفظه وقالوا اى المفسرون والايمة من يطع الرسول فى سنته بتون مشددة وبالمثناة فوقية اى فى طريقته وشريعته من امر ونهى وسنة وفرض وليس المراد بها ما يقابل الفرض كما يوهمه قوله يطع الله فى فرايضه جمع فريضة بمعنى الفرض وفى بعض النسخ سننه بنونين جمع سنة ويحتمل ان تفسر السنة والسنن بمعنى ما يقابل الفرض لان من اتبع الرسول فيما سنه من غير ايجاب عليه كان متبعا له فى فرايض الله بالطريق الاولى والمراد ان طاعة الله وما جاء به بمعنى طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم لا ينفصل احدهما عن الاخر وفى الام للشافعى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا الفين احدكم متكيا على اريكته ياتيه ما امرنا ونهيت فيقول لا ادرى ما وجدنا

في كتاب الله عملنا به وسبيلنا في بيان الفاظه عند ذكر المصنف لها من غير تعرض لاعرابها فهذا
بيان لان العمل بسنة رسول الله عمل بكتاب الله وهو معنى ما تلوه هنا وسئل سهل بن
عبد الله التستري الامام الزاهد المشهور عن شرائع الاسلام اي ما المقصود منها والمراد
فقال سهل في الجواب وما آتاكم الرسول فخذوه اي تمسكوا به وقال الامام ابو
الليث الفقيه المشهور السمرقندي في قوله في طاعة الله ورسوله ان معناه اطيعوا
الله في فرائضه اي فيما فرضه عليكم في كتابه الكريم والرسول في سنته اي ما سنه وشرعه
لنا وقيل في معنى اطيعوا الله واطيعوا الرسول اطيعوا الله فيما حرم عليكم باجتناب
جميع محرماته وكان الظاهر ان يقال فيما اوجبه وحرمه وعبر بما ذكر لان اتباع الرسول بقوله
والرسول اي واطيعوا الرسول فيما بلغكم عن الله من اوامره ونواهيه مخلصا في ذلك
لانه مامور بتبليغه وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقيل في معناه اطيعوا الله
بالشهادة اي الاقرار والاعتراف له بالربوبية اي انه رب خالق مالك لجميع الموجودات متفرد
بالملك والربوبية والنبي بالنصب اي واطيعوا النبي صلى الله عليه وسلم بالشهادة له بالنبوة المراد
بالنبي هنا محمد صلى الله عليه وسلم فال للعهد وهو الفرد الكامل لكنها عند الاطلاق تدل
حينئذ على رسالته وانه رسول وان قلنا النبي اعم من الرسول بناء على المشهور فلا حاجة لما
قيل ان المراد النبوة المقترنة بالرسالة وان كان ينبغي له الجمع بينهما لاظهار النعمة بهما عليه وتعظيما
لمنته لديه والعدول عن الظاهر قلنا ان النبوة افضل ظاهر لا لرعاية السجع كما قيل
حدثنا ابو محمد بن عتاب رحمه الله تعالى عليه وهو حديث رواه الشيخان ومحمد بن عتاب تقدمت
ترجمته قال حدثنا حاتم بن محمد المعروف بابن الطرابلسي كما تقدم قال حدثنا ابو
الحسن علي بن محمد بن خلف الحافظ القابسي كما تقدم قال حدثنا محمد بن احمد وهو
ابو زيد المروزي كما تقدم قال حدثنا محمد بن يوسف الفربري راوي صحيح البخاري كما
تقدم قال حدثنا البخاري قال حدثنا عبدان يعني عبد الله بن عثمان بن جبلة بفتح
الجيم والموحدة ابن ابي رواد الحافظ المروزي الثقة توفي سنة احدى وعشرين ومائتين
قال اخبرنا عبد الله بن المبارك المروزي قال حدثنا يونس بن يزيد الايلي الامام
الثقة توفي سنة تسع وخمسين ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة عن الزهري محمد
ابن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري الامام المشهور كما تقدم مرارا قال اخبرني ابو
سلمة بن عبد الرحمن احد فقهاء المدينة السبعة على قول الاكثر واسمه عبد الله واسماعيل
انه سمع ابا هريرة يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطاعني فقد
اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله لانه لا يامر الا بما امر الله به ولا ينهى الا عما نهى
الله عنه فمن امتثل امره واجتنب نهيه امتثل امر الله ونهيه وان الله عز وجل امر بطاعة
رسوله وامره ونهيه فمن امتثل امره ونهيه اطاع الله في امره ونهيه بطاعته كما تقدم
ومن اطاع اميري اي من جعله هو او خلفاؤه حاكما على امته فقد اطاعني لان طاعته
طاعة من امره لانه مبلغ عنه ومن عصى اميري فقد عصاني قيل ان قريشا ومن يليهم من
العرب كانوا لا يعرفون الامارة وانما كانوا يطيعون رؤساء قبائلهم فلما ظهر الاسلام وولي

عليهم

عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الامراء انكروا ذلك ولم يطيعوا الامراء فقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذلك اعلاما لهم بانه يلزمهم طاعة امرائه وتوقيرهم والاقتداء بهم في اقوالهم
وافعالهم وروى مسلم الامير بالالف واللام وطاعة الرسول اي رسول الله صلى الله عليه
وسلم من طاعة الله المرسل له اذ الله امر بطاعته لان الله امر جميع الناس باتباعه فيما
جاء به من الله وطاعته اي الرسول ورسوله امتثال لما امر الله به في قوله اطيعوا الرسول
وطاعته له اي لله لانه امرهم اجمالا بطاعته فطاعته طاعة لربه لانا نطيعه لامرنا بطاعته
في امره ونواهيه ومعاملاتنا بما امره الله بتبليغه وما ينطق عن الهوى ويدخل فيه ما كان
باجتهاده لانه امر بالاجتهاد على الاصح وهذا ابسط لما قدمه وايضاح له ولا تكرار فيه كما قيل
وقد حكى الله عن الكفار ما سيقولونه اي ذكر في القرآن اخبارا عنهم بما سيكون وهذه
العبارة مأثورة عن السلف من غير انكار لها الا ان العارف بالله ابن عباد العربي قال
انه ليس بصواب لان كلام الله صفة قديمة فلا يقال حكى الله في كلامه عن كذا لان الحكاية
متاخرة عن المحكي وانما يقال اخبر الله ونحوه انتهى وهذا لا وجه له لانه تعالى قال نقص
عليك القصص والحكاية بمعنى وما احتج به لا حجة له فيه فانه وارد على الاخبار بعينه من
يتضرعون في دركات جهنم اي مواطن الاسفل فيها يوم تقلب وجوههم في النار اي تصرف
من جهة الى اخرى لاضطرابهم في تقطعهم تنقلب في قعر جهنم او تقلبها تغيرها عن حالها وذهابها
او تبدل الوانها وخص الوجه لانه اشرف الاعضاء واظهرها والمراد به الجملة يقولون يا
ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول لتمنيهم ما كانوا فيه لندمهم حيث لا ينفعهم الندم فتمنوا طاعته
صلى الله عليه وسلم حيث لا ينفعهم التمني اي في زمان او مكان لا ينفعهم تمنيهم فيه والتمني طلب
ما لا يمكن حصوله وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان اذا نهيتكم عن شيء
محرم او مكروه فاجتنبوه اي اتركوه كانه طرح في جانب منكم واذا امرتكم بامر اي
مامور به ايجابا او ندبا فأتوا منه ما استطعتم اي قدرتم عليه من غير ترك للواجب بغير
عذر وارد هذا الحديث دعوني ما تركتكم انما اهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على
انبيائهم فاذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه الخ وسببه انه صلى الله عليه وسلم قال في خطبة ان
الله فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل اكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال لو
قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ثم قال دعوني الحديث وزاد الدارقطني فنزلت يا ايها الذين
امنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وروي ذلك عن ابن عباس في التفسير وشيء عام
خص منه ما كره عليه المكلف ويدخل فيه هل الاكراه على المعصية يبيحها او هو باق على حرمتها
ولا يأثم مرتكبها وهو مبني على الخلاف في ان المكره مكلف ام لا ومعنى فأتوا منه ما استطعتم
افعلوا على قدر استطاعتكم قال النووي وهذا الحديث من جوامع الكلم وقواعد الاسلام
يدخل فيه كثير من الاحكام كمن عجز عن ركن من اركان الصلاة او شرط من شروطها ياتي
بمقدوره ولا يسقط عنه مقدوره ولذا قال الفقهاء الميسور لا يسقط بالمعسور وفي الحديث
اشارة الى اعتناء الشارع بالمنهيات للاطلاق في الاجتناب ولو مع مشقة الترك وتقييد المامورات
بالاستطاعة والطاقة كما قاله احمد بن حنبل فان قيل الاستطاعة معتبرة في النهي فلا يكلف

استطعتم الا وسعها قلت قال ابن حجر الاستطاعة لا تدل على المدعى وهو الاعتنا بل
هو جهة الكف وكل احد قادر عليه لولا داعية الشهوة فكل احد قادر على الترك بخلاف العمل
فان العجز عنه محسوس فلذا قيد الامر بالاستطاعة دون النهي وقال الماوردي الكف عن
المعاصي ترك وهو سهل وعمل الطاعة فعل وهو شاق فلذا لم يبح ارتكاب المعاصي مع
العذر وابيح ترك العمل بالعذر وقال بعضهم في قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم انه
يتناول امتثال المامور واجتناب المنهي وقيد الامر بالاستطاعة لكثرته فان العجز في
النهي محصور في الاضطرار بقوله الا ما اضطررتم اليه وقيل ان اتقوا الله ما استطعتم
منسوخ بقوله اتقوا الله حق تقاته والصحيح انه غير منسوخ والمراد بحق تقاته امتثال
امره واجتناب نهيه مع القدرة دون العجز عنه وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه
الذي رواه الحاكم كل امتي يعني امة الاجابة يدخلون الجنة الضمير لكل باعتبار معناه
ويجوز افراده باعتبار لفظه ولفظ الحاكم كلكم يدخل الجنة والخطاب حينئذ ايضا
للامة ايضا وقيل انه لم ير ولبعض اللفظ والسيوطي في تخريجه سكت عنه لنكتة الا من
ابى اي امتنع قبوله بقوله قالوا يا رسول الله ومن يابى فهم منه انه ابى دخول الجنة
ولا يابى احد لانه روى كما في النهاية وغيره قال صلى الله عليه وسلم مجيبا لهم من اطاعني
وانقاد ممتثلا لامري ومجتنبا لنهيي دخل الجنة وفاز بنعيمها ومن عصاني وخالفني
فقد ابى اي امتنع من دخول الجنة لانه بسبب تركه للطاعة باختياره كانه دعي الى الجنة
فامتنع واعلم انه اريد بالعصاة المذنبين من المؤمنين فهو تمثيل ولا ينافي العفو عنهم
ولا اخراجهم من النار وان اريد الكفار فهو استعارة ايضا والمراد خلودهم في النار قال
العلماء في تعدد قوله الا في ابى اي امتنع قوله وتعلا ولم يقل تحنا فلعله امة الدعوة اي كلهم الا
من ابى وهم الكفار فيدخلون الجنة ويحتمل ان يراد بالامة امة الاجابة فالآبي هو العاصي
منهم فاستثناهم تغليظا عليهم وزجرا لهم عن المعاصي وزاد في الجواب نفقد ابى توضيحا
لبيان الصنفين والتعبير من اطاعني وتسند الكتاب والسنة دخل الجنة ومن اتبع
هواه ضل عن سواء السبيل ودخل النار انتهى وفي الحديث الآخر عرفه اشار الى انه
معلوم مشهور لانه رواه البخاري في كتابه ولذا وصفه بقوله الصحيح عنه عليه الصلاة
والسلام مثلي ومثل ما بعثني الله به ضرب للناس مثلا فيما جاءهم به مما يورث الفوز
بخير الدارين وانتظام امر المعاش والمعاد والمثل بفتحتين كالمثل والمثيل في الاصل
بمعنى النظير كشبه وشبه وشبيه ثم نقل الى القول السائر الممثل مضربه بمورده والتزم ان يكون
امرا عجيبا غريبا ثم نقل لكل حالة وقصة او صفة والذي في البخاري مثل ما بعثني الله
وليس فيه به فقال ابن حجر انه مقدر وما موصولة وقيل مصدرية وحينئذ فالعائد المجرور
جر الموصول بمثله لفظا او معنى وان لم يتحد متعلقهما فما مصدرية لا عائد لها اوقال ما
ذكره البخاري انما هو لجوازه قياسا مطردا لا لعدم صحته فيما سمع منه وانتفاء المقام
وذكر المصنف له ان كان لرواية وقفت له فظاهر او لبيان انه مقدر فيه فهو رواية
بالمعنى بدليل على ما قاله ابن حجر والمعنى عليه وفيما ذكره تكلف لا يخفى كمثل رجل اتى

فوما

قوما بجند رهم وبين ايديهم بجيوشهم الذي قرب مجيئه لهلاكهم فقال يا قوم اني رايت
الجيش هو جمع لتيسيرون سائرون للمحاربة والقتال بعيني هو مفرد مكسور النون مضاف
لياء المتكلم المخففة او بفتحها وباسناد ده مفتوحة مثنى وهو لتاكيد الرؤية وتحقيق انها
رؤية حقيقية بصرية ضرورية حسية واني انا النذير اي المنذر المعلم بما يحذر قبل
وقوعه العريان اي المجرد من ثيابه المكشوف جميع بدنه وهو مثل تمثل به صلى الله عليه وسلم
والمراد به المبالغة في الانذار ووضوح ما انذر به وعدم احتمال خلافه واصله ان الرجل
كان اذا راى العدو قرب جدا وبينه وبينهم حجاب يمنعهم عن رؤيته وخشي ان يسبق
خبره وقف على مكان عال ونزع عنه ثوبه ورفعه يلوح به اي بادروا الى الحذر والفرار
فقد جاءكم من العدو ما لا تطيقونه واصله كان في رجل معين من خثعم قطع رجل يده
ويد امراته فاتى قومه يحذرهم بمثل ذلك وقيل انما هي امراة وقيل هو عوف بن عامر
اليشكري وامراة من كنانة وقيل امراة من بني عامر وقيل ابرهة الحبشي وقيل انه رجل
سلبه العدو فاتى قومه عريانا لما افلت منهم فتحققوا صدقه وعلى كل حال فهو استعارة
ومن اللطائف ما قاله الامام السهيلي في قوله تعالى يا ايها المدثر قم فانذر ان تعبيره بالمدثر
والمزمل فيه ملاطفة له صلى الله عليه وسلم كانه يقول له انا ارسلناك نذيرا والنذير يكون
عريانا لا ملتحفا بثيابه وهي نكتة سرية فالنجا بالنصب على المصدر بعامل محذوف وقيل
المقام ومعناه الخلاص والفرار اي اطلبوا النجا بسرعة من غير لبث فتاب عن عامله ويمد
وهو ممدود ومقصور بنية الوقف ورواه البخاري النجا النجا بالتكرير بمدهما وقصرهما
ومد الاول وقصر الثاني وهو منصوب على الاغرا اي اطلبوا النجا بالهرب ويجوز رفعه
اي النجا خير لكم فاطاعه طائفة اي جماعة وفرقة من قومه لما اتاهم وقال لهم ما قال له
فادلجوا اي ساروا من اول الليل او سار والليل كله هربا من عدوهم وهو بتخفيف الدال
وتشديدها وقيل المخفف سير اول الليل والمشدد سير اخره والاسم الدلجة بالضم
والفتح وانطلقوا اي ساروا طالبين النجاة من عدوهم على مهلهم اي متمهلين بتؤدة
وتان يعد ذلك او في سيرهم هذا لسعة وقتهم ومهل بفتح الميم مع فتح الهاء وسكونها وبضم
الميم وسكون الهاء كما في مسلم مهلتهم بزيادة تا والكل بمعنى واحد فنجوا بفتح النون مع
الجيم اي سلموا من عدوهم وكذبت طائفة منهم النذير في انذاره بالعدو فاصبحوا اي
مكثوا مكانهم اي في مكانهم الذي كانوا فيه حتى دخلوا في الصباح فاهلكهم واجتاحهم
بجيم ومثناة فوقية والف وحاء مهملة اي اهلكهم جميعا واستاصلهم فلم يبق لهم باقية من
الديار والاموال والجائحة الآفة التي تصيب الثمار فتستاصلها اي تفنيها من اصلها وكل
مصيبة عظيمة فهي جائحة فذلك المذكور والمثل المضروب لكم مثل من اطاعني فنهوا
بمن صدق النذير فنجا واتبع ما جئت به وصدقه وعمل بما امره به مما وجاه الله اليه
فنجا وفاز بالسعادة الابدية واجتنب ما نهاه عنه ومثل من عصاني وكذب ما
جئت به من الحق فهو كمن كذب النذير ومكث مكانه حتى هلك ومن معه وفي شرح المشكاة
للطيبي انه صلى الله عليه وسلم شبه نفسه وانذاره بالعذاب القريب بالرجل الذي انذر قومه

فصبحهم الجيش

عرض بالجيش المصبح وشبه من اطاعه من امته ومن عصاه بمن كذب الرجل ومن صدقه وقيل
عليه انما هو تشبيه تمثيل شبه فيه المجموع وهيئته بالمجموع وهيئته لا تشبيه الاجزاء بالاجزاء
فان الاول ابلغ واحسن انتهى اعادة مثل في الحديث تقتضي ما قاله الطيبي والمال
واحد وابلغية ما ذكره في هذا المقام غير مسلمة لبلاغة الاسجع وقيل انه تشبيه بليغ دكى
استعير فيه المثل للحال والقصة والصفة الغريبة العجيبة وهو وجه وجيه تحقيقه في
شروح الكشاف **وفي الحديث الاخر** الذي رواه الشيخان في مسنده اى تمثيل حاله وصفته
صلى الله عليه وسلم مع امته في دعوته لهم **كمثل** بتخفيفها اى كصفة وقصة **من بنى دارا** عظيمة
اثاثها وفرشها بفرش نفيسة **وجعل فيها مادبة** بميم مفتوحة وهمزة ساكنة ودال
مهملة مثلثة والاشهر الضم فالفتح وبا موحدة وها وهي الاطعمة الكثيرة النفيسة المعدة
لاكرام الضيوف والاصحاب وفي القاموس انها طعام صنع لدعوة او عرس والمشهور
الاول انها عامة لكل دعوة وفي فقه اللغة ان الوكيرة للبناء والعقيقة وفيها والمادبة
للضيف الغريب وهو للزائر تحفة وللاملاك شندخة وللعرس وليمة وللولادة خرس
ولحلق شعر المولود عقيقة وهو في الاصل اسم لنفس الشعر من عقه قطعه وللختان عذيرة
وللمعلل قبل الغدا سلفة ولمستعجل الغدا عجالة وللكرامة نزلة من النزل انتهى والمادبة
من الادب بالضم وهي الطعام **وبعث داعيا** يدعو الناس له والى طعامه **فمن اجاب الداعي**
اى امتثل دعوته وذهب معه **دخل الدار** التي بناها **واكل من** طعام **المادبة** التي اكرم بها **ومن
لم يجب الداعي لدعوته لم يدخل الدار ولم ياكل من المادبة** التي حرم منها فصل التشبيه
وبينه وسكت عن بيان من بنى وهو الذي خلق الجنة وهيا اسباب دخولها لظهوره مما
بعده وهو قوله **فالدار الجنة** التي اعدها الله لمن اختاره من عباده وما فيها مما
فيها من النعيم وما تشتهيه الانفس **والداعي لها محمد** صلى الله عليه وسلم لما بلغهم عن الله
وامرهم به مما يدخلهم جنته ويوصلهم السعادة والنعيم المخلد **فمن اطاع محمدا فقد اطاع
الله** تقدم بيانه **ومن عصى محمدا فقد عصى الله** لان مخالفته مخالفة لامر الله كما مر **ومحمد
فرق بين الناس** فرق بفتح الفا وسكون الرا المهملة وتنوينه مصدر بمعنى فارق بين
المومنين والكافرين بطاعته وعصيانه وروي فرق بصيغة الماضي مشدد الرا المهملة
اى فرق بين مومنهم وكافرهم او بين من دعي للجنة وبين من لم يدع لها وهذا السياق السابق
والمعنى واحد واول هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم كان ذات يوم نائما فجاءه ملائكة وهو نائم
نائم فقال بعضهم لبعض ان العين نائمة والقلب يقظان فقالوا مثله كمثل رجل الخ وفيه
فقالوا اولوها له يفقهها فقالوا الدار الجنة الخ فالممثل الملائكة وكذا المبين له وهذه
رواية غير رواية المصنف وفي رواية ان القائل جبريل وميكائيل ولا يخفى ان ظاهر الحديث
انه تشبيه مركب فقول الكرماني انه ليس المقصود تشبيه المفردات بل هو تشبيه تمثيل مما
لا وجه له **فصل واما وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم وامتثال
سنته** السنة هنا بمعناها اللغوي وهو الطريقة والسيرة بمعنى وهي اقواله وافعاله
وتقريره انه وليس المراد بها ما يقابل الفرض حتى يتوهم منافاتها للوجوب لانه معطوف

على

على اتباعه **والاقتدا بهديه** بهدي بزنة ضرب بمعنى سنته وطريقته الهدى وفي نسخة
والاهتدا بهديه **فقد قال الله تعالى** هو جواب اما اى فقد ثبت ذلك بنص القران
كقوله عز وجل **قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني** اى اتبعوني واتبعوا سنتي واهتدوا بهديي
يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم الاية فسروا محبة الله ورسوله باتباعهما ومحبة الله
بانعامه وتفضله وهذا تفسير له بلازمه المتجوز فان المحبة الحقيقية ميل النفس لما
يستلذه وهو غير متصور هنا ولذا قال الغزالي ان العصيان ينافي اصل المحبة وقال
البيضاوي يحببكم الله يرضى عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم ويقربكم من
جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة والمقابلة
او المشاكلة وليعض الشراح من المتاخرين هنا كلام لا طائل تحته غير التطويل **وقال
تعالى فامنوا بالله ورسوله النبي الامي** والايمان به ونصرته يقتضي اتباعه
وطاعته **الذي يومن بالله وكلماته** التي نزل بها الوحي عليه وما اوحي الى من قبله من
الرسل من الكتب والشرايع وعبر عما ذكر بالكلمات اشارة الى انها بالنسبة لعلمه المحيط بكل
شي وكلامه الذي ينفد مداد البحار في دواة الامكان كالكلمات القليلة وجمع بين النبوة
والرسالة لان المقام مقام مدح واطناب ولانه يجب الايمان بكل من الوصفين وان كان
ذكر الاخص يكفي هنا اعني الرسول وعبر بالظاهر ولم يقل بي لبلاغة الالتفات ولتجرى
عليه الصفات الداعية للايمان به واتباعه وعبر بالرجا في قوله **واتبعوه لعلكم تهتدون**
اى راجين الاهتدا باتباعه تحريضا لهم على اتباعه وايما الى ان من امن به ولم يهتد بما
شرعه لهم لا يخرج من الضلال والرجا بالنسبة للمخاطبين او هو مجاز عن التعليل كما ذهب اليه
بعض النحاة **وقال تعالى فلا وربك لا يومنون** لا مزيدة للتاكيد او نفي لما تقدمها
اى ليس الامر كما يزعمون من انهم امنوا بما انزل اليك وقيل لا الثانية زائدة والقسم
معترض بين حرفي النفي **حتى يحكموك** اى يرجعون لحكمك ويرضون به وهو غاية لعدم
ايمانهم **فيما شجر بينهم** اى فيما وقع بينهم من المخاطرة التشاجر وهو المخاصمة واصل معناه
الاختلاط ومنه الشجر لتداخل اغصانه واختلاطها **الى قوله تسليما** بمعنى قوله ثم لا يجدوا
في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما والحرج ضيق الصدر او الشك وهذه الاية نزلت
في بعض الانصار لما اختصم مع الزبير في ماء يسقى به ارضه وستاتي قصته **اى ينقادون
لحكمك** تفسير لقوله ويسلموا تسليما واكده ليفيد الانقياد ظاهرا وباطنا وفي نسخة
عرض ينقادوا وقيل وهو الظاهر لانه منصوب بحذف النون لا بان قبل ان اى عاطفة
وليس بلازم لانه مفسر للجملة بتمامها لا للمضارع وحده **يقال سلم** بالتشديد **واستسلم**
اى طلب السلامة بانقياده **واسلم اذا انقاد** هذا هو المصرح به في كتب اللغة كما ذكره
الراغب وغيره فما قيل ان المذكور في القاموس ان التسليم الرضى والاستسلام الانقياد
فلو فسر التسليم في الاية بالرضى الاخص كان احسن ليس بشي **وقال تعالى لقد كان لكم
في رسول الله اسوة** بالكسر والضم اى قدوة يقال تاسيت به اى بالاسوة واستنة
لغة فيه وقيل هي الصواب في الخصلة التي يراد الاتصاف بها **حسنة** اى خصلة حسنة

من حقها ان يؤتسى بها اى يقتدى ويجوز ان يراد بالاسوة النبى صلى الله عليه وسلم نفسه
لانه قدوة يحسن التاسى به فى اقواله وافعاله وحسنة نعتها على الاول صفة مؤكدة
ويجوز ان يكون احترازا عما هو من خصائصه صلى الله عليه وسلم فتكون صفة بعده لمن
كان يرجو الله واليوم الآخر اى يرجو ثوابه ولقاءه ونعيم الآخرة او ايامه الآخر
خصوصا مع قوله لمن كان وفى الكشاف ان لمن بدل من لكم قيل والاكثر على انه غير
المخاطب لانه لا يبدل منه فهو صلة او صفة لحسنة قرنت كثرته بالرجاء لان المقصود ملازمة الطاعة
اذ المؤتسى من شأنه ذلك قال محمد بن على الترمذى هو المعروف بالحكيم الترمذى
الصوفى صاحب نوادر الاصول وليس هو صاحب السنن وقد تقدمت ترجمته
الاسوة فى الرسول تعريفه للعهد الخارجى فالمراد به محمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم او هو للعهد الذهنى او الاستغراق فهو اعم اى فى حق رسول من الرسل او كل
رسول الاقتداء به فى اقواله وافعاله كما فى قوله فبهداهم اقتده والاتباع لسنته
اى طريقته وشريعته وترك مخالفته فى قول قاله امرا ونهيا وارشادا او فعل
فعله ليقتدى به فيه لانه ليس من خصائصه صلى الله عليه وسلم وقال غير واحد تقدم
ان معناه ناس كثير من المفسرين معناه اى لو اتى لا بمعنى ما اتى له الترمذى
وقيل معنى الآية المذكورة هو عتاب من الله اى توبيخ ولوم للمتخلفين عنه صلى
الله عليه وسلم ممن لم يخرج معه لمحاربة اعدائه لانهم كان عليهم ان يقتدوا به فى جهاد اعداء
الدين ومقاساة اهوال الحروب وكان ذلك فى غزوة الاحزاب وتبوك حبا للبقاء وارتاحة
وكان عليهم المبادرة لطاعته صلى الله عليه وسلم وبذل انفسهم له لانه سبب سعادتهم وحياتهم
الابدية وفيه دليل على ان ما ذكر على التفاسير ومعنى الظرفية ان ذاتا الاسوة افعاله
واقواله المتبعة طريقه الموصوف لصفة لانها فائتة به لكيان الظروف بظرفه فان قلنا
الاسوة نفسه صلى الله عليه وسلم فهو تجريدى جعل كانه فيه مقتدى به منتزع كقوله لهم
فيها دار الخلد وليست هذه الظرفية كقولهم الا ان فى نفسها تذكر كذا وفى البيضة
عشرون منا من حديد كما قيل وقد اشرنا الى ان الاولى انه انما يجب فيما ليس من خصائصه
كالامور الجبلية فيه فانها لا يمكن ان يكون لغيره وقال سهل بن عبد الله التسترى
وقد تقدمت ترجمته فى قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم يبين ما انعم به على من سلك
الطريق المستقيم قال سهل فى تفسيره انعمت عليهم بمتابعة السنة اى اتباع طريقته
الذى هو الصراط المستقيم الذى يجب اتباعه فامرهم الله تعالى بذلك اى باتباعه
ووعدهم الجزاء عليه اعنى الاهتداء باتباعه اى حصول الهداية التى طلبوها
بقولهم اهدنا الصراط المستقيم فقال واتبعوه لعلكم تهتدون وفيه ايماء الى ان
الترجى من الله وعد ممن لا يخلف الميعاد لان الله ارسله بالهدى اى بما فيه هدايتهم
ودين الحق اى الدين الحق او دين الله ليزكيهم اى يطهرهم من الشرك والمعاصى
ويعلمهم الكتاب اى القرآن والحكمة اى العلوم التى فيها الحكمة والشريعة التى
صيرتهم حكما متقنون للعلم والعمل ويهديهم الى صراط مستقيم بالاسلام وطاعة

عرض

الله

الله ورسوله الموصل لهم للنعيم المقيم ووعدهم محبته تعالى اى محبة الله لهم فالمصدر
مضاف لفاعله فى الآية الاخرى يعنى قوله تعالى ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم
الله ومغفرته بقوله ويغفر لكم ذنوبكم اذا اتبعوه لان جواب الامر فى معنى جواب
الشرط وآثروه بالمد اى قدموه واختاروه من الاثرة على اهوائهم جمع هوى بالقصر
وهو ما تميل اليه النفس وتدعوا اليه وهو اذا اطلق يراد به ما ليس بمحمود من الشهوات
وما تجنح بجيم ونون وحاء مهملة ويجوز فى نونه الفتح والضم والكسر بمعنى تميل واصله
الميل الى احد شقيه ماخوذ من الجناح اليه نفوسهم وضع الظاهر فيه موضع الضمير اذ
المعنى يميلون اليه ويقدمون اتباعه ومحبته على محبة انفسهم واموالهم واولادهم
والناس اجمعين كما ورد فى الحديث واخبرهم بان صحة ايمانهم وانقيادهم له فى
جميع ما امرهم به ونهاهم عنه ورضاهم بحكمه لانه كما صرح فيه بقوله تعالى فلا
وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت
ويسلموا تسليما وترك الاعتراض عليه فيما حكم به ومخالفته ومعارضته وعدم
رضاه كما تقدم فى قصة الانصارى مع الزبير وروى عن الحسن البصرى رحمه
الله والراوى له ابن المنذر فى تفسيره ويحتمل انه الحسن بن على رضى الله عنهما ان
اقواما قالوا يا رسول الله انا نحب الله اى نميل اليه انفسنا ونخصه بالعبادة
والرغبة لما رغبنا فيه فانزل الله مبينا لهم محبتهم والمراد منها منقول قل ان كنتم تحبون
الله الآية اى فاتبعونى يحببكم الله يعنى ان محبته تعالى انما تتحقق بطاعة الله وطاعة
وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن احب الله احب الله كما قيل ما جزى من يحب الا
بحب وروى فى سبب نزول هذه الآية ان الآية نزلت فى كعب بن الاشرف وهو رجل
من عظماء اليهود من بنى النضير وامه من طى وقتل كافرا بعد ربيئة اشهر كما تقدم
وقصته مشهورة مفصلة فى السير وغيره من اليهود اتباعه وانهم اى ابن الاشرف
واتباعه قالوا نحن ابناء الله واحباؤه ونحن اشد حبا لله وهذا مما حكاه الله عنهم
فى قوله وقالت اليهود والنصارى الخ وكانوا اتوه صلى الله عليه وسلم فانذرهم وخوفهم من
عذاب الله فقالوا لولا تخوفنا يا محمد نحن ابناء الله الخ فقال لهم معاذ بن جبل وسعد
ابن عبادة وعقبة بن وهب يا معشر اليهود اتقوا الله فانكم تعلمون انه رسول الله وكنتم
تذكرونه قبل مبعثه فقالوا لو ما قلنا هذا وما انزل الله بعد موسى كتابا ولا بعث رسولا
ومعنى قول النصارى نحن ابناء الله انهم اتباع عيسى صلى الله عليه وسلم الذى زعموا انه ابن
الله ومعنى قول اليهود ذلك انهم اتباع عزير الذى زعموا انه ابن الله وقيل تقديره ابناء رسل
الله فانزل الله الآية جوابا لهم بقوله قل فلم يعذبكم الآية وقال الزجاج فى تفسير
هذه الآية معناه ان كنتم تحبون الله ان تقصدوا طاعته اذ لا يصح تفسير المحبة
فيها بما تعارفه الناس وفى نسخة ان تقصد والمراد تفسير محبة العبد فافعلوا ما
امركم الله به لانها نصيحة اى اتبعونى فافعلوا الخ اذ محبة العبد لله والرسول
اى رسوله صلى الله عليه وسلم فاللام عوض عن المضاف طاعته لهما باتباع امرهما

وغيرهما ورضاه بما امرا بان يطيعه ظاهرا وباطنا اذ لو لم يطعه باطنا كان منافقا
ومحبة الله لهم اى لعباده فسر محبة الله بعد تفسير محبة عباده لذكرها فى الاية
عفوه عنهم بمغفرة ذنوبهم وقدمه على قوله وانعامه اى الله عليهم اى على عباده
برحمته اهتماما به والرحمة فى حق الله بمعنى الانعام وارادته فى حقه تعالى
لان معناها الحقيقى لا يصح فى حقه تعالى فالمراد بها هنا لطفه بعباده وارادته بهم
وقيل فى تفسير محبة الله ومحبة عباده له ان معنى الحب من الله عصمته اى
حفظ الله لعبده من مخالفته اسره وطلبه والعصمة بمعنى مطلق الحفظ لا تختص بالنبى
صلى الله عليه وسلم فتكون لغيره ويجوز الدعا بها لكل احد كما تقدم والذى يختص
به صلى الله عليه وسلم دون غيره هو ان يخلق الله فيه جبلة تمنعه عن كل ما لا يرضاه
الله وان لا يقدر احد على قتله ونحوه والبدا شار بقوله وتوفيقه اى خلق الله فيه
قدرة على طاعته الله ومداومته فى السر والعلانية حتى يمتنع من المخالفات ومحبة العبد
تعالى الله عنه والمحبة معناها طاعة لله تعالى ولرسوله كما قال القائل
اى بمعنى ما ذكر بمعنى قول الشاعر وهو كما فى زهر الاداب للحصرى محمود بن
الحسن الوراق وقيل انه لمنصور الفقيه وهو بليغ مغلق كما فى اول الدولة العباسية
وكان كثيرا ما ياخذ حكم المتقدمين من الفلاسفة وغيرهم فينظمها فى شعره كقوله

اذا كان شكرى نعمة الله نعمة ... على له فى مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله ... وان طالت الايام واتصل العمر
اذا مس بالسراء عم سرورها ... وان مس بالضراء اعقبها الاجر
فما منهما الا له فيه نعمة ... تضيق بها الاوهام والبر والبحر
تعصى الاله وانت تظهر حبه ... هذا لعمرى فى القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ... ان المحب لمن يحب مطيع

وفى معناه قول منصور الفقيه ايضا

غلط فاحش وجهل مبين ... وعمى لا يجوز الا بجنون
طمع العبد فى كرامة مولاه ... واصراره على ما يهين

ومعنى الشعر انك تدعى محبة الله وانت عاص له ولو كنت صادقا اتقيت لان الحب لا
يخالف حبيبه والعمر بفتح العين الحياة فلا يستعمل بضمها الا انهم فى القسم التزموا فتحها الا
سنة وذا وهو مبتدا خبره محذوف تقديره قسمى والقياس تقديره الشيء الشيء راجع
ونحوه وفى الاصطلاح الحاق شى بشى لما سنة بينهما ويطلق بمعنى الدليل المعروف والمراد
قياسه بغيره وبديع بمعنى غريب عجيب بمعنى ان العاصى لا تصير المحب لان المتنافيين لا يجامع
احدهما الاخر وهو امر عجيب ومقتضى القياس ان المحب لا يعصى امر حبيبه ويجوز ان
يراد القياس المنطقى كما قيل وقيل محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه
اى خوفه اى كامل عظمته ومحبة الله له اى لعبده رحمته له اى احسانه واكرامه
لان معناه الحقيقى لا يليق به فالمراد به غايته وارادة الفعل الجميل له وتكون

بالمثناة

بالمثناة الفوقية فى ضمير المحبة وقيل انه بالتحتية والضمير للجميل والاول اولى
بمعنى مدحه والثناء عليه اى على العبد قال القشيرى الامام الزاهد ابو القاسم
صاحب الرسالة وقد تقدمت ترجمته فاذا كان اى الرحمة وذكره لنا وبله الا وان
بالتاء المصدر غير مضبوط وبله اى الفعل والضمير للجميل بمعنى الرحمة والارادة
عطف تفسير لان الرحمة تفسيرا لانها هى تكون من صفات الافعال والمدح فى كلامه
الازلى كالثناء على المومنين فى القران كان من صفات الذات اما الارادة فظاهر
واما المدح فلانه يرجع لصفة الكلام والكلام من صفات الذات والافعال معروف
عنده فى علم الكلام وسياتى بعد مبنى على الضم لقطعه عن الاضافة اى بعد هذا
فى ذكر محبة العبد غير هذا فاعل سياتى اى غير ما ذكرنا بقول الله تعالى اى باعانته
وقوته لان الحول لمعان منها هذا ثم ذكر حديثا مسندا رواه الاجرى شاهدا
لوجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم فقال حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر
الفقيه ابن احمد شيخ المصنف قال حدثنا ابو الاصبغ عيسى بن سهل اصبغ
بصاد مهملة وموحدة وغين معجمة ح وحدثنا بمهم ابن ح بحا مهملة يذكرها المحدثون
اذا ارادوا التحول من سند الى اخرى كما بينه ابن الصلاح ابو الحسن يونس
ابن مغيث بميم مضمومة وغين معجمة وبالتحتية ساكنة ومثلثة الفقيه بقرائى عليه
قال حدثنا حاتم بن محمد تقدم بيانه قال حدثنا ابو حفص الجهنى نسبة لجهينة
مصغرا قبيلة مشهورة قال حدثنا ابو بكر الاجرى بفتح الهمزة الممدودة وضم
الجيم وتشديد الراء المهملة نسبة للاجر وهو الطوب المعروف وهو الامام الحافظ
محمد بن الحسين وقد تقدم بيانه قال حدثنا ابراهيم بن موسى الجوزى بفتح الجيم
وسكون الواو وزاى معجمة مكسورة وياء نسبة وهو ابو اسحق الجوزى نسبة لجوزة قرية
من قرى بغداد وعلى هذا اقتصر الحافظ الحلبى وقال التلمسانى انه كذا فى اصل المعتمد واو
العرفى خوزى بخاء معجمة مضمومة وواو ساكنة وزاى معجمة نسبة لخوز جيل من الناس
او قرية مشهورة قال حدثنا داود بن رشيد بالتصغير علم منقول وهو ابو
الفضل الخوارزمى الحافظ الثقة روى عنه اصحاب السنن وتوفى فى شعبان سنة تسع وثلاثين
ومائتين قال حدثنا الوليد بن مسلم الحافظ ابو العباس عالم الشام صاحب
التاليف الجليلة روى له اصحاب الكتب الستة الا انه نسب الى التدليس وتوفى سنة خمس
وتسعين ومائة وله ترجمة فى الميزان عن ثور بن يزيد الحافظ الحمصى ثقة لكنه
نسب الى القدرية حتى اخرج من حمص وتوفى سنة ثلاث وخمسين ومائة عن خالد بن
معدان الكلاعى الزاهد الفقيه الجليل اخرج له اصحاب الكتب الستة توفى سنة اربع
وثمانين ومائة قيل انه كان يسبح فى كل يوم اربعين الف تسبيحة عن عبد الرحمن بن عمرو
الاسلمى كذا فى النسخ وصوابه كما قال البرهان الحلبى السلمى بضم السين المهملة وفتح اللام
وهو ابن عنبسة وهو حافظ ثقة توفى سنة عشرة ومائة وحجر الكلاعى حجر بضم الحاء المهملة
وسكون الجيم وراء مهملة والكلاعى بفتح الكاف ولام والف وعين نسبة الى كلاع بزنة سحاب

بلدة بالاندلس و د والكلاع من ملوك اليمن المسمى بالاذوا وهذه النسبة لاحدها
توفي سنة خمس وسبعين وروى له اصحاب السنن عن ابي نجيح العرباض بعين مهملة
مكسورة وبا و را مهملة ساكنة و باء موحدة وضاد معجمة واصله الطويل وتقدم الكلام
عليه ابن سارية بسين مهملة ويا اخر الحروف صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اهل الصفة سكن حمص في حديث في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
اي في حديث وعظ فيه النبي صلى الله عليه وسلم من كان في مجلسه من الصحابة وذلك ان
عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر بن حجر قالا اتينا العرباض بن سارية
وهو ممن نزل فيه قوله تعالى ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم
عليه وقلنا اتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين فقال صلى بنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم الصبح ذات يوم ثم اقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت
منها القلوب فقال قائل يا رسول الله كان هذه موعظة مودع فماذا تعهد الينا فقال
اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان عبدا حبشيا فانه من يعش منكم بعدي فسيرى
اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها
بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة رواه
ابو داود كذا قال الذهبي ما يجيء وفي حفظه نقلت واعلم ان الموعظة هي التذكير
بما يبعث على الطاعة وعليكم اسم فعل يتعدى بنفسه اذا كان بمعنى الزم كقوله عليكم انفسكم
وبالباء ان كان بمعنى تمسك كما هنا والسنة الطريقة ما هم عليه والخلفاء جمع خليفة والراشدين
جمع راشد ضد الغاوي والمراد بهم الخلفاء الاربعة ومن كان على طريقتهم كعمر بن عبد العزيز
وائمة الاسلام المجتهدين في اعلاء كلمة الله وقوله عضوا الخ فعل امر والنواجذ بالذال
المعجمة جمع ناجذ اقصى الاضراس وهي اربعة او الانياب او التي تليها والمراد الاجتهاد
في التمسك بها فهو استعارة تمثيلية لما ذكر لا كناية ويجوز ان يكون استعارة تصريحية تبعية
وقيل المراد بالنواجذ جميع الاسنان هنا وقال الجوهري عن المنذري انه يجوز اهمال
داله وفيه نظر لمخالفته لكتب اللغة واياكم تحذير اي احذروا المحدثات والرضا بها وهي جمع
محدثة اسم مفعول وهو ما احدث مما خالف الكتاب والسنة واجماع المسلمين والبدعة
بمعناها وهي ما لم يعهد في عصره صلى الله عليه وسلم وهي كما قال العز بن عبد السلام
تنقسم الى واجبة ومحرمة ومندوبة ومباحة فالمندوبة كتدوين الكتب وعلم النحو
واللغة والاشتغال بذلك واحداث الربط والمدارس ومن المكروه تزيين المصاحف
والمساجد وتكبير العمائم وتوسيع الملابس ومن الواجب وفرض الكفاية تعلم علم العربية
الذي يتوقف عليه فهم كلام الله وكلام رسوله ولا ينافي هذا قوله كل بدعة ضلالة
لان البدعة لها معنيان كل ما حدث بعد العصر الاول وهي المنقسم للاقسام المذكورة
ولذا قال صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها والى
الاشارة بقوله سنة الخلفاء وتخصيصها بالشرع بما هو مذموم لعدم دخوله تحت
القواعد الشرعية وهذا هو المراد بالبدعة عند الاطلاق وهو الذي هو ضلالة وفي

عوارف المعارف واحيا الغزالي البدعة المذمومة ما زاحم السنة المأثورة او كان يفضي
الى تغييرها وفي كتاب المدخل لابن الحاج بيان لهاتين كاف وزاد على ما رواه الراوي
في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما الذي رواه مسلم بمعناه اي طلبنا بمعنى حديث
العرباض موافق له في ليس المراد انه رواه بالمعنى كما قيل وكل ضلالة اي ضلال بارتكاب
البدع المذمومة في النار اي يعذب بها ارتكبها للعذاب وقيل انه متضمن لشكل منطقي
منتج لما ذكر اي كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة معذب مرتكبها فكل محدثة ضلالة
فهو مستوجب للعذاب الاليم وفي حديث ابي رافع الصحيح الذي رواه ابو داود والترمذي
وابن ماجة وابو رافع هو الصحابي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قبطيا
واختلف في اسمه فقيل ابراهيم وقيل اسلم وقيل ثابت وقيل هرمز ولم ابو رافع غير
راوي هذا الحديث معدود في الصحابة ايضا بروى عنه عليه الصلاة والسلام
لا الفين نفي بمعنى النهي اي لا اجدن والفى بمعنى وجد قال تعالى والفيا سيدها
لدى الباب وروي لا الفين كما تقدم عن الامام الشافعي والصحيح رواية الاول
وان صح هذا ايضا كانه لتحقيقه وجده هو وهو بضم الهمزة وسكون اللام وكسر الفاء
وفتح المثناة التحتية وتشديد النون اي لا يفعل احدكم مما شأنه الاتيان الصحابة
فلا يكون هذا امر بسببه وهو نهي في الحقيقة عن التكبر والبطر متكئا اي مائلا بالاستناد
معتمدا وهو بالهمزة والياء ايضا وتقدم ان العامة لا تعرف المتكئ الا من مال في
قعوده معتمدا على احد شقيه وتاؤه مبدلة من واو من الوكا على اريكته هي سرير مزين
متخذ في قبة او بيت ولبس مطلق السرير اريكة وقيل هو سرير في حجلة وقيل كل ما اتكئ
عليه من سرير او فراش او منصة او مخدة مما يفعله المترفون وجمعها ارائك وقال الراغب
سمي به لاتخاذه من الاراك او لانه محل الاقامة من اركت بالمكان اروك اذا اقام به
واصله الاقامة لرعي الاراك ثم تجوز به عن كل اقامة يأتيه الامر من امري اي شيء مما امرت
به فقوله مما امرت به تفسير لقوله من امري بدل منه ومن بيانية فيهما وقيل الثانية تبعيضية
بمعنى الى كقوله ينظرون من طرف خفي اي به متعلقة بامري والامر الاول بمعنى الشان شامل
للنهي وغيره والثاني يقابل النهي لقوله او نهيت عنه فيقول لا ادري هذا الامر الذي
تلقوه لنا ولا اتبع واعرف غير القرآن ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه دون
غيره مما روي في الاحاديث ولم يعرف ان ما في الحديث عن الله ايضا وان الوحي وحيان
متلو وغير متلو وان السنة لا تخالف الكتاب وقد قال تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا فهو تحذير عن ترك امتثال امره واجتناب نهيه والعمل بها وسنة
رسوله ككتابه يجب اتباعه سواء تواترت ام لا وفي الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي
الا اني اوتيت القرآن ومثله معه الا يوشك رجل شبعان على اريكته يقول عليكم بالقرآن
فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه وانما حرم رسول الله
كما حرم الله الحديث ومعلوم ان هذه شبهة فاسدة مبطلة لكثير من الشرع كشبهة الخوارج
وفي حديث عائشة المروي في الصحيحين وما ذكره المصنف لفظ البخاري صنع رسول

الله صلى الله عليه وسلم شيئا اى بيانه ترخص فيه اى ارتكب فيه الرخصة وترك العزيمة
والرخصة الامر المتغير من صعوبة الى سهولة كقصر الصلاة وافطاره وهذه
الرخصة انه صلى الله عليه وسلم كان يصبح جنبا وهو صايم فبلغ ذلك بعضهم فقال لسنا
كرسول الله فسمعه صلى الله عليه وسلم فغضب فقال لارجو ان اكون اخشاكم لله واتقاكم
وقيل هو ان بعض الصحابة سال ازواجه صلى الله عليه وسلم عن عبادته ليلا فلما اخبر
بها استقلها وقال ان الله غفر له ما تقدم وما تاخر فانا اصلى الليل كله وقيل ان بعضهم
قال اعتزل النسا ولا اتزوج وقال البرهان نقلا عن شيخه ابن الملقن انه افطاره صلى
الله عليه وسلم عام الفتح والكل صحيح هنا فتنزه اى تباعد قوم عن العمل بما ترخص فيه
فبلغه ذلك اى نقل له صلى الله عليه وسلم تنزه هولا فخطبهم موعظة على عادته فحمد الله
واثنى عليه ثم قال ما بال قوم اى ما شانهم وحالهم وهو استفهام انكارى يتنزهون
عن الشي حال كونه اصنعه فتركهم لمثله لانهم يظنون ان خوفهم من الله اشد من
خوفى له لان الله غفر لى ما تقدم وما تاخر ولم يكلفنى ما كلفهم فوالله تاكيدا وتقرير
القول انى لاعلمهم بالله واشدهم له خشية اى خوفا وقدم اعلميته به لان الخشية
بقدر العلم كما قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلما فانكر عليهم ذلك لظنهم ان حالهم
ليس كحاله وان ارتكابه مثلهم الرخص يفضى الى عدم الخوف والتهاون بالعبادة وليس
كذلك بل لان الله يحب ان تؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى عزايمه فانما صدقة تصدق
الله بها عليهم لا ينبغى عدم قبولها وقيل انه ليس محلا للانكار لكنه نزلهم منزلة المنكرين
لما لاح عليهم من علامات الانكار وليس شى وروى عنه صلى الله عليه وسلم كما رواه الديلمى
وابو نعيم وابو الشيخ مسندا انه قال القران صعب يكون العين ضد السهل مستصعب
بكسر العين اسم فاعل من استصعب الامر بمعنى صعب وبفتحها من استصعبنا الامر بمعنى وجدنه
صعبا او صيرته صعبا اى هو فى نفسه عسر على من اراد حفظه وفهمه والعمل به وقد
وقد صيره الله ايضا صعبا على من كرهه اى من لم يرد حفظه وتدبر اياته واما من
احبه وتلقاه وتلاوته ودام على مدارسته وتامله فيسهله الله عليه وهو اى القران
الحكيم فيتحكم اى الذى يحكم على الناس بما تضمنه من الاحكام والحكم من الامثال
والمواعظ وجعله حكما اى حاكما بنفسه مبالغة فمن استمسك بحديثى المروى عنى وفهمه
وحفظه بتدبر معانيه وضبط الفاظه جا يوم القيامة محشورا مع القران اى ان اخذه
به وعمل بما فيه وفيه استعارة بتشبيه العامل به بالمستمسك بشى محكم وبشى لا ينقطع فانه
حبل الله المتين والعروة الوثقى كما ورد التعبير به عنه فى الاحاديث وفيه اشارة الى ان
الحديث لا يفارق القران وانهما كشى واحد لان السنة تبين القران وتجيبه معه
اما بحببه مع اهله او مع ثوابه او ان الله التى تحمل ثوابهما وعلى ظاهره بان يجى شيا يكالمه
فيشفع فيه وينال له ان اوارق كما ورد فى الحديث والمراد بالقران الفاظه لان الكلام
النفسى الذى هو صفة ذاتية ومن تهاون بالقران اى اعرض عنه ولم يوجه اليه
فكره لاهانته او عدم مهتما وحديثى بعدم حفظه والعمل به فقد خسر الدنيا

ابن انس

لانه يجى جاهلا مهانا فقيرا والآخرة لفوات السعادة والفوز فيها كما قال الله تعالى
ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى الاية امرت بالبنا
للمجهول اى امرنى الله امتى ان ياخذوا بقولى اى يتمسكوا بحديثى ويعملوا به كما سياتى
ويطيعوا امرى لقوله واطيعوا الرسول ويتبعوا سنتى اى يقتدوا بى ويسلكوا
طريقتى وشريعتى السمحة كما قال واتبعوه لعلكم تهتدون وانما تعمل بسنته مع القران
لانهما توامان وفيه رد على من قال لا اعمل الا بالقران وينهى عن ترك السنة وخبر الاحاد
كما تقدم فمن رضى بقولى فاتبعه وعمل به فقد رضى بالقران لانه موافق له وغير مخالف
له فهما كالشى الواحد قال تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
عنه فارضوا بما رضيه واكرهوا ما كرهه فان سنتى مبينة وموضحة للقران فمن خالفه
فقد ضل ولذا قالوا من اراد تفسير القران فليتامله فان بعضه يفسر بعضا فان لم يجده
فيه فعليه بالسنة فان لم يجد ما اراده فيها فعليه باقوال الصحابة فانها فى حكم المرفوع
لانه صلى الله عليه وسلم كان يقريهم القران ويبين لهم معانيه كما رواه ابن تيمية وقال صلى
الله عليه وسلم فيما رواه عبد الرزاق عن الحسن مرسلا بلفظ من استن بسنتى اى اتبعها
وعمل بها وبها والمصنف رواه بلفظ من اقتدى بى فى سنتى وشريعتى فهو منى اى من اتباعى
واتباعى الذى يحشرون معى ويتصلون بى حتى كانهم بعض منى لا ينفصل عنى ومن هذه
تسمى الاتصالية كقوله صلى الله عليه وسلم لعلى انت منى بمنزلة هرون من موسى ومن رغب
عن سنتى اى تركها واعرض عنها بقال رغب عنه اذا كرهه وضده رغب فيه وسنة طريقته
اراها دينه المرضية عند الشاملة لاقواله وافعاله وتقريراته وهما متقاربان معنى
فليس منى هذا اثر ومنه كقوله لست من قيس ولا قيس منى ومجرده هذا منه كرر فى الصحيحين
ايضا ومعناه ليس مقتديا منى اى هو كافر على ملتى لاهانته الحديث وعن ابى هريرة رضى
الله عنه ولم يخرجه السيوطى بهذا اللفظ عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال احسن
الحديث كتاب الله كما قال الله تعالى الله نزل احسن الحديث الاية وخير الهدى
بالنصب ويجوز رفعه هدى محمد بفتح الها وسكون الدال المهملة وتخفيفه وهو مصدر بمعنى
السيرة والطريقة من تبعهم لم يتفادى فى سنته قبل روايته هنا كما قال الفاضى فى الاكمال
الهدى بضم الها وفتح الدال مقصورا والهداية بمعنى الدلالة والتاييد بالعصمة وهذه
هى التى تضاف الى الله وشر الامور محدثاتها بفتح الدال تقدم تفسيره وعن عبد الله
ابن عمرو بن العاص فى حديث رواه ابو داود وابن ماجة قال قال صلى الله عليه (النبى)
وسلم العلم ثلاثة اقسام حصره فيها ان قلنا العدد يفيد الحصر لعدم الاعتداد بغيرها
فما سوى ذلك وفى نسخة وما سوى ذلك فضل اى زايد لاحاجة اليه ولا يفتقر اليه
وتفسيره بالجنبة غير سديد بعدهما والاظهر ما قيل ان المراد كل علم غير هذه الثلاثة وما
يتعلق بها وما يتوقف عليه فهو زايد لا ضرورة داعية لمعرفته ومعنى الفضل فى اللغة
الزيادة اية من كتاب الله محكمة غير منسوخة به لقوله تعالى منه ايات محكمات هن ام
الكتاب واخر متشابهات او غير منسوخة لان المحكم يفسر بهذا ايضا والمراد ما يتعلمها

عرضي

سو

لاحكام بيانها حتى لايحتاج لزيادة واحكام نظمها فلا خلل فيها ويطلق المحكم على جميع القرآن
ايضا كما فى قوله تعالى احكمت آياته ويجوز ارادته ايضا او سنة قائمة اى دائمة مستمرة يعنى
لم تنسخ لدوام العمل بها او فريضة عادلة اى لاجور فيها وفسرت هنا بالاحكام المستنبطة
من القرآن والحديث تسمية لها باعظم اقسامها او لانها استنبطت بالاجتهاد والمفروض على
هذه الامة وسميت عادلة لمساواتها للنص او المراد بها فريضة المواريث وقسمتها وهو المشهور
ويطلق على مايقابل العاطلة وليس بمراد هنا وفيه اشارة الى ان العلم اللازم العلوم الشرعية
وهى التفسير والحديث والفقه وعن الحسن بن ابى الحسن هو الحسن بن يسار البصرى
وقد تقدم وهو حديث رواه عبد الرزاق عن معمر مرسلا والدارمى متصلا عن ابن
مسعود عنه صلى الله عليه وسلم وفى نسخة قال عليه الصلاة والسلام عمل قليل فى سنة
فى هنا بمعنى مع كقوله تعالى ادخلوا فى امم اى موافق للسنة ومصاحب لها وان قل خير
من عمل كثير فى بدعة وان كثر لزيادة نفعه وكثرة ثوابه والتعبير بفى اشارة الى انه يراعى
السنة فى جميعه عددا وهيئة حتى يحيط السنة به وقيل انه لمصاحبته للسنة وتمكنه فيها شبه
بالظرف والمظروف وهذا اكمن نهى منفردا لتمكنه وهم بجعل الصلوات التى ابتدعها بعض
الصوفية بجماعة كالرغائب وجه ظاهر وخير اسم تفضيل تقتضى الخيرية فى البدعة بحسب
ظاهره وليست مرادة وانما عبر بها هنا بنا على اعتقاد فاعلها الخيرية فيها فعله وقيل المراد [ابنا نبرس]
بالابتداع بالاعمال التى لها اصل فى العبادة كوصال الصوم وما اشبهه وقال صلى الله
عليه وسلم ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة الواحدة وان قلت تمسك بها اى امتثلها
وعمل بها مخلصا وعن ابى هريرة فى حديث رواه الطبرانى فى الاوسط المتمسك بسنتى
اى العامل بها واسلك طريقتى عند فساد امتى اى تغير احوالها وتركها امور الدين
واتباع البدع وذلك فى اخر الزمان له اجر مائة شهيد فيه اشارة الى ان المراد
بالتمسك بها العمل بها وامر غيره بالعمل ايضا فيامر بالمعروف وينهى عن المنكر ومن لوازمها د
الاكثر وانه يجاهد نفسه حتى يترك ما الفه الناس ومثله ما يرغب الناس عنه
فيؤذى به اشد الاذى فلذا اعطى ثواب الشهدا وجعله اجر مائة للتكثير او للاشارة الى ان
اكثر ما فيها ومعه عشرة والحسنة بعشر امثالها وقيل ان الشهيد فى منزلته يترك
الدنيا وبذل نفسه فى نصرة الدين وثنا غيره عليه ودعاه له ومن وفقه الله مع فساد
عصره واهله فقد اختار رد اراذلها على اراذلها وارتكب المشاق فى غربة الناس والتفرق
بين الغبار كالمصيبة بين الابرار كما ان الجود بين اللئام بين غربة البخل بين الكرام كما قيل
رايت عبيد الله اكرم من مشى ٭ واكرم من فضل بن يحيى بن خالد ٭
وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الترمذى ان بنى اسرائيل افترقوا اى صاروا
فرقا واسرائيل لقب يعقوب بن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام واليه انتسب كل من
كان من قبيلة وهم قوم مشهورون على اثنين وسبعين ملة اى مذهبا ودينا لان الملة
والدين بمعنى وان افترقوا مشهورا واسبقا لا وقد تقدم تفصيله وان امتى تفترق
على ثلاث وسبعين فرقة مختلفة الاعتقاد والمذاهب وروى فرقة مكان ملة فى الحديث

روايات مختلفة كلها فى النار الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله هكذا روى قالوا
وعاطفة على مقدر اى عدد اعدادهم او هى زائدة قال هم الذين على الذى انا عليه
واصحابى وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم لاخباره بالغيب فان ذلك لم يكن فى عصره
ولا عصر الخلفا الراشدين من بعده وقد وقع ذلك كما قال وهذا باعتبار اصول الفرق فان
شعبها كثيرة وقد الف فى بيانها تاليف اجلها كتاب الملل والنحل للشهرستانى وقد عدوها
وكانت كما ذكر صلى الله عليه وسلم وهم اهل السنة والشيعة والخوارج والمعتزلة ونحوهم
من الفرق واصنافها مما يطول ذكره والمراد بكونهم فى النار انهم مستحقون للعذاب
دون الخلود الا ان يكون فى اعتقادهم ما يقتضى الكفر كبعض غلاة الرافضة والفرقة الناجية
اهل السنة والجماعة لاتباعهم القرآن والحديث فى الاعتقاد من غير ارتكاب تاويلات بعيدة
وزعم الطوسى وابن مطهر انهم الامامية ورده الجلال الدوانى فى شرح العقائد كما بيناه
فى حواشيها ومطابقة الجواب للسؤال ظاهرة من غير احتياج لتاويل كما توهم وعن انس [ابن انبرص]
رضى الله عنه قال صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الاصفهانى فى ترغيبه وغيره
من احيا سنتى اى اظهرها بالعمل بها واكثر على اتباعها جعل ذلك بمنزلة الاحيا فهو استعارة
تبعية او مكنية وتخييلية وهو كالحديث الذى رواه ابو هريرة لان المراد اظهارها بعد
تركها فقد احيانى اى اظهر ذكرى ورفع امرى فجعله بمنزلة احيائه كما قيل
وكم ميت قد عاش احر دهره ٭ الى الحشر ان ابقى الجميل من الذكر ٭
ومن احيانى بشعار ذكرى وشرعى كان اى تحقق ان جزاءه ان يكون معى فى الجنة والمراد
دخوله فيها وعلو مرتبته لامساواته فيها وحد فظرف المعية من الزمان والمكان تبعتها
له لتذهب نفسه كل مذهب وعن عمرو بن عوف بن زيد بن ملحة المزنى الصحابى
وهو قديم الاسلام شهد المشاهد وتوفى فى زمن معاوية وهو منسوب لمزينة قبيلة
مشهورة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحارث بن عاصم بن سعيد بن
قرة بن مازن ابو عبد الرحمن المزنى الصحابى وفد على النبى صلى الله عليه وسلم مع وفد مزينة
وسكن وراء المدينة وتوفى سنة ستين وسنه ثمانون سنة من احيا سنة من سنتى قد
اميتت بعدى اى تركت وترك العمل بها فشبه الترك بالموت لاشتراكهما فى العدم وسنته
طريقته وشريعته فهى تشمل السنن وغيرها فلا وجه لما قيل الظاهر سنتى بصيغة الرواية [نلسانى]
بالافراد والاماتة ضد الاحيا وتختص بالحيوان حقيقة كان له من الاجر اى الثواب مثل من
عمل بها فيه مضاف مقدر اى اجر من عمل بها من غير ان ينقص ذلك اى الاجر الذى له
من اجورهم شيئا دفعا لتوهم انه يعطى من ثوابهم فينقص اجرهم ومن ابتدع بدعة
ضلالة وفسرها بقوله لا ترضى الله ورسوله لانها بدعة غير مرضية كان عليه
مثل اثام بالمد جمع اثم وهو الوزر من عمل بها لا ينقص ذلك من اوزار الناس
شيئا وهذا رواه الترمذى وابن ماجه وحسنه ومن الموصولة من العموم ما لا يخفى
وكذا اتى لسنة وقوله بدعة ضلالة بالاضافة والتوصيف ولا نيا فى هذا انه لا تزر
وازرة وزر اخرى لان هذا وزره وكسبه لانه بعمله سنها لهم وارشدهم لفعلها وحسنها

ابنما نبرس

لهم فكان في قوة الامر لهم كما ذكره شراح الحديث وقيل المراد ان عليهم اثما بالغا في المقدار
مثل اثام العاملين بها من جهة انه كان طريقا لهم في العمل بها ولذا غاير بين المقامين لفظا
فقال فله من الاجر مثل الخ ولم يقل عليه من الاثم انتهى ولا حاجة لما طوله وتحقيقه انه
كان سببا في الخير والثاني سببا للشر والسبب منزل منزلة الفاعل فله ماله وعليه
ما عليه اي مثله وفي الحديث الدال على الخير كفاعله كمن حفر بيرا فوقع فيها غيره فانه
يضمن في بعض الصور وهو لدينا في الاية اما لان المراد بها ان وزر غيره لا ينقل له اولانه
مخصوص بغير السبب بالاحاديث المذكورة واخذ من الخبر المذكور ان الداعي الى الاثم
كفاعله وقد صرح به في بعض الروايات قال شيخي والذي انتهاب ابن حجر في شرح المشكاة
لكن لو تاب الداعي الى الاثم وبقي العمل به فهل ينقطع اثم دلالته بتوبته لان التوبة تجب ما قبلها
اولا لان شرطها رد الظلامة والاقلاع وما دام العمل به لانه موجودا فالفعل منسوب اليه
فكانه لم يرد ولم يقلع كل محتمل ولم ار في ذلك نقلا والذي يتجه الان الثاني انتهى وفيه
نظر ظاهر **فصل واما ما ورد عن السلف** الصالحين يعني الصحابة
والتابعين في اول القرون واما اشارة الى انه تتميم لما قبله في القران والحديث ولذا
قال ورد **والائمة** يعني من بعدهم من العلماء المجتهدين **من اتباع سنته** اي طريقته
وهو بيان لما وفي نسخة في اتباع متعلق بورد يعني جا **والاقتداء بهديه وسيرته** عطف
تفسير لما قبله وهديه وسيرته بمعنى وهو الهيئة والطريقة ايضا **فحدثنا الشيخ** اصل معناه
الكبير سنا ثم شاع عرفا بمعنى من كان قدوة يعتمد الطلبة العلم لانه في الغالب يكون مسنا
ولهذا ما استعمل قديما واول من اطلق عليه شيخ الاسلام الصديق رضي الله عنه كما قال
السخاوي رحمه الله **ابو عمران بن عبد الرحمن** الرعيني علامة عصره بالمغرب وقد تقدمت
ترجمته **ابن ابي تليد** بفتح المثناة الفوقية منقول من تليد بمعنى قديم **الفقيه سماعا
عليه** وهذا الحديث من احاديث الموطا ورواه النسائي وابن ماجة **قال حدثنا
ابو عمر الحافظ** هو ابن عبد البر وتقدم بيانه **قال حدثنا سعيد بن نصر** تقدمت
ترجمته **قال حدثنا قاسم بن اصبغ** بالمعجمة كما تقدم **ووهب بن ميسرة** كذا في
بعض النسخ بتحتية بعد الميم وقال الثعالبي انه مسرة بمهملة من السرور ووهب
بحرك ويسكن وهو وهب بن مسرة بن مفرج بن بكر التميمي مات بقرطبة منتصف شعبان
سنة اثنين واربعين وثلاثمائة انتهى **قالا** بالتثنية وهو الصحيح وروى قال اي كل
واحد منهما او اكتفا باحدهما **حدثنا محمد بن وضاح** تقدم ايضا **قال حدثنا يحيى
ابن يحيى** الليثي راوي الموطا **قال حدثنا مالك** امام دار الهجرة الغني عن البيان
عن ابن شهاب محمد بن مسلم الزهري وقد تقدم بيانه **عن رجل من ال خالد** اي
اهله وقومه وهو غير مسمى فقال الكلبي لا اعرفه وقال الثعالبي هو امية بن عبد
الله بن خالد بن اسيد بفتح الهمزة وكسر السين او بضمها وفتح السين والاول اصح
وهكذا رواه مالك ولم يدخل بينه وبين ابن شهاب احدا ورواه الليث بن سعد
فسمى الرجل وادخل بين ابن شهاب وامية عبد الله بن ابي بكر وامية هذا يروي عن

ابن

ابن عمر توفي في سنة سبع وثمانين انتهى وقال القرطبي في تفسيره انه يعلى بن امية بن عبد الله
وخالد هو ابن اسيد بفتح الهمزة وكسر السين على ما مر وبالدال مهملة وهو ابن ابي العيص
ابن امية بن عبد شمس اخو عتاب **انه سال عبد الله بن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن انا نجد
صلاة الخوف وصلاة الحضر** يعني اي الصلاة من غير قصر **مذكورة في القران
ولا نجد صلاة السفر** المقصورة في القران **فقال ابن عمر** في جوابه يا ابن اخي هذا جار على
عادة العرب في الشفقة لصغير وقد لم يلده يا ابني ويا ابن اخي كما يقال لكبير يا ابي ويا عمي **ان
الله بعث الينا محمدا** اي نبياه ورسوله صلى الله عليه وسلم **ونحن لا نعلم شيئا** من امور الدين
فانما نفعل كما رايناه يفعل وروى ما رايناه بحذف الكاف وما موصولة او مصدرية اي
نقتدي به فيما جاء به وهذا هو المقصود هنا اما صلاة الخوف فقد ذكرت في القران وهي
سنة خلافا لمن قال انها مخصوصة به صلى الله عليه وسلم واما قصر الصلاة سفرا فقد
ذكرت في القران في قوله لا جناح عليكم ان تقصروا من الصلاة لكنها مقيدة بقوله
ان خفتم الاية ولذا سال الواعية الان اطلاقها مبين بالسنة فقد سئل رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن قصرها فقال تلك صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وقد يقال انها
مقيدا بالشرط وبيجه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من غير شرط وقد وردت فيها احاديث اخر
وقال عمر بن عبد العزيز الخليفة العادل الزاهد المشهور رضي الله عنه **سن رسول الله
صلى الله عليه وسلم** اي اتى بافعال واقوال وطريقة شرعها لهم **وولاة الامر بعده** بضم
الواو جمع وال وهو من يتولى امور الناس والمراد بهم هنا الخلفاء الراشدون **سننا** جمع سنة
الاخذ بها اي العمل بها واتباعها **تصديق بكتاب الله** بالباء واللام لانه امر بالعمل بها واتباع
سبيل المؤمنين **واستكمال لطاعة الله** لان طاعتهم طاعته في الحقيقة لانهم لا يقولون شيئا من
عند انفسهم وانما يقولون ما رووه عنه صلى الله عليه وسلم او ما استنبطوه من الكتاب والسنة
وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها اي تغيير تلك السنن بوجه من الوجوه **ولا تبديلها**
بتبديلها بما يرده وهو اخص من التغيير لشموله الزيادة والنقص ويجوز ان يكونا بمعنى
ولا النظر في راي من خالفها اي لا يلتفت اليه ولا يعتبر ما خالفها اصلا وليس المراد بالنظر
حقيقته حتى يقال يجوز ان ينظر فيه ليرده **من اقتدى بها** اي عمل بتلك السنن **فهو مهتد**
لانهم على هدى من الله **ومن انتصر بها فهو منصور** على من خالفه **ومن خالفها واتبع
غير سبيل المؤمنين** غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل **ولاه الله ما تولى** اي جعله واليا لما
تولى من الضلال وخلى بينه وبين ما اختاره من الضلالة **واصلاه جهنم** اي ادخله فيها **وساءت
مصيرا** جهنم وفي ذلك دليل على حرمة مخالفة الاجماع **وقال الحسن بن ابي الحسن** هو الحسن
البصري كما تقدم **عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة** تقدم هذا وقد بينا معناه
قبل ولا تكرار فيه لانه ذكره اولا مجملا وذكره هنا اثرا وفيه نظر **وقال ابن شهاب** الزهري
بلغنا عن رجال من اهل العلم انهم **قالوا الاعتصام بالسنة** اي التمسك بها **نجاة**
مما يخاف منه المرء في الدنيا والاخرة وفي القاموس اعتصم بالله امتنع بلطفه من المعصية اي من
تلبس بالسنة حفظ من ان يقع في معاصي الله وفيه حث على حفظها والعمل بها **وكتب عمر بن**

الخطاب رضي الله عنه الى عماله ونوابه وامرهم بتعلم السنة اي ما روي عنه صلى الله عليه وسلم
من اقواله وافعاله في اسفاره واقامته والفرائض اي قسمة المواريث لانها نصف العلم
ويفقد من اشراط الساعة واللحن بفتح اللام وسكون الحاء المهملة وفسره بقوله اي اللغة
والمراد بها لغة العرب وما يتعلق بها من الاعراب وعلى البدعة وقال الازهري معناه تعلموا
لغة العرب في القران واعرفوا معانيه واللحن بسكون الحاء علمت وقد تفتح له معان منها
التعريض وفحوى الكلام كقوله تعالى ولتعرفنهم في لحن القول والخطا في الاعراب وقال الزمخشري
معنى اللحن في كلام عمر رضي الله عنه وقوله تعلموا اللحن الغريب واللحن علم الغريب الواقع في القران
والحديث ومن لم يعرفه لم يعرف اكثر كلام الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهذا رواه سعيد
ابن منصور في سننه فاللحن من الاضداد ومن معانيه الفطنة وقال ابن الاعرابي ان اللحن
بالسكون الفطنة والخطا وقال غيره من اهل اللغة الفطنة بالفتح والخطا بالسكون وقال عمر رضي الله
عنه في اثر اخر رواه عنه الدارمي ان ناسا يجادلونكم يعني بالقران اي يخاصمونكم ويناظرونكم
في بعض الاحكام التي تعلمونها فيقولون القران فيه ما يخالفكم نظرا الى ظاهره ما بينته او خصصته
او نسخته السنة فخذوهم اي اغلبوهم واغلبوهم بالسنن الواردة عنه صلى الله عليه وسلم فان
اصحاب السنن اي علماء الحديث ونقاده اعلم بكتاب الله اي بمعاني القران ممن يتمسك بظواهر
القران لمعرفتهم بناسخه ومنسوخه ومخصصه ومؤوله فان تفسير القران انما يعلم من السنة
وفي خبره اي خبر عمر الذي رواه عنه مسلم حين صلى عمر رضي الله عنه بذي الحليفة بضم الحا
المهملة واللام وقاف بصيغة المصغر اسم مكان على ستة او سبعة او اربعة اميال من المدينة من جهة
الشام وهو ميقات اهل المدينة والشام الذين يجيئون منه ركعتين اختلف فيهما والاصح انهما
سنة لمن اراد ان يحرم يصليها موكدة عند اكثر الفقهاء في تركها فوات فضيلة من فضائل
الاحرام ولم يخالف فيه الا الحسن البصري فانه استحب كونه اي الصلاة بعد صلاة فرض لانه روي
انها كانت صلاة الصبح والصحيح غيره ولو كان كذلك لم يبادر عنها ولا يحتج لقوله فقال اصنع كما
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع فاقتدى باثاره وكل ما صنعه وعن علي بن ابي
طالب كرم الله وجهه في اثر رواه عنه البخاري والنسائي حين قرن بين الحج والعمرة في حجة
حجها قال له اي لعلي عثمان بن عفان وهو خليفة اذ ذاك وفي نسخة فقال له عمر والصحيح
رواية ان القائل له عثمان رضي الله عنه كما في الصحيحين وغيرهما فهذا وهم من الناسخ تراني
وفي نسخة ترى اني ارى تعلم او تقرا هذه اي تدري واني انهى الناس عنه اي عن القران وتفعله انت
فانكر عليه عدم اتباعه له قال علي لعثمان رضي الله عنهما لم اكن لادع سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم لاحد من الناس اي لاجل احد من الناس خالف فعله فعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاقتدى غيره معي علي بما صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم والحديث عن
مروان بن الحكم قال شهدت عثمان وعليا رضي الله عنهما وعثمان ينهى عن المتعة وان يجمع
بينهما وعلي رضي الله عنه اهل بهما وقال لبيك بعمرة وحجة فلما كلمه عثمان في ذلك قال له ما
ذكره المصنف والمتعة تستعمل بمعنيين احدهما ان يحرم بالعمرة ثم يحرم بالحج كالمكي فالعطف من
عطف التفسير وان يجمع بين الحج والعمرة معا باحرام واحد والعطف على هذا التغاير

وهذا

وهذا هو المراد كما هو صريح الحديث واحتمال ارادة الاول كما قيل يا باه الحديث وسمي عرض
متعة لما فيه من ترك السفر والاحرام من بلده وكلاهما جائز وانما نهى عن ذلك لترك الافضل
عنده وعلي رضي الله عنه انما خالفه لئلا يعتقد ان خلافه للاولى في اولياء يحرم احد انه ممتنع وكل
منهما مجتهد ماجور وهذا مبني على مسئلة اصولية وهي انه اذا وقع الاختلاف في عهد الصحابة
في حكم شرعي هل يصح الاجماع بعدهم على احد قولي الصحابة فذهب احمد واكثر الاشاعرة
والشافعية الى ان حكم الخلاف لا يرتفع وذهب الغزالي وبعض الشافعية واكثر الحنفية الى ارتفاع
الخلاف كبيع ام الولد فان الصحابة اختلفوا فيه ثم اجمع الفقهاء على منعه وفيه بحث وهذا الخلاف
بين علي وعثمان مبني على الاختلاف في حج رسول الله صلى الله عليه وسلم او على ما روي من ان عثمان
رضي الله عنه لما كلم عليا كرم الله وجهه في ذلك قال له علي قد علمت انا تمتعنا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال اجل ولكنا كنا خائفين يعني ان فعله ذلك لعارض لا لانه الافضل وروي ان
عثمان رجع لما قال له علي وقال لما كنت لادع عليا لكنه ما تفرد به مسلم وكان الكلام بينهما
بعسفان وهو اسم موضع معروف وعنه اي مما روي عن علي رضي الله عنه ولم يذكر من رواه
عنه الا اني لست بنبي ولا يوحى الي اي بانبا المجهول ولكني اعمل بكتاب الله وسنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما استطعت اي ما لم اضطر الى خلافهما فان الضرورات تبيح المحظورات
وفي نسخة وسنة نبيه وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول في اثر رواه الدارمي والطبراني
عن ابي الدرداء القصد اصل معنى القصد التوجه الى الجهة ويطلق على استقامة الطريق ثم
شاع في الاعتدال بين الافراط والتفريط كما قاله الراغب وهذا هو المراد في السنة اي في
سلوك طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من الاجتهاد اي الاكثار منه وبذل الجهد
والطاقة في العمل الملتبس بغيرها وهو معنى قوله في البدعة وتقدم تفسيرها وانها تنقسم
لواجب وسنة ومحرم ومكروه كما قاله ابن عبد السلام وقال ابن عمر رضي الله عنهما فيما رواه
عبد بن حميد في مسنده بسند صحيح صلاة السفر اي المقصورة فيه وجوبا او استحبابا ركعتان
من خالف السنة اي طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصر الصلاة سفرا كفر اي
صار كافرا ان قصد مخالفة فعله صلى الله عليه وسلم عنادا او انكر جواز فعله والا فهو
بمجرد الاتمام مبتدع عند ابي حنيفة رحمه الله وبعض الفقها وقيل الكفر بمعنى كفران النعمة
التي انعم الله بها عليه من احسانه عليه بتسهيل امره وقال ابي بن كعب رضي الله عنه فيما رواه
الاصفهاني في ترغيبه وغيره وابي هو ابو المنذر النجاري الانصاري الصحابي توفي سنة تسع
عشرة على الاصح وقيل سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان عليكم هو هنا اسم فعل بمعنى
الزموا او تمسكوا بالسبيل اي طريق الله وصراطه المستقيم وهو العمل الخالص تقربا الى الله
تعالى والسنة اي طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهديه وقدم السبيل اهتماما بما
بالاخلاص ان لم نقل ان العطف تفسيري وهو جائز فانه تعليل للحث على التمسك بالسنة
والضمير للشان ما على الارض الظاهر ان المراد من عليها كل موجود من الاحياء العقلاء
من هذه الامة من عصره الى يوم القيامة وقيل المراد به من كان موجودا في عصره من عرض
الصحابة وغيرهم لان قرنه خير القرون وثوابهم اكثر من ثواب غيرهم والظاهر ما قدمناه

لما مر ان العامل بسنتي عند فساد امتي له اجر مائة شهيد **من عبد** من زائدة للاستغراق
على السبيل والسنة متمسك بها والسبيل كالطريق يذكر ويؤنث وجملة قوله كان
راكب مستقيم عليها فهو متمثل **ذكر الله** صفة مخصصة لعبد **ففاضت عيناه** اي فاض
ما عينيه بتكاثره **من خشية الله** وخوفه **فيعذبه الله ابدا** اي الا لم يعذبه الله ابدا ولا (وفي نسخة من خشية ربه)
يدخله النار وان كان مذنبا ولا يعذبه في قبره ايضا ويعذبه بالنصب في جواب النفي
المحض كقوله لا يقضى عليهم فيموتوا **وما على الارض من عبد على السبيل والسنة** اي
صدق سالك طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومصدقا به في اقواله وافعاله **ذكر الله**
في نفسه اي احضر الله في قلبه وفرغ فكره وذهب لملاحظة ربه وجلاله وعظمته والظاهر
ان هذا بمجرد التصور من غير لفظ لمقابلته للذكر قبله والذكر المذكور المراد المقارن
للفكر لانه لا يفيض ما عينيه الا التصوره واحضاره في قلبه وقيل ان هذا يحتمل التصور
المجرد والمقارن للذكر اللساني ولا يخفى ما فيه **فاقشعر جلده** اقشعرارا لنشو باي اخذته
قشعريرة وهي الرعدة كما في القاموس **من خشية الله** اي من شدة خوفه قال الراغب الخشية
خوف يشوبه تعظيم واكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه ولذا اختص العلماء في قوله تعالى انما يخشى
الله من عباده العلماء **الا كان مثله** يتحتحت اي صفته وحاله العجيبة **كمثل** يتحتحت اي
كهذه الصفة **شجرة** ذات اغصان وورق **قد يبس ورقها** صفة شجرة وانما وصفها بهذا
توطئة للتحات الاتي لانه لا يكون كذلك الا الورق اليابس وهو اشارة الى انه له خطايا
كثيرة قديمة **فهي كذلك** اي فهي دائمة ثابتة على هذه الحالة من تقدم اوراقها ويبسها واصله
بينما هي كذلك **اذا اصابتها ريح شديدة** والريح مؤنثة **فتحات عنها ورقها** اي سقط
وفي القاموس حته فركه وقشره فانحت وتحات والورق سقط كانحت انتهى فتحات
بتحاتات وباسقاط ذه احدى التائين تخفيفا **الا حط الله خطاياه** المراد بالحط هنا
المغفرة وعبر بها على طريق الاستعارة وعبر به لمناسبة المشبه وخطاياه جمع خطيئة
وهو الذنب وهذا بدل من الا الاولى وما معها وكرر الا مع البدل تاكيدا لما فد
باعتراض المثل وقيل انه استثناء من جواب لمقدر كانه قيل ما ذا يترتب على اقشعراره من الخشية (دنجى)
مع مراعاة النفي فقيل الا حط عنه خطاياه **كما تحات** اصله تتحات مضارع بمعنى يسقط
عن الشجرة ورقها فان اقتصادا اي اعتدالا وتوسطا من غير تفريط لما تقدم
وهو افتعال من القصد وهو تعليل لما تضمنه ما قبله من مغفرة الذنوب الكثيرة بمجرد
ذكر الله وتذكره مع الخشوع والخشية وهو قليل ظاهرا وان كان عظيما في نفسه **في سبيل**
الله وسنة عبر بفي لمناسبة السبيل ولان ذلك الاتباع والاقتداء يحيط به احاطة
الظرف بالمظروف **خير من اجتهاد** اي زيادة وبذل جهده وطاقته **في خلاف سبيل**
الله وسنة اي بدعة مخالفة لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وتقدم تفسيره **وانظروا**
المراد بالنظر هنا التدبر والتامل وهذا تنبيه لما قبله وتاكيد له **ان يكون عملكم ان**
كان اقتصادا او اجتهادا اي تدبروا في جميع اعمالكم قليلة كانت او كثيرة سواء فعلتموها
او لم تبالغوا **ان تكون** اعمالكم كلها وهو مع ما بعده بدل مما قبله او تاكيد له واعادة

الفصل

للفصل بينهما كما تقدم وان بفتح الهمزة هي المصدرية لا الشرطية مكسورة **على منهاج**
الانبياء اي على طريقتهم والمنهاج والمنهج بمعنى الطريق الواضح **وسنتهم** اي طريقتهم وشريعتهم
وعبر بالانبياء والمراد منهاج نبينا صلى الله عليه وسلم اشارة الى ان منهاجه جار على منهاجهم
غير مخالف له كما قال تعالى فبهداهم اقتده وجريه باعتبار التوحيد والعقائد الحقة
والاعمال الصالحة والاخلاص لانا مامورون باتباعهم فيما لم يرد فيه نص كما تقدم وان (عرضى)
كان صلى الله عليه وسلم نفسه كذلك **وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز** رضي الله عنه
وعمال بضم العين وتشديد الميم جمع عامل وهو الامير المولى من جانب الخليفة لعمله في
الاموال والمصالح **الى عمر يخبره عن حال بلده** اي يخبره بحال بلده الذي ولاه عليها وهي حمص
كما قاله **وكثرة لصوصه** عطف تفسير كالجمع لص بتثليث اللام وهو السارق وقاطع الطريق
وغيرهما من الذين ياخذون اموال الناس بالباطل وهذا رواه اللالكائي في السنة كما
قاله السيوطي رحمه الله **هل ياخذهم** اي يحبسهم ويعاقبهم **بالظنة** بكسر الظاء المعجمة المشالة
وتشديد النون اي بمجرد الظن بانهم لصوص **او يحملهم** اي يطلب منهم ويكلفهم **على البينة** كما في
قوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها اي تكلفوا حملها كما قاله الراغب وضمير
ياخذهم للصوص وضمير يحملهم للمدعى عليهم المعلومين من السياق وعداه بعلى باعتبار
معناه الاصلي كما تقدم **وما جرت عليه السنة** اي ما اقتضته الشريعة من لزوم الثبوت
بالبينة ونحوها مما يترتب عليه الحكم دون السياسة المحضة وان كان ذلك يجوز للحاكم في بعض
الاحيان **فكتب اليه** اي الى عامله عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه **خذهم** اي احكم عليهم
بالبينة وما جرت عليه السنة اي وبما استقرت عليه **فان لم يصلحهم الحق** اي حكم
الشريعة دون السياسة والعنف **فلا اصلحهم الله** اي يبعدهم اذ لم يوفقهم لعمل الخير وهذا
من شدة تقواه وانقياده للشريعة واحكامها قيل فكان من ثبت عليه سرقة نصاب قطع
يده في دار الخلافة لها سارق **ومن عطاء في تفسير قوله** تبارك وتعالى **فان**
تنازعتم اي اختلفتم ايها الناس **في شيء** من امور الدين **فردوه** اي ارجعوا فيه **الى**
الله والى الرسول اي الى ما قاله **اي الى كتاب الله وشريعة رسول الله صلى الله**
عليه وسلم وهذا مؤيد لما قاله عمر رضي الله عنه ولذا ساقه عقبه وهذا الاثر في ما ذكره
الفقهاء من حبس المتهم وضربه حتى يقروا انه قد يحمل على اقراره كما ذهب اليه مالك وغيره
فانه استحسان منهم اذا قويت التهمة واقتضته الحال كما فصله الفقهاء وما قاله عمر رضي
الله عنه شيء اخر وعطاء هو عطاء بن ابي رباح المشهور كان من كبار التابعين توفي سنة
خمس عشرة ومائة **وقال الشافعي** الامام المشهور امام الائمة وسلطان الامة
ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اي لم يثبت في حديث في شريعته **الا اتباعها**
اي اتباع السنة والعمل بها وكان يقول اذا صح الحديث فهو مذهبي واذا خالفه قولي
الحديث فاضربوا بقولي عرض الحائط وهكذا اتبعه ائمتنا الشافعية رضي الله عنهم **وقال عمر بن**
الخطاب رضي الله عنه كما رواه عنه الشيخان **وقد نظر الى الحجر الاسود** في طوافه والجملة
حالية تتقدم ابتداء ومعترضة مؤذنة بان قوله ذلك حال مشاهدته له **انك حجر لا**

تضر ولا تنفع اى لا تقدر على ضرر ونفع بالذات وان كان الله جعله سببا لاجابة الدعا
عنده وسنيته **ولولا انى رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك** اى فى
طوافه وانما استحب تقبيله لانه نزل من الجنة وكان ابيض كاللبن فسودته خطايا بنى ادم كما
رووه **ثم قبله** عمر بعد ما ذكر وروى الحاكم ان عليا رضى الله عنه قال حلف عمر فلما سمع قوله
هذا قال له بل يضر وينفع فان الله لما اخذ الميثاق على بنى ادم فى عالم الذر كتب ذلك
فى رق والقمه الحجر الاسود وسياتى يوم القيمة وله لسان يشهد به لمن استلمه بالتوحيد
والوفا بالعهد وروى ان ذلك ذكره صلى الله عليه وسلم فاقره وقد قيل ان عمر رضى الله عنه
كان عالما بذلك ولكنه قال مقاله هذا واسمعه للناس لقرب عهدهم بالجاهلية وعبادة
الاحجار فخشى ان يضلوا ويعتقدوا انها فيها ما عليه وقد ورد ان الحجر الاسود يمين الله
فى ارضه اى وضعه فى الارض يقبل كما تقبل اليد اليمنى دون اليسرى تكريما لها وان تقبيله
بمنزلة الانعام والرضى كتقبيل يد العظما فهو استعارة والاضافة للتشريف كبيت الله وفيه
رد على من قال ان الحجر الاسود له خاصية فى ذاته كخاصية المغناطيس لجذب الحديد وفى
الحديث من الاحكام انه يكره تقبيل ما لم يرد الشرع بتقبيله كما يفعله بعض العوام من تقبيل
قبور الاوليا والاماكن المباركة وقول الشافعى رضى الله عنه كل مكان قبل من البيت حسن لم يرد
به استحبابه وانما اراد اباحته لان المباح حسن عند بعض الاصوليين **وقبل** مبنى للمجهول
براء مهملة مضمومة وهمزة مكسورة وبا مفتوحة وقال ابن مرزوق انه بوزن قيل فهو ما فيه
من اللغات واخره همزة بالقلب الثالث وتبعه بعضهم فان ساعدته رواية فيها ونعمت والا فهو تلمسانی
تكلف لا حاجة اليه **عبد الله بن عمر** الصحابى المشهور رواه عند احمد بن حنبل والبزار بسند
صحيح **يدير ناقته فى مكان** وهو ركبها اى يلفت وجهها او بطنها حوله حتى عادت لموضعها
الاول **فسئل** عن فعله ذلك لاى شى هو **فقال لا ادرى** وجه ما فعلته وحكمته **الا انى
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله** اى يدير ناقته فى هذا المكان **ففعلته** اقتدا
به صلى الله عليه وسلم وفيه انه يستحب الاقتدا بافعاله صلى الله عليه وسلم وفيه انه يستحب
الاقتدا بافعاله صلى الله عليه وسلم تبركا وبينا الا انه قيل اذا صدر عنه امر يحتمل انه
انما فعله بمقتضى الجبلة البشرية لا بنية التعبد هل يستحب فعله ام لا يذهب الاكثرون
الى انه لا يستحب الاقتدا به لا باس به وهو الظاهر واما غيره فيكره الاقتدا به فى مثله كما يفعله
بعض الصوفية فى اتباع ائمتهم ومن هذا التقبيل لبس الخرقة ونحوه فى عرفه **وقال
ابو عثمان الحيرى** شيخ الصوفية بنيسابور وهو بكسر الحا والرا المهملتين وبينهما مثناة
تحتية ساكنة وفى اخره يا النسبة مشددة نسبة للحيرة اسم محلة بها كان يسكنها وهو ابو عثمان
سعيد بن اسماعيل توفى سنة ثمان وتسعين ومائتين وهو من كبار الزهاد والمشايخ
الصوفية وهو صاحب ابى حفص النيسابورى كما قاله ابن ماكولا والذهبى وذكره القشيرى
فى رسالته ونقل ما ذكره المصنف عنه وذكر انه صحب شاه الكرمانى ويحيى بن معاذ الرازى ثم ورد
نيسابور مع شاه الكرمانى على ابى حفص الحداد فتخرج عليه وزوجه ابنته وقد صحف الناس
هنا نسخته فقيل انه الجنيدى بجيم مهملة مضمومة ونون مفتوحة بعدها يا ساكنة ودال معجمة

مكسورة ويا النسبة كذا فى اصل ابى العباس المقرى وهو مخالف لما فى اصل المصنف بخطه وهو
الصحيح وفى بعض النسخ الجنيدى بجيم مضمومة ودال مهملة وفى بعضها الحميدى مصغرا بحا
ودال مهملتين والكل تحريف وتصحيف والصحيح ما نقلناه اولا واذا حاضرا به بطل نهى
معقل واقربها الجنيدى فانه كان على طريقته فى الزهد ولم يكن فى عصره اعرف منه بطريق
المشايخ ومن كلامه رضى الله عنه الصحبة مع الله عز وجل بحسن الادب ودوام الهيبة والمراقبة
والصحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم باتباع سنته وظاهر فعله والصحبة مع اوليا الله بالاحترام
والخدمة والصحبة مع الاهل بحسن الخلق والصحبة مع الاخوان بدوام البشر والصحبة مع
العوام بالدعا والرحمة لهم **من امر السنة على نفسه** وهو بفتح الهمزة وتشديد الميم
وراء مهملة خفيفة اى جعل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وطريقته **قولا وفعلا** اى فى
اقواله وافعاله فهو منصوب على الظرفية او تمييز محول عن المفعول اى جعلها اميرا
عليه وحاكما وهو عبارة عن عموم مخالفتها وقيل انه بفتح الهمزة والميم المخففة وتشديد الرا تلمسانی
المهملة اى اجراها ومشى عليه وهو بعيد **نطق بالحكمة** اى القول الصواب النافع له
فى الدنيا والاخرة وكل كلام وافق الحق فهو حكمة **ومن امر الهوى** امره الذى قبله فهو
استعارة والهوى ما تهواه نفسه الامارة وتشتهيه **نطق بالبدعة** اى بما خالف الحق مما زينه
له الشيطان من الضلالة **وقال سهل التسترى** وهو سهل بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن
رفيع شيخ الصوفية الزهاد تقدمت ترجمته والكلام على بلده تستر وهى مشهورة **اصول
مذهبنا** اى التصوف اى قواعده التى تبنى عليها **ثلاثة** اولها واعظمها **الاقتدا بالنبى
صلى الله عليه وسلم** واتباعه **فى الاخلاق والافعال و** الثانى **اكل الحلال و** الثالث **اخلاص
النية فى الاعمال** وهذه الاصول وان كانت اصول الصوفية فهى اصول الشريعة ايضا
وقد ورد فى الحديث بمعناه وهو ظاهر **وجا** اى ورد عن السلف فى التفاسير المأثورة
فى تفسير قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب **والعمل الصالح يرفعه انه** بفتح الهمزة فاعل
جا **الاقتدا بالنبى صلى الله عليه وسلم** فان العمل لا يكون صالحا مقبولا الا اذا كان وافق
الكتاب والسنة وموافقتها عين الاقتدا به قولا وعملا وضمير انه للعمل الصالح وضميرا
يرفعه المرفوع والمنصوب الاول للكلم الطيب وهو التوحيد والثانى للعمل والرفع بمعنى
القبول ويجوز العكس اى يرفع التوحيد الاقتدا برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يقبل
بدونه وعلى الثانى المراد بالكلم الطيب الاذكار وما هو قريب منها وهى انما تقبل اذا وافقت
السنة والكلام عليه مفصل فى كتب التفسير **وحكى** بالبنا للمجهول اى نقل لنا **ان الامام
احمد بن حنبل** رحمه الله تعالى وحنبل اسم جده فانه احمد بن محمد كما اشار اليه المصنف فيما
ياتى ابن هلال الشيبانى المروزى ثم البغدادى لانه نزلها وتوفى فيها ثانى عشر
ربيع الاول سنة احدى واربعين ومائتين وهو امام السنة صاحب المذهب الزاهد
العابد وله مناقب افردها بالتصنيف **قال كنت يوما مع جماعة تجردوا** من ثيابهم **ودخلوا الما** عرضی
للاغتسال **فاستعملت الحديث** اى عملت به فلما سمعته لبستها كيف وقيل العين
طلبت ذلك من نفسى وذلك لانى لو افقتهم هولا وهذا الحديث رواه مسلم والترمذى

وهو من كان يومن بالله اي يصدق ويعترف بالله واليوم الاخر اي يوم البعث والحشر وهو يوم القيمة والايمان بهما عبارة عن الايمان بجميع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فكنى بالطرفين عن الجميع فهو من باب الاكتفا فلا يدخل الحمام المراد به كل مكان يغتسل به ثم غلب في العرف على محل مخصوص الا بميزر بكسر الميم وهمزة ساكنة ويبدل يا بمعنى الازار وهو ما يستر به نصف المرء الاسفل ولم اجد دا اي ما اطلع ثاني والفرق منها وهو عطف تفسير لاستغراق الحديث فرايت في المنام تلك الليلة التي تلي يوم وجوده قايلا لي اي شخصا يقول لي يا احمد ابشر اي مبشرا من الله بما يسرك ان الله قد غفر لك اي عفا عنك وانعم عليه بقبول ما صدر منك باستعمال السنة اي بسبب اقتدايك بالرسول صلى الله عليه وسلم والعمل بحديثه وجعلك اماما يقتدى بك ويهتدى بك لكونه مجتهد اصحاب مذهب قلت لمن رايته في المنام من انت استفهاما يريد به تعيينه عنده قال جبريل اي انا جبريل رسول الله الى عباده

فصل

ومخالفة امره اي ترك ما امر الامة به وتبديل سنته اي تغييرها بوجه من وجوه التغيير ولونا وبله على خلاف مراده ضلال اي عدول عن الطريق المستقيم وهو طريق الرسول صلى الله عليه وسلم وشريعته وبدعة اي امر احدثه في الدين واذا اطلقت البدعة انصرفت الى غير الحسنة وهي المرادة هنا متوعد عليها اي ورد الوعيد لفاعلها في احاديث كثيرة تقدم بعضها وفي ايات قرانية من الله بالخذلان متعلق بقوله متوعد والخذلان ضد التوفيق وهو ان يخلق الله فيه داعية المعاصي في الدنيا والعذاب الاليم في الاخرة قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم ضمن يخالفون معنى يعرضون فلذا عداه بعن وهو متعد بنفسه وضمير امره للنبي صلى الله عليه وسلم لانه المقصود بالذكر في الاية وهو الذي بني المصنف عليه كلامه هنا وفيه وجه اخر انه لله لانه الامر الحقيقي والفتنة ما في الدنيا من المصايب كالمحنة الدنيوية والعذاب الاليم في الاخرة وقال تعالى ومن يشاقق الرسول اي يعاديه ويخاصمه فيكون في شق وهو في شق اخر من بعد ما تبين له الهدى اي ظهر له الحق وثبت صحابته بمعجزاته صلى الله عليه وسلم وعدا ايد الله لمن هداه برسوله صلى الله عليه وسلم ويتبع غير سبيل المومنين اي يسلك طريقا غير طريقهم في الاعتقاد والعمل نوله ما تولى اي نجعله متوليا لما تولاه من الضلالة والبدع الاية اي اقراها يعني قوله ونصله جهنم وساءت مصيرا وهذا وعيد شديد لمن لم يقتد به صلى الله عليه وسلم واستدل بهذه الاية على حجية الاجماع كما بين في كتب الاصول ثم ذكر حديثا رواه مسلم والامام مالك مسندا شاهدا لما ذكره فقال حدثنا ابو محمد عبد الله بن ابي جعفر هو عبد الله ابن محمد بن عبد الله الحسني وقد تقدمت ترجمته وعبد الله بن عتاب تقدم ايضا تمرا في عليهما بيان لطريق روايته وبيني عرضا قالا حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد تقدم ايضا قال حدثنا ابو الحسن القابسي تقدم قريبا قال حدثنا ابو الحسن بن مسرور الدباغ بعين مهملة مشددة اسم المفعول وهو علي بن محمد بن مسرور توفي في منتصف رمضان سنة تسع وخمسين وثلاثماية قال حدثنا احمد بن سليمان

بن ابي سليمان سحنون وهو مولى لربيعة ويكنى ابا جعفر توفي في سنة احدى وتسعين وماتين وزناها السبعين قال حدثنا سحنون عبد السلام بن سعيد وستاتي ترجمته مفصلة قال حدثنا ابن القاسم تقدمت ترجمته قال حدثنا مالك الامام المشهور عن العلا بن عبد الرحمن تقدم ايضا عن ابيه عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة مثلثة البا والكسر لغة قليلة فيها وذكر الحديث في صفة امته صلى الله عليه وسلم يعني قوله لكم سيما ليست لاحد من الامم تردون علي غرا محجلين من اثر الوضوء وفيه اي في الحديث المذكور فليذادن رجال عن حوضي اللام في جواب قسم مقدر ويذادن مبني للمجهول بذال معجمة والف بعدها دال مهملة ونون توكيد مشددة والذود هنا بمعنى الطرد والمنع وهذه رواية ابن القاسم ورواية غيره فلا يذادن ولا نافية او ناهية اي لا يفعل احدكم فعلا يطرد بسببه عن حوضي على معنى التحذير والاشفاق ورجحت الرواية التي اختارها المصنف كما يذاد البعير الضال اي كما يطرد البعير اذا ضل من صاحبه واتى ليدخل في ابل اخرى يستقي فتطرد من بينها لئلا ينقص شربها فاناديهم اذا طردوا الا هلم الا هلم كرره للتاكيد على العادة في ندا من هلم ونعت ايان لحرصه صلى الله عليه وسلم على ردهم لشفقته عليهم ورحمته لهم وهلم بفتح الها وضم اللام وفتح الميم وهي اسم فعل بمعنى اقبل واحضر وسمعت نفسها والى والكلام وبيمها مشددة مفتوحة يستوي فيها الذكر وغيره وهي بسيطة في الاصل او مركبة من ها للتنبيه ام من هل ام وهذه لغة اهل الحجاز وهي الفصحى لانها لغة القران ولغة غيرهم هلم وهلما وهلموا وهلمي فهي عندهم فعل لان اسم الفعل لا يتصل به الضماير والمطرودون من المنافقين والمرتدين لكونهم اظهروا الاسلام وتوضاوا وصلوا فيكونون غرا محجلين ولذا دعاهم وناداهم ولو لم تكن هذه السيما الا للمومنين لم يدعوا ان كان المراد اهل البدع من المومنين واصحاب الكباير لا مرطا هو وقال النووي اختلف في المراد به على اقوال احدها ان المراد به المنافقون ويجوز ان يحشروا غرا محجلين فيناديهم للسيما التي عليهم فيقال انهم بدلوا ولم يموتوا على الاسلام والثاني ان المراد من كان في زمنه صلى الله عليه وسلم ثم ارتد فيناديهم وان لم يكن لهم سيما لانه يعرفهم والثالث ان المراد اصحاب الكباير والمعاصي الموحدين واصحاب البدع يذادون عقوبة لهم فيقال بالبنا للمجهول اي يقول الله تعالى او الملايكة او من عرفهم من الصحابة انهم قد بدلوا بعدك اي غيروا سنتك وارتكبوا ما لم يعهد منهم وفي نسخة انهم قد بدلوا بعدك فاقول سحقا سحقا وفي نسخة فسحقا باعادة الفا للتاكيد وهو بضم السين والحا وتسكن تخفيفا قال تعالى فسحقا اي جعلهم الله في مكان سحيق اي بعيد واصله من سحقا اذا تفتته والسحق الثوب البالي وهو على تقدير اسحقوا وابعدوا بعدا سحقا بدا ويحتمل انه دعا عليهم تقديره الزمهم الله سحقا فنصبه على المصدرية او مفعول به واذا كان دعا فعامله محذوف وجوبا كجدعا وعقرا فقيل هل هو مصدر لفعل ثلاثي وهو سحقه او لغيره اي اسحقه على حذف الزوايد وقياسه اسحاقا ولا يحتاج لذلك وان

اختاره ابو علي انه بل لدواع لان سحقه بمعنى كتنمه كسحق المسك ونحوه واما من
البعد فلتستعمل اسحقه بمعنى ابعده الله واسحقه كما قاله الراغب وروى انس بن مالك
في حديث رواه الشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال من رغب عن سنتي اي تركها لان
رغب اذا تعدى بعن يكون بمعنى الترك ضد رغب فيه وسنته طريقته وشريعته فليس
مني اي ليس من اتباعي واشياعي ومن اهل ملتي كما تقدم بيانه وهذا متبرى منه
ورد له فهو في معنى الحديث الذي قبله وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان
من ادخل في امرنا اي احدث بدعة في الدين وروى من احدث وهما بمعنى هذا عبر
باسم الاشارة اليه لظهوره بمنزلة المحسوس المشاهد ما ليس منه اي امر مخالف له
للكتاب والسنة فهو رد اي مردود وعبر بالمصدر للمبالغة كرجل عدل وهذا من حديث
طويل من قواعد الدين وقال الطوفي انه نصف الدين وروى ابن ابي رافع عن ابيه
وهذا الحديث رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه كما تقدم قريبا عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال لا الفين احدكم بالبناء للمجهول نهي نفسه والمراد به نهي غيره عن ان
يجده ويراه على هذه الحالة متكئا على اريكته اي متمكنا جالسا على سريره وتقدم
بيان الاريكة يأتيه الامر جملة حالية تقريرا لبطره وسواده من امري مما امرت
به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما ابتت به لا ادري غير كتاب الله ما وجدنا في كتاب
الله اتبعناه وقد تقدم قريبا الكلام عليه وزاد المقدام في هذا الحديث كما رواه الحاكم
عنه وهو المقدام ابو كريمة ابن معدي كرب الكندي المكني ابا صالح ممن وفد على النبي صلى
الله عليه وسلم من كندة وتوفي بالشام سنة سبع وثمانين وهو ابن احدى وسبعين سنة
الا بفتح الهمزة كلمة استفتاح وان ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله لانه مبلغ عنه
فيجب اجتناب ما حرمه وفيه رد على القايل لا يتبع الا كتاب الله وفيه اشارة الى انه معصوم
في اقواله وافعاله وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الدارمي وابن المنذر
وابن جرير وابو داود مرسلا وجي مجهولا والجملة حالية بتقدير قد او معترضة
بكتاب اي مكتوب في كتف اي في عظم كتف لانهم في الصدر الاول كانوا يكتبون فيها
وفي الجلود لعزة الورق اذ ذاك والجاي به عمر رضي الله عنه وابنته حفصة او عايشة
كما قيل وقيل انه شي كان كتبه بعض المسلمين عن اليهود فلما راه صلى الله عليه وسلم
القاه وقال كفى بقوم متعلق بكفى او الباء زايدة في المفعول حمقا او قال ضلالا
شك من الراوي ونصبهما على التمييز والحمق الغباوة وعدم الفهم والضلال ضد
الهداية وجعله كذلك لتطرقهم في امور معنوية حمقة بحرمة وتركهم السنة ورسول الله
صلى الله عليه وسلم معهم بين اظهرهم كما يشير يقول له ان يرغبوا متعلق على كفى اي رغبتهم عما
جاءهم به نبيهم اي ناظرين اليه راغبين فيه وهم لا يعلمون بصحته او ناظرين الى كتاب
غير كتابهم الذي انزله الله على رسولهم فلا ينبغي لهم الا قبوله والسماع منه اعتنا بما له وهو
بين وفيه اشارة الى انه كان مامورا منقولا عن اليهود كما نقله في زاد المسير فنزلت
اية او لم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب اي القران الذي ما فرطنا فيه من شي فهو لوم على

ما

ما يتلوه وهو عطف على ما قبله والهمزة مقدمة من تاخير او على مقدر معلوم من الحال
اي اتى لوا ذلك ونتلوه ولم يكفهم الخ وهذا سبب نزول الاية كما نقله في اسباب النزول
وقيل سبب نزولها ان المشركين طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم باية من
ايات الانبياء عليهم الصلاة والسلام كعصى موسى وناقة صالح فقال الله لهم اولم يكفهم معجزة
القران التي هي اعظم المعجزات وهي باقية مستمرة ولذا قال يتلى عليهم الاية وعبر بالمضارع
والضمير لليهود او للمسلمين او المشركين وقيل انه كلا منهما سبب لنزولها ولا مانع من دبجي
تعدد السبب ولا حاجة لتعدد النزول كما قيل وفيه دليل على النهي عن قراءة الكتب المنسوخة
الا لمطلع من يعرف النسخ والتحريف وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم عن
ابن مسعود رضي الله عنه هلك المتنطعون اي وقع في امر مهلك يؤدي الى غضب الله وعقابه
من تنطع اي بالغ وغالى في الامور وتشدق بكلام لا حاجة اليه من التنطع وهو النطع الاعلى
من الفم استعير لكل متعمق في قول او فعل بعيدهم واصله من تنطع فمه في تكلمه وقال الخطابي
المتنطع المتعمق المتكلف للبحث على مذاهب اهل الكلام الخايض فيما لا يبلغه عقله ومناسبته
لما نحن فيه ان من تنطع خرج عن ظاهر السنة وعدل عن ظاهر سنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وبه صرح اول الحديث وهو تعلموا الفرايض قبل ان يقبض وايكم والتنطع والتعمق السلم
والبدع وهلك جامع باب ضرب ومنع وعلم وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه وهذا
رواه عنه ابو داود والبخاري وغيرهما لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعمل به من سنته في اقواله وافعاله واحكامه وهديه الا عملته اقتداء به صلى الله عليه
وسلم واتباعا لاثاره الحميدة اني اخشى اي اخاف ان تركت شيئا من امره اي شانه وحاله
الذي كان عليه ان ازيغ بزاي وغين معجمتين اي اميل عن الحق والسنة واصل معنى الزيغ
الميل عن الاستقامة قال تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم اي لما مالوا عن الاستقامة عاملهم
الله بذلك

الباب الثاني من القسم الثاني

من الكتاب في ذكر ما يدل على لزوم محبته اي وجوبها على كل مكلف من امته وفي نسخة
فصل والصحيح الاول ووجوبها عقلا وشرعا لقوله قال تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم
واخوانكم وازواجكم اي زوجاتكم جمع زوج وهو يطلق على الذكر والانثى وزوجة لغة
ايضا فرقا بين المذكر والمؤنث وعشيرتكم وهم اقرباء النسب واموال اقترفتموها اي
اكتسبتموها وملكتموها الاية اي اقرأ ما بعده ذكره وتجارة تخشون كسادها ومساكن
ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره وسبب
نزولها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما امر بالهجرة تخلف بعض عنه فنزلت وتفسير الاية معلوم
من اثنا سبعه لا حاجة لذكره هنا فكفى بهذا المذكور في الاية حضا اي حثا وتحريضا
وترغيبا قال الراغب الحض التحريض كالحث الا ان الحث يكون بسير وسوق والحض لا يكون
بذلك واصله الحث على الحضيض وهو قرار الارض انتهى وتنبيها اي ايقاظا لهم من
نومة الغفلة عن محبته صلى الله عليه وسلم حتى لا يغيب عنهم طرفة عين ودلالة لهم على ما
يجب من محبته وحجة اي ثباتا لدليل وجوب محبته عليهم والاخرى بالنسبة لمن لا يعرف

ذلك ومما قبله لغيره على التزام محبته اى لزومها عقلا ووجوب فرضها عليهم
شرعا وعظم خطرها اى قدرها وفا بوثها واصله ما يعطى عند الرهان واستحقاقه
صلى الله عليه وسلم لها اى للمحبة المذكورة كما قيل

تملك بعض حبك كل قلبى فان ترد الزيادة هات قلبا

اللهم املأ قلبى بنور ايمانك ومحبتك ومحبة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم حتى لا يكون
فيه محلا لغيرك اذ قرع بفتح القاف والرا المهملة المشددة وعين مهملة اى وبخ قيل
وفى اصل الصغاني تقرع والصواب الاول تعالى من كان ماله واهله وولده احب
اليه من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ثم يبين تقريعه بقوله واوعدهم بقوله
فتربصوا اى انتظروا والامر وفيه من التوبيخ ما لا يخفى وفسقهم اى وصفهم ونسبهم
للفسق بتمام الاية اى بما ذكر فى اخرها حيث قال والله لا يهدى القوم الفاسقين
فجعلهم فاسقين بتخلفهم عن الهجرة وسلب عنهم الهداية بوصف يشعر بعلتها وهو معنى قوله
واعلمهم انهم ممن ضل ولم يهده الله تبارك وتعالى حدثنا ابو على الغساني الجياني
الحافظ وتقدمت ترجمته فيما اجازنيه يعنى انه رواه عنه بالاجازة ولم يقراه عليه مع
انه معاصر له وهو اى هذا الحديث الذى رواه البخارى وغيره مما قراته على غير
واحد من المشايخ غيره فله فى روايته طرق كثيرة اقوى من هذه وانما اختارها لعلو
سنده وجلالته قال الغساني حدثنا سراج بن عبد الله القاضى تقدم بيانه قال
حدثنا ابو محمد الاصيلى تقدم ايضا قال حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف هو
الفربرى راوى البخارى وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا محمد بن اسماعيل هو امام
اهل السنة صاحب صحيح البخارى قال حدثنا يعقوب بن ابراهيم ابن كثير العبدى
الدورقى صاحب المسند وامام الحديث توفى سنة اثنتين وخمسين ومائتين ونسب الى
دورق اسم بلدة او الى صنعة الدورق وهو نوع من القلانس قال حدثنا ابن
علية بالتصغير الامام الثقة الحافظ اسماعيل بن ابراهيم بن مقسم المشهور بابن علية
اخرج له اصحاب السنن الستة وتوفى سنة ثلاث وتسعين ومائة وله ترجمة فى كتاب
الميزان وعلية امه عن عبد العزيز بن صهيب علم منقول من المصغر وهو البنانى
الاعمى الامام الثقة الحافظ اخرج له الستة وتوفى سنة خمس وثلاثين ومائة وترجمته
مشهورة عن انس بن مالك الصحابى المشهور ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا يؤمن احدكم هو من خطاب المشافهة فيعم الموجودين وغيرهم وقيل خص بالخطاب	دحى
الموجودين والحكم عام بينها دلالة انه روى بغير خطاب فى مسلم لا يؤمن عبد وفى رواية
غيره احد اى لا يؤمن ايمانا كاملا كما فى رواية ابن حبان لا يبلغ عبد حقيقة الايمان
حتى اكون بالنصب وهو غاية لما قبله احب اليه من ولده ووالده والناس
اجمعين ايثارا له صلى الله عليه وسلم واكراما له واجلالا واحب بمعنى اكثر محبوبية على خلاف
القياس كاشغل من ذات النحيين ولم يذكر نفسه لدخولها فى الناس وقوله اليه لا
يقتضى خروجها لمغايرتها له من جهة كونه محبا وهى محبوبة الامر وساير اله اهل

داخل

داخل فى الناس ايضا ولا حاجة لادخالها فى الوالد كما قيل وسيأتى معنى محبتهم له صلى الله	عرض
عليه وسلم ومعنى محبته لهم صلى الله عليه وسلم وعن ابى هريرة رضى الله عنه نحوه اى روى
عنه حديث بمعنى الحديث المذكور وروى عن انس خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى حديث رواه الشيخان عنه عليه الصلاة والسلام ثلاث اى ثلاث خصال او
خصال ثلاث فالوصف المقدر سوغ الابتداء بالنكرة كقولهم ضعيف عاذ بقرملة اى
رجل ضعيف من كن اى الخصال فيه وجد حلاوة الايمان خبر المبتدأ وضميره كن
يعنى وجدن فكان تامة وحلاوة الايمان لذته ففيه استعارة وهو بيان مرسل الخصلة
الاولى ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما جمع الله وغيره فى ضمير واحد
مع انه صلى الله عليه وسلم نهى عنه كما تقدم حيث قال للخطيب الذى قال ومن يعصهما فقد غوى
بئس خطيب القوم انت قل ومن يعص الله ورسوله لايهامه التسوية بين الله وغيره ولذا
قيل انه مكروه واجيب عنه بان الخطبة مقام اطناب لا ايجاز وانه يجوز لله ورسوله ذلك
دون غيرهما فهو من خصائصه والبيان لابن عبد السلام وقيل انها واقعة حال لا تعمم
لاحتمال انه كان بالمجلس من يتوهم التسوية او ان هذا كان فى ابتداء الاسلام ووجود المشركين
بين اظهرهم لا سيما لقصد المبالغة فى تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وان لا يفصل
بين محبته ومحبة الله بفاصل لفظى وملاحظة انه لا يتخيل التسوية بين العبد وسيده وتتمة
كلام فصلناه فى غير هذا المحل والثانية وان يحب المرء بالنصب مفعول يحب وفاعله ضمير
من لا يحبه الا لله اى يخلص فى محبته من غير ملاحظة انتفاع ما وعلامته ان لا يزيد بالبر ولا
ينقص بالجفا كما قاله ابن معاذ والثالثة ان يكره ان يعود فى الكفر كما يكره ان يقذف فى
النار لتمكن الايمان من قلبه ومحبته له واطمئنان قلبه وفى رواية بعد اذ انقذه
الله منه والانقاذ الاخراج وهذا ظاهر فى حق من تلبس بالكفر كما يعود فانه بمعنى الرجوع
اما من ولد مسلما واستمر على اسلامه فيجمع بالمشابهة عليه وبالطريق الاولى وقيل الانقاذ
بمعنى العصمة منه والعود بمعنى الصيرورة وعدى العود بفى وهو يتعدى بالى لتضمنه معنى
الاستقرار كانه قيل له وما يكون لنا ان نعود فيها وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى
حديث رواه البخارى عن عبد الله بن هشام انه قال للنبى صلى الله عليه وسلم لانت
احب الى خبر انت واللام فى جواب قسم مقدر من كل شىء فى الدنيا وغيرها الا نفسى
التى بين جنبى متعلق باحب الى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لن يؤمن احدكم حتى
اكون احب اليه من نفسه ايثارا له صلى الله عليه وسلم على نفسه وغيره فقال عمر
مجيبا له صلى الله عليه وسلم والذى اى الله الذى انزل عليك الكتاب واوحى اليك القران
لانت احب الى من نفسى التى بين جنبى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم الان نطقت
بالحق او ظهر اتصافك بكمال الايمان فهو متعلق بمقدر وهو مبنى على الفتح والدخيلة لازمة
كما اتفق عليه النحاة وهو الزمان الحاضر يا عمر صرح باسمه اشارة الى انه وصل لرتبة علية
تخصه بالنسبة لبعض من عداه اى لا تكون كالمرتبة الاولى ولا يليق بملومها الا اقتصار
عليها وانما اقتصر على الاول احترازا عن المبالغة لان محبة المرء لنفسه وترجيحها امر

طبيعي لا يتم منه الا من ملك نفسه وجاهدها وقال ابن حجر جواب او لو كان بحسب ما
طبع عليه ثم تامل تعرف بالاستدلال انه صلى الله عليه وسلم احب اليه منها لانه الذي نجاه
من الضلال في الدنيا والاخرة فاخبره بذلك ثانيا ولذا قال له الان تحققت ونطقت
وقيل معناه لن يؤمن احدكم ايمانا يعتد به حتى يقتضي عقله ترجيح رسول الله صلى الله
عليه وسلم على ما سواه وفيه شواهد ثم قال والحديث يومي الى ان محبة الرسول صلى الله
عليه وسلم امر غير اعتقاد اعظميته كما زعمه المص ورده القرطبي ولا وجه له فان عمر لا يشك
انه صلى الله عليه وسلم اعظم من نفسه ومن كل شي ولا يلزم من اعتقاد الاعظمية المحبة كما لا يخفى
والمراد بالحب هنا العقلي الاختياري الذي يقتضي العقل ايثاره وان خالف لمحبة المربين
ابن انيس — الهو والا الطبيعي الذي لا يدخل تحت اختياره فان الله لا يواخذه به لانه لا يدخل تحت
اختياره فان الله لا يواخذه به لانه لا يدخل تحت استطاعته والمراد بالنفس هنا الذات
ولوازمها من الحياة ونحوها وقيل المراد الروح وان فرق بينهما واراد بالتي بين جنبيه السر
القايم به الحياة واضافه اليهما بجري العادة لسبب الحياة بسبب ما بينهما وهو القلب وما يتعلق
به من سائر الاعضاء الرئيسة وليس هذا موضع الكلام على الروح انتهى واخبر عمر رضي الله عنه القسم
لبعد ما تدبره تحقيقا لخلوص طويته في مقالته ولذا قال له صلى الله عليه وسلم الان لما علمه منه
وقال سهل بن عبد الله التستري من لم ير اي يعلم ويتحقق يقينا ولاية الرسول عليه في جميع
احواله الولاية بكسر الواو وفتحها بمعنى نفوذ حكمه وسلطانه حتى كانه مملوك له وقال الراغب
الولاية بالفتح النصرة وبالكسر تولي الامر وقيل الولاية والولاية واحدة وهي مصدر نحو
الدلالة والدلالة وحقيقتها تولي الامر انتهى والمراد انه لا يخالفه في امر من اموره ويرى
نفسه في ملكه بكسر الميم اي مملكه حتى كانه عنده صلى الله عليه وسلم لا يذوق حلاوة سنته
استعارة تصريحية او مكنية وتخييلية والمراد انه اذا اسلم ولاية رسوله يطيب قلبه شرح الله
صدره لاتباعه والاقتداء به فاستلذ الاعمال الصالحة فقام ذلك له مقام العذب الحلو
اللذيذ وهذا ماخوذ من قوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا
في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما كما تقدم بيانه لان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا يؤمن احدكم اي لا يكمل ايمانه حتى اكون احب اليه من نفسه الحديث منصوبا على
ونحوه وتقدم تمام الحديث ووجه مناسبة كلام سهل لما نحن فيه ولما علل به انه يدل
على ان من جعل نفسه تابعة للرسول صلى الله عليه وسلم في اقواله وافعاله تلذذ بالاقتداء به
ولا يستلذ بذلك الا اذا احبه فان الحب لاتباعه لمحبوبه يترك مراده لمراده ولهذا ادل
على الاحبية وطابقت العلة معلولها كما لا يخفى وقد تقدم قوله ان المحب لمن يحب مطيع
مع الكلام عليه **فصل في ثواب محبته صلى الله عليه وسلم** بما يرجوه
من بركتها في الدنيا ومن سعادتها في الاخرة كما قال صلى الله عليه وسلم المرء من احب
والثواب الجزاء اسند حديثا في ذلك رواه البخاري فقال حدثنا ابو محمد بن عتاب
بقراءتي عليه تقدم بيانه وان القراءة والاجازة سواء عند المص وعند غيره القراءة اقوى وهو
الظاهر قال حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد تقدم ايضا والكلام على التكني بابي

القاسم

القاسم مشهور سيأتي منه ما فيه الكفاية قال حدثنا ابو الحسن محمد بن خلف القابسي
كما تقدم قال حدثنا ابو زيد المروزي تقدم ايضا قال حدثنا محمد بن يوسف
الفربري وقد تقدم قال حدثنا محمد بن اسماعيل البخاري وقد تقدم قال حدثنا
عبدان عبد الله بن عثمان وقد تقدم قال حدثني ابي ابوه عثمان بن جبلة
ابن ابي رواد العتكي الثقة اخرج له اصحاب السنن قال حدثنا شعبة تقدمت ترجمته
عن عمرو بن مرة الجملي بفتحتين نسبة لجمل ابو حي احد الاعلام العاملين اخرج
له اصحاب الكتب الستة توفي سنة ست عشر ومائة عن سالم بن ابي الجعد الاشجعي
الكوفي توفي سنة خمس وخمسين ومائة واخرج له الستة واسمه رافع عن انس ان رجلا
اتى النبي صلى الله عليه وسلم قيل ان الرجل اعرابي لا يعرف وقيل هو الاعرابي الذي بال
في المسجد وقال ابن بشكوال انه ابو موسى الاشعري رضي الله عنه او ابو ذر رضي الله عنه
واحتج بحديث لا حجة له فيهما وقيل انه اعرابي اسمه ذو الخويصرة وقيل ان السائل
عمير بن قتادة وفي معجم الذهبي انه عمر بن الخطاب وابان قيل ولذلك اورد البخاري
هذا الحديث في مناقب عمر رضي الله عنه قلت التعبير برجل من غير تعيين يابى كونه
عمر او غيره من مشاهير الصحابة الا ان يكون الراوي نسيه والظاهر انه اعرابي فقال
متى الساعة يا رسول الله سال عن تعيين زمان وقوعها والساعة جزء من اربعة وعشرين
جزءا من اليوم والليلة ثم اطلق لغة على كل زمان قليل فتقول جلست عندك ساعة اي
قليلة ثم شاع في يوم القيمة وصار حقيقة فيه اما لانه قليل بالنسبة لما بعده من الخلود
عرض — وبالنسبة لما يقع فيه من الامور العظيمة وهو مجاز صار حقيقة في عرف الشرع واللغة وقيل
سميت بها لقربها كانها لتحقق وقوعها تقع بعد ساعة او لانها تاتي بغتة او لان البعث من القبور
يكون في اسرع من لمحة والتجلي ما فيه قال صلى الله عليه وسلم ما اعددت لها اي ما هيات
واحضرت لها من الاعمال الصالحة التي تنفعك فيها اذا اتت وهذا من الاسلوب
الحكيم لانه ترك جوابه وساله بما هو عدة له فيها اشارة الى انها لا يعلم زمان وقوعها لانه
لا يعلمه الا الله قال ما هي نائبة اعددت لها من كثير بالمثلثة وفي بعض النسخ بالموحدة
التحتية وهو صحيح ايضا صلاة ولا صيام ولا صدقة من اضافة الصفة للموصوف اي لم
اعد لها ما ينفعني فيها ولكني احب الله ورسوله استدراك على ما ذكره من تفريطه
وتركه ما ينفعه اي ليس عندي ما ينفعني ثمة الا الايمان بالله ورسوله ومحبتهما قال
انت مع من احببت وفيه جواب له على ابلغ الوجوه وتبشير له ولمن احب الله ورسوله
صلى الله عليه وسلم ولذا قال في تتمة الحديث انس ومن حضر من الصحابة قالوا يا رسول الله
ونحن كذلك قال نعم قال فرحنا يومئذ فرحا شديدا وليس المراد بكونه معه انه
ساواه في منزلته وعلو مرتبته كما مر وانما المراد انه يدخل الجنة في زمرة المومنين وان
كانت مراتبهم متفاوتة وقد نظم معنى الحديث الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى كما تقدم
فقال

وقائل هل عمل صالح اعددته ينفع عند الكرب
فقلت حسبي خدمة المصطفى وحبه فالمرء مع من احب

ومن شعر الصبا قولى

وحق المصطفى لى فيه حب ... اذا امرض الرجا يكون تطبا

ولا ارضى سوى الفردوس دارى ... اذا كان الفتى مع من احبا

ونقدم ايضا وعن صفوان بن قدامة الصحابى المنبجى المرادى كما قال الذهبى ولابنه صحبة واسمه عبد الرحمن قال هاجرت الى النبى صلى الله عليه وسلم ارسا فى للحق رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيته فقلت يا رسول الله ناولنى يدك اى امدد ها الى كما كانت عادته فى المبايعة ابايعك مجزوم فى جواب الامر والمبايعة الاقرار بحاجابه وا تباعه صلى الله عليه وسلم معا مقعة من البيع فقلت لما ذكر فناولنى يده فقلت يا رسول الله انى احبك قال المرء مع من احب تقدم تفسيره وكان قدم المدينة مع ابنيه له كما ذكره الترمذى والنسائى وروى هذا اللفظ يعنى قوله صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب عن النبى صلى الله عليه وسلم مخاطبا به من ذكر محبته له عبد الله بن مسعود وابو موسى الاشعرى وانس رضى الله عنهم وعن ابى ذر بمعناه وهذا سبب ما تقدم من اختلافهم فى تعيين الرجل الذى ورد بها فى الحديث السابق ونسبه بعضهم الى الغلط فيه وعن على ابن ابى طالب فى حديث رواه عند الترمذى ان النبى صلى الله عليه وسلم اخذ بيد حسن وحسين ابنى على رضى الله عنهم اى امسكها فقال وفى نسخة وقال من احبنى واحب هذين اشارة الى السبطين الحسن والحسين واباهما عليا رضى الله عنه وامهما فاطمة الزهراء اى ما ل اليهم ميلا اختياريا لله ورسوله صلى الله عليه وسلم كان معى فى درجتى اى رتبتى ومنزلتى قال الراغب الدرجة تعتبر بالصعود دون الامتداد كدرجة السطح والسلم ويعبر بها عن المنزلة الرفيعة قال تعالى وللرجال عليهن درجة انتهى يوم القيمة ان اريد بيوم القيمة فى الحشر فالمعية على ظاهره والمعنى انهم معه صلى الله عليه وسلم فى صعيد واحد لقربهم منه وتقدمهم على غيرهم من امته وسائر الامم وان اريد به الاخرة الشاملة للجنة فالمعية والدرجة عبارة عن زيادة القرب لا المعية الحقيقية كامر وروى رواه الطبرانى وابن مردويه عن عائشة وابن عباس رضى الله عنهم ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم قال البغوى فى تفسيره انه ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو صاحب الاذان اى قيل هو عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الانصارى الحارثى فقال لانت اللام جواب قسم مقدر احب الى من اهلى ومالى وانى لاذكرك اى اتذكرك فى ذهنى واتصورك او اذكر اسمك وصفاتك فهو من الذكر بالكسر او الضم فما اصبر عنك اى عن رؤيتك لشدة محبتى لك حتى انظر اليك فيطمئن قلبى وتقر عينى برؤيتك وانى ذكرت موتى وموتك اى انا سنموت وننتقل من هذه الدار لدار اخرى فعرفت وتحققت انك اذا دخلت الجنة بعد الموت رفعت الى الدرجات العلى مع النبيين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وان دخلتها لانى بعضكم انا وعبر فى جانب النبى اذا لتحقق دخوله صلى الله عليه وسلم الجنة ورفعته بها وفى جانبه هو بان لعدم جزمه فى نفسه بذلك لا اراك بعد الدخول لانك فى مقام اعلى لا ايصل اليه غيرك عال

فانزل

فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول صلى الله عليه وسلم فى امتثال امره ونهيه ويلزمه محبته له ايضا ولم تذكر لتحققها لذكر الرجل لها وعلمه صلى الله عليه وسلم بحلوصه فيها فاولئك مع الذين انعم الله عليهم بنعيم الجنة وعلى مراتبها فيه بمنزله مرافقة اكرم خلق الله واقربهم وارفعهم منزلة من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
بيان للمنعم عليهم بما اخفى لهم من قرة الاعين وحسن اولئك تعجب اى ما احسنهم رفيقا تمييز ولم يجمع لوقوعه على الواحد وغيره اولارادة كل واحد منهم فقرءها صلى الله عليه وسلم اى طلب حضور ذلك الرجل فقرءها اى هذه الاية عليه حيا له وتبشيرا وفى تفسير القرطبى انه لما قرءها صلى الله عليه وسلم عليه دعا الله ان يعميه حتى لا يرى احدا غيره فى الدنيا فعمى مكانه وقسمهم كان ليبيضاوى اربعة اقسام بحسب درجاتهم فى العلم والعمل وهم الانبياء الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال الى درجة التكميل ثم صديقون صعدت نفوسهم تارة المراقى النظر فى الحجج والايات واخرى الى معارج القدس بالرياضة والتصفية حتى اطلعوا على ما لم يطلع عليه غيرهم ثم شهداء بذلوا انفسهم فى اعلاء كلمة الله واظهار الحق ثم صالحون صرفوا اعمارهم فى طاعته واموالهم فى مرضاته والمراد بالمعية ما تقدم وفى حديث اخر ايضا لما نقله كان رجل قيل هو ثوبان او من تقدم ذكره قريبا عند النبى صلى الله عليه وسلم اى حاضرا فى مجلسه ينظر اليه اى يديم النظر الى وجهه الكريم لا يطرف بفتح الياء وسكون الطاء وكسر الراء المهملتين وقاف اى لا يطبق احد جفنيه على الاخر ويغض بصره او يصرفه عنه من طرفة العين من طرف يطرف كضرب يضرب وما طرف المصدر اى تحرك وظاهر قول دجى
بعضهم اى لا يغض بصره مطرقا راميا ببصره الى الارض انه من الاطراق بصورا وله وقف ولو صحيح ايضا لكنى لا اعرف هل هو رواية او تحريف عليه او نشاء فى تفسيره فقال له صلى الله عليه وسلم ما بالك اى ما شانك حتى تحد النظر وتديمه كالمبهوت قال افديك بابى وامى جريا على عادتهم فيمن يحبونه ويجلونه اتمتع بالنظر اليك اى التلذذ دائما نظرى فى وجهك ما دام ممكنا فى الدنيا لا نتمتع به واتزود منه فاذا كان يوم القيمة وبعدها رفعك الله الى المنازل العالية فى جواره بتفضيله اى بسبب تفضيل الله لك على سائر خلقه فانزل الله الاية المذكورة يعنى قوله ومن يطع الله والرسول الخ وفى حديث انس رضى الله عنه الذى رواه الاصفهانى فى ترغيبه وساق اخراج المصنف له بطوله فى فضل علامة محبته ومن احبنى كان معى فى الجنة اى قريبا منى متمكنا من رؤيتى وزيارتى والمراد المحبة الحقيقية كما تقدم فصل
فيما روى عن السلف من العلماء والصلحاء والائمة وفى نسخة بعكسه الائمة والسلف وهو من عطف الخاص على العام وقد يعبران بما يقتضى المغايرة تفسر بعضهم السلف بالصحابة والتابعين والائمة اتباع التابعين ومن بعدهم من محبتهم للنبى صلى الله عليه وسلم وشوقهم له والمحبة الميل الروحانى طبيعيا كان او مكتسبا اختياريا والمحبة تكون فى الحضور والغيبة والشوق انجذاب النفس فى الغيبة فهو اخص من المحبة وقال

القيصري رحمه الله في شرح قول ابن الفارض قدس سره

وما بين شوق واشتياق فنيت في تولٍّ بحظر او تجلٍّ بحضرة

الشوق انجذاب باطن المحب الى محبوبه حال الفراق والاشتياق انجذابه حال الوصال لنيل من زيادة اود وامثاله انتهى والفرق المذكور اما من اللغوي او هو اصطلاح القوم حدثنا القاضي الشهيد بن سكرة وقد تقدم قال حدثنا العذري نسبة لبني عذرة وقد تقدم قال حدثنا الرازي تقدم وهو نسبة الى الري على خلاف القياس قال حدثنا الجلودي تقدم بيانه وبيان نسبته قال حدثنا ابن سفيان هو ابراهيم ابن محمد بن سفيان كما تقدم قال حدثنا مسلم امام السنة وصاحب الصحيح كما تقدم قال حدثنا قتيبة بن سعيد واختلف في اسمه فقيل يحيى وقيل علي وقيل سيار قال حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن القاري نزيل الاسكندرية الثقة اخرج له الستة وتوفي سنة احدى وثمانين ومائة عن سهيل تقدم بيانه عن ابيه هو صالح السمان المعروف بذكوان عن ابي هريرة رضي الله عنه في حديث صحيح رواه مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اشد امتي لي حبا منصوب على التمييز ولم يقل احب مع انه اخصر لان هذا ابلغ وان وافق السماع والقياس لدلالته صريحا على المراد وكونه بالصيغة والمادة كقوله تعالى اشد قوة دون امتي دابي بن الشعيشبة لانهم مثل من كان في عصره هو احب اليه من نفسه واهله ومن لم يحصل هذا مع ظهوره قال الحب يقبل الشدة والضعف وبقي مفهوم قوله لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه ولا شيء قوته الا ان يقال انهم من جملة من بلغ هذا البلغ في محبته انتهى والتفصيل يختلف جهاته فلشدة محبة من لم يره الداخلة في الايمان تفضل غيرها بهذا الاعتبار ولذا قال ناس يكونون بعدي فبين اشدية بهذا او بقوله يود احدهم اي يحب ويرغب في انه لو راني بصره وشاهدني ولو للتمني باهله وماله المراد هنا المراد لمقابلة كيفية بكذا اي يتمنى لو يبذل اهله وماله لاجل رؤيته وفي لو في مثله اقوال فقيل انها شرطية محذوفة الجواب ومفعول يود محذوف اي يتمنى رؤيتي ويود ما يدل كل ما يجر عليه والتقدير لو راني لبذل كل شيء له فعل وقيل انها مصدرية وهي مع ما بعدها مفعول يود وقيل انها حرف تمن كما بينه النحاة ومثله اي بمعناه وقريب منه لفظا عن ابي ذر الغفاري الصحابي المشهور وقد تقدم حديث عمر وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من نفسي وتقدم تفصيله في الفصل الذي قبل هذا وما تقدم عن الصحابة كثوبان وصفوان وغيرهما في مثله من كونه احب اليهم من انفسهم وعن عمرو بن العاص بحذف الياء وانباتها وقفا ووصلا كما مر ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا من حديث صحيح طويل رواه مسلم فيه انه بكى عند موته وقال بعدما ذكر حبا بغضه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وطلب منه ان يدعو له بمغفرة ما صدر منه وانه كان البغض الناس له واحرصهم على قتله وبعد ما ابعده واسلم قال ما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اجل في عيني منه وما كنت اطيق ان املا عيني منه

اجلالا له حتى لو قيل لي صفه ما استطعت ان اصفه الخ وسيأتي الكلام عليه عند ذكر المصنف له بسنده في فصل تعظيم الصحابة له صلى الله عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد ابن معدان بفتح الميم وسكون العين وفتح الدال المهملتين والف ونون تقدم الكلام عليه واما بنته عبدة بفتح العين المهملة وسكون الموحدة والدال المهملة قال البرهان الحلبي لا اعرفها وفي الصحابة عبدة بنت صفوان ذكرها الحاكم قالت ما كان خالد يأوي اي ياتي الى فراشه اي اذا اراد النوم ليلا وخصت هذا الوقت لان المرء فيه يتذكر من يهواه غالبا كما قال الشاعر يذكرني طلوع الشمس صخرا واذكره لكل غروب شمس وقيل ... المضاجع الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم استثناء من اعم الاحوال اي لم يكن له غير هذه الحال والى اصحابه المصاحبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم او كانا له من المهاجرين والانصار وخالد هذا هو الكلاعي الحمصي لقي سبعين رجلا من الصحابة يسميهم اي يعدهم باسمائهم ويقول هم اصلي وفصلي يعني اني افتخر بهم وانتسب اليهم دون ابائي ونسبتي كذا قيل من غير نقل وهو ابائي وفي المجمل ماله اصل وفصل اي حسب ولسان وكذا في الصحاح وعن ثعلب في قولهم لا اصل له ولا فصل الاصل الوالد والفصل الولد وهذا ما ذكره اهل اللغة والظاهر ان المراد ان عليهم عمدتي وبهم افضل واحكم فيجوز واليهم لا الى غيرهم يحن قلبي اي يشتاق بعد كونهم من الحنين طال شوقي اليهم لبعد عهدي بهم وطول مفارقتي لموتهم فعجل يا رب قبضي اليك اي عجل موتي حتى التقاهم اي عجل موتي حتى القاهم ولا يزال يردد ذلك حتى يغلبه النوم اي حتى ينام ويستغرق في نومه فيترك قوله هذا وتمني الموت وان كان مكروها فانه يجوز اذا خاف فتنة في دينه فلعله كان كذلك وسيأتي لهذا مزيد بيان في الفصل الاتي عن الحكيم الترمذي وعن ابي بكر رضي الله عنه لما اسلم ابو قحافة والده انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم وفي نسخة وروي كما رواه ابن عساكر في تاريخه عن ابن عمر رضي الله عنهما والذي بعثك بالحق اي بالدين الحق وهو قسم لاسلام ابي طالب جواب القسم بعني عمه صلى الله عليه وسلم كان اي اسلامه اقر لعيني اي اسر واحب عندي وموقرة عيني من القرور وهو البرد لان دمع السرور بارد ودمع الحزن حار او من القرار والثبات فان العين اذا رأت ما يسرها سكنت ولم تلتفت لغيره من اسلامه يعني اياه ابا قحافة رضي الله عنه وابو قحافة هو ابو الصديق وهو عثمان ابن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم اسلم يوم الفتح وحسن اسلامه وبقي بعده وفاة ابنه حتى توفي سنة اربع عشرة وليس في الصحابة من اسمه ابو قحافة غيره وغير ابي قحافة المزني كما ذكره الذهبي وسقط في بعض النسخ هنا لفظ اباه وبيان ذلك المذكور من كونه اسلام ابي طالب اقر لعينه من اسلام ابيه ان اسلام ابي طالب كان اقر لعينك اي احب اليك من كثير من الامور فانه كان يحبه حبا شديدا وكان بمنزلة والده وكان في كفالته وكان صلى الله عليه وسلم يتمنى ان يهديه الله للاسلام فان كان هذا الحديث رواه احمد وابن اسحاق وابو حاتم وليس قول المصنف وروي كما في بعض النسخ يقتضي له

عرض

كما نومهم حتى يعترض عليه بانه صحيح نعم دفت طرفه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم الفتح دخل المسجد فاتاه ابوبكر رضي الله عنه بابيه يقوده وكان قد عمي فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم هلا تركت الشيخ في بيته حتى اكون انا اتيه فقال ابوبكر يا رسول
الله هو احق ان يمشي اليك فاجلسه صلى الله عليه وسلم بين يديه ثم مسح صدره وقال له اسلم
فاسلم وراسه كالثغامة بياضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غيروا هذا ا يجنبوه
احضبوه ولما سر باسلامه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابوبكر والذي بعثك بالحق الخ
وفيه من محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى حيث قدم ما يسره على ما يسره نفعه
له على نفسه واعلم ان اباطالب كانت محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفته بانه
رسول الله وتصديقه في قلبه محققة لكن الله لم يهده للاسلام وفيه حكمة عظيمة وهي انه
صلى الله عليه وسلم كان في جواره وحمايته ظاهرا حين ما كان احد يجترئ عليه فلو اسلم لم
يقبلوا جواره اذ لا جوار للمسلمين عندهم فختم الله على لسانه لذلك ولذا لما مات لزمت
الهجرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم واهل بيته وهذا مما تفطن له بعض العلماء كابن القيم
في الهدي النبوي وصاحب الامتاع **ونحوه** اي في معنى ما رواه البيهقي والبزار عن ابن عمر
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه **قال للعباس** عم رسول الله صلى الله عليه وسلم **ان
تسلم** بكسر الهمزة ان الشرطية ان كان قاله له قبل اسلامه وبفتحها على انها مصدرية ان
كان بعده والصحيح الثاني لطلبه لطابق **احب الي من اسلام الخطاب** يعني اباه **لان ذلك**
اي اسلام العباس **احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم** فقدم ما يحبه رسول الله
صلى الله عليه وسلم على ما يحبه لنفسه وكان قوله ذلك في فتح مكة لما اشرف النبي صلى الله عليه وسلم
على مكة وركب العباس بغلته صلى الله عليه وسلم واركب اباسفيان بن حرب خلفه وهو كافر
وركضها فراه عمر فقال ابوسفيان عدو الله الحمد لله الذي امكنني منك فاشتد جريه حتى دخل
به على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر خلفه فقال دعني اضرب عنقه فقال العباس اني اجرته
يا رسول الله فلما اكثر عمر في شانه قال مهلا يا ابن الخطاب لو كان من رجال بني عدي ما
قلت مثل هذا فقال مهلا يا عباس لاسلامك يوم اسلامك احب الي من اسلام الخطاب
لو اسلم الخ **وعن ابن اسحاق** صاحب السيرة وقد تقدمت ترجمته وهذا رواه ايضا
البيهقي عن اسماعيل بن محمد بن سعد بن ابي وقاص مرسلا **ان امراة من الانصار**
هي من بني دينار ولم يسموها **قتل ابوها واخوها وزوجها** شهيدا **يوم احد** اسم
جبل كانت عنده الغزاة المشهورة **مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم** ليس المراد السوال عن فعله حقيقة وانما المراد السوال
عن سلامته وحياته وعبرت بذلك تادبا لان الفعل يستلزم الحياة فاريد لازمه **فالوا
خيرا** اي فعل خيرا والمراد انه بخير ولذا قالوا لو ابدوه **هو بحمد الله كما تحبين** اي سالم
منصور مظفر **قالت** لما سالته **ارنيه** اي دلني عليه حتى اراه وانظر ذاته وفي نسخة
بشاهدته وفي نسخة ارونيه **فلما راته** بعدما دلها عليه **قالت كل مصيبة** تصيب
المال والاهل **بعدك** اي بعد سلامتك ورويتك **جلل** بفتح الجيم واللام ثم لام

احزى

احزى يعني هين لا ابالي به ولا احزن عليه ويكون جلل بمعنى عظيم ايضا لانه من
الاضداد والمراد الاول وشاهد الاول قول امرى القيس

بقتل بني اسد ربهم ألا كل شيء خلاه جلل

والثاني قوله

فلئن عفوت لاعفون جللا ولئن سطوت لاوهنن عظمي

وهو دليل على قوة ايمانها وتعلقها بمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم على محبة غيره
من الاهل **وسئل علي بن ابي طالب** كرم الله وجهه ولم يذكر وامن رواه عنه **كيف
كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم** اي ما مقداره في شدته **قال كان والله
احب الينا من اموالنا واولادنا واباينا وامهاتنا** بضم الهمزة وكسرها مع فتح الميم
وكسرها جمع امهة بمعنى ام لغة فيها الا انه يختص بمن يعقل قال امهتي خندف والياس
ابي ويقال في البهائم امات **واحب من الماء البارد على الظما** بمعنى شدة العطش
ويمد ويقصر والافصح قصره واعاد الجار لانه نوع اخر مما يحب ولشدة منفعته وخص
الظما لانه حال محبة الماء وشدة الرغبة فيه **وعن زيد بن اسلم** الفقيه العمري توفي سنة
ست وثلاثين ومائة اخرج له اصحاب الكتب الستة وله ترجمة في الميزان قال **خرج
عمر بن الخطاب** رضي الله عنه من بيته لازقة المدينة **ليلة يحرس الناس** على عادته
في خلافته اذ كان يدور في الازقة ويتجسس ليعرف حال الناس **فراى مصباحا** موقدا
في بيت فقصده ليرى ما في البيت الذي هو فيه **فراى عجوزا** اي امراة مسنة ويقال
عجوزة ايضا ولم ار من الشراح هنا من ترجمها بشيء **تنفش صوفا** بضم الفاء وشين معجمة
ونفش الصوف والقطن لاصلاحه معلوم **وهي تقول** اي تنشد شعرا من بحر السريع
على محمد صلاة الابرار بمعنى الصلاة مشهور وعلى متعلق بصلاة او بمقدر وجوزا تقديم
الظرف على المصدر لتوسعهم فيه والابرار جمع بر او بار وهو كل مطيع لربه متق اي دعوا له
بكل ما ادعو به الابرار **صلى عليه الطيبون الاخيار** المراد بالطيبين المتقون الذين
طابت ظواهرهم وسرايرهم والاخيار جمع خير مخفف او جمع خير بمعنى اخير وانقى **قد كنت
قواما بكا بالاسحار** في اماى متهجد الان القيام يختص بصلاة الليل اي كثير القيام
العبادة وبكا بضم الباء والقصر مصدر بمعنى اسم الفاعل اطلق عليه للمبالغة وهو يمد
ويقصر والاسحار جمع سحر وهو اواخر الليل والباء بمعنى في هذا هو الصواب رواية ودراية   ملكانى
وما قيل من ان بكا بتشديد الكاف والكلام سجع لا نظم لانكسار الوزن وكذا ما قيل من ان
بكا ممدود مضاف للاسحار بدون باء والاضافة على معنى في تكلف وتعسف **يا ليت شعري
والمنايا اطوار** شعري بمعنى علمي وهو اسم ليت وخبره محذوف اي حاصل وقوله **هل يجمعني
وحبيبي الدار** قايم مقام مفعول شعري علق عنه والمنايا جمع منية وهي الموت من منى بمعنى
تصير وتقدر والاطوار جمع طور وهو الحال اي امور شتى مختلفة ومرادها الحبيب كما قاله
المصنف النبي صلى الله عليه وسلم والظاهر ان مرادها بالدار الاخرة اي هل اراه صلى الله عليه وسلم
بعد الموت فانه مغيب وله اسباب مختلفة كما قيل

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره ۞ تعددت الاسباب والموت واحد

وقيل المعنى هل يجمعنا الدار او يحول بيني وبينه الموت فالمراد بالدار الدنيا وليس بمناسب هنا وهذه القصة حكاها ابن المبارك في كتاب الزهد وفيها فاراد عمر رضي الله عنه سبيل وطرق عليها الباب فقالت من هذا فقال عمر بن الخطاب فقالت مالي ولعمر في هذه الساعة فقال افتحي رحمك الله فلا باس عليك ففتحت له فدخل عليها وقال ردي الكلمات التي قلتيها انفا فردتها فقال ادخليني معكما وقولي وعمر فاغفر له يا غفار وتعني تقصد بقولها حبيبي النبي صلى الله عليه وسلم وفيه مناسبة لما تمنى فيه فجلس عمر رضي الله عنه يبكي وفي الحكاية التي نقلها ابن المبارك طول اقتصرنا منها على المراد منها وروي ان ابن عمر رضي الله عنهما رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة خدرت رجله بفتح الخاء المعجمة وكسر الدال وفتح الرا المهملتين اي اصابها خدر وهو امر يعتري الرجل لما يصيب العصب فيمنع عن تحريكها بسهولة ويزول سريعا لانه لو امتد كان فالجا او من مقدماته فقيل له اذكر احب الناس اليك لان الناس جربوا ان الخدر ان اصابه اذا ذكر محبوبه زال بسهولة لانه عبرة تنتعش الحرارة الغريزية فتدفع الخدر فصاح يا محمداه يعني به صلى الله عليه وسلم لانه احب الناس اليه والى كل مؤمن كامل ويا محمداه مقول صاح لتضمنه معنى القول او القول مقدر بعده كما هو مشهور في امثاله عند النحاة ومن قال انه لا يعطف على جملة صاح لكمال الاتصال بينهما فهو كابو حفص عمر عطف بيان لم يصب المحز فانتشرت رجله اي امتدت لزوال خدرها وهذا يقتضي صحة ما جربوه وقد روي انه وقع مثله لابن عباس رضي الله عنهما وذكره النووي في اذكاره وروى ابن الصباغ عن غيرهما وفيه يقول ابو العتاهية

وتخدر في بعض الاحايين رجله ۞ فان لم يقل يا عتب لم يذهب الخدر

وهذا مما تشاهده اهل المدينة وقوله يا محمداه بالالف والهاء للندبة في الندا لمن يتوجع او يتفجع كما قرره النحاة ولما احتضر بلال رضي الله عنه بالبنا للمجهول اي حضرته الملائكة لتقبض روحه نادته امرأته اي صاحت باعلا صوتها واحرباه بفتح الحاء والرا المهملتين والبا موحدة وهو في الاصل النهب والسلب من حربته اذا اسلبته ماله وما يعيش به قيل كأنها تفجعها لفرقته نهبت وسلبت وفي القاموس قيل ان اصله ان حرب بن امية لما مات قيل في ندبه واحرباه ثم نقل ذلك بمعنى عم في كل ندبة وحرب كنازلة ووا حرف ندبة والمندوب اما ميت يبكى او امر يتفجع منه نحو واحسرتاه وقيل انه روي حزناه بفتح الحاء المهملة والزاي المعجمة او بضم اوله وسكون ثانيه وروي ايضا حوباه بفتح الحاء والواو ساكنة تليها با موحدة من الحوب وهو الاثم والمراد انها لشدة جزعها وقلقها في المصيبة فهي تتفجع على نفسها او هو من الحوبة بمعنى رقة القلب وهو تكلف والرواية الاولى كما تقدم فقال بلال رضي الله عنه ردا لما قالته واطرباه الطرب خفة تعتري المرء لحزن او سرور فهو مشترك بينهما والمراد هنا الثاني ووا هنا للندا والالف والها مزيدة في اخره كأنه يتعجب من طربه ويدعوه في سكرات الموت لما يعتقده من الثواب وملاقاة الاحباب لعلمه ان الارواح تتلاقى في البرزخ كما اشار اليه بقوله غدا القى الاحبة محمدا

وحزبه

قابلها

ثماني

وحزبه محمدا وحزبه بيان لمراده بالاحبة والحزب الجماعة المتحزبين اي المجتمعين والمراد بهم الصحابة رضي الله عنهم والمراد بقوله غدا الزمان المستقبل بعد الموت وروي كما يأتي نلقى الاحبة محمدا وصحبه وهذا بيت من مجزو الوافر وفيه زحف يعلمه من له خبرة بعلم العروض ذكره القشيري رحمه الله ومثله روي عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما وروي ان امرأة قالت لعائشة رضي الله عنها اكشفي لي عن قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالته لها لانه كان في بيتها وكان مستورا عن الناس تبركا به صلى الله عليه وسلم فكشفته لها برفع الستارة عنه فبكت حتى ماتت لشدة محبتها النبي صلى الله عليه وسلم وهذا لم يخرجوه وروى البيهقي عن عروة انه لما اخرج اهل مكة زيد بن الدثنة بفتح الدال المهملة وكسر المثلثة وتشديد النون وها تانيث اسم والده من قولهم دثن الطائر اذا طار حول وكره ولم يسقط عليه او من دثن اذا اتخذ عشا وهو زيد بن الدثنة بن معاوية بن عبيد بن معاوية بن عامر بن بياضة الخزرجي الصحابي وكان اسر يوم الرجيع من الحرم ليقتلوه فقتل صبرا وانما اخرجوه منه لانهم كانوا لا يقتلون فيه تعظيما له وكان قتله في السنة الثالثة من الهجرة قال له قبل قتله ابو سفيان بن حرب والد معاوية وكان ذلك قبل اسلامه وقيل ان الذي قيل له ذلك الاتي حبيب بن عدي حين رفع على خشبة فقال لا والله فضحكوا منه كما نقله ابن سيد الناس في سيرته عن ابن عقبة وما ذكره المصنف رواية ابن اسحاق انشدك الله قسم وانشدك بفتح الهمزة وضمها يقال نشدته وانشدته اذا سألته وفي القاموس نشد فلانا عرفه وبالله استحلفه وقال له نشدتك الله اي سألتك بالله ونشدك الله بالفتح انشدك الله وقد ناشده مناشدة وتناشدوا احلفه والله منصوب بنزع الخافض اي اسالك بالله وفي النهاية انه متعد لمفعولين وقال الوقشي الصواب نشدتك الله فليحرر اتحب ان محمدا الان عندنا مكانك تضرب عنقه فيقتل حماه الله من ذلك وانك بفتح الهمزة سالما مقيما في اهلك فقال زيد رضي الله عنه والله ما احب وارضى ان محمدا في مكانه الذي هو فيه مقيم تصيبه شوكة اي اقل شيء من الاذى فضلا عما قلتم وانا جالس في اهلي سالم من الاذى وهو منها ذ فقال ابو سفيان ما رأيت احدا من الناس ما نافية لا تعجبية كما توهم وان كان مراده لهذا الكلام التعجب من شدة محبة اصحاب محمد له يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا مفعول حب المصدر وهذه القصة مفصلة في السير لا نطيل بذكرها هنا وعن ابن عباس رضي الله عنهما فيما رواه ابن جرير والبزار كانت المرأة اذا اتت النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرة الى المدينة احلفها بالله وفي نسخة حلفها لما اشتهر وهما بمعنى اي كلفها القسم بالله انها ما خرجت من ارضها وبلدها من بغض زوج لها ناشزة منه ولا رغبة بارض اي في ارض عن ارض خرجت منها وانها ما خرجت من ارضها الا حبا لله ورسوله فهي هجرة خالصة لله وفيه وجوب محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومر الذي قصده المصنف هنا وكان ذلك لما وقعت الهدنة بين رسول الله صلى الله عليه وسلم

ابن ادريس

والمشركين وشرطوا عليه صلى الله عليه وسلم ان يرد عليهم كل من اتاه من اهل مكة ولو كان مسلما فردا با جندل رضي الله عنه ولم يرد النسا اما لعدم دخولهن في العهد او لان الله نسخه صونا للفروج ولضعفهن فكان صلى الله عليه وسلم لا يرد من ظهر اسلامها وامره الله با متحانهن با ستحلافهن بما ذكر فاذا حلفن اعطى مهورهن ونفقتهن وهو المراد بقوله تعالى فان علمتموهن مومنات فلا ترجعوهن الى الكفار الاية ولما ذكرنا سقط ما قيل في (ابن ابي قبيس) نظم هذا في هذا الفصل نوع نظر ووقف ابن عمر رضي الله عنهما كما رواه ابن سعد على عبد الله (ابن الزبير صح) بعد قتله رضي الله عنهما حين قتله الحجاج وصلبه على جذع وقد حاصره ثم قتله سنة ثلاث وسبعين يوم الثلاثا سابع عشر جمادى الاولى او الاخرة كما فصل في التواريخ فاستغفر له اي دعا له ابن عمر بالمغفرة وقال ابن عمر مخاطبا له بعد موته كنت والله فيما علمت اي فيما ثبت وتحقق في علمي بك صواما اي مبالغا في الصوم وكثرته قواما اي كثير القيام والتهجد كما قيل انه كان رضي الله عنه قسم لياليه ثلاثة اقسام ليلة يصلي قائما الى الصباح وليلة راكعا الى الصباح وليلة ساجدا الى الصباح تحب الله ورسوله اي مخلصا في محبتهما موثرا لهما على كل شي حتى على نفسه واهله اما عبادته رضي الله عنه وتوجهه الى الله فيها فنقل عنه امور عجيبة فكان اذا توجه انتصب كانه جذع لا يحس بشي ولا يتحرك حتى يقع عليه الطير ورمي بحجر من المنجنيق وهو يصلي في ايام محاصرته فلم يقطع صلاته ولم يجذبه مغناطيس المحبة تذوق قربا منه صلى الله عليه وسلم فانهم لما انزلوه عن جذعه الذي صلب عليه غسلته امه اسما بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما بعد ان تقطعت مفاصله وحنطته وكفنته وصلت عليه وحملته الى المدينة ودفنته في دار صفية ام المومنين رضي الله عنها وهذه الدار زيدت في المسجد النبوي على صاحبه افضل الصلاة واشرف السلام

فصل في علامة محبته عليه الصلاة والسلام اي في ذكر صفات تدل على ان من اتصف بها محب له صلى الله عليه وسلم اعلم امر لكل من توجه اليه الخطاب من غير تعيين شخص معين فهو لبيه ان من احب شيئا اثره اي اختاره وقدمه على غيره وهو بفتح الهمزة والمد كمن لم له واثر موافقته في اقواله وافعاله والا اي وان لم يوثره ويوثر موافقته واصله وان لا بان الشرطية ولا النافية لم يكن صادقا في دعوى المحبة في حبه وكان مدعيا اي كاذبا في دعواه لان المدعي هو الزاعم للباطل عند الاطلاق ولذا يقال مسيلمة مدعي النبوة لكن لا يقال مثله في حق النبي صلى الله عليه وسلم كما قال

وكل يدعي وصلا لليلى ... وليلى لا تقر لهم بذاكا

وقال

ولما ادعيت الحب قالت كذبتني ... فما لي ارى الاعضاء منك كواسيا
فما الحب حتى يلصق القلب بالحشا ... وتذهل حتى لا تجيب المناديا

فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر عليه علامات ذلك الحب الذي ادعاه بحيث لا يخفى واولها اي اول تلك العلامات الاقتداء به صلى الله عليه وسلم باتباع اقواله وافعاله واثاره واستعمال سنته اي العمل بها واتباع اقواله وافعاله

فلا

فلا يخالفها وامتثال اوامره واجتناب نواهيه بان يفعل ما امر به ويترك ما نهى عنه بقدر استطاعته قال ابن هشام في تذكرته ومن خطه نقلت قال الاصوليون الامر بمعنى القول المخصوص يجمع على اوامر وبمعنى الفعل او الشان على امور ولا نعلم من وافقهم الا الجوهري وفي التهذيب خلافه ولم يذكر النحاة ان فعلا يجمع على فواعل وفي شرح البرهان قول الجوهري غير معروف وصحح بوجوه الاول انه جمع آمر لانه اسم او صفة لما لا يعقل وهو مجاز لان الآمر الشخص لا القول ولم يقولوا انه مجاز وصرحوا بانه جمع امر فكيف يخرج عليه كلامهم الثاني انه جمع آمرة وهي الصيغة وفيه ما مر وقال ابن سيدة آمرة مصدر كالعافية وعليه جرت هذه الصيغة ورد بانه لا ينافي لان معناها ايجاد الطلب لا الصيغة الثالث انه جمع الجمع جمع على افعل وجمع افعل على افاعل ورد بانا وامر فواعل لا افاعل والابدال فيه مطرد ونقل الاصفهاني في شرح المحصول هذا التوجيه لابنه في النواهي وكونه جمعا فهو مجاز التكلف وكونه لمشاكلة الاوامر يرده استعماله مفردا انتهى والتادب بادابه الادب حسن تناول الامور والتلطف فيها والمراد التخلق باخلاقه صلى الله عليه وسلم في الكرم وحسن الشيم والادب غلب في العرف على هذا المعنى في عسره ويسره بضم اوليهما وسكون السين تخفيفا في الشدة والرخا والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم او لصاحب الحالة المصدر به ومنشطه اي في نشاطه وخفته ومكرهه اي كراهته لامر يجده من غيره وميمها مفتوحة وشاهد هذا المذكور كله اي ما يشهد له ويدل عليه حتى كانه يشاهده واثبته قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله جعل محبة الله لازمة لاتباع رسوله صلى الله عليه وسلم ومن احب الله احب رسوله فكانه قال ان كنتم تحبوني فاتبعوني وبهذا ظهر مطابقة هذه الاية لما عقد له الفصل وايثار ما شرعه من احكامه الواجبة وغيرها وحض عليه اي حث الناس على فعله وحرضهم عليه على هوى نفسه اي ما تهواه وتميل اليه وموافقته شهوته اي ما تشتهيه نفسه وتميل اليه طبيعته لان الاشتها ميل طبيعي غير مقدور ولذا لا يكلف المكلف بارادة المعاصي عند بعضهم ولا يعاقب باشتهائها والشهوة مغايرة للارادة لان الشهوة توقان النفس الى الامور المستلذة والارادة قد تتعلق بنفسها بخلاف الشهوة فانها لا تتعلق بنفسها بل باللذات فان تعلقت بنفسها كانت مجازا عن المجازاة كما في قوله اشتهي ان اشتهي قال الله تعالى والذين تبوؤا الدار اي سكنوها واستقروا بها وهم الانصار والمراد بالدار المدينة والايمان اي واخلصوا الايمان وعطفه على الدار على حد قوله وزججن الحواجب والعيونا او جعل الايمان لملازمتهم له كالمنزل المستقر فيه ساكنه وتحقيقه في الكشاف وشرحه من قبلهم يحبون من هاجر اليهم من المومنين ولا يجدون في صدورهم اي في قلوبهم وانفسهم وما وقع في بعض النسخ في انفسهم سهو من الكاتب حاجة مما اوتوا اي لا يخطر ببالهم ولا تطمح انفسهم الى ما اعطي المهاجرون من فيء وغيره حسدا او طمعا ويوثرون على انفسهم اي يقدمون المهاجرين على انفسهم تكرما منهم ولو كان بهم اي فيهم خصاصة احتياجا وفاقة لما اثروهم به وسبب نزول هذه الاية انه صلى الله عليه وسلم قسم بين الصحابة غنائم بني النضير ولم يعط الانصار منها الا

ثلاثة من فقرائهم وقال لهم ان شئتم اشركتكم معهم وقسمتم لهم من دياركم واموالكم وان شئتم كان لكم اموالكم ودياركم ولانا خذ وامنه شيئا فقالوا بل نؤثرهم بالفئ ونقسم لهم من ديارنا واموالنا فلله درهم ما اكرمهم واعونهم على البر والتقوى وهذا كله محبة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم وكان المهاجرون قبل ذلك نزلوا دور الانصار فلما فتح الله عليهم فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم **واسخاط العباد** اى اغضابهم عليهم بمخالفتهم **في رضى الله** اى في ابتغاء رضاه وهذا وما قبله معطوف على الابتداء وهذا كما قال الحريري

وابغ رضى الله فاغبى الورى ... من اغضب المولى وارضى العبيد

حدثنا القاضي ابو علي الحافظ هو ابن سكرة وقد تقدمت ترجمته **قال حدثنا ابو الحسن الصيرفي** تقدم ايضا وفي نسخة الحسين وهو سهو **وابو الفضل بن خيرون** تقدم ايضا **قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي** الذي يقال له زوج الحرة كما تقدم **قال حدثنا ابو علي السنجي** تقدم ايضا **قال حدثنا محمد بن محبوب** تقدم ايضا **قال حدثنا ابو عيسى** هو الامام الترمذي صاحب السنن وهو محمد بن عيسى بن سورة كما تقدم **حدثنا مسلم بن حاتم** الانصاري امام جامع البصرة **حدثنا محمد بن عبد الله الانصاري** هو محمد بن عبد الله بن المثنى الانصاري قاضي البصرة الامام الثقة توفي في رجب سنة خمس عشرة ومائتين وله ترجمة في الميزان **عن ابيه** هو عبد الله بن المثنى البصري وثقه وله ترجمة في الميزان **عن علي بن زيد** بن عبد الله بن ابي مليكة زهير بن عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب الضرير احد الحفاظ وان قيل فيه لين وليس بثبت واخرج له الاربعة وله ترجمة في الميزان توفي في سنة احدى وثلاثين او تسع وعشرين ومائة **عن سعيد بن المسيب** تقدم ايضا **قال قال انس بن مالك** الصحابي المشهور **قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني** مصغر بتشديد الياء ويجوز كسرها وفتحها والتصغير للشفقة والمحبة وكان خادمه صلى الله عليه وسلم وفيه دلالة على انه صلى الله عليه وسلم ابو المؤمنين كما ان ازواجه رضي الله عنهن امهاتهم وبناته اخواتهم وقد وقع اطلاق هذا كله في الاحاديث الصحيحة وقرئ وازواجه امهاتهم وهو اب لهم وقوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم المنفي فيه ابوة النسب حقيقة خلافا لمن يجوز اطلاقه عليه صلى الله عليه وسلم عملا بظاهر الاية والصحيح خلافه كما تقدم بيانه في اول فصل واما حسن عشرته الى اخره **ان قدرت ان تصبح وتمسي** اى ان امكنك ذلك ولم يمنعك منه مانع اى على ان الخ لان حذف الجار هنا مطرد والمراد بالصباح والمساء جميع زمانه لا خصوصهما اذ لا وجه للتخصيص وهما منصوبان ظرفان وقوله **ليس في قلبك غش لاحد** جملة حالية بدون قد فيجوز فيها او هو خبر وهما تامتان والغش بكسر الغين المعجمة ضد النصح والمراد به هنا مجازا غل وحقد وهو المراد اذا اضيف للقلب ولو كان على ظاهره فهو يتعدى بمضاف اى نية غش والاول احسن واقرب **فافعل** اى ذلك مداوما على ذلك **ثم قال** صلى الله عليه وسلم **لي يا بني وذلك** اى نزع الغش من القلب **من سنتي** اى طريقتي واخلاقي **ومن احيا سنتي** اظهرها واتبعها

فقد

فقد احبني اى حبه له وفي هذه رواية والذي في الترمذي فقد احياني وهو الظاهر **ومن احبني كان معي في الجنة** لان المرء مع من احب كما تقدم والمحب الصادق لا يخالف من احبه بل يقدم مراده على مراده لانه احب اليه من نفسه **فمن اتصف بهذه الصفة** اى بحب السنة واتباعها وقيل المراد بالصفة ان لا يكون في قلبه غش لاحد **فهو كامل المحبة لله ورسوله ومن خالفها** اى خالف السنة **في بعض هذه الامور** كترك بعض ما امر به او اتى ببعض ما نهى عنه احيانا **فهو ناقص المحبة** لا كاملها **ولا يخرج** بارتكاب البعض **عن اسمها** اى عن الاتصاف بها وتسميته محبا في الجملة ولا ينافي هذا قوله المتقدم

لو كان حبك صادقا لاطعته ... ان المحب لمن يحب مطيع

لان ذلك في المحبة الكاملة التي هي محبة الخواص على نهج قوله لا يزني الزاني وهو مؤمن ولذا اعقبه بقوله **ودليله** اى دليل ان بعض المخالفة لا تخرجه عن اتصافه بالمحبة قوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البخاري عن عمر رضي الله عنه **للذي حده في الخمر** اى اقام عليه الحد لشربه الخمر واللام كهي في قوله وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اى في قوله في حقه وشانه وهي في الحقيقة لام تعليل والصحابي الذي حد في الخمر في هذا الحديث قيل هو عبد الله الملقب حمارا باسم الحيوان بحاء مهملة وقيل بل هو بخاء معجمة مكسورة وانه الصواب وقيل ابن نعيمان او نعيمان نفسه بن عمرو بن رفاعة البدري وهو الذي حد في الخمر مرارا وهو صاحب الدعابة الذي كان صلى الله عليه وسلم يضحك منه توفي في زمن معاوية وصح هذا او قصة حمار اخرى كانت بخيبر وقيل انه هو نفسه وقد قال الحافظ الدمياطي ان كون هذا الرجل حمارا وهم وانما هو نعيمان وحمار هذا معدود في الصحابة ولم يذكروا نسبه **فلعنه بعضهم** اى قال اللهم العنه وروي انه قال له اخزاك الله تعالى والقائل له عمر بن الخطاب كما رواه البيهقي **وقال ما اكثر ما يؤتى به** تعجب من كثرة ما اتوا به النبي صلى الله عليه وسلم وهو سكران **فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله** وفيه دليل على انه المسلم وان ارتكب الكبائر لا يجوز لعنه ومن كان كذلك لا يجوز لعنه وفيه ان محبة الله ورسوله من اعظم الحسنات وفيه رد على المعتزلة من ان مرتكب الكبيرة مخلد في النار **ومن علامات محبة النبي صلى الله عليه وسلم كثرة ذكره** صلى الله عليه وسلم وذكره بالصلاة عليه ومدحه وتفضيله الحديث واهله لذكرهم له صلى الله عليه وسلم كثيرا **ومن احب شيئا اكثر من ذكره** وهذا مثل مشهور وهو امر طبيعي عادي **ومنها** اى علامات محبته صلى الله عليه وسلم **كثرة شوقه الى لقائه** اما في حياته فظاهر واما بعد موته صلى الله عليه وسلم فبان يشتاق للقائه في الاخرة ويشاهد ذاته الكريمة اللهم ارزقنا ذلك **فكل حبيب** اى محب **يحب لقاء حبيبه** اى محبوبه فان فعيل ياتي بمعنى اسم الفاعل والمفعول وان اشتهر هذا في الثاني وذكره معادلا لقوله قبله من احب شيئا الخ وكل منهما علة لما قبله وهو من حسن التعليل البديعي والتئ بالشئ يذكر ما احسن قول عروة بن حزام في قصيدة له

وانى لاهوى الخيزاذ قيل اننى ... وعمرا بيوم الحشر نلتقيان
ومنه احمد بن رواحة قوله
ان كان يحلو لديك ظلمى ... فزد من الهجر فى عذابى
عسى بطيل الوقوف بينى ... وبينك الله فى الحساب
وقلت انا فى رباعيه
كم قال الحب الكثير الآنات ... واطول وقوفنا بيوم العرصات
هيهات لبن برا حبا ولى ... يغفر ذنب لدحبيع الزلات
وفى حديث الاشعريين يعنى ابا موسى الاشعرى واصحابه المنسوبون الى اشعر ابو قبيلة باليمن وكانوا قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم سنة سبع من الهجرة وكان صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يقدم عليكم قوم ارق قلوبا منكم فقدم الاشعريون وكانوا عند قدومهم المدينة منصوب بنزع الخافض لانه يقال قدم فلان على فلان وقدم الى البلد كذا انهم كانوا يرتجزون اى ينشدون شعرا وكلاما موزونا وهو عند انلقى الاحبة محمدا وصحبه لكنهم قالوا انما يقال ارتجز اذا انشد شعرا من بحر الرجز وتامه مستفعلن ست مرات ويجزوه اربعا ويشطر ونهكه وانما هو من الوافر والهزج وقيل انما سماه لتشابهه له لتقارب اجزائه وقلة حروفه ولعل العرب كانت تطلق على ما يقوله الركبان من الاوزان القصيرة رجزا وما ذكره من تخصيصه بهذا الوزن اصطلاح حدث بعد الخليل رحمه الله والذى يظهر ان هذا كله تكلف لاحاجة اليه فانه هنا بمعناه اللغوى وهم بصيحون ويصوتون فان اصل معناه ومنه المرتجز اسم فرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم لحسن صهيله وصوته وكون المصر يجوز عليه مثل هذا سوطى به وفى نسخة وخرجه بدل صحة كما تقدم ولقدم قول بلال مثله يعنى ان بلالا ذكر مثله لفظا ومعنى وان اختلف مرادهما فان مراد هذا القايل لقا النبى واصحابه فى الحياة الدنيا وبلال رضى الله عنه اراد لقائهم فى الاخرة ثم انه يحتمل انه توارد معهم فى هذا الكلام وانه تمثل به ومثله اى المذكور وان لم يساووه ما قال لد عمار بن ياسر الصحابى حين قتل اى قتله اهل الشام الذين كانوا مع معاوية اى لما قتل بصفين مع على رضى الله عنه سنة ست وثلاثين فيما رواه ابى سلمة قال كانى انظر الى عمار يوم صفين وقد استسقى فاتته امراة بشربة من لبن فشربها ثم قال اليوم الق الاحبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى ان آخر شربة اشربها من الدنيا شربة لبن ثم قاتل حتى قتل وقد قال صلى الله عليه وسلم تقتل عمار الفئة الباغية كما تقدم ومنه علم ان عليا كرم الله وجهه كان على الحق ومثله ايضا ما ذكرنا من قصة خالد بن معدان التى تقدمت من انه كان اذا اوى الى فراشه لا يزال يذكر شوقه الى النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه حتى يغلب عليه النوم وليس هذا من تمنى الموت المنهى عنه فان من احب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وتمنى الموت لاجل لقائه لا الاستراحة من الدنيا وهمها ليس من هذا كما قال فى الفتوحات

ومن

ومن هذا اما تقدم انه صلى الله عليه وسلم لما خير بين البقا فى الدنيا والانتقال للاخرة قال اللهم الرفيق الاعلى واعلم ان تحقيق هذا المقام ما قاله الحكيم الترمذى فى فروقه ان تمنى الموت على ثلاثة اقسام الاول تمنى عبد اقترب الى ربه فى منازل القرب لما يطهر من ادناس الشهوة وكدرة الاخلاق فكلما اقترب ازداد شوقا فيتمنى الموت والثانى عبد راى نعمة الله عليه فى دينه شاملة بكل خير فخاف زوالها لما راى من تغير حاله ومحنه وبلائه لو وجد حبا لا فتمنى الموت رجاء ان يحرز ذلك لنفسه فى تحصيله فهذان محمودان ورد ذلك عن الصحابة فسلمان رضى الله عنه قال احب الموت اشتياقا وقال ابن مسعود رضى الله عنه احب الموت لانى لا ادرى ما ينزل بى فاخاف على دينى والاول قول صديق والثانى قول صادق والحظ لصاحبهما والثالث عبد فرغ فى رفاهية عيش ولذة نعمة ثم انقلب الزمان عليه وعضته النوائب فقل صبره وتمنى الموت وهذا مذموم ولذا جا فى الحديث لا يتمنى احدكم الموت لضر نزل به واما تمنى مريم رضى الله عنها الموت وقولها يا ليتنى مت قبل هذا الخ فلحبر يعنى ولذا لم تقل الان فهو لامر دينى رجاء ان لا يزول ما رات فتشتغ ويخرج وذلك لما اتهموا زكريا وهموا بقتله فجاءها المدا والبشرى وصدقت بكلماته زوجها وسمعت صدقته انتهى اذا علمت هذا فقول السبكى وكغيره تمنى الموت منهى عنه ولذا جا فى الحديث الصحيح فان كان ولا بد فاعلا فليقل اللهم احينى ما كانت الحياة خيرا لى وتوفنى اذا كانت الوفاة خيرا لى انتهى باطلاقه ليس كما ينبغى والتحقيق ما عرفت ومن علاماته اى علامة حب الله ورسوله فالضمير راجع للمحبة لنا ويليها الحب وليس راجعا للمحب حبيبه وان كان اقرب وغير محتاج للتاويل كما قيل مع كثرة ذكره له صلى الله عليه وسلم تعظيمه له وتوقيره حتى تتوفر عنده ذكره له واظهار الخشوع اى الخضوع والانكسار اى التذلل والتواضع مع سماع اسمه اى اذا ذكر عنده لا اسمه صلى الله عليه وسلم وقال اسحاق التجيبى هو امام المحدثين ابو ابراهيم اسحاق بن ابراهيم التجيبى توفى لثمان بقين من ذى القعدة سنة اثنين وخمسين وثلاثمائة وهو منسوب لقبيلة من كندة تسمى تجيب واختلف فى تائه هل هى اصلية ام زائدة ومنها المحدثون وكثير من الادبا وفيها عزيم قال فى القاموس تجيب بالضم وتفتح بطن من كندة منهم كنانة بن بشر التجيبى وتجوب بالواو قبيلة من حمير منهم ابن ملجم التجوبى قاتل على كرم الله وجهه وغلط الجوهرى وحرف بيت الوليد بن عقبة
الا ان خير الناس بعد ثلاثة ... قتيل التجيبى الذى جاء من مصر
يعنى انه انشده التجيبى وانما هو التجوبى كما فى كامل المبرد واعلم ان بعضهم زعم ان تاءه اصلية لانه فى العين ذكره فى فصل التا وتبعه صاحب القاموس وهى زائدة كما قاله ابن السيد وجوز فى تائه الوجهين اى الفتح والضم وقال النووى فى شرح مسلم ان التاء زائدة لانه من جاب يجوب كان اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بعده اى بعد وفاته لا يذكرونه الا خشعوا اى اظهروا الخشوع والتذلل واقشعرت

حبوا دمهم اي عرض لها تغريرة وبكوا حزنا لفراقه وشوقا للقائه صلى الله عليه وسلم وكذلك اي ومثل الصحابة فيما ذكر كثير من التابعين لهم باحسان يفعلون كفعلهم منهم من يفعل ذلك اي من المذكورين كلهم الصحابة والتابعين او من التابعين من يبكي ويخشع ويقشعر جلده محبة له وشوقا اليه تمييزا ومفعول له اي من محبته وشوقه او لاجلهما ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا اي تعظيما له صلى الله عليه وسلم في النفس واجلالا له وتكريما ومنها اي من علامات محبته صلى الله عليه وسلم محبته اي محبة الانسان لمن احب النبي صلى الله عليه وسلم بالرفع والفاعل محذوف اي احبه النبي صلى الله عليه وسلم ومحبة بسببه اي الملابسة اي تلبس بسبب من اسبابه وكان بينه وبينه علاقة بقرابة او صهارة وقال في النهاية السبب الزواج واصله الحبل الذي يتوصل به لسقي الماء فاستعير لكل ما يتوصل به قال تعالى وتقطعت بهم الاسباب اي الوصل والمودات نكتة انما خص ابن الاثير السبب هنا بالزواج وان كان عاما لان الزواج لمناسبة الماء المخصص في المسمى ولانه يطلق على المني كما في الحديث انما الماء من الماء وفي قوله تقطعت في الآية لطف خفي وقوله من اهل بيته الخ بيان لمن احبه ومن هو بسببه ويجوز ان يكون بيانا لمن هو بسببه بناء على عمومه وفي نسخة من اهل بيته وفيهم خلاف والمشهور عند الشافعي انهم المؤمنون من بني هاشم وبني المطلب ابني عبد مناف لا بني عبد شمس وبني نوفل ابني عبد مناف لانه صلى الله عليه وسلم اشرك الاولين في خمس الخمس الذي هو سهم ذوي القربى دون هؤلاء وقال انهم والقوا في الجاهلية والاسلام وصحابته بفتح الصاد جمع او اسم جمع صحابي وهو في الاصل مصدر وهو كل مسلم لقي النبي صلى الله عليه وسلم بعد نبوته ومات على ذلك فان تخللت ردة ولم يثم لم يضر وهم لا يحصون كثرة وقد روي انه صلى الله عليه وسلم قبض عن مائة واربعة وعشرين الفا والله اعلم والمهاجرين هم من هاجر وترك وطنه لله ورسوله صلى الله عليه وسلم فيدخل فيه مهاجروا المدينة والحبشة وقدمهم لانهم افضل والانصار جمع ناصر او نصير غلب على الاوس والخزرج ولذا نسب اليه وقيل انصاري وهو تخصيص بعد تعميم لانهم افضل من غيرهم وفي نسخة من المهاجرين والانصار والظاهر انه عبارة عن جميع الصحابة ليشمل من مات قبل الهجرة كخديجة رضي الله عنها وقيل انهم في حكم المهاجرين لانهم السابقون باحسان قبل غيرهم فتامله وعداوة من عاداهم اي من علامات المحبة لهم عداوة من عاداهم ظلما وبغيا لا لحق اخرج فلا يدخل فيه ما وقع بين الصحابة ظاهرا وبغض من ابغضهم اي كرههم وقلاهم وسبهم واظهر شتمهم كالروافض قاتلهم الله فان من احب شيئا احب من يحبه وكره من يكرهه كما قيل وقد تقدم

اذا صافى صديقك من تعادي ... فقد عاداك وانفصل الكلام

وقد قال عليه الصلاة والسلام في الحسن والحسين اي في حقهما وشانهما كما رواه البخاري اللهم اي يا الله ناداه بيانا لتحقق حبه وعلم الله به وتوطئة لما طلب منه اني احبهما فاحبهما اي اعطها كل خير دنيوي واخروي كما سيأتي في بيان محبة الله

وهذا

ومن هو نسيبه

وهذا بلفظ وقع في رواية الترمذي في حديث قال انه حسن صحيح والذي في الصحيحين ذكر فيه اسامة والحسن وفيه روايات مختلفة ليس هذا محل تفصيلها والبيان للمصنف بقوله وفي رواية في الحسن وحده وليس المراد التخصيص اللهم اني احبه فاحب من يحبه وقال صلى الله عليه وسلم في رواية اخرى من احبهما اي الحسن والحسين فقد احبني ومن احبني فقد احب الله لعله بالطريق الاولى ومن ابغضهما فقد ابغضني ومن ابغضني فقد ابغض الله وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي وغيره الله الله بنصبهما على تقدير اتقوا الله واحذروه واخشوه وفي تكريره تخويف وتحذير على وجه المبالغة في اصحابي اي في شانهم وحقهم فلا تحذروا تبغيضهم وسبهم لما لا يليق بهم والطعن فيهم ثم بين ذلك بقوله لا تتخذوهم غرضا بفتح المعجمة والراء المهملة معنوي حسي وصادية وهو الهدف الذي يرمى بالسهام فهو استعارة وتشبيه بليغ على القول في مثله كما بين في المعاني اي لا تقصدوا واذكروهم بسوء ولا تبحثوا عما وقع منهم ولذا امتنع السلف منه فمن احبهم فبحبي احبهم اي بسبب حبي لهم ويلزم من المحبة لهم ان لا يذكروا الا بخير ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ولذا ذهب بعض المالكية كما سيأتي الى قتل من سبهم لانه كسبه صلى الله عليه وسلم ومن آذاهم بذكرهما بسوء فقد آذاني لانه يسوءه ذلك ومن آذاني فقد آذى الله اي عصاه وفعل ما لا يرضاه وهو المراد بآذية الله ومن آذى الله يوشك ان يأخذه اي يهلكه سريعا ولا يمهله فيأخذه اخذ عزيز مقتدر وفي النهاية يوشك ان يكون كذا اي يقرب ويسرع وقال صلى الله عليه وسلم في فاطمة رضي الله عنها اي في حقها وشانها في حديث رواه البخاري وغيره انها بضعة بفتح الباء وكسرها اي قطعة وجزء مني لان الولد حاصل من ابيه وقطعة من كبده يغضبني ما يغضبها اي يحزنني ويؤذيني كل ما آذاها لان الم الجزء الم به الكل فهو كالدليل لما قبله وسبب الحديث ان عليا كرم الله وجهه خطب بنتا لابي جهل فسمعت بذلك فاطمة رضي الله عنها فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت انه يزعم قومك انك لا تغضب لبناتك وهذا علي ناكح بنت ابي جهل فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتشهد وقال اما بعد فان فاطمة بضعة مني واني اكره ان يسوءها والله لا تجتمع بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبنت عدو الله عند رجل واحد فترك علي ذلك والحديث وتفسيره مفصل في كتب الحديث وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي عن عائشة وحسنه لعائشة في اسامة ابن زيد اي في حقه وشانه احبيه فاني احبه وقد قال صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد احب الناس الي فاستوصوا به خيرا ولذا امر عائشة ان تستوصي به خيرا بعده وهذا مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان آية الايمان اي علامة تحققه وصدقه وكماله حب الانصار لمحبة النبي صلى الله عليه وسلم لهم ومحبتهم له ولانهم نصروا الدين وساعدوا المؤمنين من الصحابة وواسوهم بما هو معلوم وآية النفاق المنافي لتحقق الايمان بغضهم وصحف بعضهم الحديث

فقال انه بالهمزة المكسورة والنون المشددة وضمير الشأن وهو سهو ظاهر وفي حديث ابن عمر كما اخرجه البيهقي في دلائله من احب العرب والمراد بهم هولاء الجيل المعروفون مطلقا فبحبي اي بسبب حبي احبهم ومن ابغضهم من حيث ذواتهم لا لسبب اخر يكون لبغض منهم فببغضي ابغضهم وفي حديث الترمذي عن سلمان انه صلى الله عليه وسلم قال له لا تبغضني فتفارق دينك قال كيف ابغضك وبك هدانا الله قال تبغض العرب فتبغضني وفي شعب الايمان للحليمي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل خلق الخلق فاختار منهم بني ادم واختار من بني ادم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشا واختار من قريش بني هاشم فانا خيار من خيار فمن احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم ولذا قيل اطلاق اللسان بالوقيعة فيهم كالتشويه اذ يوذي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وقد قال الله تعالى ان الذين يوذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة وقد فصل ذلك الحافظ العراقي في تاليف له مستقل سماه انفع القرب في بيان فضل العرب قال المولف رحمه الله فبالحقيقة اي بسبب النظر الى الحقيقة ونفس الامر المحقق عند العقول السليمة من احب شيئا من الاشياء اي احب كل شيء يحبه محبوبه وهذه سيرة السلف اي دابهم وطريقتهم في محبتهم كل ما كان يحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى في المباحات اي كانوا يحبون ما احبه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الامور المباحة وشهوات النفس اي ويتبعونه صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بشهوة النفس والطبيعة البشرية كمحبة الطيب وبعض الاطعمة والزوجات وغير ذلك واستشهد لذلك بقوله وقد قال انس رضي الله عنه لما رايت النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدبا بضم الدال المهملة وتشديد الموحدة والمد والهمزة في اخره للالحاق والواحدة دباءة وهي نوع من الماكول معروف عند الناس بالقرع ومعنى تتبعها انه ياخذ قطع القرع من اي محل وجدت فيه فان قلت اكل الانسان مما يليه مستحب واكله من غيره مكروه لقوله صلى الله عليه وسلم كل مما يليك فمن راه يجيل يده في الطعام الاولى ان يقول انه لا يكره فيها ذلك لعدم الاستكراه والى الاشارة بقوله تعالى وفاكهة مما يتخيرون قلت في جوابه انه اذا كان الاكل ممن يتبرك به لا يكره في حقه ذلك لا سيما النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هو مخصوص باللون الواحد وهذا كان معه نوعين وقيل انه صنع له صلى الله عليه وسلم وحده فله ان يفعل فيه ما يريد لعلمه برضا صاحبه وقيل هو مخصوص بمن لم يواكله اتباعه وخدمه واعلم ان القرع معروف واما الدبا بالمد كما مر وجوز بعضهم قصره وانكره القرطبي فقيل هو والقرع بمعنى واحد وقيل هو المستدير منه وقيل هو اليابس منه وقال ابن حجر انه سهو من النووي وهو اليقطين وهمزته زائدة ولذا ذكره في باب دبب وخطا صاحب القاموس الجوهري في ذكره في المعتل في مادة د ب ى فقال هو وهم ودبت همزته منقلبة عن واو ولا يا فقول الخطا من خطاه ومن تبعه هنا لان الزمخشري ذكره في المعتل ايضا ووجهه ان

الهمزة للالحاق كما ذكروه فهي في حكم الاصلية كما حرروه في باب الالحاق من حوالي القصعة بفتح القاف انا معروف وحوالي مثنى حوال بمعنى حول وجانب والتثنية لمجرد التعدد والتكرار كارجع البصر كرتين وهو بفتح الحاء واللام ويجوز كسر لامه وبا تثنيته سالمة وفيه لغات مذكورة في كتب اللغة فما زلت هذا مقول انس وتاوه مضمومة احب الدبا اي احب اكلها تبركا بها من يومئذ اي يوم اذ رايته يتتبعها بحبها كحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لها وهذا من علامات صدق محبته وموشاهد لاتباعهم له في المباحات ومما تشتهيه الانفس وهذا الحديث اخرجه الشيخان وكان الذي دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك خياطا صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما من الدبا ودعاه له فذهب معه انس وقال ابن حجر انه لم يقف على اسم هذا الخياط وهذا الحسن بن علي بن ابي طالب وكان الظاهر ان يقول واتى الحسن وابن عباس الخ فعدل عنه لانه لشهرته كالمشاهد وابن عباس وابن جعفر اتوا سلمى بفتح السين وهي زوجة ابي رافع ومولاة صفية عمته صلى الله عليه وسلم وقيل مولاة له صلى الله عليه وسلم وداية فاطمة الزهراء وهي التي غسلتها لما ماتت وقابلة ابراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم وهي صحابية مشهورة وفي الصحابة سلمى غيرها خمس عشرة امراة وسالوها ان تصنع لهم طعاما اي تطبخه وتحضره لهم مما كان يعجبه صلى الله عليه وسلم وانما سالوها ذلك لانها كانت تخدمه صلى الله عليه وسلم وتعرف ماكوله ومشروبه والعجب عندهم حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب الشي وهذه الحالة تكون كالمبادي للاستحسان يلزمها الميل والمحبة فاستعير لازمه وهو المحبة وفيه دليل على محبة ما يحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المراد وهذا رواه الترمذي في الشمايل وابن جعفر هذا هو عبد الله بن جعفر بن ابي طالب الطيار ذو الجناحين الصحابي ابن الصحابي وتتمة الحديث ما كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحسن اكله فقالت الا تشتهيه اليوم فقالوا بلى اصنعيه لنا فقامت وطحنت شيئا من شعير وجعلته في قدر وصبت عليه شيئا من زيت وفلفل وتوابل وقربته اليهم وكان ابن عمر عبد الله الصحابي ابن الصحابي رضي الله عنهما في حديث رواه الشيخان يلبس النعال جمع نعل وهو كل ما وقيت به الرجل وهو مونث السبتية بكسر السين المهملة وسكون الموحدة وبالنسبة الى السبت وهو جلد دبغ وازيل شعره من سبته اذا قطعه لازالة شعره وكانوا في الجاهلية لا يلبس النعال المدبوغة منهم الا اهل السعة والجاه وهي منسوبة لمحل يبيعها سوق السبت كما قاله ابن قرقول وقيل انه يجوز فتح اوله ايضا وقيل انها نعال سود ويصبغ بالصفرة وهو كلها يصفر الشعر وغيره كالحنا والكتم ويصبغ مثلث الموحدة وفيه تسمح لانه لا يصبغ بنفس الصفرة وانما هو يصبغ اصفر والمراد انه يصبغ ثيابه بشي اصفر كالزعفران ونقل عن مالك جواز لبسه وما ورد من النهي عنه لبس ثيابا تخصيصها وانما نهي عنه المحرم في الحج وعممه بعضهم وبدل على الجواز ما روي عن ابن جعفر انه قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ثوبان مصبوغان بالزعفران كما رواه الحاكم والطبراني

وغيرهما ولكن الاحاديث كثيرة صحيحة تدل على جوازه ايضا وقوله انه راى النبي صلى
الله عليه وسلم يفعل نحو ذلك دليل لفعله ومحبته لما احبه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وذلك اشارة الى الصبغ اوله وللبس النعال ولما نسب باشارة البعيد
وهذا استقبحها د للاقتداء به صلى الله عليه وسلم في المباحات بالنسبة اليه وان اختلف
في الاقتداء به في مثله هل هو مباح في حق المقتدى به ام لا لكن هذا يدل في العيد من طريق
وعوده من اخرى ورجوع الذهب لمن نوى الاقتداء به صلى الله عليه وسلم وهو الظاهر
ومنها اى من علامات محبته صلى الله عليه وسلم بغض من ابغض الله ورسوله ببغض
الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهرا من مثل ابي جهل وبغض الله تعالى اما ببغض رسوله او
بكفره او بانكاره كالمعطلة والدهرية ومعاداة من عاداه اى من يتخذ الرسول
صلى الله عليه وسلم عدوا ولم يقل من عاداهما لان معاداة الله انما هي بمعاداة رسوله
صلى الله عليه وسلم لان عداوته تعالى حقيقة لا تتصور ومجانبة من خالف سنته
اى اجتناب من لم يتبع طريقته والبعد عنه وابتدع في دينه اى اظهر البدع وخالف
الشريعة وهو عطف تفسيري لما قبله واستثقاله كل امر يخالف شريعته اى عده
ثقيلا مبغوضا عنده غير مقبول واصل الثقل في الاجسام ضد الخفة وفي نسخة كل امر يخ
ذكر ما يتبينه من الكتاب العزيز فقال قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون
بالله واليوم الآخر اى لا يكون كذا حتى تجدهم فانه لا ينبغي ان يكون وهو مبالغة
في النهي يوادون اى يكون بينهم وبينهم مودة من حاد الله ورسوله اى يحبونه
ويرضونه وهؤلاء اصحابه رضي الله عنهم اى ما علم من حال اصحابه حتى كانهم
يشاهدون متلبسين به قد قتلوا احباءهم اى اصدقاءهم قبل الاسلام وقد وقع
هذا الكثير من الصحابة وروى قتلوا اى بعضهم والعهد ومر ذلك تعالى باولئك
رجلك وما قلا وقاتلوا اباءهم وابناءهم الذين هم اهل الكفر في مرضاته اى لطلبه
والمرضاة مصدر ميمي بمعنى الرضا كابي عبيدة بن الجراح قتل اباه يوم بدر وعمر رضي
الله عنه قتل خاله العاص ومصعب بن عمير رضي الله عنه قتل اخاه ونحوه مما هو
مذكور في السير وقال له صلى الله عليه وسلم عبد الله رضي الله عنه بن عبد
الله بن ابي بن سلول راس المنافقين وابنه عبد الله هذا كان من الصحابة المخلصين
محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لو شئت خطاب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم لاتيتك براسه يعني اباه عبد الله بن سلول اى قتله واتيت براسه لك وكان
ابن سلول رئيس اهل يثرب قبل الهجرة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهر
الاسلام بطلت رياسته فكان لحرصه على الدنيا يكره الاسلام ويظهر النفاق وهو الذي
نزل في حقه سورة المنافقين واما ابنه عبد الله فكان من خيار الصحابة الصادقين
كما علم غير مرة فلما ظهر من ابيه ما ظهر قال يا رسول الله اسالك بالله الا اذنت لي
في قتل ابي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ترفق به وتحسن اليه وهذا ما رواه
البخاري ومنها اى من علامات محبته صلى الله عليه وسلم ان يحب القرآن الذي اتى به

للناس

للناس من عند ربه عز وجل وهدى به الخلق كلهم لسعادة الدارين واهتدى به اى
وصل الى الله به وتخلق اى اتخذه خلقا له يعمل بكل ما فيه حتى قالت عائشة رضي
الله عنها وقد سئلت عن خلقه صلى الله عليه وسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
خلقه القرآن اى كان دابه التمسك به والتادب باداب والعمل بما فيه من مكارم
الاخلاق فجعل القرآن نفس خلقه مبالغة في شدة تمسكه به وانه صار سجية المقال ح
له وطبيعة كانه طبع عليها فتخلق بمعنى اظهر الخلق كتجمل بمعنى اظهر الجمال كما قال
المبرد رحمه الله وقد يكون التخلق للتكلف كما في قوله

يا ايها المتحلي غير شيمته ۝ ان التخلق ياتي دونه الخلق

وليس يراد هنا وحبه للقرآن تلاوته اى كثرة تلاوته له على الوجه المرضي فيها
عند اهل الاداء وليس المراد مطلق القراءة والعمل به اى بما فيه من الاحكام والمواعظ
وتفهمه اى التفهم بفهم معانيه وجعل هذا اعين الحب لتسببه عنه ومن العلامات
لمحبته صلى الله عليه وسلم ايضا ان يحب سنته اى طريقته وهديه بالاقتداء به قولا
وفعلا ويجوز ان يريد بسنته احاديثه المروية عنه بقرينة جعلها قرينة للقرآن
وكثيرا ما نطق عليه ويقف عند حدوده اى لا يتعداها ومن يتعد حدود الله
فاولئك هم الظالمون وحدود الله محارمه واحكامه من الحد وهو المنع والفصل
ومنه حدود الدار واستعير الحد لما ذكر فالوقوف فيه ترشيح مليح قال سهل بن
عبد الله التستري وقد تقدم علامة حب الله اى امارته ودليله حب القرآن
وتقدم بيانه وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم
فان من احب الله احب حبيبه وكلامه وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة
فان من احبه لا يخالف قوله ولا يعصيه وعلامة حب السنة حب الآخرة لان من احبه
واتبعه احب لقاءه ورغب في الآخرة كما مر وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا والزهد
فيها لانهما ضرتان لا يجتمعان في قلب مؤمن وبغضها لا يقتضي التبذير والاسراف كما توهم
وانما هو كما قيل اللهم اجعلها في ايدينا ولا تجعلها في قلوبنا وعلامة بغض الدنيا ان
لا يدخر ويقتني منها الا زادا اى مقدارا يتزود به ويتقوت ولا يجمع منها ما لا
حاجة له به كما قيل

يكفيك مما تقتنيه القوت ۝ ما اكثر القوت لمن يموت

او بلغة بضم فسكون اى ما يبلغه به الى الدار الآخرة كالمسافر يحمل من الزاد
ما يبلغه لمقصده ومنزله فانما الدنيا دار سفر لا دار مقر

وانما الدنيا كركب سفينة ۝ نظن وقوفا والزمان بنا يسري

وعن ابن مسعود في حديث رواه البيهقي في الادب وابن الضريس في فضائل
القرآن وفي نسخة وقال ابن مسعود لا يسأل احد من غيره عن نفسه اى عن
احوال نفسه في محبته لله ورسوله الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب
الله ورسوله فاذا اراد ان يعرف حاله ينظر في ذلك فيستدل به حتى كانه

ساله واجاب ببيان حاله فان السائل يتلذذ بسماعه عن حاله وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه وهو غاية مطلوبه كما قيل . ان كنت تزعم حبي فلم هجرت كتابي اما تاملت ما فيه من لذيذ خطابي ومن علامات محبته للنبي صلى الله عليه وسلم شفقته على امته ان يحبهم ويتلطف بهم ويرفق قلبه عليهم ونصحه لهم ببيان ما يصلحهم من امورهم وسعيه في مصالحهم بشفاعته ومعاونته وقضا حوايجهم ودفع المضار عنهم بدفع المظالم وازالة مضايقهم كما كان صلى الله عليه وسلم بالمومنين منا ومن غيرنا لا بغيرهم رؤفا شفوقا رحيما شفاعته صلاة عليهم كما وصفه الله به في كتابه العزيز فعلينا الاقتدا به والتخلق باخلاقه ومن تمام محبته اى كمالها واقصى مراتبها التي لا تتم الا بها زهد مدعيها اى المحبة في الدنيا وامورها وزخرفها وايثاره الفقر اى اختياره وتقديمه على الغنا وسعة الدنيا والصافة به اى جعله شعارا وصفة له تواضعا وزهدا وقد قال عليه الصلاة والسلام لابى سعيد الخدرى رضي الله عنه تقدمت ترجمته ان الفقر الى من يحبنى منكم معاشر المسلمين او الصحابة اسرع اى يصل اليهم بسرعة اقوى من سرعة السيل اذا انحدر ونزل من اعلى الوادى وهو الموضع الذي يسيل فيه الما من ودى بمعنى سال ويسمى الفرجة بين جبلين واديا ويستعار للطريقة والمذهب كما قال تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون او من الجبل الى اسفله والما النازل من علو لسفل في غاية السرعة تضرب به مثلا لسرعة انقيادهم والى منطوقا سمر التفضيل وضمير اسفله لاحد الامرين من الوادى او الجبل وافرد لانه بمعنى عطفناه او وهذا بعض من الحديث الذي بعده وقد رواه الترمذى وحسنه وفى حديث عبد الله بن مغفل بضم الميم وفتح الغين المعجمة وتشديد الفا المفتوحة ولام وهو صحابى مزنى من اصحاب الشجرة اخرج له الستة وغيرهم وتوفى سنة ستين قال رجل من الصحابة لم يسموه للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انى احبك فقال انظر ما تقول اى تفكر فيه وتامل فان محبتى امر عظيم من اختارها صادقا مخلصا ينبغى ان لا يحب امرا من امور الدنيا وهو امر صعب قال والله انى احبك اكده بالقسم لما راى من قوله صلى الله عليه وسلم له انظر ما تقوله تردد فيه وزاد ان كرره ثلاث مرات لينزيل الشبهة قال له صلى الله عليه وسلم ان كنت تحبنى حبا خالصا صادقا لا توثر عليه شيا فاعد اى احضر وهى للفقر تجفافا بكسر التا الفوقية وسكون الجيم وفا بين بينهما الف ونا وه مزيدة من جف اذا يبس وهى شى يوضع على الخيل ليقيها فى الحرب الاذى كالدرع للانسان وقد يلبسه الناس وجمعه تجافيف اى اعد له عدة تقيك من اذى الفقر فان النفوس لا تحتمله فينبغى الصبر عليه ورياضة النفس فى تحمله فشبه الفقر بجواد محض بما يقيه لا يصاله الى السعادة او شبه صاحبه بجواد والفقر بالمحاربة لمجاهدة النفس به وفيه ايما ان من احبه صلى الله عليه وسلم يبتلى بالفقر وكانه فقر اختيارى بزهده فى الدنيا وقد اختلف فى الفقر والغنى وفى الغنى الشاكر والفقير الصابر والغنى الشاكر ايهما افضل وظاهر هذا الحديث الاول والكلام عليه مفصل فى كتب المشايخ وغيرها وقد منا منه ما فيه

الكفاية

الكفاية وروى جلبابا بدل تجفافا ثم ذكر اى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا الكلام الذي قاله للرجل المذكور نحو حديث ابى سعيد الخدرى اى ما يشبهه بمعناه يعنى قوله في الحديث الذي سبق للفقر اسرع الى من يحبنى من السيل الى منتهاه وشبهه لتشبيهه له بالسيل واشارة الى تلاحق النوايب به سريعا حتى لا يتخلص منها فليستعد لها

فصل في معنى المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم وحقيقتها اى المعنى الذى وضعه لها واضع اللغة وعين لفظه اختلف الناس المراد بهم علما السلف والخلف وسبب اختلافهم ان المحبة التي تعارفها الناس كما سنبينه بحسب الظاهر لا تليق بالله ورسوله في تفسير محبة الله ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم اى في بيان المراد بها وكثرت عباراتهم في ذلك التفسير وليست ترجع بالحقيقة اى ليس ما لها ان نظر الى نفس الامر المحقق في الواقع الى اختلاف مقال اى ليس اختلافا لفظيا والمعنى واحد ولكنها اختلاف احوال اى سبب اختلافهم اختلاف حال المحب وحال المحبة قوة وضعفا فكل نظر الى حال من احوالها وفسرها بتفسير يناسبه فليس اختلافا حقيقيا ولا لفظيا فانما هو باعتبار المحبوب والمحب وحالا لا تتناهى انكر بعضهم امكان محبة الله حقيقة كما في الاحيا قال لا معنى لها الا المواظبة على طاعته وقال القشيرى هى حالة للقلب تلطف عن العبارة تحمل على التعظيم وايثار رضاه واشتقاقها قيل من حبب الاسنان وهو بياضها وصفاؤها وقيل من الحباب الذى يعلو الما اذا انصب وتحرك لفورانها في القلب وقيل من احب البعير اذا برك لثبات القلب عليها وهو اشتقاق بعيد وحقيقتها ميل النفس ميلا كليا لما يدعوه لمحبوبه من رابق جمال او فايق كمال او فايق احسان وافضال فقال سفيان يحتمل سفيان بن عيينة وسفيان الثورى قيل والظاهر انه الثورى لطول باعه في علوم القوم وعلو رتبته في العلم الظاهر ايضا فانه كان مجتهدا وصاحب مذهب مستقل في عزة المحبة يعنى محبة الله بدليل الاية التى استدل بها اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في اقواله وافعاله وكل ما جاء به عن الله لان من احب الله لا يعصيه فيما امره به وانما سمى اوامره ونواهيه منه فهو تفسير لها بلازمها ولما كان في هذا خفا قال كانه اى سفيان التفت اى نظر في تفسيره هذا الى قوله تعالى واستنبط منه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله فانه اقام اتباعه مقام محبته اذ لم يذكر محبتهم وذكر محبته وهى لا تكون الا لمن احبه والاية نزلت في اليهود لما قالوا نحن ابنا الله واحباوه فارشدهم الى ما يحقق مدعاهم فان حقيقة المحبة ميل النفس الى شى ادركت منه كمالا يحمله على ما يقربه اليه والكمال الحقيقى ليس الا لله وكل كمال في غيره فهو منه فحبه يقتضى طاعته والرغبة فيما يقربه اليه وليس ذلك الا بطاعته وطاعته لا تتم الا باتباعه صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم في معنى محبة الرسول صلى الله عليه وسلم انها اعتقاد لزوم نصرته بالمجاهدة لنصره واعلا كلمته والذب بالمعجمة اى المنع والطرد عن سنته اى طريقته وشريعته بردما يخالفها ودفع الشبه الموردة عليها وتصحيح احاديثه وتفسيرها وبيان خفيها والانقياد لها بان لا يخالفها ويعمل بها وهيبة مخالفته اى الخوف من مخالفته مع تعظيمه

واجلاله وفي نسخة من لقيتها اي السنة وفي النسخة الاولى الضمير للرسول صلى الله
عليه وسلم وقال بعضهم في تفسير مطلق المحبة ويحتمل انه بيان لمحبة الله دوام الذكر
للمحبوب لان من احب شيئا اكثر من ذكره كما مر وقال اخر ايثار المحبوب اي اختياره
وتقديمه على ما سواه بان يكون احب اليه من نفسه واهله وماله كما تقدم وقال بعضهم
المحبة معناها الشوق الى المحبوب بان يكون نفسه وقلبه دائما تدعوه الى قربه ومحبته
على لقائه وقد تقدم الفرق بين الشوق والاشتياق وانه من الاصطلاحات الصوفية
لا من المعاني اللغوية وقال بعضهم المحبة مواطاة القلب بضم الميم وطاء مهملة تليها
همزة ومعناها الموافقة واصله ان يطأ الرجل برجله موطئ صاحبه قال تعالى ليواطئوا
عدة ما حرم الله اي موافقة القلب لمراد الرب بان لا يريد الا ما اراده فيترك ما يحبه
لما يريده الله ثم بينه بقوله فيحب مضارع احب ما احب ويكره ما كره وفي نسخة ما
يكره والاولى اولى وقال اخر المحبة ميل القلب الى موافقه اي المحبوب والمراد كل
ما يقبله وهذا كله من كلام اهل الطريقة وله امثال كثيرة كقول ذي النون قل لمن اظهر
حب الله احذر ان تذل لغير الله تعالى وقال اخر المحبة ميل القلب الى موافق له اي
موافق لما يرضاه ويريده محبوبه وهي اقوال متقاربة واكثر العبارات المتقدمة من
اول الفصل الى هنا اشارة الى ثمرات المحبة انما قال اشارة لانهم لم يصرحوا بانها من ثمراتها
واصل الثمرة نتاج الشجر ثم قيل لكل نفع يحصل عن شيء ثمرة كثمرة العلم العمل فهو استعارة
تصريحية او تخييلية ومكنية او مجاز مرسل دون حقيقتها اي لا حقيقتها ودون ترد لمعان
هنا منها وانما قال اكثر لان منها ما هو سبب كما نبا عنا ولانه احترز عن التفسير لانه حقيقية
لغوية وقد نظر ثم بين حقيقتها بقوله وحقيقة المحبة الموضوعة لها مطلقا الميل معناه
حقيقة العدول عن الوسط الى احد الجانبين ثم تجوز به عن ارادته والرغبة فيه الى ما
يوافق اي طبيعة الانسان قيل هذا بعينه هو المعنى الاخير وفيه ان المعنى فيه له موافق
له ثمة موافق لمحبوبه وهنا لنفسه فبينهما فرق لعمري هو قريب منه وبين الموافقة بقوله
ويكون موافقته له اي لنفس المحب اما لاستلذاذه اي عده لذيذا تشتهيه نفسه
وتستحسنه بادراكه منه امورا محبوبا كالطعم الحلو والمشروب العذب وكحب الصور
الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة اللذيذة واشباهها كالروائح الطيبة
والملابس الفاخرة وهو اشارة الى المحسوس بالحواس الظاهرة مما كل طبع سليم من غلط
الطبع وفساد الحواس كالمريض يجد الحلو مرا لفساد ذوقه فهذا الاير ونقصا مائل
اليه لموافقته له طبعا وفي نسخة موافقتها اي المذكورات او لاستلذاذه اي وجود لذته
واللذة من الكيفيات النفسية وضدها الالم وتصور ذلك بديهي لانه من الوجدانيات
وهي ادراك الملايم من حيث هو ملايم والالم ضده والمراد بالملايم للشيء كماله اللايق به
كالتكيف بالحلاوة للذائقة ونحوه من المحسوسات وتعقل الاشياء على ما هو عليه للقوة العاقلة
وقيد بالحيثية لان الشيء قد يكون ملايما من وجه دون وجه اخر والمراد بادراكه ادراكه
بعد الوصول لا تجوزه وتخيله كما تقرر في كتب الحكمة فاللذة تكون حسية وعقلية والبه

اثار

اثار بقوله او لادراكه الخ وهو القسم الاول والثاني بينه بقوله بادراكه بعد الوصول
اليه لا قبله بحاسة عقله وقلبه فيه تسمح على راي الحكما لان المدرك عندهم القوى
الباطنة في الدماغ لا العقل المدرك للكليات لكن لما كان اهل الشرع لم يثبتوها
تسمح فيها معاني باطنة غير مدركة بالحواس الظاهرة شريفة اي نفيسة القدر
وقيمة عالية القدر كانها في شرف اي مكان عال وحاسة العقل قوته المدركة
فالاضافة لامية او المراد حاسة هي العقل فالاضافة بيانية كحب الصالحين
والعلماء واهل المعروف المراد بالمعروف كل ما يعرف بالشرع والعقل حسنه كالجود
كما قاله الراغب وحب المأثور اي المنقول عنهم السير المراد بها الاحوال والصفات
الجميلة الحسنة المحمودة شرعا وعقلا والافعال الحسنة كالكرم والعلم والزهد كالحسن
البصري فان طبع الانسان مائل الى الشغف اي المحبة الزائدة وهو بشين معجمة وغين
معجمة وفاء من شغفه الحب اذا وصل الى شغاف قلبه اي غلافه او باطنه او داخله وحبته
وبعض الناس بالمراد وروي بعين مهملة فيقال هما بمعنى وقيل الثاني بمعنى الاحراق يقال
شعفه الحب اذا احرقه وامرضه ومع ذلك يجد له لذة فان عذابه عذب لذيذ وقوله
بامثال هولاء اي بهولاء وامثالهم او المراد بامثالهم القسم كتلك الابحل وهو كناية كما تقرر
في كتب المعاني والاشارة للصالحين ومن بعدهم حتى يبلغ الشغف بهولاء وفرط حبهم التعصب
تفعل من العصبة وهي الجماعة المتعاضدة المتناصرة والمعنى اظهار الحمية والمبالغة في
الصبابة حتى يبارز من خالفهم في محبتهم للحمية والغضب لمن احبه والتشيع تفعل
من الشيعة وهو هنا بمعنى التعصب ايضا وضمنه معنى الانفصال لقوله من امة اي فارقوا
امدحا لقومهم وصاروا في اخرين اي في قوم اخرين وفي نسخة اخرى اي امة اخرى
والشيعة من المشايعة وهي المتابعة والشيعة الفرقة من الناس غلب على من والى عليا
رضي الله عنه كما مر وبما في ما يودي اي يوصل بهاء اداه الى كذا اي اوصله وهو بهمزة
ودال مشددة وهو مفعول يبلغ اي يصل والتعصب فاعله فان نصب على انه مفعول فاعله
ضمير الشغف وهو بدل منه والثاني اقرب الى الجلاء بفتح الجيم واللام والمد الخروج عن
الاوطان اي الاماكن والبلاد والاهل وهتك الحرم بضم الحاء وفتح الراء المهملتين جمع
حرمة والهتك بمثناة فوقية وكاف كشف الستر وازالته وتقطيعه والحرم جمع حرمة
بضمتين وضم فسكون وفتح كهمزة وهو كل ما يهاب وينبغي ولذا قيل للنساء حرم اي
انفصاح نسابهم وذهاب عرضهم وكلما يلزمهم صيانته واخترام بخاء معجمة ومثناة
وراء مهملة النفوس اي الذات والارواح اي اهلاكهم بسرعة يقال اخترمته المنية
كانها قطعت عمره وكلما استاصل شيئا اخترمه وفي نسخة القلوب والاول احسن فترى المرء
يحب هولاء وان لم يرهم تحببهم تحمله على ما ذكر ثم ذكر سببا ثانيا للمحبة فقال او يكون حبه
اياه وميل نفسه وطبعه اليه لموافقته له اي لملايمته وموافقة طبعه من جهة احسانه اليه
اي انعامه وبذله وجوده وفي نسخة له اي لاجل ذلك فقوله وانعامه عليه عطف تفسير
فقد جبلت النفوس بالبناء للمفعول اي جعلت مطبوعة ومخلوقة على حب من احسن اليها

كما جبلت على بغض من اساء اليها وقيل ان هذا من الفاظ النبوة ولم اره بعينه حديثا الا انه
ورد بمعناه ففي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم لا تجعل لفاجر علي يدا فيحبه قلبي
فاشار الى ان حب المحسن اضطراري وفي الاحيا ان المحبة قد تكون لغير هذا من الالف
الروحاني من غير سبب ظاهر وقال فيه ايضا في ايتلاف القلوب امر غامض لا يطلع
عليه فقد يحب المرء من غير حسن واحسان وسبب ظاهر بل لمناسبة روحانية وشبه
الشي منجذب اليه وفي الحديث الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها
اختلف وقول المنجمين انه دابر على الطالع ومقابله لا اصل له و ورد في حديث رواه
في الفردوس لو ان مومنا دخل مجلسا فيه مائة منافق ومومن واحد لجاء حتى جلس
اليه و لو ان منافقا دخل مجلسا فيه مائة مومن ومنافق واحد لجاء حتى جلس اليه فما
ذكره هو الاغلب المعروف **فاذا تقرر** اي ثبت وتحقق **لك هذا** المذكور من اسباب
المحبة **نظرت الى هذه الاسباب كلها** اي عرفتها بنظر سديد وكلها نائب للاسباب او
مبتدا خبره **في حقه** اي موجودة في حقه وشانه متوفرة محققة **فعلمت انه عليه الصلاة
والسلام جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة** بمقتضى العقل والشرع والطبع
السليم ثم بين ذلك بقوله **اما جمال الصورة** وهو السبب الاول وهو حسن الصورة
الحسنة والصورة الهيئة والمراد ما يظهر للناظر كالوجه **والظاهر** عطف تفسير للصورة
وكمال الاخلاق اي كونها في غاية الكمال فيه صلى الله عليه وسلم وهذا ليس من الحسن
الظاهري بل حسن باطني كالصورة لان حسن الصورة يدل على حسن السيرة فقوله
والباطن عطف تفسير **فقد قررنا** اي بينا في هذا الكتاب سابقا **منها قبل** مبني على
الضم **فيما مر اول الكتاب ما لا يحتاج الى زيادة** فيه هنا **واما احسانه** صلى الله
عليه وسلم وهذا هو السبب الثاني **وانعامه على امته** يعني امة الاجابة **فكذلك** اي مثل
ما قبله في عدم احتياجه للبيان هنا لانه **قد مر منه** اشارة الى ان ما ذكر بعض منه لا
يمكن استيفاؤه

و على تفنن ما دحيه و وصفه يفني الزمان وفيه ما لم يوصف

وفي اوصاف الله تعالى له صلى الله عليه وسلم جمع وصف بمعنى صفة او توصيف ثم بينه
بقوله **من رافته بهم** اي شفقته ولطفه بهم كما مر **ورحمته لهم** اي انعامه صلى الله عليه
وسلم عليهم وكرمه **وهدايته اياهم** اي من احسانه انه هداهم الى سعادة الدارين واي
احسان اعظم من هذا **وشفقته** اي حنوه عليهم ومرحمته لهم **واستنقاذهم** اي
تخليص الله هذه الامة به اي بسببه صلى الله عليه وسلم اذ بعثه اليهم **من النار** وعذاب
جهنم اذ هداهم لطريق النجاة منها **وانه بالمومنين رؤف رحيم** كما في قوله تعالى بالمومنين
رؤف رحيم كما مر تفسيره **وانه رحمة للعالمين** فهو مرفوع وضبط في بعض النسخ منصوبا
اي كونه رحمة وبعد ذلك قوله **ومبشرا** بكل خير **ونذيرا** مخوفا لهم لئلا يدعوا اعمالهم
وداعيا الى الله و دينه الحق باذنه في الدعوة او بارادته كما مر **وسراجا منيرا** منقذا
لهم من ظلمة الجهالة والضلالة **ويتلو عليهم اياته** المرشدة لهم فيقرأ عليهم ما يوحى اليه

من

من دلايل التوحيد والنبوة **ويزكيهم** يطهرهم من الشرك والمعاصي **ويعلمهم الكتاب** اي
القران العظيم **والحكمة** وما يكملهم من المعارف والاحكام **ويهديهم الى صراط مستقيم**
يدلهم على الطريق الموصل الى الله بلطفه وهذا ما وصفه الله به في كتابه العزيز **واي احسان**
اي التعظيم والتفخيم كما يقال عندي رجل اي رجل اي كامل الرجولية **اجل قدرا** وارفع رتبة
واعظم خطرا بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة اي قدرا او شرفا فعطف بينهما تفننا
من احسانه اي احسان هذا النبي الكريم على امته فكيف لا يحسن **الى جميع المومنين** خصهم
لانهم هم المنتفعون به والا فاحسانه عام **واي افضال** بمعنى احسان وتفضل **اعم**
منفعة واكثر فايدة على كافة المسلمين اي جميعهم وقد قيل كما مر ان كافة تلزم
التنكير والنصب على الحالية واستعمالها على خلاف ذلك خطا وانه وقع في عبارته كما
في درة الغواص وقد اجبنا عنه في شرح تلك الدرة وبينا انه سمع خلافه **اذ** تعليلية
اي لانه صلى الله عليه وسلم **كان ذريعتهم** اي وسيلتهم وسببه موصل لهم **الى الهداية**
اي ما يخلصهم وينجيهم واصل الذريعة سترة يتخذها الصايد للعير ليصيده والوصول
اليه وهو صلى الله عليه وسلم سترة من النيران وجنة لمن طلب الجنان **ومنقذهم** مخلصهم
من العماية بفتح العين وهي الغواية والجهالة **وداعيهم الى الفلاح** اي الفوز والظفر
بسعادة الدارين **والى الكرامة** اي الاكرام بنيل الخير **ووسيلتهم الى ربهم** اي موصلهم
ومقربهم اليه وجاعل لهم منزلة عنده **وشفيعهم** في الدنيا والاخرة **والمتكلم عنهم**
عند الله ببيان اعذارهم وهم احوج ما يكونون الى الكلام وقد خرست الالسن ولم يوذن
لاحد غيره صلى الله عليه وسلم ان يتكلم **والشاهد لهم** بانهم امنوا وصدقوا ابو هريرة انهم
حين يشهدون للانبيا عليهم الصلاة والسلام انهم قد بلغوا امتهم ما يزكيهم كما تقدم
والموجب لهم اي الذي يحقق لهم **البقاء الدايم** بالخلود في الجنة وليس المراد الوجوب
الشرعي لانه لا يجب على الله شي **والنعيم** في الجنة **السرمد** اي الدايم الذي لا ينقطع ولولاه
صلى الله عليه وسلم لم يكن شي من ذلك **فقد استبان لك** بما ذكر اي ظهر واتضح **انه عليه
الصلاة والسلام مستوجب** اي مستحق **للمحبة الحقيقية** لان اسبابها متوفرة فيه صلى
الله عليه وسلم على الكمل وجه لا يتيسر لغيره **شرعا بما قدمناه من صحيح الاثار** الموجبة
له من بين شرف وحسن تصرف وانه المحسن المتفضل بكل خير وانا مامورون بمحبته واتباع
ما امر من الله **وعادة** معطوف على قوله شرعا اي ما اعتاده الناس في كل عصر من
محبة من حاز الكمال كله **وجبلة** لان كل خير واحسان وصل الينا فهو منه صلى الله عليه
وسلم والنفوس مجبولة على حب من احسن اليها كما مر والجبلة بمعنى الطبيعة قال تعالى واتقوا
الذي خلقكم والجبلة الاولين اي المجبولين الاولين **مما ذكرنا** متعلق باستبان **آنفا** المد
اي قريبا وهو منصوب على الظرفية من انف بمعنى تقدم ومنه الانف اسم الجارحة **لافاضته**
اي اعطايه من بحر كرمه **الاحسان** بكل خير دنيوي واخروي **وعمومه الاجمال** اي تعميم
الجميل منه لكل احد وهذا اجمال لما قدمه بذكر السابقة ثم وصفه بقوله **فاذا كان الانسان**
يحب من منحه اي اعطاه والمنحة العطية **في دنياه** اي في حياته في الدنيا **مرة**

 مز لغامدم

ساتا لف

اومرتين معروفا اى شاهد ما كما مر تفسيره او استنقذه ونجاه من هلكه بفتح
الها واللام اى من مهلك او مصرعه اى من مصرعه وموضعه بفتح الميم والصاد مدة التاذى
بها اى بالمضرة قليل منقطع اى زمن قليل فى زمن قليل وذكره لان المدة بمعنى الزمان
اولانه تمييز ومنقطع نعت كلته ومدة مضافة للتاذى اوهو منصوب والتاذى
مبتدا اخبره قليل وعلى الاول المبتدا مدة فمن منحه ما لا يبيد بمثناة تحتية مفتوحة
فموحدة مكسورة وتحتية ساكنة ودال مهملة اى يذهب ويفنى من النعيم المخلد فى
الجنة ولهذه النسخة اولى مما وقع فى بعض النسخ من النعيم جمع نعمة للسجع فى الاولى
ووقاه بالتشديد والتخفيف اى صانه وحماه ما لا يفنى من عذاب الجحيم اى النار
من جحم بمعنى توقد وتلهب لطيفة منها وقوله اولى ما يحب بالبنا للمفعول وفى نسخة
اولى بالحب واولى افعل تفضيل بمعنى احق وهو خبر من اى احق من كل شئ يحب من نفسه
وماله واهله واذا كان يحب مبنى للمجهول ايضا بالطبع متعلق باولى يحب وخص
هذا بالطبع لانه ليس محبوبا شرعا والعقل والعادة لاتقا لعقلانه ملك بكسر اللام نائب
فاعل يحب وهو موضع ولذا ما بعده وفى نسخة نصب الجميع ويحب مبنى للفاعل يحسن
سيرته بعدله فى رعيته اوحاكم عنه ممكن كما ميز لما يوثر اى ينقل عنه وهو مجهول ايضا
من قوام طريقته اى حسن سلوكه وقوام بكسر القاف وهو العماد والنظام ويجوز فتحها
بمعنى الاعتدال قال تعالى وكان بين ذلك قواما اى معتدلا اوقاض بضاد معجمة
اى حاكم الشرع اذا اسمع بعدله وهو بعيد الدار عنه دبر دى بصاد مهملة بعيد
تفسير له لما يشاد مبنى للمجهول اى لاجل ما يشيع ويشتهر من ذكره بين الناس وهو
مستفاد من شاد البناء بشين معجمة ودال مهملة اذا رفعه ومنه قصر مشيد وغلطا من
قال انه بذال معجمة من شاذت علك وفى نسخة لما اشاد بالبنا والشين المعجمة من ظهر وانتشر عرص
من علمه اوكرم شيمته اى سجيته وخلقه وهذا مناسب لاهل الدنيا اذا كان يحب من
فيه بعض هذه الخصال فمن جمع هذه الخصال كلها وحواها وكل منها فيه مستقر على غاية
مراتب الكمال بحيث لا يشبه صفاته صفات غيره كما قال الابوصيرى رحمه الله

انما مثلوا صفاتك للناس كما مثل النجوم الماء

احق بالحب مما عداه واولى بالميل اليه واعلم انه انما ذكر قوله تعدا سبان
لك الخ لدفع شبهة لمن لا بصيرة له وهى ان هذه الامور انما تتحقق فيه صلى الله عليه وسلم
عند من راه وشاهده منه لانها الموثرة فى الطباع بان وصول نفعه وخيره لمن بعده
معلوم لكل مومن بالغيب وكان لانه صلى الله عليه وسلم لتواترها وبنا اثارها كالمحسوس
الشاهد وقد قال على رضى الله عنه فى حديث الحلية السابق ذكره من راه صلى الله
عليه وسلم بديهة اى بغتة فى اول رويته هابه توقيرا واجلالا لما يرى من نور
نبوته ومن خالطه اى صاحبه صلى الله عليه وسلم وعاشره معرفة احبه اى بعد ما
عرف فضائله وفواضله وشاهد شمائله لابد ان يحبه وذكرنا فى فصل ثواب محبته
عن بعض الصحابة وهو ثوبان كما تقدم انه كان لا يصرف بصره عنه محبة

فيه

فيه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

فصل فى وجوب مناصحته

النصح معناه الخلوص لغة ثم نقل لارادة الخير بقلبه ولسانه واتيانه له بصيغة المفاعلة لان
نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم امر معلوم لكل احد فالنصح احد من امته تحققت
المناصحة من الجانبين واخر هذا الفصل عن المحبة لانها تترتب عليها واعلم انه يأتى ان
اصل معنى النصح تصفية العسل وخياطة الثوب ثم استعمل فى ضد الغش والاخلاص
كالتوبة النصوح قال تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اى اثم فى التخلف
اذا تخلفوا عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لعذرهم المانع لهم اذا نصحوا لله
ورسوله الخ اى اذا اخلصوا الايمان بهما والطاعة لهما ظاهرا وباطنا ما استطاعوا
اواخلصوا لهما من فعل وقول يعود على المسلمين بالصلاح وفى الصحيحين عن جابر رضى
الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة فقال ان بالمدينة ناس
ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم المرض شركوكم فى الاجر ففى الاية دليل
على وجوب النصح لله ورسوله كما اشرنا اليه ما على المحسنين من سبيل اى ليس عليهم جناح
ولا الى معاتبتهم سبيل ووضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على انهم منخرطون فى سلك
المحسنين غير معاتبين فى ذلك والله غفور رحيم لهم او للمسىء فكيف المحسن قال اهل التفسير
فى بيان معنى الاية اجمالا اذا نصحوا لله ورسوله معناه اذا كانوا مخلصين فى قولهم
وافعالهم مسلمين منقادين مطيعين حال لازمة فى السر اى فيما فى باطنهم مما اسروه
والعلانية ظاهرها لهم المطابق لما فى ضمائرهم والعلن والعلانية بتخفيف الياء مصدر الجهر
والاظهار فالنصح هنا بمعنى الاخلاص والصدق ثم اتبع ما استشهد به من الكتاب العزيز
بحديث رواه ابو داود كما رواه مسلم فقال حدثنا ابو الوليد شيخ المصنف رحمة الله
عليه قال حدثنا حسين بن محمد هو ابو على الغسانى وقد تقدمت ترجمته قال
حدثنا يوسف بن عبد الله هو حافظ الاسلام ابن عبد البر وقد تقدم قال حدثنا
ابو محمد بن عبد المومن تقدم ايضا قال حدثنا ابو بكر بن التمار قال حدثنا
ابو داود صاحب السنن قال حدثنا احمد بن يونس ابو عبد الله احمد بن عبد
الله بن يونس اليربوعى الكوفى الحافظ الثقة المتقن [illegible] روى عنه الستة توفى
سنة سبع وعشرين ومائتين قال حدثنا زهير بن محمد المروزى نزيل الشام الثقة
توفى سنة اثنين وستين ومائة اخرج له الستة وترجمته فى الميزان قال حدثنا
سهيل بن ابى صالح تقدمت ترجمته عن عطاء بن يزيد الليثى الثقة التابعى توفى
سنة سبع او خمس ومائة واخرج له الستة عن تميم الدارى وهو تميم بن اوس بن
خارجة اللخمى المكنى بابى رقية وهى ابنة له لم يولد له غيرها والدارى نسبة لجده
الدار بن هانى او لدارين اسم مكان وقال الديرى لدير كان يتعبد فيه وقيل انه اسم
قبيلة وهو بعيد كما فى المطالع وكان نصرانيا اسلم سنة تسع بالمثناة من الهجرة وتوفى
سنة اربعين منها وروى عنه فى السنن ومسند احمد وقصته فى الجساسة مشهورة
قال تميم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة

ان الدين النصيحة
عرض

كررها ثلاثا لزيادة الحث والتحريض ولذا عدل المصنف عن رواية مسلم مع ان كتابه اصح
الكتب عند علماء المغرب وما قيل انها مكررة في هامش نسخة مسلم فلا يجد العدول عنه
امر سهل وسواء ساقط والدين جملة الاسلام والنصيحة تقدم بيانها وفي روايتهما
الدين النصيحة وهما بمعنى لافادة تعريف الطرفين الحصر قالوا اي الصحابة الحاضرون
عنده لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه بالعمل بما فيه وتعظيمه وحفظه ولرسوله
بالايمان به واتباعه وطاعته ولائمة المسلمين الخلفاء والسلاطين والحكام وعامتهم
ان اريد العوام فظاهر وان اريد جميعهم فهو من عطف العام على الخاص وسيأتي
بيانه قال ائمتنا المراد بهم علماء الاسلام او ائمة مذهبه النصيحة لله ولرسوله وائمة
المسلمين وعامتهم واجبة اي فرض عين على كل مكلف ونقل النووي انها فرض كفاية
فان خشي اذى فهو في سعة من الترك قال الامام البستي بضم الموحدة وسكون
مهملة ومثناة فوقية نسبة لبلدة بسجستان وهو ابو سليمان بن محمد بن ابراهيم
ابن خطاب المعروف بالخطابي الامام المشهور واختلف في اسمه فقيل احمد وقيل حمد
توفي ببست في ربيع الاول سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة النصيحة كلمة يعبر بها عن
جملة بالتنوين فقوله ارادة الخير بدل منها او مرفوع او منصوب على هذا ولا مانع
من الاضافة للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها اي عن الجملة بكلمة واحدة تحصرها
اي تجمع جميع معانيها وقيل تفيد بوجه غيرها اي غير هذه الكلمة وهي النصيحة وما ذكرها كالنصح
والنصاحة وفي كلامه تسمح فان مجرد ارادة الخير لا يسمى نصحا فالظاهر ان يقول ارشاد
المنصوح للخير وايضا في تركيبه شيء لان اسم ليس الظاهر انه اذ يعبر وجملة يمكن خبرها
فيتعين تاخيرها لما فيه من اللبس بالفاعل ومراده ان هذه من اوجز الاسماء واحصرها
لدلالتها على معان يفردها ولذا قيل في لفظ الفلاح انه ليس في كلام العرب كلمة اجمع
لخيري الدنيا والاخرة منها ثم اشار الى اصل معناها لغة ثم الى حاصل معناها
في عرف اللغة والشرع بقوله ومعناها في اللغة اي في عرف اهل اللغة الاخلاص
اي لنفسه وغيره من قولهم نصحت العسل اذا خلصته وصفيته من شمعه بفتح
الميم وسكونها مضاف لضمير العسل فهي فعيلة بمعنى فاعله او مفعولة لانها خلصت من
الغش كما خلص العسل من شمعه وقال ابو بكر بن ابي اسحق الخفاف وهو امام
من ائمة اللغة ترجمته مذكورة في التواريخ وفي نسخة ابن اسحاق وهو ابو بكر
احمد بن عمر بن يوسف الشافعي وهو صاحب كتاب الخصال في مذهب الشافعي
كما قاله الرافعي النصح فعل الشيء الذي به الصلاح لنفسه وغيره واراد بالفعل ما
يشمل القول والملاءمة بضم الميم ومد الهمزة من لاءمت بينهم اذا وفقت وتلاءموا والتأموا
بحيئ وقد تبدل همزته ياء ماخوذة اي مشتقة اشتقاقا وكثيرا ما يعبر عنه بالاخذ
ويقولون دائرة الاخذ اوسع من دائرة الاشتقاق من النصاح بكسر النون وتخفيف
الصاد وهو الخيط الذي يخاط به الثوب فشبه اجزاءه فالنصيحة على هذا
ماخوذة من نصح الثوب اذا خاطه ولا حاجة لنقله عن الخفاف فانه في الكنز كتب

اللغة

اللغة وقال ابو اسحاق الزجاج امام العربية والتفسير تلميذ المبرد وشيخ
ابي علي الفارسي وهو ابراهيم بن سهل الزجاج منسوب لعمل الزجاج لانه كان حرفته
توفي في جمادى الاخرة من سنة احدى عشر وثلثمائة وقد اقتصر على الثاني نحوه اي قريب
مما قاله الخطابي معنى ثم شرع على ما بينه من معناه لغة وعرفا في بيان اقسامه فقال فنصيحة
الله بمعناها والمراد بها صحة الاعتقاد في اي اخلاص الايمان به ولذا اعاده الا هو
في تعالى له وذلك بتخصيصه بالوحدانية اي بانه واحد احد لا شريك له في الالوهية
ولا نظير له احد في ذاته وصفاته وهو مصدر بمعنى الانفراد وزيد فيه الالف والنون
على خلاف القياس سوى له الكرماني ووصفه بما هو اهله اي بما يجمعه ويليق به
كما يقال هو اهل الحمد وهو اهله ومحله وهو مجاز شائع مشهور وتنزيهه عما لا
يجوز عليه في كل ما يوهم نقصا والرغبة في محابه بفتح الميم جمع محب اسم مفعول احب
بمعنى محبوب اي يرغب في كل ما يحبه ويرضاه والبعد عن مساخطه بفتح الميم جمع مسخط
اسم مفعول اي كل ما يسخط الله ويورث غضبه من المعاصي وقيل هما جمع مسخوط ومحبوب
والاصل محابب ومساخط والاخلاص في عبادته بعبده امتثالا لامره من
غير ريا ولا ارادة امر اخر ولا تصيره العبادة رجاء جنته وخوف ناره وان قال
الرازي ان الاخلاص بغير هو مرتبة الخواص وقد فصلناه في محل اخر فالنصيحة
له حقيقة راجعة الى العبد نفسه لانه تعالى ليس له ناصح ولا يتصور في حقه فلذا حمله
على هذا والنصيحة لكتابه معناها الايمان به اي بانه كلام الله المنزل على رسوله
صلى الله عليه وسلم فتصدق بذلك تصديقا لا ريب فيه والعمل بما فيه بائتمار اوامره
وترك نواهيه وتسليم متشابهه والايمان به وتحسين تلاوته بالتجويد والترتيل بان
يخرج حروفه من مخارجها من غير تكلف وتشدق ويدخل فيه تحسين الصوت به
من غير تغني وزيادة مد وقد قال القراء تجويده واجب واختلف هل هو واجب
شرعا او صناعة فذهب الى كل من القولين قوم من الفقهاء والحق انه واجب شرعا
لما ورد عليه من غير مشقة ببعض الائمة والتخشع عنده اي عند تلاوة القرآن
وسماعه وينبغي له ان يظهر الخشوع وان لم يكن خاشعا كبعض العوام كما قيل
ان لم تكن باكيا فتباك وضمير عنده للكتاب وقيل انه لتحسين التلاوة والاول
اولى وافيد وفي التخشع ما يفيد انه لا ينبغي الصياح واظهار الوجد ما لم يكن عن
حال سلب اختياره والتعظيم له بان لا يقرأه محدثا وان لا يمد رجليه حال تلاوته
ولا يجلس عليها في محل قذر ولذا كره الفقهاء القراءة في الحمام وعلى الطرق والاسواق
وتفهمه اي تدبر معانيه والفكر فيها بدقة نظر والتفقه فيه اي فهم معانيه او النظر في
احكامه الفقهية من حلاله وحرامه والاتعاظ بمواعظه ونصائحه وامتثاله والذب
عنه بحجة وموعظة اي زجر من طعن فيه من الملحدين من تأويل الغالين وطعن
الملحدين فيه وتأويله بما لا يليق به من الغلو وهو تجاوز الحد ولنا فيه مصنف واداب
كثيرة بينها النووي في كتاب التبيان في اداب حملة القرآن فعليك والنصيحة لرسوله

صلى الله عليه وسلم النصح في نبوته ورسالته الى الناس كافة والى غير ذلك من
الملائكة والجن وبذل الطاعة له فيما امر به ونهى عنه لان طاعته واجبة وهي طاعة
لله كما مر قال ابو سليمان هو الخطابي الذي تقدم بيانه وقال ابو بكر هو ابن
ابي اسحاق الخفاف الذي مر ذكره وهو الظاهر الذي ذكره الشارح وقيل هو الحافظ
الاجري الاتي قريبا ومؤازرته براء مفتوحة او همزة من الازر وهو القوة او من
الوزر وهو الملجأ اي معاضدته ومعاونته وهو معطوف على مقدر او على ما قبله عطف
تلقين ونصرته اي اعانته على اعدائه او نصرة دينه واعلاء كلمته وحمايته اي دفع
السوء عنه حيا بالمجاهدة معه وخدمته وميتا بتقوية دينه وتأييد شريعته وهو راجع
لكل ما قبله واحياء سنته اي حديثه وطريقته وفيه استعارة تصريحية بالطلب
لها بان يبالغ فيها ويجتهد في معرفتها والذب عنها اي دفع الشبه عنها والتأويلات
الفاسدة ونشرها اي اظهارها واشاعتها وتعليمها من انتهى الحديث اذا شاع والتخلق
باخلاقه اي الاتصاف بمثل صفاته المأثورة عنه وان لم يمكن تماما وانه ان التشبه بالكرام
فلاح الكريمة اي المكرمة المحمودة وآدابه الجميلة التي تنبها حال وجوه لمن اتصف
بها وقال ابو ابراهيم اسحاق التجيبي تقدم بيانه وانه يعتني الثناء وضعها وانه
المعروف بالوراق نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم معناها التصديق
بما جاء به اي الايمان بكل ما جاء به عن الله والاعتصام بسنته اي التمسك بها ونشرها
والحض عليها اي حث الناس وتحريضهم على اتباعها والدعوة الى الله اي الى الايمان
به وتوحيده والى كتابه القرآن بالايمان والعمل بما فيه والى رسوله بالايمان
به واتباعه واليها اي الدعوة الى السنة والى العمل بها كما مر وقال احمد بن
محمد هو الامام المشهور احمد بن حنبل نفعنا الله ببركاته وهذا ما وجدناه بعد من
نسبته الى ابيه محمد من مفروضات القلوب اي مما فرض ووجب اعتقاده وجزم
القلوب به اعتقاد وجوب النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمعنى المتقدم
وقال ابو بكر الاجري الحافظ وقد تقدم بيانه وغيره من الائمة النصح له صلى
الله عليه وسلم يقتضي نصحين اي ينقسم الى قسمين نصحا في حياته ونصحا بعد
مماته ففي حياته اي النصح له وهو حي نصح اصحابه اي هو نصح اصحابه او كنصح
اصحابه له بالنصر له على اعدائه والمحاماة عنه بدفع السوء عنه وعن يريده ومعاداة
من عاداه ببغضه وتنقيصه وعدم موالاته والسمع اي امتثال ما يقوله وقبوله
كما في قوله سمع الله لمن حمده فانه قد يقبله والطاعة له اي الانقياد والتام
وبذل النفوس اي الذوات او الارواح والاموال دونه اي صرفها والجود بها
في حمايته صلى الله عليه وسلم وتقديمها دون ما يضره كما قال تعالى من المؤمنين
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية اي عاهدوا الله على بذل ارواحهم
واموالهم في سبيل الله ونصرة رسوله صلى الله عليه وسلم فوفوا بعهدهم وهذه الاية
كما في الصحيحين نزلت في انس بن النضر وكان شق عليه انه لم يحضر بدرا وقال اول

يشهد

ابن فرناس

يشهد من مشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه لئن اراني الله مشهدا بعده
ليرى الله ما اصنع فلما كان من العام المقبل وقعة احد استقبله سعد بن مالك فقال
له يا ابا محمد الى اين فقال واها لريح الجنة اجده دون احد فقاتل حتى قتل رضي الله
عنه ووجد فيه بضعا وثمانين ما بين طعنة وضربة وقال تعالى وينصرون الله
ورسوله الاية اولئك هم الصادقون وهذه الاية نزلت في المهاجرين الذين
اخرجوا من ديارهم ابتغاء رضوان الله واما نصيحة المسلمين له صلى الله عليه
وسلم بعد وفاته فالتزام التوقير اي الادب والتعظيم والاجلال لقدره بتعظيم
ذكره وتعظيمه وشدة المحبة له بكونه احب عنده من نفسه واهله وماله والمثابرة
بمثلثة وموحدة وراء مهملة اي المداومة والمحافظة على تعلم سنته وفي نسخة تعليم
سنته طريقته وهديه او حديثه والتفقه في شريعته بفهم معانيها والعمل باحكامها
ومحبة آل بيته وهم ازواجه والذين لا تحل لهم الزكاة وقد تقدم بيانهم واصحابه وهم كل
من اجتمع به صلى الله عليه وسلم مؤمنا ومات على ذلك ومجانبة من رغب عن سنته
اي البعد عن كل من تركها وعدم الركون اليه وانحرف عنها اي مال عنها ورغب في غيرها
وبغضه اي اظهار عداوته والتحذير منه من لا يعرفه بان يعرفهم حاله وينهاهم عن
استماع كلامه والشفقة على امته اي اللطف بهم والاحسان اليهم لاجله صلى الله عليه
وسلم لا لامر آخر والبحث اي التفتيش عن تعرف احواله صلى الله عليه وسلم اي احواله
المعروفة وفي نسخة اخلاقه وسيرته قال التلمساني معناها حالة من احوال السير
ثم اجرى مجرى الاسم والعادات انتهى وآدابه ليقتدى بها والصبر على ذلك اي
حبس النفس عليها بحيث تصير طبيعة له فعلى ما ذكر اي الخفاف او الاجري يكون
النصيحة احدى ثمرات المحبة لان كل ما ذكره متفرع عليها كما يعرفه من له تأمل وعلامة
من علاماتها كما قدمناه في فصل العلامات ولذا قدم المصنف امر المحبة على النصيحة
كما مر وحكى الامام ابو القاسم القشيري عبد الملك بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري
صاحب الرسالة وشيخ الطريقة وزبدة دهره علما وعملا وعمدة اهل السنة وفقهاء
الجامع بين الشريعة والحقيقة وترجمته مشهورة وتقدم طرف منها توفي سنة خمس وستين
واربعمائة وعمره تسع وثمانون سنة ان عمرو بن الليث احد ملوك خراسان
اقليم معروف وعمرو هذا اخو يعقوب الصفار وكان يعقوب هذا كما قال المسعودي
في خلافة المعتضد بالله احد الخلفاء العباسيين في صغره صفارا فتغلب وصار له
جيوش عظيمة فتسلطن ثم توفي في سنة خمس وستين ومائتين وخلف اموالا كثيرة فخلفه
عليها اخوه عمرو المذكور ومشاهير جمع مشهور الثوار بضم المثلثة وتشديد الواو
والف تليها راء مهملة جمع ثائر من ثار يثور اذا هاج ووثب بقوة والمراد بهم المتغلبون
على الملك لانه كان كذلك لشجاعته وكثرة جنده المعروف بالصفار منسوب لعمل
الصفر وهو نوع من النحاس تعمل منه الاواني وقد مر وجه التسمية به رؤي
مبني للمجهول من الرؤيا وهو مهموز اي رآه بعضهم في المنام وفي نسخة في النوم

فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي ذنوبي ومحى سيئاتي فقيل بماذا اي باي
سبب هذا الذي نلته فقال صعدت بكسر العين في الماضي وفتحها في المستقبل
اي ارتقيت وعلوت ذروة بكسر الذال المعجمة وضمها وهي اعلى كل مرتفع من جبل ونحوه
يوما فاشرفت على جنودي اي رايتهم من مكان عال واطلعت عليهم فاعجبتني كثرتهم
اي حسنت عندي كثرتهم فتذكرت حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم اي كنت
في عصره فشهدت غزواته وحروبه بجندي فاعنته ونصرته على اعدائه بخلاف ما انا فيه
انا وجندي معه فشكرت الله على ذلك القول والتمني كما قال ورقة يا ليتني فيها جذع
اخب فيها واضع ومعنى شكر الله ثنا الله ثوابه وانعامه وغفر لي بسبب قولي هذا وقيل ان
قوله شكر الله ثنا وه عليه عند ملائكته وقيل هو مضاعفة ثوابه واما النصح لائمة
المسلمين جمع امام وهو الخليفة والسلطان المقتدى به والمراد الحكام مطلقا هنا
فمعناه طاعتهم في الحق الموافق للمشروع اذ لا طاعة لمخلوق في معصية الله كما ورد في
الحديث ولقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ومعونتهم فيه اي في الحق لا
في الباطل فالمعونة والاعانة بمعنى وامرهم به اي باتباعه وتذكيرهم اياه بان
يذكرهم ويعظهم ويحثهم على اتباعه على احسن وجه برفق وتلطف القول وتحسينه
فانه ادعى للامتثال وتنبيههم على ما غفلوا عنه لعدم العلم به كفا به او لعدم الوقوف
عليه وكتم عنهم بان خفي عليهم فلم يبلغهم خبره من امور المسلمين فيمضوه عليهم وترك
الخروج عليهم بمخالفتهم وعصيان اوامرهم ولو مع عطوف على طاعتهم وتضريب الناس
بمثناة فوقية مفتوحة وسكون الضاد المعجمة وكسر الرا المهملة ومثناة ساكنة وموحدة
تحتيتين محرورا اي ترك تضريبهم وهو اغراؤهم وتحريكهم عليهم بقتال ضرب به اذا اغراه وافساد
قلوبهم اي ترك افساد قلوب الناس عليهم بذمهم وتشهير مساويهم حتى تنفر عنهم القلوب
فتؤدي الى التجري عليهم ومخالفتهم تجر الى مفاسد عظيمة واما النصح لعامة المسلمين
المراد بالعامة هنا من عدا الحكام لا العوام بالمعنى العرفي فمعناه ارشادهم الى مصالحهم
اي دلالتهم على ما يوصلهم الى ما فيه صلاح امورهم ومعونتهم اي اعانتهم على امور دينهم
ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه غافلهم لما غفل عنه من مصالحه وتبصير
جاهلهم اي تعريفه بما جهله ليكون ذا بصيرة في اموره ورفد محتاجهم بفتح الرا
المهملة اي اعانته ويجوز كسرها فان الرفد بمعنى العطا والصلة وكل شي عمدته وجعلت
له عونا فقد رفدته ومنه الرفادة التي كانت لقريش في الجاهلية وستر عوراتهم
اي يستر عليهم بعض معاصيهم اذا راها فلا يذكرها حتى يفتضح مرتكبها فان ارشده
لتركه ذكره خفية فالنصيحة بين الملا تقريع ودفع المضار عنهم اي ما يضرهم
في دينهم ودنياهم وجلب المنافع لهم اي كل ما ينفعهم دينا ودنيا

الباب الثالث في تعظيم امره

اي شانه وقدره والامور المتعلقة به ووجوب توقيره اي تبجيله وترجيح ما يتعلق
به وبره وصلته بالدعا له والصلاة عليه وزيادة تعظيمه وبر اهل بيته قال

الله

الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا
الى الله باذنه وسراجا منيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه
هكذا في اكثر النسخ وليس موافقا للتلاوة لان اية الاحزاب المصدرة بيا ايها
النبي ليس فيها لتؤمنوا الخ والتي في الفتح انا ارسلناك دون يا ايها النبي فلعل
كانه بدا باية الاحزاب وثنى باية الفتح فسقط الفاصل بينهما سهوا او بيض له
فوصله الناسخ وفي بعض النسخ انا ارسلناك فتكون شاهدا وما بعده احوال
مقدرة لمجامعته صغرها بدا به عدا واستشهاده بالاية بنا على ما ذهب اليه الضحاك
من ان الضماير كلها له صلى الله عليه وسلم وسياتي انه لم يجعل الجمهور الضماير كلها لله من طاعته
وغيرها وعلى هذا فالوقف على قوله وتوقروه كما اشار اليه المصنف وهو وقف كاف
وقال القرطبي انه تام وفيه نظر فقوله وتسبحوه ابتدا الكلام فان ضميره لله وقال
عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله تقدموا بضم
اوله مضارع قدم بمعنى تقدم فتوافق القراة الاخرى بفتحها او هو مضارع قدمه
المتعدي حذف مفعوله ليذهب النفس كل مذهب او لتنزيله منزلة اللازم والمراد
نفي التقديم راسا وعلى كل حال فالشاهد فيها ظاهر ولا نتوهم انه لا شاهد فيها
على القراة المشهورة وقال يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت
النبي اي لا تجعلوا اصواتكم في خطابكم جهرا فوق جهره صلى الله عليه وسلم ولا تجهروا له بالقول
واخفضوها تادبا وتكريما له فانه لعظم مقامه لا يليق عنده الصخب والحماط
على عادة جفاة الاعراب في ترك الادب الايات الثلاث وهي ولا تجهروا له
بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون ان الذين يغضون
اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر
عظيم واضافة ذي الالف واللام لمثله جائز في المثلاث ونحوه كما تقرر لمن
عنده علم بالعربية والشاهد فيها انه امرهم اذا خاطبوه صلى الله عليه وسلم ان لا
يجهروا ويخفضوا اصواتهم تادبا معه لما في الجهر من الاستخفاف المؤدي الى الكفر
المحبط للاعمال لما فيه من الاهانة وعدم الاعتنا بمقام النبوة ثم اثنا على من غض
صوته عنده بان الله بعد امتحانه وعده بان له مغفرة واجرا عظيما لا ينقضي
له وفيه تعريض بشناعة الجهر وانه لا يغفر وان من ناداه صلى الله عليه وسلم وهو
في حجراته مع ازواجه مسلوب العقل لعدم اذنه وارشدهم الى الاولى بهم وهو
الصبر حتى يخرج اليهم من نفسه من غير نداء فيكون هو المفتتح بكلامهم والكلام
على الاية مفصل في كتب التفاسير وقال تعالى لا تجعلوا دعا الرسول بينكم
كدعا بعضكم بعضا بان تنادوه باسمه يا محمد ونحوه كما سياتي فلا تنقصوه
تعبيره فاوجب تعالى على المؤمنين تعزيره بزاي معجمة وراء مهملة اي اجلاله
وتوقيره اي التادب معه والزام اكرامه وتعظيمه قال ابن عباس معنى
تعزروه تجلوه الاجلال افتعال من الجلالة وهو التناهي في عظم القدر ولذا

حض بالله فقيل ذو الجلال والاكرام كذا في الراغب وقال الراغب المبرد شيخ التعبير
والعربية تعزروه تبالغوا في تعظيمه وهو موافق لما قاله ابن عباس رضي الله عنهما
وليس احض منه كما توهم وقال الاخفش الكبير لتبادره وقيل هو الاوسط صاحب ابن اقيصر
التعبير المسمى بالمعاني والاخافشة المشهورة ثلاث وهو لقب له من الخفش وهو ضعف
البصر وهو من يرى ليلا ولا يرى نهارا تنصرونه وقال الراغب التعزير نصرة مع تعظيم
وقال الطبري وهو محمد بن جرير كما تقدم تعينونه الاعانة اعم من النصرة والتعزير
من العزر بفتح فسكون وهو الرد والدفع نقل لما ذكر لما فيه من دفع العدو والقابح
ولذا قيل لما دون الحد تعزير لردعه ودفع عوده لجنايته وله معنى اخر وهو التوقيف على
الاحكام وقرئ في الشواذ تعززوه بزايين معجمتين تفعيل من العز وهو التقوية
والغلبة كما في قوله تعالى فعززنا بثالث والعز برفعة القدر وهذه كالمعززة للقراءة
المشهورة ونهوا اي نهاهم الله في الاية الثانية عن التقدم بين يديه اي
بحضرته وعنده بالقول بان يسبقه بالكلام وسوء الادب بسبقه بالكلام في امر ما
وهو قول ابن عباس وغيره واختيار ثعلب في تفسير الاية وثعلب لقب امام العربية
واللغة وهو ابو العباس احمد بن يحيى بن يزيد الشيباني البغدادي توفي سنة احدى وتسعين
ومائتين وقال سهل بن عبد الله التستري الامام الزاهد شيخ الطريقة في تفسير
قوله تعالى لا تقدموا بين يدي الله ورسوله لا تقولوا قبل ان يقول فتستبقون
الكلام عنده وهو ترك ادب واذا قال فاستمعوا له وانصتوا اي اسكتوا انتم
عطف عليه عطف تفسير قوله ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء امر قبل قضائه
فيه اي في الامر وان يفتاتوا اي يستبدوا او يستقلوا بشيء في ذلك اي في قضاء
امر من الامور عنده يقال افتات بها وهمزه اصلية عند ابي عمرو وغيره من اهل اللغة
او هو مبدلة من حرف العلة كما قالوا في رثيت الميت رثاته فهو من الفوت عند بعضهم
ويقال افتات بالعب ويقال افتات الباطل اذا اختلقه من قتال او غيره من امر
دينهم الا بامره ولا يسبقونه به والى هذا المذكور في تفسير الاية يرجع قول الحسن
البصري ومجاهد والضحاك والسدي وسفيان الثوري يعني انهم فسروا الاية
بما هو حاصله وما له اشارة الى ان آثار المفسرين ارتضوه ثم وعظهم الله في الاية
بعدما ذكر وحذرهم مخالفة ذلك اي امره في قضائه بعدما نهاهم عن سبقه
بالقول فقال واتقوا الله فدل على ان مخالفه غير متق ان الله سميع لاقوالهم
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عليم بافعالهم فهو رقيب عليهم يجتني من عصيهم ما له
تنبيه من الوعظة والتحذير ما لا يخفى قال الماوردي ابو الحسن وقد تقدم ذكره
اتقوه يعني اي يريد الله به هنا في التقدم بقرينة اول الاية وان كان مطلقا وقال
السلمي ابو عبد الرحمن كما تقدم اتقوا الله في اهمال اي ترك حقه وتضييع حرمته
اي احترامه وتوقيره انه سميع لقولكم عليم بفعلكم فسماعه صلى الله عليه وسلم بالقول
ترك ادب من فعله لم يراع حقه ولا وقر حرمته فهو في معنى ما قبله ثم انه تعالى نهاهم

عن

عن رفع الصوت فوق صوته في الآيات الاخيرة واعاد النداء اهتماما به وتنبيها
على انه امر اخر مستقل بالنهي ورفع الصوت بشدة الجهر سوء ادب وغلظة يعتادها
العوام والجهر له صلى الله عليه وسلم عطف تفسير على رفع الصوت بالقول كما يجهر
بعضهم لبعض ويرفع صوته فالمراد النهي عن ارتفاع الاصوات عنده وان لم
يكن الخطاب له في الندا وقيل كما ينادي بعضهم بعضا فالمراد برفع الصوت الندا
فنهاهم عن ان ينادوه كما ينادي بعضهم بعضا باسمه فهو من الندا برفع الصوت
لانه يلزمه غالبا فهو كقوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وبيانه
ما قاله ابو محمد مكي وهو مكي بن ابي طالب القيرواني المالكي نزيل قرطبة كان متبحرا
في العلوم لا سيما علوم القرآن متواضعا مجاب الدعوة له تصانيف جليلة منها تفسيره
المسمى بالهداية وكتاب احكام القرآن توفي سنة سبع وثلاثين واربعمائة اي لا تسابقوه
بالكلام هو معنى قوله لا تقدموا الخ وتغلظوا له بالخطاب اي تخاطبوه بغلظة واصل
الغلظة ضد الرقة في الاجسام شاع في المعاني والخطاب توجيه الخطاب المعبر والمراد به
هنا الكلام المخاطب به ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم بعضا اي كندا بعضكم فهو
منصوب على المصدرية وهو عطف تفسير ولكن عظموه ووقروه ونادوه باشرف
ما يحب ان ينادى به يا نبي الله يا رسول الله بدل من اشرف وهذا معنى قوله لا تجهروا له
بالقول لان لكنهم من جفاة الاعراب دابهم ذلك بينهم هذا وهذا اي ما قاله مكي كقوله
في الاية الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ووجهه ان النهي عن
الشيء امر بضده وهو تعظيمه وقد نهى الله عن هذه الامور التي تقتضي اهانته فكانه امر
بتعظيمه وتوقيره على احد التاويلين اي التفسيرين الذين ذكرا في التفاسير وهما ان
يكون الدعاء بمعنى الندا والتسمية اي لا تنادوه باسمه وارفعوا اصواتكم بان تقولوا يا محمد
يا ابا القاسم كما ينادي بعضكم بعضا اذا طلب اقباله بل خاطبوه بادب فقولوا يا رسول الله
يا نبي الله يا خير خلق الله ونحوه والثاني ان يكون المراد بالدعاء الدعاء على احد اي لا تظنوا
ان دعاءه كدعائكم يحتمل الاجابة وعدمها كدعائكم سواء كان بخير او شر فان الله ضمن له
اجابة دعائه ووعده بها من لا يخلف الميعاد وهذا اظهر مرادا هنا كما اشار اليه المصنف وهو
الذي قاله مكي وقال غيره اي غير مكي معنى الاية اي لا تجهروا له بالقول الخ لا تخاطبوه
بالاستفهام وفي نسخة الاستفهام من الاستفهام وهو الخوف وعلى الاول معناه
الا ما يعني له متعلمين منه بالادب ثم خوفهم الله عز وجل من ان تحبط اعمالهم
ان هم فعلوا ذلك اي جهروا له بالقول ولم يتادبوا عنده وحذرهم منه اي من فعلهم بقوله
بقوله ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون فان تحبط في محل نصب بنزع الخافض او بحذف
المضاف اي لان لا تفعلوا ما يؤدي الى احباط اعمالكم بالاستخفاف به وهو كفر فليس فيه
دليل لاحباط الاعمال بالكبيرة كما قاله المعتزلة والخوارج قال في الامتاع من حضا بصوته
صلى الله عليه وسلم انه لا يجوز لاحد ان يناديه باسمه وما ورد في الحديث من ان اعرابيا
قال له صلى الله عليه وسلم يا محمد انا رسول لك الخ صدر منه قبل اسلامه او قبل النهي وقيل

عليه بعد انه لو ناداه احد بكنيته فقال يا ابا القاسم هل يحرم ام لا انتهى وبالى ما نبه
وان هذا مخصوص بحياته ولا يخفى ان هذا استبعد بما فيه استخفاف فلو انتقصه حال
لم يحرم كما في حال الحرب والمجادلة قيل نزلت الاية في وفد بني تميم قبيلة مشهورة
سموا باسم جدهم والوفد جمع وافد وهو القادم على العظما لامر ما وكان ذلك في
سنة تسع وهي سنة الوفود وكان صلى الله عليه وسلم ارسل لهم سرية فنهبوا عليهم
واخذ اموالهم واسارى قدموا بها المدينة فحبسوا في دار رملة بنت الحارث
فارسلوا عدة من روسائهم ليحيا وابه صلى الله عليه وسلم نائما ونادوا يا محمد اخرج الينا
كما تصل في السبيل وقيل نزلت الاية في غيرهم اي غير بني تميم من العرب اتوا النبي
صلى الله عليه وسلم فنادوه من خلف داره يا محمد اخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل
بمقام النبوة وترك الادب ووصفهم بان اكثرهم لا يعقلون بقوله ان الذين
ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت الاية الاولى اي قوله لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي في محاورة بميم مضمومة وحاء مهملتين وهي المجادلة
ومراجعة القول بين ابي بكر وعمر رضي الله عنهما بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم
اي في مجلسه وحضوره واختلاف جرى اي وقع بينهما حتى ارتفعت اصواتهما وهو
كما في البخاري عن ابن الزبير رضي الله عنه وهو ان ابا بكر رضي الله عنه قال في امر بني تميم لرسول
الله صلى الله عليه وسلم امر عليهم القعقاع بن معبد فقال عمر رضي الله عنه بل الاقرع بن
حابس فقال ابو بكر ما اردت الا خلافي فقال عمر ما اردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت
اصواتهما فنزلت الاية فما كان عمر بعدها يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يستفهمه
والحكم عام وسببه خاص وقيل انه في امر الزبرقان والذي ارتضاه السيوطي الاول وقيل كما في
نزلت الاية كما روي عن ابن عباس في ثابت بن قيس بن شماس بن مالك بن امرئ القيس
الخزرجي الانصاري وكان خطيب الانصار وكان ايضا خطيب النبي صلى الله عليه وسلم
ليس المراد بالخطيب خطيب الجمعة والعيدين بل ما كان من عادة العرب اذا اجتمعوا لمفاخرتهم
تقوم واحد منهم ويذكر كلاما بليغا مقدمة للامر الذي اجتمعوا اليه لمفاخرة وتفضيل
بعضهم بعد مآثره فكان له صلى الله عليه وسلم خطيبا عند الوفود وشاعره حسان
رضي الله عنه في مفاخرة بني تميم لما قدم وفدهم عليه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم
ودخلوا المسجد ونادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخرج الينا يا محمد ورفعوا اصواتهم
فاذى رسول الله صلى الله عليه وسلم صياحهم فخرج اليهم فقالوا جئنا لنفاخرك
فأذن لخطيبنا وشاعرنا فاذن لهم فقام خطيبهم وهو عطارد فقال الحمد لله الذي
له علينا الفضل والمن وهو اهله الذي جعلنا ملوكا ووهب لنا اموالا عظاما نفعل
فيها المعروف وجعلنا اعز اهل المشرق واكثره عددا وعدة فمن مثلنا في الناس السنا
برؤوس الناس واولي فضلهم فمن فاخرنا فليعدد مثل ما عددنا ولو شئنا لاكثرنا الكلام
ولكنا نستحيي من الاكثار فيما اعطانا وانا نعرف بذلك اقول هذا لان تاتوا بمثل قولنا
او امر افضل من امرنا ثم جلس فقال النبي صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس

الخزرجي

الخزرجي قم فاجبه فقام وقال الحمد لله الذي السموات والارض خلقه قضى فيهن امره
ووسع كرسيه علمه ولم يكن شيء قط الا من فضله ثم كان من قدرته ان جعلنا ملوكا واصطفى
من خير خلقه رسولا اكرمه نسبا واصدقه حديثا وافضله حسبا فانزل عليه كتابا
وائتمنه على خلقه فكان خيرة الله من العالمين ثم دعا الناس الى الايمان به فامن برسوله
المهاجرون من قومه وذوي رحمه اكرم الناس احسابا واحسنهم وجوها وخيرهم فعالا
ثم كنا اول الخلق اجابة لله حين دعانا رسوله صلى الله عليه وسلم فنحن انصار الله ووزرا
رسول الله صلى الله عليه وسلم نقاتل الناس حتى يؤمنوا فمن امن بالله ورسوله منع ماله
ودمه ومن كفر جاهدناه وكان قتله علينا يسيرا اقول قولي هذا واستغفر الله للمؤمنين
والمؤمنات والسلام عليكم ثم قام شاعرهم الزبرقان بن بدر فانشد شعرا في فخر قومه
فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان فاجابه كما هو مبسوط في السير فاسلم بنو تميم
ورد عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيهم وما لهم وروي انه صلى الله عليه وسلم قال
لهم ما بالشعر بعثت ولا بالفخر ولكن هاتوا ما عندكم وكان في اذنيه اي اذني ثابت
رضي الله عنه صمم فكان يرفع صوته اي كان هذا دابه كما نراه فيمن به صمم وانما المحتاج
لرفع الصوت من يكلمه ليسمعه او نسب الرفع له لانه سببه والاول هو المراد كما صرح
به فلما نزلت هذه الاية التي نهت عن رفع الاصوات عنده اقام في منزله يعني لم
يات مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وخشي ان يحبط عمله برفع الصوت عنده صلى
الله عليه وسلم ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم ليعتذر له عن سبب تخلفه عنه بعد ما سأل عنه
فقال يا نبي الله لقد خشيت ان اكون هلكت اي تحققت هلاكي لاني ان حضرت عندك
بطل عملي وان تخلفت فاتني كل خير وليس المراد بلزوم منزله انه ترك حضور صلاة الجماعة
عرضي
معه لمرض يخشى من شدة حرفه كما قيل اذ ليس هنا ما يدل عليه وقد بين موجب هلاكه
الذي تحقق عنده حتى كأنه وقع بقوله نهانا الله ان نجهر بالقول عندك وانا امرؤ جهير
الصوت فقال صلى الله عليه وسلم يا ثابت اما ترضى ان تعيش حميدا اي محمودا عند
الله والناس وهذا ابيد على قبول عمله وانه لا يحبط فهو الجواب حقيقة وتقتل شهيدا
فيكون لك خير الدنيا والاخرة وتدخل الجنة وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم لاخباره
بالغيب كما اشار اليه بقوله فقتل يوم اليمامة اي في وقعة اليمامة في خلافة الصديق
سنة ثنتي عشرة في ربيع الاول وهي وقعة مسيلمة المشهورة واليمامة اسم مدينة من جانب
اليمن على مرحلتين من الطائف واربع من مكة وكان خرج في وقعتها مع خالد بن الوليد
فلما التقوا لم يثبتوا فقال ثابت وسالم مولى ابي حذيفة ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فحفر كل واحد منهما حفرة له وثبتا وقاتلا حتى قتلا وروى رواه طارق
ابن شهاب ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه لما نزلت هذه الاية لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبي قال ابو بكر امتثالا لقول الله تعالى وخوفا من مخالفة نهيه ولذا
اكده بالقسم فقال والله يا رسول الله لا اكلمك بعدها اي بعد نزول هذه الاية
الا كاخي السرار اي الا كلاما خفيا كالمسارة وهي الكلام بخفية حتى لا يسمعه من عنده

والسرار بكسر السين مصدر ساره مساره وسرارا وهو مفاعلة من السر والاخ في النسب
معروف ويجوز به عن المثل والشبه نحو لم كان واخواتها ويكون بمعنى الصاحب والمراد
الاول ويجوز ارادة الثاني وهذا مروي عن ابن عباس وعمر ايضا كما ذكره المص بقوله
وان عمر كان اذا حدثه صلى الله عليه وسلم حدثه كاخي السرار وهذه العبارة من
كلامهم قديما ما كان يسمع بضم الياء وكسر الميم ونائب فاعله ضمير ابي بكر او عمر رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية حتى يستفهمه رسول الله صلى الله عليه وسلم
لشدة اخفائه كلامه وهو تفسير لقوله كاخي السرار فانزل الله فيهم اي في حق ابي بكر
وعمر ومن ضاهاهما كتابه مدحا لهم ان الذين يغضون اصواتهم اي يخفضونها عند
رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم والتمحن
التجربة والمراد انه عاملهم معاملة المحنة ليظهر للناس ادبهم وتقواهم واستحقاقهم للاجر
العظيم وقيل نزلت اية ان الذين ينادونك الخ في عرب بني تميم من الاعراب نادوه باسمه
لجهلهم بمقامه وعدم ادبهم وروى رواه الترمذي والنسائي عن صفوان بن عسال
بفتح العين والسين المشددة المهملتين ابن الربض ابن زاهر المرادي الكوفي الصحابي
المشهور روى عنه الستة بينا بالف كافة كبينما وفي نسخة بينما رسول الله صلى الله
عليه وسلم في سفر اذ ناداه اعرابي بصوت له جهوري بفتح الجيم وسكون الهاء
والواو مفتوحة اي صياح شديد منسوب لجهور وجهر اذا رفع صوته وهو جهوري الصوت
وجهيره اي رفيعه وبين ظرف مكان او زمان يجاب بجملة وقد تقترن باذ او اذا الفجائية
والافصح كقوله تركها

فبينا نحن نرقبه اتانا معلق وفضة وزناد راعي

ونفع بعدها الجمل اذ اكفتها او الفاظها يا محمد يا محمد مرتين وفي نسخة ثلاثا وانما كرر
لبعد البعيد فقلنا له اي قال له الصحابة تعليما له وتأديبا اغضض من صوتك
اي لا ترفعه فانك قد نهيت اي نهاك الله عنه حذف فاعله للعلم به واعلم ان رفع
الصوت يكره في بعض المواضع كمجلس العلماء اذا تكلف ذلك من غير داع وقد يستحب في
بعض المواضع كالاذان ومجالس الوعظ والخطبة ولذا روي انه صلى الله عليه وسلم كان اذا
خطب وذكر الساعة غضب وعلا صوته حتى يسمع السوق وكانت العرب تفتخر بالصوت
الجهير كما قيل جهير الكلام جهير العطاس جهير الرواء جهير النغم فنهى الله عما اعتادوه في
الجاهلية وقول لقمان لابنه اغضض من صوتك نهي عن الجهر مطلقا ونهى الناس عن ذكر
من تعرضه صلى الله عليه وسلم امر آخر فقال وقال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا
راعنا كان المؤمنون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خاطبهم بشيء راعنا
في خطابك حتى نفهم كلامك فانا نظر لحالنا فانتهزها اليهود
الفرصة وقالوها لانها كانت كلمة يتسابون بها كما في الكشاف قال بعض المفسرين
هي لغة في الانصار كانوا يقولونها في محاوراتهم اذا ارادوا التهكم نهوا عن قولها تعظيما
للنبي صلى الله عليه وسلم لانها مما يلاعب به خطاب الاقران وتجهروا له اي تعظيما له صلى

الله

الله عليه وسلم وهو ابلغ من التعظيم لان معناه قال له بجل اي حسبك ارعنا سمعك
من المراعاة اي احفظ بحفظك فنهوا عن قولها اي هذه الكلمة او تنقيصها
على تفسيرها السابق انهم لا يرعونه ويراعون مقاصد الاربعانية لهم لان المعنى
ارعنا سمعك بل حقه اللائق به ان يرعى على كل حال راعاهم ام لا وحذف انظرنا
فان معناها انظر الينا وتفهمنا وبين لنا وهي كذا دب فلذا امر الله بان يقال له
انظرنا دون راعنا وقيل كانت اليهود تعرض بها له صلى الله عليه وسلم بالرعونة
وهي الحمق والحماقة وجعلها تعريضا لانها تحتمل الرعاية احتمالا ظاهرا وقول
البرهان انها انما تاتي على قراءة شاذة راعنا بالتنوين والنصب ليس بشيء لانه لو كان
كذلك كان تصريحا لا تعريضا ولذا روي ان اليهود قالوا كنا نسب محمدا سرا فاعلنا
ذلك علنا فكانوا يقولون يا محمد راعنا ويضحكون ففطن لهم سعد بن معاذ رضي الله
عنه فقال لليهود عليكم لعنة الله والله لاضربن عنق من سمعته يقولها فنهي المسلمون
مبني للمفعول اي نهاهم الله عز وجل عن قولها قطعا للذريعة الذريعة في اللغة
الوسيلة والسبب وقال بعض شراح المدونة ان اصل معناها لغة جمل يترك
هملا في فلاة يصاد فيها الظبي والحمر الوحشية فتانس به الصيد وتدور معه فاذا ذهبوا
للصيد لم يهرب الجمل منهم لالفه بالناس فاذا وقف وقف الصيد معه فيأخذونه
بسهولة ثم سمي به كل ما كان سببا للهلاك فانه سبب لهلاك الصيد الذي معه كما ان
هذه سبب لهلاك من قالها فلذلك جعلت ذريعة وهي فعيلة بذال معجمة وراء وعين
مهملتين واعلم ان الشراح رحمهم الله لم يتعرضوا هنا لبيان المراد بهذه العبارة هنا
وهي اشارة الى قاعدة مشهورة في مذهب الامام مالك وهي وجوب سد الذريعة
اي يجب دفع كل ما يؤدي الى فساد في امر مشروع وقد ظن كثير ان هذه المسألة
مخصوصة بمذهب مالك وانه واجب عنده مطلقا وليس كذلك كما قال له العلامة القرافي
حيث قال ليس كل ذريعة فيجب سدها مطلقا فان الذرائع ثلاثة اقسام
فمنها ما اجمع الناس على وجوب سده كسب الاصنام عند من يسب الله اذا سبت وحفر
الابار في طريق المسلمين والقاء السم في طعامهم ومنها ما اجمعوا على عدمه كالمنع من
غرس الكروم لئلا يتخذ منها خمر ومنها ما اختلف فيه كبيوع الآجال ومنها ما يكون
خلاف الاولى وقد تكون ذريعة الفساد ذريعة لمصلحة ايضا فيتقدم الارجح منهما
كدفع المال للكفار لافتداء الاسير والحاصل كما نقله بعضهم عن علمائهم المتأخرين
ان سد الذريعة في الاصل من باب الورع والاحتياط لا من الواجب اذا المعقول
ليس فسادا في حد ذاته والفساد فيها مظنون وقد اشتهر نسبة هذه المسألة للمالكية
حتى ظن كثير انها من خواصهم وليس كذلك كما علم مما بينه القرافي ومنعا للتشبه بهم
اي ان يتشبه المؤمنون باليهود في قولها اي في التكلم بهذه الكلمة لما ركنه
اللفظ واتفاقه وان كان قصد المسلمين غير ما قصده اليهود وقال الواحدي في
الوسيط النهي عن التكلم بهذه الكلمة مخصوص بذلك الوقت لاجماع الامة على جواز

التي طمعه بهذه اللفظة الآن ونقله الاصبهاني في تفسيره ويبقى الكلام في استحباب
الترك وقيل في تفسير هذه الآية غير هذا المذكور في تفسيرها ففي الكشاف
كان المسلمون يقولون له صلى الله عليه وسلم اذا اخفى عليهم شيء من كلامه راعنا اي تأنّ
حتى نفهم كلامك ونحفظه وكان لليهود كلمة سوء بالعبرانية او عبرانية يتسابون بها وهي
راعينا فلما سمعوا بقول المسلمين راعنا بمعنى انظر الينا انتهزوا الفرصة وقالوها
يريدون سبه صلى الله عليه وسلم بها فنهي المسلمون عنها لما فيها من الايهام
وامروا ان يقولوا انظرنا من النظرة اي امهلنا **فصل في عادة الصحابة**
في تعظيمه عليه الصلاة والسلام وتوقيره واجلاله اي في نقل اخبارهم فيما
كانوا اعتادوه من المعاملة معه بالادب وغاية الاجلال فمنه ما رواه المصنف هنا
من حديث طويل رواه مسلم واشار اليه بقوله حدثنا القاضي ابو علي الصدفي
هو ابن سكرة وقد تقدم وان الصدفي نسبة لصدف قرية بالمغرب وابو بحر
الاسدي نسبة لقبيلته بسماعي عليهما في اخرين مبتدأ وخبر اشارة الى انهما
من مشايخه ولطريق روايته هذا الحديث عنهما قالوا اي شيخاه لانهما والاخرون
لانه لم يرد غيرهم وعبر بضمير الجمع تعظيما او لان الواحد وما فوقه جمع حدثنا احمد
ابن عمر قال حدثنا احمد بن الحسن ابو العباس بن بندار الرازي المعروف
بالرواية وفي بعض النسخ الحسين والصحيح الاول قال حدثنا محمد بن عيسى هو الجلودي
كما تقدم قال حدثنا ابراهيم بن سفيان قدمنا ترجمته قال حدثنا مسلم
صاحب الصحيح وتقدمت ترجمته قال حدثنا محمد بن مثنى تقدم تفصيل ترجمته
وابو معن الرقاشي وهو زيد بن يزيد البصري الثقة واسحاق بن منصور
الحافظ الثقة المعروف بالكوسج اخرج له الستة وتوفي سنة احدى وخمسين ومائتين
قالوا حدثنا الضحاك بن مخلد ابو عاصم الشيباني البصري الثقة توفي في
ذي الحجة سنة ثلاث عشرة ومائتين وترجمته في الميزان قال حدثنا حيوة بن
شريح تقدم ايضا وفي نسخة انبانا قال حدثنا يزيد بن ابي حبيب الازدي محدث
مصر وكان حبشيا من العلماء الحكماء الاتقياء توفي سنة ثمان وعشرين ومائة واخرج
له الستة عن ابن شماسة بضم الشين المعجمة وفتحها وميم والف وسين مهملة واسمه
عبد الرحمن المهري بميم مفتوحة فهاء ساكنة وراء مهملة وياء نسبة وهو حافظ
ثقة توفي في خلافة يزيد بن عبد الملك وما وقع في بعض النسخ من ابدال المهري بالقاف
بدل الميم تحريف قال حضرنا عمرو بن العاص يريد بها وقد حذف كلامه فذكر
حديثا طويلا فيه عن عمرو وقال وما كان احد احب الي من رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولا احد اجل في عيني منه تثنية عين ويجوز افراده والمعنى واحد
وما كنت اطيق اي اقدر ان املأ عيني منه اي اطيل النظر اليه وملء العين تحقيق
النظر وتطويله وهو مجاز مشهور وحق له ولكن ملء عيني حبيبها بمعنى احذ عيني ما
يحبه ويحبن منظره اجلالا له اي لاجلاله له ومهابته ولو سئلت ان اصفه بكلمته

ما طقت وقدرت لعدم احاطة علمي به لاني لم اكن املأ عيني منه لوجها لتحقيق
الجواب على كلها لكقوله نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه اي لا اقدر ان
اصفه على تقدير اني سئلت فكيف اذا لم اسأل فلا يقال ان لو لامتناع الشرط والجواب
فيقتضي انه يطيق وصفه والمراد خلافه وحديث مسلم في الايمان حضرنا عمرا
في سياقة الموت يبكي طويلا وحول وجهه الى الجدار فقال ابنه عبد الله يا ابتاه
اما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا فاقبل بوجهه وقال ان افضل
ما نعد شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله اني كنت على اطباق ثلاث
الخ فذكر حاله في جاهليته وبغضه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر اسلامه
ومودة حبه له بعد ذلك ثم ذكر ما آل اليه امره في الولاية وخوفه من آثامها
رضي الله عنه وروى الترمذي والحاكم عن انس رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج من بيته على اصحابه من المهاجرين والانصار
رضي الله عنهم وعداه بعلى وهو يتعدى بالى ومعناه خروج خاص لمن لم يظهره
وهم جلوس في المسجد فيهم ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فلا يرفع احد منهم اليه
بصره بل يطرقون لمهابته الا ابو بكر وعمر رضي الله عنهما ويجوز الا ابا بكر
وعمر نصبا فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم
اليهما لما بينهما من الالفة وقدم الصحبة والصهارة ولتمكن مقامهما عنده صلى الله
عليه وسلم وروى اسامة بن شريك العامري الثعلبي من ثعلبة بن يربوع وهو الاصح
وقيل من ثعلبة بن بكر وقد اخرج له اصحاب السنن واحمد في مسنده قال
اي اسامة اتيت النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله اي محيطون به في
مجلسه كانما على رؤوسهم الطير هذا مثل تضربه العرب لشدة الرزانة والسكون
لان الطير لا تنزل الا على ساكن وقد تقدم في مقصورتي النبوية

كانما الطير على رؤوسهم من كل غصن في ربا المجد نما

وهذا الحديث رواه الاربعة وصححه الترمذي وفي حديث صفة بالتاء المثناة
الفوقية يعني حديث الحلية المشهور وصحفه بعضهم بصفية بالباء التحتية اسم امراة
ولا يعرف هذا وانما المعروف روايته عن هند بن ابي هالة كما تقدم اذا تكلم
صلى الله عليه وسلم اطرق جلساؤه كانما على رؤوسهم الطير اي طاطأوا رؤوسهم
تأدبا وذكر هذا مع ما تقدم اشارة لتعدد طرقه ولما بينهما من المغايرة بذكر وجه
الشبه والعود في الجلساء لما فيه من ان كل من حضر مجلسه صلى الله عليه وسلم
ولو من اعدائه يهابه لانه امر ذاتي له وقال عروة بن مسعود رضي الله عنه ابن
معتب الثقفي حين وجهته قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة سبع
بالحديبية لما صدوه عن دخول مكة معتمرا عام القضية اراد بها قصة الحديبية وقيل
اراد السنة التي قضى فيها العمرة فالقضية بمعنى القضاء والمراد عام جرى فيه القضاء
والقضية اذ القضاء وقع بعد الحديبية وعروة انما جاء بالحديبية فهو محتاج لتأويل

عرضى

ولذا قيل ان القضية وقعت عام الحديبية سنة ست وعام القضا كان سنة سبع بعد
فتح خيبر فلعل المصنف اراد القضية العرفية التي جرت في الحديبية من الصلح والصد
عن البيت وبيعة الشجرة ولم يرد القضية التي ارادها اهل السير انتهى وهذا بنا
على ان عمرته صلى الله عليه وسلم بالحديبية لم تتم فتسمت لما صدوه عن البيت
وقد اختلف العلما في مثله فقيل يجب الهدي ولا قضا وقيل يجب القضا بلا هدي
وقيل لا يلزمه هدي ولا قضا وقيل يلزمه الهدي والقضا وقصة القضية مفصلة
في السير وعروة هذا اسلم لما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الطائف وادركه
قبل وصوله الى المدينة وكان حين ارسلوه مشركا **ورأى عروة من تعظيم**
اصحابه له صلى الله عليه وسلم ما رأى هذا ابلغ من المبالغة مما في قوله تعالى
فغشيهم من اليم ما غشيهم اي رأى من اكرامهم له صلى الله عليه وسلم وتعظيمهم له شيئا عظيما
لا يمكن التعبير عنه لتفاوت الحصر ولذا ابهمه وان ذكر بعضها منه بقوله **وانه** صلى الله
عليه وسلم كان **لا يتوضا الا ابتدروا** اي اسرعوا واخذوا **وضوءه** بفتح الواو
اي بقية الما الذي توضأ به وما سقط منه قبل وصوله الى الارض **وكادوا**
اي قربوا الان رحامهم ودفع بعضهم بعضا من **ان يقتتلوا عليه** اي على وضوئه واخذه
حرصهم على التبرك بما مسه صلى الله عليه وسلم بيده **ولا يبصق بصاقا** اي يرمي شيئا
من ريقه الشريف **ولا تنخم نخامة** بضم النون لان فعالة وضعها لكل قليل انفصل
من شي كالبراية والنخم اخراجه من الفم والفرق بين البصاق والنخامة ان الاول
ما يخرج من الفم والثاني ما يخرج من اقصى الحلق **الا تلقوها** اي النخامة **باكفهم**
واكتفى بضميرها عن ضمير البصاق وكان الظاهر تلقوهما او جعلها شيئا واحدا
لاتحاد فعلهما حينئذ **فدلكوا بها وجوههم واجسادهم** تبركا بها **ولا تسقط منه شعرة**
بفتح العين وسكونها في حلاقة راسه ونحوه **الا ابتدروها** وسارعوا الى اخذها	ابتدروها
واذا امرهم بامر ابتدروا امره بالامتثال لما امر مصدر او بمعنى المامور
وكان حقه ان يقول ابتدروه فصرح به تفخيما لشانه وتنبيها لعذره **واذا تكلم**
صلى الله عليه وسلم **خفضوا اصواتهم عنده** لتبيين ما يقول لهم **ولا يحدون اليه**
النظر اي لا ينظرون اليه صلى الله عليه وسلم نظرا حديدا اي قويا ولا يبلغ نظرهم
اليه حده ومنتهاه بل ينظرون اليه من طرف خفي مطرقين روسهم تادبا واجلالا لما في
قلوبهم **تعظيما له** صلى الله عليه وسلم علة للنفي لا للمنفي اي يتركون كمال نظرهم
لتعظيمه صلى الله عليه وسلم **فلما رجع عروة الى قريش قال** لهم **يا معشر قريش**
المعشر والعشيرة بمعنى **اني جئت كسرى** بفتح الكاف وكسرها ملك فارس كما تقدم
في ملكه في زمان سلطنته **وقيصر** ملك الروم **في ملكه وجئت النجاشي** ملك
الحبشة **في ملكه** فرايتهم وشاهدت عظمتهم والنجاشي بفتح النون وكسرها وياؤه مشددة
ومخففة كما مر **واني والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد في اصحابه**
اي لا يعظمون ملكهم كما يعظمه صلى الله عليه وسلم اصحابه **وفي رواية** لحديث عروة

ان

ان بكسر وتخفيف نافية بمعنى ما **رأيت ملكا قط يعظمه اصحابه كتعظيم ما يعظم**
محمدا اصحابه فيه مضاف مقدر وما مصدرية او موصولة اي كالتعظيم الذي
يعظمه اصحابه فالعايد مقدر **وقد رأيت قوما** يعني بهم الصحابة رضي الله عنهم	بتقال اسلمه صح
لا يسلمونه بضم اوله وسكون ثانيه المهمل وكسر لامه مضارع اسلمه العدو
اذا امكنه منه وخلى بينهم وبينه ويقال اسلمه اذا القاه في هلكة فهو عام اريد
به خاص **ابدا** ظرف لاستغراق الزمان المستقبل كما ان قط لاستغراق الماضي
يعني ان ما شاهدته من احوالهم في تعظيمه صلى الله عليه وسلم وانقيادهم له يدل
على انهم لا ينصرون في نصره ويبذلون انفسهم دونه فاياكم ان تطمعوا في خلافه
وهذا بعض من حديث طويل رواه البخاري **وعن انس** في حديث رواه مسلم قال
لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق بفتح الحاء وتشديد اللام وهو الذي
يحلق شعر راسه يحلقه **يحلقه** بتقدير مضاف **وقد اطاف به اصحابه** اي جلسوا
حلقة حوله صلى الله عليه وسلم وطاف بمعنى دار واطاف بمعنى استدار من غير حركة
فما يريدون ان تقع شعرة من شعر راسه **الا في يد رجل** منهم حرصا على التبرك
باثاره صلى الله عليه وسلم والذي حلق راسه وقلم اظفاره معمر بن عبد الله العدوي
في حجة الوداع وقال ابن الاثير في الانساب انه خراش بن امية الكلبي وكان ذلك
يوم الحديبية كما قاله ابن عبد البر والذي حلقه بالجعرانة ابو هند وكان صلى الله عليه
وسلم لا يحلق راسه الا في حج او عمرة **ومن هذا** اي تعظيم الصحابة له صلى الله عليه وسلم **لما**
اذنت قريش لعثمان بن عفان رضي الله عنه حين ارسله صلى الله عليه وسلم الى اهل
مكة وهو بالحديبية ونزل صدوهم عن البيت وارسله لاعلامهم بانهم لما اتوا
لقتالهم فلا وجه لصدهم عن دخول الحرم فلم يرضوا بذلك ولكنهم اذنوا لعثمان رضي
الله عنه **في الطواف بالبيت** بعد منعهم منه له لتعين **حين وجهه** اي ارسله رسول الله
صلى الله عليه وسلم لجهتهم **في القضية** اي قضية صدهم المسلمين عن البيت وهم بالحديبية
كما مر **ابى** الطواف وهو جواب لما **وقال ما كنت لافعل** الطواف وحدي ورسول الله
صلى الله عليه وسلم قد منع منه ولم يرسلني لذلك **ولا اطوف حتى يطوف به رسول**
الله صلى الله عليه وسلم ففيه من تعظيمه والوقوف عند امره ما لا يخفى وهذه القصة
مفصلة في السير وحاصل ذلك انهم لما صدوهم عن دخول مكة وارسلوا عروة لاعلامهم
بذلك ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان لعظما قريش ليخبرهم بمجيئه صلى الله
عليه وسلم معتمرا لا مقاتلا فلما دخل مكة اجاره ابان بن العاص حتى يبلغ رسالته فلما بلغهم
قالوا له يا عثمان ان شئت فطف فقال ما كنت لافعل فاحتبسوه وبلغ المسلمين انه
قتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم الحرب ودعا الى بيعة
اصحابه بيعة الرضوان تحت الشجرة كما رواه الترمذي عن طلحة رضي الله عنه وقال
انه حسن غريب وقوله ما كنت لافعل ابلغ من لا اطوف **وفي حديث طلحة** الذي رواه
الترمذي وحسنه **ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لاعرابي جاهل**

سئله اي سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن قضى نحبه في قوله تعالى من المؤمنين
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه والنحب النذر والعهد استعير
هنا للموت لانه كالنذر وعليه كانه نذر في ذمته يجب قضاؤه والزام نفسه ان يجاهد
في سبيل الله وقتال اعدائه والثبات في مواقفه حتى كانه نذر عليه والمراد هنا
الثاني من اقتصر على الاول فقد قصر اي منهم من قاتل حتى مات شهيدا كحمزة رضي الله
عنه وكانوا اي اصحابه يهابونه ويوقرونه فلا يجترئون سواله صلى الله عليه
وسلم اجلالا له فقال له الاعرابي فاعرض عنه ولم يجبه اذ طلع طلحة اي كان
اعراضه في وقت طلوعه اي مجيئه لمجلسه صلى الله عليه وسلم وقيل اذ هنا فجائية كقوله
فبينا العسر اذ دارت مياسير اي فاجاء طلوعه عليهم بغتة فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه وهو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن كعب
ابن سعد التيمي احد العشرة وفي الصحابة طلحة تيمي غيره وهو الذي نزل فيه قوله
تعالى وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله الاية وروى ابو نعيم انه صلى الله عليه وسلم
تلا هذه الاية على المنبر فسأله رجل من هؤلاء فاقبل طلحة بن عبيد الله فقال
هذا منهم وكذا في سنن ابن ماجة وفي تفسير ابن ابي حاتم ان عمارا منهم وفي تفسير يحيى
ابن سلام هم حمزة واصحابه قال ابن التين كان ممن مات ذلك عمه الله بن جحش ومنهم
من ينتظر منهم طلحة بن عبيد الله انتهى قال ابن الملقن فاجتمع منهم انس بن النضر وطلحة
ابن عبيد الله وعمار وحمزة واصحابه الذين قتلوا معه باحد انتهى وطلحة هذا هو الملقب
بطلحة الخير والفياض وانما قال صلى الله عليه وسلم في حقه ذلك لانه كان قد غاب عن بدر
فقال لئن حضرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا اخر ليرين الله ما اصنع
فلما كان يوم احد ابلى فيه بلاء حسنا ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بنفسه
واتقى النبل عنه بيده حتى شلت اصابعه وحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظهره
حتى استقل الصخرة فلذا شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بما شهد وهو احد
العشرة فالنحب هنا بمعنى العهد لانه مشترك بينه وبين النذر والموت وفي الاية
كلام طويل في التفاسير وامالي ابن الحاجب ليس هذا محله وفي حديث قيلة الذي
رواه ابو داود والترمذي وقيلة بفتح القاف وسكون المثناة التحتية ولام وهاء
بنت مخرمة العنبرية الصحابية وقيل انها تميمية كما تقدم وحديثها في الشمائل وفيه
قالت فلما رأيته صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصا وهو نوع من الجلوس يختص
بهيئة قال في القاموس القرفصى مثلث القاف والفاء مقصور والقرفصاء بضم
القاف والراء ان يجلس على اليتيه ويلصق فخذيه ببطنه ويحتبي بيديه ويضعهما على
ساقيه او يجلس على ركبتيه منكبا ويلصق بطنه بفخذيه انتهى ارعدت اي حصل لي رعدة
واضطراب من الفرق بفتحتين اي شدة الخوف وذلك اي ما كان بي من الرعدة
والخوف هيبة له وتعظيما لجلالته وعظمته في عيون امته وفي حديث المغيرة بن
شعبة الذي رواه الحاكم والبيهقي كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

اذا انوه لامر وهو في منزله يقرعون الفرع ضرب خفيف وصوت له صوت بابه
بالاظافير جمع ظفر على غير القياس او جمع اظفور او اظفار جمع ظفر فاظافير جمع
الجمع فالاول اولى لان جمع المفرد اقيس من جمع الجمع وهذا اي ذكر الباب والقرع يقتضي
ان حجرته صلى الله عليه وسلم كان لها باب من خشب ونحوه وقد ورد انه كان عليه سترا و
سجف وجمع بانه كان من جلد يقرع بظفر فان مثله لا يقال بالراي واعلم ان مثل
هذا هل يسمى حديثا او لا وعلى تقدير تسميته حديثا هو مرفوع ام لا اختلفوا فيه
كما قال الحافظ العراقي في الفيته

لكن حديث كان باب المصطفى ۞ يقرع بالاظفار مما وقفا
حكما لدى الحاكم والخطيب ۞ والرفع عند الشيخ ذو تصويب

والمراد بالشيخ ابن الصلاح رحمه الله وقال البراء بن عازب بن حارث الخزرجي
الانصاري توفي في ايام مصعب بن الزبير وحديثه رواه ابو يعلى وصححه لقد كنت
اللام جواب قسم مقدر اي والله اريد ان اسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
الامر من الامور التي تهمني او يخطر ببالي مما احتاج لبيانه فاؤخر بهمزتين وقد تبدل
الثانية واوا والافصح الاول سنتين مثنى سنة وفي نسخة سنين بصيغة الجمع من هيبته
صلى الله عليه وسلم اي من مهابته في قلبي وعظمته في نفسي فصل واعلم امر من
العلم معطوف على ما قبله والخطاب عام لكل من يصلح له وسد مسد مفعوليه قوله ان
حرمته صلى الله عليه وسلم بضم فسكون وبضمتين والهمزة وهي المهابة اي احترامه والتادب
معه بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم على كل احد كما كان لازما في حال
حياته لتمام نبوته ورسالته وذلك اي ما ذكر من احترامه وتعظيمه لازم عند
ذكره وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة اله تقدم بيان
المراد بهم وعترته بكسر العين وسكون المثناة وكونها مثلثة خطا من العامة وهم
نسله ورهطه وعشيرته الادنون ومعاملتهم بمعنى مخالطتهم في امور دينية او دنيوية
وتعظيم اهل بيته اي زوجاته وحشمه واتباعه وليس المراد به اله وعترته حتى يكون
اطنابا وصحابته رضي الله عنهم قال ابو ابراهيم التجيبي بضم التاء وفتحها كما تقدم
واجب على كل مؤمن خصه لان الكافر لا يجب عليه ذلك وقيل انه يجب عليهما لانهما بناء
على انه مخاطب بفروع الشريعة والوجوب عليه بمعنى مطالبته به في الاخرة وعقابه عليه
متى ذكره صلى الله عليه وسلم او ذكر عنده وسمعه ان يخضع اي يبدي التذلل والانكسار
ويخفض الجناح ويخضع بكونه لازما وهو المعروف ومتعديا بقال خضع الحدث
اي لينه ويخشع الخضوع والخشوع متقاربان كما قاله الراغب وقيل الخشوع اعم لانه يوصف
به القلب والجوارح كترى الارض خاشعة ولا يخفى انه مجاز لا يدل على مدعاه ويتوقر اي يظهر
الوقار والرزانة ويسكن من حركته ويأخذ اي يشرع في هيبته اي اظهار مهابته
صلى الله عليه وسلم عنده واجلاله بتعظيمه حق تعظيمه بما كان يأخذ به نفسه اي يكلفها
ويلزمها لو كان بين يديه صلى الله عليه وسلم حاضرا في مجلسه فيفرض ذلك ويلاحظه

ابن ابي ...

ويتمثله فكانه عنده وبنا دب بما ادبنا الله به مثل قوله لا تجعلوا دعا الرسول بينكم الخ ولا ترفعوا اصواتكم وغيره مما تقدم انفا وفيه اشارة الى ان هذا ثابت بالقرآن ايضا لدخوله في عموم ما تقدم واطلاقه وان لم يرد تصريح فيه بخصوصه في النصوص القرآنية ومن لم يتنبه لهذا قال كان على المصنف ان يقدم دليلا قرآنيا على الحد بيانه يدل على ان وجوب حرمته كحرمته حيا كما هو دابه وان يذكر انه حكم عام فيه صلى الله عليه وسلم وفي سائر الانبيا لما ورد في حقهم من المدح والتعظيم وقوله فبهداهم اقتده وبقوله ورفعنا لك ذكرك واقتران اسمه باسمه الواجب التعظيم يقتضي تعظيمه ولقوله صلى الله عليه وسلم الا في رغم انف من ذكرت عنده فلم يصل علي ولا يخفى ما فيه قال القاضي ابو الفضل عياض المولف رحمه الله وهذه الامور المذكورة من توقيره صلى الله عليه وسلم حيا وميتا وانه باعتبار ما ذكر لقوله كانت سيرة سلفنا الصالح اي دابه وطريقة من تقدم من الصالحين والعلما العاملين رضي الله عنهم تبين هذه السنة بقوله حدثنا ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعري هو ابن سعيد القرطبي وقد تقدم وابو القاسم بن يعلى بفتح الموحدة وتشديد القاف المكسورة وبا مثناة تحتية الحاكم وهو احمد بن محمد بن احمد بن مخلد بن عبد بن يحيى وغير واحد فيما اجاز فيه اي روينه عنهم بطريق الاجازة المعروفة بين المحدثين كما بينه ابن الصلاح وغيره قالوا اي قال هولا كلهم انبانا ابو العباس احمد بن عمر بن دلهاث بكسر الدال المهملة وسكون اللام وها والف بليها ثا مثلثة بزنة حطاب علم مصري منقول من اسم الاسد كدلهث ودلاهث قال حدثنا ابو الحسن علي بن فهر بالكسر كاسم القبيلة قال حدثنا ابو بكر محمد بن احمد بن الفرج قال حدثنا ابو الحسن عبد الله بن المنتاب بضم الميم وسكون النون وتا مثناة فوقية والف وبا موحدة وهو عبد الله بن المنتاب بن الفضل بن ايوب قاضي المدينة قال حدثنا يعقوب بن اسحاق بن ابي اسرائيل قال حدثنا ابو حميد المصعب بن حميد بن ثعلبة احد رواة مالك قال ناظر من المناظرة وهي المباحثة في امر من الامور وهو مفاعلة من النظر بمعنى التفكر لان كلا منهما ينظر في كلام من يجادله وفيه كلام في شرح اداب البحث لبس هذا محله ابو جعفر امير المومنين ثاني خلفا بني العباس اخو السفاح المعروف بالمنصور وترجمته مفصلة في التواريخ مالكا امام المدينة وعالمها المشهور رحمه الله في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع صوته في مناظرته فقال مالك يا امير المومنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد النبوي المحترم واول من سمي بامير المومنين على العموم عمر بن الخطاب رضي الله عنه سماه به المغيرة بن شعبة وقيل لبيد بن ربيعة وعدي بن حاتم حين وفدا عليه من العراق وقيل انه رضي الله عنه قال للناس انتم المومنون وانا اميركم فسمي بذلك وكان قبل ذلك يقال له يا خليفة خليفة رسول الله فعدلوا عن ذلك لطوله واحترزنا بقيد العموم عن عبد الله بن جحش فانه سمي بها على الخصوص في ولايته على سرية اثنا عشر رجلا وقيل ثمانية واول من سمي باسم المسلمين يوسف بن تاشفين الملثم فان الله ادب قوما فقال لا ترفعوا

اصواتكم

ابن ابي يرس

اصواتكم الخ وتقدم تفسيرها ومدح قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم الخ وتقدم بيانها ايضا وذم قوما فقال ان الذين ينادونك الخ كما تقدم وان حرمته صلى الله عليه وسلم ميتا كحرمته حيا اي مما يجب ان يراعى في حقه في حياته يراعى بعد مماته فاستكان لها ابو جعفر استكان استفعل من المسكنة بمعنى خضع وذل اشبعت حركته كما في القاموس وفيه كلام في التصريح وضمير لها راجع لمقالة الامام مالك المعلومة من المقام ولم يذكروا ما ناظره فيه لانه لا يترتب عليه فايدة هنا وقال ابو جعفر للامام مالك يا ابا عبد الله كناه تعظيما له يسأله عن ان استقبل القبلة اصله استقبل بهمزتين همزة الاستفهام وهمزة المضارع للمتكلم فحذفت الاولى للتخفيف ووجود القرينة وتقدير يحذفها كثيرا كقوله

فوالله ما ادري وان كنت داريا ... بسبع رمين الجمر ام بثمان

وهو من خصايص الهمزة وادعوا اذا اردت زيارته صلى الله عليه وسلم ام استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي اجعل وجهي مقابلا لجهته وحينئذ يكون مستدبرا القبلة فقد اشكل عليه لان استقبال القبلة في الدعا مشروع فاذا عارضه هذا فايهما يقدم فقال له مالك رحمه الله ولم تصرف وجهك عنه اي عن مقابلته ومواجهته حال الدعا وهو وسيلتك ووسيلة ابيك ادم عليه الصلاة والسلام الى الله يوم القيمة المراد بالوسيلة وهي السبب ما يتوصل به الى اجابة الدعا ولتيسر للداعي جميع الناس اي هو الشفيع المشفع المتوسل به الى الله تعالى يوم القيمة اشارة الى حديث الشفاعة العظمى وقد تقدم والى ما ورد من ان الداعي اذا قال اللهم اني استشفع اليك بنبيك يا نبي الرحمة اشفع لي عند ربك استجيب له بل استقبله صلى الله عليه وسلم بوجهك في دعايك بالزيارة واستشفع به الى الله في الاجابة فانه شفيع لا يرد ومن توسل به اليه فيشفعه الله فيك ويقبل دعاك وفي نسخة فيشفعك الله وهي مشكلة اذ المراد الاول واولت هذه بان اصلها فيشفعه فيك فحذف المفعول والجار ووصل به الضمير وقيل المعنى يقبل شفاعتك والمصدر مضاف للمفعول ولا يخفى ما فيه وفي هذا رد على ما قاله ابن تيمية من ان استقبال القبر الشريف في الدعا عند الزيارة امر منكر لم يقل به احد ولم يرو الا في حكاية مفتراة على الامام مالك يعني بعينه القصة التي اوردها المصنف هنا وسنده حيث اوردها بسند صحيح وذكر انه تلقاها عن عدة من ثقات مشايخه فقوله انها كذب محض ومجازفة من ترهاته وقوله لم يقل ولم يرو باطل كان مذهب مالك واحمد والشافعي رضي الله عنهم استحباب استقبال القبر الشريف في السلام والدعا وهو مسطور في كتبهم وصرح به النووي في اذكاره وايضاحه وقال السبكي صرح اصحابنا بانه يستحب ان ياتي القبر ويستقبله ويستدبر القبلة ثم يبعد من راس القبر نحو اربع اذرع ويقع عليه صلى الله عليه وسلم ثم يتاخر ويقع على ابي بكر رضي الله عنه ثم يتاخر ويقع على عمر رضي الله عنه ثم يرجع لموقفه الاول مستقبل القبر ويدعو بما اراد وقد نقل عن ابي حنيفة رضي الله عنه انه يستقبله صلى الله عليه وسلم في الزيارة ثم يستقبل القبلة بعده

برهان

ويدعو كما ذكره السروجي من ائمتنا وقيل في قوله وسيلة ابيك ادم ان ادم عليه
الصلاة والسلام لما اكل من الشجرة ثم ندم قال يا رب اسئلك بحق محمد الا غفرت لي
فقال له الله كيف عرفت محمدا فقال لاني رأيت على قوائم العرش لا اله الا الله محمد رسول
الله فعرفت انك لم تضف لنفسك الا احب الخلق اليك فقال صدقت يا ادم انه لاحب الخلق
الي ولولاه ما خلقتك وهو حديث صحيح رواه الحاكم قال الله تعالى ولو انهم اذ
ظلموا انفسهم جاءوك الاية استدل بهذه الاية على ما ادعاه من التوسل به صلى الله
عليه وسلم وقبول المتوسل به كما ادعى عليه لوجدوا الله توابا رحيما لتعليق قبول استغفارهم
على استغفاره صلى الله عليه وسلم لهم واستؤنس به لاستحباب استقباله ايضا دون
استقبال القبلة لانه صلى الله عليه وسلم حي في قبره يسمع دعاء زائره ومن جاء عظيما لرجا
شفاعته له لا ستلزم انه يتوجه اليه بقلبه وقالبه كما قال ابن المقري رحمه الله

كما طه لما تناجيه مقبلا على غيره فيها لاي ضرورة
ولو ردهن ناجاك للغير طرفه تغيظت ممن غيظ عليه وغيرة

قديم وقال مالك وقد سئل عن ايوب السختياني وهو الامام ابو بكر البصري
التابعي سيد الفقهاء والمحدثين روى عنه مالك والثوري وغيرهما والسختياني بكسر السين
نسبة لعمل السختيان وهو الجلد المدبوغ وهو معرب وتاؤه تفتح وتكسر اخرج له
الستة وتوفي في سنة احدى وثلاثين ومائة وقيل غير ذلك ما حدثتكم اي ما رويت لكم
عن احد من مشايخي الا وايوب افضل منه قال مالك وحج حجتين وكنت حاجا
اذ ذاك فكنت ارمقه اي انظر اليه بمقال رمقه اذا نظر اليه ولا اسمع منه شيئا يتكلم
به لطول صمته لكن اقبل والظاهر انه اراد لا اسمع منه الحديث فاروي عنه لما سيأتي من
قوله كتبت عنه غير انه كان اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عنده بكى حتى ارحمه اي يرق
قلبي عليه رحمة له بما اراه منه فلما رأيت منه ما رأيت واجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم
واتباع سنته في جميع احواله المقتضية لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخشوعه لذكره
علمت شدة ديانته وانه لثقة ظاهر العدالة فسمعت منه وكتبت عنه الحديث ورويته
عنه وهذا يدل على كمال ورعه في الرواية وانه لا يروي عن كل احد حتى يختبره وبكاؤه اما
لتحسره على انه لم يره صلى الله عليه وسلم واشتياقا له او لكونه من تقصيره في اتباعه او
لاجلاله وتذكر هيبته حتى كأنه يراه وهذا اقرب للسياق وقال مصعب بصيغة المفعول
علم منقول من النخل الشديد ابن عبد الله بن مصعب بن ثابت الزبيري الحافظ احد
رواة الامام مالك كان مالك بن انس رضي الله عنه ورحمه اذا ذكر النبي صلى الله
عليه وسلم عنده يتغير لونه بان يصفر كما يعتري من اشتد خوفه من شيء وينحني
اي ينقاد لشدة خشوعه حتى يصير كالمنحني حتى يصعب ذلك على جلسائه وتلامذته
لخوفهم عليه فقيل له في ذلك اي سئل عنه وما سببه فقال لو رأيتم ما رأيت من السلف
من خشوعهم واجلالهم لذكره صلى الله عليه وسلم لما انكرتم علي ما ترون مما شاهدتموه
من حالتي لقد رأيت محمد بن المنكدر بن عبد الله التيمي المدني الحافظ توفي في سنة

حتى

يحيى

حتى وما سبق اخرج له الستة وكان سيد القراء اي كان في عصره رئيس العلماء العاملين
بالقرآن وتفسيره ووجوه قراءاته واحكامه لا نكاد نسأله عن حديث ابدا الا
يبكي حتى نرحمه شفقة عليه لما نراه من اضطرابه لشدة مهابته لذكره صلى الله عليه
وسلم او لشدة شوقه الى لقائه وتأسفه على عدم رؤيته صلى الله عليه وسلم ونكاد هنا زائدة
لتأكيد الكلام وقد ورد في كلامهم كثيرا كما في القاموس وهو احد الوجوه في قوله تعالى
لم يكد يراها اي لم يرها وهو المراد وابدا المطلق الاستغراق ويكون لاستغراق الازمنة
المستقبلة وهي هنا لحكاية الحال الماضية وتنزيلها منزلة ما حضر واستمر كالمضارع
في قوله هنا الا يبكي قال الامام مالك رحمه الله ولقد كنت ارى جعفر بن محمد
اللام في جواب قسم مقدر ووقع في بعض النسخ هنا تلقيب جعفر بانه الصادق ومحمد
هو الباقر بن زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم وكان
كثير الدعابة بضم الدال وبالعين المهملتين والف وباء موحدة وهي المزاح والتبسم
وهو اوائل الضحك والجملة معترضة ومع كثرة مزاحه وانشراح صدره اذا ذكر عنده
النبي صلى الله عليه وسلم اصفر لونه وتغير وجهه لمهابته واجلاله لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو على طهارة
اي متوضئ لفضل الحديث فيعلم منه تقي الحدث الاكبر بالطريق الاولى وذلك لتعظيمه
الحديث ولقد اختلفت اليه زمانا كثيرا اي ذهبت اليه مرارا كثيرة يقال اختلف اليه
اذا جاء وذهب واتى وقتا بعد وقت في اوقات مختلفة فهو الاختلاف في الاوقات منزلة
اختلاف الذوات وضمير اليه لجعفر المذكور وما كنت اراه الا على ثلاث
خصال اما مصليا واما صامتا لا يتكلم واما يقرأ القرآن ليناجي ربه ولا
يتكلم فيما لا يعنيه بفتح اوله اي يهمه ويجب به نفعا لصون لسانه عن اللغو وكان
من العلماء بالعلوم الشرعية ومن العباد الذين يخشون الله تعالى وهذا حاله
في منزله وخلوته والدعابة والتبسم اذا كان في ملأ من الناس تلطفا بهم وحسن خلق
فلا منافاة بينهما كما توهم مالك رحمه الله ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم بن محمد
ابن ابي بكر الصديق احد فقهاء المدينة توفي رحمه الله تعالى سنة احدى وثلاثين ومائة
وابوه احد الفقهاء السبعة يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فينظر الى لونه كأنه نزف منه
الدم نزف مبني للمجهول ومعناه سال وفيه تسمح اذ تقديره اذ اللون لا ينزف فالمراد
انه سال دمه فاصفر صفرة مفرطة لان حمرة البشرة باختلاطها من الدم وتوهم بعضهم
ان معناه انه احمر خجلا واعترض بانه المناسب لقوله وقد جف لسانه في فمه الاصفرار
لا الاحمرار قال ولعله يحصل له حالة خجل ثم حالة خوف وهو من عدم التأمل وجفاف
اللسان بذهاب ريقه بحزنه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم معمول له لما
قبله وتنازعه الفعلان ليتحقق علامتها ولا حاجة اليه وان جاز ولقد كنت آتي عامر
ابن عبد الله بن الزبير بن العوام العابد الجليل القدر اخرج له الستة وتوفي بعد
عشرين ومائة وترجمته معروفة فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى

عرضي

لا يبقى في عينيه دموع اي لبكائه بكا شديدا ما امر ولقد كنت اتى صفوان بن سليم مصغر وهو مولى حميد بن عبد الرحمن الزهري القرشي مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة وكان اكثر اهل المدينة عبادة وزهدا وفضلا وبها توفي كما قال وكان صفوان المذكور من المتعبدين اي المكثرين للعبادة المداومين عليها المجتهدين في العبادة المجدين فيها ويحتمل ان يكون وصل لمرتبة الاجتهاد في احكام الدين لزيادة فضله واحاطته بالسنة وهو جملة معترضة فاذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عنده بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه لاتصال بكائه وطوله ولقد رايت الزهري الامام محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب التابعي الامام الجليل المشهور توفي في رمضان سنة اربع وعشرين ومائة وهو ابن اثنتين وسبعين كما تقدم وكان من اهنا الناس اي اسهلهم واحسنهم خلقا والينهم عريكة سخيا رحب هنو الطعام اذا ساغ وسهل واقربهم الى الناس لحسن تودده لهم ومع ذلك اذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكانه ما عرفك ولا عرفته لدهشته وحيرته واعراضه عمن عنده وذهوله عن معرفته لاشتغال قلبه وحواسه بالفكر لاجلاله له وتعظيمه وقد ذكر مالك رحمه الله هولا بيانا لانه اقتدى بهم واهتدى بهديهم وان حاله لم يجل بحالهم فلا يتعجب منه وروى عن قتادة تقدم بيانه انه كان اذا سمع الحديث يعلو وعنده اخذه اي يعرض له واستولى عليه حتى كانه اخذه العويل بعين مهملة هو صياح مع البكا والزويل بفتح الزاي المعجمة وكسر الواو وباء ولام وهو القلق والانزعاج لشدة الخوف بحيث زال ذو ذبلة في الدعا اي ذهب ذعره وهو ماخوذ من الزوال لتغير حاله عما كان عليه ولما كثر على الامام مالك الناس اي اجتمع عنده لسماع الحديث ناس لا يحصون كثرة وانثوه من كل فج قيل لو جعلت مستمليا اي احدا يجلس قريبا منك ويملي عليه الحديث فياخذه عنك فيبلغهم ويسمعهم ما بعد منهم لكثرتهم ويعد بعضهم عنك ممن في اخر الحلقة ولو للتمني لمناسبة بينهما في عدم الوقوع ولما لزم ما قالوه من رفع صوت المبلغ كما هو المعتاد لم يرتض مالك ما قالوه من وضع مستمل في الحلقة والاستملا طلب الاملا وهو القا الكلام على الغير فقال مالك مجيبا ارشادا لهم وتاديبا مستدلا بقوله تعالى قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم الخ فقاس منع رفع الصوت في مجلس قراة الحديث على منعه في مجلسه حال حياته وعلله بقوله وحرمته اي احترامه وتوقيره حيا وميتا سوا فكما يلزم الاول يلزم الثاني ثم نقل ما يوافق ما قاله مالك بقوله وكان عبد الرحمن بن مهدي بن حسان ابو سعيد الحافظ الثقة البصري المعروف بالولوي احد اعلام الحديث وقال ابن المديني اعلم الناس بالحديث ابن مهدي توفي سنة ثمان وتسعين ومائة واحتج له اصحاب الكتب الستة اذا قرا حديث النبي صلى الله عليه وسلم امرهم اي امر من حضر في مجلسه بالسكوت والانصات لاستماعه وقال مما طالما عنده لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي وتاول الاية التي تلاها بجعل الصوت شاملا لحكايته وانه عام لها ودال على انه يجب له صلى الله

عليه

عليه وسلم من الانصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله حقيقة في حياته لما فيه من التوقير وحرمته وحسن الادب كما قيل حديثا وحديث عنه يطربني هذا اذا غاب او هذا اذا احضرا قال قلت ما نقله عن مالك من انه لم يرض بمستمل في مجلسه ينافي ما نقل عنه انه كان له مستمل يبلغ الناس عنه فلعل حاله الاول كان قبل كثرة الناس جدا بحيث يسمعون كلامه بغير واسطة ثم كثر الناس عليه بعد ذلك فراى ان المستملي لا بد منه فاتخذه للضرورة وقد قال المحدثون انه لا يضع مستمليا اذا سمعوه لان اعلى مرتبة السماع ما كان من لفظه فان لم يتيسر ذلك اتخذ مستمليا واحدا فان كثر واستدلوا لذلك بانه صلى الله عليه وسلم خطب الناس بمنى على بغلته الشهباء وعلي رضي الله عنه يبلغ الناس فعلم ما تقرر ان كثروا بحيث لا يكفي مستمل واحد زادوا بقدر الحاجة ويكون المستملي على مكان واحد مرتفع من كرسي ونحوه او قائما ان امكنه فصل في سيرة السلف وعادتهم في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته عطفه تفسيري لها لاقواله وافعاله وجميع ما يتعلق به وفي نسخة سننه بصيغة الجمع وفي اخرى وسنتهم وهذا تتمة للفصل الذي قبله كما ادرجه في ترجمته لكنه فصله لاختصاصه بالحديث واتى لذلك بعد رواه مسندا فقال حدثنا الحسين بن محمد الحافظ المعروف بابن سكرة كما تقدم قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون تقدمت ترجمته وانه يجوز فيه الصرف وعدمه قال حدثنا ابو بكر البرقاني وهو احمد بن محمد بن احمد بن غالب الخوارزمي الحنفي شيخ بغداد واحد الاعلام بها صاحب التصانيف الجليلة بها وتخريج الصحيحين روى عنه كثير كالصوري والبيهقي والخطيب وابي اسحاق الشيرازي وابن حمدون المذكور توفي ببغداد في اول رجب سنة خمس وعشرين واربعمائة وترجمته معروفة والبرقاني بالموحدة والراء المهملة والقاف وغيره قال حدثنا ابو الحسن الدارقطني شيخ الاسلام الحافظ تقدم وانه منسوب لدارقطن محلة ببغداد وراؤه مفتوحة وبعضهم يسكنها كما قاله ابن مرزوق والاولى الاول قال حدثنا ابو علي بن مبشر بن اسماعيل الكلبي الثقة وشينه معجمة مشددة مكسورة بوزن اسم الفاعل قال حدثنا احمد بن سنان القطان ابو جعفر الحافظ الواسطي الثقة امام اهل زمانه توفي سنة ثمان وخمسين ومائتين واحتج له اصحاب السنن قال حدثنا يزيد بن هارون ابو خالد السلمي الواسطي العابد الزاهد احد الاعلام قال ابن المديني ما رايت احفظ منه وعمي في اخر عمره وتوفي سنة ست ومائتين واحتج له الستة قال حدثنا المسعودي عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن عبد الله بن مسعود ولذا عرف بالمسعودي وهو كوفي روى عنه خلق كثير وهو ثقة كثير الحديث توفي سنة ستين ومائة وترجمته في الميزان عن مسلم البطين بفتح الموحدة وكسر الطا المهملة وهو مسلم بن عمران ابو عبد الله الكوفي وثقه احمد واحتج له الستة عن عمرو بن ميمون العابد التابعي الازدي ادرك زمنه صلى الله عليه وسلم

بلغه وهو لغة حجازية فصيحة وتوفي سنة اربع وسبعين ومائة قال اختلفت الى ابن
مسعود اي ترددت عليه سنة فما سمعته اذا حدث يقول قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم صونا لذكره وهيبة له واحتياطا في النقل عنه الا انه حدث
يوما بحديث نقله فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه
كرب اي ظهر عليه حزن وغم يؤدي لضيق نفس ورايت العرق يتحدر اي ينزل سائلا
منه منفصلا عن جبهته ثم قال ابن مسعود هكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما
رويته لكم مساويا له لفظا ومعنى ان شاء الله اشارة الى انه لم يصدر عن جزم منه
وهذا انما منه على عدم جواز الرواية بالمعنى وفيه خلاف مشهور تفصيله في كتاب ابن
الصلاح وهو احتراز عن الكذب عليه وان يقول ما لم يقله او فوق ذا اي يزيد
عليه يسيرا او ما دون ذا اي ينقص عنه او قريب من ذا يعني لفظه بامر قليل جدا
وهو احتياط منه رضي الله عنه وفي رواية فتربد وجهه بباء موحدة بعد راء مهملة
اي تغير لونه لكموده من شدة الكرب وقد تغرغرت عيناه اي امتلأتا بدمع متردد
كالماء في فم من يتغرغر به فهو مجاز كما في حديث تقبل توبة العبد ما لم يغرغر اي تبلغ
روحه حلقومه كالغرغرة وانتفخت اوداجه جمع ودج بفتحتين وهو عرق على
في العنق والودجان يقطعهما الذابح وانتفاخهما لكبرهما بغليان الدم لاشتداد الحرارة
الغريزية بحزن ونحوه وقال ابراهيم بن عبد الله بن قريم بضم القاف وفتح الراء
المهملة ومثناة تحتية وميم مصغرا الانصاري قاضي المدينة ذكره في التهذيب
والميزان واخرج له الترمذي في علل جامعه ولم يجرحوه وروى عن مالك كما قال
مر مالك بن انس على ابي حازم بحاء مهملة وزاي معجمة وهو سلمة بن دينار الاعرج
احد الاعلام الذي روى عنه مالك وغيره لقيته لم يكن في زمانه مثله توفي سنة اربعين
ومائة واخرج له الستة وهو يحدث اي يروي الحديث لمن عنده فجازه اي
تجاوز مجلسه ولم يقف وقال حين سئل عن سبب ذلك اني لم اجد موضعا اجلس
فيه لكثرة الناس فكرهت ان اخذ اي اسمع لا روي حديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم وانا قائم صونا لحديثه عن الابتذال والامتهان واستماعه في محل
يخل بتعظيمه وهكذا كان دابه ولذا رفع الله قدره وشيد ذكره وهذا لا ينافي
ما نقل عنه من انه كان لا يعمل بالحديث ما لم يوافق عمل اهل المدينة فانه لشدة
احتياطه في احاديث الاحكام فلا وجه لايراده هنا وقيل المقصود منه احترازا
مما نسب له هنا وقال مالك جاء رجل الى ابن المسيب فسأله عن حديث وهو
مضطجع اي واضع جنبه على الارض والجملة حالية فجلس وحدثه فقال له
الرجل وددت اي كان احب الي انك لم تتعن اي لم تتعب وتترك راحتك فقال
اني كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مضطجع تعظيما
للحديث وتأدبا معه وروي عن محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر
عنده في حال ضحكه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم خشع اي اظهر الخشوع

والاستكانة

والاستكانة تواضعا وهيبة وقال ابو مصعب كان مالك لا يحدث بحديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو على وضوء اي متوضئا متطهرا اجلالا له
اي للحديث وحكى مالك ذلك اي التحديث على وضوء عن جعفر بن محمد الباقر بن
زين العابدين بن الحسين بن علي بن ابي طالب وقد تقدم قريبا وقال مصعب
ابن عبد الله وهو الزبيري كما تقدم كان مالك بن انس اذا حدث عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم اي اذا اراد ان يحدث عنه توضأ وتهيأ للحديث باصلاح
هيئته في ثيابه وجلوسه ثم يحدث تعظيما لذلك قال مصعب فقيل عن ذلك
اي عن الداعي له فقال انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي نسخة لانه
وهو ابلغ المدح كما اذا قيل لك لم عظمت فلانا تقول انه فلان ولا تزيد اي حقيق
بذلك وشهرة استحقاقه تغني عن بيان وجهه فلا حاجة لتقييده وهو جدير
بالتعظيم كما قيل وقال مطرف بزنة الفاعل بطاء وراء مشددة مهملتين وفاء وهو
مطرف بن عبد الله بن مطرف بن سليمان بن يسار مولى ميمونة وهو ابن اخت الامام
مالك توفي سنة عشرين ومائتين وترجمته في الميزان كان اذا اتى الناس مالكا
لطلب العلم وما هو اجل منه له وطلبوا الخروج لا فوائهم خرجت اليهم الجارية
اي ارسل لهم جارية لدعتيه فتقول لهم يقول لكم الشيخ تعني
مالكا تريدون الحديث بحذف اداة الاستفهام اي اتريدون قراءة الحديث وسماعه
او المسائل تعريفه للعهد اي مسائل الفقه فان قالوا نريد المسائل خرج اليهم
بسرعة من غير تهيؤ وان قالوا نريد الحديث اي قراءته دخل مغتسله اي موضعه
المعد للغسل والطهارة في بيته واغتسل وتطيب ونضح بما تطيب رائحته ولبس
ثيابا جددا بضم اوله وثانيه جمع جديد بكسر ثم سرد ولبس ساجه هو الطيلسان
مطلقا او الاخضر او الاسود منه وهو شيء كالبرنس وتعمم اي وضع عمامته
المعدة للتجمل على راسه ووضع على راسه رداءه على عادة اشراف العرب
وتلقى له منصة في محله المعد له لاقرائه وهو بكسر الميم وفتحها شيء عال كالكرسي
والسرير تنصته اذا رفعته فيخرج من بيته للناس ويجلس عليها وعليه
الخشوع اي السكينة والوقار ولا يزال يبخر اي بالمفعول ويجوز بناؤه للفاعل
يعني يامر بالعود الهندي المعروف فيوقد عنده ليعطر مجلسه به حتى يفرغ من
قراءة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلالا له وتكريما وتطييبا فانه
صلى الله عليه وسلم كان يحب الرائحة الطيبة فجعل مجلس حديثه كمجلسه حيا كما تقدم
قال غيره اي غير مطرف ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلم انه فعله رعاية للحديث لا لنفسه قال ابن
اويس هو اسماعيل بن عبد الله بن اويس بن ابي عامر وقيل اسماعيل بن عبد
العزيز بن عبد الله توفي سنة ست او سبع وعشرين ومائتين في رجب وهو ابن عم
الامام مالك وابن اخته وزوج بنته روى عنه وعن غيره ولازم مالكا احدى

وعشرين سنة واخرج له في الصحيحين والسنن وضعفه النسائي لانه كان مغفلا كما قاله
ابو حاتم وترجمته في الميزان فقيل لمالك في ذلك اي سيل عن سبب ما كان يفعله من
لباسه واغتساله وتحوره وجميع ما تقدم عنه فقال احب ان اعظم حديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم بما فعله ولا احدث به اي بحديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا على طهارة كاملة متمكنا اي جالسا في مكانه على هيئة مستقرة غير مستوفز
لما فيه من عدم المبالاة بما حدثه عنه صلى الله عليه وسلم وكان مالك رحمه الله يكره
ان يحدث اي ينقل الحديث وهو مار في الطريق او وهو قائم على رجليه او مستعجل
او على عجلة تبيانا في قال الخير كله في ترك العجلة ولذا قيل العجلة من الشيطان
وقد يكون مع التعجيل الى ان يخطي فيما نقله وقال مالك احب ان افهم
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذا اتاني في نقله ليكون اعون على فهمه وقال
ضرار بن مرة ابو سنان الشيباني الكوفي العابد الثقة اخرج له اصحاب السنن
كانوا اي السلف ومن بعدهم من التابعين يكرهون ان يحدثوا اي ينقلوا الحديث
النبوي على غير وضوء وطهارة ونحوه وروي عن قتادة وقد تقدمت ترجمته
وفي نسخة هنا وكان الاعمش سليمان بن مهران اذا احب ان يحدث وهو على
غير وضوء ولم يتمكن منه تيمم وكان قتادة لا يحدث الا على طهارة وبافي الكلام
على ذلك اخر الفصل قال عبد الله بن المبارك تقدمت ترجمته كنت عند
مالك بن انس وهو يحدثنا اي ينقل لنا الحديث فلدغته عقرب اي في حال
قرائته والعقرب من ذوات السموم المعروفة وسمها في راس ذنبها فاذا ضربت به
احدا انتشر فيه سمها فيقتله ولدغها ضربها بمقدم ذنبها وقد اشتهر على الالسنة
ان اللدغ بالذال والغين المعجمتين وقد قال الشراح هنا ان الصحيح انه بالدال المهملة والغين
المعجمة وانه يقال لدغته العقرب ولسعته الحية ويقال عقرب وعقربة ونقل بعض
العلماء ان الذال والغين المعجمتين لا يجتمعان في كلمة عربية اما لذع النار فهو باعجام
الاولى واهمال الثانية معناه الاحراق وقوله ست عشرة مرة كذا في النسخ وصوابه
ست عشرة بلحوق التا في جزئه الثاني كذا قيل وفيه نظر وهو يتغير لونه ويصفر دجى
عطف تفسير ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم احتراما له
واجلالا فلما فرغ من المجلس اي اتم نقل الحديث وتفرق عنه الناس المستمعون
له قلت له يا ابا عبد الله لقد رايت منك اليوم عجبا اي امرا يتعجب منه لصبرك
وعدم تحركك قال نعم ما قلته صحيح انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذ لم يتحرك ويتزعج وهو يحدث وقال ابن مهدي مشيت
يوما مع مالك الى العقيق هو اسم لمواضع كثيرة بالحجاز والمراد به هنا موضع قريب
من المدينة على نحو ميلين منها يتنزه فيه اهل المدينة فسالته وانا ماش معه في الطريق
عن حديث من احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتهرني اي زجرني
والنهر الزجر كما قال تعالى واما السايل فلا تنهر وقال بعد الزجر اسكت

ونحوه

ونحوه قوله تعالى كنت في غيبتي كناية عن اعتذاره فيه التاشي عن رويته اجل من ان
تسالني فيه توسع معروف كانه من ان يجيء اي اعظم من السايلين عن حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي جملة حالية وساله يعني الامام
مالك رحمه الله جرير بن عبد الحميد القاضي الضبي الثقة المحدث صاحب المصنفات
الكليلة روى عنه البخاري وغيره من اصحاب الكتب وكان رحلة توفي سنة ثمان
وثمانين ومائة عن حديث وهو قائم الضمير لجرير ويجوز ان يكون لمالك رحمه
الله فامر مالك بحبسه قيل مالك لم يكن حاكما حتى يحبسه بامره واجيب بان
الولاة كانوا يمتثلون امره فالمعنى ارسله للحاكم ليحبسه فحبسه وفي تاريخ الذهبي ان
مالكا كان يجلس في المسجد يحدث ويفتي فانه كان اذن له في القضا في بعض الامور
فهو على ظاهره فقيل له ان ذلك لا يليق بحبسه فقال القاضي احق من ادب
بالهمزة المضمومة لابوا روان رسم بها في بعض النسخ يعني ان العلما والاشراف اولى
برعاية الادب فاذا تركوه كانوا احق بذلك من العوام وذكر ان هشام بن الغازي
يعني وراي بعض بن يزيد فاعل من الغزو فالوا وهو البهي بصواب فان هشام
ابن الغازي ابن ربيعة تابعي مات قبل مالك ولا يروي عنه والحكاية المذكورة انما
وقعت لمالك مع هشام بن عمار خطيب دمشق كما رواها مسندة البرهان الحلبي وقيل
انه تصحف على الناسخ وصوابها الغازي بالقاف والرا المهملة وقيل ما في الاصل ثكلاني
صواب وهو هشام بن الغازي بن ربيعة الشامي وفيه ان الحافظ الحلبي اسند
رواية هذه القصة من هشام بن عمار بن ياسر كما علمت سال مالكا عن حديث
وهو اي هشام او مالك رحمه الله واقف فضربه عشرين سوطا وهذا دليل على
انه كان ماذونا له في اجرا الاحكام على ما مر او كان يعلم برضاه بحكمه فهو محكم فيه دجى
ثم اشفق عليه اي حصل عنده رقة قلب وشفقة لضربه لا لانه ضربه بغير ذنب كما قيل
وهذا بنا على انه يجوز ان يزاد على عشرة اسواط في غير الحدود كما هو مذهب ابي حنيفة
والحديث الوارد في النهي عنه في كلام للمحدثين ليس هذا محل تفصيله ولعله وجه
استحقه عليه فحدثه اي اقر مالك هشاما وروى له عشرين حديثا تطييبا لخاطره
فقال هشام بعد ذلك لاصحابه وددت اي احببت بنا لي وددت لذا لذا رغبت
فيه واحببته لو زادني سياطا اي ضربا بها ويزيدني حديثا بعدد زيادة ضربه
لي ولو مصدرية او شرطية جوابها مقدر وقال عبد الله بن صالح الجهني ويقال
له الكريه العجلي وله ترجمة في الميزان مطولة توفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين
وعمره ست وثلاثون سنة واخرج له اصحاب السنن كان مالك والليث بن سعد
ابن عبد الرحمن الفهمي المصري الفقيه البارع الذي قيل فيه انه كان افقه من مالك
الا ان اصحابه اضاعوه وهو من تبع التابعين توفي في سنة خمس وسبعين ومائة وحيث
قال مالك اخبرني من ارضى به من اهل العلم فهو الليث لا يكتبان العلم الا وهما طاهران
اي على طهارة تامة وجملة هما طاهران حالية يجوز اقترانها بالواو وتركها لا صفة

وارها لا لصاق كما قيل وتحقيقه في كتب العربية والظاهر ان المراد بالعلم مطلقه
لا الحديث وكان قتادة يستحب ان لا يقرأ احاديث النبي صلى الله عليه وسلم
الا على وضوء اي متوضئا تعظيما لحديثه صلى الله عليه وسلم ولا يحدث بتشديد الدال
اي لا ينقل الحديث ويجوز بناؤه للمفعول اي يسمع من غيره حديثا الا على طهارة قيل
المراد انه يغتسل لمشروعية ما قبله وكان الاعمش سليمان بن مهران كما تقدم اذا
اراد ان يحدث وهو على غير وضوء جملة معترضة او حالية تيمم اي اذا لم يحضر
عنده الماء بسهولة لشدة اهتمامه بتعظيم الحديث وللمحدث آداب اخر ذكرها
المحدثون كافتتاح اول مجلسه وختمه بالحمد لله والصلاة والسلام على النبي صلى الله
عليه وسلم وان لا يقوم في مجلسه لاحد من الناس **فصل ومن توقيره**
صلى الله عليه وسلم اي تعظيمه وتبجيله وبره اي صلته ورعاية جنابه والمراد
اخر غير مراد هنا والجار والمجرور خبر مقدم لقوله بر آله تقدم ان في آله خلافا
فقيل انهم ذوو القربى ومن تحرم عليهم الصدقة وهم المؤمنون من بني هاشم وبني المطلب
دون غيرهم كما بينه الفقهاء وان اصله اول وقيل اهل وبرهم الاحسان اليهم ومعاونتهم
ومودتهم ورعايتهم وذريته الذرية النسل من الاولاد واولادهم وهو بضم الذال
وكسرها وفي اشتقاقه خلاف فقيل من الذر وهو صغار النمل اعتبارا بالاحوال
وقيل من ذرأ اي خلق والتزم ابدال الهمزة بعد النقل وامهات المؤمنين فسره
بقوله ازواجه صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن جمع زوج لاطلاقه على الذكر والانثى
او زوجة على لغة فيه واطلاقه عليهن لحرمة نكاحهن بعده واختلف في وجهه هل
هو لتكريمه صلى الله عليه وسلم او احترامهن ولذا وجبت النفقة عليهن لحرمة نكاحهن بعده
وهل هن امهات للمؤمنات ايضا فقيل لا لان لا حرمة لنكاحهن عليهن وقيل نعم لوجوب
اكرامهن لهن وهو تشبيه بليغ لا يجري في جميع وجوه الشبه واسماء ازواجه صلى الله
عليه وسلم مشهورة في السير قدمناها ايضا كما حض اي حث وحرص بطلبه من كل
احد عليه اي على برهن ذكر عليه الصلاة والسلام بما ورد عنه من الاحاديث
وسياق بعضها وسلكه السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم
من العلماء العاملين والمقتدين سلك طريقه اوسيرته برهم بطريق مسلوك فهو استعارة
مكنية تخييلية ثم ايده بدليل من القران فقال قال تعالى انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اصل معناه القذر الحسي ثم استعير للاثم والذنب وهو المراد اهل
البيت نصب على النداء والمدح والاختصاص ويطهركم تطهيرا ترشيح للاستعارة
الرجس للذنب واستشهاده بهذه الآية بناء على ان اهل بيته ذريته وازواجه كما
اختاره ابن عطية في تفسيره وهو احد الاقوال فيه وقيل هم اهل الكساء الذي جللهم
علي وفاطمة وابناهما لما روي في الحديث انه خرج عليه الصلاة والسلام غداة وعليه
مرط مرحل فادخلهم فيه ثم تلا الآية وقيل المراد نساؤه وحدهن وتذكير الضمير باعتبار
ووجه الاستشهاد ان من طهره الله من الآثام احبه الله ورسوله ومن احبه

يلزمنا

يلزمنا محبته وبره وصلته وقال تعالى وازواجه امهاتهم ان كان شاهد التسمية
امهات فهو ظاهر وان كان اللزوم برهن وتكريمهن فلان حق الوالدة على الولد
ولزوم برها امر معلوم مركوز في الطباع لان وجه الشبه وجوب احترامهن وبرهن
والحصر يقتضي ان اكرامهن احق من الامهات الحقيقية ثم اسند المص حديثا صحيحا
شاهدا لما تقدم رواه من طريق له عن شيخ بحديث انه في غيره من السنن كمسلم والنسائي
بسند اعلى مما هنا واعتذر له بانه تنويع لانه من العالية الرابعة ولانه اسلم من التكلم
فقال اخبرنا الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد التميمي العدل من كتابه وكتبت
من اصله اشارة الى ضبطه فيما رواه عنه والمراد باصله نسخته التي قرأها فيها قال
حدثنا ابو الحسن المقرئ الفرغاني بفاء وغين معجمة نسبة لفرغانة اسم بلدة قال
حدثتني ام القاسم بنت الشيخ ابي بكر الخفاف قالت حدثني ابي قال حدثنا حاتم
هو ابن عقيل قال حدثنا يحيى هو ابن اسماعيل قال حدثنا يحيى هو الحماني قال
حدثنا وكيع هو وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي الرواسي احد الاعلام المشهورين
توفي سنة سبع وتسعين ومائة اخرج له الائمة الستة عن ابيه الجراح عن سعيد
ابن مسروق الثوري الثقة توفي سنة ست وعشرين ومائة واخرج له الستة عن
يزيد بن حيان بفتح الحاء المهملة ومثناة تحتية وهو التيمي الثقة عن زيد بن ارقم
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم الله اي اسالكم
بالله وانتم عليكم به يقال انشدك الله وبالله اي اذكرك به ثم استعمل في القسم وصار
حقيقة فيه وليس السؤال بمراد هنا بل المراد حقيقته وتقدم فيه كلام واهل بيتي
معطوف على الله اي اذكركم اهل بيتي فلا تنسوا حقوقهم ورعايتهم فان رعايتهم
رعاية لي وقيل انه منصوب بنزع الخافض اي في اهل بيتي كما ورد في هذا الحديث
ولا وجه له فانه تعسف من غير داع له ومثله قول المزي ومن تبعه هنا لعله في اهل
بيتي ثلاثا كرره للاهتمام به والتشديد في رعايتهم فقلنا لزيد بن ارقم راوي الحديث
لما ذكره وما في بعض النسخ ليزيد من غلط الكاتب من اهل بيته اي من المراد بهم في
هذا الحديث قال آل علي بن ابي طالب وهم اولاده واهل بيته من اقاربه الادنون
وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس وهم من تحرم عليهم الصدقة من اقاربه
كما تقدم وهذا كما رواه مسلم في فضائل آل البيت في خطبة خطبها صلى الله عليه وسلم وهو
راجع من حجة الوداع في غدير خم قال فيها اما بعد ايها الناس انما انا بشر مثلكم يوشك
ان يأتيني رسول ربي فاجيبه واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله فيه الهدى والنور
فتمسكوا به واهل بيتي وفيه ما ذكره المص من تفسيره لاهل بيته بما ذكر وهو الذي
فهم عنه صلى الله عليه وسلم هنا لانه علم بالوحي ما يكون بعده في امر الخلافة والفتن فلذا
خصهم وحرض على رعايتهم كما اقتضاه المقام وما قيل من ان جوابه هنا خاص باقاربه
وهو احد الاقوال ويعارضه الآية الدالة على دخول ازواجه صلى الله عليه وسلم
واهل بيته كما تقدم لا وجه له لما عرفته من وجه تخصيصه هنا وقال صلى الله عليه

التدليس

ابن الفارسي

وسلم في حديث رواه الترمذي عن زيد بن ارقم وجابر وحسنه اني تارك فيكم اشارة
الى قرب اجله صلى الله عليه وسلم وانه وصية لامته ما ان اخذتم به اي تمسكتم وعلمتم
به واتبعتموه وما موصوفة وان شرطية والجملة صفة او موصولة وصلته لن
تضلوا بعدي لغة الشريعة والطريق المستقيم كتاب الله بدل من ما مفسر له وعترتي
بمثناة فوقية ومعناه اهل بيتي الاتي بيانهم ووجه تخصيصهم هنا وروي لن تضلوا
وما قيل ان قوله اخذتم به هنا يدل على ارادة المجتهدين منهم فلا يبعد دخول
الصحابة المتصفين بهذه الصفة كما دلت الاية على دخول ازواجه صلى الله عليه
وسلم غير مناسب لسياق الحديث والمراد منه هنا فانظروا كيف تخلفوني فيهما
اي بعدي وفاتي انظروا في عملكم بكتاب الله واتباعكم لاهل بيتي ورعايتهم وبرهم
بعدي فانما يبرهم يبرني وما يعقهم يعقني وقال عليه الصلاة والسلام
في حديث لم يخرجوه معرفة آل محمد براءة من النار اي معرفة قدرهم وحرمتهم
ورعاية ما يجب من حقوقهم فان محبتهم لاجله صلى الله عليه وسلم تدل على خلوص محبته
له وذلك موجبة مستوجبة لذلك تفضلا من الله وكرامة لرسوله صلى الله عليه وسلم
وحب آل محمد جواز على الصراط اي مرور عليه بسرعة جوازا موصلا للجنان فال
المرتفع مرتجل ومن فسر الجواز بالجائزة بمعنى العطية فقد تكلف تكلفا غريبا والولاية
بفتح الواو ويجوز كسرها لانها ترادفها هنا وان اشتهرت في الملك والحكومة اي
الموالاة النصرة والمودة لآل محمد امان من العذاب وقال بعض العلماء معرفتهم
اي معرفة الال المذكورة هي معرفة مكانهم منه صلى الله عليه وسلم والمراد بالمكان
المنزلة المعنوية وهي قرب نسبهم ومرتبتهم منه صلى الله عليه وسلم ولذا اطلق بما يحق له منه
واذا عرفهم بذلك اي بسبب علو مرتبتهم لقربهم منه عرف وجوب حقهم وحرمتهم
اي احترامهم واكرامهم بسببه صلى الله عليه وسلم لا لغرض آخر وقد دعا النبي صلى
الله عليه وسلم لمن احبهم لحبه صلى الله عليه وسلم ومن اراد تفصيل هذا فلينظر كتاب السيد
السمهودي الذي صنفه في فضائل آل البيت فانه جمع فاوعى جزاه الله خيرا وعن
عمر بن ابي سلمة في حديث رواه الترمذي وابن ابي سلمة هو الصحابي المخزومي ربيب
صلى الله عليه وسلم وابن اخيه من الرضاع وترجمته مشهورة لما نزلت اية انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية وقد قدمنا تفسيرها فكفينا مؤنته هنا
وذلك اي نزولها كان في بيت ام سلمة ام المؤمنين رضي الله عنها دعا جواب لما اي
طلب صلى الله عليه وسلم ونادى فاطمة الزهراء رضي الله عنها وحسنا وحسينا سبطاه
وريحانتاه رضي الله عنهما فجللهم اي غشاهم وغطاهم ومنه الجل للفرس بكساء وهو
مرط من شعر كما ورد في رواية اخرى وعلي كرم الله وجهه خلف ظهره صلى الله عليه
وسلم داخل الكساء ايضا وانما جعله خلف ظهره ليفرق بينه وبين زوجته وقت الدعاء
ثم قال اللهم هولاء اهل بيتي ليس المراد الحصر وهو ظاهر لارادته ازواجه الناس
الى نسبا فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا اي جنبهم الاثام والمعاصي وما يشينهم

ولذا

ولذا سموا اهل الكساء لادخالهم في الكساء اشارة الى قربهم منه صلى الله عليه وسلم
وان الله سترهم كما سترهم الكساء وانه صانهم واحرزهم ثناء ولابد لذلك كما حول صلى الله
عليه وسلم رداءه في الاستسقاء اشارة الى تبدل الحال وتغيرها عما هي فيه وذلك سبب
الدعاء وانما دعا لهم بما ذكر بعدما ذكر الله تعالى انه اراد ذلك لهم وارادته تعالى
لا تتخلف عن مراده امتثالا له او تنويها بقدرهم ليعلم الناس به او المراد دوام ذلك
وثباته وزيادته وعن سعد بن ابي وقاص في حديث رواه مسلم في صحيحه لما
نزلت اية المباهلة تقدم ان المباهلة مفاعلة من البهلة وهي اللعنة اي الملاعنة
وهي ان يقول كل من المتخاصمين في المجادلة لعنة الله على الظالم منا والاية هي قوله
تعالى فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم
الى اخرها وذلك لما وفد عليه صلى الله عليه وسلم نصارى نجران ودعاهم للاسلام
فلم يسلموا وادعوا حقية دينهم وانه لم ينسخ وقصتهم مفصلة في كتب التفسير والسير
دعا النبي صلى الله عليه وسلم جواب لما اي احضر عنده عليا وحسنا وحسينا وفاطمة
رضي الله عنهم لانهم كانوا في المباهلة يحضرون اولادهم واهلهم ويدعون بوقوع
العذاب على الكاذب واهله جميعا ولذا قال وقال صلى الله عليه وسلم اللهم هولاء
اهلي واقاربي فامتنعوا من المباهلة لعلمهم بانه صلى الله عليه وسلم نبي وانهم ان باهلوه
الا اهلكهم الله ورضوا بالجزية وقال صلى الله عليه وسلم لو باهلوا لمسخوا قردة وخنازير واشتعل
عليهم الوادي نارا وحكم المباهلة باق الى الان وقد فعله العز بن عبد السلام فلم يحل الحول حتى
هلك من باهله وقال صلى الله عليه وسلم في حديث تقدم في علي بن ابي طالب لما في حقه
وشانه وسبب قوله هذا ان اسامة قال لعلي لست مولاي انما مولاي رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان هذا في سفره وهو عند غدير خم وقد خطب الناس فقال من كنت مولاه اي وليه
والاحكم والمولى له معان منها السيد وهو المراد والمعتق والمنعم والمعاهد والصهر الى غير
ذلك من المعاني وقال الشافعي رضي الله عنه المراد ولاء الاسلام وقوله فعلي مولاه اي سيده
وناصره واستدل به على الولاية بعض الفقهاء وغيرهم بقوله المراد به وصلته وهو الموافق
لسياق المصنف واستدل به بعض الشيعة على تقدم علي كرم الله وجهه على غيره في الخلافة ولا
دليل لهم فيه لما عرفته من معاني المولى وانما المراد من احبني يحبه لقوله اللهم وال من
والاه وعاد من عاداه اي من كرهه غضب الله عليه والانتقام فالمعاداة من الله مجاز
او مشاكلة وقال فيه اي في حق علي كرم الله وجهه كما في مسلم لا يحبك الا مؤمن ولا
يبغضك الا منافق لان من احب اصحابه واقرباءه لمحبته فهو مؤمن ومن كان بخلاف ذلك
ففي قلبه كفر مضمر وان اظهر اسلامه كالخوارج والمقصود منه تحذيره والمبالغة
في النهي عنه ولكون ظاهره الاسلام وارتكب ما لا يليق باهل الاسلام سماه منافقا مجازا
ومثله في الخطابيات كثير وقال صلى الله عليه وسلم للعباس بن عبد المطلب عمه في
حديث صحيح رواه الترمذي وابن ماجه والذي نفسي اي روحي وما به حياتي بيده
اي في قبضة تصرفه لانه المحيي والمميت وهو قسم للتاكيد والتحقيق لا يدخل قلب رجل

الايمان اي لا يؤمن ويصير مؤمنا كاملا ففي الدخول استعارة ظاهرة حتى يحبكم
لله ورسوله اي محبة خالصة من الاعراض الدنيوية والريا فانما هي لمحبة الله ورسوله ورضاهما
لنبيه الله صلى الله عليه وسلم واقرباءه فيجل من رآه وعرفه كمن عرفهم كلهم
ومن آذى عمي يعني يؤذيه فقد آذاني لان ما يؤذي العم يؤذيني وانما عم الرجل
صنو ابيه الصنو بكسر الصاد وضمها وهو هنا بمعنى المثل اي في المعنى ابوه والرجل
يبر لابيه ويؤذيه ما يؤذيه واصل معناه نخلتان فاكثر تخرج من اصل واحد فاستعير
للاخ ولما ذكر اي كانه ابي يجب علي بره وكذا على غيرك وروي العباس صنوي اي مثلي
في النسب وسبب قوله صلى الله عليه وسلم هذا ان العباس دخل عليه مغضبا فقال له
ما اغضبك قال يا رسول الله ما لنا ولقريش اذا تلاقوا فيما بينهم تلاقوا بوجوه مستبشرة
واذا لقونا لقونا بغير ذلك فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احمر وجهه ثم قال
ما ذكره المص وقال صلى الله عليه وسلم للعباس ايضا في حديث رواه البيهقي اغد
علي يا عم اي ابكر غدا علي او ائتني واصل معناه المجيء في وقت الغداة فاستعمل في
مطلق المجيء مع ولدك اربعا وكان له رضي الله عنه عدة اولاد عشرة ذكور
الفضل وعبد الله وقثم وعبيد الله ومعبد وعبد الرحمن وغيرهم من الذكور والاناث
واشهرهم عبد الله وهو البحر وترجمان القرآن وابو الخلفاء فجمعهم اي جمع العباس رضي الله
عنه اولاده عند رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضمهم
اليه وقال ابن الجوزي في الوفا ان الذي جمعهم من اولاده ستة وجللهم اي غطاهم وسترهم والبسهم
بملاءة بضم الميم ولام وهمزة ممدودة وهو رداء او ملحفة وقد يختص بما يكون من ثوبين وقال
صلى الله عليه وسلم بعد ما ضمهم كما فعل مع علي واهله فيما تقدم هذا عمي وصنو ابي وهؤلاء
اهل بيتي اي من اقربائي فاسترهم من النار كستري اياهم اشارة الى وجه ادخالهم
في ملاءته كما تقدم فامنت بتشديد الميم اي قالت بعد قوله صلى الله عليه وسلم ودعائه
هذا اسكفة الباب بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم الكاف وتشديد الفاء عتبة
طرطبة ويقال اسكوفة قال بعض احد حرفي التضعيف واوا وتخفف فاء ايضا وتفسر بالعتبة
التي في اسفل الباب وتطلق على ما يقابلها من اعلاه ايضا وحوائطه جمع حائط وهو معروف
آمين بالمد ويقصر ويشدد وهو اسم فعل معناه استجب وفيه كلام ليس هذا محله وهو
مفعول امنت لانه تضمن معنى قالت او مقدر قبله وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم بنطق الجماد
له كرامة لاهل البيت وكان صلى الله عليه وسلم كما في حديث رواه البخاري ياخذ بيد اسامة
ابن زيد والحسن اي يمسكهما بيده وسقط لفظ بيد من بعض النسخ فالمعنى يجذبهما اليه
ويقول داعيا لهما اللهم اني احبهما فاحبهما بالادغام ويجوز فكه فيهما اي احببهما والامر
للدعاء ودعاؤه لك لعلمه بان من احبه رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه الله وعكسه والقول
بان احبهما مشاكلة لا وجه له لان محبة الله لعبده مجاز باعتبار غايته وهو كثير في عبارتهم كله
واسامة بن زيد هو ابن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبه وقال ابو بكر
الصديق رضي الله عنه ارقبوا محمدا ارقبوا وراقب من المراقبة وهي ادامة النظر

في

في حياته ثم اريد به لازمه وهو الحفظ فالمراد احفظوا محمدا اي حقه عليكم في اهل
بيته اي في رعايتهم واكرامهم وبرهم فان رعاية حقه تتحقق بذلك بعد موته وقال
ابو بكر رضي الله عنه ايضا اي كما قاله المذكور فيما رواه الشيخان والله الذي نفسي
اي روحي وحياتي بيده اي بقبضته وتصرفه لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي
مصدر صارت اسم جمع لقريب النسب احب الي ان اصل اي صلتهم بدل اشتمال
من قرابة من قرابتي فهو مضاف مقدر اي من صلة قرابتي قال النبي صلى الله عليه وسلم
هذا لما ارسلت اليه فاطمة الزهراء رضي الله تعالى عنها تطلب ميراثها من رسول الله
صلى الله عليه وسلم من فدك وغيرها وقال له الامام علي كرم الله وجهه ورضي عنه
قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم صلتهم لازمة فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا لا نورث لكن لا احد ان يزيد على المآكل لا اغير شيئا كان في عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه
احب الله من احب حسنا دعاء او خبر فحب حسن حسن وبغضه قبيح وقد رجحنا وقال
صلى الله عليه وسلم في حديث تقدم من احبني واحب هذين واشار الى حسن وحسين
واباهما عليا رضي الله عنهم معطوف على هذين وامهما فاطمة الزهراء رضي الله عنهم
كان معي في درجتي بدل من معي اي في منزلتي ورتبتي في الجنة يوم القيامة ان كان على
ظاهره وانه معه في الحشر فهو كناية عن سلامته هو له وان اريد به الآخرة مطلقا
فالمراد قربه منه لانه لا يساويه صلى الله عليه وسلم في درجته احد كقوله المرء مع من احب
وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي وحسنه من اهان قريشا اهانه
الله لانهم اكرم الناس في الجاهلية وفي الاسلام سادة العرب لهم الرياسة والزيادة وفي الخلافة
لان الامامة حق لهم وقريش مصغر تصغير تعظيم لقب النضر بن كنانة ونسله من التقرش
وهو التجارة والاكتساب او التجمع لاجتماعهم في الحرم وهو من توافق اللغات وقيل
سموا باسم دابة عظيمة في البحر لا تطاق كما قيل
وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا
وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البزار عن علي وابن ابي شيبة عن سهل قدموا
قريشا في كل امر من الامور لا سيما الامارة والخلافة واقتدوا بآثارهم ولا تقدموها
نهي عن التأخر عنهم والتقدم عليهم موكد للامر قبله وهو بفتح التاء والدال المهملة المشددة
واصله تتقدموا بتاءين حذفت احداهما تخفيفا وقال صلى الله عليه وسلم لام سلمة في
حديث رواه البخاري لا تؤذيني في عائشة رضي الله عنها وسببه انه قيل لام سلمة ام
المؤمنين رضي الله عنها ان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة فقولي له صلى الله عليه
وسلم يامر الناس ان يهدوا اليه حيث كان او حيث يدور فذكرت ذلك له صلى الله عليه وسلم
مرتين وهو يعرض عنها فلما كان في الثالثة قال لها يا ام سلمة لا تؤذيني في عائشة فانه
ما نزل علي الوحي وانا في لحاف امرأة منكن غيرها فبين صلى الله عليه وسلم لها محبته لها وتقدمها
عنده وان الناس لذلك خصوا يومها بالهدايا واستدل بهذا على تفضيل عائشة رضي الله

عنها على سائر امهات المومنين حتى خديجة وقال السبكي الذي ندين الله به ان فاطمة افضل ثم خديجة ثم عائشة والحديث مخصوص بمن كان موجودا حال الخطاب بقوله ستكون وقال ابن تيمية الرأي في هذا التوقف لنا بل احاديث التفضيل وتكافؤها واختصاص نزول الوحي بلحافها رجحها بما كانت تبالغ في التنظف والتعطر والعبادة مع شدة حبها وشوقها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظها لاوامره ونواهيه حتى غلبت صفاته صفاتها فصارت معه كشيء واحد رضي الله عنها وعن عقبة بن الحارث في حديث رواه البخاري عنه رأيت ابا بكر الصديق رضي الله عنه وقد حمل الحسن على عنقه اي حمله على عاتقه المجاور لعنقه ففيه تجوز وهو يقول الجملة حالية اي حاملا وقائلا بالاشعار من مجزوء الكامل لا رجز وقيل انه منه وهو مجزوم بابي شبيه بالنبي اي افديك بابي مرا شديد شبهه برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كناية عن شدة المحبة وتقدم الرتبة عنده ليس شبيها بعلي اي ليس شبيها بابيه رضي الله عنهما شبها تاما وانما تمام شبهه بجده صلى الله عليه وسلم والبا متعلقة بما قدر قلبت فتحة وقيل انها فتحة وقد ورد النهي عنه بحديث لا تحلفوا بآبائكم واجيب بانه قبل النهي وما هو ببعيد والظاهر ان النهي عن القسم الحقيقي لا ما ورد للتعظيم والاستعطاف وهذا كله في غير الله ورسوله فان لهما ان يقسما بما ارادا وبما لنا في وبابا والرجل اذا قال بابي وعلي يضحك من قول ابي بكر رضي الله عنهما وقوله هذا تعجبا منه وسرورا ورضا بذلك ويحتمل ان الظاهر ان كل احد يشابه اباه ومن يشابه ابه فما ظلم ولكنه خص به عرفه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولذا اسماه صلى الله عليه وسلم ابنا له وجعل نسبه منه وهي خاصية بحكم ربانية وقد روي ان فاطمة رضي الله عنها كانت ترقص الحسن وهو طفل وتقول بابي شبيه بالنبي الخ فيحتمل التوارد وان ابا بكر تمثل به بعدما سمعه ووقع في البخاري ليس شبيه بعلي بالرفع قال ابن مالك ليس حرف عطف كما ذهب اليه الكوفيون وغيرهم ليس لا هو اسمها والخبر محذوف اي ليس الشبيه علي ونحو ذلك وهذا لانها في النفي بل هي لا يقبله ولا يعده مثله لان المنفي المماثلة من جميع الوجوه والمثبت من بعضها وقيل المثل اخص من الشبيه ولا ينفي الاعم بانتفاء الاخص والذين شبهوا برسول الله صلى الله عليه وسلم نحو العشرة الحسن[1] والحسين[2] وقيل الحسن كان اعلاه اشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم والحسين اسفله وجعفر[3] بن ابي طالب وقثم[4] بن العباس والسائب[5] بن يزيد احد اجداد الشافعي وابو سفيان[6] بن الحارث وكابس[7] بن ربيعة الآتي في كلام الناظم وعبد الله[8] بن عامر بن كريز بضم الكاف ومسلم بن معتب وعبد الرحمن ابن عبد الله بن محمد بن عقيل بن ابي طالب وابنه القاسم رضي الله عنهم ونظم بعضهم ابن سيد الناس رحمه الله تعالى فقال

بخمسة شبه المختار من مضر ... يا حسن ما خولوا من شبهه الحسن
بجعفر وابن عم المصطفى قثم ... وسائب وابي سفيان والحسن

وقال ابو محمد الاسدي وزاد اثنين وقيل انه للعراقي رحمه الله

وسبعة

وسبعة يشبهون المصطفى نسبا ... لهم بذلك قدر تخز كي وسما
سبطا النبي ابو سفيان سائبهم ... وجعفر وابنه ذو الجود مع قثما

وقال ابن حجر رحمه الله تعالى وزاد ثمانيا

قد اشبه المصطفى الهادي ثمانية ... من صحبه فضلهم في الناس قد رسموا
سبطاه وابن كريز وابن حارثهم ... وجعفر وابنه مع سائب قثم

وزاد عليه ابن سيدي الحسن فقال

قد اشبه المصطفى المختار من مضر ... جماعة عدهم يربو على عشرة
سبطاه وابن كريز وابن حارثهم ... وجعفر وابنه سادة خيرة
وسائب مسلم وكابس قثم ... وسبط نجل عقيل وابنه البررة

وقد زيد على هذه الكثير بلغوا العشرين في بعضها كلام وطعن ونظمها نظما متكلفا ولذا لم اتعرض له تبعا لابن الشحنة في نظم له خمسة عشر فزاد ابن عقيل الثاني وزيد بن عبد الله بن الحارث الملقب ببه وقد مات في حياته صلى الله عليه وسلم وزيد بن عثمان لانه صلى الله عليه وسلم قال انه اشبه الناس بابيه ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام والنبي صلى الله عليه وسلم كان يشبه الخليل ايضا وشبيه الشبيه شبيه وعد ابن سعد منهم علي بن بجاد بن رفاعة ولو ذكر كل من قيل انه يشبهه صلى الله عليه وسلم لبلغ عددا كثيرا فانه ذكر منهم عبد الله بن محمد بن عقيل وابراهيم وعبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي ويحيى بن القاسم بن جعفر العلوي ومنهم كما قيل المهدي الذي يخرج آخر الزمان والظاهر منهم انهم تشبهوا في وجه الشبه في الخلق والخلق فان الشبه التام لم يتيسر لاحد كيف وقد اعطي صلى الله عليه وسلم الحسن كله واعطي يوسف عليه الصلاة والسلام شطره فهو كما قيل

ان اشبهوا اصنافك للناس فما ... كما مثل النجوم الما

وروي ان عبد الله بن حسن بن حسين بن علي بن ابي طالب وهو من ثقات آل البيت وفضلائهم وله ترجمة واحتج له اصحاب السنن قال اتيت عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال لي اذا كان لك حاجة فارسل الي او اكتب لي كتابا تعلمني فيه بحاجتك فاني استحيي من الله ان يراك واقفا على بابي كما هو العادة لمن اتى باب عظيم ان يقف حتى يؤذن له وهذا تعظيم منه لآل البيت لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وعن الشعبي عامر بن شرحبيل كما تقدم وهذا رواه الحاكم والبيهقي وصححه قال صلى زيد بن ثابت بن قيس بن شماس الانصاري الصحابي المشهور رضي الله عنه وقال البرهان زيد بن ثابت الكلبي على جنازة امه اي ام زيد والجنازة بفتح الجيم وكسرها الميت او التابوت وامه هي النوار بنت مالك بن معاوية بن عدي بن عامر الانصارية ثم قربت له بغلته ليركبها فلما ركبها فجاء ابن عباس رضي الله عنهما واخذ بركابه اي امسكه ليركب او مشى معه ماسكا ركابه فقال زيد لابن عباس خل عنه اي دع الركاب وتباعد عنه يا ابن عم رسول الله يعني انه لا ينبغي مثله بآل البيت لتعظيمهم وتكريمهم اللازم لكل احد فقال ابن عباس مجيبا له هكذا نفعل بالعلماء اي مثل هذا التعظيم نعظم به علماءنا

فقبلها يد ابن عباس تعظيما له وحيازة الاكرام فقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم وقول الصحابي امرنا كما بين في مصطلح الحديث له حكم الرفع على كلام فيه ليس هذا محله والشاهد فيه تعظيمه آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحبتهم ورأى عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما احد ابناء ولد المشهور محمد بن اسامة بن زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث في صحيح البخاري وقال ليت هذا عندي بكسر العين وسكون النون او بفتحها والبا الموحدة الساكنة وروي بالوجهين والذي رجحوه الاول وهكذا اضبطه الحافظ العراقي وتمنى ذلك ليجله ويؤدبه ولم يكن عرفه حين راه فقيل له هو محمد بن اسامة فطاطا راسه اي خفضها واطرق حيا لمعرفته ونقر بيده الارض وهو متفكر متندما عليه وقال ابن عمر لو راه رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحبه كما كان يحب اباه اسامة وانما فعل وقال ذلك تعظيما لموالي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الاوزاعي الامام العابد الزاهد الحافظ صاحب المذهب الذي كان عليه اهل المغرب قبل اتباع مذهب الامام مالك سكن الشام حتى مات وهو منسوب للاوزاع بطن من حمير او من همدان او قرية وقد تقدم دخلت بنت اسامة بن زيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمها فاطمة وكانت تسكن المزة بالشام كما ذكره ابن عبد البر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمحرصة اسامة وزيد فان كلا منهما صحابي مشهور على عمر بن عبد العزيز وهو خليفة وقيل انها دخلت عليه وهو امير بالمدينة قبل خلافته في خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان والصحيح الاول لان هذه القصة ذكرها ابن عساكر وقد ارخه وان اسامة توفي بعزيته له بوادي القرى وخلفت بنته فاطمة بالمزة فلم تزل بها الى ان ولي عمر بن عبد العزيز فاتته ومعها مولى لها اي عبد يمسك بيدها لكبرها وضعف بصرها فلما راها عمر قام لها ومشى اليها تكريما وتعظيما لها لكونها من نسل موالي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جعل يدها بين يديه بان امسكها بدلا عن مولاها وتولى خدمتها ويداه في ثيابه اي مغشاة بكمه حتى لا يمس بدنه بدنها الاجنبية لتقواه ومشى بها حتى اجلسها على مجلسه اي على فراشه الذي كان جالسا عليه وجلس بين يديها كما يفعله الصغير مع الكبير تادبا منه واكراما وتعظيما وما ترك لها حاجة ذكرتها له الا قضاها ونجزها وكان قال لها ما حاجتك يا فاطمة قالت تحملني الى اخي تجهزها وحملها اليه فانظر رحمك الله الى الخليفة الراشد بن لم تمنعهم الخلافة عن قضا الحوائج للناس والتواضع لهم ولما فرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ديوانه الذي رتب فيه الوظائف للناس وهذا ما رواه الترمذي وحسنه جعل عطايا من بيت المال لهم فرض لابنه عبد الله وظيفة في ثلاثة الاف اي في الطبقة التي واحد منها ثلاثة الاف في السنة وفرض لاسامة بن زيد في ثلاثة الاف وخمسماية فقيل وظيفته من بيت المال في رتبة اعلى من ابنه عبد الله قال جواب لما عبد الله ابنه لابيه عمر رضي الله عنهما لم فضلته علي بزيادة عطائه فوالله ما سبقني الى مشهد اي محل

الربع الثاني

مشهده الناس من الجهاد وخدمة الدين التي ترتب الوظائف بقدرها وبالتقدم فيها فقال عمر له اي لابنه مجيبا له لان زيدا اباه كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابيك ٢ يعني نفسه فتقديمه انما هو لمحبة رسول الله لا لاستحقاقه لذلك وهو امر يقتضي التقديم وزيادة التكريم وهذا قيل انه تواضع منه كرمنه لموالي رسول الله صلى الله عليه وسلم والا فهو احب الى رسول الله لحديث عمرو بن العاص قلت يا رسول الله اي الناس احب اليك قال عائشة قلت من الرجال قال ابوها قلت ثم من قال عمر ولك ان تقول الاحبية تختلف فاسامة رضي الله عنه احبيته لكونه من خدمته المقربين له فلا ينافي كون عمر احب اليه من جهة ذلك الوجه فالتقرب منه على غيره ثم ان ما ذكره من الفرض المذكور يخالف ما في الاستيعاب انه فرض لاسامة خمسة الاف ولابنه ثلاثة الاف لكنه لا ينافي المقصود من القصة وهذا كله من الغرايب كما فصلوه فاثرت اي اخترت وقدمت حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبي بضم الحاء فيهما اي محبته او بكسرها بمعنى محبوبه على محبوبي وبلغ معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنهما فيما رواه ابن عساكر ان كابس بن ربيعة بن مالك بن لوي السامي البصري بسين مهملة من بني سامة بن لوي وكابس بكاف وبا موحدة بعد الف وسين مهملة وما قيل من انه بمثناة تحتية وانه صح في نسخة العرفي تلميذ المصنف تصحيف من ناقله وقول القرطبي ان المحفوظ فيه عابس الصحيح خلافه يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم بنوع من الشبه وابن التين والتربا فلما دخل عليه من باب الدار الفا والتعلى مقدر اي وجه له من احضره فلما دخل باب داره قام عن سريره تعظيما له وتلقاه وقبل بين عينيه تكريما لشبهه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان انس بن مالك اذا راه بكى لتذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم واقطعه المرغاب اسم ارض بمرو الشاهجان او قرية بهراة كانت ذات غلة كثيرة يرغب فيها وهو بكسر الميم وغين معجمة والنون موحدة قبلها راء مهملة والاقطاع ان يعطي الامام ارضا تمليكا ونحوه ويبوغه لمن هو اهل له وفي شرح احكام عبد الحق انه اسم نهر بالبصرة وما في القاموس مما يقتضي انه بميم مفتوحة مخالف لما نقله اهل اللغة كابي عبيدة في معجمه والظاهر انه لا وجه له وعبارته المرغاب ع وبمرو الشاهجان وبلد بهراة وبالكسر سبخ مالك بن حماد انتهى لشبهه صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم اي كل ما فعله من تعظيمه لمشابهته له والصورة ظاهر الوجه والانسان وصفته وصوره مضاف لما بعده مفعول او منصوب منون تمييز للتشبيه وروي ان مالكا هو ابن انس الامام المعروف لما ضربه جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ونال منه ما نال من تجريده من ثيابه واهانته وسبه وكان سببه انه بلغه انه يقول ان الايمان في بيعة الخلفاء ليست لازمة لان الناس يكرهون فيها فغضب لذلك ودعاه وحمل لمنزله مغشيا عليه من الضرب وانه مدت يده حتى خلعت من كتفه وجعفر كان واليا على المدينة من قبل عمه المنصور ودخل عليه الناس جوابا لما فافاق من غشيته فقال اشهدكم اني جعلت ضاربي اي الامر بضربي في حل بكسر الحا بمعنى حل من كذا اذا ابراه منه من عهدته فسئل ومن باشره

٢ واسامة احب اليه منكم م

بكى

بعد ذلك عن وجوهما قاله واستشاط حمقه فقال اني خفت ان اموت مما ضحك في وانتم
النبي صلى الله عليه وسلم في الدار الاخرة فاستحيي منه لما يلحقني من الخجل منه خوفا ان يدخل
بعض آله من اقاربه النار بسببي جزاء على ما فعله لان حق العبد لا يسقط الا برضاه
وان لم يرض يعذبه اسعد لا منه فلذا احاله حذرا من ذلك فلذا جزم بذلك واحتمال
ارضاء الله له وعفوه امر مخالف للظاهر فلا وجه للاعتراض على جزمه بذلك كما قيل
ولله در الامام النووي في قوله

ما قال لمتي او علقت منه منه ... ابراته لله شاكر بنته
والله ما طالبت عبدا بعده ... ولئن ظلمت رجوت واسع حلمه
اارى معوق مومن يوم الجزا ... او ان اسو محمدا في امته

وقيل ان المنصور الخليفة العباسي المشهور اقاده من جعفر اي امره ان يقتص لمالك
من جعفر فيضربه كما ضربه وشافهه بكلام في قصاص الضرب فقال اعوذ بالله والتجئ اليه
في الاعانة على عدم ما اريد وهو كناية في العرف عن عدم الرضا والله ما ارتفع منها
سوط عن جسمي في حال الضرب الا وقد جعلته في حل وابراته منه لقرابته من
رسول الله صلى الله عليه وسلم تقربا له بتعظيمه ومحبته وقال ابو بكر بن عياش بفتح العين
المهملة وتشديد المثناة التحتية واخره شين معجمة ابن سالم الازدي المقرئ احد الاعلام اختلف
في اسمه فقيل شعبة وقيل اسمه كنيته وشهرته تغني عن ذكره توفي سنة تسع وثلاثين ومائة في
جمادى الاولى وعمره ستة وتسعون سنة ولو اتاني ابو بكر وعمر وعلي في حاجة اي ذو عليها لبدات
بحاجة علي قبلهما وقدمه عليهما وقدمتها واثرته عليهما لقرابته من رسول الله صلى
الله عليه وسلم لشدة قربه وصهارته متقدمة ذاتي وعرضي وقربهما منه لا يبلغه ولان اخر من
السماء الى الارض هذا تمثيل لصعوبته حتى ان مخالفته عنده اشد عنده من انه يرفع الى السماء
ويرمى به منها الى الارض فينقطع ويتكسر جميع اعضائه وحزيمتي سقط احب الي من ان اقدمهما
عليه يعني لولا قرابته منه صلى الله عليه وسلم ما قدمته عليهما مع علمي بفضلهما عليه وانما
قدمه لما فيه من صلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاجل عين الف عين تكرم فتم الكلام
تقربوا كما اشرنا اليه وقيل لابن عباس كما رواه ابو داود والترمذي وحسنه ماتت فلانة
كناية عن امراة معينة كما بينه بقوله لبعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجيء بها
وقيل ميمونة وقيل زينب فسجد فقيل له اتسجد هذه الساعة اي في هذه الساعة
التي اخبرت فيها بهذه المصيبة والسجود يكون لشكر ونحوه فقال اليس قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا رايتم اية فاسجدوا اي امرا عظيما يدهمكم كالكسوف والخسوف
وجزم بعضهم بانها ميمونة خالة ابن عباس وهي احرى وحاشاه صلى الله عليه وسلم موتا بحسر ونزع
الرحمة من الارض وغضب الله وفي السجود والصلاة ما يدفع غضب الرب ولذا استحب بعضهم
الصلاة للخسوف والزلزلة واي اية اعظم من ذهاب ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
وعلق بانه امر عظيم يورث حزنا واسفا وكان ابو بكر وعمر يزوران ام ايمن مولاة النبي
صلى الله عليه وسلم ويقولان كان النبي صلى الله عليه وسلم يزورها فاقتديا به راجيا

ما

ما اجب واسمها بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصن بن مالك بن سلمة بن عمرو بن
النعمان كانت وصيفة لعبد الله بن عبد المطلب وتزوجها زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فولدت له اسامة وهاجرت الهجرتين وكانت اليه من ابيه وقيل كانت لاخته
فكان صلى الله عليه وسلم يحبها ويحب زوجها وابنها ويقول هي امي بعد امي فلذا كان يزورها
ويجلها وكانت تحبه وتحضنه وامنت به قبل بعثته لان امه ذهبت به لاخواله بني النجار
بالمدينة واقامت بها فكان اليهود يختلفون وينظرونه فسمعتهم ام ايمن يقولون هذا نبي
هذه الامة فوقر في قلبها انه نبي اول من امن ثم رجعت فماتت امه بالابواء فكفلها ابنا لذلك
فحضنته ام ايمن ولما وردت حليمة السعدية من بني سعد وهي امه من الرضاعة وهذا
الحديث رواه ابن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد هجرته بسط لها رداءه
لتجلس عليه اكراما لها لكونها امومة الرضاع وقضى حاجتها التي سالته قضاها فلما
توفي صلى الله عليه وسلم وفدت ارجاف وانه وقادمة من محل بعيد على ابي بكر وعمر في
خلافتهما لحاجة لها فصنعا مثل ذلك اي بسطا رداءهما لها واكرماها وقضيا حاجتها
تاسيا به صلى الله عليه وسلم ومحبة لمن احب واعترض عليه البرهان وقال ان التي قدمت
عليه بنت حليمة المسماة بالشيما وهي التي اسلمت لا حليمة كما ذكره الدمياطي وتبعه غيره لكن
رد عليه ذلك مغلطاي في مؤلف سماه التحفة الجسيمة في اسلام حليمة والحاصل انهم اختلفوا
في اسلامها وانها صحابية وانكره بعضهم وقال انه غلط من بنتها الشيماء فانها اسلمت وذكر ابن
عبد البر في الاستيعاب انها اتته صلى الله عليه وسلم يوم حنين فبسط لها رداءه وانه روى
عنها حديث ورد بانه لم يصح والذي اتته بنتها الشيماء بنت الحارث واسمها حذافة واما هي
فانها اتته في زمن خديجة فاعطاها اربعين شاة وجملا وانصرفت الى اهلها ولم يذكر اسلامها الا
ابن عبد البر اثبته وعدها في الصحابة وقال هي التي اتته بحنين وروى عنها عبد الله بن جعفر
وذكر في الوفا انها اسلمت هي وزوجها وبنتها ولم يهتد لسند المصنف فالمحظي له مخطئ والشاهد
فيما ذكره لما نحن فيه ان ابا بكر اكرمها وعظمها اقتداء به صلى الله عليه وسلم ومحبة لمن احبه
وهي في حكم الربيبة لانها امه من الرضاعة وهي في حكم القرابة وهذا مع ظهوره لم يفهمه من
قال معترضا على المصنف هذه القصة لا تدخل في هذا الفصل لانه معقود لتوقيره آله واصحابه
تكريما له وتعظيما وهذا انما هو من قبيل تعظيم النبي لنفسه لا لغيره وهذه غفلة منه عجيبة

فصل ومن توقيره صلى الله عليه وسلم وبره توقيره بتعظيمه

وبره مضاف الى المفعول بمعنى الاحسان والمراد به رعاية جانبه وصلته توقير اصحابه
وبرهم اي تعظيمهم والاحسان اليهم بالانس ونصرتهم وكل ما يليق بهم قولا وفعلا فان من اكرم
عظيما اكرم اتباعه والاصحاب جمع صاحب وتعريفه كما تقدم من راه صلى الله عليه وسلم مؤمنا
به ومات على ذلك وتفصيله في كتب الحديث والاصليين ومعرفة حقهم ٢ اي اتباعهم في اقوالهم
٢ والاقتداء بهم
وافعالهم فانه على هدى اضاءة في مشكاة الانوار النبوية فهم خير الناس ومجموعهم افضل
من مجموع من بعدهم واما كون كل فرد منهم افضل من كل فرد ممن بعدهم فصرحوا بانه لا يلزم
فقد يكون بعض التابعين افضل من بعض الصحابة واستدل لحديث امتي كالمطر لا يدرى

الكثير في ازمان اخره والمشاجرة بينه باعتبار النفع لا الفضيلة غير مسلم وبالجملة فكلهم عدول
مطلقا صغيرهم وكبيرهم **وحسن الثناء عليهم** اذا ذكروا مدحوا **والاستغفار لهم** اي الدعاء لهم
بالمغفرة والرحمة نحو رحمهم الله ورضي عنهم **والامساك** اي السكوت يقال امسك عن
ذكره اذا سكت وهو مجاز صار حقيقة فيه **عما** اي عن كل امر **شجر بينهم** اي وقع بينهم خلاف
ونزاع ماخوذ من الشجر المختلف المتداخل اغصانه بعضها في بعض وفي الحديث اياكم وما
شجر بين اصحابي **ومعاداة من عاداهم** كالخوارج والرافضة **والاضراب** اي الترك
والاعراض **عن اخبار المورخين** التي ينقلونها عنهم فانها تورث تنقيص بعضهم بما ينقلوه
وجهلة الرواة الذين رووا احاديث باطلة توذي لسوء الظن بهم **وضلال الشيعة** بضم
الصاد وتشديد اللام جمع ضال والشيعة كل فرقة تابعة لاحد وخصت بفرقة مخصوصة
تابعين لعلي وبالغوا فيه وقالوا ان الامامة حقه وحق بنيه دون غيرهم وهو من
اضافة الصفة لموصوفها اي الشيعة الضلة كالشيعة مع انه لا يفيد وحق بنوهم ان من
الشيعة فرقة غير ضالة او هي مقيدة للمعطوف والمعطوف عليه اعني قوله **والمبتدعين** فان
البدعة على اقسامها كما تقدم والمراد بهم المقيد بالفاسدة كالخوارج وبعض المعتزلة
القادحة صفة اخبار والقدح الذم والتنقيص بذكر ما يودي اليه **في احد منهم** اي
من الصحابة **وان يلتمس** اي يطلب واصله ادراك ظاهر البشرة كاللمس فتجوز به عن مطلق
الطلب **لهم فيما نقل من مثل ذلك** الامر المنقول عنهم في الاخبار المروية **فيما كان بينهم
من الفتن** كما وقع بين علي ومعاوية رضي الله تعالى عنهما **احسن التاويلات** والمحامل
لانها امور وقعت باجتهاد منهم لا لاغراض نفسانية ومطامع دنيوية كما يظنه الجهلة **ويخرج**
بضم اوله مجهول كقوله يلتمس ايضا **اصوب المخارج** بان يحمل على امر دنيا ولهما يخرجه
عن عدة من المعايب الى الحاقه بالمحاسن **اذ هم اهل ذلك** اي مستحقون فيما يحمل ما صدر
منهم على امور حسنة محمودة **ولا يذكر** مبني للمجهول **احد منهم بسوء** اي بامر قبيح **ولا يغمص
عليه امر** بضم الياء التحتية وسكون الغين المعجمة وصاد مهملة مبني للمجهول اي لا يعاب ولا
ينقص في امر من اموره يقال غمصه اذا احتقره وتنقصه وعابه ويجوز فيه ايضا اعجام
عينه من اغمض جفنه اذا اطبقه بعضه على بعض ثم استعير للتغافل والتساهل قال تعالى
الا ان تغمضوا فيه فالمعنى لا يحقر على الاول ولا على رواية ودراية **بل نذكر حسناتهم** المروية
من عباداتهم وزهدهم **وفضائلهم** الكثيرة من علمهم وكرمهم وحلمهم **وحميد سيرهم** من
انصافهم وعدلهم واصابة رايهم وعلو همتهم **ويسكت** مجهول **عما وراء ذلك** اي عن غيره
مما لا يليق بشرف مقامهم **كما قال** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الطبراني وابن اسامة
عن ابن مسعود **اذا ذكر اصحابي فامسكوا** عن الطعن فيهم وذكرهم لا
بما يوهم نقصا فيهم **وقال تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء الخ** بنص
خاتمة سورة الفتح الثناء عليهم كلهم وان الله وعدهم مغفرة واجرا عظيما منه وانهم من ابتدا
امرهم الى اخره نفع وخير كزرع تكامل شيئا فشيئا حتى تمت سنابله وعم نفعه والاية وما
فيها من التفاسير تذكيتنا مؤنته والذي يراد منها هنا ان من مدحه الله وبالغ في

مدحه

مدحه في كتبه المنزلة على رسله لا يحتاج لمدح فكيف يقدح فيه قادح لكن
افرد ائمة ابصار بالتكلم بمذهب **وقال** الله عز وجل في حقهم ايضا **والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار الاية** وفي هذه الاية مدح عظيم بالغ لهم في
المعنى وهم على طبقات ثلاث الاولى السابقون الاولون الذين صلوا للقبلتين وشهدوا
بدرا والذين اسلموا قبل الهجرة الثانية السابقون الاولون للبيعة وهم الانصار
اصحاب العقبة الاولى والثانية والثالثة الذين اتبعوا هولاء باحسان وهم اللاحقون
بالسابقين من اهل القبلتين ويشمل هولاء كلهم الثناء والوعد وقد فسروا افرادا اخر ليس
هذا محل تفصيله **وقال تعالى لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت
الشجرة** وهذه قصة الحديبية وما وقع فيها مما يغني شهرته عن ذكره **وقال تعالى
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية** هذه الاية نزلت في ناس من الصحابة
منهم انس بن النضر عم انس بن مالك كان تخلف عن بدر وكبر عليه ذلك فقال اول مشهد
لرسول الله غبت عنه والله لئن اراني الله مشهدا بعده ليرين الله ما اصنع فلما كانت
وقعة احد من العام القابل قاتل حتى قتل ومنهم حمزة وسعد بن معاذ وطلحة بن عبيد الله
حدثنا القاضي ابو علي هو ابن سكرة كما تقدم **حدثنا ابو الحسين** تقدم ايضا **وابو
الفضل وابو يعلى** احمد بن عبد الواحد البغدادي وقد تقدم **حدثنا ابو علي
السنجي حدثنا محمد بن محبوب** المعروف بالمحبوبي كما تقدم **حدثنا الترمذي** الحافظ
ابو عيسى صاحب السنن **حدثنا الحسن بن الصباح** هو البزار براء في اخره كما تقدم وهو
الحسن بن محمد بن الصباح ابو علي الزعفراني **حدثنا سفيان بن عيينة** تقدم ايضا **عن
زائدة** بن قدامة ابو الصلت الثقفي الكوفي الحافظ الثقة الحجة توفي غازيا بالروم
سنة ستين او احدى وستين ومائة واخرج له الستة **عن عبد الملك بن عمير** الكوفي
التابعي روى عنه الستة توفي سنة ست وثلاثين ومائة **عن ربعي** بكسر الراء المهملة
وسكون الموحدة **ابن حراش** بكسر الحاء المهملة وفتح الراء المهملة واخره شين معجمة
وما عداه خراش بخاء معجمة وهو ابو مريم العبسي **عن حذيفة** ابن اليمان باثبات الياء
وهو الافصح ويحذف وهو الصحابي المشهور **قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم** في حديث رواه الترمذي وابن ماجه **اقتدوا باللذين من بعدي** اراد بهم
الخلفاء الراشدين مطلقا وخص منهم **ابو بكر وعمر** لزيادة فضلهما وتقدمهما على غيرهما وهذا
الحديث اخرجه الحاكم وابن حبان ايضا وفي طرقه اختلاف في زيادة ونحوها واوله قال
حذيفة كنا جلوسا عنده صلى الله عليه وسلم فقال اني لا ادري ما بقائي فيكم فاقتدوا بالذين
من بعدي واشار الى ابي بكر وعمر واخرجه القضاعي بلفظ اقتدوا باللذين من بعدي ابي
بكر وعمر فانهما حبل الله الممدود ومن تمسك بهما فقد تمسك بعروة الله الوثقى لا انفصام
لها والمراد الاقتداء بهما اذا قاما مقامه في الخلافة وهو دليل على خلافتهما وعلى ان
قول الصحابي حجة مقدمة على القياس ومنهم من خصه بابي بكر وعمر واستدل بهذا
الحديث كما فصل في كتب الاصول **وقال** صلى الله عليه وسلم في حديث اخر رواه الدار

قطني وابن عبد البر في العلم من طرق اسانيدها كلها ضعيفة حتى قال ابن حزم انه موضوع
وقال الحافظ العراقي كان ينبغي للمص ان لا يورده بصيغة الجزم وما قيل من انه ليس
بوارد لان المص ساقه في فضل الصحابة وقد اتفقوا على جواز العمل بالحديث الضعيف
في فضايل الاعمال فضلا عن فضايل الرجال لا وجه له الا قوله اصحابي كالنجوم بايهم
اقتديتم اهتديتم فيه العمل بما نقلوه وقالوه من الاحكام وليس هذا من قبيل الفضايل
التي يجوز العمل فيه بما نقلوه وقالوه من الاحكام وليس هذا من قبيل الفضايل التي
يجوز العمل فيها بالضعيف فلو قال انه يعني الحديث الذي قبله وهو حديث صحيح يعمل به
ولذا اسا نعده كالمتابعة له ولو احزم به كان اقوى واحسن مما قاله وقال ابن الرومي

قوم اذا دجت الخطوب فانما ۞ اراؤهم في الحادثات نجوم
منها مصابيح في الدجى ومعالم ۞ فيها الهدى والخيرات رجوم

وليس هذا اصح ما نقله حديثا واحد الكاتبه عليه المص من قال بوجه الشبه ما نكر مع العلو
والشرف وعن انس فيما رواه البزار وابو يعلى مثل اصحابي زاد في المصابيح في امتي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كمثل الملح في الطعام اي فيها يطيب ويهوكل ما يفتقر اصلاحه بالملح ووجه الشبه الاصلاح
وان ضر كثير الملح واصلح قليله لدفع توهم ضرر كثرتهم قال لا يصلح بالطعام العامل ويجوز
بناؤه للمفعول ايضا الا به اي بوضعه فيه وهذا الحديث رواه ابن ابي حاتم من طرق مختلفة
وقال الحسن البصري قد ذهب ملحنا فكيف يصلح واصلاحهم ارشادهم وهدايتهم وحثهم على
الطاعات وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وخلافهم وبيان الشريعة وامور الدين فطلبنا
باتباعهم واقتفاء اثارهم ومن اشراط الساعة فساد العلما كما قيل

بالملح يصلح ما يخشى تغيره ۞ فكيف بالملح ان حلت به الغير

قيل فيه دقيقة وهي الاشارة الى الاعتدال وانهم امة وسط ولا يجوز بعده ولو قيل انه
اشارة الى قلتهم وسرعة انقراضهم كان اظهر فتامل وقال صلى الله عليه وسلم في حديث
تقدم الله الله اي اتقوا الله وكرره للحث والتاكيد وهو منصوب على التحذير بمحامل يجب
حذفه لقيام التكرير مقامه ولو لاه حسن اظهاره كما قاله ابن مالك وفي البسيط يجوز
اظهاره وقال الكرولي انه يجوز مع تثنيته لا تتخذوهم غرضا بعدي الظرف متعلق بالفعل في اصحابي
لا صفة غرضا والغرض الهدف الذي يرمى بالسهام والمعنى لا تذموهم وتطعنوا فيهم باسناد
امور قبيحة لهم فمن احبهم صان اعراضهم فبحبي احبهم اي فانما يحبهم لاجل محبتي لهم فحبهم
عين محبتي وبغضهم هو بغضي ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني
ومن اذاني فقد اذى الله اذية الله عبارة عن فعل ما لا يرضاه اذ معناه الحقيقي لا
يتصور في حقه فهو مشاكلة ومن اذى الله يوشك ليكن السين وقد تفتح يعني يقرب
ويسرع ان ياخذه ان يهلكه وليناسب له نفعه ويوشك يجوز رفعه وجزمه لان
من مقتضى طية او موصوله ورواه في المصابيح فيوشك بالفاء والرفع يتعدد برسيد
او هو مستانف دليل على الجواب وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم وغيره
لا تسبوا اصحابي فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا احد اسم جبل معروف اي بوزن

في سبيل الله مقدارا او زنه ذهبا ما بلغ اي ما وصل وساوى ثوابه ثواب مد
احدهم ولا نصيفه الذي يتصدق به من تمرا وشعير ودقيق ونحوه فيه من المبالغة ما
لا يخفى المد بضم الميم ربع صاع وهو اقل ما يتصدق به عادة وهو رطل وثلث عراقي
عند الشافعي ورطلان عند ابي حنيفة ودي بفتح الميم اي حداه وغايته كمد البصر ومداه
والنصيف لغة في النصف كثمين بمعنى ثمن وقيل النصيف مكيال دون المد اي المد الصدقة
وانفاقكم لله لا يبلغ اجره وموقعه عند الله اقل صدقتهم لسبقهم في الخير وخلوص نيتهم
بدون رياء منهم وقد انفقوا وهم في فاقة وقلة ومن بعدهم انفق الدنيا واسعة دارة
عليهم كما قيل رايت عبيد الله اكرم من بشر ۞ واكرم من فضل بن يحيى بن خالد

اولئك جادوا والزمان مساعد ۞ وقد جاد ذا والدهر غير مساعد ولمهاده
حدوقا دا والزمان هاذلي ۞ وجاد عفوا والزمان جاده ٢

والخطاب للموحدين من غير الصحابة ولمن يوجد بعدهم كما قيل او المراد باصحابه هنا
السابقون الاولون منهم كما قال تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل
اولئك اعظم درجة الاية فالاصحاب جماعة مخصوصون منهم واختلف في حكم من سبهم
هل هو كبيرة يعزر فاعله او كفر فيقتل وسياتي تفصيله وقال فيما رواه الديلمي
وابو نعيم في الحلية عن جابر من سب اصحابي فعليه لعنة الله والناس اجمعين والملائكة
اللعنة بمعنى الابعاد والطرد والمراد بعده من رحمة الله وهذا تمسك من قال بكفره
وقتله ومثله كثير في احاديث التهديد والتخويف حتى لا يتجرا عليه احد من الناس لا
يقبل الله منه اي ممن سبهم صرفا ولا عدلا في تفسيرها اقوال فقيل الصرف التوبة
وقيل التصرف في الامور وقيل التطوع وقيل الوزن وقيل الفدية وقيل المثل وقيل
ما تصرف فيه وقيل الزيادة والعدل قيل الفرض وقيل الفدية انه لا يجد في القيامة
من يفتدي به فان بعض المومنين قد يفتدى به الله بعض الكفار كما ورد في الحديث
وقال اذا ذكر اصحابي فامسكوا اي اذا ذكروا بسوء وغيبة فاتركوا ذلك ولا تخوضوا
مع الخائضين فيهم وقد تقدم هذا وبيانه وقال في حديث جابر الذي رواه البزار
والديلمي عنه صلى الله عليه وسلم ان الله اختار اصحابي على جميع العالمين اي فضلهم على
الناس كلهم وجعلهم خيرة خلقه عدا الانبيا كلهم سوى الانبيا والمرسلين فانهم
افضل منهم واختار لي منهم اي من الصحابة فضلهم على غيرهم من الصحابة ابا بكر وعمر
وعثمان وعليا في اختيارهم له بقوله فجعلهم خير اصحابي وافضلهم وفي اصحابي
كلهم خير اي فضل وتقوى فكلهم عدول كما في حديث خير القرون قرني ثم ثم وهذا
سبب ما حكاه فلا يجوز الانتقاد عليهم بما صدر عن بعضهم مما ادى اليه اجتهاده لما اوجب
القطع بانهم خير الناس بعد النبيين والمرسلين لما من الهجرة وترك الاهل والاوطان
وبذل النفوس والاموال في نصرة الدين وقتل الابا والابنا والمناصحة في الدين وقوة
الايمان واليقين وغير ذلك من المنح الالهية وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
الطبراني في اوسطه بسند حسن من احب عمر فقد احبني ومن ابغض عمر فقد ابغضني

خصه بذلك لما كان فيه من الشدة على امور الدين التي قد تورث حزازة في بعض
النفوس القاصرة ولانه تفضيله على ابي بكر وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
بغضه نفاقا لان رسول الله احبه وقدمه وارتضاه فقدم ارتضائه به بعض الى عدم
ارتضاء رسول الله كما قيل عن المرء لا تسل وسل عن قرينه نكتة من خص بغض ابي بكر
وعمر انهما جليساه وصاحباه وضجيعاه وقد ورد في حديث ان كل احد يدفن في تربة خلق
منها وهو يدل على انهما خلقا من طينة واحدة وليس بعد هذه المنقبة شرف اعظم منها
وقال مالك بن انس شيخ السنة وامام دار الهجرة وغيره من الائمة اشارة الى انه
لم ينفرد بهذا الاستنباط فانه سبق له ابن عباس كما نقله ابن تيمية في كتاب رد الرافضي
من ابغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء المسلمين حق الذي اخذ عنوة من الكفار
وهو مرصد للمسلمين فقدم نصيبه عقوبة له على ما فعله ذنبا اشارة الى انه يخرج بذلك
عن الاسلام ولذا حكم بعض المالكية بقتله ان لم يتب والفيء هنا شامل للغنيمة فان كلا منهما
يطلق على الاخر وان فرق بينهما الفقهاء واهل اللغة وفرقا رسما بحثنا في هذا ونحوه كالمسكين
والفقير اذا افترقا اجتمعا واذا اجتمعا افترقا وهو معنى بديع سمعته من شيخنا الزبادي
ونزع بنون وزاي معجمة وعين مبني للفاعل ويجوز جعله مبنيا للمجهول ايضا فعلى الاول
فاعله ضمير من ذكر او ضمير مالك وغيره وعلى الثاني نائب فاعله قوله بآية سورة الحشر وقيل
ضمير من ابغضهم وفيه نظر وفسر نزع بمعنى استدل واستخرج من الاية وعطف سبهم على البغض
عطف تفسيري لان البغض امر قلبي لا يطلع عليه وهذا اقوى امارة فلا يرد عليه ان
تعليق الحكم بهما يقتضي انه لا يكفي احدهما فيه وهو محل نظر كما قيل ومن فسر نزع ببعد من
الايمان بشاهد حديث الله الله في اصحابي الى اخره لم يصب واصل معنى النزع القلع
والخروج فيتجوز به عما ذكر فليس من النزوع عن الاوطان والتغرب كما توهمه هذا القائل
والاية المذكورة قوله تعالى وما افاء الله على رسوله الى قوله والذين جاءوا من بعدهم
يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين
امنوا ربنا انك رؤف رحيم ووجه الاستدلال بالاية انه جعل ما افاء الله على رسوله حقا
للفقراء المهاجرين والفقراء الذين تبوءوا الدار والفقراء الذين جاءوا من بعدهم مهاجرين
بعدما قوي الاسلام والتابعين لهم باحسان ممن اتى بعد المهاجرين والانصار الى اخر
الزمان وجملة يقولون الى اخره حال اي التابعين ربنا اغفر لنا ولاخواننا وهي حال
مقيدة فجعل شرط استحقاقهم قولهم ذلك ومن سبهم لم يقل لا تقتضيه محبتهم والشفقة
عليهم وانهم لا غل ولا بغض لهم فيهم حيث قالوا ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا وسيذكر
المصنف في اخر الكتاب ان الله بين ان هذا يقتضي كفرهم والكفار لا حق لهم في الفيء فلذا قال
وقال مالك بن انس من غاظه بظاء مشالة قيل وبالضاد ايضا وهي لغة فيه لا الالحاد
واختلف في الغيظ والغضب هل هما بمعنى او الغيظ اشد الغضب او الكمين في النفس
او الغضب للقادر والغيظ للعاجز اي من اغتاظ واحتد اذا ذكر اصحاب محمد عنده
فهو كافر لان من ابغضهم فقد ابغضه صلى الله عليه وسلم وبغضه كفر وهذا رواه

الخطيب

الخطيب البغدادي عن عروة الزبيري قال كنا عند مالك بن انس فذكر رجل ينتقص
الصحابة فتلا قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار الى اخره ثم قال
من اصبح في قلبه غيظ على اصحاب محمد فقد اصابته هذه الاية لانها صدرت بكلام التعليل
هي اما علة لما قبلها من تشبيههم بالزرع في النمو والاستحكام ثم ذكر انه انما شبههم ليغيظ
بهم الكفار فالمؤمن لا يكون عنده غيظ منهم او علة لقوله بعده وعد الله الذين امنوا
منهم قائما وعدهم ليغيظ الكفار بوعده لهم فكما جعل الله لا يغيظ بالصحابة مؤمنا من غيرهم
تخرج غيظ بعضهم على بعض لما اداه اليه اجتهاده قال عبد الله بن المبارك خصلتان
من كانتا فيه نجا من كل امر يشينه ويبغضه عند الله الصدق بان يتحرى الصدق في
جميع اقواله حتى يكون عند الله صديقا وحب اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كبيرهم وصغيرهم ٧ اصحابكم
حتى يقدمهم على نفسه واهله وليس هذا من كلام ابن المبارك بل هو حديث رواه ابن
مسعود عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى
الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدي الى الفجور وان
الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا وقد روي من
طريق اخرجناه ورتبت النجاة على ما ذكر من اسرار الله يطلع الله عليه من يشاء من خلص
عباده ومنهم ابن المبارك ولهذا قال به وقال ايوب السختياني المشهور من احب ابا
بكر فقد اقام الدين لان الدين استقام به في خلافته لرسول الله في اول الفتنة وفي
اول الهجرة وفي قيامه مقامه بعد وفاته وقد تزلزل الناس وارتد بعضهم وناصب
النفاق وانفرج الخلاف بين القول والعمل ونزل بهم ما نزل بالجبال لهاضها تحمل اعباء
الخلافة حتى قام الدين وقام من قام ومن احب احدا كان بعده وتخلق باخلاقه ومن
احب عمر فقد اوضح السبيل اي بين طريق الحق لمن اراد سلوك الطريق المستقيم
لانه بعده صلى الله عليه وسلم اظهر الدين واتم به الاقطار وفتح لاهله الاوطان
ففتح الفتوح حتى بلغ صيت الاسلام اقصى الارض كما في حديث الشيخين بينا انا نائم
رأيتني على قليب عليها دلو فنزعت منها ما شاء الله ثم اخذها ابن ابي قحافة فنزع بها
ذنوبا او ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم استحالت غربا اي دلوا كبيرا فاخذها
ابن الخطاب فلم ار عبقريا يفري فريه حتى ضرب الناس بعطن وهو تمثيل لخلافته
وكثرة فتوحاته ومن احب عثمان فقد استضاء بنور الله الذي اظهره الله فيه
ولذا لقب بذي النورين لما فيه من الكرم والحلم والزهد والورع والصبر على ما ابتلاه
الله به حتى لقي الله وهو راض عنه وكان اشد الناس حياء ومن احب عليا فقد
اخذ بالعروة الوثقى اي تمسك به لكونه عالما بعلم الحقيقة وكان بابا للذب عن حوزة
الدين لا يلحقه في الله لومة لائم وكونه بابا لمدينة العلم لمن احبه متمسك بالعروة
الوثقى اي بالحق والراي القويم الذي هو عروة لا تنفصم وهو استعارة مصرحة من
عروة الكلأ وهو ما له اصل ثابت والاطراف تستمر اذا سقطت الاوراق ومن
احسن الثناء يمدح الناس عن محبة خالصة فان الظاهر عنوان الباطن على اصحاب

محمد تعميم بعد التخصيص **فقد برئ** اى اسلم وخلص **من النفاق** المراد به معناه العرفى وهو مخالفة الظاهر للباطن مطلقا واصله اخفا الكفر واظهار الاسلام ويجوز ان يراد هذا والمراد بالثنا ثناء من غير غلو كغلو الشيعة **ومن انتقص** اى بعض **احدا منهم** بذمه وذكرما يشينه **فهو مبتدع** كما لفة السنة وابتداعه ما نهى الله تعالى عنه ورسوله وفى نسخة البعض ثم فسره بقوله **مخالف للسنة** اى لهديه وطريقته صلى الله عليه وسلم فى جميع اقواله وافعاله **والسلف الصالح** من الصحابة والتابعين **واخاف** اى اظن **ان لا يصعد له عمل** من اعماله الصالحة ان لا يقبله الله تعالى منه ويثيبه عليه ورفع الاعمال يعبر به عما ذكر وليس الخوف بمعناه الحقيقى وهو ضد الامن لعدم مناسبته هنا قال الراغب الخوف توقع مكروه عن امارة مظنونة او معلومة وفسر قوله ان خفتم شقاق بينهما لعرفتم انتهى **الى السما** لعدم تمسكه بالكتاب والسنة **حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سليما** من بغضهم مقتديا بالسلف الصالح **وفى حديث خالد بن سعيد** بن العاص بن امية بن عبد شمس الصحابى وهو ثالث او رابع او خامس من اسلم وبعض غيره وليس فى الصحابة من اسمه خالد بن سعيد غيره ولم يرد عنه حديثا فى الكتب الستة وهذا الحديث رواه الطبرانى وابن منده وما ذكره المص نقله البرهان الحلبى وقال غيره انه خالد بن عمرو بن سعيد فسعيد جده وذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب وذكر سبب اسلامه فى واقعة راها وخالد بن سعيد انكان غير المذكور انه لم تشتهر عنه الرواية فالحديث مرسل والظاهر هو المتقدم واول هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم لما قدم من حجة الوداع المدينة صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس **انى راض عن ابى بكر فاعرفوا ذلك** اى رضاى عنه فى صحبته له وانه لم يال جهدا فى خدمته ولم يفارقه فى حياته ومماته ولم ير منه الا ما يسره وفى تقديمه وافراده بالذكر وعدم تشريك له مع غيره ما يدل على خلافته له وفضله على سائر الصحابة وهو صريح فيه الا عند من ختم الله على قلبه وسمعه **ايها الناس انى راض عن عمر وعن عثمان وعن على وعن طلحة والزبير** بن العوام **وسعد** بن ابى وقاص **وسعيد** ابن زيد بن عمرو بن نفيل **وعبد الرحمن بن عوف** الزهرى **فاعرفوا ذلك** اى كونى راض عنهم **لهم** والمراد بمعرفتهم رعاية حقوقهم وتوقيرهم ومحبتهم والواو لا تدل على الترتيب وان كان اهل السنة على تقديم ابى بكر ثم عمر بالاتفاق واختلفوا فى عثمان وعلى ايهما افضل والمشهور تقديمه عندهم لكن الذى عليه اعتقاد السلف واعتقادنا ما ذكر تقديمه الصحابة وتشهد به **ايها الناس ان الله قد غفر لاهل بدر** كلهم جميع ما صدر منهم لحضورهم اول مشهد اعز الله به الاسلام والمسلمين وبدر اسم موضع معروف سميت باسم رجل حفر بيرها كما تقدم **والحديبية** بتشديد اليا وتخفيفها وهى اسم مكان قريب من مكة من الحرم او خارجه او بعضه منه اقوال وبه الشجرة التى كان تحتها بيعة الرضوان وقصتها معروفة فى السير وقد تقدم ذكرها **ايها الناس احفظونى** اى احفظوا حقى وقدر كبير رعاية ما يجب منه

كما تقدم

كما تقدم تفصيله **فى اصحابى** اى وحفظ حقوقهم وبتحقق بحفظ اصحابى ومحبتهم وتوقيرهم وان من بغضهم بغضنى ولم يحفظنى ثم خص بعد التعميم احتياطا وحثا بقوله واصهارى **واختانى** الاصهار جمع صهر بكسر فسكون قال الجوهرى هو اهل المراة عن الخليل قال ومن العرب من يجعل الصهر من الاحما والاختان جميعا والختن بفتحتين واحد الاختان كل من كان من قبل المراة كالاب والاخ وعند العامة ختن الرجل زوج ابنته وكل شى من قبل الزوج حمو وفيه لغات مشهورة فالمراد بهما من بينه وبينه علاقة بتزويجه او التزوج منه **لا يطالبنكم** معاشر الناس اجمعين اى لا يكون لاحد منهم عليكم حق يستحق ان يطالبكم به ويدعيه عليكم **احد منهم** اى من المذكورين من اصحابى واقاربى **بمظلمة** بكسر اللام وفتحها وهى ما يوخذ ظلما وجورا فيطالب به ويشتكى ممن اخذه والكسرة فيها اكثر واشهر **فانها مظلمة** اى حق للعبد اخذ منه ظلما **لا توهب فى القيامة غدا** اى لا يهبها الله لانها حق العبد ما لم يرض صاحبها لا يتركه وفى لفظ غدا اشارة الى قرب اليوم الذى يواخذ فيه العباد ترهيبا لهم وتخويفا **وقال رجل للمعافى** بفتح الفا والعين **ابن عمران** ابو مسعود الازدى الموصلى احد الاعلام المجتهدين كان يقال له ياقوتة العلما توفى سنة خمس وثمانين ومائة واحتج له البخارى وغيره والقائل له لا يعرف **اين عمر بن عبد العزيز** الخليفة العابد الزاهد العادل **من معاوية** ابن ابى سفيان رضى الله تعالى عنه اى ايهما افضل وحضهما بالسوال لانهما اموايان فان مذهب انه فى الفرق بينهما **فغضب** على السائل لما لاح عليه من تفضيله لابن عبد العزيز نظرا لظاهر الحال **وقال لا يقاس** اى لا يسوى فضلا عن التفضيل **باصحاب النبى صلى الله عليه وسلم احد** وفى نسخة على اصحاب النبى ربى من يتعدى بالبا وعلى وقد تعدى بالى لما فيه من معنى الجمع والضم قال المتنبى

بمن تضرب الامثال ام من اقيسه الى البلى واهل الدهر دونك والدهر

ثم اشار لفضل معاوية على غيره بقوله ثم اشار لفضل معاوية على غيره لقوله **معاوية صاحبه وصهره** لانه اخو زوجته ام حبيبة بنت ابى سفيان ام المومنين **وكاتبه** لما نزل من احد كتابه صلى الله عليه وسلم **وامينه على وحيه** لانه بعدما استكتبه كان يكتب ما نزل عليه من الوحى ولولم يبنا منه ما استكتبه الوحى وكذلك بعده منقبة لم ينل عمر بن عبد العزيز واضرابه وابن العاص ما صح عند بر دما يقال انه لم يكتب له شيا من الوحى وانما كان يكتب كتبه الى الاطراف ولم يذكر فضل معاوية لقرب نسبه من رسول الله صلى الله عليه وسلم لان ابن عبد العزيز شاركه فى ذلك وروى ان عمر سمع مثله فقال لغبار غزوة غزاها معاوية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من عمر وال عمر وروى الترمذى عن جابر وضعفه انه صلى الله عليه وسلم **اتى** بالبنا للمفعول **بجنازة رجل** بفتح الجيم وكسرها الميت ونعشه او فوق لفرق وكحكه وقد تعكس **فلم يصل عليه وقال كان هذا الميت يبغض عثمان فابغضه** فلذا لم يصل عليه لان صلاته على الميت دعاله وشفاعة له تحرم من ذلك والعياذ بالله تعالى وفى نسخة **فابغضه الله**

خيرا ودعا عليه ليس في هذا الحديث نهي عن الصلاة حتى تقتضي كفره كما توهم لجواز ان لا
يصلي هو ويصلي غيره كما في المديون وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان
في الانصار اي في حقهم والوصية بهم وقيل في شانهم وفضلهم اعفوا عن مسيئهم اي عمن
وقع منه اساءة ما واقبلوا من محسنهم كل ما احسنوه بحذف مفعوله تعميما وفي البخاري
اوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين والانصار اسم حديث له في الاسلام وهم الاوس
والخزرج والتجاوز عن مسيئهم في غير الحدود وحقوق الناس ومما ذكر بعض من
حديث رواه الشيخان ففي البخاري عن انس بن مالك ان ابا بكر والعباس مرا بمجلس
من مجالس الانصار وهم يبكون في مرضه صلى الله عليه وسلم فقالا ما يبكيكم قالوا ذكرنا
مجلسه صلى الله عليه وسلم منا فدخلا عليه صلى الله عليه وسلم واخبراه بذلك فخرج وقد
عصب على راسه حاشية برد فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك فحمد الله صلى الله عليه
وسلم واثنى عليه ثم قال اوصيكم بالانصار فانهم كرشي وعيبتي وقد قضوا الذي عليهم وبقي
الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم وهذا تمثيل لان الكرش يجمع الغذا
الذي به حياة الحيوان ونماؤه ويقال لفلان كرش منثورة اي عيال كثيرة والعيبة
بفتح العين المهملة ما يحرز فيه المتاع يريد انهم موضع سره وامانته قال ابن دريد وهو
من موجز الكلام الذي لم يسبق اليه وقيل الكرش بمنزلة المعدة والعيبة مستودع الثياب
والاول امر باطن والثاني ظاهر فضرب به مثلا لاختصاصهم باموره الباطنة والظاهرة
وهو تشبيه بليغ او استعارة واراد بما عليهم نصرته وقضاءها بيوم عقبة وما لهم
الجزاء في الدنيا والاخرة وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الديلمي عن عياض
الانصاري وابن منيع عن انس احفظوني في اصحابي واصهاري تقدم بيانه فانه
اي الشان من حفظني فيهم برعاية حقوقهم واكرامهم حفظه الله في الدنيا والاخرة
حفظه في الدنيا مما يسوءه وتوفيقه لترك المعاصي وفي الاخرة من العذاب والعقاب
ومن لم يحفظني فيهم بترك ما مر تخلى الله عنه اي اعرض عنه وتركه في عميا ستدراجا
له ومن تخلى الله عنه يوشك يسرع ويقرب ان ياخذه اخذ عزيز مقتدر بان
يهلكه ويستاصله مستعار من الاخذ المعروف وقوله تخلى الى اخره اخبار عما يترتب
وكونه انشا للدعا عليه ياباه السياق فما قيل انه اقرب ليس بشي ولهذه الزيادة ذكره
المص وان تقدم وعنه صلى الله عليه وسلم في حديث رواه سعيد بن منصور عن
عطا مرسلا من حفظني في اصحابي برعاية حقوقهم كنت له حافظا يوم القيمة
اي مما لم يخافه من هول المحشر وما يسوءه فيه وقال صلى الله عليه وسلم كما رواه الطبراني
بسند ضعيف من حفظني في اصحابي ورد على الحوض اي وصل اليه وشرب منه حتى لا
يظما بعده ومن لم يحفظني في اصحابي بتضييع حقوقهم وعدم محبتهم ورعاية ذريتهم
لم يرد على الحوض ولم يرني الا من بعيد فلا يقرب منه صلى الله عليه وسلم لان من
ابغض الصحابة مقته الله فاستحق الطرد عن الحوض وعدم شفاعته صلى الله عليه وسلم
وفوت بركته وعنايته في مثل ذلك اليوم الشديد الهول قال مالك امام دار

الهجرة ونجم السنة رحمه الله وهذا النبي صلى الله عليه وسلم عبر باسم الاشارة المعربين
لانه كحضوره في قلبه وذهنه قد رتبه كانه بين يديه واي منة الذي هدانا الله به موذب الخلق
لخير الدنيا والاخرة والضمير للناس كلهم وجعله رحمة عامة للعالمين وجميع المخلوقين
يخرج في جوف الليل اي فيه شبهه بالجوف وهو داخل البدن وعبر بالمضارع لحكاية
الحال الماضية الى البقيع اسم موضع بظاهر المدينة واصله اسم كل مكان متسع فيه
شجر العضاه كان به شجر الغرقد وصار مقبرة لاهل المدينة المنورة وانما كان يخرج
له ليناجي ربه مختليا عن اهله فيدعو لهم اي لمن بتلك المقبرة منهم ويستغفر كالمودع
لهم كانه يودع من ترك الجبانة لعلمه بقرب اجله ومفارقته زيارتهم وبذلك امره
الله اي امرهم بان يدعو لامته اولا مواتهم ويستغفر لهم ومنه دليل على شدة محبته
لهم ينبغي علينا ان نتابعه في ذلك وامرها لنا بالجهود النبي اي امره الله بمحبتهم لله وهوا لانهم
اليها ونتهم ونصرتهم كما امروا بذلك ومعاداة من عاداهم من الكفرة والمنافقين
وهو اشارة لما رواه مسلم عن عائشة انه صلى الله عليه وسلم كان في ليلتها يخرج اخر
الليل الى البقيع ويقول السلام عليكم دار قوم مومنين وانا بكم ان شاء الله لاحقون
اللهم اغفر لاهل بقيع الغرقد وكان لما خرج خرجت وراءه مستخفية منه فاحس بذلك
وسالته عما صنع ان جبريل اتاني ونادى ولم يدخل عليك ولم اوقظك خشية ان
تستوحشي فقال ان ربك يامرك ان تاتي اهل البقيع فتستغفر لهم فقلت كيف اقول لهم
فقال تقول السلام على اهل الديار من المومنين والمسلمين ويرحم الله عز وجل المستقدمين
منا والمستاخرين وانا بكم ان شاء الله للاحقون ومما اشار اليه مالك رحمه الله
وقيل انه اشارة الى قوله تعالى فاعف عنهم واستغفر لهم فان امره بذلك فنحن احق
به الظاهر فما قدمنا وقال كعب الاحبار التابعي المشهور وهذا رواه عنه ابن
سعد بلفظ ليس يوجد له نبي احد من اصحاب محمد وهذا مما يروى عنه
صلى الله عليه وسلم فهو مرسل وهو مما قراه في الكتب القديمة لانه كان عالما بها الا
وله شفاعة في غيره من المومنين يوم القيمة وفيه تكريم لهم وما تقتضي محبتهم
رجا شفاعتهم فينبغي احبهم وطلب اي كعب الاحبار وهذا دليل على صحة اعتقاده ابن الحارث صح
لما قاله وانه كان محبا لهم متوجيا لشفاعتهم من المغيرة بن نوفل بن عبد المطلب
ابن هاشم القرشي الذي ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة وكان
من انصار علي رضي الله تعالى عنه وقيل انه لم يدرك من حياة رسول الله الا ست سنين
وكان قاضيا في خلافة عثمان وعد من الصحابة وطلب كعب منه ان يشفع له يوم القيمة
بدل عليه ونوفل والده هو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم والحارث جده لم يدرك الاسلام
وهذا ما ذكره البرهان ومن تبعه وقال التلمساني نوفل والده هو ابن معاوية ابن عروة الدولي
من كنانة سمع النبي صلى الله عليه وسلم ومات في زمن يزيد بن معاوية وقد بلغ المائة كما قاله الواقدي
وقال البرهان الحلبي الحارث بن عبد المطلب قال ابن عبد الغني المقدسي انه لم يدرك الاسلام
واسلم من اولاده اربعة نوفل وربيعة وابو سفيان وعبد الله ونوفل اسن اخوته واسن من

اسلم من بني هاشم ولم يذكر المغيرة فيهم ومنهم من جعل المغيرة اسم ابي سفيان والصحيح انه غيره
ولم يتعقبه ابن الفتح اليعمري حيث ذكره وقال الذهبي في التجريد ابو سفيان اسمه المغيرة
قاله ابن المغيرة ولم يتعقبه وقال سهل بن عبد الله التستري لم يؤمن بالرسول
انما كان كاملا من لم يوقر اصحابه بتعظيمهم ومحبتهم ولم يعز من اعزه اذا نصره وقواه
واجله عن ان يجله معظما اوامره جمع امر وقد تقدم الكلام قبل هذا ويقتضي ان
سب الصحابة وتنقيصهم كفر وقيل انه كبيرة قال الزركشي وينبغي ان يقيد الخلاف بغير
من جعل ذلك لكونهم صحابة لا لامر اخر وهو مقتضى مذهبنا ايضا وفي منظوم ابن وهبان
اخاف على من قال انقص عالما من الكفر اذ لا مقتضى الكفر يظهر وسبا في تفصيله ٥

فصل ومن اعظامه واكباره اعظامه واكباره بمعنى تعظيمه وتكبيره
واجلاله وفي القاموس اعظمه فخمه وكبره واستعظمه رآه عظيما اي من تفخيم الذي بين هذا واجلاله
على الموضوع اعظام جميع اسبابه قيل هو بالمعنى العرفي وهو كل ما نسب اليه من قرابته
ولباسه وما لا روح له كعبيده ودوابه وقال الراغب السبب الحبل الذي يصعد به النخل قال
تعالى فليرتقوا في الاسباب وسمي كل ما يتوصل به سببا وتسمي العامة والحمار والثوب
الطويل سببا لتشبيهها بالحبل في الطول انتهى واكرام مشاهده جمع مشهد وهو محل الشهود
اي الحضور من المشاهدة وهي الادراك بالبصيرة والبصر ومشاهد الحج من مواضع النسك
وامكنته جمع مكان عطف تفسير من مكة والمدينة بيان للامكنة فالمراد به مناسكه ومحل
اقامته لا مطلق المكان ومعاهده اي المحال اللاتي عهد الفه لها من المواطن التي يصلي
عندها ومحل صلاته في المساجد والاماكن المباركة ومنازله وما لمسه بيده او بغيره
من اعضائه كالحجر الاسود والركن اليماني والعمد والمس المتقاربان او عرف به كالاماكن
التي جاهد فيها والغار الذي دخله وروي عن صفية بنت نجدة في الحواشي التلمسانية
ان هذه المرأة زوج ابي محذورة وقد روى عنها ايوب بن ثابت وروت هي عن زوجها
ابي محذورة واختلف في اسم ابيها نجدة فقيل انه بنون مفتوحة وجيم ساكنة ودال مهملة
وهاء وقيل بجداه بدال مهملة بعدها الف وقيل بحراه براء مهملة بدل الدال وان الصواب
بحره بموحدة مفتوحة وحاء وراء مهملتين وهاء قالت كان لابي محذورة بحاء مهملة
وذال معجمة قبلها حاء مهملة وبعدها راء مهملة وهاء بزنة اسم مفعول وهو محذورة بن
معير بجيم مكسورة وعين مهملة ساكنة ومثناة تحتية مفتوحة وراء مهملة وقيل معين بنون
بدل الراء ابن لوذان بفتح اللام وضمها وواو وذال معجمة القرشي مؤذن رسول الله صلى
الله عليه وسلم بمكة ولم يزل الاذان فيه وفي عقبه واختلف في اسمه اختلافا كثيرا فقيل سمرة وقيل
اوس وقيل سلمان وقيل سلمة وهو جمحي صحابي توفي سنة تسع وخمسين او سبعين واخرج له
مسلم واحمد واصحاب السنن قصة بضم القاف وتشديد الصاد وهي خصلة من شعر
الراس في مقدم راسه مما يلي وجهه من الناصية سميت بها لانها مما يقص وقال ابن دريد
كل خصلة من الشعر قصة وقال الجوهري هو شعر الناصية وسبب توفيرها ان رسول الله
مسحها بيده وابقاها تبركا بمسه وهو محل اثاره وكان لما قدم رسول الله صلى الله عليه

وسلم مكة واذن له بها وهو مع فتية من قريش سمعوا الاذان فاستهزؤوا وجعل ابو
محذورة يحاكي الاذان استهزاء فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر باحضاره
فلما مثل بين يديه ظن انه مقتول فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصيته وصدره
بيده قال فامتلأ قلبي يقينا وايمانا وعلمت انه رسول الله فاسلم وعلمه رسول الله
صلى الله عليه وسلم الاذان وامره ان يؤذن لاهل مكة وهو ابن ست عشرة سنة فكان مؤذنهم
حتى مات اذا قعد وارسلها اي حل عقصها وسدل شعرها اصابت الارض اي
وصلت اليها لطولها فقيل له اي قال الناس لابي محذورة الا تحلقها بكسر اللام مضارع
حلق الشعر بفتحها والا للعرض والاستفتاح فقال لم اكن بالذي احلقها وقد مسها
رسول الله بيده فابقاها تبركا بما مسه بيده وبهذا زالت الكراهة وان قيل بها في
غيره وفي حديث رواه ابو يعلى قال كانت في قلنسوة خالد بن الوليد بن المغيرة
الصحابي المخزومي المشهور والقلنسوة ما يوضع على الراس تحت العمامة وتسمى شاشية
وضعا ويقال قلنسية وهو بفتح القاف وضم السين وكسرها فتحية لغات شعرات
من شعره صلى الله عليه وسلم جعلها في داخله تبركا بها فسقطت قلنسوته عن راسه
في بعض حروبه قيل هو في غزاة اليمامة في خلافة ابي بكر رضي الله تعالى عنه فشد اي
رجع لاخذها وهو بعد وعد واشد بعد اسرها فقال شد اذا حمل حربا فعليها اي
كأن راعيها ليأخذها خوفا من ضياعها شدة اي كرة قوية انكر عليه اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم رجوعه لاجل عمامة لظنهم انه حرص عليها لكثرة من قتل فيها اي في
شدته هذه ممن رجع معه بجانب العدو وبسببه وكثرة مضروب مقتول لك او هو مقتول
لاجله فقال لم افعلها اي هذه الشدة والكرة بسبب اخذ هذه القلنسوة كما
ظننتم بل فعلته لما تضمنته اي لما في ضمنها وداخلها من شعره صلى الله عليه وسلم
بفتح العين وسكونها لئلا تسلب بالبناء للمجهول ونائب فاعله بركتها وتسلب بمعنى تذهب
بركتها مني وذلك امر عظيم يخاطر بالارواح لاجلها ويحتمل انه من السلب بمعنى اي اخذها
العدو وتقع في ايدي المشركين الذين لا ينبغي ان يكون عندهم اثار رسول الله صلى الله
عليه وسلم وروي مبني للمجهول بهمزة قبل الياء اخره ابن عمر واضعا يده على مقعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم اي موضع قعوده من المنبر وضعها على وجهه اي مسحه بها تبركا
بمس ما مس جسده وثيابه وهذا رواه ابن سعد وهذا يدل على جواز التبرك بالانبياء
والصالحين واثارهم وما يتعلق بهم ما لم يؤد الى فتنة وفساد عقيدة وعلى هذا يحمل ما روي
عن ابن عمر من انه قطع الشجرة التي وقع تحتها البيعة لئلا يفتتن بها الناس لقرب عهدهم
بالجاهلية فلا منافاة بينهما ولا عبرة بمن انكر مثله من جهلة عصرنا هذا ووقع مقدما في
بعض النسخ ولهذا اي للتبرك باثاره كان الامام مالك لا يركب بالمدينة دابة فيما
ونحوها ما ركب رجالا ان يطأ جسده ترابا مشى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما ذكره
ايضا بقوله وكان يقول اذا سئل عن ذلك استحيي من الله اي اخشاه واهابه ان اطأ
تربة اي ارضا ذات تراب بسبب الوطء له مع انه للدابة لانه منسوب له فيها رسول الله

صلى الله عليه وسلم بحافر دابة الفرس ونحوها كالخف للبعير والقدم للانسان
ثم بين انه عدم ركوبه لم يكن لكونه ليس له دواب بل لتعظيمه صلى الله عليه وسلم فقال وروى
عنه اى عن الامام مالك انه وهب للامام الشافعي لما كان بالمدينة ضمن ذهب
معنى الهدى نعداه بالام وهو متعد لاثنين بنفسه كراعا بوزن غراب وهو جمع
من الخيل وله معان اخر تطلق على الخيل والسلاح وما اسدف من الساق واسم
موضع كثيرا وهو يدل على كرمه واجلاله للامام الشافعي كان عنده اى في ملكه
وحيازته فقال له الشافعي جميع دوابه امسك منها دابة اى ابقها
عندك لتركبها فاجابه بمثل هذا الجواب الذي اجاب من تقدم بانه يستحيى من
الركوب بالمدينة وقد حكى ابو عبد الرحمن السلمي بضم السين وفتح اللام الامام الجليل
شيخ الامام القشيري صاحب الرسالة عن احمد بن خضرويه بضم اللام وسكون البا ويجوز
ضم اللام وسكون الواو وفتح البا وهو طريقة المحدثين يقولونه كراهة من لفظه فانه
كلمة تدل على مكروه كالويل وقال الهروي انه كلمة تصغير عند عوام البصرة الزاهد وكان
من الرماة الغزاة كان ملازما همة في سبيل الله مجيد الرمي بالسهام ملازما للمجاهدة
بها انه لما مست القوس بيدى ولمسته حال الرمى وغيره الا على طهارة اى متوضئا
منذ بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ القوس بيده اى امسكها وهو كناية عن الرمى
بها وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم حث على الرمى وامر به فهو سنة ففي صحيح مسلم عن عقبة بن عامر
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن
رباط الخيل الا ان القوة الرمى وكررها ثلاثا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يدخل بالسهم الواحد
ثلاثة نفر صانعه والرامي به ومنبله اى مناوله النبل ليرمى بها وصح انه صلى الله عليه
وسلم رمى بالسهام في غزوة احد وكان له قسى ست مذكورة في السير انه قيل ان تخصيص
الطهارة بمس القوس دون السيف وغيره مما مسه وتعظيمه انه يرى غيره من الات الحرب
لما فيه من دفع عنه دون مشقة كما في غيره ولذا كانت العرب تشبهها رسل المنايا وما نقل
انه يحتمل انه كان يفعل ذلك في كل نوع من الالات لا لاستبعاده لفظه وقد افتى مالك تربة
المدينة اى ارضها وترابها لمن يجعل فيها غير طيبة بان وبا منتفية العوى ورديه مهموز
وغير مهموز ماخوذة من الردى بضرب ثلاثين درة بكسر الدال وتشديد الراء المهملتين
وهي الة من جلد غليظ يضرب بها معروفة وفي الكلام اى وقال انه يضرب او يضرب بدل
من اثنين وامر بحبسه تعزيرا له وكان الذي حبسه له قدر عظيم وشرف بين الناس وذكر
هذا لان التعزير يختلف حاله بحال من عزر ففيه اشارة الى انه اذنب ذنبا عظيما اذ لو كان
امرا سهلا صدر ممن شريف لعزر باللسان والزجر وجرد الى هذا الشان بقوله وقال
الامام مالك ما احوجه بحبسه من استحقاقه العقاب اشدها شمله وفيه تجوز لانه جعل
استحقاقه مقتضى ما صدر عنه كانه له حاجة اليه لان العاقل لا يفعل ما لا يحتاج اليه ففيه
تهكم به يؤدي الى عدم شعوره بمصالحه الى ضرب عنقه اى الى القتل تربة وارض
دفن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعم انها غير طيبة اى ردية منتهية العوادات

وبا وهي وان كانت ذات حمى قبل الهجرة فقد دعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
بنقل حماها وعفونة هوائها الى الجحفة فصارت معتدلة طيبة كما هو مشاهد فيها
وعبر بيزعم للاشارة الى انه قوله باطل وان كان الزعم يجيء بمعنى القول ولذا قيل الزعم
مظنة الكذب وهذا مبالغة وزجرة ودافع لتنقيص ما هو من افضل الاماكن عند
الله وان كان يحمل على محمل اخر من ان بعض اماكنها سباخ ولكونها كانت ذات وبا لما
قدم الصحابة لها واخذتهم الحمى قال صلى الله عليه وسلم اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة او
اشد اللهم بارك لنا فيها وصححها لنا وانقل حماها الى الجحفة فطابت وطابت تربتها حتى صار
ترابها شفاء من الجذام كما ورد في الاثار وقال البوصيري

لا طيب يعدل تربا ضم اعظمه ... طوبى لمنتشق منه وملتثم

وفي الصحيح اى الصحيح الذي رواه الشيخان عن انس انه صلى الله عليه وسلم قال
في المدينة اى في حقها وشانها من احدث فيها حدثا اى من فعل امرا قبيحا ابتدعه
فيها كالمظالم واصل الحدث كل ما حدث وتجدد ثم خصه العرف بما ذكر من البدع المنكرة
شرعا كما في النهاية ومن موصولة او شرطية او اوى بالمد ويجوز قصره اى ادخله وضمه
لاهلها يقال لوى الى كذا انضم اليه محدثا بكسر الدال اسم فاعل من احدث اى
ادخله جانبا واجارة ونصرة على خصمه وفتح دال محدثا يدل على انه بمعنى الامر المبتدع
وايواؤه الرضى به والتكلف لا حاجة فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا
يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقد تقدم تفسيره وانه للتغليظ في الزجر او ما ورد
كما قدمناه وفيه تعظيم المدينة لكونها مكانه لا يخفى ولها حرمة الحرم كما فصلوه في
حكي بالبناء للمفعول والذي حكاه ابن عبد البر ان جهجاه الغفاري من سعد بن
حرام قال الطبري كذا رواه المحدثون والصواب جهجا بلا هاء وقال الذهبي جهجاه بن
قيس وقيل ابن سعيد وهو مدني صحابي شهد بيعة الرضوان وبعض الغزوات وتوفي
بعد عثمان بسنة وسبب انه مات قبل الحول اخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم
والقضيب عصا قصيرة كان يمسكها في يده وكذا فعله الخلفاء من بعده عثمان رضي الله
عنه وتناوله منه ليكسره على ركبته كما هو معتاد في كسر ما يحتاج كسره لقوة فصاح
به الناس تعزيرا له وزجرا ليرتدع عما اراده فاخذته اى اصابته وحدثت به الاكلة
قال في القاموس انه بضم الهمزة وسكون الكاف فقد بعض اهل اللغة وما اشتهر من
مدها هنا خطا فيه نظر فقد روى الثعالبي في ثمار القلوب شعرا فيه ذكر الاكلة ولم
ينكره وهو ما نقل في مجاز الاصمعي

ومن انت هل انت الا امرؤ ... اذا صح نسلك من باهله

والباهل على جمره كناية لا كله الاكلة في ركبته لوضعه القضيب ليكسره عليها فقطعها
لان العضو المتاكل ان لم يقطع سرت اكلته للبدن واهلكته ومات قبل الحول الذي بعده
او قبل تمام الحول الذي فعله فيه وذلك انه مات عقبه كما تقدم والاكلة كالداء كل المرض يفسد
الاعضاء كالجذام معروف ويفهم من كلام القاضي ما يقتضي انه كسر القضيب وروى الطبري

في الرياض النضرة انه كسرها وانها عصاه لهبي مخالف لما ذكر لان القضيب في عصا
وكان هذا في الفتنة لما حصبه الناس وهو على المنبر فلما نزل اخذ الجهجاه العصا
التي كانت بيده وكان ممن نام عليه في قصته المشهوره وقال صلى الله عليه وسلم في
حديث رواه مالك وابو داود والنسائي وابن ماجة عن ابي هريرة من حلف على
منبري المراد بكونه على المنبر انه عنده ويجوز ابقاؤه على ظاهره بان يصعد عليه
ويحلف وقد نص عليه الشافعية وانه يجوز ان يعم صعوده ولكن الاصح الاول
وهذا في حياته صلى الله عليه وسلم يحلف على المنبر ان ما بينه وبين القبر الشريف
افضل بقعة بالمدينة بعد مرقده وما ضم جسده العظيم كاذبا فليتبوأ مقعده
من النار بتبوأ بمعنى يتخذه مباءة اي مقرا وهكذا يقال يبوأه اذا اسكنه وهو دعا
او امر اريد به الخبر وجعل استحقاقه العذاب بمنزلة حضوره وحضور محله فامر ان
يحله مقرا له على طريق التمثيل وهو من بليغ الكلام وبديعه الذي يعرفه من ذاق
حلاوة البلاغة والفصاحة وحدث بالبنا للمجهول ان ابا الفضل الجوهري وهو
هو عبد الله بن الحسن المصري الواعظ بجامع مصر في حدود السبعين واربعماية وكان
من العلماء الصالحين يتبرك به ويتفكه به في السلوك وانما هو كما في تاريخ الاندلس
عبد الله بن الحكم الرعدي الاندلسي ذو الوزارتين له فضل وحسب وفضل باهر
وادب عالم با والحديث والعربية وله شعر رايق ونثر فايق وارتحل للمشرق
وحدثنا عن ابن عساكر واكثر الرواية عنه وله رياسة في عصره صار بها كالمثل السائر
الى ان روت الايام ما وهبت فانقضت ايامه وذهب فيما لما خلع سلطانه فنهبت
امواله وكتبه ومات شهيدا رحمه الله لما ورد المدينة زايرا ودنى من بيوتها
ترجل ونزل عن دابته التي كان راكبها ودنا ومشى باكيا خضوعا وخشية وعليه شوقا
ومسرة فان من المسرة قد يحصل البكا منشدا انشاد الشعر وانه والمراد انه تمثل بذلك
الشعر من قصيدة المتنبي اولها

وقد بان لك منا وان زدت كربا ... لانك كنت الشرق للشمس والغربا

ومنها:

نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة ... لمن بان عنه ان نلم به ركبا

ولما راينا رسم من لم يدع لنا ... فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا

وهذه قليلة لانه في ديوانه وكيف عرفنا رسم الخ والقصيدة في مدح سيف الدولة
ولقد اجاد في تمثله به ونقله لمحل لا ينبغي به وتدخله المصراعين في قصيدة تبوية له
فقال بعده ... وقفنا باكناف الخيام نتحدا ... نقبلها طرا ونرشفها حبا

ونبدي سرورا والفؤاد يجيبها ... تقطع والاكباد ذوبها لهبا

اقدم رجلا بعد رجل مهابة ... واسحب خدي في مواطنها سحبا

واسكب دمعي في منازل حبها ... وارسل حبا في اماكنها السحبا

وادعو دعا البايس الواله الذي ... براه الورى حتى غدى شخصه شحبا

والرسم الاثر والدارسة والمراد الاثر صلى الله عليه وسلم في معاهده ومساكنه

والفؤاد

١٢٩

والفؤاد القلب او داخله والعرفان والمعرفة بمعنى واللب العقل والاكوار جمع كور
بضم الكاف وهو للابل بمنزلة السرج وبان هنا بمعنى بعد اي لا يليق به الركوب
لمن قرب من مقامه تادبا وتلم بايته لزيارته والالمام الاتيان قليلا ويكون بمعنى القرب
ومن قربان بمعنى ظهر لم يصب والركب اسم جمع لراكب ويختص بالابل وتدبيج وقد شرح
البيت هنا بعضهم بما يستحي من ايراده وحكي عن بعض المريدين والمريد صاحب
الارادة لغة والمراد به ما اصطلح عليه مشايخ الصوفية من طالب الحق على يد المرشد
الكامل بحمل ارادته ما عند الحق عنه انه لما اشرف اي قرب منها بحيث يراها واصل
الاشراف النظر من مكان عال ارتقى به لازمه على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم
انشا ارتجالا والانشا يكون بهذا المعنى وبمعنى الايجاد وابتدا يقول متمثلا التمثيل انشاد
شعر الغير في مقام يناسبه وهو من قصيدة لابي نواس بن هاني في مدح محمد الامين
الخليفة بن هارون الرشيد العباسي من قصيدة فجعله التمثل به لمدح النبي صلى الله عليه
وسلم لموافقة اسمه وهو نوع من البلاغة قريب من التضمين وهو ان يورد شعرا
لغيره في مقام يكون احق به من صاحبه ولم يتعرض له اصحاب البديع الا ان الامام
محمد التوزري اورده في كتاب العمرة اللاحجة واورد منه ما ذكره المصنف

رفع الحجاب لنا فلاح لناظر ... قمر تقطع دونه الاوهام

واذا المطي بنا بلغن محمدا ... فظهورهن على الرجال حرام

قربننا من خير من وطئ الثرى ... فلها علينا حرمة وذمام

واول هذه القصيدة

يا دار ما فعلت بك الايام ... لم يبق فيك بشاشة تستام

والمراد برفع الحجاب في كلام ابي نواس ستر ابواب الملوك والعظما وهو هنا بمعنى انقضا
المسافة القرب من المدينة والقمر الممدوح فيهما وتقطع ماض او مضارع
حذفت احدى تاييه تخفيفا والاوهام جمع وهم وتقطعها اضمحلالها بالنسبة وبالطر اسم فاعل
من نظرا وناظر العين وانسانها والمطي جمع مطية ناقة تمتطى اي تركب ولاح بمعنى بدا وظهر
ودونه بمعنى قريبا منه ويجوز في تقطع بنا وه للمجهول ايضا وقوله فظهورهن الى اخره جمع ظهر
وهو معروف والرحال بحا مهملة جمع رحل وهو للابل كالسرج للخيل وبجيم جمع رجل ذكر من
بني ادم والمعنى متقارب اي اذا وصلتهم لما صدهم كان لها حرمة تقتضي رعايتها وراحتها
فلا تركبها بعد ذلك رحله ولا يوضع على ظهرها رحل بل تترك سارحة ترتع في مراعيها ومعناه
ظاهر ثم بين علة هذه الرعاية بقوله قربننا وهي جملة مستانفة استئنافا بيانيا والحرمة
الحق الذي يلزم احترامه والذمام مفرد بمعناها يلزم احترامه او جمع ذمة وهي العهد
وهي العهد وما يجب الوفا به والمعنى ظاهر لا حاجة للتطويل بشرحه ومن وطئ الثرى وهو
التراب كناية عن الناس كلهم وما قاله ابو نواس من تحريم ركوبها كناية بديعة لكنه يشير
الى ان من وصل له لا يرحل بعدها لعدم حاجته لسواه ولانه لا يقدر على مفارقة من هو
غاية ما يتمناه وعدما قال عبد الله بن رواحة في قصيدة له

إذا ادنيتني وحملت رحلي ... مسيرة اربع بعد الحساء
فشانك فانعمي وخلاك ذم ... ولا ارجع الى اهلي ورائي

وقد رد على الشماخ في قوله

إذا بلغتني وحملت رحلي ... عرابة فاشرقي بدم الوتين

وقال المبرد بعدما انشد قول ابن رواحة لقد احسن كل الاحسان حيث قال لا احتاج الى ان ارحل لغيره وقد عاب الرواة قول الشماخ وكذا قال صلى الله عليه وسلم للانصارية التي اتته على ناقته وقالت اني نذرت ان نجوت عليها ان انحرها بئس ما جزيتها وقال في الموازنة ان الشماخ راى ناقته شفها السير وهزلت ودبرت كما قال الملك بعثت راحلتي تشكي كلوما بعد محمدها السهيل فقال اذا بلغتني عما به فلا ابالي ان تهلكي وليس دعاء عليها وانما اراد انه بلغ المنى وليس هنا مضادا لقول ابي نواس وانما يضاده قول الانصارية وللشعراء الادباء هنا كلام كثير لم يسعه هذا المقام وقلت انا في معناه

اذا بلغتنا النوق فلنبت ... فزهرة عيش في اعز المسارح
وحق لها تحدى الحدود وتغتدي ... باعيشها من قادحات الطوالح
فيا ليتها تغنى لاكرام مثلها ... جميع نياق الارض بانه صالح

وحكى عن بعض المشايخ بعض كبار الصالحين والعلما انه حج ماشيا تواضعا وقصد الزيارة وكذا قال الفقها ابدا افضل لمن قدر عليه من داره فان لم يقدر فمن الميقات فان لم يقدر فعند الدخول ونحوه وذكر مجاهد ان ابراهيم واسماعيل حجا ماشيين وحج الحسين ماشيا فكانت مساعده فقيل له في ذلك اي سئل لم فعله فقال العبد الابق الفار من سيده اذا رجع اليه لا يأتي الى بيت مولاه اي سيده راكبا وفي نسخة يأتي به ونكتة وتقديرها يأتي بتقدير الاستفهام الانكاري واراد بالابق المذنب المقصر في خدمة مولاه مجازا اي انا مذنب مقصر حقيق بالخضوع والتذلل لو قدرت ان امشي على راسي المشي على الراس عبارة عن غاية الجد والتذلل كما قيل سعيا على الراس لا سعيا على القدم ما مشيت على قدمي مثنى قدم مضاف ليا المتكلم قال القاضي يعني المصنف في بيان انه ينبغي التزام المشي واظهار الخضوع من المذلة وجدير اي خليق وحقيق وهو خبر مقدم لمواطن اي اماكن ومساكن جمع موطن وهو كل ما يتوطن والمراد مكة والمدينة عمرت اي صارت معمورة بالوحي والتنزيل من عطف العام على الخاص والباء للسببية او هي للتعدية بجعل الوحي بمنزلة ساكن عمرها وتردد التردد بمعنى المجي والذهاب من قولهم ولا تردد الينا وليس من التردد بمعنى الشك جبريل وميكائيل اما تردد جبريل فظاهر واما ميكائيل فكان ينزل عليه احيانا وعرجت اي صعدت من عنده منها اي من المواطن الملائكة والروح هو جبريل عطف عليه الخاص على العام وقيل ملائكة لا تحفظ على الملائكة لا ترام الملائكة كما ان لا ترام واما ان المراد به ارواح الناس فيما لا يكثر ذكره وضجت عرصاتها الضجيج والعجيج الصياح ورفع الاصوات المختلفة واصله صياح العاجز المغلوب والعرصات بفتحتين جمع عرصة

وهي

وهي الارض الواسعة المتسعة من غير بناء والمراد هنا الارض مطلقا التقديس والتسبيح هما لغة التطهير والتنزيه والمراد بهما هنا توحيد الله وذكره كقول سبحان الله ولا اله الا الله واسناد الضجيج للعرصات تجوز للمبالغة في كثرة الذكر والتلاوة واشتملت تربتها اي ضمت وحوت ارضها على جسد سيد البشر وهو صلى الله عليه وسلم اشرف المخلوقات فالمكان الذي حواه افضل الامكنة فيلزم تعظيمه والسعي اليه ماشيا بالمذلة والادب ثم ذكر بعض فضيلتها الذاتية ما نشأ عنها وعرض منها فقال وانتشر اي شاع وتفرق واشتهر في الارض منتقلا عنها اي عن تلك المواطن وفي نسخة منها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر اي امر عظيم كثير لا يعلمه الا الله ولذا عبر بما المبهمة كقوله الحاقة ما الحاقة مدارس آيات عطف بيان او بدل من مواطن اي محال يدرس فيها القرآن جمع مدرس من درس اذا قرا وتلا وقيل جمع مدراس ومعناها لا غرابة في اسم المكان كالمرصاد ولا حاجة لارتكابه ومساجد جمع مسجد بالكسر موضع السجود وهو وضع الجبهة على خضوعا وعبادة وليس المراد به الموضع المعد للعبادة وان اريد به وصلوات جمع صلاة وهي العبادة المعروفة واصل معناها الدعا ويجوز ارادته هنا وفي نسخة مساجد صلوات بالاضافة على تقدير لام الاختصاص ومن قال معناه مساجد لاجل الصلوات لم يصب ومشاهد الفضائل والخيرات المشاهد جمع مشهد وهو محل يشهده الناس ويحضرون فيه والفضائل جمع فضيلة كالعلم وتعليم الاداب وغيرها من الكمالات والخيرات هي خير الدنيا والاخرة ومعاهد البراهين والمعجزات اي عهد فيها ظهور معجزاته وبراهين نبوته الدالة على صدقه وهو عطف تفسير وقيل البراهين اعم من المعجزات ومناسك الدين جمع منسك وهو محل العبادة والنسك ومشاعر المسلمين اي محال معالمهم التي يجب القيام بها من الواجبات وغيرها ومواقف سيد المرسلين اي المحال الذي قام فيها لاعلاء كلمة الله واظهار دينه كمحاربته ومحال صلاته ومتبوأ خاتم النبيين اي مسكنه ومحل اقامته حيث انفجرت النبوة اي ظهرت وفاض على جميع الخلق ومنافعها واشرق في القلوب انوارها ففيه استعارة مكنية وتخييلية اما بتشبيه النبوة بالفجر والصبح الصادق في ظهوره الماحي لظلمة الكفر او بمنبع الماء المروي الناس ظمأ الجهل بقوله واين فاض عبابها معظم الصبي وهو الماء الكثير كالسيل والماء الكثير المتدفق الغابض وحيث تكون ظرف زمان ومكان وفيه لغات مشهورة واين اسم يستفهم به عن المكان تجرد عن الاستفهام هنا لمجرد المكان وقيل انها باقية على اصلها اي هي جواب من سال وقال ابن قاضي عباب النبوة فيقال هذه الاماكن ومواطن مهبط الرسالة مهبط مصدر ميمي بمعنى الهبوط اي محال نزول الوحي برسالته وامره بتبليغ الخلق ما ارسل به اليهم والمراد مكة لان مراده مدح الحرمين كما تشير اليه المواطن اولا ولذا قال واول ارض مس جلد المصطفى ترابها هو كناية عن مولده كما احد لانه لم يعرض انه سقط على ارضها كان كذلك كما قال

بلاد بها نيطت علي تمائمي ... واول ارض مس جلدي ترابها

ومدخل المضاف كلامه ولمحه ان تفط عرصاتها وعرصه وهي ارض لا بنا فيها والمراد بها
هنا مطلق الارض او معناها الحقيقي فهو ساحة المدينة ومكة وفضا ارضها فيعم منه عبرها
بالطريق الاولى وهذا هو المنهذ الذي قدم خبره وطول لتشوق سامعه اليه وينتظره
وتنسم نفحاتها تفعل من النسيم مبني للمجهول والمراد هنا في النسيم من نفحاتها الطيبة
والنفحة في الاصل دفعه من الريح بجور بها عن الطيب الذي نرتاح له النفس من نفح الطيب
اذا فاح وفي الحديث ان في دهركم نفحات فتعرضوا لها فشبه ما بها من بركاته وطيب
نسيم روايحه استعارة بتعبه او مكنية وتخيلية ويلتم اي يحيي ويباس بالشفا ربوعها جمع
ربع وهو المنزل في الربيع ويطلق على المنزل مطلقا وهو المراد وجدرانها بضم الجيم
وسكون الدال المهملة والف ونون جمع جدار وهو اصل الحايط ويطلق عليه ايضا
ويجوز ان يكون هنا التابث جمع الجمع لما بهذه شوقه لمشاهدته صلى الله عليه وسلم في ال
مخاطبا لها بتنزيلها منزلة العقلا في شعر له مروي عنه وهو
يا دار خير المرسلين ومن به هدي الانام وخص بالايات
اراد بداره محل قبره مطلقا فيشمل مكة والمدينة وفي نسخة المسلمين والاولى اولى
وهدي مبني للمجهول اي هدى الله به الانام الخلق مطلقا اوكل ذي روح وقوله خص
بالايات المراد بها القران او جميع المعجزات لان الله خصه منها بما لم يكن لغيره اذ المقربه
فيه للعهد عندي لاجلك لوعة وصبابة وتشوق متوقد الجمرات
اللوعة شدة الحب وحرقته والصبابة رقة الشوق من صبا اليه اذا مال والتشوق
زيادة الشوق وشدته ما في القلب منه بجمرات بحره متوقده وهو قد بكسر القاف من
اضافة الصفة للموصوف وضبط بفتحها ايضا كما في المغني
وعلي عهد ان ملات محاجري من تلكم الجدران والعرصات
علي عهد اي موثق التزمته وهو يمين كما يقال علي عهد الله والمحاجر جمع محجر وهو جوانب
العين وملوها مجاز عن النظر اليها وابصارها وتلك الجدران جمع مونث لجدر جمع
جدار كما تقدم والعرصات تقدم تفسيرها
لاعفرن مصون شيبي بينها من كثرة التقبيل والرشفات
التعفير تمريغه في التراب ويقال له عفار واراد تشبيه لحيته المبيضة وبينها اي بين
ترابها وارضها وجعله مصونا لانه محفوظ عما يلوثه ويشينه والتقبيل اللثم والرشفات
جمع رشفة وهي مص الريق ونحوه وتفسيرها هنا بالتقبيل ايضا وتفسيره بمص ريق
المحبوب غير مناسب هنا واللام في جواب القسم الذي تضمنه قوله على عهد
لولا العوادي والاعادي زرتها ابدا ولو سحبا على الوجنات
العوادي جمع عادية وهي الامور التي تمنع عن زيارتها والعوايق والظلمة جمع عادية
بمعنى غايرة ظالمة والاعادي جمع عدوا وهو جمع اعدا جمع الجمع والوجنات جمع وجنة
وهي اعلى الخد وهو ما ارتفع منه وغلظ وسحبا منصوب بمقدر اي اسحب وجهي على
الارض مذلة وخضوعا وضمير زرتها للدار وابدا ظرف مستغرق لما يستقبل من

الزمان والمعنى لولا عوايق الدهر لم افارقها
لكن ساهدي من حفيل تحيتي لقطين تلك الدار والحجرات
استدراك على ما افاده ما قبله اي ان منعت زيارتها والاقامة بها والتمتع بنفحاتها
فاني اهدي لمن سكن بها يعني به رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الذين دفنوا فيها
والاهدا الارسال والحفيل بحا مهملة وفا ويا تحتية ولام بمعنى كثير يقال محفل به والتحية
من الحياة بمعنى السلام والقطين بقاف وطا مهملة ونون بمعنى المقيم ويطلق على الاتباع
والخدم والحجرات جمع حجرة وهي بيت صغير من الدار يحوز وبحجرات اشارة الى حجرات
التي كان بها زوجاته امهات المومنين وكان الشيخ احمد بن الرفاعي يرسل مع الحجاج
السلام على النبي صلى الله عليه وسلم فلما زاره وقف تجاه مرقده وانشد
في حالة البعد روحي كنت ارسلها تقبل الارض عني فهي نايبتي
وهذه نوبة الاشباح قد حضرت فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي
فقيل ان اليد الشريفة مدت له فقبلها
ازكى من المسك المفتق نفحة تغشاه بالاصال والبكرات
ازكى بمعنى اكثر طيبا ورايحة طيبة والمفتق بزنة مكرم بالتشديد من فتق المسك
والطيب اذا خلط بغيره مما يزيد طيبه كما الورد ونفحة تقدم تفسيرها وهو منصوب
تمييز وروي بالرفع واضافته لها اي رايحته نايب الفاعل المعنى ويغشاه يعرض له اي
ليطيبه بحلوله من الغشا والاصال جمع اصيل او جمع اصل جمعه فهو جمع الجمع وهو ما
قرب من الغروب والبكرات جمع بكرة وهي اول النهار وخصها لطيب النسيم
ولطافة الهوا فيهما وتخصه بزوايد الصلوات وتوايد التسليم والبركات
وتخصه هنا تانيث فاعله ضمير او ضمير المتكلم مع الغير والزوايد جمع زايدة
وهي الزايدة بمعنى التوايد جمع نامية وحركت ياوها بالكسر للضرورة والصلاة
والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم معناهما ظاهر ولقد اجاد في الختم بهما والبركات
جمع بركة والاوجه ما قيل انه فاسد الوزن وصوابه وتخصه زاكي صلاة وانما توابي
التسليم والبركات مع انه وقع فيما هرب منه روي ان المصنف رحمه الله لما حج ولم يزر
صلى الله عليه وسلم فقال هذه الابيات يتحسر على ما فاته كما وقع للعارف بالله
تعالى ابي العباس بن العريف فقال
شد الركاب وسار الخط اقعدني ولم اجد لبلوغ القصد مفتاحا
يا سايرين الى المختار من اضم سرتم جسوما وسرنا نحن ارواحا
انا اقمنا على عجز ومسكنة ومن اقام على عجز كمن راحا

الباب الرابع من القسم الثاني
في حكم الصلاة عليه والتسليم والصلاة اصل معناه الدعا والعبادة المخصوصة لما
فيها من تحريك الصلوين والمراد بها ان يقال صلى الله عليه وسلم والتسليم مصدر سلم
ثلثيا ككلم تكليما اذا اتى له وسلم امره اليه وفرض ذلك اي وجوبها على امته

في اي مقام **وفضيلته** اي فضيلة ما ذكر من الصلاة والتسليم لفظ الموابقصيلته
ما هو اعم من الوجوب فيشمل الندب والاستحباب وقال ابو ذر انه اسس وجوب
الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في السنة الخامسة من الهجرة وقيل كان الابتدا بركة
لانه ورد في حديث الاسرا وما قاله ابو ذر هو ابتدا اظهاره للناس وهذا مما خص
به دون الانبيا كلهم فانهم لم يشرع ذلك لاممهم وان كان الصلاة والسلام عليهم
مشروع **وقال تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي الاية** صدر بهذه لاثبات
مستدعاه لان الامر يحتمل الايجاب والندب واعلم ان معنى الصلاة لغة الدعا
ويطلق شرعا على العبادة المخصوصة واختلف هل هي منقولة من المعنى اللغوي
لمعنى آخر وصححه الشارح له لمناسبته لمعناه الاصلي لاشتمالها على الدعا او لانها من
تحريك الصلوين وهما طرفا الفخذ او هي مجاز لاشتمالها على الدعا والظاهر الاول
وقال ابن القيم وبعض المتاخرين انها باقية على معناها اللغوي ولا نقل فيها ولا
يجوز لان المصلي في جميع صلاته في دعا وعبادة غايته ان الشارع خصها بفرد من افراد
الحقيقة كالدابة لذوات الاربع ورد بانه كلام من لم يعرف معنى النقل واهل الشرع اذا
استعملوها لا يلاحظون معناها اللغوي ولا ينظرون اليه وهو كلام غير مهذب
لان المجاز اذا اشتهر يتناسى فيه المعنى الاصلي ويصير كالعلم بالغلبة وهو المراد بقولهم
انه حقيقة عرفية شرعية قالمال واحد والخلاف لفظي وهذه الاية مدنية اخبر الله
عباده فيها بشرف منزلته عنده وان الله وملائكته يثنون عليه في الملا الاعلى ثم
امر اهل العالم السفلي بان يفعلوا كذلك وفي الكشاف لما نزلت هذه الاية قال جبريل
ما حصل لله بشرف الا شركنا فيه فنزل هو الذي يصلي عليكم وملائكته قال الحافظ
السخاوي لم اقف على اصله الى الان وقال ابن الهيتمي هو الموافق لما اخرجه ابو نعيم في الدلائل
في ترجمة سفيان بن عيينة انه سيل عن قوله اللهم صل على محمد كما صليت على ابراهيم وعلى
ال ابراهيم فقال اكرم الله امة محمد فصلى عليهم كما صلى على الانبيا فقال هو الذي يصلي
عليكم وملائكته وقال لنبيه وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم اي كما صلى عليهم كما
صلى على ابراهيم واسحاق ويعقوب والاسباط وهولا الانبيا مخصوصون منهم
وعم هذه الامة بالصلاة وادخلهم فيما دخل فيه نبيهم ولم يدخل في شي الا دخل فيه امته
ثم تلى ان الله وملائكته الاية وقال هو الذي يصلي عليكم الى اخره واشار الى مزيد
خصوصيته على امته بانشاد الصلاة عليه والى ملائكته وصلاة الملائكة على الامة
لا تكون الا بتبعيته وجمهور القرا على نصب الملائكة عطفا على اسم ويصلون خبرهما
وقيل خبر ملائكته وخبر الجلالة محذوف لدلالة يصلون عليه ورجح بعضهم الصلاتين
ورجح الاول ابو حيان والجملة اسمية خبرها مضارع لافادة الاستمرار التجددي
فالملائكة استمرت صلاتهم عليه وهذه منقبة لم توجد لغيره اعظم من سجود الملائكة
لادم الذي وقع وانقطع وقال على النبي دون محمد والرسول تنويها بقدره لان النبوة
اشرف من الرسالة لانها اتصال بالله واستفادة به والرسالة استفادة للناس ثم

انه اكد السلام وخصه بالمومنين قيل لان الصلاة مؤكدة بمعنى لصدورها من
الله وملائكته فكيف لا يصلون عليه امته ولانها مؤكدة بان والجملة الاسمية
والسلام سواكان بمعنى الانقياد او بمعنى السلامة من الافات لا يليق اسناده
الى الله والملائكة ولذا استحق التاكيد لصدوره من جنسهم ولا يرد عليه
قوله تعالى سلام على ابراهيم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام كما اورده
السخاوي لانه تحية واكرام ونفي هنا كلام معناه في رواية مستقلة ثم شرع في
بيان معنى الصلاة فقال **قال ابن عباس معناه** اي معنى الصلاة وذكره لتاويله
بالدعا او لان تانيث المصادر غير معتبر وهذا رواه ابن جرير وابن ابي حاتم **ان
الله وملائكته يباركون على النبي** صلى الله عليه وسلم اي يدعون له بزيادة بركة
لا تليق بمقامه وشرف قدره وسياتي فيه كلام واصل معنى البركة النمو وزيادة الخير
اللازم **وقيل** في معناه انه بمعنى **ان الله يترحم على النبي صلى الله عليه وسلم**
اي يتعطف عليه بالرحمة وفي القاموس رحمت عليه والاولى الفصحى والجمهور على من قال
ترحمت عليه لحن كما نقله الصاغاني ورد بانه ورد في الحديث **وملائكته يدعون له** ولم
يبين الدعا لتفسيره بقوله **وقال المبرد** معنى **الصلاة الترحم** اي الانعام او الدعا بالرحمة واصل
ومعنى الدعا من الله ارادته والتبشير به لان معناه الحقيقي لا يتصور في حق الله
فاريد به لازمه وغايته ولذا فسره بقوله **فهي من الله رحمة** اي انعام او ارادته
ومن الملائكة رقة اي تشفقة عليه ومحبة **واستدعا للرحمة من الله** له اي طلبها
والدعا بها **وقد ورد في الحديث** الذي رواه الشيخان عن ابي هريرة **صفة** صلاة
الملائكة على من جلس ينتظر الصلاة في المسجد **اللهم اغفر له اللهم ارحمه**
فهو دعا لهم بالمغفرة والرحمة وقد صرح بهذا في قوله والملائكة يستغفرون
للذين امنوا وتذنيبا وجه الدعا بخصوص الاستغفار ولفظ الحديث في مسلم
لا يزال العبد في صلاة ما كان في مصلاه ينتظر الصلاة والملائكة تقول اللهم
اغفر له اللهم ارحمه حتى ينصرف او يحدث **وقال** الامام **ابو بكر القشيري**
الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي اي لمن منزلته دون منزلته من الامة
رحمة اي طلب ان يرحمه الله واما النبي فمرحوم باعلا انواع الرحمة فهو غير
محتاج لان يدعى له بها وفي فتاوى الصوفية لو قال اللهم ارحم محمدا كما رحمت
على ابراهيم قال الصفار انه مكروه في حق الانبيا والرسل وحكى عن محمد يكرهه
ويعود فيه ظن نوع تقصير بهم فانه لا يبتغي الرحمة الا من اتى بما يلام عليه وقد
امرنا بتعظيم الانبيا وتوقيرهم فاذا ذكر النبي لا يقال رحمه الله بل صلى الله عليه بل
لا يقال للصحابة رحمهم الله بل رضي الله عنهم ولذا قال خواهرزاده وصاحب ارحم
المحيط والظهيرية وانا اقول ان اللهم وال محمدا بتهجورات وكان الشيخ الزاهد
الرستغفني يعني ارحم محمدا ارحم امة محمد والترحم لامته لا له كما يقال لمن يراعتنا به
وله اب حاضر ارحم هذا الشيخ الكبير وهو لم يحن ولم يواخذ كما في جامع المضمرات

وقال الزبيدي الصحيح انه لا يكره لانه من اشرف الناس الى رحمة ربه انتهى ولنبي
صلى الله عليه وسلم تشريف ومكرمة بميم في اوله وراء مضمومة وفي نسخة تكرمة بتاء بدل
الميم وهما مصدران وظاهره ان الصلاة على النبي غير الرحمة وانما هي في حقه بمعنى التشريف
والتعظيم اللائق به وقد علمت ما فيه وقد ورد الدعا له بالرحمة ولكن استحبوا الدعا
له بلفظ الصلاة تادبا وفرقا بينه وبين غيره وقال ابو العالية صلاة الله عليه ثناوه
عليه بمدحه وبيان منزلته عنده عند الملائكة اي بحيث يطلعون على ذلك وصلاة
الملائكة الدعا له كما مر وقال القاضي ابو الفضل مصنف هذا الكتاب وقد فرق
النبي صلى الله عليه وسلم في حديث تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة
فدل تفريقه بينهما بعطف احدهما على الاخر على انهما بمعنيين متغايرين حديث
تعليمها سياتي بيانه وبيان طرقه ومراده ان بعضهم فسر الصلاة بالبركة وهذا
الحديث يدل على خلافه وكونه عطفه تفسير خلاف الظاهر والفرق بينهما ان الصلاة
كما تقدم معناها الرحمة والبركة كما قال الراغب اصلها من البرك وهو صدر البعير
ومنه برك البعير اذا القى بركه واعتبر فيها معنى اللزوم ولذا سمي محبس الما بركة
والبركة ثبوت الخير الالهي في الشي والمبارك ما فيه ذلك الشي ولما كان الخير الالهي
يصدر من حيث لا يحس وعلى وجه لا يحصر قيل لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة
مبارك وفيه بركة وكل ما ذكر فيه بارك تنبيه على اختصاصه تعالى بالخيرات
المذكورة فمعنى صل وبارك على محمد ارحمه وادم خيراتك التي لا تخفى عليه
ثم ان الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره في على انبيايه ثنا وتعظيم وعلى
غيرهم رحمة من رحمته التي وسعت كل شي وقال الغزالي لفظ الصلاة مشترك في
الاعتنا بالمصلى عليه ثم لما فسر الصلاة والاقوال ذكر تفسير السلام الذي هو قرينة
فقال واما التسليم الذي امر الله تعالى به عباده في قوله وسلموا تسليما فقال
القاضي ابو بكر بن بكير بالتصغير هو ابو بكر محمد بن احمد بن عبد الله بن بكير
التميمي المالكي البغدادي الفقيه الثقة صاحب التاليف الجليلة منها احكام القران
وهو عراقي من اقران ابن الجهم وقيل اسمه احمد بن محمد بن بكير وقيل محمد بن بكير
لا غير فبكير ابوه او جده نزلت هذه الاية يعني قوله ان الله وملايكته يصلون
الخ على النبي صلى الله عليه وسلم فامر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه ان يسلموا
عليه امتثالا لامر الله لهم وكذلك من بعدهم وهذا مبني على ان الامر العام
النازل عليه هل يختص بالموجودين او يعمهم ومن بعدهم وهو خطاب المشافهة
والكلام عليه مبسوط في كتب الاصول وعلى الاول اذا قام دليل او قياس جلي
على تناوله لمن بعدهم يعمل به وما نحن فيه من هذا القبيل امروا ان يسلموا
على النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره في ساير مجالسهم كما
سياتي بيانه وفي معنى السلام عليه صلى الله عليه وسلم ثلاثة اوجه وفي نسخة
وجوه باسقاط جمع القلة للكثرة وهو جايز شايع في كلامهم احدها انه بمعنى

السلامة من النقايص والافات ثابتة لك ومعك اي مصاحبة وملازمة ويكون
على هذا التفسير السلام مصدرا بمعنى السلامة كاللذاذ واللذاذة بمعنى اللذة
بالمد فمعناها واحدة تارة وردتا ومثله كثير كالملام والملامة والمقال والمقالة
وتعدي السلام من انثا عدي بعلى لما لانه بمعنى القضا نحو قضى الله عليك السلام
كما قيل لان القضا كالدعا لا يتعدى بعلى للنفع ولا تتضمنه معنى الولاية والاستيلا
لانه وجه اخر ذكره بقوله الثاني اي السلام مداوم على حفظك ورعايتك
اي اكرامك وعنايته بك ومراقبتك ومتول له اي قايم بحيث لا يدع امرك
لغيره وكفيل به اي متكفل ملتزم له ويكون هنا اي في هذا الوجه السلام اسم
الله تعالى ومعناه ذو السلامة وبين في اسما الله مصدر غيره الثالث
من الاوجه ان السلام بمعنى المسالمة والانقياد ثم عطف تفسير
المسالمة التسليم وعدم المخالفة كما قال فان قوله فلا وربك قسم جوابه لا
يومنون اي يظهر ايمانهم ويكمل حتى يحكموك اي يعرضون الحكم اليك فيما شجر
بينهم اي وقع بينهم من المنازعات والدعاوي ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا
اي ضيقا لعدم رضاهم مما قضيت حكمت به عليهم ويسلموا تسليما اي يذعنون وينقادوا
لامرك منشرحة صدورهم لقبوله وقال الراغب السلام التعري من الافات
الظاهرة والباطنة والسلام من اسمايه لسلامته وتنزهه عما لا يليق به انتهى
وقال الخطابي صيغته خبر ومعناها الدعا والطلب ومنه يحتاج للنية الا اذا
شاع عرفا فانه لا يحتاج حينيذ انتهى ومعناه من الله في صلى الله وسلم على
محمد ونحوه فانه لا يتصور في حقه الطلب من غيره اذ هو المطلوب منه اذ يريد
من نفسه له الخير والسلامة والعزة حتى يتبادر الناس كلهم لانه الطالب والمطلوب
منه باعتبارين ومثله يكفي في هذا المقام وقد افرد السلام بتاليف نفيس
السيد السمهودي وقفت عليه وفيه امور يضيق المقام عنها وفي الشرح الجديد
هنا كلام غير محرر رابنا ترك التعرض له اولى وفي الاذكار للنووي انه يكره
افراد الصلاة عن السلام في حقه صلى الله عليه وسلم وهذه نزلت في حق من خاص
الخبر في حق سفنا به الما وسياتي الكلام عليه ان شا الله **فصل**
اعلم ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض على الجملة اي اجمالا من غير
تعيين زمان او محل غير محدد بحد بجاود المشددة مهملتين اي معين واصله
ماله حدود فاستعمل في لازمه بمعناه بوقت من الاوقات المعلومة واستدل
على مطلق الوجوب بقوله لامر الله واصل الامر الوجوب بالصلاة عليه بقوله
صلوا عليه وسلموا تسليما وحمل اي فسر حتى المراد منه بقال
حمل كلامه على كذا اذا فسره به الاية من السلف والعلما من اهل التفسير على
الوجوب اي على انه امر ايجاب لا ندب واجمعوا عليه اي على انه للوجوب من
غير تعيين محل او زمان والاية تدل على ذلك عند الجمهور لان الاصل في

دون

الامر وحقيقته عند الاكثر وتقرير في كتب الاصول مستند الاجماع هذه الاية
وما عضدها من الاحاديث لا الاية فقط حتى يقال انه ينافيه ما حكاه عنه
من قوله وحكى ابو جعفر الطبري هو الامام محمد بن جرير وقد تقدم بيانه ان
محمل الاية اي المراد منها وما فيها من الامر عنده على الندب اي عند ابي جعفر
وانه تغويب اي تبعا لغيره والا فلا معنى لحكايته ما عنده ويدل على المقدر قوله
وادعى فيه اي في ان الامر فيها للندب الاجماع وفي قوله ادعى اشارة الى ما قاله
ممنوع عنده لثبوت خلافه عنده ثم وفق بينه وبين ما ذكره قبله فقال ولعله اي
ما ادعاه فيما زاد على مرة واحدة في العمر فانه لاخلاف في وجوبه على كل احد
فالواجب منه اعتبره مرة الاتي الذي يسقط به الحرج اي التضييق على الناس
لو وجد دائما او كلما ذكر او الاثم فان الحرج ورد بمعنى الضيق كما صرحوا به وماثم
ترك الفرض اي يسقط به الاثم عمن تركه اذا كان فرضا والماثم بالمثلثة مصدر ميمي
بمعنى الاثم مضاف لترك المضاف للفرض بمعنى الواجب مرة مرفوع على الخبرية كالشهادة
له بالنبوة والرسالة فانها واجبة في العمر مرة فاذا سقط الوجوب بمرة يتحقق في ضمنها ما
منه المامور به فالصلاة بالطريق الاولى وهذا احد المذاهب في الصلاة كما ياتي بيانه
وما عدا ذلك اي المرة الواحدة في الصلاة والشهادة فمندوب مرغب فيه
لكثرة ثوابه وفوائده من سنن الاسلام وشعار اهله اي دابهم الذي هو علامة
لهم وهو لغة بمعنى العلامة وله معان اخر وهذا جواب عما اعترض به على ابن جرير
مما خالف الاجماع الذي حكاه المص وليس مذهب مالك كما نقله بعض الشراح وما قاله
المص صرح به ابن عبد البر حين عزوه له لمذهب وهو ظاهر قال القاضي ابو الحسن ابن
القصار بقاف وصاد وراء مهملتين وهو علي بن عمر بن احمد الفقيه الثقة له كتاب
في الخلاف كبير الفوائد لم يصنف في بابه احسن منه وفي بعض النسخ الصفار بصاد
مهملة بعدها فا والف وراء قاله التلمساني والاول هو المعتمد وهو من ائمة المالكية
منسوب لصنعة قصارة الثياب وهو تبييضها والثاني لبيع الصفر وهو النحاس
المشهور عند اصحابنا يعني المالكية ان ذلك اي الصلاة على رسول الله صلى
الله عليه وسلم واجب في الجملة اي اجمالا ومطلقا من غير تعيين وقت له على الانسان
وفرض عليه اشارة الى ان الواجب والفرض عنده بمعنى خلافا للحنفية ان ياتي
به مرة من دهره اي في مدة عمره لخروجه بذلك عن عهدته مع القدرة على ذلك
اي شرط وجوبه مرة في عمره ان يقدر على التكلم به فلو عجز لمانع منعه من التلفظ به
سقط عنه كسائر الواجبات كمن اخرسته الموهبة وقوله لا ينافي ما تقدم من الاجماع
لانه لا مفهوم له ومقصده انه مع الاجماع مما اشتهر بين الائمة ايضا او هو اشارة لما
نقل عن الطبري وان كان عنده ونقل الحطاب من متاخري المالكية عن الرصاع
يظهر فريضة من الله علينا ان نصلي على نبينا ونسلم تسليما وما نقل عن مشايخ المغاربة
من التوقف في وجوبه لا اصل له والحق ان حكمه حكم الصلاة انتهى وقال القاضي

ابو

ابو بكر بن بكير تقدمت ترجمته افترض الله عز وجل افترض وفرض بمعنى وفيه
زيادة تاكيد لزيادة بنيته على خلقه جميعا ان يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما كما مر
نقله عن ابن عباس من فرض الصلاة والسلام وينبغي ذكره مع مصدره المؤكد امتثالا لا
لما قرر ولم يجعل ذلك الافتراض لوقت معلوم واللام فيه للتوقيت والظرفية
كاتيان كتب لستة عشر يوما فالواجب على الخلق ان يكثر المرء اي الرجل والمراد به
الانسان ولو امراة تغليبا منها اي من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ولا يغفل عنها
اي بتركها ويشتغل عنها وفي كلامه شيء لانه بعد وجوبها مرة وكونه يكثر منها ولا يغفل
عنها مناف له لا يقتضيه مرات كثيرة وان المراد انه فعلها في وقت ما لكونه ها مرارا في ذلك
الوقت فيجاب بمثله غير ظاهر بما نقله قبله فان كان قولا اخر فيما قبله لا يساعده واما
الاعتراض عليه بانه امر مطلق لا تعرض فيه لعدم تعيين وقتها لا معنى له وفي بعض الشروح
انه قول ثان بانه يجب الاكثار منه مطلقا من غير تعيين مقدار ووقت وهو كلام حسن وقال
القاضي ابو محمد ابن نصر المالكي وهو القاضي عبد الوهاب بن نصر بن احمد بن حسين
وقيل ابن الحسن بن احمد بن هارون بن مالك ادرك الابهري وسمع منه في النظر وكان
فقيها شاعرا اديبا له شعر كثير وكتب كثيرة في كل فن وارتحل في اخر عمره لمصر فحصلت له ثروة
وتوفي في سنة احدى وعشرين واربعمائة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الجملة واجبة
اي من غير تعيين مقدار ولا غيره قال القاضي ابو عبد الله محمد بن سعيد قيل هو
محمد بن سعيد بن بشير بن شرحبيل كتب في حداثته للقاضي مصعب بن عمران ثم رحل
الى المشرق فلقي مالكا رضي الله عنه فقرا عليه ثم انصرف للاندلس فالتزم صحبته بباجة
الى ان توفي في سنة ثمان وتسعين ومائة كذا قاله القاضي في المدارك ذهب مالك واصحابه
وغيرهم من اهل العلم ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة اي اجمالا من
غير تعيين مقدار ووقت بعقد الايمان اصل معنى العقد ربط اطراف الشيء كعقد
الحبل وعقد الايمان والايمان بفتح الهمزة وكسرها بمعنى تصميمها واعتقادها وهو بكسر
الهمزة واليا سبعية اي بمعنى بعد اي هي اول ما يفترض بعد الايمان بالله ورسوله لا يتعين
في الصلاة اي ليس وجوبه مخصوصا ومقترنا بها وان من صلى عليه مرة واحدة
من عمره وهو مدة حياته الى موته سقط الفرض عنه لخروجه عن عهدته قيل حاصل
ما ذكره المص غير ما نقله عن الطبري ولم يرتضه قولان الاول انها فرض في الجملة فيسقط
بمرة الثاني انه يجب الاكثار منها من غير تعيين وقد تقدم ما فيه والفرق بين القول
بانه يجب مرة والقول بانه يجب في الجملة مطلقا ان ما زاد على المرة في القول الاول يقع نفلا وعلى
الثاني يقع الكل فرضا ويثاب عليه ثواب الفرض قيل وهو التحقيق ونظيره ما قالوا الثاني في
في مسح الراس انه يجب مسحه مطلقا فلو مسح شعرة وقعت فرضا ولو مسح الجميع وقعت فرضا
وبقي اقوال غير ما ذكره المص منها انها تجب في كل مجلس مرة في جلسته وهل هي فرض كفاية
على اهل المجلس فلو صلى واحد كفى او فرض عين ومنها انه يجب كلما ذكر وقيل كلما ذكر
او سمع ونقلا عن الطحاوي وبعض الحنفية والشافعية لحديث رغم انف من ذكرت عنده

فلم يصل علي و قيل انه مبني على ان الامر يفيد التكرار وهو ضعيف وقيل عليه انه يلزم شغل المرء عن غيره من العبادة وانه يقتضي وجوبه على المصلي وقارئ القرآن والمتشهد ويلزمه التسلسل وفيه مشقة على الناس ولم ينقل مثله عن الصحابة والتابعين ولو كان كذلك وجب الثنا على الله كلما ذكرنا بالطريق الاولى ولم يقله احد واجيب بانه منقول عن الايمة الاجلة وانه مخصوص بما لم يكن في الصلاة و الحرج فيه غير مسلم وانا نلتزم وجوب الثنا على الله ايضا او نقول بالفرق بينهما بانه غير مطلق وعظمته غير مستوفية فقط ذكرها وان هذا حق العبد وذاك حق الله وهو مبني على المسامحة دون الشاحة والقول بانها حق الله ايضا لامره به ناش من عدم فهم المراد بحق الله **وقال اصحاب الشافعي الفرض منها الذي امر الله به** في الاية المذكورة اولا **ورسوله عليه الصلاة والسلام** كما سياتي بيانه **هو في الصلاة** هو عقب التشهد قبل التحلل وسياتي تفصيله وذكر الاحاديث التي استدل بها الشافعي واصحابه كما صرح به في الام وقول القرافي في الذخيرة انه استدل بالاجماع مردود بانه صرح بخلافه ولا اجماع على وجوبها فيه **وقالوا** اي اصحاب الشافعي **واما غيرها** اي غير الصلاة وخارجها **فلا خلاف في انها غير واجبة** والمراد انه لا خلاف عند الشافعي واصحابه والا فقد تقدم القول بوجوبها وتكريرها كلما ذكر مع انه واحدة كما مر لاعدى نفعا الان نفي الخلاف بنا على المشهور عندهم وفي الشرح الجديد ما نقله المصنف عن الشافعية غير صحيح فان المفتى به عندهم ان الصلاة واجبة في الخطبة الاولى والثانية لا تقدم بنقل عن الخلفا الراشدين تركها فيها و وافقه احمد وهما اماما السنة وقال الشافعي بوجوبها في صلاة الجنازة ووافقه احمد ايضا وروا فيه احاديث صححوها **واما في الصلاة** اي حكمها فيها **فحكى الامامان ابو جعفر** يعني محمد بن جرير وقد تقدمت ترجمته **الطبري والطحاوي** احمد بن محمد بن سلامة كما تقدم بيانه وهما ممن قال بعدم وجوبها في الصلاة **وغيرهما** من الايمة اجماع جميع المتقدمين والمتاخرين من علما الامة **على ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد غير واجبة وشذ** اي انفرد شذاذ وانفرد عن جميع ايمة الدين ولم يقل به احد قبله ولم يوافقه عليه **الشافعي في ذلك** اي بقوله بوجوبها في تشهد الصلاة **فقال من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم من بعد التشهد الاخير وقبل السلام فصلاته فاسدة** لانها ركن من اركان الصلاة مخصوص بتركه في التشهد الاخير فقط **وان صلى عليه** صلى الله عليه وسلم **قبل ذلك** اي قبل التشهد الاخير وقوله فيه اشهد ان محمدا رسول الله **لم تجزه** صلاته اي لم تصح ولم تسقط عنه الفرض فيجب عليه اعادة صلاته **ولا سلف له في هذا القول** بوجوبها في التشهد الاخير اي لم يقل به احد من السلف يعني يقتدي الايمة يستند لقوله ويتبعه **ولا سنة يتبعها** اي لم تثبت في السنة والاحاديث النبوية ما يكون دليلا له على ما قاله **وقد بالغ في انكار هذه المسالة لمخالفة فيها من تقدمه** من الايمة والسلف **جماعة وشنعوا عليه الخلاف** مفعول شنعوا عليه

الجمى

الجمى فيه اي عد ولعا قاله امرا فيه ودق لا يبتدعا مثله **منهم** محمد بن جرير **الطبري** والامام **القشيري** قيل المراد به ابو نصر صاحب الرسالة وابو بكر بن العلا القشيري المالكي واما الامام القشيري صاحب الرسالة فهو شافعي ولم ينقل عنه شي مما ذكر **وغير واحد** اي ناس كثيرون من الفقها والعلما **وقال ابو بكر ابن المنذر** بصيغة اسم الفاعل وهو الامام الاوحد ابو بكر محمد بن ابراهيم النيسابوري الثقة الحجة امام عصره وشيخ الحرم توفي بمكة سنة تسع او عشر وثلاثماية **يستحب ان لا يصلي احد صلاة** فرضا كانت او نفلا او جنازة **الا صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم** بعد التشهد **فان ترك ذلك تارك** اي واحد كان في اي صلاة كانت **فصلاته مجزية** اي صحيحة وان كان الافضل عدم الترك **في مذهب مالك واهل المدينة** اي علمائها وهو من عطف العام على الخاص **وسفيان الثوري** صرح به لانه مجتهد صاحب مذهب **واهل الكوفة** وعلمائها **من اصحاب الراي** المراد بالراي القياس في عرف الفقها والمالكية والشافعية يريدون بهذه العبارة اتباع ابي حنيفة ويقابلهم اهل الحديث لانتصارهم في العمل عليه **وغيرهم** من العلما **وهو قول جل اهل العلم** الجل بضم الجيم المعظم والاكثر من كل شي **وحكي عن مالك وسفيان الثوري انها في التشهد الاخير** خصه لانه محل الخلاف **مستحبة** لا واجبة **وان تاركها في التشهد مسي** غير محسن لارتكابه امرا مكروها فقصده **وشذ الشافعي** اي انفرد بهذه المخالفة عن غيره من الايمة **فاوجب على تاركها في الصلاة الاعادة** لتركه ركنا به يتم سوا تركها عمدا او سهوا **واوجب اسحاق** ابن ابراهيم بن مخلد وهو الامام الجليل ابو يعقوب بن راهويه عالم خراسان ومحدثها توفي وسنه سبع وسبعون سنة في شعبان سنة ثمان وثلاثين وماتين **الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان وحكى ابو محمد ابن ابي زيد** هو صاحب الرسالة المشهورة وهو من ايمة المالكية **عن محمد بن المواز** بفتح الميم والواو المشددة واخره زاي معجمة وهو العالم محمد بن ابراهيم ومن اجل الايمة في مذهب مالك وعليه المعول فيه وهو اسكندراني تفقه بابن الماجشون وابن الحكم واعتمد على اصبغ وتوفي ببعض حصون الشام اختفى فيه وقد هرب في فتنة ووفاته سنة احدى وثمانين وماتين **ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فريضة** ولم يبين لوجوبها وقتا ولا غيره **قال ابو محمد** هو ابن ابي زيد المار ذكره قريبا في تفسير كلام ابن المواز **يريد ليست من فرايض الصلاة** بل انها فرض في الجملة كما تقدم وسياتي ما يخالفه **وقال محمد بن عبد الحكم** هو ابو عبد الله محمد بن عبد الحكم المصري صاحب الشافعي لم يكن في عصره اجل منه ولا اعرف باقوال الصحابة والتابعين ولد سنة اثنتين وثمانين وماية وتوفي للنصف خلت من ذي القعدة سنة ثمان او تسع وستين وماتين والحرج له النسائي **وغيره وحكى ابن القصار وعبد الوهاب** من ايمة المالكية **ان محمد بن المواز يراها فريضة في الصلاة كقول الشافعي** وقد نقل

مطلب أصحاب الرأي

إسحق م

الاسنوی ایضا ان للشافعی قولا اخر غیر ما اشتهر عنه انها سنة فی الصلاة لا رکنا واجبا
قال ابن عبد السلام المالکی موطا هو کلام ابن المواز وحکی ابن الحاجب فی مختصره
وابن العربی فی سراج المریدین وقد خالف الخطابی من اصحاب الشافعیة وغیره
الشافعی فی هذه المسئلة قال الخطابی ولیست بواجبة فی الصلاة وهو قول
جماعة الفقهاء الا الشافعی فانه ذهب لوجوبها فیها ولا اعلم له فیها قدوة ای ما
یقتدی من الادلة والسلف وسیاتی رد هذا والدلیل انها لیست من فرض الصلاة
کما قال الشافعی عمل السلف الصالح من الصحابة والتابعین وهذا الاحتجاج کما
سیاتی بیانه واجماعهم علیه سیاتی ان تشنیعا کثیرا جنهدوا رحمه الله جدا ثم
بین وجه الانکار بقوله وهذا جمله لتشریف لمخصوص حاضر عنده تشهد ابیه تشهد
ابن مسعود الذی اختاره الشافعی ای رجحه علی غیره فان التشهد له طرق مختلفة
وما قاله مردود ایضا فانه انما اختار تشهد ابن عباس الذی فیه زیادة لفظ المبارکات
لموافقته لقوله تعالی تحیة من عند الله مبارکة طیبة ولتاخره عن تعلیم ابن مسعود
کما قاله البیهقی وهو الذی علمه له النبی صلی الله علیه وسلم لیس فیه الصلاة علی
النبی صلی الله علیه وسلم وکذلک ای مثله فی عدم ذکر الصلاة علیه فیه کل من روی
التشهد عن النبی صلی الله علیه وسلم من الصحابة الذین علمهم التشهد کابی هریرة
وابن عباس وجابر وابن عمر وابی سعید الخدری وابی موسی الاشعری
وعبد الله بن الزبیر کلهم لم یذکروا فیه ای فی تشهدهم الذی نقلوه منه صلاة علی
النبی صلی الله علیه وسلم هذا اعظم ما تمسک به فی رده لما ذکر کما یلزم من عدم ذکرهم
انه لم یامرهم به وهو مردود ایضا لان تعلیمهم کان فی ابتدا الهجرة قبل نزول الایة
والامر بها فی قوله یا ایها الذین امنوا صلوا علیه الایة فلذا لم یامرهم بها قریبا مرتبه
فلما نزلت امرهم وهذا مصرح به فی الحدیث وسیاتی نقله مفصلا بطرقه وقد
قال ابن عباس وجابر فی حدیث رواه مسلم کان النبی صلی الله علیه وسلم یعلمنا
التشهد کما یعلمنا السورة من القران فیقرؤه علیهم ویامرهم بتلقینه الفاظه
وحفظه تکثیرا بترک ما هو مذکور فیه وتذکرون جوابه ونحوه ای مثل ما ذکر
عن ابی سعید الخدری کما رواه ابن ابی شیبة فی مصنفه وقال ابن عمر کان ابو
بکر یعلمنا التشهد علی المنبر وهو یخطب فی خلافته کما تعلمون الصبیان فی
الکتاب بضم الکاف وتشدید التاء وهو اسم للمحل الذی یجتمع فیه الصبیان منقول
من جمع کاتب فهو تسمیة للمحل باسم الحاصل فیه وقد ورد بهذا المعنی فی کلامهم کما
ذکره الزمخشری فی الاساس وغیره ولا عبرة بمن انکره او قال انه مولد والصواب
المکتب وعلمه ای التشهد ایضا کما علمه ابو بکر فی خلافته عمر بن الخطاب یعنی
بن الخطاب ای لیشتهر ثم یجب له یخفی علی احد ولا یسهو ولا دلیل له فیه لان ما علم علی المنبر
لم یذکر لم یخل بدون ذکر الصلاة حتی یتم له ما ادعاه ثم اشار الی الجواب عن
بعض ما استدل به الشافعیة فقال وفی الحدیث الذی رواه ابن ماجة

والحاکم

علی م

قبل الشافعی م

وقد شنع الناس علیه هذه المسالة جدا م

والحاکم فی مستدرکه والطبرانی والدارقطنی والبیهقی وفی بعض الفاظه اختلاف
ما لا صلاة لمن لم یصل علی بالتشدید وروی لمن لم یصل علی نبیه وهو بظاهره
دلیل للشافعی علی ان الصلاة لا تصح بدونها قال ابن القصار معناه المراد
منه کاملة وهو صرف للنفی عن المتبادر منه من نفی الصحة الی نفی الکمال فتصح
وان لم یکمل وهذا مبنی علی قاعدة اصولیة وهی ان النفی اذا دخل علی شیء لیس بمنفی
هل تقدر الصحة او الکمال فقال الشافعیة الارجح تقدیر الصحة لانه اقرب الی
مفردات الشیء وقال غیرهم بتقدیر الکمال وقد نبه البیضاوی فی شرح المصابیح
فی حدیث انما الاعمال بالنیات او لمن لم یصل علی مرة فی عمره وهو تحکم وترجیح
بلا مرجح وسیاتی تفصیله ثم بین ما فیه بحسب الروایة وضعف اهل الحدیث
کلهم روایة هذا الحدیث لانه کما قاله الامام المحبصری فی کتاب اللؤلؤ المنظم من
حدیث عبد المهیمن ابن عباس عن ابیه عن جده وعبد المهیمن لیس بحجة وروی من
طرق اخری لم تثبت انتهی وفی حدیث ابی جعفر محمد الباقر بن زین العابدین
عن ابن مسعود عن النبی صلی الله علیه وسلم من صلی صلاة لم یصل فیها علی وعلی
اهل بیتی لم تقبل منه وهذا مبنی علی ان الصلاة علی الال فی التشهد الاخیر واجبة
کالصلاة علیه صلی الله علیه وسلم وفیها قول للشافعی والصحیح فی المذهب انها غیر
واجبة واما فی التشهد الاول فمن قال انها واجبة فی الاخیر قال باستحبابها فیه
ومما ینسب للشافعی ٥

٥ یا اهل بیت رسول الله حبکم ٥ فرض من الله فی القران انزله ٥
٥ کفاکم من عظیم القدر انکم ٥ من لم یصل علیکم لا صلاة له ٥

قال الدارقطنی الصواب انه قول ابی جعفر محمد الباقر بن زین العابدین ابن
علی بن الحسین بن علی بن ابی طالب لو صلیت صلاة لم اصل فیها علی النبی صلی
الله علیه وسلم ولا علی اهل بیته لرایت انها لا تتم وهذا ابوانی مما قاله الشافعی فتنبه
تا بیوله وما قاله المصنف اعلم ان الامام الخیضری صنف فی هذه المسالة کتابا
سماه زهر الریاض فی رد ما شنعه القاضی عیاض طالعته بتمامه وقد قال فیه
ما یضعف به تشنیع معناه فانه طراز لهذه العصابة وتلخیصه ان الامام
الشافعی رضی الله عنه قال فی الام فرض الله عز وجل الصلاة علی رسوله فقال ان
الله وملائکته الایة ثم یکن فرض الصلاة علیه فی موضع اولی منه فی الصلاة ووجدنا
الدلالة بما وصفت عنه صلی الله علیه وسلم ثم ساق باسناده الی ابی هریرة انهم قالوا
یا رسول الله کیف نصلی علیک یعنی فی الصلاة قال تقولون اللهم صل علی محمد الی اخره
وساقه بسنده ایضا الی کعب بن عجرة عنه صلی الله علیه وسلم کان یقول فی الصلاة
اللهم صل علی محمد الخ وساقه بسنده ایضا الی کعب بن عجرة عنه صلی الله علیه وسلم کان
یقول فی الصلاة فلما روی انه کان یعلمهم التشهد فی الصلاة وانه علمهم کیف یصلون
علیه فیها جاز ان یقول التشهد واجب والصلاة غیر واجبة والخبر فیهما عنه صلی الله

عليه وسلم فصلى كل مسلم رجحت عليه الفرائض ان تعلم التشهد والصلاة عليه فمن صلى
ولم يتشهد ولم يصل عليه فعليه اعادتها انتهى ثم ذكر ما قاله المص وقال هذا قول لا
ينبغي الاعتماد عليه ولا الاستناد اليه ولقد عجبت كيف تقدم على هذه المقالة الشنيعة
ويتجاسر على الاتيان بهذه العبارة الوضيعة وهو يقول انه غير صحيح ينادي مدعيها
على نفسه بفضيحة واي فضيحة ويسري حجها مانعة وسنا ممنوعة وثار براهين
لا مقطوعة ولا ممنوعة من الادلة على وجوبها في التشهد الاخير الاية المذكورة لا
تنازع على ان الامر المطلق يقتضي الوجوب ما لم يقم الدليل على خلافه والله قد امر
عباده بالصلاة والتسليم عليه وثبت ان الصحابة سالوه عن كيفية هذه الصلاة
المامور بها تعالى فقولوا اللهم صل على محمد الخ والسلام الذي علموه هو السلام في الصلاة
فخرج الامرين والتعليمين والمحلين واحد ويوضحه انه لما علمهم التشهد علمهم
التسليم فيه فقالوا واكيف الصلاة عليك المامور بها فقال اللهم صل الى اخره وهما في
الصلاة ظاهر الحال ويؤيده انه لو كان خارج الصلاة كان كل من دخل عليه يقول
له السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته كما علموه وكذا كل من واجهه بالصلاة
عليه بهذه الالفاظ بتمامها والمنقول انهم كانوا يقولون في تحية السلام عليك يا رسول
الله او نبي الله صلى الله عليك ونحوه مما نعلمه زايدا على التحية في الصلاة لخرج هذا
مخرج البيان لما في القران وظهر وجه دلالة الاية عليه واورد عليه ان قول الصحابة
قد عرفنا السلام عليك فكيف الصلاة يحتمل ان يراد به السلام في الخروج من الصلاة
كما قاله ابن عبد البر والدليل اذا طرقه الاحتمال بطل به الاستدلال وان عاير ما ذكر
ثم دلالة اقتران الصلاة بالسلام على الوجوب في الصلاة ودلالة الاقتران ضعيفة
وهذا انما تم اذا سلم وجوب السلام وهو خبر مسلم واجيب بان الاول فاسد يرده
لفظ الحديث وقولهم هذا السلام عليك لا السلام فقط حتى يكون السلام من الصلاة
والثاني لم يستدل بالاقتران وانما استدل بالامر بها في الاية وبهذا اسقط ما بعده
والدليل الثاني من السنة ما في البخاري بسنده ان عبد الرحمن بن ابي ليلى لقيني
كعب بن عجرة فقال الا اهدي لك هدية ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقلنا
يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد
وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد
كما باركت على ال ابراهيم انك حميد مجيد واخرجه مسلم واصحاب السنن وغيره من طرق
سائرها فان قلت كما علمنا من الاحاديث صحة لكنها مطلقة لم تقيد بالصلاة قلت
قد علم هذا من اطباق العلماء والحمد لله من غير نكير على ان المراد بها الصلاة ولذا
وردت مذكورة بعد التشهد في كتبهم دون باب الادعية ولا يكتفي بهذا بل نقول
ورد التصريح بذلك في الحديث ايضا فيما رواه احمد في مسنده من طريقين عن ابن
اسحاق قال حدث في الصلاة على رسول الله اذا المرء المسلم صلى عليه في صلاته وساقه
الخ والعجب من المص انه قال في شرح مسلم في سؤالهم عن الصلاة يحتمل انه في غير الصلاة

وفي

وفي الصلاة والاظهر الثاني لقوله والسلام كما علمتم انتهى فسبحان الله كيف ينكر
بعد هذا على الشافعي وهذا من زيادة الثقة فهي مقبولة وقد رواها الشافعي في
مسنده ثم دعاه ذلك الى حمل الاية عليها فان قلت بعد تخصيصه بالصلاة ليس في
الحديث ما يدل على الوجوب قلت الوجوب معلوم من قوله صلوا كما رايتموني
اصلي ولا يلزمه وجوب ما في صلاته من السنن لقيام دليل من خارج على عدم
وجوبها ثم ذكر احاديث اخر صريحة فيما ذكر واها بمعنى ما سبق ومن الادلة ما في
مسند احمد انه صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يدعو في صلاته فلم يحمد الله ولم يصل عليه
فقال صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له او لغيره اذا صلى احدكم فليبدا
بتحميده والثناء عليه ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو بعد بما شاء وهو حديث
صحيح اخرجه الترمذي والحاكم وابن حبان وقال انه على شرط الشيخين فان قلت
ان هذا يدل على عدم الوجوب لانه لم يامره باعادة الصلاة وقد يقال ايضا ان
هذا الدعا كان خارج الصلاة لان الترمذي روى هذا الحديث في جامعه عن
فضالة بن عبيد بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا اذ دخل عليه رجل فصلى
وقال اللهم اغفر لي وارحمني فقال له عجلت ايها المصلي اذا صليت فقعدت فاحمد
الله بما هو اهله وصل علي ثم ادع وفي رواية ... قلت لانه كان غير عالم بوجوبها
فلم يامره بالاعادة ويحتمل انه اعادها اوانها نفل لا تجب اعادته وما ذكر من الحديث
رواته غير ثقات فهو ضعيف لا يصلح لمعارضة الحديث الاخر فانه رواته على
شرط الشيخين وقد ورد التصريح بانه يتشهد ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم
بعده في الصلاة ثم اورد على قول المص انه لا سلف له فيما قاله انه قال به جماعة
من الصحابة والتابعين منهم عبد الله بن مسعود راوي حديث التشهد وروي عنه
انه كان يراها واجبة في الصلاة وابو مسعود البدري روي عنه مرفوعا وموقوفا
ومنهم ابنه عبد الله بن عمر وابو جعفر محمد بن علي بن الحسين والشعبي كما نقله البيهقي
ومقاتل بن حيان ومحمد بن كعب القرظي كما نقله الماوردي واسحق بن راهويه كما
نقله المصنف واحمد بن حنبل في رواية عنه ومن العجائب ان المصنف انكر على الشافعي
وقال في شرح مسلم ما نصه حكى عن بعض البغداديين عن مذهب مالك في المسئلة ثلاثة
اقوال الوجوب والسنة والفضيلة وحمل بعضهم كلام ابن المواز على الوجوب
في الصلاة كمذهب الشافعي وكلامه محتمل للوجوب على الجملة ونقله ايضا في كتابه هذا
وعبارة ابن القصار في كتابه عيون الادلة وهو من اجل كتبهم بعدما نقلها بيان
من ادلة المخالفين في فرضيتها في الصلاة وجه ما نقل عن ابن المواز ما استدل به
القائلون بالوجوب فيكون الجلسة الاخيرة للتسليم عليه فان الصلاة لما تضمنت
ذكر الله وتمجيده كما في فاتحة الكتاب وجب ان يذكر فيها الصلاة والسلام على
الرسول حتى لا تخلو الصلاة عن ذكره مع الله كما في الاذان والاقامة فذكر وجهه
يدل على انه ما اله وقال ابن العراقي في احكام القران ان الصحيح ما قاله ابن المواز

فتعينت كيفية ووقتا كما بينا في مسائل الخلاف انتهى وهو امام مشهور من ائمتهم
وكذا ذكره ابن الحاجب في منهاجه وقال رحمه ابن عبد السلام فظهر منه انه قول
راجح في مذهبهم وانه ذهب اليه كثير من السلف فنسبته الى الشذوذ خطا
ظاهر مع ما بينا دفعه من كلامه هنا واذا نقل هذا عن الصحابي ولم يصرح غيره
بخلافه يصير اجماعا سكوتيا وحكمه مفصل في الاصول وعمل الناس على الصلاة
عليه بعد التشهد وتعليمها للصبيان فكيف يدعى خلافه واما ادلة المخالفين للشافعي
كابي حنيفة واتباعه ومالك في احد قوليه واليه ذهب بعض الشافعية كابن المنذر
والخطابي والقشيري والطبري كما نقله المصنف ولهم ادلة وحديث التشهد المروي
عن نحو اربعة وعشرين من الصحابة وليس في رواية منه ذكر الصلاة ثم سرد هنا
رواتها وفصلها تفصيلا لم يبق للوهم فيه والجواب عنه من وجوه منها انه لم
يبين انه جميع الواجب في الجلسة الاخيرة وايجاب الصلاة فيها بدليل اخر لا ينافيه
ومنها انكم قلتم بوجوب السلام ولم يامر به في هذا التشهد فيلزم عدم وجوبه وقد
اوجبتموه فما كان جوابكم فهو جوابنا لثبوته بدليل اخر وايضا التشهد ثبت
بتعليمه وكذا الصلاة فاي فرق بينهما وقد بينا انه مخصوص بالصلاة كالسلام
ومنها ان احاديث التشهد لو كانت نافية للوجوب كان الوجوب مقدما عليها
لان الثاني مقتض لزيادة عليه فكيف اذا لم يعارضه راسا ورد ايضا بان التشهد
فرض حين فرضت الصلاة وفرضت الصلاة عليه حين نزلت اية الاحزاب بعد
تخيير ازواجه فالتشهد تعليمه كان قبل فرضها فلا يضر عدم ذكره في تلك الرواية
فلذا قالوا قد عرفنا السلام فكيف نصلي عليك فان قلت فما تقول في الحديث
الصحيح الذي فيه انه صلى الله عليه وسلم اخذ بيد ابن مسعود وعلمه التشهد الى قوله
اشهد ان محمدا عبده ورسوله ثم قال فاذا قلت هذا او قضيت هذا فقد قضيت
صلاتك ان شئت ان تقوم فقم وان شئت ان تقعد فاقعد فانه يدل على ان الصلاة
عليه فيها ليست بواجبة ولا سنة كما قاله ابن عبد البر في التمهيد قلت هذا مطعون
فيه وقد قال الدارقطني في العلل انه من زيادة زهير مدرجة في الحديث وصله
بكلام النبي وليس منه وتتبع طرق الحديث شاهدة لما قاله وايضا انه محتمل ايضا
انه قبل ايجاب الصلاة عليه وايضا هو مردود بانهم لما كانوا يقولون السلام على الله
فقال لهم لا تقولوا هذا فان الله هو السلام ولكن قولوا الخ امرهم بما علمتم
وجوبه ولذا لم يتعرض لذكر السلام مع وجوبه مع ان المستدل بهذا اصحاب ابي
حنيفة القائلين بان التشهد ليس بواجب وانما الواجب الجلوس بمقداره فلو
تم هذا كان دليلا عليهم لا لهم لتعليقه تمام الصلاة على التشهد وهم لا يقولون به
فبطل المعارضة به ولا يصح ان يقال المراد تمام الاستحباب لانه موقوف عليها
عندهم انتهى زبدة ما ذكره الامام الخيضري بما يهمنا هنا وقد بالغ الشافعية في
الرد على المصنف وتخطئته فيما قاله كما سمعته ولكن اذا امعنت النظر علمت انه

ناقل

ناقل لما قاله الطحاوي ومن تبعه وما على الناقل الا تصحيح ما نقله وما على الرسول
الا البلاغ فيما قاله ايضا تحامل عليه لكن الحزم من حيث العمل وهذا من لباب
الالباب الذي لا تجده في غير هذا الكتاب وههنا بحث ذكره الاسنوي في التمهيد
وهو ان الامر بعد سؤال التعليم كالامر بعد الاستئذان او بعد التحريم يفيد
الاباحة عند الشافعية والوجوب عند ابي حنيفة فلا يستقيم استدلالهم على
وجوب الصلاة عليه بقوله قولوا اللهم صل الخ الامر للوجوب لانه بيان لكيفية
واجب انتهى وفيه نظر

فصل في المواطن التي يستحب فيها الصلاة

والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ويرغب اي فيها للمقصود والثواب من ذلك
المستحب المرغب فيه في تشهد الصلاة وهو الثنا على الله في الجلسة سمي تشهدا
باسم جزئه وهو قوله فيها اشهد الى اخره واطلقه ليشمل الاول والاخير فانه
مستحب في الاول وواجب في الاخير تقدم تفصيله كما قدمناه في الفصل الذي
قبله وذلك اي موطنه ومحله المعلوم مما قبله بعد التشهد الى قوله اشهد ان
محمدا رسول الله وقبل الدعاء الماثور في كتب الفقه وبابه حدثنا القاضي ابو
علي هو ابن سكرة شيخه كما تقدم بقراءتي عليه لا بغيره من طريق الاجازة حدثنا
ابو القاسم البلخي نسبة لبلخ مدينة معروفة انبانا الفارسي تقدمت ترجمته عن
ابي القاسم الخزاعي عن الهيثم بن كليب عن ابي عيسى الحافظ هو الترمذي
صاحب الشمائل والسنن وقد تقدم انبانا محمود بن غيلان ابو احمد الحافظ
المروزي احتج له اصحاب السنن وتوفي سنة تسع وعشرين ومائتين حدثنا عبد
الله بن يزيد المقرئ وفي نسخة زيد بدون يا والصواب الاول وهو المعروف
بالقصير المصري نزيل مكة ومولى ال عمر بن الخطاب وهو حافظ ثقة روى عن ابي
حنيفة وغيره وتوفي سنة ثلاث عشرة ومائتين عن حيوة بن شريح تقدم بيانه وحيوة
على خلاف القياس في الاعلام وقياسه حية حدثني ابو هانئ الخولاني [٢] اسمه ٢ ابن عمرو بن مالك الجنبي اخرجه
حميد بن هانئ وهانئ بهمزة في اخره يجوز ابدالها يا وقال البرهان انه احد بني
هلال وهو ثقة توفي سنة اثنتين واربعين ومائتين اخره بموحدة وبالنسبة تحتية
بطن من مذحج وهو مصري ثقة وذكره في الميزان توفي سنة اثنتين او ثلاث
ومائة انه سمع فضالة بضم الفاء وفتح الضاد المعجمة ولام ابن عبيد بالتصغير
ابن نافذ بن قيس الانصاري الاوسي ابو محمد الصحابي ولي قضاء دمشق وتوفي
سنة ثلاث وخمسين ومائة واحتج له احمد وغيره يقول سمع النبي صلى الله عليه
وسلم رجلا يدعو في صلاته بعد التشهد في الجلسة الاخيرة فلم يصل على النبي صلى
الله عليه وسلم بعد تشهده فقال صلى الله عليه وسلم عجل بفتح العين وكسر الجيم [٢] ٢ هزام
اي اسرع بدعائه وانه في غير محله قبل ان يصلي عليه صلى الله عليه وسلم لان الدعاء معلق
حتى يصلى عليه قال من سال حاجة لا بد له ان يتقدم وسيلة مرسل لقضاء حاجة
ثم دعاه اي طلب ذلك الرجل وقربه اليه او لغيره او وجه خطابه لغيره

وهو يجمع وهو المراد بالاعلام اذا صلى احدكم فليبدأ بالمهزاى يقدم على
دعائه ليقبل بتحميد الله والثنا عليه عطف تفسير لان المراد بروايات مختلفة
بلغت نحو ثلاثة عشر كما نقل في محله ثم ليصل على ثم ليدع بلام مكسورة او
ساكنة للامر بما شا من الخير والدعا لما تقرر آنفا ويروى من غير هذا
السند الذى رواه المصنف عن الترمذي ورواه ابو داود بتمجيد بميم وجيم
ودال مهملة ومعناه التعظيم ومعناهما متقارب والرواية الثانية لابن ماجة
بسند اخر وهو اصح رواية لقوة سنده لا من حيث المعنى وان قيل انه امدح
وفيه نظر وانما يتم استدلال المصنف به ان كان في الصلاة وقد استدل
به الشافعي على وجوبها فيها وقد ينازع فيه فانه ورد من طريق اخرى بينما رسول
الله صلى الله عليه وسلم قاعد اذ دخل رجل فصلى وقال اللهم اغفر لي وارحمني فقال
صلى الله عليه وسلم عجلت ايها المصلي اذا صليت فقعدت فاحمد الله بما هو اهله
وصل على ثم ادع وظاهر قوله فقعدت انه كان بعد الصلاة فلا يدل على مدعاه
اقول قد اجاب الخيضري عنه باجوبة حاصلها انه ليس نصا فيما ذكرت لان
المراد بالقعود الجلسة الاخيرة في التشهد وقد ورد التصريح به في رواية اخرى
فاندفع الايراد وعن عمر بن الخطاب المخصوصة الا انه قيل ان هذا
اللفظ اى الصلاة ليس مذكورا في الترمذي وهو المشهور معلق كل منهما
اى موقوف في قبوله فهو استعارة او حقيقة لان الملائكة لا تصعد به بين
السما والارض لا يصعد الى الله منه شي لعدم رضاه جل جلاله حتى تصلى
عليه صلى الله عليه وسلم لانه اعمال المؤمنين تكتب وترفع الى السما اذا قبلت
وقبولها موقوف على الصلاة عليه لانه هو الذى هدانا وارشدنا الى الله وهو
وسيلتنا اليه وقد ورد لا تفتح لهم ابواب السما هذا والرفع والصعود من
صفات الاجسام فالمراد رفع صحفها وقيل انها تجسم ولاما نحن فيه وعن علي
ابن ابي طالب رواه عنه البيهقي وابن عساكر وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم
بمعناه اى بمعنى حديث عمر الا انه زاد فيه وقال وعلى آل محمد فلا بد من الصلاة
على الآل مع الصلاة وهذا هو الاكمل ووجوبها لعدم الكلام عليه وروى
رواه عبد الرزاق والطبراني بسند صحيح عن ابن مسعود انه الدعا محجوب
عن السما فلا يبقى له وجزم انه لا يقبل ويجوز ان يكون تمثيلا واستعارة لعدم
القبول حتى يصلي الداعي على النبي صلى الله عليه وسلم وليس في هذا دليل على وجوبه
في الصلاة اذ القبول ليس من شرائط الصحة ومن ادعاه فقد تبرع بما لا يملكه
ولا يقبل ولو عد المصنف هذا موطنا مستقلا كان اولى كما عده غيره لكنه ادرجه
في التشهد لانه محل الدعا ايضا وعن ابن مسعود في حديث صحيح مسند
اذا اراد احدكم ان يسال الله شيئا ويدعو به فليبدأ بمدحه والثنا
عليه كما ارشدنا لذلك في سورة الفاتحة قال ابن برجان في تفسيره اذا قيل

لك ان احدا احمى مثنيا بقراءة الفاتحة فلا تنكره ولتقراها ملاحظا للثنا
عليه وحده لانه المتفرد بجميع النعم الدنيوية والاخروية جليلها ودقيقها كما اشار
اليه بقوله بسم الله الرحمن الرحيم الى اخره ثم يلاحظ عظمته وجلاله المشير اليه
قوله مالك يوم الدين ثم يخضع غاية الخضوع كما اشير اليه اياك نعبد ثم يفوض
اموره اليه بقوله اياك نستعين ثم يبادر حاجته بقوله اهدنا الى اخره ولذلك
سميت سورة تعليم الدعا بما هو اهله اى بما يستحقه ويليق به ثم يصلي على
النبي صلى الله عليه وسلم ليستشفع بازيد مخلوقاته واحبهم اليه فانه الوسيلة
العظمى فانه اى دعاه بهذه الكيفية احرى اى احق والكيفية ان ينجح بضم اوله
مبني للفاعل من انجح اذا فاز وبلغ مقصوده ومطلوبه وهذا الحديث رواه عبد
الرزاق والطبراني وابن ابي الدنيا بسند صحيح بتقدم صلاته وتكثيرها وتوسطها
في دعائه كما قال الخيضري فتكميل اكثر من صلاته تحقق الاجابة وعن جابر فيما رواه
البزار وابو يعلى والبيهقي في شعب الايمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تجعلوني كقدح الراكب قيل وما قدحه يا رسول الله قال ان الراكب
اى من يريد ركوب راحلته فان احتاج الى الشراب اى شرب ما شربه اى شرب
ما قدحه وصفه جنبه او الوضو من ما قدحه توضأ بالسنة ويجوز ابدال الهمز
الفا والا اى وان لم يكن محتاجا لشرب او وضو هراقه بتقدير مضاف اى هراق
ماءه اى صبه على الارض لاستغنائه عنه واصل هراقه اراقه فابدلت الهمزة
ها وقد يجمع بينهما فيقال اهراقه وتفصيله في كتب العربية قال ابن الاثير
وغيره معناه لا تؤخروني اذا صليتم على في الذكر وتجعلوا ذكرى تبعا لغيره بل
اعتنوا به فقدموه واذكروه في وسطه واختموا به كما اشار اليه بقوله ولكن
اجعلوني اى اجعلوا ذكرى بالصلاة علي في اول الدعا واوسطه واخره فيه
تشبيه تمثيلي بليغ لمن اخر ذكره عن دعائه كما ان من يريد الركوب لراحلته يبدأ
بمتاعه فيحمله ويجمع وقدحه موضوع لم ينظر لقدحه فيأخذ ما فيه او يريقه
وهذا القول حسان في صحابته

وانت هجين نيط في آل هاشم … كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

والراكب يجعل القدح خلفه وفي هذا الحديث زيادة على ما قبله بجعله اولا ووسطا
واخرا وقال ابن عطا ابو العباس احمد بن محمد بن سهل الادمي وهو من اجل
مشايخ الصوفية توفي سنة تسع وثلاثمائة للدعا اركان امور مهمة لا بد منها شبهت
باركان البنا وهو اركان الصلاة عند الفقها واجنحة جناح الطير كاليد للانسان
يحصل بها ما يريد وفيه استعارة تخييلية ومكنية شبه معنوية بالمحسوس تقبوله ورفعه الى
السما بالاجنحة واسباب اى وسائل للوصول للمطلوب والفوز به واوقات
مخصوصة يكون فيها اسرع اجابة كاثر الصلاة فان وافق اركانه اى قاربها
وكانت تامة قوي اى كمل وتم كما يقوى البنا والبدن باركانه وان وافق

ثم ليسال ع

بلا قدحه ثم يضعه ورفع صح

احجية بان كان له اجنحة كاملة طار في السما اي صعد اليها وقيل كما مر وان وافق مواقيته جمع ميقات بمعنى الوقت اي ان وقع في اوقاته فاز بالاجابة وحصلها ان وافق اسبابه انجح اي تم وقيل نجاحه وسعد ثم بين ذلك فقال فاركانه حضور القلب اي توجهه توجها تاما بجمع فكره وحواسه والرقة اي رقة القلب ونبرها بقوله والاستكانة اي الخضوع والانقياد والخشوع اي المذلة والخوف وعدم رفع الصوت والبصر وتعلق القلب بالله بقطع النظر عما سواه وقطعه الاسباب بان لا يرجو غيره كما في الدعا الماثور اللهم ارزقني رجائك واقطع رجائي عما سواك واجنحته الصدق بان يوقن بانه لا معطي ولا مانع غيره وفي الحديث الصدق يهدي الى البر فالصدق معناه خلوص النية والطوية ومواقيته الاسحار اي اواخر الليل لانها محل الاجابة ومحل الرحمن وقرب عباده منه وهو اقوى في التوجه وفيه تهب نفحات الرحمة ونسمات الخير كما قال تعالى وبالاسحار هم يستغفرون وقال ان قران الفجر كان مشهودا واسبابه المرشد لحصول المراد الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم كما تقدم وقال اسبابه والمراد اسباب اجابته ففيه اشارة الى انه بدون الاجابة كالعدم وفيه اشارة الى الحديث ينزل ربنا كل ليلة الى سما الدنيا في الثلث الاخير من يدعوني فاستجيب له ومن يسالني فاعطيه ومن يستغفرني فاغفر له كما في الصحيحين وقد اختلفوا هل الدعا افضل لما فيه من التذلل والافتقار او السكوت لما فيه من التسلم والرضا فذهب الى كل طايفة وقيل انه يختلف باختلاف الاحوال وهو الارجح عند البعض وفيه كلام ليس هذا محله وفي حديث لم يذكر راويه الدعا الواقع بين الصلاتين على بان يصلي عليه صلى الله عليه وسلم قبله وبعده فان الصلاة عليه مقبولة وكرم الله اذا تقبل الطرفين لا يترك ما بينهما وسيل السنوسي عن القطع بقبول الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فاجاب بانه منصوص عن السلف واستشكله بانه لو قطع بها للمومن المصلي عليه لقطع له بحسن الخاتمة اذ ادى بها مع الصلاة وبين الصلاة عليه وهي مجهولة لكل احد واجاب بان معنى القطع بقبولها انه اذا تضى له بخاتمة الايمان ووجدت حسنة الصلاة على النبي مقبولة بلا ريب فيه يتفضل الله بخلاف سائر الحسنات فانه لا يوثق بقبولها ويحتمل انها اذا صدرت على سبيل المحبة من صاحبها يقطع بانتفاعه في الاخرة بوجه ما ولو بتخفيف العذاب وفيه نظر لا يرد اي يستجاب ذلك الدعا وفي حديث كل دعا محجوب دون السما كما هو في حديث الترمذي عن عمر فاذا جاءت الصلاة علي اي ذكرت معه صعد الدعا الى السما اي قبل واستجيب وفي دعا ابن عباس الذي رواه عنه حنش بفتح الحا المهملة والنون وشين معجمة ابن عبد الله بن عمرو بن حنظلة بن مهد ابو رشد التابعي الصنعاني احد الداخلين الى الاندلس في صدر الاسلام ولد واتبعن علي وابن عباس وعمر الا ان نعض الحديث لم يرد عنه في الكتب ورى له غيره توفي بافريقية سنة مائة

وقيل

وقيل ان قبره بسرقسطة فقال في اخره اي اخر الدعا واستجب دعاي ثم يبدا بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم قبل ما يدعو به ويقول اسالك ان تصلي على محمد عبدك ورسولك صلاة من افضل ما صليت على احد من خلقك اجمعين امين اي استجب وهو اسم فعل له فان قلت هل يجوز ان يقال صل على سيدنا محمد قلت يجوز ويجوز اتباع الماثور فيه ولكن اختلف في ايهما افضل رعاية الادب او امتثال فذهب الى كلا القولين بعض وقيل امتثال الامر عين الادب وهو الظاهر واطلاق السيد عليه جائز وان اطلق على الله وفيه خلاف ليس هذا محله ومن مواطن الصلاة عليه واما كنها عند ذكره وسماع اسمه او كتابته ونقدم القول بانه واجب كلما ذكر او سمع وذكره اعم من ان يكون في الصلاة او عند قراة القران كما ذكره الخيضري في كتاب اللولو المنظم ورواه عن السلف وعند كتابة اسمه وهل يكتفي بكتابة الصلاة عليه او الافضل ان يتلفظ به تردد فيه بعضهم والافضل ان يكتبه ويتلفظ به او عند الاذان اي بعده وهو مستحب للمؤذن وسامعه لما رواه مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا الحديث وهل يقتصر على الصلاة او يذكر معها السلام لما ذكروه من كراهة الاقتصار عليها مطلقا للاية السابقة صرح به النووي وقال غيره يقتصر عليها الظاهر حديث مسلم قال الخيضري يسن ايضا بعد الاقامة لما رواه الطبراني في كتاب الدعا عن ابي الدردا انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمع المؤذن يقيم يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة النافعة ات محمدا سوله يوم القيامة سمعها من حوله ويجب ان نقولوا مثله وهذا لما سكتوا عنه انتهى وقد قال صلى الله عليه وسلم في حديث مسلم عن ابي هريرة رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي يدخل فيه ما في الموطن كله لان الذكر يشمل ذكره وذكر غيره والكتابة والكتابة ذكر معنى وهذا دعا عليه بان يذله الله لعدم اعزازه رسوله اذا ذكر عنده ورغم بفتح الغين وكسرها رغما وارغمه الله اذله وهو من الرغام بمعنى التراب فجعل عبارة عن ذكره وله اذكروا لاصق الذي من انف رغمه ويقال رغم انفه اذا تكبر وهذا الحديث رواه الترمذي عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي رغم انف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ منها قبل ان يغفر له ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر فلم يدخلاه الجنة ورواه الحاكم وقال هو صحيح الاسناد وكره ابن حبيب وهو عبد الملك بن حبيب بن سليمان وهو فقيه نحوي طبيب مفسر محدث الا انه لم يكن له نقد ونظر تام في الحديث توفي سنة ثمان او تسع وثلاثين ومائتين ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح وهو مذهب مالك وقال غيره يستحب وانما كره لئلا يكون مما اهل به لغير الله والى هذا ذهب الحنفية كما في المحيط وخالفهم الشافعي فقال في الام والتسمية على الذبيحة باسم الله ولا اكره ان نقول وصلى الله على رسول الله

بل احب وقال المزني انها لا تستحب ولا نكره جهي مباحة وقال الاوزاعي يختص ما اذا
كان قربة كالاضحية وقال الرافعي لا يجوز ان يقول باسم محمد ولا باسم الله واسم محمد وذهب
بعضهم الى ان ما ذبح باسم غير الله لا يحل اكله وكذا ما ذبح للكعبة او عند قدوم سلطان وقيل
ان قصد التبرك جاز ونقل عن ابن حنبل فيه خلاف وكذا قيل انه لا ينبغي عند العطاس
وقيل انما يكره اذا لم يقصد بعد الحمد الصلاة على من سنه وقال الحطابي يحصل من كلام
المالكية ان في الصلاة عند الذبح والعطاس قولين ويكره عند الجماع والحاجة انتهى وكره
سحنون الفقيه المشهور المالكي واسمه عبد السلام بن عبد السلام بن سعيد بن حبيب بن
حسان السوحي وهو ممن تمت له من الكمال فضلا وزهدا وسماحة ولد في رمضان سنة ستين
او احدى وستين ومائة وتوفي لتسع خلون من رجب سنة اربعين ومائتين وعمره ثمانون
سنة كما في الميزان وسينه مضمومة ويجوز منع صرفه وفتح سينه كما سيأتي الصلاة
عليه صلى الله عليه وسلم عند التعجب لرؤية امر عجيب وهو مذهب مالك واليه ذهب
الشافعية كما في الاذكار للنووي وقال الحليمي من الشافعية لا يكره كسبحان الله لان التسبيح
تنزيه لموجد العجائب والصلاة عليه لانه اعظم المخلوقات واعجبها والشيء بالشيء يذكر
وقال قاضي خان ولو راى شيئا جيدا فقال اللهم صل على محمد لا ان قصد الاعلام بجودته
كره والناس يستعملونه نظما ونثرا قال بعضهم
اقبل يهتز في علا لينه ... من لين يثني لما سوى علة
فقال كل امرئ تامله ... الصلاة على رسول الله
وقلت في مطلع قصيدة
ظبي على الصب جبن لم ... صل على المصطفى وسلم
وقال سحنون لا يصلى عليه صلى الله عليه وسلم الا على طريق الاحتساب اي
من غير سبب بل خالصا لوجه الله وحسبه وطلب الثواب لا للتعجب وغيره كما امر الله
به تعظيما له واما عند التعجب ورؤية مستغرب كما لو اخشى عليه الكفر وقال اصبغ لا
يومر بها عند الغضب خوفا من ان يحمله الغضب على الكفر ونقله النووي في اذكاره عن
بعض بني نافع الاموي مولى عمر بن عبد العزيز المصري الفقيه الجليل المحدث روى عنه ٧ قال اصبغ
البخاري وغيره وتوفي سنة خمس وعشرين ومائتين في قول عن ابن القاسم عبد الرحمن
ابن القاسم بن خالد بن جنادة المصري امام الفقه صاحب الامام مالك وهو ثقة حجة
توفي سنة احدى وتسعين ومائة وارتحل الى مالك اثنتي عشرة مرة انفق في كل مرة الف
دينار موطنان لا يذكر فيهما الا اسم الله الذبيحة والعطاس فلا تقل فيهما محمد رسول
الله اي لا تقول باسم الله وباسم محمد رسول لئلا يكون الاهلال في الذبيحة لغير الله والعطاس
يدل على قوة الدماغ الدافعة لاذى البخار فهي نعمة من الله خفية لا تعد وعقبها غير الله
فذكر اسمه شكر الله على نعمه دون غيره قال اصبغ ولو قال بعد ذكر الله فيهما
وصلى الله على محمد لم يكن ذلك تسمية له مع الله ولكنه صلاة على نبيه التقرب الى
الله بالصلاة عليه فلا يكره وعن ابي سعيد الخدري عنه صلى الله عليه وسلم قال من عطس

فقال

فقال الحمد لله على كل حال وصلى الله على محمد وعلى اهل بيته اخرج الله عز وجل من
منخره الايسر طائرا يقول اللهم اغفر لقائلها اخرجه الديلمي في الفردوس بسند لا
باس به وعطس رجل عند ابن عمر فحمد الله فقال له لقد بخلت هلا حيث حمدت الله صليت
على نبيه ولذا رجح البيهقي استحباب الصلاة عند العطاس واليه ذهب جماعة وقال
اخرون لا تستحب ولكل موطن ذكر يخصه والمعتمد لو اتجه انه لا يذكر في ثلاث مواطن
عند العطاس والذبيحة والتعجب وروى فيه نسخة الطعام بعد التعجب اخرجه
الديلمي في مسنده وفيه من اتهم بالوضع وقال الخيضري يتعجب ممن يحب ان يصلي على
النبي صلى الله عليه وسلم ذكره شيخنا وقال احمد بن من نص الشافعي في قوله احب ان يكثر
الصلاة عليه في كل الحالات تدخل في عمومه وفيه نظر وقال اشهب اي كما قال ٧ يريد
اصبغ واشهب هو ابو عمر كعب مسكين بن عبد العزيز بن داود بن ابراهيم القيسي ولد
سنة اربعين ومائة وقيل سنة ست وخمسين وتوفي سنة ثلاث او اربع ومائتين بعد
الشافعي بثمانية عشر يوما وسنه اربع وستون واخرج اصحاب السنن وهو احد فقهاء
مصر حتى فضل على ابن القاسم قال اشهب ولا ينبغي ان تجعل الصلاة فيه
اي فيما ذكر من الذبيحة والعطاس استنانا اي سنة وطريقة لانه تشريع فيما لم
ينقل وقيل الاستنان هنا بمعنى الفرح والنشاط واللعب وقيل معنى استن جرى في غير
طريقه وهو خلاف الظاهر والذي عليه الشراح الاول والكلام على ذكر الله والتسمية
عند الذبح وانه سنة او واجب مفصل في الفروع وروى النسائي وابو داود وابن
ماجه وابن حبان والحاكم وصححه عن اوس بن اوس الثقفي الصحابي ويقال اوس بن
ابي اوس كما في الاستيعاب عن النبي صلى الله عليه وسلم من الاكثار من الصلاة
عليه يوم الجمعة وليلتها لانه افضل الاوقات ولما ورد ان الصلاة تعرض عليه فيه
والحديث المذكور من افضل ايامكم يوم الجمعة فيه خلق الله ادم وفيه قبض وفيه النفخة
وفيه الصعقة فاكثروا من الصلاة فيه على فان صلاتكم معروضة على قالوا يا رسول
الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد ارمت يعني بليت فقال ان الله حرم على الارض
ان تاكل اجساد الانبياء وفيه احاديث اخر بيناه وهذا احد مواطن الصلاة عليه ومن
مواطن استحباب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم دخول المسجد والخروج منه
ايضا كما سيصرح به لورود الامر به في الحديث وفي الاذكار يقول اعوذ بالله العظيم
وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم اللهم صل على محمد وعلى ال محمد
اللهم اغفر لي الى اخره وروى النسائي وابن ماجه اذا دخل احدكم المسجد فليصل على
النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليقل اللهم افتح لي ابواب رحمتك واذا خرج صلى وقال اللهم
اني اسالك من فضلك وروى اجرني من الشيطان وفي معناه روايات ذكرها النووي
زيادة قيل وينبغي ذكر السلام ايضا قال ابو اسحق بن شعبان هو محمد بن القاسم المصري
وقد تقدم بيانه وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم
وعلى اله فيهما له كما مر وان يترحم عليه وعلى اله اي يقول اللهم ارحم محمدا وال محمد

وقد تقدم الكلام في الدعا له بالرحمة وما فيه **وبارك عليه وعلى اله** اي تقول
اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد فزد البركة وادمها لهم كما تقدم شرحه **ويسلم تسليما**
اي تقول هل عليه كره افراد الصلاة عن السلام **ويقول** بعد الصلاة والسلام **اللهم
اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك** لان المسجد محل العبادة والثواب والرحمة
والمراد بابواب الرحمة انواعها وفتحها تيسيرها واعطاؤها وعبر بالفتح وابوابها المناسبة
للدخول فتعبيره من اللطف ما لا يخفى وكذا في قوله **واذا خرج** من المسجد فعل ذلك اي
يقول ما قاله بعينه **وجعل موضع رحمتك فضلك** لان من خرج من المسجد يخرج لكسبه
ومصالحه ملتمسا لفضل الله كما قال تعالى فاذا قضيتم الصلاة فانتشروا في الارض
وابتغوا من فضل الله والحديث في مسلم الا قوله وترحم وبارك **قال عمرو بن دينار**
المراد في قوله تعالى **فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم الاية** فهذا احد المواطن
التي تستحب فيها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المرء منزله قال الامام
الخيضري في اللواء المعلم روى ابو موسى المديني عن سهل بن سعد قال جاء رجل الى النبي
صلى الله عليه وسلم فشكى اليه الفقر وضيق العيش او المعاش فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا دخلت منزلك فسلم ان كان فيه احد او لم يكن ثم سلم علي ثم اقرأ قل هو
الله احد مرة واحدة ففعل الرجل فادر الله عليه الرزق حتى افاض على جيرانه انتهى
وفي هذه الاية اقوال للمفسرين فقيل البيوت المساكن وقيل المساجد وفي قوله على انفسكم
وجهان ايضا فقيل هو على ظاهره وقيل المراد بعضكم من بعض بجعله كنفسه لاتحاد جنسه
واهله وقال تحية من عند الله مباركة طيبة ومعنى كونها من عنده انه امرها وكونها مباركة
لحصول البركة وسعة الرزق بها وطيبها لذلك ولطيب الانفس بها **قال** اي ابن دينار
ان لم يكن في البيت احد يسلم عليه **فقل السلام على النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين من الملائكة** يسلم عليه **السلام على اهل
البيت ورحمة الله وبركاته** كلام المصنف هنا في استحباب الصلاة لمن دخل المسجد
وهذا التفسير لا يوافقه لانه لم يذكر فيه صلاة وهو مبني على ان المراد بالبيوت المنازل
فاما ان يقال ذكره استطرادا وتتميما لكلام المفسرين فيها او يقال انه اذا شرع
التسليم على اهل كل بيت فبيت الله واهدا ولى لكن حمل التحية على هذا على الصلاة
عليه صلى الله عليه وسلم مع انه خلاف الظاهر ولم يقله المفسرون فان التحية عندهم
على هذا بمعنى السلام على من في المنزل لما رواه الترمذي من انه صلى الله عليه وسلم
قال اذا دخلت على اهلك فسلم تكن بركة عليك وعلى اهل بيتك لذا قيل ولعله تكلف
لا داعي له **قال ابن عباس** فيما رواه عنه ابن ابي حاتم **المراد بالبيوت**
في هذه الاية **المساجد** لانه وقد اطلق عليها حقيقة فاذا دخلها سن له
الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كما تقدم تفصيله **وقال النخعي** بفتح المعجمة
نسبة لقبيلة وهو ابراهيم بن يزيد بن الاسود بن عمرو بن ربيعة فقيه الكوفة
المشهور توفي سنة خمس او ست وتسعين الا الاسود بن يزيد الكوفي كما قيل

لانه المتبادر لشهرته **اذا لم يكن في المسجد احد** ودخله رجل **فقل السلام
على رسول الله** تحية من عند الله مباركة عليه **واذا لم يكن في البيت احد فقل
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين** وهذا يقتضي استحباب السلام عليه وكم
يذكر معه الصلاة عليه وهكذا ورد في الحديث كما تقدم وقد عدوا من مواطن
الصلاة عليه دخول المنزل والمسجد **وعن علقمة** بن قيس ابو شبل الفقيه كما تقدم
**اذا دخلت انا المسجد اقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته صلى
الله وملائكته على محمد** كما تقدم من انه يسن لداخل المسجد والخارج منه ان يصلي عليه
صلى الله عليه وسلم وفي هذه زيادة السلام عليه **ونحوه** مروي **عن كعب الاحبار**
كما تقدم بيانه **اذا دخل المسجد او خرج منه ولم يذكر الصلاة** على النبي
صلى الله عليه وسلم وهي مستحبة ايضا **واحتج ابن شعبان لما ذكره** فيما تقدم من
استحباب ان يصلي عليه صلى الله عليه وسلم وعلى اله ويترحم عليهم ويبارك ويسلم تسليما
بحديث فاطمة الذي تقدم الا انه ليس فيه ترحم وتبرك **بنت النبي صلى الله عليه
وسلم انه كان صلى الله عليه وسلم يفعله اذا دخل المسجد ومثله** اي مثل حديث فاطمة
ومعناه روي **عن ابي بكر بن عمرو بن حزم** وهو محمد بن عمرو بن حزم قاضي
المدينة واميرها ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين فسماه صلى الله عليه
وسلم محمدا وقيل انه ولد بنجران وابوه عامل عليها من قبله صلى الله عليه وسلم في سنة
عشر من الهجرة فسماه ابوه سليمان وكتب بذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فامره ان يسميه محمدا ويكنيه بعبد الملك ففعل وتوفي في سنة عشرين ومائة واخرج
له السنة **وذكر** ابن حزم **السلام والرحمة** اي الدعاء بهما **وقد ذكرنا هذا الحديث**
يعني حديث فاطمة الزهراء **في اخر القسم الثاني** من هذا الكتاب **والاختلاف
في بعض الفاظه** لتعدد طرقه وتغاير بعض الفاظه **ومن مواطنها** اي الصلاة
عليه صلى الله عليه وسلم التي تستحب فيها **الصلاة على الجنائز** وهي عند الشافعي من
اركانها بعد التكبيرة الثانية ويقرأ بعد الاولى سورة الفاتحة ثم يدعو للميت
كما بينه الفقهاء **وعن ابي امامة** هو اسعد بن سهل بن حنيف بن واهب بن العليم
ابن ثعلبة الانصاري ولد في زمنه صلى الله عليه وسلم فكناه وبرك عليه ولم يسمع
منه وحديثه مرسل وتوفي في سنة مائة واخرج له الستة **انها من السنة** فتجب
في صلاة الجنازة عنده ولست من اركانها وذهب الشافعي في احد قوليه انها واجبة
واستدل بقول ابي امامة لان مراده بالسنة طريقته صلى الله عليه وسلم فيشمل
الواجب وغيره وقول الصحابي ونحوه من السنة كذا في حكم المرفوع واختلفوا في
الصلاة على الال هنا ويصلي عليه صلى الله عليه وسلم عند ادخال الميت قبره ايضا
فيقول بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رواه الترمذي وابو داود
وهذا الحديث رواه الشافعي في الام الا ان في سنده ضعفا كما قاله الخيضري
ورواه الحاكم والبيهقي وغيرهما وهذا وجه عن ابي حنيفة واحمد ومالك **ومن**

مواطنها التي تستحب فيها الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم التي عليها عمل الامة ولم ينكرها
الامة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله تبعا له في الرسائل جمع رسالة
تقصايه وعصايه بمعنى المقول وهو المكتوب الذي يرسل مطلقا ولا وجه لتخصيصه
بما يكتب بين الاخوان كما قيل وبما يكتب بعد البسملة اي كتابة بسم الله الرحمن الرحيم
وهو من باب النحت كالحوقلة والحمدلة وليس بمولد كما قيل لسماعه من العرب كما رواه
الثقة وكتابة البسملة سنة في الكتب المقررة في القرآن والسنة لقوله تعالى انه
من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم وتقدم على غيرها وذكر سليمان انما هو عنوان
الكتابة لا فاتحة كما ذكره المفسرون ولم يكن هذا اي ابتداء الكتب بالصلاة على رسول
الله في الصدر الاول اي في ابتداء الاسلام وزمن الخلفاء الراشدين فالصدر
مستعار للابتداء والاول صفة موضحة ومقررة له واحدث بعد ولاية بني هاشم
يعني بني العباس واختلف في اول من كتبه فقيل السفاح عبد الله بن محمد بن علي بن
عبد الله بن عباس وقيل هرون الرشيد وورد عليه السلام ان الكلاعي قال
في كتاب الاكتفا عن الواقدي بسنده ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه كتب في رده
اي بني سليم الى طريفة ابن حاجر املا ما صورته بسم الله الرحمن الرحيم من ابي بكر خليفة
رسول الله الى طريفة بن حاجر سلام عليك فاني احمد الله الذي لا اله الا هو اليك
واسأله ان يصلي على محمد صلى الله عليه وسلم اما بعد الخ فهذا يدل على ان اول
من فعله الصديق الا ان ترك ذلك في زمن بني امية وفي الاذكار مثله وهو يدل
على انه سنة قديمة وهذا محله من مورده من قوله بعد البسملة فانهم ان يكتب
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم فتصدر به على جميع ما بعده وليس فيما ذكره
ذلك فتفطن له ثم اختلفوا في الصلاة هل عطفا اولا على ... ليس ثمن عطف فظاهر
ومن قطعه اراه ايضا وفي عطفه على الخبر كلام طويل في كتب النحو والمعاني فمضى به
عمل الناس في اقطار اي اسندوا ضار سنة او وعد حسنة مستحبة ومنهم من ختم ٧ الآخر م
به ايضا اي كما بدا به يجعله في الاول والاخر لتشتمل بركته جميع ما كتبه وقال
عليه الصلاة والسلام من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام
اسمي مكتوبا في ذلك الكتاب اي المكتوب مطلقا وليس المراد به المصنفات كما
يتوهم حتى يقال ان تدوين الكتب الحديث في الصلاة على الحبيب التتبع هذا الحديث
رواه الطبراني في الاوسط والخطيب في شرف اصحاب الحديث وابو الشيخ والمستغفري
وصاحب الترغيب بسند ضعيف واورده ابن الجوزي في الموضوعات وقال ابن
كثير انه لم يصح وروي من كتب في كتاب صلى الله عليه وسلم لم تزل الملائكة تستغفر له ما حظ صلاة
دام في كتابه انتهى والملائكة دعاؤهم لبني آدم مطلقا حيث ورد حتى للانبياء بالاستغفار
قال تعالى يسبحون ويستغفرون للذين آمنوا وكان وجهه انهم لما علموا ما ركب في
طبيعة النوع الانساني من الشهوات والمشاغل التي هي من لوازم البشرية تقتضي
الاشتغال بغير الله وهم لا يفترون عن التسبيح ولا يعملون الا بما يؤمرون واستغفروا

عليهم

عليهم ورأوا ان الله لا يؤاخذهم بشيء من تبعاته فاعرفه فاني لم ار منه عليه وذكروا
في ذلك آثارا عن السلف الصالحين ومنامات منها ان الشافعي رؤي في المنام
فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي ولم يحاسبني واكرمني لصلاة صليتها عليه في الرسالة
وهي اللهم صل على محمد كلما ذكره الذاكرون وصل على محمد كلما غفل عن ذكره مطلب
الغافلون وقد رويت هذه من طرق بالفاظ مختلفة ومن مواطن الصلاة عليه
اي الاماكن التي تستحب الصلاة والسلام عليه فيها تشهد الصلاة التي تذكر
في آخرها واطلقه ليشمل الاول والثاني كما مر واورد حديثا رواه البخاري
وهو حدثنا ابو القاسم خلف بن ابراهيم المقري الخطيب وغيره قال
حدثتني كريمة بنت احمد وتقدم ترجمتها قالت حدثنا ابو الهيثم تقدم ايضا
حدثنا محمد بن يوسف هو الفربري كما تقدم حدثنا محمد بن اسماعيل هو
الامام البخاري كما تقدم حدثنا ابو نعيم الفضل بن عمرو بن حماد الحافظ توفي
في سلخ شعبان سنة تسع عشرة ومائتين اخرج له الستة وترجمته في الميزان ه
حدثنا الاعمش سليمان بن مهران وقد تقدم عن شقيق بن سلمة الاسدي
المخضرم توفي سنة اثنتين وثمانين كما تقدم عن عبد الله بن مسعود قال ابن مسعود فهو
موقوف له حكم المرفوع وفي نسخة عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو مرفوع اذا صلى
احدكم صلاة فرضا او نفلا فليقل التحيات الخ والتحية تفعلة من الحياة ومعناها
الاحيا والابقا والملك والبقا وكل منها صحيح هنا اي كل تحية حيي بها الملوك والعظما
ثابتة لله لا تليق بغيره والصلوات اي انواع الدعا الذي يراد به الثنا الطيبات
اي جميع كلمات الثنا الطيب لله لا لغيره وقيل الصلاة العبادة السلام عليك ايها النبي
حكاية لما علمه لهم حال حياته ثم استمروا على ذلك بعده وادعى ابن مسعود كنا نقوله
وهو بين اظهرنا فلما قبض قلنا السلام على النبي ورحمة الله وبركاته اي كل نعمة
وخير لكثرة ثابت له في كل زمان السلام علينا معاشر الامة وعلى عباد
الله الصالحين من جميع الامم السابقة وملائكة السما والارضين والجن المؤمنين
كما قال فانكم اذا قلتموها اي قلتم هذه الكلمات وهي السلام علينا الخ اصابت
اي نالت رحمتها وبركتها كل عبد لله صالح في السما والارض لعموم الجمع المحلى بالالف
واللام قيل الفصل معقود لمواطن الصلاة عليه وهو انه لم يقل بوجوبها لا يكون هذا
سنة واجيب بانه لما ذكر الصلاة لعلها بما تقدم هذا اي التشهد في الصلاة
احد مواطن التسليم عليه اشارة الى انه له مواطن اخر وسنته اي استحبابه
وفي نسخة سنية بها السنة وهي اولى اول التشهد اي قبل ان يقول اشهد ان
لا اله الا الله وبعد التحيات لله الى آخره وفي التشهد وكيفيته روايات مفصلة في
كتب الفقه وروى مالك عن ابن عمر انه كان يقول ذلك اي السلام عليك ايها
النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين اذا فرغ من
تشهده واراد ان يسلم سلام التحليل اي الخروج من الصلاة واستحب مالك

في المبسوط اسم كتاب له ان يسلم بمثل ذلك المذكور من السلام على النبي الى اخره
قبل السلام من صلاته وهو قيد احتيل خلاف المشهور من مذهبه قال محمد بن مسلمة
بفتح الميمين وهو محمد بن مسلمة بن هشام بن الوليد بن المغيرة توفي سنة ست عشرة
ومائتين اراه ماجا مرويا عن عائشة وابن عمر انهما كانا يقولان عند سلامهما
اي قبل سلام الخروج السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين ثم يقول السلام عليكم وهو خاتمة الصلاة فاستحب
اهل العلم ان ينوي الانسان المصلي اماما او مقتديا او منفردا حين سلامه
اي قوله السلام في صلاته السلام على كل عبد صالح في السماء والارض من الملائكة
ونوع بني ادم وجنس مؤمني الجن وقيل الامام ينوي السلام على من اقتدى به وهم ينوون
الرد عليه وغيره ينوي به من على يمينه ويساره وهم الرد وغيرهم ينوي من حضر او
غاب قال مالك في المجموعة قيل اراد بها المدونة واجب للمأموم اذا سلم امامه
ان يقول قبل ان يسلم هو السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين ثم يقول السلام عليكم واعلم انه عقد الفصل الذي
قبل هذا لوجوب الصلاة عليه وعقبه بفصل عقده للمواطن التي يستحب فيها الصلاة
وقد افرد له الامام الحصري كتابا مستقلا سماه اللواء المعلم في المواطن التي يستحب
فيها الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم ولما اتم المصنف ما قصده شرع في بيان كيفيتها
فقال **فصل في كيفية** اي بيان الفاظ **الصلاة** عليه وهو
لفظ مولد نسب لكيف اسم الاستفهام لانها من شانها ان يسأل بها عن مثله **والتسليم**
عليه اي كيف نذكر السلام عليه والمراد بيان الهيئة الفاضلة اذ اصلها معلوم وبدأ
بحديث رواه الترمذي وهو **حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه** وقد تقدم
بقراءتي عليه هو احد طرق الرواية **حدثنا القاضي ابو الاصبغ** عيسى بن سهل
صاحب كتاب الاعلام في نوازل الاحكام **حدثنا ابو عبد الله بن عتاب**
تقدم بيانه **حدثنا ابو بكر بن وافد وغيره** وافد بالفاء وهو معروف **حدثنا**
ابو عيسى هو ابن يحيى بن كثير الذي تقدم بيانه **حدثنا عبد الله حدثنا يحيى**
ابن يحيى الليثي احد رواة الموطا عن مالك كما تقدم **حدثنا مالك** الامام
المشهور **عن عبد الله بن ابي بكر بن عمرو بن حزم عن ابيه** تقدم ترجمته
عن عمرو بن سليم الزرقي سليم بضم السين وفتح اللام والزرقي بضم الزاي المعجمة
وفتح الراء المهملة قبل القاف هو من الانصار وترجمته في الميزان **قال**
اخبرني ابو حميد الساعدي اسمه عبد الرحمن بن عمرو بن سعد وقيل المنذر
ابن سعد وهو خزرجي مدني له صحبة اخرج له الستة واحمد في مسنده وتوفي
في حدود الستين **انهم** اي الصحابة **قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك** سألوه
عند نزول ورود الامر به في الاية ان الله وملائكته الى اخره **فقال قولوا اللهم صل**
على محمد وازواجه وذريته ازواجه امهات المؤمنين معلومة والذرية النسل

والولد

والولد بضم الذال وكسرها فعلية من ذرا بمعنى خلق ترك الهمزة في الاستعمال
تخفيفا وقيل انه نسبة الى الذر لصغرهم والذرية الولد وولد الولد ويشمل اولاد
البنات كما ذكروه مفصلا في كتب الفقه وسوالهم لكيف المراد به السوال عن العبارة
التي يعبر بها واي كيفية تؤدى وقيل عن معناها ولا يخفى ما فيه فانهم لما سمعوا
السلام عليه في التشهد وامروا بالصلاة سالوه عما يقولونه فعلمهم ذلك وقصر من
التعظيم ما لا يخفى فانه امرهم ان يطلبوا من الله ان يصلي هو عليه فكأنهم لو لا انهم
على اداء الصلاة حق الاداء فاحال ذلك ما يليق به فان قلت الذي في الاية
الصلاة عليه لفظ من غير تشبيه بابراهيم قلت لما كان معنى الصلاة الرحمة وهو مرحوم
ومنعم عليه في الدارين باعظم النعم ذلك للصلاة عليه اشارة الى ان المقصود من رحمة
رحمة اهل ملته كما يقال لمن يراد عقوبته ولده ارحم هذا الشيخ كما اشير اليه بقوله
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا **كما صليت على ال**
ابراهيم اي ازواجه وذريته والتشبيه انما وقع بهم لشهرتهم وتقرره وانه فيهم انبيا
ورسل فشبه المجموع بالمجموع او الال بالال فلا يرد عليه ان المشبه دون المشبه به
فكيف صلاة نبينا بصلاة ابراهيم وهو افضل منه في السوال المشهور وقد اجيب
عنه باجوبة هنا محلها وللجلال الدواني رسالة فيها مشهورة شهرتها تغني
عن ذكرها **وبارك على محمد وازواجه وذريته كما باركت على ال ابراهيم** اي
ادم وكثر الخيرات النازلة عليهم كما ادمت ذلك لابراهيم واله **في العالمين انك حميد**
مجيد اي رحمة وبركة منتشرة في جميع الخلق وحميد فعيل من الحمد وهو الثنا الجميل
ومجيد من المجد وهو السمو والكرم وفعيل فيهما بمعنى فاعل او مفعول اي انت فاعل
الجميل وواهبه او انت المحمود المعظم كل حمد واكرم سلك واتباعهم عائد اليك فانه
لاجلك وامتثال امرك وهو بخلق موقع جليل وما ذكرناه علم معنى قوله ال
ابراهيم دون ابراهيم فسقط لهذه الدقيقة **وفي رواية مالك** في الموطا **عن ابي**
مسعود الانصاري الصحابي البدري **ان قولوا اللهم صل على محمد واله كما صليت**
على ال ابراهيم وبارك على محمد كما باركت على ال ابراهيم في العالمين انك حميد
مجيد ذكره اشارة الى ان له طرقا كثيرة وانه انما قدم رواية الموطا لعلو سنده
فيها فلا وجه لما قيل انه لا فائدة في ذكره وهو نحوه ما قبله **والسلام** اي كيفيته
ولفظه **كما قد علمتم** في التشهد كما ذكره المصنف سابقا وعلمتم بفتح العين وكسر اللام
المخففة مبني للفاعل او بضمها وتشديد اللام مبني للمجهول من العلم والتعليم وكلاهما
صحيح رواية ودراية كما قاله النووي وقيل الاول اصح **وفي رواية كعب بن عجرة**
بضم العين وسكون الجيم والراء المهملة وهو ابو محمد او ابو عبد الله او ابو اسحاق من
بني سالم بن عوف او من غيرهم صحابي شهد بيعة الرضوان وتوفي سنة اثنتين او
احدى وخمسين واخرج له الستة وغيرهم **اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت**
على ابراهيم وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ال ابراهيم انك حميد

مجيد وهو الحديث رواه الشيخان عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال قلنا يا رسول الله
قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل الخ وهو متفق عليه الا ان
لفظ البخاري على ابراهيم وعلى ال ابراهيم في الموضعين وسقط منه ال في الموضعين ورواية
المصنف مخالفة له وعقبة بن عمرو عبد الله الانصاري الصحابي توفي بالمدينة سنة (عن حم)
احدى واربعين في ايام علي او معاوية وكان علي استخلفه على الكوفة لما خرج لصفين
في حديثه الذي رواه اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى ال محمد هم المؤمنون من
ازواجه وذريته ومن يحرم عليه الصدقة من اقاربه على الراجح وقيل جميع امته
ايضا وهذا الحديث اخرجه احمد وابن حبان والدارقطني والبيهقي ومسلم بدون
لفظ النبي الامي وفي رواية ابي سعيد الخدري وهو سعد بن مالك بن سنان كما
تقدم اللهم صل على محمد عبدك ورسولك اخرجه الحاكم بسند في بعض رجاله كلام
وذكر معناه اي معنى الحديث السابق من قوله كما صليت الى اخره ورواه البخاري
ايضا ورده من طريق اخر مسلسل فيه زيادة والمسلسل ما وقع معه امر من النبي
صلى الله عليه وسلم من قول او فعل ونحوه وتبع مثله قصدا من جميع رواته تبركا بما كان
في حال صدوره كالعد في اليد هنا وهو قوله حدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي
تقدم بيانه سماعا عليه بقراءة غيره عليه وابو علي الحسن بن طريف النحوي طريف بفتح
الطا وكسر الرا المهملتين ومثناة وفا احد شيوخ المصنف ولم يذكره في كتابه
الا في هذا الموضع توفي تاسع ذي الحجة سنة احدى او عشرين وخمسمائة وفيها توفي
ابن رشد بقراءتي عليه قالا حدثنا ابو عبد الله بن سعدون الفقيه يعرف
كما تقدم في ذكر الشرف اليه حدثنا ابو بكر المطوعي بضم الميم وفتح الطا المهملة المثناة
وكسر الواو المشددة وعين مهملة نسبة الى من تطوع بالجهاد تطوعا بلا اجرة
وهو محمد بن علي الفارسي النيسابوري حدثنا ابو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله
ابن حمدويه بن نعيم الضبي النيسابوري الامام الحافظ شيخ الحديث في عصره عرف
بابن البيع صاحب التصانيف الجليلة ولد في ربيع الاول سنة احدى وعشرين
وثلاثمائة وله ترجمة في الميزان عن علي بن احمد العجلي هو ممن يروي عنه ابو بكر (عن ابي بكر بن ابي دارم الحافظ)
المذكور ولم يعرف عن حرب بن الحسن في نسخة ابن الحسين وهو الطحان قال
في الميزان ليس حديثه بذاك وذكره ابن حبان في الثقات عن يحيى بن المساور
بميم مضمومة وسين وراء مهملتين قيل انه كذاب له مناكير مذكورة في الميزان عن (عن عمرو بن خالد م)
زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب وهو ابو الحسين العلوي المدني اخو محمد
الباقر النسيب الامام الثقة راى جماعة من الصحابة واستشهد رضي الله عنه
سنة اثنين وعشرين ومائة عن ابيه علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب قال الزهري
ما رايت قرشيا افضل منه توفي سنة اربع وتسعين وهو امام ثقة جليل اخرج له
الستة عن ابيه الحسين عن ابيه علي بن ابي طالب قال علي رضي الله عنه عدهن
في يدي صفة لمقدر اي كلمات تذكر في التشهد او صلوات ذكرها لي رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم وكان في ذكرها بعدها لي في يدي تأسيا لها بيطول الى انه
حديث مسلسل في الندا الى جبريل تنبيها على حفظها وان لا يترك منها واحدة قال
عدهن في يدي جبريل وقال هكذا اي بهذا العدد نزلت من عند رب العزة
العزة كما قال الراغب حالة تمنع الانسان من ان يغلب من قولهم ارض عزاز
وهي الصلبة ورب العزة اما بمعنى من له العزة وهو مالكها كما قال فلله العزة
ولرسوله او من يعطيها من يشا كما قال تعز من تشا وتذل من تشا والموقع هنا للاعزاز
والاكرام لرسوله اللهم صل على محمد وعلى ال محمد اي افض عليه وعلى اله رحمتك وانما (ملك)
كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم جعله مشبها به لشهرته لا لانه افضل واعلى
كما مر انك حميد مجيد اي محمود مجدا والمستحق للثنا والشرف من اثنيت عليه
وشرفته اللهم بارك على محمد اي انزل البركة عليه ولذا عداه بعلى وعلى ال محمد كما
باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وترحم على محمد وعلى
ال محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد وفيه انه يدل على
جواز الدعا للانبيا بالرحمة والترحم عليهم كما تقدم اللهم وتحنن على محمد وعلى ال
محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد تحنن تفعل من الحنين
صار بمعنى الرحمة والشفقة والحنان المنان من اسما الله بمعنى الرؤف المتفضل اللهم
وسلم على محمد وعلى ال محمد كما سلمت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد
قال السيوطي في الجامع الكبير قال الحاكم هكذا املينا هذا الحديث واسناده ضعيف
واخرجه الديلمي وابن منده والترمذي وقال العراقي ضعيف جدا وعمرو بن خالد
كذاب وضاع وكذا ابن مساور حرب بن الحسن اورده الازدي في الضعفا وقال
حديثه ليس بذاك وقال ابن حجر في اماليه اعتقادي انه موضوع وفي سنده ثلاثة
ضعفا وبعضهم ممن نسب الى الوضع والكذب قلت وجدت له متابعات مجبرة
وان لم يخل من الضعف ووجدت له طريقا اخر عن انس في سنده انتهى قلت ذكر البرهان
انه رواه مسندا ايضا فتعدد وهذه الطرق تقتضي انه غير موضوع غاية ما يقال فيه
انه ضعيف فاعرفه والحديث مسلسل والمسلسل ما تواردت رواته على حالة واحدة او
صفة في اسناده او صيغ ادائه ومن قوله وترحم ما يرد قول ابن العربي ان زيادة الترحم
في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بدعة وقال الصيدلاني انه مع انه لم يرد غير
صحيح لانه لا يقال رحمت عليه بل رحمته وفي الترحم معنى التكلف فلا يصح اطلاقه على الله
وفي الاذكار زيادة وارحم محمدا بدعة لا اصل لها وقال ابن ابي زيد المالكي وبعض
المالكية يستحب زيادة وارحم محمدا في التشهد وفي شرح مسلم الاختيار تركه اذ لم يات خبر
صحيح وقال السخاوي من اراده من فضائل الاعمال يكفي فيه الحديث الضعيف
وقال ابو جعفر والسرخسي من الحنفية باستحبابه لتوارث العمل به ورحمة الله لا ينفي
احدهما وذهب كثير الى انه لا يدعى للانبيا بالرحمة وفي شرح البخاري لابن حجر
انه غير مسلم لوروده في احاديث كثيرة حتى التشهد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله

وبركاته وسبقه اليه صاحب القاموس واستدل عليه بقول الاعرابي له صلى الله
عليه وسلم اللهم ارحمني وارحم محمدا وتقريره له وفي حديث ابن عباس اسالك رحمة
من عندك وفي الحديث عند استغفرك لذنبي واسالك رحمتك ويا حي يا قيوم برحمتك
استغيث وفي الذخيرة من كتب الحنفية كراهته وجزم الغزالي بعدم جوازه مغترا بايهامه
النقص وانه لغيره ويدعى له بالرحمة اقول هذا كلام مضطرب وتحريره ان يقال
دعاؤه لنفسه بالرحمة لا منع منه اصلا واما دعا غيره له فيما لم يؤثر فعلى الانفراد مكروه
وبالتبع للصلاة ونحوها لا كراهة فيه وهذا هو الحق عندي ثم ان الصغاني نقل في
العباب ان قول الناس ترحمت عليه لحن والصواب رحمت ترحيما وفي الحديث ما
يرده وخص ابراهيم بالتشبيه قال البغوي عن مقاتل لانه افضل الانبيا بعد نبينا
ومكافاة له على دعائه لامة محمد بقوله رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين او لمشاركته
له في التاذين للحج والايمان او اثرية لك اجابة لدعائه بقوله اجعل لي لسان صدق
في الاخرين ولانه امرنا بالاقتدا واما التشبيه له والمشبه دون المشبه به فقد اجيب
عنه بانه قاله قبل ان يعلم انه افضل منه او لسبق زمانه واشتهاره لا لعلوم نبيه وقيل
انه من باب التهييج وفيه نظر وقيل الكاف للتعليل وقيل المشبه ال محمد وفيه
تحقيقات في رسالة الجلال الدواني وعن ابي هريرة في حديث رواه ابو داود
وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى
اي من احب ان ياتي باحسن صلاة واعظمها او من اراد ان ينال اجرا وافيا وثوابا
فيه غيره اذا صلى علينا اهل البيت فاني بالاكتيال عبارة عن ذلك استعارة
تبعية مصرحة او شبه الاجر بالشي من الحبوب والتمر وشبه ذكره اوشاله
بالاكتيال لاستيفائه به على طريقة المكنية والتخييلية والاجر لظهوره رتبة المذكور
ووجه الشبه انه به البنا هو استيفا الشي وجبا زائدا والمراد الترغيب في الصلاة
عليه وعلى اهل بيته بهذه العبارة المخصوصة فليقل اذا صلى علينا اللهم
صل على محمد النبي وازواجه امهات المؤمنين وذريته واهل بيته
كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وصل هذه الصلاة لما فيها من شمول
ال بيته كلهم وتعظيمه بوصفه بالنبوة التي هي اقرب منزلة اليه وتعظيم ازواجه
بما يجب وذكر الصلاة على ابينا ابراهيم والايمان به ولغيره من الانبيا وهذا
الحديث صحيح اخرجه ابو داود والطبراني وغيرهما وفي رواية زيد بن خارجة
الانصاري الصحابي المعروف توفي في خلافة عثمان وله قصة في تكلمه بعد
موته وهذا اخرجه الديلمي في الفردوس وابو نعيم والنسائي والطحاوي والبغوي
سالت النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك هذه الجملة معمولة لسال لتضمنه
القول او لقول مقدر فقال صلوا علي واجتهدوا في الدعا المراد
به الصلاة وعبر به تفننا اي المراد الدعا لانفسهم بما يريدون واجتهدوا
بمعنى بالغوا في ذلك وازواجه وذريته او وبارك على محمد وعلى ال محمد
وقولوا اللهم
كما

كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد تقدم ما يغني عن اعادته وعن سلامة
الكندي هو سلامة بن قيصر الحضرمي التابعي ذكره ابن حبان في الثقات وانه يروي
عن علي ويقول قولوا اللهم داحي المدحوات وروي المرحيات ودحى بمعنى بسط قال
تعالى والارض بعد ذلك دحاها وبسطها لانها خلقت اولا ربوة ثم بسطت ومهدت
والمدحوات الاراضي السبع وفيه اطلاق الداحي على الله واستدل به من قال الاسما
ليست توقيفية وانه يكفي ورود مادتها كدحى وبارئ بالهمز اسم فاعل من برا بمعنى
خلق على غير مثال اي مبدع وافرد المسموكات بمعنى المرفوعات والمراد بها السموات
وروي سامك المسموكات وسمك بمعنى رفع وارتفع متعدي ولازم اجعل شرائف
صلواتك اي افضل صلاتك واعلاها جمع شريفة بمعنى عالية رفيعة القدر من الشرف
واصله ما علا من الارض على غيره ونوامي بركاتك اي ما زاد الى غير النهاية من خيراتك
اي بركاتك النامية فهو من اضافة الصفة لموصوفها ورافة تحننك اي لطفك ورحمتك
وعنايتك انا زلة منزلة لية على محمد عبدك قدمه لشرف العبودية على غيرها بدلالتها
على القرب ورسولك الذي ارسلته لجميع خلقك الفاتح لما اغلق بضم الهمزة وكسر اللام
مبني لما لم يسم فاعله من اغلق الباب والقفل ونحوه اذا قفله وهو ضد الفتح هذا حقيقته
ويستعار للمصاعب والمشكل والمبهم فالمعنى انه فتح الله به على عباده انواع الخيرات وابواب
السعادات الدينية والاخروية او بين لامته ما اوحي اليه بتفسيره وتبيينه وايضاحه
وكشف فيه اشكاله بايضاح براهينه وحججه وتقريره بامثاله او لانا سرخلقنا واحرمهم بمثا
كما قربه جعلك فاتحا وخاتما قيل بعيرهما كما لا يخفى وفيه استعارة وتلميح لقوله اوتيت
مفاتيح الكلام لما وضحه ببراعته وبلاغته ويجوز ان يراد به ما فتح الله به عليه وعلى امته من
تيسير الفتوحات وتسخير الممالك كما في قوله اوتيت مفاتيح خزائن السموات والارض والخاتم
لما سبق من النبوة والرسالة فانه لا نبي ولا رسول يرسل بعده ولا في عهده وعيسى اذا
نزل كان على شريعته ومن امته والخضر والياس ان قيل بنبوتهما فتابعو بعثته من امته
ايضا ولا حاجة لتفسيره ما سبق بالانبيا والرسل وجعل ما بمعنى من والمعلن اسم فاعل بمعنى
المظهر من الاعلان وهو الجهر الحق بالنصب مفعول المعلن والجر باضافته له وليس منصوبا بنزع
الخافض اي بالحق اي بالامر الحق لا بالزهو والغلبة والمراد بالحق الدين والشرع ففيه اقامة
الظاهر مقام الضمير او الحق الثاني المراد به الله وتأييده والدامغ اي الدافع والمزيل ومنه
شجة دامغة وهو مستعار من دمغه اذا كسر دماغه كما قال الراغب قال تعالى بل نقذف
بالحق على الباطل فيدمغه جيشات الاباطيل جمع جيشة وهي المرة من جاش يجيش اذا فار
وارتفع والاباطيل جمع باطل وهو مثل الحق على خلاف القياس او جمع مفرد مقدر اي الدافع
لما ظهر من الباطل وشاع ففيه استعارة وتمثيل لما ظهر من الكفر والفساد واستعلا والنبي عليه
صرع رهنه والصمت تراب المدله وتفسير الجيشات بالاجناد لا ينبغي وقيل الاباطيل جمع ابطولة
او ابطيلة او ابطالة ولم يسمع كما حمل بضم الحا المهملة وكسر الميم المشددة مبني للمجهول فاضطلع
بضاد معجمة وطاء مهملة بمعنى قوي على حمله ونهض به لشدته كما حمله عليه وقيامه باعبائه وبلغ

كان علي يعلمنا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

امتثال من الطلاعة وهي الغرة واصلها قرة الاضلاع والكاف للتشبيه ويجوز ان يكون
للتعليل وان يكون بمعنى على والاول اولى واظهر فهو متعلق بما قبله او خبر مبتدا محذوف
اى هذه الحالة المذكورة ثابتة له كما ثبتت له تحمل اعباء الرسالة واعبائها فقام بها اتم
قيام او صلى وسلم عليه لقيامه بذلك او نقل به هنا جزاء على ذلك بامرك اى قام بها
بسبب امرك امتثالا له لا لغرض آخر والمراد بامره تيسيره واعانته بطاعتك بدل
مما قبله او متعلق به لامره باطاعتك فامتثله واوى وفي نسخة لطاعتك باللام
ما كلفته به مستوفزا حال من الضمير في حمل او اصطلع والاستيفاز التوثب والانتصاب
من قعود والمراد به التقيد وعدم الاهمال اى متبرعا مستعجلا في الاتيان بما امرته به جادا
غير متوان ومنه قولهم الفتنة على اوفاز اى على عجلة جمع وفز ومن العجيب ما قيل انه اسم
مكان بزنة المفعول يشير به الى المستوفز الذي سمع فيه صريف وتاخر عنه جبريل وفيه
خبط لا يخفى على عادته في مرضاتك مصدر ميمي بمعنى الرضى وفي ظرفيه ويجوز كونها بمعنى
لام التعليل كما في حديث دخلت النار في هرة في بعض النسخ بغير نكل في قدم ولا وهن
في عزم اى لا جبن يطرو عليه في اقدامه ولا ضعف في عزيمته واعيا اى حافظا ضابطا
لوحيك الذي اوحيته اليه لم يشغله عنه ما حمله من الاعباء وما لقيه من المشاق في تبليغه
الرسالة ومنه اذن واعية واصل الوعاء جعل الشيء في وعاء قال والشر حيثما اوعيت من
زاد وحفظه شامل للعمل به حافظا لعهدك اى ميثاقك وهو على ما عهدته عليه
من الايمان بك والاخلاص في طاعتك او ساير امرك ونهيك كما قال وانا على عهدك
ووعدك ما استطعت ماضيا اى مجتهدا مستمرا على امضاء ما عهدته وانزلته اوما
على نفاذ امرك بذال معجمة من انفذ كذا اذا امضاه وبلغ انقضاه حتى اورى قبسا
اى من اقداح الزناد لخروج النار شررا وهو زنده والقبس ما يتناول من الشعلة قال
تعالى او اتيكم بشهاب قبس والاقتباس طلبه ثم استعير ذلك لاظهار الحق وما هدى
به الناس وفي المثل ما كل قادح زنده يوري اى لم يزل مجاهدا قائما على الحق حتى اظهره
ابلج منيرا فاهتدى بنوره من كان في ظلمات الجهالة لقابس اى لقابل وطالب نور الحق
والهداية التي هي من آلاء الله بالمد جمع الى وفيه لغات وهي النعم الالهية والنعماء
في الدارين بواسطته تصل باهله اسبابه الجملة صفة قبس اى ذلك القبس سبب
موصل لمن طلبه من اهله الذين اهلهم الله له ووفقهم لقبوله ونورهم بانواره
والسبب معناه الحبل ثم صار بمعنى كل واسطة موصلة به اى بذلك القبس الذي
اوراه وقراه من راه وقيل الضمير له صلى الله عليه وسلم هديت القلوب الضالة عن
طريق الحق في ظلمة الجهل بعد خوضات الفتن والاثم جمع خوضة بفتحتين وهي
المرة من الخوض وهي الدخول في الماء واستعار للشروع والدخول في كل امر مذموم والاثم
الذنب والفتن جمع فتنة وهي ما يفتتن به المرء ويطلق على الكفر وبه فسر قوله والفتنة
اشد من القتل وهو المراد هنا بعد كثرتهم وارتكابهم الاثام ابهج موضحات
الاعلام ووقع في النسخ هنا اختلاف فسقط من اكثرها لفظ ابهج موضحات بفتح الصاد

اسم

اسم مفعول هديت بنزع الخافض اى الى موضحات الاعلام وهو حال من القلوب والاعلام
جمع علم بمعنى علامة وقيل انه جمع علامة ولا وجه له ويجوز رفعه على انه خبر مبتدا محذوف
وهو ضمير القلوب اى ظاهره ادلة هدايتها وجوز فيه كسر الضاد جمع موضحة اسم فاعل
من الايضاح وهو الكشف والبيان اى صارت القلوب بارشادنا من الهداية منشورات
الاعلام او ناشرة لها فالعلم بمعنى اللواء استعارة لما ذكر من انبت ابهج ماضيا لنون من
النهج بمعنى اوضح وابين وسهل كما ذكره ابن القوطية كما في بعض الشروح وفي بعضها ابهج
بالباء الموحدة من البهجة اى انار واشرق وهذا سقط من خط المصنف كما قاله التلمساني
ونايرات الاحكام جمع نايرة اسم فاعل من النور والضيا من نار لازم بمعنى ظهر والاحكام
احكام الشريعة من الحلال والحرام وغيرهما وفي القاموس نار نورا وانار واستنار ونور وتنور
انتهى ومنيرات الاسلام من انارة المتعدى والاسلام بمعنى الدين او بمعنى الاستسلام والانقياد
لامر الله فان قلت على النسخة المشهورة الساقط منها لفظ ابهج والمعنى ظاهر لان ماله الى
انه هديت به القلوب للادلة الدالة على ما امر الله من احكام الشريعة الظاهرة
ولما يظهر الاسلام ويقويه من نصرة الاسلام والسيف واللسان ما لها اظهار الظاهر
والمظهر قلت على هذه الرواية انه ظاهر في نفسه لمن له بصيرة ونفس قدسية واظهاره
بالنسبة لغيرهم او اظهاره اشاعته وانتشاره الى ان يصل الى اقصى الارض فتذعن له الجبابرة
والملوك فهو صلى الله عليه وسلم امينك على وحيك واسرار ملكك وملكوتك التي اطلعته
عليها المامون الذي ارتضيته لحفظ اسرارك او خلقته ضابطا عليما كما اشار اليه بقوله
وخازن علمك المخزون فهو خازن ملكوتك وكنوز عرشك حتى انزلته له وابنته عليه
دون غيره وامرته بايصالها لمن تليق له الاطلاع عليه وشهيدك فعيل بمعنى فاعل
صيغ للمبالغة وانضاه للشهادة على الانبياء واممهم اى تصديقهم على تبليغهم لهم كما قال
الله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هولاء شهيدا كما تقدم
يوم الدين اى القيامة والجزا لما يجعله الله وبعيثك فعيل بمعنى مفعول اى مبعوثك
ورسولك الذي بعثته وارسلته لتبليغ اوامرك ونواهيك نعمة مفعول لاجله اى
بعثته ليكون نعمة ورحمة للعالمين ورسولك اى ارسلته للناس كافة ختما للنبوة
والرسالة بالحق متعلق برسول اى ارسلته بالدين الحق الثابت في نفس الامر رحمة
عامة لجميع خلقك وهو منصوب مفعول له ايضا فهو رحمة في الدنيا والآخرة لمن امن
وفي الدنيا لمن امن وكفر بحقن دمه وصيانة ماله وقد يحصل لبعضهم رحمة في الآخرة
بتخفيف عذابه ايضا وقد يفرق بين النعمة والرحمة هنا بان يقال النعمة ما حصل به
من الخير والبركة بيمنه والرحمة هدايتهم بسببه التي كانت سببا لخلوصهم من الكفر والضلال
لئلا يكون تكرارا وانجز له في عدنك الفسيح التوسعة وعدن يكون الحال اسم
للجنة ومعناها دار الاقامة والخلود من عدن بمعنى اقام وهي اسم الجنة مطلقا ولها اسما اخر
ويكون اسم جنة مخصوصة ايضا عرفها لهم والمراد بالدعا له الفسحة طلبه بهجة مقامه
وزيادة حسنه وشرف منظره لان سعة المنزل امر مستحسن ولذا قالوا احسن المنازل

ما سا نر فيه النظر والا فصفة الجنة معلومة فيصل ر دى عدلك بالاهراى بعد لك
واحرا لك له بما يليق به **واجزه مضاعفات الخير من فضلك** المعنى اعطه من انعامك
وتفضلك ما يضاعفه له من الخيرات الاخروية مما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولهو ظاهر الا انه اختلف فى ضبطه بعد الاتفاق على انه بهمزة وجيم وزاى معجمة فقيل
انه بهمزة وصل وجيم ساكنة من الجزا فانه ثلاثى وقيل انه بهمزة قطع مفتوحة وجيم
مكسورة وزاى ساكنة من الجايزة وهى العطية قال السخاوى فى القول البديع فى
الصلاة على الحبيب الشفيع انه بفتح الهمزة وجيم ساكنة وزاى مكسورة من الجزا كما ضبطه فى
نسخ من الشفا والصواب كما وجد فى بعض الاصول المعتمدة وصل الهمزة كما فعله ثلاثى
كما قال وجزاهم بما صبروا انتهى اقول ان صحت الرواية بما ذكره ولا فتوجيهه انه من
الاجزا بمعنى الكفاية ابدلت همزته الاخيرة ثم عومل معاملة المعتل كارم والمعنى اغنه عن
سواك لما تكفيه به من الثواب باعبا رسالتك والضعف الميل ناداه قليس بمحصور كما
حققه اهل اللغة وفى لك من فضلك اشارة الى ان الثواب بفضل من الله لانه لا
يجب عليه شى خلافا للمعتزلة كما بينه المتكلمون **مهناة له** صلى الله عليه وسلم جمع مهناة بتشديد
النون والمهنى اسم مفعول من الهنى وهو السايغ وكلها اى من غير تنغيص وتعب وهو
حال من مضاعفات **غير مكدرات** اى منغصات وهو حال اوصفة لمهنات موكدة
من فوزا منا وزاى معجمة عند الاكثر وهو الظفر بنيل البغية وقيل انه بر امهملة بمعنى
سريع عاجل كما قيل اهنى البرما جله مستعار من فارت القدر اذا غلت **ثواباتك**
الثواب العطا فى مقابلة عمل **المحلول** بحا مهملة اسم مفعول من حل المكان وبه وفيه
اذا نزله اى الكاين فى الجنة او الذى اوصلته له فصار صفة حالة فيه وقيل معناه
المستوجب بفتح الجيم اى الذى استوجبه واستحقه من حل اذا وجب وهو بعيد متكلف
وجزيل اى كثير عظيم **عطايك** اى احسانك وانعامك **المعلول** اى المضاعف
من العلل وهو الشرب مرة بعد اخرى ويقابله النهل والشرب مرة فان لكعب
كانه منهل بالراح معلول ٥ فشبه عطاه بمنهل عذب برده العطاش كما شربه مرارا
فهو استعارة والمراد انه كثير لا ينقطع **اللهم اعل** بقطع الهمزة اى اجعله عاليا رفيع
على بنا الناس بموحدة ونون وفى روى بعد الناس البانين جمع بان **بناه** بموحدة
ونون اى اجعل مقامه فى الجنة فوق كل مقام اى اجعل مقداره ارفع من كل مقدار
وذاته اشرف من جميع الذوات لان الذات بنا الله كما ورد فى الحديث وفى بعض
النسخ ثنا الناس وثناه بمثلثة اى اجعل مدحه والثنا عليه فوق ما يثنى به الناس
عليه فانهم لا يقدرون على اداء حق الادا **واكرم مثواه لديك** اى اجعل مقامه
عندك كريما اى حسنا مرضيا من ثوى بالمكان اذا اقام به **ونزله** بضم النون وسكون
الزاى المعجمة ويجوز ضمها وهو القرى المعد للضيف اذا نزل والمراد به ثوابه واجره
وحسن استعارته هنا ذكره بعد المثوى وهو المنزل فانه كرم على كرم **واتمم له
نوره** اى اجعل ثواب النور الذى اودعته فيه تاما كاملا فيكون فى ساير جهاته

وحواسه

وحواسه وقلبه كما ورد فى دعايه اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى سمعى نورا
وفى بصرى نورا وفى ساير جهاتى نورا **واجزه** ما تقدم من الضبط فيها **من
ابتعاثك** افتعال من البعث بموحدة ومثلثة اى بعثك له بالنبوة والرسالة
له متعلق به وليست اللام تعليلية متعلقة باجزه كما قيل اى كافيه على ما قام من
امور الرسالة **مقبول الشهادة** اى شهادته فى الحشر للانبيا وعلى الامم **ومرضى
المقاله** اى ما يقوله تمة من الشهادة والشفاعة فلا تسخط ويرد له قوله **ذا
منطق عدل** منطق ميمى بمعنى النطق وعدل بمعنى معتدل مستقيم وهو حال
ايضا والمراد به ما يقوله بعد الشفاعة من حمده بمحامد لا تنتهى **وخطة
فصل** بتقدير مضاف اى ذا خطة وهى بضم الخا المعجمة وتشديد الطا المهملة وهى
الامر والشان والفصل الجزل الفاصل بين الحق والباطل يوم القيمة **وبرهان
عظيم** اى دليل ورسالته للقوى القاطع من معجزاته الباهرة وقد ذكر
هذا صاحب القاموس فى كتابه المسمى بالصلات والبشر فى الصلاة على خير البشر
مع ما فيه من الزيادات واختلاف الروايات وحسبك من القلادة ما احاط بالجيد
وعنه اى عن على ايضا **فى كيفية الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم** انه
صلى عليه فقال **ان الله وملائكته يصلون على النبى الاية** اى وتلا الاية الامرة
بذلك الى اخره لتقع صلاته بعدها امتثالا لامر الله فى قوله عقبها **لبيك اللهم
وسعديك** اى اجابة بعد اجابة واسعادا بعد اسعاد فى طاعتك وامتثال
اوامرك والتثنية فيه لمجرد التكرار وعاملها محذوف وجوبا كما فصل فى كتب النحو
صلوات الله البر الرحيم اى المنعم المتفضل بانواع البر والرحمة ومعنى البر العطوف
اللطيف بعباده وهو من اسمايه تعالى ولم يسمع بار لان البر ابلغ منه **وصلوات الملايكة
المقربين** كجبريل واسرافيل وخصهم لشرفهم **والنبيين والصديقين** اى
المبالغين فى الصدق والاخلاص من اشراف المومنين الصالحين **والشهدا والصالحين**
لكل خير القايمين من غير تقصير بحقوق الله وحقوق عباده والشهدا جمع شهيد
فعيل بمعنى فاعل او مفعول وهو من قتل مجاهدا فى سبيل الله لاعلاء كلمته ومن
الحق بهم كالمبطون والغريق ونحوهما سمى به لان الله وملايكته يشهدون له بالجنة
اولانه حى فكانه شاهد حاضر اولان ملايكة الرحمة تشهده اولقيامه بشهادة
الحق اولشهوده ما اعد له من الكرامة حتى قيل **وما سبح لك من شى** ما مصدرية
وما زايدة ومولانا بعد اى صلوات مولانا مدة تسبيح الاشيا لك وان
من شى الا يسبح بحمده وهذا على ما وقع بدون واو فى قوله ما سبح الى اخره وفى نسخة
وما سبح فما موصولة معطوفة على الاسم ومن بيانية اى وصلوات الله وصلوات
كل شى سبحك **يا رب العالمين** اى جميع المخلوقات فهو شامل للعقلا وغيرهم تغليبا كما
حقق فى كتب التفسير **على محمد بن عبد الله** متعلق بمقدر خبر لصلوات الله **خاتم
النبيين** اى اخرهم بعثة **وسيد المرسلين** اى افضلهم واشرفهم واضاف خاتم

للنبيين متابعة لما في القران وسيد المرسلين نعتنا واطلاق السيد عليه
ثابت بالاحاديث كقوله انا سيد ولد ادم ولا فخر واما قوله لا تسودوني سيدا
فقال ولا تفضلوني بسيادة كسيادتكم وهو تواضع منه وورد اطلاقه على الله
ايضا بمعنى المالك كما فصلناه في غير هذا المحل وامام المتقين الذين يقتدون
به في العلم والعمل ورسول رب العالمين الى الخلق اجمعين الشاهد
على الانبيا وانهم بلغوا اممهم وعلى اممهم بما بلغوا يوم القيامة كما قال تعالى وجينا
بك على هولا شهيدا ثم تقدم تحقيقه البشير للمومنين بسعادة الدارين الداعي
اليك اى الذى دعا الخلق الى طاعة الله وتوحيده باذنك اى امرك
له بدعوتهم او بتيسيرك وتسهيلك السراج المنير شبهه بذلك لان الله
ظلمة الكفر وتنويره لقلوب المومنين بنور هدايته وتوضيحه لطرق الحق والحقيقة
ولان ذاته نور ولذا ورد انه لم يكن له ظل وعليه السلام اى السلامة من كل وصمة
ونقص وعن ابن مسعود كما رواه ابن ماجه والبيهقي في كيفية اخرى للصلاة عليه
اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك المراد بجعلها انزالها ولذا عداه بعلى
تعالى على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد بالجر بدل مما قبله
عبدك ورسولك قدم وصفه بالعبودية لشرفها لاختصاص ونحوها امام
الخير اى امام الاخيار والمقتدى به في كل خير ورسول الرحمة اى الذى ارسله
رحمة للعالمين وقد ورد في حديث مسلم انا نبي الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا
يحمده فيه جميع الانبيا وسائر الخلق وهو مقام الشفاعة العظمى وقد ورد تفسيره
بهذا ومقاما منصوب على الظرفية او بعثه بمعنى اقمه وفي بعض النسخ بالالف واللام
للتعظيم يغبطه فيه الاولون والاخرون اى يتمنون نيل مثله من غير زوال
له وهذا هو الفرق بين الغبطة والحسد ولذا قيل ان الغبطة حسد غير مذموم
وقد يراد بالغبطة لازمها وهي المحبة والسرور لما رواه فقط هو اللايق بمقام
الرسل والكمل فانه من تمنى مقام غيره الذي خصه الله به كان يقول هلا كان وبه
في مقامه وفيه اعتراض خفي ولذا لما قيل له صلى الله عليه وسلم هل يضر الغبط قال لا
الا كما يضر العضاه الخبط فاشار الى انه فيه ضررا ليس كضرر معه الزوال فان
الخبط يقطع الورق دون الاغصان والساق فاعرفه فانه رقيق اللهم صل على
محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد تقدم بيانه وبارك على محمد وعلى ال
محمد كما باركت على ابراهيم وال ابراهيم انك حميد مجيد وكان الحسن البصري
يقول من اراد ان يشرب بالكاس الاوفى اراد به انا فيه جابره وبه من الوفا
وهو الكثرة وفي القاموس وفى واوفى في وكثر فهو وفي ووافى وهو المراد
ورده الزبيدي في لحن العوام يقولون درهم واف اذا كان يزيد في وزنه وقال ابو بكر
الوافي الذى لا زيادة فيه ولا نقص وهو الذي في وزنه انتهى من حوض المصطفى
الذي يسقى منه العطاش يوم القيامة وهل هو الكوثر او غيره فليقل اللهم صل على

محمد

محمد وعلى اله واصحابه واولاده وذريته واهل بيته واصهاره وانصاره
واشياعه اى اتباعه جمع شيعة وشيعة الرجل اتباعه والفرقة على حدة ويقع على
الواحد المذكر وغيره وعلى بعد ذلك على طايفة ادعت تفضيل علي ومحبيه المراد
بهم من بلغت محبته منه محلا لا يصل اليه غيره بحيث يكون احب اليه من نفسه
واهله وماله وامته من عطف العام على الخاص ليشمل جميع الامة وعلينا
بمعنى المتكلم ومن يختص به معهم اجمعين يا ارحم الراحمين وتعميم في هذا الدعا
وتفضلا نا ما كان جزا من صلى به ودعا له بهذا الدعا من جنس عمله بان يكون
من جنس مثوبة اوفى وعن طاووس هو الامام ابو عبد الرحمن بن كيسان كما
تقدم عن ابن عباس انه كان يقول اذا صلى عليه صلى الله عليه وسلم اللهم
تقبل شفاعة محمد الكبرى يوم القيامة اذا قيل له اشفع تشفع وقال الكبرى لان
له شفاعات عدة بلغها النووي خمسا وقد تقدم ذكرها والمراد بها شفاعته لفصل
القضا لاخراج عصاة المومنين من النار كما قيل فان تلك شفاعة مقبولة فما فائدة
الدعا له بهذا قلت هذا امر يا به بعد النيل الثواب وان كان امرا محققا كما في قوله
وارفع درجته العليا ومرتبته في جنات النعيم والمراد بهذا اكله تعظيمه واته اى
اعطه وانعم عليه سوله فعل بمعنى مفعول كخبز بمعنى مخبوز اى مسوله ومطلوبه وما
يحبه ويبتغيه في الاخرة والاولى اى الدنيا سميت اولى لتقدمها على الاخرة ومطلوبه
في الاخرة درجات تقربه ونجاة امته وفي الدنيا اعلى كلمة الله ونصره ونصر امته
وسعة ملكهم وان لا يسلط عليه اعداهم ولا يستاصلهم ولا يهلكهم بسنة عامة ونحوه
ما ورد في الحديث كما اتيت ابراهيم وموسى فان ذلك الفصل معقود لبيان كيفية
الصلاة وليس هذا ذكر لها قلت المراد بالصلاة الدعا له وهو دعا فيه تعظيم وثنا
عليه بما يليق به وعن وهيب بالتصغير ابن الورد ويقال ابن ابي الورد المخزومي
المكي الزاهد الثقة مولاهم واسمه عبد الوهاب ووهيب لقبه وكنيته ابو عثمان روى
عن عطا مرسلا وغيره وروى عنه كثير واخرج له مسلم واصحاب السنن وله احاديث
ومواعظ توفي سنة ثلاث وخمسين ومايه وفي بعض النسخ وهب مكبرا والمعروف
الاول انه كان يقول في دعايه له صلى الله عليه وسلم اللهم اعط محمدا افضل ما
سالك لنفسه اى اجب دعاه بما احبه لنفسه او اعط محمدا افضل ما سالك له اى
لاجله احد من خلقك واستجب دعاهم له واعط محمدا ما انت مسوول له الى يوم
القيامة ثم يعيد نعيم وعن ابن مسعود رواه عنه ابن ماجه والبيهقي والديلمي والدار
قطني وتمام في فوايده انه كان يقول اذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فاحسنوا
الصلاة عليه اى اتقنوا واحسنوها وقوله فانكم لا تدرون انها تبلغه ام لعل ذلك
الدعا والصلاة تعرض عليه وتبلغه صلاتكم عليه فينبغي ان يتحرى الاحسن حتى يبرد
ما يليقه منه وسيل ابن حجر عن الاصل والاحسن في الصلاة عليه ان يقول صل على محمد
او على سيدنا محمد بوصفه بالسيادة فاجاب بان اتباع الاثار الواردة ارجح لا يقال

لعله تركه تواضعا منه كما لم يمكن تقول عند ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم وهو مندوب
لغيره لانا نقول لو كان كذلك جاء عن الصحابة والتابعين ولم يرو عنهم الا في حديث
ضعيف في الشفاء عن ابن مسعود وذكر الشافعية انه لو حلف احد ان يصلي على النبي
افضل صلاة فبره بان يقول اللهم صل على محمد كلما ذكره الذاكرون وسهى عن ذكره الغافلون
وقال النووي افضلها في التشهد والحاصل انه لم يرد ذكر سيدنا عن احد من الصحابة
ولو كان مندوبا ما خفي عليهم والخير كله في الاتباع انتهى وهذا يقرب من مسألة اصولية
وهي ان الادب احسن او الاتباع والامتثال ورجح الثاني وقيل انه هو الادب اقبل ولعل
هنا لمجزوم فانه ورد انها تعرض عليه وسيأتي وقوله **وقولوا اللهم اجعل رحمتك**
الى قوله **انك حميد مجيد** تقدم بيانه بما يغني عن اعادته الا انه قيل انه بيان للحسن الذي
ذكره ابن مسعود وارشادا لما امر به من الاحسان في الصلاة عليه وانه الاحسن وقيل انه
محتمل ويحتمل ان يكون تمثيلا للحسن منه وان كان غيره مما هو احسن منه والله هو الظاهر
وفيه نظر **وما يوثر** بالبناء للمجهول اي ينقل عنه صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين
وما اسم موصول مبتدأ خبره كثير **من تطويل الصلاة وتكثير الثناء على اهل البيت
وغيرهم** من الصحابة وتفضيلهم كما هو **كثير** في الاثار المروية عن السلف حتى افرد
بالتصنيف من احسنها القول البديع للسخاوي **وقوله** في الحديث المتقدم في التشهد
والسلام كما علمتم يعني في تشهد الصلاة في قوله السلام عليك ايها النبي الى آخره وهو اشارة
الى تفسير ما سبق في رواية عن مالك عن ابن مسعود لما سألوه كيف نصلي عليك الى آخره
الى هنا وهو اشارة الى ما علمتم من التشهد وعلمتم بالبناء للمجهول بتشديد اللام او بالبناء
للفاعل وتخفيف اللام والمعنى ظاهر وهما متلازمان لانهم اذا علموا علموا لما يعده لتعين
الاول اعني قوله **هو ما علمهم في التشهد من قوله** صلى الله عليه وسلم **السلام عليك ايها
النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين** تقدم تفسيره
وفي تشهد علي التشهد المروي عن الصحابة من طرق كثيرة اسند وهذا وهذا لم يرو من
رواه عن علي كرم الله وجهه **السلام على نبي الله السلام على انبياء الله ورسله** قدمه
لبيان شرفه وتفضيله عليهم **السلام على رسول الله** صلى الله عليه وسلم قيل لعله
وصفه بالرسالة اشارة الى تاخر رسالته بحسب الزمان لانه مسك الختام **السلام
على محمد بن عبد الله** كرر السلام عليه باسمه ونسبه تاكيدا **السلام علينا وعلى
المؤمنين والمؤمنات من غاب منهم ومن شهد** اي حضر **اللهم اغفر لمحمد** سيأتي
بيان الدعاء له صلى الله عليه وسلم بالمغفرة **وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته
واغفر لي ولوالدي** بالتثنية مضاف لياء المتكلم **وما ولدا** زاده ليشمل اقاربه
السابقين وحواشي نسبه الا ان فيه اشكالا لان عليا كرم الله وجهه هو الذي قاله
فكيف يدعو لوالديه وامه فاطمة بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف وهي اول
هاشمية اسلمت وتوفيت بالمدينة وكفنها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قميصه
واضطجع في قبرها وقال جزاك الله من ام خيرا لانها ربته صلى الله عليه وسلم

واحسنت

واحسنت صنعها معه كما ذكره الطبري في الرياض النضرة وانما اضطجع صلى الله
عليه وسلم في قبرها ليخفف عنها ضغطة القبر كما صرح به في الحديث وابو طالب توفي
كافرا وادعاء بعض الشيعة انه اسلم لا اصل له وقد نهي عن الاستغفار للمشركين
كما في الاية الكريمة واجيب عنه باجوبة فقيل انه تغليب لامه ولا وجه له وقيل
المراد بابويه ادم عليه الصلاة والسلام وحوا ولا يخفى وقيل المراد تعليم من
يدعوا من المؤمنين ان يقوله وهو اقربها وما قيل انه سهو من الناسخ زاد
فيه الفا وانما هو ولدي يعني الحسن والحسين واولاد النبي بنتي وكذا ان
كان من كلامه صلى الله عليه وسلم او هو ابناء على اسلام ابويه على ما ارتضاه السهيلي
وسياتي بيانه **وارحمهما** فيه ما تقدم **السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته** تقدم بيانه **جاء في الحديث الدعاء
للنبي** صلى الله عليه وسلم **بالغفران** وهو المغفرة وهي كما قال الراغب الباس الشيء
ما يصونه فهي من الله صون عبده من مس العذاب والدعاء له بها صلى الله عليه
وسلم من امته لا ينبغي لانها مع الفضول من المدعو له واما قول الله تعالى له ليغفر
لك الله ما تقدم من ذنبك ودعاؤه لنفسه بالمغفرة فلا ينافي ما مر عليه **وفي
حديث الصلاة عليه** صلى الله عليه وسلم **عنه ايضا** اي عن علي مثله **قبل** بالبناء
على الضم اي قبل هذا تقدم من طريق نصر **الدعاء له** صلى الله عليه وسلم **بالرحمة
وانما يدعى له بالصلاة والبركة** اقتصارا على ما ورد في حقه وان كان معناهما
الرحمة لكنها رحمة خاصة مقترنة بنوع تعظيم **ولم يات في غيره** اي في غير هذا
الحديث **من الاحاديث المرفوعة الموقوفة** المنسوبة اليه صلى الله عليه وسلم وهو
بيان لغيره **وقد ذهب ابو عمر بن عبد البر** الامام الجليل المشهور كما تقدم **وغيره**
من علماء الكتبة والحديث **الى انه لا يدعى للنبي** صلى الله عليه وسلم **بالرحمة**
فهو مكروه عندهم لانها مع التقصير **وانما يدعى له بالصلاة** اي بهذا اللفظ المامور
به في القران **والبركة التي تختص به** بمعنى التي بمعنى الدوام والثبوت على التشريف
والتكريم بكثرة الخيرات الالهية وفيض المواهب اللدنية **ويدعى لغيره**
من المؤمنين **بالرحمة والمغفرة** لانه غير معصوم ولا يخلو من تقصير فهو محتاج
لمغفرة الله ورحمته اشد لا كالرسول المعصوم الذي غفر الله له ما تقدم وما
تاخر والمراد غيره صلى الله عليه وسلم من امته لا الانبياء فان من الادب ان لا يدعى
لهم بذلك ايضا وكذا الصحابة ينبغي ان يقال فيهم رضي الله عنهم والايراد على هذا
ان الصلاة معناها الرحمة فانه لا يلزم من كون لفظ بمعنى لفظ ان يستعمل في
محله مع انه غير مسلم فان الصلاة فيها معنى التعظيم ولو كانت مطلق الرحمة لزم
استعمالها في حق غيره وليس كذلك **وقد ذكر** الامام **ابو محمد بن ابي زيد** في مذهب
مالك صاحب الرسالة المشهورة كما تقدم **في الصلاة على النبي** صلى الله عليه وسلم
في تشهد الصلاة **اللهم ارحم محمدا وال محمد كما رحمت على ابراهيم وال ابراهيم**

وبدء المصنف رحمه الله بقوله ولم يات هذا في حديث صحيح وحجته في جواز
الدعاء له صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه في السلام المروي في التشهد السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته قال فلا فرق الرحمة عليه هنا يدل على جواز
الدعاء له صلى الله عليه وسلم بالرحمة اذ لا فرق بينهما وقال الرافعي في الشرح الكبير
من الناس من زاد وارحم محمدا كما رحمت على ابراهيم وربما يقولون وترحمت على
ابراهيم بالثنا ولم يرد ان خبر وهو غير فصيح فانه لا يقال ترحمت عليه وانما
يقال رحمته وفي لترحم تكلف لا يحسن اطلاقه على الله وقال الاسنوي فيه افتى الـ
وقد اسقطها النووي في الروضة وقول الرافعي انه لا يقال ترحمت عليه غير مستقيم
قال الصغاني قال يقال ترحمت عليه قال الغزالي لا يجوز ترحم بالثنا اي وهو
مراد الرافعي بقوله انه لا يحسن وقال النووي انه بدعة وبالغ ابن العربي في
انكاره وتخطية ابن ابي زيد وفي الاذكار ما قاله بعض اصحابنا وابن ابي زيد
من استحباب زيادة وارحم محمدا وال محمد بدعة لا اصل لها وقد جهل ابن العربي
في شرح الترمذي قائله لانه ليس في التشهد الذي علمه رسول الله صلى الله عليه
وسلم الصحابة فالزيادة استدراك عليه وقال بعضهم انكاره غلط لان الحاكم
رواه في مستدركه باسانيد صحيحة عن ابن مسعود وكذا رواه الذهبي وقد قاله
الشافعي في رسالته وهو يرد لما قالوه من غلطوه كما افاده البرهان الحلبي في حواشيه
اقول محصل كلامهم باسرهم انهم اختلفوا في جواز الدعاء له صلى الله عليه وسلم بالرحمة
والمغفرة وفي وروده في الحديث والذي صححه اكثر الفقهاء والحفاظ ثبوته
وجوازه ومنشا الخلاف ان الرحمة والمغفرة مقتضي قصورا وذنبا حاشاه الله منه
واعطاه براءة منه اذ قال له صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر وسوى بينهما ايما الى ان المتقدم كالمتاخر في عدم الوقوع ولذا قيل
المراد بذنبه ذنب امته كما تقدم فينبغي ان يقال بجوازه مقرونا بغيره غير
منفرد تعبدا او طلبا للثواب والمغفور له ليس ذنبا كذنوبنا بل امورا تقتضيها
الجبلة البشرية وتاباه العادة الملكية من الاشتغال الدنيوية وان كانت مباحة
او لازمة لمقامه صلى الله عليه وسلم ولذا قال صلى الله عليه وسلم انه ليغان على
قلبي فاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة وسياتي تحقيقه ان شا الله تعالى
فصــــل في فضيلة الصلاة عليه اي ثوابها وثواب ها لمن قالها
والتسليم عليه اي قوله السلام عليك ايها النبي ونحوه والدعاء له المانور نحو
اللهم آته الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة والمراد تعظيمه
صلى الله عليه وسلم واظهار محبته بطلب نعمته فليس من تحصيل الحاصل ولا
احتياج له صلى الله عليه وسلم وقدم المصنف حديثا مسندا تبركا به رواه النسائي
ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما حدثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح من
كتابه قال لوامن روى عنه المصنف من مشايخه واسمه احمد بن محمد عدة ناس منهم

احمد

احمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن عثمان بن علبون الخولاني واحمد بن
محمد بن عبد العزيز اللخمي وهو ابن الرصي ابو جعفر واحمد بن محمد بن عبد الله بن
الشارني والمراد الاول لانه اشتهرت ثقته وكان عليه ان يذكر ما يعينه فكانه
اعتمد على شهرته قال حدثنا القاضي يونس بن مغيث تقدمت ترجمته
قال حدثنا ابو بكر بن معاوية بن الاحمر الاندلسي وهو محمد بن معاوية
ابن عبد الرحمن بن معاوية بن اسحق بن عبد الله بن هشام بن عبد الملك بن
مروان ابو بكر القرطبي الامام الثقة الجليل رحل الى المشرق سنة خمس وتسعين
ومائتين وسمع من النسائي وغيره ودخل الهند تاجرا وتوفي سنة ثمان وخمسين
وثلثمائة قال حدثنا النسائي امام الحديث وصاحب السنن المشهورة واسمه
احمد بن شعيب كما تقدم بيانه قال حدثنا وفي نسخة اخبرنا من هنا الى سويد
ابن نصر ابو الفضل المروزي المعروف بالشاة الامام روى عن ابن المبارك وغيره
واخرج له اصحاب السنن وتوفي سنة اربعين ومائتين قال اخبرنا عبد
الله بن حيوة بن شريح هو ابو عبد الرحمن بن عبد الله بن المبارك بن واضح
التميمي مولاهم المروزي شيخ خراسان وابوه تركي تاجر واُمه خوارزمية ولد
سنة ثمان وعشر ومائة وتوفي سنة احدى وثمانين ومائة وغيره مهيب بن زار
واخرج له الستة كما تقدم وحيوة ابن شريح تقدمت ترجمته ومائة قال اخبرني
كعب بن علقمة بن كعب بن عدي التوخي المصري التابعي الثقة توفي سنة ثمانين
ومائة واخرج له اصحاب السنن وفي بعض النسخ كعب عن علقمة وهو مشهور وقد
تقدم هذا الحديث انه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع الامام الجليل الثقة
اخرج له اصحاب السنن وتوفي سنة سبع وتسعين انه سمع عبد الله بن عمرو الصحابي
المشهور رضي الله عنهما يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اذا سمعتم المؤذن وهو يؤذن للصلاة اي او غيرها مما يشرع فقولوا مثل
ما يقول من تكبير وتشهد وصلاة وحيعلة تصديقا وهو سنة معروفة
وقيل انه واجب وتقدم بسط الكلام وصلوا علي وفي مسلم ثم صلوا علي والمعنى
واحد وقد علمت ان هذه احد المواطن التي تستحب فيها الصلاة عليه
صلى الله عليه وسلم وانه تعرف في الصلاة بالسلام فانه الافضل وارتكاب خلافه
مكروه ولا تحتج له بتعليمهم كيف الصلاة السابقة لان السلام سبقها في التشهد
فلا افراد فيه وقد جاء ذكر الصلاة مقرونة بالسلام في مواطن منها ما يقال
عند ركوب الدابة كما رواه الدارقطني في الدعاء مرفوعا وكذا غيره وانما حذف
في بعض المواضع اختصارا وكذا يستحب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
في الاقامة كما ذكره الخيضري فيما تقدم فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه
عشرا فان الحسنة بعشر امثالها وكون الله عز وجل يصلي عليه فيه من الرحمة
له واعلا قدره ما لا يخفى وقال يقول بالمضارع اشارة الى انه يقول من غير

مطلب استحباب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الاقامة

ناخير لما بعد الاذان وظاهره انه ياتي به في الحيعلتين وهو قول بعضهم
انه يقول عندهما لا حول ولا قوة الا بالله اي لا قدرة للعبد على طاعته التي دعي
اليها الا بتوفيقه وكان ابن جبير يقول سمعنا واطعنا وبين ان لا يرفع المجيب
صوته في الاجابة لان التشبيه ليس من كل الوجوه **ثم سلوا الله لي الوسيلة**
بان يقولوا اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة ات محمدا الوسيلة
والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته فانه من قال ذلك حلت له شفاعتي
يوم القيمة والوسيلة لغة ما يتقرب به الى كل كبير وفسرت في الحديث بقوله **فانها
منزلة في الجنة** من اعلا منازلها وقد يراد هنا المنازل العلوي فانها تنزيه الى
الله **لا ينبغي الا لعبد من عباد الله** اي لا تليق بكل احد فانها اعلى المنازل فلا
تليق الا بخير البشر **وانا ارجو ان اكون انا هو** عبر بالرجاء وان كان ناساعطاه
ذلك لوعد من لا يخلف الميعاد تواضعا منه صلى الله عليه وسلم وتفويضا لامره بما
يتفضل الى الله تعالى وتعليما لامته وارشادا لهم لان يكونوا بين الخوف والرجا
دايما لا سيما في امور الاخرة وقد فسرت الوسيلة ايضا بالشفاعة العظمى كما مر
وجمع بينهما بان صاحب تلك المنزلة هو صاحب الشفاعة العظمى ايضا وانا تاكيد
لاسم كان المستتر وهو خبرها وضع موضع اياه استغير ضمير الرفع لضمير النصب
وتقدم ان ذلك خلاف الظاهر وقيل اسمها ضمير مستتر وانا هو مبتدا وخبر والجملة
خبر اكون وما قيل من ان هو وضع موضع اسم الاشارة اي اكون ذلك العبد
كما في قول روبة

فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق

لا وجه له فان مثله انما ذكروه في وضع الضمير المفرد موضع غيره لا في وضع
المرفوع موضع غيره كما ذكره النحاة **فمن سال لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة**
اي استحقت ووجبت له بفضل الله من حل يحل بضم الحاء اي نزل وفي البخاري حلت له وهما
بمعنى والشفاعة هنا مطلقة فان كان مذنبا خلصت شفاعته صلى الله عليه
وسلم من العذاب والا شفع له باعلاء درجته او بادخال الجنة من غير حساب وفي
شرح مسلم للمص ان ذلك مختص بمن قاله مخلصا قاصدا بذلك تعظيمه صلى الله
عليه وسلم لا لمجرد الثواب وقال ابن حجر انه تحكم غير مرضي ولو اخرج الغافل
كان اشبه وتقدم الكلام على ذلك كله وفي الحث على الدعا في اوقات الصلاة
لانه محل الاجابة كما قالوه **وروى انس بن مالك** رضي الله عنه في شعب
الايمان للبيهقي **ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى على صلاة** واحدة في
وقت ما **صلى الله عليه عشر صلوات** اي رحمه الله رحمة مضاعفة معظمة لانها
غيرها لان اضافتها الى الله اضافة تعظيم وتشريف وان كان كل من جا بحسنة
له عشر امثالها **وحط عنه عشر خطيات** ان كان ارتكب خطيئة **ورفع له
عشر درجات** باعلا مقامه في جنة النعيم وعلى ما يليق بمرتبته من الله **وفي**

ولهي وانما انفرس

رواية

رواية اخرى رواها ابو يعلى **وكتب له عشر حسنات** فان الصلاة حسنة
وكل حسنة بعشر امثالها والزيادة هنا باسناد ذلك الى الله تعالى وانه تولى ذلك
بنفسه ولم يوكله للملائكة الكتبة فيدل على انها اعظم من سائر الحسنات وصلاة
الله كما علمت رحمته رحمة خاصة به فهي على حقيقتها من غير مشاكلة كما قيل **وعن انس**
ابن مالك رضي الله عنه انه روى **عنه صلى الله عليه وسلم** في حديث رواه ابن
ابي شيبة في مسنده انه قال **ان جبريل** عليه الصلاة والسلام **ناداني** ان قال
لي ويحتمل انه راه في الافق فناداه بصوت عال قال فيه انه من صلى الخ ويؤيد
الاول قوله في بعض النسخ فقال **من صلى عليك صلاة** باخلاص يقصد بها
تعظيمك على ما مر **صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات** فوق مقامه الذي
يستحقه وصلاة الله على من صلى عليه ثابتة في عدة احاديث كثيرة مسندة صحيحة
وفي بعض الروايات زيادة على العشر والاقل لا ينفي الاكثر **وفي رواية عبد الرحمن
ابن عوف** التي رواها الحاكم والبيهقي وصححاها **عنه** صلى الله عليه وسلم انه قال
لقيت جبريل عليه الصلاة والسلام **فقال ابشرك** اي اخبرك بما يسرك
سرورا عظيما يظهر في وجهك وبشرتك ويتواصل معناه **ان الله** اي بان الله
يقول من سلم عليك اي قال السلام عليك ايها النبي داعيا لك بالسلامة من كل
نقص وسوء ومقبلا اليك عنان قلبه **سلمت عليه** اي سلمته من كل سوء وحفظته
عنايتي وعبر بهذا لمشاكلة **ومن صلى عليك صليت عليه** ليس في هذه الرواية
عدد ولا غيره فهي محمولة على ما مر والحديث صحيح روي من طرق وسببه ان عبد
الرحمن بن عوف رضي الله عنه كان يلازم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجد مسه
ليلا ونهارا انا يتبعه ليلة وقد خرج من منزله فدخل حائطا وسجد سجودا
طويلا حتى ظن انه قبض روحه فبكى فقال له صلى الله عليه وسلم
ما لك فاخبره بما خطر بباله فقال جاءني جبريل واخبرني بان الله يقول لي من
عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه فسجدت شكرا لله وهو حديث صحيح
المتن والسند وقال الحاكم لا اعلم في سجدة الشكر اصح منه والاحاديث في فضل
الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم كثيرة لا تحصى **ونحوه** اي مثل هذا الحديث لفظا
ومعنى **من رواية ابي هريرة** رضي الله عنه **ومالك بن اوس بن الحدثان**
بفتح الحاء والدال المهملتين ومثلثة والف ونون علم منقول من المصدر
ومالك هذا هو ابن مخضرم ادرك الجاهلية والاسلام واخرج له الستة
واختلف فيه هل هو صحابي راى النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه احاديث
مرفوعة او تابعي روايته مرسلة والاصح عند الذهبي وغيره انه تابعي وتوفي في
سنة اثنين وتسعين وهو اسم حديث روي عن عمر بن الخطاب انه صلى الله
عليه وسلم خرج يتبرز ولم يجد من يتبعه ففزع عمر رضي الله عنه واتبعه بمطهرة فوجده
ساجدا في شربة فتنحى عنه حتى رفع راسه فقال له احسنت يا عمر لتنحيك عني ان ...

ثم قال له ان جبريل اتاني فقال من صلى عليك واحدة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات اخرجه البخاري في الادب وغيره وعن عبيد الله بن ابي طلحة الانصاري وهو بالتصغير وفي نسخة عبد الله مكبرا قال البرهان وهو الاصح بل الصواب وهو عبد الله بن ابي طلحة زيد بن سهل الانصاري اخو انس لامه ووالد اسحاق واخوته وهو صحابي له رؤية توفي زمن الوليد وحنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماه وحديثه رواه احمد والحاكم وابن حبان والنسائي قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم والبشر يرى في وجهه فقال لما سئل عن سبب بشره جاءني جبريل فقال لي اما يرضيك يا محمد انه لا يصلي عليك احد من امتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد من امتك الا سلمت عليه عشرا واخرجه ابن الجوزي في الوفا بزيادة ولا يكون لصلاته منتهى دون العرش ولا تمر بملك الا قال صلوا على قائلها كما صلى على النبي صلى الله عليه وسلم وعن زيد بن الحباب بضم الحاء المهملة وموحدتين بينهما الف قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ظاهره انه صحابي سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في سائر النسخ وهو كما قال وهم او تصحيف له او سقط من الكاتب فان ابن الحباب ليس بصحابي ولا تابعي وانما هو راوي رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وان صحت روايته وقيل انه لم يكن به باس ورحل في طلب الحديث الى الاندلس مع فقره وله ترجمة في الميزان وكان المصنف لما اراد كتابة الحديث سقط او عدّ ولذا قال يحيى بن علي القرشي المحدث انه وهم ظاهر فانه ليس بتابعي ولا من اتباعه وانما روى عن مالك وامثاله وليس نظيرا في اسمه واسم ابيه من الصحابة وهذا الحديث رواه ابن الحباب عن ابن لهيعة عن بكر ابن سوادة عن زياد بن نعيم عن ابن شريح الحضرمي عن رويفع بن ثابت الصحابي عنه صلى الله عليه وسلم فهو معضل لا مرسل كما قيل وابن الحباب توفي في سنة ثلاث ومائتين وقيل انما حذف سنده لضعفه وهو اعتذار اعظم من الذنب فانه ليس بمعضل ايضا لان المعضل اذا قال سمعت يكون كذبا فالصواب انه وهم وجواب المحشي عنه بان المصنف اسقط ما عدى زيد لانه لا غرض في ذكر رواته لا وجه له وانما يصح لو لم يقل سمعت وزيد هذا هو ابو الحسين الحافظ الكوفي والذي يخطر بالبال ان قوله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس من قول زيد وانما هو من قول ابي هريرة وهو المقصود بالرواية وما بعده متابعة له وبيان لكثرة طرقه وهذا غاية ما يمكن في توجيهه لحسن الظن به وليس بعد الان نظر لزيادة قوله وعن من قال في صلاته على رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على محمد وانزله اي اعطه المنزل المقرب بصيغة اسم المفعول ويجوز كسر رائه يوم القيامة هو على ظاهره او المراد في الاخرة والقرب منه رفعة معنوية المراد منه تعظيم الثواب ونبق المواهب الربانية لا قرب مكاني لان الله منزه عنه وجبت له شفاعتي اي ثبتت وتحققت بلا تردد ٢ عنده

لان

لان الله لا يجب عليه شيء عندنا وروى ابن مسعود في حديث صحيح رواه الترمذي وابن حبان وفي نسخة وعن ابن مسعود اولى الناس بي يوم القيامة اي احقهم بشفاعتي وعنايتي او اقربهم مني منزلة اكثرهم صلاة علي لان ذلك يدل على محبته والمرء مع من احب وعن ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب كتبه من تاليف ورسالة وغيره كما مر بيانه لم تزل الملائكة تستغفر له اي تدعو الله بالمغفرة ما بقي اسمي اي مدة بقائه مكتوبا في ذلك الكتاب والمراد انه يبقى كذلك لدنيا ما دامت السموات والارض قال الطبراني في الاوسط رواه الشيخ في الثواب والمستغفري وقال العراقي في تخريج احاديث الاحياء رواه باسناد فيه ضعف ومثله يعمل به في فضائل الاعمال وقال جماعة من العلماء لكيفية الخطاب في بعض ذلك يحتمل ان المراد كتب الصلاة علي في كتابه ويحتمل انه قرا الصلاة عليه المكتوبة وهو اوسع وارجى والاول اظهر واقوى انتهى ونقدم نقله عن الشيخ زروق قلت الاول هو المراد لان المعنى انه سن بذلك سنة حسنة لما كتبه وكان سببا لقراءته فله اجره واجر من قراه واجرا غير مقطوع ولا ممنون به وعن عامر بن ربيعة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي صلت عليه الملائكة ما صلى فليقل من ذلك عبد او ليكثر العطف للتخيير والفاء فصيحة اذا عرفت هذا ودوامه ونفعه لك فان شئت الكثرة من كتابته كما استفيد من الاول او التلفظ به كما استفيد من هذا الترغيب كثيرا دائما وان لم تشا فاقتصر على قليل منه فانه نعم ذلك وهذا في الحقيقة حث له على الاكثار فان العاقل لا يترك الخير الكثير ما امكنه ولذا قيل التخيير بعد الاعلام بما هو خير الكثر تخير به من التفريط في تحصيله قريب من التهديد وفيه من المبالغة ما لا يخفى وعن ابي بن كعب في حديث رواه الترمذي وحسنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل اي الاول وكان فعل ماض لكونها تستعمل عرفا للدوام نحو كان الله غفورا رحيما كما ذكره ابن جني في الخصائص قام من نومه وانتبه بعد استراحته فقال لمن عنده من زوجاته واهل بيته يا ايها الناس اذكروا الله بتمجيده وتحميده باسمائه الحسنى تذكيرهم ووعظهم وتنبيها لهم لينتهوا وحض هذا الوقت بالذكر لانه وقت غفلة تقتضي الطبيعة البشرية جاءت الراجفة تتبعها الرادفة والراجفة من الرجف وهي الحركة بشدة والرعدة معها صوت واضطراب ولذا قيل للبحر رجاف وقد تظرف ابن نباتة المصري كما في وصف حدث له رعشة في كفه فقال

ما كان من رجاف كفك منكرا والبحر من اسمائه الرجاف

والمراد بالراجفة ما يكون بين يدي الساعة من الفتن والهرج والمرج والزلازل والرادفة من ردف بمعنى تبع والمراد الساعة او الصيحة والنفخة او زلزلة اخرى والمراد اخبارهم بقرب الساعة واشراطها جاء الموت بما فيه من سكراته

واهواله وهو اقرب لكل احد من حبل الوريد والمراد حثهم على طاعة الله وايقاظهم
من نومة الغفلة فقال ابي بن كعب لما قال له صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اني
اكثر الصلاة عليك واشتغل بها اوقاتي بعد اداء الفرائض ونحوها فكم اجعل لك
من صلاتي اي ما مقدار الوقت الذي اصلي عليك فيه قال ما شئت اي اي قدر
تريده وتيسر لك قال الربع اي اصرف ربع اوقاتي لها قال ما شئت فان زدت على الربع
فهو خير لك نافع في الدنيا والاخرة قال الثلث اي اصرف لها ثلث وقتي قال
ما شئت اي يكفي هذا وان زدت فهو خير واحسن لك قال النصف قال ما شئت
وان زدت فهو خير قال الثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير قال يا رسول
الله اجعل صلاتي كلها قال اذا تكفى اي تعطيك مما عداها لان فيها خير الدنيا فاجعل
والاخرة وزيادة الرزق ببركتها ويغفر ذنبك لانها مكفرة لسائر الذنوب اقول
الصلاة في هذا الحديث بمعنى الدعا كما ذكره في كتاب الصلاة والبشر ومعناه انه في
موطن الدعا كعقب الصلوات ونحوها اذا اراد ان يدعو لنفسه وله صلى الله عليه وسلم
هل يزيد في دعائه لنفسه على الصلاة عليه او يسوي بينهما او يزيد في الصلاة عليه
او يجعل دعاءه كله له ويترك دعاءه لنفسه فانه اذا فعل ذلك كفاه عن الدعا لنفسه فان الله
يصلي عليه اضعاف صلاته فينال كل خير من الله من غير طلب هذا ادعى واحب الى الله
ورسوله اذا عرفت هذا فقيل هنا من ان هذا الحديث يقتضي ان الصلاة عليه صلى
الله عليه وسلم افضل من سائر العبادات لان الشارع اذا خص وقتا بعبادة تكون فيه
افضل من غيرها وان كان غيرها في نفسه افضل فالصلاة عليه لمن يريد الدعا افضل
من قول لا اله الا الله وان ورد في الحديث افضل ما قلته انا والنبيون من قبلي لا اله الا
الله وقد سيل شيخ الاسلام السراج البلقيني عن قراءة القران وذكر الله والصلاة على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها افضل فاجاب بان كلا منها افضل في محله في وقت
الدعا وهي في الصلاة واجبة فهي افضل من غيرها فاذا جعل الانسان دعاءه كل صلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم فانه يكفى ما اهمه وهي افضل من الاستغفار وغيره من الدعا لا
وجه له ولا حاجة بنا اليه فان الحديث كما علمت انما يدل على ان صلاته على رسول الله
صلى الله عليه وسلم تغني عن دعائه لنفسه ولا تقتضي انها افضل من سائر العبادات ولا من قراءة
القران وغيرها كما لا يخفى وقد اطال هذا القايل من غير طائل وبعد عن المرام بمراحل ابن انس
ولبعض الشراح هنا كلام لا مناسبة له بهذا المقام وهذا الحديث في المعنى كالحديث القدسي
من شغله ذكري عن مسألتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين وعن ابي طلحة زيد بن
سهل الصحابي رضي الله عنه وفي الصحابة ابو طلحة اخر وهو الذي نزل فيه قوله تعالى
ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة كما قاله الخطيب وقال البرهان لا اعرف في
الصحابة من اسمه ابو طلحة غير ابن سهل هذا وحديثه هذا اخرجه النسائي انه قال
دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فرايت في وجهه من اثار بشره اي سروره وانشراحه
وطلاقته ما لم اره قط فيه لان دابه عليه الصلاة والسلام الخشوع والسكون والطلاقة

مصدر بمعنى البشاشة قال الراغب يقال هو طلق الوجه وطليق الوجه اذا لم يكن كالحا
انتهى ويأتي الاصل من الاطلاق من الوثاق فاستعير للبشاشة والسكون فسألته
عن سبب ذلك فقال وما يمنعني من المسرة وانشراح الصدر وقد خرج جبريل
من عندي انفا اي قريبا من مجيئك فاتاني ببشارة من ربي الظاهر ان فيه قلبا اي اتاني
ببشارة ثم خرج ومثله كثير في كلامهم والحديث صحيح اخرجه احمد واصحاب السنن ان
الله بفتح الهمزة بدل مما قبله وبكسرها والجملة مفسرة للبشارة وهي الخبر السار
بعثني اي ارسلني اليك ابشرك انه ليس احد من امتك يصلي عليك الا صلى
الله عليه وملائكته بها اي بصلاته التي صلاها عشرا وقد تقدم هذا وتفسيره
وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في حديث رواه البخاري قال قال النبي
صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع النداء اي الاذان فيقربه للعهد اللهم
رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة اي الدائمة او التي تقوم الناس
فهي كعيشة راضية ات محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي
وعدته حلت له شفاعتي اي تحققت يوم القيامة وظاهره انه يقوله وهو يسمع الاذان
من غير اجابة وبه استدل الطحاوي على انه لا تتعين الاجابة او المراد انه يقوله
حتى يسمع النداء ابتداءه فيكون بعد الاجابة والرواية بتنكير مقاما حكاية لما في القران
وهو منصوب مفعول ات والذي بدل او عطف بيان او منصوب على الظرفية والذي
مفعول وروي المقام المحمود بالتعريف كما قاله النووي ولا وجه لانكاره وقد تقدم
بيانه وعن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه في حديث صحيح رواه مسلم من قال
حين يسمع المؤذن اي اذانه وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان
محمدا عبده ورسوله رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا غفر له اي جميع
ذنوبه وذكره استطرادا للمناسبة لما قبله لانه ليس فيه شيء مما نحن فيه من فضيلة الصلاة عرضي
عليه وما قيل انه يلزم منه التزاما لان مجرد الرضا به اذا كان سببا للمغفرة فكيف اذا ارتبط
به الصلاة والسلام عليه بعيد جدا لانه ليس في الكلام ما يدل عليه بوجه من الوجوه
وروى ابن وهب هو الامام ابو محمد عبد الله المصري كما تقدم ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال من سلم علي عشرا اي قال السلام عليك يا رسول الله عشر مرات فكانما اعتق
رقبة اي عبدا او عبيدا لجزء من الكل اي كان ثوابه مثل ثواب ذلك وفي بعض الاثار
جمع اثر بمعنى الخبر الذي يؤثر اي ينقل والمراد به هنا الحديث ليردن علي اقوام اي
يأتوني على الحوض لا اعرفهم الا بكثرة صلاتهم علي وفي نسخة ما يدل لا يخفى انه صلى
الله عليه وسلم يرى في وجوههم نورا وعلامة من اثار الصلاة عليه وفي حديث اخر ان
انجاكم اي اسرعكم نجاة وخلاصا يوم القيامة من اهوالها اي شدائدها وخوفها ومواطنها
الصعبة لكثرة اهوالها او للعقبات التي تعوقها اكثركم علي صلاة يعني بركتها تسهل عليه
شدائدها وهذا الحديث رواه الاصبهاني في ترغيبه عن انس رضي الله عنه وفيه ايضا
عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم امحق للذنوب

اى اشد ابطالا وازهابا من محق الشى اذا ابطله من الماء البارد للنار فانه اذا اصب
عليها اطفاها واذهب ضررها فيه تشبيه للصلاة بذلك والسلام عليه صلى الله عليه
وسلم افضل من عتق الرقاب انما خص السلام بجعل ثوابه كثواب عتق الرقاب لان السلام
فيه تسليم له من سائر النقائص ومن اعتق رقبة اعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من
النار فسلم مما يخشاه فى الاخرة فلذا جعل السلام عليه واجره كالاعتاق وشبهه به دون
الصلاة وهذه نكتة لطيفة لاتنافى ما مر لان وجه الشبه قد يكون اقوى فى المشبه
وفى الدر المنضود بعد كلام الصديق هنا وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل
من مهج الانفس او قال من ضرب السيف فى سبيل الله وله حكم المرفوع اذ مثله لا يقال
من قبل الراى واخرجه التيمى وعنه ابو القاسم ومن طريقه الحافظ ابن عساكر بلفظ الصلاة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من عتق الرقاب او قال من ضرب السيف فى سبيل
الله وسنده ضعيف قيل وانما كان السلام عليه افضل من عتق الرقاب لان ثواب العتق
انما علم من جهته ولان العتق يقابل العتق من النار لما فى حديث الصحيح من اعتق رقبة
اعتق الله بكل عضو منها عضوا منه حتى الفرج بالفرج والسلام عليه يقابله سلام الله على
المصلى عشرا وسلام الله عز وجل افضل من مائة الف الف حسنة فما ظنك بها
من منة انتهى وفى بعض الشروح هنا كلام تركه خير منه

فصل

فى ذم من لم يصل على النبى صلى الله عليه وسلم واثمه لتركه الواجب عليه وذمه بتركه
الافضل فى حقه فيه اشارة الى انه قد يجب وقد يندب كما مر ولهذا اخر هذا الفصل
عما قبله وصدره بحديث مسنده رواه مسلم والترمذى كما هو دابه فى كتابه هذا
فقال حدثنا القاضى الشهيد ابو على رحمه الله هو ابن سكرة وقد تقدم مرارا قال
حدثنا ابو الفضل بن خيرون هو احمد بن الحسن بن خيرون البغدادى الحافظ
الناقد وقد تقدم ايضا وابو الحسن الصيرفى كذا فى النسخ والصواب ابو الحسين
بالتصغير وقد تقدمت ترجمته ايضا قالا حدثنا ابو يعلى هو احمد بن عبد الواحد
المعروف بزوج الحرة كما تقدم قال حدثنا السنجى تقدم بيانه وبيان نسبته وضبطها
قال حدثنا محمد بن محبوب تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو عيسى محمد بن عيسى
ابن سورة الترمذى المشهور وقد تقدم بيانه قال حدثنا احمد بن ابراهيم
الدورقى هو احمد بن ابراهيم البغدادى الحافظ والدورقى بفتح الدال المشددة
والراء المهملتين بينهما واو ساكنة وبعدها قاف وياء نسبة منسوب لبلد وهو فى
الاصل اسم اناء للماء كالجرة ولنوع من القلانس نسب اليه لا لبلد لطولها ووهم من غلط
المزى فى قوله انه اسم بلد فانه نسبه اليه الحاكم فى كتاب الكنى والمعترض اعتمد على
كتاب الرشاطى وتبعه البرهان الحلبى فى المقتفى والدورقى كان امام الحديث
فى عصره احتج له الستة وغيرهم ولد فى سنة ست واربعين ومائتين قال حدثنا
ربعى بن ابراهيم هو ربعى بن مقسم الاسدى الثقة الحافظ توفى سنة سبع وتسعين ومائة
عن عبد الرحمن بن اسحق بن عبد الله بن الحارث بن كنانة القرشى العامرى المدنى

ويقال

ويقال له عباد بن اسحق وثقوه وضعفه بعضهم وله ترجمة فى الميزان عن سعيد بن
ابى سعيد المقبرى وقد تقدم عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل اى اذله الله واخزاه وحقيقته الصق الله وجهه
بالرغام وهو التراب فكنى به عما ذكر واضيف للانف لتقدمه ذكرت عنده فلم يصل
على لان الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم تعظيم له وثواب لقائلها وعزة له باعزاز
نبيه صلى الله عليه وسلم فمن تركه مع سهولته عليه كان مستحقا للاهانة وهذا الحديث
اخرجه الترمذى كما علمت وحسنه والحاكم وصححه ورغم انف رجل دخل رمضان
اى جاء زمانه والتعبير عنه بالدخول حقيقة عرفا اى فى عرف اللغة ثم انسلخ اى تم
ومضى واصل السلخ نزع جلد الحيوان فاستعير لكل اخراج يقال سلخت درعه
اى نزعته ومنه سلخ الشهر لاخره قال تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار وما
قلته ادم الليل حين كان آخره وما له سلخته بذى الاهلة سلخا
قبل ان يغفر له اى ولم يغفر له وفى التعبير بالقبلية اشارة الى انه لكونه محل المغفرة كانت
كالموجودة فذهب قبلها ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر اى ادرك
الشيخوخة وهرما وهو معهما الا انهما لم يبرهما ولم يبالهما بما يرضيهما فلم يدخلاه
الجنة لانه لو فعل ذلك برهما اثابه الله وادخله الجنة فان الجنة تحت اقدام الوالدين
كما ورد فى الحديث قال عبد الرحمن ابن اسحق الذى تقدم قريبا واظنه اى رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال او احدهما اى احد ابويه ويجوز عود الضمير لابى هريرة رضى
الله عنه فهو شك من الراوى وسياتى تتمة الكلام على هذا الحديث والجامع بين هذه
ان فى صوم رمضان رضا ربه وخالقه وفى رضى الوالدين رضى من هو سبب لوجوده وفى
الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم رضا من هو سبب لبقائه فى النعيم المخلد والصوم رضا
للرب بما يرضى عليه فيه كلفة كالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فقد احرم نفسه من
فائدة عظيمة بترك امر لا مشقة فيه ورواه مسلم بتمامه بدون الفاء لاستبعاده ممن له عقل
والناظر لكون ذلك واقعا عقبه الا ان الغاية تركها ثم وقيد بر الوالدين بحالة ابن انبوس
الكبر لانها حالة العجز ورحمتهما والاسناد فى قوله يدخلاه اسناده مجازى وفى
حديث اخر رواه الحاكم وصححه عن كعب بن عجرة رضى الله عنه بطريق اطول من
هذا ان النبى صلى الله عليه وسلم صعد المنبر بكسر العين فى الماضى وفتحها فى المستقبل
كما قاله البرهان الحلبى والمنبر بكسر الميم اسم آلة من نبر بمعنى ارتفع لارتفاع الخطيب
عليه فقال آمين اذ اصعد درجة وآمين اسم فعل بمعنى استجب كما مر وقوله آمين
يقتضى انه سمع داعيا ولم يكن معه احد فلذا سالوه عن سبب قوله هذا كما سياتى ثم صعد
درجة اخرى من درجات المنبر فقال آمين ثم صعد درجة فقال آمين فسأله
معاذ راوى الحديث عن ذلك اى عن قوله آمين ثلاثا وما سببه فقال مجيبا للسائل
عن سواله ان جبريل اتانى لما صعدت المنبر وروى انه اتاه قبله فقال
يا محمد وروى انه قال له لبيك وسعديك من سمى للمجهول والخطاب المفتوح

بب الفاعل اى ذكر اسمك بين يديه اى عنده وهو حاضر يسمع فلم يصل عليك
فمات تاركا للصلاة عليك والتعقيب عرفى كتزوج فولد له دخل النار مجازاة
له على ترك الصلاة وقد قدمنا انه يقتضى وجوبها كلما سمع اسمه والجواب عنه
فابعده الله عن رحمته ونعيم جنته وقال له جبريل قل امين طلب منه
التامين على دعائه ليستجاب وفيه تعظيم له لا يخفى فقلت امين امتثالا لامر
الذى بلغه عن ربه قال ابن حجر فى الزواجر ولهذا الوعيد تكرير الدعا عليه
بالبعد والسحق وعده اجلا الناس عدوا ترك الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
عند ذكره من الكباير بنا على وجوبها كلما سمع ذكره كما ذهب اليه طايفة من الحنفية
وغيرهم ويمكن حمله على من ترك الصلاة عليه لا ستماله مهوا ولهب على وجه بيشعر
بالاستخفاف بحقه صلى الله عليه وسلم فيكون الترك حينئذ كبيرة متفقة فلا مخالفة
بين هذا وبين القول بعدم الوجوب بالكلية وهذا الذى لم ار من نبه عليه انتهى
وقال فمن ادرك رمضان وصومه فلم يقبل منه مبنى للمجهول اى لم يقبله الله منه
بان ابطل واحبط عمله فمات مثل ذلك اى فدخل النار فابعده الله قل امين
فقلت امين ومن ادرك ابويه او احدهما فلم يبرهما اى لم يقم بواجب حقوقهما وما
يستحقانه يقال بره بفتح عين الماضى يبره بفتحها لانه مضاعف متعدى والمطرد فيه ذلك
الا انه اى مما لا قلبه جا فيها الضم والكسر كما قاله ابن القوطية وغيره كما فصل فى كتب
التصريف فمات مثله بالنصب اى وذكر مثله اى فدخل النار فابعده الله الخ وعدم
قبول رمضان اما لانه اخل به على وفق امر الله له بان اخل به او اما لانه لم يخلص نيته
فيه وهذا الحديث صحيح روى من طرق كثيرة باسانيد متعددة وعن على بن ابى طالب
كرم الله وجهه من حديث صحيح رواه الترمذى وصححه والبيهقى والنساى عنه عليه
الصلاة والسلام انه قال البخيل كل البخيل الذى اذا ذكرت عنده ثم يصل على
وتعريف الطرفين يدل على الحصر اى لا بخيل الا هذا والبخل الامساك عن بذل ما
ينبغى شرعا او مروة والشرع يقتضى ذلك لانه امرنا به وكذا المروة لانها تقتضى الثنا
على من انعم واحسن واى منعم مثله صلى الله عليه وسلم فانه واسطة لكل احد فى جميع النعم
التى وصل اليها والبخل بكلمة تنفع فى الدنيا والاخرة بخل لا يضاهيه بخل وفى الحديث
روايات مختلفة فروى البخيل كل البخيل وموكدا بان كما اتى وفيه مبالغة لا تخفى وانما
هنا استعارة تهكمية بتشبيه ترك الصلاة بترك الانفاق او مكنية وتخييلية بتشبيه
الصلاة بالمال الذى ينبغى انفاقه وعن جعفر الصادق بن محمد الباقر عن ابيه
محمد الباقر وهو تابعى فالحديث مرسل كما فى شعب الايمان للبيهقى ورواه الطبرانى
فى الكبير متصلا عن الحسين بن على جده رضى الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل على اخطى به طريق الجنة اخطى بضم الهمزة وكسر
الطا فى اكثر النسخ مبنى لما لم يسم فاعله وجوز بناوه للفاعل ايضا اى دخل النار لانه
اخطى عن طريق الجنة وكانت طريقه الى النار لانه قد اضله الله عن طريقها وهذا رواه

جماعة

جماعة من طرق متعددة وفى بعضها خطى وعن على بن ابى طالب كرم الله وجهه
قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان البخيل كل البخيل من ذكرت عنده
فلم يصل على وكل هنا صفة البخيل للمبالغة كانه جمع افراده كلها وتجب حينئذ
اضافته لظاهر مماثل لموصوفه لفظا ومعنى كما هنا وكقوله
وان الذى حانت بفلج دماوهم هم القوم كل القوم يا ام خالد
وقد يضاف لما يماثله معنى فقط وهذا الحديث اخرج من طرق متعددة اخرجه
النساى والبيهقى والبخارى فى تاريخه وعن ابى هريرة رضى الله عنه رواه ابو داود
والترمذى وحسنه والحاكم وصححه قال ابو القاسم صلى الله عليه وسلم ايما قوم
اى هنا للعموم وما مزيدة اى كل قوم جلسوا مجلسا اى فى مجلس ما ثم تفرقوا
اى تفرقوا من مجلسهم قبل ان يذكروا الله اى من غير ذكر له تعالى فى مجالسهم او عند
قيامهم منه وقبل ان يصلوا على كانت عليهم من الله ترة وترة بكسر التاء المثناة
وفتح الرا المهملة وهاتا نيث عوض من الفا المحذوفة كعده وزنه وهى مرفوعة اسم
كان وعليهم خبر مقدم وجوز نصبها على الخبرية واسم كان ضمير مستتر راجع الى الجلسة
المفهومة مما قبله والترة لها معان الظلم والنقص والتبعة وقد فسرت بالحسرة
والمواخذة لانه ورد كذلك كما فى دقيق له ان شا عذبهم وان شا غفر لهم فيقتضى انها
بمعنى الذنب والخطية فهو كالتفسير لما قبله والمعانى كلها متقاربة وقيل انها بمعنى الحجة
القايمة عليهم فهم فى مشية الله ان شا عذبهم بترك الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وان شا
غفر لهم لانه الغفور الرحيم وقد مر ان الترة هى فى الاصل النقص قال تعالى ولن يتركم
اعمالكم ومعناها التبعة كما فى شرح السنة وفى غريب المدونة ان بعض الفقها حرفه
وقراه بالتا المثلثة من الثار بالهمزة اى طلب الدم من القاتل وابن ميمونه لفظا ومعنى
اذا علمت هذا فينبغى لمن اراد القيام من مجلس ان يقول لا اله الا الله وصلى الله وسلم على
رسوله ليكون مكفرا لما فى ذلك المجلس وعن ابى هريرة رضى الله عنه فى حديث رواه
البيهقى فى الشعب من نسى الصلاة على نسى بضم اوله وتشديد ثانيه مبنى للمجهول
وفى نسخة نسى مخففا مبنى للفاعل طريق الجنة تقييد جعل الصلاة كانها دليل
ترشده لطريق الجنة ومذكر يذكره بها فعبه استعارة او النسيان بمعنى الترك مجازا
من ذكر المقيد وارادة المطلق كقوله تعالى نسوا الله فنسيهم وقوله وكذلك
اليوم تنسى وعن قتادة عنه صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه عبد الرزاق
عن معمر والحديث مرسل يعمل به فى الفضايل دون الاحكام كما علم مما مر من
الجفا ان اذكر عند الرجل وفى نسخة رجل وفى اخرى احد فلا يصلى على الجفا
ترك الصلة والبر ويكون بمعنى غلظة الطبع ومنه قيل للاعراب اهل الجفا بمد وتقصر
وهو ضد الصلة والمراد بالرجل الجنس كالعبد فى قوله ولقد امر على اللئيم يسبنى
وعن جابر رضى الله عنه فى حديث رواه البيهقى عنه صلى الله عليه وسلم ما جلس
قوم مجلسا ثم تفرقوا منه على غير صلاة على النبى صلى الله عليه وسلم الا تفرقوا عن

تلمسانى

رائحة تفوح منهم أنتن أفعل من النتن وهي الرائحة الخبيثة التي يكرهها كل طبع ويكون
من اللحوم المتغيرة بعد الموت وفعلها نتن بالكسر والضم عند ابن القوطية فاعل
من الثلاثي على القياس ومن نتن على مذهب سيبويه فقيل انه صوابه لا وجه له مع
انه يكفي لصحته وروده في كلام أفصح الناس صلى الله عليه وسلم من ريح الجيفة الريح اما
على ظاهره او بمعنى الرائحة والجيفة في الاصل رمة الحيوان اذا انتفخت وتغيرت لانهم اتوا بما
من مذموم فشبه المعقول بالمحسوس وقيل انهم لما صدر عنهم من الكلام المذموم شرعا
من غير مكفر له وهو تقييد من غير دليل وقيل انه يؤذيهم في الملا الاعلى او يوم القيمة
يشمه اهل الموقف وهو بعيد لا يلايمه السياق والظاهر انه على التشبيه او المراد انه
كذلك في الدنيا وقد نقل عن بعض المشايخ انه كان يشم من اهل الغيبة رائحة خبيثة
وهذا الحديث رواه الطيالسي والبيهقي والنسائي والضياء في المختارة بسند صحيح الا انه
فيه ذكر الله مع الصلاة تماما والمشبه به اما فرد من افراد الجيفة او شيء غيرها اشد نتنا
منها وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجلس
قوم مجلسا اي في مجلس يتحدثون فيه ولا يصلون فيه على النبي صلى الله عليه وسلم
في اثنائه او في اخره الا كان ذلك المجلس حسرة عليهم اي ندامة وتأسفا على ما فاتهم
فيه وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب لمن صلى عليه والقوم جماعة الرجال
خاصة لقوله أقوم آل حصن ام نساء ويطلق على ما يشملهم تغليبا وقيل انه عام لكل جماعة وهو
المناسب هنا وقد تقدم معنى حسرة وهي في الاصل بمعنى الانقطاع من حسرت الدابة
اذا انقطعت عن السير لكلالها ويجوز في كان ان تكون تامة وناقصة وجعله نفس
الحسرة مبالغة كقوله وانه لحسرة على الكافرين او اسناده مجازي وحكى ابو عيسى
الترمذي امام الحديث وصاحب الجامع والشمائل وقد ذكرنا ترجمته وشهرته
تغني عن ذكره عن بعض اهل العلم انه قال اذا صلى الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم
مرة في المجلس اجزا بالهمزة عنه ما كان في ذلك المجلس اي كفت المرة عن تكريرها
بعدد ما ذكر اسمه في ذلك المجلس فهو سنة كفاية او فرض كفاية بنا على الخلاف السابق
وفي بعض الحواشي اختلفت الرواة فيه نقل صاحب المجتبى من الحنفية انه يتكرر الوجوب
بتكرر ذكره وقيل لا يتكرر كما لو تكرر تلاوات سجدة في مجلس فانه يكفي بها سجدة واحدة
وقيل المراد بما كان في ذلك المجلس اللغط ونحوه مما يحتاج للكفارة ويؤيده ما ورد
في الحديث من صلى علي مرة واحدة محا الله عنه بها ذنوب ثمانين سنة فيعلم منه ما ذكر بالطريق
الاولى وكذا ورد عنه صلى الله عليه وسلم ان من قال اذا قام من مجلسه سبحانك اللهم
وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك غفر الله له ما كان في مجلسه
ذلك فاذا انضم الى ذلك الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم حاز فضلا عظيما
وكفر عنه ما صدر منه ومن اهل مجلسه واعلم انه قال في الخزانة انه صلى الله عليه
وسلم لا يجب عليه ان يصلي على نفسه انتهى قيل فاذا كان لا يجب عليه ذلك فهل كانت
صلاته صلى الله عليه وسلم في صلاته بطريق الاستحباب او لم يكن يصلي على نفسه فيها

رجى عرضي

قيل

قيل لم يصرح به احد انتهى وفي فتاوى السبكي الحلبيات الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
واجبة بالاجماع وكونها من الصلاة مذهب الشافعي والظاهر ان النبي صلى الله عليه
وسلم شارك الامة في هذا الحكم من كونها واجبة عليه في صلاته ركنا فيها فان نقل اجماع
انه لم يكن يجب على الامم المتقدمة ان يصلوا على انبيائهم فينبغي ان نعده من الخصائص
واما غيره من الانبيا فاقل من ان يثبت مشاركتهم في الوجوب حتى تنتفي خصوصيته
وما نقله الجرجاني من انها لا تجب على غيره استقلالا لا بالاجماع ان اريد في غير هذه
الامة ان صح ثبتت الخصوصية وان اريد انه لا يجب علينا في ملتنا ان نصلي على غيره
استقلالا لا تبعا فيفهم انه يجب لغيره استقلالا ولا نعرفه انتهى فصل في
تخصيصه عليه الصلاة والسلام بتبليغ صلاة من صلى عليه او سلم من الانام
كسحاب مطلق او كل ذي روح او الجن والانس خاصة ويقال انام بالمد كساباط
وانيم كامير وبه الحديث رواه احمد وابو داود والبيهقي بسند حسن وهو قوله
حدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي قال حدثنا الحسين بن محمد ابو علي الغساني
وقد تقدما قال حدثنا ابو عمر الحافظ بن عبد المومن هو ابن عبد البر كما تقدم
قال حدثنا ابن داسة تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو داود امام الحديث وصاحب
السنن كما تقدم قال حدثنا ابن عوف محمد بن عوف الطائي الحمصي راوي سنن
ابي داود توفي في سنة اثنتين وسبعين ومائتين قال حدثنا المقرئ ابو عبد الرحمن
ابن عبد الله بن يزيد القصيري المقرئ مولى عمر رضي الله عنه وهو ممن اخرج له الستة
وتوفي سنة ثلاث عشرة ومائتين كما تقدم قال حدثنا حيوة بن شريح كما تقدم قريبا
عن ابي صخر حميد بن زياد الخراط قال احمد لا باس به وله ترجمة في الميزان عن
يزيد بن عبد الله بن قسيط بالتصغير الليثي التابعي الثقة توفي سنة اثنتين وعشرين
ومائة واخرج له الستة وترجمته في الميزان عن ابي هريرة رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى
ارد عليه السلام اي اجيبه وكلام المصنف في تبليغ الصلاة له وهذا في تبليغ السلام ولذا
قيل انه مخصوص بوقت الزيارة وان نوزع فيه كما يأتي فاما ان يكون ذكره لما سيأتي
او فهم منه ان المراد بالسلام ما يعم الصلاة والسلام عليك يا رسول الله وفيه دليل
على انه صلى الله عليه وسلم حي حياة مستمرة لان الكون لا يخلو من مسلم عليه في كل لحظة
وقد ثبت بالاحاديث الصحيحة انه صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام
احياء حياة حقيقية كالشهداء وان كان حال البرزخ لا يقاس على حال الدنيا وقد
قال ابن العماد رحمه الله ان رد الروح يقتضي الموت وهو خلاف المقصود وقد اجيب
عنه باجوبة منها ما قاله القاموس في كتاب الصلاة والبشر ان البيهقي قال معناه ان
الله رد روحه الشريفة لاجل رد سلام من يسلم عليه ثم استمرت في جسده وقال عبد
الكافي السبكي يشبه انه يحتمل انه رد معنوي بان تكون روحه مشتغلة بشهود الحضرة
الالهية والملا الاعلى عن عالم الدنيا فاذا سلم عليه اقبلت روحه لهذا العالم لرد السلام

وقال السخاوي في كتابه القول البديع رد روحه يلزم منه تعدد حياته ووفاته في أقل من ساعة إذ الكون لا يخلو من مسلم عليه بل قد يتعدد في آن واحد كثيرا وأجاب الفاكهاني وبعضهم بأن الروح هنا بمعنى النطق مجازا فكأنه قال رد الله علي نطقي والنطق من لوازم وجود الروح بالفعل أو بالقوة فعبر بأحد المتلازمين عن الآخر ويؤيده أن الحياة مرتين لا تعقبها موتة لقوله أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين وقيل إنه على ظاهره بلا مشقة وقيل المراد بالروح ملك وكل بإبلاغه السلام وفيه نظر انتهى وفي رواية كما قاله السبكي ما من أحد يسلم علي عند قبري فإن ثبت فهو مخصوص ولا يرد بالرأي قال في الدر وزيادة عند قبري بعد علي قال السخاوي ولم أقف عليها فيما رأيته من طرق الحديث أقول هذا أجلة ما في الحديث من القيل والقال وللنظر فيه مجال أما أولا فاستعارة رد الروح للنطق بعيدة وغير معروفة ولا ملائمة وليس لها رونق يليق بالفصاحة النبوية ولو سلم لكان ركيكا لأن قوله حتى أرد عليه السلام يأباه ولو قيل إنه مجاز عن المسرة كان أقرب فإنه يقال لمن سر عادت له روحه ولضده راحت روحه ولولا خوف الإطالة أوردت له شواهد وهذا أيكون جوابا سادسا وجواب البيهقي خلاف الظاهر كما لا يخفى وكون المراد بالروح الملك يأباه الإضافة لضميره إلا أن يقال إنه ملك كان ملازما له صلى الله عليه وسلم فاختص به على أنه أقرب الأجوبة وقد ورد في بعض الأحاديث وقال أبو داود بلغني أن ملكا موكلا بكل من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم حتى يبلغه سلامه ويأتي الكلام عليه وقد ورد أيضا إطلاق الروح على الملك في القرآن وإذا اختص هذا بالزوار هان أمره وجملة رد الله علي روحي حالية ولا يلزم قد إذا وقعت بعد إلا كما ذكره السهيلي وهو استثناء من أعم الأحوال وبالجملة فهذا الحديث لا يخلو من الإشكال والقول الذي يظهر في تفسير الحديث من غير تكلف أن الأنبياء والشهداء أحياء وحياة الأنبياء أقوى ولذا لم تسلط عليهم الأرض فهم كالنائمين والنائم لا يسمع ولا ينطق حتى ينتبه كما قال تعالى والتي لم تمت في منامها أي يرسلها فالمراد بالرد الإرسال الذي في الآية وحينئذ فمعناه أنه إذا سمع رد السلام والصلاة بواسطة أو بدونها تيقظ ورد لا أن روحه تقبض قبض الممات ثم تنفخ وتعاد كموت الدنيا وحياتها لأن روحه صلى الله عليه وسلم مجردة نورانية وهذا لمن زاره ومن بعد عنه يبلغه الملك سلامه كما ذكر بعده فلا إشكال أصلا إلا لمن لم يتدبر وفي الدر وما قيل إن رده صلى الله عليه وسلم مختص بسلام زائره مردود بعموم الحديث فدعوى التخصيص تحتاج لدليل ويرده أيضا الخبر الصحيح ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام فلو اختص رده صلى الله عليه وسلم بزائره لم يكن له خصوصية به لما علمت أن غيره يشاركه في ذلك قال أبو اليمن بن عساكر وإذا جاز رده صلى الله عليه وسلم على من يسلم عليه من الزائرين لقبره جاز رده على من يسلم عليه من جميع الآفاق من أمته على بعد مسافته وذكر أبو بكر بن أبي شيبة هو عبد الله بن محمد العبسي الكوفي

الحافظ

الحافظ الثقة صاحب التصانيف الجليلة أخرج له الأئمة الستة وتوفي في سنة خمس وثلاثين ومائتين وترجمته مفصلة في الميزان عن أبي هريرة رضي الله عنه كما رواه البيهقي وأبو الشيخ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا أي بعيدا عني والنائي بالهمز البعيد بلغته مبنيا للمفعول أي بلغتني الملائكة سلامه وصلاته كما ورد مصرحا به في الحديث وفي بعضها أنه ملك معين وقوله عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري وفي نسخة ابن مسعود وهو غلط إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام وفي أخرى إن لله ملائكة يسيحون في الأرض يبلغوني صلاة من صلى علي من أمتي وهذا يقتضي أنهم جماعة كثيرة لا واحد معين والسياحين جمع سياح صيغة مبالغة من السياحة وهي الطواف في الأرض والدوران فيها والذهاب إلى البرية وكانت النصارى تفعله تعبدا فنهى عنه صلى الله عليه وسلم بقوله لا سياحة في الإسلام لما فيه من ترك الجمعة والجماعة وهو مستعار من ساح الماء إذا جرى على وجه الأرض أما الملائكة فإذا أمروا بذلك فهذه الخدمة فيهم عبادة لهم لأنهم لا يفعلون إلا ما يؤمرون وقوله يبلغوني إلخ صفة لملائكة أو جملة مستأنفة استئنافا بيانيا وليس هذا الحديث موقوفا بل هو مرفوع رواه أحمد والنسائي والبيهقي والدارمي وابن حبان وأبو نعيم والخلعي بسند صحيح ونحوه عن أبي هريرة رضي الله عنه أي بمعناه ما رواه في الترغيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله عز وجل سيارة من الملائكة إذا مروا بحلق الذكر قال بعضهم لبعض اقعدوا فإذا دعا القوم أمنوا على دعائهم فإذا صلوا على النبي صلوا معهم حتى يفرغوا ثم يقول بعضهم لبعض طوبى لهؤلاء فإنهم مغفور لهم وفي الحلية أنهم يبلغ صلاتهم ويكون المراد بأخبرتهم وأخرتهم وعن ابن عمر رضي الله عنهما ولم يخرجوا هذا الحديث أكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة المراد به الصلاة والسلام عليه في يوم الجمعة وليلتها ويحتمل أن يريد السلام وحده فإنه أي السلام يؤتى به منكم في كل جمعة لأنه يوم تعرض فيه الأعمال وللصلاة فيه فضل على غيره وذكر في الدر المنضود أن في رواية لا يصلي أحد يصلي علي يوم الجمعة إلا عرضت علي صلاته صححه الحاكم والبيهقي وفي سنده انقطاع ووثقه البخاري وضعفه غيره وفي رواية أخرى فإن أحدا لا يصلي علي في ذلك اليوم وليلته إلا عرضت علي صلاته حين يفرغ منها قال السخاوي رحمه الله تعالى هذا الحديث لم أقف عليه وفي الدر المنضود وفي رواية رجالها ثقات إلا أنها منقطعة أكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة وإن أحدا لن يصلي علي إلا عرضت صلاته حتى يفرغ منها قال أبو الدرداء وبعد الموت قال وبعد الموت وروى البيهقي عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أقربكم مني يوم القيامة أكثركم علي صلاة في الدنيا ومن صلى علي يوم الجمعة وليلة الجمعة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا وورد في الأحاديث الكث

عليها في يوم الجمعة وانه يوم مشهود والانبيا احيا في قبورهم كما تقرر فان قلت ورد
تبليغ الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم مطلقا في احاديث ثاني وفي بعضها تقييد ابيوم
الجمعة كما مر وباي فا وجه قلت يجوز ان يكون عرضها وتبليغها كل يوم من بعض
الملايكة وما في يوم الجمعة من اخرين او ذلك عرض لها فرادى وهذا اجملة على وجه
خاص او تكتب في صحف عنده كما وقع في بعض الروايات وعن الحسن بن علي بن ابي
طالب في حديث رواه ابن ابي شيبة والطبراني وابو يعلى بسند صحيح عنه صلى الله
عليه وسلم حيثما كنتم فصلوا علي فان صلاتكم تبلغني اي تبلغها له الملايكة كما تقدم
وحيث اذا اتصلت بما فهي شرطية وهي ظرف مكان وتاتي للزمان كما في قوله حيثما تشتم
تجد رتك اسعافا في غابر الازمان وعن ابن عباس في حديث موقوف رواه
البيهقي وابن راهويه ليس احد من امة محمد صلى الله عليه وسلم يسلم او يصلي عليه
الا بلغته بضم البا وكسر اللام المشددة مبني للمجهول اي بلغته الملايكة صلاته
وسلامه وهذا يحتمل تعيين المصلي وعدمه ولذا ارد فه بقوله وذكر بعضهم ان
العبد اذا صلى او سلم على النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه صلى الله عليه وسلم صلاة
وسلامه واسمه واسم ابيه وعشيرته فيثبت عنده في صحيفته كما ورد في حديث
مرفوع وقيل المراد ببعضهم النميري عن حماد وابي ذرباما بوبده صحة ما قاله وعن
الحسن بن علي اذا دخلت بيته الخطاب لغير معين المسجد تعريفه للجنس فان كل
من دخل مسجدا اي مسجد كان ينبغي له ان يصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما ذكره الخيضري في كتابه اللوى المعلم وقيل تعريفه للعهد والمراد به مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم والظاهر الموافق للرواية الاولى والذي حمله على هذا قوله
فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا
بيتي عيدا فان بيته عند مسجده ولذا قيل المراد ببيته قبره فانه في بيته وفي
في رواية اخرى ولا تجعلوا قبري عيدا مع الكلام عليها والعيد الموسم الذي يجتمع فيه
وياوه منقلبة عن الواو لانه سمي به لعوده في كل عام وانما جمع على اعياد وقياسه
الجمع على اعواد للفرق بينه وبين جمع عود ونهيه صلى الله عليه وسلم عما يفعله اليهود
والنصارى عند قبور انبيايهم من الزينة واللهو والطرب وقيل النهي عن تعظيمها
لما فيه من الفتنة بها حتى لا تتخذ وثنا يعبد وقيل المراد لا تتخذ وها كالعيد
تزورها في العام مرة بل اكثر وان من زيارتها ولا تتخذوا بيوتكم قبورا ولا تتركوا
الصلاة والعبادة فيها كانكم اموات ولذا قيل

فيا نايم الليل هنيئه ٥ تقيل الممات سكنت القبورا

وقيل المراد لا تدفنوا في البيوت بل في الجبانة ولا يرد عليه انه صلى الله عليه وسلم
دفن ببيته لانه اتبع فيه سنة الانبيا قبله كما ورد ما قبض نبي الا دفن حيث قبض
ليس المراد به مسجده صلى الله عليه وسلم وصلوا علي حيث كنتم اي في اي مكان فلا
يحتاج للاتيان لمسجده ولا لقبره الشريف حتى يسلم عليه وهذا دليل على ان المسجد

الحسن خ

ابن قبرس

في

في اول الحديث ليس المراد به مسجده صلى الله عليه وسلم فان صلاتكم تبلغني حيث
كنتم اعاد حيث كنتم لئلا يتوهم ان الصلاة انما تبلغه ممن كان عنده في مسجده
في مسجده الشريف او عند قبره الشريف وليس تاكيدا لما قبله لانا زائد تفيد
اخر لا يعلم مما قبله وهذا الحديث اخرجه الطبراني وابو يعلى وفي حديث اوس
ابن اوس الصحابي الثقفي اكثروا من الصلاة علي يوم الجمعة خصها لما فيها من
الفضل وهو يوم تشهده الملايكة وتعرض عليه فيه صلاة من صلى عليه والصلاة
عليه فيه تفضل على غيرها ولما فيه من الصلة ولانه يوم يزار فيه وهذا الحديث
رواه ابو داود والنساي واحمد في مسنده والبيهقي وغيرهم وصححوه وقيل ان
خص يوم الجمعة لانه كما ورد في الحديث افضل ايام الجمعة وفيه خلق ادم عليه الصلاة
والسلام وفيه نفخت روحه وفيه النفخة والصعقة قيل وحد اقل الكثرة من الصلاة
ثلاثماية وبضع عشرة كما في قوت القلوب قال السخاوي ولم اقف له على
مستند فلعله تلقاه عن احد من الصالحين عرفه تجاربا وغيره او راه اقل ما
يحصل به الكثرة فان صلاتكم معروضة علي تقدم بيانه قريبا وعن سليمان بن
سحيم بالتصغير وسين وحا مهملتين وهو مولى ال العباس وقيل ال الحنين
وهو من علما الحجاز المشهورين وحيث اطلق في النقل فهو المراد وثم سليمان بن
سحيم اخر لكنه لم يشتهر النقل عنه وهو ثقة توفي في خلافة المنصور وهذا رواه
عنه ابن ابي الدنيا والبيهقي في حياة الانبيا رايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام
ومن راه في المنام فقد راه حقا فان الشيطان لا يتمثل في صورته فقلت يا رسول
الله هولا الذين ياتونك فيسلمون عليك اذا زاروا مقامك بعد الانتقال
افتفقه سلامهم اي اتسمعه وتفهمه قال نعم وارد عليهم وفقه يفقه ورد من
باب نصر وفرح ومعناه فهم وعن ابراهيم بن شيبان تقدمت الى القبر الشريف
فسلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعته من داخل القبر يقول وعليك
السلام ووقع للسيد نور الدين بن العفيف الايجي انه سمع جواب سلامه من
داخل القبر الشريف عليك السلام يا ولدي وفي مسند الدارمي ان الاذان
والاقامة تركا ايام الحرة وان ابن المسيب لم يبرح مقيما في المسجد وكان لا
يعرف وقت الصلاة الا بهمهمة يسمعها من قبره صلى الله عليه وسلم وقوله وارد
عطف على قوله السايل افتفقه ويسمى هذا عطف التلقين وقد فصل في شروح
الكشاف في قوله تعالى قال ومن كفر فامتعه قليلا ويكون في الجمل والمفردات
كما تقدم ونعم وقع في الجواب عما سيل عنه وهو ظاهر تنبيه اذا راى احد النبي
صلى الله عليه وسلم في منامه وامره بامر هل يلزمه العمل به ولا يلزمه امر يجوز
وما عداه لا يلزمه العمل به لان الرويا لا يضبطها النايم ويحتمل النسيان وهذا
هو الصحيح وفيه كلام ليس هذا محله وعن ابن شهاب هو الزهري كما تقدم وهذا
رواه عنه النميري بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صح انه قال وفي نسخة بلغنا ان رسول الله

قال اكثروا من الصلاة علي في الليلة الزهراء واليوم الازهر يعني ليلة الجمعة
ويومها ومعنى الازهر المستنير ولذا كان الازهر لا يطلق في وضع اللغة على غير
اللون الابيض وان شاع بعد ذلك في مطلقه ونورهما لبركتهما وما في ذلك
اليوم من العبادة التي خص بها وما فيه من ساعة الاجابة وغير ذلك مما ذكر في
فضائله وهو عيد المومنين وينزل فيه الملائكة كثيرا فانهما اي يوم الجمعة وليلتها يؤديان
منكم بضم المثناة التحتية وفتح الهمزة والدال المهملة المشددة اي يوصلان صلاتكم
علي الي ويبلغانها الي والاسناد الى الزمان اسناد مجازي اي تؤدي الملائكة فيهما
ذلك وكونهما يخلق لهما نطقا بذلك الادا خلاف الظاهر وان جاز الا ان التصريح بعد
بجعل الملك لذلك يأباه ومما تقرر في هذه الاحاديث علم انه صلى الله عليه وسلم تبلغه الصلاة
والسلام عليه اذا صدرا من بعد ويسمعهما اذا كانا عند قبره الشريف بلا واسطة سوا
ليلة الجمعة وغيرها وافتى النووي فيمن حلف بالطلاق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسمع الصلاة عليه هل يحنث بانه لا يحكم عليه بالحنث للشك في ذلك والورع ان يلتزم
الحنث وان الارض لا تاكل اجساد الانبيا لانهم عليهم الصلاة والسلام احيا في
قبورهم لا تبلى اجسادهم وهذا جواب عن سوال مقدر كانه قيل كيف يكون ذلك لمن مات
واكلته الارض كما ورد مصرحا به في حديث اخر وان بكسر الهمزة والجملة حالية او بفتحها
بتقدير بلغنا ان الارض الخ وقيل انه بيان لخاصية اخرى والاول اولى ولا ينافي
ما تقرر من حياتهم ما في صحيح ابن حبان في قصة عجوز بني اسرائيل انها دلت موسى عليه الصلاة
والسلام على الصندوق الذي فيه عظام يوسف فاستخرجه وحمله معهم عند قصدهم
الذهاب من مصر الى الارض المقدسة اما انها ارادت بالعظام كل البدن او لان الجسد
لما لم تشاهد فيه روح عبر عنه بالعظم الذي من شانه عدم البلا او ان ذلك باعتبار ظنها
ان ابدان الانبيا كابدان غيرهم في البلا وما من مسلم من مزيدة للتعميم اي كل مسلم
يصلي علي وهو بعيد الا حملها اي صلاته وسلامه ملك حتى يوديها اي يوصلها الي
ويسميه حتى انه بكسر الهمزة يقول ان فلانا يقول لك كذا وكذا فيه كرامة له
بتعيينه بعد تعيينه باسمه واسم ابيه ومكانه وشهرته واخرج ج انه صلى الله عليه وسلم
قال ان لله ملكا اعطاه اسماع الخلايق فهو قائم على قبري اذا مت فليس احد يصلي علي
صلاة الا قال يا محمد صلى عليك فلان فيصلي الرب تعالى على ذلك بكل واحدة عشرا وفي
رواية فهو قائم بوجهه على قبري حتى تقوم الساعة ليس احد من امتي يصلي علي صلاة الا قال
يا احمد فلان بن فلان باسمه واسم ابيه يصلي عليك كذا وكذا وضمن لي الرب انه من صلى
علي صلاة صلى الله عليه عشرا وان زاد زاده الله وتقدم انه كان من عادة السلف انهم
ان يرسلوا السلام له صلى الله عليه وسلم مع الزوار ايضا كما قيل

ايها الغادي الى يثرب مهلا ... لتحمل شوقا ما اطيق له حملا
تحمل رعاك الله عني تحية ... وبلغ سلامي روح من طيبة حلا

فصل في الاختلاف الواقع بين العلما في الصلاة على غير النبي صلى الله

عليه

عرض

مطلب

عليه وسلم اي في جواز الصلاة على غيره من المومنين غير الانبيا كالصحابة ونحوهم
وسائر الانبيا اي بقيتهم غيره كابراهيم وموسى ونحوهما فانه يصلى عليهم كما تقدم
والخلاف في جواز الصلاة على من ذكر استقلالا لا بطريق التبعية له صلى الله عليه وسلم
كالصلاة على اله واله واتباعه قال القاضي ابو الفضل عياض المولف رحمه الله تعالى
عامة اهل العلم اي جميعهم متفقون على جواز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه
وسلم من الانبيا والملايكة والمومنين ودعواه الاتفاق مطلقا ليست بمسلمة وقد قال
النووي في الاذكار اجمعوا على الصلاة على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك اجمع من
يعتد به على استحبابها على ساير الانبيا والملايكة استقلالا واما على غيرهم ابتدا فالجمهور
على انه لا يصلى عليهم واختلف في هذا المنع فقال بعض اصحابنا انه حرام والاكثر على انه
مكروه كراهة تنزيه وذهب كثير الى انه خلاف الاولى وليس مكروها والصحيح الذي عليه
الاكثرون كراهة تنزيه لانه شعار اهل البدع انتهى ملخصا فدعواه الاتفاق مما لعب
للمنقول اللهم الا ان يقال مراده بغير النبي بقية الانبيا الا انه تخصيص من غير دليل
وقال الجويني ان السلام مثل الصلاة فلا يقال علي عليه السلام وروي عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه لا تجوز الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم رواه البيهقي في الشعب
وسعيد بن منصور في سننه والطبراني وابن ابي شيبة وعبد الرزاق ومراده بغيره بقية
امته لقوله فيه ولكن يدعى للمسلمين والمسلمات بالاستغفار ولقوله وروي عنه اي
عن ابن عباس رواه القاضي اسماعيل في احكام القران لا تنبغي الصلاة من احد على
احد الا للنبيين وهذا مفسر لما قبله وقال سفيان الثوري يكره ان يصلى الا على نبي وهو
موافق لكلام ابن عباس ولما في الكراهة من معنى التحريم وصح في نوع الاستثنا المفرغ
بعده وهو احد الروايتين عن سفيان رواها عنه عبد الرزاق والبيهقي والاخرى تفرد
بها البيهقي يكره ان يصلى على غير النبي صلى الله عليه وسلم ووجدت بخط بعض شيوخي
مذهب مالك انه لا يجوز ان يصلى على احد من الانبيا سوى محمد صلى الله
عليه وسلم فعلى هذا لا يصلى على غيره من الانبيا استقلالا وهو احد الروايتين عن الثوري
كما تقدم وهذا غير معروف من مذهبه اي مذهب مالك وايد كونه غير معروف
من مذهبه بقوله وقد قال الامام مالك في المبسوطة اسم كتاب في المدونة
ليحيى بن اسحق الذي روى المبسوطة عن مالك وهو يحيى بن اسحاق بن عبد الله
ابن اسحاق بن المهلب بن جعفر ويكنى ابا بكر وله بيت شريف بقرطبة اكره الصلاة
على غير الانبيا وما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به فلا نتجاوزه لغيره لانه امر
تعبدي لا يعقل معناه بالراي ويقتصر فيه على ما روي عنهم وقال يحيى بن يحيى الليثي
عالم الاندلس وراوي الموطا عن مالك رحمه الله لست اخذ بقوله اي لا اتمسك
بقول مالك ما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فقط يعني
قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي الاية ومن عزا لمالك عدم الجواز حمل
قوله ما ينبغي على عدم الجواز فعزاه له وهي تستعمل لهذا المعنى وردت لغيره ايضا

ولا باس بالصلاة على الانبيا كلهم وعلى غيرهم من الملئكة والمومنين واحتج يحيى بن
يحيى لما قاله بحديث ابن عمر رضى الله عنهما الاتى انه كان يصلى على النبى صلى الله عليه
وسلم وعلى ابى بكر وعمر ثم يدعو وبما جا فى حديث تعليم النبى صلى الله عليه وسلم الصحابة
الصلاة عليه كما مر وفيه اى فى حديث تعليمه ايضا وعلى ازواجه وعلى اله
فهذا ونحوه يدل على ان الصلاة على غير الانبيا جايزة الا ان هذا بطريق التبعية
والخلاف فى الصلاة على غيرهم استقلالا كما مر وحينيذ فما ذكر لا يتاتى لما قاله مالك
ولا يحتج يحيى بن يحيى رحمه الله وفى بعض النسخ زيادة وهى وقد وجدت معلقا اى
مكتوبا فى بعض الكتب وقيل التعليق هنا ما اصطلح عليه المحدثون من ذكر حديث
طوى سنده او بعضه وقوله وجدت من الوجادة وهى اصطلاح المحدثين ان يجد حديثا
بخط من يعرفه سواء عاصره ام لا فيرويه عن ابى عمران القابسى هو موسى بن عيسى
الغفجومى بفتح الغين المعجمة وسكون المثلثة وجيم وواو وميم نسبة لقبيلة من البربر
والقابسى نسبة لقابس بلدة فى المغرب وقوله فى القاموس انه بهمزة لا اصل له وابو
عمران فقيه المغرب توفى سنة ثلاثين واربعماية فى ثالث شهر رمضان روى عنه
ابن عباس رضى الله عنهما كراهة الصلاة على غير النبى صلى الله عليه وسلم نبيا او غيره
قال ابو عمران وبه نقول اى نعتقده ونعمل به ولم تكن الصلاة على غير نبينا استقلالا
تستعمل فيما مضى من عصر الصحابة فمن بعدهم وهو غير مسلم كما تقدم وقد روى عبد
الرزاق وهو امام الحديث ابو بكر بن همام بن نافع الحميرى ولد سنة ست وعشرين وماية وروى
عنه احمد وغيره وتوفى سنة احدى وعشرين ومايتين عن ابى هريرة رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على انبيا الله ورسله فان الله
بعثهم كما بعثنى تعليلا للصلاة عليهم بانهم ساووه صلى الله عليه وسلم فى اصل البعثة فينبغى
ان يصلى عليهم كما صلى عليه وهذا الحديث رواه الطبرانى والقاضى اسماعيل ويسمى فى
الترغيب وغيره بسند صحيح قالوا والاسانيد عن ابن عباس رضى الله عنهما الواردة
فى منع الصلاة على غيره صلى الله عليه وسلم لينة اى ليست بقوية فلا تعارض ما روى عنه
وعن غيره من طرق متعددة باسانيد صحيحة قوية وهذا اصطلاح المحدثين يقال
فلان لين الحديث وسند لين اذا كان لا يصلح للاحتجاج به واللين غير الضعيف لكنه
يقرب منه وقيل ان رجاله رجال الصحيح فليس بلين فما طرده بوجه اخر مقبول
فتامل والصلاة فى لسان العرب اى فى لغتهم واللسان اسم للجارحة التى هى الة
النطق يجوز بها عما ذكر كما فى قوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه بمعنى
الترحم والدعا بالرحمة وذلك اى الدعا بالرحمة على الاطلاق اى يجوز مطلقا على
نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى غيره وليس قوله وذلك اشارة الى قول يحيى لا باس بها
على الانبيا وغيرهم كما قيل حتى يمنع منه حديث صحيح او اجماع لان الاصل ان كل
لفظ وضع لمعنى يجوز اطلاقه على ما وجد فيه ذلك المعنى الا ان هذا غير مسلم فانه لم يوضع
لمطلق الدعا بالرحمة بل هو مقيد بنوع من التعظيم يليق بمقام النبى مع انه اورد لبلا

ظ
بقوية

[margin, red ink:] صفة لين الحديث وسند فيه لين اذا كان لا يصلح للاحتجاج به

دعى

اقوى

اقوى من هذا فتامل وقد قال تعالى هو الذى يصلى عليكم وملئكته وفى هذه
الاية دليل على انه يجوز الصلاة على كل مومن فضلا عن الانبيا عليهم الصلاة والسلام
لان سبب نزولها كما مر انه لما نزل عليه صلى الله عليه وسلم ان الله وملئكته يصلون
على النبى قالت الصحابة هذا لك يا رسول الله خاصة وليس لنا فيه شى فانزل الله
هذه الاية وتقدم ان صلاة الله رحمة وصلاة الملئكة الدعا والاستغفار لساير المومنين
وقال تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها الاية وصل عليهم ان صلاتك
سكن لهم فامره بالدعا لهم بلفظ الصلاة لمن ادى الصدقة فكان صلى الله عليه وسلم يقول
اللهم صل على ال ابى اوفى كما ياتى وفى دعايه بذلك دليل على جوازه مطلقا وتطهيرهم
بمغفرة ذنوبهم وسكنهم باطمينان قلوبهم وقال تعالى اولئك الاشارة لمن صبر من
المومنين عند المصيبة عليهم صلوات من ربهم ورحمة وعطف الرحمة عطف تفسير
وان قلنا انها اعم لا يجوز التفسير بالاعم المقصود منه فلا يرد عليه وان العطف يقتضى المغايرة
لان الصلاة رحمة مشتملة على تعظيم وتكريم وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه
الشيخان اللهم صل على ال ابى اوفى بفتح الهمزة بينهما واو ساكنة وهذا الحديث مروى عن
عبد الله بن ابى اوفى وتتمته كان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على ال
فلان فاتاه ابى بصدقته فقال اللهم صل على ال ابى اوفى والصدقة هنا الزكاة وان
كانت عامة ومعنى صل عليهم ارحمهم وطهرهم وزك اموالهم التى بذلوا زكاتها واله
اهله واتباعه وقيل المراد نفسه وذاته كما فى قوله لقد اوتى مزمارا من مزامير
ال داود عليه الصلاة والسلام نظير ما ذكره المصنف تفسير اله صلى الله عليه وسلم
وابو اوفى هو علقمة بن ابى خالد الحارث الاسلمى الصحابى وهو اخر من مات من
الصحابة بالكوفة سنة سبع وثمانين وابنه صحابى ايضا شهد مع ابيه بيعة الرضوان
وهذا الحديث من اقوى ما استدل به على جواز الصلاة على غير الانبيا استقلالا وفى
حديث الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فى التشهد وقد تقدم بيانه وبيان سنده
وطرقه مفصلا اللهم صل على محمد وعلى ازواجه وذريته وهم نسله واولاده كما
تقدم وفى حديث اخر روى فى صلاة التشهد وعلى ال محمد وفسر الال بقوله
قيل اله اتباعه جمع تابع او تبيع وهو من يقفو اثره ويحبه وخص عرفا بخصمه
من الاهل والخدم وقيل اله امته والمراد امة الاجابة وامة الدعوة اعم منهم
وقيل هم الاتباع والرهط والعشيرة الرهط القبيلة مطلقا وهو فى الاصل
ما دون العشرة ثم عم والعشيرة بنو ابيه الادنون وقبيلته وقيل ال الرجل ولده
اى نسله مطلقا وقيل قومه وقيل اهله الذين حرمت عليهم الصدقة لانها
اوساخ الناس فلا تليق بهم وقد طهرهم الله وهم بنو هاشم والمطلب الذين لم يسهد
من خمس الخمس يكفيهم وفى رواية انس سيل النبى صلى الله عليه وسلم من ال محمد
فقال كل تقى وهذا حديث صحيح روى من طرق رواه الطبرانى والديلمى وتمام
وغيرهم وهذا المعنى مجازى كقوله صلى الله عليه وسلم سلمان منا ال البيت لان الله

صل

طهر اهل البيت ووعدهم بمغفرة ذنوبهم فا طلق على كل تقي آل محمد الله ويغفر سبحانه وهذا
معروف في لسانهم كما قيل رب اخ لك لم تلده امك وبجي على مذهب الحسن البصري رحمه
الله والضمير المستتر في يجي للآل ان المراد بآل محمد الوارد في الصلاة عليه محمد نفسه
اي نفسه ان الآل معناه الذات والنفس فيقال آل فلان يعني ذاته وغيره من النحاة
واللغويين يجعله في مثله زايدا مقحما والزيادة في الاسما خلاف ما عهد من كلامهم
وان امكن حمل كلامه عليه الا ان ابن حبيب نقل عن محمد بن سلام بن الحسن قال ذلك فابيه
روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ستكون ارض يقال لها البصرة اقوم الارضين قبلة
قاريها اقرأ الناس وعابدها اعبد الناس ومتصدقها اعظم الناس صدقة وتجارها
اعظم الناس تجارة منها قرية يقال لها الابلة اربعة فراسخ يستشهد عند مسجدها
سبعون الف شهيد من افضل الشهدا فلت وعلما وها اقوالهم في العربية معتمد
على غيرهم لمدحه صلى الله عليه وسلم لها فانه كان يقول في صلاته على النبي صلى الله عليه
وسلم في التشهد اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد يريد به نفسه لانه كان لا
يخل بفرض الباء وكسر الخاء وتشديد اللام اي لا يترك والخلل في معنى الترك والنقص
بالفرض يعني به الصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ويأتي بالنفل يعني به الصلاة على آله
صلى الله عليه وسلم واعترض عليه بما تقدم من الصلاة عليه في التشهد ليست بفرض الا عند
الشافعي وعند المصنف انه شذ فيه ولم يوافقه غيره فيه كما مر لان الفرض الذي امر الله به
في ايه صلوا عليه وسلموا تسليما هو الصلاة على محمد نفسه الكلي الذكاء هي البدايات في واقعة
الحسن له تنافي الشذوذ الذي ذكره وشنع به عليه والجواب عنه ان المراد بالفرض ما لا بد منه
لمن اراد الصلاة فانه يلزمه ان يذكره ولا يتركه مقتصرا على غيره ويقول انه مذهب
الحسن وموافقه واحد لانه في الشذوذ زعمه وهذا اي ذكر الآل وارادة الذات منه
مثل قوله صلى الله عليه وسلم في حق ابي موسى الاشعري رضي الله عنه لما استمع تلاوة
القرآن بصوت حسن كما رواه الشيخان عنه لقد اوتي اي والله لقد اعطاه الله ابا موسى
مزمارا من مزامير آل داود يريد صلى الله عليه وسلم من مزامير داود نبي الله
صلى الله عليه وسلم قال له بمعنى نفسه كما في صلاة الحسن وقد تقدم بيانه والمزامير جمع مزمار
بكسر الميم وهو اسم آلة ويقال مزمورا ايضا والزمر النفخ في المزمار والصوت الحسن
بغير آلة لان الاصل معنى الزمر الحسن كما قال الشاعر

رزانا ن حنان بينها ❊ رجل احسن غناه زمر

اي حسن كما قال ابن الاثير ذكر مزاميره يعني ترنمه لانه كان له الآلة المعروفة والمقصود
الفاله نفسه لا لآله وكان يحسن صوته اذا قرأ ابلا حينه الزبور وادعيته تتفق له
الطيور والركاب حتى قيل انه المال الجاري يقف له ويلوحها لحنه في غاية حسنه وأول
هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم مر هو وعايشة على بيت ابي موسى وهو يقرأ القرآن
ليلة فوقفا يستمعان له وكان من احسن الناس صوتا فلما اصبح صلى الله عليه وسلم اخبره
بانصاته له وقال له لقد اوتيت مزمارا من مزامير آل داود فقال لو علمت بذلك

بخبرية

لحبرته تحبيرا اي لزدت في تحسين صوتي به لاستماعك لي وفي حديث ابي حميد بالتصغير
الساعدي وهو ابو عبد الرحمن بن عمرو بن سعد الخزرجي كما تقدم الذي رواه
في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في التشهد اللهم صل على محمد وازواجه وذريته
وهو يدل على جواز الصلاة على غير الانبيا لكن تبعا لهم وفي حديث ابن عمر رضي
الله عنهما انه اي ابن عمر كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر
رضي الله عنهما ذكره مالك في الموطا من رواية يحيى بن يحيى الاندلسي عن مالك
وانما قيده بالاندلسي لان الموطا رواه عن مالك اثنان كل منهما يسمى يحيى بن يحيى
احدهما يحيى بن يحيى بن كثير الاندلسي الليثي مات سنة اربع وثلاثين ومايتين
والآخر ابو زكريا يحيى بن يحيى بن بكر بن عبد الرحمن التميمي النيسابوري توفي سنة
ست وعشرين ومايتين وله رواية في الصحيحين كما قاله السيوطي في مناقب مالك
وتقدم ضبط الاندلسي بفتح الهمزة والدال وضمها والصحيح رواية غيره ويدعوا
لابي بكر وعمر رضي الله عنهما وروى عنه ابن وهب عن انس بن مالك قال
كنا ندعو لاصحابنا بالغيب اي في حال غيبتهم عنا وعدم حضورهم معنا فنقول
في دعائنا لهم اللهم اجعل على فلان صلوات قوم ابرار الذين يقومون بالليل
للتهجد والعبادة ويصومون بالنهار ففي هذا دليل على جواز الصلاة على غير الانبيا
استقلالا وقوله الذين بدل من قوم معمول له قال القاضي ابو الفضل عياض المؤلف
رحمه الله تعالى والذي ذهب اليه المحققون واميل اليه اي ارجحه واعتقد صحته
والميل في الاجسام معروف وشاع في الحكم والمعنى تجوزا به عما قلناه ما قاله مالك
بن انس امام اهل الحديث وسفيان الثوري رحمهما الله تعالى وروي عن ابن
عباس واختاره غير واحد اي كثير من الفقها والمتكلمين اي اهل علم الكلام
لان منهم من ذكرها في السمعيات تقابل العامة انه بفتح الهمزة بدل منها لا يصلى
على غير الانبيا بانفراده ولا عند ذكرهم اي ذكر الانبيا والصلاة عليهم فلا يصلى
على غيرهم تبعا والصحيح جوازه تبعا وعود ضمير ذكر لغير واخرابا ه قوله بل هو
اي المذكور وهو الصلاة وذكر رعاية للخبر شي يختص به الانبيا عليهم الصلاة
والسلام لا يشاركهم فيه غيرهم مطلقا وقيل لا يشاركهم في الانفراد به وفيه نظر
توقيرا لهم وتعزيرا اي تعظيما وتبجيلا يجعله شعارا لهم كما يختص الله عند ذكره
بالتنزيه اراد به قوله سبحانه فان معناه انزهه والانبيا عليهم الصلاة والسلام
منزهون عن النقايص ولكن لا يجوز ان يقال في حقهم ذلك والتقديس اطلاقا
تقدس وتقدس ونحوه وهو بمعنى التطهير والتعظيم المخصوص به كعز جلاله
وعز وجل تفريعيه للعهد وليس المراد به هذه المادة لعدم صحته ولا يشاركه
فيه غيره اي لا يشارك الله فيما ذكر من التنزيه وما بعده غيره من نبي وغيره
كذلك يجب تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم وساير الانبيا بالصلاة والتسليم
اي بهما معا ولا يشارك مبني للفاعل والمفعول هنا فيه اي في ذكر الصلاة والتسليم

سواهم من غير الانبيا وفي نسخة ولا نذكرهم كما امر الله بقوله صلوا عليه وسلموا
تسليما وقوله المذكور بيان لما ذكر لا دليل لما ذكره لانه ليس فيه جواز الصلاة على
غيره ولا منعها عن من عداهم لان التخصيص بالذكر لا يفيد ثم بين كيفية الدعا لغيرهم
فقال ويذكر من سواهم اي من سوى الانبيا والرسل في الدعا لهم من الائمة
اي ائمة الدين او الخلفا وغيرهم من سائر العلما والمومنين بالغفران والرضا فيقال
غفر الله لهم ورضي عنهم كما قال تعالى ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا
بالايمان وقال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين
اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم فيدعى بذلك المذكور من المغفرة والرحمة
والرضى لسائر المومنين والصحابة ويبحث في الاستدلال بما ذكر نظر فان عرض
قوله رضي الله عنهم ليس دعا لهم بل اخبار بان الله رضي عنهم واعد لهم جنات النعيم
ولا يلزمه جواز الدعا به كما ان اخبار الله بالصلاة على المومنين بمعنى رحمتهم
لا يدل على جواز الصلاة عليهم ولو سلم وروده ان من رضي الله عنه يدعى له بزيادة
رضوانه ولا مانع منه وقياسه على الصلاة قياس مع الفارق واما ما قيل انه
لا يدعى للصحابة الا برضي الله عنهم فهو امر حسن للادب وليس بلازم فلو قال
للصحابي رحمه الله او غفر له كان حسنا اذ لا اوهم وقوع ذنب ونحوه ومن لا يعلم
صحة نبوته كمريم ولقمان والخضر لا يصلى عليهم وقال النووي لا باس به والارجح ان
يقال رضي الله عنهم وقول امام الحرمين في الارشاد من لم تثبت نبوته بالاجماع
مردود لذهاب بعضهم بنبوتها ورجحه ابن السيد وايضا فهو اي الصلاة
عليهم امر لم يكن معروفا في الصدر الاول اي عصر الصحابة ومن قرب منهم
والفاء فهو جواب شرط مقدر اي فان اردت دليلا واضحا لما ذكر فهو الخ وفيه بحث
سياتي اخر هذا الفصل كما قال ابو عمران موسى بن عيسى الفاسي فقيه القيروان
كما تقدم قريبا فانما احدثته الرافضة والمتشيعة في بعض الائمة المراد علي واولاده
وفي نسخة في بعض ائمتهم وهما طائفتان من اهل البدع والاهوا المخالفين لاهل عرض
السنة والرافضة قيل انهم فرقة من الشيعة وكلاهما ممن اتفق على تفضيل علي كرم
الله وجهه وان الخلافة حقه وسموا رافضة من الرفض وهو الترك لانهم رفضوا
زيد بن علي بن الحسين لما طلبوا منه ان يتبرا من الشيخين وان يقول امامتهما باطلة
فابى وقال ان الخلافة فوضت لابي بكر لمصلحة راوها من تسكين ثائرة قلوب الفتنة
وتطييب قلوب العامة فتركوه حتى قتل وصلب ولبث الشيعة فيما اظهروا ابغض
علي كما توهم واصل معنى الشيعة الجماعة مطلقا ثم خص بهولا والذي احدثه هولا انما تلمسان
هو الصلاة على علي وحده فترك ذلك لكونه شعارهم وطردوه في سائر الصحابة
حسما لمادة المخالفة فسقط ما قيل ان الكلام في الصلاة على غير الانبيا مطلقا والشيعة
انما يصلون على علي فقط فلا مناسبة لما هو بصدده والرافضة اسم جمع لرافضي
والمتشيعة اسم جمع لمتشيع من تشيع اذا عد نفسه من الشيعة وفي نسخة المتشيعة

فتذكرهم

فتذكرهم عند الذكر لهم بالصلاة عليهم بانفرادهم وان لم يكونوا اتباعا له
صلى الله عليه وسلم وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك اي في قولهم في
الدعا لكل واحد منهم صلى الله عليه وسلم لاعتقادهم عصمتهم وان الامامة العظمى
لهم كالنبي صلى الله عليه وسلم فصلوا عليهم استقلالا كما صلوا عليه وايضا مما
يدل على عدم الصلاة على غير الانبيا فان التشبه باهل البدع المراد بهم اصحاب
المذاهب الباطلة منهي عنه شرعا فيجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك اي
الصلاة على غيره صلى الله عليه وسلم وفيه ان ذلك غير واجب عند من لم يمنعه فتامله
ثم اجاب عما ورد عليه بقوله وذكر الصلاة على الال والازواج مع النبي صلى الله
عليه وسلم بحكم التبع والكلام في ذكره مستقلا فلا يرد هذا نقضا عليه والاضافة
اليه صلى الله عليه وسلم اي انما ذكر الصلاة عليهم بعد ذكر الصلاة عليه فتعظيمهم بذلك
انما هو لكونهم من اتباعه صلى الله عليه وسلم فتعظيمهم تعظيم له في الحقيقة لا على
التخصيص لهم بذلك قالوا اي جمهور العلما الذاهبين لمنع الصلاة على غيره بانفراده
مجيبين عما استدل به من خالفهم وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم على من صلى
عليه بانفراده كقوله اللهم صل على ال ابي اوفى كما تقدم مجراها مجرى الدعا
بضم الجيم وفتحها فيهما والجري السير السريع والمجرى محل الجري او الاجرا وجريه في مجراه
جعله مثله ومن نوعه اي المقصود بها الدعا بالرحمة لهم والمواجهة لهم بالدعا لهم
بان يرحمهم تعطفا عليهم وخبر العلو به نبي كالسلام يقال تحية لكل احد تواجهه
ولا يقال فلان عليه السلام دون مواجهة لانه في المواجهة يقصد به مجرد معناه
الحقيقي وفي ذكره في الغيبة زيادة توقير لا تليق بكل احد كان لا ليس فيها اي
في المواجهة معنى التعظيم والتوقير الذي في الغيبة فانه من خصائص مقام
النبوة وهذا مما يدل عليه الاستعمال وعرف التخاطب ويدركه بالذوق ومن
لم يذق لم يعرف وقالوا تاييدا لما ذكر من الفرق بين المواجهة وغيرها تمسكا بقوله
وقد قال الله تعالى لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا فالدعا
وقوله بينكم خصه بالمواجهة فلا تنادونه باسمه كما ينادي بعضكم بعضا فلا يقال
يا محمد بل يا رسول الله ونحوه فاذا كان له صلى الله عليه وسلم شان يخصه فيما يطلق
ابن افترك عليه مواجهة ليس لغيره فكذا الدعا له بغير مواجهة ينبغي ان يكون بغاية التعظيم
والتوقير فسقط ما قيل من انه ليس في هذه الاية مناسبة لمقصوده وما هو بصدده
فكذلك اي مثل ما يجب له في الدعا مواجهة يجب ان يكون الدعا له في غير حال
المواجهة مخالفة لدعا الناس بعضهم لبعض فلذا خص بالصلاة عليه التي تقصد
بها التوقير وغاية التعظيم وهذا اي اختصاصه بالصلاة استقلالا لا دفي نسخة
وهو اختيار الامام ابي المظفر الاسفرايني من شيوخنا اي من كبار علما
اهل السنة بغزنية مقاتلة الرافضة واسفراين بلدة بخراسان معروفة وابو المظفر
كنيته طاهر بن احمد وهو الملقب بشاه كما تقدم وبه قال الامام ابو عمر بن عمد

البر رحمه الله وتقدمت ترجمته واعلم ان حاصل ما تقدم ان الصلاة والتسليم
على نبينا صلى الله عليه وسلم مطلوبة امرا يا تعبد بها فهي واجبة له على اختلاف في محل
الوجوب كما تقدم والصلاة على غيره من الانبيا ايضا استقلالا مستحبة وما نقل
عن الامام مالك من انها ينهى عنها مخالف للقول الصحيح وقال القرطبي انه مجمع عليه
والصلاة على غير الانبيا تبعا لنبينا صلى الله عليه وسلم مستحبة ايضا كما في التشهد
ولا عبرة بمن خالف ايضا فلم يبق محل الخلاف الا في الصلاة على غير الانبيا بانفرادهم
فالصحيح انه مكروه وان كراهته كراهة تنزيه لا تحريم لانه اختص به صلى الله عليه
وسلم كما اختص عز وجل بالله تعالى ولا يقال محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا
هذا هو الصحيح ولا يعتد بخلافه وقد قيل ان السلام مثل الصلاة مخصوص بالانبيا
ايضا فلا يقال في غيرهم عليه السلام كما صرح به الفقها فهو مكروه تنزيها

فصل في حكم زيارة قبره عليه الصلاة والسلام اي ذكر ما يتعلق
به من سنيته وادابه وما يتكرر من اتاه والزيارة مصدر زاره يزوره زيارة ومزارا
والمزار مصدر واسم مكان ايضا والزيارة تختص بمجي بعض الاحبا لبعض مودة
ومحبة هذا اصل معناها لغة واستعمالها في القبور للاموات لاعطايهم حكم الاحيا
وما رجحته عرفية فيه يتوقع فيها وفضيلة من زاره اي عطفا على الحكم او على ما
اضيف اليه والضمير له صلى الله عليه وسلم او للقبر وفضيلته ما يستحقه من الثنا والثواب
وسلم عليه وكيف يسلم من زاره صلى الله عليه وسلم اي ما يقوله ويفعله عند الزيارة مما
يليق بمقامه وزيارة قبره سنة مأثورة مستحبة مجمع عليها اي على كونها سنة ولا
عبرة بمن خالف فيها كابن تيمية كما سياتي بيانه وفضيلة مرغب فيها بصيغة
المفعول مشددة الغين المعجمة اي رغب السلف فيها وحثوا عليها وزيارة القبور اما
ليتذكر بها الموت ونحوه او ليجري في حقهم الدعا لاهلها المسلمين كما زار صلى الله عليه وسلم
البقيع وهذا مستحب او ليتبرك بمن فيها من الاوليا والصالحين فتستحب زيارتهم فذهب
بعض المالكية الى انه مخصوص بالانبيا وانه في غيرهم بدعة واما في الاولى فهي مشروعة
وتوقف فيه السبكي وقد يقصد بالزيارة برهم واكرامهم كزيارة قبر الوالدين ومن له
عليه حق لاكرامه فان الميت يكرم كالحي وقد يقصد بالزيارة تانيس الميت ورحمته وهو
مستحب ايضا لما روي عنه صلى الله عليه وسلم ان الميت آنس ما يكون اذا زاره من كان
يحبه في دار الدنيا وزيارته صلى الله عليه وسلم جامعة لهذه المعاني كلها فلذا كانت سنة
وان كان غنيا عن الدعا وما عدا ذلك بدعة كتقبيل القبور وغيرها مما يفعله
العوام وروى ابن عمر رضي الله عنهما رواه عنه ابن خزيمة والبزار والطبراني
والذهبي وحسنه وله طرق وشواهد تعضده والطعن في رواته مردود كما بينه
السبكي واطال فيه وقول البيهقي انه منكر يجاب عنه بان معناه انه تفرد به رواته
والفرد قد يطلق عليه ذلك كما قاله احمد في حديث دعا الاستخارة مع انه في الصحيح
وقول الذهبي طرقه كلها لينة يقوي بعضها بعضا لان غايته انه يتكلم ذلك

حسن

حسن وهو يطلق عليه الصحة ثابت في محله وفي نسخة هنا حدثنا القاضي ابو علي
تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون تقدم ايضا قال حدثنا الحسن
ابن جعفر قال حدثنا ابو الحسن علي بن عمر الدارقطني المشهور كنار على علم قال
حدثنا القاضي المحاملي قال حدثنا محمد بن عبد الرزاق قال حدثنا موسى
ابن هلال عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما تذكره
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي اي سالي الله
ان يجازيه وزعنه مكافاة له ومعنى وجبت تحققت فهي ثابتة له بالوعد الصادق لا بد منها
وليس المراد به الوجوب الشرعي وروي حلت له شفاعتي والمراد ان يخصه صلى الله
عليه وسلم بشفاعة ليست لغيره واضافته لنفسه للتنويه والتعظيم قال الشيخ والدي شهاب
الدين بن حجر الهيتمي وافاد قوله مع عموم شفاعته له ولغيره انه يخص بشفاعة تناسب عظيم
عمله اما بزيادة النعيم واما بتخفيف الاهوال عنه في ذلك اليوم واما بكونه من الذين يدخلون
بلا حساب واما برفع درجات في الجنة واما بزيادة شهود الحق والنظر اليه واما بغير
ذلك مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هذا كله ان اريد انه يخص
بشفاعة لا تحصل لغيره والافراد للتشريف والتنويه بسبب الزيارة وان يراد انه يبركتها
يجب دخوله فيمن تنال له الشفاعة فهو بشرى بموته مسلما فيجري على عمومه ولا يضمر
فيه شرط الوفاة على الاسلام والا لم يكن لذكر الزيارة معنى لان الاسلام وحده
كاف في نيل مثل هذه الشفاعة بخلافه على الاولين وافادة اضافة الشفاعة له صلى
الله عليه وسلم انها شفاعة عظيمة جليلة اذ هي تعظم بعظم الشافع ولا اعظم منه صلى الله
عليه وسلم ولا اعظم من شفاعته ثم ان زائر هذا الثواب العظيم وهو الفوز بتلك الشفاعة
العظيمة منه صلى الله عليه وسلم لا يحصل الا لمن اخلص وجهته فيها بان لا يقصد بها او منها
امرا اخر فيها بقوله وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من زار قبري في المدينة محتسبا اي ناويا بزيارته وجه الله من غير
غرض مخلصا في نيته وقصد الرامه لا ينوي غيره والاحتساب افتعال من الحساب
معناه الاعتداد والاسم منه الحسبة وعن عمر رضي الله عنه ايها الناس احتسبوا اعمالكم
فان من احتسب عمله كتب له اجر عمله واجر حسبته فالمراد ان يقصد بالزيارة
اكرامه صلى الله عليه وسلم وتفويض اجره فيه الى الله كان في جواري اي له منزلة
رفيعة في الاخرة والمراد انه يكون في امانه وعهده فلا يناله مكروه اصلا والجوار
مصدر بكسر الجيم وضمها والكسر افصح وكنت له شفيعا يوم القيامة المراد به شفاعة
خاصة غير الشفاعة العامة فان له شفاعات كما تقدم وفي قوله في المدينة اعلام
بانه صلى الله عليه وسلم يموت بالمدينة ويدفن فيها فهو من اخباره صلى الله عليه وسلم
بالمغيبات وان كان لا تدري نفس باي ارض تموت وفي حديث اخر رواه البيهقي
والدارقطني والطبراني وابن منصور عن ابن عمر من زارني بعد موتي فكانما
زارني في حياتي لانه صلى الله عليه وسلم حي في قبره يرى من يزوره ويرد سلامه

كما تقدم وروى هذا اللفظ من طرق كثيرة وكره مالك ان يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم هكذا روى عنه واختلف في معنى ذلك وما اراده مالك رحمه الله لانه خلاف المعروف بين الناس فقيل كراهة للاسم اي اسم الزيارة واطلاقها لما ورد من قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله زوارات القبور فلعن من حيث انهن زوارات يقتضي ذم الزيارة وهذا رواه احمد والترمذي وابن حبان عن ابي هريرة رضي الله عنه وهذا يرده قوله صلى الله عليه وسلم نهيتكم بالبناء للمجهول والرواية كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا فهو ناسخ له لانه امر بعد نهي وهذا الدليل وجوابه اوهى من بيت العنكبوت لان الاول في حق النساء المكثرين للزيارة وهذا المطلق زيارة الرجال ودخول النساء تغليبا لا يعلمه المعترض ولكن عهدته على قائله لا على المصنف فانه ناقل عمن رد لما تقدم وقيل ان الحديث الاول خاص بزوارات القبور المتخذات عليها مساجد وسرجا كما ورد مصرحا به في حديث رواه ابو داود والترمذي وحسنه فليس بمنسوخ والحديثان مرويان في السنن من طرق صحيحة لما كان هذا في غير ما يجيء من اطلاق الزيارة على قبره صلى الله عليه وسلم اورد ما يدل عليه ايضا فقال وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي تقدمت روايته عن ابن عمر من زار قبري فقد اطلق اسم الزيارة فدل على ان الكراهة التي رويت عن مالك ليست لهذا كما توهم وقيل وجه كراهته لان ذلك لما قيل ان الزائر افضل من المزور هو من يزار فلا يقال فيه مزار بضم الميم وقول العامة في قبضة المزار خطأ شنيع وهذا ايضا كالذي قبله ليس بشيء يعتد به بل عكسه اقرب الى الصواب منه اذ ليس كل زائر لهذه الصفة وهي الافضلية فقد يكون مساويا له او ادنى منه وليس عموما في كل زائر وقد ورد في حديث اهل الجنة زيارتهم لربهم في الجنة وهم عبيده لا مناسبة بينهم وبينه في الفضل فكيف يتوهم هذا ولم يمنع اطلاق هذا اللفظ في حقه تعالى ولو كان كذلك لم يجز وحديث الزيارة هكذا روي على وجوه منها ما رواه ابو نعيم عن علي كرم الله وجهه اذا سكن اهل الجنة الجنة اتاهم ملك يقول ان الله يامركم ان تزوروه فيجتمعون ثم يوضع لهم ما يدل الحديث والذي عندي في وجه الكراهة عنده وفي نسخة والاولى عندي اي في اعتقادي وحكي في توجيه الكراهة عنده ان منعه من اطلاق الزيارة على قبره ووجه كراهة مالك له اي لقولهم زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم الاضافة اي نسبة الزيارة الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم باتباعها عليه بدون ذكر القبر وانه لو قال اي كل بل زرنا النبي صلى الله عليه وسلم بدون ذلك القبر لم يكرهه اي على ما في قيل ويرد ما تقدم من حديث ابن عمر من زار قبري وجبت له شفاعتي الا ان يقال انه ضعيف وان الصحيح حديث انس من زارني بدون ذكر قبر الا انه غير مسلم لان عبد الحق رواه في الاحكام ولم يتعقبه وتقدم ايضا الكلام فيه لقوله صلى الله عليه وسلم

اللهم

اللهم لا تجعل قبري وثنا اي كالوثن وهو الصنم من الحجارة يعبد بعدي اي يعبد وصنعي فيه وقيل الفرق بين الوثن والصنم ان الاول ما كان نحيتا من حجارة وغيرها والثاني ما كان صورة مجسمة وقيل هما بمعنى فيطلقان عليهما معا وهو المشهور اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد اي يسجدون لها كما يسجدون للاوثان قال الشراح هنا كالنصارى وهو مشكل كما تقدم لان نبي النصارى عيسى صلى الله عليه وسلم ولا قبر له فانه رفع الى الآن يقال انه تغليب اي قبور كبارهم ممن يعتقدونه ويعظمونه الا انه بعيد جدا فلا حاجة لتفسير الحديث هنا بهذا الاسم وقد في حديث اخر لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وهذا يشكل عليه ما ذكرنا ويحتاج الى الجواب بما قلناه والمصنف لم يورده هنا فلا حاجة الى الكلام عليه واعلم ان هذا الحديث هو الذي دعا ابن تيمية ومن تبعه كابن القيم الى مقالته الشنيعة التي كفروه بها وصنف فيها السبكي مصنفا مستقلا وهو منعه من زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وشد الرحال اليه وهو كما قيل

لمهبط الوحي حقا ترحل النجب ... وعند ذاك المرجى ينتهي الطلب

فتوهم انه حمى جانب التوحيد بخرافات لا ينبغي ذكرها فانها لا تصدر عن عاقل فضلا عن فاضل سامحه الله واما قوله صلى الله عليه وسلم الا لا تتخذوا قبري عيدا فقيل الاجتماع عنده في يوم معين على هيئة مخصوصة وقيل المراد لا تزوروه في العام مرة فقط بل اكثروا من الزيارة له كما مر واما احتماله للنهي عنها فهو تعريض انه المراد محمول على حالة مخصوصة اي لا تتخذوه كالعيد في العكوف عليه واظهار الزينة عنده وغيره مما يجتمع له في الاعياد بل لا يؤتى الا للزيارة والسلام والدعاء ثم ينصرف فحمى اي صار مالك رحمه الله اضافة هذا اللفظ اي لفظ الزيارة اضافة معنوية الى القبر يعني قبره الشريف صلى الله عليه وسلم والتشبه بفعل اولئك الكفرة الذين اتخذوا قبور الانبياء مواطن للسجود قطعا للذريعة وحسما اي قطعا وسدا للباب اي باب الذريعة وهذا مبني على سد الذرائع التي هي من قواعد مذهب مالك وتقدمت ما كيفيته والله اعلم بمراد مالك فيما نقل له وهذا اكما قيل ما يتجه منه فانه لا تشبيه فيه بوجه من الوجوه اصلا بفعل اولئك فلا ظاهر انه لم يصح عنه وانما المروي عنه كما وقع هنا في بعض النسخ وهو كما قال ابو عمران موسى بن عيسى الفاسي فقيه القيروان وقد تقدمت ترجمته انما كره ان يقال طواف الزيارة الذي يكون بعد رمي الجمار فقال انما يقال له طواف الافاضة وطواف الصدر لانه لا معنى للزيارة هنا عنده وان خالفه في اطلاقه غيره فلتبس عليهم كراهة اطلاق الزيارة في كلام مالك وفي نسخة بدل هذه النسخة قبل قوله والذي عندي الخ وقال ابو عمران رحمه الله انما كره مالك ان يقال طواف الزيارة وزرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم لاستعمال الناس بينهم بعضهم لبعض وكره تسوية النبي صلى الله عليه وسلم مع الناس بهذا اللفظ واحب ان يقال سلمنا على النبي صلى الله عليه وسلم

وايضا فان الزيارة مباحة بين الناس وواجب شد المطي الى قبره صلى الله عليه وسلم يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب وتاكيد ثم قال ما ادعى المصنف انه الاولى لا وجه له رواية ودراية فقد ورد اطلاق الزيارة لقبره في احاديث كثيرة منها ما تقدم وما رواه ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم قال من حج فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي وصحبني الا ان قوله وصحبني تفرد به بعض رواته كما قاله ابن عساكر وقال ابن حجر انها زيادة منكرة وورد ان لهما شاهد.
وليس التشبيه من كل الوجوه فلا ينافي خبر لو انفق احدكم مثل احد ذهبا الحديث وروى ايضا في معناه احاديث كثيرة قال السبكي كانها لم تبلغ مالكا رحمه الله تعالى انه روى عنه كراهة ان يقال زرنا النبي لانه اعظم من ان يزار ولانه اشهر في الوقف وهو صلى الله عليه وسلم حي في قبره وقيل كرهه لان الذهاب للزيارة ليس لمصلحة ونفعه وانما هو رغبة في الثواب قال السبكي وهو الاقرب في توجيه كلام مالك وان كان المختار الصحيح انه لا يكره شيء من ذلك وقيل تركه لان الزيارة من شاء فعلها ومن شاء تركها وهي كالواجب عنده واختاره ابن رشد انه انما كره لفظ القبر لانه صلى الله عليه وسلم حي **قال اسحق بن ابراهيم الفقيه ومالم يزل من شان من حج** اي انه استمر من عادة السلف اذا حجوا ان ياتوا **المزور** قيل انه بكسر الميم وسكون الزاي المعجمة وفتح الواو مصدر بمعنى الزيارة وقوله **بالمدينة** متعلق به وهو تكلف لا يخفى ولا رواية تدعو اليه والظاهر كما في بعض النسخ انه بضم الميم وراء مهملتين مصدر مر اي من حج يمر بالمدينة ويقصدها ويدل عليه قوله **والقصد الى الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم** اقتداء به صلى الله عليه وسلم فانه كان اذا قدم من سفر دخل المسجد وصلى فيه **والتبرك برؤية روضته** وهي ما بين قبره الشريف **ومنبره** سميت روضة لقوله صلى الله عليه وسلم انها روضة من رياض الجنة **ومنبره** وكيفية التبرك به سياتي **ومجلسه** اي جلوسه في الروضة المأثور **وملامس يديه** اي المحال التي لمسها بيديه في سجوده فيها **ومواطن قدميه والعمود الذي استند اليه** باسناد ظهره الشريف اليه في جلوسه **ومنزل جبريل** عليه الصلاة والسلام **بالوحي فيه عليه** وكان مراده ان يقصد التبرك بمسجده الشريف لانه كان محلا لما ذكر وان لم يكن ذلك متبينا الان فان نقل شيء من ذلك فعل به ذلك رزقنا الله العود الى الوصول الى السعادة العظمى بمشاهدة تلك المآثر والمشاهد بجاه محمد صلى الله عليه وسلم **وبمن عمره** بتخفيف الميم اي سكنه واما تشديد الميم فمن التعمير وهو بلوغ العمر بضم الميم اي مدة الحياة كما اعتمده اهل اللغة **وبمن قصده من الصحابة وائمة المسلمين والاعتبار بذلك كله** اي الاعتناء به تعظيما وتكريما والتذكر بهم وبمآثرهم **وقال ابن ابي فديك** محمد ابن اسماعيل بن مسلم بن ابي فديك بضم الفاء ودال مهملة وبالتصغير وكان الامام الثقة روى عنه الستة واحمد وتوفي سنة مائتين وله ترجمة في الميزان وحديثه

هذا رواه البيهقي **سمعت من ادركت** يقال ادرك فلان فلانا اذا ادرك زمانه وراه والمراد من ادركه من العلماء والصلحاء **يقول انه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم** متوجها له **وقال** تاليا **هذه الاية ان الله وملائكته الى اخرها ثم قال** بعد تلاوتها **صلى الله عليك يا محمد سبعين مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة** وفي رواية ولم تسقط لك اليوم حاجة اي لا ترد ولا تخيب شبه عدم قبولها بسقوط شيء يضيع منه وخص السبعين لانها محل الاجابة كما في قوله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة وقد قيل على هذا انه ينافي ما اقر لوه كما مر من انه لا يجوز نداؤه صلى الله عليه وسلم باسمه يا احمد يا محمد في حياته وبعد مماته لقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا بل يقال يا رسول الله ونحوه وكذا الاقتداء به ذي يكنيه كابي القاسم وقد تقدم فاذا كان هذا امانا ثورا عنه فيغتفر اتباعا لما ثور ولتقدم تعظيم هنا بقوله صلى الله عليك فلا يأمل هذا وفي الدر المنظم بعد ذكره اخراج البيهقي لما ذكر عن ابن ابي فديك ما نصه ولا دليل فيه لجواز ندائه صلى الله عليه وسلم باسمه فقد صرح ائمتنا بحرمة ذلك وظاهره انه لا فرق بين ان يتقدمه تعظيم له وان لا وهو ظاهر خلافا لمن بحث تخصيصه بالثاني وذلك لما في النداء بالاسم وان تقدمه تعظيم كما هو من ترك التعظيم اذ مثله يقع من بعضنا لبعض وما نقلوه منه لا نظر اليه لا تقضا به قال ايضا وانما ينادي بنحو يا نبي الله يا رسول الله فقول الزين المراغي الاولى لمن عمل بالاثر ان يقول يا رسول الله وهم بل الصواب ان ذلك واجب لا اولى انتهى **وعن يزيد بن ابي سعيد المهري** بفتح الميم نسبة الى مهرة قبيلة وهو محدث مشهور اخرج له مسلم وغيره **قال قدمت على عمر بن عبد العزيز** اي اتيته قاصدا له واجتمع به **فلما ودعته** اي لما اردت الانصراف من عنده **قال لي اليك حاجة** اسالك قضاها وهي انك **اذا اتيت المدينة سترى قبر النبي صلى الله عليه وسلم** اذا زرته فاذا اتيته **فاقرئه مني السلام** اي بلغه سلامي واني سلم عليه يقال قرا عليه واقراه السلام اذا بلغه سلاما من غائب عليه وقيل لا يقال اقرا الا اذا كان مكتوبا والمشهور انهما بمعنى وهو الذي يناسب الحديث الذي نحن فيه **وقال غيره** اي غير يزيد المذكور والقائل هو حاتم بن وردان كما ذكره البيهقي في شعب الايمان **كان** اي عمر بن عبد العزيز الخليفة المشهور الجليل القدر **يبرد** بضم اوله من ابرد بمعنى ارسل **اليه صلى الله عليه وسلم البريد من الشام** لانها كانت مقر الخلفاء اي يرسل رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيبلغه سلامه ويقرئه السلام لا لقصد غير ذلك البتة وكان ذلك في صدر زمن التابعين ولم ينكر ذلك احد منهم والبريد كما علمت هو الرسول الذي يكون مستعجلا لتبليغ امر الخلفاء ونحوهم وهو في الاصل فارسي معرب عن بريده دم اي مقطوع الذنب لانهم كانوا يجعلون في المنازل بغالا لا تركبها الرسل لتبليغ الاخبار بعجلة ويجعلون قطع اذنابها علامة

لهاتم اطلق على الرسول وصار حقيقة فيه مطلقا وقيل سمى الرسول بريدا لانه يقطع البريد وهو اثنى عشر ميلا وصاحب البريد رجل يعد لتبليغ الاخبار واحوال البلاد والولاة واصحاب البريد قوم يعدون لذلك عندهم براذين مسارة فاذا وقع امر عظيم وجهوا صاحب البريد للاخبار به وتقدم انه كان من داب السلف انهم يرسلون السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر يفعله ويرسل له عليه الصلاة والسلام ولابى بكر وعمر رضى الله عنهما ورسول الله صلى الله عليه وسلم واذا كان يبلغه سلام من سلم عليه وان كان بعيدا عنه لكن فى هذا فضيلة حظا به عنده ورده عليه السلام بنفسه كما مر الا انه قيل انه لا يجب تبليغه بخلاف من قال سلم لى على فلان فانه يجب عليه اداء امانته له اى ان لم يصرح له بعدم القبول كما هو ظاهر ويجب على المسلم عليه الرد بلسانه كما لو كان المسلم حاضرا وفرق بينهما ان القصد بالسلام ابتداء وردا من الاحبة التواصل وعدم التقاطع الذى يجلب ونزعه بين الاحبا وحينيذ فارسال السلام لصاحب القصد به مواصلته وعدم تقاطعه واذا كان هذا هو القصد به كان تركه مع تحمله تسببا ووسيلة الى القاطعة المحرمة اى من شانه ذلك وللوسايل حكم المقاصد واما ارسال السلام له صلى الله عليه وسلم فالقصد به الاستمداد منه وعود البركة على المسلم تركه ليس فيه الا عدم اكتساب فضيلة للغير فالتبليغ سنة لا واجب ولا يقال تفويت الفضائل على الغير حرام لانا نقول فرق واضح بين عدم اكتساب الفضيلة للغير وتفويت الفضيلة الحاصلة للغير **فايدة** قال صاحب القاموس فى رسالة الصلاة له ان السلام عليه صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة عليه اى للاحاديث الكثيرة ومنها ما احد يسلم على عند قبرى الخ وفيه نظر ثم رايت فى الدر المنظم بعد ذكره له ويعارضه ما تقدم ان الله تعالى يصلى هو وملايكته على المصلى بدل الصلاة الواحدة عشرا وهاية على ما مر وصلاة الله افضل من رده صلى الله عليه وسلم على انه مر انه صلى الله عليه وسلم يرد الصلاة عليه كالسلام فالاولى ان توجه افضلية السلام بانه شعار اللقا والتحية وحينيذ يختص افضليته بحالة اللقا عند كل زيارة اما اذا اسلم سلام اللقا فالصلاة بعده اولى من استمرار السلام وان كان ثابتا فى مقام الزيارة ويدل لذلك صنيع العلما فانهم لما ذكروا ان الزاير يبدا بالسلام ذكروا انه يختم بالصلاة عليه **قال بعضهم رايت انس ابن مالك** الصحابى رضى الله عنه خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم **الى قبر النبى صلى الله عليه وسلم** لزيارته **فوقف** عند القبر **فرفع يديه** للدعا فانه يستحب لمن زاره صلى الله عليه وسلم ان يدعوا ويستشفع به ويتضرع **حتى ظننت انه افتتح الصلاة** لانه يشبه رفع اليدين لافتتاح الصلاة ولعله كان مستقبل القبلة للظن المذكور **فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم** بعد رفع يديه ودعائه **ثم انصرف** من عنده **قال مالك فى رواية ابن وهب** عنه وهو عبد الله بن وهب عالم مصر كما تقدم وهو ممن روى عن الامام مالك **اذا سلم** الزاير لقبره الشريف **على النبى صلى الله عليه وسلم ودعا** بما يريد الدعا به **يقف** عنده **ووجهه الى القبر لا الى القبلة** كما يستحب للداعى فى غير هذا الموطن

مطلب من قال رسل لى على فلان يجب عليه اداء الامانة اذا لم يصرح بعدم التقبل

لان

لان استدباره خلاف الادب **ويدنو** اى يقترب من القبر فى حالة الدعا **ويسلم** عليه صلى الله عليه وسلم **ولا يمس القبر بيده** فيكره الصاق الظهر والبطن بجدار القبر المكرم ويلحق بجداره جدار الساتر عليه المسمى بالمقصورة لان لما فى ذلك من مخالفة الادب معه صلى الله عليه وسلم ومن ثم تعين على كل احد ان لا يعظمه صلى الله عليه وسلم الا بما اذن الله فيه لامته فى حقه مما يليق بالبشر فان مجاوزة ذلك تفضى الى الكفر والعياذ بالله بل مجاوزة الوارد من حيث هو ربما تودى الى المحذور فليقتصر على الوارد ما امكن واستقبال وجهه صلى الله عليه واستدبار القبلة مذهب الشافعى والجمهور ونقل ابى حنيفة وقال ابن الهمام ما نقل عن ابى حنيفة انه يستقبل مردود بما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما من السنة ان يستقبل القبر المكرم ويجعل ظهره للقبلة وهو الصحيح من مذهب ابى حنيفة وقال الكرمانى ان مذهبه بخلافه ليس بشى لانه صلى الله عليه وسلم حى فى قبره يعلم بزايره ومن ياتيه فى حياته انما يتوجه اليه ويستحب القيام فى حال الزيارة كما نبه عليه المص بقوله يقف وهو افضل من الجلوس عند القبر عند الجمهور ومن خير بينهما اراد الجواز دون الاستوا فان جلس فالافضل ان يجثوا على ركبتيه ولا يفترش ولا يتربع لانه لا يليق بالادب **وقال** مالك **فى المبسوط** اسم كتاب له كما تقدم **لا ارى** اى لا استحسنه ولا اعده رايا **ان يقف عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم يدعو** اى فى حال كونه داعيا بما اراد **ولكن يسلم** عليه صلى الله عليه وسلم **ويمضى** اى ينصرف من عنده من غير وقوف وظاهره ان مذهب مالك عدم استحباب الوقوف مطلقا ونقل الشيخ خليل عنه ان استحباب عدم الوقوف عنده لاهل المدينة المقيمين بها لا للغربا الزوار فانه يستحب لهم الوقوف للدعا له صلى الله عليه وسلم ولابى بكر وعمر بفرق بين المدنى وغيره ذلا يجعل المدنى قبره الشريف كالمسجد بانيه فى اكثر اوقاته للعبادة والغريبة على قاعدته فى سد الذرايع وسياتى ايضا بيان ذلك فى كلام المص من المبسوط والصحيح عند غيره انه لا فرق بين المدنى وغيره من استحباب الاتيان من زيارته والوقوف عنده للدعا ففى المسالة ثلاث مذاهب **وقال ابن ابى مليكة** هو محمد بن عبيد الله بن ابى مليكة بالتصغير وهو من اعلام التابعين وابو ابى مليكة صحابى جليل وابنه توفى سنة سبع عشرة ومايتين واخرج له اصحاب الكتب الستة **من احب ان يكون** وفى نسخة يقوم **وجاه النبى صلى الله عليه وسلم** اى فى مواجهته ومقابلته ووجاه مثلث الواو بمعنى تجاه وهو مثلث التا ايضا كما فى مثلث صاحب القاموس ومعناه ان يقابل وجهه وجهه وتجاه مبدلة من الواو لكنه **فليجعل القنديل الذى فى القبلة عند القبر** الشريف **على راسه** اى مما يليها والقنديل بكسر القاف مصباح من زجاج يعلق وهو معروف وبفتح القاف معناه العظيم الراس ووزنه فعليل وقيل فعليل ونونه زايدة وهو ارشاد لكيفية الزيارة وانه يكون بينه وبين القبر فاصل فقيل انه يبعد عنه مقدار اربعة اذرع وقيل ثلاثة وهذا مبنى على ان البعد اولى والبق بالادب كما كان فى حياته صلى الله عليه وسلم وعليه الاكثر وذهب بعض المالكية الى ان القرب اولى

وقيل لما علم من معاملته في حياته يختلف ذلك باختلاف الناس وهذا باعتبار ما كان في العصر الاول واما اليوم فقد بقيت مقصورة تمنع من دنو الزائر فيقف عند الشباك وقال نافع هو ابن هرمز مولى ابن عمر اشتراه من سبي خراسان وهو تابعي جليل توفي بالمدينة سنة سبع عشرة ومائة وهو غير نافع بن عبد الرحمن المدني المقرئ وهذا رواه البيهقي وغيره وكان ابن عمر الصحابي المشهور رضي الله عنهما يسلم على القبر الشريف رأيته مائة مرة واكثر يأتي القبر بدل من قوله يسلم معمول له فيقول السلام على النبي السلام على ابي بكر السلام على ابي وفي نسخة ابي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثم ينصرف قيل وفيه اشارة الى انه لا ينبغي له ان يطيل الكلام عند السلام ويختصر وقيل يطيل ما شاء في الثنا والدعا والتوسل وقيل يختلف باختلاف الناس والاحوال ويأتي للزيارة من قبل راسه الشريف صلى الله عليه وسلم متقربا حذاء ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فبعدها بالاشراف فلا شرف تعظيما لهما كما يليق وقيل يأتي من قبل رجلي عمر لانه من الادب ويتأخر قليلا قليلا ومن كيفية وضع القبور الثلاثة اختلاف مذكور في تاريخ المدينة الكبير للسيد السمهودي مفصلا ليس هذا محله وفي الموطا من رواية يحيى بن يحيى الليثي تقدم ان يحيى بن يحيى راوي الموطا عن مالك اشتهر انه كان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم على هنا بمعنى عند وهذا اشارة الى اختيار القرب منه صلى الله عليه وسلم كما مر فيصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر تبعا ويصلي بمعنى يدعوا وعند ابن القاسم عبد الرحمن فقيه مصر كما تقدم والقعنبي بفتح القاف وسكون العين المهملة وفتح النون بعدها باء موحدة وياء نسبة وهو عبد الله بن مسلمة بن قعنب الحارثي ابو عبد الرحمن احد الاعلام روى عنه البخاري وابو داود وغيرهما وهو ثقة حجة توفي سنة احدى وعشرين ومائتين واخرج له الشيخان وغيرهما كما علم في روايتهما عن مالك بلفظ ويدعو لابي بكر وعمر لا بلفظ يصلي كما مر قال مالك في رواية ابن وهب عنه يقول المسلم او الزائر السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته وقال مالك في المبسوط ويسلم على ابي بكر وعمر بعد السلام عليه صلى الله عليه وسلم وقال القاضي ابو الوليد الباجي تقدمت ترجمته وعندي اي الراجح عندي انه يدعو للنبي صلى الله عليه وسلم بلفظ الصلاة لما فيها من التعظيم كما تقدم ويدعو لابي بكر كما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما الذي تقدم وقوله فيه السلام على ابي بكر السلام على ابي عمر فيدعو لهما بالسلامة من كل مكروه ولا يصلي عليهما لما مر من الخلاف اي مخالفة الدعا لهما للدعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفي المناسك هنا تفصيل طويل فيما يقوله الناس ليس هذا محله وقال ابن حبيب عبد الملك ابن حبيب القرطبي الامام الجليل الثقة مصنف كتاب الواضحة ولا يلتفت لمن نسبه للكذب وترجمته في الميزان ويقول الزائر اذا دخل مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بسم الله وسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام علينا

من

من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وجنتك اي يسر لي ما يوصل اليها فان دخوله من باب المسجد الموصل لجنته روضة تشوقه الى الجنان وتقوي رجاه فناسب دعاه بما ذكر ولما سلك الطريق الموصلة اعتصم بالله من قطاع طريقها بقوله واحفظني من الشيطان الرجيم ثم اقصد بعد الدعا الى الروضة وهي ما بين القبر والمنبر واركع فيها ركعتين تحية المسجد شكرا لهذه النعمة قبل وقوفك بالقبر اي عنده تحمد الله فيها اي في تلك الصلاة وتسأله تمام ما خرجت اليه من زيارة ذلك وسفرك والعون عليه اي المساعدة بتيسيره له وان كانت ركعتاك في غير الروضة من المسجد النبوي اجزأتاك بحصولهما لك في ادا السنة وفي الروضة افضل اي اكثر ثوابا اقتداء به صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه الصلاة والسلام ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة وياتي الكلام عليه وما بين القبر والمنبر نحو خمسين ذراعا ومعنى كونه روضة من رياض الجنة انه يؤدي الى دخولها فكانه منها فاطلق السبب واراد المسبب او هو تشبيه بليغ وقيل انه على حقيقته وانه ينقل الى الجنة قال صلى الله عليه وسلم في حديث احزابي وان ارهم بلاده هنا انه من تتمة الاول ومنبري على ترعة من ترع الجنة ترعة وترع بمثناه كغرفة وغرف قيل هي الروضة تكون في مكان مرتفع وقيل الباب والروضة محل الاشجار مطلقا او في مكان مطمئن يجمع اشجارا وربا حتى والترعة تكون ايضا محل الماء بمعنى الدرجة كما ذكره اهل اللغة والكل يحتمل هنا والكلام في هذا كما تقدم في قوله روضة من رياض الجنة في احتمال التشبيه والاستعارة وياتي بيان الحديث في كلام المص ثم تقف بالقبر اي عنده متواضعا متوقرا اي متواضعا ووقارا اي سكونا ادبا لهيبة واجلاله وغض طرف وقال الكرماني الحنفي في مناسكه انه يضع يده على شماله كما يقف المصلي وقال غيره الاولى الارسال لئلا يتشبه بالمصلي فانه منهي عنه فتصلي بالخطاب لكل زائر عليه صلى الله عليه وسلم وتثني عليه ثنا يليق به بما يحضرك اي يخطر ببالك من غير تكلف لامر تستعد لها بسجعة ونحوها ويتجنب الانحنا وتقبيل الارض وما يفعله جهلة من ان فيه زيادة تعظيم ليس بشيء وتسلم على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وتدعو لهما بما يناسب مقامهما كما مر واكثر الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار والمراد بمسجده هنا هو المراد بقوله صلاة في مسجدي هذا تعدل الف صلاة في غيره كما يأتي وهو ما كان مسجدا في زمنه صلى الله عليه وسلم لا ما زيد فيه كما قاله النووي وغيره والاشارة بقوله تعينه واعتراض ابن تيمية عليه بما ورد في الحديث لو زيد في مسجدي الى ذي الحليفة كان مسجدي رد بانه لا يقتضي ما قاله من كل وجه ولا شك في ان الاول افضل من غيره وفي حديث الزيادة معجزة واخبار بالغيب ولا ينبغي للزائر جعل القبر خلف ظهره ولا يجابه كما قاله ابن عبد السلام ولا تدع بالخطاب والجزم اي تترك ان تأتي مسجد قبا بضم القاف ويمد ويقصر

ويذكرون بيوت قبور صرفه ومنع صرفه وهو اسم موضع قريب من المدينة بني فيه عمرو بن عوف الانصاري مسجدا اي اتاه النبي صلى الله عليه وسلم وصلى فيه وهو المراد بقوله تعالى لمسجد اسس على التقوى على الراجح تارة ماشيا وكان صلى الله عليه وسلم يزوره راكبا وماشيا في كل سبت وحكمة تخصيصه ان في اتيانه زيارة اهله والموتى يعلمون بزوارهم يوما قبل الجمعة ويوما بعده واعطي احد يوم الخميس لانهم افضل فيه من السبت لاهل قبا وقال صلى الله عليه وسلم صلاة ركعتين فيه احب الي من ان اتي بيت المقدس مرتين وكذا يستحب اتيان غيره من المساجد المأثور صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها كمسجد القبلتين **وقبور الشهدا** المعهودين وهم شهدا احد رضي الله عنهم فانه صلى الله عليه وسلم كان يزورهم وينبغي ان لا يدع زيارتهم وان يبدا منهم بحمزة رضي الله عنه سيد الشهدا في الدنيا والاخرة **وقال مالك في كتاب محمد ويسلم** عليه صلى الله عليه وسلم **اذا دخل وخرج** اي اذا دخل مسجد المدينة وخرج منه اي بالفعل الا عند ارادة ذلك **وفيما بين ذلك** اي في ايام اقامته بالمدينة يدخل المسجد ويسلم عليه صلى الله عليه وسلم كما دخل وخرج **قال محمد واذا خرج** من المدينة من اتاها زائرا **جعل اخر عهده** بالمدينة **الوقوف بالقبر** اي عنده للوداع **وكذلك كل من خرج مسافرا** من المدينة يجعل اخر عهده زيارته صلى الله عليه وسلم والسلام عليه **وروى ابن وهب عن فاطمة** الزهراء رضي الله عنها **بنت النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها اذا دخلت المسجد** يعني مسجده صلى الله عليه وسلم او الاعم **فصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وقولي اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك** وفيه مناسبة تامة لان العبادة مكفرة للسيئات والدخول بفتح الباب وهو باب موصل لاعظم رحمته **واذا خرجت** من المسجد النبوي او الاعم **فصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وقولي اللهم اغفر لي ذنوبي** ببركة العمل الصالح **وافتح لي ابواب فضلك** وذكر الفضل هنا انسب لان الخارج من المسجد يخرج لكسب مصالحه والفضل الرزق وفتح الباب كناية عن تسهيل اموره وتيسير مسالكه واسباب معاشه وقد علم بذلك حكمة ذكر الرحمة في الدخول والفضل في الخروج وحاصلها ان الرحمة الحق تعالى لعباده رحمة مخصوصة تناسب قصدهم وعباداتهم فطلب تلك الرحمة الخاصة عند دخولها واما الخروج منها فهو الى محال الاسباب والاكتساب التي بها تحصل الارزاق والغنا عن الناس وهذا اظهر الفضائل التي تفضل بها على عباده فتأمل عند التوجه ليفاض عليه منه ما يليق به خشوعه وانقطاعه الى الله تعالى فلو دخل وجلس ركعتين نفلا مطلقا وقيل انهما سنة الوداع واختلف هل يقدم الوداع على الصلاة او يؤخرها ليكون اخر عهده ملاقاته صلى الله عليه وسلم ويجتنب ان يقول اللهم لا تجعل هذا اخر العهد بحرم رسولك صلى الله عليه وسلم ويسر لي العود اليه وارزقني العفو والعافية في الدنيا والاخرة ويتأسف على مفارقته واعلم ان هذا الحديث رواه اصحاب السنن على انه سنة لدخول كل مسجد وليس مخصوصا بالمسجد النبوي كما ذكره المصنف في

مطلب
الموتى يعلمون بزوارهم يوما قبل الجمعة ويوما بعده

اللوا

اللواء المعلم الا انه ينبغي انه يدخل فيه دخولا اوليا وزاد بعضهم في المسجد النبوي رب وفقني وسددني واصلحني واعني على ما يرضيك عني ومن علي بحسن الادب في هذه الحضرة الشريفة **وفي رواية اخرى** من طريق اخر من طريق فاطمة رواه احمد وابو يعلى والترمذي وحسنه **فليسلم مكان فليصل فيه ويقول اذا خرج اللهم اني اسألك من فضلك وفي** رواية اخرى **اللهم احفظني من الشيطان الرجيم** وهذه الامور كلها محل ذكرها مناسك الحج وفضلته **وعن محمد بن سيرين** التابعي المشهور **كان الناس يقولون اذا دخلوا المسجد** النبوي **صلى الله وملائكته على محمد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا** اي ندخل ونخرج وعبر بالماضي مشاكلة واشارة الى ان المساجد انما هي للعبادة وليست محل مكث واقامة لغير المعتكف **وعلى الله توكلنا** اي فوضنا له امورنا كلها لتركه من دخل المسجد امور دنياه فان توجهه فيه انما هو لله **وكانوا يقولون اذا خرجوا مثل ذلك** وهذا ليس خاصا بمسجد المدينة بل هو مستحب في كل مسجد واستحب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند دخوله والخروج منها لانه صلى الله عليه وسلم هو الذي بين لنا العبادة فيها وهدانا لطرق الخير فكان حقا علينا تذكره ثمة والدعا له والمراد بالناس هنا الصحابة فتعلم يدل على انه سنة مأثورة فلا يتوهم انه كيف يكون دليلا على انه سنة ولذا اردفه بما يوضحه من قوله **وروى عن فاطمة ايضا** اي كما روي عنها قبل هذا **كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل هذا وفي رواية حمد الله** الذي وفقه للعبادة **وسمى الله** تيمنا وتبركا ليتم ما شرع فيه **وصلى النبي صلى الله عليه وسلم** لما مر **وذكر مثله** اي ما هو بمعناه **وفي رواية** يقول اذا دخل المسجد **بسم الله والسلام على رسول الله** فهذا صريح في ان ما فعله الناس فعله رسول الله صلى الله عليه بنفسه فهم مقتدون به **وروى عن غيرها** اي عن غير فاطمة رضي الله عنها **كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي ابواب رحمتك** وانما هو يفتح الدنيا والاخرة **ويسر لي ابواب رزقك** اي سهلها ويسر اسبابها والتعبير بالتيسير اشارة الى انه بما قضي وفرغ منه **وعن ابي هريرة رضي الله عنه اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي** بقية ما تقدم من تمامه وحاصله ان هذه الاحاديث تدل على ان من دخل المسجد او خرج منه او مر به اي بمسجد كان يستحب له ان يسمي الله ويصلي ويسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعو بما تيسر من خيري الدنيا والاخرة والمأثور افضل وهذا مما اتفق عليه ووردت فيه احاديث صحيحة مسندة في باب الدعوات **وقال مالك في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد** النبوي **وخرج منه من اهل المدينة** المقيمين بها **الوقوف بالقبر** اي عنده للزيارة **وانما يلزم ذلك** اي الوقوف لازم **للغربا** الذين جاؤوا المدينة للزيارة وليس اللزوم هنا بمعنى الوجوب الشرعي بل التأكد في حقه **وقال مالك فيه**

اى فى كتاب المبسوط ايضا كما نقل عنه اولا لا باس لمن قدم من سفر او خرج الى
سفر من اهل المدينة ان يقف على قبر النبى صلى الله عليه وسلم اى بقوم عنده زائرا فليصلى عليه صلى الله عليه وسلم ويدعو له ولابى بكر وعمر رضى الله عنهما بعد الصلاة على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له ان ناسا من اهل المدينة لا يقدمون من
سفر ولا يريدونه اى الخروج للسفر فهم مقيمون يفعلون ذلك اى الوقوف عند
القبر والصلاة عليه والدعا لصاحبيه فى اليوم الواحد مرة او اكثر وربما وقفوا
فى الجمعة او الايام المرة والمرتين او اكثر عند القبر فيسلمون عليه صلى الله عليه وسلم
ويدعون لابى بكر وعمر ساعة فقال مالك لما ذكر له ذلك لم يبلغنى هذا اى الوقوف
المدنى من غير سفر عند القبر عن احد من اهل الفقه ببلدنا يعنى المدينة لان عمل
اهلها حجة عنده رحمه الله وتركه اى ترك هذا الفعل واسع اى اكثر واولى ولا
يصلح اخر هذه الامة المحمدية واخرها من بعد الصحابة والعصر الاول الا ما
اصلح اولها اى لا يصلح لاخرهم الا ما صلح لاولهم ولا ما استحب لهم الا ما استحبوه اولا
ولم يبلغنى عن اول هذه الامة وصدرها من الصحابة ومن الحق بهم انهم كانوا
يفعلون ذلك اى الوقوف للزيارة من غير الغربا بلا ارادة سفر اى لم اسمعه
بنقل صحيح ويكره ذلك الا لمن جاء من سفر او اراده من اهل المدينة وقال
ابن القاسم من اتباع الامام مالك ورايت اهل المدينة اذا خرجوا منها للسفر
او دخلوها قادمين من السفر اتوا القبر فسلموا عليه صلى الله عليه وسلم قال ابن
القاسم وذلك راى اى قول لمالك وفى نسخة رايى بالاضافة اى بقوله وقال الباجى
بباء موحدة نسبة لباجة اسم بلدة بالمغرب وهو ابو الوليد الحافظ من ايمة المالكية
وقد تقدم ففرق مالك او ابن القاسم رواية عنه بين اهل المدينة والغربا
فاستحب للغربا الزيارة فى الدخول للمسجد فى كل حين ولم يستحبه الا اذا خرج لسفر
او قدم منه لان الغربا قصدوا المدينة لذلك اى لاجل الزيارة فينبغى لهم فعل
ذلك فى كل حين واهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من اوطانهم من
اجل زيارة القبر والتسليم عليه صلى الله عليه وسلم قال السبكى فى كتابه
شفا السقام بعد نقل ما هنا مذهب مالك ان الزيارة قربة لكنه كره الاكثار منها
للمقيم بالمدينة على عادته فى سد الذرايع وغيره من اهل المذاهب قالوا باستحباب
الاكثار منها مطلقا لانفقوا عليه وهو الحق الذى لا اشتباه فيه والذريعة ليست
بمرعية فى كل مقام كما تقدم عن القرافى وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه
عبد الرزاق ومالك فى الموطا عن عطا بن يسار اللهم لا تجعل قبرى وثنا اى
كالوثن وهو الصنم الذى يعبد اى يتخذ معبودا ونقصد فيه زيادة تعبدك اشتد
غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيايهم مساجد اى يسجدون لها كما يسجدون
لله وقد تقدم الكلام عليه وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه ابن ابى شيبة
وغيره بسند متصل لا تجعلوا قبرى عيدا اى كالعيد باجتماع الناس عنده وقد تقدم

تاويل

تاويل الحديث وانه لا حجة فيه لما قاله ابن تيمية وغيره فان اجماع الامة على
خلافه يقتضى تفسيره بغير ما فهموه فانه نزغة شيطانية وقوله وقال الخ يحتمل
انه من كلام الباجى او من كلام مالك وابن القاسم تابعا لما قاله وهو الظاهر واحتمال
انه من كلام الناس غير مناسب لما عقد له هذا الفصل ونقل عن كتاب احمد بن
سعيد الهندى عالم الاندلس توفى فى سنة تسع وتسعين وثلاثمائة وعمره سبع وسبعون
سنة وترجمته مبسوطة فى التواريخ وفى نسخة سعد الهندى والصحيح الاول فيمن
وقف بالقبر اى قام فى جهته وبيان حاله انه ينبغى له ان لا يلصق به صدره ولا
يمسه بشى من جسده فلا يقبله فيكره مسه وتقبيله والصاق صدره به لانه ترك
ادب ولذا كل صريح بكره فى ذلك وهذا امر غير مجمع عليه ولذا قال احمد والطبرى
لا باس بتقبيله والتبرك به وروى ان ابا ايوب الانصارى كان يلتزم القبر الشريف
قيل وهذا القبر من ابتليه الشوق والمحبة وهو كلام حسن ولا يقف عنده طويلا
بل بمقدار الصلاة عليه والدعا تادبا منه فهذا استحب عنده وفى العتبية بضم العين
المهملة وسكون المثناة وكسر الموحدة وبا نسبة اسم كتاب يعرف بالعتبية وبالمستخرجة
من الاسمعة اى ما سمع من مالك من مسايل المدونة وصاحبها يسمى العتبى نسبة لعتبة بن
ابى سفيان وهو فقيه الاندلس محمد بن احمد بن عبد العزيز عتبة بن ابى سفيان القرطبى
وتوفى فى منتصف ربيع سنة خمسين او اربع وخمسين وما بينهن واخذ عن يحيى بن يحيى الليثى
وطبقته ويقال انه من موالى عتبة وله رحلة الى الشرق وفى تاريخ الاندلس محمد العتبى
هو احمد بن محمد بن عتبة الاموى من اهل قرطبة وقيل هو مولى لال عتبة بن ابى سفيان
وهو الاصح وسمع من سحنون واصبغ وغيرهما وجمع كتابا سماه المستخرجة الترتيبه من
السواق والمسايل الغريبة فاذا اسمع غريبة قال ادخلوها فى المستخرجة وقال ابن وضاح
فى المستخرجة خطا كثير يبدا بالركوع المراد به الصلاة اى تحية المسجد اذا دخلته
سميته باسم الجزء كالركعة قبل السلام على قبره عليه الصلاة والسلام وزيارته وهو احد
القولين كما تقدم فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم وقيل يبدا اولا ثم يصلى ويتحرى
بصلاته محلا كان صلى الله عليه وسلم يصلى فيه وله علامة ذكروها وبينهم المص وهو
على يسار الاسطوانة وشمل ذلك عموم قوله واحب افعل تفضيل من المحبة مواضع التنفل
اى افضلها للصلاة النافلة وتحية المسجد والزيارة مصلى النبى صلى الله عليه وسلم اى
محل صلاته المأثور ويبين محله بقوله حيث العمود المخلق بضم الميم وفتح الخا المعجمة وتشديد
القاف وهو ما عليه الخلوق بالفتح وهو نوع من الطيب اصفر فيه زعفران والعمود هو
السارية والاسطوانة وسمى مخلقا لانه كان يطيب بالخلوق تعظيما وهذا هو المعروف
وقيل انه مخلق بحا مهملة اى له حلقة من حديد ونحوه قيل وهو محل جذعه الذى كان
صلى الله عليه وسلم يخطب عنده قبل عمل المنبر له وهذه الاماكن الشريفة واسماوها ونظايرها
من اراد الوقوف عليها فليطالع تاريخ المدينة الكبير للسيد السمهودى وفضله هذا المحل
والصلاة عنده انما هو لسنة الزايرا اما فى الفريضة والتقدم الى الصفوف اى التقدم

في الصف الاول افضل من غيره مطلقا والتنفل اى صلاة النافلة فيه اى في المسجد
النبوى للغربا الذين قدموا للزيارة وليس من اهل المدينة المقيمين بها احب الى
اى افضل عندى من التنفل في البيوت اى في مساكنهم ومحل نزولهم وهذا مستثنى
مما قاله الفقها واطلقوه ان الافضل في الفرض الصلاة في المساجد والنافلة الافضل
فيها ان تصلى في المنازل وجاء الحديث ان الصلاة في مسجد المدينة افضل من الف
صلاة في غيره على ما ياتى وهذا مبنى على ان المضاعفة تختص بمسجد المدينة وذهب
بعضهم الى ان الصلاة في المدينة مطلقا مضاعفة لا فرق بين فرضها ونفلها ومسجدها
وغيره فعلى هذا ما اخذنا كغيرها الان الغريب يستحب له الاكثار من المكث في مسجدها
والزيارة والتبرك بمواطن عبادته فله شان يخصه وهو الظاهر فصل
فيما يلزم من دخل مسجد النبى صلى الله عليه وسلم من الادب اللازم لمن حضر
محله في حياته سوى ما قدمناه في الفصل الذى قبل هذا وفضله اى المسجد
النبوى وفضل الصلاة فيه اى زيادة ثوابها على ثواب غيرها وفى مسجد مكة وفضله
وفضل الصلاة فيه وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة ومكة والمجاورة فيهما
قال تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول يوم وضع اساسه فيه احق ان تقوم
فيه للصلاة من غيره وقد اختلف فيه كما سياتى روى عنه صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
مسلم وغيره ان النبى صلى الله عليه وسلم عن المراد به في هذه الاية اى مسجد هو فقال
مسجدى هذا يعنى به الذى هو داخل المدينة وهو معروف وهو اى كونه المراد في
الاية قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك بن انس وغيرهم من
كبار الصحابة قيل كان ينبغى له تقديم ابن عمر ثم زيد ثم ابن المسيب ثم مالك للتقدم
الاسن والترتيب في الذكر ليس بلازم وعن ابن عباس انه مسجد قبا الذى تقدم
بيانه وهو المراد في الاية عنده لانه صلى الله عليه وسلم اسسه وصلى فيه ايام اقامته من
الاثنين الى الاثنين وكلاهما ما اسسه على التقوى الا ان تاسيس مسجد قبا كان في ابتدا
دخوله صلى الله عليه وسلم دار الهجرة ثم انتقل منه واسس الاخر فالاولية ظاهرة فيه الا ان
تجعل شاملة للحقيقة والنسبة والمراد بالتقوى الاخلاص في رضى الله لا كمسجد الضرار وما
ذكره ابن عباس هو الذى ارتضاه المفسرون وهو الظاهر والاول ايضا مروى عن
كبار الصحابة مسندا له صلى الله عليه وسلم وقد رواه مسلم واصحاب السنن ولذا قيل كان
ينبغى للمصنف ان يقول صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا رد بصيغة المجهول التى تعلم
استعمالها في الضعيف فكانه ابهامه الا ان الاقوى ما قاله ابن عباس وهو شكل وغايته
ما يقال فيه ان الاولية اضافية باعتبار ما بنى بعد الهجرة ومسجد مكة ينتمل مسجد
قبا ومسجد المدينة والمراد اخراج مسجد الضرار ولا ينافيه ما بعده لانه ابتنى
على اهل المسجدين بزيادة الظاهرة وانما فسره صلى الله عليه وسلم بمسجده لاجل
قوله احق ان تقوم فيه لانه انما كان اكثر قيامه به فلو فسر بمسجد قبا لكان صلى الله
عليه وسلم تاركا للاحق فسره بما يدل على دخوله مع مسجد قبا في الحكم ونص على ه

ما

ما خرج من منطوقه لانه هو المحتاج للبيان فاعرفه فانه دقيق حدا حدثنا هشام
ابن احمد الفقيه هو احد شيوخ المصنف رحمه الله لقوله بقرائتى عليه قال
حدثنا الحسين بن محمد الحافظ هو الغسانى وقد تقدم قال حدثنا ابو عمر هو
ابن عبد البر كما تقدم النمرى تقدم بيانه ايضا قال حدثنا ابو محمد بن عبد المؤمن
تقدم بيانه قال حدثنا ابو بكر بن داسة تقدم ايضا قال حدثنا ابو داود صاحب
السنن تقدم ايضا قال حدثنا مسدد تقدم عن الزهرى عن سعيد بن المسيب
عن ابى هريرة رضى الله عنه تراجم تقدمت كلها عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
لا تشد الرحال لا نافية وتشد مضارع مجهول وهو خبر اريد به النهى وهو ابلغ في
النهى لانه جعله كانه امر لا يقع في الخارج اخبر عنه لتحققه والرحال بالحا المهملة جمع رحل
وهو للجمال كالسروج للخيل كما مر لا جمع راحلة كما توهم وهى البعير ونحوه والمقصود
منه المنع او نفى شدها كناية عن منع السفر اى لا ينبغى للمسافر قطع المسافة الا الى ثلاثة
مساجد جمع مسجد وهو المكان المعد للعبادة واصله موضع السجود مسجد الحرام
بالحركات الثلاث وفى نسخة المسجد الحرام وكلاهما جائز وهنا والاول من اضافة
الموصوف للصفة اى المسجد الذى جعله محترما وهو مشهور غنى عن البيان ومسجدى
هذا اى مسجد المدينة المعروف ومسجد الاقصى بالاضافة كالاول وفى نسخة والمسجد
الاقصى اى الابعد لانه ابعد من مكة بالنسبة الى المدينة وفيه كلام مشهور ليس هذا
محله واختلف في هذا النهى هل هو على ظاهره للتحريم كما ذهب اليه بعضهم والصحيح
انه مؤول اى لا تشد الرحال لنذر العبادة الا فيها ولذا قالوا لو نذر الصلاة في غيرها
لم يلزمه شى فلا يكره له شد الرحال لبعض الاماكن المتبرك بها او لزيارة من فيها من
الصالحين او لطلب العلم فقد يكون هذا واجبا عليه وقد تقدمت الاثار والاحاديث
في الصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد النبوى في الفصل
الذى قبل هذا كما سمعت انفا والاثر كلما نقل اى مروى فيشمل الحديث وغيره
ويطلق على ما يقابله والفرق بين الحديث والخبر والاثر مشهور في مصطلح الحديث
ككتاب ابن الصلاح وغيره وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما في
حديث رواه ابو داود باسناد جيد حسن كما في الاذكار للنووى ان النبى صلى الله
عليه وسلم كان اذا دخل المسجد اى مسجده بالمدينة وتقدم ان هذا مستحب في كل مسجد
قال اعوذ بالله العظيم اى التجى اليه في اموري كلها وفى التوفيق للعبادة واخلاصها الى
عظيم لا يخاف من التجا اليه وبوجهه الكريم الوجه معروف فاذا اضيف الى الله فالمراد
به ذاته المكرمة المجللة وسلطانه القديم سلطانه يعنى قهره وغلبته والقديم
صفة سلطان وذلك ثابت له في الازل والقدم من الشيطان الرجيم المطرود
عن رحمة الله وقربه واستعاذته منه لئلا يصده عما نواه من العبادة ويشغله
بوسوسته وتتمة الحديث قال فاذا قال ذلك قال الشيطان حفظ منى سائر اليوم وقال
مالك بن انس في حديث رواه البخارى والنسائى فيه سمع عمر بن الخطاب رضى

الله عنه صوتا عاليا كالصياح في المسجد اي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فدعا
بصاحبه اي امر بمجيه اليه فجي له به وسقط هذا من بعض النسخ قائلا في قوله فقال
ممن انت فصيحة اي من اي قبيلة وطايفة من الناس قال من ثقيف قبيلة من لحاجه
العرب مشهورة من هوازن قال عمر رضي الله عنه لو كنت من اهل هاتين
القريتين يعني مكة والمدينة لادبتك كما في نسخة وفي اخرى لعلوتك بالدرة
بكسر الدال وفتح الرا المهملتين المشددة وهي صوت عريض يضرب به وعلوتك
بمعنى ضربتك وهو تعبير فصيح مشهور لانه يضرب به على راسه واعالي بدنه فقال
علاه بالدرة وجلله وعممه بالسيف وهذا ساقط من بعض النسخ فالجواب مقدر كقوله
تعالى ولو ان قرانا سيرت به الجبال اوغيره وانما قال له هذا لان من كان من اهل
الحرمين وهما مهبط الوحي ومقر الدين لا يعذر بالجهل بالشرع وادابه ثم بين وجه
ما قاله بقوله ان مسجدنا يعني مسجد المدينة او الاعم منه لا يرفع فيه الصوت
فعلى الاول يلحق غيره بالقياس وعلى الثاني هو داخل نصا وهو الظاهر لانه ورد من
الطريق الاخر وما جدنا وذهب كثير من الفقها ان رفع الصوت في المسجد مطلقا
مكروه لحديث جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم ورفع اصواتكم وخصوماتكم لانها عرض
متخذة للعبادة ولذا يكره النوم فيها لغير ضرورة الا انه قيل ان مرتكب المكروه لا
يعزر وكلام عمر رضي الله عنه يدل على انه لو كان من اهل القريتين عزره لانه لا يعذر
بجهله واجيب بانه علم منه عدم الكراهة بحضرته صلى الله عليه وسلم وهو حرام يؤدي
الكفر والعياذ بالله قلت ليس كما قاله بل لانه يمتنع رفع الصوت عنده صلى الله
عليه وسلم لقوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اي عنده وهو في حياته كما تقدم
الان قوله ان مسجدنا اباه فان قيل المراد بمسجدنا مسجده صلى الله عليه وسلم بخصوصه
فالاضافة عهدية لم يرد عليه شي فاعرفه ويستثني من هذا رفع الصوت بالاذان والاقامة
وكذا التلبية كما صرحوا به علما بانه قال محمد بن مسلمة بميمين مفتوحتين كما تقدم لا
ينبغي لاحد ان يعتمد المسجد اي يقصده وفي نسخة يتعمد برفع الصوت فيه
يقال عمده واعتمده اذا قصده فان فعله لا عن تعمد وجهل وغيره جاز له ذلك وقوله
ولا بشي من الاذى هو كل مستقذر لان الطبع يتاذى به وان ينزه بالبنا للمجهول
اي يبعد عنه فيبعد هو عما يكره مجهول ايضا والمكروه المراد به هنا ما به ايضا المستقذرات
ولا ينبغي تحمل الكراهة والحرمة وخلاف الاولى وقد صرح الفقها بمنع حمل النجاسة
والمستقذرات في المساجد حتى النخاعة والروايح الخبيثة كرايحة البصل والثوم
الى غير ذلك مما فصل في احكام المساجد وقد افرده بالتاليف الامام الزركشي فلا حاجة
لذكره هنا لانا لسنا بصدده قال القاضي ابو الفضل هو المصنف عياض رحمه الله
حكى ذلك المذكور كله القاضي اسماعيل بن اسحاق بن اسماعيل الازدي
البصري العلامة الرحلة في ساير الفنون والادب وكان ممن له معرفة بكتاب سيبويه
حتى عد من اقران المبرد حتى قيل لولا اشتغاله بالعلم ذكر المبرد ومات

سنة

سنة اثنتين وثمانين بعد المايتين في مبسوطه اسم كتاب له كما تقدم في باب فضل
مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والعلما متفقون على ان حكم ساير المساجد هذا الحكم
لان المقصود منها واحد فشرفها كلها لكونها محلا لعبادة الله تعالى فاذا اتفقت في
ذلك كان حكمها واحدا قال القاضي اسماعيل بن اسحق المتقدم وقال محمد بن
مسلمة المتقدم يكره في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم الجهر على المصلي فيما
يخلط عليهم صلاتهم اي يشوش عليهم والخلط مزج شي بشي من المايعات ونحوها بحيث
لا يتميز احدهما عن الاخر كالدقيق والشعير فالمراد ان اصواتهم لشدة
الجهر تلهيهم عن قراءتهم وصلاتهم فاستعير لذلك الخلط وليس كراهة رفع الصوت مما يخص
به المساجد فتثبت كراهة رفع الصوت ورفع اسم ليس خبره والجار والمجرور متعلق
ويكره رفع الصوت بالتلبية اي قول الحاج لبيك اللهم لبيك في مساجد الجماعات التي
يجتمع فيها للصلاة الجمعة ونحوها الا المسجد الحرام يعني مسجد مكة ومسجدنا يعني مسجد
المدينة لان محمد بن مسلمة كان من سكانها فرفع الصوت بالتلبية مامور به لحديث
افضل الحج العج والثج فالعج رفع الصوت والثج اراقة الدما ورفع الصوت مستحب
لغير المراة والخنثى وهذا مذهب مالك وخالفه غيره فجعله مستحبا في جميع المساجد
وانما كرهه مالك في المساجد لانها محل الخشوع وقال ابو هريرة رضي الله عنه في
حديث رواه الشيخان عنه عليه الصلاة والسلام صلاة في مسجدي هذا خير اي
افضل واكثر ثوابا من الف صلاة فيما سواه من جميع المساجد الا المسجد الحرام
يعني مسجد مكة المشرفة وسمي حراما لحرمة القتال فيه وكذا الصيد وقطع اشجاره
وتتمة الحديث وصلاة المسجد الحرام افضل من مايه صلاة في مسجدي هذا قال
القاضي ابو الفضل مصنف هذا الكتاب وهو عياض رحمه الله تعالى اختلف مبنيا
للمجهول اي اختلف العلما والفقها في معنى هذا الاستثنا يعني المراد بقوله الا المسجد
الحرام واختلافهم فيه مبني على اختلافهم في المفاضلة اي القول بانهما افضل من
الاخر بين مكة والمدينة فذهب الامام مالك في رواية اشهب بن عبد العزيز
ابو عمرو القيسي المصري تلميذ الامام مالك في روايته عنه اي عن مالك وقال عبد
الله بن نافع صاحبه اي صاحب الامام مالك الذي يروي عنه وجماعة اصحابه
اي اصحاب مالك الى ان معنى الحديث المذكور والاستثنا فيه لانه ان لم يكن خيرا
من الف صلاة فيما سواه احتمل ان تكون الصلاة في المسجد الحرام اكثر ثوابا من الصلاة
في المسجد النبوي وان الصلاة فيه تفضل صلاة المسجد الحرام باقل من الف او ان
الصلاة في المسجد النبوي لا تفضله بل تساويه والكل محتمل وهذه رواية اشهب
عنه ورواية ابن وهب وابن مطرف وابن حبيب من اصحاب مالك عندهم انه
للجمهور في تفضيل مكة على المدينة والاولون على ان معناه ان الصلاة في مسجد
الرسول صلى الله عليه وسلم افضل من الصلاة في ساير المساجد اي باقيها بالف
صلاة الا المسجد الحرام وان الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم افضل من

الصلاة فيه اي في المسجد الحرام بدون الالف اي اقل منه وهو تاويل بعيد وممن
استبعده من المالكية ابن عبد البر رحمه الله وناهيك به لما ثبت في مسند احمد عن
عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال صلاة في مسجدي هذا
افضل من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام
افضل من مائة صلاة في مسجدي هذا وسيذكره المصنف قريبا وهو حديث حسن كما ذكره
البيهقي كيف لا وقد مدحه الله وامر بالحج اليه وفي الحديث ايضا انه صلى الله عليه وسلم
وقف على راحلته بمكة وهو يقول والله انك لخير ارض الله واحب ارض الله الى الله
ولولا اني اخرجت منك ما خرجت رواه الترمذي والنسائي وقال انه حديث حسن
واحتجوا لما ذهبوا اليه من تفضيل المدينة بما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه صلاة في المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه اي غير مسجد المدينة لما
علم مما تقدم فتاتي فضيلة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم عليه اي على المسجد الحرام
بتسعمائة وعلى غيره بالف اي غيره من المساجد ورد بان هذه الرواية شاذة والمحفوظ
ما رواه سليمان بن عتيق عن ابن الزبير عن عمر رضي الله عنهم بلفظ صلاة في المسجد
الحرام افضل من الف صلاة فيما سواه الا مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فان فضله عليه
بمائة صلاة وقد روي من طرق وهذا اي ما ذكر من ان الصلاة في مسجد الرسول
افضل من الصلاة في مسجد مكة بدون الالف مبني على تفضيل المدينة على مكة كما
قدمناه قريبا وهو اي تفضيلها عليها قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومالك في احد
الروايتين عنه واكثر المدنيين اي علمائها وها لقوله صلى الله عليه وسلم ما بين قبري ومنبري
الخ ونحوه وذهب اهل مكة وعلماء الكوفة الى تفضيل مكة على المدينة وهو قول
ابن وهب وعطا وابن حبيب من اصحاب مالك في رواية عنه وحكاه الساجي بسين
مهملة وجيم نسبة الى ساج بلدة وهو ابو يحيى زكريا بن يحيى الضبي البصري عن الشافعي
رضي الله عنه لانه من ائمة الشافعية توفي بالبصرة سنة سبع وثلثمائة وله كتاب
جليل في علل الحديث وكتاب في اختلاف الفقها وهو حجة وان ضعفه بعضهم وله
ترجمة في الميزان وحملوا اي المفضلة لمكة الاستثنا في الحديث المتقدم على
ظاهره من استثنائه واخراجه مما فضل عليه مسجد المدينة فلا يكون مفضلا عليه
بل دونه لما عرفته فلا يرد انه يحتمل المساواة وهو على هذا استثني مما سواه لقربه
واحتجوا لما ذهبوا اليه بحديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله
عليه وسلم الذي اخرجه احمد وابن حبان بمثل حديث ابي هريرة رضي الله عنه
وفيه اي في حديث ابن الزبير وصلاة في المسجد الحرام افضل من الصلاة في
مسجدي هذا بمائة صلاة وروى قتادة مثله اي حديث ابن الزبير في افضلية
مكة فيأتي فضل الصلاة في المسجد الحرام على هذا الذي رواه ابن الزبير وقتادة
على الصلاة في سائر المساجد بمائة الف وفيما قاله شي لانه كما قيل اسقط منه
مضاف الى صلاة اي مائة الف صلاة وهو كذلك في رواية احمد وابن ماجة باسنادين

صحيحين فلا يخفى ما فيه وحديث ابن الزبير هذا رواه صدره ابو هريرة وعجزه
عمر كما عرفته ولا خلاف بين العلما والمحدثين في ان موضع قبره اي الموضع الذي
قبر فيه صلى الله عليه وسلم وضم جسده الشريف افضل من سائر بقاع الارض
كلها بل هي افضل من السموات والعرش والكعبة كما نقله السبكي لشرفه صلى الله
عليه وسلم وعلو قدره وقال القرافي في القواعد للتفضيل اسباب فقد يكون للذات
كتفضيل العلم وقد يكون بكثرة العبادة له او لما وقع فيه وقد يكون بالمجاورة كتفضيل
جلد المصحف وقد يكون بالحلول كتفضيل قبره صلى الله عليه وسلم على البقاع فلا وجه
لانكار ما في الشفا بان التفضيل انما هو بكثرة الثواب على الاعمال ولا عمل على القبر
فانه ممنوع ويلزمه ان لا يكون جلد المصحف بل المصحف وبطلانه معلوم من الدين بالضرورة
ووافقه السبكي رحمه الله فقال الاجماع على ان قبره افضل البقاع وهو مستثنى من
تفضيل مكة على المدينة كما قيل

جزم الجميع بان خير الارض ما ... قد حاط ذات المصطفى وحواها
ونعم لقد صدقوا بساكنها علت ... كالنفس حين زكت زكى ماواها

وقال ابن عبد السلام التفضيل يكون لامور غير العمل فقبره صلى الله عليه وسلم افضل
الامكنة لتجلي الله بما ينزل عليه من الرحمة والرضوان والملائكة ولا حاجة الى ما قيل
انه صلى الله عليه وسلم حي في قبره له اعمال فيه مضاعفة وان كان صحيحا ولو سلمنا ان
المكان لا فضل له في ذاته كفى انه لاجل ما حل فيه ونقل السروجي من الحنفية لم يجد من
تعرض في مذهبنا للبقعة فيه بل لعدم وقوفه عليه ويكفي لفضله ما اشتهر بان كل
احد يدفن في التربة التي خلق منها قلت وفي هذا فضل لصاحبيه وقد كفى شرفا لهما
كما سرحين قال في عوارف المعارف روي عن ابن عباس ان اصل طينته صلى الله عليه
وسلم من سرة الارض وهو موضع الكعبة بمكة فاول ما اجاب ذرته صلى الله عليه وسلم
ومنها دحيت الارض فهو اصل التكوين والكائنات تبع له ولما تموج الطوفان
رمى بطينته لمحل دفنه فمن الكعبة لم يدفن الا في اصل الكعبة الذي خلق منه صلى الله عليه وسلم
انتهى وهو غريب لا يعلم مثله الا بالنقل وهو ثقة ويؤيده ما جاء في بعض الاثار ان
سليمان عليه الصلاة والسلام زار محل قبر نبينا واخبر انه سيقبر فيه وترك ثم اربعة
من احبار بني اسرايل ينتظرون بعثته ويخبرونه ايهم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به
فلعنة الله على الكافرين وههنا بحث وهو ان البقعة التي ضمت الجسد المعظم
اذا كانت افضل من سائر البقاع يلزم ان تكون المدينة افضل من مكة بلا نزاع لان
المدينة هي تلك البقعة مع زيادة وزيادة الخير خير فكيف يتصور الخلاف بينهم على
هذا بل تفضل المدينة بعد هجرته صلى الله عليه وسلم اليها واقامته بها تفضيل مكة
حينئذ لان شرف المكان بالمكين فلا بد من تحرير الخلاف حتى يقام عليه الدليل
وفي كلام شيخنا ابن قاسم مقتضى ما تقرر ان فضل البقعة التي ضمت اعضاءه عليه
الصلاة والسلام ثابت قبل دفنه فيها وقبل موته بل وقبل هجرته نعم قبلها التفضيل

على الكعبة والعرش والكرسي انما ثبت بعد دفنه فيها لشرفها به لا لفضل لانها حينئذ
ليس فيها الا مجرد جزء من الكعبة فلا يزيد على بقية اجزائها الا ان يقال اعدادها لدفنه
صلى الله عليه وسلم فيها اقتضى مزيتها على جميع الاجزاء قبل دفنه فيها ايضا وهل البقعة
المذكورة افضل من منزله عليه الصلاة والسلام في الجنة او منزله فيها افضل كما يسبق
الى الفهم وقد يقال هذه افضل ما دام فيها فاذا صار في الجنة صار منزله افضل وقد
يقال يجوز ان تكون هذه منقولة من منزله في الجنة او ينقل اليها فلها حكمه فانها مثل
انتهى واعلم ان العز بن عبد السلام لما قال ان الازمنة والامكنة متساوية
لا تفاضل فيها ظن بعضهم ان القبر الشريف لا يتصور تفضيله لذاته فان التفضيل للمكان
انما هو بحسب فضل الاعمال الواقعة فيه ورد بان التفضيل له اسباب غير ذلك كما مر
وفضل الاعمال في المدينة على اعمال مكة غير مسلم كما مر ولو سلم فيها اعمال كثيرة ليست
لغيرها كالحج والعمرة والمناسك فهي تزيد بذلك فان قال مالك في الفضيلة ايضا
ما ليس في غيرها كمجاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهور الاسلام ونحوه فالخلاف
لفظي فتدبر قال القاضي ابو الوليد الباجي هو حدثنا وقد تقدمت ترجمته الذي
يقتضيه الحديث المتقدم الذي في فضل مسجديهما مخالفة حكم مسجد مكة
لسائر المساجد حتى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم لانه ذكر فيه التفاضل بين الصلاة
في المسجدين ولا يعلم منه اي من الحديث الذي استدلوا به حكمها اي حكم مكة في التفاضل
مع المدينة اي بالقياس اليها بالتفاضل وايهما الافضل وهو الذي ذكر الخلاف فيه
بين مالك وغيره وذهب الطحاوي هو الامام ابو جعفر محمد بن محمد الحنفي الى ان هذا
التفضيل بالضاد المعجمة اي تضعيف اجر الصلاة باحد المسجدين مسجد مكة والمدينة
وضبطه بعضهم بالصاد المهملة وقال انه المسموع عن المحفوظ في الاصول والظاهر الاول
انما هو في صلاة الفرض وانه الذي يجبنا عن ثوابه وعممه بعضهم في الفرض والنفل
واليه اشار بقوله وذهب مطرف بفتح الميم وفتح الطاء وكسر الراء المهملتين المشددة
وفاء وهو ابو مصعب مطرف بن عبد الله بن مطرف اليساري المدني ابن اخت الامام مالك
روى عنه البخاري وهو ممن جاز القنطرة حتى روى عنه مالك وان كان من اتباعه
في الفقه توفي سنة عشرين ومائتين وعمره ثلاث وثمانون سنة من اصحابنا اي
المالكية وقيد به احترازا عن مطرف بن عبد الله بن الشخير البصري الزاهد
توفي سنة خمس وتسعين كما في الحلية لابي نعيم الى ان ذلك اي مضاعفة ثواب الصلاة
في النافلة ايضا اي كالفرض لظاهر عموم الحديث وهو المختار عند الشافعي اذ لا
داعي للتخصيص بل شامل لسائر العبادة بدلالة النص كما اشار اليه بقوله قال اي مطرف
وقيل الضمير للطحاوي وجمعة خير من جمعة اي ثواب جمعة فيه يزيد على جمعة في
غيره ويحتمل انه جمع جمعة مضاف لضمير المسجد والاول اولى لقوله ورمضان فيه
خير من رمضان في غيره وهو منون مصروف لتنكيره وقد ذكر عبد الرزاق بن همام
الحافظ المحدث كما تقدم في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها من البلاد

حدثنا

حدثنا نحوه اي مثل الحديث المذكور في فضل الطهارة وهو ما رواه الطبراني
وغيره عن بلال رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لصيام شهر رمضان في
المدينة كصيام الف شهر فيما سواها ثم رجع الى بيان فضائل المدينة فقال
وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان ما بين بيتي ومنبري روضة
من رياض الجنة تقدم بعض من الكلام عليه وان الروضة ارض في مكان مطمئن
ذات اشجار ومياه ومثله في معناه ولفظه عن ابي هريرة رضي الله عنه وابي
سعيد الخدري رضي الله عنه وزاد فيه ابو سعيد كما في الموطا ومنبري على حوضي
قيل انه تمثيل لان الذكر والعبادة عنده والانقياد تورث الري من العطش في هول
القيامة وفي حديث اخر تقدم منبري على ترعة من ترع الجنة وتقدم بيانه وهو تمثيل
ايضا وتقدم تفسير الترعة قال الطبري محمد بن جرير لا الكيا كما قيل فيه معنيان
اي وجهان واحتمالان احدهما ان المراد بالبيت بيت سكناه الذي كان يسكنه
وهذا مبني على الظاهر المتبادر من لفظه مع انه ورد في بعض الروايات ما يبينه ويعين
المراد منه وهو ما بين حجرتي ومنبري لان الحجرة بيتي الكائن محل السكنى على وجه الارض
وقد فسرت بالغرفة فلم يبق احتمال ارادة القبر لانه لا يطلق عليه حجرة والثاني ان
البيت هنا اي في الحديث المذكور المراد به القبر فانه يطلق عليه بيت مجازا لان
معناه ما يبيت فيه الحي وقد يراد هنا انه صلى الله عليه وسلم حي في قبره وهو قول زيد
ابن اسلم الفقيه العدوي كما تقدم في هذا الحديث وفسره به كما روى ما بين قبري
ومنبري فهذا يؤيده ويوفق بين القولين بما قال الطبري واذا كان قبره في
بيته اتفقت معاني الروايات ولم يكن فيها خلاف بحسب المعنى لان قبره في حجرته
وهو بيته واخباره به صلى الله عليه وسلم قبل موته اخبار باحدى المغيبات الخمس فهو
من معجزاته وقوله في هذا الحديث ومنبري على حوضي في تفسيره اقوال منها
ما قيل انه يحتمل انه منبره المعروف بعينه الذي كان في الدنيا وهو الاظهر
لتبادره من غير داع لتأويله فينقل ويجعل ثمة كما ان الجذع الذي كان صلى الله
عليه وسلم يخطب عنده يغرس في الجنة كما مر وبابه والقول الثاني ان يكون
له هناك اي في الجنة عند الحوض منبر اخر يوضع له عند الحوض تكريما له صلى
الله عليه وسلم لتقدمه عليه لدعوة الخلق لحوضه تكريما له ولامته والقول الثالث
انه ليس على حقيقته بل من باب ذكر السبب والمراد ان قصد منبره والحضور
عنده في الدنيا لملازمة الاعمال الصالحة متعلق بقصده او حضوره وعلة
مقدمة لقوله تورد الحوض وتوجب الشرب منه لاعماله الصالحة في الدنيا
قاله الباجي تقدم بيانه وقوله في الحديث روضة من رياض الجنة يحتمل
معنيين وتفسير بانه انه موجب لذلك اي مقتض له اقتضاء محققا وكانه موجب
له اي لدخول روضة من رياض الجنة لمن دخله في الدنيا وان الدعاء والصلاة
فيه اي فيها دون المقبرة والقبر يستحق صاحبها ذلك من الثواب بيان

لذلك او تعليل له فيه تجوز كما قيل في حديث صحيح في الترغيب في الجهاد والشهادة فيه الجنة تحت ظلال السيوف كناية عن دنو المجاهد من الجنة حتى كانه اذا رفع سيفه للضرب به او علاه سيف من يضرب به فهو ظله فالجنة تحت ذلك الظل او ظلال السيوف كناية عن القتال بها فجعله سببا لدخول من اظلته الجنة وبعد امراد التناهي هنا والثاني من معانيه المحتملة ان تلك البقعة من بقاع المسجد الذي بين القبر والمنبر قد ينقلها الله من الدنيا الى الاخرة فتكون في الجنة بعينها فهو على حقيقته قال الداودي هو احمد بن نصر شارح البخاري وهو ابو جعفر الاسدي السكري التلمساني توفي بتلمسان سنة اربعين واربعماية وتلمسان بكسر التا واللام وبذال تلمسين ويجوز تسكين لامها وفي نسخة الماوردي وقال ابن حجر المعنى قوله روضة الخ انه كروضة من رياض الجنة في نزول الرحمة وحصول السعادة لمن يلازم حلق ذكرها لاسيما في عهده صلى الله عليه وسلم فهو تشبيه بليغ ومعناه ان العبادة فيه تؤدي الى الجنة او هو على ظاهره بان ينقل من الدنيا للاخرة قال والوجوه الثلاثة على ترتيبها في القوة فالوجه الاخير اضعفها وقال بعضهم انما قواها لانه الاصل الحقيقة ولا يخفى ما فيه ثم قال ابن حجر والاظهر الجمع بين المعنيين بمعنى انها تنقل الى الجنة وتؤدي الى رياضها ويؤيده ويؤيد ان الصلاة فيه بالصلاة في غيره وان الجذع الذي كان صلى الله عليه وسلم يخطب عنده يغرس في الجنة فهذا ايضا يقتضي ان البقعة تنقل اليها ايضا ولا يخفى ما بين اول كلامه واخره من التدافع وقوله الجنة تحت ظلال السيوف حديث صحيح كما مر رواه الشيخان ايضا عن عبد الله بن ابي اوفى وأوله انه صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته انتظر حتى مالت الشمس ثم قام في الناس خطيبا فقال يا ايها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم وفي الحماية انه كناية عن الضرب والجهاد والدنو منه والظل والفي بمعنى وقد يقال الظل لما قبل الزوال والفي لما بعده كما فصله اهل اللغة وقلت في نظمه

قلت لما رنا طرفه بناظر اهدى البنا الحتوف
اوجنة من غنت اهلها ام جنة تحت ظلال السيوف

وروى ابن عمر في حديث رواه وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم انه صلى الله عليه وسلم قال في حق المدينة والساكنين بها انه لا يصبر على لاوايها بفتح اللام وسكون الهمزة وواو بعدها ها مد وشدتها عطف تفسير لان اللاواء الشدة والمشقة والضيق وجاء في بعض الطرق ورجح الاخير فيكون تأسيسا احد فاعل يصبر الا كنت عبر بالماضي لتحققه اي اكون له شهيدا او شفيعا يوم القيامة قال المصنف والنووي او هنا ليست للشك في الراوي لانه رواه نحو عشرة من الصحابة كذا ولا يظهر اتفاقهم على الشك فهو صلى الله عليه وسلم

قال

قوله هكذا قال وللتقسيم اي شهيدا لبعض وشفيعا لبعض او شفيعا للطائعين او لمن مات في حياته وشفيعا للعاصين ولمن مات بعده وشهادته لهم بانهم ماتوا على خير وشفاعته لهم بتضعيف ثوابهم او تخفيف حسابهم وغير ذلك وينبغي ان يكون هذه خصوصية زائدة لعموم اللفظ فيه صلى الله عليه وسلم وشهادته كما قال تعالى وجئنا بك على هؤلاء شهيدا او ان او بمعنى الواو وقال بعضهم انما للشك وعليه رواية شهيدا ظاهرة ورواية شفيعا المراد بها شفاعة خاصة بهم بعلو درجاتهم وجعلهم في جواره دنيا واخرة وفي الحديث دليل لمن استحب الجوار بالحرمين ومن كرهه لامر خاص ممن لا يراعي حقوقهما لمضاعفة الاعمال ثمة وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان فيمن تحمل عن المدينة اي رحل عنها وفارقها مختارا السكنى غيرها عليها ومعنى تحمل رفع حمله وامتعته منها فكنى به عما ذكر وفي نسخة يتحمل وهما بمعنى والمدينة خير لهم من غيرها من البلاد لو كانوا يعلمون فيه ايجاز اي لو كانوا يعلمون فضلها ما اختاروا غيرها من البلاد ويحتمل ان لا يقدر شي والمعنى لو كانوا من ذوي العلم والادراك وهو ابلغ في ادا المراد ولو شرطية او للتمني اي ليتهم علموا ذلك وهو من حديث طويل معناه انه ستفتح بلاد اليمن والشام والعراق فيأتي منها قوم يبسون فيتحملون باهلهم ومن اطاعهم ثم يرحلون عن المدينة وهي خير لهم والحديث في البخاري وشروحه وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم باخباره بالمغيبات لانها فتحت في ايام الخلفا واختاروا سكناها وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن جابر رضي الله عنه انما المدينة كالكير بكسر الكاف وسكون المثناة التحتية وراء مهملة وهي آلة الحداد معروفة ينفخ بها النار لاحمائها على الحديد والكور البنا من طين ونحوه يوضع عليه وقيل هما بمعنى والياء منقلبة عن الواو وهما من الكور وهو الزيادة وقيل الكير حانوت الحداد وفي النهاية الكير البنا الذي يبنيه الحداد لاجل النار وقيل هو الزق والمعروف فيه الاول وفي الصحاح خلافه ووجه الشبه انها تنفي خبثها بفتحتين واخره مثلثة يطلق على المعنوي لغة اي تخرج ما خبث منها ولا تقبله كما ينفي الكير خبث الحديد لان ما فيه من الصدا والاجزاء التي ليست خالصة منه تطير عنه مع الشرر ويبقى خالصه فكذلك المدينة لا يخرج عنها ويختار غيرها من غير ضرورة الا من خبثت طويته فهو لا يترك فيها من في قلبه غل وعدم صدق فيميزه عن غيره كما يميز الحداد بكيره جيد الحديد من رديه وتنصع طيبها بكسر الطاء وسكون المثناة التحتية وموحدة وروي طيب بزنة سيد وهو مرفوع فاعل وينصع بفتح الياء وسكون النون وفتح الصاد المهملة وبعدها عين مهملة اي يخلص ويبقى خالصا فيها دائما طابت كما يبقى من الحديد جيده ويذهب رديه من النصوع وهو صفا البياض ومنه ابيض ناصع واكثر الرواة على تشديد يا طيبه وان تنصع بمثناة فوقية ونصب طيبها وفاعله ضمير المدينة وظبط القزاز طيبها بكسر اوله واستشكله بان التصريح لا يعرف في الطيب

والمعروف فيه يضوع بصاد مهملة وواو مشددة وأعرب في الفائق فقال إنه
بموحدة وضاد معجمة من البضع التاجر أعطى البضاعة أي يعطي طيبها من يسكنها
وتبعه في النهاية وقال الصاغاني إنه خالف فيه جميع الرواة وكأنه تصحيف وروي
تنضخ بضاد وخاء معجمتين وفيه روايات مختلفة أصحها أنه بصاد وعين مهملتين
بعد النون وقال المص في شرح مسلم الأظهر أن هذا مختص بزمنه صلى الله عليه وسلم
والهجرة واجبة لأنه لا يصبر على الهجرة والإقامة بها إلا من ثبت على إيمانه لا
المنافقون وجهلة الأعراب كما وقع للأعرابي الذي أصابه الوعك وقال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم أقلني فقال هذا في حقه وقال النووي ليس هذا الظاهر لما
في صحيح مسلم لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها يعني في زمن الدجال وأن
المدينة ثلاث رجفات يخرج منها كل كافر ومنافق ويحتمل أن يكون هذا في أزمنة
متفرقة انتهى قلت إن أراد المص أنه المراد بهذا الحديث بقرينة سببه وقصة
الأعرابي لا يرد عليه ما قاله النووي وروي عنه وفي نسخة وقال صلى الله عليه وسلم
كما في مسلم رواية عن جابر رضي الله عنه لا يخرج أحد من المدينة رغبة عنها من
غير داع له ولا ضرورة إلا أبدلها الله خيرا منه يقال رغب عنه إذا كرهه فالمعنى
عنه ذلك ولا ينافي أن بعض الصحابة ارتحل عنها كبلال ومعاذ وأبي موسى الأشعري أو
هو مخصوص بزمنه صلى الله عليه وسلم إذ كانت الهجرة إليها واجبة وروي عنه صلى الله عليه
وسلم أنه قال في حديث رواه البيهقي والدارقطني عن عائشة رضي الله عنها بسند ضعيف
من مات في أحد الحرمين حرم مكة والمدينة حاجا ومعتمرا أي قاصدا الإحرام
بحج وعمرة وهو حال من الفاعل بعثه الله يوم القيمة لا حساب عليه ولا عذاب
وإنما فسرناه بقاصد الإحرام لأن الإحرام من المدينة لا يتصور إلا لمن أحرم
من ذي الحليفة أهله أو لعمرة رمضان مثلا والإحرام من الميقات أفضل عند بعضهم وقيل
بتقدير أو زائرا إذ التقييد لأحد الحرمين بعلمها لعبرة وهو متجه أيضا وقوله
لا حساب عليه ولا عذاب حال مقدرة أو مؤكدة يبشر وكونه وفي طريق آخر في
هذا الحديث للبيهقي والطبراني بعث أي أحيي بعد موته من الآمنين يوم القيمة
أي آمنا من مناقشة الحساب والعذاب وعن ابن عمر رضي الله عنهما في حديث
رواه ابن ماجة وابن حبان والترمذي وصححه من استطاع أن يموت
بالمدينة أي يقيم بها حتى يموت لأن الموت ليس بمقدرته واختياره فليمت بها
أي فليقم بها حتى يأتيه الموت كما سمعته آنفا والأمر للاستحباب فإني أشفع
لمن يموت بها شفاعة خاصة به كما مر لأنه في جواره وحمايته وهو صلى الله عليه
وسلم أرض بالكبار وروي فإنها تشفع على الإسناد المجازي فإن قيل فرجاء ما يعارض
هذا وهو ما رواه النسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال
مات رجل بالمدينة ممن ولد بها فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال
يا ليته مات بغير مولده قالوا ولم ذاك يا رسول الله قال إن الرجل إذا مات

بغير

بغير مولده قيس له من مولده إلى منقطع أثره في الجنة وذكره ابن طاهر في الصفوة
وبوب عليه إيثار الغربة على الوطن فالجواب إن صح ذلك فلا معارضة بل الحديث
خاص بمن لم يولد بالمدينة وقد أحسن المص بجمعه ما يتعلق بالمدينة مع ذكر الحرمين
لذكره بعده ما يتعلق بمكة كما أشار إليه في الترجمة وقوله وقال تعالى إن أول
بيت وضع للناس إلى قوله آمنا مشروع في بيان فضل مكة ووضعه للناس
جعله متعبدا أو قبلة لهم وبكة ومكة بمعنى جاءت واللغتان فيهم كثيرا وقيل
بكة موضع الكعبة ومكة اسم البلد وقال آخرون مكة الحرم كله وبكة المسجد
خاصة حكاه الماوردي عن الزهري وابن أسلم وبكة من بكه إذا دقه وهي تدق
أعناق الجبابرة إذا قصدوها بسوء ومهواتها إلى ازدحام الناس إذ طافوا
وسئل صلى الله عليه وسلم عن أول بيت وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت
المقدس فقيل كم بينهما فقال أربعون سنة وهو حديث صحيح لكنه مشكل لأن
وضع المسجد في زمن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ووضع بيت المقدس
في زمن داود وسليمان وبينهما زمان أطول من تلك الأربعين بأضعاف مضاعفة
وأجيب بأن داود عليه الصلاة والسلام لم يضعه وإنما عمره كما بيناه في حواشي
البيضاوي وتفسير الآية ظاهر تكفلت به التفاسير وبركته كثرة الخير فيه
ومضاعفة ثواب العمل فيه قال بعض المفسرين في هذه الآية قوله ومن
دخله كان آمنا أمنه من النار وعذابها في الآخرة إذا دخله مؤمنا به ورد
أنه يدخل الجنة بغير حساب وقيل المراد بالأمن أمنه في الدنيا وفي بعض
بل إضراب عن التفسير الأول كان يأمن من الطلب من أحدث حدثا
أي فعل أمرا يستحق به العقوبة كالقتل ولجأ بالهمز بوزن ضرب بمعنى التجأ واعتصم
من عدوه إليه أي إلى المسجد الحرام بدخوله هاربا في الجاهلية وهو زمن الفترة
بين عيسى ونبينا صلى الله عليهما وسلم سمي به لكثرة الجهل فيه فكان الرجل إذا جنى
جناية ودخله لا يمسكه أحد حتى يخرج وقال أبو حنيفة من لزمه القتل ودخل الحرم
لا يتعرض له ولكنه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر للخروج
منه وغيره يقول إن الحدود تقام ويؤخذ من دخله فارا وإليه أشار المص بقوله
وهذا أي قوله من دخله كان آمنا مثل قوله تعالى وإذ جعلنا البيت أي الكعبة
وحرمها مثابة للناس أي ملجأ ومرجعا من ثاب يثوب إذا رجع ومثابة اسم مكان عرضي
منه ومعناه ملجأ لكل مطلوب بجرم ولا يليق تفسيره هنا بمرجع الزيارة لأنه يأباه
سياق المص لقوله وأمنا في قول بعضهم إشارة إلى أن في الآية أقوالا آخرها
أنه محل الثواب وحكي أن قوما أتوا سعدون الخولاني بخاء معجمة نسبة لخولان قبيلة
من اليمن مشهورة واسمه أكل بن أحمد بن مالك وهو من أهل العلم وأن وعظه
علمائها وسعدون لقب له بصورة الجمع ومثله يجوز فيه الصرف وعدمه للعلمية وشبه عرضي
العجمة وقول بعض الشراح إنه منصرف لا وجه له لما وقع في بعض كتب الحديث

من ضبطه غير منصرف غفلة منه **بالمنسر** البابحي في والمنسر بميم ونون
وسين مهملة ومثناة فوقية وراء مهملة وهو لفظ ذو معناه عندهم جماعة للرهط
على الطريق لينهبوا فيه ابناء السبيل والذي سمعناه منهم فتح الميم والفتح سكون
السين وكسر التاء الفوقية وياء تحتية وقد يخفف بحذف الالف والباء وهذا مما لا شبهة
فيه عندهم فقوله في القاموس منسترٌ بميم وفتح النون موضع بافريقية معبد الزهاد والمنقطعين
وبلد اخرى بافريقية اهله من قريش بينه وبين القيروان ستة مراحل وموضع بشير
في الاندلس انتهى مخالف لما صح سماعا فان ظنه عربيا فتوحطا وان كان عرب وحيد
كان عليه ان ينبه عليه وقال الشمني انه بفتح الميم والنون ويجوز كسر نونه والعامة
تفتحها وعليه اقتصر الشمني وهي بلدة بساحل البحر او حصن باطرابلس افريقية له سور
بناه هرثمة بن اعين حين بعثه الرشيد لافريقية سنة تسع وسبعين ومائة وهو الذي
بين سوسة وطرابلس الغرب **فاعلموه ان كتامة** بضم الكاف وفتح المثناة الفوقية
والف وميم مخففة اسم لقبيلة من البربر واصلهم بها قيل من حمير **فقتلوا رجلا واضرموا
عليه النار** اى اوقدوها وقودا شديدا **طول الليل منصوب على الظرفية** والطول
بضم الطاء المهملة مصدر طال وطول الليل بمعنى الليل كله والناس يستعملونه بهذا
المعنى تسمحا وتجوزا ووجهه الطول ابعد الامتداد فيما شغله شغل غيره بالطريق
الاولى وقد سمع في كلامهم كقول الوزير المهلبي
قال لى من احب والبين قد جد ... وفي مهجتي لهيب الحريق
ما الذي في الطريق تصنع بعدى ... قلت ابكي عليك طول الطريق
ثم استعملها لا طول له ولا عرض كقوله تعالى فذو دعاء عريض **فلم تعمل فيه** وهو مجاز
بمعنى لم تؤثر فيه **وبقي ابيض اللون** لم يتغير لونه ولم يحرق اسود لونه وفي نسخة
ابيض البدن **فقال لعله** اى الرجل المقتول والفاء فصيحة اى وسيل عن قوله
تعالى الخ ولعل هنا مجاز عن الظن اذ لا وجه للترجي هنا **حج ثلاث حج** بكسر الحاء جمع
حجة وهي المرة من الحج **قالوا** اى الامر كذلك **قال حدثت** بالبناء للمجهول اى روى لي
من سمعت منه الحديث عنه صلى الله عليه وسلم **ان من حج حجة** اى مرة **ادى فرضه** لانه
فرض على كل احد ان يحج في عمره مرة لقوله تعالى ولله على الناس حج البيت الاية **ومن
حج ثانية** بعد اداء الفرض **داين ربه** اى اقرضه كقوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا
حسنا والدين والقرض دفع شيء الى غيره ليرد مثله او بدله قال الراغب قال ابو عبيدة
يقال دنته اذا اقرضته فهو داين وذاك مدين ومديون وهو لما لم يكن هذا الحج فرضا
عليه كانه اعطاه له قرضا يرد عليه ثوابه الذي هو كبدل القرض فهو استعارة ومن
ثم دان بمعنى اطاع وعبد لم يصب وفي نسخة داين مفاعلة منه وهما بمعنى وتمام الحديث
**فنادى عند الملك من عند الله من كان له عند الله دين فليقم ومن حج ثلاث حج حرم
الله شعره وبشره** اى ظاهر جلده وبدنه **على النار** اى لم تحرقه ولم يدخله نار
جهنم وفيه كناية بليغة وقوله فنادى الخ سقط من بعض النسخ والمراد بقوله

نحم ٢

دى

يوم
غدا يوم الجمعة واصل معناه اليوم الذي تبلى يومك فعبر به ابا العز به وهذا الحديث
لا يعرف من رواه **ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة** لما هاجر او
في حجة الوداع او يوم الفتح كما رواه الطبراني في الاوسط عن جابر رضي الله عنه
قال مرحبا بك بفتح الكاف وكسرها اصله دعاء للقادم بالرحب والسعة اي رحب
به هنا اظهارا لمحبته لها والقرب منها **من بيت** بيان للمدعو له **ما اعظمك** عند الله
وعند الخلق **واعظم حرمتك** اى احترامك وشرفك وهو تعجب اريد به المبالغة
في عظمته وتعظيمه **وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ما من احد يدعو الله عند
الركن الاسود** المراد به الركن الذي فيه الحجر الاسود وهو معروف **الا استجاب الله
له** دعاه اى قبله واعطاه ما دعا به او ادخر امثاله والحجر الاسود لما نزل من الجنة كان
اشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بني ادم واتخى سواده ليكون عبرة والكلام عليه
مبسوط في تاريخ مكة **وكذلك** يستجاب الدعا **عند الميزاب** والملتزم والصفا والمروة
وغيرها من المواطن التي جاء في الحديث الصحيح استجابة الدعا عندها والميزاب هو
المسمى الان ميزاب الرحمة وهو مسيل ما السطح وهو معروف من جانب الحجر وفي
كتاب العلل لابن فارس الميزاب مهموز واصحابنا يقولون ليس فيه همز لانه من وزب
يزب اتى وهو زب بمعنى سال ويقال انه فارسي معرب معناه بل الماء واطال الثعالبي
هنا بذكر مساحة البيت والحرم وغيره مما ليس هذا محله **وعنه** اى روى عنه **صلى
الله عليه وسلم** والراوي هو الحسن البصري في رسالته الى اهل مكة **من صلى خلف المقام**
اى مقام ابراهيم الخليل المعروف الذي قام عليه لما بنى الكعبة **ركعتين** فلة **غفر له ما
تقدم من ذنبه وما تاخر وحشر يوم القيامة من الامنين** من العذاب وهول المحشر
والمغفور الصغاير والكباير وقيل الصغاير فقط والمقام معروف في موضعه الذي كان
فيه قديما وتفضيله في تاريخ مكة **قرات على القاضي الحافظ ابو على** هو ابن سكرة وقد
تقدم **قلت حدثك ابو العباس العذري** قد تقدمت ترجمته وهذا طريق من طرق
الرواية بقولها التلميذ لشيخه ويصدقه عليه **قال حدثنا ابو اسامة محمد بن احمد
الهروى قال حدثنا الحسن بن رشيق** عبد الغنى بن سعيد العسكري الحافظ العالي
السند وترجمته في الميزان بطولها **سمعت ابا الحسن محمد بن الحسن بن راشد** في الميزان
محمد بن الحسن بن علي بن راشد الانصاري وفيه كلام **سمعت ابا بكر محمد بن ادريس** ذكر
كنيته وقدمها لئلا يلتبس بمحمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه فان كنيته ابو عبد الله
لا ابو بكر وهو محمد بن ادريس بن عمرو هو من اهل مكة **سمعت الحميدي** بالتصغير وهو
عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبد الله القرشي الاسدي المكي صاحب الشافعي ورفيقه
في رحلته لمصر وهو شيخ البخاري وهو لاهل الحجاز كاحمد بن حنبل لاهل العراق وهو
نسبة لحميد بطن من اسد بن عبد العزى وقيل نسب للحميدات وهي قبيلة توفي سنة تسع
عشرة او عشرين ومايتين **قال سمعت سفيان بن عيينة** تقدم بيانه **قال سمعت
عمرو بن دينار** تقدمت ترجمته **قال سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله**

الا استجيب لي ٢
صح

صلى الله عليه وسلم يقول ما دعا أحد بشيء في هذا الملتزم بزنة اسم المفعول من التزمه إذا اعتنقه سمي به لالتصاق الناس في الدعاء عنده وهو ما بين باب الكعبة والحجر الأسود وقدره عشرة أشبار وأربعة أذرع وتسميته بهذا ثابتة وردت في الحديث ويسمى المدعى والمتعوذ بفتح الواو المشددة وهو أحد المواضع التي ورد استجابة الدعاء فيها وقد جرب ذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا استجيب لي إلى آخر الحديث وهو ظاهر غير محتاج للشرح إلا كلمات يسيرة فيه والفاء في قوله فما دعوت الله الخ أما زائدة بناء على أنه يجوز زيادتها في الخبر مطلقا والمشهور زيادتها في الخبر إذا تضمن المبتدأ معنى الشرط نحو وما بكم من نعمة فمن الله وبعضهم قيد زيادتها بكون الخبر أمرا ونهيا كقوله وقائلة خولان فانكح فتاتهم وإما عاطفة على مقدر تقديره وأنا جربت ذلك فما دعوت الخ وإما جواب شرط مقدر أي إن سألت عما عندي فيه فما الخ وقوله منذ في الجميع روي مذ بدون نون ومنذ بضم أوله وكسره معناه أشهر من أن يذكر وقال عمرو بن دينار الراوي عن ابن عباس وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس إلا استجيب لي وقال سفيان المتقدم ذكره وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو بن دينار إلا استجيب لي وقال محمد بن إدريس المكنى بأبي بكر وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي إلا استجيب لي وقال أبو الحسن محمد بن الحسن وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن إدريس المتقدم إلا استجيب لي وهذا الحديث مسلسل بالسماع رواه البيهقي وسعيد بن منصور وغيرهما من طرق بينوها قال أبو أسامة وما أذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيئا أي لم يحفظ عنه أنه قال كغيره وأنا فما دعوت الله بشيء إلا استجيب لي والتسلسل قد يقطع بعض منه في أوله وآخره أو وسطه فلا يضر التسلسل مع أن هذا الذي يقطع في الوقائع والحادثة المسلسلة صحتها قليلة وتقدم أن التسلسل يقع بأمور متغايرة من الأقوال والأفعال والأمكنة والأزمنة كما فصل في مصطلح الحديث وأنا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق إلا استجيب لي من أمر الدنيا وأنا أرجو أن يستجاب لي من أمر الآخرة قال العذري وأنا فما دعوت الله في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من أبي أسامة إلا استجيب لي قال أبو علي وأنا قد دعوت الله فيه بأشياء كثيرة استجيب لي بعضها وأرجو من سعة فضله أن يستجيب لي بقيتها أي أرجو ذلك لزيادة كرمه وسعة بفتح السين وكسرها بمعنى الوسع قال القاضي أبو الفضل عياض مصنف هذا الكتاب رحمه الله ذكرنا نبذا بفتح النون وسكون الموحدة وذال معجمة أي شيئا قليلا وأصل معناه الطرح والرمي كأنه لقلته مما يطرح ويجوز ضم أوله وفتح ثانيه على أنه جمع نبذة كما مر من هذه النكت جمع نكتة وتقدم بيانها

في

ابن فرفاس

في هذا الفصل الذي نحن فيه وإن لم يكن من الباب أي من المعاني التي عقد لها الباب فإنه معقود للصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمه فذكرنا فضل مكة وحرمها ليس منه بل من موضوع كتابه لتعلقها أي لمناسبتها بالفصل الذي قبله من ذكر مسجده صلى الله عليه وسلم وما يتعلق به حرصا على تمام الفائدة بإفادة أمور مهمة يرغب فيها والشيء بالشيء يذكر والله الموفق للصواب برحمته أي بفضله وإنعامه لا بكدنا وكسبنا

القسم الثالث

من هذا الكتاب فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم المراد به الوجوب الشرعي والعقلي لقوله وما يستحيل في حقه أي يعد كالمحال عقلا لأنه لا يليق بجنابه العظيم أو عادة وأصل معنى الاستحالة التغير من حالة إلى أخرى ومنه استحال الخمر خلا أو يجوز عليه مما لا يخل بشريف مقامه وما يمتنع في حقه شرعا وعادة وعقلا أو يصح وصفه به وإطلاقه عليه كما سيأتي من الأحوال البشرية أي التي نظر وعليه باعتبار أنه ولوجوبها له أن يضاف إليه أي تنسب إليه والإضافة بمعناها اللغوي لا النحوي ثم صدر الكلام بآية دالة على ما سيأتي إجمالا لا تفصيلا قال الله تعالى في حقه صلى الله عليه وسلم وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية أفإن مات أو قتل الآية فهذا بيان لما يجوز ويصح من الأحوال البشرية كالموت والقتل كما أن الرسل قبله منهم من مات ومنهم من قتل والقصر فيها قصر إفراد أي ليس بمخلد حتى يستبعد موته أو قتله وهذا كما وقع بأحد لما نادى إبليس لعنه الله أن محمدا قد قتل فقال ناس من المنافقين ارجعوا إلى دينكم فإن محمدا لو كان نبيا ما قتل وقال المؤمنون إن كان محمد مات فرب محمد لا يموت فما تصنع بالحياة فقاتلوا على ما قاتل عليه وكما وقع لبعض الصحابة لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم ذهلوا من عظم المصيبة فخطبهم أبو بكر رضي الله عنه وتلا هذه الآية كما مر والقصة مشهورة وقوله أفإن الخ إنكار وتوبيخ لمن توهم خلافه والانقلاب على العقب كناية عن الرجوع عما كانوا عليه من الدين وقال الله تعالى ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة الآية أي ليس المسيح إلا رسولا كغيره من الرسل له آيات ومعجزات مثلهم وليس بإله كما زعمت النصارى وأمه صديقة أي صادقة في أقوالها وأفعالها أو مصدقة للرسل وهذا غاية أمرهما دون ما يزعمون فيه ولذا أتى بإثبات صفات بشرية تنافي الألوهية من الأكل ونحوه ولذا قال تعالى انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون وقال وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق فهو كغيره من البشر يصح له ما صح لهم وقال قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي الآية ولا يزيد على البشر إلا بما خصه الله من الوحي والرسالة والتوحيد فهذا امتيازه عنهم ولذا قال فمحمد صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء أي باقيهم فهو من عطف المتغايرين لا من عطف العام على الخاص كما توهم وإنما يكون كذلك لو فسر بجميع ما تقدم من البشر أي من جنسهم تمييز وإعلام بأنهم أرسلوا إلى البشر لتبليغ ما أمروا

دعي

الله به ووضع فيه الظاهر موضع الضمير ولولا ذلك اى كونهم من جنس البشر بان
كانوا ملايكة لما اطاق الناس مقاومتهم اى معا بلتهم فى الامور الدنيوية لقدرة
الملايكة على ما لا يقدر عليه غيرهم والقبول عنهم اى ما يبلغونه عن الله مما ارسلوا به
ومخاطبتهم حتى يبلغوه عن الله ثم اثبت هذا بقوله ولو جعلناه اى النبى المرسل اليهم
ملكا اى قدرنا ارسال الملك للبشر من غير جنسهم كما اقترحوا لجعلناه رجلا اى لما
كان الا فى صورة البشر تفسير لجعله رجلا واشارة الى انه بحسب الصورة لان
الملك يتصور باى صورة اراد ثم بين وجهه بقوله الذين يكلمكم بحسب الطاقة البشرية
مخالطتهم اى معاشرتهم والاختلاط معهم وفى نسخة مخاطبتهم وفى اخرى مخالطتهم اى
اتخاذهم اخلا وهى متقاربة معنى اذ لا يطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته
اذا كان على صورته الاصلية التى خلق عليها ابدا وقال الله تعالى قل لو كان
فى الارض ملايكة يمشون مطمينين لنزلنا عليهم من السما ملكا رسولا هذا جواب
عن شبهة المشركين وقولهم بعد مشاهدة الايات التى الجمتهم الحجة لولا لم يرسل الله ملكا
يبلغ اوامره ونواهيه فقال الله لرسول الله قل لهم جوابا عن شبهتهم الواهية انما يرسل
الله الملايكة لو كان اهل الارض ملايكة من جنسهم كما قال المص اى لا يمكن فى سنة الله
اى طريقته وعادته المستمرة ارسال الملك الا لمن هو من جنسه حتى يمكنه مخالطته
وتلقيه عنه ولما نافى هذا الحصر ارسال الرسل من الملايكة الى الانبيا بين وجهه بقوله
او من خصه الله معطوف على من هو من جنسه اى خصه بخصوص نسبة ملكية واصطفاه
اى اختاره من نوع البشر ليتلقى وحيه من الملك وقواه على مقاومته اى مقاومة الملك
ومخالطته لمناسبة تامة بينه وبين الملك باستعداده حتى يكون واسطة بينه وبين
الناس كالانبيا والرسل فانهم خلقهم الله بابدان بشرية وارواح ملكية فكانوا دون
غيرهم مستعدين لمقاومة الملك ومخالطته ومخاطبته ثم فصل هذا فقال فالانبيا
والرسل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وسايط بين الله وبين خلقه وتوسطهم
لامر هو انهم يبلغونهم عن الله اوامره ونواهيه اى فى كل امر ونهى لهم وفى كتب
الاصول تبعا للصحاح ان الامر بمعنى القول المخصوص يجمع على اوامر وبمعنى الفعل والشان
يجمع على امور ولم يوافقهم عليه احد من النحاة واهل اللغة فان فعلا لا يجمع على فواعل
ونقل ابن هشام فى تذكرته انه صحح بوجهين احدهما انه جمع امر اسم فاعل لما لا يعقل
وسمى القول امرا مجازا وكلامهم لا يدل عليه والثانى انه جمع آمرة مصدر كالعافية
اى صيغة آمرة للامر بها وقد نقله ابن سيدة وقيل انه جمع الجمع فجمع على امر كاكلب
ثم جمع على اوامر كاكالب فهو فى افعال اواعل وفى ل الاصفهانى فى شرح المحصول
ان هذا التوجيه لا يتم فى النواهى وكونه جمع ناهية مجاز اتكلف وكذا كونه مشاكلة
للاوامر فانه استعمل مفردا انتهى وقد تقدم ايضا ذكرنا لهذا ووعده ووعيده
الوعد يستعمل فى الخير والوعيد فى الشر كما فصلوه فى محله ويعرفونهم ما لم يعلموه
من امره هو الفعل والشان واحد الامور كما مر اى ابتداه وافعاله فيما سبق

قضاوه فى كل شى وقيل يجوز ان يراد بالامر هنا عالم الامر بقرينة قوله عرض
وخلقه وعالم ما ابدعه الله من غير مادة ونولد من اصل بمجرد كن وعالم الخلق
مقابله قال تعالى الا له الخلق والامر وعلى الاول الخلق بمعنى الايجاد وجلاله اصل
معناه العظمة وهو من صفاته تعالى كما تقتضيه كلام الغزالى والقشيرى الصفات
الثبوتية وكلام غيرهما يقتضى انه الصفات السلبية او ما يعمها وقال الغزالى
فى معنى ذى الجلال والاكرام ان الجلال كمال له فى ذاته والاكرام ما كان منه لغيره
وسلطانه اى قهره وغلبته او حجته الباهرة او ملكه اى انهم يبينون للناس ذلك
وجبروته وملكوته التا فيه زايدة اى كونه جبارا قاهرا ومالك الملك الذى لا راد
لقضايه ولا معقب لحكمه ثم فصل هذا بقوله فظواهرهم اى ما يظهر من حال انبيا
الله ورسله وصفاتهم واجسادهم اى ذواتهم الظاهرة المشاهدة وبنيتهم بكسر البا
اى هيئة تركيب ابدانهم التى خلقهم الله عليها لانه بناه الله وهو فى الاصل مصدر ثم اطلق
على الهيكل المخصوص والبدن المحسوس متصفة باوصاف البشر من الخلق والتركيب
وعروه طارى بهمزة فى اخره وابدالها يا اى حادث متجدد عليها ما يطرو على البشر
لان الاجسام كلها متماثلة فى قبول ذلك من الاعراض جمع عرض والمراد به مطلق الالام
او ما لا يكون قارا منها ويقابله عند الاطبا الامراض والاسقام جمع سقم وسقم كحزن
وحزن والموت والفنا الموت ضد الحياة واختلف فيه هل هو عدمى او وجودى كما بين
فى محله ويطلق مجازا على النوم والجهل كما فى قوله [illegible]
ذو الجهل ميت ونق به كفنه واما الفنا فهو تفرق الاعضا وتفتتها حتى تضمحل
وهذا لا يكون فى الانبيا عليهم الصلاة والسلام لان الله حرم على الارض ان تاكل اجساد
الانبيا كما ورد فى الحديث المتقدم ولذا قيل انه كان ينبغى للمص ان يبدل قوله السابق
متصفة بقوله قابلة وقد يقال المراد بالفنا هنا كبر السن والهرم ومنه الشيخ الفانى
الا ان اشتراكه بالموت يبعده ونعوت الانسانية جمع نعت وفسره النحاة واللغويون
بالوصف مطلقا فهما مترادفان ومنهم من فرق بينهما فقيل انه لا يطلق على الله ولم
يبين وجهه فقيل لانه ما يصيب ويطرو من العوارض وهذه قضية مطلقة فلا ينتفى
ان الانبيا لا يصيبهم بعض الامراض المنفرة وهى ما ينفسخ بها النكاح كالبرص والجذام
والعمى واما ما اصاب ايوب ويعقوب عليهما الصلاة والسلام فلم يكن من ذلك ويعقوب
انما ضعف بصره وقيل ان بعضها يطرو عليهم بعد استقرار النبوة لهم وانما يمتنع عند
ابتدا الدعوة والحق انها لا تطرو عليهم اصلا وارواحهم وبواطنهم كالقلب والدماغ
وما لا يدرك بالحواس الظاهرة والباطن خلاف الظاهر متصفة باعلى من اوصاف
البشر اى باوصاف اعلى منها من الفضايل الروحانية والتبرى من العلايق الجسمانية لحب
المال والتنعم بالماكل والمشارب فارواحهم وبواطنهم متعلقة بالملا الاعلى وهو كل رفيق
الاعلى الملايكة العلوية وتعلقها بما يناسبها فى الراغب الملا جماعة تملو العيون رواء
والقلوب جلالة وبهاء متشبهة بصفات الملايكة فى العزة والتجرد من العلايق

الدنيوية وترك الشهوات والانهماك ولا يغفلون الا ما يؤمرون غالبا سليمة
من التغيير اي بتبدل احوالهم الصالحة بغيرها والآفات وهي انما يجيء له
بلحوقها اي لا نظر وعلى ارواحهم وبواطنهم غالبا عجز البشرية كالجبن والخوف
المفرط المانع من تحصيل المهمات وقال غالبا لانه قد يلحقهم شيء منه كما في قوله فاوجس
في نفسه خيفة ولا ضعف الانسانية فانه لا يلحقهم وان كان الانسان خلق ضعيفا
الا انه قد يعرض لهم شيء من ذلك بحسب الجبلية البشرية ولا يخرجهم عن كمال القوة
والهمة اذ لو كانت بواطنهم اي امورهم الباطنة ومعنوياتهم من الارواح هنا خالصة
للبشرية كظواهرهم وظواهرهم غيرهم وبواطنهم لما اطاقوا الاخذ اي لم يقدروا
على تلقي الوحي عن الملائكة برؤيتهم ومخاطبتهم اي مكالمتهم ومخالتهم بضم الميم
وفتح الخاء المعجمة والفوقية مشددة مفاعلة من الخلة بالضم وهي اتخاذه خليلا وصديقا
وقد تقدم معناه والفرق بينه وبين المحبة ويجوز فتح الخاء بفك الادغام كما مر والاول
افصح كما لا يطيقه اي وما بعده غيرهم اي غير الانبياء من البشر لضعف ارواحهم وبواطنهم
ولو كانت اجسامهم اي الانبياء وفي نسخة اجسادهم وظواهرهم متسمة اي موصوفة
مستعار من السمة وهي العلامة والوسم بمعنى الكي بنعوت الملائكة اي صفاتهم الذاتية
وهيآتها الكيفية وبخلاف صفات البشر مما خلقت عليه الملائكة وصورهم التي
صوروا عليها عظما ونورانية لما اطاق البشر غير الانبياء ومن ارسلوا اي الانبياء اليهم
من اممهم مخاطبتهم ورؤيتهم ومخالطتهم كما تقدم من قول الله تعالى يعني قوله تعالى
ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وهو يدل على انهم لا يطيقون رؤية الملك على خلقته
الاصلية بخلاف ما لو تمثل بصورة البشر فانه يمكن البشر رؤيته كما كان يأتي بصورة دحية
وتراه الصحابة وكما كان يتمثل لمريم كما قيل ان لو كان رؤيتهم ومخالطتهم ودوام على خلقتهم
والوارد في القرآن والحديث خلافه وقد رام بعض الصالحين واصحاب الرياضة
ضبط وخلط ناس من عدم الفهم فجعلوا اي الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين
من جهة الاجسام والظواهر مع البشر اي موافقين لهم في صورهما ومن جهة
الارواح والبواطن مع الملائكة اي متصفين بصفاتهم والمراد بالمعية المشاكلة
في الروحانية والقوى الباطنية حتى اطاقوا رؤيتهم ومخالطتهم ومخالتهم كما قال
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البخاري وغيره يشهد لمخالته للملائكة لو كنت
متخذا من امتي خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا فانه اقرب الناس اليه واصدقهم
محبة له واعظمهم مواساة له بماله ونفسه واسبق الناس لاتباعه له فاذا لم يتخذه
خليلا لم يتخذ احدا غيره وهذا دليل على انه لم يكن مع البشر باطنه فهو لا يعتمد على
غير الله ولا يحتاج لاحد سواه ثم استدرك على ما يتوهم من نفي خلة ابي بكر من انه
لا مناسبة بينه وبينه فقال ولكن بيني وبين ابي بكر اخوة الاسلام اي ان لم يكن
خليلي فهو اخي في الله وفي دين الاسلام لاشتراكه معي في محبة الله وطاعته واتباع
دينه والاخلاص فيه والاخوة بضم الهمزة مصدر اي كونه اخا لي وبفتح الخاء بضم الكاف

وحذف

ابن ابرس

وحذف الهمزة وهي لغة قليلة فيه والحاصل ان بواطنهم وقواهم الروحانية ملكية
ولذا ترى مشارق الارض ومغاربها وتسمع اطيط السماء وتشم رائحة جبريل عليه
الصلاة والسلام اذا اراد النزول اليهم كما شم يعقوب عليه الصلاة والسلام
رائحة يوسف صلى الله عليه وسلم ولذا عرج به صلى الله عليه وسلم الى السماء ولما
نفى الخلة عن ابي بكر رضي الله عنه استدرك توهم نفيها لغيره من الناس فقال
لكن صاحبكم خليل الرحمن وقال ذلك ولم يقل ولكني وهو اخصر واظهر اشارة
الى ان مناسبته لهم بحسب الظاهر والتعبير اظهرهم لا بحسب الحقيقة وقال
خليل الرحمن دون خليل الله اشارة الى ان خلته بسبر رحمته وكلفه بصفة الرحمة
فليس خليله الا الله لان الخلة تخلل المحبة في باطنه وباطنه مشغول بمحبة الله عما سواه
وهذا لا ينافي ما ورد في حديث اخر لم يكن نبي الا وقد اتخذ من امته خليلا الا ان
الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا لان النفي للخلة الحقيقية المقتضية للاعتماد
عليه ظاهرا وباطنا والمثبتة الخلة بحسب الظاهر بحيث يكون وزيره ووكيله في
امور الدنيا وايضا خليل فعيل بمعنى فاعل ومفعول وابو بكر رضي الله عنه خليله
بمعنى الفاعل وليس هو خليله بمعنى المفعول او انه كان خليله اولا ثم محضت خلته
بعد ذلك لله عندما قربت رحلته للقاء ربه فان اول الحديث كما في البخاري عن
ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس
فقال ان الله عز وجل خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد
ما عند الله فبكى ابو بكر رضي الله عنه فعجبنا لبكائه ان اخبار عن عبد خير فكان اعلمنا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من امن الناس علي في صحبته وماله ابو بكر ولو
كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام ومودته لا يبقين في
المسجد باب الا سد الا باب ابي بكر وهو نص منه صلى الله عليه وسلم على خلافته كما يعرفه
من له بصيرة وكما قال صلى الله عليه وسلم فيما يدل على ان باطنه ملكي وظاهره
بشري تنام عيناي بتغميض الاجفان والنوم ظاهرا ولا ينام قلبي لبقاء احساسه
وتعلقه بالملا الاعلى وكذا سائر الانبياء تنام اعينهم دون قلوبهم كما ورد مصرحا به
في حديث البخاري فليس ذلك من خواصه صلى الله عليه وسلم كما توهمه القضاعي ومن تبعه
هنا وهذا دليل على ان ظاهره صلى الله عليه وسلم بشري وباطنه ملكي ولذا قالوا ان
نومه عليه الصلاة والسلام لا ينقض وضوءه كما صرحوا به ولا يقاس عليه غيره
من الامة كما توهم ونوم صلى الله عليه وسلم بعد نومه استغنيا باو تعليما لغيره
او لعروض ما يقتضيه وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان فانه نهى
عن الوصال في الصوم مع فعله صلى الله عليه وسلم له اني لست كهيئتكم اي لست
في حالي واموري مثلكم فان لي خواص خصني الله بها اكراما منه واصل معنى الهيئة
الصورة الظاهرة تجوز بها عن الكيفيات النفسانية تنزيلا المعقول منزلة المحسوس
ثم بين ذلك بقوله اني اظل يطعمني اي اكون عند ربي حضرة الرب اشارة الى

ابن افيرس

عرضي

ترتيبه له باعطائه ما يقوى به فلذا رفع موقعه هنا ولم ينقل عند الله ويحوه يطعمني
ويسقيني اى يعطيني قوة على ذلك حتى اكون كانى اكلت وشربت وليس المراد انه يطعمه
ويسقيه حقيقة وطعام الجنة وشرابها لا يفطر كما قيل لانه ينافي الغرض المقصود
منه من اختصاصه بما لم يلتبس لغيره مع ان قوله اظل يابا ه يحسب الظاهر وان امكنه
التجوز فيه لانه ظل حقيقة فعل نهارا ولو كان كذلك لم يكن صائما وكون طعام الجنة
لا يفطر لم يقل به احد وهذه القوة تدل على انه صلى الله عليه وسلم ملك الباطن
وقول ابن حبان وغيره اذا اعطاه الله قوة الصوم من غير جوع لم يكن فيه عظيم اجر
فهو لا يناسبه وقوله انه يدل على ان ما روى من انه صلى الله عليه وسلم كان يجوع
حتى يشد الحجر على بطنه لا يصح وانما هو الحجز بزاى معجمة وشد الحجر لا معنى له في ازهاب
الجوع غير ظاهر لان جوعه صلى الله عليه وسلم وشكواه منه وخروجه لاصحابه وسؤالهم
لما خبرهم فشكوا اليه ما شكاه وشد الحجارة على بطونهم امر ثابت في الاحاديث لا وجه
لانكاره وشد الحجر يخفف الم الجوع ببرده واقامة صلبه ومنع امعاه من الارتخا
ولا ينافي هذا انه يطعمه ربه لاختلاف الحالين فان في الصوم رياضة واجتذاب
للملا الاعلى واشتغال الروح عن البدن بمنع الجوع الاترى المريض يمكث ايام لا ياكل
ولا يضره وقد بين وجهه الشيخ في كتاب الاشارة فهذا القوة ملكية
روحانية واستبعد القرطبي ما قيل ان الله يخلق فيه شبعا كما يخلقه فيمن اكل
ومراده ما ذكرناه ولا وجه لاستبعاده فبواطنهم اى بواطن الانبياء صلوات
الله وسلامه عليهم منزهة عن الافات اى ما يختص في امر الملكية مطهرة
عن النقايص والاعتلالات اى العلل المضعفة لهم فهذه جملة فيما يختص
بالانبياء عليهم الصلاة والسلام اجمالا لن يكتفي بمضمونها اى بما تضمنته ودلت
عليه كل ذى همة في تحصيل الفضايل بل الاكثر يحتاج الى بسط اى تطويل
وتفصيل على ما ناتى به صفة لبسط وتفصيل اى تفصيل على نهج ما ناتى به
بعد في البابين المذكورين عقب هذا بعون الله اى باعانته على ما قصده
وهو حسبي ونعم الوكيل الذى لا يكل من توكل عليه لغيره

الباب الاول

فيما يجب للانبيا عليهم
الصلاة والسلام ويمتنع عليهم فيما يختص بالامور الدينية اى ما هو من الدين
والشرايع النبوة والكلام في عصمة نبينا اى وفي الكلام في عصمته صلى الله عليه وسلم
وفي عصمة ساير الانبيا اى باقيهم صلوات الله وسلامه عليهم والعصمة لغة
تخصيص قدرتها بالطاعة دون المعصية او خلق مانع فيه عن المعصية لكن لا
بحيث ان يلجيه ويسلب اختياره ويجبره على الطاعة بل هى لطف من الله يحمله
على الطاعة ويزجره عن المعصية مع بقا الاختيار تحقيقا للابتلا والتكليف
كما قاله الماتريدى وباقي الكلام على ذلك مبسوطا وقال القاضي ابو الفضل
المصنف عياض رحمه الله بتصنيفه مقدمة لمناسبة اعلم ان الطوارى اى

ما يحدث من غيرها قارن خلقته من التغيرات المغيرة لما خلق عليه والافات جمع
افة وهو ما يفسد ما اصابه والماوف ما اصابته وانكره ابو حاتم وقال انما هو مئوف
كما في افعال السرقسطي على احاد البشر بالمد جمع ابدلت واوه همزة ثم الفا لانه من
الوحدة اى افرادهم واشخاصهم لا يخلو من ان يطرا على جسمه اى ظاهر بدنه وحسه
او على حواسه جمع حاسة وهى ما يدرك به من البصر والسمع والشم واللمس والذوق
فالمراد الحواس الظاهرة وفعله احس وحس لغة قليلة ومعناهما ادرك وحواس
وحاسة من هذه اللغة غير الفصحى وانكره بعضهم وقال انه يبعد قياسه محسة
بغير قصد واختيار بل يخلق الله اياه فيه كالامراض والاسقام التي بمعنى المرض
كما في الصحاح وقيل السقم سبب عن المرض فالحمى مرض وتغير البدن وضعفه سقم
ويقال سقم وسقم وسقام بمعنى او يطرو بقصد واختيار كافعال العبد
واعماله وكله اى كل ما يطرو باختيار وغيره في الحقيقة اى حقيقة الامر في الواقع
عمل وفعل قال في القاموس الفعل بالكسر الذى فعله وكناية عن كل عمل فهما على
هذا بمعنى وقال الصلغاني بينهما فرق فالفعل احداث شي من عمل او غيره فهو اعم
وقال الهروى الفعل ما يكون في زمان يسير من غير تكرير والعمل ما يتكرر وطال
زمنه وقيل العمل يختص بما يعقل وردّ بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث يا ابا عمير ما
فعل النغير ولكن جرى رسم المشايخ اى استمرت عادتهم والرسم الخط والتصوير بكتابة
ونحوها واستعملوه بمعنى العادة وهو المراد هنا والمراد بمشايخ العلماء بتفصيل
اى تفصيل ما يطرا الى ثلاثة انواع الاول عقد بالقلب اى نية ثابتة جازمة وعزما
مصمما صادقا والعقد بهذا المعنى ورد في الحديث واصل معناه الربط المحكم والثاني
قول باللسان والثالث عمل بالجوارح جمع جارحة وهى العضو من اعضاء البدن
من الاجتراح وهو الاكتساب وجميع البشر يطرو عليهم الافات والتغيرات بالا
ويطرو الاختيار اى لهم حالات مختلفة تنتقل بها من حال الى حال من نعيم وبؤس
ونصر وقهر وهذا الى ما ترى شامل وليس المراد به العزائم واحوال القلب كما قيل
في هذه الوجوه كلها والنبي صلى الله عليه وسلم اى جنس النبي او كل نبي فتعريفه جنسي
او استغراقي وليس المراد نبيا مخصوصا لاستوائهم فيما ذكر وان كان من جنس
البشر ويجوز على جبلته بكسر الجيم والبا الموحدة وفتح اللام المشددة بمعنى الطبيعة
والكيفية التى خلق عليها بحيث لا يقبل التغير لسهولة ما يجوز على البشر سواه وما موصولة
في محل رفع فاعل يجوز الذى تقدم فقد قامت اى تحققت وظهرت البراهين جمع برهان
وهو الدليل والحجة كما تقدم القاطعة اى القطعية دلالتها على ما ثبت بها وتمت
كلمة الاجماع اى اتفق اجماع من يعتد باجماعه واتفق اهله حتى كان كلامهم كلمة واحدة
تامة على خروجه عنهم اى خروج النبي عن جنس البشر غيره وتنزيهه اى تبريئه بنفى
ذلك عنه وتبعيد ساحته عن كثير من الافات اى العوارض التى تطرو على البشر
فتنقص مقامهم العلية التى تقع اى تصدر وتتحقق في الواقع والخارج على الاختيار

خنبار

ابن افنس

وغير الاختيار لتكريم الله لهم بالعصمة من امثالها كالامور القبيحة والاخلال في الدينية كما ستبينه ان شاء الله تعالى فيما ياتي به من هذا الكتاب وهذا القسم من التفاصيل الموضح لها

فصل في حكم عقد قلب النبي صلى الله عليه وسلم والمراد

بعقد قلبه ما انعقد عليه اعتقاده وجزم به مما ثبت عنده بيقينها من وقت نبوته ورسالته اى اظهارها للناس بعد الوحي اليه والغاية محذوفة للعلم بها اى الى اخر عمره فعقد القلب هو الاعتقاد الجازم الذي لا يحتمل النقيض اصلا اعلم تقدم ان مثله يبتدأ به فيما يهتم به والخطاب عام لكل من يصلح للخطاب منحنا الله عز وجل اى اعطانا والهم علينا واياك الخطاب كالذي قبله وهو معطوف على المفعول الاول وقوله توفيقه المفعول الثاني وقوله ان ما تعلق منه بطريق التوحيد صفة منه لعقد قلب النبي اى اعتقاده وعلمه اليقيني الجازم الذي اتصف به بعد نبوته وما موصولة والعائد ضمير منه اى علمه الذي له تعلق بالتوحيد والعلم بالله اى بذاته وحقيقته وصفاته الذاتية الثبوتية والسلبية والاضافية وغيرها والايمان به اى بما ذكر من توحيده وتحقق ذاته وصفاته وبما اوحى اليه بالبناء للمجهول اى بكل ما اوحاه الله اليه من شرعه ليعمل به او يبلغه لغيره فعلى غاية المعرفة الغاية بعده في خبر الموصول ودخول الفا لا يمنع منه كما بينه النحاة يعني ان علم الانبيا المتعلق باصول الدين والعقائد وصل الى النهاية والغاية التي لا يصل اليها سواهم ووضوح العلم واليقين اى تيقنهم لذلك انكشف لهم انكشافا تاما بحيث انه لا يقبل الزوال ولا يرتاب فيه النفس القدسية وعلى غاية الانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك فليس لهم جهل بشيء من ذلك اصلا او الشك او الريب فيه اى التردد واحتماله نقيضه لانه حق اليقين الذي لا يطرو عليه شيء من ذلك والعصمة بالجر عطف على المعرفة اى على غاية العصمة وتقدم معناها عن كل ما يضاد المعرفة بذلك المذكور من التوحيد وما بعده بان يجهل شيئا منها وبضاد اليقين من شك او ريب في شيء منها هذا المذكور من علم الانبيا بما ذكر ما وقع اجماع المسلمين عليه ولم يخالف فيه احد منهم ولا يصح بالبراهين الواضحة التي هي في غاية الظهور ان يكون في عقود الانبيا اى عقائدهم التي ارتبطت عليها قلوبهم سواه اى غيره مما يخالفه اصلا ولا يعترض على هذا اى ما وقع عليه الاجماع وكشفته البراهين القاطعة حتى لا يحتمل غيره بوجه من الوجوه بقول ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم فيما حكاه الله عنه انه قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فجعل اطمينان قلبه بشاهدة الاحيا يقتضي ان عنده ريبة وشبهة في ذلك ورده بقوله اذ لم يشك ابراهيم متعلق بالنفي اى انتفى الاعتراض بما ذكر في اخبار الله تعالى له باحيا الموتى اى ما اخبر الله به من انه هو الذي يحيي الموتى ويوجدها من العدم ولكن اراد مما قاله مما يوهم الشك طمانينة القلب قال الراغب الاطمينان السكون بعد الانزعاج والطمانينة مصدر لفظا ومعنى انتهى فطمانينته زوال القلق والانزعاج من امرها وترك المنازعة مفاعلة من النزع وهو جذب الشيء عن مقره كنزع القوس ويعبر بها

عن

عن الخاصمة والمجادلة ومنازعة القلوب ميلها الى شيء ما والمراد هنا نزع القلق او ترك الميل الى الشبهة في كيفية ذلك بعد تحقق عنده كما اشار اليه بقوله بمشاهدة الاحيا وكيفية صدوره من القدرة فحصل له العلم الاول بوقوعه اى بتحقق وقوعه من الله اجمالا من غير شبهة فيه واراد بسواله ربه العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته اى مشاهدة صدوره عن الله تفصيلا ليزيد علمه واطمينانه لا انه شك فيه وهو جواب عن الاعتراض الوارد على قولهم ان علم الانبيا عليهم الصلاة والسلام بالله لا يعتريه شك بان الخليل عليه الصلاة والسلام من اجلهم وقد شك فاجاب بانه لم يشك ولم يجهل وانما اراد الانتقال من علم اليقين الى عين اليقين وهذا امر لاضير فيه الوجه الثاني في وجوب الاعتراض على ما وقع من الخليل ان ابراهيم صلى الله عليه انما اراد بسواله ربه اختبار منزلته عند ربه المراد بالاختبار لازمه وهو العلم اى ان يتحقق رتبته عند الله وعلم اجابة دعوته اى يعلم انه مقبول عنده حتى لا يرد دعاه ولا يخيب فيه رجاه وان يريه كيف احيا الموتى وفي نسخة اجابة دعوته بالاضافة وعدم تحقق رتبته عند الله ليس فيه ما يضره ويقتضي معرفته بربه فاقيل انه يقتضي شكه في منزلته عند الله وهو غير لائق لا وجه له ولما كان قوله تعالى في جوابه اولم تؤمن يقتضي الاعتراض دفعه بقوله ويكون على هذا قوله اولم تؤمن بالاستفهام الانكاري المقتضي بحسب الظاهر نفي ايمانه قبل قوله اى لم تصدق بمنزلتك مني وخلتك اى اتخاذك خليلا واصطفائك اى اختيارك على غيرك تشريفا وتكريما لك فالايمان له بمعناه اللغوي وهو التصديق والمصدق به المنزلة والاصطفا فانه لا يلزم من النبوة اصطفاه بحيث يطلعه الله على اسرار قدرته ولعله كان في ابتدا رسالته الوجه الثالث انه سال من ربه زيادة يقين وقوة طمانينة اى انه نوى طمانينة قلبه وسكونه بحيث يزداد متمكنا غاية التمكن وان لم يكن في علمه الاول الذي كان قبل المشاهدة شك في شيء من امور الرب وتوحيده وقدرته وهو دفع لما يتوهم من ان هذا الطلب يقتضي الشك منه بانه انما هو لطلب ازدياد اليقين بالزيادة كما بينه بقوله اذ العلوم الضرورية التي تحصل من غير استدلال لظهورها والنظرية التي تتوقف على نظر واستدلال لكونها غير بديهية قد تتفاضل اى يزيد بعضها على بعض لانه تفاعل من الفضل بمعنى الزيادة كما وكيفا في قوتها لانها ليقينيات تقبل التفاوت في الوضوح والخفا والعلم ينقسم الى ضروري ونظري وعلم الله حضوري لا يوصف بذلك اصلا وطريان الشكوك جمع شك على الضروريات اى العلوم الضرورية كالواحد نصف الاثنين والضدان لا يجتمعان ممتنع لما هو ظاهر ومجوز بصيغة المفعول اى يجوز العقل طريانها وعروضها في النظريات المكتسبة بالنظر والفكر يعني ان علم الخليل عليه الصلاة والسلام بذلك اذا كان نظريا يقينيا لا شبهة له فيه ولكن النظريات من شانها انها تحتمل الشكوك فاراد الانتقال الى رتبة اعلى منها بكون علمه بقدرة الله على الاحيا ضروريا فانها لا يحتمل خلافه اصلا

ابن فارس

مطلب علم الله حضوري

ليطمئن قلبه بذلك فقط وهذا احسن مما في المواقف من ان سوال الخليل عليه الصلاة
والسلام لم يكن عن شك في قدرته تعالى بل طلبه لان في عين اليقين ما ليس في علم
اليقين فان للوهم بالحوادث الوساوس والدعا دفع سلطانا على القلب عند علم
اليقين دون عين اليقين وليس في كلام المص رحمه الله ما يقتضي ان ابراهيم عليه عرضي
الصلاة والسلام وقع منه شك في علمه النظري بل ان النظري من حيث هو يجوز طريان
الشك عليه وفرق بين الشك وجوازه فجوازه على العلم اليقيني لا يقتضي وقوعه
حتى يعترض عليه بان علم ابراهيم يقيني لا يحتمل النقيض والله يجوز ان يخلق الله فيه ابن الخاتمين
علما ضروريا بذلك بعد الوحي او الكشف وكن اما تقول من انه اذا علم منه ذلك
ما وجه قوله اولم تؤمن لان المص اشار الى دفعه في الجواب الثاني فيعلم بالقياس
عليه اي الم تعلم ذلك علما غير محتاج للمشاهدة والى هذا اشار المص بقوله **فاراد**
ابراهيم صلى الله عليه وسلم بسواله **الانتقال من النظر** اي من العلم الحاصل من البرهان
القطعي اليقيني الذي لا يحتمل النقيض **او الخبر** الصادق بالوحي البد الذي لا شك فيه
الى المشاهدة والنظر بعينه **والترقي** اي الصعود الى الاعلى **عن علم اليقين** الحاصل
بالنظر او الخبر **الى عين اليقين** الحاصل بمشاهدته عيانا وهذا يقتضي ان المحسوسات
والعلوم الضرورية يقينية يقينا وايمانا وفي الكشاف وشروحه وتفسير القاضي ان
العلم الذي من شانه ان يتطرق اليه الشك والشبهة اذا انتفيا عنه كان ايقانا ولذلك لا
يوصف به العلم القديم ولا الضروري فلا يقال تيقنت ان الكل اعظم من الجزء وسياتيه
قوله في سورة التكاثر علم المشاهدة اعلى مراتب اليقين وقد بيناه في حواشي القاضي
فليس الخبر كالمعاينة هذا من الامثال النبوية ورد في حديث مرفوع رواه احمد
في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس
الخبر كالمعاينة ان الله اخبر موسى بما صنع قومه بالعجل فلم يلق الالواح فلما عاين
ما صنعوا القى الالواح فانكسرت وقال الشاعر

ولكن للعيان لطيف معنى ... له سال المعاينة الكليم

ولهذا قال سهل بن عبد الله التستري وقد قدمنا ترجمته **سال** الخليل عليه
الصلاة والسلام **كشف غطاء العيان** اي الغطاء المانع للعيان بكسر العين كالستر
اي المعاينة والغطا ما يغطيه ويستره **ليزداد بنور اليقين** اي بما ينوره ويظهره
عيانا **تمكنا في حاله** من العلم والمشاهدة ليكون على بصيرة تامة في معرفة الله
وفيه استعارة مكنية مرشحة لتشبيهه بامر محجوب تحت غطاء ان الله المشاهدة
والكلام على علم اليقين وحق اليقين وعين اليقين والفرق بينها بحسب اللغة ظاهر
وللصوفية فيها اصطلاح اورده بعضهم هنا وبنى عليها امورا واهية ولا حاجة لنا
به وههنا سوال مشهور وهو مروي عن علي كرم الله وجهه انه قال لو كشف مطلب سوال مشهور
الغطا ما ازددت يقينا فقيل كيف يقول هذا والخليل عليه الصلاة والسلام يقول
ولكن ليطمئن قلبي فطلب كشف الغطا ليزداد يقينا وهو اجل رتبة ونقل

السبكي

السبكي عن الغزالي رحمه الله انه قال اليقين مقصور ان يطرا عليه الجحود لقوله تعالى
وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم والطمانينة لا يطرا عليها ذلك وقال ابن عبد السلام
اراد علي ما ازددت يقينا في الايمان وان كان برويته يزداد بمعرفة تفاصيلها
لكن راى بها عجيبا علم ان له صانعا قادرا فيطلب ان يرى كيف يحيي وقد ي ان
السوال غير وارد راسا حتى يحتاج لما قالوه فان كلا منهما لم يتوارد على امر واحد
اذ مراد علي كرم الله وجهه ان امور الاخرة التي عرفها من رسول الله صلى الله عليه وسلم
ووقف على حقائقها بالكشف اذا شاهدها عيانا لا يزيد يقينه بها والخليل عليه
الصلاة والسلام طلب في الدنيا ان يشاهد كيفية الاحيا ونفخ الروح لا مرا اخبر وايـن
هذا من هذا حتى يحتاج للتوفيق **الوجه الرابع انه** اي ابراهيم عليه الصلاة والسلام
لما احتج على المشركين يعني نمرود وقومه **بان ربه يحيي ويميت** بقوله ربي الذي
يحيي ويميت **طلب ذلك** اي سال ربه الاحيا وكيفيته **ليصح احتجاجه** ويحقق ما
انكروه **عيانا** ومشاهده فيقطع عنادهم ويبطل شركهم وهو في نفسه غير متردد فيه
فقوله اولم تؤمن تعريض لهم على حد قوله اياك اعني فاسمعي يا جاره ولا طريق
لالزامهم الاهذا فسقط ما يقال انه لا يلزم من اقامة البرهان بشي مشاهدته **الوجه** عرضي
الخامس قول بعضهم هو سوال على طريق الادب والمراد منه حقيقته **اقدرني
على احيا الموتى** ليكون معجزة له كما وقع لعيسى عليه الصلاة والسلام لتتم من عارضه
وبه يتم قلم ينسب الاحيا اليه نا رما منه واسنده الى الله لانه المحيي والمميت حقيقة وان
اجراه على يد غيره **ومعنى قوله ليطمئن قلبي** على هذا التفسير ليطمئن **عن هذه الامنية**
بغير المعجزة ما يتمنى ويراد وهي معجزة احيا به الموتى عيانا وقوله اولم تؤمن اي اولم
تصدق باني مجيب دعوتك ومعطيك امنيتك او تعريض كما تقدم وقوله انى الخ
تجوز به عن سببه ولازمه لانه اذا اقدره على ما ذكر وفعله راه فلا يرد انه لا
دلالة للفظ على هذا المعنى ولا تعلق مع قوله اولم تؤمن **الوجه السادس انه اراد** عرضي
اي اظهر لغيره **من نفسه** وفي نسخة راى في نفسه والاصح ما تقدم لاحتياج هذا
للتكلف **الشك** اي صورته والتكلم به **وما شك** حقيقة لقوة يقينه وكمال علمه بالله
وقدرته **ولكن** فعل ذلك **ليجاوب** بالنبا المجهول اي يجيبه ربنا دباه **فيزداد
قربه** من الله حال مناجاته له وتلذذه بخطابه وتشريفه بقرب منزلته عنده
لا عتنائه باجابته واستبعد هذا بانه كيف يظهر ما هو منزه عنه بما يودي الى تنقيصه
وسوء الظن باعتقاده وليس بشي لانه انما يتم ما قاله لو استقر على حاله اما اذا ادى الى
ما تحقق كما له وتيقنه كما هو معروف في طريق المجادلة والجري مع الخصم حتى يفحمه
فلا **وقوله صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابراهيم** هذا جواب عن
سوال تقديره قد نفيت الشك عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام في هذه الاجوبة
والنبي صلى الله عليه وسلم اثبته له في هذا الحديث وجعل نفسه احق بذلك منه فاجاب
بما اجاب به المزني صاحب الشافعي فقال هو **نفي لان يكون ابراهيم شك وابعاد**

للخواطر جمع خاطر او خاطرة بمعنى القلب او المتهيئة لانها في الاصل ما يعرض للانسان
من الافكار والشبه وتجوزها عن محله وهو القلب ويصح ارادة كل منهما هنا وقوله
الضعيفة اي التي تندفع بادنى تامل لظهور بطلانها وان بطن هذا اي الشك
بابراهيم لان مقامه يجل عن مثله وحاصله انه صلى الله عليه وسلم قصد نفي الشك
عنه ببرهان قوي وقياس منطقي تقريره لو شك ابراهيم لكنت انا شاكا ايضا بل احق
اي اولى واقرب له لانه يجوز على ما يجوز على غيري من الانبيا عليهم الصلاة
والسلام وانا لست بدعا من الرسل وقد علم اني لم يقع مني شك قط فكذلك ابراهيم
ايضا نفاه بنفي لازمه الا انه صلى الله عليه وسلم افضل من ابراهيم ولا يلزم من نفي شي عن
الفاضل نفيه عن المفضول فكيف قال انا احق منه واشار المص الى جوابه بقوله
اي نحن موقنون بالبعث واحيا الموتى عطف تفسير على البعث فلو شك ابراهيم
اشارة الى انه قياس استثنائي لكنا اولى بيان لان احق بمعنى اولى بالشك منه اي من
ابراهيم ثم اشار الى دفع السوال الوارد على قوله احق كما تقدم بانه اما على طريق
الادب منه مع ابيه ابراهيم عليهما الصلاة والسلام بقوله احق او ان يريد بقوله نحن
امته الذين يجوز عليهم الشك لعدم عصمتهم لانه كثيرا ما يسند لنفسه ما هو لامته
لنكتة تقتضيه اي انتم مع اسمكم دون مقام ابراهيم لم تشكوا فكيف به لانه قيل ان بعضهم
لما سمع قوله ارني الخ قال ان ابراهيم شك او قاله على طريق التواضع منه وهو
قريب من الجواب الاول مع الفرق الظاهر والاشفاق اي الخوف من ان يبتلى بما
ابتلي به ان حملت بالبنا للمفعول ونايب فاعله قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام
في سواله ربه على اختبار حاله بالباء الموحدة وهو الوجه الثاني من الاجوبة السابقة
كما تقدم او زيادة يقينه وقيل انه قال له قبل علمه بانه افضل من ابراهيم وقيل
انما قال له لما عابه من انكار نحو البعث فتامل ثم اورد دفع شبهة تتوهم من ظاهر
بعض الايات وتقريرها ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام لا يطرا عليهم شك في
عقايدهم وفيما اوحي اليهم فقال فان قلت فما معنى قوله تعالى فان كنت في شك
مما انزلنا اليك بناء على ان الخطاب له صلى الله عليه وسلم لا عام لغيره والشك فيه شك
في انه من عند الله ويطابق لما اوحي لغيره من الانبيا فاسال الذين يقرءون الكتاب
من قبلك الايتين يعني لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن
من الذين كذبوا بايات الله فتكون من الخاسرين وفي الاربعين ان هذه الشرطية
غير ممكنة فاحذر ثبت الله قلبك جملة دعائية معترضة ان يخطر ببالك اي
قلبك وفكرك ذهوبا لغة في عدم الحنث ومثله ما ذكره بعض المفسرين ممن لم يدقق
النظر وليس من اهل التحقيق وهو مبالغة في عدم اعتقاد مثله عن ابن عباس او غيره
من السلف من اثبات شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه بناء على ظاهر
اللفظ وانه من البشر فيطرد عليه صلى الله عليه وسلم ما يطرا عليهم فمثل هذا اي
هذا وامثاله ومثله غيرها مما تكيف به لا يجوز اي يطرا عليه جملة اي لا يجوز كله

ولا

ولا شي منه بل اضراب ابطالي قد قال ابن عباس فيما صح رواته عنه كما قاله
ابن ابي حاتم في تفسيره لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم لان الشرطية فرضية غير ممكنة
ولو فرض الخطاب له صلى الله عليه وسلم ولم يسال احدا من اهل الكتاب ونحوه عن
ابن جبير والحسن البصري وحكى قتادة كما رواه ابن جرير ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لما نزلت الاية لا اشك وفي نسخة ما اشك ولا اسال في شي من
ذلك وعامة المفسرين اي كلهم بمال حاوا عامة وقاطبة اي جميعا على هذا اي
متفقون على انه ليس المراد انه شك او سال وبعد اتفاقهم على هذا اختلفوا في
معنى الاية المقصود لها فقيل المراد قل يا محمد للشاك اي لمن يشك في الوحي المنزل
عليك ان كنت في شك من ديني الاية فالخطاب لغيره صلى الله عليه وسلم فلا ترد الشبهة
وبراءة ساحته قرينة قريبة وتقدير القول كثير في كلام العرب قالوا اي الذاهبون
لهذا التاويل وفي السورة نفسها عطف على مقدر اي في القرآن فانه دال عليه وفي
السورة الخ ما يدل على هذا التاويل قوله قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من
ديني الاية وقوله قل بدل من ما او خبر مبتدا تقديره هو ويجوز نصبه اي اعني
في لفظ الاية تمامها فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي
يتوفاكم ووجه السوال ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام لا يعتريهم شك في شي من امور
الدين والاية بحسب الظاهر دالة على خلافه واجاب بان الخطاب لغيره وانه مانه
ورد مصرحا به في هذه السورة والقرآن يفسر بعضه بعضا كثيرا ووصف الله بانه
الذي يتوفاهم ويميتهم كما احياهم تهديد لهم وتهديد لهم على انه الذي ينبغي ان
يخاف منه ولا يشارك فيه احد فضلا عن غير الانبيا عليهم الصلاة والسلام وقيل المراد
الخطاب في قوله فان كنت في شك الاية العرب وغير النبي صلى الله عليه وسلم واورد
الضمير لنا ويليه من يسمع الخطاب فالخطاب بحسب الظاهر له والمراد غيره بطريق
التعريض ومثله كثير في القرآن وكلام العرب نحو يا ايها النبي اتق الله بدليل قوله
بعده واتبع ما يوحى اليك من ربك ان الله كان بما تعملون خبيرا ولو كان الخطاب
له قال بما تعمل ووجه الخطاب تعظيما له وتهويلا لامر الشرك كما قال الله عز
وجل لئن اشركت ليحبطن عملك اي يفسد ويسقط عن الاعتبار ويبطل من
حبطت الدابة اذا افرطت في المرعى حتى ماتت وانتفخت وجعل هذه الاية مشبها
بها لانها اظهر في التعليق المحال لان الخطاب فيها للرسل كلهم اذ اولها لقد اوحي
اليك والى الذين من قبلك اي من الرسل لئن اشركت الخ وافرد لان المراد كل واحد
منهم وهم معصومون من الشرك فالمراد بذلك اممهم ممن يجوز عليه الشرك واليه اشار
بقوله الخطاب له والمراد غيره تعريضا وتهييجا لهممهم حتى يتنبهوا لحالهم وقع من
احب خلق الله ثم يبتغ عنه ومثله اي ما ذكر من الخطاب المقصود به غيره قوله تعالى
فلا تك في مرية اي شك وريب مما يعبد هولاء اي لا تشك في انه ضلال باطل
مود الى العذاب الشديد ونظيره مما قصد بالخطاب غيره كثير في القرآن وكلام

العربية وهو باب واسع يسمونه التعريض والتلويح والكنايات ومقاصد جليلة
كحمله على قبول ما يلقى والازعاج واظهار الغضب والحمية كما فصله اهل المعاني وهو
ايضا ما مشهورة قال بكر بن العلا بفتح العين وهو القاضي بكر بن العلا من
علما المالكية الاجلا ومما قاله مؤيدا لما قدمه من ان الخطاب لغيره الا ترى اى الله
عز وجل يقول في هذه الاية ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله فهذا
شاهد صدق في غاية الظهور وهو صلى الله عليه وسلم كان المكذب بالتشديد
وصيغة اسم المفعول من التكذيب فهذا كله مما ذكر في تلوين الخطاب يدل على
ان المراد بالخطاب غيره لانه لا يصح كونه مرادا بالخطاب لظهور فساده لما عرفته
مما قرره ومثل هذه الاية في ان المقصود بالخطاب غيره من النبي عليه قوله تعالى
الرحمن فاسال به خبيرا اي فهذه الاية دليلا لما ادعى انه قد يؤمر الرسول بامر
والمقصود امر غيره من امته ان يسال النبي صلى الله عليه وسلم فهو مسؤول وان كان
ظاهر النظم انه سائل كما بينه بقوله المامور ها هنا اي في قوله فاسال به خبيرا غير
النبي صلى الله عليه وسلم من امته ليسال النبي والنبي هو المقصود بقوله الخبير اي
العارف بحقيقة الامر فهو في الحقيقة المسؤول منه لا المستخبر السائل بل هو تفسير
للمستخبر اي الطالب للخبر السائل عنه وهذا وما بعده من كلام بكر بن العلا رحمه الله
وهذا بنا على احد التفاسير في هذه الاية وقيل انه صلى الله عليه وسلم امر ان يسال جبريل
او الله عز وجل والاية على ظاهرها وقيل انه امر بسؤال اهل الكتاب فيقصد فيه
لتدفع شبهة المشركين وقيل الضمير راجع للرحمن وان المشركين انكروا اسم الرحمن
فالمعنى ان انكروا اطلاق الرحمن على الله فاسال اهل الكتاب ليخبروهم باطلاقه عليه
في الكتب المنزلة على غيرك من الرسل وعلى هذا لا شاهد فيه لما نحن بصدده والبا
سببية او تجريدية او بمعنى عن وقال بكر بن العلا في معنى قوله تعالى فان كنت
في شك الاية ان هذا الشك الذي امر به غير النبي صلى الله عليه وسلم بسؤال
الذين يقرؤون الكتاب عنه من الاحبار والرهبان انما هو فيما قصه الله عز
وجل في كتابه الكريم من اخبار الامم السالفة مع انبيائهم ونجاة المؤمنين منهم
وهلاك من كفر فانهم امة امية لا يعرفون احوال الامم ولم يصدقوا بما قصه الله
عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم لا فيما دعى النبي صلى الله عليه وسلم اليه اي (صح من التوحيد)
الى الايمان به ووحدانيته والشريعة التي شرعها على لسان نبيه صلى الله عليه
وسلم وبلغها لهم وامرهم باتباعها من الملة الحنيفية فان هذا المراد تندفع شبهة المشركين
فيه بسؤال اهل الكتاب وانما تندفع بالبراهين والمعجزات الباهرة وهذا اي امر
النبي صلى الله عليه وسلم بالسؤال والمقصود امر غيره مثل قوله عز وجل واسال
من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية اي [illegible] وهو اجعلنا من دون
الرحمن الهة يعبدون الاستفهام انكاري لتكذيبهم ونفي ما ادعوه ببرهان نقرره
اي لم نجعل الهة غير الله تعبد في ملة من الملل لاجماع من قبلك من الانبيا على التوحيد

الله

الله فهو اسؤل تبندعه فكيف يكذب ويعادي من اتى به ولما كان ظاهر الاية
مشكل لانه امره صلى الله عليه وسلم بسؤال الرسل الذين قبله وهم غير موجودين
فكيف يتمكن من سؤالهم وهو ايضا عالم بالتوحيد متيقن له بما اخبره الله به غير محتاج
للسؤال عنه اشار الى تاويلها بقوله المراد به المشركون والمسؤول منه اهل الكتاب
واحبارهم فالمعنى اسال علما اهل الكتاب العالمين بما انزل على الرسل من
قبلك هل في كتبهم غير التوحيد والخطاب في هذه الاية مواجهة للنبي صلى
الله عليه وسلم لامره به ظاهرا والمقصود غيره من المشركين قاله اي هذا
التاويل والتوجيه القتبي اختلفت النسخ هنا ففي اكثرها القتبي بقاف مضمومة
ومثناة فوقية مفتوحة وبا موحدة ويا نسبة مشددة وفي بعضها القتيبي بزيادة
يا مثناة تحتية بعد التا الفوقية وهما بمعنى والمراد به امام اهل اللغة والتفسير
قتيبة بن سعيد عن طريق ابن جميل صاحب التاليف الجليلة المشهورة وفي بعضها
العتبي بضم العين المهملة وسكون التا المثناة الفوقية والموحدة وهو عمدة
مذهب مالك فقيه الاندلس محمد بن احمد بن عبد العزيز القرطبي العتبي نسبة لعتبة
ابن ابي سفيان لانه من مواليه وهو صاحب كتاب العتبية المشهورة في مذهب
مالك وتسمى المستخرجة كما تقدم بيانه ورجح البرهان الحلبي النسخة الاولى وقيل
معناه المذكور في هذه الاية سلنا اصله اسالنا فنقل حركة الهمزة للسين
فحذفت همزة الوصل وهي لغة مشهورة وضمير العظمة لله وحده عمن ارسلنا فحذف
الخافض اي عن الجارة وتم الكلام من غير تعلق له بما بعده بعد حذف المعمول
والجار واتصال الفعل بمفعوله ومثله كثير وان كان غير مقيس ثم ابتدا الكلام
واستانفه فقال اجعلنا من دون الرحمن الى اخر الاية يعني الهة يعبدون على
طريق الانكار لعبادة غير الله بالاستفهام الانكاري الذي هو في معنى النفي كذا
قاله اي ما جعلنا الهة فلا عبادة لغيره وفي نسخة ما جعلنا قاله وفي نسخة حكاه
مكي بن ابي طالب الامام المقرئ الزاهد صاحب التاليف الجليلة ولد بالقيروان واقام
بالاندلس بعد اقامته بمكة ولذا انسب اليها كما تقدم وقيل في تاويل الاية وامره بسؤال
الرسل وهم غير موجودين انه امر صلى الله عليه وسلم وامر مبني للمفعول او الفاعل
اي امره الله ورجح الاول هنا ان يسال الانبيا لما اجتمع بهم ليلة الاسرا كما مر
من اجتماعه بهم في الشئ عن ذلك اي عن جعله الهة تعبد من دونه فكان صلى
الله عليه وسلم لما كشف له من عين اليقين اثبت يقينا واكثر علما بالله وبما جعل من
سائر الانبيا من ان يحتاج الى السؤال منهم لانه اعرفهم بالله وبما فضله وفي قوله
وقيل اشارة الى ضعفه لان مثله لا يقال من قبل الراي ومثوبة تعظيمه صلى الله
عليه وسلم معروف فامره بذلك انما هو لاظهار امره ورفعة قدره ولا وجه للاعتراض (ابن قتيبة)
عليه بما ذكر فروي انه صلى الله عليه وسلم وروي مبني للمجهول والانه صلى
الله عليه وسلم ليلة اسري به بعث الله له ادم وولده من الانبيا عليهم الصلاة والسلام

فاذن جبريل ثم قال له يا محمد صلى الله عليه وسلم فلما فرغ قال له عن الله سل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ومنه قيل ان هذه الاية نزلت بناء على ان ذلك كان ببيت المقدس قبل العروج فقال لا اسال احدا منهم قد اكتفيت وفي نسخة اكتفيت بما عندي من اليقين الذي ثلج به صدري قاله ابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن اسلم كما تقدم وليس فيه مخالفة لامر الله بالسؤال لانه علم انه ليس امر ايجاب بل اظهار لفضله وشدة يقينه وقيل معناه سل امم من ارسلنا يعني بحذف مضاف بقرينة ان الرسل لم يكونوا موجودين لما امر بالسؤال بل الاحبار من اممهم هل جاءوهم اي هل جاءتهم رسلهم من عند الله بغير التوحيد اي بما يقتضي وحدانيته وعبادته وحده والاستفهام تقريري اي ما جاءوهم الا بهذا فهو نفي بحجة بليغة وهو اي ما ذكر معنى قول مجاهد والسدي والضحاك وقتادة في تفسير هذه الاية والمراد بهذا اي ما قاله مجاهد ومن ذكر بعده والذي قبله ما حكاه مكي او ما ذكره ابن زيد ومن تقدمه وقيل المراد بهذا قوله واسال من ارسلنا من قبلك من رسلنا الاية والذي قبله قوله فان كنت في شك الخ اعلامه صلى الله عليه وسلم بما بعث به الرسل من التوحيد وانه سبحانه وتعالى لم ياذن لاحد من الرسل واممهم في عبادة غيره عز وجل ردا على مشركي العرب وغيرهم من عبدة الاصنام وغيرهم ورد ما فعلوه لاجله تعليلا لما قبله من امر الله فانه لا يتصور نسبة ما ذكر له صلى الله عليه وسلم في قوله سبحانه وتعالى حكاية عنهم ما نعبدهم اي الاوثان الا ليقربونا الى الله زلفى اي قربى مصدر بمعنى قرب فهو مؤكد لما قبله وفي نسخة في قولهم انما نعبدهم ليقربونا وتفصيله في التفاسير وفي الشرح الجديد ان الاجوبة المذكورة كلها جيدة وان الداعي لهم لتاويل الاية بما ذكر قصور النظر عن تصور مقامه صلى الله عليه وسلم واتصاله بالملأ الاعلى في كل حين واجتماعه بارواح الانبيا واطال في ذلك بنقل كلام سادتنا الصوفية وهو قريب مما ذكره المص في سؤاله في قصة الاسرا ولولا خشية الاطالة بلا طائل نقلنا كلامه هنا وكذلك اي مثل ما ذكر من الايات التي نسب له صلى الله عليه وسلم الشك فيها والمراد غيره بلا شك قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه اي القرآن منزل من ربك بالحق اي متلبسا به ونسب العلم لجميعهم لعلم احبارهم به وتمكن باقيهم من ذلك بادنى تامل فلا تكونن من الممترين اي الشاكين عند شك في المرا فظاهره نهيه عن الشك والمراد نهي غيره كقوله قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من ديني ووجه اخر اشار اليه بقوله اي في علمهم بانك رسول الله وان لم يقروا بذلك اي بحقيقة ما نزل عليك وانك رسول الله حسدا منهم بعد ما تبين لهم الحق وليس المراد به اي بقوله فلا تكن من الممترين شكه صلى الله عليه وسلم فيما ذكر في اول الاية يعني قوله فان كنت في شك

كما

كما يتوهم من ظاهر الاية بل المراد ما تقدم مثاله لك وقد يكون ايضا هذه الاية واردة على مثل ما تقدم اي على طريقته في التاويل السابق بان يكون الخطاب له صلى الله عليه وسلم والمقصود غيره على نهج الكناية التعريضية التلويحية اي قل يا محمد لمن عنده شك في ذلك اي في حقيقة ذلك وانك رسول الله فلا تكونن من الممترين في ان القرآن نزل عليك من الله وارسلك به وايدك بمعجزاته فليست الاية على ظاهرها بدليل قوله تعالى في اول الاية التي فيها والذين آتيناهم الكتاب افغير الله ابتغي حكما الاية اي لا اريد حاكما غير الله يحكم بيني وبينكم ويميز الحق والمبطل فهذا صريح في انه صلى الله عليه وسلم مبرأ عن الشك والريب وان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب بذلك اي بما يدل على الشك والامتراء غيره من اهل الكتاب والمشركين كما تقدم بيانه وقيل هو اي ما ذكر مما نسب اليه ما لا يليق وقيل المراد امره صلى الله عليه وسلم بالسؤال في الاية تقرير اي حمل لغيره على الاقرار عنده بالحق حتى يحمل عليه كقوله أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فانه استفهام تقرير حمله على الاعتراف توبيخا لغيره ممن اسند ذلك لغيره وقد علم الله سبحانه وتعالى انه لم يقل ذلك وقيل معناه اي معنى الامر بالسؤال في الاية ما كنت في شك في حقيقة ما انزل اليك فاسال الذين يقرءون الكتاب تزدد بسؤالك طمانينة اطمئنان قلب وعلما الى علمك ويقينا الى يقينك فانه يقبل الزيادة كما تقدم وقيل معناه ونا وبله ان كنت تشك فيما شرفناك وعظمناك وفضلناك به لا في امر التوحيد والدين فسلهم اي اهل الكتاب عن صفتك في الكتب المنزلة على من قبلك ونشر فضائلك اي ما انتشر فيها وشاع من فضائلك التي فضلك الله بها على غيرك من الرسل وحكي عن ابي عبيدة معمر بن المثنى التيمي امام اهل اللغة توفي سنة عشر او احدى عشرة ومائتين وقد قارب المائة ان المراد من هذه الاية ان كنت في شك من غيرك من اعتقاد غيرك فيما انزلناه عليك من الحق المنقذ من الضلال فاسال الذين يقرءون الكتاب حتى يخبروك بما عندهم منه فان قيل فما معنى قوله عز وجل حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا على قراءة التخفيف في كذبوا اي بتخفيف الذال والبنا للمفعول استياس استفعل من الياس ضد الرجا واستياس بمعنى ييس كاستعجب بمعنى عجب الا ان فيه مبالغة في الياس عند الزمخشري لان زيادة البنا تدل على زيادة المعنى وبهذه القراءة قرا عاصم وحمزة والكسائي وغيرهم والمعنى انهم لشدة مخالفة اممهم لهم يئسوا منهم وظنوا انما وعدوا به من النصر عليهم كذبا والوعد من الله الذي لا يخلف الميعاد فهذا منهم يقتضي شكهم فيما جاءهم من الوحي وهم معصومون عن مثله فهذه شبهة تقتضي خلاف ما قررناه اولا وحيث غاية معناها هنا حذف ورد بوجوه متقاربة منها وما ارسلنا قبلك الا رجالا تراخى النصر عنهم حتى يئسوا انه وظنوا تخلف ما وعدهم الله به فاجاب المص عنه بقوله قلنا جوابا عن هذه

الشبهة التي هي أقوى مما قبلها لأن في تلك نسبة الشك بحرف الشرط المقتضي لعدم
وقوعه وفي هذه نسبة الظن بإذا المقتضية لتحققه **المعنى في ذلك** أي في نسبة الظن
المذكور في الآية **ما قالته عائشة** أم المؤمنين **معاذ الله** منصوب على المصدرية
أي أنزه الله وأبرئه **أن تظن ذلك الرسل بربها** أي تظن أن الله أخلفهم ما وعدهم
به **وإنما معنى ذلك** أي ما ذكر في الآية **أن الرسل لما استيأسوا** ليس المراد أنهم
وقع منهم يأس من إنجاز ما وعدهم الله به بل المراد أنه طالت المدة عليهم فاستشعروا
اليأس له أو المراد أنهم يئسوا من إيمان قومهم بقرينة قوله **ظنوا أن من وعدهم النصر**
من أتباعهم جمع تابع كأصحاب جمع صاحب **كذبوهم** بالتخفيف والتشديد أي أخلفوا
ما وعدوا رسلهم به من نصرهم على عدوهم فلبس يأسهم وظنهم التكذيب معناه اليأس
من نصر الله والتكذيب لكذب وعد الله لهم فلا يرد عليه ما ذكر من الشبهة **وعلى**
هذا التأويل **أكثر المفسرين** وفيما نقله المصنف عن عائشة نظر فإن المروي
عنها في صحيح البخاري أن عروة بن الزبير سألها عن هذه الآية قال لها وقد
تلا الآية أهي كذبوا أم كذبوا أي بالتشديد أو بالتخفيف فقالت كذبوا أي بالتشديد
فقال لها أجل لعمري لقد استيقنوا بذلك وظنوا أنهم قد كذبوا قالت معاذ الله لم تكن
الرسل تظن ذلك بربها فقال لها فما هذه الآية قالت هم أتباع الرسل الذين آمنوا
بربهم عز وجل وصدقوهم وطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر حتى استيأس الرسل
ممن كذبهم من قومهم وظنت الرسل أن أتباعهم قد كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك
قلت لا منافاة بين ما ذكره المصنف هنا وبين ما في صحيح البخاري إذ مراده أنه على
قراءة التخفيف والتشديد المعنى واحد وإنكارها قراءة التخفيف لأنها لم تبلغها لا لأن
معناها لا يصح ولأنها لا تناول بما ذكر وقول عائشة معاذ الله ليس لإنكار هذه
القراءة بل لما فهمه عروة منها من أن الرسل ظنوا بربهم ما هم معصومون عنه فضمير ظنوا
للرسل وكذبوا مبني للمجهول وقائله أتباع الرسل لا الله كما تقدم وقيل الظن هنا بمعنى
الوسوسة والهاجس وأن أنفسهم كذبتهم حين حدثتهم بأنهم ينصرون وله تفصيل في
الكشاف وشروحه **وقيل أن الضمير في ظنوا عائد على الأتباع والأمم** أي أمم
الدعوة لا أمم الإجابة المؤمنين برسلهم **لا على الأنبياء والرسل** وظن بعض أممهم
ممن لم يؤمن بهم أن الرسل كذبوا فيما وعدوهم من النصر على أعدائهم والأتباع وإن لم
يسبق لهم ذكر معلومون من فحوى الكلام لأن الرسل لا بد لهم من مرسل إليه مؤمنا كان
أو كافرا ففي مرجع الضميرين اختلاف بين المفسرين علم مما ذكر ويجوز أن يراد الأتباع
مطلقا وهذا الظن يقع مثله وإن كان منكرا من المؤمن مثله **وهو** أي هذا التفسير
المذكور **قول ابن عباس والنخعي وابن جبير وجماعة من العلماء** أي علماء التفسير
من السلف **وبهذا المعنى** أي بسبب هذا المعنى الذي حمل فيه ضمير ظنوا للأمم **قرأ مجاهد**
أي اختار ورجح قراءة **كذبوا بالفتح** أي للكاف والتخفيف مبنيا للفاعل أي ظنوا أن
رسلهم كذبوا فيما وعدوهم به من النصرة على أعدائهم فإن القراءة سنة متبعة لا تكون

بالرأي

عرض

بالرأي وإن جاز ترجيحها على غيرها كاختيارات القراء ووجهه كما قيل أنه على هذه
القراءة يكون ضمير ظنوا للأتباع أي ظن أتباع الرسل أن الرسل كذبوا فيما وعدوهم
به من النصرة على أعدائهم فلا ينافي هذا عصمة الرسل لأن صدور مثل هذا الظن
عن غيرهم جائز عقلا ويمكن على قراءة التخفيف والبناء للمجهول أيضا أن يجعل هذا أيضا
بأن يجعل فاعل كذبوا المحذوف راجعا إلى الأتباع وقيل أنه تمثيل كتقديم رجلا ويؤخر
أخرى فشبه حال الرسل لما أبطأ عليهم النصر وصاروا في غم وكرب بحال من وعد
بأمر يحتاج إليه ثم لم يجئ له فقنط وحدثته نفسه بأن موعده غير قريب فيما هو
كذبته حالة الفرج وإليه ذهب الزمخشري **فلا تشغل بالك** الفاء فصيحة في جواب
شرط مقدر أي إذا عرفت أن ما في الآية جاريا على مقتضى مقام النبوة فلا
تجعل فكرك مشغولا بغيره مما يوهم خلافه فالبال بمعنى القلب والفكر وتشغل بفتح
أوله وثالثه هو الفصيح **من شاذ التفسير** أي غريبه مما لم يشتهر فالشاذ هنا بمعنى
المنفرد فتجوز به عما ذكر وهو بيان لقوله **بسواه** أي بغيره والضمير لما ذكر وقيل
لقول عائشة رضي الله عنها **مما لا يليق** أي يناسب وهو بدل من قوله بسواه **بمنصب**
العلماء أي بمقامهم ومقدارهم وهذا معناه لغة ويكون بمعنى الحسب وإطلاقه على
الأعمال الصالحة مولد وما موصولة عبارة عن الشك في مثله **فكيف بالأنبياء**
أي فكيف بما يليق بهم عليهم الصلاة والسلام وكيف يجوز بها عن الاستبعاد نحو كيف تكفرون
بالله ويجوز أن يريد بالشاذ ما ذكر في مصطلح الحديث وهو ما خالف الراوي فيه غيره
من الثقات والمراد به ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم أخلفوا ما وعدهم
الله به لأنهم بشر وتلا قوله تعالى وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه
متى نصر الله وقد ضعف ابن الأنباري هذه الرواية عن ابن عباس وقال الزمخشري
إن صح هذا عن ابن عباس فقد أراد بالظن الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية لا الطرف
الراجح فإنه لا يليق بهم أن يظنوا أن الله يخلف وعده وتوقف في صحة هذه الرواية
عنه وتبعه البيضاوي واعترض عليه بأنها ثابتة عنه في صحيح البخاري وقال الخطابي
لا شك أن ابن عباس لا يجيز على الرسل الشك في الوحي فيحمل كلامه على أنهم لشدة تأخره
وإبطائه توهموا أن أنفسهم غلطت في تلقي ما ورد عليهم منه فالمراد بالكذب الغلط كقولهم
كذبتك نفسك وقال القشيري إنه هاجس خطر على قلوبهم يصرفونه عنها فالمعنى أنهم
قربوا من الظن وقال الحكيم إنهم ظنوا تخلفه لتخلف بعض شروطه لا أنهم اتهموا الوحي
ورجح ابن حجر أن الظان أتباعهم وحمل عليه كلام ابن عباس وهو بعيد جدا **وكذلك**
أي مثل ما ذكر مما ظاهره الشك فيما جاءه من الوحي وهو ما ولد أو مثل قوله
استيأس الرسل الآية **ما ورد في حديث السيرة** أي الحديث المتعلق بسيرته
وطريقته صلى الله عليه وسلم في النبوة وهو ما رواه البخاري وغيره **ومبدأ الوحي**
أي ما وقع له صلى الله عليه وسلم في ابتدائه **من قوله لخديجة** أم المؤمنين رضي الله
عنها لما أخبرها بمجيء جبريل عليه الصلاة والسلام وهو غار **لقد خشيت على**

نفسي اى خفت عليها فان ظاهره انه شك فى انه وحى اتاه به الملك لان مثله صلى الله عليه وسلم لا يخشى ولبس معناه الشك فيما اتاه الله اى اوحى الله به اليه ولكن لعله خشي وخاف ان لا يحتمل قوته اى لا تطيق قواه البشرية مقاومة الملك اى مقابلته وان لا يقوم بحقه ومكالمته واعبا الوحي استعارة لانه جمع عب وهو الحمل فاستعير لمقاساة مشاقه ففيه استعارة مكنية وتخييلية فيخلع قلبه وفى نسخة لينخلع قلبه واصل معنى الخلع النزع كما قال تعالى فاخلع نعليك فاستعير لشدة الخوف كانه نزع قلبه وتزهق نفسه اى تخرج روحه من فزعه وهذا بناء على ما ورد فى الحديث الصحيح انه قال اى قوله خشيت على نفسي بعد لقائه الملك حين ظهر له وبشره انه رسول الله او يكون قال ذلك قبل لقاء الملك وقبل اعلام الله له بالنبوة اى انه صيره نبيا وفيها خشيته اثنا عشر وجها فقيل خشي الجنون وانه هاجس ووسوسة او الموت من شدة الرعب او المرض او دوامه او العجز عن النظر للملك او القتل او عدم الصبر وبه جزم ابن ابى جمرة على اذى قومه او تكذيبهم الى غير ذلك من الاقوال واضعفها الاولان والثالث هو الصحيح لما فى البخارى وغيره كما ياتى من انه غطه وقال له اقرا ومن قال انه قبله يقول فى زمن الارهاص والمنامات وضعفه الكرماني لانه اللام يقتضي كما فى نحو لم اكتبه لست حلوم من الشهر ما عرض له بنا للمجهول اى اظهره وراه من العجائب اى الامور الخارقة للعادة المفسرة بقوله وسلم عليه الحجر والشجر اى قال السلام عليك يا رسول الله والمراد الجنس او شي معين منهما وقد روى ان الحجر الاسود كما تقدم فى المعجزات وهو كان قبل النبوة وبعد مبعثه ايضا وبدايته المنامات الصالحة التى كان براها صلى الله عليه وسلم فى اول امره ورؤيا الانبيا قسم من الوحي والتباشير اى العلامات المبشرة له صلى الله عليه وسلم بالنبوة والمقدمات الدالة على التدريج قال فى الاساس من المجاز تباشير الفجر وهى اوايله كانها جمع تبشير مصدر بشر وفيه مخايل الخير وتباشيره وتباشير النخر بواكيره قال ابن كمال وهذا يبينهما فى قول الجوهرى التباشير البشرى وتباشير الصبح اوايله وكذا اوايل كل شي ولا يكون منه فعل من الكلل قلت يعني انه انكر فعله وكلام الزمخشرى يدل على خلافه والمحشي ابن اخت خالته لان الفعل من البشارة وهى الخبر السار لاسى الاولية والتقدم ولعل انه يقال فى تباشير بشايره ايضا قال ابو فراس

٥ اقول وقد ام الكلى عرسه لنا علينا ولاحت للصباح بشاير

كما روى فى بعض طرق هذا الحديث اى حديث مبدا الوحي ان ذلك اى المذكور من التباشير كان فى المنام اولا اى فى ابتدا البعثة ثم ارى فى اليقظة من المنامات مثل ذلك اى مثل ما راى فى المنام اولا تانيسا له صلى الله عليه وسلم اى ليحصل له الانس بالملايكة والوحي فيراه اولا منا ما ثم يراه جهرة لبلا يفجاه اى يراه بغتة وانه امر غير تدريجي فى رويته مشاهدة برؤية البصر ومشافهة اى يخاطبه

قال الحافظ ابن حجر فى فتح البارى واولى هذه الاقوال بالصواب الثالث واسلمها من الارتياب الثالث بعده انتهى

بنهمه

بنهمه حقيقة ولا يحتمله اى لا يقدر عليه ويطيقه لاول حاله بالاضافة للضمير او بنا التانيث اى فى اول احواله لعدم تدربه وتانسه بنيته فعلة بكسر الهمزة البنا والمراد جسده وما جبلت عليه البشرية اى الانسان فانه لا يطيق رؤية الملايكة ابتدا وهذا اشارة الى الحديث البخارى من انه صلى الله عليه وسلم كان فى اول امره يجاور فى كل سنة شهرا فى غار حرا يتعبد فيه وكان ذلك عادة قريش فاذا انصرف صلى الله عليه وسلم منه طاف بالبيت وبرجع لبيته فكان يرى فى منامه ما يرى ثم جاءه جبريل الى اخر الحديث المشهور فى اول البخارى والكلام عليه مفصل فى شروحه وفى الصحيح اى الحديث الصحيح او البخارى ومسلم عن عايشة وهو من مرسل الصحابة لانها رضى الله عنها لم تكن معه صلى الله عليه وسلم او هى سمعته منه فهو متصل اول ما بدى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرويا الصادقة فكان لا يرى رويا الا جاءت كفلق الصبح وهكذا رويا الانبيا عليهم الصلاة والسلام فانها قسم من الوحي كما مر وروى الصالحة بدل الصادقة وهما بمعنى قالت عايشة رضى الله عنها ثم حبب بالبنا للمجهول اليه الخلا بفتح اوله والمد وهو المكان او بمعنى الخلوة وهو الانفراد عن الناس بفراغ القلب وتوجه الفكر والرياضة ليفرغ قلبه عما سوى الله ليتمكن الوحي منه اذا اتاه فصادف قلبا خاليا فتمكنا وقالت الى ان جاءه الحق اى الوحي الذى تحققه وراه عيانا وهو فى غار حرا الغار هو النقب فى الجبل وحرا بكسر اوله والمد والقصر يذكر ويؤنث فيجوز صرفه وعدم صرفه وبينه وبين مكة ثلاثة اميال على يمين السائر لمنى والجملة حالية الحديث بالنصب اى اذكره او اقراه وعن ابن عباس فى حديث مسند رواه ابن سعد مكث النبى صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة قال البرهان الحلبي هذا احد الاقوال المرجوح انه عاش خمسا وستين سنة والصحيح انه عاش ثلاثا وستين منها بمكة ثلاثة عشرة وبالمدينة عشرة وقيل انه عاش ستين سنة وقد جمع بين الاقوال الثلاثة انتهى يعنى انه عد الكسر وفيه نظر وبعث على راس الاربعين يسمع الصوت اى يسمع صوت ملك يناديه ولا يراه وكان من الانبيا من يسمع الملك ولا يراه كما حكاه ابن سيد الناس عن ابن عباس ويرى الضو اى نور الملك من غير رؤية ذاته لان الملايكة انوار مجردة سبع سنين قبل ان يظهر له الملك ولا يرى شيا وثمان سنين يوحى اليه اى باتيه الملك ظاهرا له بالوحي من الله وهذا مبنى على القول السابق لا على الثاني كما توهم وقد روى ابن اسحاق عن بعضهم

ابن اسحق

هذه رواية لم يخرج ان النبى صلى الله عليه وسلم قال وذكر جواره بكسر الجيم وضمها كما مر اى مجاورته واعتكافه والجوار بمعنى الاقامة ومعناه الاخر معروف والجوار اعم من الاعتكاف لانه يختص بالمسجد كما قاله ابن عبد البر بغار حرا اى اقامته به كما تقدم بيانه قال فاتاني جبريل وانا نايم الظاهر انه نوم حقيقي لما ياتي من قوله هببت من نومي ويحتمل ان يريد انه مضطجع على هيئة النايم فقال اقرا امر قلت ما اقرا ما استفهامية او نافية لانه ورد ما

انا بخارى وتفصيله فى شروح البخارى وذكر الراوى نحو حديث عايشة فى غطه له بفتح الغين المعجمة وتشديد الطا المهملة مصدر يعنى شده وضمه وخنقه وغمه لتجرد عن الدنيا وتفرغه لما يلقيه له واستدل به على تاديب المعلم واقرا به اقرا باسم ربك السورة واستدل به على ان البسملة ليست اية من كل سورة وفيه نظر وهذه اول ما نزل فى قوله قال النبى صلى الله عليه وسلم قال فصرف جبريل عنى اى تاركنى وهببت بابه موحدتين فعل ماض مسند الى ضمير المتكلم يقال هب اذا استيقظ من منامه وتحرك من هبت الريح من نومى اى استيقظت منه وتقدم كلام فيه كانما صورت سورة اقرا فى قلبى اى مثلت السورة فى قلبه صلى الله عليه وسلم فحفظها وفى رواية كانما كتبت فى قلبى وهو كناية عن حفظها وبنا لحالها فى قوته الحافظة بحيث لا تنساها ابدا وروبا الانبيا وان كانت وحيا الى ان رواية ابن اسحاق هذه تدل على ان من القران ما نزل عليه مناما وقد قسموا النزول الى اقسام منها ما نزل سفرا وحضرا وقل من تعرض الى نزوله يقظة ومناما لم يتعرض له الشراح هنا ولم يكن كان ان كانت ناقصة فاسمها ضمير يرجع الى شى المفهوم من السياق وخبرها قوله ابغض الى اى اشد بغضا عنده من ان يقال انى شاعر او مجنون وقيل ان اسمها ضمير شان وابغض خبرها وهذا بنا على انه يجوز الاخبار عن ضمير الشان بمفرد مع ان هى الاخبار بتا الدنيا وقيل اسمها ابغض وهو صفة موصوف مقدر والخبر محذوف ايضا وتقديره لم يكن شى ابغض الى موجودا او كان تامة وابغض فاعلها وانما خشى هذا ابغض لانه اذا اخبر قريشا انه جاءه ملك بوحى يتلوه عليهم منهم من يقول انه شاعر ومنهم من يقول انه مجنون ثم قلت اى قال صلى الله عليه وسلم لما اوحى اليه وخشى كما مر لا تحدث مضارع مرفوع بتا بين فوقيا نيتين حذفت احديهما تخفيفا ويجوز بناوه للمجهول وهو نهى فى صورة الخبر اى لا يخبرهم احد عنى وينقله عنى ابدا وهذا اشارة الى كونه شاعرا او مجنونا لا عمدن جواب قسم مقدر اى والله لاعمدن اى اقصدن مضارع من العمد بمعنى القصد بكسر الميم وفتحها وما ضيه عمد بهما والمشهور فتحه كضرب يضرب الى حالق من الجبل بالحا المهملة واللام المكسورة والقاف اى مكان مرتفع منه وقيل انه الجبل المرتفع من قولهم حلق الطاير اذا ارتفع فى الجو فلاطرحن نفسى منه اى ارمين جسدى من اعلى الجبل فلا قتلنها برميها من الجبل حتى لا يبلغنى ما يتحدثون به من انى شاعر او مجنون اذا بلغتهم ما جرى لى فبينا انا عامد لذلك اى وقع منى انى قاصد الالقا نفسى من اعلى الجبل لاهلكها حتى لا اسمع ما يتحدثون به فى حقى وهذا كان هاجسا خطر على قلبه صلى الله عليه وسلم لشدة حشيته وطيرته على عرضه ولم يكن فى ابتدا امره معصوما عن مثله فلا يتوهم انه امر جزم به وهو ممتنع شرعا اذ سمعت مناديا اى سمعت صوته ونداه لى ينادى من السما اى من جانبها بسمعه ولا يراه كما تقدم وهو يقول يا محمد انت رسول الله وانا جبريل ارسلنى الله اليك لتبليغ وحيه نبيينا لمن ناداه لئلا يظنه غيره فرفعت راسى الى جانب السما لاراه فاذا

بنشهادتهم

عرضى

قوليش بهذا م

اى فاجانى بغتة رويته جبريل على صورة رجل حال من جبريل اى متمثلا بصورته دون صورته الحقيقية حتى لا يهوله فى ابتدا امره الحديث اى اذكر الحديث الذى رواه ابن اسحاق الخ ثم انه شرع يذكر بقوله فقد بين الراوى للحديث او النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث ان قوله صلى الله عليه وسلم لما قال بكسر اللام وتخفيف الميم اى لقوله وتصديره مصدر معطوف على قوله وقوله لما تصدر متعلق به وما موصولة والعايد مقدر تقديره لما تصدره وما تاله حشية ان يجد تواباته شاعر اذ انقل عليهم ما اوحى اليه او مجنونا اذا قيل انه يسمع صوتا او يرى فى الافق ملكا لتوهمهم ان كلامه شعر وما تراى له جنى انما كان قبل لقا جبريل عليه السلام اى قبل رويته على صورة رجل وقبل اعلام الله له بالنبوة بواسطة جبريل واخباره له واظهاره اى الله او جبريل عليه الصلاة والسلام واصطفايه اى الله له بالرسالة اما بعد ذلك فلانه متيقن لا يخشى احدا ولا يتوهم شيا يضيق به صدره ومثله اى مثل حديث ابن اسحاق فيما ذكر حديث عمرو بن شرحبيل الذى رواه البيهقى وشرحبيل بضم الشين المعجمة وفتح الرا وسكون الحا المهملة وموحدة مكسورة ومثناة تحتية ولام وعمرو ابنه تابعى عابد جليل توفى فى سنة ثلاث وستين ومائة وهو ابو ميسرة الهمدانى ولهم عمرو بن شرحبيل اخر خزرجى وليس براد هنا انه صلى الله عليه وسلم وهو بفتح الهمزة بدل من حديث عمرو قال لخديجة ام المومنين رضى الله عنها انى اذا خلوت وحدى سمعت ندا يا محمد وقد خشيت والله ان يكون هذا الندا لامر يصيبنى مما لم احط به خبرا فقالت له معاذ الله ما كان الله ليفعل بك ذلك فوالله انك لتودى الامانة وتصل الرحم وتصدق الحديث فمثلك لا يخشى امرا شيطانيا وفى رواية حماد بن سلمة كما رواه الطبرانى وابن منيع عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لخديجة انى لاسمع صوتا من جانب السما وارى ضوا اى نور الملك النازل عليه قبل تمثله له وظهوره له عيانا واخشى ان يكون بى جنون يخيل لى ما ذكر وهذا كله قبل ظهور الامر له صلى الله عليه وسلم كما مر وعلى هذا المذكور يتاول لو صح رواية قوله صلى الله عليه وسلم فى بعض الاحاديث التى وردت ان الابعد شاعر او مجنون فمعنى ان ما سمعه شعر تلقيه الجن عليه كما كان فى الجاهلية لبعض الشعرا رئى من الجن ومثل هذه الكلمة تقولها العرب اذا قصدوا تاديبا عن اطلاق شى على المخاطب اى الشاعر امر مباعد عنك وان قاله غيرك فيما تقوم به فى مكان انت كذا وهو استعمال شايع وقيل من انه شتم معناه الخايب الذى لا خير فيه ليس بشى والفاظ وردت عنه صلى الله عليه وسلم فى بعض الاحاديث يفهم منها معانى الشك فى صحة ما راه اى فيما اوحى اليه ومثله صلى الله عليه وسلم لا يليق به شك وتردد فى مثله فهو لا يرتاب فى شى مما ذكر وانه كان كله فى ابتدا امره وقبل لقا الملك له وقبل اعلام الله له انه رسوله وبعده اطمان قلبه وشاهد الامر عيانا وبعض هذه الالفاظ

هذا م

تلسانى

فيكفيتم

الموهمة لما ذكر لا تصح طرقها بحسب الرواية واما بعد اعلام الله تعالى له ولقائه
الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز عليه شك فيما القى اليه من الوحي فان الانبيا
عليهم الصلاة والسلام لا يتصور منهم ذلك وروى ابن اسحاق صاحب السيرة في
سيرته عن شيوخه ممن لقيه واخذ عنه وله شيوخ كثيرون ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يرقى بالبنا للمجهول من الرقية المعروفة بمكة من العين
اي صيانة له صلى الله عليه وسلم من اصابة العين والعين حق كما ورد في الحديث قال
ابن القيم في كتاب الروح ان تأثير النفس امر لا ينكره الا من عدم تجردها عن العلائق
البدنية وحينئذ تؤثر ما يعجز عنه البدن كمن نظر الى عرقه فخمد او الى نعمة فزالت
وهذا مما شهدت به الناس على اختلاف الملل والاعصار ويسمونه اصابة العين فيضيفون
الاثر الى العين وانما هو للنفس المتكيفة بالكيفية الرديئة السمية فيكون بواسطتها
وقد يكون بدونها فيوصف له شي فيتوجه اليه فيؤثر فيه وان لم يره بعينه وقد امر النبي
صلى الله عليه وسلم ان يغتسل العائن بما يصب على من اصابته عينه فيزول عنه ما
يجده والعائن بعين مهملة وبا موحدة ونون المواضع القذرة من البدن كتحت الابط
وهو امر طبيعي اقتضته الحكمة فان الارواح الخبيثة تألف هذه المواضع فتساعدها
فاذا غسلت انطفت نارها كما فصله صاحب النهاية في حرف العين في حديث العين
حق ولو كان شي سابق القدر سبقته العين واذا استغسلتم فاغسلوا وفي شرح مسلم
انهم اخذوا بظاهر الحديث وانكره بعض المبتدعة واهل الطبايع وزعموا انه ينبعث
من عين قوة سمية تؤثر فيما نظره وقيل انه ينفصل عنه اجزا الطينية يخلقها الله
ولا ترى وقيل انه ليس بانفصال شي وقد قيل انه يجب عليه اذا استغسل ان يغسل
وان من عرف بذلك يحبسه الامام ببيته ويرزقه من بيت المال وكذا وكان صلى الله عليه
وسلم يرقى معروفة قبل الاصابة وبعدها ومن شر العين هنا ما يلم به من العوارض
عند لعين الظاهر بغير داع له قبل ان ينزل عليه بالبنا للمجهول اي قبل نزول القران
عليه فلما نزل عليه القران اصابه لا ما كان يصيبه من العين كما قال تعالى وان
يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم ولم يبينه احدهما كثير مما ذكر فقالت له خديجة
بنت خويلد ام المؤمنين رضي الله عنها اوجه اليك اي الوجه فحذفت همزة الاستفهام
ومعناه ارسل لك من يرقيك اي يرد عليك رقية قال اما الان فلا الان الزمان
الحاضر وهو ظرف متعلق بمقدر اي ان اردت ان ترقيني الان فلا تفعلي ذلك اي لا
حاجة لي بالرقى بعد نزول القران فانه شفا من كل دا وقد ورد في احاديث كثيرة
الرقى وجوازها والنهي عنها وجمع بينهما بان الجائز منها ما كان بلسان عربي ظاهر المعنى
كاسما الله وسورة الفاتحة وورد في الحديث ان جبريل جاءه عليهما الصلاة والسلام
وقد اصابته حمى فقال بسم الله ارقيك من كل شي يؤذيك من شر كل نفس او عين
حاسد الله يشفيك بسم الله ارقيك والممنوع المنهي عنه ما لم يكن بشي مما ذكر واعتقاد
تأثيرها بنفسها ولذا ورد ما توكل من استرقى ولما كانت الرقى من باب مباشرة الاسباب

دكي

٧ تجوهم

وتركها

وتركها توكل وتسليم سوى الى بمقام النبوة تركها صلى الله عليه وسلم ولذا في ما نزلت
استوعبت في محلها وحديث خديجة رضي الله عنها الذي رواه ابن اسحاق والبيهقي
وابو نعيم في الدلايل واختبارها بخا معجمة ومثناة فوقية وبا موحدة وراء مهملة
اي تجربة خديجة امر جبريل عليه الصلاة والسلام لما اخبرها النبي صلى الله عليه
وسلم بمجيئه اليه فارادت ان تعرف امره هل هو ملك ام لا بكشف راسها الحديث
لان الملك لا يدخل بيتا فيه عورة مكشوفة والمراة الحرة بدنها كله عورة وكانت
قالت له صلى الله عليه وسلم اذا اتاك جبريل اخبرني به فلما اتاه واخبرها كشفت
راسها فرجع فعلمت انه ملك لانه لو كان شيطانا دخل البيت ولما كان في ازار النبي صلى الله
عليه وسلم لما فعلته خديجة ما يوهم الشك دفعه بقوله انما ذلك الاختبار والتردد
واقع في حق خديجة لا صادر منه صلى الله عليه وسلم حتى يتوهم شكه في نزول الملك
عليه لتتحقق خديجة صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وان الذي ياتيه ملك وزوال
الشك عنها لانه صلى الله عليه وسلم كما توهم لا انها فعلت ذلك الاختبار للنبي صلى
الله عليه وسلم ولا نافية داخلة على ان المفتوحة وما وقع في بعض النسخ من لانها
بالتعليل خطا من الناسخ وليختبر اي يعرف هو صلى الله عليه وسلم حاله بذلك
وهو معطوف على المنفي فهو منفي اي لم تفعله لازالة شكه ولا لاختباره فالاختبار
بكشف راسها وهي كانت جازمة بنبوته ولكن ارادت كشف الغطا لتزداد يقينا فالمراد
بالشك مجرد الاحتمال المرجوح لا المتساوي الطرفين كما يعرفه من وقف على جلية حالها
بل اضراب انتقالي قد ورد في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة بن
الزبير المدني وقال ابن حبان فيه انه متروك الحديث يروي الموضوعات
وله ترجمة في الميزان عن هشام عن ابيه هو هشام بن عروة بن الزبير ابو المنذر
وقيل ابو عبد الله القرشي مولاهم توفي سنة ست واربعين ومائة وهو امام ثقة
اخرج له الستة وقال ابن القطان انه اختلط في اخر عمره ورده الذهبي كما فصله في
ترجمته عن عايشة ام المؤمنين رضي الله عنها ان ورقة بن نوفل بن اسد المشهور
امر خديجة بنت خويلد بن اسد ام المؤمنين وورقة بن عمها كانت نابته وتذكر له
ما كان يراه النبي صلى الله عليه وسلم في اول بعثته اي تعرض عليه ما كان يراه وانه يقول
انه يأتيه بالوحي ملك فامرها ان تختبر الامر اي امر الملك النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك اي بكشف راسها اذا اتاه وهو عندها فان رجع فهو ملك والا فلا ففعلت
كما امر وتختبر ثلاثي بفتح المثناة الفوقية وسكون الخا المعجمة وضم البا الموحدة
وراء مهملة مضارع خبره اذا امتحنه وجربه وحاصله انه لم يكن من النبي صلى الله عليه
وسلم شك في امره وانما هو تردد ما من خديجة في اول امرها كما ذكر في الحديث الذي
بعده في قوله وفي حديث اسماعيل بن ابي حكيم الذي رواه ابن اسحاق ايضا
وحكيم بفتح الحا المهملة وكسر الكاف ومثناة تحتية وميم واسماعيل هذا قرشي مدني
ثقة كان كاتبا لعمر بن عبد العزيز في خلافته اخرج له مسلم وغيره من اصحاب السنن

وتوفي في سنة ثلاثين ومائة انها اي خديجة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
يا ابن عم وهو صلى الله عليه وسلم ابن عمها لاجتماع نسبهما في قصي فانه صلى الله عليه
وسلم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي وهي خديجة
بنت خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي ولا حاجة لما قيل انه جار على عادة عرضي
العرب في تخاطبهم بل لا وجه له هل تستطيع ان تخبرني بصاحبك يعني الملك
الذي ياتيك وهو جبريل اذا جاءك بالوحي جهرة وانما قالت له هل تستطيع لانها
تخشى انه لا يقدر على اخبار غيره لما يغشاه من دهشة الوحي وشدته عليه قال
نعم اخبرك به فلما جاءه جبريل وهو عندها اخبرها بمجيئه اليه فقالت له
اجلس الى شقي بكسر الشين المعجمة اي جنبي ملاصقا لي وذكر اسماعيل الحديث
الى اخره يعني من انه جلس وجبريل قادم عليه فكشفت راسها ثم دخل جبريل
عليه فاخبرها بذلك وفيه فقالت ما هذا الذي لدي بشيطان هذا الملك
يا ابن عم لانه لو كان شيطانا ما دخل البيت وراسها مكشوفة فاثبت له اذا جاءك
واسمع منه ما اتاك به من الوحي وابشر اي زعيما وكن مسرورا بما اكرمك الله به
وامنت به صلى الله عليه وسلم وبرسالته وهي اول من امن به مطلقا او من النساء
رضي الله عنها فهذا اي ما روي عن خديجة يدل على انها اي خديجة مستثبتة
اي طالبة للثبات باطمئنان القلب وزيادة اليقين بما فعلته من السؤال والاختبار
لنفسها ومستظهرة لايمانها اي طالبة لظهور ما امنت به حتى لا يبقى عندها شائبة
تردد لا للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لا شبهة عنده ولا تردد اصلا وما يوهم وقوع ما
زعمه قول معمر بن راشد اليماني فيما رواه عنه احمد والبيهقي في حديث فترة الوحي
اي انقطاعه في ابتدائه مقدار سنتين ونصف والفترة والفتور سكون بعد حدة
ولين بعد شدة وضعف بعد قوة قال تعالى على فترة من الرسل قاله الراغب والمراد
ما مر فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم اي عرض له حزن وغم لانقطاع الوحي
فيما بلغنا رواية ممن علمه حزنا غدا بغين معجمة اي ذهب ومشى به اي بسبب حزنه
لذلك وفي نسخة منه مرارا متعددة كي يتردى اي يلقي نفسه وهو في الاصل
تفعل من الردى بمعنى الهلاك لان من يفعله يهلك غالبا من رءوس شواهق الجبال
اي من اعالي جبال مكة وهذا جواب سؤال تقديره اذا كان الامر كما قلت انه صلى
الله عليه وسلم لا يعتريه شك فيما يتعلق بالغيب والنبوة فلم حزن حتى كاد يقتل
نفسه فيما رواه معمر اجاب عنه بانه لا يقدح اي لا يطعن فيما قلناه ولا يصيره من ربي
القدح بمعنى الذم في هذا الاصل اي القضية الكلية من انه في غاية اليقين لامور
الوحي والتوحيد وليس المراد به ما قاله المحشي كما قيل عن يعني عدم القدح بوجوه
الاول قوله لقول معمر بفتح الميمين وهو من اتباع التابعين عنه صلى الله عليه
وسلم فيما بلغنا ولم يسنده اي لم يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم فلا يستدل به
ولا ذكر رواته جمع راو وهو من رواه عنه ولا من حدث به عن رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم الا ان ابن سيد الناس رواه مسندا من طريق الدولابي ولم يذكر
فيه معمرا بل رواه عن الزهري عن عروة عن عائشة فقال لم ينشب ورقة ان توفي
وفتر الوحي وذكر هذا الحديث ولا ذكر معمر ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم
قاله ولا يعرف مثل ذلك وفي نسخة ولا يعرف مثل هذا من احواله الا من جهة
النبي صلى الله عليه وسلم لان مثله لا يقال من قبل الراي فهو في حكم المرفوع وان
كان منقطعا والجواب الثاني ما اشار اليه بقوله على انه اي ما ذكر من حزنه الخ
وفي نسخة مع انه قد يحمل على انه كان اول الامر اي اول امره قبل ان يلقاه
جبريل ويعلمه بانه رسول الله وانه اوحي اليه ويتمكن من حمل اعباء النبوة وجواب
اخر اشار اليه بقوله او انه فعل ذلك المذكور لما احرجه بكسر اللام وتخفيف
الميم واحرجه بمهملة وجيم اي اوقعه في حرج وضيق صدر من تكذيب من بلغه
ما ارسل به اليهم وهو بتشديد اللام ويجوز تخفيفها كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك
على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا وباخع بمعنى قاتل من بخع الشاة اذا
ذبحها والاسف الحزن على ما فات وعلى اثارهم اي بعدهم جمع اثر فحزنه صلى الله عليه
وسلم لم يكن لشك اعتراه وانما كان لتكذيبهم له وعدم طاعتهم له وهو حريص على ان يهديهم
الله رحمة منهم لما فاتهم من سعادة الدارين وهذا التخفيف عليه تسلية له صلى الله عليه
وسلم ويصح معنى هذا التاويل اي تاويل ما رواه معمر وحمله بمعنى الاية المذكورة
حديث رواه شريك والراوي له عنه البزار وهو شريك بن عبد الله النخعي الامام
الثقة وقد وثقه ابن معين وقال غيره لا باس به وقد قيل انه كان سيء الحفظ توفي
سنة سبع وسبعين ومائة وسنه ثمانون سنة وله ترجمة في الميزان عن عبد الله
ابن محمد بن عقيل بن ابي طالب بن عبد المطلب توفي بعد الاربعين ومائة وهو لين
الحديث حتى قيل انه لا يحتج بروايته عن جابر بن عبد الله ان المشركين لما اجتمعوا
بدار الندوة بفتح النون وسكون الدال المهملة والندوة بمعنى الاجتماع ومنه
النادي ودار الندوة دار كانت بمكة يجتمع بها قريش للمشاورة والحكومة بناها قصي
بن كلاب فكانت ديوان رؤسائهم للتشاور في شان النبي صلى الله عليه وسلم وكان
ذلك بعد موت خديجة رضي الله عنها وابي طالب وقد امر صلى الله عليه وسلم
بانذار قومه وانذرهم مرارا كما هو مشهور مفصل في السير وحضور ابليس لعنه
الله وراوية في هذه القصة مشهور واتفق رايهم على ان يقولوا انه ساحر
كما مر عن ابي جهل والوليد بن المغيرة اشتد ذلك اي قولهم هذا واشتد عليه
الامر بمعنى صعب وعسر عليه صلى الله عليه وسلم وتزمل في ثيابه اي تلفف فيها
كالنائم وتدثر فيها اي تغطى بها فوق لباسه الذي على بدنه ويلي جسده وفي
الحديث الانصار شعاري والعرب دثاري فاتاه جبريل عليه الصلاة والسلام
فقال له جبريل يا ايها المزمل يا ايها المدثر اصله المتزمل والمتدثر تفعل من
عرضي زمله اذا لفه ودثره اذا غطاه فابدل وادغم على قاعدة اهل الصرف فقيل انه

اجتمع في دار الندوة ابو لهب وابو سفيان والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث
وامية بن خلف والعاص بن وائل ومطعم بن عدي وقالوا ان العرب يجتمعون في
ايام الحج ويسمعون امر محمد صلى الله عليه وسلم وقد اختلفتم فيه فاجمعوا على راي
فيما بينا دلهم فقال رجل منهم نقول انه شاعر فقال الوليد قد سمعت الشعر
وكلام محمد لا يشبهه فقالوا نقول انه كاهن فقال الكاهن يكذب ويصدق وما
كذب محمد قط فقالوا نقول انه مجنون فقال المجنون يخنق ولم يخنق ثم انصرف
لبيته فقالوا صبا الوليد فذهب له ابو جهل وقال له انا نجمع لك شيئا من المال
فقال ما لي حاجة اليه ولم اصب وانما فكرت في امره فرايته يفرق بين المرء وبين
وبين الوالد وولده وهذا شان الساحر فنقول انه ساحر فلما سمع هذا رسول
الله صلى الله عليه وسلم حزن حزنا شديدا كما ذكره المصنف وغيره من غير نقص له
ولا يخفى انه مخالف للرواية الصحيحة من ان اجتماعهم بدار الندوة انما كان وقت
الهجرة ونزول يا ايها المزمل ويا ايها المدثر كان في ابتداء نزول الوحي عليه كما في البخاري
وهو مخالف لما هنا فان صحت هذه الرواية يكون نزلت عليه مرتين ومن العجب
ان الشراح لم ينبهوا على هذا مع ظهوره ثم اجاب بجواب اخر عن هذه الشبهة فقال
او خاف صلى الله عليه وسلم من **ان الفترة** اي انقطاع الوحي عنه سنة ونصف او
سنتين او سنتين ونصف على الاختلاف فيه كان **لامر** صدر منه **او سبب** صدر منه
لم يعرفه **فخشي ان يكون** انقطاع الوحي عنه **عقوبة من ربه** لغضبه عليه **ففعل
ذلك** اي الهم بان يلقي نفسه من اعالي الجبال حتى يهلك **بنفسه** اي بذاته وجسمه
ولم يرد بعد بالبنا على الضم اي بعد ما وقع له صلى الله عليه وسلم وما هم به **شرع**
مبين **بالنهي عن ذلك** اي ينهيه عما فعله وخطر على قلبه **فيعترض به** بالبنا للمجهول
اي يكون سببا لان يعترض معترض به عليه ويجد شبهة في فعله ويعترض موضع
اي فكيف يعترض ويجوز نصبه **ونحو هذا** اي مثل ما صدر عن نبينا صلى الله عليه وسلم
مما يتوهم فيه امر ويحتاج للثنا وبلا او نحو ما روي من حزنه صلى الله عليه وسلم
وارادته لالقا نفسه من الجبل **فرار يونس** بن متى نبي الله صلى الله عليه وسلم
المعلوم وقد تقدم ان يونس مثلث النون بهمز ودونه ففيه ست لغات مشهورة
خشية بالنصب اي خوفا من **تكذيب قومه له لما** بكسر اللام وتخفيف الميم **او عدهم
به من العذاب** بيان لما ويونس صلى الله عليه وسلم كما في مرآة الزمان كان بعد
سليمان نبي الله صلى الله عليه وسلم وقد علم انه ابن متى ومتى اسم ابيه وقيل اسم امه
وهو من ولد بنيامين بن يعقوب عليه الصلاة والسلام وكان من عباد بني اسرائيل
ينزل بشاطي دجلة فبعثه الله نبيا مرسلا لاهل نينوى من ارض الموصل فلما
بلغهم الرسالة لم يجيبوه فانذرهم بعذاب يصيبهم بعد اربعين يوما فقالوا ان رايتنا
اسباب العذاب امنا بك فلما مضى من ميعاده خمسة وثلاثون يوما غامت السما
غيما اسود يدخن دخانا فخرجوا البرز وامن القرية باهليهم ودوابهم وفرقوا بين

كل

كل والدة وولدها وضجوا الى الله تعالى فقبل الله توبتهم وقد ساح يونس عليه
الصلاة والسلام في الارض وروى ابن مسعود ان يونس صلى الله عليه وسلم وعد
قومه العذاب واخبرهم انه ياتيهم الى ثلاثة ايام ففرقوا بين كل والدة وولدها
وجاروا الى الله فرفع عنهم العذاب بعدما شاهدوه الناس وذلك لم يكن لغيرهم
وانتظر يونس العذاب فلم يره شيئا وخاف الكذب على ما ياتي فانطلق مغاضبا وركب
سفينة فركدت وغيرها سائرة فقال ما بالها فقالوا لا ندري فقال لو ان عبدا ابق
من ربه لا تسير حتى تلقوه منها فقالوا اما انت فلا نلقيك فقال اقترعوا فمن وقعت
عليه القرعة التي خرجت القرعة عليه ثلاث مرات فالقي في البحر فابتلعه الحوت
وهوى به لقراره فسمع تسبيح الحصى فنادى في الظلمات يعني ظلمة بطن الحوت
والليل وجوف البحر الى اخر ما قصه الله من امره واختلفوا في مدة مكثه
في بطن الحوت فقيل عشرون وقيل اربعون وقيل ثلاثة ايام وقيل سبعة وقيل
يوم **وقول الله تعالى في يونس** اي في قصته **فظن ان لن نقدر عليه** جواب
سؤال مقدر تقديره انك قلت ان من الاصول المقررة كما تقدم ان الانبيا عليهم
الصلاة والسلام منزهون من ان يكون عندهم شك وشبهة في شي مما يتعلق بالعقايد
وذات الله وصفاته فكيف يظن يونس نبي الله عليه الصلاة والسلام ان قدرة الله
لا تتعلق به وهو على كل شي قدير اجاب عنه بقوله **معناه ان لن نضيق عليه**
فانه يقال قدر وقتر وقتر بمعنى ضيق اي ظن ان الله لا يضيق عليه وهذا مروي عن
جماعة من ايمة التفسير واللغة **قال مكي** رحمه الله **طمع في رحمة الله وان لا يضيق
عليه مسلكه في خروجه** مما هو فيه وقيل انه لا يناسب قوله اني كنت من الظالمين ابن اقبرس
واجيب بانه باعتبار مقامه فانه امر بالصبر فكان عليه ان يتبع امره عز وجل
ولا يذهب مغاضبا لقومه وللانبيا عليهم الصلاة والسلام مقامات لا تناسب
مقام غيرهم فليس من العذرة لانه عبر مناسب هنا وقيل انه تمثيل لحاله بحال دمجي
من ظن ان لن نقدر عليه لما استعجل ولم ينتظر امر الله عز وجل **وقيل حسن
ظنه بمولاه** يعني الله عز وجل **انه لا يقضي عليه العقوبة** هذا جواب ثاني فهو من
التقدير قال الجوهري قدرت الشي اقدره واقدره من التقدير وهو القضا
والحكم اي ظن ان الله لا يقضي عليه بعقوبة ويجازيه على ذهابه وعدم صبره
وهذا انه لعجاهد وقتادة واختاره الفراء ثعلب **وقيل** في تاويله ان معناه
نقدر بضم اوله وتشديد ثالثه **ما اصابه** من الابتلا بابتلاع الحوت له
وقرى نقدر عليه بالتشديد فهذه القراة تدل على ان المخفف بمعنى المشدد
كما قاله ثعلب وانشد شاهدا عليه قوله

ولا عايد ذاك الزمان الذي مضى ٭ تباركت ما تقدر يقع ولك الشكر

وفي الاية قرات لا حاجة لتفصيلها هنا وهذا قريب من الجواب الذي قبله فان
العمل فيهما من التقدير والفرق بينهما انه في الاول عرف ان فعله مستحق للعقوبة

ولكن رجا العفو من كرم ربه وفى هذا لم يكن يجتنى عقوبة ويظن ان الله لا يبتليه
بما ابتلاه به وقيل معناه يواخذه الله اى يجازيه بغضبه على قومه وذهابه
مغاضبا لهم ولم يصبر منتظرا لامر الله فلن نقدر عليه بمعنى لن نواخذه بغضبه
وذهابه فاطلق السبب على المسبب فليس فيه ظن لعدم قدرة الله عليه وليس هذا
راجعا الى معنى القضا عليه لان المواخذة بالقضا والحكم السابق كما قيل وقال ابن انبرس
ابن زيد هو كما تقدم عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وتقدمت ترجمته وما فى بعض
النسخ ابو زيد وفى بعضها ابن دريد من تحريف الناسخ والصحيح الاول كما فى
المقتفى للبرهان الحلبى معناه افظن ان لن نقدر عليه على تقدير حرف الاستفهام
وقد ورد حذفه كثيرا كقوله
ثم قالوا تحبها قلت بهرا عدد الرمل والحصى والتراب
اى اتحبها وهو مفصل فى كتب النحو والاستفهام انكارى اى انظن عدم قدرتنا عليه
اى لم يظنه ولم يخطر له ببال كما اشار اليه بقوله ولا يليق اى لا يناسب عقلا
وشرعا ان يظن بالبنا للمجهول اى يظن احد بنبى من الانبيا ان يجهل صفة
من صفات ربه وهى هنا قدرته تعالى وتعلقها بكل شى وفى نسخة انه جهل ولذلك
اى مثل ما تقدم فى انه مصروف عن ظاهره قوله اذ ذهب مغاضبا الصحيح فى
معناه انه اراد مغاضبا لقومه لكفرهم اى انا متهم على كفرهم فراغمهم بتبراتهم رعيا
لهم لظنه انه سايغ شرعا حينئذ لم يفعله الا غضبا لله وانفة لدينه وبغضا للكفر واهله
وان ينتظر الاذن من الله كما قاله الزمخشرى وهو اى التفسير المذكور قول ابن
عباس والضحاك وغيرهما من السلف لا مغاضبا لربه اذ لا يليق ذلك بمقام
النبوة اذ مغاضبة الله تعالى معناها معاداة له وهو تفسير باللازم لان المعاداة
تقتضى عدم الرضا ومعاداة الله تعالى كفر لا يليق بالمومنين فكيف تليق بالانبيا
عليهم الصلاة والسلام وكيف استفهام تجوز به عن الاستبعاد لما بعده كما تقدم والمفاعلة
مفاعلة اريد بها اصل الفعل او هى على ظاهرها لانها بمعنى العداوة وهى من الجانبين
لانه عاداهم لله وعادوه لجهلهم وكفرهم ولا حاجة لصرفه عن ظاهره وقيل
ذهابه فى صورة الغضب لانه كان مستحييا اسم فاعل بيائين اى حيا من قومه
ان يجبهوه بدل من قومه بدل اشتمال اى يجبهوه بالكذب لانه اوعدهم بعذاب
يحل بهم لما خالفوه وعين له مدة كما تقدم وهو من السمة بمعنى العلامة كالكى
وغيره فاستعير للصفة لانها تميزه كالعلامة اى كراهة ان يجبهوه به اذ كان
اجلهم اربعين ليلة فقالوا ان رايتم مخايله امنا فلما راوا ذلك امنوا فكشف
عنهم العذاب كما قصه الله بقوله الا قوم يونس لما امنوا الاية وقوله او يقتلوه
اى وخوفا من ان يقتلوه فهو كقوله تعلل استبعاد رجعا كما روى فى الخبر المذكور
فى قصص الانبيا عليهم الصلاة والسلام وقد تقدم بعض منه وليس هذا راجعا
الى القول بانه غضب من ربه كما حكاه ابن عطية فتوهمه لا وجه له وفى مراة

الزمان ان يونس عليه الصلاة والسلام لما ساح فراى راعيا فى فلاة فسقاه لبنا
وهو مستند الى صخرة فاعلمه انه يونس وامره ان يقرا على قومه السلام فقال يا نبى
الله لا استطيع لان من كذب منا قتل قال فان كذبوك فالشاة التى سقيتنى
من لبنها وعصاك والصخرة يشهدون لك فاتاهم الراعى واخبرهم فانكروا فانطقت
الشاة والصخرة وشهدت له فقالوا الدانت خيرنا اذ رايت نبينا وملكوه عليهم
اربعين سنة وقيل انه ذهب مغاضبا لبعض الملوك فى عهده فيما امره به اى
بسبب امره بامر امره به من التوجه بيان لما الى امر امره الله تعالى به على
لسان نبى اخر اى بواسطته يبلغه له وصنيرامره الملك فقال له اى قال يونس
للملك غيرى اقوى عليه منى اعتذارا له لخشيته من التقصير فيه فعزم عليه اى صمم
او اقسم عليه انه يفعل ما امره به ولم يقبل عذره فخرج لذلك اى لما صنعه الملك
معه مغاضبا له اى للملك لا لربه كما توهم وهذا اشارة لما فى بعض التفاسير كما حكاه
الاخفش من ان يونس خرج مغاضبا للملك كان لقومه والنبى المذكور كما روى
عن ابن عباس شعيبا والملك اسمه حزقيل فاوحى الله الى شعيب ان قل لحزقيل ان
يبعث نبيا من انبيا بنى اسرايل الى اهل نينوى يامرهم بتخلية بنى اسرايل فانى ملقى
على نكوبهم جبابرتهم وملوكهم فقال ليونس اخرج اليهم فقال يونس هل امرك الله
باخراجى لهم وسمانى فقال لا فقال ههنا انبيا اقويا فالح عليه فخرج مغاضبا
الى اخر ما قصه الله وقد روى عن ابن عباس ان ارسال يونس عليه الصلاة
والسلام ونبوته اى بعثته نبيا مرسلا الى اهل نينوى من ارض الموصل انما
كان بعد ان نبذه الحوت ونبذه بلفظ الماضى المعلوم وفى نسخة بعد نبذه
باضافة المصدر لمفعوله اى قذفه من بطنه والمراد مطلق الالقا وقال الراغب
النبذ القا الشى وطرحه لقلة الاعتداد به ولذا يقال نبذه نبذ النعل الخلق
وقال تعالى فنبذوه وراء ظهورهم انتهى وفيه نظر لانه لا يناسب قوله فنبذناه
بالعرا فتامل واستدل لما قاله ابن عباس رضى الله عنهما بقوله تعالى فنبذناه
بالعراء وهو سقيم العراء بالمد المكان المتسع الخالى من البنا والشجر
فهو كانه عار وكان الحوت يسير مع السفينة رافعا راسه ليتنفس واختلف
فى مدة لبثه فى بطنه كما مر وقوله وهو سقيم اى ضعيف كالطفل حين يولد من
حرارة بطن الحوت وانبتنا عليه شجرة من يقطين تفعيل من قطن اذا اقام
وهى شجرة لين وقيل هى القرع وعلى هذين فاطلاق الشجرة عليه مجاز لانها ما
له ساق والمشهور الثانى لما روى انه صلى الله عليه وسلم كان يحبه ويقول هى شجرة
اخى يونس وانبتت عليه لتظله ويا كل منها وقيل لانها لا يقع عليها الذباب وارسلناه
الاية ووجه الاستدلال انه ذكر الارسال بعد اخراجه من بطن الحوت والواو وان
لم تفد الترتيب على الصحيح لكن الترتيب الذكرى يقتضيه لان غيره مخالف للظاهر
وهو معنى ما نقل عن الشافعى اذ لا وجه للعدول عن الظاهر من غير قرينة وقوله

او يريدون او بمعنى الواو او المراد وصفهم بالكثرة او تردد كمن راهم وقد اجيب
بما استدل به ابن عباس رضى الله عنهما بانه ارسال ثانوى اى ارجعه الى من ارسل اليه
اولا او هو ارسال لغيرهم الى غير ذلك مما ذكره المفسرون واستدل ايضا اى ابن
ابن عباس كما استدل بما قبله بقوله ولا تكن الخطاب له صلى الله عليه وسلم كصاحب
الحوت اذ ضجر ولم يصبر فاصبر قال الله ناصرك وذكر القصة يعنى قوله اذ نادى
وهو مكظوم الخ قال فاجتباه ربه فجعله من الصالحين وهذا بنا على ان معنى
اجتباه اصطفاه واختاره لرسالته وليس هذا ايضا بقوله فتكون هذه القصة
قبل نبوته وارساله ثانوية غير مسلم لما تقدم وانما قال هذا ابن عباس لانه قبل النبوة
يجوز صدور ما ذكر عنه لانه لم يوح اليه بما يزيل الشك عنه ثم اوردوا لا على الاصل الذى
قرره من براة الانبيا عليهم الصلاة والسلام مما يعرض لغيرهم من الشك ونحوه فقال
فان قيل فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه مسلم عن الاغر المزنى
انه اى الامر والشان ليغان على قلبى الغين بالغين المعجمة وبا ونون الستر والتغطية
وهو قريب من الغيم ويكون بمعناه اى تردد على قلبى امور تشغله ويغان عين على قلبه
اذا عرض له وسوسة ونحوها ولما توهم من ظاهر الحديث انه قد يعرض له صلى الله
عليه وسلم شك فى بعض شئ وقد يرد سوال بانه مخالف لما قرره لان قوله فاستغفر
الله فى كل يوم وفى نسخة فى اليوم مائة مرة وفى طريق اى فى رواية له فى اليوم
اكثر من سبعين مرة يقتضى انه خواطر غير مرضية محتاجة للعفو عنها دفعه فقال
اذا سمعت هذا او عرفت ما يوهمه فاحذر ان يقع ببالك اى يخطر على ذهنك وذكر
وذكر البال هنا فيه لطف صادق مجره ان يكون هذا الغين الوارد فى هذا الحديث وسوسة
او ريبا اى شكا فى شئ من اموره المتعلقة بالوحى وقع فى قلبه صلى الله عليه وسلم فى شئ
من امور الدين ثم وضحه بعد بيان معناه حقيقة فقال بل اصل الغين اى اصل
معناه وما وضع له لغة فى هذا الكلام ما يغشى القلب ويغطيه عطف تفسير وهو
استعارة لما يتخلله قاله الامام ابو عبيدة وفى نسخة ابو عبيد القاسم بن سلام
كما تقدم واصله اى ما وضع له اولا ماخوذ من غين السما وهو اطباق الغيم
عليها اى على السما واطباقه تغطية جميع نواحيها وقرب منه ما قيل انه الغيم المطبق
فيحتمل ان النون بدل من الميم وقال غيره اى غير ابى عبيدة الغين شئ يغشى
بفتح اليا والشين المخففة او بضمها وكسر الشين المشددة والاول اظهر القلب اى
يعرض له او يغيره ولا يغطيه كل التغطية اى لا يغطيه كله كالغيم الرقيق الذى
يعرض فى الهوا اى فى الجو فلا يمنع ضوء الشمس لرقته فكذلك اى مثل ما ذكرنا
انه لا يفهم منه انه وسوسة لا يفهم من الحديث انه يغان على قلبه مائة مرة او اكثر
من سبعين مرة فى اليوم ثم بينه بقوله اذ ليس يقتضيه لفظه الذى ذكرناه
اى لا يدل عليه دلالة متعينة وهو اكثر الروايات اشارة الى ان فيه روايات اخر
وانما هذا المذكور فى الحديث عدد الاستغفار لا الغين فانه واقع بعد الاستغفار

المترتب على الغين بالفا وان احتمل ان يكون كل استغفار لغين فيكون المراد التعدد
واما الروايتان فلا تنافى بينهما لانه اما باعتبار الاحوال او الاكثر من سبعين هو
المائة نفسها فيكون المراد بهذا الغين اشارة الى غفلات قلبه وفترات نفسه
اى فتورها وكسلها وسهوها اى زوال صورتها عن الفكر وبين ما غفل عنه
فى فترو سهو بقوله من مداومة الذكر اى ذكره صلى الله عليه وسلم بلسانه وقلبه
ومشاهدة الحق ان اريد به الله تعالى فالمراد مشاهدته فى مرايا مصنوعاته
حتى كانه يراه بعين عيانه وان اريد به ما هو حق ثابت متيقن من العلوم الحقة والامور
اليقينية الدينية فالامر واضح ولما كان هذا يوهم امرا لا يناسب مقامه صلى الله عليه
ابن فرشته وسلم حتى قيل انه لا ينبغى ذكره فانه يقتضى تفضيل الملائكة على الانبيا عليهم الصلاة والسلام
لانهم لا يفترون عن العبادة والتسبيح طرفة عين اشار الى دفعه بما يتنبه له المعترض
فقال بما كان اى بسبب ما كان صلى الله عليه وسلم دفع اليه بالدال المهملة المضمومة
مبنى للمجهول اى فوض اليه واعطيه قال الراغب الدفع اذا عدى بالى معناه الانالة
كقوله تعالى فادفعوا اليهم اموالهم فان عدى بعن فمعناه الحماية نحو ان الله يدفع عن
الذين امنوا من مقاساة البشر المقاساة والمكابدة مباشرة ما فيه مشقة من
امور غيره وسياسة الامة السياسة هى الحكم والتدبير لامر غيره من ساسه يسوسه
ابن كمال اذا قام عليه لاصلاح اموره وهو لفظ عربى لا معرب كما توهم وهو حكم مخصوص
بما يكون بطريق القهر والضبط ومعاناة الاهل اى الاعتنا بامرهم والتعهد لما
فيه معاشهم ومقاومة الولى اى القيام بالامر الذى يتعلق بالولى وهو من يواليه
ويتبعه والعدو وهو من يظهر عداوته ومقتا ومقابلته بالغلبة والقهر كما
كان يفعله صلى الله عليه وسلم فى غزواته وقد يرجحونه ومصلحة النفس اى مصلحة
نفسه فى امور معاشه وكلفه بالبنا للمجهول معطوف على دفع اليه من اعبا ادا
الرسالة جمع عب بهمزة فى اخره وهو كالحمل لفظا ومعنى بكسرا وله وهو ما يكون له
فى تبليغها ودعوة الخلق وحمل بفتح اوله الامانة اى ما استودعه الله من اسراره
دكى واعطا كل ذى حق حقه وليس المراد بها طاعة التى اوجبها عليه كما قيل وهو صلى الله
عليه وسلم فى كل هذا اى ما دفع اليه وكلفه مما ذكر من المقاساة وما بعدها فى
طاعة ربه وعبادة خالقه دفع لما يتوهم من انه كان اللائق به صلى الله عليه وسلم
ان لا يشغله شئ عن ذكر ربه ومشاهدته بانه لم يشغله به لحظوظ نفسانية ولا امور
ناشئة وانما الله شغله بذلك فما انقطع عند الا لخدمته التى امره الله عز وجل بها
كما قيل اريد صلاحه ويريد هجرى ٥ فاترك ما اريد لما يريد ٥
ولذا ورد عليه ان هذا اذا كان طاعة وعبادة فلم استغفر منه والاستغفار انما يكون
من الذنب وجهه على طريق الاستدراك بقوله ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم ارفع
الخلق عند الله مكانة اى له رتبة عند الله ومنزلة عالية على كل مخلوق والمكانة
انما تختص بالمحل المعنوى كالمنزلة واعلاهم درجة الدرجة ما فى جانب العلو

صفة الدرك ومكانة ودرجة تمييز واتمهم اي اكملهم به اي بالله معرفة فهو اعرف بالله مما سواه واخر هذا لانه مترتب على ما قبله في المعقول والمحسوس وكانت حاله الحال مؤنثة اي امره وشانه عند خلوص قلبه لله بحيث لا يمر به سواه وخلوهمه اي جمل قصده وعزمه وفكره خاليه عن غير الله تعالى وتفرده بربه اي جعل امره منفردا بالتوجه لجنابه الاعلى فيكون قلبه معه وحده في خلوته فان ذاكر الله جليس الرحمن كما ورد عنه واقباله بكليته اي بذاته كلها قلبا وقالبا ومقامه هنالك اي قيامه مع الله في حظيرة قدس قربه واشارة لبعد علو مقامه ثمة ارفع اي اعلى حاليه اي حاله اشتغاله بالظاهر وحالة كونه مع الله عالم السرائر وكل منهما رفيعة ولكن هذه ارفع راى صلى الله عليه وسلم اي علم او شاهد حال فترته عنها اي عن ارفع حاليه وشغله بسواها اي اشتغاله بغيرها غضا من علي حاله وهو مفعول ثان لراى او حال والغض الطرف ارخاؤه واطراقه ويكون بمعنى النقصان كما يقال غض صوته قاله الراغب وهو المراد هنا وكني به عن التنزل عما ذكر وخفضا اي حطا وتنزيلا من رفيع مقامه وهذا بالنسبة للحالة الاخرى وان لم يكن كذلك في نفسه فاستغفر الله تعالى اي طلب مغفرته وعفوه وما محته له من ذلك لعده بالنسبة لمقامه الاخر كالمذنب كما قال البحتري

اذا محاسني اللاتي ادل بها ... كانت ذنوبي فقل لي كيف اعتذر

ولذا ورد انه صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من مجلسه قال استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه وروي انه كان يقول رب اغفر لي وتب علي انك انت التواب الرحيم مائة مرة وهذا التفسير اولى وجوه الحديث التي ذكرت في توجيهه واشهرها والى معنى ما اشرنا اليه مال كثير من الناس وحام حوله اي دار باطرافه وقرب منه كقوله صلى الله عليه وسلم من حام حول الحمى واصله رؤية الطائر على الماء ارادة النزول عليه وقارب اي حاول القرب والوصول اليه ولم يرد اي لم يصل اليه استعارة ممن ورد الماء واتاه ليستقي منه وفيه اشارة الى ان ذلك فيه شفاء العليل وثلج الصدور وان النفس لها ظمأ اليه وفيه من البلاغة ما لا يخفى وقد قربنا غامض معناه اي دنيناه لمن قاربه ففيه لطف لا يخفى اي خفيه الذي لم يتضح واصله المكان المنخفض فكني به عما ذكر ثم صار حقيقة فيه وكشفنا للمستفيد اي طالب الفائدة العلمية من تجارته الرابحة محياه بالضم والفتح والتشديد بمعنى الوجه وفيه استعارة مكنية وتخييلية بتشبيهه بحسان مخدرة والكشف للحديث عنها لرفع غيبه واظهار محياه لعينه وهو اي هذا التفسير مبني اي متفرع على جواز الفترات والغفلات والسهو على سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام في غير طريق البلاغ اي ما امر بتبليغه لامته من الشرائع واما ما طريقه البلاغ فلا يجوز فيه ذلك لمنافاته له على ما سياتي في هذا الكتاب وفي كلامه نظر لا يخفى فانه جعل الغفلة والفترة والسهو عبارة عن اشتغاله بامر امته واهله فلا غفلة ولا فترة ولا سهو حقيقة فكيف بناه على غير اساسه وهذا عندي كالغفلة

فيما قال

فيما قاله تنا سلمه فانه عزيز ومن هنا علمت سر دعاء الملائكة لبني ادم بالمغفرة وتعقيب صلاتهم بها ومعنى قوله تعالى ويستغفرون للذين امنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما وسر تذييل هذه الاية بما ذكر وذهبت طائفة اي اختارت واخذت مذهبا ورايا تقول له والناس فيها يختلفون مذاهب من ارباب القلوب اي اولياء الله الذين نور الله قلوبهم وطهرها حتى صاروا من ارباب الكشف ومشيخة بفتح الميم وسكون الشين ويجوز كسرها جمع شيخ وهو الكبير سنا ثم شاع فيمن كبر قدره في العلم والصلاح المتصوفة اي ارباب التصوف وهو علم السلوك وهو لفظ اطلق على هؤلاء بعد العصر الاول لتقشفهم ولبسهم الصوف او لصفاء قلوبهم او لمضاهاتهم لاهل الصفة كما بيناه في كتاب شفاء الغليل ممن قال بتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا اي ما ذكر من الغفلة وما بعده جملة اي كله ومجموعه واجله اي عظمه صلى الله عليه وسلم بتنزيهه عن مثله عن ان يجوز بالبناء للمجهول بضم اوله وتشديد واوه المفتوحة اي يرى جائز الاطلاق عليه في حال من احواله سهوا وفترة السهو الذهول عن شيء يتنبه له سريعا وقيل انه في الشيء تركه من غير علم وعن الشيء تركه مع علم ومنه الذين هم عن صلاتهم ساهون والفترة السكون بكسل ونحوه كما تقدم الى ان معنى هذا الحديث والى متعلقة بذهبت ما يهم بضم اوله وكسر هائه من اهمه اذا قلقه واحزنه وخاطره بالنصب مفعول اي قلبه وفكره وجعل فكره ذا هم مجاز لقوله ويغم فكره اي يجعله ذا غم والهم والغم الحزن وقد يفرق بينهما من امر امته صلى الله عليه وسلم لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم وخوفه ورحمته لهم فيستغفر لهم اي يدعو لهم بالمغفرة لما صدر منهم او لما سيصدر فالغين خواطره فيما يتعلق بهم واستغفاره صلى الله عليه وسلم انما هو لهم فلا اشكال في الحديث اصلا قالوا اي المشايخ المنزهون له صلى الله عليه وسلم عما ذكر وقد يكون الغين هاهنا اي في هذا الحديث هو السكينة اي الوقار والثاني والطمانينة في الامور التي تغشاه اي تعرض له لقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه اي طمانينته وحلمه ووقاره وفي الضمير في عليه قولان احدهما على النبي صلى الله عليه وسلم والثاني على ابي بكر قال ابن العربي قال علماؤنا وهو الاقوى لانه خاف على النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله سكينته عليه فامنه النبي صلى الله عليه وسلم وسكن فسكن جاشه وذهب روعه وحصل الامن والسكينة لها معان منها الوقار والسكون والرحمة وقيل انها وردت بمعنى ذات لطيفة هوائية لها وجه كوجه الانسان او على صورة هرة مع بني اسرائيل اذا ظهرت انهزم عدوهم وورد بمعنى السحابة كذا في الشرح الجديد وقال الراغب في قوله وانزل السكينة في قلوب المؤمنين قيل هي ملك يسكن قلب المؤمن ويؤمنه ومنه ان السكينة تنطق على لسان عمر وقيل هو العقل ويقال له سكينة اذا سكن عن الميل والشهوة والسكينة زوال الرعب وعليه قوله تعالى ان ياتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وما ذكر من انها شيء له راس كراس الهرة لم يصح ويكون استغفاره صلى الله عليه وسلم عندها على هذا ليس عن ذنب بل خضوع وخشوع وقال ابن عطا

اظهار العبودية والافتقار
الى ربه عز وجل ...

تقدمت ترجمته استغفاره وفعله هذا اي الواقع في هذا الحديث تعريف للامة
اي تعليم لهم يحملهم على الاستغفار اي طلب مغفرة ربهم وقال غيره اي غير ابن عطا
ويستغفرون اي يتبركون ويتبرفون من تعريف رسول الله صلى الله عليه وسلم
لهم واصله طلب الشعور نعبر به عما ذكر الحذر اي الاحتراز من المعاصي والخوف
منه كما قال تعالى ويحذركم الله نفسه وفي نسخة الحصر اي حبس انفسهم على طاعة
الله والامتناع من الذنوب ولا يركنون اي لا يميلون ميلا ما الى الامن من الوقوع
في المعاصي والذنوب فانه من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه وقد يحتمل
الحديث ان يكون هذه الغاشية في قوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي حالة
خشية واعظام اي يخطر بباله عظمة الله والخشية منه تغشى قلبه اي تعرض له حالة
من تصور ذلك فيستغفر حينئذ اي حين ما غشيته هذه الحالة شكرا لله تعالى
على نعمة جليلة اذ عرفه عظمته وخشيته وهي اعظم المعلومات فهو نعمة لا يبا ربها
غيرها وملازمة لعبوديته اي تعبدا وعبدا اذ مقتضاها عده نفسه مقصرة لا
تفي بما احد منه ولذلك يستغفره كما قال صلى الله عليه وسلم في ملازمة العبادة
كما ورد في حديث انه صلى الله عليه وسلم اكثر من قيام الليل حتى تورمت قدماه فقالت
له الصحابة اتفعل هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر
فقال افلا اكون عبدا شكورا عطفه بالفا على كلامهم بتقدير اذا انعم علي بغفران ما
تقدم وما تاخر نفي مقابلة هذه النعمة اللائق بي الشكر واعظمه الاعتقاد بالجنان
والعمل بالاركان ولا عمل له افضل من الصلاة وقد تمم شكره بلسانه لما قال هذا افلا
اكون عبدا شكورا فاعترف بعبوديته وهي من اعظم النعم عليه واتى بصيغة المبالغة
وفا السببية وهو معطوف على كلامهم ويبقى عطفه تلقينيا كما صرح به سيبويه وذكره
في الكشاف وهذا الحديث رواه البخاري وغيره وفي رواية له افلا احب ان
اكون عبدا شكورا فان الشكر يديم النعم او هو معطوف على مقدر اي اترك التهجد
فلا اكون الخ وفيه حث لغيره ودليل على ان الشكر كما يكون باللسان يكون بالاركان
كما قال تعالى اعملوا ال داود شكرا لكن عمره اذا خشي الملال لا ياتي الا بما يستطيعه
كما ورد في الحديث فلا منافاة بينه وبين قوله عليكم من الاعمال ما تستطيعون فان
الله لا يمل حتى تملوا وعلى هذه الوجوه الاخيرة فالواقع في قوله وقد يكون الغين عرضي
الى هنا وقيل من قوله وذهبت طايفة من ارباب القلوب الخ يحمل اي يفسر ما ورد
في بعض طرق هذا الحديث من رواية البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه
عنه صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي في اليوم اكثر من سبعين مرة فاستغفر
الله فيفسر الغين بما مر ويجعل الاستغفار له لما مر او لامته تعليما لهم والعدد
للاستغفار لا للغين لبعده لفظا ومعنى وقال الخيضري في خصايصه قال السهروردي
لا تعتقد ان هذا الغين نقص بل هو كمال متمم لكماله ومثله بجفن العين يسيل ليدفع
القذى عن العين فيمنع من الرؤية فهو نقص بحسب الظاهر وكمال في الحقيقة

وهكذا

وهكذا بصيرة النبي صلى الله عليه وسلم للاغيرة الثايرة من انفاس الاغيار التي ستر
حدقة بصيرته صيانة ووقاية لها وقول ابن الجوزي هفوات الطباع البشرية
لا يخلو احد منها والانبيا عليهم الصلاة والسلام وان عصموا من الكباير لم يعصموا
من الصغاير مبني على خلاف المختار وقال ابن بطال الانبيا عليهم الصلاة والسلام
اشد الناس اجتهادا في العبادة فهم دايبون في شكره معترفون بالتقصير عما
يجب له تعالى ويحتمل انه عد اشتغاله بالمباحات دنبا كالاكل والشرب والجماع
وغيره من امور الدنيا والنظر في امر العباد وغيره مما يشغله عن ذكر الله ومراقبته
فعده ذنبا بالنسبة لعالي مقامه بمنعه من الحضور بحضرة القدس وكونه تعليما
لامته مما لا يعد للسياق وكذا ما قيل انه لاطلاعه على ما يحدث من امته بعده وفي
الاحيا كان صلى الله عليه وسلم دايما يترقى في المقامات فاذا انتقل من مقام الى اعلا منه
راه نقصا فتاب منه واستغفر وحسنات الابرار سيات المقربين كما قاله الجنيد ونقل
هذا انه يدل على وقوع الاستغفار يتفرق بحسب الاحوال وظاهر الحديث بخلافه
كما قاله ابن حجر وفيه نظر لانه ليس في الحديث ما يدل على اتفاق واجتماع انتهى وسئل
الغزالي عن هذا الحديث فاجاب بما سمعته قال والظاهر ان الجملة الثانية مترتبة على
الاولى وان سبب الاستغفار الغين بدليل ما روى حتى استغفر الله وفا ستغفر الله
ويحتمل ان الجمع بينهما من الراوي فاخبر بحصول ذلك الغين مع كثرة الاستغفار وان لم
يكن كذلك والجملة حال مقدرة وقال بعض المشايخ من الصوفية الغين في اصطلاح
ارباب السلوك شهود الحق بشهود الاغيار التي هي حجاب عن شهود الحق وهو مترة
عنه فالمراد به اختلاف التجليات كتجلي الصفات والذات وقال الشاذلي اشكل علي هذا
الحديث فرايته صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا مبارك ذلك غين الانوار لا غين الاغيار
وفي لطايف المنن لابن عطا الله وحل الرموز المقدسي من ظنه غين غفلة وحجاب
فقد اخطا وانما كان صلى الله عليه وسلم يستغرق في انوار التجليات فيغيب في ذلك
الحضور فيبادر للمغفرة اي ستر هذه الحالة لانه من الغفر بمعنى الستر لان الخواص
لو دام لهم تجلي ما يكاشفون به تلاشوا من ظهور سلطان الحقيقة وهذا الستر لهم
رحمة وللعوام عقوبة لانه حجاب يستر عن بصايرهم فانهم مستورون عنه بغيره
والخواص مستورون به عما سواه وهو ستر عن دنو الذات المحرق للسوا كما قال
ابن الفارض رحمه الله

ولولا احتجابي بالصفات لاحرقت ۞ مظاهر ذاتي من سما تجلي

هذا محصل ما قاله اهل الباطن والظاهر وزبدة ما في الحديث من الظواهر
والسراير فاختر لنفسك ما يحلو ثم انتقل لشبهة اخرى ترد على الاصل الذي قرره
فقال فان قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ولو شا الله لجمعهم
اي جعل الناس كلهم مجتمعين متفقين على الهدى بهدايتهم للعقايد الحقة واتباع
الشريعة اللازمة فلا يضل احد منهم عن الطريق المستقيم فلا تكونن من الجاهلين

اول الاية فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء فتاتيهم باية
وهو تخفيف عليه صلى الله عليه وسلم لما راى من حرصه على ايمان الناس فنهيه عن
الجهل بقدرة الله لما شاء يوهم انه لم يحط بذلك وهو منزه عنه ودفعه بما سيأتي
وكذلك قوله تعالى لنوح عليه الصلاة والسلام فلا تسألني ما ليس لك به علم
اني اعظك ان تكون من الجاهلين حين نادى وقال رب ان ابني من اهلي
وان وعدك الحق بين ما وعده به من نجاة اهله ثم قال له احمل فيها من كل زوجين
اثنين واهلك وابنه من اهله فسأله عن سبب عدم نجاته فانكر عليه سؤاله ونسبه لما
لا يليق بالانبياء عليهم الصلاة والسلام من الجهل والى دفع وجه السؤال والشبهة اشار
بقوله فاعلم امر لكل من يمكن توجيه الخطاب اليه وسد مسد مفعوله قوله
انه لا يلتفت بالبناء للمجهول اي لا يتوجه التفات احد ونظره في ذلك اي في خطابه
تعالى لهما بما ذكر الى قول من قال من المفسرين في اية نبينا اي في الاية الاولى
التي نزلت في حقه صلى الله عليه وسلم وتقدم فيها فلا تكونن من الجاهلين وان
معناها لا تكونن ممن يجهل ان الله لو شاء لجمعهم على الهدى باسناد الجهل ونسبته
اليه ولا يلتفت ايضا لقول من قال في ابن نوح عليه الصلاة والسلام لا تكونن
ممن يجهل ان وعد الله حق لقوله ان وعدك الحق فانه لا يخلف الميعاد وعلل
عدم الالتفات لهذا القول بقوله اذ فيه اي في هذه الاقوال وتفسير الايتين
بما ذكر اثبات الجهل بصفة من صفات الله وهو قدرته وعلمه وذلك لا يجوز
على الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم لمعرفتهم بالله تعالى وصفاته والمقصود
اي المعنى المراد من هاتين الايتين وعظهم اي ارشادهم وتنبيههم على ان لا يتشبهوا
في امورهم حين الدعوة للخلق بسمات الجاهلين اي لا يتصفوا بصفاتهم من
عدم الصبر والحرص على سرعة حصول المراد مما هو شأن الجهلة كما قال اني
اعظك فهو دليل على ارشاده صلى الله عليه وسلم ان لا يهتم بما ليس من شانه
ولا يتخلق بما هو من اخلاق الجهلة لانه جاهل بذلك وليس في اية منها اي من
الايات المذكورة دليل على كونهم على تلك الصفة اي صفة الجهل بصفة من صفات
الله فانهم اعلم الناس بها التي نهاهم عن الكون عليها اي الاتصاف بذلك والنهي
عن الكون ابلغ من النهي عن الاتصاف بها كما قرره ابن جني في كتاب المحتسب فكيف
يكونون وهم اعلم الخلق على صفة نهوا عن الكون عليها والاستفهام للاستبعاد وذلك
واية نوح عليه الصلاة والسلام المذكور فيها قصته وهي قوله اني اعظك الخ قبلها
فلا تسألني ما ليس لك به علم فهي مؤذنة بان المراد نهيه عن التشبه بالجهلة لنهيه
عن السؤال عما لا يحتاج اليه حمل ما بعدها على ما قبلها اولى من الجري على ظاهرها
ونسبة ما لا يليق بهم اليهم لان مثل هذا السؤال عما ليس له به علم من حال ابنه
قد يحتاج الى اذن من الله فلا يقدم عليه بدونه وقد تجوز اباحة السؤال فيه
ابتداء اذ من غير اذن يختلف باختلاف الاحوال والمقامات فنهاه الله عن ان

بباله عما طوي عنه اي اخفي عنه علمه به فشبه الامر المخفي عنه بثوب مطوي ملفوف
لا يظهر باطنه وما في داخله واكنه اي ستره تعني له قلوبنا في اكنة اي حجاب يمنع
الادراك من غيبه اي من الامر المغيب عنه وفي نسخة في غيبه من السبب الموجب
لهلاك ابنه باغراقه وعدم ادخاله في سفينته بيان لما طوي عنه واكنه لانه
لم يكن على دينه لانه كان يبطن الكفر ونوح عليه الصلاة والسلام لم يعلمه ثم اكمل
الله نعمه عليه جمع نعمة وفي نسخة نعمته بالافراد باعلامه بذلك اي بما سأل عنه
وانما جعله من كمال النعمة لانه علم ما لم يعلم وبين له ما نهى عن السؤال عنه بقوله
عز وجل له انه اي ابنه ليس من اهلك لانقطاع الولاية بكفره وخروجه عن
دينه انه عمل غير صالح تعليل لنفي كونه منه ومعدودا من اهله حكاه اي
هذا التفسير حكاه عن السلف مكي تقدمت ترجمته كذلك اي مثل قصة نوح
في انها مخالفة للظاهر محتاجة للتأويل بانها تشبيه بمن اتصف بصفة الجهل امر فعل
مبني للمفعول نبينا صلى الله عليه وسلم في الاية الاخرى السابقة وهي ولو شاء الله
الخ بالتزام الصبر متعلق بامر والمراد بالامر ما يلزم النهي وامره بالصبر مذكور
صريحا في ايات اخر كقوله فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل على اعراض قومه
عن دينه وعنه ولا يحرج من الحرج وهو ضيق الصدر والقلق عند ذلك اي
عند اعراضهم عنه فيقارب حاله حال الجاهل بشدة التحسر اي التأسف والندم
على عدم اطاعة قومه له حكاه اي ما ذكر من التفسير ابو بكر بن فورك تقدمت
ترجمته والكلام على اسمه في منع الصرف وعدمه وقيل معنى الخطاب في قوله فلا
تكونن من الجاهلين لامة محمد لا له صلى الله عليه وسلم فهو تعريض كما تقدم من
تحقيقه اي فلا تكونوا من الجاهلين اي ممن اتصف بصفاتهم وانخرط في سلكهم
حكاه مكي ايضا وقال مكي مثله في القران كثير فخاطب النبي صلى الله عليه
وسلم والمراد امته كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فبهذا الفصل الذي قرره في حق
الانبياء من تأويل ما يوهم نسبتهم لما لا يليق بعلي مقامهم وجب وفي نسخة اوجب
القول بعصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام منه لشرفهم وكمال علمهم ورجحان
عقولهم وتنزيه الله لهم عن النقائص بعد النبوة قطعا لقيام الادلة عليه والحاصل
ان معنى الاية الاولى انه تعالى لما راى اشتداد حرصه صلى الله عليه وسلم على ايمانهم
وشق عليه حتى كاد يهلك نفسه لم يرض له ذلك فقال له ان كان عظم ذلك عليك
فان امكنك ان تغوص في الارض لتطلع منها اية لهم او تنصب سلما تصعد به الى السماء
لتاتيهم باية منها حتى يؤمنوا اي انك لا تستطيع هذا فما فائدة هذا الحرص ولو اراد
الله هدى جميع الخلق فلا تحرص على ما لم يرده وقيل كانوا يقترحون عليه ايات يودون
اجابتهم اليها حرصا على ايمانهم فقيل له ان استطعت ان تفعل هذا لتاتيهم بما اقترحوه
فافعل ليؤمنوا وقيل ابتغاء النفق والسلم هو الاية نفسها فهذه ثلاثة اوجه الاول
بيان لشدة حرصه وانه لو قدر على المحال فعله والثاني بيان لحرصه على تثبيت

مطلوبهم و بفتوحهم و الثالث حرصه على جبل الصعود و الهبوط ابوُ لهم حتى يومنوا
به و نزل د القاضى الاحجرين لان عادة الله لان من احبب لما انترح يجل بهلاكه دهلو
منا ن يحرصه على ايما نهم ولان المنب د رمس الاية ان النبق والسلم غير الاية مع ما يجد
من النزعة الاعتز البة رقصد نوح وهلاك ابنه كنعان بعد ما ما ل الله لما نه
تغبل له ان سبق القول بهلاكه لكفره والكلام فيه مفصل فى التفاسير فلا
نطيل بذكره ء ا ى ر سوالا احر على ما قرره من الشك فى شى مما يتعلق با لعقايد
والدين فقال **فان قلت فاذا قررت عصمتهم من هذا** اى حفظ الله لهم عما
ذكر **وانه لا يجوز عليهم شى من ذلك** ولا يصح اعتقا ده فيهم **فا معنى اذن** وقعت
فى جواب سوال مقدر فا صلة بين المضاف والمضاف اليه ملغاة لعدم شروط
عملها **وعيد الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم** اى تخويفه بتهديد ووعيد ور شى من
ذلك منه و تهديده **على ذلك ان فعله** ونحوه مما يقتضى جوازه منه عليه **وتحذيره**
منه كقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك الاية حبوط العمل بطلانه با لكلية
بحيث لا يثاب عليه ولا يبقى له عمل من حبطت الدابة اذا وجدت مرعى طيبا فاكلت
منه اكلا كثيرا حتى انتفخ بطنها فماتت فا لاتيان با لشرط واسناد الشرك له صلى
الله عليه وسلم يجب الظاهر يدل على جواز مثله و على غيره من الانبيا مع انهم منزهون
عنه و اطلاق الاحباط فى هذه الاية اما لانه مخصوص لان ذنب العظيم عظيم او
هو مقيد بموته على ذلك كما يعلم من قوله ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو
كافر فاولئك حبطت اعمالهم والجواب علم مما تقدم و اللام الاولى موطية لقسم
مقدر والثانية فى جوابه **وقوله** بالجر اى وما معنى قوله تعالى **ولا تدع من**
دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الاية فان فعلت فانك اذا من الظالمين
ونهيه عن ان يدعو غير ربه اى يعبده لان الدعا هنا بمعنى العبادة يقتضى صدوره
منه صلى الله عليه وسلم وتا ويله يعلم مما مر **وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة**
الاية اى و ضعف الممات اى عذابا مضاعفا له عذاب الدنيا والاخرة **وقوله تعالى**
ولو تقول علينا بعض الاقاويل اى لو افترى علينا **لاخذنا منه باليمين** جواب
لو عطف عليه قوله ثم لقطعنا منه الوتين و الكلام على الايتين وسبب نزولها مبين
فى التفاسير والذى يهمنا هنا ما وضعه المصنف بايراده هنا **وقوله وان تطع**
اكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله والمراد بهم الكفرة الجهلة واطاعتهم
بموافقة ما هم عليه ومثله لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم فكيف اسند اليه فيها و نز
مر جوابه **وقوله تعالى فان يشا الله يختم على قلبك** وهذا بنا على الظاهر من
ان المراد يمنعه من قبول الحق كما فى قوله ختم الله على قلوبهم لا على تفسير مما هو انه
ان يشا يربط على قلبك بالصبر على اذاهم حتى لا يلحق مشقة **وقوله تعالى وان لم**
تفعل ما امرت به **فما بلغت رسالته** اى فكانك لم تبلغ شيا منها لتقصيرك
فهذا يقتضى جواز تقصيره ظاهرا فى تبليغ جميع ما اوحى اليه فامره بان يبلغه

٢

جميعا ولا يخشى مكروها من احد فان الله عصمه وصانه وجعله فى حصن حمايته
وكان يحمرا ول من اظهر ذلك وقال لا نعبد الله سرا **وقوله تعالى يا ايها النبى اتق**
الله ولا تخف من احد **ولا تطع الكافرين والمنافقين** فيما يودى الى تفريط فى شى
من امر الدين روى انه صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة كان يحب اسلام
اليهود و قد تبعه ناس على نفاق منهم فكان يلين جانبه لهم ويحيى ويرعى فيا يحبهم
فنزلت هذه الاية فيهم وقيل فى سبب نزولها غير ذلك كما ذكره الواحدى وغيره
ثم شرع فى الجواب عما ذكر فى هذه فقال **فاعلم وفقنا الله واياك** لتوفيق على
معانى كلامه فانه لا يكون الا بتوفيق منه تعالى **انه عليه الصلاة والسلام لا يصح**
عقلا وشرعا **ولا يجوز عليه** صلى الله عليه وسلم **ان لا يبلغ شيا** مما امره الله بتبليغه
كما يوهمه ظاهر قوله فما بلغت رسالته **ولا ان يخالف امر ربه** كما يوهمه قوله
فان لم تفعل **ولا ان يشرك به ولا يتقول على الله** اى يكذب عليه ويفترى
كما مر فى قوله ولو تقول علينا الاية **ما لا يجب** بالحاء المهملة اى ما لم يرده ولم ياذن
له فيه **او يفترى عليه** اى يكذب عليه وهو بمعنى يتقول واعاده لانه صريح فى
المراد وقد يفرق بينهما بان يراد بالتقول تكلفه فيما يقوله بزيادة او ما لغة فيه
وهو المناسب لعطفه **او يضل** عن الصواب والطريق المستقيم باطاعته غير الله
فهو اشارة الى قوله تعالى وان تطع اكثر من فى الارض يضلوك الخ **او يختم الله على**
قلبه ويطبع عليه ما يمنعه عن قبول الحق **او يطيع الكافرين** والمنافقين فى امر يهواه
انفسهم وهو اشارة الى قوله ولا تطع الكافرين والمنافقين فان الامة اجمعوا على عصمة
الانبيا عليهم الصلاة والسلام قبل النبوة وبعدها عن الكفر غير الخوارج حيث جوزوا
عليهم بعض الذنوب وهى كفر عندهم ولبعض الشيعة القائلين بجواز اظهار الكفر تقية
ولا يعتد بهم فى اليم الواهية فلذا كان المراد بقوله لئن اشركت تهييج الرسل واقناط
الكفرة على طريق الفرض اى اذا كان هولا يحبط عملهم به فكيف حال غيرهم ولذا قيل فى
نفى الافترا والتقول عنهم ونص عليه ما بعده **لكن يسر الله امره** اى حاله صلى الله
عليه وسلم وشانه او ما امره به **بالمكاشفة** متعلق بيسرا وبامرا و بهما على التنازع
والبيان عطف تفسير لان المراد بالمكاشفة كشفه له وتبيينه او المراد بالاول
ما يكشفه بالالهام وبالثانى ما يوحى به اليه **فى البلاغ** متعلق بامره وقيل بالمكاشفة
للمخالفين متعلق بالبلاغ اى من خالفه فيما يبلغه لهم عن ربه ويجوز فى قوله بالمكاشفة
والبيان ان يراد به المبارزة والاظهار للبلاغ من غيرمبالاة باحد فهو متعلق بامره
لان المبارزة به فكانه لم يفعل **وان ابلاغه** بفتح همزة ان وهو معمول لمقدر اى
واعلمه ان تبليغه لما امر به **ان لم يكن بهذه السبيل** اى على هذه الحالة والطريقة
من تبليغ جميعه واظهاره والصدع به **فكانه ما بلغ** اصلا لانه كالمعدم كمن ترك
ركنا من اركان الصلاة لا يعتد بصلاته وانث اسم الاشارة لان السبيل تذكر وتونث
وطيب نفسه طيب النفس جعلها مسرورة غير مكدرة ولا خايفة من شى **وقوى**

قلبه اى كان قويا متحققا لانه لا يصيبه مكروه وثبتا بلا ضعف وهو خوفه مما
يتوهمه **يعصمك والله يعصمك من الناس** اى يحفظك ويصونك عنهم حتى لا يقدر
احد على شئ يضرك وهذه الاية ان كانت نزلت بعد احد فهى على عمومها وكان
قبل نزولها له صلى الله عليه وسلم حرس يحرسونه فلما نزلت ترك ذلك وان كانت
نزلت قبلها فالمراد عصمته من القتل فلا ينافى ما اصابه باحد من جراحته
وكسر ثنيته لحكمة تطييبا لقلوب المؤمنين وتكثير الثواب فمن ظن من تلاف
الحروب ان لا يصاب تعدد ظن عجزا **كما قال الله** عز وجل **لموسى وهارون**
حين ارسلهما فرعون وقومه الجبابرة **لا تخافا انني معكما** اى حافظا وناصرا لكما
على هولاء مع عتوهم وتجبرهم فبلغا اوامرى واصدعا بالحق **لتشتد** اى تقوى وتزيد
شدة **بصايرهم** اى موسى وهارون ومحمد صلى الله عليه وسلم فيكونوا على بصيرة
ويقين فى امورهم **فى الابلاغ** اى تبليغ ما ارسلوا به لهم **وليظهر دين الله** من غير
خوف **ويذهب عنهم** بالبنا للمجهول والنصب معطوفا على تشتد **خوف العدو** لوعده
تعالى بحفظهم ونصرهم عليهم **المضعف للنفس** صفة خوف اسم فاعل بتخفيف العين
وتشديدها اى المودى لضعف نفس من خاف فهو بتخفيف الضاد وسين مهملة وروى
للبعض بيا بين بخفيفى وتاء فوقيين والاول اولى رواية ودراية لان يقين الانبيا عليهم
الصلاة والسلام بربهم قوى ابدا وان جاز ضعف انفسهم بمقتضى البشرية ويويده بل
يعينه قوله تعالى فاوجس فى نفسه خيفة موسى والخوف من المضرات امر طبيعى عليه
البشر مع انهم على يقين من ان الله هو الضار النافع وهو لا ينافى التسليم والتوكل الا
ترى انهم خندقوا فى الاحزاب وهاجروا عن عدوهم ودخلوا الغار وهو بحسب المقامات
فلا يرد عليه ان بعض الاوليا كان لا يفر من الاسد **واما قوله تعالى ولو تقول علينا**
بعض الاقاويل الاية تقدم انه لبنى فيه شئ لبنى له صلى الله عليه وسلم **وقوله اذا لاذقناك**
ضعف الحياة فمعناه ان هذا العذاب المضاعف فى الدنيا والاخرة **جزاء من فعل هذا**
التقول والافترا على الله **وجزاؤك لو كنت ممن يفعله** فاذا هدده من لا يصدر
عنه فما بالك بغيره **وكذلك** اى مثل ما ذكر فى الايتين **قوله وان تطع اكثر من فى**
الارض يضلوك عن سبيل الله الخطاب له صلى الله عليه وسلم ظاهرا **والمراد**
غيره بطريق التعريض قرعا للعصاة ايقاظا لهم وتحريكا لغفلتهم لارتفاع قدره
صلى الله عليه وسلم عن ارتكاب مثله **كما صرح** تعالى بالمراد اذ **قال** مخاطبا لهم
صريحا **ان تطيعوا الذين كفروا الاية** يعنى قوله يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا
خاسرين فان الخطاب للمنافقين اذ قالوا للمومنين باحد لما ارجف بقتله صلى
الله عليه وسلم ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا فى دينهم فلو كان محمد نبيا ما قتل **وكذلك**
قوله فان يشا الله يختم على قلبك خوطب والمراد غيره **وكذلك** قوله تعالى
لئن اشركت ليحبطن عملك كما تقدم بيانه **وما اشبهه** مما خوطب به **فالمراد**
به **غيره** تعريضا وايقاظا **وان هذه** الحال المذكورة من الاحباط ونحوه

حال

حال من اشرك به لا حاله **والنبى صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا** فلا بد
من تاويله بما مر **واما قوله تعالى اتق الله ولا تطع الكافرين** فدليل بان تقدم
فليس فيه انه اطاعهم وانما نزلت لما بايعه بعض اليهود على نفاق منهم وانما نزلت
للمباهلة بعض اليهود فكان صلى الله عليه وسلم يداريهم رجاء ان يحسن اسلامهم وليس
فى الاية انه صلى الله عليه وسلم فعل ما نهى عنه ولما استمر سوالا وهو ان يقال حيث
كان الامر كما ذكر فلم نهى عنه اجاب عنه بقوله **والله سبحانه** يعامل نبيه صلى الله
عليه وسلم بما لا يجوز ان يعامل به غيره ولانه ربما يتخيل قلبه ان **ينهاه عما يشاء**
وان لم يتصور صدوره منه **ويامره بما يشاء** وان لم يتصور تركه له كقوله له
اتق الله **وكما قال تعالى له ولا تطرد الذين يدعون ربهم** اى يعبدونه وقوله
الاية اشارة لقوله بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شئ
وما من حسابك عليهم من شئ فتطردهم فتكون من الظالمين **وما كان** صلى الله عليه
وسلم **طردهم** عن مجلسه **ولا كان من الظالمين** اى ممن ظلمهم بطردهم وهم احقا بتقريبه
لهم واكرامهم وان لا يطيع فيهم من يبغى خلافه ارضاه وكان المشركون قالوا انرضى
بجالسة مثل هولاء يعنون سالما وصهيبا وبلالا وخبابا فاطردهم عنك وطلبوا
ان يكتب لهم بذلك فقاموا وجلسوا ناحية فنزلت الاية فنهاهم عما قالوه كما فى مسلم
وانما هم بذلك رجا اسلامهم مع ان ذلك لا يضر اصحابه لعلمه صلى الله عليه وسلم
باحوالهم ورضاهم بما يرضاه كما فسره المفسرون **فصل واما**
١٢ لقن
عصمتهم اى حفظ الله انبيائه عليهم الصلاة والسلام **من هذا الفن** اى اعتقاد
ما لا يليق فى التوحيد والعلم بالله وصفاته وبما اوحى اليه من امور الدين كما
تقدم **قبل النبوة** اى قبل ان ينبئهم الله ويأتيهم الوحى من الله والنبوة والرسالة
والفرق بينهما مشهور وليس هذا محل تفصيله **فللناس** من علما الاصول والسلف فيه
خلاف جرى بينهم مذكور فى كتبهم **والصواب** اى القول الموافق للواقع والادلة
الذى على خلافه خطا من قال به **انهم معصومون** اى محفوظون مصونون **قبل النبوة**
من الجهل بمعرفة ذات **الله تعالى** بوجه ما او بحقيقته **وصفاته** فلا يجهلون شيئا
منها **ومعصومون** ايضا **من التشكك فى شئ من ذلك** وفى نسخة والتشكيك
بالعطف بالواو الفاصلة اى لا يقع فى نفسهم شك فى ذات الله ولا فى صفة من صفاته
لان فطرتهم جبلت على التوحيد والايمان واما قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب
ولا الايمان فالمراد به الايمان بما لا يدرى الا بالوحى كوجوب الصلاة ونحوه من
فروع الشريعة وقوله من الجهل بيان لما قصد من العصمة فلا وجه لما قيل انه
٢ من اقترس
اطلق بيانه العصمة وكان عليه ان يبينه ولقد اظهر من الشمس لا يخفى على ذى
بصيرة وقد تقرر ان العصمة عند المتكلمين ان لا يخلق الله فى النبى ذنبا وعند الحكما
ملكة تمنع من الفجور حاصلة من العلم بالقبايح والمحاسن فانه الزاجر عن المعاصى
والداعى للطاعة ويتأكد فى الانبيا بالوحى الالهى وقبل العصمة خاصة فى النفس

اوالنعوت بنبيها يمتنع عن صدور الذنب وبا باه انه لوكان ما استحق المدح او
الثواب لانها ليست داخلة تحت الاختيار وهم مكلفون بالا تفاق وفي التحرير لابن
الهمام العصمة عدم القدرة على المعصية او خلق مانع منها غير ملجي وهو مناسب
لقول الماتريدي العصمة لا تزيل المحنة اي الابتلاء المقتضي لبقاء الاختيار ومعناه كما
في الهداية انها لا تجبره على الطاعة ولا تعجزه عن المعصية بل هي لطف من الله يحمله
على فعله ويزجره عن الشر مع بقاء الاختيار تحقيقا للابتلاء واعلم ان
العلامة القرافي قال في التنقيح شرح الاربعين الرازية العصمة لغة الامتناع ومنه
العصم لبعض الوحش لبعده عن مظان الاذى وامتناعه واستعصم الرجل امتنع ومنه
عصمة الزوجية وحملة الشرع يطلقون العصمة على معنيين احدهما عدم المعصية
في الجملة ومنه قولهم في الدعاء نسألك من العصمة تمامها والثاني عصمة الانبيا والملائكة
عن الكفر دون ساير البشر مع ان الله امتن على الخلق بدوام الايمان فلا بد من تفسير
عصمة الانبيا بغير عدم الكفر ومنع الله منه حتى يبقى لنا لبس احدنا معصوما وان
كنا غير كافرين مساوين للانبيا في ذلك فتعين ثم انما هو باعلام الله لنا انه صانهم
في نفسه وتذره عن الكفر وتذر لهم السعادة لا بد حتما مقضية فهذا الاعلام
الرباني هو عصمة الانبيا والملائكة ومجموع الامة دون كل واحد منهم انتهى وقد تعاضدت
اي تقوت وهو ماخوذ من العضد وهو ما بين المرفق الى الكتف ولكون عمل
الانسان واعتماده بذلك قيل عضده بمعنى قويه كما اشار اليه الامام الراغب
الاخبار والاثار هما بمعنى وقد يفرق بينهما كما تقدم اي قوي كل منهما الاخر
حتى حصلت القوة التامة والمراد بهما ما اشتهر من احوالهم وصفاتهم الماثورة
المعروفة عند كل احد عن الانبيا كلهم والمرسلين باسوهم ولبيهم المراد انه نقل
عنهم بل عرف منهم وفي حقهم من قدرهما دعن غيرهم لم يصحبه تنزيههم اي تنزيههم
عن هذه النقيصة تصادفهما اي الصفة المنقصة لمن اتصف بها منذ ولدوا
اي من ابتدا زمن ولادتهم الى اخر عمرهم والكلام على منذ ومذ معروف في كتب
النحو ونشاتهم بالجر معطوف على تنزيههم والنشاة ابتدا خلقتهم الازمن شبابهم
كانوا هم على التوحيد وهو عدم الشرك بالله والايمان بالله وبكل ما يجب الايمان
به بل للاشتغال على سبيل الترقي على اشراق انوار المعارف جمع معرفة والمراد
معرفة الله تعالى وصفاته وكل ما يتعلق به واشراقها سطوع انوارها فيهم
وشدة ظهورها في احوالهم واقوالهم ونفحات الطاف السعادة والنفحة
الرايحة الطيبة التي تفوح والسعادة اي كونهم سعدا الدارين فشبه ما يلوح منهم
من امارتها برايحة طيبة تعبق منهم فتعطر الكون وفي الحديث ان لله في ايام دهركم
نفحات الا فتعرضوا لها كما نبهنا عليه في الباب الثاني في القسم الاول من
كتابنا هذا فمن اراده ينظره ثمة ولم ينقل احد من اهل الاخبار عن احد
عنهم ان احد انبئ بالبنا للمجهول وهو اخره اي صيره الله نبيا واصطفى

ای

اي اصطفاه الله واختاره لذلك وهو مجهول ايضا ممن عرف بكفر واشراك وهو
من عطف الخاص على العام قبل ذلك اي قبل نبوته واصطفايه ومستند اسم مفعول
اي ما يستند اليه ويبنى به هذا الباب اي باب معرفة احوال الانبيا عليهم الصلاة والسلام
النقل عن اهل الاخبار والاثار ويؤيده العقل الدال على انه تعالى لا يختار من خلقه لنبوته
الا من كان كذلك فليس المراد الحصر ولذا اعقبه بما يدل على ان العقل موافق للنقل
فقال وقد استدل بعضهم عليه بدليل عقلي وهو ان القلوب والعقول السليمة
تنفر اي تكره فكانها تفر عمن كانت هذه اي صفة الكفر والشرك سبيله اي طريقه
والمراد عادته ودابه قيل ان فيه اشارة الى ان منهم من خالف في ذلك فجوز عدم
عصمتهم عن الكفر قبل النبوة الا انه ليس بصواب وقد نقل عن الباقلاني انه جوزه
عقلا وان لم يقع ان الله بعث كافرا ولا فاسقا وفي المواقف اجمعت الامة على عصمتهم
عن الكفر قبل النبوة وبعدها كما تقدم وانا اقول ثالثا لما يؤيد ذلك ان
قريشا قد رمت نبينا صلى الله عليه وسلم بكل ما افترته عليه واصل الرمي في الاعيان
كرمي السهم والحجر واستعير للشتم والقذف كالرجم والمراد انها ذمته ونسبته لكل نقيصة
كقولهم لم انه ساحر ومجنون او شاعر الم تترك شيا من معترياتها التي وسمتها
قومهم حتى افترته عليه وعير بفتح العين المهملة وتشديد المثناة التحتية وراء مهملة كفار
الامم انبياها وفي نسخة انبيايهم اي نسبوهم للعار وهو الامر الذي يستقبح ويعير منه
وقال الراغب عيرته ذممته من العار وقولهم تعاير بنو فلان قيل معناه تذاكروا
العار وقيل تعاطوا المعايرة اي فعل العيب في الانتقال والتحلية ومنه عاير الدابة
انتهى فالمعنى عير وهم بكل ما امكنها وفي نسخة امكنهم اي تيسر لهم وجاز صدوره
منهم واختلقته وكذبت عليهم بوصفهم بما ليس فيهم واصل اختلاق الشيء اختراعه من
غير سبق لمثله فيعم كل كذب مما نص الله عليه اي ذكره الله في كتابه الكريم وفي غيره
من الكتب الالهية من تكذيبهم ورميهم بانواع البهتان او نقلته الينا الرواة نقلا مستفيضا
بحيث لا يمكن انكاره ولم نجد في شيء من ذلك اي من الكتب الالهية والاخبار المروية
او المراد به ما نقلته الرواة لقوله تعييرا لواحد منهم اي من الانبيا عليهم الصلاة والسلام
اي نسبتهم لعار بذمهم ووصفهم برفضه اي تركه بعد اتباعه الهته ان كان هذا
الضمير راجعا لمن غير العلوم من السياق فالامر واضح لانه واحد لانه من الانبيا وليس
لهم الهة اللهم الا ان يكون على طريق الفرض فحينئذ يصح تفسير ذلك بالكتب الالهية والاخبار
فاعرفه ولقرعه اي توبيخه وتعييره بذمه اي ذم احد من الانبيا بترك ما
كان النبي صلى الله عليه وسلم قد جامعهم اي وافق واجتمع معهم عليه اي على عبادته كما
فعلوا ولو كان هذا لكانوا اي كفار الامم بذلك بدلك اي تعييره وتوبيخه برجوعه
عن عبادة الهتهم التي كان موافقا لهم على عبادتها مبادرين بالدال المهملة اي
مسارعين لذكره معتمدين له على جميع ما انكروه وتلونه بالمجارة ومثناة فوقية
ولام مفتوحتين وواو مكسورة مشددة ونون وضمير مضاف اليه مصدر تلون

تلونا اذا تغير وتنقل من حال الى حال اخر تنقل من اللون كالبياض والصفرة تجوز
به عن الاحوال كما عبر به عن الاجناس والانواع قال الراغب يقال فلان اتى بالوان
من الاحاديث وتناول الوانا من الطعام في معبوده اى ما يعبده متعلق بتلونه
المتعلق بقوله متحيرين اى متحيرين الحجة والدليل فيقولون انت لا تستقر على دين
تارة تعبد هذا وتارة تعبد ذاك فما صرفك عن معبودك الاول ومعبود قومك
ولكان توبيخهم له اى توبيخ كفار كل امة لنبيهم نبيهم مصدر مضاف للمفعول اى نبى
النبى لامته عما كان يعبد قبل اى قبل نبوته اقطع بما وظا معجمة اى اشد قطاعة
وهي الشناعة والقباحة واقطع بقاف وطا مهملة اى اقوى واشد قطعا في الحجة
اى الدليل الذى استند لوابه عليه من توبيخه هو المفضل فيهما عليه على التنازع
او التجاذب بنهيهم عن تركهم الهتهم اى قبل الظاهر عن الهتهم وتركتركهم او
عن تركه قبل ضمير نهيهم للكفار وضمير تركهم للانبيا عليهم الصلاة والسلام وما
كان يعبد اباؤهم من قبل اى قبل انبيائهم ففي اطباقهم اى اتفاق كفار الامم
واجماعهم يقال اطبق القوم على كذا اذا اتفقوا على الاعراض عنه اى عن التوبيخ بما
ذكر وهو اقوى داعيهم في احتجاجهم على رسلهم دليل على انهم لم يجدوا سبيلا وطريقا
موصلا اليه في نص او خبر او اثر اذ لو كان لهم سبيل اليه لنقل بالبنا للمجهول اى
نقل الرواة لهم ذلك ونقل لنا من بعدهم احتجاجهم به ولم يتغافلوا احدا ولو نقل لهم ذلك
ما سكتوا عنه بل بادروا اليه قبل كل شئ كما لم يسكتوا اى الكفار عن وفي نسخة عند
تحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة فانهم وبخوا به وشنعوا حين سمعهم الله
فقال سيقول السفها الاية وقالوا ما ولاهم اى صرفهم عن قبلتهم التى كانوا عليها
في اول امرهم كما حكاه الله عنهم في القران والكلام عليه مفصل مشهور في كتب
التفسير والحديث وقد استدل القاضي القشيري هذا هو الامام عبد الرحيم
بن الامام عبد الكريم بن هوازن الاستاذ ابو نصر بن الاستاذ ابى القاسم القشيرى
صاحب الرسالة المجمع على جلالته وعلمه وزهده وامامته تخرج على امام الحرمين توفى
سنة اربع عشرة وخمسمائة بنيسابور وله عدة اولاد كما فصله البرهان الحلبى
وقال انه لم يعلم هو ولا احد من اولاده الفضا فقول المص له القاضي لا اصل له
وما قيل انه شخص اخر غير هولا احتمال واه ثقلد عن شخص غير معلوم موهم عرض
لغير مراد به على تنزيههم عن هذا اى عن الكفر والاشراك بالله قبل النبوة
لا عن نقيصة الجهل بالله وصفاته والشك في شئ لعدم ما يستند لما يعتبره وان دجى
كان تنزيهها عن ذلك ايضا بقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك
ومن نوح الاية تقدم ان الميثاق العهد وهو ماخوذ من الوثاق وهو حبل يشد
به الاسير استعير للعهد كما استعير الحبل له كما ورد في الحديث نبينا وبينهم حبال
وتمام الاية ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا
وخص بعد الاولا لذكر لشرفهم وقدم نبينا صلى الله عليه وسلم لشرفه وفضله على جميع

الانبيا والميثاق الذى اخذ عليهم هو تبليغ الرسالة ودعوة الخلق الى دين الاسلام
وان يصدق بعضهم بعضا ويبشر به وكان هذا احين كتب وقدر كلما هو كائن وقال
مجاهد انه كان في عالم الذر وجد المسند لا على الوجهين انه اذا عهد اليهم قبل
ظهورهم بتبليغ دينه وتوحيده فكيف يصدر عنهم ما ينافيه قبل النبوة وبعدها
وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة الحديث وبقوله تعالى
واذ اخذ الله ميثاق النبيين الى قوله لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم
رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه فعهد اليهم انفسهم او الى اولادهم
فهو على تقدير مضاف او اكتفى بذكر انبيائهم او سماهم انبيا تهكما لقولهم نحن احق
بالنبوة من محمد صلى الله عليه وسلم وقد تقدم الكلام على هذه الاية وان تسلكي بهما
ثانيهما مستقل لخصائصه يناسب قال القشيري فطهره الله اى براه ونزهه مما لا
يليق بعلى قدره في الميثاق اى حين اخذ الميثاق عليهم في عالم الازل ويبعد غاية
البعد عند العقول السليمة ان ياخذ الله منه صلى الله عليه وسلم الميثاق والعهد
الوثيق المحكم بالايمان وامور الدين كله وكذا اخوانه من الانبيا والمرسلين قبل
خلقه وظهوره في عالم الارواح واذ ادم بين الماء والطين ثم ياخذ ميثاق
النبيين باعهده اليهم بالايمان به اى بمحمد صلى الله عليه وسلم ونصره على اعدائه
ان ادرك زمانه فيتبعه ويكون من امته قبل مولده اى زمان ولادته صلى الله
عليه وسلم بدهور جمع دهر وهو الزمان الطويل كما قيل ان دهرا يلف شملى بسعدى
لزمان يهم بالاحسان ويجوز تشديد الواو ويجوز تخفيفها الضامن الجواز والتجويز
وهو منصوب معطوف على ياخذ اى وان يجوز الخ ويجوز رفعه بتقدير وهو يجوز
عليه الشرك او غيره من الذنوب والضمير عائد عليه صلى الله عليه وسلم ولا
يجوز عليه ولا على غيره من الانبيا الشرك ولا غيره من الذنوب بعد اخذ الميثاق
عليهم قبل خلقهم بالايمان واقامة شرعه القديم هذا اى تجويز الشرك والذنوب
عليهم بعد اصطفائهم واخذ الميثاق عليهم ما اى امر وشئ لا يجوزه عليه وعليهم الا
شخص ملحد فاسد العقيدة عادل عن طريق الحق ونهج الصواب يقال لحد اذا
حفر حفرة مائلة عن الوسط كلحد القبر ثم لكل ميل يقال لحد والحد وشاع في الميل
عن الحق وصار حقيقة فيه هذا المذكور معنى كلامه اى كلام القشيري واسند لا له
على ما ذكر قال وكيف يكون ذلك وفي نسخة وكيف ذلك وفي اخرى فكيف وهو
اسم استفهام عن الكيفية والهيئة التى تقع عليها الامر يجوز به عن التعجب والانكار
فهو انكار لتجويز ما ذكر عليه بانكار حالته التى يكون عليها لان كل امر لا يخلو عن
حالة وصفة يكون عليها فاذا انكرت حالته لزم انكار وجوده كناية على وجه برهاني
اقوى من انكاره ابتدا كما قرروه في قوله كيف تكفرون بالله وذلك اشارة لتجويز ما
ذكر وقد اتاه جبريل عليهما الصلاة والسلام كما تقدم عن انس في رواية مسلم وشق
قلبه صغيرا اى في حال صغره وهو عند مرضعته حليمة كما تقدم تفصيله واستخرج

ثم علقة اى قطعة صغيرة من دم منجمد تشبه العلقة المعروفة وقال جبريل
عليه الصلاة والسلام هذا المستخرج حظ الشيطان منك اى نصيبه فى وسوسته
لبنى ادم الذى يبره من غيرك لقبوله ما يلقيه له فبا خراجه لم يبق له عليه سبيل
كغيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام لقوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم
سلطان الا من اتبعك من الغاوين وجعلها نفس الحظ مبالغة وتقدم فيه كلام
نفيس ثم غسله بماء زمزم او الكوثر كما تقدم اى قلبه الشريف وملاه حكمة وايمانا
تمثيل لاستقرارهما فيه او انه تعالى جسم ذلك بقدرته وقد تقدم الكلام عليه
مفصلا فى قصة الاسرا كما تظاهرت اى اشتهرت وقوى بعض من قوى لهم ظاهره
اذا اعانه به اى بشق صدره الشريف صلى الله عليه وسلم وقد وقع مرارا كما تقدم
اخبار الهدا اى الاحاديث الصحيحة الواردة فى ابتدا امره ونبوته فهو مصدر
ميمى او اسم زمان او مكان والاول اظهر ولا يشبه عليك بضم اوله وفتح ثانيه
المعجم وفتح الوحدة المشددة مبنى للمجهول اى لا يشتبه عليك ولو تعلقت فى شبهة
وليس كقوله تعالى ولكن شبه لهم وهذه شبهة شرع فى دفعها لايهامها فى حق الانبيا
عليهم الصلاة والسلام ما يخالف ما تقدم فى تنزيههم عن الشك فى معرفة الله
وصفاته بقول ابراهيم اى بسبب قول الخليل عليه الصلاة والسلام لما جن عليه
الليل فى الكوكب اذا راه طالعا والقمر اذا راه غاربا والشمس هذا ربى هذا
اكبر الاية اى لا تقع فى شبهة مما وقع لابراهيم عليه الصلاة والسلام فى اطلاقه على
هذه الكواكب ربا وهو من كبار اولى العزم وذلك اشارة لما روى ومرانه عليه
الصلاة والسلام لما كان فى السرب قال لامه من ربى قالت انا قال فمن ربك قالت
ابوك قال فمن رب ابى قالت اسكت فقالت لابيه الغلام الذى حدثونا انه يغير
دين اهل الارض هو ابنك واخبرته بما كان لهم انا ه اباه فقال له مثل ذلك فلطمه ثم قال
لابويه اخرجانى من السرب فاخرجاه فنظر ابلا وغيرها سارحة فقال لا بد لهذه من
خالق يطعمها ويسقيها ويفكر فى خلق السموات والارض فقال ان الذى خلقنى ورزقنى
هو ربى لا اله سواه ثم نظر الى كوكب طلع وهو المشترى او الزهرة طالعة فقال
هذا ربى الى اخرها قصه الله عنه وهذا ما ذكره اهل الاخبار والجواب هذه
الشبهة اشار المصنف بقوله فانه قد قيل كان هذا فى سن الطفولية وهو
مصدر طفل اذا كان طفلا اى ولدا صغيرا كما تقدم لكن الذى ذكره الراغب
وغيره ممن يعتمد عليه من اهل اللغة انه يقال طفل طفولة وطفالة فاذا كانت
الطفولية مصدرا لاحتاج ليا النسبة التى تضمها الجوامد مصادر فان مثله
سماعى كالخصوصية كما وصفه المرزوقى وغيره من ائمة اللغة الا ان المصنف ثقة فلعله
وقف عليه وابتدا النظر والاستدلال على وحدانية الله تعالى ووجوده
لقوله تعالى وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه وقبل لزوم التكليف
فى ابتدا تمييزه دون غيره انه على ما قاله لكن اراد الاستدلال على وجود

ابن انبرس

صانع قديم لا يجرى عليه تغير الا انه جواب ضعيف لا اقتضائه صدور الشرك منه
فى صغره ومثله لا يليق بمثله عليه الصلاة والسلام وكونه تنبيها لابويه وقومه
على خطابهم فى عبادة غير الله جواب اخر فادخاله فى الكلام هنا غير مناسب
لمنافاته لقوله وابتدا النظر الخ وذهب معظم الحذاق جمع حاذق وهو من
له ذكا وفهم ومعظم بمعنى اكثر من العلما والمفسرين اشارة الى ضعف ما قبله وان
قائله لا يعتد به الى انه عليه الصلاة والسلام انما قال ذلك اى هذا ربى الخ
تبكيتا وفى نسخة تبكيتا ومناسبها المعطوف الاتى لقومه لانهم كانوا يعبدون الكواكب
والتبكيت بالمثناة الفوقية والموحدة وكاف ومثناة تحتية ساكنة واخره مثناة
فوقية وهو اللوم والتقريع يقال بكته اذا عنفه واستقبله بما يكره وغلبه بحجة وكل
منهما صحيح هنا وفى الكشاف انه قال من بعض حضر معه انه مبطل وهو جواب
اخر قريب مما ذكر ومستدلا عليهم بالزام الحجة لان الظهور والاحتجاب تغير
يوذن بالحدوث منافى للالوهية فاراد ارشادهم الى النظر بالرفق حتى ينقادوا
للحق من غير عناد وقيل معناه اى معنى قوله هذا ربى الاستفهام الانكارى بتقدير
الهمزة كما بينه بقوله الوارد مورد الانكار الذى صدر منه مصدرا لا ذكا لا على
طريق الشك ولا الاعتقاد ولا بعد فيه وان كان الاصل عدم التقدير والمراد
افهذا ربى اى لا يليق بمثله ان يكون ربا معبودا وقال الزجاج قوله هذا
ربى اى على قولكم وفى نسخة قولهم اى هو حكاية لقول الخصم حتى يكر عليه بالابطال
كما تقدم فى كلام الكشاف كما قال الله تعالى فى اية اخرى اين شركائى خاطبهم
الحيتهم لما لهم تهكما منه اى عندكم اى كونهم شركا على زعمهم وادعائهم كما فى هذه
الاية فسماه الله شركا باعتبار زعمهم اعتقادهم الفاسد وقومه ان كانوا يعبدون
الكواكب فهو ظاهر وان كانوا يعبدون الاصنام فابطال الربوبية الاجرام العلوية
النيرة يقتضى ابطال غيره بالطريق الاولى وفى شرح المواقف هذا الكلام صدر عن
الخليل عليه الصلاة والسلام قبل تمام النظر فى معرفة الله وكم بينه وبين نبوته اذ
لا يتصور نبوة الانبيا ثم ذلك النظر فلا اشكال او يختار انه لم يعتقده فيكون
كذبا صادرا قبل البعثة او على سبيل الفرض ارشادا لقومه كما فى برهان الخلف
اى الكواكب لو كانت اربابا كما تزعمون لزم ان يكون الرب متغيرا وذلك باطل وفيه
ما فيه ويدل على انه اى الخليل عليه الصلاة والسلام لم يعبد شيئا من ذلك
اى من جنس الكواكب والاوثان ولا اشرك قط لاستغراق الازمنة بالله
عز وجل طرفة عين اى فى اقل الازمنة وطرفة العين تحرك جفنها من
اعلى لاسفل ويكنى به عن غاية القلة وطرفة مصدر منصوب على الظرفية الزمانية
ومثله كثير قول الله تعالى حكاه عنه اذ قال لابيه لازر وقومه ما تعبدون
سايلا لهم مصغيا للعبارة لهم قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين الاية ثم قال
ابراهيم عليه الصلاة والسلام لهم افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون

فانهم عدو لى الا رب العالمين يريد انهم اعدا العابدين لهم لتضررهم بعبادتهم
يوم القيامة فهم اعدا لهم وهو الشيطان فصير الامر الى نفسه تعريضا لهم فانه
انفع فى النصح من التصريح واشعارا بانها نصيحة بدا فيها بنفسه ليكون ادعى الى القبول ابن اقبرس
كما فى القاضى وقوله الا رب العالمين استثنا منقطع والقول بان هذا الاية لاحتمال
انه بعد النبوة لا وجه له وفى المقام كلام ينبغى عند البيان هنا فحسبك ما فيه شفا
الصدور وقال اذ جا ربه بقلب سليم اى من الشرك فلا منه دليل على انه
لم يعرض له اصلا وقوله واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام اى باعد بيننا وبين
عبادتها فهذا ابدا على انه هو وذريته لم يوجد منهم شى من ذلك فان قلت فما معنى
قوله اى قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام بعدما قول المخبر لئن لم يهدنى ربى
لاكونن من القوم الضالين فانه ربما يتوهم منه انه فى شبهة ما قيل فى الجواب انه
اراد به الاستعانة بربه وقد استعجز نفسه وعلم انه انما يهتدى بتوفيق الله له فقال
لقومه ان لم يهدنى بعونه اى بتوفيقه الكن مثلكم ايها القوم فى ضلالكم وعبادتكم
لغير الله واماني هذا وهو مهتد بلا شك على معنى الاشفاق على قومه تزجرا لهم
والحذر اى الخوف من الله والاحتراز عما لم يتبه والا اى وان لم يحمل ما ذكره على هذا
لم يكن لذكره هنا فائدة فهو معصوم فى الازل قديما فى قضا الله بالسعادة وتطهير
فطرته من الضلال وهذا السؤال وارد على ما قرره من عصمة الانبيا عليهم
الصلاة والسلام عن الريب والشبه وبعض الشراح هنا حاطب ليل تركنا ما كثر به ابن اقبرس
سواده فان قلت فما معنى قوله تعالى فى سورة ابراهيم وقال الذين كفروا لرسلهم
لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن فى ملتنا فالعود يقتضى انهم كانوا على دينهم وكفرهم
وهم معصومون من ذلك قبل البعثة وبعدها لما تقدم فالاية يشكل ظاهرها عليهم
ثم قال الله عز وجل بعد ايضا على الفترا اى بعد قول الذين كفروا ما ذكر وقيل دبجى
بعد قوله لنخرجنكم من ارضنا الاية وسيانى ما فيه عن الرسل اى حكاية عنهم وما
تقدم كان محكيا عن قومهم لا عنهم والثانى اظهر فى الاشكال لان قومهم قد يظنون
انهم قبل البعثة كانوا على دينهم واما الرسل فعلى يقين من خلافه فكيف يصح منهم ان
يفتروا او يردوا على التقدير الثانى ان قوله تعالى قد افترينا على الله كذبا ان
عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها ليس بعد هذه الاية فان الاولى فى سورة
الاعراف وهذه فى سورة ابراهيم وكونها بعدها فى النزول يحتاج الى نقل وقيل
انها بعدها فى الجملة لان القصة واحدة وفى قصة شعيب وليس المراد بالرسل
جميعهم بل الجنس الصادق على الواحد وقد وقع جوابا للكفرة فهو اقوى فى الشبهة
فانهم لا يقولون على انفسهم ما لم يتصفوا به لانهم منزهون عن الكذب ومعنى قد
افترينا على الله التعجب اى ما اكذبنا على الله ومعنى نجانا الله منها عصمنا عن الميل اليها
فضلا عن الدخول فيها وجواب الشرط مقدر يدل عليه ما قبله وهو ماض لفظا
مستقبل معنى لدخول حرف الشرط عليه تقديرا وقد تعرب به الحال اذا عرفت هذا

فلا

فلا يشكل عليك لفظة العود بمعنى الرجوع الى الكفر المقتضية لا تصافهم به اولا
وهم معصومون منه قبل البعثة وبعدها كما قرره اولا تشكل هى وانها تقتضى
اى تستلزم بحسب الدلالة انهم اى الرسل انما يعودون اى يرجعون الى ما كانوا
فيه اى داخلين فيه ومتصفين به من ملتهم بمعنى الكفر لان الملة تطلق عليه
كالدين فان هذه اللفظة اى لفظة العود وردت كثيرا فى كلام العرب المقتضى
لغير ما ليس له اى لما لم يثبت له ابتدا اى قبل حاله التى هو عليها مما انها فيها بمعنى
الصيرورة وهى وجود الشى بعد ان لم يكن يقول صار لفلان كذا وصار غنيا
بعد فقره وفى المحصول ان ما صار اليه شرع نسخ وقبل الصابر لذلك انهم فادخلوا
فيهم مطر بن التغلب اى هو باعتبار ظنهم وزعمهم او على حد قوله ضيق فم الركية بجعل
التوهم كالمتحقق وتبعه كلام فى شرح المفتاح وحواشيه كما جا فى حديث الجهنميين
اى الحديث الذى فى حق اهل جهنم المروى فى الصحيحين عن ابى سعيد الخدرى
عادوا حمما بضم اوله وفتح ثانيه بزنة صرد اى سودا كالفحم جمع حممة واوله اذا دخل
اهل الجنة الجنة واهل النار النار يقول الله من كان فى قلبه حبة خردل من ايمان
فاخرجوه فيخرجون قد امتحشوا وعادوا حمما فيلقون فى نهر الحياة فينبتون كما تنبت
الحبة فى حميل السيل وعاد هنا بمعنى صار ولم يكونوا اى الجهنميون قبل ذلك
كذلك اى حمما ومثله اى مثل الحديث فى ان عاد بمعنى صار وحدث وان لم يكن
موجودا قبل قول الشاعر هو امية بن ابى الصلت من قصيدة مدح بها سيف
ابن ذى يزن ملك اليمن لما ظفر بالحبشة وقد غلبوا على ملكهم فغزاهم ونفاهم عن
بلاده وذلك بعد مولد النبى صلى الله عليه وسلم بسنتين فاتته وفود العرب تهنيه
ومنهم قريش وعبد المطلب فانشده امية بن ابى الصلت قوله

لا يطلب الثار الا كابن ذى يزن ... يمم البحر للاعدا احوالا
اتى هرقلا وقد شالت نعامتهم ... فلم يجد عنده النصر الذى سالا
ثم انتحى نحو كسرى بعد تاسعة ... من السنين يهين النفس والمالا
حتى اتى ببنى الاحرار يحملهم ... تخالهم فوق متن الارض اجبالا
الى ان قال فيها
فاشرب هنيا عليك التاج مرتفقا ... فى راس غمدان دارا منك محلالا
واشرب هنيا فقد شالت نعامتهم ... واسبل اليوم فى برديك اسبالا
تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بما فعادا بعد ابوالا
وعارضها بعضهم بقصيدة منها فى مدح الصوفية فقال
لله تحت قباب العز طائفة ... اخفاهم فى ثياب الفقر اجلالا
هم السلاطين فى اطمار مسكنة ... استعبدوا من ملوك الارض اقيالا
غبر ملابسهم شم معاطسهم ... جروا على فلك الخضرا اذيالا
هذى المناقب لا ثوبان من عدن ... خيطا قميصا فعادا بعد اسمالا
هذى المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بما فعادا بعد ابوالا

والقصيدة الاولى بتمامها في ديوانه وفي كثير من كتب الادب والتاريخ والسير باسانيد
صحيحة ولها قصة مشهورة وفيها الاشارة ببعثته صلى الله عليه وسلم كما فصله وليس
الشعر المذكور منها كما توهمه من لا خبرة له بالادب واساليبه وكلام العرب وليس كما قيل عرضي
لابي الصلت ولا للاعشى ولا للنابغة ولا لعمر بن عبد العزيز وانما تمثل رضي الله عنه
بهذا البيت فتوهم الحافظ الحلبي انه له وهذا امثل في الفخر بمعالي الامور وعدم
التنزل لسفسافها وشيبا بمعنى خلطا ومزجا والقعب اناء معروف يقول انك في
معال وقصور رفيعة متلذذا بالخمور ام الشرور تجود بالاموال لست كعرب البادية
اللابن جودهم سقي ضيفانهم لبنا بما سمح به يجود لي بوده بولا سراقا وجودك بمكارم
والاموال تبقى عند من انعمت عليه فشتان بينك وبين غيرك فما دها بمعنى صار لانه لا
ينصور المفاكات بولا قبل ذلك واليه اشار بقوله وما كان ما ذكر قبل ذلك كذلك
اي بولا وتلوطا هو وانا اطنبت به لما في الشرح هنا من الخلط ثم اورد سوالا اخر على
ما قرره من عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام فقال فان قلت فما معنى قوله تعالى
ووجدك ضالا فهدى الخطاب له صلى الله عليه وسلم واصله فهداك فحذف المفعول
رعاية للفاصلة فانه يقتضي نسبته صلى الله عليه وسلم للضلال قبل البعثة والضلال
شرعا اما بالكفر او بارتكاب المعاصي وهو صلى الله عليه وسلم منزه عنهما وجوابه قوله
فليس هو من الضلال الذي هو الكفر فانه صلى الله عليه وسلم معصوم من المعاصي قبل النبوة
وبعدها فضلا عن الكفر واذا كان كذلك فقيل معناه هنا ووجدك ضالا عن النبوة
فهداك اليها لان الضلال معناه لغة العدول عن الطريق المستقيم وضده الهداية
فكل عدول ضلال سواء كان عمدا ام لا فمعناه غير مهتد لما سبق لك من النبوة كقوله
فعلتها اذا وانا من الضالين كما يأتي قاله اي التفسير المذكور محمد بن جرير الطبري
وقد تقدمت ترجمته وقيل في معناه وتاويله ووجدك بين اهل الضلال فعصمك
عن ان تنتظم في سلكهم وتعد منهم فضلا عن ذلك اي من الضلال وموافقة اهله فيه
وهداك للايمان بالله ومعرفته اذ جبلك على فطرة الاسلام اودع فيك ما ارشدك له بفطرتك
السليم اي ارشدك له بالوحي والى ارشادهم اي ارشاد من لم يكن مهتديا للحق لانها ل
من الرشد ضد الغي وهو قريب من الهداية كما قاله الراغب ولذا معان اخر اليه اي
الى الايمان وسلوك الطريق المستقيم بتبليغ ما اوحي اليه ونحوه اي قريب منه ومشابه
له ونحوه نقل عن السدي رحمه الله وقد تقدمت ترجمته ونقل ذلك ايضا عن
غير واحد اي عن ناس كثيرين من اهل التفسير فعلى هذا الضلال بمعناه المشهور
وليس متصفا به ولكنه لكونه بين اهله اطلق عليه مجازا بعلاقة المجاورة وليس من قبيل
قولهم بنو فلان قتلوا قتيلا كما لا يخفى ولم يبين وجهه الشراح هنا وقيل معناه
المراد ضالا عن شريعتك التي اوحاها الله سبحانه وتعالى اليك اي لا تعرفها قبل ان
اوحي اليك فالضلال بمعنى الغفلة وقد يرد بهذا المعنى كقوله ان تضل احداهما فتذكر
احداهما الاخرى كما قيل له صلى الله عليه وسلم بعد ما اوحي اليه فلا تكن من الغافلين

وبأن

وبانى ايضا انه بمعنى النسيان واستدل له بهذه الاية ومثله قبل البلاغ ليس بنقص كما
قيل فهداك اليها ودلك الى ما لا تعرفه وانت طالب له فعلمك ما لم تكن تعلم وقوله
والضلال هنا اي في هذه الاية على هذا القول التحير اي الوقوع في الحيرة حتى
لا يدري اين يذهب وما يفعل حيرة تشغله حتى رام عرفا فلم يجد
لا باسه فانه ليس بالغافل والناسي حيرة فالظاهر تفسيره بعدم المعرفة كما صرح
به ومن لم يعرف شيئا وطلبه تحير فيه ولهذا كان صلى الله عليه وسلم قبل نزول
الوحي عليه يخلو اي يختلي ويعتزل الناس بغار حرا بالصرف وعدمه اسم جبل
بمكة كما تقدم في طلب ما يتوجه به الى ربه اي بسبب تصفية باطنه واعمال فكره
في وسيلة توصله الى الله ويتشرع به اي يتخذه شريعة وعبادة تقربه لربه وفي نسخة
يتشرع بلا تا بعضا وله ويكسر ثالثه وشينه معجمة وقيل انه بسين مهملة من الاسراع في
اصل المعنى وقيل الرواية الصحيحة في الاصول الاولى وهي الاظهر ولم يزل صلى الله
عليه وسلم يفعل ذلك حتى هداه الله وفقه دلالة موصلة الى الاسلام والدين الحق
بما جاءه عن الله كما تبين في بدء الوحي قال اي حكي كما في نسخة معناه الامام القشيري
الذي تقدمت ترجمته يعني انه صلى الله عليه وسلم كان موحدا في اول امره طالبا لاتمام النعمة
عليه بهداية لما يرضيه ويكمله فمن عليه بذلك وقيل معنى ضالا لا يعرف الحق اي الدين
الحق لانه لا يعرف الا بالوحي فهداك اليه بما اوحاه له وهذا في المعنى مثل قوله عز وجل
وعلمك ما لم تكن تعلم من الشرع واحكامه او من خفيات واسرار الله التي لم يطلع عليها
ومعنى ما لم تكن تعلم ما لم يكن في قوتك وقدرتك علمه ولا اعدك لعلمه وهو اخصر
واظهر واما كونه لغوا لان كل احد لا يعلم ما لم يعلم او تعليم ما يعلم تحصيل للحاصل ولذا
قال السبكي في عروس الافراح وغيره ان قوله علم الانسان ما لم يعلم يتعذر ما لم يكن يعلم
فليس بشيء لانه للامتنان او بيانه وبيان ما لم يكن من شانه علمه والوقوف عليه ومن لطف انتبه
عن بعض حواشي المطول قاله علي بن عيسى الامام في العربية والكلام شارح الكتاب
المعروف بالرماني وقد تقدمت ترجمته قال ابن عباس في تفسير هذه الاية لم يكن له
اي من شانه وصفته ضلالة معصية اي ليس الضلال هنا بمعنى مرتكب المعاصي لعصمة
الله له فالضلال لما ولي وتفسيرها ما وقيل معنى هدى هنا هنا اي بين امرك
للناس بالبراهين والادلة القاطعة لعروق الشبه فيك وفيما جئت به حتى صرت
لا تخفى على احد والبرهان الدليل اليقيني ومن تفسيره الهداية علم معنى ضالا وانه وجدك
خفيا وكنزا مخفيا لم يعرفه الناس ولم يطلعوا على شانه وعلو قدره فاظهره الله حتى ذاع وشاع
وملا الافكار والاسماع فتفسير معقوله على هذا هدى الناس كلهم وهدى العقول وقيل
معناه ووجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك الى المدينة بان جعلها دار هجرتك
ومثواك فالمراد انه بعد البعثة ودعوة الناس لدينه مع ما كان عليه قومه في القيام عليه
صلى الله عليه وسلم واذيته وهجرة الحبشة لبعض المسلمين للحبشة كان في حيرة مترددا في
الاقامة بمكة والهجرة للمدينة يرجو ان يوذن له في الهجرة اليها حتى اذن الله في ذلك

كما قيل في السير وقيل المعنى وجدك غافلا عن الرسالة وتبليغها وهو عالم بذلك قبل وقوعه ولكن هو ممتثل ومتوجه بامره ومحبته الله له فكانه امر مطلوب لعظيم عنه عليه كما يقال العلم ضالة المومن فهدى بك ضالا بارشادك له فضالا مفعول لهدى قدم عليه لرعاية الفاصلة وليس صفة له حتى يتوجه السوال وهو وجه متكلف بعيد على قائله لانا قلنا وعن جعفر بن محمد هو جعفر الصادق الذي تقدم ومحمد هو الباقر ابن زين العابدين فقال جعفر معناه ووجدك ضالا عن محبتي لك اي لم يظهر لك اني اتخذتك حبيبا لي محبتا بعندي في الازل اي في القدم قبل خلقك اي لا تعرفها هو معنى ضالا فمننت عليك بمعرفتي اي انعمت وتفضلت لاني احبك وهو تفسير لقوله فهدى فعلى هذا لا يتوجه فيه نقص لان معناها ليس احدا اكرم علي منك كل في الحمل الازل القدم واصله انهم قالوا القديم لم يزل ثم نسبوا له باختصار فقالوا يزلي ثم ابدلوا اليا همزة فهو من النحت عنده وقال غيره هو من الازل وهو الضيق لضيق العقول عن تقديره وهي كلمة محدثة وقرا الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما ووجدك ضال بالرفع فالضلالة صفة لتنبيه على هذه القراءة الشاذة فلا يرد السوال فهدى نبه على هذا الاثر اي اهتدى بك لسعادة الدارين او المعنى فهداه الله بك ويجوز ايضا على القراءة المشهورة ان يكون فاعل وجد ضمير الواحد المفهوم منه وضالا حال من هذا الضمير وهو بعيد وقال ابن عطا في تفسير الاية ووجدك ضالا اي محبا لمعرفتي فهداك بانوار هدايته وعنايته ولما كان هذا خلاف المشهور في اللغة نبه بقوله والضال ورد بمعنى المحب كما قال الله تعالى انك لفي ضلالك القديم هو من كلام اخوة يوسف عليه الصلاة والسلام لابيهم حكاه الله عنهم اي فارادوا انك على محبتك القديمة ليوسف لا تنساه وهذا منقول عن قتادة وسفيان وقيل ارادوا بضلاله خطوه وقيل جنونه من حب يوسف عليه الصلاة والسلام كما قال الحسن ولم يريدوا اي لم يقصد اولاد يعقوب هاهنا اي فيما حكى عنهم في هذه الاية ضلالة في الدين بان يعتقد واخطاه في دينه اعتقادا مما يخالفه واصرار على ما يأتي به اذ لو قالوا ذلك معتقدين مثله في نبي الله الذي عصمه الله عن الخطا في دينه علما وعملا لكفروا في احترامهم على نبي الله ونسبته لما لا يليق به وتحقيره ومثله كفر في الشرع فلذا فسر الضلال بالمحبة ومثله اي مثل كون الضلال بمعنى المحبة في هذه الاية انا لنراها في ضلال مبين هو في حق زليخا وقد شغفها حب يوسف عليه الصلاة والسلام اي ان المناسب للمقام انه بمعنى محبة بينة اي ظاهرة مكشوفة لا تفضاحها عند هذا اي ابن عطا الذي فسر الضلال بالمحبة فوضع اسم الاشارة موضع الضمير لتمييزه اكمل تمييز وفي بعض النسخ ونقل عنده هذا الخ وقال الجنيد في تاويل هذه الاية وهو ابو القاسم بن محمد الزاهد العابد شيخ وقته ونسيج وحده واصله من نهاوند ونشأ بالعراق وتفقه باخذه عن الثوري رحمه الله وسفيان واخذ الطريقة عن السري السقطي والحارث المحاسبي وتوفي في سنة سبع وتسعين ومائتين وهو من فقها الشافعية

كما

كما في طبقات السبكي ودفن بالشونيزية عند خاله السري وجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك من القرآن فتحير لقوله ضالا فهداك لبيانه باظهاره وبيان ما خفي من معانيه في حال تبليغه لامته كقوله وانزلنا اليك الذكر الاية المراد بالذكر القرآن لما ذكر من التذكير والموعظة لتبين للناس ما نزل اليهم ما خفي عليهم فالضلال التحير فيما شق عليه في ابتدا امره ومثله لا ضير فيه وقيل معناه وجدك ضالا يعني انك في خفا حالك بين الناس كمن ضل فقدا وفارق قومه حتى خفي امره عليهم فهو استعارة وعبارة عن انك لم يعرفك احد من الناس ولم يعرف اتصافك بالنبوة حتى اظهرك الله فهدى بك السعدا اي من اسعده الله بمعرفتك واتباعك والايمان بك وفي الاية وجوه كثيرة منها انه بمعناه الحقيقي لانه وهو طفل ضل في شعاب مكة فرآه ابو جهل لعنه الله ورده لجده عبد المطلب كما رواه ابن عباس وعن ابن جبير انه خرج مع ابي طالب في سفر فاخذ ابليس بزمام ناقته وعدل به عن الطريق في ليلة ظلما فجا جبريل عليه الصلاة والسلام ونفخ ابليس نفخة رماه بها للهند ورده صلى الله عليه وسلم الى القافلة فمن الله عليه بذلك وعن كعب ان مرضعته حليمة لما اتت به لترده لعبد المطلب جلست لتصلح ثيابها ففقدته وسمعت هدة شديدة فخافت انه الصبي فلم تره فصاحت وامحمداه فرات ابليس لعنه الله على هيئة شيخ متكئ على عصا وقال اذهبي لهبل يرده عليك فجا وقبل راس الصنم وقال له رد ابن السعدية عليها فتنكس وقطعت الاصنام وقالت له ابعد عنا فارتعد وقال لها لا بل ربه محمد فاطلبيه فطلبته لجماعة من قريش فيهم عبد المطلب فتضرع الى الله تعالى في ذلك

يا رب رد ولدي محمدا ... فاردده لي واتخذ عندي يدا

فسمعوا نداء اسمعوا ساريا يقول لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يضيعه وها هو بتهامة عند شجرة فوجدوه عندها يلعب باوراقها وقيل المعنى وجدك ضالا عن طريق المعراج فهداك له ولا اعلم احدا من المفسرين قال بها اي في تفسير الاية ووجدك ضالا فهدى ان معناها ضالا عن الايمان لانه صلى الله عليه وسلم وسائر الانبيا معصومون قبل النبوة وبعدها عن الكفر وكل ما ينفر عنهم القلوب وفي الكشاف من قال من انه صلى الله عليه وسلم كان على امر قومه اربعين سنة ان اراد خلوه عن العلوم السمعية فنعم وان اراد انه على كفرهم ودينهم فمعاذ الله فانه صلى الله عليه وسلم وسائر الانبيا معصومون قبل النبوة وبعدها عن الكبائر والصغائر الشائنة فما بالك بالكفر والجهل بالصانع ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء وكفى بالنقيصة عند الكفار ان يسبق منه كفر انتهى وما نقل عن الكلبي والسدي من ان الاية على ظاهرها ومعناها وجدك كافرا في قوم كفار مخالف للاجماع وبعيد عن الادراك ان ينسب صلى الله عليه وسلم الى الاشراك ولهذه الرواية الشاذة بل الفاسدة رد الزمخشري فيما قاله والعجب ممن نقل هذه المقالة وقال لا وجه لترديده مع حملها على الشق الثاني وكذلك اي مثل اية ووجدك ضالا فهدى وتاويلها قوله تعالى في قصة موسى صلى الله عليه وسلم في قوله

ابن افنبرس

تعالى عنه قال فعلتها اذا وانا من الضالين وقرا ابن مسعود من الجاهلين اى
ومعناه من المخطئين الفاعلين شيئا بغير قصد ونفد لقتل النفس التى قتلتها
او الذاهبين الى ما يفضى اليه الوكز قصدا من التاديب وهذا معنى جايز قبل النبوة
فلا يتوهم من هذه الاية ان فيها نقيصة لموسى عليه الصلاة والسلام لان الضلال
بمعنى الخطا وصف فعلتها للفعلة التى فعلها وهى قتله قبطيا من اتباع فرعون بمصر
قبل نبوته وبخه فرعون عليها لما دعاه وعدد نعمه عليه بقوله الم نربك فينا وليدا
الى قوله وفعلت فعلتك التى فعلت وانت من الكافرين فاجابه بقوله فعلتها اذا وانا
من الضالين فوصف نفسه بالضلال وهو معصوم منه فاجاب بان الضلال
بمعنى الخطا وعدم القصد لقتله وانما اراد دفعه فوكزه فانه من وكزه ومثله
لا صبر فيه لانه خطا معفو عنه وباقى الكلام على ذلك ايضا قاله اى قال هذه
التفسير لهذه الاية ابن عرفة وهو الحسن العبدى المودب المحدث الثقة الذى روى
عنه الترمذى وغيره وهو ممن عاش مائة وسبع او عشر وتوفى سنة سبع وخمسين
ومائتين وهو المراد هنا عند الحافظ الحلبى وغيره لا ابن عرفة الذى هو عبد الله
ابراهيم بن محمد بن عرفة المعروف بنفطويه وقال الشمنى انه المراد هنا وبه نظر
وقال الازهرى ابو منصور محمد بن احمد امام من اهل اللغة صاحب التهذيب توفى
سنة سبعين وثلاثمائة معناه اى معنى من الضالين فى الاية من الناسين وعرض
الشيان للانبيا عليهم الصلاة والسلام جايز وهو تكذيب لفرعون فى قوله وفعلت فعلتك
التى فعلت وانت من الكافرين والمراد به عدم القصد اذ القتل لا يكون شيئا الا انهم
الان يريد شيئا انه من القبط وجحد فرعون وهو الظاهر لقوله وقد قيل ذلك
اى ان الضلال بمعنى النسيان فى قوله عز وجل فى حق نبينا صلى الله عليه وسلم كما تقدم
ووجدك ضالا اى ناسيا فهدى اى نبهك وذكرك كما قال ان تضل احديهما
اى تنسى احدى المرأتين ما شهدت به فتذكرها الاخرى ما نسيته او رواية
اخرى تخالف ما قرره من عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام عن الشرك وكل ما يغير
كالجهل تعالى فان قلت فما معنى قوله عز وجل لنبينا صلى الله عليه وسلم وكذلك
اوحينا اليك روحا من امرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ووجه السوال
انه نفى عنه صلى الله عليه وسلم معرفته بالقران المنزل عليه وبالايمان والاول صحيح لان
عدم معرفته بالقران قبل الوحى امر مقرر والمشكل انما هو الثانى لانه يقتضى انه صلى
الله عليه وسلم لم يكن مومنا قبله وهو معصوم عن الكفر قبل النبوة وبعدها كما تقدم
فلذا قيل ان المراد به الايمان بما يجب الايمان به من احكام الشريعة لا بمجرد التوحيد
والتصديق والكل يقتضى بانتفا جزئه ولا حاجة لما تكلفه بعضهم من ان الايمان المراد به
ما تعبه ابو المحمد وهو التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالجوارح ومجموعه
لم يكن معلوما له صلى الله عليه وسلم قبل الوحى فالجواب عما ذكر فى هذه الاية ان السمرقندى
هو الامام ابو الليث رحمه الله وقد تقدمت ترجمته قال معناه اى ما ذكر فى هذه

عرضي

الاية

الاية ما كنت تدرى قبل الوحى ان تقرا القران اى لا تعرف قراته ولا دراسته
ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان وقيل انه بعيد غاية البعد لان قد رمثاله فى
النظم فلا قرينة تدل عليه وقد يقال تعريف الايمان عهدى والمراد به ايمان
امته اى لا تدرى كيف يومن قومك واى طريق يدخلون فى الايمان وملة الاسلام
وهو بدعوتك له وتشريع بيانه قربها وقال بكر القاضى تقدمت ترجمته نحوه
اى نحو ما قال له السمرقندى بما هو قريب منه قال اى بكر لا السمرقندى كما قيل
ومقوله هو قوله بتوحيده ولا الايمان مصدر بمعنى المفعول اى ما يجب الايمان
به الذى هو الفرايض والاحكام الشرعية التى كلف بها علما وعملا مما لا بد منه
قال اى بكر فكان صلى الله عليه وسلم قبل اى قبل نزول الوحى ومجى الملك له
مومنا اى مصدقا بتوحيده وانه لا اله الا هو ثم نزلت الفرايض التى لم يكن
يدريها قبل اى قبل نزولها وقبل بعثته فزاد بالتكليف اى بسبب ما كلفه الله من
الفرايض ايمانا وهو اى ما قاله السمرقندى وابو بكر احسن وجوهه اى احسن
ما وجهت به هذه الاية واحسن تفاسيرها لانه تعالى لم يرد انه صلى الله عليه وسلم
لا يهدى وانه لا يعرف الايمان لانه لو كان كذلك لقال ما كنت تدرى الكتاب ولا الايمان
فلما اتى بما الاستفهامية كان معناه انه لم يدر حال الكتاب وحال الايمان وحال
الكتاب تلاوته وحفظه وهو امى لا يعرفه وحال الايمان لم يرد به ايمان النبى بالله
وهو مجبول عليه متيقن له من ابتدا خلقه الى اخره فالمراد به ايمان غيره من امته
وهو انما يعرف ايمانهم المضمر فى قلوبهم الا اذا دعاهم فاجابوه وطابق لسانهم جنانهم
فهذا التفسير له بلازمه البين وهو وجه دقيق كما اشار اليه المص ومن لم يقف على
مراده قال على هذا الايمان فى هذه الاية معناه التصديق والاقرار والعمل والتصديق
بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو معناه الحقيقى شرعا وما عداه غير داخل فيه الا على
قول واما تفسيره بدعوة الخلق ومعرفتها فلم يقله احد فكيف يكون ما ذكره وجها حسنا
ولا دلالة للفظ عليه بوجه من الوجوه والمراد ما قدمناه وقيل معناه ما كنت تعرف
الكتاب قبل نزوله عليك ولا الايمان بالفرايض والاحكام التفصيلية قبل مجى الكتاب
الذى هو تبيان لكل شى وهذا وجه اخر غير ما ذكره المص رحمه الله ومنهم من نزل
عليه كلام المص فخلط وخبط فان قلت اذا كان صلى الله عليه وسلم عالما بالله وصفاته
فما معنى قوله تعالى له وان كنت من قبله لمن الغافلين فوصفه بالغفلة اذ كان
غفلة عن ايات الله قبل الوحى تاما فرقته اولا درده بقوله فاعلم انه اى ما ذكر
من وصفه بالغفلة ليس بمعنى الغفلة التى فى قوله تعالى والذين هم عن اياتنا
غافلون فان الغفلة فى هذه الاية غفلة عن العلم بالله وصفاته واول الاية ان
الذين لا يرجون لقانا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها والذين هم عن اياتنا غافلون
اولئك ماواهم النار بما كانوا يكسبون وهو صلى الله عليه وسلم معصوم عن هذه الغفلة
بل معنى الغفلة المذكورة ما حكى ابو عبيد الهروى امام اهل اللغة ان معناه

دبجي

عرضي

ابن الانباري

لمن الغافلين عن قصة يوسف مع ابيه واخوته فانه صريح قوله نحن نقص عليك
احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين اذ
لم يقلها الا بوحينا قبل ما قصه الله عليه والغفلة عن مثله مما لا يعلم الا بالنقل لا نقص
فيه وهذا الظهر من ان يذكر فيه لفرق بين الفعلين ظاهر وفي التعبير بالغفلة اشارة
الى شدة استعداده للعلم بما لم يعلم حتى كانه عالم بما به وتنبيه وكذلك اي ما ذكرهما
يوهم ما لا يليق بعصمته قبل النبوة الحديث الذي يرويه ابو يعلى الموصلي في مسنده
وعثمان بن ابي شيبة وهو من الحفاظ ثقة الا انه ضعيف على ما ياتي لانه نسب اليه
اوهام بسنده عن جابر رضي الله عنه كما قال ابو يعلى حدثنا ابن ابي شيبة قال حدثنا
جرير بن عبد الحميد الضبي عن سفيان الثوري عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن
عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قد كان يشهد اي يحضر مع المشركين بمكة في
صغره مشاهدهم اي محال اجتماعهم عند اصنامهم وهذا هو محل الانكار من هذا
الحديث فانه لم ينقل ذلك عنه الا في رواية ذكرها السهيلي وقال انها مرة واحدة على
ما فيها وكان كذلك لما كان عليه من عمه ابي طالب ثم لم يعد لها فسمع ملكين خلفه كانا
موكلين به يحفظانه احدهما اي احد الملكين يقول لصاحبه اذهب حتى تقوم
خلفه تحفظه فقال الاخر كيف اقوم خلفه واقرب منه وعهده مبتدا خبره
محذوف اي قريب والعهد بمعنى الزمان كقولهم في عهد خلافة فلان باستلام الاصنام
وفي الزاهر لابن الانباري الاستلام افتعال من السلمة وهي الحجر ومعناه مس الحجر وهو
استفعال من اللامة وهي السلاح اي حصن نفسه به وحفظ وعن الفراء استلمت الحجر
واستلامته بالهمز انتهى ولم يقف الدماميني في حاشية البخاري على هذا فذكره بطريق البحث
من عنده وفي كشف الكشاف انه ماخوذ من معنى لا من مصدر وفيه صيرورة تقديرية
وهو افتعال للاتخاذ والاختصاص اي اتخذ سلمة وحجر الجنس بخطه بالاشارة اليه
بيده وهم ثم لكل تقبيل فلم يشهدهم اي لم يشهد المشركين في مشاهدهم بعد اي
بعد ما سمع من الملكين ما قالاه وهذا الحديث مشكل لما تقرر من انه لم يكن على شيء مما كان
عليه المشركين في ولادته الى وفاته صلى الله عليه وسلم ورده المصنف رحمه الله بقوله وهذا
حديث انكره احمد بن حنبل جدا اي انكارا شديدا ولم يقبل صحته واصل الجد ضد
الهزل استعير لما ذكر وقال هو موضوع وكذب لم يثبت والثابت خلافه او شبيه
بالموضوع على زنة فعيل بمعنى به انه يشبه الموضوع بشدة ضعفه وليس من الفضائل
حتى تغتفر روايته وحرف بعضهم شبيه بشنيه تفعل منه ورد بانه مضارع مجهول
مثنى دالبا وقال الدارقطني ان عثمان وهم بوزن غلط ومعناه ويقال وهم وهما
بمعنى غلط ايضا في اسناده والحديث بالجملة اي اجمالا منكر غير متفق على اسناده
اي روايته فلا يلتفت اليه اي لا يعتبر بل ينبغي تركه وعدم روايته اصلا لثبوت خلافه
كما سيبينه المصنف وقال انما انكر على عثمان وقد انكر عليه احاديث اخر واتهم ابن
الشيبتين وتابعه بعض الاحاديث وعثمان هذا هو عثمان بن محمد بن ابي شيبة ابو الحسن

العبسي

نخوانه

العبسي الكوفي الحافظ توفي سنة تسع وثلاثين ومائتين وقد ضعفوه الا ان ابن
معين قال انه ثقة مأمون والسعيد من عدت غلطاته ثم اشار الى رده بعد ما رد
سنده دين اليوم بحمد فقال والمعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه اي ما
يخالفه معنى عند اهل العلم بالحديث وباحواله صلى الله عليه وسلم من قوله صلى الله
عليه وسلم بغضت بالتشديد والبناء للمجهول الى الاصنام اي جعلني الله مجبولا على
عدم حبها وهو يقتضي ظاهرا انه لم يشهد مشاهدها ولم يرات قربه في امرها ومن
قوله في الحديث الآخر الذي روته ام ايمن حاضنته صلى الله عليه وسلم وهي ام اسامة
واسمها بركة وهي صحابية وترجمتها مشهورة وحديثها هذا رواه ابن سعد عن ابن عباس
عنها حين كلمه عمه ابو طالب واهله في حضور بعض اعيادهم وكان قال له صلى الله عليه
وسلم يا بني لم لا تشهد مع قومك مشاهدهم عند اصنامهم يريد بذلك ان يولف بينه
وبينهم بظاهره بموافقته لما علم عليه لما راى اجتنابه لهم ولاصنامهم وعزموا عليه اي
الحوا عليه واقسموا عليه فيه اي في شان الحضور معهم يقال عزم عليه اذا اقسم وهو
قسم استعطاف وطلب وضمير عزموا لاهل بيته لاخبارهم ابا طالب بانه لا يريد ذلك
والباء اشار بقوله بعد ظهور كراهيته لذلك اي لحضور مشاهدهم فخرج صلى الله
عليه وسلم معهم اي مع اهل بيته وتوجه الى اعيادهم ومجامعهم ورجع من عندهم مرعوبا
اي ظاهر عليه آثار الرعب والخوف وفي نسخة مفزوعة من الام فقالت العا وصحبته اي
قالت عمه عن سبب رعبه فقال كلما دنوت اي قربت منها لامسها بيدي من صنم بدل
من قوله منها معترض له تمثل اي ظهر لي شخص وهو ملك موكل بحفظه صلى الله عليه وسلم
ظهر له على مثال رجل ابيض طويل يصيح بي وراءك بالنصب على انه ظرف فعل اسم
فعل اي ارجع لا تمسه اي لا تمس صنما منها بيدك كما يفعلون وهذا سبب رعبه صلى
الله عليه وسلم لانه كان قبل بعثته وانسه بالملائكة الكرام عليهم الصلاة والسلام فلم
يشهد اي لم يحضر صلى الله عليه وسلم بعد مبني على الضم اي بعد ما راى ذلك الملك
الموكل بحفظه عيدا لهم يجتمعون فيه عند اصنامهم وهذا مناف لقوله انه كان يشهد
مشاهدهم المقتضي لوقوع ذلك منه باخباره مرارا فان كان يقتضي تكررها بعدها
كقولهم كان حاتم يكرم الضيف وهذا الحديث تقدمت الاشارة اليه في الاسرا حين
نفر البراق وهو ضعيف ايضا وقوله في قصة بحيرا الراهب بفتح الباء والمد والقصر
وقصته معروفة حين سافر صلى الله عليه وسلم الى الشام مع عمه ابي طالب ومر بصومعة
بحيرا وراى السحاب تظله والشجرة التي نزل صلى الله عليه وسلم تحتها تميل اليه لتظله
وقصته مشهورة حين استحلف النبي صلى الله عليه وسلم اي اقسم عليه او طلب منه
ان يحلف باللات والعزى اسم صنمين معروفين اذ لقيه بالشام اي قريبا منها او بارضها
واتى بها في سفرته مع عمه ابي طالب لما استصحبه معه صغيرا لانه كان لا يفارقه سفرا
ولا حضرا وهو صبي صغير وراى بحيرا اعتقد ما عليه فيه صلى الله عليه وسلم
علامات النبوة كتظليل الغمامة له وميل الشجرة بجانبه ونزوله صلى الله عليه وسلم

في منزل كان الانبيا عليهم الصلاة والسلام ينزلون فيه كما فصل في قصته وارهاصاته
قبل النبوة فاخبره بذلك وفي نسخة فاخبره اي اخبر بحيرا ابا طالب بذلك اي
بعلامات النبوة التي شاهدها فيه فقال له اي لبحيرا النبي صلى الله عليه وسلم لا
تسلني اصله كما في نسخة لا تسألني فخفف بحذف الهمزة بعد نقل حركتها اي لا تقسم
علي بهما لما فيه من الشرك وتعظيم الاصنام فوالله اقسم صلى الله عليه وسلم بالله ارشادا له
وبيانا لما حقه ان يقسم به وتاكيدا لقوله ما ابغضت شيئا وكرهته قط بغضهما اي
كبغضي لهما فقال له بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عما اسالك عنه فقال له صلى الله
عليه وسلم وشرف وكرم سل عما بدالك اي عن كل شيء خطر ببالك وقد تقدم الكلام على
هذا التركيب واعلم ان قصته صلى الله عليه وسلم مع عمه ابي طالب رواها ابن سعد
في طبقاته وابن سيد الناس في سيرته وحاصلها بيانا لما مر ان قريشا كانوا يجتمعون
في كل سنة بمحل وربما يتبع يسمى بولاه بضم الباء او فتحها وواو مفتوحة والف وهاء
اسم هضبة فيها اصنام لهم عيد فيه في كل سنة فقال ابو طالب وعماته له صلى الله عليه
وسلم اذهب معنا لعيدنا فابى فقال له ابو طالب انا نراك تخالفنا في امر الهتنا ونحن
نخاف عليك من ذلك والحوا عليه حتى غضب ابو طالب فلم يزالوا به صلى الله عليه وسلم حتى ذهب
معهم وبينما هو معهم ثمة غاب عنهم ما شاء الله ثم رجع مرعوبا فزعا فقالوا له ما دهاك فقال
اخشى ان يكون بي لمم فقالوا له ما كان الله ليبتليك بالشيطان مع ما فيك من خصال
الخير فما رايت قال اني كلما دنوت من صنم منها يتمثل الي رجل ابيض طويل ينادي
وراءك يا محمد لا تمسه ثم ما عاد صلى الله عليه وسلم الى عيد لهم حتى نبئ واما قصة بحيرا
فمذكورة ايضا في السير وقد عرفت محصلها وكذلك اي مثل ما ذكر في الدلالة على
ذلك قصة ما رواه ابن ابي شيبة او مثل ما تقدم من تنزهه صلى الله عليه وسلم عما كان عليه
اهل الجاهلية المعروف من سيرته عليه الصلاة والسلام واحواله المروية عنه
في السير وتوفيق الله له بعد ابيه وخلوص طويته من ابتدا خلقته الى وفاته والمعروف
مبتدا خبره قوله انه كان قبل نبوته بفتح همزة انه وقوله كذلك مبتدا خبره الجملة
التي بعده او انه مبتدا مؤخر وكذلك خبر مقدم والمعروف بدل من اسم الاشارة
يخالف المشركين في وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان صلى الله عليه وسلم اذا حج يقف هو
بعرفة اسم مكان معروف يقف به الحاج ويسمى عرفات ايضا ويقال المعرف والتعريف
قال ابن دريد في مقصورته ثم الى التعريف يفري وبحتا واصله الوقوف بعرفة
وعرفة علم منقول من جمع عارف سمي به لتعارف ادم وحوا فيه وقيل ان عرفة اسم
مولد ويرده حديث الحج عرفة وقيل عرفات اسم المكان وعرفة اسم يوم الاجتماع
وفيه كلام ليس هذا محله لانه اي عرفة كان موقف ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم
فهداه الله لاتباع شريعته ومخالفة الجاهلية فيما كانوا عليه وكانت قريش تقف بمزدلفة
لانها من الحرم وسائر العرب تقف بعرفات ودفعها رحلها عن الحرم فخالفهم صلى الله عليه
وسلم في ذلك كما في صحيح البخاري وفي هذا انزل ثم افيضوا من حيث افاض الناس

الاية فصل قال القاضي ابو الفضل هو كنية المولف عياض رحمه الله
تعالى قد بان اي ظهر واتضح بما قررناه في هذا الباب عقود الانبيا عليهم الصلاة والسلام
جمع عقد وهو الجزم والتصميم مستعارا من العقد وهو جمع الاطراف في التوحيد اي
اعتقاد وحدانيته تعالى وعدم الشرك والايمان اي التصديق بكل ما يجب الايمان
به والوحي النازل عليه من الله وعصمتهم في ذلك اي حفظهم من اعتقاد خلاف
ذلك المذكور كله على ما بيناه في الفصل الذي قبل هذا فاما ما عدا هذا الباب
اي غير ما ذكر من التوحيد والايمان والوحي وعصمتهم فيه من عقود قلوبهم اي
اي جزمها وهو بيان لما عدا فجماعها بكسر الجيم بمعنى جميع ومجتمع والمراد جملتها وما يجمعها
اي جملة عقود قلوبهم في غيرها انها اي قلوبهم كلها مملوة علما ويقينا نصب على التمييز
والمراد بما عداها ما لا بد من علمه كاحوال الاخرة والبرزخ والملائكة على الجملة
اي هذا حال لها اجمالا لا تفصيلا لانه لا يحصى لكثرته وانها قد احتوت اي اشتملت
وجمعت وقوله من المعرفة والعلم بيان لما تقدم عليه بنا على جواز تقدم من البيانية
على مبينها كما ذهب اليه بعض النحاة ومن منعه يقدر له متعلقا يحتد با بما(?) والفرق
بين المعرفة والعلم ان الاولى تتعلق بالجزئيات والعلم بغيرها او بما يسبقه جهل ولذا
قيل انه لا يطلق على علم الله معرفة الا ان ابن جماعة اعترض عليه وقال انه ورد في الحديث
ما يخالفه وقد بيناه في غير هذا المحل بامور الدين والدنيا جزئياتها وكلياتها ما لا
شي فوقه اي يزيد عليه ويفضله وفوق صفته ويكون في المكان والزمان والجسم
والعدد ونحوه فاستعيرت لما ذكر كما قاله الراغب ومن طالع الاخبار اي اطلع على ما
في كتبه والمطالعة تختص عرفا بالنظر في الكتب وقراءتها واعتنى اي اهتم واشتغل بالحديث
النبوي رواية ودراية وتامل اي فكر ودقق النظر واصله تفعل من الامر استعير لما
ذكر ما قلناه فيما تقدم وجده محققا كما قلناه وقد قدمنا منه اي من الامور
المتعلقة بعقد قلوب الانبيا في كل ما ذكر في حق نبينا صلى الله عليه وسلم في الباب
الرابع فيما اظهره الله على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصايص والكرامات
في القسم الاول اول قسم من هذا الكتاب ما ينبه على ما وراه اي مع ما ذكر بعده في
هذا الكتاب فعلى(?) بمعنى مع او بمعنى با ذلك عليه الا ان احوالهم في هذه المعارف
تختلف استئنافا منقطع لا تحقق(?) راك على ما قبله اي لكن احوالهم مختلفة فبعضهم له
مرتبة فيها اعلا مما عداه كنبينا صلى الله عليه وسلم فالنقا ومثله ضرب فيه وقال الباقلاني
يجوز عقلا عدم معرفة النبي ببعض شرايع من قبله وعدم معرفته ببعض الفروع الفقهية
التي شرعها الفتها لكنه اذا سيل عنها لا بد ان يعرفها وكذا جهله باللغات بشرط الا يخل
ع صح
بالتوحيد كما قيل وفيه نظر لا يخفى فاما ما يتعلق منها اي من العلوم المفهومة من
السياق لا بالعقود بامور الدنيا من المعاش واحوال الناس فلا يشترط بالبنا
للمجهول مبني للمفعول ونايب فاعله العصمة في قوله في حق الانبيا العصمة من عدم
معرفتهم بعضها ويجوز ان يكون مبنيا للفاعل ونصب العصمة على المفعولية والضمير

فيه للعلماء واجاد في فن له بعضها لان عدم معرفتها بالكلية ينافي شدة فطنتهم وسلامة
عقولهم والمراد ما لا تعلق له بالدين اصلا فيجوز عدم معرفتهم بذلك او اعتقادها
على خلاف ما هي عليه كقصة تأبير النخل وستأتي ورجوعه صلى الله عليه وسلم لراى
الحباب بن المنذر في بدر والمراد بالاعتقاد ما يشمل الظن لا الجازم منه ولا وصم
بفتح الواو وسكون الصاد المهملة اي لا عيب ولا نقص تتطرق عليهم اي على الانبياء
عليهم الصلاة والسلام فيه اي في عدم معرفته وبين عليه بقوله اذ هممهم جمع همة وهي
العزيمة من هم بالامر اذا عزم عليه متعلقة اي مشغولة بامور الاخرة وانبائها جمع نبأ
وهو الخبر وعبر به لانها انما تعلم بالوحي واخبار رسله بها وامر الشريعة وقوانينها
وهو لفظ رومي معرب وامور الدنيا تضادها اي تخالفها فلا تشتغل بها لانها لا تليق
بعلو هممهم بخلاف غيرهم من اهل الدنيا اي غير الانبياء من الناس الذين يعلمون بدل
من اهل الدنيا تلويحا لان علمهم لا يعتد به لانهم انما يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا
ففيه اشارة لبلادتهم وانهم انما يعلمون ظاهر زخارفها الذي يتمتعون به دون باطنها
الذي يستعدون به للاخرة ويتزودون به لدار القرار من صالح الاعمال وتنكير
ظاهرا اشارة الى انه متاع قليل وهم عن الاخرة هم غافلون عنها لا يخطر ببالهم
تدارك ما يلزمهم منها فهم كالانعام وهم الثانية تكرير للاولى وغافلون خبرها او
مبتدا خبره غافلون والجملة خبر الاولى وعلى كل حال فيه تأكيد لغفلتهم وهو اقتباس
واشار بالمضادة الى ان المراد بالدنيا ما تمحض لها كرياستها وجاهها ولذاتها بخلاف فيه
امور العلامات فانها امور شرعية يلزمهم بيانها فلا حاجة لذكره هنا لانه سيأتي واليه عرضى
اشار بقوله كما سنبين هذا في الباب الثاني ولكنه ضمير الشان وهو استدراك على
ما قبله لا يصح ان يقال انهم لا يعلمون شيئا من امر الدنيا اصلا فان ذلك اي عدم
علمهم بشيء منه يؤدي الى نسبتهم الى ما لا يليق بهم من الغفلة والبله اي شدة البلادة
وعدم الادراك وهم المنزهون عنه اي عما ذكر من الغفلة والبله لكمال عقولهم وتمام
خلقتهم فالله نزههم وابعد خلقتهم عن مثله وانتشر بين الطرفين لكنها لم تبعد حتى كانت
مخصوصة بهم والحاصل ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كلهم لا بد لهم من العلم بالعقائد
والشرائع والوحي يقينا من غير شك وشبهة واما امور الدنيا الجزئية فلا يلزمهم العلم
بها لكنهم عليهم الصلاة والسلام لكونهم اكمل الناس فطنة وعقلا لا يكثر عدم علمهم بها وانما
يكون ذلك في النادر وليس في كلامه هنا ما يقتضي ان كل نبي اكمل اهل زمانه واعلمهم
كما قيل وهو غير مسلم لقول ابن الهمام انه اكمل اهل زمانه ممن ليس بنبي وقيده في عرضى
الكشاف بمن ارسل اليه وهو الحق فلا يلزم ان يكون موسى عليه الصلاة والسلام اعلم من
الخضر عليه الصلاة والسلام لانه لم يرسل اليه ولا يحتاج الى ان يقال ان موسى بن ميشا
لا موسى بن عمران بل قد ارسلوا الى اهل الدنيا وقلدوا بالبناء للمجهول اي ولوا
وحكموا ومنه تقليد القضا وهو في الاصل من قلادة العنق سياستهم اي ضبط
امورهم امرا ونهيا بالقهر واصلها القيام على الشيء بما يصلحه وهدايتهم اي ارشادهم

لكل

لكل خير في الدارين والنظر في مصالح دينهم ودنياهم ببيان ما ينتظم به صلاح
المعاش والمعاد وهذا اي النظر والسياسة لا يكون ولا يوجد مع عدم العلم بامور
الدنيا بالكلية بان لا يعلم شيئا منها اصلا لانه مانع للنظر في احوالهم لكن العلم بها ليس
مقصودا لهم بالذات واحوال الانبياء صلوات الله وسلامه وتحياته عليهم اجمعين
وسيرهم جمع سيرة وقد تقدمت في هذا الباب اي في هذا النوع من العلم وهو العلم
بامور الدنيا معلومة بما اشتهر من اخبارهم ومعرفتهم بذلك المذكور مشهورة لا
تخفى على اهل العلم واما ان كان هذا العقد اي عقد قلوبهم بالاعتقاد الجازم فيما
يتعلق بالدين وان كان له تعلق بالدنيا كالمعاملات فلا يصح من النبي صلى الله
عليه وسلم الا العلم به يقينا وجزما من غير شك وشبهة فيه ولا يجوز عليه جهله جملة
اي لا يجهل شيئا منه ولا يخفى عليه شيء من جملته ويجوز ان يراد بالجملة الاجمال اي يعلم علما اجماليا
انه يجب اعتقادنا ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يجهل شيئا مما له تعلق بالدين وقيل انه تمييز للنفي اي
انتفى جهله به انتفاء كليا فيعلم جميع ذلك لانه لو علمه بذلك لا يخلو علمه من ان يكون
حصل عنده ذلك العلم صادرا عن وحي من الله بارسال ملك ونحوه فهو ما اي امر
لا يصح الشك منه صلى الله عليه وسلم فيه اي في الوحي وما يتعلق به بناء على ما قدمناه
كما علمته قبل هذا واذا لم يحصل منه ادنى شك في شيء من ذلك فكيف الجهل اي فكيف
يصح منه جهل لشيء منه وهو انكار لجهله بانكار كيفيته وحاله على طريق برهاني لانه اذا
وقع لا بد ان يقع على كيفية مخصوصة بل حصل له العلم اليقين اي المتيقن واستدرك
لانه لا يلزم من عدم العلم تيقن ضده او يكون فعل ذلك الامر المتعلق بالدين ببيان احكامه
حلا وحرمة ونحوه باجتهاده وهو افتعال من الجهد وهو الطاقة والوسع وبذله
في تحصيل المطلوب وهو تحصيل الحكم مما اعلمه الله واستخراجه من قواعد الدين بالتفاته
اليه فيما لم ينزل عليه فيه شيء من الوحي في بيان حكمه فيعلم حكمه بذلك وهو في غيره
تحصيل ظن بحكم شرعي استخرجه من نص ونحوه على القول بتجويز وقوع الاجتهاد
منه صلى الله عليه وسلم في ذلك اي فيما لم ينزل عليه وحي فيه على قول المحققين
الذاهبين لجواز اجتهاده وهو القول الصحيح ثم على هذا هل يجوز وقوع الخطا منه
فيما اجتهد فيه فنفاه بعضهم وجوزه بعض مع الاتفاق على عدم اقراره صلى الله عليه
وسلم على الخطا وهذا رجحه كثير من الاصوليين وذهب كثير منهم الى ترجيح عدم وقوع
الخطا في اجتهاده اصلا واليه مال المصنف رحمه الله وادلتهم مبسوطة في كتب الاصول
فمن ارادها فليأخذها من محالها وعلى مقتضى بصيغة المفعول اي على ما يقتضيه
ويدل عليه لزوما حديث ام المؤمنين هند بنت ابي امية المشهورة بام سلمة بفتحات
فيما رويته عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اني انما اقضي بينكم برأيي واجتهادي فيما
لم ينزل علي فيه شيء اي فيما لم ينزل الله فيه شيئا من وحيه وهو صريح في وقوع الاجتهاد
منه صلى الله عليه وسلم خرجه الثقات اي رواه مسندا من يوثق به كابي داود وغيره
فهو حديث صحيح دال على صحة اجتهاده صلى الله عليه وسلم وسبب هذا الحديث انه صلى الله

عليه وسلم اتاه رجلان يختصمان في مواريث واشيا قد درست فقال انى الخ وهو حمل علته على جواز اجتهاده وقد عد منه خلافا لمن يجوزه او جوزه وقال لم يقع لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى او خصه بالحروب لان اجتهاده في حكم الوحي لاستنباطه منه بالقياس فليس نهوى وقوله صلى الله عليه وسلم لا ادرى في بعض الاحيان لا ينافيه لعدم ظهور القياس له والقياس مستند الى الوحي لقوله تعالى فاعتبروا يا اولى الابصار **وقصة اسرى بدر** جمع اسير كاسارى وهما بمعنى وقيل الاسرى من لم يوثق والاسارى الموثقون وهم سبعون رجلا والقصة كما في صحيح مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر والصحابة ما ترون في هولا فقال ابو بكر رضى الله عنه بنو العم والعشيرة ارى ان تاخذ منهم فدية تكون لنا بها قوة على الكفار عسى الله ان يهديهم للاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقول يا عمر فقال ارى ان تضرب اعناقهم فانهم ايمة الكفر وصناديده فنزل ما كان لنبي ان تكون له اسرى حتى يثخن في الارض بعد اخذ الفدية فجلس صلى الله عليه وسلم هو وابو بكر يبكيان فقال لهما عمر لم تبكيان اخبرانى فان وجدت بكا بكيت والا تباكيت فقال صلى الله عليه وسلم ابكى لما عرض من الفدا لقد عرض عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة عنده وتقدم ذلك مع ما فيه فهذا دليل على وقوع الاجتهاد منه صلى الله عليه وسلم كما علمته **وكقصة الاذن للمتخلفين** عنه صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فانه اذن لجماعة استاذنوه في القعود عنها فاذن لهم باجتهاد منه ولم ينتظر الوحي فعاتبه الله على ذلك مع لطفه في تقديم العفو عنه بقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا الاية لانه كان مع من استاذنه واعتذر باعذار بعض المنافقين لم يعرف نفاقهم حتى نزلت اية التوبة عليه **على راى بعضهم** راجع للقصتين او للثانية فقط فانه قيل ان ذلك كان باجتهاد من اصحابه بناء على جواز وقوع الاجتهاد منهم عنده صلى الله عليه وسلم بناء على ان العتاب لهم وخطابه لقبوله واقرارهم مع انه خلاف الاولى او ان الله خيره في ذلك قبل واذن له ولا اجتهاد فيه وانما كان عليه ان ينتظر الوحي ان يبين الاولى به وفيه مباحث وانظار دقيقة **فلا يكون ايضا ما يعتقده مما يثمره اجتهاده** اى يترتب ويكون عليه ثمرة له ومن نتايجه او يحصل به **الا حقا** موافقا للواقع **وصحيحا** في نفسه يقطع النظر عن الواقع ومطابقته وهذا بناء على انه صلى الله عليه وسلم لا يخطى في اجتهاده اصلا كما ارتضاه الغزالي وبنى عليه انه يجوز القياس على ما اجتهد فيه وهو اللايق بمقام النبوة ومثله في هذا كله ساير الانبيا عليهم وذهب ابن الحاجب وغيره الى انه يقع الخطا منه نادرا الا انه لا يقر عليه وليس ما استند لرايه خطا بل خلاف الاولى فان اراده ارتفع الخلاف فيه بين **هذا** القول من ان اجتهاده صلى الله عليه وسلم لا يكون الا حقا صحيحا **هو الحق الذي لا يلتفت** ولا يعتد **الى خلاف من خالف فيه** بان قال لا يجتهد اصلا او يقع في اجتهاده الخطا او اجتهاده مخصوص بالحروب **ممن اجاز عليه الخطا في الاجتهاد** ونحوه وهذا وقع في بعض النسخ وسقط من بعضها **ان لو قام عليه دليل لا على القول بتصويب**

المجتهدين بصيغة التثنية او بصيغة الجمع اى موافقة حكم كل منهما او منهم للصواب وقوله **الذي هو الحق والصواب** معطوف منصوب في محل نصب اى ما اعتقده كل موافق للحق والصواب فكل مجتهد مصيب كما قيل

رمى فاصاب قلبي باجتهاد ... فصدقتم كل مجتهد مصيب

او الذي سيذكر اخبره فقوله **عندنا** وهو احد قولين ورجحه المصنف والاشعرية فالضمير للاشعرية **ولا على القول الاخر** الذي ذهب اليه الجمهور القايلون **بان الحق في طرف واحد** غير معين فالاخر خطا الا انه لا اثم عليه فيه وهذا في غير النبي صلى الله عليه وسلم لانه لا يخطى او لا يقر على الخطا **لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم** اى لعصمة الله له **من الخطا في الاجتهاد في الشرعيات** قيده به لانه محل الخلاف بخلاف العقايد وامور الوحي كما تقدم وما لا تعلق له بالدين فان الاول لا يجوز فيه الخطا بالاتفاق والثاني يجوز فيه بالاتفاق كما تقدم تفصيله ومحل الخلاف في اجتهاد غير الانبيا **ولان القول في تخطية المجتهدين** اى كلام الاصوليين فيما يتعلق به **انما هو بعد استقرار الشرع** فلا يتصور منه اجتهاد لانه يكون قياسا على حكم شرع قبله **ونظر النبي صلى الله عليه وسلم واجتهاده انما هو فيما لم ينزل عليه فيه شي من الوحي ولم يشرع له قبل** اى قبل اجتهاده فيه ونظره ليظهر له الصواب في محل الاجتهاد فلا يتصور خطاؤه لان خطا المجتهد انما يظهر بمخالفته نصا واجماعا او قياسا جليا تقرر انه لم يسبق به شرع وهذا دليل على انه لا يقع الخطا في اجتهاده صلى الله عليه وسلم وفيه بحث لان الاجتهاد بالنظر في نظايره فان اراد انه لم ينزل شي في عينه فسلم لكنه لا يمنع الاجتهاد وان اراد شي من نوعه واشباهه فممنوع فهذه مغالطة وتوبيه فتامله **هذا** المذكور فيما اوحى اليه او عمل فيه برايه واجتهاده فيما لم ينزل فيه شي **فيما عقد** صلى الله عليه وسلم اى عمله عقدا جازما او عزم **عليه قلبه** واعمل فيه فكره من امور الدين التي لابد منها سوا كان من العقايد وامور الوحي مما لابد من علمه من غير شك فيه او من الشرع المعلوم بالوحي او الاجتهاد كما فصله وليس هذا مخصوصا بالاعتقاد بالمعنى كما قيل **فاما ما لم يعقد** النبي صلى الله عليه وسلم **عليه قلبه** ولم يعلمه علما جازما **من امر النوازل** جمع نازلة وهي القضية التي تحدث له ويحتاج لبيان الحكم فيها وقوله **الشرعية** اى المنصوص بها حكم شرعي من حل وحرمة ونحوه **فقد كان** صلى الله عليه وسلم **لا يعلم منها اولا** اى في ابتدا البعثة وقبل الوحي والاذن له في التشريع **الا ما علمه الله** بالوحي اليه **شيا فشيا** اى شيا بعد شي على سبيل التدريج بحسب الوقايع واسبابها المقتضية لبيانها له وهو منصوب على الحال لصلته النحو بابا بابا لانه ماول بمفصل ونحوه وليس الثاني تاكيدا وتفصيله في كتب العربية **حتى استقر علم جملتها** اى علم جميعها **عنده** اى في علمه وحفظه لما نزل عليه منها **اما بوحي من الله او اذن له في ان يشرع في ذلك** بفتح اوله وثالثه المخفف او بضم اوله وكسر ثالثه المشدد اى ياخذ في بيانه او يبين ما حكم الشرع فيه برايه واجتهاده **ويحكم في النص بما اراه الله** اى عرفه وعلمه بوحي منه

الاخره

ابن افيرس

لبيانه لها

او الهام وتنظر فيها انزل عليه كما قال تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم
بين الناس بما اراك الله والاية دالة على اجتهاده الماذون له فيه وانه مصيب فيه
وقد كان صلى الله عليه وسلم ينتظر الوحي في كثير منها اي من النوازل الواقعة ليبين
الله له الحكم فيها ويجتهد في قليل منها احيانا ولكنه لم يمت حتى استفرغ جميعها عنده
اي تحقق صلى الله عليه وسلم وتقرر عنده العلم بجميع الاحكام الشرعية اللازمة ولذا قال
تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وفي نسخة استفرغ بها وعين معجمة اي استوفى واستكمل
وهو استعارة من استفراغ الماء وصبه كانه افاض ماه على العطاش وتقررت وتحققت
معارفها اي العلوم بالاحكام الشرعية وجزئياتها لديه اي عنده وعند امته
على التحقيق اي متحققة محققة بلا تردد ورفع الشك والريب اي الاشتباه في شيء
منها وانتفاء الجهل عن امته وبالجملة اي اجمالا وقد يراد بهذه الكلمة على كل حال وبكل
وجه فلا يصح ولا يجوز عقلا وشرعا منه صلى الله عليه وسلم ومن كل شيء الجهل بشيء
من تفاصيل الشرع اي شرعه صلى الله عليه وسلم الذي امر بالتبليغ للمجهول اي امره
الله بالدعوة اي دعوة امته اليه اي الى اتباعه والعمل به لان جهله به ينافي امره
بدعوتهم اذ لا تصح دعوته الى ما لا يعلمه لانه طلب للمجهول وهو ممتنع عقلا وعبث
عبث يتنبه وكان صلى الله عليه وسلم اعلم الناس باحكام ربه وله الولاية العامة على جميع
خلقه والامامة العظمى فكان يحكم بالقضاء والسياسة والافتاء ويحكم بالظاهر والباطن
كالخضر عليه الصلاة والسلام كما ذكره السيوطي والفرق بين احكامه بما ذكر فصله
السكي والقرافي في قواعده والعلامة ابن شامة فيه تاليف مستقل لا يستطيع هذا
المقام تفصيله وان تكلم بعضهم فيه هنا كلاما غير مهذب فان اردت تحقيقه فانظر كلام
القوم فيه واما ما تعلق بعقده اي يجزم قلبه فيما بصره الله به عليه الصلاة
والسلام من ملكوت السموات والارض الملكوت مبالغة في الملك كالرهبوت
والجبروت وقد يخص بغير الظاهر كما لا امر كما هو والمراد علمه صلى الله عليه وسلم
بحقيقة الاجرام العلوية والحادثة سفليها وما فيها من الملائكة الموكلين بها
والكواكب التي خلقت فيها زينة لها وهداية لخلقه وعلامات بحكم الهيئة والذات الارض
التي جعلها الله مقر العبادة وعلمه بما فيها علما اطلع به على حقيقتها وما اودعه فيها وليست
كما تزعم الفلاسفة واهل الطبيعة من امور تحرزت منه القواعد كما تزعم المقاسر وخلق
الله اي مخلوقاته التي بثها فيهما وابدعها واودعها حكمه الحكمة فيها النقل
وفي كل شيء له اية تدل على انه واحد
وتعيين اسمايه الحسنى الدالة على ذاته وبديع صفاته وفي قوله تعيين اشارة
الى انها توقيفية فلا يطلق عليه الا ما ورد به اذن شرعي والكلام عليها مفرد بالتاليف
واجل ما صنف فيها كتاب الامام القرطبي وقيل يصح ان يطلق عليه كل اسم ثبت اتصافه فيه
مما لا يوهم نقصا وقيل يجوز ما كان على سبيل التوصيف والكلام عليه مفصل في كتب
الاصول واياته الكبرى اي عجايب مخلوقاته الدالة على عظمته والكبرى بمعنى العظيمة

ما

ما اخبر عنه صلى الله عليه وسلم مما شاهده في ليلة الاسرا كما تقدم وامور الاخرة
كالحشر والنشر واهوال الموقف والصراط والميزان والنفخ في الصور واشراط
الساعة اي علاماتها الدالة عليها جمع شرط بفتحتين وفي الاساس بدا لا وايل
كل شيء اشراطه ومنه اشرط اليه رسولا اذا قدمه واشراط الساعة مشهورة والساعة
مقدار من الزمان غير محصور لقيامة وقيل الاشراط تختص بعلاماتها الصغار كما نقله
الخطابي عن ابي عبيدة والمشهور شمولها للصغار والكبار كخروج المهدي والدجال
واحوال السعدا والاشقيا في البرزخ والدنيا والاخرة وما لهم من نعيم وعذاب
وعلم ما كان من احوال الامم السالفة وما كان في ابتدا خلق العالم وما يكون بعده
من الفتن وغيرها كما في حديث حذيفة المشهور مما لا يعلم الا بوحي اعلمه الله به في
المغيبات على ما تقدم اي واقع على اسلوب والثاني جواب اما من انه بيان لما تقدم
معصوم فيه عن الخطا والشك في شيء منه لاياخذه اي لا يعرض له ولا يطرا عليه
فيما اعلم بالبنا للمجهول اي اعلمه الله به وحيا ويجوز بناؤه للفاعل اي اعلم به
امته منه اي مما ذكر شك ولا ريب وتردد في علمه به بل هو فيه اي فيما اعلم به على
غاية اليقين والجزم به بلا تردد فقلبه صلى الله عليه وسلم مطمين بعلمه لا يقلق ويضطرب
لان اصل معنى الريب الاضطراب كما حققه اصل اللغة لكنه استدرك من كونه على
غاية من اليقين لانه ربما يتوهم احاطة علمه بتفاصيله فلذا قال لا يشترط له العلم
بجميع تفاصيل ذلك لانه مما يعجز عنه البشر وان كان عنده صلى الله عليه وسلم
من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر سواه لما خصه الله به من اطلاعه على ما لم
يطلع عليه احد غيره لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البيهقي اني لا اعلم الا
ما علمني ربي اي لا اعلم شيئا مما يخفى على الناس الا بتعليمه تعالى ولقوله صلى الله عليه
وسلم في حديث روي في الصحيحين ولا خطر اي طرا علمه على قلب بشر اي احد من
الناس وهو حديث قدسي اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس
ما اخفي لهم من قرة اعين الاية جزاء بما كانوا يعملون فقيه دليل على ان من
احوال السعدا ما لم يطلع عليه صلى الله عليه وسلم ونبدا بتفسير معنى دع والاية ايضا
تدل على ان الله اخفى ذلك عن انبيايه من احوال السعدا التي تتجافى جنوبهم عن
المضاجع وقرة العين سرورها اما لان دمعة السرور باردة او لانها تقر وتسكن
لعدم التفاتها لغير ما هي فيه ومما يدل على ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام قد يخفى
عليهم بعض العلوم قول موسى كليم الله عليه الصلاة والسلام وهو من كبار
الانبيا عليهم الصلاة والسلام للخضر في قصته التي قصها الله في القران هل اتبعك
على ان تعلمن مما علمت رشدا وموسى هو ابن عمران وما روي عن نوف البكالي
من انه موسى بن ميشا وهو نبي اخر من بني اسرايل ليس من اولي العزم هو قول اهل
الكتاب يرون ان موسى الكليم مقامه اجل من ان يتعلم من غيره وقد نقل ما قاله نوف

لابن عباس رضي الله عنهما فقال كذب عدو الله وانما هو ابن عمران واستشكل هذا
بان نوفا كان من صالحي ثقة فكيف يقال انه عدو الله فقيل انه قصد زجره في حال
شدة غضبه وتهوره لما سمع ما يخالف ما صح عنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
واما كونه استفادة كما قاله الله فليس بشيء والخضر هو صاحب موسى عليهما الصلاة
والسلام وهو بليا بن ملكان والكلام فيه هل هو ولي او نبي او ملك وهل هو حي الان
مشهور وللعلامة الحمصري فيه كتاب سماه الروض النضر في احوال الخضر لم يجمع فيه
مثله لا لغيره يحتاج اليه وخضر لخضر رقبته سمي به لانه كان اذا جلس على ارض اخضرت
كما مر وقصته معلومة وتفسير هذه الاية في كتبنا مع نقله ووجه استشهاد المص بهذه
الاية والقصة غني عن البيان ومما يدل على ان النبي لا يحيط بجميع تفاصيل كل شيء قوله
صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه الديلمي عن انس في بعض الادعية المأثورة
عنه صلى الله عليه وسلم اسئلك يا الله باسمائك الحسنى ما علمت احسن واسماؤه عز
وجل كلها حسنة لما دلت عليه من المعاني الجليلة والحسن في العرف العام يقال لما يدرك
بالبصر واكثر ما جاء في القرآن لما تستحسنه البصيرة كقوله تعالى الذين يستمعون القول
فيتبعون احسنه كما قاله الراغب في مفرداته ما علمت منها وما لم اعلم يقال من
اسماء وهذا الحديث يدل على ان له اسماء لم يعلمها صلى الله عليه وسلم مما لا يعلمه الا
الله ولا ضير في مثله ومثله قوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه احمد في مسنده
فيه اسئلك بكل اسم هو لك اي مخصوص بك مما سميت به نفسك اي ذاتك وفيه دليل
على صحة اطلاق النفس على ذاته من غير مشاكلة خلافا لمن منعه وفيه لبعض المحققين تفصيل
حسن وهو انه ان كان بمعنى الذات صح اطلاقه مطلقا نحو كتب على نفسه الرحمة وان كان
بمعنى الروح ونحوه كقوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك لم يطلق الا مشاكلة فتدبر
او استأثرت به اي انفردت بعلمه دون غيرك في علم الغيب عندك اي في جملة
معلوماتك المغيبة عن غيرك والشاهد فيه كالحديث الذي قبله وقد قال الله
تعالى مما يدل على انه لا يحيط بجميع العلوم غيره وفوق كل ذي علم عليم هو اعلم واعلى
رتبة في العلم فهذا دليل على ان علم البشر متناه محصور وقال القاضي في تفسيره المراد
كل ذي علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله عز وجل الذي له العلم البالغ
فلا فرق بينه وبين قولنا فوق كل العلماء عليم وهو مخصوص انتهى وهو اشارة الى
دفع شبهة تقريرها ان الله ذو علم فهو داخل في هذه الكلمة فيقتضي ان فوق الله عليم
يعلم ما لم يعلمه لانها قضية مخصوصة بالمخلوقين فالعليم الذي فوق كل ذي علم هو الله
لا غير فهو عام مخصوص وقال زيد بن اسلم وغيره في تفسير هذه الاية اشارة
لما قلناه المراد ان رتبة العلماء لا تزال تترقى في العلم حتى ينتهي العلم الى الله
تعالى فهو الذي فوق كل ذي علم فيه تنبيه بالغة الى مرتبة ليس فوقها شيء اصلا فهو
العليم المحيط علمه بكل شيء علما بالجزئيات علما تفصيليا خلافا للغلاة سخفة
القائلين بانه يعلم الكليات دون الجزئيات وبطلانه في محله مذكور في كتب الكلام

الا ان النصير الطوسي قال في مقالة له في هذا المبحث ان المخطئين لم يقفوا على مرادهم
وانهم لم ينكروا ذلك وهو كلام طويل لا يحيط به نطاق البيان هنا وقد ذهب الى
ما قاله النصير ابن عربي في فتوحاته وارتضاه بعض مشايخ عصرنا ولعل وجهه
وفوق كل ذي علم عليم وهذا اي انتهاء العلم اليه تعالى ما لا اخفاء به عند من له عقل
سليم اذ يعلم انه تعالى لا يحاط بها ولا يحيطون بشيء من علمه اي لا يقفون على جميعها
وهو احاط بكل شيء علما وهو في الاصل استعارة من احاطة الحائط بما في داخله ولا
منتهى لها عطف تفسير لعدم الاحاطة هذا اي ما ذكر من عصمة النبي صلى الله
عليه وسلم فيما يتعلق بمعتقد قلبه فيما ذكر في هذا الفصل كما اشار اليه بقوله حكم عقد قلب
النبي صلى الله عليه وسلم اي اعتقاده الجازم فيما ذكر في هذا الفصل في التوحيد المراد به
ما يتعلق بالعقائد والشرع ونحوه مما اوحي اليه والمعارف والامور الدينية من
عطف بعض افراد العام عليه لمزيته والكلام على العلم وحقيقته علم الله الحضوري وماله
وعليه مما تكفلت به الكتب الكلامية ولكل مقام مقال

فصل

واعلم ان الامة اي امة الاجابة مجمعة على عصمة النبي اي حفظه صلى الله عليه وسلم
من الشيطان والتعريف في النبي للجنس او للاستغراق ويجوز ان تكون للعهد
ويعلم غيره بطريق الدلالة فانه تعالى قال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
فان لم يكن له سلطان على خلص عباده علم انه ليس له تسلط على انبيائه عليهم الصلاة
بالطريق الاولى وكفايته منه اي حمايته لا في جسمه بانواع الاذى اي اذى الشيطان
مما يكون من اصابته او اصابة جنده من الجن كالصرع والطاعون وذات الجنب
فانها من الشيطان ولذا لم يرض صلى الله عليه وسلم بلده وهو في مرض موته لظنهم
انه به ذات الجنب فقال انها من الشيطان وقد عصمني الله منه كما يأتي ومنه علم ان
الطاعون لا يصيب الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولا يسلط الشيطان على خاطره
اي فكره وقلبه صلى الله عليه وسلم بالوساوس جمع وسوسة وهي ما يلقيه
الشيطان في نفسه قيل ومن الوسوسة ما هو غير اختياري يجهد الانسان على
دفعه ولا يؤاخذ به ما لم يعمل او يتكلم وهذا اما لم يعصم منه احد لانه من الاعراض
البشرية الا انه صلى الله عليه وسلم معصوم من ان يؤثر فيه اذا عرض له نادرا وليس
من هذا القبيل السحر فتأمله وقد اخبرنا القاضي الحافظ ابو علي هو ابن
سكرة وقد تقدمت ترجمته رحمه الله قال حدثنا ابو الفضل بن خيرون
العدل تقدم ايضا قال حدثنا ابو بكر البرقاني وغيره بكسر الباء الموحدة
وسكون الراء المهملة وقاف والف ونون نسبة لبرقانة قرية من نواحي خوارزم وهو
الامام الحافظ ابو بكر احمد بن محمد بن احمد بن غالب الخوارزمي الشافعي امام بغداد
كما تقدم قال حدثنا ابو الحسن علي بن عمر الدارقطني نسبة لدار قطن محلة
ببغداد كما تقدم قال حدثنا اسماعيل بن محمد بن اسماعيل الامام العابد الثقة
النحوي المشهور الصفار نسبة لعمل الصفر وهو النحاس توفي سنة احدى واربعين

وثلاثمائة وقد جاوز الثمانين باربع سنين قال حدثنا عباس بمهملتين بينهما
موحدة الترقفي بفتح المثناة الفوقية وسكون الراء وضم القاف وفاء مكسورة وياء
نسبة وهو امام ثقة روى عنه ابن ماجة وغيره وهو يروى عن الفريابي وتوقف
قيل اسم امراة وقيل اسم بلدة قال حدثنا محمد بن يوسف وهو الفريابي وقد تقدم
عن سفيان الثوري وقد تقدم عن منصور هو ابن المعتمر وقد تقدم عن سالم
ابن ابي الجعد الاشجعي الكوفي وقد تقدم ايضا عن مسروق عن الاجدع الهمداني
العابد الزاهد التابعي توفي في سنة ثلاث وستين واخرج له الستة عن عبد الله
ابن مسعود الصحابي المشهور في حديث رواه مسلم عن سالم بن ابي الجعد عن ابيه عن
ابن مسعود ورواه من طريق اخر لعلو سنده فيه وعظم رجاله قال ابن مسعود
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم اي معاشر الناس من احد من زائدة
واحد مبتدا خبره مقدم عليه وهو منكم وزيادة من لتاكيد العموم الا وقد وكل
مشدد مبني للمجهول اي عين للملازمة كالحفيظ الملتزم لمن يحفظه كما قال تعالى
وما انت عليهم بوكيل فاستعمل المقيد في المطلق مجازا به قرينه اي الذي يكون
مقارنا له من الجن وقرينه من الملائكة اما قرينه من الجن فانه موكل بوسوسته
واغوائه واما قرينه من الملائكة فهو من الحفظة لا من الكتبة كما قيل لعدم مناسبة دجى
لها هنا قالوا اي قال الصحابة الحاضرون عنده صلى الله عليه وسلم وإياك
يا رسول الله اياك ضمير نصب معمول لمقدر واصله اوكل بك قرين من الجن كغيرك
فحذف الفعل وحرف الجر فانتصب الضمير وانفصل وانما عدل عن الظاهر تادبا
واشارة الى استبعاد ان يكون كغيره في ذلك لان معنى توكيله به تسلطه عليه
بوسوسته واغوائه وهو صلى الله عليه وسلم معصوم من ذلك والضمير منفصل ومن
ضمير الرفع واصله وانت كما ورد في رواية صححها البرهان عن ابن عباس رضي الله عنهما
وستاتي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واياي اي وكل بي قرين من الجن كغيري
ثم استدرك ببيان تميزه صلى الله عليه وسلم عنهم بقوله ولكن بالتشديد والتخفيف
الله بالرفع والنصب على وجهي لكن اعانني عليه اي على قريني من الجن فحفظني منه
ومنعه من التسلط على لهدايته للاسلام فاسلم بصيغة الماضي من الاسلام اي
هدى الله قريني للاسلام ببركة مقارنته له صلى الله عليه وسلم او هو مضارع مرفوع
فاعله ضميره صلى الله عليه وسلم اي سلمني الله منه وقال النصير الطوسي في
شرح الاشارات في الحديث ما من مولود ولد من بني ادم الا ولد معه قرين من
الشياطين فقيل وانت يا رسول الله كذلك قال وانا كذلك الا ان الله اعانني
عليه فاسلم اي فاسلم الشيطان ومنهم من انكر هذه الرواية وقال الرواية الصحيحة
فاسلم ومعناها ان الله اعانني عليه حتى اسلم من شره فان الشيطان لا يسلم قط
انتهى ومنهم من اوله فقال المراد بالشيطان القوة الغضبية واسلامها انقيادها
للعقل والنفس القدسية واليه ذهب الامام الغزالي رحمه الله في الاحياء ويجوز

كون

كون الروايتين بمعنى ان اسلم مضارع منصوب على نهج قوله واكتنى بالجار
فاستغنيا وذلك ان يقول اعانني عليه بمعنى لم يسلطه علي فالمضارع منصوب
في جواب النفي وقد يخرج عليه البيت زاد غيره اي زاد غير سفيان راوي هذا الحديث
فيه عن منصور بن المعتمر الذي تقدم في جملة رواة هذا الحديث فلا يامرني هذا
القرين الا بخير فصار قرينه صلى الله عليه وسلم قرين خير وروى عن عائشة
رضي الله عنها بمعناه وروى عن عائشة رضي الله عنها فهو بيان لما قبله فاسلم
بضم الميم وهمزة المتكلم مضارع مرفوع اي فانا اسلم منه وفي نسخة اي فاسلم
انا منه ومن وسوسته وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها على الرواية الاولى
ولم يخرجه المحدثون وقد تقدم في كلام الطوسي وهو يعني من فرسان هذا
الميدان وروي بالبناء للمجهول والرواية في صحيح البخاري فاسلم بصيغة الماضي
يعني القرين تفسير لضمير الفاعل المستتر فيه ومعنى اسلم انه انتقل عن حال
كفره بناء على ان الشياطين منهم من يسلم وقوله الى الاسلام متعلق بانتقل اي
تحول من حال لاخرى فصار لا يامر الا بخير كالملك القرين الموكل به وهو اي هذا
المعنى وهو انتقاله من الكفر الى الاسلام ظاهر الحديث المفهوم من سياقه بدليل
قوله ورواه بعضهم فاستسلم اي انقاد وكف عن الوسوسة قال ابن الاثير رواية
اسلم بفتح الميم يشهد لها ما روي كان شيطان ادم كافرا وشيطاني مسلما ورواية من
اسلم ورواية مسلم بضم الميم وقد علمت المص مرجح لرواية الفتح اي وفي الحديث ثلاث ابن اقبرس
روايات وانه اسلم جاء بمعنى استسلم وانقاد ايضا الله قد تقدم ان الشيطان ممنوع
من التسلط بالاذى على المومنين وفيه انا نجد منهم من حصل له مس وخطف كثير
رضي الله عنه فلعله لتقدم سبب يمنع من حفظه انتهى ولا يخفى انه في حق الانبياء
محقق وفي غيرهم اغلبي وانما ذكر لا حكم له ومراد القرين الملازم ولذا سميت الزوجة
قرينة وقدم قرين الجن لمناسبة المقام له وحديث عائشة هذا اخرجه مسلم لفظه خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندها ذات ليلة قالت فغرت فلما جاء قال ما لك
يا عائشة اغرت فقالت كيف لا يغار مثلي على مثلك فقال لقد اتاك شيطانك قلت
او معي شيطان يا رسول الله قال نعم ومع كل انسان قلت ومعك يا رسول الله
قال نعم ولكن الله اعانني عليه حتى اسلم قال الخطابي رحمه الله الصحيح المختار عندهم
اي ورجحه القاضي عياض الفتح كما مر وهو المختار لقوله ولا يامر الا بخير واختلفوا
في الفتح فقيل اسلم بمعنى استسلم كما رواه مسلم وقيل معناه صار مسلما وهو الظاهر
انتهى وايد هذا ما اخرجه البيهقي وابن الجوزي في الوفا عن نافع عن ابن عمر رضي الله
عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم انه صلى الله عليه وسلم قال فضلت على ادم
بخصلتين كان شيطاني كافرا فاعانني الله عليه حتى اسلم وكن ازواجي عونا لي وكان
شيطان ادم كافرا وكانت زوجته عونا على خطيئته وقد اشار الى ذلك الصرصري
رحمه الله في نونيته بقوله

في خصلتين يفوق ادم فيهما وهما لاهل الحق واضحتان
شيطان ادم كافر يغوي وشيطان هدا اتبه الى الشيطان
ولتوجعون عليه وانه ما بنا به فقد كان خير معان

ونقل الشيخ محمد الشامي في سيرته عن المطلع ما اسلم من الشياطين الا شيطانان شيطان نبينا صلى الله عليه وسلم وشيطان نوح عليه الصلاة والسلام وزاد بعضهم بل سائر الانبيا على هذا المنوال فتدبر قال القاضي ابو الفضل مصنف عياض رحمه الله فاذا كان هذا حكم شيطانه صلى الله عليه وسلم في احتياجه الى اعانة الله له عليه حتى يسلم منه وحكم قرينه من الجن الذي وكل به وهو عطف تفسير لما قبله ووصف بقوله المسلط على كل احد من بني ادم وفي نسخة المسلط على بني ادم والمراد المسلط نوعه وجنسه لان قرينه مختص به فكيف الظن بمن بعد منه ولم يلازمه من الشياطين ايتوهم احد انه لا يسلم منه فعدم تسلطه معلوم بالطريق الاولى لانه لا يقدر على الدنو منه وهو لم يلزم صحبته لان الله لم يجعله قرينا له اذ القرين معناه الملازم للصحبة كما تقدم ولا اقدر بصيغة الفعل والنا للمفعول اي لم يجعله الله قادرا على الدنو والقرب منه صلى الله عليه وسلم لعصمة الله له عن تسلطه عليه وعلى سائر الانبيا وخلص عباده وقد جاءت الاثار والاحاديث الموثقة عنه صلى الله عليه وسلم بتصدي اي تعرض الشياطين له صلى الله عليه وسلم في غير موطن اي في مواضع كثيرة كالصلاة وغيرها رغبة مفعول له او حال في اطفاء نوره ويابى الله الا ان يتم نوره واماتة نفسه اي اهلاكه او صده عما هو مشغول به من العبادة وادخال شغل عليه اي بالوسوسة المانعة له عن الفكر فيما فيه صلاحه وصلاح امته فعلوا ذلك اذ يئسوا من اغوائه واضلاله عن طريق الحق فانقلبوا اي رجعوا عما قصدوا له خاسرين خائبين لعدم قدرتهم عليه صلى الله عليه وسلم وعلى التقرب منه كتعرضه اي تعرض الشيطان له صلى الله عليه وسلم وهو مستغرق التوجه الى الله في صلاته فاسره اي اخذه وقهره باستيلائه عليه قهرا وهيبة بقوله في الصحاح اي الاحاديث الصحيحة المروية في البخاري ومسلم وغيرهما قال ابو هريرة في حديث رواه عنه صلى الله عليه وسلم ان الشيطان عرض لي وفي نسخة تعرض لي اي اتاني ووقف عندي قال عبد الرزاق بن همام الامام الحافظ كما تقدم في ترجمته وهذا في زيادته على الصحيحين في صورة هر وهو السنور الذي يقال له قط والشياطين تتمثل باي صورة ارادت من صور الحيوان وغيره فشد علي اي حمل ووثب وشد علي بقال شد يشد بكسر الشين المعجمة وضمها اذا حمل على العدو ونحوه يقطع علي الصلاة اي يبطل صلاتي باخراجي منها واصله ليقطع علي اي اراد ان يقطع صلاتي ويفسدها فامكنني الله منه اي اقدرني عليه ومكنني من اخذه وقهره فذعته بذال معجمة وعين مهملة وبالدال المهملة ايضا وبالدال المهملة والمعجمة والهمزة اي خنقته ودعته حتى صرعته وروي فاخذته

فخنقته

مطلب

فخنقته واصل الدعت بمهملة ومعجمة الدفع بعنف والمعرك في التراب كما في النهاية وفي غيرها انه الغط في الما والخنق الشديد وانكر الخطابي المهملة وصحح غيره ولقد هممت ان اوثقه اي اربطه والوثاق ما يشد به قال تعالى فشدوا الوثاق وهممت بمعنى عزمت ونويت الى سارية فدوى بارية من سواري المسجد والسارية العمود المنصوب ليوضع عليه سقف ونحوه وكان ذلك للبلد في تجديده ولذا قال حتى تصبحوا اي تدخلوا في وقت الصباح تنظرون اليه فذكرت قول اخي سليمان عليه الصلاة والسلام والاخوة هنا المراد بها اخوة النبوة لانها تطلق على المشابهة والمشاركة في امر ما رب اغفر لي وهب لي ملكا الاية لان الملك الذي اعطاه الله له ملك الانس والجن والدنيا كلها وليس طلب سليمان لذلك محبة للدنيا وزينتها انما هو لاجل ان يتم له اعلا كلمة الله وتنفيذ امره وتقدم الدعا لمغفرة عليه لانه ادعى للاجابة وللاشارة الى ان القيام بما الملك والنبوة شاغل عن العبودية فهو عنده صلى الله عليه وسلم كالذنب فرده الله اي رد ذلك الشيطان خاسئا اي خائبا حقيرا لعدم ظفره بما اراد ومنه قيل للكلب اخسا لانها تدل على الطرد مع التحقير قال الخطابي هذا يدل على ان سليمان واصحابه كانوا يرون الجن على خلقتهم الاصلية فيجوز وقوعه لغيرهم فان تلك تجنبا في الشيطان لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال لو سلك عمر فجا لم يسلكه الشيطان فكيف بمخافة عمر ولا يخافه صلى الله عليه وسلم حين تمثل عليه قلت عمر رضي الله عنه لما لم يكن معصوما محفوظا من الجن حفظه الله بما القاه في قلوبهم لحدته وشدته والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم من الجن والانس فلو سلكوا الفج واوا وتمثلوا يكون ذلك معجزة له صلى الله عليه وسلم لا تليق بغيره كما قيل وفي شرح مسلم للنووي ان سليمان عليه الصلاة والسلام اختص بهذا من غيره فامتناعه صلى الله عليه وسلم عن امساكه اما لانه لم يقدر عليه لذلك او قدر وتركه تواضعا وتادبا منه وكونه لم يقدر عليه برده قوله امكنني الله منه وفي حديث ابي الدردا عنه صلى الله عليه وسلم الذي رواه البيهقي عن عبد الرحمن بن جبير وابو الدردا اسمه عويمر واختلف في اسم ابيه على اقوال فقيل عامر وقيل مالك وقيل قيس وقيل ثعلبة وهو انصاري خزرجي اسلم عقب بدر وتوفي سنة اثنين وثلاثين واخرج له احمد والستة وله مناقب مشهورة ان عدو الله ابليس جاني بشهاب اي شعلة من نار ليجعله في وجهي اي يلقيه عليه ليقطع صلاته والنبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة جملة حالية او معترضة في كلام ابي الدردا وذكر ابو الدردا تعوذه صلى الله عليه وسلم بالله منه اي قوله صلى الله عليه وسلم اعوذ بالله منك ولعنه له وقوله ثم اردت اخذه مصدر مفعول لاردت وفي نسخة اخذه مضارع بتقدير ان كما في بعض النسخ وذكر نحوه اي نحو قول ابي الدردا كهممت ان اوثقه وفي عل ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وكذا قال وفيه تقديره اي لو اوثقته لاصبح موثقا اي مربوطا يتلاعب به ولدان اهل

المدينة ولدان بكسر الواو جمع وليد وهو الصبي الصغير وهذا الحديث في مسلم
وفيه مسائل فقهية منها ان الدعا على غيره بالخطاب لا يبطل الصلاة لقوله فيه لعنك
الله ان لم نقل انه مخصوص به صلى الله عليه وسلم او قبل تحريم الكلام وان الجن ترى
بخلقتها الاصلية وقوله تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم اغلبي وقد قيل
انه مخصوص بالانبيا كرؤية الملك قال الشافعي ومن زعم انه يراهم ردت شهادته وعزر
لمخالفته القران وكان النووي اخذ منه قوله من منع التفضيل بين الانبيا عزر
لمخالفته القران وحمل بعضهم كلام الشافعي على زاعم رؤية صورهم التي خلقوا عليها واستشكل
ما ذكر شيخنا ابن قاسم ان غاية ما في الاية اثبات حالة مخصوصة وهي تمكنهم من رؤيتنا
في حالة لا نراهم فيها وليس فيها عموم ولا حصر وذلك لا ينافي ان لنا حالة اخرى نراهم
فيها خصوصا وقد وردت الادلة برؤيتهم وكذلك اي مثل حديث ابي الدردا ما روي
في حديثه صلى الله عليه وسلم الوارد في الاسرا وطلب عفريت له صلى الله عليه
وسلم وطلبه هنا بمعنى توجهه نحوه ليرميه بشعلة من نار فعلمه جبريل ما يتعوذ به منه
بان قال له قل اعوذ بالله منك فانه خر له وذكره اي امر الشيطان معه في الاسرا
او تعليم جبريل له الامام مالك في الموطا وهذا اي ان قبل صعوده صلى الله عليه وسلم ابن ادريس
للسما وكونه قصد تعليم جبريل له لا ينافي له التعريف السند به الخبيث المتمرد
من الجن واطلاقه على غيرهم مجاز والكلام على اشتقاقه وغيره مبسوط في كتب اللغة
وما علمه له جبريل هو قوله اعوذ بوجه الله الكريم وكلمات الله التامات التي لا
يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السما وشر ما يعرج فيها وشر ما
ذرا في الارض وشر ما يخرج منها وشر فتن الليل والنهار وشر طوارق الليل
الا طارقا يطرق بخير وقال له انك اذا قلتهن طفئت ناره ولما لم يقدر الشيطان
على اذاه اذ لم يصل اليه ولم يسلط عليه لعصمة الله له بمماشونه اي القرب منه
جدا لانها في الاصل ملامسة البشرة وهي ظاهر البدن تسبب بالتوسط الى
عداه بكسر العين وضمها اسم جمع عدو اي لما لم يصل اليه ابدا او كان يتمكن من
الوصول لاعدائه وهم الكفرة جعلهم واسطة وسببا لايصال الاذى اليه باغوائهم
وتحريضهم على اذيته واغوائهم كتعصبه اي الشيطان مع قريش بعد موت
ابي طالب لما جاهد صلى الله عليه وسلم في دعوتهم وانذارهم في الايتمار افتعال
من الامر ومعناه المشاورة في المهم بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو رايهم
الذي استقروا عليه وتصوره اي ظهور ابليس لعنه الله في صورة الشيخ
النجدي نسبة لنجد وهي ارض فوق تهامة وانما تصور بصورة شيخ لما يعلمونه
من تجربة الشيوخ وحسن رايهم وكانت صورته صورة نجدي لانهم لما اجتمعوا
بدار الندوة قالوا لا يدخلن عليكم ومعكم في الشورى احد من اهل تهامة
لان هواهم مع محمد ولما ورد في الحديث انها محل الفتن ومنها يخرج قرن الشيطان
وكان وقف بباب دار الندوة وهي دار قصي التي كانوا يجتمعون فيها لما يهمهم كما مر

فقالوا

فقالوا له من انت قال شيخ من نجد رايت اجتماعكم للشورى ولن تعدموا مني
رايا ونصحا فقال ابو البختري ارى ان تحبسوه في دار وتسدوا منافذها
غير كوة تعطوه منها طعامه وشرابه فقال الشيخ بيس الراي ياتيكم من يقاتلكم
ويخرجه منها فقال الاسود بن ربيعة ارى ان تخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما يصنع
فقال الشيخ بيس الراي اذا اخرجتموه ليفسدن قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو
جهل ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما معه سيف فيضربونه ضربة واحدة فيتفرق
دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فنعقله اي فيرضوا منا
بالدية فقال الشيخ صدق الغلام فتفرقوا على رايه فاخبره جبريل عليه الصلاة
والسلام بذلك ونزل عليه واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او
يخرجوك الاية وامر بالهجرة فكان ما فصل في السير وتصور الشيطان مرة اخرى
في غزوة يوم بدر في حديث رواه ابن ابي حاتم عن ابن عباس كما قاله السيوطي
رحمه الله ولم يورد الحديث في صورة سراقة بن مالك الذي قدمنا ترجمته
وهو قوله واذ زين لهم الشيطان اعمالهم الاية وكان من امره ما رواه البيهقي
رحمه الله في دلائله ان الشيطان تمثل لكفار قريش ببدر في صورة سراقة بن
مالك بن جعشم الكناني وكانت قريش تخاف من بني بكر ان ياتوهم من خلفهم لانهم كانوا
قتلوا رجلا منهم فقال لهم ما اخبر الله به من قال الشيطان لهم انهم لا يهزمون
وهم يقاتلون عن دين ابايهم وكان تمثل مع جنده لهم بصورة قوم من بني مدلج فيهم
سراقة اتى الامداد لهم فقال الشيطان لهم لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم
فاتاهم الله بجنود من الملائكة فلما راهم ابليس ولى عنهم فقالوا له انك جار لنا فقال اني
ارى ما لا ترون اني اخاف الله اي هلاكه لي وتحقيق ذلك هو احد الوجوه في الاية
واليها اشار المصنف رحمه الله وقيل المراد وسوسته لهم بما ذكر وتصور الشيطان
ايضا مرة اخرى بعد بدر قريبا ويحتمل قبلها اي امره صلى الله عليه وسلم عند
بيعة العقبة وهي من السفلى التي بايعه الانصار عندها قبل الهجرة ثلاث مرات
كما فصل في السير والمراد البيعة الثالثة وكان الانصار بايعوه صلى الله عليه وسلم
بها بجل بيته الان سعد ببني حجة البيعة فلما راى ذلك الشيطان صرخ باعلى
صوته هذا محمد ومعه الصباة قد اجتمعوا على حربكم فقال صلى الله عليه وسلم لما
سمعه هذا ازب العقبة اي شيطانها واصله الازب بهمزة وزاي معجمة مفتوحتين
الكثير الشعر سمي به الشيطان وتفصيله في السير ايضا وكل هذا المذكور من
امر الشيطان الذي تعرض فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر فقد كفاه الله
امره الناري اليه في الكبرا ويقدر ايضا رتو نعيمها وعلى ما في بعض النسخ وقد
بالواو والخبر مقدر اي وقع حفظه منه وعصمه ضره بفتح الضاد اي ضرره وضمها
غير مناسب هنا والضمير لكل والشيطان وشره كما كفي سائر الانبيا عليهم الصلاة
والسلام اذ عصمهم منه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان

عن ابي هريرة رضي الله عنه ان عيسى نبي الله عليه الصلاة والسلام لقي بالبنا
للمجهول اي كفاه الله وحفظه من لمسه اي من ان يلمسه او يمسه كما في بيانه والضمير
للشيطان للعلم به من السياق فجا الشيطان عيسى عليه الصلاة والسلام حين
ولادته ليطعن اي ليبخسه ويمسه بيده في خاصرته بخا معجمة وصاد مهملة هي جانبه
مما فوق اضلاعه وهي الشاكلة ايضا حين ولد فطعن في الحجاب اي في شي حجبه
عن الوصول لمس جسده قيل هو المشيمة وقيل ما لف فيه وقيل الله امر حجبه
الله به عنه او جبته امه مريم عنه والمناسبة اي بسبب كفاية الله له ونفع طعنه
في الحجاب والحديث كل بني ادم يطعنه الشيطان في جنبه باصبعه حين يولد غير عيسى
عليه الصلاة والسلام ذهب ليطعنه فطعن في الحجاب وفي رواية ما من مولود يولد
الا والشيطان يمسه حين يولد ويستهل صارخا من مس الشيطان الا مريم وابنها
وهو المذكور في اية اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وليس هذا
مخصوصا بعيسى كما قد يتوهم من ظاهره وفي شرح مسلم عموم عدم طعن ابليس وتخصيصه
لم يقم عليه دليل غير عصمة الانبيا ولا يلزم منها ان لا يمس انما يلزمها عدم الاغوا والاذية
لهم ولا يلزم من اختصاص عيسى بهذه المنقبة تفضيله على نبينا صلى الله عليه وسلم
وذكر امه معه مما يدل عليه دلالة ظاهرة فقد يخص الله بعض عباده بامر لم يكن
لا فضل منه لغيره حديث مولده صلى الله عليه وسلم الدال على انه لم يستهل
دال على انه لم يستهل صارخا فاختصاص عيسى وامه انما هو بالنسبة لمن تمكن
الشيطان من القرب منه لا لمن امتلات الارض بالملائكة الحافين به فتدبر ولما
ساق مسلم حديث ما من مولود يولد الا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسه
قال القرطبي في شرحه اي في اول وقت الولادة يسلط عليه يخسد الا مريم وابنها
عليهما الصلاة والسلام لدعوة امها بقوله انها اني اعيذها بك الاية وامها امراة
عمران وهي حنة بنت فاقود وهو عام شامل للانبيا عليهم الصلاة والسلام والاوليا
ومع ذلك عصمهم الله منه لقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ولكل قرين من الشياطين
وقد خص الله نبينا صلى الله عليه وسلم بان اسلم قرينه فلا يامره الا بخير وهذه ابوتنا
غيره انتهى وقد تقدم ما في ذلك ثم قال وقول مسلم صياح المولود حين ينزغه الشيطان
دون نون وزاي وغين معجمتين وروي نخسه بنا وعين مهملة وللزمخشري في تاويل
الحديث تخييل اباه الحق الصريح فان اردته فانظر الكشاف وشرحه وقال صلى الله
عليه وسلم حين لد بالبنا للمجهول من اللدود بفتح اللام ودال مهملتين بينهما واو
دوا يصب من ماء واجزا حارة يوضع في احد شقي الفم يتعرض به ثم يشربه واسما الادوية
بهذه الزنة كالسعوط ولما لدوه صلى الله عليه وسلم قال لا يبقى احد في البيت الا لد
عقوبة لهم لما نالهم في مرضه الذي مات فيه والاضافة فيه للعهد وقيل له خشينا
اي خفنا عليك ان يكون بك اي وقع بك واصابك ذات الجنب وهو اسم لمرض
يكون في باطن الجنب كالدمل ينفجر في الداخل وذو الجنب من يشتكي منه ويقال له

الدبيلة

الدبيلة ولذا انث وهو مخوف قل من يسلم منه فهو مونث باعتبار انه سمي دبيلة لا لانه لا
يصدر الا عن غرة واحدة كما قيل الا انه امر يقع فيه التراح بعضهم بعضا وهو مخالف
لما قرره الاطبا فان الدبيلة مرض في الكبد وذكر بعض الاطبا انه قد يكون في
المعدة وذات الجنب في الخاصرة واسمها معرب عن معناها فقال صلى الله
عليه وسلم انها اي ذات الجنب من الشيطان اي هي وخز يصيب الناس من الشياطين
كالطاعون لانه لسبب وسوسته كما قيل وليست ايضا من طعنه للمولود حين يولد
ولم يكن الله ليعصمه له ليسلطه علي تشفيا له صلى الله عليه وسلم ومن اللطائف ما
قلته مداعبا لبعض الاخوان وقد تزوج بعجوزة

يا خليلي قد اصطفيت عجوزا ... هي دا من الممات اشد

قال ذات الجنب ابليت بها ... مالي لد ودها وحصى الد

وهذا الحديث رواه في الموطا وقال السهيلي وذات الجنب تسمى الخاصرة وهي
من سبي الاسقام الذي استعاذ منه صلى الله عليه وسلم وكانت تصيبه صلى الله عليه
وسلم فيظنها عرق الكلية وهو مرض اخر ومن هنا علم خطا من قال انها لا تصيبه الا
مرة كما تقدم وكانوا لما ارادوا ان يلدوه صلى الله عليه وسلم اشار اليهم بالمنع منه
فظنوه لكراهة المريض اللد واذ لدوا قال لا يبقى احد في البيت الا لد كما مر وكونها
من الشيطان ومن طعنه ورد في احاديث اخر والمه يهدي قوله فان قيل فما معنى قوله
واما ينزغنك من الشيطان نزغ الاية فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم فان اصل
معنى النزغ لغة ادخال شي معتمد كالطعن كما ذكره الراغب قال تعالى السواد ساتئله وبما
عندله الفصل في غاية الظهور وان اطال فيه بعضهم بما طائل يفيده وحاصله ان
الله عصمه صلى الله عليه وسلم من تسلط الشيطان عليه باذية او وسوسة وفي الاية ما يوهم
خلافه وان كانت ان الشرطية لا تقتضي الوقوع ولو سلم فالمراد منه تحملها بصيبهم كانه
يصيبه واسند النزغ للمصدر مجازا كقوله جد جده واصل النزغ الطعن ثم شاع في
كل مفسد كما علم فقد قال بعض المفسرين في تفسير هذه الاية انها اي هذه الاية
راجعة الى قوله تعالى قبل واعرض عن الجاهلين ثم قال الله واما ينزغنك
من الشيطان نزغ اي يستخفنك غضب اي لا تكافي السفها الذين خفت احلامهم
اذا اغضبوك بمثل افعالهم واغض عنهم ولذا قيل ان هذه الاية جامعة لمكارم الاخلاق
ولذا قال لجبريل لما سال صلى الله عليه وسلم عنها ان الله امرك ان تصل من قطعك
وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك يحملك على ترك الاعراض عنهم بجزائه لهم بمثل فعلهم
فاستعذ بالله اي قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا تطعه وتعمل بنزغه وهذا من
مكارم الاخلاق لا من امر يثبته فان الغضب على السفيه وجزاه بمثل فعله تاديبا له لا
يعد من الامور الشيطانية والاستعاذة عند الغضب مشروعة وعلى هذا ليست الاية
منسوخة باية القتال كما قيل وقيل النزغ هنا اي في هذه الاية الفساد مستعارا من
النزغ بمعنى الطعن والنخس كما قال تعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة والسلام من

دلجى
ابن اقبرس

ابن اقبرس

بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي اي افسد ما بيني وبينهم بما حملهم عليه
في قصته معهم فالمراد هنا افساده بوسوسته له في حال غضبه وحمله على ما لا يليق
به فاذا احضر بما له طلب النجاة من كيده وقيل معنى ينزغنك يغرينك من الاغرا
بغين معجمة وراء مهملة وهو الحث والتحريض على امر ما ويحركنك بازعاجك للانتقام
من اغضبه والنزغ ادنى الوسوسة اي اقلها كحديث النفس والتفكر واصل معنى الوسوسة
الصوت الخفي ومنه قيل لصوت الحلي وسوسة كما قيل قالوا كلامك وسواس فقلت
لهم وقد يقال لصوت الحلي وسواس وهذا القول له العامة وسوسة بالاعجام
فامره الله في هذه الاية انه متى تحرك اي طرا عليه وعرض له غضب على
عدوه لسوء ما صدر منه او رام الشيطان من اغرائه به وايقاع به لحقد على فعله
فهو بغين معجمة وراء مهملة وفي نسخة اغوائه بغين مهملة ونون وما في بعض النسخ من
اغرابه بغين وزاي معجمتين فهو تحريف من الناسخ والصواب الاول وخواطر ادنى
بمعنى اقل وساوسه جمع وسواس مما لم يجعل له سبيل اليه اي جاء من التلبيس بمثله
لعصمته منه ان يستعيذ منه بقبول امره لان مجرد الوسوسة والخطور بالبال
لا يضر في عصمته صلى الله عليه وسلم وان كان امرا ممنوعا وهذه الاية في سورة الاعراف
وهي المذكورة هنا ووقعت في سورة فصلت مسبوقة بقوله ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي
بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وهما متماثلتان معنى وسياقا فيكفى البنا للمجهول اي
يكفي الله رسوله صلى الله عليه وسلم اذا استعاذ به والتجا اليه امره اي امر الشيطان بوسوسته
لصرفها عنه ويكون ذلك سبب تمام عصمته لعصمته صلى الله عليه وسلم من مجرد الخواطر
وطلوبها بالحفظ والعصمة اذ لم يسلط الشيطان عليه باكثر من التعرض له فضلا عن
التمكن منه وايصال اذيته له ولم يجعل له قدرة عليه فيرجع خائبا خاسئا وقد
قيل في هذه الاية غير هذا من التفاسير التي اقتصرنا منها على ما يناسب غرضه
فيما عقد له هذا الفصل وكذلك اي مثل ما ذكر من حفظ الله عن تسلط الشيطان
عليه لا يصح ان يتصور له الشيطان في صورة الملك بان يتمثل بمثاله ويقول له
انا ملك ارسلني الله اليك لحفظ الله له عنه ويستفد من ان يأتيه بهذه الصورة وهذه
شبهة اوردها منكر النبوة بانه من اين يعلم ان الاتي له ملك يلقنه الوحي عن الله
لم لا يجوز ان يكون جنيا ويلبس عليه امره فيلتبس الوحي بغيره لا يقع ذلك في
اول الرسالة اي في اول امره بدعوة الخلق الى الله ولا بعدها الظاهر نصبه
اي بعد الاول في اثنائه والاعتماد اي اعتماده صلى الله عليه وسلم في حقية ما اتاه وعدم
احتماله لغيره في ذلك اي في عدم تلبيس الشيطان عليه وتصوره بصورة الملك
دليل المعجزة اي قوة يقينه دليل على انه معجزة له او هو يعتقد في انه امر الهي على ما ظهر
له من المعجزة كتسليم الحجر عليه واظلال الغمام له فمعنى قوله لا يصح اي لا يجوز عقلا ذلك
والقول بانه لا مدخل للعقل فيه وانه امر علم من الشرع ومعنى لا يصح انه ممنوع من
جانب الشرع كلام باطل بل لا يشك النبي صلى الله عليه وسلم ان ما ياتيه من الله الملك

هذا

هذا اي الخبر اي وخبر بعد خبر ورسوله الذي ارسله الله اليه من رسل الملائكة
حقيقة لا تشبيها وتلبيسا عليه من غير شك فيه اما بعلم ضروري يخلقه الله له
بديهي غير محتاج لدليل لعدم تردده فيه او برهان ودليل قطعي يظهره لديه
مما يثبت هذه من معجزاته كنطق الحجر وتسليم الشجر وكل ذلك لتتم كلمة ربك فتبلغ الغاية
احكامه واخباره ومواعيده صدقا في خبره له ووعده وعدلا ما حكم به من
احكامه التي بلغها وهما تمييزان محولان عن الفاعل او حالان لا مبدل لكلماته
اي لا يمكن تغييرها ولا تنسخ بعد ما بلغت غاية لا تقبل الزيادة عليها ولذا كانت
شريعته صلى الله عليه وسلم اخر الشرائع وهذا التعليل بما ذكره من حفظه صلى الله عليه
وسلم من ان يتصور له الشيطان بصورة ملك فيكون ما يلقيه امر مختلط قابل للتبديل
والتغيير ولذا اعقبه بقوله فان قيل فما معنى قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك
من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الاية فينسخ الله ما
يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته والله عليم حكيم التمني هنا بمعنى التلاوة والامنية الكلام
المتلو لان التمني ما يتصوره الانسان في نفسه والمتلو كذلك فحاصل السؤال المذكور
انك قلت ان الشيطان لا يتسلط على الانبياء عليهم وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام
بوسوسته وهذه الاية تدل على ان الشيطان لعنه الله يخلط عليهم فيما يوحى اليهم عند
تلاوته وهذه الاية تدل على ان بين النبي والرسول فرقا وقد اختلفوا في الفرق بينهما
بعد الاتفاق على انهما من نزل عليه الملك بالوحي والمشهور ان الرسول اخص من النبي
وهو من يكون مامورا بالتبليغ وله شرع جديد واشترط بعضهم ان يكون معه كتاب ويستقل
كل منهما بمعنى الاخر وقد مر تحقيق ذلك فاجاب بقوله فاعلم ان للناس اي العلماء لانهم
هم الناس اقاويل هو جمع قول فهو جمع الجمع منها اي من جملة هذه الاقاويل السهل (في معنى هذه الاية)
والوعث اي ما هو ظاهر سهل فهمه ومنها ما هو خفي عسر فهمه وهو مستعار من
المكان السهل وهو المنبسط الذي يسهل المشي فيه والوعث المكان الكثير الرمل الذي
يشق المشي فيه ومنه ارض وعثاء استعمل مجازا واستعارة لمعنى الشاق ومنه ما ورد
في الحديث اللهم اني اعوذ بك من وعثاء السفر اي مشقته فهذه الكلمة هنا موقع لبس للمشقة
فالمعنى منها ما هو ظاهر تسلكه الافهام بسهولة ومنها ما هو صعب يشق على اقدام الافهام
وهو بفتح الواو وسكون العين المهملة والمثلثة والسمين ضد الغث من السمن وهو
الممتلي باللحم والشحم والغث بفتح الغين المعجمة وتشديد المثلثة ضده وهو النافقة
المهزولة استعير لما فيه فوائد جليلة ولما لا طائل فيه بمعنى ما جمع بين حسن العبارة وجزالة
المعنى واولى ما يقال فيها اي ما يقال في تفسيرها واولى بمعنى احق بالقبول او
بمعنى اقرب كما في قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الميراث فلاولى رجل ذكر اي اقرب به
من الميت وهو العصبة ما عليه الجمهور اي ما اتفق عليه راي الجمهور اي الاكثر من
المفسرين ان التمني معناه هنا اي في هذه الاية التلاوة لانه يتمثل من شيء بمعنى
تذكر كما قال الشاعر

لا تأمنن وإن أمسيت في حرم ... حتى تلاقي ما يمني لك الماني

أي ما قدره لك القدر والتمني أمر يقدره المرء في نفسه وهو بمعنى تلا كـ

تمنى كتاب الله أول ليله ... تمني داود الزبور على رسل

وألقى الشيطان في قوله ألقى الشيطان في أمنيته أي متلوه شغله مصدر بوزن
ضرب مضاف لفاعله أي شغل الشيطان للتالي خواطر أي أمور دنيوية تخطر على
قلبه فتشغله عما تلاه وأذكار جمع ذكر أي حديث نفس تذكره فيلهيه من أمور الدنيا
بيان لها للتالي صفة لخواطر وأذكار أي كائنة وعارضة له حتى علة لشغله يدخل
مضارع أدخل وفاعله ضمير الشيطان ومفعوله الوهم في قوله عليه أي على التالي
الوهم أي الغلط أو مضارع دخل والوهم فاعله والنسيان فيما تلاه أو يدخل عليهم
غير ذلك أي غير الوهم والنسيان على أفهام السامعين وبين ما يدخل على أفهام
السامعين بقوله من التحريف لما تلاه عليهم وسوء التأويل الذي يعرض عند ما سمعوه
ما يزيله الله مفعول النسا ويبطله أي يحوله من الباطل إلى الحق ويكشف لبسه
أي يزيله ويبينه ويظهره ويحكم آياته أي يحققها ويبينها وسيأتي الكلام على هذه الآية
مفصلا بأشبع من هذا أي بأكثر تفصيلا وهو استعارة من الشبع ضد الجوع لأن
العلم غذاء الأرواح وهذا التفسير هو المنقول عن السلف وهو أحسن ما قيل فيها كما
قاله النحاس وهو المنقول عن ابن عباس كما سيأتي وتفسير التمني بالتلاوة مشهور في
اللغة والتفسير كما علم وذكر الكسائي والفراء أنه يقال تمنى إذا حدث نفسه قال القرطبي ابن فارس
وهو المعروف في اللغة ومن قال إنه لم يجده في كتب اللغة والذي فيها أعم منه فقد
قصر فإنه قد صرح به الراغب في مفرداته وليت شعري ما هذه الكتب التي رآها ونقلها
وليس هذا منافيا لما ذكره إلا من عصمة الأنبياء عن الوساوس لأن الذي عصم عنه الأنبياء
الخواطر القارة وأما مجرد الخواطر فلا تضرهم ولا يقروا عليها وبه صرح الثعلبي في تفسيره
وقد حكى الإمام أبو الليث الحنفي السمرقندي وقد تقدمت ترجمته في تفسيره إنكار
قول من قال بتسلط الشيطان على ملك سليمان وتغلبه عليه وهو جني أخذ
خاتمه الذي يتصرف في ملكه بأمر الله فهرب سليمان عليه الصلاة والسلام إلى أن رد
الله عليه الخاتم وأن ذلك الشيطان كان يسمى صخرا إلى آخر ما ذكره القصاص من الخرافات
في قصته وقد رده أيضا بأن مثل هذا لا يصح وقد ذكرنا قصة سليمان مبينة بعد
هذا ولكن أقول ذكرنا من قال في هذه القصة إن الجسد الذي ذكره الله في قوله وألقينا
على كرسيه جسدا هو الولد الذي ولد له حين قال صلى الله عليه وسلم لأطوفن على
نسائي هذه الليلة وتحمل كل واحدة منهن بذكر يجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله
وكان له تسعون امرأة فلم تحمل منهن غير واحدة بشق رجل وأهل القصص ذكروا
فيه غير ذلك كما سيأتي إن شاء الله تعالى وما ذكره السمرقندي هو المعتمد عند المحققين
وقال مكي أبو محمد مكي وقد مضت ترجمته في قصة أيوب نبي الله عليه الصلاة والسلام
وهو كما قال ابن إسحاق أيوب بن أموص بن رازح بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم

وقيل

وقيل غير ذلك وكان في زمن يعقوب وتحته ابنته وأبوه آمن بإبراهيم وأمه بنت
لوط وقد فصل أحواله صاحب مرآة الزمان وذكرنا منها طرفا في غير هذا المحل
وقيل إنه بعد سليمان وقوله إني مسني الشيطان بنصب وعذاب أي ألم ومشقة
عظيمة ونصب بمعنى تعب يعني ما أصابه في بدنه وقرئ بضم وسكون وفيه قراآت
أخر أنه بأنكر تعرف القول لا يجوز لأحد أن يتأول أي يفسر ما ذكر في هذه
الآية برأيه فيقول إن الشيطان هو الذي أمرضه وألقى الضر بالضم وهو المرض
في بدنه لأن الله تعالى عصم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من أذيته وتسلطه
عليهم ولا يكون أي لا يقع ولا يصح ذلك أي كون الشيطان أمرضه إلا استثناء منقطع
أي لكن كل ما يصيبهم بفعل الله وأمره أي تقديره ليبتليهم أي يوقع بهم بلاء من
مرض وغيره ويثيبهم أي يعطيهم ثوابا جزيلا على ما ابتلاهم وفي نسخة ويثبتهم
من الثبات بمثلثة وموحدة ومثناة أي يصبرهم حتى يكون منهم ثبات على شكره
والرضا بقضائه وهذا إشارة لما ذكر في القصص وبيان لرده وإن ذكره بعض
المفسرين لما في ظاهر الآية من إسناد ما مسه للشيطان وهو إسناد مجازي تأدبا
مع ربه في عدم إضافة الشر له لأن كل ما صدر عنه خير من حيث صدوره عنه
والذي ذكروه أن الشيطان حسده لما رآه من نعم الله عليه وكثرة تصدقه وكان
إبليس إذ ذاك لا يحجب عن السماء فقال يا رب لو سلطتني عليه لكفرك فقال
اذهب فقد سلطتك على ماله وأهله وجسده وكانت زوجته رحمة بنت لوط عليه
الصلاة والسلام وقيل بنت أفرايم بن يوسف فأصابه قروح جسده وأهلك ماله
وولده ودوره وكان نفخ في بدنه فتقرح كله وقعد الملعون في الطريق يتطبب فقالت
له زوجة أيوب إن هنا عبدا مبتلى فهل لك أن تداويه فقال نعم إن قال لي أنت شفيتني
فأخبرته زوجته بذلك فقال ويلك هو الشيطان إن عافاني الله لأجلدنك مائة
جلدة فكان ما كان من أمر الضغث إذ أتاه جبريل عليه الصلاة والسلام وركض
برجله فنبعت عين فاغتسل منها فرد الله عليه صحته وجماله وكان مدة بلائه سبع سنين
وزيادة وقد ذكر ابن العربي هذه القصة وبين ما لم يثبت فيها قال مكي وقد قيل
إن الذي أصابه من الشيطان ما وسوس به إلى أهله أراد بأهله زوجته
رحمة ويصح أن يراد به ظاهره فهو على هذا لم يصب بشيء في نفسه وإنما أضاف ما أصاب
أهله إليه مجازا وقد قدمنا ما وسوس به لأهله فإن قلت فما معنى قوله تعالى
عن يوشع نبي الله عليه الصلاة والسلام وهو يوشع بن نون بن أفرايم بن يوسف
ابن يعقوب كان في زمن موسى عليه الصلاة والسلام وهو الذي أقام لبني إسرائيل أحكام
التوراة بعده وفتح الشام لبني إسرائيل وقتل الجبارين وردت له الشمس كما مر
وتفصيل أحواله معلوم من التواريخ وهو فتى موسى المذكور في القرآن وما أنسانيه
إلا الشيطان ووجه السؤال أنه نبي وقد سلط عليه الشيطان حتى أنساه ذكره
وسيأتي جوابه وأن أذكره بدل من مفعول أنسانيه ومثله قوله تعالى عن يوسف

فاتاه الشيطان ذكر ربه وكذا قوله نبينا صلى الله عليه وسلم حين نام عن
الصلاة اى صلاة الصبح فنام حتى فاته وقتها فقضاها بعد طلوع الشمس يوم
الوادى اى فيه متعلق بنام او بالصلاة وهو واد بقرب مكة وكان صلى الله
عليه وسلم لما نزل به امر بلالا ان ينبهه اذا طلع الفجر فغفل عنه فنام صلى الله عليه
وسلم حتى ادركه حر الشمس كما فى الموطا وفى البخارى عن عمران بن حصين كنا فى
سفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كنا فى اخر الليل وقعنا وقعة ولا وقعة
احلى منها عند المسافر فما ايقظنا الا حر الشمس فكبر عمر رضى الله عنه حتى استيقظ
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا قالوا له لو عرست بنا يا رسول الله فقال
اخاف ان تناموا عن الصلاة فقال بلال انا اوقظكم فاضطجعوا واسند بلال
ظهره الى راحلته فغلبته عيناه فنام حتى طلعت الشمس وقال ما القيت على نومة مثلها
قط فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالارتحال عن الوادى ثم نزل فتوضى وصلى
بهم وفى مصنف عبد الرزاق عن عطا بن يسار انه كان ببطن تبوك ونحوه فى دلائل
البيهقى وقيل انه كان بغزوة مؤتة فقال صلى الله عليه وسلم لما انتبه ان هذا واد
به شيطان وفى هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال ليأخذ كل رجل براس راحلته
فان هذا منزل حضرنا فيه شيطان واخر الصلاة حتى خرجوا من ذلك الوادى
كما مر ولم يكن تركها قصدا وانما تحول عن الوادى كراهة ما اصابه فيه من الغفلة ولانه
يخشى فيه من اعدا المسلمين لان الوقت وقت كراهة فان قلت كيف هذا مع قوله صلى
الله عليه وسلم تنام عيناى ولا ينام قلبى قلت اجاب عنه المص فيما ياتى وتبعه النووى
بان القلب لا يدرك ما تدركه الحواس الظاهرة كالعين والاذن وانه صلى الله عليه
وسلم كان له حالان فى احدهما وهو الاكثر ان قلبه لا ينام وفى بعض الاحيان ينام عينه
وقلبه لعارض كتعب سفر ونحوه وفيه تشريع للقضا وتاخيره ولو كان قلبه الشريف
يقظان لم يعذر صلى الله عليه وسلم فى تاخير الصلاة والجواب الثانى هو الاولى وهذا الحديث
له اصل ايضا فى مسلم عن ابى هريرة وله طرق اخرى وقال القرطبى اخذ بعض العلما
بظاهره فقال من انتبه من نومه عن صلاة فائتة فى سفر فليتحول عن موضعه وقيل انما يتجنب
فى ذلك الوادى بعينه كما فى قصة ابار ثمود وقيل انه مخصوص به صلى الله عليه وسلم لان مثل
ذلك لا يطلع عليه غيره ولا باس بالقول باستحبابه مطلقا وهو كحديث البخارى
من فاتته صلاة فليصلها اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك وسياتى ما فيه عند ذكر الجواب
عنه وما معنى قول موسى نبى الله صلى الله عليه وسلم فى وكزه وفى نسخة وكز له
ومعناهما واحد والوكز الدفع والضرب بجمع الكف ووكزه المراد به وكز القبطى
المذكور فى القران هذا الوكز من عمل الشيطان وهو مقول القول وهو
معصوم فكيف وقع منه ما وقع من قتل من لم يومر بقتله فلذا سماه ظلما واستغفر منه
ووجه السؤال ظاهر وكان موسى قبل النبوة يركب مع فرعون فى مواكبه الا انه
لم يكن على دينه فلحقه مرة فى وقت القايلة او بين العشائين فدخل مدينته منف فى

وقت

وقت غفلة فوجد رجلان يقتتلان احدهما قبطى والاخر من بنى اسرائيل من قوم
موسى فاراد القبطى ان يسخره بحمل متاع له فاستغاث بموسى لينصره عليه ونصرة
المظلوم واجبة فى سائر الملل فوكزه بيده او بعصا ليدفعه فقتله ولم يكن هذا ظلما
منه صلى الله عليه وسلم وانما جعله من عمل الشيطان استعظاما لتركه الاولى ولم ينتبه
الى امره [illegible] فاعلم جواب الشرط فى قوله ان قلت ان هذا الكلام المذكور عن
الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم فى السؤال كله يرد فى القران والحديث ما هو
اعم منه او بمعناه فى جميع هذا المحكى عنهم على مورد مستمر بالاضافة للكلام اى طريق
معروف فى استعمال كلام العرب اى على ما يرد اى دابهم فى كلامهم ومعتادهم فيه
والاول هو الظاهر ويحمل مورد منهج الكلام فى وصفهم كل قبيح من شخص او فعل
بيان لكل قبيح كقبيح الشخص فى منظره والافعال القبيحة الصادرة من الناس
يقولون للقبيح هو شيطان ويصفون الافعال القبيحة له وقوله للشيطان
متعلق بوصفهم او فعله بجره معطوف على الشيطان فاذا راوا شخصا قبيحا
قالوا هذا شيطان لتشبيه البليغ واذا راوا فعلا قبيحا قالوا هذا فعل الشيطان
كما قال تعالى فى شجرة الزقوم التى فى جهنم طلعها كانه رؤس الشياطين ما فيها مما
يشبه طلع النخل فشبه ما يطلع منها تشنيعا وتقبيحا بذلك لما استقر عندهم من تشبيه كل
قبيح بها وان لم يروها كقول امرى القيس ومسنونة زرق كانياب اغوال
كما بين فى كتب المعانى وقيل الشياطين حيات كبيرة هائلة وقال صلى الله عليه وسلم
فى حديث رواه الشيخان فى المار بين يدى المصلى فليقاتله فانما هو شيطان
والحديث رواه مسلم عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه وفيه اذا صلى احدكم الى شىء
يستره فاراد احد ان يجتاز بين يديه فليدفع فى نحره فان ابى فليقاتله فانما هو
شيطان والامر للندب لا للوجوب وانما يندب اذا كان بين يديه ستره وانما يفعل
ذلك اذا لم يرتدع باسهل الوجوه وذكر المقاتلة مبالغة فى شدة الدفع والا فالمقاتلة
افعال كثيرة لا تجوز فى غير صلاة الخوف وقوله هو شيطان استعارة تصريحية
شبهه بالشيطان فى صدور الافعال القبيحة منه وقيل انه مجاز مرسل لان الشيطان
سبب لما فعله واما كونه حقيقة لقوله شياطين الانس والجن فليس بشىء لانه مجاز عرض
ايضا وانما كره ذلك لانه شغله عن خدمة ربه وتوجهه اليه وايضا من اصل اذا رجع
اى يرجع الى الجواب عما مر فى السؤال فان قول يوشع عليه الصلاة والسلام وما
انسانيه الا الشيطان ان اذكره الذى حكاه الله عنه لا يلزمنا الجواب عنه لعدم
وروده على ما قررناه من عصمة الانبيا عن تسلط الشيطان عليهم اذ لم يثبت له
فى ذلك الوقت اى وقت صدور هذا القول عنه وهو فى خدمة موسى عليه الصلاة
والسلام نبوة اى انه كان نبيا حال كونه مع موسى مصاحبا له فى سفره وهو خادمه
ويدل على ذلك قوله تعالى وفى نسخة قال الله تعالى واذ قال موسى لفتاه
الى اخره والفتى فى الاصل معناه الشاب فاستعمل بمعنى العبد والخادم لان الغالب

استخدام الشباب وتوقير الكبار وهو من الآداب الشرعية ففي الحديث انه صلى
الله عليه وسلم لا يقل احدكم عبدي وامتي ولكن يقول فتاي وفتاتي وانما سمي يوشع
فتى موسى لانه كان يلازمه ليتعلم منه العلم وقيل انه ابن اخته وهو يوشع بن
نون كما في صحيح البخاري والمروي عن العلماء الثقات انه انما نبي اي جعله الله نبيا
واوحى اليه بعد موت موسى وقيل انه نبي قبل موته اي موت موسى وفي بعض
النسخ قبيل بالتصغير اشارة لقلة زمن نبوته في حياته وسياتي فيه كلام ايضا
وقد قيل انه نبي في حياته فكان اذا سال الدعا اوحى اليه يقول صحبتك كذا ولذا ولم
اسالك عما اوحي اليك فلما راى ذلك كره الحياة وساله ربه ان يقبضه اليه وقيل
الاصح انه انما نبي بعد موسى في ذكر المسطي انه من عمل الشيطان
كان قبل نبوته فلا يرد السوال به لان الكلام في عصمة الانبيا عن تسلط الشيطان
عليهم بدليل القران فانه قص فيه القصة بما يدل على انه انما نبي بعد ذلك كما
يعرفه من عرف الاية وتفسيرها في سورة القصص فانها قبل خروجه لمدين ه
واستيجار شعيب له ومكثه عنده فانه صرح في الاية بانه نبي بعد ذلك وقوله عرض
في الشرح الجديد ان المراد بقول موسى ما قاله ليوشع وان ما في القران ذكره بانه
فتاه دونه ان يقول نبي الله مع مخالفته للشروح لا وجه له وقصة يوسف
ومنها مما عدله الفصل الجواب عنها انه قد ذكر بالبنا للمجهول اي ذكره لنا المفسر
وعندهم انها كانت قبل نبوته اي قبل نبوة يوسف عليه الصلاة والسلام فلا يمتنع فيها
ان يخطر عليه خاطر ينسى به ذكر ربه المشار اليه بقوله فانساه الشيطان ذكر ربه
وهذا احد قولين فيه وقيل انه نبي في الجب وهو على حجر من نفخ فيه جبريل بقوله تعالى
واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهو قبل مجيئه لمصر وهو قول الحسن ومجاهد
والضحاك وقتادة وهو ابن ثماني عشرة سنة ومن الانبيا من نبي صغيرا قبل الاربعين
فعلى هذا اجاب بانه انما كان استعانة بمخلوق ومثله جائز وان لم يلق بمنصب النبوة
فاضاف ما هو خلاف الاولى الى الشيطان تادبا ولا ضير فيه وهذا انما على ان ضمير
النسيان راجع ليوسف وقد قال اكثر العلما والمفسرون في قوله تعالى فانساه
الشيطان في لين احد القولين احدهما ان الذي انساه الشيطان ذكر ربه ليس المراد
به يوسف والرب بمعنى السيد اي الملك وان المراد احد صاحبي السجن وليس المراد
بصاحب السجن مالكه بل من طال حبسه فيه فالاضافة لادنى ملابسة كقوله يا سارق
الليلة اهل الدار وربه المراد به في الاية على هذا سيده وهو الملك اي الشيطان
انساه اي انسى الشرابي المسجون ان يذكر بزنة يفتعل وفي بعض النسخ بضم اليا
وكسر الكاف المشددة والاول هو الصواب لانه الموافق لقوله اذكرني عند ربك
للملك وشان يوسف في السجن والورطة التي وقع فيها وكان دخل معه فتيان
من عبيد الملك احدهما شرابيه الذي يسقيه الشراب وكان الملك غضب عليهم طويلا
لتهمة في شي اتهمهما به فلما اخبر به الملك حبسهما فالتقيا بيوسف وهو مسجون معهما

وراى

وراى كل منهما رؤيا فقصها على يوسف وبينها له ثم قال لمن راه ناج منهما وهو الشراب
اذا خلصت اذكرني عند ربك يعني الملك فتسلط الشيطان عليه حتى انساه ان يذكر
للملك قصة يوسف فعلى هذا لم يتسلط الشيطان على يوسف حتى يرد السوال والى
ذلك اشار المص وايضا اي مثل ما ذكر في جواب الشبهة عن قصة يوسف ويوشع
فان مثل هذا النسيان المذكور من قبل الشيطان بكسر القاف وفتح البا الموحدة
بمعنى عند وجانب يقال لفلان قبل فلان كذا اي عنده قال تعالى فما للذين كفروا
قبلك مهطعين وفي بعض النسخ من فعل الشيطان والجار والمجرور حال من اسم
الاشارة بعيد الفهاهنه والخبر قوله ليس فيه تسلط على يوسف ويوشع اي
هو خبر بعد خبر بوسواس متعلق بتسلط ونزغ يكون بمعنى مجتنبين وقد
تقدم معناه لعصمة الله لهما عن ان يكون له سلطان عليهما وعلى غيرهما من الانبيا
وانما هو اي الضمير للمثل يشغل خواطرهما بمجتنين من الثلاثي ويجوز كونه من المزيد
على لغة غير فصيحة كما تقدم اي شغل ليس بطريق الوسوسة والتسلط بل بامر
اخر مما يرد على الخاطر ولا يضر ولا يستغرب وهو تذكيرهما اي يوسف ويوشع
من امورهما ما ينسيهما بالتشديد والمهملة والتخفيف ما نسيا اي تذكر انا امرا
نسياه من احوالهما السابقة كاستعانة يوسف بمخلوق وشان الحوت الذي نسيه
يوشع ونسبه للشيطان تادبا كما مر ومثله لا محذور فيه واما قوله اي قول
نبينا صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي تقدم بيانه وروايته عن مسلم ان
هذا واد به شيطان وتقدم بيان الوادي وحكايته فليس فيه اي في هذا الحديث
ما يقتضي ذكر تسلطه اي الشيطان عليه صلى الله عليه وسلم ولا وسوسته له صلى
الله عليه وسلم لعصمته وتنزهه عن مثله فهو لا يقدر على ان يقرب من سرادق حمايته
بل انه كان ذكر في الحديث ما يوهم تسلطه عليه بمقتضى ظاهره فقيل انه ما فيه
فقد بين وكشف صلى الله عليه وسلم فيه امر ذلك الشيطان في هذه الواقعة بقوله
صلى الله عليه وسلم في رواية مالك والبيهقي عن زيد بن اسلم ان الشيطان اتى بلالا
بعدما امره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينتظر طلوع الفجر ويوقظه صلى الله
عليه وسلم من نومه فلم يزل الشيطان يهديه كما يهدى الصبي الصغير في مهده
حتى نام بلال فلم يستيقظ حتى اصابه صلى الله عليه وسلم حر الشمس فاستيقظ وقال
ما هذا يا بلال فقال اخذ بنفسي الذي اخذ بنفسك يا رسول الله الحديث وقوله
يهديه بضم المثناة التحتية وسكون الها والدال المهملة مكسورة مخففة واخره با ساكنة
او همزة مضمومة او بفتح اوله وسكون ثانيه وفتح داله وبعده همزة او الف ودالة
مشددة الا ان رسمه باليا في النسخ وكذا يهدي في قوله كما يهدي الخ قال الجوهري هدا
هدا وهدوا اذا سكن واهدات الصبي اذا اسكنته وامررت يدي عليه لينام وكذا
في القاموس وافعال ابن القطاع وغيره ومثله هداه بالتشديد مهموزا ومعتلا وهذه
يكون وقد هدهده كله بمعنى تحريك الصبي او مهده حتى ينام والحديث في الصحيحين

فاعلم ان تسلط الشيطان في ذلك الوادي الذي نزل به رسول الله صلى
الله عليه وسلم واصحابه وغلبهم النوم حتى فاتهم صلاة الفجر وقد رجعوا من الغزاة انما
كان تسلطه على بلال لا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يرد السؤال الموكل
بفتح الكاف المشددة اسم مفعول اى المعتمد عليه في الحفظ عن خروج الوقت بكلاءة
الفجر بكسر الكاف كالحراسة وزنا ومعنى فهو ممدود مهموز وقد تبدل همزته يا
كما في النهاية يقال كلأه يكلؤه اذا حرسه وضمن معنى المراقبة اى مراقبة طلوع الفجر
لئلا يفوتهم وقيل المراد كلاءة صلاة الفجر بتقدير مضاف وله وجه وجيه هذا اى
ما ذكر من ان تسلط الشيطان انما كان على بلال ان جعلنا قوله صلى الله عليه وسلم
في هذا الحديث ان هذا واد به شيطان تنبيها مفعول له على سبب النوم عن
الصلاة بناء على ان المراد ان الشيطان تسلط على من غفل عن الصلاة حتى فاتت وقتها
بطريق من الطرق لكن ليس التسلط على رسول الله صلى الله عليه وسلم بل بلال وان
الشيطان تخيل عليه في غلبة النوم كما تخيل الام والداية على طفلها كما يعترف في نومه
واما ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادي فانه صلى الله عليه وسلم لما استيقظ
من نومه امرهم بالرحيل عن ذلك الوادي وقال انه واد به شيطان كما مر وعلة لترك
الصلاة فيه لان الافضل في قضاء الصلاة الفائتة بعذر ان يبادر بفعلها في اول
تذكرها فلما ترك ذلك وارتحل وقال ان هذا واد به شيطان دل سياق كلامه على
ان كونه ابطل به لذلك فليس فيه ما يقتضي ان الشيطان تسلطا على بلال فضلا
عنه صلى الله عليه وسلم وهو اى ما ذكر من انه علة لارتحاله وترك الصلاة دليل
فعيل بمعنى مفعول اى مدلول مساق بفتح الميم مصدر بمعنى سياق حديث زيد
ابن اسلم والسياق ما يفهم من ذكر شيء مع شيء وزيد تقدم بيانه وهو هذا الحديث
المذكور لكنه من طريق اخر رواه مالك في الموطا والبيهقي عن زيد بن اسلم وعلى
هذه الرواية الذي يفيد سياقها ما ذكر فلا اعتراض به اى بهذا الحديث في
هذا الباب الذي نحن لان الشياطين لا تسلط لهم على الانبيا بوسوسة ونحوها
لبيانه اى بيان حديث زيد لما ذكر ووضوح دلالته عليه وارتفاع اشكاله
اى زواله بالكلية حتى استغنى عن الجواب لعدم احتماله لما يخالفه

فصل

واما اقواله صلى الله عليه وسلم لما كان هذا الباب معقودا لعصمة الانبياء
في عقائدهم واحوال قلوبهم واقوالهم وافعالهم قدم الكلام على الاول لانه اهم
والاساس وعقبه بالثاني وهو ما يتعلق باقوالهم فقال فقد قامت الدلائل
اى صحت وثبتت فصارت كالعماد والسناد الذي يعتمد عليه والدلائل جمع دليل
وقد قال ابن مالك في شرح كافيته ان دلائل جمعا لفعيل اسم جنس وان
جاز بطريق القياس وفي الايات البينات انه يحتمل ان يكون جمع دلالة بمعنى دليل
وفعالة يجمع على فعائل قياسا مطردا وقد قال امام الحرمين ان الدليل يسمى
دلالة والظاهر انه مجاز انتهى وقد تقدم التنبيه على هذا الجمع الواضحة

اى

اى الظاهرة القاطعة العقلية والنقلية من الايات والبراهين بصحة المعجزة
اى المتقدمة بصحة معجزاته او بما نخبر به كما في قوله فاسئل به خبيرا على احد
القولين وهذا الحسن واقوى على صدقه اى انه صادق فيما اخبر به ووجه
الدلالة مقرر في الاصول والاصح انها دلالة عقلية اظهر من الشمس واجمعت الامة
على صدقه صلى الله عليه وسلم وصدق اخباره فيما كان طريقه البلاغ وهو مصدر
او اسم مصدر بمعنى التبليغ عما امر به مما اوحي اليه لانه لازم لرسالته انه معصوم
فيه اى فيما امر بتبليغه للخلق عن ربه من الاخبار متعلق بمعصوم عن شيء منها
اى مما طريقه البلاغ متلبس بخلاف ما هو به الباء بمعنى على او للملابسة اى لا يخبر بخلف
شيء من اخباره الواقع لا قصدا لخلافه حتى يكون كذبا وقوله ولا عمدا ان فسر
بالقصد فهو عطف تفسير كما قاله الراغب وان قيل القصد ما كان لسبب والعمد
ما كان بلا سبب كما قاله الثعلبي فهو تاسيس وهو الاولى ولا سهوا وغلطا
الاول ما كان بغير قصد والثاني ما قصد وخطأ ظنه وانما في نسخة وغلطا
بالواو واو اولى هنا اما تعمد الخلف في ذلك اى في الاخبار عما طريقه البلاغ
فمنتف عنه لانه غير لائق بمقامه والخلف قيل انه بضم الخاء بمعنى الكذب في اخباره
عن امر مستقبل والكذب يكون عن الماضي وقيل انه بفتحها وسكون اللام بمعنى الباطل
واصل معناه القبيح الردي ومنه المثل سكت الفا ونطق خلفا وتفسيره بالمخالفة
غير متجه الا ان يريد بها لغة الواقع مرجح لما قبله وقوله بدليل المعجزة متعلق
بمنتف القائمة مقام قول الله لمن بعث اليهم الرسول صدق رسولي ونبيي
فيما قال لكم وبلغكم عني بدليل معجزته التي هي برهان قاطع على صدق مدعاه
اتفاق وباطباق اهل الملة اى اتفاقهم على ذلك واصل معنى الاطباق جعل
الشيء مطابقا لاخر اى موافقا له اجماعا منصوب بنزع الخافض اى اطباقا ثم
ثابت بالاجماع منهم وقوله اهل الملة اشارة الى بطلان قول البراهمة والصابئة
بالمخالفة ثبوت النبوات عقلا كما تبين في علم الكلام ثم اختلفوا بعد ذلك فذهب
المعتزلة وبعض الشيعة الى انها واجبة عقلا من جهة اللطف وذهب الاشعري
واهل السنة الى القول بجوازها عقلا ووقوعها عيانا وادلتهم مفصلة في كتب
الكلام ولما كان كل خبر محتملا للصدق والكذب من حيث هو فاقوى الدليل
على صدقه صلى الله عليه وسلم معجزته ولا يرد عليه قول المنكرين انها فعل او انفعل
من حيث هو لا يدل على الاختصاص بشخص معين الا باقترانه لدعواه ولا قرائن
اسباب احتمالها اى يخرق العادة لاحوال مختلفة ولذا اختلف الوجوه عقلا لم تثبت
الدلالة لان القرينة والتحدي دالان على بطلان هذه الاحتمالات وسبيل
تعريف الله عباده صدق الرسالة بالايات الخارقة للعادة كسبيل تعريفهم الالهية
بالايات الدالة عليها والتعريف يكون بالقول تارة وبالفعل اخرى فالتعريف
بالقول كقول الله للملائكة اني جاعل في الارض خليفة وبالفعل كتعجيزهم

عن معارضة ما علمه من الاسماء وتعجيز الخلق عن معارضة القرآن المنزل على نبينا
صلى الله عليه وسلم ودلالة المعجزة على صدقه دلالة عقلية وهذا معنى ما قاله المصنف كما
تقرر في علم الكلام واما وقوعه اي وقوع خبره على خلاف ما هو عليه فيما طريقه البلاغ
على جهة الغلط في ذلك من غير تعمد وقصد منه بل بسهو ونحوه فهذه السبيل اي
طريق انتفائه كطريق انتفاء العمد فيه عنه فان الدليل الدال عليه دال على انتفاء هذا
نصا الا ان الاول متفق عليه وهذا مختلف فيه فلونهما على نهج واحد عند الاستاذ
بضم الهمزة وسين مهملة ساكنة ومثناة فوقية والف وذال معجمة وهي كلمة معربة
معناه الرئيس في علم او صناعة وتفصيله في كتابنا شفاء الغليل فيما في كلام العرب
من الدخيل ابي اسحاق الاسفراييني وهو ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن مهران
واسفراين بكسر الهمزة وفتح الفاء بلدة بخراسان وهو امام جليل متبحر في علوم الدين
كلها فروعا واصولا توفي بنيسابور يوم عاشوراء سنة ثماني عشرة واربعمائة ومن
قال بقوله واتبعه في هذه المسألة يعني ان المعجزة تدل على صدقه صلى الله عليه وسلم
فيما قاله وانه لا يصدر عنه ما يخالف الواقع لا قصدا ولا غلطا ولا سهوا بطريق من
الطرق فمعجزته صلى الله عليه وسلم كما دلت على نبوته دلت على صدقه وهذا القول
ارتضاه المصنف ومن جهة الاجماع الدال على انه لم يصدر عنه صلى الله عليه وسلم الكذب
لا قصدا ولا سهوا وهو معطوف على قوله فهذه السبيل فقط اي الدال على ذلك انما
هو المعجزة والاجماع لا دليل عقلي غيرهما وورد الشرع بانتفاء ذلك اي انه ورد في الآيات
المتواترة والاحاديث الصحيحة ما يدل على ما ذكر من انه صلى الله عليه وسلم على هدى
وانك لتهدي الى صراط مستقيم وغيره مما يدل عليه صريحا وتلويحا وقرينا يدل على ذلك
ايضا عصمة النبي صلى الله عليه وسلم وهي ملكة نفسانية تمنع عن اتيان المعاصي
والكلام بما يخالف الواقع تنقيصه تأباها العصمة وفي دلالة ذلك على عدم صدور
السهو منه نظر لا من مقتضى المعجزة اسم مفعول اي ليس مما يدل عليه دلالة التزامية
عقلية كدلالة صدق عبدي عني على يدي وقوله نفيها اشارة الى ان للمعجزة دخل
ما في ذلك عند القاضي ابي بكر الباقلاني بتشديد اللام المالكي كما تقدم
ومن وافقه على مذهبه وهذا مرتبط بقوله ومن جهة الاجماع الى هنا والحاصل
انه صادق فيما طريقه البلاغ والدال على صدقه معجزته عند الاسفراييني وعند
الباقلاني وورد الشرع بذلك واجماع الامة على عصمته صلى الله عليه وسلم وسبب
الاختلاف ونتيجته ما اشار اليه بقوله لاختلاف وقع بينهم اي بين الاسفراييني
واتباعه وبين الباقلاني ومن وافقه في مقتضى دليل المعجزة اي في دلالتها
على صدقه وانها بمنزلة قول الله انه صادق ام لا لا نطول بذكره فانه بحث
طويل صعب المدرك فيخرج عن غرض هذا الكتاب الذي وضع لبيان
شرف قدر المصطفى صلى الله عليه وسلم من غير تطويل واطناب ممل من غير
تعرض للمباحث الكلامية فلنقتصر ما هو اصل مقصود كاف فيما قصدناه على

ما

على ما وقع عليه اجماع المسلمين من غير تعرض للادلة العقلية وما اجمعوا عليه
هو انه لا يجوز بتخفيف الواو وتشديدها عليه صلى الله عليه وسلم خلف في
القول اي ما يخالف الحق الواقع في ابلاغ الشريعة اي فيما طريقه ذلك مما امر
بتبليغه والاعلام بما اخبر به عن ربه تعالى وبما اوحاه اليه من وحيه
الذي نزل عليه الملك به بوجه من الوجوه وفي حال من الاحوال لا على وجه
العمد بان يتعمد الاخبار بخلاف الواقع ولا على غير عمد من خطأ ونسيان كما
تقدم ولا في حال الرضى والسخط بتخفيف او بتشديد فتكون وهو كراهة ذلك
الامر المخبر به او في حال رضاه عمن خاطبه وسخطه عليه والرضى يقابله كما في
حديث اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك ويكون في مقابلة الجبر والاكراه
كما فعله برضاه اي اختياره وارادته لا قهرا وجبرا وعلى الوجهين يدور ان
الله يرضى بالكفر لعباده ام لا كما وقع بين الماتريدية والاشعرية وفي تفسير
قوله ولا يرضى لعباده الكفر هل المراد جميع عباده او خلصهم والاضافة تشريفية
كما فصل في محله والصحة والمرض اي لا يقع ذلك منه صلى الله عليه وسلم في صحته
ولا في حال مرضه واختلاف مزاجه الذي قد يتشوش الفكر بما يؤدي لمثله ويذكر
دليلا على ما قاله من السنة فقال وفي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص بن
وائل السهمي الصحابي المشهور رضي الله عنهما وهذا الحديث رواه عنه الامام
احمد وابو داود والحاكم وصححوه وفيه قلت يا رسول الله اكتب كلما اسمع منك
قال نعم اي اكتب كلما سمعته مني قلت في الرضى والغضب اي في حالتيه هاتين
قال نعم اي اكتب ما تسمعه في حال رضاي وغضبي فاني لا اقول في ذلك
المذكور كله من حالتي الرضى والغضب الا حقا فلا يصدر عنه صلى الله عليه وسلم
ما يخالف الواقع لا عمدا ولا غيره لعصمة الله له في افعاله واقواله كلها واشار
بذلك لتغلطه او لوثوقه بحاله في الصدق وفيه رد على من منع كتابة الحديث
ونقله عن بعض الصحابة والتابعين وقال انهم كرهوه لحديث لا تكتبوا عني شيئا
غير القرآن ومن كتب عني غيره فليمحه كما رواه مسلم والبخاري في قصة ابي شاه
عام الفتح وقد اجيب عنه بانه منسوخ او انه مخصوص بعصره في حياته صلى الله
عليه وسلم اما بعده فصارت واجبة او المراد النهي عن كتابة الحديث مع القرآن
مختلطا به او المراد لا تكتبوا عني شيئا كتب فلتمحه مع القرآن بما يخالفه واول
ما دونت كتب الحديث في زمن عمر بن عبد العزيز رحمه الله كما ذكره الطبري في
كتاب مسانيده ولنزدن بالمعجمة من الزيادة وفي نسخة ولنرد فيما اشرنا اليه مما
مضى قريبا من دليل المعجزة عليه اي دلالتها على ما ذكر بيانا مفعول نزد وهو
توضيح وتتبع لما قاله الاسفراييني فنقول تفصيله لهذه الزيادة اذا قامت
المعجزة من اقامة الدليل اي دلت على صدقه صلى الله عليه وسلم في كل ما اخبر
به عن الله وانه لا يقول الا حقا وصدقا لتنزاهته عما سواه وعصمة الله له

فتقول

عما عداه فقوله ولا يبلغ عن الله الا الصدق تأكيد لما قبله وان المعجزة قائمة مقام قول الله صدقت في كل ما قلت لدلالتها على ذلك بطريق الاقتضا والاستلزام فصارت عبارة عنه بطريق الكناية وفي نسخة صدق عبدي فيما تذكره ويخبر به عني وهو يقول اني رسول الله الذي ارسله اليكم لابلغكم ما ارسلت به اليكم مما اوحاه الله الي وامرني بتبليغه وابين لكم ما انزل عليكم وفي نسخة اليكم وتنزيله عليهم بواسطته صلى الله عليه وسلم والمراد بنزوله عليهم وصوله اليهم ونزوله على نبي بين اظهرهم والنزول في القران تارة ينسب الى النبي صلى الله عليه وسلم وحده فيثبت له نزول وتارة الى الامة فالمراد بالاول معنا نهاية ملك الوحي له وبالثاني مطلق الوصول والبلاغ او هو من قبيل بنو فلان قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم ودلالة المعجزة على صدقه تقدم بيانها وظهورها على يد الكاذب ممتنع عقلا وعادة وقال الشهرستاني في نهاية الاقدام من اصطفاه الله لرسالته واجتباه لدعوته كساه ثوب جمال في الظاهر والخلق وفي احواله فتعجز الخلائق عن معارضة شيء من ذلك فتنحصر جميع حركاته معجزة لها دونهم من الحيوانات وما ينطق عن الهوى اي لا يصدر عنه امر بمجرد هوى نفسه وتشهيه ان هو الا وحي يوحى اليه وتقدم بيانه وبيان انها لا تدل على انه صلى الله عليه وسلم لا يجوز له الاجتهاد وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فلا يصدر عنه صلى الله عليه وسلم ما يخالف الواقع وما اتاكم الرسول فخذوه اي تمسكوا به وما نهاكم عنه فانتهوا عنه ولا تقربوه لانه انما يامركم بما امره الله وانما نهاكم عما نهى الله عنه فان فسرت بما اعطاكم من الفي تخذوه وما نهاكم عنه من الفي فلا تاخذوه فانه انما يعطي ويمنع بامر الله دل على ما ذكر ايضا بطريق النحوى والقياس فلا يقال ان الاية لا تدل على المراد على هذا التفسير فلا يصح ان يوجد منه صلى الله عليه وسلم في هذا الباب وهو ما طريقه البلاغ عن الله خبر سمع منه او صح عنه بخلاف مخبره بضم اوله وسكون ثانيه وفتح ثالثه وتخفيفه اي لا يصدر عنه خبر غير مطابق للواقع على اي وجه كان خبره الصادر عنه فلو جوزنا عليه صلى الله عليه وسلم الغلط والسهو فيما يبلغه عن الله وتذكره الله عنه ما تميز لنا من غيره اي ما تميز صوابه الواجب اتباعه عن غيره او خبره عن خبر غيره ولاختلط الحق بالباطل ولم يتميز احدهما عن الاخر فالمعجزة الخارقة للعادة المتحدى لها كما تقدم مشتملة على تصديقه اي ثبوت صدقه فيما اخبر به عن ربه جملة واحدة اي في جميع ما جاء به من جميع اخباره وما يبلغه عن الله من غير خصوص اي تخصيص لامر دون امر بدليل يقوم على التخصيص فتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم وتنزيه ساحته فيما يبلغه عن ربه عن ذلك اي عن ان يقع منه اخبار بما يخالف الواقع قصدا او غلطا او سهوا واجب بعد واعتقاده ونحو برهانا اي بطريق البرهان القطعي العقلي المعلوم من المعجزة

والتحدى

والتحدى بها كما تقدم واجماعا من جميع اهل الملل الاسلامية وعلماء الدين كما قاله ابو اسحاق الاسفراييني بدليل المعجزة القائمة مقام قوله تعالى صدق رسولي فيما قاله لكما انه لو لا ذلك لانه من ادلة ورود الشرع والاجماع لا بالبرهان العقلي كما عرفت تفصيله فيما تقدم لما قبله

فصــــل

وقد توجهت اي صدرت ووقعت في جهة من قولهم وجهه اذا ارسله في جهة فتوجه ويكون توجه بمعنى قبل وليس بمراد هاهنا اي في هذا المبحث لبعض الطاعنين من الطعن وهو الضرب برمح ونحوه فاستعير للدخل والاعتراض كما قال تعالى وطعنوا في دينكم سؤالات جمع سؤال وهو طلب امر من الامور فقد يكون لتعلم ونحوه مما يجد وقد يكون تعنتا منهيا عنه وطلبه لامر منهي عنه كما قال تعالى لا تسئلوا عن اشيا ان تبد لكم تسؤكم منها ما روي من ان النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه ابن جرير وابن المنذر وابو حاتم عن سعيد بن جبير بسند فيه ما سيأتي لما قرا في صلاته سورة والنجم وقال اي بلغ في قراءته الى قوله افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى واللات صنم كان لثقيف او لثقيف والعزى تانيث الاعز وهي سمرة كانت لغطفان تعبدها ومناة صخرة كانت لخزاعة وهذيل يعبدانها والثالثة الاخرى بمعنى المتاخرة لضعة مقدارها صفتان لمناة وامر هذه مبين في التفاسير غني عن البيان قال قائل سمع ما قال له عند تلاوته صلى الله عليه وسلم كما سنبينه تلك المذكورة من اللات وما بعدها الغرانيق العلا جمع غرنوق بضم المعجمة والنون وبكسرها وفتح النون او غرنيق بضمها وفتح النون وهي طير من طيور الماء كبير طويل العنق ابيض واصله الشاب الناعم استعير للاصنام والعلا بحريك لزعمهم انها ترتفع للسما وان شفاعتهن لترتجى اي تؤمل وتنتظر ويروى لترتضى اي تقبل عند الله بزعمهم الفارغ وفي رواية ان شفاعتها لترتجى وانها لمع الغرانيق العلا يعنون الملائكة وفي رواية اخرى والغرانقة العلا تلك الشفاعة ترتجى وبما بينها متقاربة فلما ختم اي اتم صلى الله عليه وسلم قراءة هذه السورة سجد صلى الله عليه وسلم وسجد معه المسلمون ممن كان حاضرا عنده من الصحابة رضي الله عنهم والكفار الحاضرون عنده ايضا لما سمعوه اثنى على الهتهم بقوله المتقدم تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى وما وقع في بعض الروايات لهذه القصة ان الشيطان القاها اي هذه الكلمات على لسانه فجرى لسانه بها سهوا منه ثم تنبه او نبهه جبريل لها وكان ذلك ابتلاء من الله ليعلم من يثبت على ذلك او يتزلزل وان النبي صلى الله عليه وسلم كان لحرصه على ايمان قومه تمنى ان لو نزل عليه شيء مما يوحى اليه يقارب بينه وبين قومه اي يقربهم من الاسلام حتى يتركوا عنادهم وفي رواية اخرى لهذه القصة انه صلى الله عليه وسلم كان تمنى ان لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه من الطعن فيهم وفي الهتهم ولم يزل كذلك حتى نزلت عليه

سورة النجم وهذه الرواية والتي قبلها بمعنى فان عدم التنفير عنه والقرب منه
وبين قومه متساويان **وذكر** صاحب هذه الرواية وناقلها **هذه القصة**
اي قرائته صلى الله عليه وسلم سورة النجم وسجوده وسجود المسلمين والكفار معه
وان جبريل جاءه عليه الصلاة والسلام بالوحي **فعرض عليه** اي قرأ عليه هذه
السورة وفي محل عرض ضمير النبي صلى الله عليه وسلم **فلما بلغ** اي وصل في قرائته
هاتين **الكلمتين** يعني تلك الغرانيق العلى الخ **قال له** اي قال جبريل له صلى الله
عليه وسلم **ما جئتك** من الله بوحي فيه **هاتين الكلمتين** يعني تلك الغرانيق
العلا وفي نسخة الاثنتين **فحزن** اي رسول الله صلى الله عليه وسلم **لذلك** وفي
نسخة فحزن لذلك النبي صلى الله عليه وسلم اي لما قال له جبريل له **فانزل الله** لما راى
حزنه صلى الله عليه وسلم **تسلية له** صلى الله عليه وسلم والتسلية اذهاب حزنه
بتطييب خاطره قوله **وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية** تقدم في
تفسير هذه الاية ما فيه كفاية وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم تمنى ان يوحى
اليه ما يقرب قريشا منه ويستعطفهم فلما نزلت هذه السورة وتلاها الى قوله ومناة
الثالثة الاخرى القى الشيطان عليه تلك الغرانيق العلا الخ فتكلم بها ثم مضى في قرائتها
حتى ختمها وسجد فسجد معه من سمعها من المسلمين والمشركين رضا بما قال له لظنهم انه
رضي الهتهم فلما امسى اتاه جبريل عليهما الصلاة والسلام فعرضها عليه حتى بلغ قوله
تلك الغرانيق العلا فقال له ما جئتك بهذا وهذا لم اقله اسفا زاد صلى الله عليه
وسلم هموما حتى نزل عليه قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الاية فطابت
نفسه لتسلية الله فيها اخباره ان كل نبي ورسول وقع له مثل ذلك من القاء
الشيطان في الوحي وتلاوته في اثنائه ثم يبين له ذلك وينسخه الله فكانه قال له لك
اسوة بمن سبقك من الرسل والانبياء **و** انزل عليه صلى الله عليه وسلم تسلية له ايضا قوله تعالى
وان كادوا ليفتنونك الاية اي قوله عن الذي اوحينا اليك لتفتري علينا غيره
واذا لاتخذوك خليلا ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا وان مخففة
من الثقيلة اي قاربوا ان يخدعوك عما اوحيناه اليك حتى تقول ما لم نقله مما ارادته
قريش وحتى تركن الى بعض الكفرة لتستميل قلوبهم للاسلام فمنع الله تعالى ذلك
وثبتك على الحق وامنعك عن المداراة كما فصله المفسرون وبين في اسباب النزول
اذا عرفت ما ذكر واردت كشف غطائه عنك **فاعلم اكرمك الله** بما علمك وهداك
له نعمه **ان لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث** الذي اورده عليه بعض الطاعنين
كما تقدم **ماخذين** اي طريقين في الاخذ على الكلام فيه نقلا وعقلا مزاحة
عليه اذا امنعه عما يريد فعله حتى كانه مسكه من تشبث به واعتمد عليه من وراه
احدهما في توهين اصله اي تضعيف روايته ونقله من الوهن وهو الضعف
وجعل ثبوته اصلا للسؤال والجواب المبني عليه واصل الوهن ضعف الخلقة كقوله
وهن العظم مني **والثاني يبنى على تسليمه** وصحة روايته تنزلا وارخاء العنان لمن

اورده **اما الماخذ الاول** في الكلام على صحة روايته **فيكفيك** في تضعيف
روايته **ان هذا حديث لم يخرجه** بالتشديد والتخفيف اي لم يروه بسنده
احد من العلما بالحديث **اهل الصحة** ممن يعتمد على روايته واتى باسم الاشارة
مكان الضمير لتمييزه اكمل تمييز لغرب العهد به **ولا رواه ثقة** ممن يوثق
بنقله **بسند سليم** اي سالم من الطعن والعلة والجرح من نقله السلف **متصل**
الى قائله وممن نقل عنه **وانما اولع به** بضم الهمزة وكسر اللام وعين مهملة يقال
اولع بكذا فهو مولع بالفتح اذا لهج والتزم من ذكره ويكون بمعنى الكذب وعبر به
لايهام ذلك **وبمثله** من الاحاديث الموهمة لما لا يليق بالرسل عليهم الصلاة والسلام
المفسرون فانهم يوردون كثيرا من الاحاديث الضعيفة الموهمة لما لا يليق
بمقام النبوة **والمورخون** بالهمزة وقد تبدل واوا واهل التاريخ نقلة
الاخبار واختلف في لفظ التاريخ فقيل انه من الارخ وهو الفتي من البقر وقيل
انه معرب ماه روز اي حساب الشهور والايام واول من ارخ الكتب عمر بن
الخطاب كما فصلناه في غير هذا المحل **المولعون** اي المغرورون جمع مولع بفتح اللام
وهو المكثر من شيء **بكل غريب** من الاخبار والقصص التي لم تشتهر وتعرف
المتلقفون بالمثناة الفوقية بعدها لام وقاف وفا وفي نسخة المتلقطون
بحذف الفا يقال تلقفته اذا تناوله بسرعة وتلقاه اذا اخذه من غيره والتلقي
متفعل من اللقا وهو المقابلة **من الصحف كل صحيح** لفظه ومعناه **وسقيم**
لفظه كالمحرف لفظه ومعناه كالمفسر بغير المراد والصحف جمع صحيفة والاخذ
من الصحف غير معتمد عند السلف لانه قد يحرف لفظه ويخفى معناه ويفهم
منه غير المراد والمقبول المتلقى من افواه الرجال واعلم ان ابن سيد الناس
قال بلغني عن الحافظ المنذري انه كان يرد هذا الحديث من جهة الرواية
بالكلية وان الحافظ الدمياطي خالفه فيه ولا وجه لتصحيحه الا ان يكن بسند لا
مطعن فيه ولا سبيل لذلك انتهى وفي سيرة مغلطاي ان الشيطان القاه في امنيته
كما ذكره الكلبي عن باذان عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد قالوا انه باطل نقلا
وعقلا وسياتي ما في سنده **و** لقد **صدق القاضي ابو بكر بن العلا المالكي**
وفي نسخ حذف ابو وتقدمت ترجمته وهو المشهور بابن العربي **حيث قال**
لقد بلي الناس بالبنا للمجهول من الابتلا وهو الامتحان اي صار لهم بلية ومحنة
اي اصيب الناس **ببعض** بعين مهملة وضاد معجمة مقابل كل وهو ما صح في
بعض النسخ وفي بعضها ببغض بغين معجمة ثم ضاد معجمة وفي نسخة بتقضي بيا
جارة ومثناة فوقية وقاف مفتوحة وضاد مهملة مشددة مكسورة ومثناة
تحتية مخففة من تقضيته اذا تاملته مليا كما قال ابو تمام يا صاحبي تقصيا
نظريكما اي انه بلغ اقصاه واصله تقصص تفعل من قص عليه الخبر فابدل من احد
حروف التضعيف حرف علة كما قالوا تمطى في تمطط ونظايره **اهل الاهوا** بالمد

اى اصحاب الآرآء الفاسدة والمذاهب الباطلة والقصص اى لبعض المفسرين
الذين يذكرون فى تفاسيرهم قصصا لا اصل لها يبنون عليها تاويلات
بعيدة وامورا غريبة وتعلق بذلك اى بما ذكر من كلام اهل الاهوا وبدع
التفاسير لا بحديث سورة النجم بخصوصه كما قيل الملحدون جمع ملحد من الالحاد دبجى
وهو العدول عن الاستقامة فيطلق على كل من لم يكن عقيدته حقا مع ضعف
بعض نقلته بفتحات جمع ناقل كفاسق وفسقة يعنى به رواته او من ذكره فى
كتاب له فيكون اشارة لمن ابتلى به من اهل الاهوا الساقطين ونحوهم من المفسرين
والقصاص واضطراب رواياته الاضطراب فى اصطلاح المحدثين ان يقع من
الراوى اختلاف فى روايته فيرويه تارة على وجه واخرى على وجه اخر وهكذا او
يرويه راو على وجوه مختلفة بشرط ان لا يكون بعض طرقه ارجح من بعض فان
الحق بالراجح ولا يعد مضطربا عندهم ومن خص الاضطراب بعدم عزوه الى دبجى
مامون لم يصب وانقطاع اسناده الاسناد يكون بمعنى المسند وهم رواة الحديث
وبمعنى مصدرى وهو ذكر السند وانقطاعه وهو ان يسقط منه واحد فاكثر
غير الصحابى وضده الاتصال وقوله واختلاف كلماته هو قريب من الاضطراب
ثم بين ذلك بقوله فقائل يقول انه اى ما ذكر وقع فى الصلاة او الضمير له صلى
الله عليه وسلم والتقدير قراءتها فى الصلاة واخر يقول انه قالها فى نادى قومه
حين انزلت عليه السورة اى سورة النجم والنادى والندى مجلس يجتمع فيه القوم
للمشاورة وفصل الامور المهمة ولذا سميت دار قصى دار الندوة كما مر واخر يقول
انه قالها اى الكلمات المذكورة وقد اصابته سنة اى وقد عرض له اوائل النوم
من غير قصد منه فالسنة بكسر السين اول النوم وهو النعاس وقيل السنة ثقل فى
الراس والنعاس فى العين والنوم فى القلب فهو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع الادراك
واخر يقول بل حدث بتشديد الدال نفسه فى سنته فخطرت بباله وحديث
النفس ما يجرى على فكره من غير تلفظ حتى كانه يحادثها فسها اى حصل له سهو حتى
تكلم بها فى اثناء قراءته سورة النجم واخر يقول ان الشيطان قالها يعنى الكلمات
المذكورة على لسانه صلى الله عليه وسلم اى تكلم بها الشيطان وهو لا يرى فظنها وحى
القى عليه وسمعها من كان عنده فتوهم انه صلى الله عليه وسلم نطق بها عن قصد وانها
من القران حقيقة وان النبى صلى الله عليه وسلم لما عرضها وقراها على جبريل
قال له ما هكذا اقراتك فحزن لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم كما مر واخر
يقول ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يقراها بل اعلمهم الشيطان ان النبى صلى الله
عليه وسلم قراها اى تم الكلمات المذكورة فى اثناء تلاوة سورة النجم وعرضها على جبريل
فلما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم ذلك اى وصل لقراءة هذه الكلمات التى اعلمهم الشيطان
بها قال جبريل عليه الصلاة والسلام والله ما هكذا انزلت هذه السورة الى
غير ذلك من الاقوال الموهمة بان الشيطان له دخل فى ذلك مع انه ليس له سلطان على

الذين

الذين امنوا وهذا كله صدر من اختلاف الرواة ومن حكيت هذه الحكاية
عنه كابن جرير والمنذرى وابى حاتم من المفسرين والتابعين كالزهرى وابى بكر
ابن عبد الرحمن بن هشام وسعيد بن جبير لم يسندها احد منهم اى لم يذكر لها
سندا مرضيا احد ممن حكيت عنه ولا رفعها الى صاحب اى الى صحابى من اصحاب
الرسول صلى الله عليه وسلم قالها وقيل المعنى لم يعزها لصاحب لها قد قالها واكثر
الطرق التى وردت منها علتهم فيها اى فى هذه القصة واهية ساقطة ضعيفة
غير مرضية لا يعول عليها والمرفوع فيه اى ما رفع فيه ذكر من روى هذه القصة وفى نسخة منه صح
حديث شعبة بن الجراح الذى رواه عن ابى بشر بكسر الباء الموحدة وسكون الحجاج
الشين المعجمة وهو جعفر بن ابى وحشية اياس التابعى الثقة توفى سنة خمس وعشرين
ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة وله ترجمة فى الميزان عن سعيد بن
جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال فيما احسب اى اظن ومثله يستعمل
للشك فيما فاراد ثم بين المص ما وقع فيه من الشك من الراوى بقوله فيما احسب
فقال الشك المذكور فى الحديث اى فى متنه واصله لا فى سنده والحديث هو
حديث شعبة المذكور ان النبى صلى الله عليه وسلم كان بمكة وانه المفتوحة وما
بعدها بدل من الحديث وذكر شعبة القصة المذكورة فى هذا الحديث بتمامها
وانه صلى الله عليه وسلم يتمنى ان ينزل عليه ما يطيب نفوس قومه عسى ان يؤمنوا فنزل
عليه سورة النجم فقراها حتى بلغ افرايتم اللات الاية فقال تلك الغرانيق العلى الى اخر
السورة وسجد فسجد معه المسلمون والمشركون وفرح الكفار قال ابو بكر البزار
بتشديد الزاء المعجمة على الراء المهملة نسبة لعمل بزر الكتان بلغة البغداديين وهو
الحافظ المشهور كما تقدم هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبى صلى الله عليه
وسلم باسناد متصل الى احد من الصحابة الذين حضروا عنده او الى من صلى الله
عليه وسلم يجوز ذكره لصحة نقله والاعتماد عليه الا هذا الحديث المسند الى ابن
عباس ولم يسنده اى لم ينقله مسندا عن شعبة الا امية بن خالد وهو ثقة
اخرج له مسلم وغيره وتوفى سنة احدى وثمانين وترجمته فى الميزان وغيره اى غير
امية بن خالد ممن روى هذا الحديث يرسله اى يرويه مرسلا والمرسل ما سقط
من سنده الصحابى اى فهو يرويه عن سعيد بن جبير عن النبى صلى الله عليه وسلم
من غير ذكر ابن عباس وظاهر كلام المص ان السند بتمامه مذكور غير الصحابى
فان اراد انه لم يعزه لغير ابن جبير واسقط رجاله كلهم فهو معضل والمحدثون
يعبرون عنه بانه ارسل او يرسل بصيغة الفعل ويفرقون بينه وبين المرسل بالاسم
وتفصيله فى كتاب ابن الصلاح وغيره وانما يعرف هذا الحديث ورواية عن
الكلبى نسبة لكلب قبيلة معروفة وهو ابو النضر المفسر النسابة الاخبارى الراوى
المشهور وسياتى كلام المص فيه والكلبى يرويه عن ابى صالح وهو باذان ويقال او
باذام تميم وهو يروى عن مولاته ام هانى وعلى كرم الله وجهه وروى عنه السدى

وغيره اخرج له اصحاب السنن الاربعة وقال ابو حاتم انه لا يحتج به **عن ابن عباس** وهو لم يسمع منه فالحديث منقطع **فقد بين لك** ايها الواقف على هذا الحديث **ابو بكر** البزار المذكور **ان**ه اى هذا الحديث **لا يعرف** روايته **من طريق يجوز ذكره** اى يصح ويعتمد عليه **سوى هذا** الطريق الذى رواه شعبة عنه بسنده يعتمد عليه فى الجملة **وفيه** اى حديث شعبة ايضا **من الضعف ما نبه عليه** البزار وغيره من انه لا يعرف من طريق غيره مع اختلاف كلماته واضطراب روايته وانقطاع سنده او ارساله والاختلاف فى مواطن قراءته وكيفيته اكان فى الصلاة او فى نادى قومه او فى سنته او حدث به نفسه فيها وذكره او قاله الشيطان على لسانه او اعلمهم به وانكار جبريل له عند عرضه عليه كما مر **مع وقوع الشك فيه** الذى اشار اليه بقوله الماز فيما احسب **كما ذكرناه** فيما تقدم **الذى لا يوثق به** صفة الشك كقوله **ولا حقيقة معه** اى تحقق وتيقن مع ما فيه من تشكك فى اصله كما اشار اليه البزار **واما حديث الكلبى** اى روايته لهذا الحديث وغيره **فمما لا يجوز** شرعا ولا يصح نقلا **الرواية عنه ولا ذكره** هذا بحسب الظاهر غير منتظم اذ الظاهر ان يقول اما حديثه فمما لا يجوز ذكره او الكلبى لا تجوز الرواية عنه فاما ان يقول هو لف ونشر تقديره واصله اما الكلبى وحديثه كقول لهم راكب الناقة طليحان اى الناقة وراكبها او هو من قبيل قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن على قول الفراء واطلق ما فيه على من يعقل وكذا قوله **لقوة ضعفه وكذبه** اى لكثرة كذبه وفى قوله لقوة ضعفه طباق بديع جدا **كما اشار اليه البزار رحمه الله** فانه وغيره من المحدثين قالوا انه كذاب وضاع لا يوثق به وان كان اماما فى اللغة والتفسير وقد قال الجورجانى وابن معين وغيرهما انه يضع الاحاديث وكذاب لا يحتج به وروى عن ابى صالح عن ابن عباس وابو صالح لم ير ابن عباس وقال ابن حبان انه فى الدين غير ثقة وكذبه اظهر من ان يذكر ولم يسمع من ابى صالح ايضا **هذا** اى الامر هذا او وهذا الامر ما قاله فهو خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره ما بعده او منصوب بتقدير خذ هذا اعلمه ونحوه واما كونها اسم فعل بمعنى خذ ومفعوله وان جاز نحاة فرسمه متصلا به وان الف **توهينه** اى بيان وجه ضعفه **من جهة طريق النقل** ومنه الواهية وهى ضرب من عرق يتالم منه فيبرق وقد قال الحافظ بن حجر نقلا عن ابى بكر بن العربى ان طرق هذا الحديث كلها باطلة وقال عياض فى الشفا انه لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند متصل مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وان من نقله من المفسرين وغيرهم لم يسنده احد منهم ولا رفعه لصاحب لا وجه له فان له طرقا متعددة كثيرة متباينة المخارج وكل ذلك يدل على ان له اصلا وقد ذكرنا له ثلاث اسانيد منها ما هو على شرط الصحيح وهى وان كانت مراسيل يحتج بها من يحتج بالمرسل كمالك ومن لا يحتج به لاعتضاد بعضها ببعض فتبين بهذا ان ما لفقه المصنف فى رد نقله غير مرضية **والذى** صح و**ثبت منه** اى من هذا الحديث **فى الصحيح** اى فى الحديث الصحيح او فى صحيح البخارى على ما بان **ان النبى صلى الله عليه**

وسلم

وسلم قرأ سورة والنجم وهو بمكة قبل الهجرة **فسجد وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس** قال الكرمانى هى اول سورة نزل فيها سجدة وانما سجد المشركون لانهم لانه سمعوا ذكر الهتهم معارضة للمسلمين او وقع ذلك منهم بلا قصد او خافوا من مخالفتهم فى ذلك المجلس وقال ابن حجر فيه نظر لما نقله لما قاله ابن مسعود من انهم اخذوا حصا وعفروه على جباههم ولان خوف المشركين لا يظهر له وجه بل الظاهر العكس ثم قال الكرمانى ايضا ما قيل من ان سبب ذلك القاء الشيطان فى اثناء قراءته صلى الله عليه وسلم ذكر الهتهم لا يصح عقلا ونقلا واما سجود الجن المروى عن ابن عباس رضى الله عنهما فكانه استند فيه الى سماعه منه صلى الله عليه وسلم لانه لم يحضر القصة لصغر سنه ومثله لا يطلع عليه ولكن ذلك له بعيد والصحيح ان الشيطان القى ما القاه فى اسماع المشركين فتوهموا انه صلى الله عليه وسلم قاله مدحا لالهتهم وارتضاها فسجدوا معه وهو لا ينافى عصمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يجوز ان هذا الحديث اخرجه الشيخان ففى البخارى مسندا انه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم بمكة فسجد وسجد من معه غير شيخ اخذ حصى او ترابا ووضعه على جبهته فقتل كافرا وفيه عن ابن عباس رضى الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم سجد وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس والشيخ الذى وضع الحصا على جبهته امية بن خلف وفى سيرة ابن اسحاق انه الوليد بن المغيرة وفيه نظر لانه ما قتل كافرا وقيل انه سعيد بن العاص وقال ابو حيان النحوى انه ابو لهب ولم يسنده وفى مصنف ابن ابى شيبة الا رجلين من قريش وقيل انه المطلب بن ابى وداعة ولم يكن اسلم وما قاله الطبرانى من ان اهل مكة لما اظهر النبى صلى الله عليه وسلم دينه اسلموا او كانوا يسجدون معه وبعضهم لا يسجد من الزحام حتى اسمع ذلك رؤساء قريش كالوليد وابى جهل وغيرهما قالوا انتركون دين ابائكم فارتدوا غريب **هذا توهينه من جهة النقل فاما توهينه من جهة المعنى فقد قامت الحجة** اى الدليل الواضح على ضعفه **واجمعت الامة على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته** عما لا يليق بجنابه **عن مثل هذه الرذيلة** اى الخصلة القبيحة الدنية من الرذالة وهى الدناءة والقول على الله بما لم يقله ولا شئ اعظم من الافتراء والاسيما على الله عز وجل ونحوه ثم بين ما فيه من القبائح فقال **اما من تمنيه** بكسر الهمزة وتشديد الميم ما نقل كما مر **ان ينزل** بالتخفيف والتشديد يعنى فى الرأى الجمة **مثل هذا** المذكور **من مدح الهة غير الله** بقوله تلك الغرانيق الخ **وهو كفر** لان الرضا بالكفر كفر **او ان يتسور** اى يتسلط **عليه الشيطان** واصل التسور التسلق والصعود من حائط السور فكنى به عن الترفع وارد به هنا التسلط كما علم **ويشبه عليه القران** اى يلبسه ويخلط فيه ما ليس منه **حتى يجعل فيه ما ليس منه** وهو الكلمات المذكورة **ويعتقد النبى صلى الله عليه وسلم ان من القران ما** اى شيئا **ليس منه** ويستمر على اعتقاده **حتى ينبهه** اى يوقظه من غفلته عما شبه عليه **جبريل عليه الصلاة والسلام** فيقول له ليس هذا من الوحى الذى اتيت به لك **وذلك كله ممتنع فى حقه عليه**

الحمد لله وحده قد بالغ القاضى عياض رحمه الله فى انكار قصة الغرانيق وبطلانها كالفخر الرازى وسبقهما لنحو ذلك البيهقى والحق خلاف ذلك كله بل لها اصل اصيل فقد خرجها من طرق كثيرة ابن ابى حاتم الطبرى وابن المنذر وابن مردويه والبزار وابن اسحق فى السيرة وموسى بن عقبة فى المغازى وابو معشر فى السيرة كما نبه على ذلك الحافظ عماد الدين بن كثير وغيره لكن قال ان طرقها كلها مرسلة وانه لم يرها مسندة من وجه صحيح انتهى وهو متعقب بقول شيخ الكلام الحافظ ابن حجر وردت من طرق كثيرة جدا ثلاث طرق منها رجالها على شرط الصحيح وباقيها اما ضعيف واما منقطع وبعضها تفرد بوصله امية بن خالد وهو ثقة مشهور فقول ابن العربى روايتها لا اصل لها مردود عليه وكذا قول القاضى عياض هذا الحديث لم يخرجه اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع اسناده وكذا قوله ومن حملت عنه هذه القصة من التابعين والمفسرين لم يسندها احد منهم ولا رفعها الى صاحب واكثر الطرق عنهم فى ذلك ضعيفة واهية لا يتمشى على القواعد فان الطرق اذا كثرت وتباينت مخارجها دل ذلك على ان لها اصلا وقد ذكرنا ان ثلاثة اسانيد منها على شرط الصحيح وهى مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمرسل وكذا من لا يحتج به باعتضاد بعضها ببعض وقد تكلم العلماء على هذه القصة باجوبة كثيرة احسنها ما قيل انه صلى الله عليه وسلم كان يرتل قراءته فارتصد الشيطان فرصة سكتة ونطق بتلك الكلمات محاكيا نغمة النبى صلى الله عليه وسلم بحيث سمعه من دنى اليه منهم فظنها من قوله فاشاعها واستحسنه المصنف ولد العراقى وقد سبق اليه الامام المجتهد ابن جرير الطبرى مع جلالة قدره وهذا الجواب انما يحسن ان لم يثبت ان النبى صلى الله عليه وسلم هو الناطق بذلك وقد ثبت ففى الدر المنثور للحافظ السيوطى واخرج البزار والطبرانى وابن مردويه والضياء فى المختارة بسند رجاله ثقات من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح المشركون بذلك وقالوا قد ذكر الهتنا فجاءه جبريل فقال اقرأ على ما جئتك به فقرأ افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فقال ما اتيتك بهذا هذا من الشيطان فانزل الله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى ... هذه الرواية الصحيحة صريحة ... النبى صلى الله عليه وسلم

الصلاة والسلام لنزاهته عن مثله وحفظ الله او يقول ذلك النبي صلى الله
عليه وسلم من قبل بكسر القاف وفتح البا الموحدة اى من عند نفسه عمدا من غير
القا الشيطان عليه وهو لا ينطق عن الهوى وذلك اى ما يقوله من عنده كفر لانه
افترا عليه وتبديل لكلام الله بالزيادة فيه او سهوا حفظه الله منه وهو معصوم
عن هذا كله بالاجماع كما تقدم وقد قررنا فيما تقدم بالبرهان والدليل
القاطع والاجماع من امة الاجابة عصمته عليه الصلاة والسلام من جريان
الكفر اى طريانه ووقوع عصمته على قلبه باعتقاده او لسانه بالنطق به لا عمدا ولا
سهوا فضلا عن استقراره فان الجريان عبارة عن صدوره منه من غير ثبات كالما
ما جار فهو استعارة لما ذكر وان يتشبه اى يختلط ويلتبس عليه ما يلقيه
الملك من وحى الله اليه بما يلقيه الشيطان على لسانه مما كيا نطقه به او يكون
للشيطان عليه سبيل اى طريق يصل اليه منه حماه الله عنه او ان يتقول
على الله اى يفترى عليه عمدا ما لم يوحيه اليه ويقول انه اوحى الى لا عمدا ولا
سهوا اى كيف لما ادعاه قائله من نفى التقول على الله ما لم ينزل عليه مفعول مطلق
لقوله يتقول لانه لا ينصب المفردات الا اذا اريد بها لفظها وليس بمعنى الظن لعدم
ذكر مفعوليه وقد قال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل الاية تتقول
تكلف من نفسه قولا لم يقله كتشجع اذا اظهر الشجاعة وهو بمعنى تكلم به عن الافترا
والكذب والاقاويل جمع اقوال فهو جمع الجمع او جمع اقوولة افعولة وهو يستعمل للتحقير
كالاضاحيك الاول وهو الذى صرح به سيبويه رحمه الله فمن اختار الثانى فقد رجح
المرجوح وتمامها لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين اى لامسكناه واهلكناه
كما نفعل بمن افترى علينا والوتين عرق فى العنق اذا قطع مات صاحبه وهو الوريد
وقطعه عبارة عن الذبح وفيه دليل على ان الكذب على الله كفر وانه لا يقول على الله
ما لم يقله وقال تعالى لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف
الحياة وضعف الممات الاية اى لو قربت من الميل الى الكفرة وصف صفة لمقدر
اى لاوصلنا لك عذابا مضاعفا فى حياتك يعنى به عذاب القبر وفى حيا بعد البعث فى الاخرة والاية دليل على عدم تقديمه السابق وانه معصوم من مقاربة شئ
من ذلك والاية نزلت فى ثقيف لما قالوا له صلى الله عليه وسلم لا نتبعك حتى تخصنا
بخصال نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى فى صلاتنا وتضع عنا الزنا
وتمتعنا باللات سنة ونحرم وادينا كمكة وتقول للعرب ان الله امرنى بهذا فانزل
الله عليه هذه الاية ووجه ثالث فى توهين ما ذكر من انه صلى الله عليه وسلم ذكر قوله
تلك الغرانيق الخ فى اثنا قراءة هذه السورة وهو اى الوجه الثانى استحالة
هذه القصة اى عدها من المحال عقلا او مما لا يستقيم لان اصل معناه لغة ما لا
يستقيم مما اعوج ومن لم يعرف اللغة يعترض على المتنبى قوله كانك مستقيم فى محال
كما مر والمراد بالقصة صدور ما ذكر منه بتسلط الشيطان عليه نظرا اى من

جهة

جهة النظر والفكر الصادر عن عقل مستقيم فى عصمة رسل الله عليهم الصلاة والسلام
فيما طريقه البلاغ واستحالتها عرفا اى من جهة ما عرف من احواله واحوال غيره
من الانبيا اى امرا متعارفا ومن تتبع العرف بتاليف كلامه وتناسب الفاظه
فقد ارتكب شططا وكانه نظر لقوله عقيبه وذلك ان هذا الكلام الذى تلاه
مع ما الحق فيه من قوله تلك الغرانيق الخ لو كان كما روى لكان ما روى بعيد
الالتيام بهمزة بعد المثناة الفوقية وتد تبدل يا تخفيفا والمراد به ان مناسبته
لما وقع فيه من كلام الله الذى هو فى اعلى طبقات البلاغة فى غاية البعد وهو مع كونه
وقع فى كلام رب العزة متناقض الاقسام متنافر النظم لما فيه من التضاد
من حيث انه يصير ممتزج المدح لا لهتهم بجعلها عليه مرجوة الشفاعة بالذم
لها الذى دل عليه سبحانه فى قوله ان هى الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل
الله بها من سلطان وانها ليس لها عند الله شان ولا منزلة وهذا ينافى علو منزلتها
ورجا شفاعتها ويصير الكلام القرانى بذكرها فى اثنائه متخاذل التاليف
اى متنافر النظم غير متلايم فكان بعضه يخذل بعضا ويكر عليه هدما ونقضا والنظم
معناه فى الاصل ادخال الدر ونحوها فى سلك متناسب الوضع والمقدار فاستعير
لتاليف الكلمات متناسبة المعانى متناسقة الدلالات ثم صار حقيقة فيه وغلب
استعماله فى التراكيب القرانية حتى انصرف اليه عند الاطلاق ولما يكن اللام وتخفيف
الميم وقيل انه بفتح اللام وما موصولة كان النبى صلى الله عليه وسلم ولا من بحضرته
معطوف على النبى من المسلمين بيان لمن الموصولة والحضرة مصدر بمعنى الحضور
الحاو يطلق على كل كبير يحضر عنده الناس فيقال الحضرة العالية وهو اصطلاح
اصحاب التنزيل ويصح ارادة كل منهما هنا والاول اولى وصناديد المشركين
جمع صنديد وهو كصندد بزنة زبرج السيد الشجاع والحليم والجواد والشريف
والمراد خواص رؤسايهم وكبارهم ممن يخفى عليه ذلك لكونهم بلغا اصحاب سليقة
مستقيمة والسنة فصيحة بليغة وهذا المذكور امر لا يخفى على ادنى متامل فيها مل
الفاظ القران التى هى فى اعلى طبقات البلاغة وما ادرج فيه مما يباينه ويبعد
بعده فكيف بمن رجح حلمه بضم الحا المهملة وسكون اللام بمعنى لبه وعقله ورجحانه
زيادته وقوته وكيف يستمر الاستنباط ويحتاج لمثله كقوله تعالى ام تامرهم احلامهم
كما تقرر فى كتب العربية يقال حلم يحلم حلما وحلما واتسع اى عظم وكثر فى باب
البيان اى فى نوع المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمير وفى معرفة فصيح
الكلام علمه لفرط فهمه وذكايه واستعماله سليقته مع فطرة وقادة وبصيرة نقادة
ووجه ثالث لبيان توهينه وضعفه انه الضمير ضمير الشان قد علم بما هو المعهود
من عادة المنافقين الذين لم يظهروا الكفر ومعاندى المشركين اى المشركين
المعاندين فهو من اضافة الصفة للموصوف وضعفة القلوب بفتحات جمع ضعيف
اى الذين قلوبهم ضعيفة عن ادراك الحق لانهم بله لا ادعان لهم والمراد بهم الكفار

عرضى

دجى

غير المعاندين ممن اشرك اتباعا لغيره او المراد بهم الجهلة من المسلمين فهو
عطف تفسير عليه لخوفهم نائب فاعل علم لاول وهلة اى عند اول شئ يقع فى اذانهم
واذهانهم يقال لقيته لاول وهلة بوزن ضربة ويجوز فتح هائه اى اول شئ كما
فى القاموس اى قبل التفكر والتامل فيما قرئ سمعه حتى يهتدى لانه لبس منتظما
مع ما وقع فى اثنائه من نظم القرآن وتخليط العدو من الكفرة والمنافقين على
النبى صلى الله عليه وسلم بما دخل فى كلامه مما لم يقله لاقل فتنة يفتتن بها المسلمون
لادخال الشبهة عليهم فى دينهم وتعبيرهم بعين مهملة وتحتيتين اى الحاقهم بما هو
عار عليهم باتباع المسلمين الهوى ومدح الهة غير الله والشماتة بهم بضم الشين
المعجمة وتشديد الميم جمع شامت كتجار وكفار من الشماتة وهى فرح العدو بما يصيب
عدوه من نوائب الدهر وفى نسخة والشماتة بضم الغيبة بعد الغيبة بفتح الغا
وسكون المثناة التحتية ونون تليها هاء نيئا اى حينا بعد حين مما امتحنهم الله به
من المصائب لقطعها لاجرهم مما امتحنهم به من ذلك قال فى القاموس الغيبة الساعة
والحين وقد تحذف اللام فيقال لقيته فينة بعنى اذا استعمل علما وغير علم كشعوب
لشعب وارتداد من فى قلبه مرض اى من ضعف ايمانه ومن نافق وسمع ما ذكر
يرجع عن الاسلام الى الكفر ممن اظهر الاسلام بلسانه ولم يذق حلاوته فيرتد لادنى
شبهة ترد عليه لضعف ايمانه وايقانه ولم يحك احد اى لم ينقل احد من المحدثين
او احد ممن عاداه صلى الله عليه وسلم فى هذه القصة اى قصة تلك الغرانيق شيئا
سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل رواية ودراية لركاكتها وتناقضها كما تقدم
ولو كان اى وقع وصح ذلك الذى ذكره بعضهم لوجدت قريش اى كفارهم بها اى
بسبب هذه القصة على المسلمين الصولة اى الاستطالة والقهر وتسلقوا بذلك
على ترويج امرهم وما هم عليه ولاقامت بها اليهود عليهم الحجة اى على المسلمين بانه
مدح الصنم واعترف بانها وسيلة الى الله كما فعلوا اى كفار قريش مكابرة
وعنادا فى قصة الاسرا حين قصها عليهم كما تقدم حتى كانت فى ذلك لبعض
الضعفا اى من ضعف ايمانه لقرب عهده ردة ورجوع عن الاسلام لانكاره
واستبعاده لها وكذلك اى مثل ما ذكرنا ومثل قصة الاسرا ما ورد فى قصة
القضية بقاف وضاد معجمة وياء مشددة وهى مصدر بمعنى القضاء او التقاضى او
اسم للواقعة التى وقع فيها القضاء بينهم بما وقع فى صلح الحديبية لما راى صلى الله عليه
وسلم انه دخل هو واصحابه مكة فسار ايهاما رجع الى المدينة فى الواقعة التى قصها الله
تعالى فى قوله وما جعلنا الرؤيا التى اريناك الا فتنة للناس كما تقدم وهذه القصة
مذكورة فى الصحيحين وقد وقع بسببها فتنة للمسلمين لما صدوهم عن دخول مكة
وصالحهم صلى الله عليه وسلم على ان يرجع ويأتى من العام القابل وكتب لهم بذلك كتابا شرط
فيه شروطا فيها شطط على المسلمين حتى قال عمر يا رسول الله الست رسول الله
حقا قال بلى قال الست على الحق وهم على الباطل قال بلى قال فلم نعط الدنية فى

دينا

ديننا وانما قال له ليقف على الحكمة فى ذلك لا لشك فيه كما توهمه بعضهم والكلام عليه
مفصل فى السير وشروح البخارى ولا فتنة اعظم من هذه البلية التى وقعت
بسبب ما ذكر لو وجدت اى لو وقعت وصحت لما يترتب على ذلك من صولة الكفرة
وشماتتهم وغيره مما خرافتها ولا تشغيب بشين وغين معجمتين ومثناة تحتية وبا
موحدة من الشغب وهو تهييج الشر والفتنة للمعادى حينئذ اشد من
هذه الحادثة المعلومة مما مر لو امكنت وقوعا ان قلت لم قال فى الفتنة لو
وجدت وفى الحادثة لو امكنت ومجرد الامكان لا يقتضى شغبا وفتنة قلت الاول
ظاهر لترتب الفتنة على وجودها ذكروا اما الثانى فتعبيره بالامكان مبالغة لان
نفيه ابلغ من نفى الوجود لعدم وقوعه محالا لما علم من الكلام فى عصمته من عدم
تسلط الشيطان عليه ثم ما روى عن معاند من الكفرة فيها كلمة تلقى ان يلقى
اليها السمع ولا عن مسلم بسببها بنت شفة بنت الشفة هى فى الكلمة شبه اخراجها
من الشفة باخراج المولود من بطن امه ففيه استعارة مصرحة او مكنية فدل ما
ذكر من انها لم ترد ولم يتكلم بها احد على بطلها بضم البا الموحدة وسكون الطا
المهملة ولام مصدر بمعنى البطلان كما فى القاموس واجتثاث اصلها بجيم ومثناة
فوقية ومثلثتين بينهما الف مصدر بمعنى قلعها من اصلها كما تقلع الشجرة بنزع عروقها
ولا شك فى ادخال بعض شياطين الانس او الجن اشارة الى ما تقدم اه
هذا الحديث يعنى ما قيل فى اثنا تلاوة هذه السورة او الحديث الذى روى
فيه ذلك على بعض مغفلى المحدثين الذين لا خبرة لهم بالرواية ليلبس اى
يوقع فى لبس واشتباه على ضعفا المسلمين الذين لم يقفوا على ما يناسب مقام
النبوة وقدرها وقد قال القرافى فى شرح الاربعين للامام الرازى ان الجواب
السديد فيه على تسليم صحته مع ان الله تعهد عصمته ان الله امره بترتيل القران وكان
يفعل ذلك فتمكن من ترصده من الشياطين فى حال سكوته بين الايات من دس
ما اختلقه من هذه الكلمات محاكيا صوته صلى الله عليه وسلم وقد سمعه من دنا
من الكفار معه فظنوها من كلامه صلى الله عليه وسلم واشاعوه فلم يقدح ذلك عند
المسلمين لحفظهم السورة على ما انزلت قبل ذلك ومعرفتهم من حاله صلى الله عليه
وسلم ما علم من ذم الاوثان واهانتها فحزن صلى الله عليه وسلم من هذه الاشاعة والفتنة
الشبهة وهو معنى قوله تعالى وما ارسلنا الى قوله القى الشيطان فى امنيته وقوله
فينسخ الله ما يلقى الشيطان اى يذهبه ويزيله وقيل انه صلى الله عليه وسلم لما قرا
السورة الى قوله افرايتم اللات الخ خاف الكفار ان يأتى بشئ من ذم الهتهم فسبقوا
عليه على عادتهم فى قولهم لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه الخ وسبب هذا ان
الشيطان حملهم عليه فاشاعوا ذلك وشبهوه لا تحزن لذلك انتهى وسيأتى تلخيص
الجوابين فى كلام المص وقد قدمنا لك ان هذه القصة لها اصل ثابت فى الجملة لكنها
ليس فيها ما يقتضى مقامه صلى الله عليه وسلم فابطالها بالكلية كما قال المص لا ينبغى

كما قاله ابن حجر وقد تقدم ما يغني عن اعادته هنا فتذكره **و** **وجه رابع** لتضعيف ذلك
ما **ذكر الرواة لهذه القصة** المذكورة التي عقد لها هذا الفصل **ان فيها** اي
بسببها **نزلت وان كادوا** اي قربوا مما لم يقع **ليفتنونك** اي يوقعونك في الفتنة
ويصدونك عن الذي اوحينا اليك **الايتين** اي اذكر الايتين المتقدم بيانهما **وهي**
اي الايتان المذكورتان وفي نسخة وهاتان الايتان **ترد ان الخبر الذي رووه** عرضي
لمنافاتهما له الا انه قيل ان الايتين لم ينزلا في هذه القصة وانما الذي نزل بها قوله
تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته
وهاتان الايتان نزلتا في ثقيف كما تقدم ثم بين وجه منافاتهما له بقوله **لان الله**
تعالى ذكر انهم كادوا يفتنونه حتى يفتري على الله بخلطه في القران ما لم يوح اليه
وانه اي الشان اراد الله **لولا ان ثبته** الله على الحق بعيان جبريل له **لكاد يركن**
اي قارب الميل **اليهم** بمدح الهتهم واتباع هواهم ولكنه لم يفعل شيئا من ذلك **فمضمون**
هذا اي ما تضمنه المذكور في الايتين **ومفهومه** الذي دل عليه وفهم منه **ان الله**
عصمه من ان يفتري عليه ما لم يقله لا ان يفعل ما ارادوه منه من ان يبدل
الوعد وعيدا وعكسه كما قيل **وثبته حتى لم يركن اليهم قليلا فكيف** يركن اليهم ركونا
كثيرا وهذا انتزعه لمعنى الايتين بناء على ما ادعاه من سبب النزول وقد علمت انه لم
يثبت نقله وقوله حتى لم يركن بيان لحاصل المعنى لان نفي القرب من الركون يدل
على نفيه بالطريق الاولى فلا يرد عليه ان المنصوص عليه نفي القرب من الركون القليل عرضي
لا نفس الركون كما زعمه المضل لان الجواب لقد كدت يعني انا لو ادركناك بعصمتنا عن الميل
لهم ولما ارادوه بعدما كانوا يخدعونك بمكرهم وشدة تحيلهم **وهم** اي رواة الحديث
مع ذكر الايتين **يروون في اخبارهم الواهية** اي الشديدة الضعف **انه** صلى الله
عليه وسلم **زاد على الركون** الذي هو مجرد الميل بل القرب من الميل الذي هو ابلغ في
نزاهته وعصمته **والافترا** اي الكذب على الله بجعل ما ليس من الوحي منه **بمدح الهتهم**
بقوله تلك الغرانيق العلى الخ وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك حماه الله **وانه**
قال عليه الصلاة والسلام حين قال له جبريل ما جئتك بهذا حين عرض عليه
السورة كما تقدم فتال في جوابه له **افتريت على الله وقلت ما لم يقل** عطف تفسير
وهذا الذي رووه في اخبارهم الواهية عنه صلى الله عليه وسلم **ضد مفهوم الاية**
التي ذكروا ان هذه القصة سبب نزولها لان عدم ركونه اليهم قليلا يأبى في
تصريحه بمدح الهتهم **وهي** اي الاية تصريح مفهومها **تضعف الحديث** اي تدل
على شدة ضعفه **لو صح** نقله وروايته **فكيف و**الحال انه **لا صحة له** عند المصنف
كما تقدم بيانه وما فيه فاذا ورد في الحديث ما ينافي القران ولم يمكن تاويله
ولا الجمع بينه وبينه حكم بضعفه وقد علمت ان الحديث رواه مسلم وانهم اجابوا عنه
كما بيناه **وهذا** المذكور في هذه الاية مما دل عليه مفهومها **مثل** ما دل عليه
قوله تعالى في الاية الاخرى وهي قوله عز وجل **ولولا فضل الله عليك**

ورحمته

ورحمته بعصمته لك وصرفه عنك ما هموا به من خداعك والمكر بك **لهمت**
طايفة منهم ان يضلوك ويصرفوك عن الحق وطريق العدل مع علمهم بانك
ثابت على ذلك ولا يمكن زللك فذمك عنه بوجه من الوجوه وقيل انها نزلت في بني ظفر
وما يضلون الا انفسهم اي لا يتبع ما ارادوه بك الا هم ولا يحيق المكر السي الا
باهله **وما يضرونك من شي** وانما يضرون الا انفسهم وتفصيل معنى الاية
مذكور في كتب التفاسير وانما المقصود بذكرها التنظير بها لما ذكر قبلها ولنزول
هذه الاية سبب ذكره الترمذي والمصنف استشهد بها استشهادا معنويا كما هو
بصدده وليس لنا حاجة بتفصيل ما ذكر بها **وقد روي** بالبنا للمجهول والراوي
له ابن ابي حاتم وغيره من المحدثين **عن ابن عباس** انه قال **كل ما** ما وقع **في القران**
من لفظ **كاد** وما يتصرف منه من مضارع وغيره يدل على ان ما بعده **لا يكون**
وفي نسخة فهو ما لا يكون اي لا يقع ولا يوجد وانما يدل على انه قاربه ولم يقع
قال تعالى يكاد سنا برقه السنا بالقصر الضوء النور وبالمد العلو والشرف
يذهب بالابصار اي يذهب بصر الناظر اليه **ولم يذهب** بالفوقية والبنا
للفاعل وفاعله ضمير الابصار المستترة ويجوز بناؤه للمجهول مع التحتية ونايب
فاعله ضمير السنا وفي نسخة ولم يذهبها وهذا يعني والمقصود انها اشرفت على الذهاب
ولم تذهب **و**قال تعالى في امر الساعة ان الساعة اتية **اكاد اخفيها** ان كان المراد
باخفائها انه لا يقول انها اتية فهو كما قال ابن عباس وان كان المراد انه لا يعين زمان
وقوعها فكأنه يدعمنا هنا المشهور وكلامه هنا مبني على الاول واليه اشار بقوله **ولم**
يفعل واشار المصنفون الى هذا بين المعنيين وخفا الشي ستره وعدم اظهاره ونقابله
خشيته واحسبته اذا ازلت خفاه ولانه في بين المعنيين لان الله اخفاها على الناس
واطلع عليها بعض خلص انبيائه **وقال القشيري القاضي** وقد قدمنا الكلام عليه
ولقد طالبته قريش ثقيف اي سالته صلى الله عليه وسلم وطلبت منه وسبب تسميتهم
بذلك مشهور وقد قدمناه **و**طالبته ايضا **ثقيف** قبيلة مشهورة بالطايف
اذ مر صلى الله عليه وسلم **بالهتهم** اي انصابهم واصنامهم التي كانوا يعبدونها **ان يقبل**
بوجهه الشريف ويتوجه **اليها** وفي نسخة عليها **ووعدوه الايمان به ان فعل**
ما سالوه من الاقبال عليها معظما لها **فما فعل** ذلك **ولا كان ليفعل** مع حرصه على ايمان
العرب وطاعتهم لم يكترث صلى الله عليه وسلم بهم ولم يلتفت لمقالتهم مع انهم من اشد الناس
شكيمة وعصبية وهذا ابو منطوق بقوله لقد كدت تركن اليهم دال على ما قاله ولا
وقال ابن الانباري هو الامام في العربية وساير العلوم الادبية ابو بكر محمد بن
القاسم بن محمد بن بشار النحوي الحافظ المفسر المحدث نادرة الدهر وفريد العصر
ولد سنة احدى وتسعين ومايتين وتوفي ليلة عيد النحر ببغداد سنة ثمان وعشرين
وثلاثماية وله تصانيف جليلة مفيدة مشهورة **ما قارب الرسول** صلى الله
عليه وسلم اي لم يقرب من شي مما كان عليه الكفرة واهل الجاهلية **ولا ركن** اي

المردود

وخ وما

ما مال الى شئ من امورهم وما كانوا عليه فضلا عن التلبس بها وما ذكره في كاد
هو المشهور والتحقيق فيها ما قاله الجرجاني في دلايل الاعجاز من ان نفيها يدل على
نفي ما في حيزها على ابلغ وجه لانفي القرب من الشئ الدال على انتفائه لانه بطريق
برهاني وقد يكون لوقوع الشئ بعسرة وقد يجوز تعدها وما كادوا يفعلون وقد
ذكر بالبنا للمجهول وفي نسخة ذكرت بنا التانيث في معنى الاية يعني قوله تعالى
وان كادوا ليفتنونك عن الذى اوحينا اليك ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن
اليهم شيئا قليلا تفاسير اخر تركها لكونها غير مرضية عنده ما ذكرناه ما اسم
موصول مبتدا ابينه بقوله من نص الله تعالى على عصمة رسوله صلى الله
عليه وسلم كما تقدم وخبره قوله يرد سفسافها اى التفاسير الخبيثة الردية فيها
واصل معنى السفساف ما يطير من غبار الدقيق اذا نخل وكل غبار دقيق كالهباء ثم
ثم عبر به عن كل حقير حيد افلذا قوبل في الحديث بمعالى الامور تارة وبمكارم الاخلاق
اخرى كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب معالى الامور ويبغض سفسافها وفي حديث
اخر ان الله رضى لكم مكارم الاخلاق وكره سفسافها فلم يبق في الاية يعني قوله وان
كادوا ليفتنونك الخ اى لم يبق فيها تفسير يقتضي الا ان الله امتن على رسوله
صلى الله عليه وسلم في هذه الاية اى من عليه وانعم والمن تعداد النعم سابقة وهو محمود
من الله دون غيره ويكون بمعنى النعمة نفسها بعصمته اى حفظه من ان يصدر منه
امر لا يرضاه فضلا عما ذكر من مدح الهتهم وتثبيته على ما هو عليه من ذم
الهتهم وما هم عليه بما كاده به الكفار من خداعهم وطلبهم منه صلى الله عليه وسلم موافقته
لهم في بعض امورهم التي لا تليق به ورامو امنه فتنته اى ايقاعه في بلية ومحنته
واصل معناه الاختبار ثم غير بها عما ذكر ومرادنا من ذلك الذى ذكرناه تنزيهه
اى تبرئته وصيانته صلى الله عليه وسلم واصل معنى التنزه البعد اى بعده عما لا يليق
بمقام النبوة وعصمته صلى الله عليه وسلم وهو اى ما اراده مفهوم الاية لا ما
ذكروه من سفساف التفاسير واما الماخذ اى محل الاخذ والطريق في بيان
ما ذكرناه وبيانه وهو الوجه الثاني في الكلام على مشكل هذا الحديث الذى فيه
انه ذكر قوله تلك الغرانيق العلى الخ في اثناء قراءة سورة النجم كما تقدم فهو اى تاويله
والجواب عنه مبني على تسليم رواية هذا الحديث لو صح نقله من طريق يعتد بها
وقد اعاذنا الله يعني مهملة وذال معجمة اى حمانا وحفظنا من صحته اى وقوع
اعتقاد صحته ووقوعه منا فضلا عنه واصل معنى العوذ الالتجا والتعلق بغيره
بما يتسبب عنه لان من التجا الى الله حماه وكفاه وحفظه مما لا يرضاه ولكن على
تقدير صحة ذلك على كل حال فقد اجاب عن ذلك المذكور من مدحه صلى الله
عليه وسلم الهتهم ايمة المسلمين بالهمزة والياء جمع امام وعبر به دون العلما ونحوه
اشارة الى ان مقتضى الاسلام تنزيهه عن مثله باجوبة منها الغث بمعنى معجمة ومثلثة
اى الضعيف الركيك والسمين اى القوى المقبول واصل معنى الغث المهزول

لمقابلته بالسمين

ربع مسود العشر الثاني

لمقابلته بالسمين فاستعيرا لما ذكر كما تقدم فمنها اى الاجوبة المذكورة ما
روى قتادة وهو من تقدمت ترجمته ومقاتل بن حيان الخراساني العابد المفسر
الثقة روى عنه اصحاب السنن وغيرهم وتوفي قبل خمسين ومائة ولهم مقاتل اخر
وهو مقاتل بن سليمان وهو محدث مفسر الا انه اتهم بالكذب والظاهر انه الاول
انه صلى الله عليه وسلم اصابته اى عرضت له سنة وهو فتور يعرض اوايل النوم
قبل الاستغراق فيه المانع عن الحس والادراك وهو قريبة من النعاس كما تقدم
بيانه وليس بنوم وان قيل به وقوله

دجى

وسنان اقصده النعاس فرنقت ... في عينه سنة وليس بنايم

لا دليل فيه عند قراءته هذه السورة يعني سورة النجم فجرى هذا الكلام اى قوله
تلك الغرانيق على لسانه و نطق به من غير قصد بل بحكم النوم وغلبته حتى تكلم بما
لا يقصده وهذا المذكور لا يصح صدوره منه اذ لا يجوز على النبي صلى الله عليه
وسلم ان يقع منه مثله في حالة من احواله لا في يقظة ولا في منام لانه صلى الله عليه
وسلم وان نامت عيناه لا ينام قلبه ولا يخلقه الله اى لا يوجد جريانه على لسانه
كما قاله بعضهم لحفظه له في ساير احواله ولا يستولى الشيطان اى يتسلط عليه
لحفظ الله له في نوم ولا يقظة بفتحات ثلاثة ضد النوم وتسكين قافه خطا الا في
ضرورة الشعر كقول التهامى

فالعين يقظى نوم و المنية يقظة ... والمرء بينهما خيال سارى

لعصمته في هذا الباب الذى طريقه البلاغ عما اوحى اليه من جميع العمد لتعمد
القول عليه ما لم يقله والسهو في شئ منه وفي قول الكلبي في الجواب عنه ان
النبي صلى الله عليه وسلم حدثت نفسه اى فكر فيما ذكر وخطر بباله من غير نطق
به فقال ذلك الشيطان على لسانه اى نطق به محاكيا لصوته ونطقه به في
اثنا قراءته وهو لا يدرى فتوهموا انه صلى الله عليه وسلم قاله وانه اوحى به اليه كما تقدم
وكذا ما وقع في رواية ابن شهاب الزهرى وقد تقدمت ترجمته عن ابي بكر
ابن عبد الرحمن وفي نسخة ابو عبد الرحمن وكلاهما صحيح وهو ابو بكر بن عبد الرحمن
ابن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي التابعي الامام احد الفقها السبعة على قول ومن
سادات قريش ويسمى الراهب لزهده قيل اسمه ابو بكر وكنيته ابو عبد الرحمن وقال
النووى محمد اسمه وكنيته ابو عبد الرحمن والصحيح ان اسمه كنيته وتوفي سنة اربع
وتسعين وقيل غير ذلك قال اى ابن شهاب او ابو بكر وسها صلى الله عليه وسلم في
نطقه بذلك فلما احس وفي نسخة اخبر بذلك اى عرف سهوه فيما نطق به قال
انما ذلك الذى جرى على لسانه او سمع من الشيطان وكل هذا المذكور من
الاقوال انما لا يصح رواية ودراية ان يقوله النبي صلى الله عليه وسلم لا سهوا
ولا قصدا لحفظ الله له عن مثله ولا يصح ايضا ان يتقوله بالتشديد اى يفتريه
على لسانه اى ينطق به محاكيا لقوله ونطقه فيلتبس الوحى بغيره لمنع الله لدس

تسلطه عليه بمثله فقوله على لسانه صريح فيما اراده فما قيل ان فيه نظرا لانه لا مانع من
ان يقول الشيطان عليه ما لم يقله من غير أن يقصد رغبته فكثيرا ما كذب عليه وهذا
لا ينافي عصمته صلى الله عليه وسلم غفلة عما عناه المص فلا وجه له وقيل في الجواب عما ذكر
لعل النبي صلى الله عليه وسلم قاله في اثناء تلاوته وقراءته لسورة النجم فذكره في
خلال اياته ولعل للترجي من عادة المصنفين استعمالها له كناية عن ضعف من نقله
واثناء جمع ثنى بمعنى مثنى اي ملفوف بعضه على بعض فشبه ما هو فيه بثوب مطوي في
داخله شيء اشتمل عليه على تقدير التقرير اي حملهم على الاقرار والتوبيخ للكفار
اي توبيخهم بعد اقرارهم بعبادة الاصنام فوصفها بالعلو ورجا شفاعتها على هذا انه تهكم
واستهزاء وقيل المراد حملهم على الاقرار بان المدح بهذه الكلمات انما ينبغي لمن يضر وينفع
توبيخا وتبكيتا تنبيها على خطابهم ابتداء بانها لا تصلح ان تكون الهة والتوبيخ على امر
باطل وقع منهم فما قيل انه حرى ان يسمى انكارا ابطاليا لما تحقق لا داعي له مع انه قال البعض
في الكلام ما يبعد ذلك فلا بد من تقدير اداة استفهام معه كقوله

طربت وما شوقا الى البيض اطرب ✽ ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب ✽

اي وذلك معلوم من المقام لان من ذكر امرا علم ان غيره يكرهه ويصرح بذمه واشتهر
منه ذلك فاذا مدحه بما مدحه به اعداؤه علم انه تهكم واستهزاء وارخاء لعنان الخصم
حتى يقع في هوة الضلال ولك ان تقول انه عند هذا القائل مفهوم من فحوى ما قبله
وان ما ذكر تقدير مفعول ثان لارأيت وهو محط الاستفهام وهو وان كان غير مستقيم
لكن هذا امر يهون تزهيده فتدبر كقول ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم هذا ربي
للكواكب التي كان يعبدها قومه فوصفها بالربوبية انما هو توبيخ لهم لانه يرى من
مثله كما لا يخفى على احد التاويلات التي ذكرها المفسرون فهو على هذا تقدير
معه اداة الاستفهام كما ان الاية التي تليه وتليه اقوال اخر مذكورة في التفاسير لا حاجة
للتطويل بذكرها وقوله اي الخليل عليه الصلاة والسلام في حق الاصنام بل فعله
كبيرهم هذا والضمير للاصنام وكانوا يجتمعون في عيد لهم ثم يرجعون للسجود لها
فتخلف عنهم ودخل عليها فكسرها الا الصنم هو اكبرها فلما راوه قالوا انت فعلت هذا
بالهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم كما نصه الله عنه في هذه الاية وحاصله انه
من معاريض الكلام الذي قصد به اقامة الحجة عليهم وان ما عبدوه لا يصلح للعبادة
بعد السكت اي الوقفة الخفيفة بين ايات سورة النجم والحاصل انه لما فرغ صلى الله
عليه وسلم من ذم الاصنام بما اوحى اليه سكت وذكر كلاما وبخهم به كما فعل ابراهيم عليه
الصلاة والسلام والتوبيخ لهم بذم الهتهم وبعد بيان الفصل بين الكلامين اي
كلام الله في ذم الاصنام وكلامه الذي وبخهم به وقرينة تدل على المراد وانه
اي ما ذكره توبيخا وتقريرا ليس من كلام الله المتلو لفصله بينه وبينه بالسكت
وهو اي ما قيل انه قاله في اثناء قراءته ذكر من التوبيخ والتقرير احدهما اي
الاقوال ذكره القاضي ابو بكر الباقلاني وابن العربي وهما امامان تقدم

[margin: دجى — عهى — انه — ثم رجع الى التلاوة وهذا امكن مع بيان الفصل م]

ذكرها

ذكرهما وبيانهما ولا يعترض على هذا القول الذي قاله القاضي بما روي بانيا
للمجهول بينهما انه صلى الله عليه وسلم او هذا الكلام كان في الصلاة وهو كلام ليس
بقرآن ولا ذكر فيبطلها فقد كان في صدر الاسلام وقبل الهجرة الكلام فيها اي
في الصلاة قبل مبني على الضم اي قبل النهي عنه غير ممنوع في الشرع وغير مبطل للصلاة
وكان الكلام غير محرم لما فرضت الصلاة ثم حرم عليهم قبل الهجرة بثلاث سنين والذي
يظهر ويترجح في تاويله اي تاويل هذا الحديث وهذا مما اختاره القرافي كما نقلناه
اولا عنده اي عند القاضي ابي بكر وعند غيره من المحققين اي اهل الكلام
والتفسير والحديث على فرض تسليمه اي تسليم وقوعه منه صلى الله عليه وسلم
وانه نطق بذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان كما امره ربه يرتل القرآن ترتيلا
لقوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا والترتيل القراءة بتؤدة من غير استعجال
وهو في الاصل مستعار من قولهم ثغر مرتل اي مفلج كالاقحوان ومن لطايف
بعض المتاخرين انه الذي جبينه وثغره ✽ طرة صبح تحتها ذبالة الدجى ✽ ما لي
به مع قرب داري ملتقى ✽ فهل رايت ثغره المفلجا ✽ ويفصل الاي جمع اية لمد
بينها تفصيلا يفصل بعضها بعضا في قراءته وفي نسخة في تلاوته مع سكت خفيف
بينها كما رواه الثقات عنه كما قالت عائشة رضي الله عنها وقد سئلت عن قراءته
لو اراد سامع ان يعد حروفه عدها لتانيه فيها ونحوه بحروفها وبيان حركاتها
ومدها فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات بالنون والتاء المثناة الفوقية
وترصده ترقبه وانتظاره اي يترقب وقفه وسكتته بين الايات في ترتيله القراءة
ودسه بمهملتين مصدر معطوف على ترصد اي ادخاله فيها بين سكتاته خفية يقال
دسه دسا اذا ادخله قال الراغب الدس ادخال الشيء في الشيء بضرب من الاكراه
واصل الدس الاخفاء ومنه العرق دساس فيها اي في القراءة ما اختلقه اي كذبه
وافتراه وما موصولة مفعول دسه بيانها من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي
صلى الله عليه وسلم في القاموس بحركة وتسكين الكلام الخفي والواحدة بها ونغم في
الغناء كضرب ونصر وسمع انتهى فالنغمة هنا بمعنى الكلام الخفي وتكون بمعنى الغناء وليس
بمراد هنا وهو المعروف عرفا كقوله الشرب بغير نغم وخبز دسم سم والظاهر
انه اريد به هنا الصوت مطلقا بحيث يسمعه اي بمكان قريب منه صلى الله عليه وسلم
يسمعه من دنا اي قرب اليه من الكفار الحاضرين عنده يسمعون تلاوته صلى الله
عليه وسلم لسورة النجم فظنوها اي ظنوا تلك الكلمات الذي قالها الشيطان ودسها في
تلاوته محاكيا لصوته وهو لا يرى من قوله صلى الله عليه وسلم اي مما تلاه من القرآن
وجعلها فيه لتطبيقها اربابا على اعتقادهم الفاسد واشاعوها اي اظهروها وقالوا
انه مدح الهتنا ووافق طريقتنا ولم يقدح ذلك اي ما دسه الشيطان واشاعوا
انه صلى الله عليه وسلم قاله عند المسلمين فلم يغير اعتقادهم ولم يلتبس عليهم القرآن
بغيره مما ادخل فيه لحفظ المسلمين السورة اي سورة النجم فالمصدر مضاف لمفعوله

قبل ذلك اي قبل اختلاق الشيطان ودسه فيها اذ دسه على ما انزل الله متعلق
بحفظ فعلموا ان ما اشاعوه ليس من الوحي في شيء مع عدم مناسبته له لفظا ومعنى
وتحققهم اي المسلمين من حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الاوثان وعيبها على
ما عرف منه صلى الله عليه وسلم او من حاله لانه يذكرونه وهذا بيان للقرينة ودحى
الغالبة على انه ليس من قوله ولا مما اوحي اليه فاندفع ما قيل من انه ليس للشيطان
سبيل حتى يتمكن ان يدخل في كلامه وما تلاه ما ليس منه وقد بينا لك انه اختاره
الفرا في لصحة الرواية عنده وقد حكى اي روى موسى بن عقبة كذا في جملة النسخ
وفي بعضها محمد بن عقبة في مغازيه اي في كتابه الذي الفه في مغازي النبي صلى الله
عليه وسلم فالاضافة لما بينهما من الملابسة ورجحوا النسخة الاولى وصححوها في الحواشي
وضربوا على النسخة الثانية وقال الحافظ الحلبي انه مما لا شك فيه وهو موسى بن
عقبة بن ابي عياش مولى ال الزبير وقيل مولى ام خالد روى عنه خلق كثير وهو ثقة
ثقة توفي في سنة احدى واثنتين واربعين ومائة واخرج له الستة ومغازيه من
اصح المغازي كما قاله الامام مالك ومحمد بن عقبة اخو موسى ولعقبة اولاد كلهم فقهاء
محدثون لكل واحد منهم حلقة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتراجمهم مشهورة
نحوه وفي نسخة نحو هذا اي نحو ما نقله عن المحققين مما هو بمعناه وفيه ميل ما اليه
لنقله عن المحققين ولكثرة من تابعهم عليه وانه قيل انه لم يرض وقال اي موسى بن عقبة
ان المسلمين لم يسمعوها اي مقالة الشيطان التي دسها وانما القى الشيطان ذلك
القول الذي شاع في اسماع المشركين بدليل انهم هم الذين اشاعوه ولم يشع عن غيرهم
حتى خفي على كثير منهم وانكروه ولا مانع من ذلك فما قيل من انها دعوى بلا دليل اذ لا ودحى
قدرة للشيطان لعنه الله على القائه للمشركين فقط وهم مختلطون معهم في محل واحد
غير مسلم وفي نسخة وملائهم وهو كما قال له الراغب جماعة يجتمعون على راي فيملاون
العيون رواء والقلوب جلالة وبهاء ومنه فلان ملاء العيون وقلوبهم بان يفهموه
ويقبلوه ويكون ذلك اي رواية ما نقل من حزن النبي صلى الله عليه وسلم بيان
لما اسم كان وقوله لهذه الاشاعة خبرها اي انما حزنه عليه الصلاة والسلام
كان لمجرد اشاعة ذلك والشبهة الحاصلة من تلك الاشاعة لانه كما قيل في المثل
من يسمع يخل اي من اجل الاشاعة ومن اجل الشبهة الناشئة منها ومن سبب هذه
الفتنة الحادثة من شيوع ما هو بريء منه وهذا جواب عن سؤال مقدر تقديره
اذا كان المسلمون لم يسمعوا هذه المقالة فلم حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس
الجواب عن هذه الشبهة ان الشيطان القاه لهذه المقالة ولانه سمعها منهم فعلقت عرض
بذهنه ثم سها صلى الله عليه وسلم فقالها كالنوم اذ لا مناسبة لهذا هنا وقد قال
الله تعالى في هذه القصة وهذا من تتمة الكلام عليها وليس متعلقا بما قبله وما
ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الاية الفرق بين الرسول والنبي مشهور
والكلام عليهما اشهر من ان يذكر والثاني اعم لانه كل من اوحي اليه والرسول اوحي

اليه

اليه وامر بالتبليغ وقيل غير ذلك وقوله الاية اي الا اذا تمنى القى الشيطان في
امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله اياته والله عليم حكيم ثم اشار الى تفسير
هذه الاية فقال فمعنى تمنى تلا لان اصل معناه تفعل من المنا بمعنى القدر ومنه
الم يك نطفة من مني يمنى اي تقدر ومنه المنية ويراد به تقدير شيء في النفس وتصويره
ويكون النفس تتصور امورا لا حقيقة لها سمي به الكذب كقوله تعالى لا يعلمون الكتاب
الا اماني اي كذبا كما قال مجاهد وقال غيره تلاوة بلا معرفة للمعنى فاجراه مجرى
التمني لما لا وجود له لان التمني كذلك في الاكثر ثم اتسع فيه فاستعمل لمطلق التلاوة
وابهاما ربعوله فمعنى تمنى تلا كما قال الشاعر

تمنى كتاب الله اول ليلة … تمني داود الزبور على رسل

وقال الله تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني اي تلاوة وقد عرفت وجهه
والمراد بالكتاب التوراة والاستثناء منقطع لان التلاوة ليست من العلم وقيل انه
مصدر بمعنى الكتابة لقوله ومنهم اميون وهي في حق اليهود وقوله فينسخ الله
ما يلقي الشيطان اي يذهبه لان النسخ لغة كما قال الراغب ازالة شيء بشيء
يعقبه كنسخ الشمس الظل وما يلقيه الشيطان على هذا اما يدسه كما تقدم ويزيل
اللبس الحاصل به وبسببه ويحكم الله اياته اي يتقنها حتى لا تشتبه بغيرها
وقيل معنى هذه الاية اي قوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان هو ما يقع للنبي
صلى الله عليه وسلم من السهو اذا قرا فينتبه لذلك السهو الصادر منه بمقتضى
البشرية بادنى تنبيه ويرجع عنه اي عما تركه سهوا وهذا المذكور هنا نحو قول
الكلبي في الاية اي اية سورة النجم كما نقل عنه اولا من انه حدث نفسه بان
خطر بباله قولهم تلك الغرانيق العلا وقال الكلبي ايضا معنى اذا تمنى اي حدث
نفسه وفي رواية ابي بكر بن عبد الرحمن الذي تقدمت ترجمته نحوه اي نحو ما
ذكر مما هو بمعناه وهذا السهو المذكور كائنا في القراءة انما يصح وقوعه منه
فيما ليس طريقه الواقع عليها والاتي فيها تغيير المعاني فلا يقع ما يغير معاني
الوحي وبدلها وتبديل الالفاظ بالفاظ غيرها وزيادة ما ليس من القران فيه بل
بل ٢ الجائز عليه السهو انما هو عن اسقاط اية منه او اسقاط كلمة منه ولكنه صلى الله
عليه وسلم اذا اسقطها لا يقر بابا للمقصود او الفاعل على ذلك السهو بل ينبه عليه ويذكر
به للحين اي يبادر به في وقت سهوه لا يتباطا لسهوه من غير امهال له فقريب حين
الحضور واللام بمعنى في وقيل بمعنى وقت كقوله فطلقوهن لعدتهن وهذا مبني على ما
سنذكره مفصلا في حكم ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز ومما يظهر في تاويله
اي تاويل ما ذكر في سورة النجم وما ورد فيها ايضا كما ظهر في بعض الاشارات لا الاثبات بلغة
المتبادرة الى الافهام ان مجاهدا رحمه الله تعالى روى هذه القصة اي قصة سورة
النجم السابقة والغرانقة العلا بالعطف على اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى
وحينئذ فلا اشكال يرد على ما تقدم فان سلمنا وقوع هذه القصة وصحة روايتها

قلنا على هذا التقدير لا يبعد ان هذا المذكور في هذه الرواية وهو قوله والغرانقة
العلا كان قرانا نزل عليه صلى الله عليه وسلم ثم نسخت تلاوته والمراد على هذه
الرواية على تقدير انها قراة منسوخة بالغرانقة العلا والمراد به ان شفاعتهن
ترتجى اشارة الى انه على هذه القراة بفتح همزة ان من قوله وان شفاعتهن ترتجى
الملائكة على هذه الرواية التي فيها الواو العاطفة وهو جمع غرنوق كزنبور وقنديل
وقرطاس وتفسيره بالاصنام ايضا وهي في الاصل طير من طيور الما واثبات الجبل
فاستعير لما ذكر واستعارة الطير للملائكة اظهر وبهذا فسر الكلبي الغرانقة انها
الملائكة انها لتفتح بدل من هذا وذلك يعني ان الباعث على تفسيرها بما ذكر ان
الكفار اي عبدة الاصنام من قريش وغيرهم كانوا يعتقدون ان الاوثان والملائكة
بنات الله سبحانه اي تنزه الله عز وجل عما قالوه بجهلهم كما حكى الله عنهم ذلك في القران
في ايات كقوله افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا وقوله اصطفى البنات على
البنين وقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا الاية فحملوها لاحتجابها
مخدرات وكون الملائكة مشهور واما في الاصنام فبنا على ما نقله الحلبي في تفسير
قوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا اي مشركي العرب زعمت في اللات والعزى ومناة
بنات الله بقربهم لما كانوا يسمعون تكلمها وانما كان يكلمهم شياطين الجن من اجوافها ورد
الله عليهم ما قالوه في هذه السورة يعني سورة النجم بقوله تعالى الكم الذكر وله الانثى
اي اختاروا لكم الذكور دون الاناث لانهم كانوا يقتلونها وهي الموءودة واعتقدوا ان له بنات
لم يرضوها لانفسهم وهي الملائكة والاصنام كما مر ولذا قال تلك اذن قسمة ضيزى
اي جائرة فانكر الله كل هذا الذي ادعوه من قولهم اشارة الى ان الاستفهام فيه
انكاري تكذيبا لهم فيما قالوا لجهلهم ما كادت تخر له الجبال هدا فالاستفهام منصب على
الجميع وبهذا يرتفع الاشكال على هذه القراة ورجا الشفاعة في قوله وان شفاعتهن
لترتجى صحيح على هذه القراة ولا حاجة لهذا فانه منكر لانصباب الاستفهام الانكاري
عليه كما قررناه لك بنا على فتح همزة ان فيه ولذا اقبل هذا التاويل وان كان صحيحا في نفسه
مباين للمقام نابٍ عن سياق الكلام فتدبر فلما تاوله اي تاول هذا الكلام بصرفه عن
ظاهره المشركون حسب اغراضهم الفاسدة على ان المراد بهذا الذكر اي المذكور
وهو قوله تلك الغرانيق العلا الخ الهتهم اي اصنامهم التي عبدوها ولبس الشيطان
عليهم ذلك بوسوسته لهم وترويجه لافكارهم وزينه في قلوبهم بتحسينه وتزويره
والقاه اليهم اي القى ذلك المعنى الذي فهموه لما سمعوه منه صلى الله عليه وسلم حينئذ على
هذا الوجه الذي استظهره نسخ الله من كلامه ما تلي كما تقدم وقوله ما القاه
الشيطان المراد به اللفظ ارلوه بما القاه الشيطان في قلوبهم حتى يلبسهم هذا بما قاله
اولا واحكم اياته الباقية بعد ما نسخ منها ورفع تلاوة تلك اللفظتين اي الجملتين
يعني قوله تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى وقوله تلك بالافراد لجعلهم لشي
واحد فلا وجه لما قيل صوابه تينك اللفظتين وجد الشيطان بهما سبيلا للالبا

من الملائكة صح

دجى

تماني

س

اى

اي طريقا لتلبيسه عليهم بها اذا تليا في هذه السورة ووقع في بعض النسخ التي وجد
الشيطان بها بالافراد فيهما والصواب ما ذكر كما نسخ بالبنا للمعلوم او المجهول
كثيرا يجوز رفعه ونصبه وكذا قوله ورفع تلاوته مع بقا حكمه او بدونه وكان
في انزال الله لذلك الذي نسخه بعد ذلك حكمة هي كما يعلم مما بعده تبيين من ضل
ممن اهتدى وفي نسخه برفع تلاوته حكمة من حيرا وشرع بين تلك الحكمة بنص
القران في قوله تعالى ليضل الله من يشا ويهدي من يشا وما يضل به الا الفاسقين
الخارجين عن طاعته بارتكاب المعاصي وفي قوله ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة
اي بمنزلة الاختبار لاظهاره للناس ما خفي عليهم فكانه اختبار للذين في قلوبهم
مرض اي شك او نفاق فاستعار لذلك اسم المرض والقاسية قلوبهم من المشركين
الذين لم يدخل الايمان في قلوبهم لشدة قسوتها فتشبه قلوبهم بالحجارة الصلبة التي لا تتغير
عما هي عليه ولا تلين لقبول الحق وان الظالمين اي الكافرين وان الشرك لظلم عظيم
وانهم الظاهر مقام المضمر تسجيلا عليهم بظلمهم وكفرهم لفي شقاق اي عداوة ومباينة
للمومنين فهو في شق وهم في شق بعيد عن الحق وقبوله وليعلم الذين اوتوا العلم
اي الذين اتاهم الله العلم من المومنين انه ما انزله الله ثم نسخه وازاله لحكمة وليس
رجوع الضمير لتمكين الشيطان من الالقا ثم ازالة الله بمناسب هنا الحق من ربك لعدم
اشتباهه عليهم وتمكن الشيطان بتلبيسه عليهم فيومنوا به اي يصدقوا ويذعنوا لما
نزل وان نسخ فتخبت له قلوبهم اي تنقاد وتخضع مطمئنة من غير شك وتزلزل واصل
معنى الخبت ما اطمان من الارض وهو السهل ضد الحزن فاستعير لما ذكر من الانقياد كخضوع
وخشوع الاية اي وان الله لهادي الذين امنوا الى صراط مستقيم ثم ذكر وجها اخر في هذه
القصة اشار الى ضعفه بقوله وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرا هذه السورة
اي شرع في قراة سورة النجم وبلغ اي وصل في حال قراته ذكر اللات والعزى ومناة
الثالثة الاخرى وصفها بالثالثة والاخرى للتاكيد كطاير يطير بجناحيه والاخرى المتاخرة
في الرتبة والاحسن ما قيل ان اللات والعزى كثيرا ما يذكرونهما معا اذا حلفوا فيقولون
واللات والعزى فوصف مناة بالثالثة ليعلم ان مناة ثالثة وليست واحدة والتذكر
بالاخرى اشارة لتاخر رتبتها ومغايرتها ما قبلها فهي نعت اخر اول تفصيل فتامل
خاف الكفار لما سمعوا ذكرها منه صلى الله عليه وسلم ان ياتي بشي من ذمها وتنقيصها
كما هو كان عادته اذا ذكرها فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين اي تلك الغرانيق
الخ ليخلطوا في تلاوته ذكرها بمدحها الصادر منهم ويشغبوا عليه بشين وغين
معجمة مشددة بمعنى من الشغب بالفتح ويجوز تسكينه وهو تهييج الشر مع الصياح به وفي
نسخة ويشغبوا بسين وعين مهملة من الشناعة على عادتهم اذا حضروا قراته صلى الله
عليه وسلم انهم يرفعون اصواتهم عنده حتى يلهوه ويشغلوا خاطره ويمنعوا من سماعه كما
حكى الله عنهم من قولهم لا تسمعوا لهذا القران اذا قراه والغوا فيه اي اظهروا
اللغو برفع الاصوات تخليطا وتشويشا عليه بما يشغل الخواطر عنه لعلكم تغلبون

باصوات تعوقكم على قراءته من قولهم هذا اغالب على هذا اذا كان زايدا عليه فكانوا يصوتون
بذلك من بحضرته منهم كما قال ابو جهل لعنه الله اذا قرأ محمد فصيحوا حتى لا يدري ما
يقول وقيل كان ذلك بالصياح والتصفيق وانهم فعلوا ذلك لما ظهر عجزهم عن
معارضته ونسب هذا الفعل الى الالقا للشيطان في قوله ما يلقي الشيطان
بطريق المجاز المرسل والنسبة للسبب ما للمسبب تحمله لهم عليه اي لان الشيطان
هو الذي تسبب فيه حتى فعلوه وهو الباعث عليه والحمل حقيقة جعل شي فوق
شي ثم تجوز به عما ذكر وصار حقيقة عرفية فيه واشاعوا ذلك المذكور واذاعوه
في الكفرة والاشاعة والاذاعة بمعنى بمعنى وهو جعله مشهورا منتشرا وان النبي
صلى الله عليه وسلم قاله بفتح همزة ان لعطفه على المفعول فهو قاله على هذا الوجه وعلى
غيره هو افتروا عليه وبهتان منهم كما يعلم مما تقدم فحزن لذلك صلى الله عليه وسلم
وهو جواب عن سوال تقديره اذا لم يصدر عنه ذلك وصدر بمعنى اخر فلم حزن صلى الله
عليه وسلم وقيل لهم من كذبهم وافترايهم عليه بيان لذلك لتعصبهم لانهم اذا ضللتهم
فسلاه الله تعالى التسلية ازهاب الحزن بوجه ما اي ازال غمه بما ذكر بقوله
تعالى وما ارسلنا من قبلك الاية يعني من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان
في امنيته الى اخرها اي انما وقع لك في هذه القصة سبق مثله لمن قبلك من الرسل فاصبر
كما صبروا ولا تحزن وقد تقدم من تفسير هذه الاية ما يغني عن اعادته وبين الله
تعالى في كتابه للناس الحق من ذلك اي من الوحي الذي انزل على لسانه من الباطل
الذي القاه الشيطان فيما تلاه ومن الثانية متعلقة بقوله بين والاولى ظرف مستقر
فلا يرد عليه انه فعل لا يتعدى بحرفين بمعنى واحد وحفظ الله عز وجل القران من
التبديل والتغيير بزيادة او نقص واحكم الله اياته اي اتقنها فلا ياتي الباطل من
بين يديها ولا من خلفها ودفع ما لبس به العدو من الكفرة والشياطين كما ضمنه
بفتح الميم المشددة وتخفيفها مكسورة فتقديره على الاول انه ضمن القران اي جعل في ضمنه
ما قطعهم من قوله تعالى الخ وعلى الثاني انه تعهد بحفظه اذ قال انا نحن نزلنا
الذكر اي القران لانه من اسمايه وانا له لحافظون من التبديل وان يزاد فيه
او ينقص فلم يكل ذلك الى غيره حيث اسنده الى نفسه بضمير العظمة بخلاف غيره من
كتب الانبيا اذ فوض حفظها لاحبارهم كما قال بما استحفظوا من كتاب الله ولذا وقع
فيها التحريف والتغيير حكمة لعلة واتى في ذلك بتاكيدات وتقديم معمول حافظون
للحصر ومن ذلك اي من جملة اسولة الطاعنين على الرسل ما وقع فيما روي
من قصة يونس نبي الله صلى الله عليه وسلم وهو يونس بن متى وقد اختلف في متى
هل هو اسم امه او اسم ابيه فقيل انه اسم امه وانه لم ينسب احد الى امه غير يونس
وعيسى عليهما الصلاة والسلام وردها في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه صلى الله عليه وسلم قال لا ينبغي لاحد ان يقول انا خير من يونس بن متى ونسبه
لابيه فانه يقتضي ان متى اسم ابيه خلافا لمن قال انه اسم امه وهو مروي عن وهب

ابن منبه وذكره الطبري وابن الاثير في الكامل واول قول ابن عباس انه كان
في روايته يونس بن فلان فمراده ان الراوي كنى عن اسم ابيه بفلان ولم يصرح به
وهو السبب في نسبته لامه وقد قيل ان الصحيح الاول وان ما ذكر من التاويل بعيد
وكان من اهل قرية بالموصل تسمى نينوى كان يتعبد في جبل عندها ثم بعثه الله بالتوحيد
لقوم يعبدون الاصنام وكان فيه حدة فلم يصبر على الناس فتركهم ولحق بالجبل
ولذا قال تعالى ولا تكن كصاحب الحوت وكان كداود في حسن الصوت اذا قرا وقفت
عنده الوحوش تسمع قراءته وتقدمت ترجمته باسط من هذا اذ وعد قومه بالعذاب
مخبرا لهم به عن ربه بمجي العذاب لهم فلما تابوا ورجعوا عما كانوا عليه وكانت توبتهم في
يوم عاشورا او يوم جمعة كشف بالبنا للمجهول اي كشف الله عنهم ما وعد وابعد
فقال يونس عليه الصلاة والسلام لما راى تخلف الوعيد لا ارجع اليهم اي الى قومه
حال كونه كذابا ابدا فذهب مغاضبا مفاعلة من الغضب وهو ثوران القلب
لارادة الانتقام والمفاعلة ظاهرة ان اريد انه مغاضب لقومه وان اريد انه غضبا
لاجل ربه فهو مثل نجا دعوت الله وكان اقام في قومه ثلاثين سنة يدعوهم للايمان
فلم يومن منهم الا رجل فدعا عليهم فقيل له ما اسرع ما فعلت ارجع اليهم وادعهم اربعين
ليلة فان لم يجيبوا احل بهم العذاب فدعاهم سبعا وثلاثين ليلة وقام فيهم خطيبا وقال
ان لم ترجعوا الى ثلاثة ايام حل بكم العذاب وعلامته تغير الوانكم فلما راوا التغير وعلم
يونس بالعذاب خرج من بينهم وطلبوه فلم يجدوه والهمهم الله التوبة فخرجوا للصحرا
باهليهم واولادهم ودوابهم وضجوا الى الله تعالى وقالوا امنا بيونس فقبل الله توبتهم
وكشف عنهم العذاب بعد ما غشيهم في سحابة على روسهم كما قال تعالى الا قوم يونس
الاية والى ذلك اشار بقوله واعلم اكرمك الله بما علمك من نزاهة ساحة الانبيا عليهم
الصلاة والسلام مما توهمه الطاعنون فيهم بمثل هذا السوال بانه كيف اخبر وهو نبي معصوم
بما لم يقع واعترف به ان ليس في خبر من الاخبار الواردة في كتاب ولا في سنة
صحيحة في هذا الباب المتعلق ببعض الانبيا وقصة يونس عليه وعليهم الصلاة
والسلام ان يونس قال لهم مخبرا عن ربه ان الله مهلككم حتى يتاتى ان يقال
انه صدر منه الكذب وانما الذي ورد فيه من الاخبار الصحيحة انه دعا عليهم
بالهلاك اي بان الله يهلكهم لعدم اطاعتهم له والدعا ليس بخبر اي كلام خبري
بل انشا وطلب من الله يطلب صدقه من كذبه اي يحتمل الصدق والكذب والضمير له
دبكى للخبر لا ليونس كما قيل ولو كان خبرا ايضا لم يكن كذبا كما توهمه السايلون
لانه علق تعذيبهم بشرط هو ان لم يومنوا كما يعلم من قوله الا قوم يونس لما امنوا الاية
ولا ينافيه قوله لا ارجع اليهم كذابا ابدا لعدم صحته عند المحققين كما تقدم وبانه
او وصفه بالكذب يتضمن كلامه خبرا يحتمل الصدق والكذب وهو ان من لم يجب
دعوة الرسل يحل به العذاب لكنه اي الشان او يونس عليه الصلاة والسلام
قال لهم اي لقومه لما وعظهم ان العذاب مصبحكم اي اتيكم في وقت الصباح

وقت كذا وكذا اى عند تمام المدة التى بينها لهم كما تقدم **فكان ذلك** اى وقع وتحقق مجيئه لهم فى الوقت المعين فانهم لما رأوا سحابة دنت منهم تحوم فيها عذاب ودخان اسود فاخلصوا التوبة وامنوا ولبسوا المسوح وتضرعوا الى الله فقبل توبتهم **ثم رفع عنهم العذاب** الذى تيقنوه حتى نزل بهم **وتداركهم** اى انعم عليهم بالخلاص مما خافوه والتدارك بمعنى الاعانة والنجدة كما قاله الراغب اى تداركهم الله برحمته لما تابوا ومتعهم بالحيوة الى حين كما **قال الله تعالى الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا ومتعناهم الى حين** والاستثناء منقطع من قوله فلولا كانت قرية امنت فنفعها ايمانها الخ اذ المعنى لولا كانت قرية من القرى التى اهلكناها امنت الا قوم يونس ويحتمل الاتصال لانه فى معنى ما نجينا قرية اى اهلها الذين عاينوا العذاب الا هؤلاء كما تقرر فى التفاسير وفى كلامه خلل لا يخفى فان محصله جواب ان احدهما المنع وانه لم يخبر به وارد والثانى انه خبر عن وقوع العذاب وقد دفع لانهم عاينوه لكن الله رفعه عنهم والاستدراك ليس فى محله لما بينته لما قبله ومقصوده هذا لكنه تسمح فى العبارة وايضا العذاب لم يحل بهم ولكنه لما بينته كما تقدم جعل كانه وقع ولذا عبر بالرفع دون الدفع وهو من خصائص قوم يونس لانه ايمان يأس وهو لا يقبل **وروى فى الاخبار انهم** اى بعد ان امهلهم اربعين ليلة فلما مضت خمسة وثلاثون كما مر **رأوا دلائل العذاب** فى سحابة دنت منهم كما تقدم **ومخايله** بالخاء المعجمة اى علاماته جمع مخيلة وهى المظنة من خاله بمعنى ظنه وهى فى الاصل موضع التخيل ثم استعير للامارات كقولهم الولد مبخلة ومجبنة **قاله ابن مسعود** رضى الله عنه رواه عنه ابن مردويه مرفوعا وابن ابى حاتم موقوفا **وقال سعيد بن جبير غشاهم العذاب كما يغشى الثوب القبر** يعنى ان السحابة قربت منهم فكانت عليهم كثوب يغطى به قبر وفى التشبيه بالقبر اشارة الى انهم كالاموات ولذا عبر فى الاية بالكشف وفى نسخة كما يغشى الثوب القبر والثوب وا[...] ساكنة وهمزة او بواو مشددة بمعنى النجم الطالع والساقط واراد به هنا السحاب لانه لا يخلو من سحاب ومطر معه وانواء العرب مشهورة والنجم معروف ثم اردف بما يتعلق بالاسلام والمطاعن فقال **فان قلت** ايها السائل عما يوهم ما لا يليق بمقام النبوة **فما معنى ما روى** رواه ابن جرير عن عكرمة مولى ابن عباس رضى الله عنهما **من ان عبد الله بن ابى سرح** بفتح السين وسكون الراء والحاء المهملات وهو عبد الله ابن سعد بن ابى سرح بن الحارث العامرى القرشى الصحابى كاتب النبى صلى الله عليه وسلم اسلم قبل الفتح وهاجر ثم ارتد واسلم بعد ذلك وحسن اسلامه كما تقدم وولى فى خلافة عثمان فلما قتل اعتزل الناس والتزم العبادة ودعا الله ان يتوفاه بعد الصلاة فمات بعد تسليمه من صلاة الصبح كما ذكره السهيلى واشار الى ما ذكر بقوله **وكان يكتب لرسول الله** صلى الله عليه وسلم ما ينزل عليه من الوحى **ثم ارتد مشركا** اى عاد لما كان عليه من الشرك **وصار الى قريش** اى رجع اليهم بمكة ولحق بهم ووافقهم على شركهم **وقال** لهم بعد عوده لهم **انى كنت** وانا اكتب الوحى **اصرف محمدا**

من

من التصريف وهو التغيير والتبديل كما قال وتصريف الرياح اى ابدل ما يمليه على وهو يسمعه ثم افتى على ما اختاره **حيث اريد** اى فى كل شىء اريده **كان يملى على عزيز حكيم** فى خواتم الايات **فاقول** له صلى الله عليه وسلم **او عليم حكيم** اى اكتب هذا بدل ذاك **فيقول لى نعم** اى اكتب ما قلت بدل ما امليته **كل صواب** اى ما امليته وما قلته انت من عندك وسيأتى ما فيه **وفى حديث اخر** اى فى رواية اخرى لهذا الحديث رواها السدى **فيقول له النبى** صلى الله عليه وسلم وهو بين يديه **اكتب كذا** كتابة عما امره بكتابته **فيقول** اى ابن ابى سرح **له** صلى الله عليه وسلم **اكتب كذا فيقول** صلى الله عليه وسلم **اكتب كيف شئت** يحتمل الخبر والاستفهام والظاهر الاول **فيقول** النبى صلى الله عليه وسلم **اكتب عليما حكيما فيقول** اى ابن ابى سرح **اكتب** بدل هذا **سميعا بصيرا فيقول** صلى الله عليه وسلم **له** اى لابن ابى سرح **اكتب كيف شئت** واردت كتابته وسيأتى ما فيه وتأويله على تقدير صحته **وفى الصحيح** اى فى الحديث الذى رواه البخارى وتقدم ان الصحيح اذا اطلق يراد به كتابه وحده بهذا مروى **عن انس** رضى الله عنه **ان نصرانيا** قال البرهان لا اعرفه باسمه وفى مسلم انه رجل من بنى النجار **كان يكتب للنبى** صلى الله عليه وسلم ما يوحى اليه **بعدما اسلم ثم ارتد** عن الاسلام الى الكفر **وكان يقول** بعدما ارتد **ما يدرى محمد الا ما كتبته له** يعنى انه كان يكتب من نفسه ويزعم ان ما يقرؤه النبى صلى الله عليه وسلم كلامه ولم يزل لعنه الله على ردته حتى مات فدفنوه فلفظته الارض فقالوا هذا من فعل النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه فحفروا واعمقوا ودفنوه فلفظته ثانيا فقالوا مثل ذلك ثم وقع ذلك مرة ثالثة فعلموا انه فعل الله وتركوه كما فضحه الله **فاعلم** ايها المريد للوقوف على الحق وظهوره **ثبتنا الله واياك على الحق** فى هذه القصة وغيرها اى جعلنا ممن علم الحق وعرفه ولم يتغير عما هو عليه وفى هذا الدعاء مناسبة لما قبله فان فيه ذكر من ارتد بعد اسلامه ممن لم يثبت على الحق بعدما عاينه **ولا جعل للشيطان ولا جعل لتلبيسه** اى خلطه **الحق بالباطل بنا** اى لوصوله الينا **سبيلا** وطريقا يصل منه لنا اى بعده الله عنا حسنا ولا سلطه علينا **ان مثل هذه الحكاية** اى حكاية ابن ابى سرح والكاتب النصرانى **اولا** اى قبل النظر فى معناها والبحث عن صحتها واحوال رواتها **لا توقع فى قلب مؤمن ريبا** اى شكا وترددا فى حقيقة ما اوحى الى النبى صلى الله عليه وسلم وان الشيطان لا يتسلط عليه **اذ هى حكاية عمن ارتد وكفر** بعد ايمانه يعنى ابن ابى سرح والكاتب النصرانى كما مر **ونحن** معاشر علماء الدين او علماء الحديث **لا نقبل خبر المسلم المتهم** اى الذى جرح وطعن فيه المحدثون مما بينوه فى باب الجرح والتعديل مع اسلامه وعلمه لا يقبل خبره لعدم عدالته **فكيف بكافر قد افترى هو ومثله** من الكفرة الفجرة اى اتصف بانه كاذب مفتر **على الله** ما ادعاه شريكا وولدا ونحوه **ورسله** بنسبتهم لما لا يليق بهم **ما هو اعظم من هذا** المذكور عنهما وكيف هنا للاستفهام الانكارى التعجبى نحو كيف تكفرون بالله والمصنف

اكتب م

يتحملونه للترقي من امر لا اعظم منه كما هنا والعجب لسليم العقل اي انه يتعجب ممن سلم عقله من الافات والحماقة وشوايب السفه والالتباس بشغل بمثل هذه الحكاية يعني حكاية الكاتبين سره السر هو الامر الخفي والمراد به هنا فكره او قلبه ويشغل بزنة يعلم اي يجعله مشغولا وهذه جملة مستانفة لبيان وجه التعجب وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين مبغض بوزن مصلح من البغض ضد المحبة وروي مفتر به العين المعجمة وروي بنون وقاف وصاد مهملة من النقص ضد الزيادة مفتر على الله ورسوله لانه قال انه صلى الله عليه وسلم يوهم وقوله وان الله لم يوجه اليه وكل منهما كذب على كل منهما ولم يرد عن احد من المسلمين انه ما روي ما ذكر عن ابن ابي سرح والكاتب النصراني ولم يصح احد منهم ما قاله ولم يثبت قولهما له صلى الله عليه وسلم ما ذكر ولا ذكر احد من الصحابة انه شاهد ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما او ما قاله كل واحد منهما له وهذا ابو بكر الثاني وافتراه على نبي الله صلى الله عليه وسلم وهذا ابو بكر الثاني وانما يفتري الكذب من لا يؤمن بايات الله وفي نسخة الذين لا يؤمنون بايات الله واولئك هم الكاذبون حقيقة لعدم كذبهم بالنسبة للكذب على الله ورسوله كالعدم في المشاهدة عنده ابو ذر فكم من كذب مصص وحاصله ان مثله مما يشهد العقل بكذبه مما لا ينبغي ذكره فانه مما يسود وجوه القراطيس بلا فايدة وانما ذكره لازالة الشبهة عن العقول القاصرة وتبيين حاله فلا وجه للانكار على المص وايراده له بعد ما بين مراده وما وقع من ذكرها اي ذكر هذه القصة وافرادها ستوا مقالتهما حتى صار الامر واحدا من حديث انس المروي عنه وما وقع من ظاهر حكايته لها بنقلها فليس فيه اي في الحديث ونقله لغيره ما يدل على انه شاهدها اي ابصرها وحضرها والشاهد عندهم ما يدل على صحة الحديث من رواية من طريق اخر تقوى به كالمتابعة والفرق بينه وبين المتابعة مذكور في مصطلح الحديث ولعله اي انس رضي الله عنه حكى ما سمع من غير جزم به ولا قول بصحته وفي قوله لعله اشارة الى انه متردد فيه ايضا وقد علل البزار حديثه اي حديث انس رضي الله عنه ذلك المذكور فاشار الى ان فيه علة قادحة في صحته وقال في بيان ذلك انه رواه ثابت عنه اي عن انس ولم يتابع عليه اي لم يرو من طريق اخر يعضده غير طريق ثابت عنه ورواه حميد بالتصغير عن انس قال اي البزار واظن حميدا انما سمعه من ثابت لا من طريق اخر فلا يكون متابعة وحميد هذا هو حميد بن عبد الرحمن وقيل غير ذلك وهو يروي عن انس وغيره وكان له طول في يده توفي وهو قايم يصلي سنة اثنين واربعين ومائة ووثقوه وقيل انه يدلس واخرج له الستة ولا يخفى ان حديثه الذي رواه المص اخرجه البخاري فقال انه كان رجل نصراني فاسلم وقرا البقرة وال عمران فكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد فانطلق هاربا حتى لحق باهل الكتاب فعجبوا به الحديث وهو حديث صحيح فرد المص له غير

ابن فارس

صحيح والذي ينبغي له ان يقول ان من قال له كذب وافترى ولا يقدح في اصل القصة وصحتها فانها مروية في الصحيحين كما تقدم قال القاضي ابو الفضل عياض المؤلف رحمه الله ولهذا اي لما ذكر مما سمعته انفا من انه لا شاهد له ولا متابعة لم يخرج اهل الصحيح حديث ثابت ولا حميد والصحيح حديث عبد العزيز ابن رفيع وهو مما رواه البخاري ومسلم كما تقدم واخرجه البخاري في علامات النبوة عن ابي معمر عن عبد الوارث بن سعيد عن عبد العزيز بن رفيع عن انس وعبد العزيز هذا توفي في سنة ثلاث ومائة وقوله الذي خرجه اهل الصحة صفة حديث واهل الصحة الذين يروون الاحاديث الصحيحة كالبخاري ومسلم وذكرناه وليس فيه اي في الحديث المذكور في هذه الرواية عن انس قول شيء من ذلك الذي ذكره السايل من المطاعن من قبل نفسه بكسر القاف وفتح الموحدة اي لم يرو فيه انه صلى الله عليه وسلم قال له من قبل نفسه لم يوح به اليه الا من حكايته عن المرتد النصراني وهو مفتر على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم واما ما قاله ابن ابي سرح فسياتي بيانه ولو كانت القصة صحيحة من جهة الرواية لما كان فيها اي في هذه الحكاية التي افتراها النصراني عدو الله المرتد قدح اي عيب ونقص في مقام النبوة من قدح كمنع اذا طعن فيه ولا توهم اي نسبته الى الوهم بفتح الهاء وهو الغلط وبسكونها ذهاب الوهم لشيء كما في الصحاح وفي بعض النسخ توهين بالنون من الوهن وهو الضعف اي نسبة لما يوهن جانبه بما لا يرضى له للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه من ربه وليس مثله مما يعتريه ولا جواز للنسيان والغلط عليه فيما طريقه البلاغ من الوحي كما توهمه السايل والتحريف تفعيل من الانحراف وهو الميل عن الحق والمراد به التبديل والتغيير فيما بلغه عن الله ولا طعن في نظم القران بان يقال انه اثبت فيه ما ليس منه من كلام الكاتب الكاذب ولا طعن في انه من عند الله وانه فيه ما ليس منه بشبهة بل الناظر يعتبرها اذ ليس فيه اي فيما قاله الكاتب لو صح ما قال له اكثر من ان الكاتب المذكور قال له صلى الله عليه وسلم عليم حكيم مثلا او كتبه اي ما ذكره ونحوه وهو يملي ويكتب ما يلقيه لفهم خاتمة الكلام من ابتدايه على طريقة الارصاد البديعي وهو ان يورد نظما او نثرا يفهم اخره من اوله قبل تمامه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك هو اي لفظ القران مثل ما قلت وما يتبادر لفهمك لذكا بك الذي دلك على مقطع الكلام الدال عليه اوله وسبقه لسانه او قلمه اي سبق النبي صلى الله عليه وسلم لسان الكاتب او قلمه لما سيمليه عليه وتوارد معه لكلمة واحدة مثل عليم او حكيم او كلمتين كغفور رحيم لانتقاله من سباق الكلام لذلك مما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم بالوحي الذي املاه عليه قبل اظهار الرسول لها اي لخاتمة الكلام من كلمة او كلمتين او الضمير للكلمة ويعلم منه الكلمتان وما قدمناه اولى

اذ كان ما تقدم مما املاه الرسول صلى الله عليه وسلم بيان لما نزل عليها
اي على الخاتمة او الكلمة وبمقتضى وقوعها في اخره وخاتمته بقوة قدرة الكاتب
على الكلام بان سبب سبقه واثقاله لكونه من صميم العرب الناشئين في حجر
البلاغة المرتضعين لثديها ومعرفته به ببليغ الكلام نظما ونثرا وصياغته
وصبه في قالبه وجودة حسه المدرك له وفطنته اي سرعة التفاته له قبل
اتمامه كما يتفق ذلك الانتقال للعارف باساليب الكلام اذا سمع البيت
من الشعر اذا انشد ان يسبق فهمه لقوة ادراكه الى قافيته اي اخر كلمة منه
قبل الوصول اليها او اذا سمع مبتدا الكلام واوله الحسن اي الفصيح المنسجم
وقيده به لانه هو يرتبط بعضه ببعض وتتناسب كلماته وتتعلق وتتلازم بخلاف
المتنافر كلماته فتتنافر وتتلازم بخلاف المتنافر كلماته الى ما يتم به من خواتمه
ولا يتفق اي يقع اتفاق ذلك اي سبق الفهم من اول الكلام الى اخره في جملة
الكلام اي لا يقع ذلك في الكلام بتمامه بان يسبق فهمه الى خطبة او قصيدة بتمامها
فان النوادر في مثله بعيد جدا كما وقع للصدر بن الوكيل مع ابن اسرائيل لما ادعى
قصيدة له وتحاكما فيها عند ابن الفارض فحكم بها للصدر فقال قائل انه من
وقع الحافر على الحافر فقال وقع الحافر على الحافر من الاول الى الاخر في القصة
المشهورة وقيل مراده بجملة الكلام انه ليس كل كلام تدل فاتحته على خاتمته والظاهر
الاول لقوله كما لا يتفق ذلك في اية ولا سورة بتمامها من الايات والسور
ثم شرع في الجواب عن قصة ابن ابي سرح بعد ما اجاب عن قصة النصراني وقدمها
لصحتها وظهور جوابها فقال وكذلك اي مثل هذه القصة قوله صلى الله عليه
وسلم فيما تقدم في قصة ابن ابي سرح لما قال بعد ردته كنت اصرف محمدا حيث
اريد كان يملي علي عزيز حكيم فاقول او عليم حكيم ان صح انه كان يقول ذلك كل
صواب مما امليته وقلته انت فقد يكون هذا الذي وقع له مع ابن ابي سرح
فيما كان فيه من مقاطع الاي جمع اية وفي نسخة الايات وضميرفيه لما اوحي اليه
من القران والمقاطع جمع مقطع وهو اخر الكلام وفواصله وجهان وقراءتان علمهما
بالوحي فاملى عليه احداهما وذكر الكاتب الاخرى فلذا قال له صلى الله عليه وسلم كل
صواب لانهما انزلتا جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم فاملى صلى الله عليه وسلم
احداهما على ذلك الكاتب وتوصل الكاتب المذكور لما ذكره بفطنته ومعرفته
باساليب البلاغة بمقتضى الكلام اي بما تقتضيه مقاماته ويدل عليه سياقه الى
القراءة الاخرى التي ذكرها الكاتب ظانا انه ابتكرها فذكرها للنبي صلى الله
عليه وسلم اي القراءة الاخرى ذكرها كانه توارد من حيث العربية على نظم القران
النازل على اساليب كلامهم فتوهم ان الرسول صلى الله عليه وسلم قرا كلامه وقوله
قبل ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لها اي لتلك الكلمة او الكلمتين فصوبها له اي
قال له انها صواب لموافقته لما اوحي اليه وهي معتد ارلا اعجاز فيه ثم احكم

الله

الله من ذلك الذي انزله على رسوله صلى الله عليه وسلم فاملاه عليه ما احكم
اي اثبته واتقنه ونسخ ما نسخ اي ما اراد نسخه لفظا ومعنى او لفظا لا معنى
وعكسه لما فصل في كتاب الناسخ والمنسوخ وحاصله ان ما قاله ابن ابي سرح
لا يضير فيه فانه سبق النبي صلى الله عليه وسلم لكلمات وافق فيها لفظه لفظ القران
وصوبه النبي صلى الله عليه وسلم واقره عليها فلما ارتد واضله الله قال ما قال
ثم اسلم عام الفتح وحسن اسلامه حاله بعد ذلك ومحا الله عنه ما افتراه حال
ردته سواء كان ما قاله موافقا لما املاه عليه او مخالفا له على انه قراءة اخرى
وقد يتحالف القراءات لفظا ومعنى واما الممنوع فيها التناقض كما قد وجد ذلك
اي تخالف القراءات في بعض مقاطع الاي وهي فواصلها واواخرها التي هي في
النثر كالقوافي في الشعر مثل قوله تعالى حكاية عن عيسى صلى الله عليه وسلم
ان تعذبهم فانهم عبادك تفعل بهم ما تريد وان تغفر لهم ذنوبهم وعصيانهم
فانك انت العزيز القوي القادر على الثواب والعقاب الحكيم اي الواقع
جميع افعاله على مقتضى الحكمة لا يسال عما يفعل لحكمته البالغة وان لم يظهر لنا
وجهه وهذه القراءة قراءة الجمهور اي اكثر القراء وهي القراءة المتواترة وقد يتوهم
في بادي النظر ان المناسب للمغفرة الغفور الرحيم بدل العزيز الحكيم وقد قرا
جماعة من الصحابة في الشواذ فانك انت الغفور الرحيم بدل قوله فانك انت
العزيز الحكيم القراءة المتواترة وليست هذه القراءة الشاذة في المصحف العثماني
المسمى بالامام المجمع على القراءة بما فيه وترك ما عداه وظن بعضهم ان القراءة الشاذة
هي المناسبة هنا وليس لهذا وجه لمن له معرفة بدقائق البلاغة فان المعنى انك
ان تغفر ذنوبهم فليس ذلك عن عجز لانك عزيز غالب على كل من سواك ولا قبح في
فعلك لانك حكيم ولو قال انك انت الغفور الرحيم اوهم الدعاء بالمغفرة لمن مات مشركا
وهو غير مستقيم اي ان تبقهم على كفرهم حتى يموتوا وتعذبهم فانهم عبادك وان تهدهم
لطاعتك وتغفر لهم فانت العزيز الذي لا يمنع عما اراد والحكيم في افعاله فيضل من
يشاء ويهدي من يشاء فلا وجه للطعن فيها بعدم المناسبة وقال ابن الانباري هذا
هو المناسب لان الغفور الرحيم يتقيد بالشرط الثاني والعزيز الحكيم يتعلق بالشرطين
اي ان تعذبهم او تغفر لهم فانك العزيز الحكيم في الامرين التعذيب والمغفرة فهو ابلغ
فتدبر وكذلك وقع في القراءات كلمات جاءت على وجهين متواترين في غير
المقاطع والاواخر كما جاء في المقاطع قراهما الجمهور من القراء العشرة المتفق على
قراءتهم وثبتا اي القراءة بالوجهين في المصحف العثماني المعول برسمه مثل
قوله تعالى وانظر الى العظام جمع عظم اي عظم الحمار وعظم الموتى التي عجب من
احيائها كيف ننشرها براء مهملة من النشر اي نحييها وبه قرا ابو عمرو وغيره وننشزها
بزاي معجمة بقراءة نافع وغيره اي نحركها ونرفع بعضها على بعض من النشز بمعنى المرتفع ومثل
قوله تعالى يقضي الحق بضاد معجمة ويقص في قراءة ابي عمرو وغيره اي يقضي القضا

نخ تكلم

رجي

نخ املى

المصحف العثماني نسبة لعثمان لانه جمعه

برسمه

الحق فى كل ما يقتضيه ونقص بصاد مهملة مشددة فى قراءة نافع وغيره اى يتبع الحق
فيما يحكم به ويقدره وكل هذا المذكور فى هذا الفصل لا يوجب اى لا يستلزم ولا
يقتضى ريبًا اى شبهة ولا يسبب بصيغة المضارع اى يكون سببا له صلى الله
عليه وسلم غلطا ينسب اليه فيما طريقه البلاغ ولا وهما بسكون الهاء بمعنى الغلط فهو
عطف تفسير وقيل انه بفتحها من وهم بهم اذا ذهب وهمه اليه وفيه نظر وقد قيل
ان هذا الذى وقع فى نسخة الكاتبين يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن النبى صلى الله
عليه وسلم فى مكاتبته الى الناس يدعوهم الى الاسلام ملوكا وغيرهم غير القرآن
فلا يريد ان يصف الله عز وجل هو اى اذن لكاتبه فى ذلك ويسميه فى ذلك
الكتاب الذى يكتبه لانه ليس قرآنا يجب اتباع نظمه كيف ما شاء اى لفظ مما يليق — كان صح
به ولذا قال له اكتب كيف شئت وكل صواب فصل هذا القول
المذكور فى هذا الفصل الذى قبل هذا من الوحى عن ربه واقع فيما طريقه
البلاغ اى تبليغ الناس ما امر بتبليغه عن ربه بالوحى واما ما ليس سبيله سبيل
البلاغ مما امر بتبليغه من الاخبار بيان لما الثانية وهى بفتح الهمزة جمع خبر التى
لا مستند اى لا استناد لها الى الاحكام الشرعية التى يتعبد بها ولا مستند
لها الى اخبار المعاد بفتح الميم اى احوال الغيبة والاخرة التى لا تعلم الا بالوحى ولا
تضاف اى تسند وتنسب الى وحى او امر اوحى به اليه من ربه كاخباره عن بعض
المغيبات ونحوها مما نقول انه اوحى به اليه بل اضراب انتقالى لبيان ما ليس
طريقه البلاغ وليس من الاحكام واخبار المعاد والوحى مما وقع ذكره فى احوال
الدنيا وفى نسخة امور الدنيا واحوال نفسه صلى الله عليه وسلم المتعلقة بامور نفسه
فالذى يجب شرعا علينا اعتقاده والجزم به تنزيهه صلى الله عليه وسلم وتبرئته عن
ان يقع خبره الذى اخبر به فى شئ من ذلك المذكور من احوال الدنيا واحوال نفسه
وذاته ملتبسا بخلاف مخبره بضم الميم وفتح الباء اسم مفعول اى غير مطابق لما
اخبر عنه بوجه ما لا عمدا لانه لا يكون كذبا لا يليق بمقامه ولا سهوا ولا غلطا هو
لاعتقاد ما ليس واقعا واقعا وانه بفتح الهمزة معطوف على تنزيهه معصوم حفظه
الله عن صدوره منه فى جميع احواله فى حال رضاه اى كونه غير غضبان ولا
مكره على اخباره وفى حال سخطه بفتحتين او بضم فسكون اى كراهته وعدم
رضاه وجده بكسر الجيم وهو ضد الهزل والمزح الذى اشار اليه بقوله ومزحه
اى مزاحه وهزله فانه صلى الله عليه وسلم كان يمزح احيانا ولا يقول الا حقا وفى
حال صحته اى صحة مزاجه وسلامته من الامراض ومرضه اى عروض بعض
الامراض البشرية عليه ودليل ذلك المذكور من عصمته فى اخباره وجميع احواله
اتفاق السلف اى من تقدم عصره فى هذه الامة واجماعهم عليه اى على انه لا
يوجد عنه خبر يخالف مخبره اصلا وذلك انا نعلم يقينا من دين الصحابة رضى
الله عنهم والدين اما بمعنى الديانة او بمعنى العادة فقوله وعادتهم عطف تفسير

اى

اى دابهم الذى استمروا عليه او الدين بمعنى الطاعة والانقياد له مبادرتهم اى
اسراعهم من غير توقف وتردد وفى نسخة مبادرتهم فهو حال مما قبله اى مسارعين
الى تصديقه صلى الله عليه وسلم بقبول ما يقوله فى جميع احواله السابقة
من جده وما بعده والثقة اى الوثوق والاعتماد لتصديقهم بجميع اخباره
فى اى باب اى نوع من الانواع كانت اخباره واى شئ وفى نسخة وعن اى
شئ وقعت وصدرت منه وباى سبب فى اى حال من احواله وانه اى الامر
والشان لم يكن لهم توقف تفعل من الوقف اريد به الشك والريبة ولا
تردد مرادفا حقيقته تحيرهم فى الشك وعدم الوثوق فى شئ منها اى من اخباره
بل بمجرد السماع يجزمون بتحقق خبره كانهم عاينوه فيتلقونه بالقبول وانشراح
الصدر ولا استثبات عن حاله اى حال خبره او عن احواله صلى الله عليه
وسلم فى اخباره والاستثبات بسين مهملة ومثناة فوقية ومثلثة وموحدة ومثناة
مجرورة وهو طلب الثبوت بسؤال ونحوه عند ذلك اى فى زمان اخباره فلا يخطر
ببالهم ولا يقولون هل وقع فيها سهو ام لا اى هل صدر اخباره سهوا منه او
عمدا او غيره وهذا بيان لاستثباتهم وهذا دليل على انه لم يقع منه ذلك واما عدم
جوازه عليه وان كنا نعتقده ايضا فليس بمراد فلا وجه لما قيل من انه انما — ابى افنيرس
يدل على عدم الوقوع لا على عدم الجواز فلعلنا نريد ان نطلب الدليل على امتناعه
ولما احتج اى تمسك واستدل ابن ابى الحقيق بصيغة التصغير علم بهذا الشخص
اليهودى وبنو الحقيق طائفة من يهود خيبر له بها حصن منهم كنانة بن الربيع
ابن ابى الحقيق زوج صفية بنت حيى بن اخطب ام المومنين رضى الله عنها وله قصة
فى السير وليس هو هذا لانه قتل فى زمنه صلى الله عليه وسلم واما هذا فلم يذكروا
اسمه ولهذا الحديث رواه البخارى فى حديث اجلاء يهود خيبر على عمر بن
الخطاب رضى الله عنه متعلق باحتج ويحتمل انه يريد ابن ابى الحقيق جامعهم
كابن ادم للناس لقوله حين اجلاهم من خيبر اى اخرجهم وطردهم منها فى
زمان خلافته رضى الله عنه وهى بلاد بقرب المدينة لليهود علم ممنوع من الصرف والجار
متعلق باجلاهم باقرار اى جعلهم قاطنين فيها ساكنين من غير اخراج لهم من رسول الله
صلى الله عليه وسلم لهم اى لبنى الحقيق متعلق باقرار فعل منه صلى الله عليه وسلم حجة على عمر
رضى الله عنه واحتج عمر رضى الله عنه اى اقام الحجة عليه ردا لما احتج به بقوله صلى
الله عليه وسلم لذلك اليهودى من بنى الحقيق كيف بك اذا اخرجت من بلادك
اى فى اى حال يكون اذا وقع بك ما يصيبك واجليت من بلادك ونفيت منها فهذا
يدل على عدم دوام اقراره لهم كما ظن فهو متضمن لخبر صادق منه فقال له اى
لعمر رضى الله عنه اليهودى المذكور ردا لما احتج به كانت منه صلى الله عليه وسلم
كيف بك الخ هزيلة تصغير هزلة وهى المرة من الهزل ضد الجد كما فى النهاية من
ابى القاسم هى كنيته صلى الله عليه وسلم كابى ابراهيم اى انما قال هذا على طريق الهزل

والمزح فلا دليل فيه فقال عمر رضي الله عنه مجيبا له كذبت يا عدو الله اي لم يقل صلى الله عليه وسلم ذلك هزلا ولو كان مزحا ايضا فهو لا يمزح الا بحق وذلك العدو يعتقد خلاف ذلك عنادا منه وجهلا بمقام النبوة وتحقيرا له لعنه الله والصحابة لا يقولون بشيء من ذلك وهذا الحديث رواه الشيخان عن ابن عمر مفصلا في خطبة لعمر رضي الله عنه وكان صلى الله عليه وسلم اقرهم بها على ان يكون ثمارها بينه وبينهم ثم اقرهم ابو بكر رضي الله عنه على ما اقرهم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اقرهم عمر رضي الله عنه في اول خلافته على ذلك ثم لما ظهر له غدرهم بابن عمر اجلاهم منها واعطاهم قيمة ما لهم من الثمار والاموال واخرجهم لتيما واريحا من جانب الشام لحديث لا يجتمع بجزيرة العرب دينان كما فصل في السير والبخاري وشروحه وكانت محاججة اليهودي له عند ذلك كما تقرر

وايضا اي مثل ما ذكر في الدلالة على عصمته صلى الله عليه وسلم في جميع اخباره **فان اخباره** المروية عنه صلى الله عليه وسلم **واثاره** جمع اثر بمعنى خبر يؤثر وينقل عنه **وسيره** جمع سيرة وهي الصفة الحميدة **وشمائله** جمع شمال بكسر الشين وهي صفاته الذاتية الحسنة **معتنى بها** نقلا وخطا اسم مفعول من العناية بمعنى الاشتغال والاهتمام **مستقصى** اي مستوفاة متتبعة من اولها الى اخرها وانضاها تتبعا تفصيلها اي مفصلة مبينة كلها **ولم يرد عنه في شيء منها** اي من الاخبار والاثار والسير **استدراكه** اي تداركه صلى الله عليه وسلم بالرجوع عما فرط منه للصواب فيه **لغلط في قول قاله** فيما ذكر من الاخبار وغيرها **او اعترافه** واقراره **بوهم** اي غلط **في شيء اخبر به** احدا من اصحابه **ولو كان** اي وقع منه شيء من ذلك **لنقل** الينا **كما نقل** فيما رواه مسلم عن طلحة وانس وغيرهما **في قصة رجوعه** صلى الله عليه وسلم اي تحوله عن رايه لغيره **عما اشار به على الانصار في تلقيح النخل** التلقيح وانه يجعل شيء من طلع الذكر في الانثى لتحصيل ثمرها وبلحها وهو بمنزلة النطفة للحمل جرت العادة بخلقه الهية الخفا لا تتغير به وقد وكان صلى الله عليه وسلم مر بهم وهم يفعلون ذلك فقال لهم عنه فاخبروه فقال لهم دعوه فتركوه امتثالا له صلى الله عليه وسلم فلم يثمر نخلهم في ذلك العام فلما اخبروه بذلك قال لهم انتم اعرف بدنياكم لعدم معرفته صلى الله عليه وسلم بامر من هذه الامور الدنيا في عصمته وانه لم يخبر بما يخالف الواقع لان جل همه صلى الله عليه وسلم امور الاخرة والشرايع وقوانينها وغيره انما جل قصده العلم بظاهر من الحياة الدنيا وهذه القصة رواها مسلم كما علمت بسند صحيح وفيه ان ثمرها خرج شيصا وهو البسر الذي لا نوى له وقال المصنف هو ردي البسر الذي اذا يبس صار حشفا **وكان ذلك** الامر الذي اشار عليهم به النبي صلى الله عليه وسلم بقوله لو لم تفعلوا كان خيرا **رايا** اشار به عليهم بناء على رايه صلى الله عليه وسلم في ترك الاسباب الظاهرة والنظر لمسببها كما هو داب الكمل ولو كان اعتقادهم واعتمادهم على الله مثله صلى الله عليه وسلم لم يتخلف ذلك ولذا فوض لهم صلى الله عليه وسلم امر دنياهم نظرا لقلوبهم **لا خبرا** اخبرهم به يكون وقوع خلافه كذبا حاشاه الله منه ولا غلط فيه لانه اجتهاد تغير بحسب الظاهر فلا نقص ولا يطعن به عليه وفيه انشدوا

ان الرسول لسان الحق للبشر ... بالامر والنهي والاعلام والخبر
هم اذكيا ولكن لا يصد فهم ... ذاك الذكا لما فيه من الضرر
الا تراهم لما ابروا النخيل وما ... قد كان فيه على ما فيه من ضرر
هم سالموه من الافكار ان شرعوا ... حكما علي وتحريم على البشر

وغير ذلك مما صدر منه **من الامور التي ليست من هذا الباب** مما يخبر عن الاخبار فيه مما يخالف مخبره من امر الشرع والمعاد **كقوله صلى الله عليه وسلم** في حديث رواه الشيخان عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه في غزوة تبوك لما ساله صلى الله عليه وسلم بعض الصحابة ان يحملهم فقال والله ما عندي ما احملكم عليه فاتي بعد ذلك بابل فاعطاها لنا ابلا وقال ما انا حملتكم ولكن الله حملكم ثم قال **والله اني لا احلف** اي اقسم **على يمين** المراد باليمين المتعلق بمعنى القسم هنا والمراد المقسم عليه من فعل او ترك قال الزمخشري سمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه به واصله العقد بنية وعزم وفيه اشارة الى انه يمين لغوا لا ينعقد واصل اليمين اليد اليمنى فسمي به لانهم كانوا ايمانهم يمسكون بها اذ حلفوا **فارى غيرها** اي اعلم غير اليمين المحلوف عليها واليمين مونث بجميع معانيه فكني بضميرها عن المحلوف عليه اعني تركه صلى الله عليه وسلم حملانهم لانه سببها **خيرا منها** اي احسن من فعلها **الا فعلت الذي حلفت عليه** اي الامر الذي اقسم على ان لا يفعله كترك حملانهم هنا **وكفرت عن يميني** بكفارته المعروفة شرعا وليس هذا غلطا فيما طريقه البلاغ والخبر لانه انشا قسم قال ابو موسى رضي الله عنه وكان صلى الله عليه وسلم لما حلف ان لا يحملنا ثم ارسل الينا وحملنا فقلت انسيها اقسم عليه والله لئن فعلنا ما فيه حنث له صلى الله عليه وسلم لا نفلح فلنذكره فرجعنا وذكرنا له ذلك فقال انطلقوا انما حملكم الله ثم قال والله اني لا احلف على يمين الخ وبه استدل على ان الحنث بما هو خير يمين وليس فيه انه حنث في هذه اليمين وكفر لانه يحتمل انه لم يكن عنده ما يحملهم عليه لما اقسم ويحتمل انه قال ان شاء الله **ومن هذا القبيل قوله** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن ام سلمة رضي الله عنها **انكم** معاشر الامة **تختصمون** اي تاتون لفصل الخصومة **الي** اي عندي اقرا **الحديث** الخ وتمامه ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض اي افصح فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن اقتطعت له من اخيه شيئا اي ليس حقه فلا ياخذه فكانما اقتطع له قطعة من نار فليحملها او ليذرها وفيه تنبيه على بشريته صلى الله عليه وسلم وانه لا يعلم الغيب وانما يحكم بالظاهر وقد كان له صلى الله عليه وسلم الحكم بالباطن لاطلاع الله له عليه كما ذكره السيوطي ولكن هذا الغالب احواله صلى الله عليه وسلم تعليما لامته حتى يقتدوا به **وقوله** صلى الله عليه وسلم للزبير رضي الله عنه في حديث روي في الكتب الستة من امره صلى الله عليه وسلم للزبير ان يسقي نخله ولا يمنع الماء عن جاره كما رواه من الانصار فقال له الانصاري ان كان ابن عمتك فقال صلى الله عليه وسلم **اسق حتى يبلغ الماء الجدر** اسق بهمزة وصل امر من سقى وقيل بهمزة قطع من اسقاه والجدر بفتح الجيم وسكون الدال المهملة وقيل بمعجمة تليها راء مهملة وروي بضم الجيم جمع جدار ومعنى الاول ما

مطلب كان له صلى الله عليه وسلم الحكم بالباطن لاطلاع الله له عليه

يا زبير

رنع كالجدار يحبس الماء السقى اوهو لغة فى الجدار وقيل اصل الجدار وعلى الاعجام
تمام الشرب من جذر الحساب ويجوز كسر جيمه ومعناه الاصل وقيل هو اصل الحائط
وحاصل ما ياتى فى ذلك انه كان رجل انصارى خاصم الزبير ابن عمته صلى الله عليه وسلم
فى شراج الحرة فى الماء الذى يسقى به النخل وقال له ارسل الماء الى فتنازعاه صلى الله
عليه وسلم فقال له اسق يا زبير ثم ارسل الى جارك فقال ان كان ابن عمتك فتلون وجهه
صلى الله عليه وسلم فقال اسق يا زبير واحبس الماء حتى يبلغ الجدر وفيه نزل
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم وان الرجل المخاصم قيل هو حاطب
ابن بلتعة ولا يصح لانه ليس انصاريا وقيل ثابت بن قيس وقيل ثعلبة بن حاطب وقيل
حميد وقيل انه بدرى ونقل ابن الملقن رحمه الله انه منافق من الانصار وسيأتى
نقله عن الزجاج كما سيتبين كل ما فى هذا الحديث وما معه قريب اخر الكتاب
من مشكل ما فى هذا الباب والباب الذى بعده واتى بقوله ان شاء الله للتبرك
امتثالا لا مع اشباهها لقوله تعالى ولا تقولن لشى انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله مع اشباهها اى اشباه وامثال
ما فى الباب واتى باعتبار المعنى اى اشباه هذه المشكلات وايضا اى مثل ما ذكر من الجواب
فان الكذب متى عرف من احد فى شى من الاخبار بخلاف ما هو عليه فى الواقع
والاولى ترك هذا لان الكذب لا يكون الا كذلك وقد اطنب المص وطول بالافادة
فيه وكان يمكن اختصار هذا فى كلمات قليلة على اى وجه كان سواء كان هزلا او
جدا كالحكاية التى ينقلون الحكايات الباطلة مع علمهم بها للتلهى بها كما هو معروف الان
استريب بخبره اى اوقع الناس فى ريبة وشك فيما يخبر به حتى لو صدق لم يصدق
واتهم فى حديثه الذى يحدث به الناس ولم يقع قوله فى النفوس موقعا اى لم يقبل
ولم يلتفت اليه ولهذا اى لكون الكذب يوقع فى ذلك ما ترك المحدثون ما زائدة
وفى نسخة حذفها والعلما من عطف العام على الخاص اى علما الحديث والفقها وغيرهم من
اهل العلم الحديث مفعول لترك عمن عرف بالوهم بفتح الهاء بمعنى الغلط وهو بسكونها
بمعنى الوقوع فى القوة الواهمة وفيه تفصيل فى كتب اللغة والغفلة اى الذهول وعدم
معرفة الامور وسوء الحفظ وكثرة الغلط عطف تفسير على سوء الحفظ اى كون حفظه
سيئا غير قوى مع ثقته اى كونه ممن يوثق منه لديانته وعدم تعمده الكذب فى
ما يحدث به ومع ذلك يترك رواية الحديث عنه لانه قد يقع فيما لا اصل له لغفلته
وقلة حفظه واذا كان هذا لخطا لكنه الواقع غير مقصود فما بالك بالكذب ممن عرف به
ولا يرد على المص انه اذا حدث من اصل صحيح عنده نقل و انه منه لا عن ظهر قلبه
وحفظه وانه لا يشترط فى هذه الاعصار ذلك ابقاء لسلسلة الحديث لانه اذا حدث
عن اصل كان الاعتماد عليه لا على حفظه وما ذكره هو الذى عليه علما الحديث المعتمد عليهم
وايضا اى مثل ما ذكر فى عدم الاعتماد على من يكذب فان تعمد الكذب فقصد ادا الفا
فى جواب شرط مقدر نحو ان احطت بما ذكر خبرا وعلمته فى امور الدنيا فضلا عن
الحديث والامور الشرعية معصية وذنب يذم به عاجلا ويعاقب عليه اجلا

ان

ان لم يغفر الله والاكثار منه كبيرة باجماع من ائمة الدين وهى كما قالوا تختلف
فى تعريفها وهل هى محصورة ام لا كما تقرر فى كتب الاصول وسنأتى الاشارة الى شى
من ذلك مسقط للمروة اى يذهب عند الله والمروة بهمزة او واو مشددة مصدر
من المرء كالرجولية والانسانية وكل هذا المذكور من الكذب وقبائحه مما
يزريه ويبعد عن مقامه ويبرا عنه منصب النبوة المراد بمنصبها مقامها
وهو فى اللغة بمعنى الحسب كما فى قول ابى تمام ومنصب نماه ووالد سما به واما استعماله
بمعنى الولاية السلطانية فمولد كقول ابن الوردى رحمه الله
نصب المنصب او هى جلدى وعنائى من مداراة السفل
كما تقدم والمرة الواحدة منه اى من الكذب وفى نسخة منها اى من هذه المعصية
فيما يستبشع اى يستقبح من البشاعة بموحدة وشين معجمة ويشاع اى يشيعه
الناس لشناعته وقوله فيما متعلق بمقدر اى معدود فيها الخ وفى نسخة يستشنع بنون
من الشناعة وهما بمعنى وفيها ايضا ويشيع بدل ويشاع مما يخل من الخلل بعرضه
ودينه بصاحبه المتصف به ويزرى اى يعيب وينقص ويحقر بقائله اى يجعله
متصفا بالخلل والنقص من ازريت عليه اذا عبته وفى نسخة صاحبها وقائلها
كما تقدم وقوله والمرة مبتدا خبره قوله لاحقة بذلك اى بما لا يليق بمنصب
النبوة او خبره مما وهى حال واما الكذب فيما لا يقع هذا الموقع اى لا يعد مما
يستبشع فان عددناها اى جعلناها من الصغائر دون الكبائر التى يترتب
عليها حد او وعيد على الخلاف فيها فهل يجرى على حكمها اى يوافق حكمها حكمها
ويتحد فى الخلاف فيها اى وقع الخلاف فيما قبلها هل يجوز صدوره من الانبيا عليهم
الصلاة والسلام قبل البعثة ام لا فذلك الخلاف هل وقع من ائمة الدين فى هذه ام لا
مختلف فيه اى وقع فيه خلاف من ائمة الاصول فمنهم من قال اختلف فيه ايضا
ومنهم من قال لا خلاف فى عدم وقوعه منهم لانه مما ينفر القلوب عنهم والكذب حرام
منه ما هو صغيرة وما هو كبيرة وقد يقترن به ما يصيره كفرا وقد يقترن بالصغيرة
ما يصيرها كبيرة لكونها تؤدى الى القتل او القتال كما قال الجوينى وليس هنا محل
تفصيله والصواب من هذه الاقوال تنزيه النبى صلى الله عليه وسلم ومقام النبوة
عن قليله اى الكذب وكثيره لا خلاف لعظيم قدرها وشرفها سهوه لعصمة الله
له عنه وعمده لمواطئه عند اذ عمدة النبوة بضم العين ما يعتمد عليه والمراد
به المقصود منها بالذات البلاغ والاعلام لمن ارسل اليهم مما اوحاه الله اليه والتبيين
لهم ما شرعه الله وتصديق من ارسله فى ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم من
التوحيد والشرائع التى جاء بها عن ربه وتجويز شى من هذا بانواعه على انبيا الله
قادح فى ذلك العمدة المقصود من بعثته وبلاغه واعلامه ووجوب تصديقه لان
من يجوز عليه الكذب فى شى ما لا يجزم عليه فيما بلغه عن الله وانما الاشارة للتقريب
فى الكذب بخبر الله وباشارة العبد فيما بعده تعظيما له وهو ظاهر وتجويزه ايضا

مشكك فيه اى فيما جابهم لا لنباس صدقه الواجب اتباعه بكذبه او دفع منه
ولو سهوا مناقض للمعجزة لايجابها تصديقه ولذا اثرت بها الدعوة فلينقطع امر
العتاب اى يعتقد قطعا بانه اى الامر والشان او الكذب بها فائدة الظاهر
فى قوله لا يجوز بسكون الواو وتشديدها على الانبيا كلهم خلف بضم الخا
وفتحها اى كذب فى القول الصادر عنهم وفى نسخة فى قول بوجه من الوجوه
وفى نسخة فى وجه اى فى اى شى كان سوا كان من قبيل البلاغ ام لا لا بقصد
ولا بغيره كالسهو ولا ابتداع اى لا ابتدا هل ديها ولا مع من تشاع
تنبيها لمن ثنا هل فى حقهم فى تجويز ذلك الخلف فى اقوالهم فجوزه عليهم حال
السهو فيما ليس طريقه البلاغ عن الله لعصمة الله لهم عن وصمته ومنهم بعض
الشراح القائل بانه لا دليل على عدم وقوعه منهم نادرا نعم جواب سوال
تقديره هل هذا شامل لما قبل النبوة فاجاب بانه يقطع بانه لا يجوز بعد النبوة
وبانه لا يجوز عليهم الكذب مطلقا قبل اظهار النبوة ولا الاتسام اى
الاتصاف من السمة به اى الكذب فى امورهم الخاصة بانفسهم واحوال
دنياهم اى الاحوال المتعلقة بالدنيا لهم او لاتباعهم لان ذلك اى الخلف فى القول
كان يزرى اى يعيب وينقص كما مر ويريب اى يوقع فى ريب وتهمة بهم فيوقع
الشك والتحير فى القلوب وهو مما ينزه عنه مقام النبوة وينفر القلوب اى قلوب
الناس عن تصديقهم فيما يبلغونه لهم بعد مبنى على الضم اى بعد ارسالهم وتبليغهم
او بعد العلم باتصافهم بالكذب ثم ايد ذلك بقوله وانظر امر لكل من له نظر
ومعرفة احوال اهل عصر النبى صلى الله عليه وسلم اى من عاصره فى مدة حياته
من قريش وغيرها من العرب انه باعتبار القبيلة وغيرهم من الامم كالروم
والعجم والحبش وسوالهم تفتيشا عن حاله فى اموره وسيرته بعد دعوته
وقبلها لما شاع صيته فى الافاق فى صدق لسانه اى صدق كلامه فان اللسان
يطلق على الجارحة والكلام وقوله فى صدق الخ بيان لحاله اى حاله الكاين فى صدقه
وما عرف به من ذلك بتشديد الراء والبنا للمفعول ويجوز تخفيفها والبنا
للفاعل واعتراف به مما عرف بهم ايضا كالاول واتفق النقل على عصمة
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم منه اى من جميع ما ذكر عمدا وسهوا قبل وبعد
مبنيان على الضم اى قبل البعثة وبعدها والمراد نقل علما الملة او نقل الناس بعضهم
عن بعض عصرا بعد عصر انهم لم يزالوا ينقلون خلفا عن سلف انه لم يقع منه ذلك
وعدم وقوعه يدل على عدم جوازه عليه فالمتوقف فيه لا يجوز وتحقيقه كما قاله
العلامة العلاى فى تاليف افرده لشرح هذا الحديث ومن خطه نقلت وعبارته اتفق
جميع اهل الملل والشرايع على وجوب عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام عن تعمد
الكذب فيما دلت عليه المعجزة القاطعة على صدقهم فيه وذلك فيما طريقه التبليغ عن
الله من دعوى الرسالة وما تبليغ عليهم من الكتب الالهية اذ لو جاز ذلك ادى الى

ابن قبرس

ابن قبرس

ابطال دلالة المعجزة وهو محال واما السهو والنسيان فقال الامدى اختلف
الناس فيه فذهب ابو اسحاق الاسفراينى وكثير من الايمة الى امتناعه وذهب
القاضى ابو بكر الى جوازه وادعى الفخر الرازى فى بعض كتبه الاجماع على امتناعه ونقل
الخلاف فيه فى بعضها وحاصل الخلاف يرجع الى ان ذلك داخل تحت دلالة المعجزة
على التصديق فمن جعله غير داخل فيها جوزه لعدم انتقاض الدلالة وفى كلام
امام الحرمين ان ذلك فيما يتعلق ببيان الشرايع سوا كان قولا او فعلا نازلا منزلة
قوله فى اقتضا البيان وميل كلامه الى جواز السهو فيه واحتج بقصة ذى اليدين
وفى التحقيق الزملكانى انه الذى يظهر ان ما طريقه البلاغ يقطع بدخوله تحت دلالة
المعجزة على الصدق فهذا لا نزاع فى انه لا يجوز فيه التحريف ولا الكذب ولا السهو
وما لا يكون كذلك وهو ما طريقه التبليغ وبيان الشرايع فهل يجوز فيه النسيان
وهذا محل الخلاف ويحمل اطلاق الفخر الاجماع فيه على الاول وذكره الخلاف على الثانى
وكذا كلام الامدى محمول على هذا التفصيل وقال الباقلانى فى كتاب الانتصار
المعجزة تدل على صدق النبى صلى الله عليه وسلم فيما يذكر به وهو عامد له وذاهل
النفس وطريان النسيان وبوادر اللسان لا يدخل تحت الصدق الذى هو مدلول
المعجزة ومن زعم ان فى تجويز ذلك القدح فى الثقة بتبليغ الانبيا عليهم الصلاة
والسلام فليس بشى فانه انما يكون ذلك لو جوز تقريرهم عليه وهو ممتنع واما
القاضى عياض فانه نقل الاجماع على عدم جواز السهو والنسيان فى الاقوال
البلاغية وخص الخلاف بالافعال وهو يرجع الى انه راجع تحت دلالة المعجزة
كما ذكرنا انتهى ثم اشار الى ما يوهم هذا مما قدمه بقوله وقد ذكرنا الخ واورد
سوالا وجوابا عما يرد على كلامه فقال فصل فان قلت فما
معنى قوله صلى الله عليه وسلم فى حديث السهو اى الحديث الذى روى فيه
سهوه فى صلاته والفا الاولى فى جواب شرط مقدر اى اذا علمت تنزهه صلى الله
عليه وسلم عن الخلف عمدا وسهوا فى انه قد تعرض لك شبهة وسوال عما
خالفه من هذا الحديث فتقول الخ والثانية فى جواب الشرط المذكور وتقول
القول بعضه مقدر اى ان قلت انك قررت عصمته عن السهو فما معنى قوله الخ
واعلم ان الراغب قال النسيان ترك الانسان ضبط ما استودع اما عن
غفلة واما لضعف قلب واما عن قصد حتى يذهب عن القلب وكل نسيان ذمه
الله فهو ما كان عن تعمد كونه وقوله انا نسيناكم لقا يومكم هذا وما لا فهو مرفوع
عنه كما فى حديث رفع عن امتى الخ وما نسب الى الله نحو قوله انا نسيناكم بمعنى
الترك كما قاله الزجاج وغيره لانه من لوازمه واصله عدم الحفظ والله منزه عنه
واما السهو فقد حكى المصنف فيما ياتى الفرق بينه وبين النسيان بمعنى وقال
ان السهو فى الصلاة جائز على الانبيا بخلاف النسيان لانه غفلة وافة والسهو
انما هو يشغل بال فكان النبى صلى الله عليه وسلم يسهو فى الصلاة ولا يغفل عنها وكان

بشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة تشغلا بها لا غفلة عنها ويأتي شرحه عند
ذكره له وقال الحافظ العلائي انه ضعيف معنى ولفظا اما الاول فلما في الصحيحين
من قوله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر انسى كما تنسون اي كما سبا فيما فيه واما
الثاني فقد قال الازهري السهو الغفلة عن الشيء وذهاب القلب عنه وسها
في صلاته غفل وكذا في الصحاح والمحكم وقال الراغب السهو خطا عن غفلة وقسمه
قسمين وفي النهاية السهو في الشيء تركه عن غير علم والسهو عنه تركه مع العلم وهو
قريب مما قاله الراغب وسيأتي تتمته قريبا وهذا الحديث رواه الشيخان ومالك
والترمذي وغيرهم ولم يروه المصنف من طريق الصحيحين بل من طريق غيرهما لما يأتي
فقال الذي حدثنا به الفقيه ابو اسحاق بن جعفر الذي تقدمت ترجمته
قال حدثنا القاضي ابو الاصبغ بن سهل قال حدثنا حاتم قال حدثنا
ابو عبد الله بن الفخار بن عمر بن يوسف المالكي القرطبي عالم الاندلس وزاهدها
وكان رحمه الله مجاب الدعوة توفي سنة سبع عشرة واربعمائة قال حدثنا ابو
عيسى يحيى بن يحيى الليثي كما تقدم قال حدثنا عبيد الله قال حدثنا يحيى تقدم
ايضا عن مالك امام دار الهجرة المشهور عن داود بن الحصين بمهملتين مصغرة
وصاد مفتوحة مهملتين وبالتصغير ونون وهو مولى عمرو بن عثمان مدني
ثقة يحتج به وان كان يرى راي الخوارج لكنه لم يكن داعية وروى عن عكرمة
ونافع وغيرهما وروى عنه مالك وغيره توفي سنة خمس وثلاثين ومائة عن ابي
سفيان مولى بن احمد اسمه وهب وقيل قزمان وهو ثقة يروي عن ابي هريرة
وغيره واخرج له الستة انه قال سمعت ابا هريرة تقدم بيانه وانه اختلف
في اسمه واسم ابيه على ثلاثين قولا اشهرها انه عبد الرحمن بن صخر الدوسي نسبة
لدوس قبيلة سميت باسم جدها دوس بن ثابت وكني بابي هريرة لانه اتى
بهرة وحشية لقومه وقيل انه صلى الله عليه وسلم هو الذي كناه بذلك وقد قدمنا
انه ممنوع من الصرف كما صرح به سيبويه ولنحاة المغرب فيه كلام بيناه حطاه في
كتاب السوانح يقول اي يحدث قال صلى لنا صلى الله عليه وسلم صلاة العصر في
جماعة هذه رواية الامام مالك في موطئه واختارها المصنف على رواية مسلم
وغيره لعلو سنده من طريقه ولترجيح اهل المذهب له فسلم في ركعتين اي بعد
ما فرغ منهما ومن التشهد وهذه رواية الموطا وقيل من ثلاث وله طرق مشهورة
اشهرها رواية ابي هريرة وقال ابن عبد البر ليس في اخبار الاحاد اكثر طرقا
من حديث ذي اليدين وفي طرقه اختلاف في تلك الطرق وفي سلامه هل هو من
ركعتين او ثلاث وهل الصلاة العصر او غيرها ومن وقعت معه القصة هل هو
ذو اليدين او ذو الشمالين وتفصيله انه رواية مالك عن السختياني عن ابن
سيرين عن ابي هريرة واخرجه البخاري وابو داود والترمذي والنسائي ورواه
الزهري من طرق خالف فيها في تسمية ذي اليدين ذا الشمالين وياتي ما فيه

صلى رسول الله

وفي

وفي انه لم يسجد للسهو وفي مسلم انه سجد سجدتين بعد السلام وفي البخاري
عن ابي سلمة انه صلى الظهر او العصر وسلم على راس ركعتين وفي رواية على ثلاث
وفي رواية انها كانت صلاة المغرب وقد رواها مفصلة الحافظ العلائي باسانيدها
ومتابعاتها وليس هذا مما يلزم ايراده هنا فقام ذو اليدين من صلاته ويسمى
ذا اليدين لطول يديه وكان يصلي خلفه صلى الله عليه وسلم وفي رواية ذو الشمالين
وقيل هما اسم رجل واحد وقال العلائي انه غيره على الصحيح وثبت من طرق ان ابا
هريرة رضي الله عنه كان حاضرا في هذه القصة كما صرح به في رواية المصنف وقوله
سمعت ابا هريرة يقول صلى بنا رسول الله الخ وفي رواية لمسلم صلى بنا صلاة الظهر
وفي اخرى الظهر او العصر وفي رواية احدى صلاتي العشي من طرق صحيحة كلها تدل
على ان ابا هريرة كان حاضرا بها قال العلائي ولا خلاف في ان اسلام ابي هريرة كان
سنة سبع ايام خيبر ولا خلاف بين اهل السير ان ذا الشمالين استشهد ببدر سنة
اثنتين قال ابن اسحاق هو عمرو بن عبد عمرو بن نضلة بن عمرو بن غبشان بن سليم
ابن مالك بن افصى من خزاعة حليف بني زهرة وقال محمد بن سعد الذي
قتل ببدر ذو الشمالين بن عبد عمرو حليف بني زهرة وذو اليدين رجل من العرب
بالبادية كان يجيء فيصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم وابن قول محمد بن عبد البر وقال
انه الذي عليه اصحاب السير والفقه ولذا روي عن ابي هريرة انه قال فقام رجل
من بني سليم وقيل ان ذا اليدين عمر الى خلافة معاوية وتوفي في ذي خشب وقال
الزهري انه ذو الشمالين بن عبد عمرو وغلط فيه وروايته فيها اضطراب وقيل انه لم
يغيره بتسميته ذو الشمالين ورد المصنف في الاكمال قول من غلط الزهري واختلفوا
ايضا في تسمية ذي اليدين فقيل الخرباق واختاره المصنف والنووي وابن الاثير وقال
ابو حاتم بن حبان ان الخرباق غير ذي اليدين وقال ابن عبد البر والقرطبي يحتمل انه
غيره وقد جمع بين الروايتين بتعدد الواقعة فاحدهما قبل بدر والمتكلم فيها
ذو الشمالين ولم يشهدها ابو هريرة بل ارسل روايتها والثانية حضرها والمتكلم
فيها ذو اليدين كما حكاه المصنف في الاكمال واختاره لما فيه من الجمع بين الروايات ونفي
الغلط عن مثل الزهري قال العلائي وفيه نظر لان فيها ما لا يمكن الجمع فيه ولا شك
ان ذا اليدين غير ذي الشمالين وقال بعضهم ان القصص ثلاث والكلام فيه طويل
لا يسعه هذا المقام فاعرفه فقال يا رسول الله اقصرت الصلاة روي كما
قال الحافظ العلائي بضم القاف وكسر الصاد بالبناء للمفعول وهي المشهورة وروي
بفتح القاف وضم الصاد وهذا الفعل سمع لازما بضم عينه وفتحها وهو متعد ككسرها
بالتشديد وانصرها على السواء كما حكاه الازهري ولا يقال ان قصر اذا كان مخففا
لا يتعدى الا بحرف الجر كقوله تعالى ان تقصروا من الصلاة لانا نقول تعديه بنفسه
ثابت حكاه الجوهري وغيره ومن زائدة عند الاخفش وعند سيبويه تعديه بنفسه
من الصلاة ومعناه يرجع الى الاختصار والكف ومنه قصر طرفه على كذا ام نسيت

نعم ان النسيان ترك ما لابد منه اما لغفلة او لضعف قلب حتى يزول تذكره وانه يلزم منه ما كان عمدا او بعيدا ربما لم يكن سببه منه كقوله رفع عن امتي الخطا والنسيان وانه اذا نسب الى الله فمعناه الترك كما قاله الزجاج وابن سيده وام منصلة ولابد ان يتقدمها استفهام لفظا او تقديرا امر تساوى ما دخلا عليه سوا كانا اسمين ام لا وتكون بمعنى اي الامرين ويكون السؤال عن احد الامرين لتعيين كما هنا والكلام عليها مفصل في كتب العربية **فقال صلى الله عليه وسلم** جوابا لذى اليدين **كل ذلك لم يكن** لما سلم صلى الله عليه وسلم وانتقص على ركعتين او ثلاث دار الامر عند ذى اليدين بين امرين النسخ او السهو فسال عن تعيين احدهما فحق الجواب تعيين احدهما لكنه اجاب بنفي كل منهما مصيبا ونفس الامر لا ينفك عن وجود احدهما وما ذكره صلى الله عليه وسلم بحسب ظنه لانه لا يقع الخلف في اخباره وذو اليدين تحقق عدم النسخ فتعين وقوع السهو كما سياتي والسؤال المقترن بام لطلب التعيين بعد الاستثبات يجاب بالتعيين فجوابه صلى الله عليه وسلم على حسب ظنه كما علم ونظيره قول ذى الرمة

تقول عجوز مدرجي متروحا ... على بابها من عند اهلي وغاديا
اذو زوجة في المصر ام ذو خصومة ... اراك لها بالبصرة العام ثاويا
فقلت لها لا ان اهلي جيرة ... لاكثبة الدهنا جميعا وماليا

فالجواب باحدهما انما هو اذا كان فيها احدهما والايجاب بنفيهما وقد يراد بذكر ثالث فيهما وانه لم يبال عنه وهذا مما لا شبهة فيه فان قلت كيف جوابه صلى الله عليه وسلم بنفيهما واحدهما محقق فيلزم الخلف في اقواله وخبره وهو لا يجوز عليه ذلك قد اجيب عنه كما في شرح مسلم بوجوه احدها انه نفي المجموع اي لم يكن لا هذا ولا هذا معا وهو لا ينافي وجود احدهما وقد رد هذا بان تصريحه بقوله لم انس ياباه فانه مذكور في الحديث في بعض الروايات وكونه مصروفا الى السلام كما قيل لا وجه له اي كما ياتي في كلام المص الثاني انه مبني على الفرق بين السهو والنسيان اي سهوت ولم انس وهو بعيد لانه وان كان بينهما فرق يستعمل كل منهما بمعنى الاخر الثالث انه نفي اضافة النسيان اليه وكره اضافته له كما ورد لا يقل احدكم نسيت فانه انما نسي اي خلق الله فيه النسيان وليس فعلا له وهذا ما قاله المص انه اختاره وهو ضعيف فانه فعله بلا شبهة وان كان بخلق الله الرابع انه اخبار عما في ظنه واعتقاده وكانه قال كل ذلك لم يكن في ظني ولو قال ذلك لم يكن فيه خلف وكذب والمنوى والمقدر كالمذكور كما لو حلف على شي يعتقده وهو غير واقع تكون يمينه لاغية كما ذهب اليه بعض الفقها فانه ليس مما كسبت القلوب وليس هذا مبنيا على ان الصدق والكذب باعتبار مطابقة الواقع وعدمها مما يخالف مذهب الجمهور فان ظنه ذلك واقع والنفي منصب على الظن فكان ذلك لم يكن لنفي القصر والعلم بالنسيان وهو صحيح واقع وكل ذلك روي كما قاله الكرماني

بالرفع

بالرفع والنصب وعليه يحمل انه لشمول النفي او نفي الشمول كما فصله اهل المعاني في قوله ۞ قد اصبحت ام الخيار تدعي ۞ على ذنبا كله لم اصنع ۞ وهذا البحث مع طوله شهرته تغني عن ذكره فان اردته فارجع الى المطول وحواشيه **وفي الرواية الاخرى** لهذا الحديث **اقصرت** اي الصلاة بالبنا للمفعول **وما نسيت الحديث بتمامه** وفي رواية لم انس ولم تقصر **فاخبره** اي اخبر صلى الله عليه وسلم ذا اليدين السائل له **بنفي الحالتين** يعني النسيان والقصر في الروايات كلها **وانها** اي كل حالة فيهما **لم تكن** وافرد الضمير المؤنث لتاويله باسم الاشارة وفي نسخة وانهما لم يكونا والحال انه **قد كان احد ذلك** المذكور وفي اسم الاشارة تنبيه على ما قلناه **كما قال له** صلى الله عليه وسلم ذو اليدين **قد كان بعض ذلك يا رسول الله** وهذا بيان لمحل الشبهة لوقوع الخلف في قوله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن كما بيناه انفا وفي قوله بعض ذلك اشارة الى نقيض القضية الاولى التي هي سالبة كلية بالموجبة الجزئية وليس هذا محله كالكلام على تقدم كل على النفي وتاخرها عنه كقول المتنبي ما كل ما يتمنى المرء يدركه وقد اطال الكلام في الشرح الجديد وقد اطال الكلام فيه في الشرح وقد تركنا الاطالة خوف الملالة **فاعلم وفقنا الله واياك** جملة دعائية معترضة **ان للعلما من المحدثين والفقها في ذلك** السهو الذي وقع له صلى الله عليه وسلم في هذه القضية **اجوبة بعضها بصدد الانصاف** الصدد معناه القرب هنا اي قريب من الانصاف يقال داره صدد داري اي في مقابلتها وقربها فهو ظرف منصرف والبا بمعنى في والانصاف العدل والاستقامة في الامور **ومنها** اي بعض الاجوبة **لما هو بتيه التعسف والاعتساف** دون بون وتخفيف مشددة وهي تكون بمعنى القصد وعند الطلب ولمعنى الجهة التي يذهب فيها وبمعنى البعد كالنوك كما في القاموس وغيره من كتب اللغة وهما ثابتان في الاستعمال ورد في نسخة في قبة من تاه يتيه اذا ضل عن الطريق وتكون بمعنى الارض الواسعة التي يضل لها كتيه بني اسرائيل والتعسف والاعتساف السير على غير الطريق والجور والظلم هذا حقيقته لغة فعلى الاول يصح انه اريد به انه ضد الجور والتعدي على من خالف من العلما والتعسف بمعنى انه في حاله ومقاله غير مستقيم والاعتساف بمعنى حمل غيره على ذلك فهو ضال مضل فلا تنكرا ولا لاجل السجع كما قيل والاحسن ان يقال انه استعارة تمثيلية بتشبيه مسلكه فيما قاله بمن دخل ما قد ضل فيها لكونها حزنا بعيدا لم يهتد لطريقه ولذا اعلى الثاني التيه بمعنى القفر الواسع والـ الضلال وتعبيره بالتنكير يبعده عن مقصده فتامل **وها انا اقول** شروع في بسط ما به تضييق عده لها عن طريق من تعسف وها للتنبيه وما بعده مبتدا وخبر والفصيح ان تدخلها على اسم الاشارة او على ضمير خبره اسم اشارة كوهذا وها انا ذا وهذا ايضا مسموع كما في شرح التسهيل **اما على القول**

عرضي

ابن ادريس وعرضي

حلبي وعرضي

بتجويز الوهم تقدم انه بفتح الهاء وجوز تاسكونها مع تفسيره بما مر والغلط اي
الخطا عمدا لعدم علمه بالصواب ويقال في الحساب غلط بمثناة وقيل انها لغة
والفرق بينه وبين النسيان والسهو ظاهر فيما ليس طريقه معناه معروف
سبقا رهنا لنوعه وجنسه من القول لا من قبيل الافعال فانها ليست
محل الخلاف هنا ومن بيانية مقدمة من تاخير البلاغ خبر ليس اي لا يتعلق
به حكم او وحي او خبر عن امر المعاد وهو اي هذا القول الذي زعمناه اي رددناه
ولم نرضه مختار من اتخذ الراي المختوش الذي ابطل السلطان القائل به
من القولين المذكورين سابقا وهذا الاعتراض بين اما وجوابها تذكيرا بما تقدم
فلا اعتراض على ما تقرر في عصمة الانبيا بهذا الحديث المذكور في قصة ذي
اليدين وشبهه مما روي فيه عنه صلى الله عليه وسلم فيه سهو ونسيان ونحوه لتجويزه
على الانبيا عند صاحب هذا القول الذي يقول انه لا يمتنع فيما ليس طريقه البلاغ
واما على مذهب من منع السهو والنسيان في افعاله دون اقواله كغيره من
الانبيا عليهم الصلاة والسلام جملة اي جميعا وقد استعمله بهذا المعنى كثيرا وهذا
القول ذهب اليه كثير من مشايخ الصوفية وبعض المتكلمين وخصه بعضهم بنبينا
صلى الله عليه وسلم ويرى اي يعتقده رايا انه صلى الله عليه وسلم في مثل هذا
عامد وقاصد الكلما يفعله لصورة النسيان فياتي به على وجه العمد ذاكرا له
موهما لغيره انه ناسي ليبين اي ليعلم الناس سنته في السهو كالسجود له ونحوه من الاحكام
وكان حقه ان يذكره لهم ليعلمهم لكن البيان بالفعل اظهر وفي شرح مسلم شذت طائفة
من الباطنية وارباب القلوب فقالوا لا يجوز النسيان عليه وانما ينسى قصدا اي انه
ياتي في صورة النسيان ليبين حكمه وقال المحقق ابو اسحاق الاسفرايني هذا
منحى عنهم سديد وجمع الضد مع الضد مستحيل والاول هو الصحيح فان السهو في
الافعال غير مناقض للنبوة ولا قادح فيها بخلاف الاقوال في البلاغ انتهى فهو على
هذا القول صادق في خبره اي قوله لم انس ولم تقصر ونحوه لانه لم ينس ولا
قصرت الصلاة ولكنه على هذا القول يقصده لصورة النسيان ذاكرا له
تعمد هذا الفعل اي سلامه من ركعتين في هذه الصورة اي صورة
الناسي ليسنه اي يجعله سنة لمن اعتراه اي عرض له ووقع منه مثله اي مثل
هذا الفعل ناسيا من امته ليقتدوا به تعالى وهو قول مرغوب عنه اي متروك
لبعده وضعفه عنده وفي الحواشي التلمسانية عن ابن سيدي الحسن قال سمعت ابي
رحمه الله يقول عن شيوخنا ان السهو في الصلاة يكون عن معصية سبقت منه
ولذا صين عنه نبينا صلى الله عليه وسلم وقد يبين وجه كونه مرغوبا عنه بما اشار اليه
بقوله نذكره في موضعه من هذا الكتاب وقد قال العلامة الملا علي ان هذا القول
خطا لانه صلى الله عليه وسلم اخبر عن نفسه بوقوع النسيان منه في حديث ابن مسعود
المتفق عليه انما انا بشر انسى كما تنسون وايضا لو كان هذا عمدا ابطل الصلاة

ولا

ولا يعلم العمد في صورة النسيان الا اذا بينه بالقول ولم ينقل ذلك واما على
القول باحالة السهو عليه في الاقوال الصادرة عنه والمراد بالاحالة
المنع كما يقال عليه محال لغة بالتجويز في حق له وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه القول
من الاعمال كسهوه في الصلاة ففيه اجوبة منها اي من الاجوبة عن قول القائل
على هذا القول انك قلت انه لا يقع منه صلى الله عليه وسلم سهو في الاقوال وقد وقع
منه ذلك في نفي له كل ذلك لم يكن مع انه كان بعضه كما تقدم فاجاب عنه بقوله
ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر بقوله كل ذلك لم يكن عن اعتقاده وضميره
اي ما اضمره في نفسه وقدره في كلامه من هذا القيد اما انكاره صلى الله
عليه وسلم القصر اي ان الصلاة الرباعية تنحكم كونها رباعية في الحضر قصرت
ركعتين ولذا سلم منها فحق وصدق لا شك فيه ولا شبهة ظاهرا وباطنا اي
انكاره صلى الله عليه وسلم ذلك وقع منه ظاهرا لتصريحه به وباطنا لاعتقاده له
انه لم يوح اليه خلافه وما ينطق عن الهوى واما النسيان اي انكاره صدوره
منه في فعله مع وقوعه منه ولا يجب بخلاف الواقع عمدا فاخبر صلى الله عليه
وسلم عن اعتقاده طابقه لذلك والاعتقاد يطلق على اليقين والظن الراجح عنده
فقوله لم انس المراد به انه لم ينس في ظنه فكانه صلى الله عليه وسلم قصد الخبر
بهذا عن ظنه وان لم ينطق به ولم يقل في اعتقادي وظني لكنه لارادته وتقديره
في كلامه واضماره في نفسه كان كالملفوظ به المذكور صريحا لان المقدر كالمصرح
به فيكون كلامه هذا حق وهو صدق مطابق للواقع لانه في نفس الامر لم يظن انه
نسي ولم يخطر ذلك بباله ايضا اي كما ان القصر كذلك او كما ان المنطوق
به صدق فلا يتوهم ان كونه صدقا مبني على ان الخبر الصادق ما طابق الاعتقاد
والجمهور على خلافه فان قلت قال ذو اليدين رد هذا بقوله بلى قد كان بعض
ذلك وهو لم يكن في ظنه واعتقاده قلت لم يرد ذو اليدين تكذيبه صلى الله عليه
وسلم وانما اراد تنبيهه على ان ظنه غير مطابق للواقع لانه امر شرعي لانه قد يجب فيه
فلما قال له ذلك شك صلى الله عليه وسلم في امره وسال من عنده من الصحابة تصديقا
ذي اليدين على ما قال له وكانهم لم يسبقوا ذا اليدين بذلك مهابة له صلى الله عليه
وسلم ولذا شك في امره لانهم سكتوا عن امر لا يخفى عليهم وفيهم مثل ابي بكر وعمر رضي
الله عنهما والظاهر ان القول الاول مبني على عدم وقوعه في الاقوال البلاغية
وفي الافعال ايضا وخص الثاني بالذكر لانه محل الخلاف وقد وقع لبعضهم هنا
خبط اعرضنا عنه لركاكته ووجه ثان في الجواب عما ذكر على هذا القول وهو
ان قوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث على احدى الروايات كما تقدم ولم
انس راجع الى السلام من الصلاة والانصراف على ركعتين او ثلاث منها
اي اني سلمت قصدا لنفس السلام فليس سبق لسان مني وسهوت عن العدد
اي عدد الركعات فتوهمت اني اتممتها اي لم اسه في نفس السلام لظني اني

الحمد لله وحده قال الحافظ ابن حجر في حديث ذي اليدين
استيثام فقصرت فقال لم انس ولم تقصر فقال بلى
قد نسيت وهو حجة لمن قال ان السهو جائز على الانبياء
فيما طريقه التشريع وان كان عياض نقل الاجماع على عدم
جواز دخول السهو في الاقوال التبليغية وخص الخلاف
بالافعال لكنهم تعقبوه نعم اتفق من جوز ذلك على
انه لا يقر عليه بل يقع له بيان ذلك اما متصلا بالفعل او
بعده كما وقع في هذا الحديث من قوله لم انس ولم تقصر
ثم تبين له انه نسي ومعنى قوله لم انس اي في اعتقادي
لا في نفس الامر ويستفاد منه ان الاعتقاد عند فقد
اليقين يقوم مقام اليقين وفائدة جواز السهو في
مثل ذلك بيان الحكم الشرعي اذا وقع مثله لغيره انتهى

ابن اقبرس

اكملها اربعا والمقصود من هذا دفع الخلف عما قاله وهذا التاويل يحتمل بصيغة
المفعول اي يجوز حمل الحديث عليه لما ذكرناه ولكنه فيه بعد لانه خلاف الظاهر
وقول ذي اليدين له بلى نسيت كما تقدم في بعض الروايات يبعد له لاسناف ولا
حاجة لان يقال ان ذا اليدين لم يفهم مراده ولذا قال له صلى الله عليه وسلم للصحابة
احق ما يقوله ذو اليدين وقد يقال انه يأباه قرينة الحال والمقال وهو الذي
عناه المص ووجه ثالث وهو ابعدها اي الاجوبة ما ذهب اليه بعضهم
وان احتمله اللفظ اي لفظ الحديث وبينه بقوله من قوله كل ذلك لم يكن اي
لم يجتمع القصر والنسيان في الانتفا بان ينتفيا معا بل كان احدهما وهو النسيان
لان النفي قد يكون نفي المجموع وقد يكون لنفي واحد لا على التعيين ومفهوم
اللفظ خلافه اي يخالف لهذا الجواب ويؤيده ما في بعض الروايات كما اشار
اليه بقوله مع الرواية الاخرى الصحيحة في هذا الحديث وهو قوله ما قصرت
الصلاة وما نسيت فان اعادة النفي تقتضي ان كل واحد منهما منفي لا احدهما
فقط اي ان محصل هذا الجواب ان كل محمولة على الكل المجموعي نحو كل الرجال يحمل
هذه الصخرة العظيمة وهذا وان كان صحيحا لكنه خلاف المتبادر لا سيما في النفي
وسياق الحديث يأباه وكذا قول ذي اليدين بلى كان بعض ذلك فان الموجبة
الجزئية انما تنافي السالبة كما فصلوه في كتب المعاني والاصول وكذا يأباه
ما في الرواية التي ذكرها هذا المذكور من الاجوبة هو ما رايت فيه اي في الحديث
الذي تقدم بيانه رايته مذكورا لائمتنا اي المحدثين والفقها وكل من هذه الوجوه
التي ذكرها يحتمل اللفظ يعني لفظ الحديث على بعد بعضها في الواقع وسياق الحديث
وتعسف الاخر بفتح الخا اي تكلفه وبعده عن الطريق المستقيم قال القاضي ابو
الفضل عياض مصنف هذا الكتاب رحمه الله اقول في الجواب عنه ويظهر لي
انه اقرب الى الصواب من هذه الوجوه المذكورة كلها ان قوله صلى الله عليه
وسلم لم انس في الحديث انكار للفظ الذي نفاه عن نفسه بقوله لم انس بصيغة
المتكلم وانكره على غيره يعني كل احد من امته بقوله بئس ما لاحدكم معاشر
الملة والمسلمين اي بئس ينبغي لكل احد من المسلمين ان يقول نسيت اية
كذا او كذا اي كذا عن بعض الايات القرانية ولكنه نسي مبنى للمجهول مشدد السين
اي انساه الله لانه فعل الله لا فعله فلا ينبغي اضافته له مع ما فيه من الاشعار
بتهاونه بالقران لمباشرة اسبابه المقتضية لذلك وقيل معنى نسي انه نسخ
تلاوته وحكمه فيكون مخصوصا بزمانه صلى الله عليه وسلم فنهاهم عن ذلك لئلا يتوهم
الضياع لحكم القران وبئس من افعال الذم اصلها بئس بمعنى اصابه البؤس ثم
نقلت بتغيير لفظها ومعناها وفي ما الواقعة بعدها اقوال فقيل انها تامة
وقيل موصولة وقيل نكرة في محل نصب تمييز كما فصله النحاة ونسي مشدد كما
مر وروي بالتخفيف في مسلم وقال المص كان الوقشي لا يجيز فيه الا التخفيف

عرضي

تساف

والتثقيل

والتثقيل هو الذي وقع في جميع روايات البخاري وكذا هو مروي وعليه ابو
عبيدة وفي النهاية انه صلى الله عليه وسلم كره نسبة النسيان الى النفس لان الله
هو الفاعل الحقيقي ولان النسيان معناه الترك فكره ان يقول الانسان تركت
القران لاشعاره بالتهاون به وعلى رواية التخفيف معناه انه ترك وحرم الخير
انتهى فاراد ارشادهم الى نسبة الافعال كلها اليه واقرارهم بالعبودية والاستسلام
وهو ادب اولوي لا يمنع نسبتها لمكتسبها كما قال موسى ويوشع عليهما الصلاة
والسلام نسيت الحوت وقد ينسب للشيطان لانه يوسوسه كقوله وما انسانيه
الا الشيطان ونسيان القران غير محمود لانه غفلة عنه وتفريط فيه لا ينبغي
قيل ويحتمل ان يكون فاعل نسيت النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا يقل احد عني اني
نسيت اية كذا فان الله تعالى نسخها لحكمة كما مر وهذا الحديث رواه الشيخان وغيرهما
وبما ذكرناه سقط ما قيل ان هذا الجواب الذي ارتضاه يرده قوله تعالى واذكر
ربك اذا نسيت لانه لو كان ادبا علمه الله له لانه هنا الادب واضافه له
لنكتة لم يتفطن لها وقيل انه مخصوص بالقران لانه هو الذي علمه له فيكون
هو الذي انساه ايضا فتامل وبقوله في بعض روايات الحديث كما في موطا
مالك لست انسى بصيغة المتكلم المعلوم المخفف ولكني انسى بالمجهول المشدد
اي ينسيني الله لحكمة كالتشريع وتعليم الامة فلما قال له السائل ذو
اليدين اقصرت الصلاة ام نسيت يا رسول الله انكر قصرها كما كان
اي تحقق في الواقع حقيقة وانكر ايضا نسيانه صلى الله عليه وسلم لبعضها والمنكر
من نسيانه هو ما كان من قبل نفسه وفي نسخة قبل اي انه فعل ذلك
بكسبه وتعاطي اسبابه من غير ايجاد الله له فيه وخلقه لما لم يكن في جبلته كغيره
فان وجد شيء من ذلك فقد نسي بالمجهول وتشديد السين
اي رجعه الله فيه من غير تعاط لاسبابه حتى سال صلى الله عليه وسلم غيره
من الصحابة الحاضرين عنده عنه بقوله احق ما يقوله ذو اليدين فقالوا نعم وهذا
غاية بانه لم يعلم نسيانه لانه لم يقصر في ذكر الله وطاعته فلذا استبعد صدوره عنه
فان قلت اذا انساه الله فلا بد ان ينسى لان مطاوعه الذي لا ينفك عنه ولازمه
الذي لا يفارقه قلت اللازم وقوع النسيان اوجده الله فيه لحكمة لا اختيار بتعاطي
اسبابه وتقصيره كغيره فتحقق انه نسي بتشديد السين اي انساه الله فنسي لحكمة
واجرى الله عليه ذلك النسيان ليسن اي ليعلم امته احكام السهو كالسجود ونحوه
فقوله صلى الله عليه على هذا التوجيه الذي استظهره لم انس ولم تقصر وقوله
في رواية اخرى كل ذلك لم يكن حق مطابق للواقع محقق وصدق لا ظن فيه
كما توهم ومعناه لم تقصر الصلاة حقيقة في نفس الامر ولم انس حقيقة اي نسيانا
صدر مني وصدر حقيقيا وانا الفاعل له صورة وانما الفاعل له حقيقة هو الله
وانا آلة له تنسبه الى كنسبة القطع للسكين كما هو مذهب الاشعري في افعال

ابن ابي قبرس

العباد المضافة لهم وهذا الابنا في كونه حقيقة لغوية كما ان زيد ولكنه نسي بالبناء للمجهول
والتشديد ووجه آخر في الجواب عما في هذا الحديث استنثرته بسين مهملة ومثناة
فوقية ومثلثة وراء مهملة واصله استنثرته ومنه فاثرن به نقعا وهو من اثار
الغبار بفتح اذا انتشر وعلا فشبهه كغائب بشي مدفون نبش التراب عنه حتى ظهر
له اي استخرجته بفهمي و ولدته من كلام لبعض المشايخ وان لم يصرح بايه وينبه
عليه وهو مبني على الفرق بين السهو والنسيان وذلك الوجه المستخرج انه اي
بعض المشايخ قال ان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو ولا ينسى لان السهو ما
يقع بادنى غفلة ويتنبه له بادنى تنبيه والنسيان ما يزول عن الحافظة بالكلية
حتى يحتاج لتذكير كثير ولذلك نفى عن نفسه النسيان اذ قال لم انس لان
النسيان غفلة وآفة اي كالمرض الذي يعرض له ولذا عده الاطباء من الامراض
الدماغية المحتاجة للعلاج والسهو انما هو شغل بال اي يحصل عندما يعرض
عن شغل البال بامور والنظر لغيره بحيث ينتبه له سريعا قال فكان النبي صلى
الله عليه وسلم يسهو في صلاته كما وقع له من اسرار المراقبة لربه وتوجهه له ولا يغفل
بضم الفاء عنها اي عن صلاته لتنزهه عن ان يستولي على قلبه الشريف ما يلهيه عن
عبادته وانما كان شغله عن حركات الصلاة في السجود والركوع ما في الصلاة
من قرة عينه بمشاهدة تجليات ربه وتدبر اياته شغلا بها لا غفلة عنها بغيرها فلذا
كان صلى الله عليه وسلم يسهو ولا ينسى فهذا المذكور ان تحقق انه تحقق وتصور حقيقته
على هذا الوجه والمعنى الذي قررته لم يبق في قوله صلى الله عليه وسلم ما قصرت
الصلاة وما نسيت في الحديث خلف في قول صدر منه حتى سال عنه وقد تقدم
ان هذا مخالف لما روي من قوله صلى الله عليه وسلم اني انسى كما تنسون وان الفرق بينهما
لغة فيه شي بعينه ما تقدم ووجه آخر وفي نسخة وعندي ان في الجواب وجها آخر
وهو ان قوله ما قصرت الصلاة وما نسيت بمعنى الترك وهو احد وجهي
النسيان اي احد معنييه الواردين في كلام الله وغيره كما اذا اسند الى الله تعالى
وهو مجاز مشهور ملحق بالحقيقة اراد وفي نسخة اراد والله اعلم على هذا التقدير اني
لم اسلم من ركعتين تاركا لاتمام الصلاة عن قصد ولكني نسيت اي سهوت عن
اتمامها فالمنفي في كلامه الترك عمدا والحول انها في السهو والنسيان ولم يكن ترك
الاتمام من تلقاء نفسي اي من عند نفسه وقصد هاله والدليل على صحة ذلك قوله
صلى الله عليه وسلم في الحديث الاخر الصحيح اني لا انسى اي اترك قصدا او انسى من غير
قصد بل بارادة الله واجباره في ذلك لحكمة اشار اليها بقوله لاسن تقدم تفسيره وهذا
مبني على احد التفسيرين في هذا الحديث وقد تقدم فيه وجه اخر وهو اقرب من هذا
والمراد به السهو بما تطلب اسبابه من الاشتغال او بدونه لحكمة ربانية وبقي في
هذا الحديث امور اخر مما يتعلق بانه صلى الله عليه وسلم وقع منه افعال وكلام في
اثناء صلاته قبل اتمامها ومثله يبطل الصلاة والكلام فيه طويل الذيل افرده الحافظ

العلائي

العلائي بتاليف نفيس ولما لم يتعرض المصنف لذكر الحديث بتمامه اضربنا عنه صفحا
فان اردته فخذه من محله ولصعوبة الكلام في هذا المقام ختمه في بعض النسخ
بقوله والله الموفق للصواب اي المقدر على ادراكه والقيام به وهو الحكم المطابق
للواقع فبهذا في صحا فيما هو الواقع من ذلك والتوفيق خلق القدرة على الطاعة المقارنة
لها وتقدم الكلام عليه في الخطبة واما قصة كذبات ابراهيم الخليل عليه وعلى نبينا
افضل الصلاة والسلام الواردة على ما قدمه من ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام
لا يصدر عنهم خلف في اقوالهم وبيانه ما في هذه القصة عن اجل الانبيا بعد نبينا
صلى الله عليه وسلم الواردة وفي نسخة المذكورة في الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان
عن ابي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات
الخ وابتداء المصنف بقوله انها كذبات بفتح الهمزة بدل من قصة او معمولة للمذكورة
وكذبات بفتح الكاف والذال المعجمة جمع كذبة بسكونها لان فعلة اسما تحرك في الجمع
كثمرة وثمرات وركعة وركعات الا اذا كانت صفة او مضاعفة او معتلة العين كجوزة
وجوزات كما في المغرب وقيل انه يقال بكسرها في المفرد والجمع وهي جمع كذبة اسم جامد
الثلاث المنصوصة اي المذكورة صريحا في القران منها اي من تلك الكذبات
الثلاث اثنان في قوله تعالى في سورة الصافات فنظر نظرة في النجوم فقال
اني سقيم كما سياتي بيانه وقوله تعالى في سورة الانبيا قالوا انت فعلت هذا
بالهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسالوهم ان كانوا ينطقون وقوله
في قصة ابراهيم وهذه هي الثالثة الواردة في الحديث للملك بكسر اللام اي سلطان زمانه
لما سال ابراهيم عليه الصلاة والسلام عن زوجته سارة رضي الله عنها حين اخذها
لما وصف له جمالها وسأله عنها فقال انها اختي قاله صلى الله عليه وسلم لنفيه خشية ان
يقتله لو قال انها زوجتي فنجاه الله منه كما سياتي تفصيله ولما كان هذا واردا على
ما قرره من عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام عن الكذب عمدا او سهوا اورده على سبيل
السؤال ثم ذكر الجواب عنه بما سياتي مفصلا واورد على الحصر الوارد في الحديث بقوله
ما كذب ابراهيم الا ثلاث كذبات ان ثمة رابع هو قوله في الكوكب هذا ربي وقد تعرض
له الحافظ ابن حجر في شرح البخاري ولم يجب عنه بما يشفي الغليل والذي يدفعه ان
تقديره اهذا ربي على طريق الاستفهام التوبيخي لالزامهم بالحجة كما قرره المفسرون وحاصل
قصة سارة ان جبارا من الجبابرة قيل له ان هنا رجلا معه امراة من احسن النساء فارسل
اليه وساله عنها فقال هي اختي ثم قال صلى الله عليه وسلم لها انه ليس على وجه الارض مؤمن
غيري وغيرك الان يعني انها اخوة الاسلام لا النسب كما قال تعالى انما المؤمنون اخوة كما
يأتي بيان ذلك فلما اتى بها اليه تناولها بيده فشلت يده فقال لها ادعي الله لي ولا اضرك
فدعت له فاطلق ثم فعل مثل ذلك ثانية وثالثة فقال لهم ما اتيتموني الا بشيطان وقوله
اني سقيم لانه صلى الله عليه وسلم كان لا يأتي معهم في اعيادهم لاصنامهم فنظر لنجم طالع فقال
هذا يطلع لسقمي كما ياتي وكانوا اهل فلاحة وزراعة ينظرون في النجوم واحكامها وكان

المذكورة

وفي اسم هذا الملك اختلاف فقيل سنان
وقيل عمرو وقيل صادوق وعمرو
وقيل ملك مصر صح
ابن امرئ القيس

ذلك بما اوحاه الله لهم فلما حبست الشمس ليوشع ابطله الله تعالى وقال الضحاك
انه بقي الى زمن عيسى عليه الصلاة والسلام فدعى الله برفعه فرفع وحرم النظر فيه
شرعا وفيه بحث وكان ابراهيم عليه الصلاة والسلام حاج عبدة الاصنام فلما عجز
عنهم كسرها وجعل فاسه في عنق صنم اكبرها لم يكسره ليلزمهم الحجة كما قصه الله في كتابه
الحجة وبينه المفسرون وقد علمت ان قوله اختي المراد به اخوة الاسلام وانه انما قاله
ليمتنع الملك من اخذها او لئلا يقتله لانهم كانوا لا ياخذون منكوحة الغير او كانوا
يقتلونه او قال ذلك ليجعله منزلة عليها او اراد انها ليست جارية له في ملك يمينه فيطلب
منه بيعها له وقد علم ان الله طهر حرم الانبيا عن الفواحش فنزههم عما يأباه مقامهم وقوله
كلمات ابراهيم دون كذبات فيه ادب لطيف وصرح به بعده اتباعا للحديث وبيانا لنكتة
السؤال فاعلم اكرمك الله دعا له بالاكرام لاكرامه الانبيا عليهم الصلاة والسلام بمعرفة
علو مقاماتهم عما ينسب لهم ان هذه اشارة لكلمات ابراهيم عليه الصلاة والسلام
كلها خارجة عن الكذب لان الله تعالى عصمهم عنه قبل النبوة وبعدها لا في القصد
ولا في غيره من السهو والنسيان لما مر وهي اي الكلمات المذكورة داخلة في
باب المعاريض جمع معراض ويقال معرض بكسر الميم وجمعه معارض وهو من التعرض
وهو خلاف التصريح والتلويح نوع من الكناية كالتورية بان يتكلم بما يوهم خلاف
مراده كقوله اختي المحتمل لمعنيين كما تقدم فان قلت قوله اختي ادعى لاخذ الملك لها
بان يتزوجها فلا وجه للعدول عن الظاهر قلت نقل البرهان عن ابن
الجوزي رحمه الله انه عليه الصلاة والسلام علم انهم على دين المجوس ومن دينهم ان الاخت
اذا تزوجها اخوها كان احق بها من غيره فالتجا لما يعتقده في دينه فاذا هو جبار لا يراعي
دينه وقد ارتضى هذا الجواب غيره واعترض بان المجوسية دين زرادشت وهو بعد
ابراهيم واجيب بانه دين قديم وانما زرادشت اظهره وزاد فيه خرافات قفنا مثل
التي فيها مندوحة اي في المعاريض سعة يتخلص بها من الكذب من ندح بمعنى توسع
ومندوحة بفتح الميم وضمها لحن وفي كتاب لحن العوام للزبيدي يقال لي عن هذا
الامر مندوحة ومنتدح والمنتدح المكان الواسع وهو انتدح ايضا من اندحت
الغنم في مراحها وقال ابو عبيدة المندوحة الفسحة والسعة ومنه انداح بطنه اذا
انتفخ واندحا لغة فيه وهو غلط من ابي عبيدة لان نونه اصلية وانداح انفعال نونه
زائدة واشتقاقه من الدوح وهو السعة انتهى اقول تبعه فيه الجوهري وخطاه فيه
صاحب القاموس عن الكذب اي في سعة القول ما يغني عن تعمد الكذب فهو صدق في
الكذب فيه وقد علمت انه ضمنه معنى التخلص ولذا عداه بعن وفي الحديث ان في معاريض
الكلام مندوحة عن الكذب رواه البخاري في الادب المفرد مسندا موقوفا على عمران
ابن حصين رضي الله عنه واخرجه الطبراني والبيهقي من طريق اخرى عن قتادة مرفوعا
وحسنه العراقي فلا عبرة بقول الصاغاني انه موضوع والى هذا الحديث اشار المصنف
رحمه الله تعالى بقوله اما قوله اي ابراهيم عليه الصلاة والسلام فيما حكاه الله عنه

اني

اني سقيم فقال الحسن بن ابي الحسن البصري الذي تقدمت ترجمته وغيره من
العلما في الجواب عنه معناه اني سأسقم في المستقبل اي ان كل مخلوق معرض اسم
مفعول مستعد لذلك اي للسقم والمرض فاعتذر لقومه من الخروج معهم
الى محل عيدهم اي ذكر لهم عذرا في عدم خروجه معهم لمحل اجتماعهم في اعيادهم عند
اصنامهم لما اراد ولخروجه معهم اليها وقيل يعني فاعل حقيقة في الحال ويجوز ان يراد
به الاتصاف في المستقبل مجازا والقرينة انما تشترط لفهم المخاطب لا للخروج عن الكذب
اذا نواه فانه مصدق فيه شرعا كما قيل وفيه بحث لان الفرق بين الكذب والمجاز عرضي
انما هو بالقرينة وعدمها فما لا تقوم عليه بالضرورة الذي ينبغي ان يقال ان سقيم
ومريض ملحق بالاسما الجوامد كمؤمن وكافر فلا يختص بزمان فهو حقيقة فيما ذكر وهو
ظاهر كلام الكشاف فانه قال من في عنقه الموت سقيم وفي المثل كفى بالسلامة دا
وقال لبيد

ودعوت ربي بالسلامة جاهدا ليصحني فاذا السلامة دا

ومات رجل فجاة فقالوا مات وهو صحيح فقال اعرابي اصحيح من الموت في عنقه
ومنه اخذ المتنبي قوله

فقد استشفيت من دا بدا واقتل ما اعلك ما شفاكا

فلا يرد عليه ما قيل انه مجاز والاصل الحقيقة والذي غره قوله معناه سأسقم هذا ابن فارس
اي الجواب او الامر هذا كما تقدم وفي نسخة بهذا فهو متعلق باعتذر وقيل اي وقد
قيل فالجملة حالية بتقدير قد بل سقيم بما قدر علي من الموت يعني انه اراد بسقيم
انه حزين مشغول الفكر بعلمه من انه لا بد من الموت والغم مرض من الامراض القلبية
ومن كان كذلك لا ينبغي به ان يفرح بالاعياد ولا يكون في محال اللهو واللعب ولذا
ورد كما تقدم انه صلى الله عليه وسلم كان متواصل الاحزان وفي الحديث لو تعلم البهائم
من الموت ما تعلمون ما اكلتم منها سمينا فورى عليه الصلاة والسلام بما اراد بهذا
وقيل معناه اني سقيم القلب اي قلبي سقيم بما اشاهده وفي نسخة اشاهد
من كفركم وعنادكم في الباطل وعدم قبول الحق وقيل بل كانت الحمى تاخذه
اي تعرض له وتستولي عليه حتى كانها اخذته واسرته عند طلوع نجم معلوم له اولهم
ولذا قال فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم فلما راه اي راى ذلك النجم طالعا اعتذر
لهم بعدم حضور اعيادهم معهم بعادته من السقم الذي يعرض له اذا طلع ذلك النجم
وهذا الجواب ذكره النووي ايضا وقال ابن حجر انه بعيد لانه يكون حقيقة وليس من
المعاريض والتورية في شي ورد بان المعاريض ان يذكر ما يدل على معنى قريب ومعنى بعيد
فيراد البعيد ويوهم مخاطبه انه اراد القريب وهذا كذلك لان ظاهره انه سقيم بالفعل
حالا والمراد انه في زمان مرض وسقم لم يكن والفرق بين هذا وبين الجواب الاول ظاهر
لمن تدبر وكل هذا على ما ذكر من التاويل الذي صرفه عن ظاهره ليس فيه كذب
كما يتوهم من ظاهره بل هو خبر صحيح صدق اي صادق مطابق للواقع وانما سماه

كذبا في الحديث باعتبار ما يتبادر لذهن السامع من ظاهره لا حقيقة فلا اعتراض
عليه به وقيل في الجواب بل عرض اي قاله بطريق التعريض والتورية ورآه
مشتد ذة من التعريض بسقم حجته اي ضعف دليله الذي اقامه عليهم متعلق بحجته
يعني احتجاجه عليهم في عبادة غير الله وضعف ما اراد بيانه لهم من توحيد الله
ونفي التشريك به لدليل عقلي اراد اقامته عليهم من جهة النجوم لما راى كوكبا فقال هذا
ربي كما قصه الله عنه التي كانوا يشتغلون بها اي بعبادتها وتعظيمها واسناد الامور
اليها وانه اي ابراهيم عليه الصلاة والسلام اثنا نظره في ذلك اي في خلال
نظره وتقدم انه جمع ثنى بمعنى مثنى والنظر بمعنى التفكر والتامل فيما يناظرهم به
وقيل استقامة حجته اي اقامة دليل ملزم لهم في حال سقم ومرض حال
خبر انه فقيل سقم حجته لعدم قابليتها بمنزلة مرض نفسه وبدنه يعني انهم كانوا ينسبون
الكائنات للنجوم ويعظمونها ويشتغلون بها لعلمهم بالنجوم وارصادها فاراد ابطال
اعتقادهم فيها وان يحجهم واهية فلم يقل ذلك لهم ابتدا بل نسبه لنفسه تعريضا بهم
كما قال اياك اعني فاسمعي يا جارة وهذا احسن من الزام الخصم وتعريضه على وجه لا
يغضبه ويهيج حميته كما هنا وهذا مع انه اي الخليل صلى الله عليه وسلم لم يشك هو اي لم يقع
منه شك في ربه ولا ضعف ايمانه حتى يحتاج الى الادلة الضعيفة ولكنه ضعف حاله
في استدلاله عليهم لابطال عبادتهم للنجوم والاوثان تبكيتا لهم وزجرا وسقم نظره
اي ما ناظرهم به حتى لم تتم حجته التي اقامها عليهم ثم بين صحة اتصاف الدليل بما ذكر لغة
فقال يقال حجة سقيمة فتوصف بذلك مجازا ونظر اي فكر ودليل معلول
اي ضعيف مدخول وقيل ان هذه العبارة ملحونة وان وقعت في عبارة المحدثين
والصواب معل والمعلول انما هو من العلل وهو الشرب مرة بعد اخرى كقوله
كانه منهل بالراح معلول وردبانهم استعملوا معلول عن معل كما قالوا احمد الله فهو
محمود وقد صرح به سيبويه وذكره في المحكم فقول ابن الصلاح والنووي انه لحن مردود
وان تبعهما بعض الشراح هنا حتى الهمه الله والقي في نفسه ومن عليه باستدلاله
الباسبية وصحة حجته عليهم اي احتجاجه بالكواكب والقمر والشمس متعلق
استدلاله ما نصه الله منقول اليهم وقد مثلناه واوضحناه في هذا الكتاب
والحاصل انه لا يلزم من ضعف الدليل ضعف الايمان بل قد يتفق صدور ذي العقل السليم
بيقين لا شبهة فيه عنده وهو لا يقدر على اقامة دليل عليه واما قوله اي الخليل عليه
الصلاة والسلام في الاصنام التي كسرها وترك اكبرها وقد علق الفاس في عنقه لما
سئل وقال لما فعلته بل فعله كبيرهم هذا الاية والحال انه والله كبير الاصنام لم يفعل
ولا قدرة له على الفعل فهو يخالف للواقع من جهتين مع انه معصوم في اقواله فانه
علق خبره الذي ذكره بشرط نطقه في قوله فاسألوهم ان كانوا ينطقون فهو كانه
قال ان كان ينطق فهو فعله وانما ذكر مع علمه بعدم نطقه لغرضه على طريق
التبكيت لقومه عبدة الاصنام فهو يحكم بالحكم كيف نفسه ومن جمادا لا ينطق ولا

يقدر على شي فلو قدر وادفعوا عن انفسهم ففيه تجهيل لهم واستهزاء بهم لتعظيمهم ما لا
يضر ولا ينفع وذكر الكوكب هنا لا وجه له وهذا اصدق اي خبر صادق ايضا
كما صدق ما قدمه ولا خلف فيه بضم الخاء المعجمة لان صدق الشرطية بتحقق مقدمها
ومؤخرها على سبيل الفرض وهو فرض محال بالاضافة صحيح لا فرض محال بالتوصيف
وليس هذا مبنيا على ان جملة الجواب جملة خبرية مقيدة بالشرط والجملة الخبرية يتقيد
صدقها وكذبها بتحقق المقيد وعدمه كما هو مسلك اهل العربية واهل الميزان على خلافه
لان الشرطية بمجموعها قضية في قوة الجملة والخبر عند مجموع الشرط وجوابه كما قيل
فان هذا انما على ما قاله السيد في حواشي المطول وغيره فان الحق ما قاله السعد وانه لا عرضي
خلاف بين النحاة والمنطقيين في هذه المسالة فان مالهما واحد كما حققه المدقق
نفعنا الله في حواشي التهذيب وليس هذا محله الا انه ينبغي ان قوله فعله كبيرهم جواب
الشرط او دل عليه فهو في معناه وقوله فاسألوهم جملة معترضة مصدرة بالفا
كما في قوله

ه واعلم فعلم المرء ينفعه ان سوف ياتي كلما قدرا ه

وقد قال انه بيان لما يفيده الكلام من غير نظر لما ذكر وهو الظاهر يعني ان
قصده بنسبة الفعل الصادر منه لكبيرهم الاستهزاء والتهكم بهم لتبليغ ما قصده من
الزامهم الحجة برجوعهم الى انفسهم ونظرهم لما هم عليه من الباطل الذي لا يقبله عقل
فضلا عن عقل سليم وفي الاية وجوه هذا اولاها واحسنها ولذا اقتصر عليه
المصنف فان اردت الوقوف عليها فانظر في الكشاف وشروحه واما قوله اي الخليل
عليه الصلاة والسلام للجبار الذي اراد اخذ زوجته حين ساله عنها فقال هذه اختي
لارادة ان يخلصها منه وليس بعد الكذب بالمعنى المعهود في الحديث الذي
رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه انه لا كذب فيه وقال فانك اختي في
الاسلام والدين الحق الذي كانا عليه فهو على هذا صدق اي كلام صادق حق
والاخوة تطلق على المشاركة في الصفات مجازا مرسلا او استعارة من المشاركة في
النسب والله تعالى يقول في القران انما المؤمنون اخوة وهذا يدل على صحة اطلاقه
وحسنه اي اخوة في الدين وفي الحديث المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله وهو قد
شاع حتى قيل انه حقيقة عرفية وقد تقدم تتمة لهذا فان قلت انه على هذا
ليس فيه شيء من الكذب فهذا النبي صلى الله عليه وسلم قد سماها اي اطلق عليها انها
كذبات وقال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات وفي رواية اثنتين في ذات الله
وواحدة في شان سارة الحديث قال القرطبي ذات الله وجوده المنزه المقدس عما لا
يليق به وفيه دليل على جواز اطلاق الذات على وجوده المقدس فلا يلتفت لمن انكره
من المتقدمين فتامله ثم قال وروي انها اربع والرابعة قوله للكوكب هذا ربي وانما لم
يعدها لانه كان في حال الطفولية وعدم التكليف انتهى وتقدم الكلام فيه وقال صلى
الله عليه وسلم في حديث الشفاعة للناس يوم القيامة ويذكر كذباته هو مقول القول

يشير الى ما في حديث الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه انهم يأتون ابراهيم
عليه الصلاة والسلام ويقولون له انت نبي الله وخليله اشفع لنا الى ربك الا ترى
ما نحن فيه فيقول لهم ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله ولا بعده مثله واني
قد كنت كذبت ثلاث كذبات ويذكرهن اذهبوا الى غيري الحديث فقد صرح الخليل
نفسه عليه الصلاة والسلام بان هذا وقع كذبا منه فيدل على خلاف ما قلته سابقا وجواب
الشرط قوله فمعناه اي معنى قوله صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم الا ثلاث
كذبات انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان حقا في الباطن
المراد به ما اخفاه واضمره في نفسه او المراد به ما خفي مما هو خلاف الظاهر
الا هذه الكلمات المذكورة وهي الثلاث المتقدمة ثم اشار الى الجواب عما وقع
في حديث الشفاعة بقوله ولما كان مفهوم ظاهرها اي ظاهر الكلمات المذكورة
قبل النظر لما قصد منها خلاف باطنها المقصود منها فانه صدق كما بيناه سابقا
اشفق اي خاف ابراهيم صلاة الله وسلامه عليه من مؤاخذته بها وفي نسخ يؤاخذ
فيها اي المعاتبة او المعاقبة عليها او ردت شفاعته بسببها لانه كان عليه ان يصدع بالحق
صريحا من غير تورية وتعريض يقال اشفق وشفق اذا خاف والحاصل انه لم يصدر
عنه كذب وانما سمي كذبا باعتبار ظاهر العبارة قبل التامل فيها من سامعها وانما خاف
ابراهيم عليه الصلاة والسلام ذلك لجلالة قدره لانها معصية صدرت منه وكان ذلك
في اول امره وشدة خوفه في حالة يجوز فيها الكذب فضلا عن التعريض الذي هو
من حسنات الابرار وكذلك اي مثل ما صدر عن الخليل ما وقع لنبينا صلى الله عليه
وسلم وهو الحديث الذي رواه الشيخان عن كعب بن مالك وفي نسخ واما الحديث
فهو انه كان صلى الله عليه وسلم بعادته اذا اراد غزوة اي سفر الغزاة معينة
ورى بغيرها عنها والتورية ان يقول ما يظهر منه خلاف مراده ويحتمله احتمالا لا
بعيدا كأنه جعل ما قصده وراءه ظهره فكان يسأل عن طريق وناحية ويذهب
لغيرها فليس فيه اي فيما فعله وقاله خلف في القول اي ليس في قوله ذلك كذب
في قوله انما هو ستر واخفا لمقصده اي لما قصده وتوجه اليه لئلا يأخذ
عدوه حذره اي لئلا يتأهب لدفع ما يحذره بان يستعد له ويحضر له ما يهمه واخذ
الحذر عبارة عما ذكر كما بين في قوله تعالى خذوا حذركم وفيه من البلاغة ما لا يخفى
وكتم وجه ذهابه اي جهة مقصده وهو عطف على قوله ورى وبين التورية
والكناية بقوله بذكر السؤال عن موضع اخر غير الذي قصده والبحث عن
اخباره اي اخبار الموضع الاخر بالسؤال عن طريقه وحاله والتعريض بذكره
له دون غيره ليبين قصده به لقوله صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء الحوائج
بالكتمان لانه يقول لاصحابه تجهزوا الى غزوة كذا تصريحا
بالواقع او بخلافه وهو غير مراد له او يقول وجهتنا الى موضع كذا اي توجهنا
وقصدنا له خلاف مقصده بيان لكذا فهذا القول كله لم يكن اي لم يقع

منه

منه صلى الله عليه وسلم وانما وقع منه التورية والتعريض دون تصريح به والاول
اي سؤاله عن غير مقصده ليس فيه خبر يتوجه له ولا امر لغيره بالتجهز له
يدخله الخلف اي يعرض له كذب لعدم مطابقته للواقع وانما هو تعريض وايهام
لغير مقصده لا تصريح فيه والتجهز التأهب باحضار جهازه ولوازمه وقيل معناه
احتالوا وهذا هو الاغلب من احواله وقد يقتضي الحال خلافه كما ورد في
الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم لم يرد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت غزوة
تبوك في حر شديد بعد الى مكان بعيد وعدد كثير فجلا للمسلمين امرها ليتأهبوا
لها فاخبرهم بوجهه الذي يريد كما في حديث طويل فيه خبر الثلاثة الذين خلفوا
فهو باعتبار الاكثر في اول امره قبل قوة شوكة المسلمين ولذا اخبرهم انه سائر لمكة
في غزوة الفتح فلا يرد الاعتراض على حديث كان لا يريد غزوة الا ورى بغيرها
كما قيل وقوله تجهزوا وان كان امرا لا ينافي فيه الخلف كما توهم لانه يتأتى فيه ذلك
باعتبار ما تضمنه من الخبر لان قوله تجهزوا الارض كذا معناه المراد منه اني سأغزوا
اهلها وهو ظاهر ثم اورد سؤالا على عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام عن
الكذب سهوا وعمدا فقال فان قلت ايها السائل عما يتوهم من شبهة ترد على ما قررته
فما معنى قول موسى الكليم صلى الله عليه وسلم وقد سئل اي سأله جماعة من امته
اي الناس اعلم على وجه الارض في هذا العصر وهذا الحديث مروي في الصحيح عن
ابي سفيان رضي الله عنه فقال موسى عليه الصلاة والسلام لمن سأله انا اعلم
ممن على وجه الارض جميعا لعلمه بانه ليس عليها من الرسل من هو مثله وفي البخاري بلفظ هل
في الارض اعلم منك وفي رواية ابن اسحاق فقال موسى ما اعلم في الارض خيرا مني وقيل
وبين الروايتين فرق لان في رواية ابي سفيان الجزم بانه اعلم وفيه نفي الاعلمية عن غيره
فيبقى احتمال المساواة بحسب الظاهر والاقعد علمت انه يفيد نفي المساواة كما مر
فتدبر واما ما رواه نوف البكالي عن كعب الاحبار ان موسى المذكور في هذه القصة
ليس هو الكليم الذي هو من اولي العزم بل موسى بن ميشا بن افرايم بن يوسف فقد قيل
ان ابن عباس رضي الله عنهما رده وقال لما سمعه كذب عدو الله وباقي الكلام عن
الكشاف وغيره وانما قال ذلك لان كعبا تلقاه عن اهل الكتاب وهم اعداء الله لكفرهم
او هو استعارة لانه كذب كقول لم يقله الله فعتب الله عليه ولامه بسبب ذلك
اي قوله انا اعلم اذ لم يرد العلم بذلك اي اعلم الناس حقيقة اليه اي الى الله تعالى
بان يقول الله اعلم بذلك ونحوه الحديث اي اذكر الحديث الذي رواه الشيخان
بتمامه وفيه اي في هذا الحديث فقال اي الله عز وجل لموسى بل اي فيها من هو
اعلم عبدنا خضر وفي رواية عبد لنا بمجمع البحرين اعلم منك يا موسى ومجمع اسم
مكان والبحران كما قال السهيلي بحر الاردن وبحر القلزم وقيل بحر المغرب وبحر الزقاق
وقيل بحر الروم وفارس وعن ابن عباس اجتمع بحرا العلم في مجمع بحرين حقيقيين والعلمان
علم الظاهر من الشرعيات وعلم الباطن اللدني ووصفه بالعبودية تشريفا له كما في قوله

عرضي

بلغ

سبحان الذى اسرى بعبده و قوله

والمصنف

لا تدعنى الا بيا عبدها ... فانه اشرف اسمائى

ومما زادنى شرفا وتيها ... وكدت باخمصى اطى الثريا

دخولى تحت قولك يا عبادى ... وجعلك خير خلقك لى نبيا

مجمع البحرين اعلم منك يا موسى ومجمع اسم مكان والبحران كما قاله السهيلى بحر الاردن وبحر القلزم وقيل بحر المغرب وبحر الزقاق وقيل بحر الروم وفارس وعن ابن عباس اجتمع بحرا العلم فى مجمع بحرين خضر وموسى والعلمان علم الظاهر من الشرعيات وعلم الباطن اللدنى وهذا اى قول موسى انا اعلم خبر صدر من موسى عليه الصلاة والسلام فدا نبانا الله اى اخبرنا كما ورد فى هذا الحديث الصحيح انه ليس كذلك كما سمعته كذلك فيكون تخلفانه وهو معصوم عن مثله فيرد على ما قرره وسياق الجواب عنه والعتب بمثابة فوقية كالمعاتبة وعلى اللوم على ارتكاب ما لا ينبغى وضمنه معنى العتب بالتحقيق ولذا عداه بنفسه دون على ورد العلم الى الله تقدم معناه وتفسيره ابن بطال بترك الجواب لا ينبغى ولذا لو قال الله اعلم كان اولى وهذا هو الاليق الاولى بمقام ادب النبوة او مراده فيما اظن واعلم ولا شبهة فيه وقصته فى حمل الحوت فى مكتل مفصلة فى التفاسير وقد علمت بيان مجمع اسم مكان ثم شرع فى الجواب بقوله فاعلم انه وقع فى هذا الحديث الصحيح المروى عن ابن عباس ما يدفع السؤال وهو هل تعلم احدا اعلم منك فالسؤال عما يعلمه لا عما فى الواقع ومن القواعد المقررة ان السؤال معاد فى الجواب فاذا يجوز ان يكون اذن بدون سرسرمة بالعتب كان جوابه صدر منه على حسب علمه فكانه قال له اعلم ان احدا اعلم منى فهو اى كلام موسى وجوابه خبر حق وصدق مطابق للواقع باعتبار تقييده بانه على حسب علمه واعتقاده لا خلف فيه لما تقدم للواقع ولا شبهة اى لا اشتباه على احد صدقه بما قاله فى الحديث روايات مختلفة يرجع بعضها الى بعض كما ستسمعه قريبا ومرّ بعضها وهذا اتيك لما قبله وعلى الطريق الاخر التى فيها اطلاق اعلميته من غير تقييد بعلمه واعتقاده المقيد لنفى الاعلمية والمساواة فيها كما تقدم على العموم فانه روى من طرق مختلفة بالفاظ مختلفة وقد اشرنا اليه قبل هذا فيحمله على علمه ظنه ومعتقده مصدر ميمى بمعنى اعتقاده اى يحمله مقيدا ان لم يصرح بها الا انه صرح به فى رواية اخرى والروايات يفسر بعضها بعضا كالقران والمقدر فى حكم المذكور عندهم كما اثبت راويه بقوله كما لو صرح به بالبنا للمفعول او الفاعل اى صرح به موسى عليه الصلاة والسلام كان قال انا اعلم فى ظنى او معتقدى وكونه لا فى نفس الامر ويحمله للفظ المضارع وفى نسخة فحمله اسم مبتدا او على هذا لا يرد عليه شئ ثم بين وجه قول موسى على هذا بقوله لان حاله اى حال موسى صلى الله عليه وسلم كغيره من الرسل اصحاب الشرائع فى عصرهم فى النبوة والاصطفا اى اختيار الله له دون غيره من خلقه تقتضى ذلك

اى

اى ان اخباره لانه اعلم اهل عصره اذ لو لم يكن كذلك لم يختره لتبليغ رسالته وسياسة خلقه ورجوعهم اليه فى كل امورهم وهو صلى الله عليه وسلم كليمه وامينه وحبه ومثله لحكونه دون غيره ارما وبا له فى العلم ويحتمل ان معناه ان نبوته واصطفاه يقتضيان اى يستلزمان ان له يقول شيئا له غير مطابقة للواقع فيحمل كلامه على ما يطابقه وان لم يكن فيه ما يدل عليه وهو ظاهر قوله فيكون اخباره بذلك اى بقوله انا اعلم ايضا اى كما فى الرواية المصرح فيها بذلك القيد عن اعتقاده وحسبانه بضم الحاء المهملة وكسرها بمعنى ظنه صدقا خبر يكون وقوله لا خلف فيه مفسر له او توكيد اى لا شبهة فيه عند سامعه وقد يريد موسى صلى الله عليه وسلم بقوله انا اعلم انه اعلم بما تقتضيه اى تستلزمه وظائف النبوة جمع وظيفة بالظاء المشالة وهى الاحوال التى اقتضاها ذلك المقام من شروطها لانه منها لكل نبى رسول من علوم التوحيد بيان لما قومه من معرفة الله وصفاته وانه منفرد فى ذاته وصفاته واستحقاقه للعبادة وامور الشريعة التى امره الله بتبليغها وسياسة الامة اى امته والسياسة ضبط الخلق واجرا احكام الشرع عليهم بالسلطنة ويكون الخضر عليه الصلاة والسلام وفيه لغات فتح الخا وكسر الضاد المعجمتين وبسكونها مع الفتح والكسر وسياتى بيانه اعلم منه اى من موسى عليه الصلاة والسلام بامور اخر غير الشرعية والسياسة والحكومات التى فيما بين الناس يعنى انه صادق فيها لانه عام مخصوص بما هو المتبادر من علوم اكثر الانبيا وهو العلم بالامور الشرعية والحكم بين الناس كما هو شان الرسل وعلم الخضر بامور باطنة كشفية فلا تنافى بينهما واعلم انه تقدم ان الخضر انما سمى خضرا لانه كان اذا جلس على ارض نباتها هشيم اخضر وقيل لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله وان اسمه بليا وقيل غير ذلك ويكنى ابا العباس واختلف فيه كما فى هل هو ولى او نبى او ملك وهل هو حى الى الان ام لا وقد افرد احواله بالتاليف الحافظ الخيضرى سماه الروض النضر فى احوال الخضر وقال الثعلبى انه معمر محجوب عن الابصار وهذا اوجه ما قيل انه ملك وان كان قولا ضعيفا وروى فى اجتماع النبى صلى الله عليه وسلم به حديث ضعيف وتقدم الكلام على نبوته لا نطيل البحث بما لا يعلمه احد الا باعلام الله من علوم غيبه تعالى كالقصص المذكورة فى خبرها الذى قصه الله فى سورة الكهف فكان موسى عليه الصلاة والسلام اعلم من اهل عصره مطلقا بالشريعة والتوحيد والسياسة على الجملة اى بجميع العلوم المذكورة بما تقدم بيانه وهذا اى الخضر عليه الصلاة والسلام اعلم منه على الخصوص اى بعلم لدنى يختص به من الامور المغيبة الكشفية التى لم يكلف غيره بعلمها ويدل عليه اى على انه اعلم بعلم اختص به قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما اى من علم الغيب الذى لا يعلمه الا الله ومن ارتضاه للعلم به وعتب الله ذلك عليه عتب مصدر مبتدا وقوله ذلك مفعوله وعلى

جواب سوال تقديره اذا كان اعلم من وجه وهو صادق فى قوله هذا فلم عاتبه
الله عليه ودله على عبد له اعلم منه فيما قاله العلما اى نبهوه وصححوه بما يرفع
اشكاله ان كان هذا القول عليه اى قوله انا اعلم لانه اى موسى عليه الصلاة
والسلام فيما قاله وهو خبر المبتدا لم يرد العلم اليه اى الى الله تعالى تادبا معه
كما قالت الملائكة لله تعالى لما قال لهم انبئونى باسما هولا فقالوا لا علم لنا الا
ما علمتنا او عتبه والكاره لانه لم يرض قوله انا اعلم اى لم يرضه الله منه ولم يجعله
شرعا لتركه الاولى وان كان صادقا فى مقاله هذا وذلك اى عدم رضاه بقوله
هذا والله اعلم بوجه هذا ولقد اجاد فى هذا الرد وتحقق هذه العلة اى العلم الى الله
لئلا يقتدى به فيه اى فى ادعا الاعلمية جزما من غير رد الى الله من لم يبلغ كماله
اى من لم يصل الى مرتبته فى الكمال فى العلم من غير الانبيا فى تزكية نفسه اى مدحها
بجعلها زكية مبراة زايدة على غيرها فان مدح المرء نفسه غير محمود وان حسن احيانا
لمقتضى له كما قال تعالى ولا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى والتزكية التطهير من الاخلاق
الردية التى من جملتها العجب وعلو درجته بالنصب عطف على كماله ويكون جره من امنه
متعلق بقوله يقتدى حال من ضمير يبلغ فيهلك اى من يقتدى به من احد فى قوله
انا اعلم لما تضمنه اى قوله انا اعلم من مدح الانسان نفسه وهو امر مذموم
ويورثه اى يكسبه ويعقبه ما يعقب به شبه ذلك بالميراث ذلك القول
اى قوله انا اعلم من الكبر والعجب بضم فسكون قال الراغب يقال لمن يرد فى
نفسه فلان معجب بنفسه اى يستحسن افعاله واموره والتعاطى اى الاخذ فى تزكية
نفسه والدعوى الباطلة اى لم لا يرى قد اقتدا وه به فى قوله انا اعلم ما ذكر من
الرذايل وان نزه بالنا للمفعول اى برام الله وعصمه عن هذه الرذايل
اى الصفات الذميمة من الكبر والعجب والتعاطى والدعوى الانبيا عليهم الصلاة
والسلام لشرفهم وعلو مقامهم فغيرهم اى غير الانبيا بمدرجة سيلها اى غير
الانبيا يتصف ولا ينزه عنها لاستعداده لها وقبول طبعه لها والسيل الطريق
والمدرجة اسم مكان بمعنى المدخل والمسلك من درج اذا مشى يقال لهو فلان عمد
على طريق كذا اذا كان مستعدا له فهو استعارة وقيل المدرجة الثنية التى
يمشى فيها ويسيل منها السيول اى فى موضع الرذايل المشبهة بالسيل المهلكة
من اتصف بها كالسيل المغرق لما يمر به وفيه تكلف لا يخفى ودرك ليلها
بكونه الرديجون فيهما بمعنى ادراك الليل مقابل النهار وتشبيه ما يعرض له
من الصفات الذميمة بظلمة الليل الذى تغشاه والمراد ما لا يبرء منه من تلك
تلك الصفات الذميمة كما قال النابغة فانك كالليل الذى هو مدركى
وان خلت ان المنتاى عنك واسعه الامن عصمه الله اى حفظه عن الاتصاف
بها فالتحفظ اى الاحتراز منها اى من هذه الصفات اولى لنفسه والتنبيه لغيرها
عما نبه على تركه الاولى وليقتدى به فى التحفظ والسلامة منها ولهذا اى لكون

التحفظ

دعى

التحفظ اولى لمن يقتدى به قال عليه الصلاة والسلام تحفظا من مثل هذا
العجب انا سيد ولد ادم اى اشرفهم واعلاهم رتبة وتحفظ عن العجب فى مقاله
بقوله ولا فخر اى لم اقل هذا افتخارا وتعجبا وانما هو تحدثا بما انعم الله به
عليه او ان لا افخر بهذا فان الله انعم على بما هو اجل منه وفى رواية الصحيحين
انا سيد ولد ادم يوم القيمة ولا فخر والسيد يطلق عليه وعلى غيره وعلى الله كما تقدم
وهو من يفوق غيره ذكرا وحلما ويطلق على المالك والشريف والكريم والحليم
وهذا الحديث المروى فى قصة موسى والخضر الذى تقدم احدى حجج القائلين
بنبوة الخضر عليه الصلاة والسلام وهو احد الاقوال فيه لقوله فيه اى فى
هذا الحديث انه اعلم من موسى كما تقدم ولا يكون الولى اعلم من النبى ولا مساويا
له فى علمه واما الانبيا فيتفاضلون فى المعارف اى يكون بعضهم افضل من
بعض ولا يحد ورفيه واستدل على نبوته ايضا بقوله اى الخضر عليه الصلاة
والسلام فيما حكاه الله عنه فى قصته وما فعلته اى المذكور من الامور الثلاثة
عن امرى اى بما امرته نفسى فليس براى واجتهادى فدل ما ذكر انه يوحى
من الله تعالى والوحى لا يكون لغير الانبيا وفيه انه يجوز ان يكون بالهام والالهام
وان لم يفد العلم اليقينى للغير عند اهل السنة حتى لا يجوز الاستدلال به لكنه قد
يكون فى نفسه ويعمل به الملهم دون غيره كما حقق فى علم الاصول وفصلوه فى محله ومن
قال انه ليس بنبى بل ولى من اوليا الله قال مجيبا عما ذكر من الدليل الثانى يحتمل
ان يكون فعله بامر نبى اخر اوحى اليه به فى زمانه وهذا الجواب يضعف
اى يحكم بضعفه لانه اى الامر والشان ما علمنا انه كان فى زمن موسى عليه
الصلاة والسلام نبى غيره الا اخاه هارون ولم ينقل ملاقاته هارون للخضر
عليهما الصلاة والسلام الا انه قيل ان يوشع كان نبيا نبى قبل موت موسى وسبا فى
عن الفتح ما يؤيده فتدبر وما نقل احد من اهل الاخبار المعتمد على نقلهم
فى ذلك اى وجود نبى غير موسى واخيه عليهما الصلاة والسلام ما يعول عليه
لصحة نقله واذ وفى نسخة واذا حملنا قول الله لموسى ان لى عبدا اعلم
منك ليس على العموم وانما هو على الخصوص لتخصيصه بالجنس من الشرايع
والعقايد وفى قضايا معينة كما تقدم بيانه لم يحتج الى اثبات نبوة خضر
لان علمه كان بامور معينة غير الشرايع والعقايد وهذا يقتضى انه يجوز
الوحى بها لغير الانبيا وانه اذا اطلق عليه نبى بالمعنى اللغوى لا ينافيه كما فى قصة
خالد بن سنان كما اشار اليه بعض الفاضلين ولهذا اى لكونه عالما مخصوصا لا
نبيا فى غيره قال بعض الشيوخ كان موسى اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله
من الشرايع والاحكام وما فى حكمها والخضر اعلم من موسى فيما دفع اليه بالبنا
للمفعول براء مهملة او بدال مهملة وفاء وعين مهملة اى فيما حمله الله منوطا
به منتهيا اليه علمه مما غيب علمه عن غيره وقيل انما الجا موسى عليه الصلاة

اى عن ... الخضر من

والسلام اى اضطره الله والزمه ان يذهب الى الخضر للتادب اى ليؤدبه
الله حتى لا ينسب لنفسه الاعلمية وان كان صادقا فى مقاله ومناسبا لمقامه لا
للتعليم لما لم يعلمه مما يلزمه علمه فانه اكمل اهل زمانه ولذا قيل ان هذه القصة
تقتضى ان الخضر نبى رسول لئلا يكون العالى اعلم من الاعلى وفى الكشاف ان
القصة لا تقتضى ان موسى هذا هو ابن ميشا كما قال له اهل الكتاب لان للفاضل صح
فى اخذ ابنى العلم من نبى مثله اذ يمتنع اخذه ممن هو دونه وفى فتح البارى ان
فى كلامه نظرا لان المتكلمين اشترطوا فى النبى ان يكون اعلم اهل زمانه على
العموم ولو لزم هذا لزم ان لا يجمع الله بين نبيين فى عصر واحد وقد كان مع
موسى هارون وشعيب ويوشع والحق ان اللازم كونه اعلم ممن ارسل اليه وانه
اعلم بالعلم المخصوص به ولذا قال له الخضر عليه الصلاة والسلام انى على علم علمنيه
الله لا تعلمه انت ولم يكن موسى مرسلا الى الخضر فلا ضير فى كونه اعلم منه بعلم لم
خصه الله به وقال الامام القرطبى ولننبه هنا على مغلطتين الاولى ان بعضهم قال
ان الخضر اعلم من موسى متمسكا بهذه القصة وهذا انما يصدر ممن قصر نظره على هذه
القصة ولم ينظر ما خص الله به موسى من توراته التى فيها علم كل شئ وكلامه ودخول
انبيا بنى اسرائيل تحت نبوته ودعوته كما قال تعالى له انى اصطفيتك على الناس برسالاتى
وبكلامى والخضر وان كان نبيا ليس برسول بالاتفاق والرسول افضل من النبى الذى
ليس برسول وان قلنا انه ولى فلا اشكال الثانية ان بعض الزنادقة قال قولا
يهدم الشريعة وهو ان قصة الخضر تدل على ان احكام الشرع تختص بالعامة
وان خواص الاوليا انما يراد منهم ما يقع فى قلوبهم وخواطرهم لصفا قلوبهم من الاكدار
والاغيار فتنجلى لهم علوم الهية يقفون بها على اسرار الكائنات وعلم الجزئيات
فيستغنون عن احكام الشريعة كما فى حديث استفت قلبك وهذا الكلام زندقة
وكفر وانكار لما علم من الدين بالضرورة من ان الاحكام انما تؤخذ عن الله بواسطة
رسله وسفرائه بينه وبين خلقه فمن ادعى خلافه كفر فيقتل ولا يستتاب وكل
هذا كفر صريح والامتحان لموسى اذ اراه الخضر ان قتل الغلام كقتله للقبطى
واقامته الجدار كالقاء امه التابوت فى اليم واقامته الجدار بغير اجرة كسقيه
لبنات شعيب قبل استيجاره له وهذا لا يقتضى الانكار على بعض الاوليا فى الامور
الكشفية ولا بد الظن بهم فيما يصدر عنهم من بعض المقالات وهاهنا بحث
مهم وهو ان النبى معناه لغة المخبر او المخبر مطلقا وهو فى العرف العام
المخبر عن الله بوحى مطلقا وفى عرف الشرع المخبر عن الله بشريعة خاصة به
او امر بتبليغها غيره فعلى هذا لا يكون الخضر نبيا لانه انما اوحى اليه ببعض
الامور الغيبية اذا علمت هذا [illegible] اذا كان بين نبينا صلى الله
عليه وسلم وبين عيسى عليه الصلاة والسلام كما ورد فى الحديث لا نبيا فى الحديث
الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم لا نبى بينى وبين عيسى كما قاله ابن حجر

وقال

عرض

وقال ان الاول لا نبيا وهو حديث البخارى فهو مردود وانه لان خالدا
انما اوحى اليه بكشف امور البرزخ لا بيد الخبر عنه من الانبيا ويمهد لما
ياتى بعده بما سيجى به نبينا صلى الله عليه وسلم فانه لم يوح اليه بشرع ولا بامر يجب
العلم بتفصيله فليس نبيا بحسب عرف الشرع وتسميته نبيا انما هو باعتبار المعنى
العرفى واللغوى فلا منافاة بينه وبين الحديث مع انه لم يكشف ما ارسل به كما فى
الحديث الاتى انه اضاعه قومه وهو تحقيق حقيق بالقبول والبيان فى القصص

فصل واما ما يتعلق بالجوارح للانبيا عليهم الصلاة والسلام
جمع جارحة وهى الاعضا التى يكتسب بها الانسان ويعمل ما يريد يقال جرح
واجترح بمعنى عمل واكتسب قال تعالى ويعلم ما جرحتم بالنهار اى ما يتعلق
بعصمتهم فى افعالهم من الاعمال بيان لما اى الاعمال الصادرة بواسطتها فلا
يخرج من جملتها القول باللسان لانه من الاعضا فيما عدا الخبر اى الاخبار
بما سبيله البلاغ وغيره الذى وقع الكلام فيه قبل هذا كما تقدم ولا يخرج من
جملتها ايضا الاعتقاد بالقلب لانه من جملة الاعتقاد ولذا قال القاضى رحمه
وهذا بحسب العرف واللغة واما كون العلم من مقولة التكليف او الانفعال لا
من الفعل والعمل فمما يحققه الحكما ولا ينظر له علما الشريعة فيما عدا التوحيد
والايمان وما يتعلق بالوحى كما تقدم وما قدمناه من معارفه المختصة به صلى
الله عليه وسلم من اطلاعه على احوال الملكوت مما لا ينكشف لغيره كما تقدم فاجمع المسلمون
جواب اما على عصمة الانبيا جميعا نبيهم من الفواحش اى المعاصى والكبائر القبيحة
والفاحشة كل امر اشتد قبحه من الاقوال والافعال وقد تختص الفاحشة بالزنا
وقال ابن عرفة هى كل ما نهى الله عنه والكبائر هى مرادفة الموبقات اى المهلكات
بيان لها وبعد انها المهلكة واهلاكها بايقاعها فى العذاب فى الدنيا بالقتل وفى الاخرة
بالعذاب الاليم وحاصله عصمتهم فى اتيانهم وافعالهم واعتقادهم قبل النبوة
وبعدها من الكبائر المتوعد عليها ومستندهم اى دليلهم الذى اعتمدوا عليه
فى ذلك اى فى عصمتهم عن الكبائر الاجماع الذى ذكرناه عن المسلمين فالدليل
شرعى وهو الاجماع وهو مذهب القاضى ابى بكر الباقلانى الاصولى المالكى
ومنعها اى الكبائر غيره من الايمة بدليل العقل فتصدير منها للكبائر الصادرة
عنهم وقيل انه راجع لعصمتهم اى منع عصمتهم من الكبائر لعدم استحالتها عقلا
وهو وهم لانه يابله قوله مع الاجماع لان الاجماع لم يقع على عدم عصمتهم من
الكبائر مع ان كلامه نفسه بعده يابيه وهو قول الكافة اى جميع العلما
وقد تقدم ان بعضهم قال ان كافة يلزم التنكير والنصب على الحال وقد
بينا فى شرح الدرة انه غير صحيح واختاره ابو اسحاق الاسفراينى فى
لعلو مقامهم عن صدور مثله منهم فمذهب الجمهور ان عصمتهم عن الكبائر
بدليل سمعى وذهب طائفة الى انه بدليل سمعى وعقلى والمشهور عن الاشاعرة

ديجى

ان العصمة فيما وراء التبليغ غير واجبة عقلا لدلالة المعجزة عليه واما ما طريقه التبليغ
ودعوى الرسالة فالمعجزة دالة على عصمتهم فيه وذهب المعتزلة الى وجوب عصمتهم عن
الكباير عقلا بناء على قاعدتهم في الحسن والقبح العقليين ووجوب رعاية الاصلح والدليل
العقلي من وجوه فصلت في كتب الاصول منها انا امرنا باتباعهم فلو صدر عنهم ذنب
وجب اتباعهم فيما فعلوه فيلزم اجتماع الحرمة والوجوب وايضا لو صدر عنهم ذلك لكانوا
معذبين اشد العذاب لان عليهم وزرهم ووزر من اتبعهم وكانت شهادتهم غير مقبولة
وقد جعلهم الله شهدا على غيرهم الى غير ذلك مما فصلوه وكذلك اي كما انهم معصومون مما
مامر لا خلاف في انهم معصومون عن كتم الرسالة اي معصومون عن اخفاء شيء
عمن ارسلوا اليه لانهم مامورون بالتبليغ وفي اكثر النسخ كتمان الرسالة لقوله يا ايها الرسول
بلغ ما انزل اليك ومخالفة الامر معصية كبيرة ومعصومون عن التقصير في التبليغ
بترك شيء منه لان كل ذلك المذكور من الكتمان والتقصير فيه تقتضي العصمة منه
مفعول لتقتضي وقوله المعجزة فاعل اي تدل المعجزة على لزومه مع قيام الاجماع على
ذلك اي على ان الله عصمهم عنه من الكافة اي جميع الناس واعلم ان الحريري
قال في الدرة اذ كان يلزمها التنكير والنصب على الحالية الا انه غير مسلم فانه سمع غير
كافة شاذا او في توقف مثله على السماع نظر وقد ذكرناه مفصلا في شرح الدرة لنا والجمهور
اي اكثر الناس ومعظمهم متفقون على انهم لا يكتمون شيئا من الوحي الذي امروا بتبليغه
وهذا ورد في حديث رواه مسلم عن عايشة رضي الله عنها انها قالت من حدثكم ان محمدا صلى
الله عليه وسلم كتم شيئا من الوحي فقد كذب والله يقول يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك
من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته ولو كان كاتما شيئا من الوحي لكتم قوله واذ تقول
للذي انعم الله عليه الاية وقائل منهم اي منهم من قال بانهم معصومون من ذلك
الكتمان والتقصير من قبل الله اي خلق في جبلتهم العصمة فيهم معتصمون اي متمسكون
باختيارهم في تركه وكسبهم لا انهم مضطرون لعدم قدرتهم على خلافه الا حسينا النجار
بفتح النون والجيم المشددة والراء المهملة وهو حسين بن محمد النجار الذي تنسب اليه
الطايفة النجارية وهم فرق من المبتدعة الضالة وافقوا اهل السنة في بعض اصولهم
ووافقوا القدرية في نفي الرؤية ووافقوا المعتزلة في بعض المسايل ولهم مقالات كفروا
بها والمشهور منهم ثلاث فرق البرغوثية والزعفرانية والمستدركة فانه اي النجار قال
لا قدرة لهم على المعاصي اصلا كالعنين الذي لا يزني فانه قال ان الله يوجد الافعال
كلها من غير اختيار وكسب بايجاب الطبع واما الصغاير فجوزها على الانبياء عليهم
الصلاة والسلام جماعة من السلف المتقدمين وغيرهم من المتاخرين على الانبيا وهو
مذهب ابي جعفر الطبري محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري البغدادي
صاحب التصانيف الجليلة المشهورة ولد سنة اربع وعشرين ومايتين وتوفي في سنة عشر
وثلاثماية عن ست وثمانين وغيره من الفقها والمحدثين والمتكلمين وسنورد
اي نذكر بعد هذا ما احتجوا به من ادلتهم وما يتعلق بها وذهبت طايفة منهم

الى

الى الوقف اي التوقف وعدم الجزم وقالوا لعدم جزمهم بجوازها وامتناعها عليهم ان
العقل اذ خلي ونفسه لا يحيل وقوعها منهم اي لا يبعده محالا ولم يات في الشرع
قاطع اي نص صريح ودليل قطعي باحد الوجهين من الجواز وعدمه في صدور الصغاير
منهم وذهبت طايفة اخرى من المحققين من الفقها والمتكلمين في اصول الدين
الى عصمتهم من الصغاير كعصمتهم من الكباير وقالوا اي قال الذاهبون لعصمتهم
من جميع المعاصي صغايرها وكبايرها ان ذلك لاختلاف الناس في الصغاير في
تعريفها بما يميز احدهما عن الاخرى وتعيينها هو في الصغاير كالتقبيل وتارة معنى
من الكباير هل هي معدودة او هي ما توعد عليه بحد ونحوه او هو امر نسبي يتميز بما فوقه
ودونه واشكال ذلك عليهم حتى عسر تمييز احدهما عن الاخر وقد قال ابن عباس
وغيره من السلف ان كل ما عصي الله به فهو كبيرة نظرا لجلال الله وعظمته فان من
يخالف امر السلطان كبير بخلاف امر احد من رعيته وانه اي الذنب انما سمي منها بالصغير
اي اطلق عليه صغيرة بالاضافة اي نسبة وقياس وفي نسخة الاضافة الى ما هو اكبر
منه لا بالنظر له في نفسه ولا نظر الى من عصاه ومخالفة الباري عز وجل في اي امر
كان صغيرا او كبيرا يجب كونه كبيرة في نفسه وهذا نظر من لم يشاهد الا شاهد
الله معه او قبله ولذا قيل وان الذنوب تتفاوت اصلها قدرا وقال القاضي ابو
محمد عبد الوهاب المالكي البغدادي الاديب العلامة وهو من شعرا اليتيمة وقصيدته
المبجية التي منها

ولو ان اهل العلم صانوه صانهم ۞ ولو عظموه في النفوس لعظما

وله تصانيف في مذهبه جليلة كالتلقين والمعونة وارتحل الى مصر فتوفي بها ودفن
بالقرافة قريبا من الامام الشافعي في سنة اثنين واربعماية رابع عشر صفر لا يمكن ان
يقال في معاصي الله انها صغيرة الا على انها تغفر باجتناب الكباير ولا
يكون لها حكم (مع ذلك) اي لا يعتد بها ولا يواخذ فاعلها بعقاب عليها كما هو حكم الكبيرة الذي
حكم الله به بخلاف الكباير اذا لم يتب فاعلها منها اي لم يتب الفاعل او المفقود والتوبة
معناها معروف فلا يحبطها شيء اي لا يمحوها ولا يذهب حكمها ما يحبط غيرها من اعمال
العبد الصالحة والمشية في العفو عنها موكول الى فضل الله وسعة رحمته كما قال
تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وهو قول القاضي
ابي بكر بن الطيب الباقلاني وجماعة ائمة الاشعرية وكثير من ائمة الفقها لان الحديث
والنص دل عليه دلالة ظاهرة كقوله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس مكفرة لما بينهن ما
اجتنب الكباير اي ما دام اجتنابه لها وقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به والحديث مبين للاية
فلا يرد عليهم ان الوعيد شامل لها فلا تغفر بمجرد اجتناب الكباير وهو الحق فان الحق
خلافه لقوله تعالى ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم قال القاضي ابو
الفضل عياض مصنف هذا الكتاب رحمه الله قال بعض ائمتنا يعني المالكية ولا
يجب على القولين في العصمة عن الصغاير وعدمها ان يختلف في انهم معصومون

دبجي

من تكرار الصغائر وكثرتها وكان الظاهر أن يقول لا يجوز لأن أحدًا لم يقل بوجوب
الاختلاف في نفي عبارته تسمح إذ يلحقها ذلك المذكور من الكثرة والتكرار بالكبائر لما
فيه من عدم المبالاة بالمعاصي وفي الإحياء الصغيرة تصير بالإصرار كبيرة كما أن المباح يصير
بذلك صغيرة قال السبكي أما الأول فظاهر وأما الثاني فلا نعرفه وفيه نظر سيما في
وقيل إن المختار المعتنى به أن من أكثر من فعل الصغائر سواء كانت من نوع واحد أو أنواع عرضي
لا يكون فاسقًا ولا مرتكبًا لكبيرة إن غلبت طاعاته على معاصيه إلا أن يراد بالإكثار الإكثار
بحيث يغلب على الطاعات وفيه أن ما ذكره في حق غير الأنبيا فلا نسلم مساواتهم لغيرهم
فيه وهم المقتدى بهم فتدبر ولا ينبغي أن يختلف في صغيرة أدنت أي أزالت الحشمة معنى الحشمة
أي الحيا من الناس لأنها مما يستقذر وتنقبض النفوس منه وقد وردت بهذا المعنى في
الحديث كقوله يا دجهار لا تحتشم وفي قول عنترة
فأرى مغانم لو أشا حويتها ❊ فيصدني عنها كثير تحشم
وقد رد بهذا قوله في أدب الكاتب أن الناس يضعون الحشمة موضع الاستحيا وليس
كذلك إنما هي الغضب ومنه أنه يحتشمني ويليس كما قال وقد قال حسان رضي الله عنه
أرسلت تعني على سجيتها ❊ وقلت ما شيب غير محتشم ❊ ومنه قولهم للمهيب
محتشم وقد صرح به السهيلي والبطليوسي وأسقطت المروءة هي كمال الرجولية
وفسرها المصنف رحمه الله بقوله وأوجبت الإزرا أي التنقص والخساسة أي الدناءة
وكونه مزدرًا خسيسًا في أعين الناس فتبالا أزدراه أذانها وتنبه وعابه كفنا رند عنده
كسرقة لقمة وتطفيف تافه فهذا أيضًا كغيره مما يعصم منه الأنبيا إجماعًا لعلو قدرهم
وشرف أنفسهم وهممهم العلية لأن ارتكاب مثل هذا يحط منصب أي مقام المتسم به
الموصوف به أي يجعله سافلًا ويزري بصاحبه أي يحقره وينقصه وينفر القلوب عنه
فيا في مقام الدعوة واتباع الخلق له والأنبيا منزهون أي مبعدون عن ذلك كله لأنه
لا يليق بعلي مقامهم بل يلحق بهذا المذكور من الصغائر التي عصمهم الله منها ما كان
من قبيل المباح فأدى إلى مثله صغير مثله يحتمل أن يعود إلى ما ينزهون عنه فيكون
من قبيل سد الذرائع الذي ذهب إليه مالك فإن عنده أن ما أدى إلى المنهي عنه منهي عنه
وإن كان مباحًا في نفسه ويحتمل أن يعود إلى الإزرا والخساسة كالأكل في السوق لمن
ليس من أهله من غير ضرورة والصنائع الرذيلة كالحجامة وليس منها رعاية الغنم الذي
فعله الأنبيا عليهم الصلاة والسلام فإنه ليس بعيب في الزمن القديم وكلبس ما لا يليق به
من الملبوس كما قلت ❊ نصيحة لطيفة فاتها الأكياس ❊ كل ما اشتهيت والبس ما اشتهاه الناس ❊
وكإدمان الشطرنج لكن وجوبًا أدى إليه عن اسم المباح إلى الحظر
أي المنع منه يعني الكرمة وهذا صريح في الإشارة إلى سد الذرائع وهذه المسألة مما
نقل على الإطلاق عن الإمام مالك لكنها مشكلة وقد قال القرافي كما تقدم إنها ليست على
إطلاقها ولعل للمالكية فيها كلام طويل لم يحضرني الآن تفصيله وفي الشرح الجديد أن عرضي
مراده أنه يؤدي إلى الإزرا بمرتكبه والإزرا بالأنبيا كفر ففعله يؤدي إلى أن يزري

بهم

بهم فيحرم عليهم لاحتمال أن يراهم من يجهل مقامهم فيزري بهم فيقع في الشقا الأبدي فتأمله
وفي الكبيرة والصغيرة وتعريفهما كلام في الأصلين لا حاجة للإطالة بذكره وقد ذهب
بعضهم إلى عصمتهم أي الأنبيا من مواقعة المكروه أي الوقوع فيه بأن يفعلوه قصدًا
أما سهوًا فلا بأس به والمكروه يكون كراهة تحريم وهو نوع من الحرام لكن الفقها يطلقون
عليه مكروهًا إذا لم يكن فيه نص احتياطًا من القطع بالحكم به وكراهة تنزيه كترك بعض
المندوبات والمراد هنا الآن الأول ولعل فيما تقدم مما جزموا بامتناعه عليهم والأولى
شامل للثاني والأول وهو مما نهي عنه في الجملة لأنه صلى الله عليه وسلم مأمور باتباعه فلو
فعل مكروهًا اتبع فيه إلا أن يكون لبيان الجواز والتشريع فإنه يكون في حقه أفضل كغسله
أعضا الوضو مرة أو مرتين فتركه التثليث لبيان الجواز وقد استدل بعض الأئمة
على عصمتهم من الصغائر بالمصير إلى امتثال أفعالهم أي فعل مثلها اقتدا بهم فلو صدر
ذلك منهم أو جاز فعله الناس وظنوه مشروعًا فلما اشتروه منهم وإن كان صغيرة لأن ذنب
العظيم عظيم وإن قل واتباع آثارهم وسيرهم مطلقًا أي سواء كانت ضرورية أو جبلية
كالقيام والقعود والأكل والشرب فإنا نتأسى بهم فيه وإن كان مباحًا لأن الأصل في أفعالهم
أنها حسنة شرعية فينبغي اتباعهم في كل ما صدر منهم لأن الأصل أرجح من الظاهر وقد اختلف
الشافعية في اتباعه صلى الله عليه وسلم فيما علمنا أنه ليس تشريعًا هل يستحب أم لا كنومه واضطجاعه
بين سنة الفجر وفرضه وجمهور الفقها على ذلك أي استحباب اتباع آثارهم مطلقًا ما لم
يقم أنه خصوصية لهم من أصحاب مالك والشافعي وأبي حنيفة وأصحابه كبار أهل
مذهبه من غير التزام قيام قرينة تدل على أنه فعله للتشريع والاقتدا به فيه بل
يقتدى بفعله مطلقًا من غير التزام قرينة المشروعية عند بعضهم وإن اختلفوا
بعد القول باتباعه في حكم ذلك فذهب الغزالي إلى أنه يستحب اتباعه في الأمور الجبلية
كغيرها وذهب إليه كثير من الفقها والمحدثين وقال غيرهم إنه مباح أحسن من غيره وفي
قول ضعيف أنه واجب وحكى ابن خويز منداد أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله قبل
أبو بكر تلميذ الأبهري من أئمة المالكية والأصول وله تصانيف في مذهبه وعلم الخلاف
إلا أن في أنه مرجوح عندهم كقوله إن العبيد لا يدخلون في الخطاب وإن خبر الواحد
يوجب العلم وخويز منداد بضم الخا المعجمة وفتح الواو المخففة وسكون اليا المثناة التحتية
وزاي معجمة ساكنة أو مكسورة وميم مفتوحة أو مكسورة وروي بالواو حرفه بعدها ثم
نون ساكنة فدال بينهما ألف وقيل الأولى مهملة توفي في حدود الأربعمائة
وهو من أهل البصرة كما في التمهيد لابن عبد البر وأبو الفرج عمر بن محمد بن عمر الليثي
المالكي صاحب كتاب الحاوي في فقه مالك توفي سنة ثلاثين أو إحدى وثلاثين وثلاثمائة
عن الإمام مالك التزام ذلك أي اتباع أفعاله وآثاره وجوبًا أي قال إنه يجب اتباعه
صلى الله عليه وسلم في كل ما يفعله إذا لم يكن أمرًا جبليًا كالأكل والشرب ولم يعلم أنه من
خصوصياته إذا لم يعلم حاله من وجوب أو ندب أو إباحة لأن أفعاله منحصرة فيها لأنه
لا يصدر عنه محرم ومكروه كما تقدم وهو قول الأبهري بفتح الهمزة وسكون الموحدة

وفتح الكاف والراء المهملة وبالزاي نسبة لبلدة عظيمة بين فزوين وزنجان ولهم اخرى باصفهان وهو معروف بابي بكر يعني ما ارجح والابهري من علما المالكية اثنان ابو بكر محمد بن عبد الله بن صالح والاخر ابو سعيد عبد الرحمن بن ابي ابن عبد السلام ولبي ابن عبد السلام هذا اخوان في وهذا الثاني مشهور عندهم فمحمد الابهري من علما المالكية من اهل طليطلة وبلنسية يكنى ابي تمام وهو المراد هنا **وابن القصار** الامام في فقه مالك **واكثر اصحابنا من المالكية وقول اكثر اهل العراق** من فقها المذاهب **وابن سريج** بضم السين وفتح الراء المهملتين ومثناة تحتية ساكنة وجيم وهو ابو العباس احمد بن عمر بن سريج البغدادي الشافعي حامل لواء المذهب صاحب التصانيف الجليلة كانوا يفضلونه على جميع اصحاب الشافعي ويلقب بالباز الاشهب توفي قضاء شيراز وتوفي في جمادى الاولى سنة ست وثلاثمائة **والاصطخري** بكسر الهمزة وفتحها وصاد مهملة ساكنة وطاء مهملة مفتوحة وخاء معجمة ساكنة وراء مهملة يليها ياء النسبة نسبة لاصطخر بلدة عظيمة وهو ابو سعيد الحسن بن احمد بن يزيد بن عيسى الامام المشهور عند الشافعية وكذا اصحابه نوفي في سنة اربع وثمانين وثلاثمائة على احد الاقوال وترجمته مفصلة في الطبقات والميزان وغيرها **وابن خيران من الشافعية** راجع للثلاثة وهو علم لمثنى خير وهو ابو الحسين بن صالح بن خيران البغدادي الامام الزاهد الجليل قدره صاحب التصانيف المفيدة في فقه الشافعي طلبه الوزير ابن الفرات ليوليه القضاء فلم يجبه فسمر بابه عليه اياما فلم يجب فافرج عنه ثم قال انما فعلت ذلك به ليعلم ان ما في بلدنا مثله توفي رحمه الله سنة عشرين وثلاثمائة لعشر بقين من ذي الحجة **واكثر الشافعية على ان ذلك** اي الاتباع له صلى الله عليه وسلم فيما لم يعلم حاله **ندب** اي مستحب لا واجب ولا مباح كما مر وهو المشهور وبالغ ابو شامة رحمه الله تعالى في نصرته **وذهبت طائفة** من اهل **الى الاباحة** اي انه مباح وطائفة الى الوقف **وقيد بعضهم الاتباع** اي اتباعه صلى الله عليه وسلم في افعاله وجوبا او ندبا **فيما كان من الامور الدينية** بخروج الامور الجبلية كالاكل والنوم **وعلم به مقصد القربة** مصدر ميمي بمعنى القصد اي التقرب الى الله لعبادة وهذا مختار الامدي وابن الحاجب وابي شامة **ومن قال بان الاصل** فيما لم يعلم من افعاله صلى الله عليه وسلم **بالاباحة لم يقيد** مما قيد به من قال بالندب او الوجوب بقيد الدينية وقصد القربة لان التقييد به ينافي الاباحة اذ كل ما يقصد به القربة من ادنا درجاته طاعة فهو لا يخلو من الوجوب او الندب قيل هذا حكم فعله في نفسه وبالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم واما بالنسبة لامته فحكمهم مرتب على حكمه الا فيما استثني فتدبر **قال** المستدل على عصمتهم من الصغائر بما مر **فلو جوزنا عليهم فعل الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم في افعالهم** مطلقا كما امرنا به **اذ ليس كل فعل من افعاله** كغيره منهم **يتميز مقصده به** اي ما قصده **من القربة** بان يكون واجبا او مندوبا **او من الاباحة** بما لا يترتب عليه ثواب ولا عقاب او مدح او ذم **او من الحظر** اي المنع شرعا لكونه محرما او مكروها او خلاف الاولى **او المعصية** انظاهر عطفه بالواو عطف تفسير وعلى هذه النسخة ينبغي ان يفسر الحظر بخلاف

في افعالهم

الاولى

الاولى والمكروه وهذا بالحرام **ولا يصح** على تقدير جواز الصغائر عليهم **ان يؤمر بالامتثال لامر** من الامور فعله النبي صلى الله عليه وسلم وصدر عنه **لعله معصية** وقد امرنا باتباعه كقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ونحوه فيلزم ان نتبعه في معصية صدرت منه وهو باطل ولما ورد عليه ان الملازمة غير مسلمة لجواز ان تصدر عنه معصية صغيرة ولا يتبع فيها لانه قد بين لنا انها محرمة علينا الا انه ينبغي ما لم يصرح بكونه ملتبسا علينا ارتد هذا انما يتم لو قلنا القول مقدم على الفعل وليس بيانه كما اشار اليه بقوله **لا سيما** تقدم الكلام عليها وعلى قول انها للاستثنا مع انا لا نتفقا والحق ما بعدها الحكم دون ما بعدها وسي بمعنى مثل وما موصولة او زائدة كما بينه النحاة وقد نسناه **على قول من يرى تقديم الفعل على القول اذا تعارضا** وجهل المتاخر منهما لدلالته على الجواز المستمر مع كونه اقوى في البيان من حيث انه يبين به وقوله **و قوله من الاصوليين** اي علماء اصول الفقه وهو بيان لمن بان يجعل فعلا قال انه حرام ولم يعلم المتاخر منهما حتى يكون ناسخا له وقد اختلف فيه فمنهم من قدم الفعل لانه لا احتمال فيه وقيل يعمل بالقول لقوته بالصيغة وانه حجة في نفسه وهو قول الجمهور وقيل لا يرجح احدهما على الاخر الا بدليل وعلى الاول يقتدى بما فعله مطلقا والمعارضة بمعنى المخالفة ومنافاة احدهما للاخر وعلى هذا يكون الجواز نوى **ونزيد** هذا الدليل الذي استدل به على عصمتهم من الصغائر وعدم جوازها عليهم ونزيد ثبوت المصادرة **حجة** اي نقوي هذا الدليل بما يزيل الشبهة في حجيته وقوة برهانه **بان نقول من جوز على الانبيا وقوع الصغائر ومن نفاها** اي قال بعدم جوازها **عن نبينا** صلى الله عليه وسلم **مجمعون** ومتفقون في حق كغيره من الانبياء **على انه** اي النبي صلى الله عليه وسلم **لا يقر** بكسر القاف والبناء للمفعول وفاعله ضمير النبي صلى الله عليه وسلم اي لا يقر غيره اذا راه **على امر منكر من قول او فعل** لان تقريره انه صلى الله عليه وسلم بمنزلة قوله له ما فعلته جائز كما قيل ان الصحيح اذا لم يفعه مامور **وانه** صلى الله عليه وسلم **متى راى شيئا** منهيا عنه يفعل او يقال **فسكت** صلى الله عليه وسلم **فسكت عنه دل على جوازه** والسكوت رضى ولتقريره لوجوب الثنا عليه **فكيف** تعجب وانكار يشير به **يكون هذا حاله في حق غيره** ممن راه او سمعه **ثم يجوز وقوعه منه في نفسه** بان يرضى لنفسه مع شرفها وعصمتها ما لا يرضاه لغيره من اتباعه ولذا عد التقرير انه من الحديث كقوله وفعله ومثل ما رآه وسمعه ما علمه في عصره ولم ينكره فانه يدل على جوازه اي اباحته كما قرره الاصوليون الا انهم شرطوا فيه شروطا منها ان لا يكون يبين منعه قبل ذلك كما لو راى ذميا من اهل الجزية في كنيسة على ما يفعله اهل ملته وان يقدر على ازالة ذلك المنكر وفيه نظر لانه مامور بالامر وان خاف مكروها او قتلا وان يعلم ان انكاره يفيد كما قاله بعض المنزلة وهذا انما كان يفيد بعض الناس فيمتنع على نفسه ثم احبانا **وعلى هذا الماخذ** الدال على انهم لا يقرون غيرهم على المعاصي فضلا عن انفسهم **تجب عصمتهم عن مواقعة المكروه كما قيل** وقد تقدم قريبا لانه لما نهى الرسول عنه غيره فكيف يفعله ولا يتصف به كما قيل

لانه عن خلق وتأتي مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم
ثم اردفه بدليل على عدم فعله المكروه بقوله واذ الحظر بظاء مشالة بمعنى المنع
تحريما ومكروها واذ للزمان الماضي اريد بها التعليل هنا وهو معطوف على قوله
وعلى هذا المأخذ وفي نسخة الحض بحاء مهملة وضاد معجمة وقال البرهان انه تحريف
وفيه نظر او الندب اي الطلب غير الايجابي وضمنه معنى الحث على الاقتداء بفعله
كما امر الله باتباعه في آيات كثيرة معلومة ينافي الزجر اي زجره غيره اذا رآه ارتكب
ما لا يرضاه والنهي للغير عن فعل الامر المكروه وفي كلامه هذا احترازه وتوضيحه
بما يقتضي القليل انه يجب عصمته صلى الله عليه وسلم عن المكروه لما مر من انه لا يرضاه لغيره
فكيف يتصف به هو من غير مقتض وهذا معنى قوله وعلى هذا المأخذ الخ ثم بين وجهه
بوجه آخر اشار اليه بقوله واذ الحظر او الحض كما في بعض النسخ وهي صحيحة ايضا
كما علمت اي اذا رآه صلى الله عليه وسلم فعل فعلا لم ندر حكمه فقيل يمتنع فعلا لمنعه
وقيل يندب اتباعه والى الاول اشار بالحظر والى الثاني بالندب وعلى كل منهما
لا يفعل مكروها فاعله مزجور مندوب وايضا اي مما يدل على عصمته صلى الله عليه
وسلم عن موافقة المكروه فقد علم من دين الصحابة اي من عادتهم لان الدين يكون
بمعنى العادة ولو حمل على ظاهره صح وقوله قطعا اي علما لا شك فيه الاقتداء
بافعال النبي صلى الله عليه وسلم كيف توجهت اي في اي جهة من جهات الافعال
المختلفة وفي كل فن اي في اي نوع كانت من امور معاشه وحركاته وتكلمه وغير
ذلك كالاقتداء باقواله في اوامره ونواهيه فلا يفرقون بين قوله وفعله في الاتباع
فلو فعل مكروها لزم اتباعه فيه وهو لا يصح ثم ذكر امورا تدل على ان فعله كقوله
فقال فقد نبذوا خواتيمهم اي رموا وطرحوا والضمير للصحابة الذين كانوا لبسوها
وهو اشارة لحديث رواه الشيخان عن ابن عمر خواتيمهم جمع خاتم على لغة فان بعضهم
يشبع الكسرة كما وردت الاعداد بخواتيمها جمع خاتمة بمعنى آخرها وهو مطرد عند الكوفيين
وعند غيرهم سماعي او جمع خاتام وهو لغة فيه من عشر لغات فيه وهذه الاشارة الى
حديث هو انه صلى الله عليه وسلم لما كتب الى الملوك يدعوهم للاسلام قيل له انهم لا
يقرؤون كتابا غير مختوم فاتخذ له خاتما من ذهب للختم نقشه محمد رسول الله ثم
اوحي اليه بتحريم خواتم الذهب للرجال دون النساء فطرحه وهو على المنبر واتخذ
آخر من فضة حين نبذ خاتمه فهذا منهم اقتداء بفعله صلى الله عليه وسلم كما ذكره
وقيل ان خاتمه الذهب اهداه له النجاشي ومنه علم تحريم التختم بالذهب وحله بالفضة
خلافا لابن حزم في حلهما وما روي من ان الخاتم الذي نبذه كان من فضة طعن في روايته
كما فصل في شروح الصحيحين وفي شرح مسلم للقرطبي انه صلى الله عليه وسلم نهى ان ينقش
احد خاتمه كنقش خاتمه وان ينقش احد على خاتمه اسم محمد وان يتختم الناس بالفضة
ورده النووي ومن اقتدائهم بافعاله صلى الله عليه وسلم انهم خلعوا اي الصحابة نعالهم
في الصلاة حين خلع صلى الله عليه وسلم نعله وهو يصلي رواه احمد وابو داود
والحاكم

والحاكم عن ابي سعيد الخدري قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي باصحابه
اذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره فلما راوه القوا نعالهم فلما قضى صلاته قال ما
حملكم على هذا قالوا رايناك فعلته فقال ان جبريل اخبرني ان بها قذرا ومنه علم ان
الصلاة بالنعل اذا علم طهارتها ليست مكروهة واما حديث خالفوا اليهود فانهم لا يصلون
في نعالهم وخفافهم فلا يدل على استحبابها الا اذا قصد مخالفة اليهود فتأمل ومما يدل
على استحباب الاقتداء بافعاله صلى الله عليه وسلم احتجاجهم اي استدلال الصحابة
الوارد في حديث رواه الشيخان عن ابن عمر استدلوا به على انه يجوز استقبال القبلة
واستدبارها بالبول والغائط واثبات رأيه بقوله برؤية ابن عمر اياه اي النبي صلى
الله عليه وسلم جالسا لقضاء حاجته اي للبراز وهو يكنى عنه بقضاء الحاجة مستقبلا
بيت المقدس وهو قبلة الانبياء قال رقيت يوما على بيت حفصة فرايته صلى الله عليه
وسلم الخ واستدل بفعله هذا على جوازه ويلزمه لمن كان بالمدينة استدبار الكعبة ايضا
وهذا ايضا مناف لحديث ابي ايوب عنه صلى الله عليه وسلم اذا اتيتم الخلاء فلا تستقبلوا القبلة
ببول ولا غائط ولكن شرقوا او غربوا فقيل انه منسوخ وجمع بينهما بانه يكره في الخلاء
ما يرد من العمران ولا يكره في البيوت المعدة لذلك واختلفوا في علته فقيل تعظيمها
اي القبلة وقيل لان الصحراء لا تخلو من مصل فيراه والصحيح الاول واحتج غير
واحد منهم اي ناس كثيرون من الصحابة في غير شيء اي في اشياء كثيرة مما بابه اي نوعه
العبادة اي ما يتعبد به او العادة اي ما اعتادوا فعله بقوله اي ابن عمر رضي
الله عنهما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله ومثله كثير كما قيل لابن عمر
رايناك تلبس النعال السبتية وتصبغ بالصفرة فقال رايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يفعله وقوله قال صلى الله عليه وسلم هلا اخبرتيها اني اقبل وانا صائم اشارة الى
حديث في الموطأ عن عطاء بن يسار ان رجلا قبل امرأته وهو صائم في رمضان فخاف
وارسل امرأته تسأل امهات المؤمنين فقالت ام سلمة فقالت ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقبلها فقال لسنا كرسول الله فاتتها واخبرتها فاخبرت زوجها فوجدت عنده
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لهذه المرأة فاخبرته ام سلمة فقال لها رسول
الله الا اخبرتيها اني افعل ذلك فقالت ام سلمة قد اخبرتها فذهبت الى زوجها فاخبرته
فزاده ذلك شرا الخ فقال اني لاتقاكم لله واعلمكم بحدوده وقالت عائشة لما سئلت
عن تقبيل الصائم زوجته محتجة بجوازه وعدم افساده الصوم كنت افعله اي التقبيل
الصائم انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم وغضب رسول الله صلى الله عليه
وسلم على الرجل الصحابي الذي اخبر بمثل هذا عنه اي اخبرته زوجته بما افتته به
بعض امهات المؤمنين كما تقدم في حديث الموطأ فقال الصحابي المخبر بذلك يحل
الله لرسوله ما يشاء يجوز ان يكون هذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم فلا يقاس
امر غيره عليه وانما غضب لعلمه بانه اجيب عن هذا ولو كان هذا من خواصه
لم يرضه وقال والله اني لاخشاكم لله اي اعظمكم خوفا لله واعلمكم بحدوده

اي بما حده الله ومنعه من امور الدين المحرمة عليه صلى الله عليه وسلم وعلى امته كما قال تعالى تلك حدود الله فلا تعتدوها وقبلة الصائم لا تبطل صومه وفيها خلاف فقيل مكروهة وقيل مباحة وقيل يفرق بين الشاب الذي لا يملك شهوته والشيخ الذي يملكها كما فصله الفقهاء وهذا كله يدل على انه ايهم بافعاله ذلك يفعل مكروها كما تقدم والآثار المروية في هذا اي في اقتداء الصحابة رضي الله عنهم بافعاله اعظم اي اكثر من ان نحيط بها اي اكثر من ان تعد وتحصى لكنه مع كثرتها وشهرتها يعلم من مجموعها على القطع اتباعهم افعاله واقتداءهم بها اي بافعاله عليه الصلاة والسلام ولو جوزوا عليه المخالفة لما هو مشروع واجبا او مستحبا في شيء منها اي في بعض منها بموافقة امر مكروه ونحوه لما اتسق اي انتظم واطرد هذا اي اتباعهم افعاله كلها لجواز كون بعضها مباحة لا يقتدى به ولما بفتح اللام والميم المخففة اي لو قلت بجواز مخالفة امر الله في شيء من افعاله لما اعتاد الصحابة اتباعه فيها ولنقل عنهم اي نقل عن الصحابة مخالفة افعاله احيانا وظهر بحثهم عن ذلك اي تفتيشهم افعاله ليقتدوا ببعضها ويتركوا بعضها منها احيانا ولما بالتخفيف انكر صلى الله عليه وسلم على الآخر قوله يحل الله لرسوله ما يشاء كما تقدم وان رسول الله غضب لقوله وقال انا اخشاكم لله واعلمكم بحدوده واعتذاره بما ذكرناه فهذا كله يدل على انه لا يفعل مكروها واما صدور المباحات من الانبياء عليهم الصلاة والسلام والمباح ما يجوز فعله وتركه من غير ترجيح مما يباح لتوسعهم فيه ماخوذ من باحة الدار اي عرصتها وهو حكم شرعي على الاصح فجائز وقوعها منهم اي من الانبياء اذ ليس فيه قدح اي نقص وذم حتى تمتنع عليهم بل هو مأذون فيها لهم اذ لا ضير فيها وايديهم كايدي غيرهم مسلطة عليها اي هم كغيرهم من المكلفين لهم فعلها والاتصاف فيها من غير حرج عليهم في فعلها والتصرف فيها فانه ليس بمحاز عن الكسب والتصرف لان الة الفعل لما يقوله بيده الملك اي له وقبضة التصرف فيها الا انهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وبما شرحت له بالبناء للمفعول اي بسبب ان الله شرح صدورهم من انوار المعرفة وفي نسخة انواع واصطفوا به اي من اختيار الله وتقريبه من تعلق بالهمة بالله اي همهم وعزمهم الصادق تعلقه بالله وبامور الدار الآخرة اي بما هو وسيلة لها لا يأخذون اي لا يتناولون من المباحات الا الضرورات اي ما يضطرون اليه من ضرورة البشرية كلما به قوام البدن من الاكل والشرب مما يتقوون به على سلوك طريقهم من تبليغ امانة ربهم وما ينفع في المعاش والمعاد وصلاح دينهم مما يعين على العبادة ويصلح امورها كلبس المصلي الساتر له واضرورة دنياهم مما لا بد منه وما اخذ على هذه السبيل من كل امر ضروري وما موصول له جند اخبره الحق طاعة منصوب بنزع الخافض وصار قربة اي امرا يتقربون به الى الله اي الامور المباحة كالمأكل والمشرب والملبس اذا اخذ منه مقدار الكفاية وما لا بد منه للتقوى على السلوك للآخرة صار عبادة يثاب

عليها

عليها وملاحظة نفس المباح بالنظر لذاته ومن حيث هو لا ثواب فيه ولا عقاب اما بالنظر لما يقارنه فانه يصير عبادة والاعمال بالنيات وقد يحصل بالمباح ترك محرم فيصير واجبا وما نقل عن بعض المعتزلة ان كل مباح واجب لانه ترك محرم رده الامام وهو ظاهر البطلان كما بيناه اي من المباح الذي يصير قربة اول الكتاب طرفا اي مقدارا قليلا في خصال نبينا صلى الله عليه وسلم كما تقدم فبان بما ذكر من انهم انما يأتون من المباح بمقدار الضرورة وانه بالنسبة لقصدهم يصير عبادة يثاب عليها عظيم فضل الله على نبينا وعلى سائر الانبيا عليهم الصلاة والسلام وانعامه عليهم بما وهبهم من الصفات الحميدة كالقناعة في امور الدنيا وعدم الشره والتنزل لتعاطيها من غير حاجة ثم نبههم لان ينوون بها التقوى على عبادة الله فجميع امورهم عبادة وطاعة تقوله على نبينا متعلق بفضل ثم بين وجه ذلك بقوله بان جعل افعالهم كلها قربات وطاعات اذا قصد بها التقوى على العبادة كما بينا بعيدة بسبب ما ذكره عن وجه المخالفة وهو بمعنى الجهة والجانب اي بعيدة بما ذكر عن مخالفة الطاعة او مخالفة امر الله بمواقعة مكروه ورسم المعصية بالراء المهملة اي علامتها واثرها وبالواو بمعنى السمة والعلامة ايضا والكل ظاهر وما تقدم الى هنا مطلق من غير تقييد او مقيد بما بعد النبوة لقوله

فصل وقد اختلف في عصمتهم عن المعاصي قبل النبوة ومجي الوحي لهم عليهم الصلاة والسلام فمنعها قوم وجوزها آخرون والصحيح ان شاء الله اتى به للتبرك تنزيههم من كل عيب وعصمتهم عن كل ما يوجب الريب هو في الاصل الشك الشبهة وهو غير مناسب هنا فكانه اريد به ما يحط مقدار رفعهم لان شان النبوة الشرف والعلو فاذا ظهر خلافه ارتاب من عرفهم في نبوتهم وحصلت له شبهة فيهم فكيف انكار وتعجب اي لا شبهة في ما ذكر والمسئلة اي وقوع الذنوب منهم قبل النبوة تتصورها كالممتنع فان المعاصي والنواهي انما تكون بعد تقرر الشرع يعني ان الانبيا قبل النبوة معصومون اذا قلنا انهم غير مكلفين بشرع من قبلهم وقلنا ان العقل لا حكم له في تحسين امر ولا تقبيحه كما هو الحق عند الاشاعرة واهل السنة خلافا للمعتزلة القائلين بانه يجب الايمان بالله قبل الشرع ولبعض الماتريدية القائلين بان الايمان بالله وتوحيده واجب عقلا دون غيره فلا يلزم الدور كما تقرر في اصول الدين وما قاله المص جار على المذهبين لان مراده بالمعاصي غير الكفر ولما كان الله لم يرسل الى الخلق الا من هو اعقل اهل زمانه واتمهم فطرة واحسنهم خلقا وخلقا كانوا معصومين قبل النبوة وبعدها ولم يقع ذلك منهم اصلا وان اختلف في جوازه عقلا فعلى منعه لا يبقى شيء وعند من جوزه فيقبل البعثة كالباقلاني وان لم يقل بوقوعه كذلك فالكل متفقون على ان الله لم يبعث فاسقا ولا معروفا بالظلم والفجور وعدم الانصاف ولم يبعث الا نبيا زكيا محبوبا للقلوب مهيبا في عيونهم لم يقع عنده كل احد وهذا بالنسبة للمعاصي التي حدثت بعد نبوتهم

ونشو بهم معلوم ضرورة وانما الكلام فيما تقرر قبل ذلك وقد اختلف الناس
في حال نبينا قبل ان يوحى اليه هل كان متبعا لشرع قبله ام لا فقيل صوابه
اولا لانه ام لا نفا دل وفيه نظر فقال جماعة لم يكن متبعا لشي من الشرايع
وهو قول الجمهور قال القاضي على هذا القول القايل بانه لم يتبع شرع من قبله
غير موجودة فلم تتصور منه بل لم تجوز عليه ولا معتبرة في حقه اي لم يكلف بها ولم
يواخذ بها حينيذ اذ قلنا انه لم يتبعها ولم يكلف بها اذ الاحكام الشرعية انما تتعلق
بالاوامر تقدم الكلام عليها مرارا والنواهي امرا واموار وآمرة والنواهي من
حيث الوجوب والحرمة والكراهية والندب ونحو ذلك وتقرر الشريعة اي تحققها
وظهورها ولم يكن بعد وجوده وقبل بعثته شريعة متقرره في زمن الفترة حتى يتبعها
ثم اختلف القايلين بهذه المقالة الذين ارتضوها مذهبا لهم عليها متعلق
بحج باعتبار ما فيه من معنى الاستدلال فذهب سيف السنة اي عالمها الذي يحج
الادلة لنصرة طريقتهم استعار له السيف لانه يقطع الجدال كما يقطع السيف الابطال
والسنة ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ومقتدى فرق الامة شريعتها المهتدي اي
امة محمد صلى الله عليه وسلم وفي نسخة الايمة القاضي ابو بكر محمد بن الطيب بن محمد
ابن جعفر بن قاسم الباقلاني صاحب التاليف الجليلة وحامل لوا اهل السنة المتقدمة
الذي يضرب المثل بسعة علمه وشدة ذكايه وانتهى له النظر في الاصلين على اصل
الاشعري وارسل الى ملك الروم وناظر احبارهم في قصة غريبة له وتوفي في ذي
القعدة سنة ثلاث واربعماية وكانت له جنازة لم يرمثلها وانما مدحه وان كان خصيا
بذلك اشارة الى ترجيح هذا المذهب وانه لا ينبغي العدول عنه وهو ايضا على مذهبه
لانه مالكي لا شافعي كما قد يتوهم من اشعريته الى ان طريق العلم بذلك اي اتباعه
صلى الله عليه وسلم لشرع نبي قبل نبوته النقل لانه لا يعلم بالعقل وموارد الخبر من طريق
السمع اي يعلم من خبر يرد ونقل يحصل من طريق السمع وحجته انه لو كان ذلك لنقل
الينا تعبده به ولما امكن كتمه وستره في العادة التي جرت بين الناس في مثله من
ان من تعبد بشرع يظهره وينقله من اطلع عليه نقلا مستفيضا لا يخفى اذ كان نقله وعدم
كتمانه من مهم امره اي تعبده بشرع غيره مهم عظيم عند اهل ذلك الدين واولى
اي احق ما اشتغل به بها وتا مثناة فوقية وموحدة سجي للمجهول من الاشتغال
وهو شدة الاعتنا فهو عندهم من سيرته وصفاته المأثورة ولافتخر به اهل
تلك الشريعة لان مثل هذا النبي العظيم كان من اهل ملتهم وفيه شرف لهم ولاحتجوا
به عليه اي استدل اهل تلك الشريعة بكونه عليه الصلاة والسلام كان على شريعتهم
اذ كان قبل نبوته تابعا لشرعهم ودينهم فيقولون اذ دعاهم لاتباعه اما كنت على ديننا
قبل نبوتك فكيف تنهانا عنه الان وتامرنا بترك ما كنت توافقنا فيه ولم يوثر اي لم ينقل شي من
ذلك اي احتجاجهم عليه ولا نقل احد انه صلى الله عليه وسلم كان متعبدا بشرع احد
ممن كان قبله جملة اي بالكلية اصلا وكثيرا ما يستعمله بمعنى كافة وعامة وكما

مطلب القاضي ابو بكر الباقلاني مالكي لا شافعي

اختلفوا

اختلفوا في انه صلى الله عليه وسلم قبل البعثة هل كان على شريعة من قبله ام لا اختلفوا
بعد البعثة هل كان يتبع شرع من قبله فيما لم يوح اليه فيه شي ولم ينسخه وقد قيل ان
هذا المعلوم بالطريق الاولى كما فصل في كتب الاصول وذهبت طايفة الى امتناع
ذلك اي تعبده بشرع من قبله عقلا اي بدليل عقلي لا دخل للنقل فيه قالوا اي
المدعون للامتناع العقلي لانه يبعد ان يكون متبوعا متقدى به فيما شرعه الله
له وامره بدعوة الناس له من كان قبل صيرورته متبوعا مبعوثا لغيره من عرف
تابعا لشرع غيره متعبدا به قبل بعثته على هذا القول وهذا القول بامتناعه
عقلا مبني على التحسين والتقبيح وفي نسخة وبنوا هذا الخ اي على القول بان
حسن الشي وقبحه يعرف ويثبت به وهو قول المعتزلة فالتحسين والتقبيح العقليان
عبارة عن تعلق المدح والذم عاجلا والثواب والعقاب اجلا وهو محل النزاع في
هذه المسئلة المشهورة في الاصلين واهل السنة يقولون لا يعرف حسن امرا
وقبحه الا من جهة الشرع ولا دخل للعقل فيه وهي طريقة اي مذهب غير سديدة
اي غير صحيحة واستنادذلك اي الاستدلال عليه الى النقل عن الاثار وعن
اهل الشرع كما تقدم للقاضي ابي بكر الباقلاني قريبا اولى واظهر وهو القول
الصحيح المعول عليه وقالت طايفة اخرى بالوقف اي بالتوقف من غير تعيين
لطرف في امره عليه الصلاة والسلام فقالوا لا نعلم حاله قبل البعث هل كان
على شريعة من الشرايع السابقة ام لا وترك قطع الحكم عليه بشي في ذلك
اي الحال المتعلق بما ذكر وما كان عليه قبل بعثته اذ لم يحل احد الوجهين منها العقل
اي لم يبعده محالا لا لنا ولا عنده في الامكان ولا استبان وظهر واتضح في احدها
اي احد الوجهين طريق النقل بان ينقل ما يعينه عمن يوثق به وهو مذهب ابي المعالي
عبد الملك الجويني المعروف بامام الحرمين شيخ الامام الغزالي وعليه عمدة مذهب
الشافعي وهو الظاهر من انه يخفى وقالت فرقة ثالثة انه صلى الله عليه وسلم كان عاملا
في اموره وعباداته بشرع من قبله من الانبيا ثم اختلفوا بعد القول بانه على شريعة
منها هل تتعين ذلك الشرع بتعيين صاحبه واحكامه ام لا فيقال كان على شرع
لم يعلمه فتوقف بعضهم عن تعيينه واحجم بحا بهملة وجيم بمعنى تاخر ونكص فهو ولم
يجسر عليه بعدم دليل قام عنده على تعيينه وجسر بعضهم اي تجرا واقدم على
التعيين وصمم اي جزم واقدم بلا تردد فيه ثم اختلفت هذه الفرقة المعينة فيمن
كان يتبع شريعته من الرسل عليهم الصلاة والسلام الذين تقدموه فقيل هو نوح
لانه اول الرسل اصحاب الدعوة العامة في الجملة كما في البخاري وقيل ابراهيم
لانه افضل الرسل غيره بالاتفاق وابو الانبيا عليهم الصلاة والسلام وقيل موسى
لان كتابه اجل الكتب قبل القران وقيل عيسى لانه اقرب الرسل زمانا اليه عليه الصلاة
والسلام فهذه جملة المذاهب المنقولة في هذه المسئلة والاظهر الاقوى دليلا
ما ذهب اليه القاضي ابو بكر الباقلاني وهي القول الاول لما تقدم وابعدها

مذاهب المعينين كما تقدم لانه لم ينقل ومثله لا يخفى اذ لو كان شى من ذلك
اى اتباعه لشرع معين نقل كما قدمناه لكنه لم ينقل فدل على عدمه ولم يخف حكمه
اى عن احد من جميع الناس ولا حجة لهم فى ان عيسى عليه الصلاة والسلام اخر
الانبيا فهو اقربهم اليه ولا نبى بينهما فهو اولى الرسل به كما ذهب اليه بعضهم فلزمت
شريعته من جا بعدها لانه المثبتة درجب بادى الراى قبل التامل فيه فاذا تامل
عرف ان شريعته لا تلزم من جا بعده لانه انما يلزم ذلك لو عمت دعوته غير بنى اسرايل
من العرب اذ لم تثبت عموم دعوة عيسى صلى الله عليه وسلم بل الصحيح انه لم يكن
لنبى من الانبيا دعوة عامة لجميع بنى ادم الا لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانها عمت
جميع بنى ادم بل جميع المخلوقات من الجن والانس كما تقدم ومن قبله اخذ عليهم الميثاق
ان من ادركه يومن به وقوله بل الصحيح اشارة الى انه قيل بعموم بعض من قبله كادم
ونوح عليهما الصلاة والسلام لقوله لا تذر على الارض من الكافرين ديارا اذ لو لم
يرسل اليهم ما استحقوا الهلاك بمخالفته وهذا ان سلم فهو عموم نسبى لا حقيقى كما
لنبينا صلى الله عليه وسلم ولا حجة ايضا كما لا حجة لما قبله للاخرين القايلين باتباعه
لشريعة ابراهيم عليه الصلاة والسلام فى قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا اى
مستقيما والملة الشريعة والدين وكانت العرب تقول لمن اتبع ابراهيم انه حنيفى وانما لم
يكن فيه حجة لان هذا الامر بعد ما اوحى اليه صلى الله عليه وسلم والكلام فيما قبل البعثة
وانما امر باتباعه فى التوحيد واقامة الحجة برفق على من خالفه لا فى شريعته المتعلقة
بالعبادة وهذا الاول على مدعاه ولا على تفضيل ابراهيم لان الافضل قد يتبع الفاضل
فيما عرف من هديه وخلقه ولا حجة للاخرين القايلين بانه صلى الله عليه وسلم كان
على شريعة نوح فى قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الاية فلا حجة فيها لانه
فسره بقوله ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه فهذا امر مخصوص باقامة امور بينهم باتفاق
كلمتهم لها لا بتفاصيل شرع على تم اشار لوجه اخر بقوله فحمل بصيغة المصدر وفى بعض النسخ
فحمل بهم وفى اخرى فيحمل مضارع هذه الاية التى احتجوا بها انما هو على اتباعهم فى
التوحيد اى الايمان بالله وحده وما يتعلق بالعقايد الحقة مما يشترك فيه جميع الانبيا
وليس الكلام فى هذا انما الكلام فيما تعبد به صلى الله عليه وسلم من الاعمال الصالحة فليس
المراد به الاتباع التقليد فيما ذكروه هو محل الخلاف الذى نحن فيه كقوله اولئك الذين
هدى الله فبهداهم اقتده فالمراد بهداهم ما اتفقوا عليه من التوحيد دون فروع
الشرايع فانه لا يضاف للكل وقد قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا فلا دليل فيما
ذكر يثبت مدعاهم وقد سمى الله فيهم اى ذكر الله فى جملة الانبيا المذكورين فى هذه
الاية فى سورة الانعام المشار اليهم بقوله اولئك الذين الخ من لم يبعث اى نبيا لم يرسل
بشريعة مخصوصة وامر بدعوة الناس لها ولم يكن له شريعة جديدة تخصه كيوسف
ابن يعقوب على قول من يقول انه نبى لكنه ليس برسول لشريعة امر بتبليغها
ودعوة الخلق اليها فاتفق العلما على ان يوسف نبى والجمهور ايضا على انه رسول لقوله

ولقد

ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وانه يوسف بن يعقوب بن ابراهيم الكريم بن الكريم
ابن الكريم قال ابن جريج بعثه الله رسولا الى القبط وقيل انه لم يكن رسولا له شرع وانما
كان على شريعة ابيه يعقوب او على ملة ابراهيم ويوسف المذكور فى الاية هو غير يوسف
ابن ابراهيم بن يعقوب وهو نبى اخر ارسل لبنى اسرايل فاقام فيهم اثنى عشر سنة يدعوهم
وفرعون يوسف قيل انه فرعون موسى اطال الله عمره حتى ملك فى زمن موسى عليه
الصلاة والسلام وقد سمى الله جماعة منهم اى من الانبيا فى هذه الاية بسرد
اسمايهم على التوالى ثم امره صلى الله عليه وسلم باتباعهم بقوله فبهداهم اقتده وشرايعهم
مختلفة لا يمكن الجمع بينها حتى يومر باتباعهم جميعا فى فروع الشرايع العملية التعبدية
فلا يصح الاستدلال بها على ذلك فدل اختلاف احكام تلك الشرايع المامور بالاقتدا
بها على ان المراد ما اجمعوا عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى القلبية التى
لم يقع فيها الخلاف ونحوه من اصول الدين وبعد هذا القول بان المراد ما اتفقوا
عليه من العقايد فهل يلزم من قال بمنع الاتباع اى اتباع نبينا صلى الله عليه
وسلم لشرع من شرايع من قبله هذا القول اى ان يقول بهذا القول اى منع اتباع شريعة
من الشرايع السابقة فى ساير الانبيا غير نبينا صلى الله عليه وسلم فيقول بمنع اتباعهم
لشرع غيرهم كما امتنع ذلك فى حق نبينا صلى الله عليه وسلم او يجعل الفرق بينهم اى بين نبينا
صلى الله عليه وسلم وبين غيره من الانبيا فيقول ان نبينا لشرف قدره لا يتبع فى عبادته
شريعة غيره وغيره يتبع من قبله اما من منع الاتباع عقلا اى قال انه امر اقتضاه الدليل
العقلى فيطرد اصله اى دليله او امره الذى قرره وذلك يطرد فى كل رسول لان
الاحالة التى اقتضاها العقل من حيث هو لا يختلف فى رسول دون غيره بلا مرية
يكون اليهم وصفها بمعنى شك وشبهة لان الامر العقلى لا يختلف باعتبار الاديان والاعصار
ومرية براء مهملة وفى نسخة مزية بزاى معجمة اى تفاضل بينهم والمال واحد واما من
مال الى الاستدلال والقول بالنقل اى قال انه لم ينقل لنا انه صلى الله عليه وسلم
تعبد بشرع من قبله ولو نقل صح لانه امر سمعى لا عقلى صرف كما ذهب اليه ابا فلانى
رحمه الله فاينما بشاة فى فيه بعد التحقيقة ولو فرض بالتوقى صح ايضا للعقل ولا دخل له
فيه فاى شى نقل من منع او جواز اتبعه حكم بحاله ولا داعى للخلاف فيه ومن قال بالوقف
من غير جزم بتعيين احد الطرفين فعلى اصله اى على مذهبه فى عدم التعيين فى
غيرها لنا ويهما فيما ذكر اذ لا فارق ومن قال بوجوب الاتباع لغيره لانه امر دينى
لا دخل للراى فيه لمن قبله من الرسل عليهم الصلاة والسلام يلزمه اى القول بالوجوب
على غيره لازم له ايضا بساق حجته اى بسبب ما اقتضاه مساق حجته ودليله واجرايه
فى كل نبى لاطراده وصدقه عليه قيل وهذا فى غير النبى الذى بعث تحت دعوة كهارون
مع موسى عليهما الصلاة والسلام فتدبر وقد وقع لبعضهم هنا كلام تركه خير منه والله اعلم

فصل هذا اى ما تقدم من العصمة قبل حكم ما يكون المخالفة فيه
من الاعمال عن قصد اى تعمد والمراد مخالفة الشرع وهو اى العمل الذى خولف به

٧ مقصود له وتعمد م

ابن فارس

الفرق بين السهو والنسيان

عن قصد ما يسمى عرفا وشرعا معصية لانه عصى الله به ويدخل تحت التكليف اي ما خولف فيه الشارع وقصد امره من جنس ما كلف الله به عباده بحكم والحكم هو خطاب الله المتعلق بافعال المكلفين من الاحكام الخمسة وفيه عبارته تسمح لان المندرج تحت التكليف ليس هو المعصية بل تركها واما ما يكون من الاعمال المخالفة لامر الشارع بغير قصد وتعمد كالسهو وهو الذهول وغيبة ما علمه من القوة الحافظة بحيث يتنبه بادنى تنبيه لبقائه في المدركة والنسيان وهو ذهول عما لم يبق صورته في القوة المدركة والحافظة ويحتاج في حصوله لسبب جديد وهذا هو الفرق بين السهو والنسيان على ما قيل وقد تقدم طرف منه في الوظائف الشرعية الوظائف جمع وظيفة وهي ما وظف وعين من الاعمال الموقتة كالصلاة والصوم والحج ونحوه من العبادات بخلاف السهو والنسيان مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وفسر عدم تعلق الخطاب به بقوله وترك المؤاخذة عليه المؤاخذة بالهمز وبالواو مفاعلة من الاخذ والمراد به العقاب او العتاب وغير المكلف انواع وهو المجنون والمغمى عليه والنائم والساهي والناسي ومن لم يبلغه الخطاب من الجهلة والمخطئ وقد تقدم الكلام على السهو والنسيان والغفلة قريبة من السهو وقد يرد السهو والنسيان بمعنى ومنه السكران وان جرى عليه حكم الحد تغليظا عليه كما قاله النووي وكذا المكره والملجأ وفي الحديث رفع عن امتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه فاحوال الانبياء في ترك المؤاخذة به وكونه ليس معصية لهم مع اممهم سواء اي هم واممهم مستوون في عدم المؤاخذة به لانهم لم يكلفوا به لا قبل الشرع ولا بعده ثم ذلك الذي لم يؤاخذ به من السهو والنسيان على نوعين احدهما ما طريقه البلاغ اي نوع منهما وقع فيما امر بتبليغه من ارسل اليه وتقرير الشرع اي ما يقرره الشارع ليعمل به وتعلق الاحكام به امرا ونهيا وتعليم الامة بالفعل اي ما علمته الرسل عليهم الصلاة والسلام لاممهم من الافعال الشرعية واخذهم اي تكليفهم ومؤاخذتهم باتباعهم فيه اي بسبب الاتباع وعدمه وما هو خارج عن هذا اي ما خرج عن طريقة البلاغ لعدم مصدقه عليه وانه راجع تحت كلمة مما يختص بنفسه دون امته مما يبيح او يمنع ونحوه مما يختص بالرسل انفسهم اما النوع الاول وهو ما طريقه البلاغ ونحوه فحكم عند جماعة من العلماء حكم السهو في القول في هذا الباب اي باب العصمة وحكمها وقد ذكرنا قبل هذا الاتفاق على امتناع ذلك اي امتناع المخالفة في القول في حق النبي صلى الله عليه وسلم وعصمته بحفظه من جوازه عليه فضلا عن وقوعه منه قصدا او سهوا ونسيانا وتركه لعلمه بالطريق الاولى فكذلك اي كما قالوا في الاقوال البلاغية قالوا في الافعال في هذا الباب المذكور لا يجوز طروء بتشديد الواو او بالهمزة بعد واو وسالمة كما مر لحدوث لفظا ووزنا ومعنى وفي نسخة طرو بدال مهملة بزنة ضرب اي اطراد المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا لانها اي الافعال بمعنى القول من جهة التبليغ والاداء وطرد ضبطه كالذي قبله

هذه

هذه العوارض عليها اي على افعاله صلى الله عليه وسلم يوجب التشكيك اي يستلزم وقوع الشك في بقية افعاله هل فعلها بوحي من الله او مخالفة للوحي او سهوا ويوجب ايضا تشبث المطاعن الطعن القدح بما يورث نقصا في افعاله صلى الله عليه وسلم ولما ورد عليه ان وقوع السهو منه في افعاله صلى الله عليه وسلم مما ثبت في احاديث صحيحة لا يمكن انكارها فكيف يسوى بينها في الانتفاء اشار الى الجواب عنه بقوله واعتذروا عن احاديث السهو الثابتة في صلاته صلى الله عليه وسلم بتوجيهات نذكرها بعد هذا كما سيأتي عن قريب والى هذا المذهب في امتناع المخالفة ووقوعها عمدا او سهوا مال الامام ابو اسحاق الاسفرايني اي رجحه على خلافه وذهب الى اعتقاده وذهب الاكثر من الفقهاء والمتكلمين الى ان المخالفة في الافعال البلاغية التي امروا بتبليغها لاممهم والاحكام الشرعية علمية وعملية سهوا وعن غير قصد منه اي من النبي صلى الله عليه وسلم نسيانا او غلطا فهو من عطف العام على الخاص وسهوا تمييز او حال جائز عليه اي على النبي صلى الله عليه وسلم لانه امر معفو عنه غير مؤاخذ به كما تقرر في احاديث السهو في الصلاة الثابت في الصحيحين وغيرهما كما مر انفا وفرقوا بالتشديد ويجوز التخفيف اي ذكروا فرقا بين جواز وقوع ذلك في الافعال وبين الاقوال البلاغية اذ منعوا المخالفة فيها عمدا او سهوا لقيام المعجزة اي لدلالة معجزة كل نبي من الانبياء التي تحدى بها على الصدق اي صدقه في القول اي فيما يقوله ويبلغه عن ربه ومخالفة ذلك اي مخالفة الصدق في القول سهوا ومن غير قصد يناقضها اي يناقض معجزته وينافيها فلا تجتمع المعجزة وعدم صدقه فيما يبلغه عن ربه لاستحالة لان اجراء الله المعجزة على يده في قوة قوله انه صادق فيما يبلغه عني ودلالتها على ذلك دلالة التزامية في قوة المطابقة كما تقرر فعلم الكلام فالفرق مثل الصبح ظاهر واما السهو في الافعال فغير مناقض لها اي للمعجزة ولا قادح في النبوة اي لا يضرها بوجه من الوجوه لعدم منافاته لها بل غلطات الفعل اي وقوع الغلط في الافعال وغفلات القلب عما يعمله حتى يصدر عنه ما لم يرده من سمات البشر اي من صفاتهم اللازمة لهم حتى لا يخلو عنها انسان كما قيل وانما سمي انسانا لنسيانه واول ناس اول الناس كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن ابن مسعود انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني جملة انسى مستانفة او خبر بعد خبر لانا او صفة لبشر وضمير المتكلم يربطه واما كونه يتعين كما في قوله انا الذي سمتني امي حيدرة عند المازني فلانه ليس محل الالتفات لانه لا يكون رابطا فلو صح هذا لم يجز كونه خبرا ايضا وظاهر الحديث يدل على انه صلى الله عليه وسلم يجوز عليه النسيان والسهو مطلقا وحاصل ما اشار اليه اولا واخرا ان ما افاده ظاهر الحديث منعه بعضهم وجوزه اخرون بشرط ان لا يقر عليه وينبه عليه كما يأتي واختلف

عرضي

هل يجوز تأخير تنبيهه ام لا وضعفوا جواز السهو عليه فيما هو يتعلق من الامور البلاغية
واجابوا عما ورد من مثله وصححوا الاول وهو الجواز لانه لا ينافي النبوة بل فيه فضيلة
البيان وتقرير الاحكام واختلفوا فيما ليس طريقه البلاغ من افعاله فجوزه الجمهور
واما في الاقوال البلاغية فمجمع على منعه كما اجمعوا على منع تعمده واما السهو في الاقوال
المتعلقة بامور الدنيا مما ليس طريقه البلاغ ولا من الاحكام واخبار المعاد ومما لا
يضاف لوحي فجوزه بعضهم اذ لا مفسدة فيه وصحح المصنف منعه على الانبياء في كل خبر
عمدا وسهوا لا في صحة ولا في مرض ولا رضى او غضب ولم ينقل الناس فيه اولون
اخباره صلى الله عليه وسلم عصرا بعد عصر من غير استدراك احد لغلط فيها او وهم
في شيء منها ولو كان لنقل كما نقل في الصلاة وبرهه عنها واستدراك رايه في تلقيح النخل
وسهوه في امور الدنيا غير ممتنع ونص الحديث رواه الشيخان في باب السهو في الصلاة
وانه صلى الله عليه وسلم قد صلى الظهر خمسا فسجد سجدتين وانقل بوجهه على
الصحابة وقال لو حدث شيء في الصلاة انبأتكم به ولكني انما انا بشر الخ نعم العرب
كثيرا ما تزيد نعم في كلامهم اذ التي لمصيغ له وكانه جواب سؤال مقدر كقوله نجد
نعم واري الهلاك كما نواه **بل في حالة السهو والنسيان هنا** اي في حالة البلاغية
في حقه صلى الله عليه وسلم **سبب افادة علم** لتستفيد منه امته **وتقرير شرع** اي
تحقيقه وتثبيته **كما قال صلى الله عليه وسلم** في حديث رواه في الموطا **اني لانسى او**
انسى بالهمزة المضمومة والتشديد مبني للمجهول للعلم بفاعله اي ينسيني الله ويوجد
النسيان في **لاسن** اي لاحدث لكم امرا شرعيا كتعليم سجود السهو ونحوه **بل قد**
روى هذا الحديث بوجه اخر وهو **لست انسى ولكن انسى لاسن** الاول
بفعل المتكلم المعلوم المخفف والثاني مجهول مشدد ووجه انه لا تنافي بين نسبة النسيان
له صلى الله عليه وسلم في الرواية الاولى ونفيه عنه في الحديث الاخر لان نسبته اليه باعتبار
حقيقة اللغة ونفيه عنه باعتبار انه ليس موجد له حقيقة والموجد الحقيقي هو الله
كما يقال مات زيد واماته الله وفرق بين الفاعل الحقيقي بحسب عرف اللغة والفاعل
الحقيقي في نفس الامر كما قرره الاصوليون وتحقيقه في شرح العضد للابهري فحيث
اثبت له النسيان اراد قيام صفة النسيان به ونفيه باعتبار انه ليس بايجاده ومن
مقتضى طبعه والموجد له هو الله وقوله في حديث اخر لا يقولن احدكم نسيت اية
كذا بل هو نسي فكره نسبة النسيان لغير الموجد الحقيقي المقدر لكل شيء او لان اصل
النسيان الترك فكره ان يقال ترك القران لاشعاره بالتهاون اختيارا ووقع له
نعم الخ استدراك مما قد يقال عنه بان نسيانه صلى الله عليه وسلم ليس كنسيان غيره
لما يترتب عليه من الفوائد الجليلة وتسويته بهم في الحديث باعتبار ظاهر الحال
والابتداء بقوله **وهذه الحالة** اي ما يعرض له صلى الله عليه وسلم من النسيان
ليبين **زيادة له** مخصوصة به صلى الله عليه وسلم **في التبليغ** للناس ولما يحصل لهم
من تعلم ما يفعله الساهي في العبادة من امته **وتمام عليه في النعم** بتتميم نعمة

الرسالة

الرسالة والبلاغ ببيان حال الساهين فيما يلزمهم من العبادة فهي **بعيدة عن**
سمات النقص لان النسيان نقص في الجملة ولذا عده الاطباء من الامراض الدماغية
وهي في حقه باعتبار ما يترتب عليها من عبارة الارشاد للعباد ولذا قال بعض مشايخنا من
الحنفية ان هذه السجدة سجدة سهو للامة وسجدة شكر له صلى الله عليه وسلم وممدوح
في حقه وان لم يمدح بها سواه لكونه ابا وقرن في بيتها كما قال الابوصيري
رحمه الله تعالى

كفاك بالعلم في الامي معجزة ۞ وبالتراهة والتاديب في اليتم

وبعيدة عن اعتراض الطعن اي ولا يعترض ولا يطعن فيه بما يعرض له من
النسيان وعلله بقوله **فانه القائلين بتجويز ذلك** اي السهو والنسيان على الانبياء
عليهم الصلاة والسلام في الافعال البلاغية **يشترطون** في جوازه عليهم **ان الرسل**
لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون عليه اذ اعرض لهم **ويعرفون** بالتشديد
والبناء للمجهول فيه وفي ينبهون **حكمه** والظاهر يعرفونه لانه احضر فاظهر
فكانه اتخذ اشارة الى انه كما يعرف بصدوره عنه يعرف بحكمه كالسجود فالمعرف
هو الله **بالفور** اي ملتبسا بالفور وهو عدم التمهل والبطء **على قول بعضهم**
وهو الصحيح عند ائمة الاصول **وقبل انقراضهم** اي يمهلون مدة الحياة فانما يلزم
التنبيه قبل الموت وهو معنى الانقراض **على قول الاخرين** الذين لا يشترطون الفورية
واما ما ليس طريقه البلاغ لامته **ولا بيان الاحكام** الشرعية **من افعاله** صلى
الله عليه وسلم وهو بيان لما **وما يختص به من امور دينه واذكار قلبه** كتسبيحه
وتمجيده لربه وتفكره في معرفته **مما لم يفعله ليتبع فيه** مبني للمجهول ومتعلقات
في **الاكثر من طبقات علماء الامة** الطبقة على كل عصر فهم طبقة بعد طبقة **على جواز**
السهو والغلط عليه فيها اذ لا يتعلق صلى الله عليه وسلم به شيء اصلا **وكونه الفترات**
اي عروضها جمع فترة وهي كما قال الراغب سكون بعد حدة ولين بعد شدة وضعف
بعد قوة انتهى **والغفلات بقلبه** بان يغفل عما هو فيه كما هو مقتضى البشرية
وذلك اي كون ما ذكر من الفترة والغفلة لا ضير فيها **بما كلفه من مقاساة**
الخلق بنظره صلى الله عليه وسلم في احوالهم وتدبير امورهم **وسياسات الامة**
بتدبير امورهم والنظر في عواقبهم **ومعاناة الاهل** من العناية والعنايهم ومعنى
الاشتغال بهم **وملاحظة الاعداء** بغزوهم والحذر منهم والتجسس على اخبارهم
ثم استدرك فقال **لكن ليس** نسيانه صلى الله عليه وسلم وسهوه **على سبيل التكرار**
بتكرره ووقوعه منه **والاتصال** باستمرار دوامه لان مثله غير محمود عند الطباع
السليمة **بل** وقوعه منه **على سبيل الندور** وقلة الوقوع والنادر لا حكم له
وقل يخلو منه احد **كما قال** صلى الله عليه وسلم في حديث تقدم **انه ليغان على**
قلبي فاستغفر الله تقدم طرف من الكلام على هذا الحديث وان الغين بمعجمة
غيم رقيق وان المراد به ما يعرض له من الخواطر التي تشغله عما يهمه من امر الاخرة

دينه واذكار قلبه صح

وهو عبادة ايضا لانه تفكره في امور امته وتدبير احوالهم وانما استغفر منه لانه شغله عن الاهم عنده فهو بالنسبة لعظيم مقامه كانه ذنب لانه اشتغال بالعالي عن الاعلى فهو حالة كمال لا نقص **وليس في هذا** السهو الصادر منه صلى الله عليه وسلم **شي يحط** اي ينزل قدره العلي **من رتبته** وعظمة مقامه **ولا نقص معجزته** الدالة على صدقه **وذهبت طائفة** من العلما اي جمع اتخذ امر مذهبا ومعتقدا لهم وليس هذا من الذهاب ضد الرجوع وان كان اصل معناه المنقول منه **الى منع** صدور **السهو والنسيان والغفلات والفترات في حقه صلى الله عليه وسلم** دكي

جملة اي كلها لا يستثنى منها شي اصلا **وهو مذهب جماعة المتصوفة** اي اهل التصوف **واصحاب علم القلوب** هو عطف تفسير له وهم الذين صفوا قلوبهم بالمجاهدة لا يتكلفوا طريقة التصوف لان هذه الصيغة قد يراد بها المبالغة كالمتوحد في صفات الله تعالى **والمقامات** اي المراتب التي يعرفها مشايخهم ويقطعونها في سيرهم الى الله وتقدم الكلام عليهم مبسوطا **ولهم** اي للعلما **في هذه الاحاديث** المروية في السهو والنسيان **مذاهب** اي اقوال يعتقد ونها **نذكرها بعد ان شا الله**

فصل في الكلام على الاحاديث المذكور فيها السهو الواقع منه صلى الله عليه وسلم في افعاله **وقد قدمنا في الفصول السابقة قبل هذا** الفصل **ما يجوز عليه فيه السهو وما يمتنع واحلناه** اي جعلناه محالا فيما طريقه البلاغ **في الاخبار** وما هو من قبيل الاقوال **جملة من غير استثنا لشي منها وفي الاقوال الدينية** اي التي ذكر فيها الاحكام الشرعية **قطعا من غير تردد واجزنا وقوعه في الافعال الدينية على الوجه الذي رتبناه** منفصلا قبل هذا من انه غير مناقض للمعجزة وعدم قدحه في النبوة مع ندرته وما يترتب عليه من افادة علم وتقرير حكم **واشرنا الى ما ورد في ذلك ونحن نبسط القول فيه** في هذا الفصل **والصحيح من الاحاديث الواردة في سهوه** صلى الله عليه وسلم **في الصلاة ثلاثة احاديث** فيها وهي **اولها حديث ذي اليدين في السلام** بقطع الصلاة **من اثنتين** اي ركعتين من الظهر او العصر وما قاله ذو اليدين هو المقدم كما تقدم وقال المص في الاكمال احاديث السهو كثيرة الصحيح منها خمسة الخ وقد قدمنا الكلام على حديث ذي اليدين **الثاني حديث ابن بحينة في القيام من اثنتين** بحينة بالموحدة مضمومة وحا مهملة وبعدها مثناة تحتية ونون بصيغة التصغير وهو عبد الله ابن بحينة وبحينة امه وهي بحينة زوجة مالك والد عبد الله الازدي وعبد الله هذا حليف بني المطلب اسلم هو وابوه ولهما صحبة وانكر الحافظ الدمياطي صحبة مالك والد عبد الله وان تكون له رواية واسلام وانما ذلك لعبد الله وفي تجريد الذهبي مالك بن بحينة ابو عبد الله وروى عنه حديث وصوابه عبد الله الازدي وامه بحينة قرشية وبحينة ام عبد الله زوج مالك لا ام مالك وفي اطراف المزي من مسند مالك بن بحينة حديث ايصلى الصبح اربعا وحديث السهو

في

في الصلاة في مسند مالك بن بحينة وفي الكاشف مالك بن بحينة الصحابي له في السهو وروى عنه ابن حبان وقال النسائي هذا خطا صوابه عبد الله بن مالك **الثالث حديث ابن مسعود** الذي رواه الشيخان عنه مسندا وهو **ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا** فقيل له ازيد في الصلاة فقال وما ذاك قالوا صليت خمسا فسجد بعد ما سلم وليس قوله بعد ما سلم في رواية البخاري ولخرج مسلم من حديث الاعمش ومنصور عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابراهيم زاد او نقص انشاء مني فلما سلم قيل له يا رسول الله احدث في الصلاة شي قال وما ذاك قالوا صليت كذا وكذا فثنى رجليه واستقبل القبلة فسجد سجدتين ثم سلم واقبل علينا بوجهه فقال انه لو حدث في الصلاة شي انباتكم به ولكن انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني واذا شك احدكم فليتحر الصواب وليتم ثم ليسجد سجدتين وفي الحديث دليل على تداخل سجود السهو ولعل كونه بعد السلام او قبله فقد وقع فيه اختلاف بين الفقها كما اختلفت الرواية فيه وقيل سجود النقص قبل السلام وسجود الزيادة بعده وهو معنى ما قيل القاف بالقاف والدال بالدال **وهذه الاحاديث** التي ذكرها المص **مبنية على السهو في الفعل** اي ان ما طرا فيها وقع في فعله لا في قوله **الذي قررناه** فيما مر في بيان **وحكمة الله فيه** اي اوجده الله فيه لحكمة ولو شا صانه عنه وهي انه انما اوجده **ليستن** اي ليبين للامة حكمه شرعا **به** اي بسبب فعله فالسنة هنا بمعنى الطريقة ثم اشار الى جواب سوال تقديره ان هذه الحكمة تحصل بيانها بالقول بان يقول من سهى في صلاته فليفعل كذا من غير وقوع سهو في فعله فقال **اذ البلاغ بالفعل اجلى** بالجيم افعل تفضيل اي اظهر **منه بالقول** واظهر لمشاهدة فعله وكيفيته في زمن قليل ولو قرره بكلامه احتاج لتفصيل ولا وجه لما قيل ان فيه خللا في صلاته بزيادة او نقص بخلاف وجوده بالقول اذ اعضه الله عنه فالحكمة انما هي لبيان ان هذا السهو انما هو من صفات البشر فاذا وقع من مثله فغيره اقبل له كما قال لا يضل ربي ولا ينسى وكثير لم سبحان من لا ينسى ولا يغفل وهذا مما استاثر به الله **وارفع للاحتمال** لانه لو قال من سهى فليسجد سجدتين في اخر صلاته احتمل ان يكون اراد من سها في امر من اموره سوا كان سهوا في نفس الصلاة او في غيرها **وشرطه** اي شرط جواز السهو على الانبيا عليهم الصلاة والسلام في افعالهم البلاغية **ان لا يقر** ابدا للمعهود **على هذا السهو** اي لا يجعله الله قارا عليه من غير اعلامه بما صدر منه من زيادة ونقص **بل يشعر به** مجهول اي يعلمه الله به بواسطة التنبه له **ليرتفع الالتباس** اي الالتباس الحاصل لمن يراه هل هو سهو او نسخ لما كان **وتظهر فائدة الحكمة فيه** ببيان ما يلزم من سها **كما قدمناه** قريبا **وان السهو والنسيان في الفعل في حقه** اي بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم اذا صدر ويحقق منه **غير مضاد** اي ليس ضدا منافيا **للمعجزة** المثبتة لنبوته

ابن افريس

واما السهو فى الفعل البلاغى فيما بينها لانها فى قوة قول الله انه صادق فى كل ما
يخبركم به عن ربه فيما بينها اخبار وبما يخالف الواقع ودلالة المعجزة على صدقه فى
مقاله دون افعاله وفى اثبات ذلك كلام فى علم الكلام وشبه لمنكرى النبوات
اجيب عنها بما لا يحمله هذا المقام ولاقدح فى التصديق اى تصديق من
امن به صلى الله عليه وسلم من امته والاول بالنظر للنبى صلى الله عليه وسلم نفسه
وهذا بالنظر لمن بلغته النبوة وقد قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى
تقدم بيانه انى انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكرونى اى ينبهونى على
سهوى اونسيانى وقد تقدم بيانه مفصلا فنذكره وقد قال صلى الله عليه
وسلم فى حديث رواه الشيخان عن عائشة رضى الله عنها رحم الله فلانا هو كناية
عن علم لم يرد التصريح به وهذا الرجل هو عباد بن بشر الصحابى وقيل هو عبد الله بن
يزيد الانصارى قالت عائشة سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت قارئ يقرؤ
فقال من هذا قالوا عبد الله بن يزيد فقال رحمه الله لقد اذكرنى كذا وكذا
اية كنت اسقطتها اى تركتها تلاوة سهوا منى وبروى انسيتها وهذا
تفسير للرواية الاولى ولذا ذكره المصنف ولم يبين احدى الايات التى نسيها
ولاعددها ولاسورتها لان كذا وكذا فيه خلاف للفقهاء فى باب الاقرار فيما لو
قال له على كذا وكذا درهما معطوفا فقيل يلزمه احد وعشرون وقيل درهمان
وليس هذا محله وقال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه فى الموطأ كما
تقدم انى لانسى بزنة التى بخفف معلوما اوانسى بالتشديد مبنيا للمجهول اى
ينسينى الله لاسن وتقدم بيانه قيل هذا اللفظ المذكور هنا معطوفا بالفاصلة
شك من الراوى لامن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير الشك من معانى او غير
مراد هنا وقد روى الحديث انى لاانسى بلا النافية بدل لام التاكيد ولكن
انسى بصيغة المجهول المشدد لاسن قيل نسبة النسيان له صلى الله عليه وسلم فيما كان
بسبب منه ولسبته الى الله فيما لادخل له فيه ولاينافى كون النسيان غفلة لانعل
من افعاله كالنوم وذهب ابن نافع بقوله نون بعد الالف وعين مهملة وهو عبد
الله بن الصائغ المالكى وليس هو نافع بقاف ونون وهو مخرج من الشيخ
طلبه بعضهم رواية وهو مع اشهب يقال لهما الغربيان كما يقال لمطرف وابن
الماجشون الاخوان كما قاله ابن مرزوق وعيسى بن دينار الفقيه الزاهد
العابد الطليطلى الذى تفقه به اهل الاندلس واخذ الفقه عن ابن القاسم
وتوفى بطليطلة سنة اثنى عشرة ومائتين الى انه ليس لشك من الراوى
وان معناه التقسيم اى انسى انا او ينسينى الله ليس معناه انه يجب
الظاهر منسوب له وفى الحقيقة فعل الله بل المراد انه قد يكون بسبب تعاطيه
اوبدونه لحكمة ارادها الله كما تقدم وقال القاضى ابو الوليد الباجى يحتمل
وجهين كما تقدم يحتمل لفظ الحديث ماقاله اى ابن نافع وابن دينار ويحتمل

اخر

اخر وهو ان يريد انى انسى فى اليقظة بتخفيف وتسكينه لكن فى غير الصورة
كما مر ضد النوم وهذا معنى النسيان المنسوب اليه بصيغة المضارع المخفف
المبنى للمعلوم وانسى بصيغة المجهول المشدد فى النوم الذى هو حالة تمنع الحس
والفعل الاختيارى فاطلق على عدم الادراك فى النوم نسيانا لاشتراكهما فى
عدم الادراك ولايجئ بعده وركاكته واما كونه صلى الله عليه وسلم اى انام ولاينام
قلبه وان نومه ويقظته سوا فلاياباه كما توهمه بعضهم او المراد بقوله انسى
بالمعلوم ما هو على سبيل عادة البشر المجبول عليها طبعا من الذهول عن الشئ
اذا غفل عنه والسهو عما هو بصدده لعروض ما يشغل بالمعنه اوانسى بالمجهول
المشدد معناه ذهوله عنه مع اقبالى عليه بقلبه دونه او تلبسه به وتفرغى له
باعراضه عن غيره لكن ينسيه الله ما هو فيه بتخلية له الشاغل عما سواه ثم وضحه
وفصله بقوله فاضاف احد النسيانين بقوله انسى المعلوم الى نفسه لان
تغييره انسى انا اذكان له بعض السبب فيه بمباشرة ما هو كالسبب المفضى
اليه ونفى الاخر عن نفسه اذلم يكن له اثر فيه اى فى حال التلبس به كالمضطر
الملجئ لفعلهما ولماكانت النسبة نسبيا جعلها نسيانين وقيل انه تقليب ولا
حاجة له مع وجود المعنى الحقيقى وذهبت طائفة من اصحاب المعانى الذين
تقيد وابيان معانى الحديث وشرحه كالبجوى والخطابى تقوله والكلام على
الحديث عطف تفسير لما قبله الى النبى صلى الله عليه وسلم كان يسهو فى الصلاة
ولاينسى بناعلى الفرق بين السهو والنسيان فان منهم من قال انهما بمعنى ومنهم من
فرق بينهما كما قاله الحافظ العلائى كما مر وقال السهو جائز فى الصلاة على الانبيا
عليهم الصلاة والسلام بخلاف النسيان لان النسيان غفلة وانه والسهو انما هو شغل
بال فكان صلى الله عليه وسلم يسهو فى الصلاة ولا يغفل عنها فكان يشغله عن حركات
الصلاة ما فى الصلاة وما فى بيانه فال وهو ضعيف من جهة المعنى واللغة فالاول
ما ثبت فى الصحيحين من قوله انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون والثانى تسمية ائمة
اللغة بينهما اذ اثروهما بالغفلة وذهاب القلب عنهما كما فى التهذيب والصحاح
والمحكم وقال الراغب السهو خطا عن غفلة وهو على ضربين ما لايكون الانسان
منسوبا لتقصير اذلم يتعاط ما يولده والثانى ما يتعاطى ما يولده كالسكر وفعل
منكرا بلا قصد وهذا هو المذموم وفى النهاية السهو فى الشئ تركه عن غير علم
والسهو عنه تركه مع العلم وهو فرق حسن يرجع لما قاله الراغب وبه يظهر الفرق
بين السهو فى الصلاة الذى وقع منه صلى الله عليه وسلم غير مرة والسهو عنه الذى ذم
بقوله الذين هم عن صلاتهم ساهون انتهى وقد تبعه بعض الشراح وانا اقول
اما الفرق بينهما ولاشبهة فيه فان السهو غفلة يسيرة عما هو فى القوة الحافظة يتنبه
له بادنى تنبيه والنسيان زواله عنها بالكلية ولذا عده الاطبا من الامراض دونه
الا انهم يستعملونهما بمعنى تسامحا منهم واهل اللغة لايدققون النظر فى التعاريف

الفعلية والاسمية لان النسيان كما تقدم ذهول اى عدم علم وادراك وغفلة
اى ان يذهب عن فكره وادراكه بالكلية وآفة اى مرض يصيب القوى المدركة بنقض
فيها وفي صاحبها قال الفارق بينهما وانه يسهو ولا ينسى وفي نسخة فلو والنبي
صلى الله عليه وسلم منزه عنها لانها نقص يجلبه الله والانبيا منزهون عنه والسهو
شغل باسر بمنعه عن ملاحظة ما هو فاعله وهو غير مذموم بل قد يمدح كاشتغال
المصلي بتجليات ربانية فكان صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته ولا ينسى ما هو فيه
عنها لاشتغاله بغيرها من امور الدنيا وانما يشغله عن حركات الصلاة
لا عنها ما في الصلاة مما فيه قرة عينه شغلا بها اى بسبب ما فيها من تجليات
نورانية لا غفلة عنها بالكلية ولذا اخر حركات اولا واحتج من منع النسيان عليه
صلى الله عليه وسلم بقوله صلى الله عليه وسلم في الرواية الاخرى لهذا الحديث انى لا انسى
ولكن انسى لنسبة النسيان عنه ونسيه ومن سوى بينهما يقول انما نفى النسيان ايما الى
ان الفاعل الحقيقي هو الله او المراد لا انسى كما تنسون كما تقدمت الاشارة اليه وذهبت
طائفة من مشايخ الصوفية اصحاب المقامات العلية كما صرح به في اخر الفصل الذي قبل هذا
الى منع هذا كله اى السهو والنسيان عنه اى عن النبي صلى الله عليه وسلم لتنزيهه
عنه وقالوا ان سهوه صلى الله عليه وسلم كان صدوره منه عمدا وقصدا لا غفلة
وسهوا ونسيانا وانما قصده ليسن كما تقدم وهذا القول بانه عن قصد
دون غفلة قول مرغوب عنه لا يصح لانه متناقض المقاصد لانه لو فعل في
صلاته ما فعل عمدا بطلت وفسدت صلاته فكيف يسن بما لا يجوز وقيل لمناقضة السهو
العمد واستحالة كونه عمدا لا يحلى منه بطائل اى ليس فيه فائدة ولهو امر حتى يرتكب
امره المتمنى لغة المتناقضة له وبطائل بفتح المثناة التحتية وسكون الحاء المهملة ولام مفتوحة
والف وقال البرهان انه بضمها وله وبالحاء المهملة نقيد وهم منه انه في كتب اللغة
كالاساس وافعال السرقسطي وغيره انه يقال ما حليت وما حلوت منه بطائل اى ظفرت
فعله ثلاثي ورد ما فيه كعلم وضرب وكذا هو في شرح التسهيل في الخطبة والطائل
بمعنى الفائدة يقال هذا الطائل تحته اى لا فائدة يعتد بها وهذا الفعل اعني حلا
قيل انه يختص بالنفي وهو المشهور وصرح ابن السيد بخلافه ثم بين تناقضه بقوله
لانه كيف يكون صلى الله عليه وسلم متعمدا ساهيا في حال واحدة لان
بينهما من التضاد ما يمنع اجتماعهما ولا حجة لهم في قولهم انه صلى الله عليه وسلم امر اى
امره الله بتعمد صورة النسيان وليس بناسي ليسن لهم ما يترتب عليه لقوله
صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي تقدم قريبا اني لا انسى او انسى لاسن فقد
وفي نسخة وقد بالواو الحالية اثبت في هذا الحديث له صلى الله عليه وسلم احد
الوصفين يعني النسيان والسهو الذي نفاها هؤلاء القائلون بما ذكر وقيل المراد
بالوصفين النسيان من قبل نفسه او من قبل ربه ونفى مناقضة باضافته المصدر
التعمد والقصد مفعول نفى وتحقيقهم من اثبات ضده الذي لا يجتمع معه

دبجي

وقال

وقال انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني ويجوز ان
يكون النفي بمعنى من الحصر مما قيل ما ذكره المصنف من ابطال هذا القول في
غاية الظهور وانه لا يحتمله الا معذور وكيف يعد ما صور ندخل فيها دقة
مع امكان البيان بالقول انتهى اقول هو كما قال لكن ما تقدم من اشارة الصوفية
يمكن توجيهه وقد مال الى هذا اى القول بانه صلى الله عليه وسلم امر بتعمد النسيان
عظيم اى كبير فان العظيم يكون بمعنى الزيادة في القدر والكم كالكثير والمراد
الاول من ائمتنا اى الاشعرية او الفقها المالكية كما قيل فان هذا العظيم الذي
ذكره وهو ابو المظفر الاسفرايني شافعي كذا في الشرح الجديد بنا على ان ابا المظفر
هو ابو اسحاق ابراهيم وان المصنف كناه بذلك بغير كنيته المشهورة والذي يظهر ان
الاول هو الصواب وهذه مجازفة من قائلها ولم يرتضه غيره منهم اى لم يقبل
هذا القول احد غير ابي المظفر لانه كيف يرتضي ما يبطل الصلاة من غير
ضرورة ولا ارتضيه لانه بعيد عن الصواب بمراحل ولا حجة لهاتين الطائفتين
القائلين بانه صلى الله عليه وسلم لا يسهو ولا ينسى وبان سهوه عمد وقصد في قوله
في الحديث انى لا انسى النفي في احدى الروايتين كما تقدم تفصيله ولكن
انسى لتشهد به كما بيناه اذ ليس فيه اى في الحديث على هذه الرواية نفي حكم
النسيان بالجملة اى جميعه بان لا يصدر منه صلى الله عليه وسلم نسيان اصلا وكانه
اراد بحكمه معناه بقرينة قوله وانما فيه نفي لفظه اطلاق اسناده وما قيل
المراد النسيان الذي هو حكم بمعنى مدلول لفظه والاضافة بيانية نفسه
وكراهة لقبه هو بمعنى اسمه ولفظه المستعمل فيه وليس المراد به احد اقسام العلم
وهذا على مصطلح الاصوليين كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث مشهور بئس ما
لاحدكم وبئس من افعال الذم فاعله ضمير مستتر مفسره ما وقوله ان يقول
نسيت اية كذا هو المخصوص بالذم ونسيت مخفف مبني للمفعول لضمير المتكلم ولكنه
نسي بمجهول مشدد ورواه مسلم نسي مخففا مع ضم النون وكذا رواه من طرق
متعددة ويكره مشددا بالسين وتخفيفها مع البناء للمفعول فيها فعلى التثقيل انه تعالى
خلق فيه النسيان وعلى التخفيف معناه ان ناسي القران نسيه الله اى تركه لا يلتفت
له بقوله وكذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى فاشار الى انه لا ينبغي
ان ينسب فعلا لنفسه وينسبه كما اقتدينا ربنا وان جاز لانه كسبه فالذم لهذا
فهو عام في كل فعل او هو لما فيه من عدم الاعتنا بالقران لان نسيانه لعدم تعهد
تلاوته فهو مخصوص بالقران واختاره القرطبي وقيل النسيان المذموم هنا
بمعنى الترك وقيل فاعل نسيت النبي صلى الله عليه وسلم اى لا يقل احدكم اني نسيت
اية فان الله هو الذي انساني ما نسخه وليس بصنيعي وقال الخطابي انه
مخصوص بعصر النبوة فانهم انما ينسيهم الله ما قدر نسخه او نفي مصدر معطوف
على نفي لفظه اى انما فيه نفي الغفلة وقلة الاهتمام بجره معطوف على

ابن اخبرس

زكي

عرضي

دبجي

الغفلة **بامر الصلاة** كاربو به نفى لازمه **عن قلبه** متعلق بنفى فلا انسى بمعنى لا يغفل قلبى عن عبادة ربى وتوجهى اليه **لكن يشغل بها** اى بالصلاة وما فيها من التجليات **عنها** اى عن بعض اعمالها وعدد ركعاتها **وينسى بعضها** من اركانها الظاهرة **بعض** ما يثبت هذه فيها وتدبر ما يتلوه فيها وما قيل ان هذه مرتبة لا تليق بارباب التمكين الذين لا تعوقهم امورهم الباطنة عن ادب الظاهر كان عليه ان يتادب بتركه ومثله من زخرف الاصطلاحات لا يجرى فى مقامات النبوة **كما ترك** صلى الله عليه وسلم **الصلاة** الثابت فى حديث الصحيحين **يوم الخندق وحتى خرج وقتها** اى وقت الصلاة المعين لها فى كتب الفقه وهذا نظير لما هو فيه لا مثال له كما بينه بقوله الا في شغل بطاعة عن طاعة وهذه تسمى غزوة الخندق وغزوة الاحزاب لانه صنع فيها خندق براى سلمان الفارسى وتجمع فيها طوائف كثيرة كما هو مشهور فى السير والخندق معرب كندة بمعنى حفر وكانت سنة اربع وقيل سنة خمس على ما بينوه واختلفوا فى سبب الاختلاف على اقوال منها انهم لما ارخوا من الهجرة وجعلوا راس السنة المحرم جعله بعضهم محرم سنة الهجرة وبعضهم المحرم الذى بعده فنشا من ذلك سنة **وشغل بالتحرز من العدو عنها** اى عن الصلاة التى دخل وقتها حتى خرج لانه يخشى من هجوم العدو عليهم وهم فى الصلاة غير مستعد بن للحرب ولم تكن صلاة الخوف شرعت لهم حينئذ **فشغل بطاعة** وهى حفظ المدينة وارواح المومنين من بغتة العدو **عن طاعة** وهى ادا الصلاة فى الوقت وتلك اهم باعتبار حقوق العباد اذ لو فاتت لم يمكن تداركها بخلاف هذه وهذا تنظير لشغل عبادة عن عبادة وان لم يكن منها لا للسهو والنهى عليك لشغاله عن العبادة حتى ينساها فلا يرد عليه انه يلزمه وقوع سهوه فى اعمال العباد وهذه واقعة حال قدم فيها الاهم ولم يكن ناسيا وانما ابدا بد رد المفسدة الذى هو اهم من جلب المصلحة وكان هذا عذرا فى تاخير الصلاة قبل شروعيه صلاة الخوف على انه قيل انه سهو ايضا فعلى هذا لا يتجه عليه شئ **وقيل** القايل له ابن مسعود كما رواه الترمذى والنساى **ان الذى ترك** بالبنا للفاعل والمفعول اى تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم **يوم الخندق اربع صلوات** حتى ان **الظهر والعصر والمغرب والعشا** بدل منه وما قيل من انه يجوز نصب اربع لتركه على مذهب سيبويه لا وجه له هنا والصحيح ما فى الصحيحين من انها صلاة العصر وفى الموطا انه فاتته صلاتان الظهر والعصر وقال النووى يجمع بين الروايات بان الخندق كانت فى ايام ونعدد تركه للصلاة فيها وقيل ان تاخيرها كان نسيانا واستدل بما رواه احمد انه صلى الله عليه وسلم صلى المغرب يوم الاحزاب فلما سلم قال هل علم رجل منكم انى صليت العصر قالوا لا فصلاه ثم صلى المغرب الا انه ضعف رواته وهذا كان قبل نزول صلاة الخوف كما مر والحديث مروى عن على رضى الله عنه لما كان يوم الاحزاب قال صلى الله عليه وسلم ملا الله بيوتهم وقبورهم نارا كما حبسونا وشغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس وبه استدل على ان الصلاة الوسطى صلاة العصر وفيه اختلاف وقد افرد ذلك الحافظ بالتاليف ونقل فيه الاقوال فيه الى نحو عشرة

عرضى

ابن فارس

تلك فى والبرهان

وبه اى بتركه صلى الله عليه وسلم هذه الصلوات **احتج من ذهب الى جواز تاخير الصلاة فى الخوف اذا لم يتمكن من ادايها** فى وقتها **الى وقت الامن** من خوف العدو **وهو مذهب الشاميين** اى بعض علما الشام دون فقهايها المجتهدين والمحدثين منهم الذين يرون ان صلاة الخوف كانت مشروعة قبل ذلك **والصحيح ان حكم صلاة الخوف** اى فرضيتها **كان بعد هذا** اى بعد غزوة الخندق **فهو ناسخ له** اى لجواز تاخير الصلاة عند الخوف وهو مذهب ابى حنيفة والجمهور وصلاة الخوف على طرقها التى ذكرها الفقها مختلف فيها هل كانت مخصوصة بعصره صلى الله عليه وسلم او نسخت فى حياته فلا تجوز الان او حكمها باق الى الان وهل تختص بالجماعة ام لا والكلام عليه وعلى ادلته مفصل فى كتاب الاثار وشرحه للعينى وليس ما يهمنا تفصيله هنا ثم استطرد لما بينه وبين ما هو فيه من تاخير الصلاة عن وقتها لعذر شرعى واورد عليه سوالا فقال **فان قلت فما تقول فى نومه صلى الله عليه وسلم عن صلاته حتى خرج وقتها** كما اشار اليه بقوله **عن الصلاة يوم الوادى** كما رواه البخارى وغيره والصلاة هى صلاة الصبح والوادى بطريق مكة وقيل ببطن تبوك وكان صلى الله عليه وسلم عرس فيه ووكل بلالا بان يقوم عنده ليوقظه اذا طلع الفجر فاسند ظهره لراحلته فغلبه النوم ولم يوقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى طلعت الشمس وكان اول من استيقظ ابو بكر ثم عمر رضى الله عنهما فكبر حتى استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولفظ البخارى عن ابى قتادة قال سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقال بعض القوم لو عرست بنا يا رسول الله فقال اخاف ان تناموا عن الصلاة فقال بلال انا اوقظكم فاضطجعوا واسند بلال ظهره لراحلته فغلبته عيناه فاستيقظ النبى صلى الله عليه وسلم وقد طلع حاجب الشمس فقال يا بلال اين ما قلت قال ما القيت على نومة مثلها قط فقال ان الله قبض ارواحكم حين شاء وردها حين شاء يا بلال قم فاذن الناس بالصلاة فتوضا فلما ارتفعت الشمس وابياضت قام فصلى ومثله فى مسلم وتقدم ايضا لفظ البخارى فى رواية عمران بن حصين **واستشكل** الحديث بانه كيف يتاتى هذا والنبى صلى الله عليه وسلم **قد قال** فى حديث اخر **ان عينى تنامان ولا ينام قلبى** فكيف نام عن هذه الصلاة حتى قضاها وهذا الحديث فى الصحيحين بطوله وفيه ان عايشة رضى الله عنها قالت نام رسول الله قبل ان يوتر فقال تنام عينى ولا ينام قلبى وكذا سائر الانبيا عليهم الصلاة والسلام كما ورد ايضا ولذا ذهب كثير من ايمة الشافعية الى ان نومه صلى الله عليه وسلم لا ينقض وضوءه وسياتى الكلام فيه وقيل انه من خصايصه ونقل عن النووى واجاب عن تعارضهما بقوله **فاعلم ان للعلما عن ذلك اجوبة** منها **ان المراد بان هذا** اى يقظ قلبه فى نومه **حكم قلبه** اى حاله وصفته **عند نومه وعينيه** عن الادراك فى الجملة **فى غالب الاوقات** اى فى اكثر اوقات نومه وغيبته بعينى مهملة ضد الحضور قال البرهان ويثبته مع ظهوره لئلا يتصحف بعينيه تثنية عين باصرة وسدبانه معنى صحيح لا غرابة فيه فانه حينئذ معطوف على قلبه اى هذا حكم قلبه وحكم عينيه غالبا وهو متجه **وقد يندر** اى يقل والندرة اخص من القلة

لانها الغفلة المفرطة جدا منه غير ذلك بان ينام عينه وقلبه كنوم سائر الناس كما
يؤيد من غيره اى ينقل من غير النبى صلى الله عليه وسلم خلاف عادته يحتمل انه يريد
خلافه لما اعتاده من اموره مطلقا ويحتمل خلاف عادته فى نومه بيقظة قلبه كالانبيا
لكنه لا حكم له لندرته وعدم انضباطه ويصح هذا التاويل اى جعله منبها بها لبـ
امره وما اعتاده قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث المذكور اولا فى قصة الوادى وجى
لا حديث ان عينى تنامان كما توهم كما تقدم فى الحديث اذ نقلناه قصة الوادى ليلا
بنوم ارادة حبس الحديث ان الله قبض ارواحنا قبض الارواح غيبوبتها عن الحس
لان الروح تفارق البدن كما فى الموت ولذا كان النوم اخا الموت وقول بلال فيه اى
فى الحديث المذكور كما مر من انه صلى الله عليه وسلم امره ان يوقظه فغلبه نومه ولم يوقظه
فلما قال له اين ما قلته يا بلال قال ما القيت على نومة مثلها قط اى لم ينم نوما
ثقيلا مثل نومته هذه فهذا كله يدل على انه استغرق فى نومه على خلاف معتاده لان قبض
الروح يدل على عدم يقظة القلب وما وقع لبلال ايضا يخالف لمعتاده والشاهد بما
قبله او فيه ايضا فتامله والحاصل انه صلى الله عليه وسلم كان لنومه حالتان والاغلب الاول
ثم بين وجه حاله المخالفة لعادته بقوله ولكن مثل هذا المخالف لمعتاده انما يكون
منه اى يقع له بارادة الله وخلقه لامر يريده الله بما يرضاه ويقدره من اثبات حكم
شرعى يبينه لمن طرا عليه وهو قضا الصلاة ووجوبه فورا وبدونه وتاسيس سنة
اى طريق من طرق الشرع يقتدى بها ويسلكها واظهار شرع وفى بعض النسخ شرع
وهو تصحيف كما قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الاخر الوارد فى النوم عن الصلاة
لو شا الله عز وجل لايقظنا من منامنا قبل خروج الوقت ولكن اراد الله
بعدم ايقاظنا ان تكون تنا التانيث والضمير للسنة المفهومة من السياق اى
تكون سنة لمن بعدكم من هذه الامة يقتدون بها فيقضون ما فاتهم من الصلاة وهذه
حكمة ان الله قوى النوم عليه صلى الله عليه وسلم ونام قلبه على خلاف عادته لتظهر هذه السنة
البديعة الثانى من الاجوبة عن هذا السوال ان معنى قوله لا ينام قلبى ان قلبه صلى
الله عليه وسلم لا يستغرقه النوم اى لا يستولى عليه ولا يغطيه عن الادراك بحيث يغيب
بالكلية عن احساسه كغيره والاستغراق فى كل شئ بلوغ نهايته حتى يكون منه اى من
صاحب القلب الحدث فيه الضمير للنوم اى يقع منه لشدة نومه حدث لا يشعر به من
خروج شئ من احد السبيلين ينقض وضوءه لما روى انه صلى الله عليه وسلم كان محروسا
اى محفوظا فى نومه من ان يصدر عنه مثله وانه صلى الله عليه وسلم كان ينام حتى
ينفخ اذ النفخ بالمعجمة خروج النفس بشدة لها صوت يسمع وحتى يسمع غطيطه بالبنا
للمجهول والغطيط بغين معجمة كالخطيط بخا معجمة تردد نفس النائم صوتا متواليا مع نفسه
وهو معروف ثم يصلى ولا يتوضا اى يقوم من شدة نومه الذى يسمع له فيه خطيط
وغطيط ولا يجدد وضوءه فهذا دليل على انه صلى الله عليه وسلم محروس فى نومه عن الحدث
الناقض للوضو اقامة للمظنة فيه مقام المئنة ولولا ذلك لزمه الوضو كغيره من الناس

فعدم

فعدم نوم قلبه عبارة عن عدم استغراقه فى نومه حتى لا يشعر بالحدث وليس يقظة
حقيقية كما فى الجواب الاول فلا ينافى انه لا يشعر بخروج الوقت لافراط نومه وحديث
ابن عباس المروى فى الصحيحين المذكور فيه وضوءه صلى الله عليه وسلم عند قيامه
من النوم ليلا مروى فيه نومه مع اهله اى احدى زوجاته وهى فى هذا الحديث
ام المؤمنين ميمونة بنت الحارث خالة ابن عباس رضى الله عنهم والاهل اصل معناه الاقارب
والاتباع ثم اطلق على الزوجة اطلاقا صار به حقيقة عرفية فلا يمكن الاحتجاج به
اى بحديث ابن عباس المذكور على وضوئه بمجرد النوم اى بسبب النوم وحده
لكونه مع اهله اذ لعل ذلك الوضو لنقض وضوئه الاول لملامسة الاهل اى
مسها من غير حائل او لحدث اخر هو عند الشافعى من نواقض الوضو فكيف
يبطل ان حديث ابن عباس هذا ينافى ما تقدم من ان وضوءه لا ينتقض بمجرد نومه
ليقظة قلبه وفى اخر هذا الحديث نفسه الذى رواه ابن عباس ثم نام حتى سمعت
غطيطه تقدم بيانه وانه يقال خطيطه بمعناه ثم اقيمت الصلاة فصلى ولم يتوضا
وهو صريح فى عدم نقض النوم للوضو وحده فتامله ولا حاجة لهذا ايضا فان فى هذا الحديث
انه قام من نومه لقضا حاجته فتوضا لانتقاضه بقضا الحاجة لا لمجرد النوم فالسوال
ساقط من وجوه عدة وقيل فى الجواب ايضا ان معناه لا ينام قلبه من اجل انه يوحى
اليه فى النوم فانه وسائر الانبيا عليه وعليهم الصلاة والسلام رؤياهم وحى بلا شبهة
فمعنى قوله لا ينام قلبى انه لا ينقطع عنه بنومه الوحى وامر النبوة وهذا لا ينافى استغراقه
فى نومه وخروجه عن هذا العالم ثم اشار لجواب اخر فقال وليس فى قصة الوادى
ونومه فيه عن صلاته الا نوم عينيه بانطباق جفنيه عن رؤية الشمس وذلك انما
يدرك بحاسة البصر وهو نائبة محجوبة عن الحس الظاهر وليس هذا اى رؤية الشمس
من فعل القلب لانه انما يدرك المعقولات دون المحسوسات فلا منافاة بينهما كما مر
ولا حاجة الى ان يقال لعله صلى الله عليه وسلم كان تحت حجبة تمنعه الرؤية وقد قال
صلى الله عليه وسلم ان الله قبض ارواحنا فى منامها كما تقدم ولو شا لردها الينا
بايقاظنا من نومنا الذى كان قبل فى حين غير هذا اى فى وقت لم يوح اليه فيه
شئ ولم ير رؤياه التى هى وحى وقوله فى حين الخ متعلق بايقاظ لا من متعلق الفعل كما
توهم وقد تقدم ان الروح تقبض فى المنام والممات لكنها ترد فى الاول كما قال تعالى
فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى وقال على كرم الله وجهه فما رأته
نفس النائم وهى فى السما هى الرؤيا الصادقة دون غيرها وفى الحديث سيل رسول الله
صلى الله عليه وسلم اينام اهل الجنة فقال لا النوم اخو الموت فان قيل فلولا انه كان من
عادته استغراق النوم باستيلائه على حواسه وقلبه كغيره لما قال لبلال كما
ذكرناه فى الحديث الذى فى نومهم بالوادى اكلا بهمزة وصل وفتح اوله وهمزة ساكنة فى اخره
امر من الكلاءة وهى المراقبة والحفظ لنا اى انتبه من نوم الصبح اى وقت طلوعه
لتوقظنا للصلاة فلا تفوتنا كما سمعته قبل هذا فهذا ينافى ما تقدم من انه لا يستغرق

في نومه لحد لا يشعر بما يحدث منه فيه من نواقض الوضوء فقيل في الجواب عن هذا
السؤال انه كان من شأنه اي عادته صلى الله عليه وسلم التغليس بالصبح اي التبكير
به فيصليه بغلس وهي ظلمة تخالط اول ضوء الفجر في اخر الليل ومراعاة اول
الفجر اي مراقبته لينظر له في اوله قبل انتشار الضوء بقرب الشمس من الافق المرئي
لا تصح ولا تتيسر ممن نامت عيناه سواء استغرق ام لا ولو كان قلبه لا ينام اذ هو
امر ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة ولا دخل للقلب والحواس الباطنة فيه
فوكل صلى الله عليه وسلم بلالا رضي الله عنه اي امره بانه لا ينام ويتقيد بمراعاة اوله
اي مراقبته والنظر اليه ليعلمه بذلك اي بطلوع الفجر كما لو شغل بشغل غير النوم
في يقظته عن مراعاته اي مراعاة الفجر وقد قيل ان هذا كله مبني على انه صلى الله عليه
وسلم كان لا ينام نوم غيبة اصلا وهذا مما لا ينبغي وفي هذا المقام اجوبة كثيرة عن تعارض
الحديثين في شروح الصحيحين تركناها خوف الاطالة المورثة الملالة فان قيل
فما معنى نهيه صلى الله عليه وسلم عن قول نسيت في حديث لا يقولن احدكم نسيت
اية كذا وتقدم هذا الحديث بتمامه والكلام في معناه وقد قال صلى الله عليه وسلم
وهي جملة حالية مبينة للسؤال في تعارض نهيه عن قول نسيت مع قوله اني انسى كما
تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال في حديث اخر قد تقدم وفيه رحم الله
فلانا لقد اذكرني اية كنت انسيتها بضم الهمزة مبني للمجهول من الانساء اي انسانيها
الله وتقدم الكلام على هذا الحديث مفصلا فاعلم اكرمك الله انه لا تعارض في هذه
الالفاظ الواردة في النهي عن ذلك وغيره اما نهيه عن ان يقال نسيت اية كذا
فليس على ظاهره اذ هو كلام صادق لا مانع منه شرعا فهو محمول على ما نسخ حفظه
اي لفظه وتلاوته من القران وفي نسخة نقله بقول وفاق بدل حفظه والمعنى
واحد وعلى هذا فمعنى قوله لا يقل احدكم نسيت تقدير الى نسيت والمسند اليه ضميره
صلى الله عليه وسلم اي اذا سمعتموني تركت في القراءة شيئا لا تقولوا ان النبي نسي اية كذا
اي ان الغفلة في هذا لم تكن اي توجه وكان ناشئا منه صلى الله عليه وسلم ولم يقع ذلك
اختيارا ولكن الله اضطره اليها اي الله عز وجل الجاه الغفلة ليمحو ما يثبت اي
ينسخ ما اراد نسخه فينسيه له ويثبت ما لم يرد نسخه فلا ينساه فعلى هذا هو مخصوص
بالرسول صلى الله عليه وسلم وببعض ايات ينسخها الله اذهابا لا بكل ما نسيه ولذا
قال وما كان تركه من سهو او غفلة من قبله بكسر القاف وفتح الباء الموحدة ولم
اي من جانب نفسه صلى الله عليه وسلم بمقتضى الجبلة البشرية من غير الجاء من الله له فذكرها
صفة غفلة اي خطرت بباله بعد نسيانها صلح اي جاز ان يقال فيه انسي بضم
الهمزة مجهول مخفف فانما يمتنع نسبة النسيان له فيما اذا كان من القسم الاول فليس
النهي على اطلاقه حتى يعارض الحديث الاخر وهذا النهي خاص بزمنه صلى الله عليه وسلم
حيث كان يقع النسخ فلو قيل فيه ذلك ربما يتوهم انه اهمل من القران شيئا حتى ضاع
وصلح بفتح اللام وضمها والاول افصح وقيل في الجواب عما تعارض هنا ان هذا

عرض

يبنى

يبنى نهيه صلى الله عليه وسلم عن ان يقول نسيته منه صلى الله عليه وسلم على طريق
الاستحباب اي تعليما وارشادا لما هو مستحب فالنهي للتنزيه لا للتحريم بل للكراهة ان
يضيف الفعل الى خالقه عز وجل ولا يضيفه لنفسه فانه الفاعل الحقيقي وغيره
الة وهذا على مذهب اهل السنة والاخر اي الحديث الاخر الذي اضيف فيه النسيان
للعبد وقوله نسيت كذا اورد على طريق الجواز وخلاف الاولى من غير النبي صلى
الله عليه وسلم ومنه للتشريع فهو غير مكروه منه وجواز اضافته له لاكتساب العبد
فيه ضمنه معنى دخل اي لدخل العبد فيه لاكتسابه فهو كالالة والموجد الحقيقي هو
الله عند الاشعري واهل السنة خلافا للمعتزلة وبهذا جزم ابن بطال فقال انه بالنهي
اراد ان يجري على السنة العباد نسبة الافعال لخالقها لما فيه من الاقرار له بالعبودية
والاستسلام للقدرة وهو اولى من نسبتها لمكتسبها مع انه جائز ايضا واسقاطه
صلى الله عليه وسلم لما اسقط من هذه الايات التي قال فيها انسيت اية كذا او كذا
جائز عليه سهوا بعد بلاغ ما امر بتبليغه وتوصيله الى عباده اي في حال
تبليغه الاول ولا يجوز سهوه فيه وبعده يجوز ثم يستذكرها صلى الله عليه وسلم
من امته او من قبل نفسه لانه لا يقر على نسيانه الا ما قضى الله نسخه ومحوه
من القلوب فينسيه الله ولا ينبهه عليه فيعلم بذلك انه نسخ لفظه وتلاوته
سواء نسخ معناه ام لا وترك استذكاره بصيغة المصدر او الفعل الماضي المجهول
ولما فيه من البعد قال وقد يجوز ان ينسى النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا سبيله
من القران مما يراد نسخه كرة اي حينا ما ويجوز ايضا ان ينسيه منه اي الله ينسيه
من القران قبل البلاغ لانه يجوز النسخ قبل البلاغ كفرض الصلاة خمسين في ليلة
المعراج وهذا امنه ما لا يغير نظما اي نظم القران ترتيب كلماته متناسقة على مقتضاها
ولا يخلط حكما باخر كتحليل محرمه ما لا يدخل خللا في الخبر حتى لا يدري ما يراد به ويكون
بيانا لقوله ما لا الخ ثم يذكره اياه اي يذكر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ما انساه مما لا
يغير ولا يخلط ويستحيل دوام نسيانه لمنافاته للغرض المقصود منه بحفظ الله
تعالى كتابه لقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون كما تقدم وتكليفه بلاغه
مجرور معطوف على حفظ الله اي كلف الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان يبلغ كتابه من
ارسل اليهم ودوام نسيانه ينافيه اشد المنافاة فصل في الرد على من
اجاز عليهم الصغائر اي على الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين والكلام
بالجر عطف على الرد على ما احتجوا به في ذلك اي جواز الصغائر عليهم والصغيرة ما
عدا الكبيرة والكبيرة منهم من عينها بالعد ومنهم من عينها بالحد فقيل هي ما ورد فيه وعيد
بنحو غضب الله ولعنه ودخوله النار في كتاب او سنة صحيحة وقيل ما فيه حد وعقوبة
معينة والصغائر كالكبائر في توقف العفو عنها على مشيئة الله وكون اجتناب الكبائر مكفرا
لها لا ينافي التوقف عليها وجوازها عليهم مطلقا او سهوا مشروط بان لا يكون منفرة
بخسة ورذالة منفرة للطباع اعلم ان المجوزين للصغائر على الانبياء صلوات الله

وسلامه عليهم لجميعهم من الفقهاء والمحدثين ومن تابعهم اى تابعهم ووافقهم على اعتقاد ذلك من المتكلمين اى علماء الكلام وهو العلم الباحث عن العقائد الدينية وسمى علم الكلام اما لان مسئلة تكلم الله من اجل مباحثه او لكثرة دوران الكلام فيه بين السلف والشاذية من الشيعة وهى فرقة من الناس تتبع غيرها وشيعة الرجل اتباعه وانصاره ولو واحدا وخص فى العرف بالمفضلين لعلى رضى الله عنه وكرم وجهه وهذه المسئلة من علم الكلام وذكرها فى كتب الفقه والحديث استطرادى وقيل الفقهاء من سائل هذه الفنون بحسب انتسابهم فالفقيه يبحث عنها من حيث التجويز اعتقادها او تحريم او تكره والمحدث من حيث انه هل صح رواية صدورها منهم ام لا والمتكلم من حيث اقامة الدليل على عصمتهم وامتناعها وعدمه وليس فى قوله تابعهم ما يخالفه وانما عبر به لانه ليس من كتابه المسائل الكلامية احتجوا على ذلك اى تجويزها عليهم بظواهر كثيرة من القران والحديث اى لفظ ظواهر اشارة الى انها ليست بحجة فى الباطن ان التزموا ظواهرها اى ان قالوا بلزوم اعتقاد الظاهر منها افضت بهم اى اوصلتهم الى تجويز الكبائر عليهم واصل معنى الافضاء الادخال فى فضاء واسع ثم شاع فيما ذكر وخرق الاجماع اى مخالفة ما اجمع الناس عليه وهو من قولهم خرق المفازة اذا قطعها فاريد به لازمه وهو المجاوزة وما لا يقول به مسلم اى افضت به الى راى لم يقله احد من المسلمين وهو تجويز الكبائر عليهم عمدا فانه لم يقله الا الحشوية واما سهوا فجوزه بعضهم واختلفوا فى امتناعه هل هو سمعى او عقلى كما تقدم فكيف استشهاد لتجويز الكبائر عليهم وكل ما احتجوا به من الظواهر مما اختلف المفسرون فى معناه هل يحمل على ظاهره او يأول وتقابلت الاحتمالات اى تخالفت وتعارضت الوجوه المحتملة فى مقتضاه اى مقتضى ما احتجوا به من تجويز وقوع ما خرج به عن صلاحية الاحتجاج وجاءت اقاويل اى نقل وورد وجوه قالوا بها على خلاف ما التزموه واحتجوا به واقاويل جمع اقوال فهو جمع الجمع فيها للسلف بخلاف ما التزموا من ذلك الذى استدلوا به فان لم يكن مذهبهم فى تجويزها عليهم اجماعا اى مجمعا عليه لكثرة من خالفهم فيه وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما لا حادثا بعد انعقاد الاجماع حتى يكون خلافا لا يعتد به وقامت الدلائل على خطا قولهم فى تجويزها عليهم وصحة غيره فى عدم الجواز وجب تركه جواب اذا والمصير الى ما صح من عدم التجويز وها نحن نأخذ اى نشرع لانها من افعال المقاربة وها حرف تنبيه زائد على المبتدا اذا كان الخبر اسم اشارة فان لم يكن كذلك جاء نادرا كما هنا فى النظر فيها اى فى ادلتهم التى احتجوا بظاهرها على تجويزها عليهم ان شاء الله تعالى فمن ذلك الذى احتجوا به على تجويزها عليهم قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وجه تمسك به من جوز عليهم الصغائر بهذه الاية لتسميته ذنبا انه مغفور لم يسمه فالظاهر انه صغيرة واللام للتعليل والمعلل الفتح اى فتح مكة فى قوله انا فتحنا لك الخ اى يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك ليجمع لك عز الدارين فى العاجل والاجل ونحفيه فى التناسب

وانظر سبب تسمية علم العقائد بعلم الكلام

قال

قال ابن عبد السلام رحمه الله لم يخبر الله احدا من الانبيا عليهم الصلاة والسلام بالمغفرة ولذا اى لو اتى الموقف نفسى نفسى اذهبوا الى محمد فقد غفر الله له ما تقدم وما تاخر وهذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم قلت وفيه نكتة اذ سوى المتقدم بالمتاخر انها الى انه مثله فى عدم الوقوع وانما هو خلاف الاولى بما عده بالنسبة اليه ذنبا وسيأتى تفصيله وقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات اعاد الجار اشارة لتغايرهما لان الاول ليس بذنب حقيقى كما قيل ولم يقل ولذنب المؤمنين اشارة لكثرة ذنوبهم حتى كان دابهم عنده الذنب ووجه الاستدلال لما مر ومما استدلوا به ايضا قوله ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك الوضع الحط والمحو بالعفو والوزر الحمل والثقل فاستعير للذنب استعارة مرشحة والانقاض بمعنى اثقل جعله نقضا وهو ما اتعب الحمل حتى نقض لحمه وقال الازهرى هو من نقيض الرحل وهو صوته لما وضع عليه والكلام عليه كالذى قبله وقوله عفا الله عنك كناية عن الاذن فى ان العفو من روادفه لم اذنت لهم بيان لما كنى عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لاى شئ اذنت لهم فى القعود حين استاذنوك واعتلوا باكاذيب وهلا توقفت وذلك فى خطابه فى غزوة تبوك سنة تسع وقد استاذنه من تخلف عنه فاذن لهم لبعد الشقة وشدة الزمان ولذا صرح صلى الله عليه وسلم بقصده ولم يور كما هو فاذن لعزم ما تقتضى اعتذروا له باعذار سمجة وهو على خلاف الاولى لا ذنب حقيقى بل قوله عفا الله عنك ملاطفة له ورعاية لخاطره وتقدمه على ما صدر منه حتى لا يبدأه بما يوهم مواخذة ما ولذا احطوا على الزمخشرى فيما فسره به من قوله اخطات وبئس ما صنعت لما فيه مع تفسيره لغير المراد منه من سوء الادب وخطابه بما لا يخاطب به رب العزة وجعله كناية عن الجناية والجانى ولو وقع من الكلام فى ذلك مبسوطا صدر الكتاب ومما استدلوا به ايضا قوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم وهذه نزلت فى غزوة بدر وقد اسر صلى الله عليه وسلم من قريش سبعين رجلا منهم العباس عمه صلى الله عليه وسلم وعقيل فاستشار صلى الله عليه وسلم اصحابه فى ذلك فقال ابو بكر رضى الله عنه يا رسول الله هولاء قومك لعل الله يهديهم بك خذ منهم فدية تتقوى بها وقال عمر رضى الله عنه اضرب رقابهم واخذ ن رايهم فرضى صلى الله عليه وسلم ما قال ابو بكر فنزل عليه قوله تعالى ما كان لنبى ان يكون له اسرى الاية فجلس صلى الله عليه وسلم يبكى هو وابو بكر وقال عرض على عذابهم ادنى من هذه الشجرة والكتاب السابق فى بيانه ومنه ما قيل هو احلال الغنائم لهم دون الامم السابقة او انه لا يعذبهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم او ما وعدهم به من مغفرة ذنوبهم وانه لا يعاقب المخطى فى اجتهاده وقوله عبس وتولى الاية عبس اى قطب وجهه وتولى اعرض والاعمى هو ابن ام مكتوم رضى الله عنه مؤذنه واسمه عبد الله او عمرو وعلى ما قاله واسم ابيه زائدة على ما قاله بعضهم وهو ابن خال لخديجة ام المومنين رضى الله عنها وسبب نزولها انه اتاه صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش الوليد بن المغيرة وعتبة وامية بن خلف وابو جهل لعنهم الله وقال له ارشدنى وهو صلى الله عليه وسلم

لكبار دينهم استمالة لهم فاعرض عنه صلى الله عليه وسلم ولم يجبه لاشتغاله بهم رجاء اسلامهم لتتم للاسلام واستمالة من وراءهم قبيل وهو باطل من قائله وجهل لان امية والوليد كانا بمكة وماتا كافرين وابن ام مكتوم كان بالمدينة ولم يحضر معهم فالاولى ان لا يذكر هؤلاء و ويقتصر على ابن ام مكتوم وقوم من كبار الكفرة وتبعه بعض الشراح وارتضاه وقد رده خاتمة المحدثين الشيخ محمد الشامي في سيرته وقال انه كلام صدر من غير روية وتدبر فان ابن ام مكتوم بن خال خديجة كما ذكر واسلامه قديم وهو من المهاجرين الاولين هاجر قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل بعده وصحح الاول وسورة عبس مكية بلا خلاف حتى نقل نقل ما ذكر عن جماعة من الصحابة والتابعين فاي مانع منه والعجب من صاحب الزهر اذ لم يناقش القرطبي ومن تبعه في هذا وكان صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا اتاه ابن ام مكتوم يبسط له رداءه ويقول له مرحبا بمن عاتبني الله فيه ولذا كان استخلفه على المدينة مرارا لعدم هجرته ولاظهار توقيره وما قيل من ان ضمير عبس وتولى للكافر في غاية الضعف كما يأتي وهذا مما استدلوا به على عدم عصمته في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم عرضى

واما في حق غيره فما قص في القران من قصص غيره من الانبيا كقوله تعالى في حق ادم صلى الله عليه وسلم وعصى ادم ربه فغوى فجعل فعله ما حذره عنه من اكل الشجرة ضلالا وغواية فهي ذنب صدر عنه فهو دليل لهم ظاهر والقصة مع جوابها مشروحة في التفاسير وقوله تعالى في حق ادم مع حوا فلما اتاهما صالحا جعلا له شركا فيما اتاهما الاية ضمير اتاهما لادم عليه الصلاة والسلام وحوا المتقدم في قوله الذي خلقكم من نفس وجعل منها زوجها اي اتاهما ولدا صالحا سويا اشركا فيه انهما عبد الله فسموا عبد العزى وعبد مناف وحكى الزجاج رحمه الله ان ابليس لعنه الله جاء حوا فقال لا تدري ما في بطنك قالت لا قال لعله بهيمة فان دعوت الله ان يجعله انسانا فسميه عبد الحارث وابليس اسمه الحارث وقيل كان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فسمته به فعاش وهذا من اغوا الشيطان وقال ان الضمير لادم فهي من قريش وان القصة في حقهم لا في حق ادم والكلام عليه في التفاسير مشهور وقوله قالا ربنا ظلمنا انفسنا الاية اي من الدلايل التي استدل بها من جوز الصغاير على الانبيا عليهم الصلاة والسلام ما حكاه الله في الاية عن ادم عليه الصلاة والسلام وحوا من اعترافهما بصدور الذنب منهما وايضا فيهما بما كان سببا لخروجهما من الجنة وفيه دليل على انه تجوز المعاقبة على الصغاير وان لم تغفر خلافا للمعتزلة وما استدلوا به ايضا قوله تعالى في قصة يونس عليه الصلاة والسلام سبحانك اني كنت من الظالمين لما ذهب مغاضبا قومه اذ لم يطيعوه فاعترف بانه ارتكب ظلما ومعصية وما قصه الله من قصته في قوله وذا النون اذ ذهب مغاضبا وكان قد ضاق صدره في حمل اعباء النبوة والخاصية لعزمه اذ لم يصبر ولم ينتظر توبتهم فخرج من حينه واظلهم العذاب الذي اخبرهم به فتضرعوا الى الله وتابوا فرفعه الله عنهم ويونس عليه الصلاة والسلام لم يعلم برفعه عنهم وكان حقه ان لا يذهب الا باذن مجدد من الله عز وجل وهذا ما ذكره من قصته وما ذكره من قصة داود

عليه

عليه الصلاة والسلام وقوله وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب الاية وذلك انه راى ما فضله الله من فضائل الانبيا قبله فسال ربه ذلك فقال انهم ابتلوا فصبروا فقال ان ابتليت صبرت فتمثل الشيطان له في صورة حمامة من ذهب عجيبة وكان صلى الله عليه وسلم في محرابه مشتغلا بصلاته فاراد اخذها فطارت فذهب خلفها وتبعها حتى اشرف على دار فيها امراة تغتسل فرآها فافتتن بها وسال عنها فاذا هي امراة اوريا وكان ارسله مع عسكر له فارسل يقول لرئيسهم ويطلب ان يقدمه في الحرب وكان سيفا من سيوف الله فاستشهد فتزوج داود عليه الصلاة والسلام امراته فارسل الله له ملكين في صورة خصمين كما قصه الله في كتابه وعاتبه عليها وهذا ما عده هؤلاء ذنبا نظرا لظاهر الحال فتاب منه ولم يزل يبكي على ما صدر منه حتى نبت العشب من دموعه ومن ادلتهم قوله تعالى في حق يوسف عليه الصلاة والسلام ولقد همت به وهم بها وما قص الينا المعلوم والمجهول من قصته اي يوسف مع اخوته وهم انبيا ايضا على اختلاف سياتي بيانه وقصته معروفة والشاهد في قوله هم بها بنا على ما اشتهر من انه جلس منها مجلس الخاتن واراد ما يريده اهل الاهوا وفيه مبالغات وامور يذكرها عنه القصاص وهو صلى الله عليه وسلم بريء منها وانما يتوهم ما توهم ان لم يجعل هم بها جواب لولا بحسب المعنى والا فلا يتوهم شيء من ذلك فان دليل الجواب جواب معنى فيقتضي انه لم يصدر منه هم وصلاحه مما هو اعظم منه مع ان هم النفس له مراتب منها ما هو مقتضى الجبلة البشرية ومثله معفو عنه ومن ادلتهم ايضا قوله تعالى حكاية عن موسى صلى الله عليه وسلم فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان ضمير وكزه للقبطي الذي وجده موسى عليه الصلاة والسلام يخاصم رجلا من بني اسرائيل وكان دخل منف نصف النهار فوجد قبطيا من جند فرعون يسخر بعض بني اسرائيل لحمل حطب وكزه وكان موسى عليه الصلاة والسلام جسيما ذا قوة شديدة فدفعه عنه وضربه فقتله فقال رب اني ظلمت نفسي فهذا اعتراض بعده وردّ ذنب معه وهو المراد هنا ومعنى وكزه ضربه بجمع كفه وقيل ضربه في صدره وقيل دفعه وقوله من عمل الشيطان اي هو شر من جنس اعماله ثم ذكر بعض ما استدلوا به من الحديث فقال وقوله صلى الله عليه وسلم في دعائه الماثور عنه اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت وهو من دعا طويل رواه الشيخان كان يقوله صلى الله عليه وسلم اذا قام يتهجد وطلبه المغفرة من الذنوب المذكورة يدل على صدورها منه في الجملة وهو مدعاهم ونحوه من ادعيته صلى الله عليه وسلم الماثورة وقد افردت بالتاليف كالحصن الحصين وغيره وما استدلوا به ايضا ذكر الانبيا عليهم الصلاة والسلام في الموقف يوم القيامة ذنوبهم في حديث طلب الناس منهم الشفاعة واستغاثتهم بهم من هوله وطوله وحديث الشفاعة مشهور طويل رواه مسلم عن ابي هريرة فلا نطول به ومحل الشاهد فيه ان الناس اذا اشتد عليهم هول الموقف وكربه قالوا اذهبوا للرسل يشفعون لنا في الخلاص فيذهبون اليهم فردا فردا وكل يقول لست لها الى ذنب

عظيم اخافه منه ودلالته على ما ادعوه غنية عن البيان وما استدلوا به ايضا قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي تقدم مع شرحه انه ليغان على قلبي فاستغفر الله وفي حديث ابي هريرة اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة وروي مائة مرة فالسبعين ليست على ظاهرها والمراد بها التكثير وهي فيه كثيرة حتى قال بعضهم سبع لك الاجزاء كثيرة فهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم كان يصدر منه بعض الذنوب والا لم يكن لاستغفاره وجه وقوله تعالى حكاية عن نوح عليه الصلاة والسلام والا تغفر لي وترحمني الاية فطلبه المغفرة يقتضي سبق ذنب منه فهو حجة لمن جوز عليهم الصغائر وذلك ان الله نهاه عن ان يشفع في احد من اهله غير من اذن له في دخول السفينة معه فقال له الله عز وجل ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون اي قضى الله بذلك عليهم فيشفع في ابنه كنعان وهو ممن قضي بهلاكه لظنه انه داخل في اهله فلما قيل له انه ليس من اهلك ندم على عدم استقصا[ئه]
واستغفر لتركه الاولى لا لذنب ارتكبه والى ذلك اشار بقوله وقد كان قال الله له ولا تخاطبني اي لا تدعني ولا تشفع في الذين ظلموا اي كفروا ان الشرك لظلم عظيم انهم مغرقون اي لانهم قضي عليهم وحكم بهلاكهم للغرق الذي قطع دابرهم وقرابتهم ومن ادلته ايضا انه تعالى قال حاكيا عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين يعني في القيامة يوم الجزاء فهذا يقتضي صدور ذنب منه وهو ما تقدم من قوله فعله كبيرهم ونحوه مما تقدم وهو والجواب عنه وقوله تعالى حكاية عن موسى عليه الصلاة والسلام اني تبت اليك قاله بعد ما طلب الرؤية من الله فلما تجلى له ربه وخر صعقا فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وليس هذا بذنب ولكنه سال له بعد ما قيل له لن تراني ولو ترك ذلك كان اولى والكلام على الرؤية وجوازها مفصل في علم الكلام وكذا هذه الاية وما استدلوا به ايضا على جواز الصغائر عليهم قوله تعالى ولقد فتنا سليمان الى قوله ثم اناب اي تاب فانه يقتضي صدور ذنب منه وكان الله فتنه اي ابتلاه بما اختلفوا فيه فقيل انه احتجب عن الناس فعاتبه الله على ذلك وقيل ان سبا بنت ملك في غاية الجمال تسمى جرادة ناجبها وكان عندها صنم تعبده خفية فاطلع عليه فاحرقه وتذكر اي قصته امورا لا تليق بمقام الانبيا عليهم الصلاة والسلام الى ما اشبه هذه الظواهر اي ما ذكرناه من الامور التي يدل ظاهرها على ما اولوه له اشباه ونظائر كثيرة تركت ثم شرع في سرده الجواب عما ذكره من ادلة المجوزين للصغائر عليهم فقال قال القاضي عياض المصنف رحمه الله في الجواب عما اولوه وتمسكوا بظاهره قبل تحقيق النظر فيه فاما احتجاجهم لتجويزهم الصغائر عليهم فقوله ليغفر لك الله ما تقدم الخ فهذا قد اختلف المفسرون فيه وفي تاويله فقيل المراد بما تقدم ما كان قبل النبوة وبما تاخر ما بعدها اي بعد النبوة وهو عبارة كني بها عن انه لم يصدر منه ذنب لانه لا تكليف قبل النبوة اصلا والعقل لا يستقل بذلك وقوله ما بعدها ذكر للتعميم كقولك اعط من تره

ومن

التاسع والعشرون الثاني

ومن انزه وقيل معنى ما تقدم ما وقع لك من ذنب ومعنى ما تاخر ما لم يقع اعلمه بما حاصله انه مغفور له غير مواخذ به لو وقع منه لكنه لم يقع منه ذنب كغيره وان لم يصدر عنه نادرا خلاف الاولى وقيل معنى ما تقدم ما كان قبل النبوة بالاباحة لانه لا شريعة ملتزم احكامها والمراد بما تاخر عصمتك بعدها تعفو عنك تجوزا بها عن العصمة ووجه الشبه بينهما عدم المواخذة بالذنب فيهما ومن قال ليس هذا من مقتضيات اللفظ مع انه معلوم قبل النبوة لم يفهم مراده حكاه اي هذا الوجه احمد بن نصر الخزاعي الزاهد الشهيد قتله الواثق في محنة خلق القران سنة احدى وثلاثين ومائتين وقيل المراد بذلك المذكور من المغفرة امته اي يغفر الله لامتك ما صدر ويصدر منها فالمراد بخطابه امته واضافة الذنب له صلى الله عليه وسلم لادنى ملابسة لانه يتبعونه ويتبعوهم وهو الشفيع لهم والمراد ان رحمة الله لهذه الامة اكثر فلا يرد عليه ان مغفرة ما تاخر له شروط كان لا يكون حق عبد ونحوه وقيل المراد بما تقدم ما وقع منه صلى الله عليه وسلم على سهو وغفلة والمراد بما تاخر ما كان صادرا عن تاويل اي بيان لمعنى يحتمله النص فيحمل عليه باجتهاد منه ثم تبين له ان الصواب او الاولى غيره لان التاويل بيان ما يئول اليه فيناسب ما تاخر فلا يرد عليه شيء والمراد انه لم يتم الاستدلال بالاية حكاه الطبري محمد بن جرير كما تقدم واختاره القشيري عبد الكريم شيخ الصوفية وغيره كما تقدم في ترجمته وقيل المراد بما تقدم ما تقدم لابيك ادم عليه الصلاة والسلام والمراد بما تاخر من ذنوب امتك فاللام للتعليل اي غفر لاجلك ذنوب ابيك ادم لما توسل بك الى الله ويغفر لامتك لانك رحمة لهم حكاه السمرقندي وقد قدمنا ترجمته والسلمي بضم السين المهملة وفتح اللام وهو الامام ابو عبد الرحمن الصوفي كما تقدم عن ابن عطا شيخ الطريقة كما تقدم وهذا مما لا يقال بالراي وقد نقله مثل هؤلاء وان كان خلاف الظاهر ومثله اي مثل هذا التاويل والذي قبله تاول قوله تعالى خطابا لنبينا صلى الله عليه وسلم واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات فيقال المراد استغفر لذنب ابيك ولذنوب امتك او استغفر عما صدر منك سهوا وغفلة او تاويلا وهذا القول لذنبك فقط لا لقوله وللمؤمنين والمؤمنات قال مكي تقدمت ترجمته مخاطبة النبي اي خطاب الله للنبي صلى الله عليه وسلم هاهنا اي في قوله ليغفر لك الله وكثير اما يجيء عليه ما يناسبه فيما قاله الله لامته وانما وجه له صلى الله عليه وسلم لنكتة لكونه بالطريق الاولى الاحرى وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر ان يقول ما كنت بدعا من الرسل وما ادري ما يفعل بي ولا بكم وهو يتعبد بقول فلما قاله امر سرت لك الكفار اي فرحوا وقالوا واللات والعزى ما امرنا وامر محمد عند الله الا واحد وما له علينا مزية ولولا انه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه لاخبره الذي يبعثه بما يفعل به فانزل الله تعالى ردا عليهم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر الاية فقال الصحابة هنيئا لك يا رسول الله قد علمنا ما يفعل الله بك فما يفعل بنا فانزل الله

ابن الفرس

عن

له

تعالى واخبر بما للمومنين اى بما يول اليه امرهم فى الاخرة فى الاية الاخرى
بعدها اى ليدخل المومنين والمومنات جنات الاية وانزل وبشر المومنين بان
لهم من الله فضلا كبيرا فتبين ما يفعل به صلى الله عليه وسلم وبهم وهذا قول قتادة
والحسن وغيرهما وعزاه المص لابن عباس بقوله قاله ابن عباس رضى الله عنهما
وانما قاله صلى الله عليه وسلم اولا قبل ان يعلمه الله بعصمته وعموم مغفرته وهو فى
عام الحديبية ثم بين تحصل جوابه عن استدلالهم بقوله فمقصد الاية اى محصل ما
تقصد بها انك غير مواخذ بفتح الهمزة او الواو المبدلة منها وفتح الخا المعجمة اسم
مفعول بذنب ان لو كان اى وجد فهى تامة وان بفتح فتكون زايدة ومثله كثير
فهو امرجا على طريق الفرض تطمينا له صلى الله عليه وسلم فلا يتوهم بها حجة لمجوز الذنوب
عليهم وقريب منه ما قال بعضهم المراد بما ذكر من المغفرة ها هنا اى فى اية ليغفر
لك الله ونحوه تبرئته من العيوب بموحدة بعد التا الفوقية وراء مهملة قبل الهمزة
ولو قرى بنون وزاى معجمة وبا تحتية ساكنة قبلها حاز والمعنى والرسم متقارب
بعض لا دليل فيها لهم لانه قد قيل ان المراد منها تبرئة الله وتبعيده من العيوب اى
الذنوب اوما يودى لها فالمغفرة كناية او مجاز عما ذكر واما الجواب عما تقدم من
استدلالهم بالاية المتقدمة وهى قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذى انقض
ظهرك كما بيناه اولا فقيل معناه ما سلف وتقدم من ذنبك قبل النبوة
اى ما هو فى صورة تفريط وان لم يكن ذنبا لانه لم يكن قبل النبوة شرع بخالفته معصية
وقد عصمه الله تعالى عما كان عليه الجاهلية من العقايد ونحوها من الديانات وهو قول
ابن زيد هو عبد الرحمن بن زيد بن اسلم المفسر الزاهد المتقى المتقن توفى سنة اثنتين
وثمانين ومائة والحسن البصرى وقد تقدمت ترجمته وهو ايضا معنى قول قتادة
اى معنى ما نقله عنه المفسرون فى تفسير هذه الاية من انه صدر منه بعض امور قبل
النبوة وان لم تكن ذنبا حقيقة وقيل معناه اى معنى وضع وزره عنه انه حفظ قبل
نبوته منها وعصم اى حفظه الله عن الاتصاف به راسا وابتدا وهو وجه حسن بتخلية
اللفظ بلا تكلف ولولا ذلك اى رفعها عنه لاثقلت ظهرك وفى نسخة ظهره والظاهر
انه حقيقة ويجوز ان يكون استعارة كما قدمناه وقيل على هذا التقدير اى لولا انا
حفظناك منها اثقلت ظهرك وهدت قواك حكى معناه السمرقندى فى تفسيره
وقيل فى تفسيرها ما لا يبقى فيها حجة لهولا المراد بذلك المذكور من وضع الوزر
الخ ما اثقل ظهره اى اتعبه واعياه من اعبا الرسالة جمع عب كحمل لفظا ومعنى كما
تقدم حتى بلغها غاية لثقل المتحمل حتى يبلغه ويودى امانته فانه ما عليه الا البلاغ
حكاه ابو الحسن الماوردى الشافعى وتقدم بيانه والسلمى وقيل معناه حططنا
عنك ثقل ايام الجاهلية حكاه مكى لان ايام الجاهلية كانت خالية من
الدين والامن ايام هرج ومرج فلما بعثه الله صلى الله عليه وسلم بالدين القويم سلم
هو ومن اتبعه وشرح الله صدورهم بالاسلام وصفاهم من الاثام فخفت ظهورهم

وسددت

(ثلاثة) وسددت امورهم وقيل معناه شغل سرك اى قلبك او خواطر قلبه وحيرتك
اى تحيرك فى ابتدا امرك وطلب شريعتك اى طلبك من الله شريعة اى طلبك من
الله شريعة تعمل بها حتى شرعنا ذلك لك بما اوحاه فاطمان قلبه وذهبت حيرته
حكى معناه القشيرى فى تفسيره وقيل معناه اى معنى وضعنا عنك وزرك الذى
انقض ظهرك خففنا عنك ما حملت اى كلفت حمل اثقاله من دعوة الخلق وتبليغ
امانة الرسالة التى لم يطق حملها الجبال بحفظنا لما استحفظت بفتح التا استحفظ اذا استرعاه
واعطاه امانة اى نحن حفظنا ما امرناك بحفظه عليك ما عسر عليك القيام به وجعلنا
لك جلدا وصبرا صيرا اثقاله خفيفة عليك ولما ورد حينئذ انه اذا خففها عنه لم يكن
انقض ظهره اشار لدفعه بقوله وحتى انقض ظهره على هذا اى كاد اى قرب من
انه ينقضه اى يعيبه ويثقله ولم ينقضه بالفعل ويجوز على هذا ابقاوه على ظاهره
وان انقاضه بالفعل لكنه خفف عنه اى خففنا عنك ما كان انقض وهو راجع لما قاله
(عرضى) المصنف لا وجه اخر كما قيل ثم بين وجه دفع ما ذكره لما تمسكوا به تفصيلا فقال فيكون
المعنى اى معنى ووضعنا عنك الخ على قول من جعل ذلك الوضع مصروفا لما قبل
النبوة اهتمام النبى صلى الله عليه وسلم وهو خبر يكون بامور فعلها قبل نبوته ونزول
وحى فيها اى اعتناؤه بعبيان الله لحكمها حتى لا يكون عنده وهم وغم ولكنها حرمت عليه
بعد النبوة ولم يكن مكلفا بها قبلها فعدها اوزارا بعد ما حرمت عليه وخشى
المواخذة بها قبل ذلك فاطلاق الوزر عليها باعتبارها بعد النبوة والتحريم وثقلت
عليه واشفق اى خاف منها ومن المواخذة بها لشدة مراقبته لله وخشيته له فمعنى
وضعها على هذا بيان انه غير مواخذ بها وانها لم تكن وزرا عليه فخافه او يكون
معنى الوضع للوزر عصمة الله تعالى له وحفظ خلقته بطهارة فطرته وكمال
بتطهير عنصره عن التخلق من ذنوب لو كانت اى لو وجدت وصدرت عنه لانقضت
ظهره فهو امر على سبيل الفرض والتقدير لا التحقيق والتقرير كما توهموه ولا يبعده
(ابن فرس) قوله انقض مع هذا كما قيل والوزر معان بمعنى الذنب وعلى ما قبله بمعنى الثقل كما فى قوله
او يكون من ثقل امور الرسالة عليه وما فى تبليغها من المشقة بحمل المعقول كالمحسوس
او بمعنى الوزر ما ثقل عليه وشق وشغل قلبه من امور الجاهلية كما نقله ابن الفرس عن
مكى رحمه الله واعلام الله تعالى له بحفظ ما استحفظه من وحيه واسترعاه عليه
من امانته كما تقدم ثم اخذ فى دفع شبهة اخرى عرضت بها المجوزون للصغاير فقال
واما قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم فى التخلف عنه فالعفو كالمغفرة تقتضى
ثبوت ذنب كما قالوه وليس كذلك فان ما ذكر امر لم يتقدم للنبى صلى الله عليه
وسلم من الله فيه نهى فيعده اى يجعله ويعتقده معصية منه بمخالفته ما نهى عنه ولا
عده وصيره الله عليه معصية يستحق اللوم عليها بل لم يعده اهل العلم اى احد
منهم معاتبة فعل خلاف الاولى بما ليس معصية وغلطوا من ذهب الى ذلك اى عدوا
قول من قاله من المفسرين غلطا وهو قول منقول عن قتادة وعتبا الله على نبيه

صلى الله عليه وسلم في بعض ما لا يليق وان جاز كما في قصة ابن ام مكتوم وقوله له مرحبا
بمن عاتبني الله فيه ليس بمراد هنا وان كان لا محذور فيه فلا اعتراض على المصنف كما قيل
قال نفطويه تقدم الكلام عليه وعلى ضبط اسمه ومعناه وقد حاشاه الله تعالى
اى براه الله ونزهه واصل معناه جعله الله في حشا اى جانب من ذلك اى من فعل
ما يستحق عليه العتاب فضلا عن المجازاة بمعصية ارتكبها بل كان مخيرا اى خيره
الله في امرين وهما انه ان شا اذن لهم في التخلف وان شا لم ياذن فقط قالوا اى
العلما من السلف وقد كان له صلى الله عليه وسلم كما علم من تتبع احواله ان يفعل
ما شا مما يرى انه مناسب لانه اذن له في الاجتهاد كما تقرر في الاصول فيما لم
ينزل عليه فيه شي من وحي يبين حكمه فكيف انكار لانه معاتب وان لم يخير في امور شتى
منها ما نحن فيه ولا يمكن انكاره وقد قال الله تعالى له في هذه القصة فاذن لمن
شئت منهم وهذا الامر وتعلقه بالمشية صريح في انه صلى الله عليه وسلم مخير فلما اذن لهم
اى كما امره الله اعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم اى ما خفى عليه من امرهم او بما
اسروه واستتر من ضمايرهم وهو انه لو لم ياذن لهم في القعود والتخلف عنه لقعدوا
بعزمهم بالقعود ولو امروا بخلافه اعلمه بما اوحاه اليه في هذه الاية من انه لا حرج لا
وزر ولا اثم عليه فيما فعل من الاذن لهم كما توهم من ظاهر قوله عفا لانها اشتهرت
بمعنى غفر الذنب واشار الى ذلك بقوله وليس عفا هنا في هذه الاية بمعنى غفر اى
ستر وترك المواخذة والمعاقبة كما هو معناه المشهور بل لها معان اخر منها ما ورد في
الحديث كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابو داود والترمذي والنساي
عن علي كرم الله وجهه ورضي عنه انه صلى الله عليه وسلم قال عفا الله لكم عن صدقة الخيل
والرقيق فهاتوا صدقة الرقة الحديث الا ان الذي رواه هولا فقد عفوت عنكم زكاة
الخيل والرقيق والمصنف رواه بلفظ اخر وتفق عليه ومثله لا يعترض له المصنف فاندفع
قول من قال لم اقف على هذه الرواية ولم تجب عليهم قط لان زكاة الخيل والرقيق
لم تجب عليهم قط حتى يكون العفو معناه اسقاط الوجوب كما انه ترك عقوبة لازمة هنا
اى فالمعنى انه لم يلزمكم ذلك اى زكاة الخيل والرقيق ونحوه معزو للقشيري
رحمه الله قال اى القشيري وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب كما هو متعارف
مشهور من لا يعرف كلام العرب فيخفى على معانيه الواردة في كلامهم كعدم اللزوم
الذي سمعته في الحديث الوارد في كلام افصح العرب واصل معنى العفو الترك وعليه
تدور معانيه فيختلف في كل مقام ما يناسبه فعفو الذنب ترك العقاب عليه وعدم
الزام الزكاة تركها قال ومعنى عفا الله عنك في هذه الاية لم يلزمك ذنبا
فيما فعلته من الاذن قال الداودي رحمه الله من ائمة الحديث وتقدمت ترجمته وروي
انها اى قوله عفا الله عنك كانت تكرمة من الله في خطاب نبيه عليه الصلاة والسلام
اى تعظيما وتكريما يبتدي به الكلام ونحوه ما قاله مكي هو استفتاح كلام يوقرونه
في اول خطابهم مثل اصلحك الله واعزك هو جملة دعائية يبتدون بها الكلام

اكراما

اكراما لمن يخاطبونه وهو عادة اهل الترسل في مكاتباتهم وهو قريب مما قبله بل
معناهما واحد وهو ملاطفة في المحاورة تدعو لاستماعه حتى كانه باستماعه مستحق
للدعا له والقران جا على اساليب كلام العرب فهي جملة دعائية تقصد بها اكرام المخاطب
وحكى السمرقندي ان معناه عافاك الله قيل اخره لضعفه لبعد احدهما عن
الاخر لفظا ومعنى وكانه غلط في المادة وهو من سو الفهم لان الراغب قال عفوت عنك
قصدت به ازالة ذنب وصرفه عنه ومفعول متروكه لانه متعد في الاصل بنا ل
عفاه واعتفاه وقولهم في الدعا اسالك العفو والعافية اى ترك العقوبة والسلامة
وعفا النبت والشعر زاد انتهى فهذه الجملة اذا قصد بها الدعا اكراما كان معناها فواك
الله حقق لا تبالي بمن يخلف عنك من عفا النبت والشعر اذا قوي وعافاك الله تعالى في
الدعا بمعنى قواك الله لان القوي لا يكون مريضا وقال الجوهري عافاه الله وعفاه
بمعنى ويكون فاع الله عن العبد ما يكره فسقط ما نقل انه لا بعد عنه المصنف كيف يعترض
على هذا ولا يعترض على تفسيره باصلحك الله واعزك فتدبر واما قوله اى قول
الله تعالى الذي استدل به من جوز الصغاير عليهم في اسارى بدر اى في حقهم
واسارى جمع اسير وهو معروف وبدر اسم محل وقعت فيه تلك الغزوة المشهورة
سميت باسم رجل من قريش وهو الذي احتفر فيها بيرا فسمي به مكانها وكان صلى الله عليه
وسلم اسر من كبار قريش نحو سبعين رجلا كالعباس وعقيل كما فصل في السير فاستشار
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم الصحابة فاشار عمر رضي الله عنه بقتلهم كلهم فانه قال
نظفر بمثلهم فتضعف شوكة المشركين وقال ابو بكر رضي الله عنه اخذ منهم فدية نتقوى
بها ونمن باطلاقهم لعل الله يهديهم بعد ذلك فاعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم رايه
وعمل به فانزل الله فيهم ما كان لنبي ان تكون له اسرى الاية والاسير فعيل بمعنى
مفعول من الاسر واصله سير يشد به الاسير ولذا قيل اخذه باسره اى اخذه
جملة ومعنى يثخن في الارض يكثر القتل وقيل معناه يتمكن في الارض وما كان نفي الكون
وجا بمعنى لا يليق ولا ينبغي كما ياتي وبه فسره المستدل بهذه الاية على ان اخذ الفدية
قبل قتل الكثير من اعدايه ذنب عاتبه الله عليه وهذه القصة مشهورة في السير والتفاسير
فلا حاجة للتطويل بايرادها فليس فيه اى فيما ذكر في الايتين الزام ذنب له صلى الله
عليه وسلم ومعصية صدرت منه باختيار الفدية التي لم تجز له كما انهمه المستدل بها
بل ما ذكر فيه بيان ما خص به اى جعله الله من خصايصه تكريما له وفضل
به من بين سائر الانبيا وبقيتهم فكانه عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم
ما كان لنبي غيرك اى لم يبح هذا الذي خصصت به من اجل اخذك الفدية ممن
اسرته لنبي من الانبيا السالفة غيرك فانه احل لك وخيرك الله فيه بين الفدا والقتل
ونظيره من خصايصه التي لم تكن لنبي قبله ما بينه بقوله كما قال صلى الله عليه
وسلم في الحديث الصحيح احلت لي الغنايم ورد المغانم ولم تحل لنبي قبلي والمستدل
به يقول معناه ما كان لنبي اصلا لا انت ولا غيرك اخذه الفدا قبل كثرة قتل العدا

تفسير

دنيه نهو مخالفة لما شرعه الله و المصنف رحمه الله قال ليس معناه هذا حتى يتم الدليل
وقال الخطابي من كان قبله صلى الله عليه وسلم من الانبيا على ضربين منهم من لم ياذن له
في الجهاد فلم يكن له غنايم ومنهم من اذن له فيه ولم يحل له الا كل من الغنايم فكانت تنزل
عليه من السما نار تحرقه وكان له صلى الله عليه وسلم التصرف فيها وفي الصدقات
كيف شا الا انه قيل ليس في الاية ما يدل على ما قاله المصنف ولان الحديث وهو مروي
في الصحيحين عن جابر رضي الله عنه ولك ان تقول ان الفدا في معنى الغنايم لانه
مال ماخوذ من الكفرة فذكره للحديث اشارة الى التسوية لهذا التاويل وفي
السابل الاربعين للرازي العتاب وقع هنا على ترك الاولى لان الافضل في ذلك الوقت
الاثخان وترك الفدا قطعا للاطماع ولولا انه من باب الاولى ما فرضه صلى الله عليه
وسلم لاصحابه وقال القرافي في حاشيته عليه المسماة بالتنقيد انه وقع في الحديث ان عمر
رضي الله عنه دخل عليه وهو وابو بكر يبكيان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عرض علي عذاب قومك ادنى من هذه الشجرة والاولى لا عذاب في تركه ولتفويضه
للصحابة لان الاجتهاد كما يقع في الاولى يقع في الواجب بل لو استدل بهذا على انه
اعلى مراتب الوجوب لم يبعد لانه لم يكتف فيه باجتهاد نفسه ذا الصواب انه فوض له
الاجتهاد في امر الاسارى ففوضه لاصحابه فافتى عمر رضي الله عنه بالقتل وكان هو
المصلحة وهو من احدى موافقاته واجتهد الصحابة فلم يهتد للمصلحة فخلص عمر
ولم يواخذ النبي صلى الله عليه وسلم لبذل جهده في اجتهاده فله اجر ولذا قال لنبيا من عذاب
قومك دون عذابي كذ وجه من موجب العقاب ببذل جهده والى هذا ذهب فحول
العلم وجمع بين ظاهر الاية وما يجب لمقامه صلى الله عليه وسلم من العصمة انتهى وهو حسن
جدا واحسن مما اختاره المصنف **فان قيل فما معنى قوله تريدون عرض الحياة**
الدنيا الاية سوال وارد على ما اختاره من انه امر اختص به ﷺ انه لو كان كذلك
ما عوتب عليه بما ذكر من انهم رجحوا اخذ الفدا وهو مال عاد ورايح وعرض فان لا
ينبغي النظر اليه **قيل** في الجواب عنه **المعنى** بكسر النون وتشديد اليا المقصود
بالخطاب في قوله تريدون **لمن اراد ذلك** اي عرض الدنيا **منهم** اي من الصحابة
الحاضرين الوقعة **وتجرد** اي خلص وتمحض **غرضه** بمعجمتين اي قصده **لعرض**
الدنيا بمهملتين وبينه وبين العرض تجنيس **وحده** اي متفردا عن قصد ثواب
الاخرة وهو موكد لما قبله **والاستكثار منها** باخذ ما يناله **وليس المراد بهذا**
الخطاب **النبي صلى الله عليه وسلم** لشرف نفسه عن النظر لها **ولا علية** بكسر العين
ولام ساكنة بعدها يا مخففة جمع على كفتية جمع فتى وصبي وصبية وقيل انه اسم جمع
اصحابه اي كبار الصحابة كابي بكر وعمر وغيرهم ممن حضر الوقعة وقد علمت مما
قرره القرافي انه صلى الله عليه وسلم ليس معاتبا ولا مخاطبا بها اصلا وانه هو التحقيق
ثم ايد كون الخطاب ليس لهولا بما روي في سبب نزوله فقال **بل** اضراب انتقالي
قد روي عن الضحاك انها اي الاية نزلت حين قال لا **نزلت** في امر اخر غير الفدا

فلا

فلا يرد السوال رأسا **وذلك حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس**
اي بعض منهم **بالسلب** بسين مهملة ولام مفتوحتين ما يستلب اي يوخذ من القتيل
من لباسه وما معه وقد بينه الفقها واختلفوا فيمن يستحقه هل يدخل في الغنيمة او
للقاتل مطلقا او ان شرطه له الامام كما فصلوه والسلب ايضا شجر يتخذ منه حبال
ولذا سميت العامة الحبال سلبا كما في بعض كتب اللغة **وجمع الغنايم عن القتال**
متعلق باشتغل **حتى خشي عمر** رضي الله عنه اي خاف على المسلمين **ان يعطف** اي يرجع كارا
عليهم اي على المشتغلين بما ذكر **العدو** والذين انهزموا والعدو يقع على الواحد وغيره وكثيرا
ما يقع في العساكر مثله عظيم بمثل هذا وعمر رضي الله عنه دري بذلك **ثم نزل تعالى**
في هذه الاية والقصة **لولا كتاب من الله سبق** تقدم على هذه القصة وتقدم
بيان المراد بالكتاب هنا وسياتي ايضا **واختلف المفسرون في معنى هذه الاية**
والمراد منها **فقيل معناها** كما نقله الطبري ما قاله محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي
طالب **لولا انه سبق مني** اي من الله قبلا او حاه لنبيه صلى الله عليه وسلم **اني لا اعذب**
احدا الا بعد النهي وتخويفه احدا فقد **لعذبتكم** على ما فعلتم من اخذ الفدا لانه لو كان
منهيا عنه محرما استحق مخالفه العذاب فالمراد بالكتاب حكم الله الذي كتبه وقدره
فهذا التفسير **ينفي** ويمنع **ان يكون امر الاسرى** اي فداؤهم **معصية** لانه لم ينه عنه
ولم يحرم فلا دليل في الاية لما مر وعلى هذا التفسير تكون هذه الاية مخصصة لنحو اقتلوا
المشركين فلا وجه للاعتراض به على ما ذكره المصنف **وقيل المعنى** المراد من هذه الاية **لولا**
ايمانكم بالقران وهو المراد **بالكتاب السابق** في قوله لولا كتاب من الله سبق
وقد الايمان في النظر لان ذات الكتاب لا تمنع العذاب الا بالايمان بما تضمنه من هذه
الاحكام **فاستوجبتم** اي استحققتم **به الصفح** اي العفو وعدم المواخذة **لعوقبتم**
على اخذكم الغنايم وما هو في حكمها من الفدية وهذا حكاه ابن عطية في تفسيره
وليس فيه تحصيل الحاصل كما توهم لما سياتي **ويزاد** بزاي معجمة فعل مجهول من الزيادة
هذا القول تفسيرا وبيانا وايضاحا **بان يقال** في تقريره المعنى **لولا ما**
كنتم مومنين بالقران بحقيقته وحقيقة ما فيه من الاحكام وما مصدرية وقوله
وكنتم ممن احلت لهم الغنايم معطوف على ما قبله **لعوقبتم كما عوقب من تعدى**
بفتح التا الفوقية والعين والدال المهملتين المشددة داله قبل الالف فعل ماض
والكتاب على هذا بمعنى القران وسبقه لتقدمه في الازل او لتقدم ما نزل وحكم الله
الذي كتبه وقدره وحاصله انه لولا ان الله انزل القران وما فيه من الاحكام
واحل لكم الغنايم بسبق العذاب واحل بكم العقاب كما عوقب من قبلكم من الامم
لما تجاوز الحدود وتعدوا ما نهاهم الله عنه وهو اما تشريع وامتنان عليهم بما
احله لهم ولم يضيق عليهم كما ضيق على الامم السابقة وهو ردع لمن استقبل بالعنا بهم
والسلب فقد روى ابو داود عن ابي هريرة انه لما كان يوم بدر تعجل الناس الى
الغنايم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغنيمة لا تحل لاحد سود الوجوه غيركم

عوضي

ابن الفرس

صلته

وكان النبي واصحابه اذا غنموا الغنيمة جمعوها فنزلت نار من السما فاكلتها فانزل الله تعالى عرضى
لولا كتاب من الله سبق الايتين واخرجه الترمذى وقال صحيح حسن ووقع فى الشرح
الكبير هنا مواخذة على ما فى الكشاف هنا مع انه فيها لا مساس لها بالمقام فانه شبهة من
عدم التدبر وقيل معناه لولا انه سبق فى الازل فى اللوح المحفوظ الذى كتب
فيه كل ما هو كاين الى يوم القيمة انها اى الغنايم حلال لكم الانتفاع بها والتصرف
فيها لعو قبتم على اخذها فهذا المذكور فى التفاسير كله ينفى الذنب والمعصية
فيما فعله باسرى بدر فان من فعل ما احل له على ما وجهه به لم يعص الله ولم
يعد ما صدر منه معصية حتى يستدل بما ذكر فيها على تجويز الصغاير عليهم وما هو صريح
فى حله ما اشار اليه بقوله قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم اى من غنايمكم حلالا
طيبا فكلوا بمعنى انتفعوا به وليس المراد خصوص الاكل وذكره لكثرته وغلبته على غيره بل
من الانتفاع واستدل بهذا على ان الامر الوارد بعد الحظر للاباحة وعليه الاكثر والثانى
ان الاصل فيه الوجوب يجب عنه كما فصل فى الاصول وفى الكشاف وتبعه القاضى فى
قوله لولا كتاب من الله سبق الخ قيل لولا ما اثبت الله من ان يحل لكم الفدية واعترض
عليه بانه يقتضى انه صلى الله عليه وسلم لم يبح بحل الغنايم له حتى ذهب لبدر عرضى
والظاهر انه انما اقدم على ذلك ورغب فيه بعد علمه بحله له ولم يخرج لبدر الا طالبا
للغنيمة ولولا ذلك لم يا خذ عير قريش وهو وهم منه فانه لا يلزم من علمه بحل الغنيمة
علمه بحل الفدية وان كانت فى حكمها وقد ورده على قوله لولا انه سبق فى اللوح المحفوظ
الخ وهو عجيب وارد لان المعنى لو لم تحل لكم الغنيمة وهو يقتضى حل الفدية فتامل وقيل
بل كان صلى الله عليه وسلم قد خير فى ذلك اى فى اخذ الفدية من الاسرى وفى قتلهم
فلما اخذها قيل له كان الاولى خلافه لكن بكاوها السابق ورويته صلى الله عليه وسلم
دنو العذاب منهم يأباه كما تقدم ويدل على انه مخير فى ذلك انه قد روى عن على رضى
الله عنه انه قال جا جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير
اصحابك فى الاسارى بين ان شاوا القتل وان شاوا الفدا اى اخذ
الفدية والمال منهم على ان يقتل منهم فى العام المقبل والسنة التى تلى هذه السنة
اى ان الله قدر عليهم ان اخذوا الفدية يقتل من الصحابة مثلهم اى بعددهم
فقالوا نختار الفدا ويقتل منا مثلهم رغبة فى الشهادة وهذا المذكور كله
دليل على صحة ما قلنا من انهم لم يفعلوا فى وقعة بدر من اخذ الفدية الا
ما اذن لهم فيه اى جوز لهم فلا ذنب ولا معصية لكن بعضهم اى بعض الصحابة
الذين استشارهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك مال الى اضعف الوجهين
من الفدية دون القتل باجتهاد منه والاجتهاد يجوز من الصحابة بحضرته صلى الله
عليه وسلم كما صححه اهل الاصول مما كان الاصلح للاسلام والمسلمين غيره وهو القتل
وبينه بقوله من الاثخان والقتل الذى هو اعز الوجهين فاختاروا الادلة
لما خير وا فعوتبوا على ذلك من اختيار غير الاصلح وبين لهم ضعف اختيارهم

الفدية وصوب اختيار غيرهم وهو ما اختاره الفاروق وكلهم غير عصاة
ولا مذنبين لان كلا منهم قال ما اداه اليه اجتهاده وظاهر ان الخير فيه والى نحو
هذا اشار الطبرى رحمه الله وانما بكوا وخوفوا وقوع العذاب بهم لان الخوف
منهم من مجرد نظره لكمال فى الماجل مثل الصديق رضى الله عنه من فعله شفقة على
قومه ورجا ان الله يهديهم للاسلام ويعز بهم الدين فى الآجل وقد حقق الله رجاه
فلا اعتراض على هذا بانه لو كان كذلك ما وقع توبيخ شديد به ومن مطالع السير
وما وقع فى هذه الغزاة علم هذا وتحققه وقوله صلى الله عليه وسلم فى هذه القصة
لو نزل من السما عذاب ما نجا منه الا عمر جواب عن سوال ورد على ما قرره
من انهم غير عصاة ولا مذنبين وهو انه اشارة الى هذا المذكور من تصويب
رايه اى عمر رضى الله عنه ورايه من اخذها خذه اى وافقه فيما قاله فى اعزاز
الدين وغيظ الكفرة باتباع القتل برووسهم وارهاب قلوبهم فى اول واقعة وقعت
بينهم واظهار كلمته بان تكون كلمة الله ورسوله هى العليا ويكون ظاهرة ثابتة
وابادة عدوه اى اهلاكه وافناوه لان الاسرا كانوا عظما ايمة الكفر فلو قتلوا لم
يكن لهم عمود بعده وان هذه القضية اى قضية اسرى بدر واخذ الفدية منهم
واطلاقهم لو استوجبت عذابا اى اقتضت وقوع العذاب بمن فعلها لمخالفتها
لامر الله نجا منه اى من العذاب الذى اقتضته عمر لانه رضى الله عنه لم يرض به
ولم يره رايا صحيحا ومثله اى ونجا منه مثله ممن كان على رايه وهو سعد بن معاذ
رضى الله عنه كما ورد فى الحديث وعين عمر اى خصه بالذكر مع ان جماعة منهم كانوا على
رايه لانه اول من اشار بقتلهم جوابا لقول النبى صلى الله عليه وسلم له كما فى صحيح مسلم
ما ترى يا ابن الخطاب فقال ما ارى راى ابى بكر ولكن ارى ان تمكنا فنضرب اعناقهم
الحديث ولكن الله لم يقدر عليهم فى ذلك اى فى مقابلة رايهم بالفدية كله لهم عزابا كم
اى لان الله احله لهم وخيرهم فيما سبق هذه الواقعة وقال الداودى تقدمت
توجيهه والخبر بهذا لم يثبت اى لم يثبت المنع من اخذ الفدية لا الحديث الذى فيه
ما راه عمر وغيره ولو ثبت لما جاز ان يظن ان النبى صلى الله عليه وسلم
يحكم بما لا نص فيه بوحى نزل عليه ولا دليل يدل على ما حكم به مستنبط من نص
بيقين باجتهاده ولا جعل الامر فيه من الله مفوض اليه فانه وقع التفويض اليه
صلى الله عليه وسلم فى امور اذن له بالحكم فيها بما كما صرحوا به وقد نزهه الله عن
ذلك بقوله وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى والاجتهاد والتفويض
بوحى وحى وقال القاضى بكر بن العلا امام مذهب مالك كما تقدم اخبر
الله نبيه صلى الله عليه وسلم فى هذه الاية النازلة فى اسرى بدر ان تاويله
الذى فعله من ابى بكر رضى الله عنه فى اختيار عدم القتل وافق ما كتب له اى حكم
به وجوزه بقوله لولا كتاب من الله سبق فى علمه وحكمه من احلال الغنايم لهم
واحلاله لهم اخذ الفدا وكيف لا تكون الفدية حلت لهم قبل هذا وقد كان

النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه **قبل هذا** اي قبل غزوة بدر **فادوا** اي اخذوا
الفدا من المشركين **في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي** لما
مرت عير لقريش بتجارة من الطايف ومع العير عمرو بن عبد الله الحضرمي
والحكم بن كيسان وعثمان بن عبد الله ونوفل بن عبد الله والسرية طليعة من
السرايا وهم ناس يرسلون للعدو ومن خمسة الى ثلاثماية او اربع ماية ولم يجز ابو
حنيفة عدد الاقل وقال ابو يوسف سبعة فصاعدا وقال الماوردي يطلق
على الواحد سرية والظاهر انه مجاز فلا بد من عدد له منعته وعبد الله بن جحش
هو ابن رياب بن يعمر الاسدي وامه اميمة بنت عبد المطلب عمته صلى الله عليه وسلم
قبل دخول النبي صلى الله عليه وسلم دار الارقم وهو من المهاجرين الاولين واستشهد
باحد ودفن مع حمزة رضي الله عنه وسريته كانت في رجب في السنة الثانية او في جمادى
الاخرة ومعه ثمانية من المهاجرين او اثنا عشر هو اميرهم ومن ثم سمي امير المومنين
ويعرف بالمجدع في الله لجدع انفه واذنيه باحد وكان دعا الله بذلك وكانت السرية
قبل بدر بشهرين او اكثر كما سياتي وبعث ليترصد عير قريش فسار حتى نزلوا ببطن
نخلة بين مكة والطايف فرمى واقد بن عبد الله الصحابي عمرو بن الحضرمي فقتله فكان
اول قتيل من المشركين واستاسروا الحكم وعثمان وكان اول اسير في الاسلام وافلت
نوفل فقدموا المدينة بالعير والاسيرين فاسلم الحكم واقام صاحبه عثمان بن
عبد الله ورجع لمكة فمات بها كافرا وفيه فدى نفسه **بالحكم بن كيسان وصاحبه**
عثمان بن عبد الله والبا متعلقة بقوله فادوا لا بقوله قتل لان المذكور هنا ان الحكم
ابن كيسان مولى هشام بن المغيرة المخزومي اسر في هذه السرية اسره المقداد بعد قتل
ابن الحضرمي فاراد عبد الله بن جحش ضرب عنقه فقال له المقداد دعه نقدم به
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم به اسلم وحسن اسلامه وقتل ببير معونة
وسيأتي تفصيله **فما عتب الله عليهم** اي على النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة في اخذ
الفدية فلو كانت ممتنعة ونجم الله على ذلك والمراد بالعتب التوبيخ والانكار
مجازا عن لازم معناه اذ معناه لا يليق به تعالى لانه تستعمل فيما بين الاقران وانما
عبر به ليشمل خلاف الاولى **فذلك** اي ما وقع من الفدا في تلك السرية **كان قبل**
بدر اي قبل وقعتها **بازيد من عام** كذا في النسخ وهو سهو لان بدرا الاولى وقعت
في ربيع الاول بعد ثلاثة عشر شهرا من الهجرة فتكون هذه الوقعة في سنة اثنين
من الهجرة ثم في رجب بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه السرية ثم في رمضان
من هذه السنة وقعت غزوة بدر الكبرى فبين هذه السرية وغزوة بدر نحو ثلاثة
اشهر فكان المصنف توهم ان هذه السنة سنة ثانية وليس كذلك وحاصل قصة
هذه السرية انه صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش ومعه ثمانية رهط من
المهاجرين وكتب له كتابا وامره ان لا ينظر فيه حتى يسير يومين وان لا يستكره من
اصحابه احدا ففتحه بعد يومين فاذا فيه اذا نظرت كتابي فامض حتى تنزل

بنخلة بين مكة والطايف فترصد بها قريشا وتعلم خبرهم فلما قراه قال سمعا وطاعة
واعلمهم بما في كتابه صلى الله عليه وسلم فلم يتخلف احد وسلك الى الحجاز فلما كان بنجران
اضل سعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما فتخلفا في طلبه فمضى ابن
جحش واصحابه حتى نزلوا بنخلة فمر بهم عير لقريش فيها عمرو بن الحضرمي وعثمان
ابن المغيرة واخوه نوفل والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة فلما راهم القوم
هابوهم ونزلوا قريبا منهم فاشرف عليهم عكاشة بن محصن وقد حلق راسه فقالوا
عمار لا باس عليكم منهم وذلك في اخر يوم من رجب ثم تشاوروا فقالوا ان تركتموهم
الليلة دخلوا الحرم فيمتنعوا به وان قتلتموهم قتلتموهم في الشهر الحرام ثم اجتمعوا على
قتل من قدروا عليه واخذ ما معهم فرمى واقد بن عبد الله التميمي ابن الحضرمي
بسهم فقتله واستاسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان واعجزهم نوفل بن عبد
الله واقبل ابن جحش واصحابه بالعير والاسيرين على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقيل ان ابن جحش قال لاصحابه ان لرسول الله مما غنمنا الخمس وذلك قبل
ان يفرضه الله فخمس ذلك بين الصحابة وقال ابن اسحاق انهم لما قدموا عليه صلى
الله عليه وسلم قال ما امرتكم بقتال في الشهر الحرام ووقف امر العير والاسيرين
وابى ان ياخذ من ذلك شيئا فندم المسلمون على ما فعلوا وقالت قريش استحل محمد واصحابه   ما صنعوا
الشهر الحرام بسفك الدم واخذ المال والاسر فقال المسلمون بمكة انما وقع ذلك في
شعبان فلما كثر القيل والقال انزل الله تعالى يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه
الاية ففرح المسلمون بذلك وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسيرين
وبعثت قريش في فدا عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان فقال صلى الله عليه وسلم
لا نفديكما حتى يقدم صاحبانا يعني ابن ابي وقاص وعتبة بن غزوان خشية ان
يقتلهما قريش بمن قتل منهم فلما قدما فاداهما فاما الحكم بن كيسان فاسلم وحسن
اسلامه حتى استشهد ببير معونة واما عثمان فلحق بمكة ومات كافرا **وهذا**
المذكور **كله يدل على ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شان الاسرى** من
الفدا وما وقع معه **كان على تاويل** باجتهاد منه صلى الله عليه وسلم ومن الصحابة
وبصيرة بالنظر الصحيح في انه فيه اعانة ورجاء لان الله يهديهم في الاجل الى الاسلام
وكان كذلك **و**هو جار **على ما قد تقدم قبل** اي قبل بدر **مثله** من وقوع الفدية
في سرية ابن جحش ولم يعاتبوا عليه **فلم ينكره الله تعالى عليهم** كما بيناه انفا **لكن**
الله تعالى اراد بقوله تعالى ما كان لنبي ان تكون له اسرى **لعظم امر بدر**
وانها ما كسر شوكة المشركين وارعب قلوبهم ولو نادوا بذلك يقتل من اسروه
كان اتم **وكثرة اسراها** الواقعة فيها بما اداه اجتهادهم اليه **اظهار نعمته**
مفعول اراد اي ظهورها على المسلمين وانهم لو تركوا الفدية اغناهم الله عنها **وتاكيد**
منته اي نعمته عليهم **بتعريفهم ما كتبه** وقدره **في اللوح المحفوظ** بقوله لولا كتاب
من الله سبق على احد الوجوه المتقدمة واللوح المحفوظ مبين في كتب الحديث

والتفسير من جل ذلك لهم اى لكونه حلالا مأذونا فيه لهم لا على وجه عتاب اى
لم يكن تركه لتحريمه بل لبيان شكره ونعمته وانكار عليهم في اختيار الفدية او تذنيب اى
تثبيتهم لذنب ارتكبوه بما فعلوه هذا معنى كلامه اى كلام القاضي بكر بن العلا
وهو الذى اختاره المص خلافا لمن قال ان الحق انه عتاب من الله وارتضاه بعض
الشراح هنا وقال انما ذكر تكلف لا ينبغى ارتكابه واما قوله تعالى عبس اى كلح وجهه
وتولى اعرض عنه بوجهه الاية اى ما يشعر به ظاهرها من انه صدر عنه صلى الله
عليه وسلم ما استحق عليه العتاب واستدلال بعضهم بهذه الاية والقصة على تجويز
الصغائر عليهم كما تقدم اجمالا فليس فيها اثبات ذنب له صلى الله عليه وسلم ولا تجويزه
عليهم كما توهم من استدل بها على ذلك بل اعلام له صلى الله عليه وسلم أن ذلك المتصدى
بصيغة اسم المفعول ونائب فاعله قوله له اى اقبل عليه وتوجه له واصله مقابلة الشئ
كما يقابله الصدى وهو الصوت الراجع اليه من جبل ونحوه كما قاله الراغب وفي التعبير به
نكتة وهى ان كلام هولا لا عبرة به كما قال المتنبى انا الطائر المحكى والاخر الصدى
ممن لا يتزكى اى لا يسلم فيطهره الله من دنس الشرك وأن الصواب والاولى والاليق
به صلى الله عليه وسلم لو كشف لك حال الرجلين اى ابن ام مكتوم ومن كان عنده
من المشركين وانتصر على الاول والاقل لكثرة كانوا جماعة كما تقدم الاقبال على الاعمى دون
غيره والاعمى هو عبد الله بن شريح ويقال عمرو بن ام مكتوم واسم ام مكتوم عاتكة بنت عامر
ابن مخزوم وعمر وهذا هو ابن قيس بن زيد بن الاصم والذى تصدى له جماعة من رجال المشركين
بمكة اختلفوا فيهم فقال مجاهد كانوا ثلاثة عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابى بن خلف وزاد
بعضهم اباجهل والعباس وامية بن خلف والوليد بن المغيرة وكان صلى الله عليه وسلم
يرجوا اسلامهم واسلام غيرهم وقد قدمنا عن القرطبي ان هذا باطل وجهل ممن قاله لان
امية بن خلف والوليد كانا بمكة وابن ام مكتوم كان بالمدينة لم يحضر معهم وماتا كافرين
احدهما مات بمكة والاخر ببدر ولم ياتيا المدينة وتقدم انه تشنيع على القرطبي فيما قال
فان سورة عبس مكية وابن ام مكتوم اسلم قديما بمكة قبل الهجرة وكان مع النبى بمكة والمدينة
وهاجر قبل النبى صلى الله عليه وسلم مع مصعب بن عمير رضي الله عنه فتعجب بجهل من نقل هذه
القصة من كبار المفسرين ثم اشار الى ان ما فعله صلى الله عليه وسلم ليس ذنبا بل فعلا حسنا لانه
تبليغ للرسالة ولطف في الدعوة بالاقبال على من كان من اهل العناد والكبر فاعلمه بحال
العرفين فتعاتب ونهى النبى صلى الله عليه وسلم لما فعل من التصدى ومعاتبه الذى
اشار اليه بقوله وتصديه لذلك الكافر تقدم وجه افراده كان طاعة لله وتبليغا
عنه فما فعله صلى الله عليه وسلم كان امرا لازما له واستئلافا له اى استمالة الكافر ثم التحبب له
رجا لاسلامه كما شرعه الله له وفرضه عليه بامره بالتبليغ ولين الخطاب لمن يدعوه لا معصية
كما زعمه من تقدم ومخالفة له اى لما شرعه الله وما قصه الله عليه في هذه السورة
اعلام بحال الرجلين المذكورين وتوهين امر الكافر عنده اى تضعيفه وبيان حاله
لانه لا مقدار له يعتد به واشارة الى الاعراض عنه بقوله وما عليك ان لا يزكى

لان

بيسكي لعله صح

لان معناه لا باس عليك من امره فلا تلتفت اليه والضمير في قوله وما عليك الا يزكى
لابن ام مكتوم وقيل ضمير لعله للكافر يعنى انك اذا طمعت في ان يتزكى بالاسلام او يذكر
فتقربه الذكرى الى قبول الحق وما يدريك اى ما طمعت في ان يتزكى بالاسلام كابن والاول
هو الاولى لان ما في القران من يدريك فهو مما اعلمه الله به وما فيه من ادراك لم يعلمه
به والتصاف الكافر لم يسبق له ذكر صريحا ولا ضمنا وقوله وما عليك ان لا يزكى يعنى انه
لا باس عليك بعدم اسلامه فحرصك على اسلامه الحامل لك على الاعراض عن غيره تطييبا
لخاطره الاولى تركه لان ما عليك الا البلاغ وقد فعلت وقد تقدم تتمة لهذا فتذكره وقيل
المراد بقوله عبس وتولى الكافر الذى كان مع النبى صلى الله عليه وسلم في ذلك
المجلس قاله اى هذا القول ابو تمام الشاعر صاحب كتاب الحماسة على ما ياتى وهو قول
في غاية الضعف بعيد من السياق والذى عليه المفسرون انه النبى صلى الله عليه وسلم وفي
التفات الكلام له عن الخطاب اكرام له صلى الله عليه وسلم عن ان يواجهه بالعتب لا مبالغة في
العتب لان فيه نوع اعراض كما قاله ابن عطية واما قصة ادم عليه الصلاة والسلام والاستدلال
بها على تجويز الصغائر على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقوله تعالى فاكلا منها اى من
الشجرة بعد قوله ولزوجته حوا ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين
المخالفين لامر الله ونهيه وقوله تعالى الم انهكما عن تلكما الشجرة شجرة الكرم او
التين او غيرهما كما بينه المفسرون وتصريحه تعالى بالحا المهملة وضمنه معنى الندا فعداه
بعلى في قوله عليه بالمعصية بقوله وعصى ادم ربه فغوى اى ضل عما يبتغيه له وقيل
معناه جهل وقيل اخطا فان الله تعالى قد اخبر بعذره جواب لما وهو جواب عما استدلوا
به لانه ارتكب معصية وذنبا بقوله ولقد عهدنا الى ادم اى اخذنا عليه وبينا له ما
يلزمه فتركه من قبل اى قبل اكله من الشجرة فنسى العهد المتقدم ولم نجد له عزما
ثابتا على ما عهد اليه لان العزم توطين النفس على فعل او ترك وقريب منه تعبيره بالصبر
الان وعلى هذا فالذى نسيه هو نهى الله له عن الاكل من الشجرة وفعله ناسيا لا يكون ذنبا
لعدم المؤاخذة به وفيه انه لو كان كذلك ما جازاه الله باخراجه من الجنة ونزع لباسه
وقيل انه ذكر تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم عن عصيان قومه لان مثل ادم اذا عصى ربه فما
بالك بغيره وقال ابن عطية انه ضعيف لان جعل ادم مثلا للكفار لا ينبغى والذى اراه انه
ابعد النقص او انه لما عهد له صلى الله عليه وسلم ان لا يعجل بالقران نسى سلاه بانه سبق
مثله لادم فعفى عنه فلا لوم عليه ثم ذكر وجها اخر فقال قال ابن زيد هو عبد الرحمن
ابن زيد بن اسلم كما تقدم في ترجمته نسى عداوة ابليس له لحسده على جعله تعالى خليفة
قيل وكان النسيان يواخذ به المكلف ثم عفى الله عنه كما ياتى وبهذا اعلم الجواب عما تقدم ونسى
ما عهد الله اليه من ذلك اى من كون ابليس عدوا له ولزوجه وولده بقوله ان
هذا عدو لك ولزوجك الاية وحذره منه كما قصه في قصته وبينه المفسرون
قيل نسى ذلك المذكور من عداوته بما اظهر لهما اى لادم وزوجه من المخادعة
بدلاهما بغرور وقال ابن عباس رضي الله عنهما انما سمى الانسان انسانا

لانه عهد اليه فنسى واصله انسيان و وزنه افعلان قلبت يا وه الفا لتحركها
وانفتاح ما قبلها وحذفت الهمزة لالتقا الساكنين فالهمزة زائدة ولامه محذوفة وقيل
انه من الانس ووزنه فعلان وانما ذكر هذا توجيها للقولين المذكورين فلا وجه لما
قيل انه لم يقع موقعه لعدم مناسبته لما قبله ويدل للقول الاول ان ابن عباس ان تصغيره ابن افورس
انيسيان ولذا قيل كما تقدم وان اول ناس اول الناس وقلت
ومن لم يكن ينسى الصغائر والذي تقدم من جنده فليس بناسي
وقيل في توجيه ما صدر من ادم عليه الصلاة والسلام انه لم يقصد المخالفة لما
نهاه عنه استحلالا لها اي لعدها حلالا حتى لا يكون ذلك معصية ولكنهما اي
ادم وزوجته اغترا بحلف ابليس لهما اي قسمه وقوله واسه اني لكما لمن الناصحين
في تحسينه الاكل لهما من الشجرة وتوهما ان احدا لا يحلف بالله حانثا كاذبا فالاولى
وقد روي عذر ادم اي اعتذاره عما صدر منه بمثل هذا المذكور من ظنه صدقه
لاقسامه لهما في بعض الاثار المروية عن السلف او الاحاديث وذلك انه راهما في
الجنة ونعيمها فبكى فقالا له ما يبكيك قال رحمة لكما لان والهف البيم عنكما فقالا فماذا
يكون مانعا عن زوال الدنيا لهما فنا وبله المنهي وقسمه على ما قاله قالوا وهو اول من
وقع منه الحسد والكذب في اليمين وقال ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما
وخدعهما بان الاكل ليس فيه مخالفة لما نهى الله عنه والمومن يخدع مبني للمفعول اي
من شانه انه يخدع بتصديق من غره لسلامة صدره وظنه ان احدا لا يحلف ولا يكذب
وليس هذا الغفلة ذعانه بل لانه لكونه لا يفعل ذلك يعتقد ان غيره مثله ولذا قيل ان
الكريم اذا خادعته انخدعا وقد قيل في توجيه ذلك ايضا انه نسي ولم ينو المخالفة
للعهد الذي عهده الله والنسيان مغتفر وفي تفسير الثعلبي ان النسيان كان يواخذ
به لكنه انه من اسباب اختبار ربه ثم نسخ ذلك فلذلك قال الله تعالى ولم نجد له
اي لادم عليه الصلاة والسلام عزما اي قصد المخالفة لله فيما نهاه فان العزم
التصميم على فعل او ترك وهو مستلزم ما ذكر وتقدم فيه تفاسير اخر واكثر المفسرين
على ان العزم معناه المراد منه هنا الحزم وهو الاخذ بما فيه سداد بعد النظر
التام فيه والصبر حتى يتيسر له مراده من غير قلق واضطراب وقيل كان عند
اكله سكران ثم خالف قصدا والسكر لم يكن حراما اذ ذاك والجنة ليست دار تكليف
ايضا الا انه ورد ان خمر الجنة ليس له سكر ولا كما لخمور الدنيا ولا يخفى ان هذا الوجه
في غاية الضعف فالاولى تركه الا انه قول سعيد بن المسيب كما نقله البغوي وان ما ذكر غير
مسلم لاحتمال ان تلك اي الجنة ليست هي دار الخلد كما ذهب اليه بعض المفسرين فيها ولذا قال
المص وهذا القول ضعيف لانه تعالى وصف خمر الجنة بانها لا تسكر فيا في
هذا الجواب وهو اشارة الى قوله تعالى لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون فانه فسر بانها لا
تذهب عقولهم من نزف عقله اذا ذهب والكلام عليه مفصل في التفاسير فاذا كان ادم
عليه الصلاة والسلام ناسيا على احد الوجوه السابقة لم يكن ما فعله ادم معصية

فلا يصح الاستدلال حينئذ بالاية وكذلك اذا كان ملبسا عليه يعني تلبيس ابليس
الذي غره به وقسمه له بانه ناصح له وانه يريد خلوده في الجنة وعدم زوال النعمة وان نهي
الله ليس بتحريمي يواخذ به كما يواخذ بما يأتي غالطا اي وقع من ادم عليه الصلاة
والسلام الغلط بقبوله تلبيسه وتقرير دله بانه لا اثم عليه في اكله اذ الاتفاق من
ائمة الدين على خروج الناسي والساهي من حكم التكليف يعني انه ليس مكلف ببعض
القران والحديث فلا يكتب عليه ذنب وايضا انه كان في جنة الخلد وليست دار تكليف
الا انه قيل ان السهو والنسيان كان مما يواخذ به شرعا ثم نسخ كما تقدم عن الثعلبي وايضا
قيل ان الجنة انما تصير دارا باحة دون تكليف بعد الحشر واما قبله فلا على انه فيه بحث
اذ المراد به انه ليس فيها تكاليف الدنيا كالصلوات الخمس والزكاة ونحوه مما علم من الاحكام
الشرعية اما اذا قال الله تعالى لاهل الجنة امرتكم بكذا ونهيتكم عنه فانه لا يجوز مخالفته
بلا شبهة وهذا مما لا ينبغي الغفلة عنه وقال الشيخ ابو بكر بن فورك وهو ابو محمد
ابن الحسن الاصبهاني امام اهل السنة والكلام وكان في عصره اجل من تصدر للوعظ
والتدريس والتاليف وله مصنفات كثيرة جليلة ومناظرات عجيبة وله رحلة للسند
وغيره ولما رجع الى نيسابور مات في الطريق سنة ست واربعمائة فنقل لنيسابور ودفن
بها وقبره يزار ويستجاب عنده الدعا كما ذكره المورخون كابن خلكان وفورك بضم الفا
وسكون الواو وفتح الراء والكاف وتقدم التردد في انه مصروف وممنوع من الصرف
وغيره من العلما انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة وفي عصمتهم من الصغائر قبلها
خلاف وتقدم تحريره وكتبه ودليل ذلك قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتباه
ربه اي اختاره لنبوته فتاب عليه مما صدر منه قبل النبوة وهدى اي هداه الى
علمه فذكر ان الاجتبا والهدى مصدر بمعنى الهداية وليس على هذا الوزن مصدر
الا الهدى والسرى والتقى على كلام فيه في شرح سيبويه كانا بعد العصيان لعطفه
بثم كما لا يخفى فالمعنى ان الله ارتضاه لنبوته وانه لم يصدر عنه ذنب بعد ما ذكر والاجتبا
الاختيار من جبيت الما في الحوض اذا جمعته فالاجتبا جمعه للمعارف والعلوم اللدنية
وقد قيل عليه انه في غاية البعد لان ظاهر الكتاب من سجود الملائكة لادم واظهار فضله
عليهم ومخاطبته في حضرته يمنع هذا الاحتمال اذ لا معنى للنبوة غير هذا فالاستدلال له
به على نبوته اولى مما استدل به المص رحمه الله وقيل في الجواز مما استدل به على
تجويز الصغائر على الانبياء عليهم الصلاة والسلام بل اكلها متأولا لاكل اكله وانه لا يجوز
عنه به معصية واشار لتاويله بقوله وهو لا يعلم انها الشجرة التي نهى عنها لانها
المعهود اي التي نهاه الله عنها في الاية لانه تأول نهي الله تعالى له بقوله لا تقربا هذه
الشجرة اي لا تاكلا من هذه الشجرة الاية بانه انما نهي عن شجرة مخصوصة لقوله
من هذه الشجرة لان اسم الاشارة موضوع لفرد معين مشاهد لا على الجنس اي انه
نهي عن جنس هذه الشجرة الشامل لجميع افرادها وبعضهم قال ان اسم الاشارة قد يشار به
الى الجنس مجازا وبه صرح النحاة كما في اول شرح الكتاب والمراد بالجنس الكلي مطلقا فيشمل

وفيه التسامح

ابن فورك

ابو بكر بن فورك

الجنس والنوع وغيره ولبعض الشراح هنا كلام لا محصل له ولذا اى لاجل انه تناول بما
ذكر قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ قال الراغب التحفظ قلة الغفلة وحقيقته
تكلف الحفظ لضعف القوة الحافظة انتهى والمراد ترك التيقظ والتنبه وقيل في
الجواب وبيان تأويله انه تناول ان الله تعالى لم ينه عنها نهى تحريم وانما هو نهى
تنزيه عن خلاف الاولى وكونه لا يناسب قوله فتكونا من الظالمين كما قيل سبق
ما يدفعه في كلام المص فان قيل فعلى كل حال بما ذكرته في توجيه ما صدر من ادم
كيف يكون لا معصية فيه وهو مشكل فقد قال تعالى في هذه القصة وعصى ادم
ربه فاثبت له المعصية بما فعله واثبت فيه خلافه وقال فتاب عليه وهدى
والتوبة انما تكون عن ذنب وقوله اى قول ادم المحكي عنه في حديث الشفاعة في الحشر
للخلق كما تقدم ويذكر ذنبه لما طلب الخلق منه ان يشفع لهم في الخلاص من هول الموقف
فقال لهم اذهبوا لغيري من الانبيا فيعتذر لذنبه وانه يستحيي من ربه وقال اني
نهيت عن اكل الشجرة اى عن الاكل من شي منها فعصيت بفعلي ما نهى الله عنه فهذا كله
يقتضي انه صدر منه ذنب ومعصية تبيانا بما وجهته به فسبيلنا في الجواب عنه وعن
اشباهه مما يقتضي ارتكاب الذنوب مجملا مختصرا في اخر هذا الفصل
ان شا الله تعالى واما قصة يونس بن متى فقد سبق اى مضى الكلام على بعض
منها انفا اى قريبا من قولهم استانفت الشي اذا ابتدأته واتيا اسم فاعل منه صار بمعنى قريب
وليس في قصة يونس المذكورة في القران نص على ذنب صدر منه حتى يتمسك
بها من جوزه عليهم وانما ذكر فيها اى في قصته انه ابق اى فر وهرب وقد يفرق بين
الاباق والهرب بعد تخصيصه بالعبد فيخص الاباق بما كان بلا خوف كما في القاموس وغيره
ولذا اعبر به لما فيه من المزايا هنا بخلاف الهرب وكان يونس كما تقدم دعا قومه فلم يطيعوه
فتوعدهم العذاب فلما تأخر عن موعده خرج من بينهم وذهب مغاضبا اى غضبان فما
هنا كما في ليث كفيرها من المفاعلة وغضبه على قومه لا على ربه وان قيل به واول
وقيل انه خشي القتل وقد تقدم تفصيله كما اشار اليه بقوله وقد تكلمنا عليه اى تقدم
منا الكلام في يونس وقصته وقيل انما نقم الله عليه اى عاب فعله ولامه عليه وكرهه ونقم
بكسر القاف وقد تفتح خروجه عن قومه فارا من نزول العذاب بهم وهو بين
اظهرهم فكان ينبغي له الثبات اعتمادا على ان الله ينجيه كما نجى نوحا وغيره من انبيائه
حتى يوحي اليه ما يريد وقيل بل لما وعدهم اى قوم يونس العذاب استعمل الوعد
مع العذاب مع انه يختص بالخير تهكما كقوله فبشرهم بعذاب اليم فلا وجه لما قيل انه
عام بحسب الوضع الاصلي ثم عفى الله عنهم لانه لما وعدهم العذاب لثلاث ورأوا مقدماته
ضجوا الى الله تعالى ولبسوا المسوح وفرقوا بين الامهات والاولاد وتابوا فقالوا المنا يونس
نفى الله عنهم وهو صلى الله عليه وسلم لا يعلم بذلك قال والله لا القاهم بوجه كذاب
ابدا لعدم علمه بما عاينوه وخصهم الله تعالى بقبول توبة الياس كما قال تعالى الا قوم
يونس الاية وقيل بل كانوا اى كان من عادتهم انهم يقتلون من كذب فخاف

ابن افيرس

ابن افيرس

عرضی

ذلك

ذلك اى القتل لتخلف ما وعدهم به وقيل قابله وهب ضعف عن حمل اعبا الرسالة
اعبا ما لمزجع عب تحمل وهو الحمل الثقيل كما تقدم وكان كما قال وهب في خلقه ضيق ولذا
اخرجه الله عن اولي العزم بقوله فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل ولا تكن
كصاحب الحوت وقد تقدم الكلام انه لم يكذبهم فان ما وعدهم به من العذاب نزل بهم
حتى راوا علامته فيها دخان اظلتهم لكنهم لما تضرعوا الى الله كشفه عنهم وهذا المذكور في
قصته كله ليس فيه نص على معصية صدرت منه حتى يستدل به على ما ادعوه كما
تقدم الا على قول مرغوب عنه اى متروك لضعفه وهو انه خرج من غير اذن من الله
في الخروج وترك المقام حتى يأذن الله وقوله تعالى اذ ابق الى الفلك المشحون قال
المفسرون اى تباعد والفلك يكون مفردا وجمعا ومعناه السفينة والمشحون بمعنى
المملو وتفسير ابق بتباعد مذهب المبرد فاشارته الى ان تفسيره بهذا يقتضي انه لم يعص
الله ولم يخرج بغير اذنه كالعبد الابق من سيده ولذا ذكره المص رحمه الله تعالى بعيد ما
قبله ومن لم يقف على مراده قال ليس في ذكره هنا كبير فائدة فان كل ابق متباعد عن سيده
وانما محل الاستدلال قوله فظن ان لن نقدر عليه وقد تقدم الكلام عليه واما قوله
عز وجل اني كنت من الظالمين فانه يقتضي انه صدر منه ذنب كما اشار اليه بقوله
فالظلم حقيقته معناه وضع الشي في غير موضعه مطلقا فيشمل الذنب وغيره ومنه ظلم
السقا اذا اشربه قبل ان يروبه فهذا اى جعله من الظالمين اعتراف منه عند بعضهم
بذنبه لنبا دره من الظلم عرفا وشرعا لا لغة كما تقدم فاما ان يكون ذنبه لخروجه عن
قومه بغير اذن ربه في الخروج له من بينهم على عادة الانبيا اذا ارادوا الهجرة كما وقع
لنبينا صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة وهو مفصل في الصحيحين او ذنبه ضعفه
عما حمله من اعبا الرسالة لضيق صدره كما تقدم او دعاؤه بالعذاب على قومه
وهذا التوجيه ضعيف لان الدعا على الغير اذا راى منه ما يوجه لا يعد ذنبا والى هذا اشار
بقوله وقد دعا نوح على قومه بالهلاك فلم يؤاخذ اى لم يعاقبه الله ولم يعاتبه عليه
وذلك قوله لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فدل هذا على ان عده ذنبا لا يتجه
وقال الواسطي رحمه الله تقدمت ترجمته في معناه نزه ربه تعالى عن الظلم
بقوله سبحانك اني كنت من الظالمين ولم يقل سبحانك لعلي شانك عن صدور ظلم منك واضاف
اى نسب الظلم الى نفسه اعترافا ببراءة الله من مثله او لقصور البشرية حتى يجوز ذلك
عليه ولا يبرئ نفسه واستحقاقا لذلك وان لم يتحقق الفعل فكانه قال انه ذكره هضما
لنفسه وبيانا لاستعداد البشر لمثله وانما يحفظهم الله بلطفه ومثل هذا في تنزيه الله
وبيان تقصير نفسه قول ادم وحوا ربنا ظلمنا انفسنا مع ما تقدم من بيان العذر
فيما صدر منهما وانما اضافا الظلم اليهما اذ كانا اى ادم وحوا السبب في وضعهما غير
الموضع الذي انزلا فيه اى انزلهما الله فيه قبل الاكل من الشجرة في الجنة واخراجهما
من الجنة اى جنة الخلد التي وعدها المؤمنون وقيل انها جنة وبستان اخر في الدنيا
على خلاف مشهور فيه للمفسرين وانزالهما من الجنة التي هي فوق السما الى الارض

ابن افيرس

الدنيا وقوله وضعها الخ اشارة الى ان الظلم فيه بمعناه اللغوي وهو وضع الشيء في
غير موضعه مطلقا كما تقدم آنفا فان قلت اذا كان دعا نوح ليس بذنب فلم قال
اذ طلب اهل المحشر منه الشفاعة اني دعوت على قومي فخشيت ان لا تقبل شفاعتي قلت
قد اجابوا عنه بانه ليس لانه ذنب بل لان لكل نبي دعوة عظيمة مستجابة فهو قدمها في الدنيا
لما دعا عليهم لا لانه ذنب وقيل غير ذلك وعاتب الله يونس دون نوح عليهما الصلاة والسلام
لان يونس لم يصبر وعجل الدعا ونوح دعاهم الف سنة حتى مل دعوتهم ويئس منهم واما
قصة داود صلى الله عليه وسلم فلا يجب كان الظاهر ان يقول لا يجوز او لا ينبغي ان
تلتفت الى ما سطره فيها اي كتبه في كتبهم الاخباريون اي اصحاب القصص ونسب
الى الجمع على خلاف القياس لانه اراد به قوما معينين كالنصارى فاشبه العلم كالانصاري
وعدم الالتفات كناية عن عدم الاعتبار بذكر ذلك واعتقاده فانه لا يليق ببعض الصالحين
فضلا عن الانبيا لكنه اراد بعدم الوجوب الامتناع وعدل عن الظاهر لنكتة وقوله
عن اخبار اهل الكتاب متعلق بسطر لتضمنه معنى نقل الذين بدلوا اي حرفوا
كتبهم وغيروا ما فيها بما لهم ما لا اصل له وهو علة لعدم جواز النقل لما رووه ونقله
بعض المفسرين في تفاسيرهم وكان ينبغي لهم ان لا ينقلوه وذلك قولهم ان داود
صلى الله عليه وسلم كتب الى ايوب قائد جيشه اذ ابعث اوريا اي زوج المراة الحسنا التي
راها داود وهو يصلي في محرابه فتعلق قلبه بها كامرا الى وجه العدو قبل التابوت
وكان من يتقدم مع التابوت لا يجوز له ان يرجع حتى يفتح على يديه او يستشهد فقدمه
ففتح على يديه فكتب له ثانيا ابعثه لموضع كذا مرة بعد مرة حتى قتل فتزوج امراته ولم
ينص الله تعالى في قصته في القران على شيء من ذلك الذي ذكروه في قصصهم
ولا ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح يعتمد عليه وانه والمراد بالصحيح
هنا ما يشمل الحسن فانه كثيرا ما يستعمل الصحيح بهذا المعنى والذي نص الله عليه في القران
قوله وظن داود انما فتناه الى قوله وحسن مآب فهذا هو الصحيح نصا ثم انه
لما ورد عليه ان في هذا النص ما يقتضي انه صدر ذنب وفتنة تاب منها فما المراد بها
وما الجواب عنها قال وقوله فيه اي في هذا النص اواب اي كثير الرجوع عما صدر منه
الى الله بالتوبة فهو مثل تواب في ايهام صدور ذنب منه معنى فتناه في هذه الاية
اختبرناه اي جربناه وامتحناه والمراد فعلنا به فعل الممتحن ليظهر حاله للناس من
فتنت الذهب اذا صفيته من غشه وهذا حقيقة فليست الفتنة هنا بمعناها فيما يجري
من الاثام كما هو المعنى المتداول في عرف العامة ومعنى اواب هنا كما قال قتادة
في تفسيره مطيع لكثرة رجوعه لامره وهذا التفسير اولى من تفسيره بتواب
من الذنوب وهذا التفسير نقله البغوي عن ابن عباس ايضا وقال ابن عباس وابن
مسعود في تفسيره لقصته ما زاد داود على ان قال للرجل يعني زوج
المراة الحسنا التي راها انزل لي عن امراتك اي افرغ عنها وطلقها لاتزوجها لا انه
ارسله لما يعتبره حتى قتل واكفلنيها اي ضمها الي ادخلها تحت نكاحي ومنه الكفالة

لانها

لانها ضم ذمة الى ذمة كما فصله الله في سورة ص المتكلمين له وقوله ان هذا اخي الى قوله
اكفلنيها وعزني في الخطاب مما ضربه الله مثلا لما صدر منه فعاتبه الله على ذلك
الفعل الذي صدر منه ونبهه عليه على ما فيه من خلاف الاولى اللائق بمقامه عنده
وانكر عليه شغله بالدنيا وما فيها من النكاح وكثرته وهذا الذي قاله ابن عباس
وابن مسعود هو الذي ينبغي ان يعول عليه اي يعتمد عليه فيروى ويعتقد
من امره وامثاله من رسل الله عليهم الصلاة والسلام لا ما نقل عن اهل الكتاب
وقد قيل انه انما خطبها اي طلب تزوجها على خطبته بكسر الخا وهي طلب الزوجة
وهو من الخطابة بالضم وكان داود صلى الله عليه وسلم لم يعلم بخطبته فلا ذنب اصلا وقيل
بل الذي عتب الله عليه انه احب بقلبه ان يستشهد ليتزوج بامراته لا انه صرح به
وباشر اسبابه كما مر وهو ميل قلبي لا يواخذ به لانه خطر بقلبه انه لو استشهد تزوجها
لانها اعجبته وعلى هذه الوجوه لا معصية فيه اما طلب النزول عن زوجته فكان جائزا
عندهم كما كان في اول الهجرة بين الانصار والمهاجرين واما الخطبة على الخطبة فانها وان
كانت حراما عندنا بغير رضى وفراغ فلعله جائز عندهم او لم يعلم بها اعلمه الله به فلا حرج
عليه واما خطرات القلوب فلا يواخذ بها وما عداه لا يجوز نسبته لهم ولا التحدث به
ولذا قال علي رضي الله عنه من حدث بقصة داود عليه الصلاة والسلام جلدته مائة
وستين وهو حد الفرية على الانبيا عليهم الصلاة والسلام وهذه القصة نظير قصة
نبينا صلى الله عليه وسلم مع زيد رضي الله عنه في زوجته ام المومنين زينب بنت جحش كما
يأتي ذكره لما راها الا انه صلى الله عليه وسلم لم يطلب من زوجها فراقها بل قال له امسك
عليك زوجك حتى زوجها الله له وفيه منقبة عظيمة له وقد ابتلى الله بالنسا ثلاثة من
الانبيا داود ويوسف عليهم الصلاة والسلام ابتلاهم حكمة منه وبقية الكلام على
هذه القصص مفصل في التفاسير وكتب الحديث فلا حاجة للتطويل بها هنا وكثرة
القيل والقال كما فصل في الشرح الجديد وحكى السمرقندي في تفسيره وقد تقدم ما عرضي
ترجمته وانه ابو الليث الامام المشهور ان ذنبه الذي استغفر منه اي طلب من الله
مغفرته والعفو عنه لم يكن ذنبا كما توهموه وانما هو قوله لاحد الخصمين اي الملكين
الذين اتياه في صورة رجلين متخاصمين له لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه
وظلمه بتشديد اللام اي نسبه للظلم بقول خصمه اي بمجرد قوله من غير كشف كان
خصمه ذا بينة في امره وهو خلاف الاولى وقد قال ابن العربي انه لا يجوز في ملة من
الملل ما قاله السمرقندي لا يجري هنا واجيب عنه بانه انما قال له لانه راى خصمه
سلم له مقالته ولم ينكر عليه فظنه رضي بما قاله وكلام الله مبني على غاية الايجاز فكانه
قال تمهل وعلم بسكوته رضاه او هو مشروط بان كان كما تقول لقد ظلمك وقال الحلبي
انه سمع قول المتظلم فاستعجل ولم يسأل عن ظلمه ولذا عاتبه ولم يرض فعله والاحسن
ما قدمناه والى نفي ما اضيف في الاخبار اي ما نسب في الاخبار السابقة الى

داود ومن ذلك الذى رووه ذهب احمد بن نصر وقد تقدمت ترجمته وابو
تمام قال البرهان هو حبيب بن اوس الطائى ونسبه معروف وانه هو الشاعر
المشهور صاحب الديوان وترجمته معروفة وبلاغته وترتيبه معروفة فى معرفته باللغة
والعربية وهو فى الطبقة العليا من المولدين متقدم العصر والرتبة على المتنبى لكن لم
نر من عده من علما الحديث والتفسير فهو غلط من اشتراك الاسم وقد نقل المصنف من هذا
الكتاب كثيرا عن محمد الابهرى من علما المالكية من اهل طليطلة وهو يلقب بابى تمام
وهو المراد هنا وما قاله الشراح هنا واصحاب الحواشى من انه ابو تمام الشاعر المشهور
خطا فانا لم نسمع من نقل عن الشاعر شيا مما يتعلق بالامور الشرعية وانما غرهم بالاشتراك
اللفظى وهذا امما لا شبهة فيه ونبه عليه قوله وغيرهم من المحققين فان عد ابى تمام
الشاعر محققا مما لا يعرف فهو مرشد للوهم فيه وقال الداودى تقدم الكلام عليه
وترجمته ليس فى قصة داود صلى الله عليه وسلم واوريا خبر رواه المحدثون فى كتبهم
المعتمدة ثبت بفتح المثلثة وسكون الموحدة وتا مثناة فوقية اى ملتمسا بثبوت النقل
فيه واوريا هو ابن حنان زوج المراة التى تزوجها داود بعده كما تقدم وهى ام سليمان
نبى الله عليه الصلاة والسلام واوريا قال الدلجى فى حواشيه انه بضم الهمزة وسكون
الواو وكسر الرا المهملة ومثناة تحتية ومدة تليها همزة وضبطه غيره بفتح الهمزة الاولى
وقال البرهان لا اعلم فيه نقلا فلا تظن بنبى معصية فيه وسلم كان اتوه ولا شيا فيه مما قدمه
من قوله انه صلى الله عليه وسلم احب ان تقتله ان يستشهد كما قيل فان المصنف لم يرتضه بل
مرضه بقوله وقيل الخ ما مر وما قيل من ان كلام الداودى طعن فى الروايات من غير دليل
ليس بشى فان ما رووه فيه ما لا يليق بمقام الانبيا والاقدام عليه من غير رواية صحيحة
لا تليق والنافى لا يطلب منه دليل وقيل ان احد الخصمين الذين اختصما اليه
بان ادعى احدهما على الاخر رجلان حقيقة لا ملكان فى صورة رجلين وهما جبرايل
وميكايل فى نعاج جمع نعجة وفى نسخة نتاج غنم على ظاهر الاية من غيرنا ويل انهما
ملكان اتياه فى صورة رجلين ينبهاه على ما صدر منه من خلاف الاولى لا كما قاله اصحاب
القصص وهذا وقع فى بعض النسخ وليس فى الام والحاصل ان ما اشتهر بين القصاص
واهل الكتاب واعتز به الحشوية لم يثبت والذى قصه الله عنه ليس فيه ما يخل بمقام
النبوة واما قصة يوسف عليه الصلاة والسلام وما نقله اهل القصص فيها مما
يقتضى صدور ذنب منه مما تمسك به من جوز مثله على انبيا الله مما لا اصل له فى نص
من القران ولا من الاحاديث الصحيحة واخوته ابنا يعقوب اثنا عشر من زوجتين
له راحيل ام يوسف عليه الصلاة والسلام وبنيامين تزوجها بعد اختها ليا واسما اخوته
مذكورة فى التفاسير والتواريخ مع اختلاف فى ضبط اسمايهم واكبرهم اسمه روبيل فليس
على يوسف فيها اى فى تلك القصة تعقب اى اعتراض مما يدل على طعن فيه او نقص
ينسب اليه مما لا يناسب مقامه عليه الصلاة والسلام وهو الكريم بن الكريم بن الكريم

ابنا فتيرس

ابنا فريس

واصل

الثلاثون الثانى

واصل العقب ان يمشى على اثر كانه يطو عقبه ثم استعمله المصنفون بمعنى الاعتراض فيقال
تعقب كلامه اذا اورد عليه ايرادا اما اى فلا اعتراض على يوسف نفسه فيما حكاه عنه كما
بينه المفسرون واما اخوته والاعتراض على ما صدر منهم من القا يوسف فى
الجب وكذبهم على ابيهم عليه الصلاة والسلام وعقوقهم له فلم تثبت نبوتهم حتى ينافى ما
فعلوه لانهم غير معصومين وقال البرديجى فى رسالته سماها دفع التعسف عن
اخوة يوسف لم ينقل عن احد من الصحابة والتابعين نبوتهم ونقل عن ابن زيد
انه قال بنبوتهم وانكره اخرون والمفسرون منهم من قال انهم انبيا ومنهم من رده
كالقرطبى والرازى وابن كثير ومنهم من حكى القولين بلا ترجيح كابن الجوزى ومنهم من
لم يتعرض له وفسر الاسباط باولاد يعقوب فجوزه قال بنبوتهم وسيانى بيانه
فيلزم بالنصب فى جواب النفى الكلام فى عله على افعالهم وتوجيهها وقوله ذكر
الاسباط وعدهم فى القران عند ذكر الانبيا يوهم انهم انبيا وانما اراد ذرية
يعقوب لا اولاد صلبه وهم من ولدهم بغير واسطة لحصوله من ما يخرج من صلب
ظهره كما اشار اليه المصنف قال المفسرون يريد من نبى بنيا المجهول اى صار
نبيا من ابنا الاسباط لا اولاده لصلبه كما تقدم وقال ابن كثير ايمة دليل على نبوتهم
وظاهر القران خلافه ومنهم من زعم انهم اوحى اليهم بعد ذلك لقوله تعالى والاسباط
ولا دليل فيه لان بطون بنى اسرايل يقال لهم اسباط كما يقال فى العرب والشعوب
فى العجم فلا يدل على انه اوحى اليهم باعيانهم على ان وصيه يعقوب انبيا ولا وجه لتفسير
الاسباط باولاد يعقوب لصلبه كما قاله ابن تيمية واصل السبط الشجرة الملتفة
الاغصان ثم اطلق على اولاد يعقوب لكثرتهم والسبط الحافد ايضا كما قيل للحسن والحسين
سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله اثنتى عشرة اسباطا انما صرح فى ان
الاسباط الجماعات الكثيرة مطلقا فتخصيصه باولاد الصلب خطا ولم يكن فيهم نبى قبل
موسى غير يوسف وفى الحديث اكرم الناس يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم نبى بن
نبى بن نبى فلو كان اخوته انبيا شاركوه فى ذلك وما فى قصتهم فى العقوق والكذب صريح
فى عدم نبوتهم وان ادخلت الغلط من لفظ الاسباط كما قال ابن تيمية فى رسالة له فى ذلك
وقيل وهو احد الاقوال الثلاثة كما فصلناه انهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما حكاه
الله عنهم فى سورة يوسف صغار الاسنان جمع سن وهو زمان العمر اى اطفالا غير
مكلفين ولهذا لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا به بمصر بعد بعد العهد به
اى لم يعرفوه لانهم فارقوه وهم غير مميزين وفى عبارته لطيفة هنا ولهذا اى لكونهم
حين صدر عنهم ما صدر قالوا لابيهم ارسله معنا غدا يرتع اى نتجارى ونتسابق
ونلعب واللعب لا يليق بالرجال وان ثبتت لهم نبوة فبعد هذا الفعل على
احد الاقوال المتقدمة والله اعلم بحقيقة حالهم وهذه الدلالة بحسب الظاهر
المتبادر فان الكبار قد يلعبون ويتسابقون وهو على قراءة نرتع ونلعب بالنون
وعلى القراءة الاخرى يرتع ويلعب بالياء المثناة التحتية هو يصير الغيبة ليوسف

مطلب فى نبوة اخوة يوسف عليه الصلاة والسلام

ودونهم فلا دليل فيه وكذا عدم معرفتهم له انما يدل على صغرهم وبعد عهدهم به لان
مدة مفارقتهم اربعون سنة اوثمانون سنة بحسب الظاهر اذ يجوز ان لا يعرفوه لتغير
زيه وكونه بهيئة الملوك ذوي الهيبة ولعدم قربهم من مجلسه ومثله من الامارات
الظنية يكتفى فيه بهذا القدر واما ما استدلوا به على وقوع الذنب والمعصية منهم
وهو قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه ضمير همت
لامراة العزيز وضمير هم ليوسف عليه الصلاة والسلام والهم يكون بمعنى العزم المصمم
على امر وبمعنى ميل طبيعي غير اختياري وهمها بالمعنى الاول وهو ارادتها الفاحشة
وهمه بالمعنى الثاني وهو غير مذموم اذ الكف عنه بل ممدوح يوجر عليه لو سلم فاذا قلنا
بعدم وقوعه لانه في المعنى جواب لولا اذ يجوز تقديمه عليها على ما بان في اوانه مقاصد
اي لولا رؤيته البرهان هم فيه لحبيبه على انه لم يهم لها وما وقع في القصص
من حل السراويل وما بعده كذب لا اصل له وبرهان ربه قيل انه راى يعقوب
عليه الصلاة والسلام عاضا على اصبعيه وهو يقول اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب من
الانبياء بان تصورت له صورته او راه حقيقة وفرج له السقف وقيل ضرب صدره بيده
فنزعت منه شهوته وقيل نودي بصوت من وراء الحجاب فقام هاربا ومضى خلفه
وقيل انما تمثل له جبريل فصده فعلى طريق جماعة من الفقهاء والمحققين ان هم
النفس لا يواخذ به مطلقا لانه امر اضطراري وقيده بقوله وليس سيئة اي خطيئة ومعصية
لقوله صلى الله عليه وسلم نقلا عن ربه يعني في الحديث القدسي الذي رواه مسلم في صحيحه وهو
حديث طويل اذا هم عبدي بسيئة اي عزم عليها وقصدها فلم يعملها بان تركها خوفا من
ربه كتبت له حسنة لمجاهدته نفسه بصرفها عما تريده فلا معصية في هذا اي في
هم يوسف اذن اي على هذا القول والتقدير واما على مذهب المحققين من الفقهاء
والمتكلمين كابي بكر الباقلاني في الذين راوا تعارض النصوص فقد تعقبوا النظر في التوفيق
بينها فانهم فصلوا في ذلك تفصيلا فان الهم الذي يخطر بالبال اذا وطنت عليه
النفس بان ثبتت على الفعل اي صممت وجزمت عليه واصل معناه اتخذوه وطنا
ثم نقل لما ذكر بعدما كان مجازا لعلاقة ظاهرة يقال وطنت نفسي او وطنتها اذا حملتها
على امر فانها تسمى سيئة تكتب عليه فهو من نوع حذف ان ونصبه خبر كان مقدرة بعيد
واما ما لم توطن بالبناء للمفعول عليه النفس من همومها جمع هم بمعنى نية وعزم
وخواطرها عطف تفسير فهو المعفو عنه لما قبله وهذا هو الحق فيكون ان
شاء الله هم يوسف من هذا القبيل المعفو عنه فلا يتم الاستدلال بهذه القصة
على تجويز الصغائر والحاصل انه ذهب كثير من العلماء الى ان هم المرء وخاطر نفسه
لا يواخذ به فلا معصية في ذلك على هذا وذهب بعض الفقهاء والمحدثين على ان الهم
اذا لم توطن عليه النفس معفو عنه واذا وطنت عليه وصممت كتب سيئة والنصوص فيه
مثل ما تقدم في حديث مسلم واحاديث اخر في معناه يدل على انه لا يواخذ به
وقوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وقوله يواخذكم

بما

بما كسبت قلوبكم ونحوه يدل على خلافه والتوفيق بينهما ما قاله الغزالي من ان اول
ما يرد على القلب كرؤية امراة على الطريق مثلا ويسمى حديث النفس وخاطرا والثاني
ما يتولد منه من الرغبة واعادة النظر وهو الميل الطبيعي والثالث حكم القلب بانه ينبغي
ان يفعل وينبغي اعادة النظر والرابع التصميم على ذلك وترك الصوارف عنه كالحيا
والاول لا يواخذ به لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذا هيجان النفس والميل والشهوة
لانها ليست اختيارية وهي المراد بقوله صلى الله عليه وسلم عفي عن امتي ما حدثت به
نفوسها وهي الخواطر التي لا يثبتها هم وعزم واما الاعتقاد وحكم النفس بانه ينبغي ان
يفعل فيكون اضطراريا ولا يواخذ به واختياريا فيواخذ به والرابع يواخذ به
ان لم يفعل نظيره فان تركه خوفا من الله وندما على همه كتب له حسنة لمجاهدته
نفسه وان تركه لعائق وعذر غير خوف الله كتب عليه وفي الحديث ما يدل على هذا
التفصيل وهو كلام حسن وهم يوسف عليه الصلاة والسلام كان عزما وتصميما منعه منه
خوف ربه فهو حسنة لا معصية ثم اشار الى الجواب عن سؤال مقدر بقوله ويكون على
تقدير انه معفو عنه قوله وما ابرئ نفسي الاية معناه وتفسيره الذي بينه بقوله
اي ما ابريها من هذا الهم يعني ما انزهها عنه لانه امر جبلي لا يعجز وربه او يكون
ذلك اي قوله وما ابرئ نفسي صدر منه على طريق التواضع باظهار انه غير منزه عما
يشين لان الكمال لله لا لانه صدر منه مثله حتى يتمسك به والاعتراف بمخالفة
النفس اي ما ابريها من الهم بالمعاصي وقد فعلت ولكني خالفتها وصرفتها عن همها وهو امر
حسن منه لما بكسر اللام وتخفيف الميم زكي قبل وبرئ منه في الايات السابقة وهذا
بنا على ان قوله وما ابرئ نفسي من كلام يوسف عليه الصلاة والسلام وقد قيل انه
من كلام امراة العزيز متصل بقولها ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب والوجه تقدمه لكونه
في التناسب وعلى هذا الاخير لا اصل له فكيف تايد لما هو بصدده من انه
لا اعتراف يقصد ويرد به منه في كلامه وقد حكى ابو حاتم قيل ولعله ابن ابي حاتم
في تفسيره عن ابي عبيدة معمر بن المثنى وقد تقدمت ترجمته وابو حاتم الرازي وهو
الامام الحافظ الجليل محمد بن ادريس بن المنذر الحنظلي احد الاعلام في التفسير والحديث
ولد سنة خمس وتسعين ومائة وتوفي في شعبان سنة سبع وسبعين ومائتين ان
يوسف عليه الصلاة والسلام لم يهم اي لم يقع منه هم بعد معصية وان الكلام اي النظم
القرآني الذي نحن فيه فيه تقديم وتاخير اي وبيانه لقد همت امراة العزيز به
اي بيوسف وتكليفه بارادته ولولا ان راى برهان ربه لهم بها قال الشريف
المرتضى في كتابه الدرر والغرر انه على هذا يجري مجرى قولهم قد كنت هلكت
لولا اني تداركتك اي لولا تداركي هلكت وانه لم يقع هلاك واستشهد له بقوله
تعالى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك والهم لم يقع واستبعد
قوم تقديم جواب لولا عليها وقالوا ولي من حذفه وذكر شواهد استشهد بها على جواز
تقديمه ردا لها على من قال انه لا يجوز انتهى وقيل ان جواب لولا محذوف لعدم

عرضي وان انبرس

جواز تقدمه عليه وهذا مذهب الزمخشري والزجاج لكن المرتضى علم من الايمة
في العربية وغيرها قال ان الاخير قوله وبعد ربما غلط ما قبله او لوانع المعصية وامراة
العزيز اسمها راعيل وقيل زليخا كما ربجه بفتح اوله وضمه خطا وقد قال تعالى حكاية
عن المراة المذكورة انها ولقد راودته عن نفسه فاستعصم واسم زوجها العزيز
قطفير والمراودة الطلب من راد يرود اذا جا وذهب اي طلبت منه ان يضاجعها
ومعنى استعصم امتنع لعصمة الله وفيه دليل على انه لم يقع منه هم بالمعنى الذي قالوه
ومما يؤيده انه قد قال تعالى في حقه كذلك اي عصمناه لنصرف عنه السوء والفحشا
اي لئلا يميل نفسه لما اريد منه من معصية الله والجار والمجرور في محل نصب او رفع
اي شاناه سبا لذلك او امره كذلك والسو الزنا او الذكر القبيح او عقوبة الملك
والفحشا موافقة المراة ونحوهما مما يقبح وقال تعالى في هذه القصة وغلقت الابواب
معطوف على قوله راودته وغلق الابواب تغلقه والتفعيل للتكثير وفعلها للخلوة به لما
ارادته وقالت هيت لك هيت اسم فعل بمعنى اقبل والفتح واللام للتبيين كما في سقيا لك
وقال الراغب هيت قريب من هلم وقرئ هيت لك اي تهيات لك ويقال هيت به اذا قلت
له هيت لك انتهى قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي الاية اي قال حين راودته
معاذ الله اي اعوذ بالله منك ومما اردت التجا الى الله ودفع ما همت به وهو منصوب
على المصدرية والمثوى بمعنى المقام من ثوى بالمكان اذا اقام به وقيل في معنى ربي
هنا انه الله تعالى وقيل الملك بكسر اللام وهو زوج زليخا وضمير انه للشان
خبره ربي احسن مثواي فالرب يطلق على الله وعلى غيره ومعناه المالك والسيد
والمربي والمنعم وفي اطلاقه على غير الله تفصيل في الفقه شهير مشهور ونقوم مرارا
والنهي عن اطلاقه على الله تنزيهي ومعنى احسن مثواي انه احسن القيام بي وتعهدني
باكرامه لي داخله وقيل معنى همها انه هم يزجرها ليمنعها عن مراودته ووعظها
بتخويفها من الله وكون العذاب بها ونقل المفسرون كابن عطية انه وجه ضعيف مخالف
للظاهر وقيل معنى هم بها همها امتناعه عنها اي عن معاملتها بما ارادته فهو من
الهم بمعنى الغم والبا للتعدية بمعنى اهمها اذا اوقعها في هم وحزن وهو بعيد وان
كان فيه مشاكلة وتجنيس للتعبير المحكي فيه وقيل انه بعيد من اللغة لان هذا
المعنى متعد بنفسه يقال همه الامر اذا احزنه وقيل معنى هم بها نظر اليها وهو
في غاية البعد وقيل معناه هم بضربها ودفعها حين امسكته وهذا كله بتقدير
مضاف والحاصل بمعناه والحامل على هذه التاويلات صرفها لا يليق بمقام
النبوة وقيل هذا كله كان قبل نبوته بناء على عدم العصمة قبلها وقد تقدم
بيانه وقد ذكر بعضهم انه ما زال النسا يملن الى يوسف عليه الصلاة والسلام
ميل شهوة لما حبك عليه طباعهم حتى نباه الله تعالى اي جعله نبيا فالقى عليه
هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من يراه عن الاشتغال لنظر الحسنه وجماله
ومهابة الانبيا امر معلوم كما ثبت هذه في بعض العباد فضلا عن الانبيا عليهم

الصلاة

الصلاة والسلام واما خبر موسى صلى الله عليه وسلم الذي استدل به على جواز
صدور الذنب من الانبيا وما جرى له مع قتيله الذي وكزه وهو رجل كان طباخ
فرعون لعنه الله وكان يسخر الناس بحمل المطبخ الحطب لمطبخ فرعون فسخر رجلا من بني
اسرائيل فاستغاث منه بموسى عليه الصلاة والسلام وكان بنو اسرائيل صارت لهم
عزة ومنعة بموسى عليه الصلاة والسلام لما كبر وكان موسى قويا في جسمه فنهاه عن
تسخيره فلم ينته فضربه بيده ليدفع ظلمه فوكزه والوكز في اللغة بمعنى الدفع ومنهم من
فرق بينهما بان الاول في الصدر والثاني في الظهر وقيل باطراف الاصابع وقيل غير ذلك
وهو امر سهل فقد نص الله تعالى في القران على انه من عدوه اي كان كافرا من كفرة
القبط وموسى موحد قيل من بني اسرائيل اي من قوم بينهم وبين بني اسرائيل عداوة ومحاربة
فلا يمتنع عليه قتله لدفع ضرره مع انه لم يقصد بضربه قتله وانما قصد دفعه ودفع ظلمه
ومثله لا يحرم واشار الى ذلك بقوله قيل كان من القبط على دين فرعون اي كان كافرا
على ملة امر بها من عبادته وغير ذلك والقبط نبط مصر وقوم فرعون وهم جيل من
الناس معروفون ودليل التورية اي التورية تدل بمنطوقها في هذا كله اي فيما
قصه الله من هذه القصة انه قبل نبوة موسى فانه لما قتله فر هاربا فكان ما كان له
مع شعيب عليه الصلاة والسلام اي جرى له ما جرى كما تعلمه وتزوج ابنته ثم نباه بعد ذلك
بعده الله وقبل النبوة لم يكن معصوما من الخطا فيبعد عنه مثل هذا وانه لم يكن معصية
لانه لم يضربه بالة جارحة فهو خطا شبه عمد ولم يكن ثمة شرع ولهذا قال وقال قتادة
وكزه بالعصا وليست جارحة بل مثقل ولم يتعمد بضربه ولم يقصد قتله فعلى هذا
لا معصية في ذلك اي فيما فعله موسى في هذه القصة حتى يستدلوا بها على ما ادعوه
وقوله اي قول موسى المحكي عنه مما يقتضي انه ما صدر عنه معصية هذا من عمل
الشيطان اي هذا الذنب مما القاه الشيطان وقوله ظلمت نفسي يحتمل انه لو انه معصية
ولذا قال فاغفر لي ما صدر مني فلولا انه ذنب لم يطلب مغفرة الله قال ابن جريج
بصيغة المصغر وهو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ابو الوليد وابو خالد القرشي
مولاهم احد الاعلام الفقها قال موسى صلى الله عليه وسلم ذلك المذكور من نسبة عمله
للشيطان وطلب مغفرته من اجل انه لا ينبغي اي لا يصح ولا يليق لنبي ان يقتل احدا
حتى يؤمر الينا بالعقود اي يامره الله ومن له الامر ولذا كان صلى الله عليه وسلم في اول
امره لم يؤذن له في القتال ثم اذن له في ذلك بعدما هاجر المسلمون الى يثرب فموسى
صلى الله عليه وسلم اذا لم يؤذن له في ذلك فهو غير جائز وقال النقاش في تفسيره
لم يقتله موسى عن عمد حال كونه مريدا القتل والمقصود بالنفي الحال وانما وكزه
وكزة مقصود مطلق مؤكد يريد بها دفع ظلمه للناس وعدم تسخيرهم وقد قيل ان
هذا كان قبل النبوة اذ لم يكن مامورا بشرع وهو مقتضى التلاوة اي ما يدل على نص
القران المتلو وقوله تعالى في قصته اي قصة موسى التي قصها الله في القران وفتناك
فتونا قال الراغب اصل الفتن ادخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته ويستعمل في

ادخال الانسان النار قال تعالى ذوقوا فتنتكم اى عذابكم وتارة يستعمل فيما يحصل منه العذاب كقوله الا فى الفتنة سقطوا وتارة فى الاختبار نحو فتناك فتونا وجعلت الفتنة كالبلاء فى انهما يستعملان فيما يدفع اليه الانسان من شدة ورخاء وهو فى الشدة اظهر واكثر استعمالا انتهى واليه اشار بقوله اى ابتلاك ابتلاء بعد ابتلاء اشارة الى ان الفتنة هنا بمعنى الابتلاء اى الاختبار وانه يكون بالخير وبالشر والشدة وان الفتون جمع فتن او فتنة على تقدير عدم الاعتداد بها فيدل على التكرار فلذا قال ابتلاء بعد ابتلاء ويجوز ان يكون مصدرا كالقعود فالتكرار غير مراد او يوخذ ذلك من السياق قيل ذلك الابتلاء بتخليتنا اياك

فى هذه القصة يعنى قتله القبطى وما جرى اى وقع واتفق له اى لموسى مع فرعون وذلك ان فرعون راى رؤيا فقصها للمعبرين والكهان بمولود من بنى اسرائيل يكون على يديه زوال ملكه ودينه فامر القوابل بان كل ذكر ولد منهم يأتونه به ويذبحونه ففعلوا ذلك حتى وقع فى بنى اسرائيل موتان عظيم فقال له القبط يخشى فناء بنى اسرائيل فلا يبقى لنا خدم فنحتاج الى استخدامنا فامر ان يقتل الذكور منهم سنة ويتركون سنة فولد هارون فى سنة العفو وولد موسى فى سنة الذبح فخافت عليه امه فاوحى اليها وحى الهام وقيل وحيا جاءها به جبريل وان لم تكن نبية لان الملك كان يراه غير الانبياء كمريم ثم ارتفع ذلك بعد نبى النبى صلى الله عليه وسلم فالقته امه فى صندوق والقته فى النيل فدخل فوضعته

بيت فرعون واستوهبته امرأته آسية وكان له معه ما اشتهر من ذلك وهو المراد بالفتون اى ما وقع له فيه من الشدائد حتى نجاه الله واتخذه كليما وصفيا وسمته آسية حين اتخذته ولدا موسى ومعناه ماء وشجر بالقبطية لانه وجد فى صندوق فى الماء والشجر وقيل معنى الفتون على هذا القاه فى التابوت اى الصندوق الذى اتخذته له امه من خشب والذى اتخذه لها حزقيل وهو مؤمن من آل فرعون والقاه فى اليم وهو البحر والمراد به النيل وغير ذلك مما صنعه

جرى له معه كما تقدم وقيل معناه اى معنى الفتون فى هذه الآية اخلصناه اخلاصا اى ابتليناه بامور شاهد فيها قدرة الله ولطفه حتى صار صفوة له خالصا من كل امر لا يليق برسله عليهم الصلاة والسلام فقربه واصطفاه لان الفتنة اصل معناها ان يذاب الذهب حتى يصفا فتخرج به مما ذكرنا قال ابن جبير ومجاهد فى تفسير هذه الآية وعلى هذا فهو مستعار من قولهم فتنت الفضة فى النار اذا اذبتها وخلصتها من الغش من الفتنة فاستعير لخلاصه من الكدورات البشرية والاخلاق الردية حتى اجتباه واصل الفتنة اى حقيقتها التى وضعت لها الاختبار اى امتحان الاشياء وتجربتها بما يعلم به حالها واظهار ما بطن اى خفى عن العيان فى المحسوسات كالذهب والفضة الا انه استعمل فى عرف الشرع وهو ما عرف فى تخاطب اهله ومعاملتهم فى اختبار يؤدى اى يوصل ويفضى الى ما يكره المختبر بزنة المفعول وان كان عاما فى اصله خصص بما ذكر كما فصله الراغب وقد سمعته آنفا وعلم مما ذكره ان الفتنة هنا ليس فيها ما يقتضى ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يجوز عليهم المعاصى لما عرفته من التاويل المذكور وكذلك مثل ما ذكر فى تمسك بعضهم بما لا يتم تمسكهم به ما ورد فى الخبر الصحيح الذى رواه الشيخان

عن

عن ابى هريرة رضى الله عنه كما قاله السيوطى رحمه الله من ان ملك الموت الموكل بقبض الارواح واسمه عزرائيل كما ورد فى بعض الاحاديث جاء اى موسى عليه الصلاة والسلام كما يأتى غيره اذا امر به فلطم عينه اى ضرب وجهه بيده فوقعت ضربته على عينه ففقأها اى اخرج حدقته التى بها يبصر بلطمته وهو مهموز وقول العامة مفقوع بالعين خطأ فى العين الحديث بالنصب اى اقرأ الحديث الى آخره لانه اقتصر على محل الشاهد منه الدال على ان موسى لم يطع الملك الذى ارسله الله اليه ومثله يجب الظاهر معصية واجاب عنه المصنف بقوله ليس فيه اى فى الحديث المذكور كما توهم ما يحكم على موسى عليه الصلاة والسلام بالتعدى على الملك ومخالفته فيما امره الله به وفعل ما لا يجوز له بالرفع او الجر عطفا على ما او على التعدى وكان الظاهر ما لا يجوز له وعبر به لنكتة كما مر مثله ثم بين علة ما ذكره بقوله اذ هو ظاهر الامر اى لا خفاء فيه بين الوجه اى توجيهه واضح جائز الفعل اى فعله جائز من مثله لان موسى عليه الصلاة والسلام دافع اسم فاعل مرفوع او فعل ماض من المدافعة عن نفسه من اتاه لاتلافها فهو من قبيل دفع الصائل المتعدى عليه ومثله جائز شرعا وقد تصور الملك وظهر له فى صورة آدمى لان الملائكة اجسام لطيفة مجردة تتصور فى اى صورة ارادت لا تدار الله لها على ذلك كما قال تعالى فتمثل لها بشرا سويا وكما كان جبريل يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صورة دحية الكلبى رضى الله عنه وفى تطور الملائكة والجن فى صور مختلفة كلام لاهل الاصول والحكماء وتعرض له المحدثون فان صورتهم الاصلية عظيمة جدا فاذا تحيزوا بصورة اقل منها فهل صورهم تتداخل وتتضاغط كالقطن المنفوش اذا انضم وتضاغط من غير ذهاب شىء منه وهو الظاهر وللامام الشهرستانى فيه تحقيق فى بعض كتبه اذا اوقفت اليه التوبة اتيناك به مفصلا ولا يمكن انه اى موسى عليه الصلاة والسلام علم حينئذ اى فى وقت ضربه له انه ملك الموت لظنه انه آدمى تطول الظاهر حاله وعبر بعدم الامكان مبالغة فى نفى العلم بملكيته ومراده انه لم يعلم بذلك فلا يرد عليه ما قيل انه من ابن قتيبة ابن قتيبة عدم الامكان غايته انه ظاهر فيه مع احتمال غيره كما كان يتصور للانبياء عليهم الصلاة والسلام فدافعه عن نفسه مدافعة ادت الى ذهاب عين تلك الصورة التى تصورت له اى لموسى عليه الصلاة والسلام فيها الملك امتحانا من الله مفعول لاجله تعليل لتصوره بغير صورته اى اختبارا لموسى حتى يتعبد بعده ما يقتضى امورا فيها حكم خفية فلما جاءه بعد اى بعدما جاءه اولا ولطمه واعلمه الله اى اعلم الله موسى عليه الصلاة والسلام حين جاءه ثانيا انه اى ملك الموت رسوله اى رسول الله من ملائكته ارسله الله لامر لا مرد له به استسلم جواب لما اى انقاد له وسلم له فيما اراده بعد ما كان دفعه عنه اشد دفع وهو استفعال من السلم والانقياد ومنه قيل للاسلام كالاسلام قال تعالى يحكم بها النبيون الذين اسلموا اى انقادوا للحق وللمتقدمين والمتأخرين على هذا الحديث اجوبة هذا الجواب الذى قرره من انه عليه الصلاة والسلام لم يعلم انه ملك الموت امتحانا من الله اسدها عندى افعل تفضيل من

السداد وهو القوة فيما اريد به كما قال الشاعر

اعلمه الرماية كل يوم فلما استد ساعده رماني

على رواية استد بسين مهملة اي قوي وروايه اشتد بالمعجمة غير مقبولة عندهم كما بيناه
في شرح الدرة وهونا ويد شيخنا الامام ابي عبد الله المازري وهو الامام الرحلة
الفقيه المحدث البارع في سائر العلوم وهو مالكي المذهب واسمه ابو عبد الله محمد بن علي
ابن عمر التميمي شارح المحصول وله شرح مسلم الذي بنى عليه المصنف شرحه المسمى بالاكمال
وله تآليف كثيرة مفيدة جليلة وهو منسوب الى مازر بفتح الزاي المعجمة وكسرها وهي بلدة
بجزيرة صقلية توفي في ثامن ربيع الاول من سنة ست وثلاثين وخمسمائة وعمره ثلاث
وثمانون سنة رحمه الله وقد ناول اي حمله قديما اي قبل شيخه المذكور ابن عائشة
وغيره فهو مما ادعاه علماء السلف على صكه ولطمه المجمة وقوي عين محبه اصل الصك
واللطم الضرب والاخذ او بشيء عريض وجاء بمعنى مطلق الضرب لكنه كما قال النووي في
غاية البعد وان ساعده اللغة وابن عائشة هو عبيد الله محمد بن حفص بن عمر بن موسى بن
عبد الله بن معمر القرشي التيمي البصري المعروف بالعيشي نسبة لعيشة وهي لغة في عائشة
او من تغييرات النسب لانه من ولد عائشة بنت طلحة بن عبيد الله وهو احد العلماء الاشراف
المحدثين المحتشمين وهو ثقة روى عنه البغوي وخلق كثير توفي سنة مائتين وثمان وعشرين
فهو متقدم على المازري بزمان كثير فلذا قال المصنف قديما وهو كلام مستعمل في هذا
الباب المراد به الزام الحجة بعد ابطال حجة الخصم ومدارتضاه من الحج في اللغة
اي لغة العرب معروف في كلامهم مشهور يقولون لطمه وصكه اذا غلبه في المحاججة
وقطعه وعجزها اذا افضى بحجته والزمه الزاما لا يمكنه الجواب عنه بوجه من الوجوه
لكن صريح الحديث يأباه فان فيه ما يقتضي انه على ظاهره فان البخاري روى عن ابي هريرة
انه صلى الله عليه وسلم قال ارسل الله ملك الموت الى موسى عليه الصلاة والسلام فلما جاءه
صكه ففقأ عينه فرجع الى ربه وقال يا رب ارسلتني الى عبد لا يريد الموت فرد الله عليه عينه
وقال له ارجع وقل له يضع يده على متن ثور وله بكل ما غطت يده من الشعر بكل شعرة
سنة فقال له ذلك فقال موسى ثم ماذا قال الموت فقال الان وسال ربه ان يدنيه من
الارض المقدسة رمية بحجر فقال صلى الله عليه وسلم لو كنت ثم لاريتكم قبره الى جانب
الطور عند الكثيب الاحمر ونحوه في مسلم وهو ... في هذا التاويل وكون العين تخييلا لانها بها
ينبغي ان ما يراه الانبياء عليهم الصلاة والسلام من صور الملائكة لا حقيقة له وهو مذهب
السالمية كما قال القرطبي مع انه لا يعدي نفعا وارتضى القرطبي الجواب بان الله تعالى كان
اخبره بانه لا يموت حتى يخيره الله ويخيره بين الموت والحياة فلما اتاه الملك بغتة ودخل عليه
من غير استئذان شق عليه ذلك وكان صلى الله عليه وسلم سريع الغضب ولذا لما رجع اليه
وخيره بين الحياة والموت انقاد له واستسلم قال وهو اصح الوجوه واما قصة سليمان
عليه الصلاة والسلام وما حكي فيها اهل التفسير من ذنبه اي مما تمسك به
القائلون بتجويز صدور الذنوب من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقوله عز وجل

ولقد

ولقد فتنا سليمان فليس من الفتنة المنهي عنها انما هي بمعناها اللغوي كما تقدم ومعنا
ابتليناه اي عاملناه معاملة من يختبره حتى يظهر ما خفي امره على الناس والابتلاء
المراد منه ما حكي عن النبي يعني به سليمان صلى الله عليه وسلم انه اي سليمان قال
لاطوفن الليلة على مائة امراة او تسع وتسعين امراة كن في نكاحه وكان ذلك جائزا
في شريعته وقال العلماء في بعض طرقه اطوفن واطيفن ثلاثيا ورباعيا من الطواف حول
الشيء والمراد هو كناية عن مجامعتهن بدليل قوله كلهن ياتين اي تاتي كل واحدة منهن
بحمل تحمله ثم تضعه بفارس اي راكب فارس يجاهد في سبيل الله اي في طريقه التي
يحبها ليقاتل اعداء دينه وهو حديث صحيح روي في الصحيحين وغيرهما من كتب
الحديث وقوله الليلة منصوب على الظرفية ووقع اختلاف في عدة النساء في البخاري مثل
ما ذكره المصنف من انهن مائة او تسع وتسعون على الشك وفي رواية غيره سبعين بالموحدة
وفي رواية تسعين بتقديم المثناة الفوقية وفي رواية للبخاري ستون وفي رواية لوهب
ابن منبه كان لسليمان عليه الصلاة والسلام الف امراة ثلاثمائة مهورة وغيرهن سرارى
وجمع بين الروايات بانه عد في بعضها المهورات والتي السريات وفي بعضها عد الكل وعلى
القول بانه لا مفهوم للعدد لا سيما في الاقل الاكثر وان ضعف هذا القول فقال له
صاحبه اي ملك كان معه او قرينه او رجل كان يصحبه وقيل هو خاطره وهو بعيد
وقيل هو آصف بن برخيا بفتح الموحدة وسكون الراء المهملة وكسر الخاء المعجمة ومثناة تحتية
تليها الف قل ان شاء الله فلا تجزم بما قلته وفوضه الى مشيئة الله تبركا وتيمنا حتى يتم
فلم يقل ذلك لما وقع في رواية انه نسي اي لم يقله بلسانه اكتفاء بما في قلبه او جزم به
لانه من قوة رجائه به واعتماده على كرم ربه فنبه على انه ينبغي تفويض التمني كغيره الى الله
فليس في تركه المشيئة ذنب يعد عليه كما توهم لا سيما وهو نبي معصوم فلم تحمل منهن اي
ممن طاف بهن الا امراة واحدة دون باقيهن والتي حملت منهن جاءت بشق رجل
اي بولد غير كامل كما سيأتي والشق بمعنى النصف او البعض قال النبي صلى الله عليه
وسلم عند ما ذكر هذا والذي نفسي بيده اي روحي وحياتي بيده اي بقبضته قدرته وتصرفه
ان شاء احياها واوجدها وان شاء اماتها واحياها وهو قسم كان صلى الله عليه وسلم
كثيرا ما يقسم به لو قال سليمان عليه الصلاة والسلام ان شاء الله لجاءوا فرسانا
جاهدوا في سبيل الله كما طلب وفي رواية فرسانا اجمعون وقول ان شاء الله لا
يستلزم الوقوع فقد لا يقع ما قرن به كقول موسى للخضر عليهما الصلاة والسلام ستجدني
ان شاء الله صابرا وهو مستحب يتبرك به مع اليمين وفي الحديث ما يدل على قوة الانبياء
عليهم الصلاة والسلام وقدرتهم على الجماع لكمال بنيتهم ورجوليتهم كما كان لنبينا صلى الله
عليه وسلم فكان يطوف على جميع نسائه في الليلة الواحدة كما تقدم قال اصحاب
المعاني المراد بهم الذين يفسرون الاحاديث ويقفون على معانيها المرادة بها الشق هو
الجسد الذي القي على كرسيه الذي كان يجلس عليه لاجراء احكام الملك فيه حين عرض
عليه اي حين ادهم عرضته قابلته عليه ثم القته على كرسيه وهي اي هذه القصة

معلب
المراد باهل المعاني

المذكورة عقوبته ومحنته بنون بعد الحا المهملة المعبر عنها بالفتنة وقيل بل مات
ولده فالقي على كرسيه ميتا وهو الشق المذكور وقيل ولد له ولد فاجتمعت
الشياطين وقالوا ان عاش له ولد لم ننفك من البلا والسخرة فتعالوا نقتل ولده
او نخبله فعلم بذلك سليمان فامر الريح ان تحمله على السحاب خوفا من الشياطين فما فجئه
الا بان القاه على كرسيه ميتا تحذيرا من غير الله وهو معنى قوله تعالى والقينا على كرسيه
جسدا وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه اى على ان يرزقه الله مائة ولد يجاهدون
في سبيل الله وليس مثله ذنبا حقيقيا كما لا يخفى وقيل عدم تنبه ذنبا لانه لم يستثن
اى لم يقل ان شا الله في كلامه ومثله يسمى استثنا في اللغة لا في حقيقته كما قال الراغب
اراد لفظ يقتضي رفع ما يوجبه عموم لفظ متقدم او رفع حكمه لانه من الثنيا وهو الرجوع
وعما يقتضي رفع ما يوجبه اللفظ فقولك لا تفعل كذا ان شا الله انتهى فليس هذا مجازا
ولا يختص بما في اصطلاح النحاة فانه اصطلاح حادث خلافا لما يوهمه كلام بعض شراح الكتاب
لما استغرقه من الحرص وهو استفعال من الغرق وهو الرسوب في الما وشاع في
الشمول وعموم الاوقات وغلب عليه من التمني للاولاد المجاهدين وهو اشارة الى
الاعتذار عن فعله وبيان لانه ليس ذنبا حقيقيا كما قيل وانما هو ترك للاولى وقيل
عقوبته ان سلب ملكه لانه صلى الله عليه وسلم غزا جزيرة واخذ بنتا لملكها كانت
في غاية الجمال فاحبها وراها حزينة فسالها عن سبب حزنها فاخبرته بانها لما فارقت ابيها
سالته ان يصوره لها الشياطين فصوروا لها صورته فالبستها لباسه وعممتها فكانت
تذهب له تعبده مع جواريها فاخبروا اصف بذلك فكسر صورته وندم على ما جوزه لها
تفرش رمادا يسجد عليه ويتضرع الى الله وكان له امراة من نسايه يضع خاتم ملكه
عندها اذا دخل الخلا او اراد الغسل من جنابة حتى يلبسه على طهارة كاملة وكان ملكه
في خاتمه فتمثل لها شيطان يسمى صخرا بصورته واخذ الخاتم منها وجلس لهيبته على الكرسي
اربعين يوما عدد ما عبد الصنم في بيته وتغير هيئته حتى انكره الناس ثم وقع الخاتم
في البحر فابتلعته سمكة فاصطادها سليمان عليه الصلاة والسلام فوجد الخاتم فيها
فتختم به وعاد له ملكه وحبس صخرا والقاه في البحر فهو محبوس فيه الى الان في صندوق
من حديد وذنبه انه احب ان يكون الحق لاختانه على خصيمهم جمع ختن بزنة
جبل وهو الصهر وكل من يكون من قبل المراة كالاب والاخ وذلك كما قيل انه كانت
لامراة يقال لها جرادة وكان معترما بحبها فقالت له ان فلانا من اهلي له حق عند اخر
وانا احب ان تحكم له اذا جاءك فاجابها صلى الله عليه وسلم لذلك لكنه لم يفعل فعاقبه
الله على مجرد الميل فكان منه كان من وضع خاتمه عندها واخذ الشيطان له كما سمعته
انفا وقيل اوخذ بذنب قارفه بعض نسايه وهو ما تقدم من تصوير ها صورة
ابيها واتخاذها له صنما تعبده في داره وهو صلى الله عليه وسلم لا يعلم حتى اخبره به اصف
كما تقدم فليس ذنبا له في الحقيقة وليس معنى الاخذ حوز الشي كما مر فتجوز به عن
المجازاة وهو المراد هنا في لغة ولو يواخذ الله الناس بظلمهم فيقال اخذه واخذه

وواخذه

وواخذه لغة غير فصيحة ولذا وجد في النسخ اخذ واوخذ ووخذ وفي رفعه بمعنى
اكتبه وبعله واصل العرف والاقتراف قشر اللحا عن الشجرة والجلدة عن الجرح
فاستعير لما ذكر ولا يصح بحسب الرواية ما نقله الاخباريون اى اصحاب
القصص والتواريخ وتقدم ان النسبة للجمع على خلاف القياس وهو كالانصارى
كما تقدم لاختصاصه ببعض انواعه من تشبه الشيطان به اى تمثله بصورته
حتى اخذ خاتم ملكه من امراته وجلس على كرسي ملكه يحكم وانكروا سليمان لتغير
هيئته كما مر وفي بعض النسخ من خرافاتهم على قوله من تشبه الخ وهو بضم الخا المعجمة
وفتح الرا المخففة وفي كشف الكشاف عن الزمخشري انه سمع فيه خرافات بالتشديد وجمع
على خراريف ولم يسمع من غيره فالعهدة عليه وتسلطه على ملكه وسلطنته بالتصرف
في امته بالجور في حكمه وظلمهم قال السيوطي ما قاله المصنف انه من خرافات الاخباريين
اخرجه ابن ابي حاتم بسند صحيح عن ابن عباس موقوفا لكنه ماخوذ من الاسرائيليات
كما بينته في التفسير انتهى وفيه نظر لان اول كلامه ينافي اخره وخرافات جمع خرافة
وهي الكذب كما في القاموس واصله اسم رجل من عذرة خطفته الجن فلما تخلص منهم كان
يحدث منهم بعجايب راها منهم ثم قيل لكل مستملح وامر عجيب خرافة وضرب به ابن الزبعرى
مثلا للبعث فقال

حياة ثم موت ثم نشر ... حديث خرافة يا ام عمرو

وقوله لان الشياطين لا يتسلطون على مثل هذا اى لا يقدرهم الله عليه لعصمته
تعالى لانبيايه منهم كما قال فقد عصم الانبيا صونا لهم عن مثله ولا يقيمنا فلا مر
الرسالة وان سيل اى سال احد من الناس لاستكماله عليه تعالى لم لم يقل سليمان
عليه الصلاة والسلام في القصة المذكورة حين تمنى الاولاد المجاهدين ان شا الله
فمنه للعلما اجوبة جمع جواب كغراب واغربة وفي المصباح يقال في جمع الجواب اجوبة
وجوابات الان ابن الجوزي نقل في غلط العوام عن العسكري ان العامة تقول في جمع
الجواب جوابات واجوبة وهو خطا مثل الذهاب مصدر وقال سيبويه قولهم جوابات
واجوبة مولد انتهى فيحرر فان صاحب المصباح ثقة فلعله سمع ما يرادم يقف عليه
سيبويه وفي نسخة جوابان احدها الخ وهو الصواب لانه لم يذكر غير جوابين كما
اشار لذلك بقوله اسدها اى ما روى في الحديث الصحيح انه نسي ان يقولها
وذلك لحكمة ارادها الله وانه نسي لينفذ امر الله تعالى وفي نسخة مراد الله
في ارادته لعدم وقوع ما تمناه امتحانا له لينبهه على الاولى به صلى الله عليه وسلم والجواب
الثاني انه لم يسمع صاحبه الذي قال له قل ان شا الله تعالى وشغل عنه بامر عرضي
شغله او لشده توجهه الى الله وقوة رجايه فيه الا انه قيل عليه ان ترك المشيئة ليست
معصية حتى يحتاج لمثل هذا فكان المص ذهب الى ان النهي في ولا تقولن لشي اني فاعل
ذلك غدا الا ان يشا الله نهي تحريم انتهى ولم نر من ذهب لهذا حتى يتبعه المص ولا حاجة
له فانه خلاف الظاهر لا سيما للانبيا الذين تقتضي مقاماتهم تفويض جميع امورهم لله تعالى

ولذا اتاخر الوحي عن النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم يقله وقوله اي سليمان عليه الصلاة
والسلام وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي قيل انه جواب سوال تقديره عرضي
انك قلت ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام معصومون من ساير الذنوب ومنهم
سليمان عليه الصلاة والسلام فكيف هذا مع ما سأله من الله انه يوتيه ملكا لا
يكون لغيره وهذا يقتضي حب الدنيا وتفرده بملك عظيم لا يتيسر لغيره وفيه حرص و
وحسد لا يليق بزهد الانبيا في الدنيا وعدم رغبتهم بها فاجاب عنها بانه لم يفعل سليمان
هذا اي طلبه لما ذكر غيرة بفتح الغين المعجمة وتكسر في لغية والغيرة محبة امر يا ب
ان لا يكون لغيره على الدنيا اي على امور الدنيا كالمال والملك ولا نفاسة بها اي
عدها نفيسة عظيمة يضن بها عن الغير هذا مراده وقال الراغب المنافسة مجاهدة
النفس للتشبيه بالافاضل واللحوق بهم من غير ادخال ضرر على غيره قال تعالى وفي
ذلك فليتنافس المتنافسون انتهى وهو هنا من نفس بكذا اذا رغب فيه وبخل به على
غيره لا ما ذكره الراغب ولكن مقصده في ذلك اي في سوال ما ذكر على ما ذكره
المفسرون في معنى هذه الاية ان لا يتسلط عليه بالبنا للمجهول وقوله احد
نايب الفاعل اي ان لا يسلطه الله عليه ولا يسلطه عليه بان يمكنه من غلبته عليه كما
سلط عليه الشيطان وهو صخر كما بيناه الذي سلبه اياه اي ملكه وعاد عليه
لتقدم ذكره مدة امتحانه اي في مدة ابتلا الله له بتسليط الشيطان لما اخذ
خاتمه عليه الصلاة والسلام من زوجته وظهر بصورته وتصرف في ملكه حتى انكر الناس
سليمان عليه الصلاة والسلام الى ان وجد خاتمه في بطن سمكة اصطادها كما مر الا ان
الله لم يسلطه على زوجاته صلى الله عليه وسلم كما حكوه تطهيرا لحرمه على قول من قال
ذلك من اهل القصص والسير وقد علمت انهم اخذوه من الاسرائيليات المنقولة عن
اهل الكتاب وفي صحتها كلام للمحدثين وقيل في توجيه ما طلبه سليمان بل اراد
بقوله هب لي ملكا الخ ان يكون له من الله فضيلة يتفضل بها اهل زمانه وخاصة
يختص بها من دون ساير رسل الله وانبيايه ويويده ما روي عن نبينا صلى الله عليه
وسلم من انه جاه شيطان وهو يصلي اراد ان يقطع صلاته فاراد صلى الله عليه وسلم ان
يمسكه ويربطه بسارية من سواري المسجد حتى يصبح ويراه الناس ثم تركه وقال
ذكرت قول اخي سليمان هب لي ملكا الخ فهذا يقتضي انه خاصة له خصه الله بها ولذا
قال بعض الشراح هنا لا ينبغي لاحد ان يرخص هذا ويحكيه بقيل كاختصاص غيره
من انبيا الله ورسله بخواص منه اي من الله خصه بها دون غيره وهذا لا ينافي
الافضلية لانه قد يكون في المفضول ما ليس في الفاضل وقيل انما طلب هذا ليكون
دليلا وحجة على نبوته لا رغبة في الدنيا ومنافسة فيها كالانة الحديد لابيه عليه
الصلاة والسلام اي جعله لينا كالعجين يصنع منه الزرد يستعين به على الجهاد واحيا
الموتى لعيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام واختصاص محمد صلى الله عليه وسلم
بالشفاعة يوم القيامة كما تقدم ونحو هذا من خصايص انبيا الله ورسله التي

الكرهم

الكرهم الله بها وجعلها معجزة دالة على نبوتهم وقد تقرر انه لم يكن لنبي من الانبيا معجزة
وخاصة الا ولنبينا صلى الله عليه وسلم مثلها واعظم منها كما فصل في الخصايص وتواترت
بالتدوين واجل ما الف فيها خصايص الامام الخيضري وفي شرح المواقف طلب سليمان
لملك لا ينبغي لغيره لم يكن حسدا منه ورغبة بالملك بل لان كل نبي كان له ما يتحدى به اهل
زمانه وكانوا جبابرة يفتخرون بالملك وكثرة الجند والمال وقوة الاعوان فاراد صلى
الله عليه وسلم ان يكون له من ذلك ما لا يقدر عليه غيره فملكه الله ملكا عظيما ولم يجعله
شاغلا له عن زهده وعبادته ليعلم الناس ان زخارف الدنيا لا تلهي خلص عباده عن
خدمته ولذا قدم الاستغفار على طلبه فقال رب اغفر لي وهب لي ملكا الخ وليكون
ادعى للاجابة واما قصة نوح عليه الصلاة والسلام وما فيها مما يقتضي انه شك
في وعد الله بقوله انا منجوك الخ كما ياتي ومثله يجب الظاهر معصية ولم يذكر
قصص الانبيا مرتبة بحسب زمان الوقوع لتدراعي فيها ما هو اظهر حجة لمن جوز على ابن اقرس
انبيا الله وقوع الذنوب منهم فلا يرد عليه ما قيل انه كان الاحسن ان يذكرها مرتبة
فيبدا بقصة ادم ثم نوح ثم ثم الى اخر القصص وظاهره اي ظاهر كلامه وما حكاه
الله عنه وذكر الضمير لتاويله بما ذكر العذر اي الاعتذار عن سوال ما ليس له به
علم لا الشك في وعد من لا يخلف الميعاد كما ياتي وانه اخذ اي تمسك فيها اي في
قصته بالتاويل اي تاويل ما وعده به بان يريد الله باهله ما يشمل ابنه وظاهر
اللفظ بالجر عطفا على التاويل اي اخذ بظاهر تلفظه بقوله انا منجوك واهلك
متعلق باللفظ الا انه قيل عليه انه سهو لان ما ذكر وقع في قصة لوط في سورة العنكبوت
والذي في قصة نوح قوله قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الاية ولكونه حكاية
بالمعنى بالاية ايضا يمتنك بلفظه وان ساواه في لفظ الاهل ولذا رايته ضرب عليه من
بعض النسخ فطلب مقتضى هذا اللفظ اي لفظ الاهل من غير نظر لعقبيته فقال ان ابني من
اهلي وان وعدك الحق واراد بطلبه ذلك علم ما طوي عنه اي اخفي عن علمه فهو استفادة
من الشي المطوي عليه لفائدة تخفيه قبل ان يظهر ما في داخلها من ذلك الامر اي ابن افنرس
امرانه ومخالفته في ركوب السفينة لا انه كما توهم لا انه اي نوح عليه الصلاة
والسلام شك في وعد الله له بنجاة اهله فبين الله تعالى عليه بين لا يتعدى
فكانه ضمنه معنى نبه او بين او هو تحريف من الناسخ انه ليس من اهله الذين
وعده الله بنجاتهم فيما تقدم فلذكره لكفره وعمله الذي هو غير صالح
فان مثله قاطع للقرابة القريبة ولذا امتنع الارث بالكفر واختلاف الملل وقيل
ان اهل البيت وقد اعلمه الله انه مغرق الذين ظلموا بقوله ولا تخاطبني
في الذين ظلموا انهم مغرقون والظلم اطلق على الكفر في القران كما قال تعالى ان
الشرك لظلم عظيم ونهاه عن مخاطبته فيهم اي شفاعته لهم وتكليمه في شانهم
بالاية المذكورة وهو اشارة الى ان الانبيا عليهم الصلاة والسلام لا يسالون من
الله شيا بغير اذن لهم في الكلام فاخذ وا بهذا التاويل اي بما تاهم الله واخذهم

فيتأولهم الأهل الموعود بنجاتهم كما قال تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم **وعُتب عليه** أي عاتبه الله على مخاطبته له بقوله تعالى إني أعظك أن تكون من الجاهلين فنسبه للجهل زجراً له وأدباً أن يخاطب خلص عباده بما أراد لأنه حين وعده بنجاة أهله استثنى من سبق عليه القول من الناجين لا سيما وابنه كان بمعزل منه ففي دلالة الحال ما يغني عن السؤال **واستحق هو** أي خاف نوح عليه الصلاة والسلام **من إقدامه على ربه بسؤاله** من ربه **ما لم يؤذن له في السؤال فيه** حيث لا يتكلم الأمين إذن له ثم بيّن عذره بقوله **وكان نوح** عليه الصلاة والسلام **فيما حكاه النقاش** في تفسيره وهو محمد بن الحسن الموصلي كما تقدم في ترجمته **لا يعلم بكفر ابنه** ولو علم بذلك لم يطلب من الله نجاته وقطع رحمته منه **وقيل في الآية غير هذا** التوجيه مما يقتضي تبرئة مقام النبوة مما لا يليق به وقيل إنه لم يكن ابنه وإنما كان ابن امرأته وقد قرئ في الشواذ ونادى نوح ابنها والقول بأنه ولد على فراشه ولم يكن ابنه وكان لغير رشده مردود بأن فراش الأنبياء منزه عن مثله وأما قوله فخانتاهما فالمراد به خيانة الأذية والميل لأعدائه والأقلاء يجوزون أن تنسب زوجات الأنبياء لشيء من ذلك بالاتفاق **وكل هذا** المذكور في قصة نوح عليه الصلاة والسلام والآية المتلوة فيها **لا يقضي** أي لا يحكم ولا يجزم الحكم **على نوح عليه الصلاة والسلام بمعصية** صدرت منه **سوى ما ذكرناه** هو استثناء منقطع إذ ليس فيما بعده معصية ومعرفة لجهة وتنبيه مقامه من تأويله لما وعد به **وإقدامه بالسؤال فيما لم يؤذن له في السؤال فيه ولا نُهي عنه** صريحاً لأنه لم يخاطبني في الذين ظلموا إذ لو كان كذلك كان معصية **وما ورد في الصحيح** كما رواه الشيخان عن أبي هريرة **أن نبياً قرصته** أي عضته **نملة** وفي رواية البخاري لدغته نملة بدال مهملة وغين معجمة والقرص مخصوص ببعض صغار الحشرات كالنمل والبرغوث ولذا قال لو أن لهم أكلوني البراغيث مجاز ولذا عبر عنه بعض الفضلاء وهذا النبي قال الطبري والحكيم الترمذي أنه موسى عليه الصلاة والسلام وقال المنذري إنه عزير وقال البرهان إن في أبي داود مرفوعاً لا أدري أعزير نبي أم لا وصححه الحاكم في مستدركه عن أبي هريرة ولكن ثبت أنه نبي فكان الله أطلعه بعد ذلك على نبوته **فحرق قرية النمل** القرية محل يجتمع فيه بيوت الناس ولا يطلق على منزل غيره من الدواب وغيره قرية الأعجم النمل لأن أصله محل الاجتماع مطلقاً من قرى الماء في الحوض إذا جمعه فهو حقيقة لغوية أو مجاز مشهور وفي كتب اللغة تفرقة بين المساكن فقالوا يقال لمنزل الإنسان وطن وبلد ومنزل الإبل عطن وللأسد عرين وغابة وللظباء كناس وللذئب والضبع وجار وللطائر والزنبور عش ووكر لليربوع والنمل قرية فهو على هذا حقيقة **فأوحى الله إليه أن أحرقت أمة من الأمم** الأمة طائفة وجماعة من جنس واحد من المخلوقات فيه إشارة إلى هذا النبي صدرت منه معصية فيه دليل لمن جوز على الأنبياء صدور المعاصي

ثم

مطلب لا يجوز الإحراق للحيوان

ثم بما نبه الله له في ذلك وقوله **تسبح** بيان لسبب النهي عما فعله لأنه ما من شيء إلا يسبح بحمده وفي قتله قطع لعبادته وأيضاً فإنه لا يجوز الإحراق للحيوان لما ورد من أنه لا يعذب بالنار إلا خالقها وقيل إنما عاتبه الله لأنه أهلك من آذاه وغيره لما في بعض الروايات هلا نملة واحدة وسبب هذه القصة أن موسى عليه الصلاة والسلام مر على قرية أهلك الله أهلها بذنب لهم فقال يا رب أهلكتهم وفيهم صبيان ودواب لم تذنب وفيهم الطائع فأراد الله تعالى أن ينبهه على ما خطر بباله فاشتد عليه الحر فنزل تحت شجرة فنام في ظلها فسلط الله عليه نملة كبيرة من النمل الذي يقال له نمل سليماني وغيره يسمى ذراً ففعل بها ما فعل وأوحى الله إليه ما ظاهره العتاب إرشاداً له صلى الله عليه وسلم وقد قالوا إنه كان جائزاً في شرعه وقد قالوا أيضاً يجوز قتل كل مؤذ من ذوي الأرواح أما بالنار فلا يجوز إلا قصاصاً لمن أحرقه بها أيضاً على ما فيه فليس فيها فعله معصية ولذا قال المصنف **فليس في هذا الحديث ما يقتضي** ويدل على **أن هذا أتى معصية** وفي نسخة على أن هذا النبي أتى معصية ومعصية خبران وعليه الذي بعد وفي الذي وأتاه معصية **بل فعل ما رآه** أي علمه واعتقده **صواباً بقتل من يؤذي جنسه** أي بني آدم وقد قال الفقهاء إن قتل النمل جائز لأذيته وغير جائز لقصد ونقل من يشبه فعل العقلاء كقوله والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين **ويمنع المنفعة** أي الانتفاع **بما أباح الله تعالى** لاستظلاله بهذه الشجرة وأفادها أخص من الأطعمة وأوضحه بقوله **ألا ترى** أي تعلم أو تحقق ما هو كالمرئي المشاهد **أن هذا النبي المتقدم** وصح القرطبي أنه موسى كما تقدم **كان نازلاً تحت الشجرة** ليستمتع بظلها والنوم فيه **فلما آذته النملة** بقرصها والتاء للوحدة فيشمل المذكر والمؤنث **تحوّل برحله من تحت تلك الشجرة عنها** أي عن الشجرة ورحل الرجل متاعه الذي يأوي إليه وما يوضع على ظهر الدابة ليحمل عليه **مخافة تكرار الأذى عليه** من جنسها **وليس فيما أوحى الله إليه ما يوجب** أي يقتضي ويستلزم **عليه معصية** صدرت منه **بل ندبه إلى احتمال الصبر** على ما يؤذي أي حثه وحرضه من قولهم ندبه إلى كذا إذا دعاه إليه **وترك التشفي** تفعل من الشفاء وهو الانتقام بما يشفي غيظه ويبرد صدره **كما قال تعالى** في مدح الصبر وأنه مما يجب عليه **ولئن صبرتم لهو خير للصابرين** نزلت في غزوة أحد وقتل حمزة رضي الله عنه وقد مثل به وحزن لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فصل في السير **إذ ظاهر فعله** أي هذا النبي **إنما كان لأجل أنها** أي النملة **آذته هو في خاصته** دون غيره ممن نزل معه **فكان** فعله هذا **انتقاماً لنفسه** دون غيره **وقطع مضرة يتوقعها في المستقبل من بقية النمل هناك** بيان لوجه إحراق جميع النمل غير المؤذية له **ولم يأت** أي لم يفعل ذلك النبي **في كل هذا أمراً** مفعوله ولو دفع جاز **نُهي عنه** بل جائز كما مر وقوله **فيعصي به** بالنصب في جواب النفي **ولا نص فيما أوحى الله إليه بذلك** أي بأنه أتى بمعصية **ولا بالتوبة**

من ذنب اتاه والاستغفار منه اي طلب مغفرته لذنب اتاه قبل اماثك اذ ظاهر فعله لانه في الخفية انما دفع له ذلك لوما على ما اتى له في القرية التي اهلكها الله اخوله هذا اعلى تقرير تسليم لا انا في المقصود من انه لا معصية في هذه القصة وما حكاه ايضا الذنب فيه لانه انما سال الله عن ذلك ليبين له حكمتها نعله فان قيل فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث مامن احد الا الم بذنب او كاد الا يحيى ابن زكريا الخ وهذا الحديث رواه الامام احمد عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا بلفظ مامن احد الا وقد اخطا او هم بخطيئة وسنده ضعيف واخرجه البزار عن ابن عمر مرفوعا كما قاله السيوطي في مناهل الصفا اقول ومتابعته تقويه في الجملة فلا عبرة بمن انكره وروى الثعالبي ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل بني ادم يلقى الله عز وجل بذنبه فيعذبه او يرحمه الا يحيى ابن زكريا فانه كان سيدا وحصورا ونبيا من الصالحين ثم اهوى صلى الله عليه وسلم الى قذاة من الارض اخذها بيده وقال كان ذكره مثل هذه وقال قتادة وغيره ان الله احيى قلبه بالطاعة والنبوة حتى لم يعص ولم يهم بمعصية وهو غير مناف لما رواه الثعالبي وحاصل ما هنا ان هذا الحديث يخالف ما مر من عصمة الانبيا ويلزم منها اسند به المخالفون في ذلك ومعنى الم انه وقع منه ذلك قليلا وكاد بمعنى قرب منه فهو بمعنى هم في الرواية الاخرى وقوله اوكما قال صلى الله عليه وسلم اشارة الى انه وقع فيه روايات مختلفة كما اشرنا اليه فالجواب عنه اي عما وقع في هذا الحديث انه كما تقدم من ذنوب الانبيا التي وقعت من غير قصد منهم وعن سهو وعن غفلة منهم ومثله لا يواخذ به ولا يلزم منه تفضيله على من عداه من الانبيا عليهم الصلاة والسلام وهذا مما وقع في بعض النسخ وسقط من بعضها فصل معقود لدفع شبه نشات مما تقدمه فاذا انتفت عنهم اي عن الانبيا صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين الذنوب والمعاصي عطف تفسيرا وهو من عطف السبب على مسببه لان الذنب الاثم المترتب على المعصية بمخالفة امر الله بما ذكرته في الفصل الذي قبل هذا من اختلاف المفسرين في توجيه ما صدر عنهم وتاويل المحققين لما هو معصية بحسب الظاهر فما معنى قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى وضل بحسب معصيته وما معنى ما تكرر في قصص الانبيا الواردة في القران والحديث من اعتراف الانبيا بذنوبهم كما تقدم من نحو قولهم ربنا ظلمنا انفسنا وتوبتهم واستغفارهم كقول موسى رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي وبكائهم على ما سلف منهم كما روي عن داود عليه الصلاة والسلام انه بكى حتى نبتت من دموعه الارض واشفاقهم اي خوفهم من الله وهل يشفق ويخاف ويتاب بالبنا للمجهول ويستغفر من لا شي اي من غير شي صدر يجتنب منه حتى يفعل ما ذكر فاعلم ايها السائل وفقنا الله واياك جملة دعائية معترضة ان درجة الانبيا عليهم الصلاة والسلام والدرجة في الاصل ما يصعد به لمكان عال ويراد به المنزلة الرفيعة نفسها وهو المراد به هنا في الرفعة اي علو مقامهم حسا ومعنى والعلو عطف تفسير والمعرفة بالله فانهم

الحرف

اعرف به من غيرهم وسنته في عباده مجرور معطوف على ما قبله اي معرفتهم بعادة الله في معاملة عباده في سخطه ورضاه وعظم سلطانه اي علو شانه وانه القاهر فوق عباده وقوة بطشه اي اخذه القوي الشديد اذا اخذ كل جبار عنيد مما يحملهم اي يحملهم بما يقتضيه انتفاؤها على الخوف منه فان من كان اعرف بالله كان اشد خوفا منه جل جلاله هذا في موقعه مناسب غاية المناسبة اي عظمت عظمته وهو مبالغة في وصفه بالعظمة في ذاته وصفاته والجليل من اسمائه تعالى ابلغ من الكبير والعظيم لانه كمال الذات والصفات واسناده مجازي كجد جده وفيه مبالغة فيزيد في المعاني والاشفاق اي الخوف من المواخذة بما لا يواخذ به غيرهم فانهم لعلو مقامهم عند الله ورفعة شانهم لا يباح لهم بما يباح به غيرهم لانهم اجل من ان يتهاونوا في شي من الاشيا ويفرطوا فيه فخوفهم من الله اقوى من خوف غيرهم لانهم يخافون اخلالهم وانهم في تصرفهم بافعالهم الصادرة منهم باموره لم ينهوا عنها ولا امروا بها لانها امور مباحة جائزة ثم اوخذوا عليها اي لامهم الله عليها مع انها مباحة جائزة وعوتبوا بسببها وحذروا اي خوفوا من المواخذة بها اي ان يجازيهم الله عليها كاخذه صلى الله عليه وسلم الفدية من اسرى بدر وانه لم يتخلف عن الغزو كما تقدم وهو امر جائز لكنه ترك فيه الاولى نظرا لما فيه من الفائدة العائدة للمسلمين والتيسير على الامة او اتوها اي فعلوها على وجه التاويل لما ورد فيه من نص قبل حمل على محل غير ما اريد به لامر اقتضاه ومثله يعذر ربه ولا يعد ذنبا او السهو اي او فعلوها على وجه وقع منهم بسهو منهم ومثله معفو عنه غير مواخذ به غيرهم كما تقدم بيانه او تزيد اي زيادة من امور الدنيا المباحة لهم ولغيرهم كطلب سليمان عليه الصلاة والسلام ان يخلى جميع ما به بعد بيان تجاهد في سبيل الله كما تقدم فهو طلب زيادة مباحة ولا ضرر فيه خائفون وجلون هو خبران في قوله انهم في تصرفهم وما بينهما اعتراض والوجل الخوف والاحسن تفسيره هنا بمضطربين ليكون اتم وهي اي الامور المباحة المذكورة ذنوب بالاضافة الى علي منصبهم اي بالنسبة لهم وان كانت مباحة في اصلها فالمراد بالمنصب مقامهم العلي وليس المنصب هنا بمعناه المتعارف وقد تقدم بيانه ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم لربهم ومراقبتهم له لا انها ذنوب حقيقية كذنوب غيرهم من امتهم ثم بين مناسبة لاطلاقها عليهم بحسب الاشتقاق فقال فان الذنب في اصله ووضع مادته ماخوذ من الشي الدني اي الخسيس الرذل اي الرديء المحتقر والاخذ الاشتقاق البعيد وهو معنى قولهم دابرة الاخذ اوسع من دابرة الاشتقاق ومنه ذنب كل شي اخره الذنب مستحق معروف واذناب الناس رذالهم وجنسهم الاول هو جمع على تقدير حاذف في كلمات معدودة اي الاذلهم ومنه اراذل العوام احقره وكان هذه ادنى افعالهم اي احقرها واخسها وكان للتشبيه وفي نسخة وكانت هذه اي الامور التي تصرفوا فيها واسوا ما يجري ويقع من احوالهم لجلالة قدرهم ونزاهة خلقتهم وعصمتهم عن سفاسف الامور وان حماهم الله عن كل سو فقد دانهم وصفاتهم

لتطهيرهم وتنزيههم عما لا يليق بهم وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح في
السر والعلانية والكلم الطيب الذي شغل به السنتهم وجميع انواع من التكلم بالخير
والتسبيح والتهليل وحمد الله والذكر الظاهر اي ذكر الله جهرا والخفي بذكره
سرا وجعله دايما مراقبا ملاحظا في قلوبهم والخشية هي الخوف مع الاجلال والتعظيم
لله تعالى واعظامه حق تعظيمه وتقدره حق تقدره في السر والعلانية بالتخفيف
مصدر كصلاحية وهي مقابل السر بمعنى الخفي من الاعلان فمن كان هذه احاله اذا
اشتغل بما لا يعنيه من المباحات كان سيئة بالنسبة لمقامه وما طبع عليه واما
غيرهم من غير الخواص فهو انما يتلوث اي يتدنس يقال تلوث بالدم اذا تلطخ به
ويقال به لوثة من جنون قال

وانى على ما في من عنجهية ولوثة اعرابية لاديب

من الكباير اي كبائر الذنوب وقد تقدم بيانها والقبايح اي ما يقبح شرعا من الذنوب
كبائرها وصغائرها والفواحش وهو ما ازداد قبحه وقد يراد بالفاحشة الزنا
ونحوه وهو انسب هنا لانه بمعنى الكباير ما يكون بالاضافة اي بالنسبة والقياس
اليه وفي نسخة الى هذه الامور التي صدرت من الانبيا وما هذه موصولة ونعت
له لا من مجيء ومن اي غير الانبيا يتلوث من امور هي بالاضافة لما عد ذنبا منهم
كالحسنة لغيرهم كما قال المتنبي

انا لفي زمن ترك القبيح به من اكثر الناس احسان واجمال

فلا وجه لما قيل ان حقه ان يقول ما يكون بالبا الجارة كما وقع في بعض النسخ او يقول
يلوث باسقاط الفا كما يتعدى بنفسه الهنات جمع هنة وهي خصلة السو في حقه
اي اذا اوصف بها غير النبي وقيلت في حقه كالحسنات بالنسبة لقبايحه وقال كالحسنات
لان منها ما هو مباح ومكروه كراهة تنزيه وجعلها حسنة لاخفا فيه وما قيل انه لا يبعد ان
يكون شيء واحد ذنبا في حق شخص وغير ذنب في حق اخر في شريعتنا لنبي بشيء بل مثله
كثير فكم من شيء وجب على الانبيا وعلى الخلفا والحكام وهو لا يجب على غيرهم واجاد في التعبير
بالهنات لانها بفتح الهاء والنون والفوقية والهنة في الاصل مطلق الخصلة ثم خصت بخصلة
السو قال في الاساس يقال هناه وهنات وهنيات خصال سو قال لبيد

اكرمت عرضي ان ينال بنجوة ان البري من الهنات سعيد

وما في بعض النسخ من الهبات جمع هبة بيا ساكنة وهمزة تحريف من النساخ كما قيل حسنات
الابرار هم اتقيا الامة سيات المقربين الى الله وهم الانبيا عليهم الصلاة والسلام
وخلص الاوليا وليس هذا بحديث وانما هو من كلام ابي سعيد الخراز من كبار مشايخ
الصوفية اي يرونها ويعتقدونها بالاضافة الى علي احوالهم كالسيات وان لم تكن
سيئة حقيقة فجعلها سيات وحسنات مبالغة ومجاز وكذلك اي مثل ما ذكر في معنى
الذنب وكونه يكون بالنسبة لمن اتصف به العصيان الذي اتصف به بعض المقربين
كما في قوله وعصى ادم ربه فغوى معناه في اللغة الترك والمخالفة لامر سوا كان

واجبا

واجبا ام لا فعلى مقتضى هذه اللفظة بحسب معناها التي وضعت له كيف ما كانت اي
على اي حالة وقعت من سهوا وتاويل للامر الذي امر به فهي تسمى مخالفة وترك
وان لم تكن معصية شرعية مذمومة عقلا وشرعا لانها مغفرة مغفورة غير مواخذ بها
كل احد فليس كل عاص اثما وترك الطاعة اعم من فعل المعصية وهو سوال تقديره قد
قلتم بعصمة الانبيا وقد وصف الله بعضهم بانهم عصاة وجوابه ظاهر وقيل هذا مبني على
ان فعل الساهي حرام ومعصية لكنها مغفورة وهو مذهب لبعضهم وقيل فعله لا يوصف
بشيء من الاحكام كفعل المكره والكلام عليه مفصل في كتب الاصول وقوله تعالى في
حق ادم عليه الصلاة والسلام غوى والغي الضلال والمعصية فاطلاقه يقتضي خلاف ما
قررتم من عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام اي جهل ان تلك الشجرة التي اكل منها
هي التي نهي عنها والغي معناه في اللغة الجهل فهذا معناه حقيقة ولغة ولو قال لم يعرف
كان احسن والبق بالادب وقيل معناه اخطا ما طلب من الخلود بدوام البقا كما ذكر
في الاية اذ اكلها وخابت امنيته بضم الهمزة وتشديد اليا اذ لم يصل لما اراده وهي
ما يتمناه وجمعها اماني بالتشديد والتخفيف وفسره اهل اللغة بالضلال والجهل والخطا
معنى اخر وهو تفسير بلازم معناه وقال ابن الاعرابي معنى غوى فسد عيشه فتغير حاله
ابن فارس وقد قيل عليه انه تزييف بالغا بقوله عصى ادم ربه فغوى نبا في تفسيره بالخطا والجهل
الان يكون كان في شريعته غير معفو عنه ثم نسخ وفيه نظر لانه اذا فسر معناه الغوي كما قرره
المصنف لا يرد عليه ما ذكر على انه تصرح به التهذيب والتمذيب باعتبار ما سبب به الناشي
عنها ثم استشهد لما قاله بقصة يوسف عليه الصلاة والسلام فقال وهذا يوسف جعله
كانه مشاهد لاشتهار قصته قد اوخذ اي عوتب وجوزي بقوله لصاحب السجن
اي لصاحبه في السجن الذي ظن انه ناج فاضافته لادنى ملابسة وفي نسخة لاحد
صاحبي السجن اذكرني عند ربك اي صف له قصتي واخبره بحالي ليخلصني من هذه
الورطة والمراد بربه الملك والقصة غنية عن البيان فانساه الشيطان ذكر ربه
المصدر مضاف لمفعوله الثاني اي انساه ذكر يوسف لسيده فلبث في السجن بضع
سنين البضع ما فوق الثلاث الى السبع او التسع او العشر وقيل معناه ان الشيطان
انسى يوسف عليه الصلاة والسلام ان يذكر الله فابتغى الفرج من غيره تعالى غفلة منه
واشار الى ذلك بقوله قيل انسي يوسف ذكر الله تعالى والمراد بربه اسم الضمير
ليوسف عليه الصلاة والسلام وقيل انسي صاحبه الذي كان معه في السجن وقال له
الساقي اذكرني عند ربك ان يذكره لسيده وهو الملك اي انسى الشيطان الشرابي ان يذكر
يوسف للملك قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابن جرير والطبراني عن ابن
عباس وابن مردويه عن ابي هريرة وابو الشيخ عن ابي الحسن مرسلا وكذا عن عكرمة
فهو حديث صحيح لولا كلمة يوسف اي قوله لصاحبه في السجن اذكرني عند ربك
وطلبه من غير الله للفرج ما لبث اي مكث واقام في السجن ما لبث اي مدة
لبثه فما مصدرية زمانية وقال مالك بن دينار ابو يحيى البصري احد الاعلام الزاهد

الثقة اخرج له الاربعة والبخاري تعليقا وتوفي في سنة مائة واثنين وثلاثين واسمه
محمد بن ابراهيم وله ترجمة في الميزان وهذا رواه الامام البغوي عنه في تفسيره واخرجه
ابن ابي حاتم عن انس مرفوعا لما قال ذلك يوسف اي قوله اذكرني عند ربك قيل
له اي قال الله تعالى له بوحيه كما يأتي اتخذت من دوني اي غيري من عبيدي
وكيلا اي من تكل اليه امرك وتعتمد عليه في خلاصك لاطيلن حبسك اي مدة
مكثك في الحبس فقال يا رب انسى قلبي كثرة البلوى والمصائب من حين الغيبة
في الجب الى ان دخلت السجن فهذا ذنب عد عليه وعوقب به مع انه ليس بمعصية شرعية
لكن على مقامه تقتضي ان لا يذكر في الشدة غير الله ولا يعول على مخلوق وقد قال
الخليل عليه الصلاة والسلام لجبريل حين القي في النار وقال له الك حاجة فقال اما
اليك فلا حسبي من سؤالي علمه بحالي وقد رووا ان جبريل عليه الصلاة والسلام اتاه
في الحبس وبلغه ذلك في حديث طويل نقلوه وقال بعضهم تؤاخذ الانبيا لوما
لهم بمثاقيل الذر جمع مثقال وهو وزن كل شيء ومقداره والذر جمع ذرة وهي
اصغر النمل ويقال للهبا الذي يرى في شعاع الشمس ولا زنة له اصلا فهو مبالغة في
الخفة والمثقال في العرف الدينار وليس يراد هنا لمكانتهم اي لقربهم ورفعتهم عند
ربهم ومن يحب احدا ويعتني به لا يبيح فيه ادنى شيء يتعلق به ولذا قيل صبرا الحبيب
اوجع ونجاوز عن سائر الخلق اي غيرهم وباقيهم لقلة مبالاته بهم قال ابن
فارس استشهد على اشتقاق قولهم لا ابالي حتى رأيت قول ليلى الاخيلية

تبالي روايا هم هبالة بعد ما ٭ وردن وحول الماء بالجم برتمي

وقد قالوا انه التبالي المبادرة للاستقاء عند قلة الماء فيستقي احدهم وينظره غيره
فمعنى ذلك لا ابادره ولا انظره لعدم اعتدادي به انتهى في اضعاف ما تؤاخذ به في
انبائهم بان يزيد على ما اتى به المقربون بمثله وامثاله وضعف الشيء ما يزيد عليه بمثله او باكثر
كما فصله في الكشاف تبعا للازهري في تهذيبه من سوء الادب في حق خالقهم المنعم
عليهم بالنعم الجليلة التي حقها ان تقابل بطاعته وشكره فعصوه وارتكبوا ما لا ينبغي
من المعاصي وقد قال المحتج اي الذي اقام الحجة والدليل للفرقة الاولى القائلة
بان الانبيا معصومون من جميع الذنوب وان السهو والنسيان لا يؤاخذون به
كغيرهم كما شيئا في حالهم على سياق ما قلناه اي ما قررناه في بيان امرهم فاشكل عليهم
ما قلته انفا من انهم يؤاخذون بما لا يؤاخذ به غيرهم لعدم المبالاة بهم اذا كان
الانبيا يؤاخذون بهذا المذكور من مثاقيل الذر مما لا يؤاخذ به فلا يعاتب به
ولا يعاتب غيرهم اي غير الانبيا من اممهم من السهو والنسيان ونحوه من ما
ذكرته من الامور المباحة لهم وحالهم اي حال الانبيا المؤاخذين بما ذكر ارفع
عند ربهم وهذه جملة حالية وفي بعض النسخ فحالهم بالفا من غير الكتبة فحالهم
اي حال الانبيا اذن اي اذا وجد والحال انهم اسوأ من غيرهم عند الله لكثرة ما اخذهم ٧ اسوة
به وتشديده عليهم فيما لم يشدد به على غيرهم مع انهم ليسوا كذلك وهذا من شق

الحادي والثلاث
الثالث

النهم لئلا يتوهم في بلدان الاعظم عند ربه لا يؤاخذ بترك الاولى وليس كذلك فان
ذلك لحكمة والجواب هذه الشبهة وبيان الحكمة فيها اشار بقوله فاعلم ايها السائل
اكرمك الله بعد انبيك لوجه ما ذكر انا لا نثبت لك المؤاخذة اي مؤاخذة
الانبيا في هذا الذي اخذتم به دون غيرهم مؤاخذة اي على مقدار غيرهم اي مؤاخذة ٧ علي حقهم
غير الانبيا بما ارتكبوه من الذنوب بما ثبتهم عليها في الدنيا والاخرة بل نقول في
الفرق بين مؤاخذتهم ومؤاخذة غيرهم وهو اضراب انتقالي من نفي مؤاخذتهم كغيرهم
انهم اي الانبيا والمقربين رتبة يؤاخذون بذلك المذكور من مثاقيل الذر
في الدنيا بما يبتليهم به فيها ليكون ذلك المؤاخذ به زيادة في درجاتهم اي في علو
منازلهم العلية وجعله عين الزيادة وهو سببها مبالغة ويبتلون بذلك اي
بالمؤاخذة به في الدنيا على قدر مراتبهم عنده كما ورد اشد الناس بلاء الامثل فالامثل
ليكون استشعارهم الاستشعار طلب الشعور والمراد به هنا ساقه او هو من
الشعار وهو اللباس الملاصق للبدن سببا لمحاماة مصدر بمعنى النمو وهو الزيادة
اي زيادة رتبهم اي علو مقاماتهم عند الله ثم استدل لما ذكره بقوله تعالى
كما قال عز وجل ثم اجتباه ربه اي اصطفاه وقربه باعلاء رتبته عنده من حيث
انه اجمع فانه جمع فيه من الصفات الحميدة ما كان سببا لاصطفائه وقربه فتاب
عليه وهدى اي قبل توبته وارشده الى الاعتذار عما صدر منه والاستغفار
فقال ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين فالاجتبا
بزيادة الرفعة بعد النبوة وعطفه بثم اشارة لمرتبته وزيادة ترقيته حتى كانه متراخ عنه
وقال الله تعالى لداود عليه الصلاة والسلام فغفرنا له ذلك اي ما صدر
منه في خطبة امراة اوريا كما تقدم في ذكر الاية الى اخرها من قوله وان له عندنا
لزلفى وحسن مآب وهي صريحة فيما ذكره وقال عز وجل بعد قول موسى سبحانك
تبت اليك من سؤال الرؤية في الدنيا وانا اول المؤمنين بعظمتك وجلالك قال
يا موسى اني اصطفيتك على الناس اي اخترتك وقدمتك على اهل زمانك برسالاتي
وبكلامي لك بغير واسطة وكيفية بكلام تسمعه من سائر الجهات وقال الله تعالى بعد
ذكر فتنة سليمان في القاء الجسد على كرسيه كما تقدم واناب اي رجوعه الى الله
وتوبته فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء الاية الى قوله وحسن مآب فترتيبه
على ذلك ما عدده من النعم يقتضي ان الفتنة التي اناب منها ليست معصية لانها لو كانت
كذلك لم يترتب عليها ذلك وكونه لزلفى اي قرب من الله وحسن مآب بمرجعه للجنة
وهذا كله زيادة في درجاته ومنافاة لرتبته عند ربه كما لا يخفى وقال بعض المتكلمين
ما يوبيه ما قرره وارتضاه زلات الانبيا جمع زلة من زل اذا سقط ويجوز بها
عن الذنب اي ما عد زلة وذنبا لهم وان لم يكن كذلك في الظاهر اي في ظاهر ما تدل
عليه العبارة زلات وهي في الحقيقة اي في نفس الامر وعند التحقيق انما هي كرامات
اكرمهم الله بها لانه انعام لما لينبئهم عليها وزلف بضم وفتح جمع زلفة اي قرب من الله تعالى

باعلا مقاماتهم عنده **واشارة الى نحو ما قدمناه** مما يترتب على ابتلايهم بها من انعام الله
عليهم بنعم لا تحصى وهذا المخصوص لاينافى كونه مما خصهم الله به لان مثل هذه النعم الجليلة
لا تكون لغيرهم فلا يرد علينا ان المومنين ايضا يثابون بمصايب الدنيا اذا صبروا عليها ورضوا
او نقول انه اشار لعدم اختصاصهم بذلك بقوله **وايضا** اى مثل ما ذكر من انه فى
الظاهر زلة وهو فى الحقيقة نعمة وكرامة **فلينبه غيرهم من البشر** اى يوقظ
ويعلم منهم اى الانبيا المذكورين **او ممن ليس فى درجتهم** من الاتقيا الذين ليسوا
بانبيا **بمواخذتهم بذلك** الباء سببية متعلقة بينبه او هى بمعنى على لان ينبه يتعدى بعلى
او ضمن معنى يشعر ويعلم وذلك اشارة لما امتحنوا به مما صدر عنهم من خلاف الاولى
وليس بذنب **فيستشعروا الحذر** اى يستشعرون بالحذر وهو الخوف من الشعور
او الشعار كما مر انفا وليس من توهم ليس شعرى فانه تكلف لا داعى له **ويعتقدوا المحاسبة**
على ذلك لان مواخذة على الانبيا تقتضى مواخذتهم بالطريق الاولى وان كان ما ارتكبوه
مباحا لكنه خلاف الاولى **وليلتزموا الشكر على النعم** المترتبة على ما ابتلوا به كما تقدم
او على كونهم لم يمتحنوا بذلك مع امتحان من هو اعظم منهم **ويعدوا** بضم اليا التحتية وكسر
العين وتشديد الدال اى يحضروا ويهيوا **الصبر** ليستعينوا به **على المحن** جمع محنة
وهى البلية التى يمتحن الله بها صبره ورضاه كما قيل

ه لله در النايبات فانها صدا اللئام وصيقل الاحرار ه

ويتذكروا ما فى الصبر من الثواب لقوله انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
والمحنة كالفتنة بصيغة المعادن من فتنها تفتنه لما ذكر وصارت فيه حقيقة **وبلاحظ**
ما وقع من مثل ما وقع وفى نسخة لملاحظة **باهل هذا النصاب** اى المقام الرفيع
من الانبيا والنصاب بمعنى الاصل والحسب يقال فلان كريم النصب والنصاب كما فى
الاساس ومنه نصاب السكين **المعصوم** المحفوظ من الذنوب **فكيف بمن سواهم** اى غير
الانبيا فانه ادفع اللوم لهم فيه فغيرهم بالطريق الاولى لكنه من حلم عبا دالله الذين
يعتد بهم كما تقدم **ولهذا** اى لما ذكر من الحكمة فى مواخذة الانبيا عليهم الصلاة والسلام
بما لم يواخذ به غيرهم **قال صالح** بن بشير وهو علم منقول من البشر من نابل المذهب
الواعظ الزاهد توفى فى سنة اثنين وسبعين وماية كما قاله ابن ماكولا **المرى** بضم
الميم وتشديد الرا المهملة نسبة الى مرة قبيلة **ذكر داود نبى الله** صلى الله عليه وسلم
وذكر ان كان مصدرا فهو مبتدا فقوله **بسطة للتوابين** خبره اى توسعة لمن
يتوب ويكثر التوبة والاستغفار لينهوا على فضلها وان كان فعلا مبنيا للمعلوم
او المجهول اى ذكره الله فقوله بسطة منصوب مفعول له **وقال ابن عطا**
ابو العباس بن محمد بن سهل بن عطا الاربلى شيخ الصوفية وله فى فهم القران
لسان اختص به توفى سنة تسع او احدى عشرة وثلثماية **لم يكن ما نص الله تعالى**
عليه فى القران **من قصة صاحب الحوت** يونس بن متى نبى الله صلى الله عليه وسلم
نقصا له اى تنقيصا له بكونه ولى مغاضبا ولم يصبر حتى ياذن الله تعالى له فيما اراد

ولكن

ابن اقبرس

دمجي

ولكن ذكره وقصته **استزادة من نبينا صلى الله عليه وسلم** اى طلب منه ان يزيد
صبره على قومه وقيل المراد انه زيادة فى علمه بما جرى للانبيا طلبها من ربه والصحيح
الاول لانه المناسب لقوله ولا تكن كصاحب الحوت اى فى ضجره وفراق قومه حتى
كان ما ذكره الله فى قصته **وايضا فيقال لهم** فى الجواب عما ادعوه من تجويز الصغاير
على الانبيا لا الزاما لمن سال عن معنى قوله تعالى وعصى ادم ربه ونحوه كما قيل
انكم ومن وافقكم على هذا القول **تقولون بغفران الصغاير** وان لم يتب منها
باجتناب الكباير اى بسبب تركها كما ذهب اليه كثير من اهل السنة تمسكا بظاهر قوله
تعالى ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم وذهب كثيرون الى انها مغفورة
بالمشية كغيرها لقوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشا والكلام فيه مشهور فى كتب
الاصول **ولا خلاف** بين من يعتد به **فى عصمة الانبيا عن الكباير فجوزتم من**
وقوع الصغاير عليهم متعلق بجوزتم **هى مغفورة على هذا القول** والجملة خبر
قوله ما وهو بمعنى الوقوع لانه بينه به بنا على مذهب الفرا فى الاكتفا بضمير ما بلا لبس
المبتدا عن ضميره كما قرره فى قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن
الاية او يجعل ما بمعنى الصغاير **فما معنى المواخذة** للانبيا الله عليهم الصلاة والسلام
بها اى بالصغاير **اذن** اى مع اجتناب الكباير **عندكم** ايها القايلون بهذا الراى
وما معنى **خوف الانبيا وتوبتهم منها** اى من الصغاير **وهى مغفورة** بدون توبة منها
لو كانت اى وجدت منهم **فما اجابوا به** عن هذا **فهو جوابنا عن المواخذة بافعال**
السهو اى بما فعلوه سهوا ونسيانا **والتاويل** اى ما فعلوه لتاويلهم الاوامر
والنواهى الواردة فيه كما تقدم وهو جواب الرازى والقول بانفصالهم عنه بعد ما تقدم
بعدم القول بذلك فى حق الانبيا عليهم الصلاة والسلام لانه فى حق غيرهم والله عليه ان
يصح النقل عنهم بالتزامه فى حق الانبيا بانه انه يعم فى حقهم بالطريق الاولى لانه جواب
جدلى فتامله **وقد تقدم** ان التوبة لا يلزم ان تكون عن ذنب فتذكره واشار اليه
المص هنا بقوله **وقد قيل ان كثرة استغفار النبى صلى الله عليه وسلم** حيث استغفر الله
سبعين مرة كما مر **وتوبته** اى قوله استغفر الله واتوب اليه **وغيره من الانبيا** عليهم
الصلاة والسلام وان كانوا معصومين من سائر الذنوب فذلك انما هو **على وجه** اى
على طريق ولاجل **ملازمة الخضوع** اى التذلل باظهار انه مذنب **والعبودية**
والاعتراف بالتقصير اى فى ادا حق مولاه **شكر الله على نعمه** جمع نعمة ونعم الله لا تحصى
كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فمن عرف نعم الله عليه واظهر العجز عن
شكرها فقد شكره تعالى شكرا اعظيما فان الشكر كما يكون باللسان يكون بالاركان كما
تقرر عندهم وقد ورد انه صلى الله عليه وسلم كان يقول فى كل مجلس استغفر الله واتوب
اليه اكثر من ماية مع ما هو عليه من العصمة والعبادة ولا معنى لما قيل انه لا يصح ان يراد
ما ذكرهنا على وجه الدليل فى محل النزاع **كما قال صلى الله عليه وسلم** فى الحديث
المشهور المتقدم الذى فيه انه اكثر من قيام الليل حتى تورمت قدماه فقيل له اتفعل

دمجي

دمجي

ابن اقبرس

ابن اقبرس

هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال افلا اكون عبدا
شكورا وقد ذكرت شاهد الاظهار العبودية شكر الله وقد امن بضم الهمزة وكسر الميم
المشددة مبني لما لم يسم فاعله قال البرهان في الصحاح امنت فلانا فانا آمن وامنت
غيري من الامن والامان فعلى هذا ينبغي ان يقول او من انتهى يعني ان امن بالتشديد
لا يصح ان يكون من الامن والامان وانما هو بمعنى قال امين وليس كما قال فانه يقال
امنه بهذا المعنى ايضا وهذه الجملة حالية والمومن له هو الله او الصحابة الذين قالوا له
ان الله غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر من المواخذة بما تقدم وما تأخر
ما صدر منه من ترك الاولى ونحوه الذي هو كالذنب بالنسبة لمقامه ولو دفع وان
لم يقع فقال صلى الله عليه وسلم افلا اكون عبدا شكورا اي كثير الشكر بالقيام
لعظم نعمه وكثرتها علي والاستفهام للانكار من ظن ان كثرة عبادته خوف من الذنوب
وطلبا لمغفرتها فقال وان كان الله عمني بمغفرته ورحمته فان اللائق في شكر الله على
ما اولاني والحديث مذكور في الصحيحين عن المغيرة بن شعبة وقال صلى الله عليه وسلم
في حديث رواه البخاري كما تقدم اني لاخشاكم لله اي اعظمكم له خشية والخشية الخوف
مع المهابة للعظمة واعلمكم بما اتقي وروي اني لاتقاكم لله واخشاكم له ومن علم ما يتقى
وجزاءه وعظمة من يخشاه كان ابعد منه واحذر وقال الحارث بن اسد هو العالم
الرباني الذي فاق اهل عصره في علم الظاهر والباطن وهو المشهور بالمحاسبي لكثرة ما
كان يحاسب نفسه ولزهده لما مات ابوه وخلف مالا عظيما لم ياخذ منه شيئا مع احتياجه
لان اباه قد كان قدريا وقال لا يتوارث اهل ملتين وترجمته مفصلة في المنن ان
توفي سنة ثلاث واربعين ومائتين خوف الملائكة من الله والانبيا عليهم الصلاة
والسلام خوف اعظام اي اجلال لا وتعظيم لله وتعبد لله اي تعبد وتذلل له العبادة
لانهم امنون من الله لاخباره لهم برضاه عنهم وانه يعطيهم في الدنيا والاخرة من
نعم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت وقد فعلوا ذلك اي الاستغفار والتوبة ليقتدى
بهم بالبناء للفاعل على التنازع في الفاعل او هو مبني للمجهول ويستن بهم اممهم
اي يتخذه سنة وعادة وقد تقدم المص ان النبي صلى الله عليه وسلم كان شديد الخوف
من ربه لانه اعلم به وهو مناسب لما هنا وهو يشهد لما قاله امام اهل السنة ابو
الحسن الاشعري رحمه الله في كتاب الايجاز من انه صلى الله عليه وسلم كان يخاف الله بلا
خلاف الا انه عند اهل الحق كان قبل ما امنه الله من عقابه خائفا من عقابه ويعده
من عقابه ولومه في الدنيا كما في قصة ابن ام مكتوم وبعد ما امنه لا يجوز ان يخاف عقابه
مع اخباره بما منه خلافا للرافضة والقدرية حيث زعموا انه هو وسائر الانبيا ما
داموا مكلفين في الدنيا لابد ان يخافوا عقابه سوا امنهم ام لا لما انه لا يجوز ان يخاف
من شيء الا بعد تجويزه وتوقعه ومع القطع بعدمه لا يجوز ذلك من عاقل لانه يودي
الى الشك في خبره هل هو صادق ام لا وهو باطل بالاتفاق انتهى اقول في فتاوى
شيخ مشايخنا ابن حجر الهيتمي ما نصه كما مر انه سئل عن الانبيا والملائكة والعشرة

المبشرة

المبشرة بالجنة هل كانوا امنوا من مكر الله وعقابه بعد اخبار الله لهم بخلافه فاجاب بان
نفي خوف العقاب عن هولا مطلقا باطل مصادم للنصوص لوجوه منها ان حقيقة الخوف
كما في الاحيا الم القلب لتوقع مكروه وهو اما خوف ضعف القوة عن الوفا بحقوق الله على
ما ينبغي وهذا محقق في جميع الانبيا عليهم الصلاة والسلام ويلزمه عدم الامن من مكر الله
ولا يامن من هذا الحد والمامون منه الانسلاخ من النبوة والملكية والايمان في العشرة
وان جوز وقوعه والرجا والخوف مثلا زمان فان قلت يلزمه التكذيب ذكر
قلت حقيقة الخوف ما مر والحمل على يقينهم من خبره تعالى لكنهم لشهودهم قدرة الله
واستغنائه عن خلقه وانه لا يسال عما يفعل ولا يجب عليه شي وخبره تعالى يجوز ان يكون
مشروطا بشرط انطوى عنا علمه وهذا ما يوجب الخوف وقد سال زيد بن اسلم التابعي انه هل
الملائكة في انهم لا يامنون مكر الله فقال نعم لما رواه ابن حاتم انه تعالى قال للملائكة ما هذا
الخوف الذي بلغ بكم هذا وقد انزلتكم منزلة لم ينزلها غيركم قالوا ربنا لا يامن مكرك الا
القوم الخاسرون وقد ذكر ذلك في الملائكة والانبيا وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
وجبريل بكيا فقال الله لهما لم تبكيا وقد امنتكما فقالا لا نخشى ان يكون ذلك منك مكرا بنا
وهذا هو الذي قطع قلوب العارفين ويدل لهذا قوله ما ادري ما يفعل بي ولا بكم وقوله
صلى الله عليه وسلم في دعائه اللهم اني اعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وفي
ادعيته مثله كثيرا ولو كان تشريعا قال قولوا اللهم اني والمراد بما مر به الذي في الحديث
الذي مر ان فيه افلا اكون عبدا شكورا خوفه من امور الدنيا واسبابها لذاته واما من الله
فلا انتهى ملخصا اقول هذا ما يشكل على ما قاله المص ومشايخ الصوفية فيما نقله
وعلى الاشعري لكنه موافق لما قاله ائمتنا الحنفية والشافعية كما نقل في كتب الاصول والفروع
من ان الامن من مكر الله واليأس من رحمته كبيرة او كفر على ما تقرر عندهم فانا لو قلنا
بما نقل عن الاشعري من ان الملائكة والانبيا والعشرة المبشرة امنون من المكر والمراد به
العقاب كان ما قرره الفقها غير صحيح على الاطلاق لكون الامن من المكر امر محقق بل واجب
في حق هولا ولو ادعى بعض جهلة المتفقهة الزاهد بن ابناء جنسه هولا في امنه لم يكن به
باس فضلا عن ان يكون كبيرة او كفرا الا انه ينبغي على كل حال ان القول بانه كفر غير
صحيح وايضا استدلالهم بقوله عز وجل لا يامن مكر الله الخ ولا يياس من روح الله الخ
غير صحيح لان معناه انه من صفات الكفار والخاسرين لا ان من اتصف به كافر وخاسر
ومثله يعرفه من يفهم كلام العرب وفي كلام ابن حجر قصور يدركه من له ذوق وفكر
عرضي
سليم وهذا بحث نفيس لم ار من حرره ومن ثم يجب حمل الحكي هنا قال لهما قال بما لا يحصل
له نقض بالنواجذ عليها سمعته كما قال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم
قليلا ولبكيتم كثيرا لمن علم ان الموت مورده والقيامة موعده والوقوف بين يدي
الله مشهده فحقه ان يطول حزنه ويبكي على نفسه وهذا من حديث اخرجه البخاري
وقد تقدم وفيه من انواع البديع الطباق والموازنة وايضا اي مثل ما تقدم في
توجيه استغفار الانبيا عليهم الصلاة والسلام وتوبتهم مع عصمتهم فان التوبة

رجوع

والاستغفار الصادرين من الانبيا وممن اقتدى بهم من خلص عباده فمعنى اخر
لطيفا في غاية الحسن اشار اليه بعض العلما وهو استدعا محبة الله اي طلب ان يريد
الله رضاه عنهم ومحبته لهم لما ورد في الحديث ان الله يفرح بتوبة عبده المومن والفرح
في حقه بمعنى الرضا عنه والانعام عليه ولتوبة الانبيا عليهم الصلاة والسلام مما صدر
منهم من ترك الاولى ولما يخطر بقلوبهم من انهم لم يودوا ما عبادته تعالى حقها فاذا
فعلوا ذلك مع ما هم عليه من المجاهدة زادت محبة الله تعالى لهم فلا يتوهم انه كيف يتوب من
لا ذنب له وكيف يستعمل الله على ما ابدوه من خلاف الواقع وقول بعضهم انه كلام ابن افرس
في محل النزاع من غير دليل كلام ركيك تركه خير منه قال الله تعالى ان الله يحب
التوابين اي المكثرين من قول اتوب اليك وان لم يكن له ذنب هضما لنفسه
لتوهمه قصوره ويحب المتطهرين مواظبا على طاهره او المراد به المحترزين
من دنس المعاصي وسائها المصنف رحمه الله ليكون دليلا على ما قاله قبله في احوال
الرسل والانبيا اي تجد بها ايجاد الاستغفار والتوبة والانابة والاوبة
اي ارجاع امورهم الى الله وهي الفاظ مترادفة ذكرها للتاكيد وللاشارة الى انها
وقعت منهم كثيرا بعبارات مختلفة تعبدا في كل حين اي في غالب اوقاتهم واكثرها
كما تقدم استدعا اي طلبا واصل معناه طلب الدعوة او الدعا فاستعمل مجازا
مرسلا في مطلق الدعوة ويجوز ان يكون استعارة لمحبة الله لهم والاستغفار فيه
معنى التوبة لانه طلب المغفرة وهي من الغفر وهو الستر اي ستر ذنوبهم بعفوها وبينهما
عموم من وجه فمن اقلع عن الذنب نادما عازما على عدم العود اليه من غير دعا بالمغفرة وتضرع
تايب غير مستغفر ومن استغفر كذبه من ذنبه مع عدم اقلاعه مستغفر غير تايب ومن جمع
بينهما مستغفر تايب وقد قال الله في القران لنبيه صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تاخر كما تقدم تفسيره وتلاوته لقد تاب الله على النبي
والمهاجرين والانصار الاية وكررها ثانيا لتم فتاب عليهم انه بهم رءوف رحيم لان
التوبة الاولى عن اذنه لمن تخلف من المنافقين في غزوة تبوك والثانية عن ان قلوبهم
كادت تزيغ لما ناله في غزوة العسرة او ذكر الاولى تفضلا منه والثانية عن الذنب
المذكور وقال عز وجل ايضا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فامره
باستغفاره وتسبيحه بحمده وقد ذكر انه كان عظيم التوبة عليه والكلام على هذا وانه
نعى له نفسه معلوم في كتب التفسير والحديث وكان صلى الله عليه وسلم يجتهد في العبادة
بعد نزول هذه السورة ويقول كثيرا في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك
اللهم اغفر لي ويقول بعد ما اوتيت فصل فقد استبان لك اي
تبين تبينا قبل هذا او السين هنا للتاكيد وليست للطلب هنا لانه ما يطلب من شانه
ان يتبا فيه وقيل انها للالطافة كما قيل تمار لو تعنت اي اطلت لان من تعنس دبي
بينات القول ويسهل عليه الالطافة لها وفيه ما لا يخفى ايها الناظر ما قررناه
ما في محل نصب مفعول ناظر وفي نسخة بما قررناه بالبا السببية فاذا تاملته

بان لك ما هو الحق وما هذه فاعل استبان بمعنى تبين لك وظهر الحق والامر المتحقق
المقرر مما فصله من عصمته صلى الله عليه وسلم بحفظه وخلقه سيرا من انبيا بعين لا
سيما من الجهل بمعرفة ذات الله وصفاته كساير الانبيا عليهم الصلاة والسلام
فان فطرتهم على التوحيد والعلم به وبصفاته والاقرار بذلك او تبين لك عصمته
من كونه اي وجوده وخلقه كساير الانبيا على حالة تنافي العلم بشي من ذلك
اي من ذات الله وصفاته كله جملة فهو لا يجهل شيا من ذلك اصلا لا سيما بعد النبوة
ونزول الوحي عليه لعظيم به بحيازته جميع الشرف والكمال لانه تعالى لا يصطفي الا
من هو كذلك اجماعا من كل المسلمين وعقلا لا تقتضيه العقل السليم له وقبلها اي النبوة
سمعا ونقلا لوروده في الاحاديث الصحيحة ولاتفاق ايمة الدين على عصمتهم من ذلك
قبلها ولو قال من عصمتهم كان احسن لعدم احتياجه للتقدير والمنصوبات تمييز وسمعا
موكد بقوله نقلا لحديث البخاري كل مولود وابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وهو
معنى قوله تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها كما تقرر في التفاسير وشروح الحديث
وفي المواقف عصمة الانبيا لا سيما نبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام من الجهل بالله وصفاته
قبل النبوة وبعدها اجماع عقلي لانه كفر والكفر لا يجوز على الانبيا قبل البعثة وبعدها عقلا
واجماعا وما وقع لابراهيم عليه الصلاة والسلام لالزام الحجة وليطمين قلبه لا لشك منه
كما تقدم وكذا كل ما يضاهيه من قصص الانبيا عليهم الصلاة والسلام ولا بشي معطوف
على قوله بشي قبله اي ولا كونه على حالة تنافي العلم بشي مما قررناه من امور الشرع
الذي اوحي اليه بتبليغه واداه اي اوصله وبلغه من ربه الوحي المامور بتبليغه لامته
قطعا اي مقطوع به متيقن بلا خلاف عقلا وشرعا لانه مناف لارساله به وامره
بتبليغه فكيف يجوز عليه جهل شي منه لان الانبيا عليهم الصلاة والسلام معصومون عن
ذلك لدلالة المعجزة على علمهم وصدقهم فيما بلغوه عن الله لانه لو لم يكن كذلك كان افترا على
الله وهو باطل عقلا وشرعا والظاهر انه لا يقع منهم ذلك سهوا ونسيانا ايضا وهو
مذهب ابي اسحق الاسفرايني وجوزه القاضي ابو بكر لعدم منافاته للمعجزة فانهم
لا يقرون عليه وكلام المصنف على خلافه وعصمته من الكذب معطوف على عصمته في
اول الفصل لما علمته من منافاة المعجزة له وخلف القول اي انه صلى الله عليه وسلم معصوم
عما يخالف الواقع من قول له ليلا يتهم في تبليغه منذ نباه الله وارسله لم يصدر عنه
شي منه وهو مستحيل منه قصدا او غير قصد واستحالة ذلك اي الكذب والخلف
عليه شرعا واجماعا من ايمة الدين ونظرا وبرهانا اي استحالته شرعا واجماعا
بما دل عليه النظر والدليل العقلي فهو متحقق عقلا ونقلا وسقطت الواو العاطفة
في بعض النسخ قبل قوله نظرا وهو احسن من ثبوتها في بعضها وتنزيهه اي تبريته
عنه اي عن الكذب قبل النبوة قطعا لتواتره وكان صلى الله عليه وسلم عندهم يسمى
الامين كما مر لانه مامون في اقواله وافعاله وتنزيهه عن الكباير اجماعا لرفعة
قدره عنها ولا يناقيه تجويز الحشوية له كما قيل لعدم الاعتداد بخلافهم وقوله ابن افرس

اجماعا اشارة لرد قول المعتزلة انه عقلا لا يمتنا به على الحسن والقبح العقليين **وعن الصغاير تحقيقا** اى امرا محققا و لتجويز بعضهم لها لم يقل اجماعا ويجوز ان يريد بقوله تحقيقا قصد المبالغة قوله **وعن استدامة السهو والغفلة** عطف تفسيري للسهو لبعد ساحة التبليغ عنها فان وقع منه عليه سرعة كما مر وقد قيل

يا سائلي عن رسول الله كيف سها والسهو من كل قلب غافل لاهي

قد غاب عن كل شيء سره فسها عما سوى الله في التعظيم لله

وتقدم كلامهم فيه وما فيه **وعن استمرار الغلط والنسيان عليه** حفظا له صلى الله عليه وسلم بايقاظ قلبه وتنبيهه **فيما شرعه للامة** لان استمراره مناف لتشريعه له **وعصمته** **في كل حالاته من رضى وغضب وجد** بكسر الجيم ضد الهزل **ومزح** لانه صلى الله عليه وسلم كما ورد كان يمزح ولا يقول الا حقا كقوله صلى الله عليه وسلم لامراة لا تدخل الجنة عجوز لانهن يعدن لسن الشبوبية **فيجب عليك** ايها الناظر انه خطاب لمن يرضه **ان تتلقاه** اى تاخذه **وتعلقه باليمين** اى بالقبول واليمن والبركة لانهم ياخذون لها ما يعتنون به فالشمال جعلت لسهل العمل لها عادة والعرب تقول لما تمدح به اخذه بيمينه ولذا قال الشاعر

اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

وتشد عليه اى على ما ذكر من تنزيهه صلى الله عليه وسلم عما ذكر **يد الضنين** بضاد معجمة ونونين كالبخيل وزنا ومعنى من الضنة وهو شدة البخل وهو استعارة تمثيلية بليغة كقول المتنبي وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه اى تحرص على حفظ ما ذكر من تنزيهه وقدره عما ذكر كحرص البخيل على ما في يده لشدة تعلقه به وخوفه من ذهابه منه وذكره مع اليمين مراعاة النظير وقد فسر اليمين بالقوة وهو غير مناسب هنا لما عرفته **وتقدر** بسكون القاف وكسر الدال من القدر وهو المنزلة الرفيعة كما في قوله وما قدروا الله حق قدره **هذه الفصول** المعقودة لبيان ما يجب اعتقاده في حقه صلى الله عليه وسلم **حق قدرها** اى تعظمها حق تعظيمها اللائق بها **وتعلم عظيم فائدتها** لانها مما يجب اعتقاده وينال به عند الله مثوبة عظمى **وخطرها** اى شرفها ومزيتها واصله ما يعطى عند الرهان لمن سبق فاستعير لما ذكر **فان من يجهل ما يجب** اعتقاده **للنبي صلى الله عليه وسلم او يجوز له** مما يصح في حقه **او يستحيل عليه** اى يمتنع في حقه شرعا وعقلا وعادة **ولا يعرف صور احكامه** اى الحكم المتصور في حقه من الوجوب والجواز والحرمة **لا يامن ان يعتقد في بعضها** اى بعض الصور او الاحكام **خلاف ما هي عليه** فيعتقد في حقه ما لا يجوز اعتقاده **ولا ينزهه عما لا يجوز** في حقه وفي بعض النسخ عما لا يجب اى لا يجوز كذا فسره بعضهم وفيه نظر **ان يضاف اليه** اى ينسب اليه ويوصف به **فيهلك** اى يقع في امر يكون سببا لهلاكه في الدنيا والاخرة **من حيث لا يدري** لعدم علمه بحقه وما يجب له وما يجوز عليه **ويسقط في هوة** بضم الهاء وتشديد الواو

الواو وهي العميق كالبير **الدرك** بتحقيق وقد تسكن الراء وهو ما ينزل به **الى الاسفل** من دركات المنازل **من النار** التعريف في النار للعهد والمراد نار جهنم التي في الاخرة وهي هنا مجاز عن محلها وهي تستعمل كثيرا بهذا المعنى وهي عبارة عن عذابه اشد العذاب في الاخرة بسبب ما ذكر ولذا علله بقوله **اذ ظن** هو مصدر يتعدى اسما فا لقوله **الباطل به** صلى الله عليه وسلم اى ظن ما ليس صحيحا في حقه **واعتقاده** على طريق الجزم به **ما لا يجوز** شرعا وعقلا **عليه** صلى الله عليه وسلم **يحل** بضم الياء وكسر الحاء المهملة وتشديد اللام وفاعله ضمير ما ذكر من الظن والاعتقاد اى يحل **صاحبه** اى صاحب ذلك الاعتقاد **دار البوار** اى يجعله حالا في دار البوار يعني جهنم والبوار بفتح الموحدة هو الهلاك وهو من اسمائها وضبط البرهان يحل بفتح اوله وضم ثانيه وصاحبه فاعله على هذا وهو جائز ايضا ولا يتعين الابدوانيه لذلك **ولهذا** المذكور كله من عظيم قدره وخطره ووجوب اعتقاد تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عما ذكره وان اعتقاد خلافه يهلك صاحبه ويخلده في الدرك الاسفل لما يؤدي اليه من الكفران بتنقيصه بما ذكر **احتاط** عليه الصلاة والسلام وفي بعض النسخ ما احتاط وما زائدة كقوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم والاحتياط افتعال من حاطه اذا اتخذ عليه حائطا ثم استعمل للمبالغة في الصيانة وفي الحفظ وفي الاساس احتاط واستحاط في امره بالغ في الاحتياط وتفسيره بالتحري في طلب الخير خشية **دكى** على من ذكر عبر لا يناسب هنا **على الرجلين اللذين رأياه ليلا** اى في ظلمة الليل **وهو معتكف في المسجد** يعني مسجده بالمدينة **مع صفية** ام المؤمنين وكانت جاءته تتحدث معه صلى الله عليه وسلم ثم قامت فقام معها يشيعها ليبيتها قرابه وابصراه فاسرعا وقوله في المسجد قيل انه متعلق برأياه لا بمعتكف ومع صفية حال من فاعل رأى اى رأياه مع صفية في بعض ازقة المدينة وقد جاءته تزوره لا انه على معتكف كما قيل والحديث في الصحيحين عن صفية بنت حيي بن اخطب بن سعية بسين مهملة مفتوحة وعين مهملة ساكنة بعدها مثناة تحتية وهاء او نون وكانت تحت الى الحقيق اليهودي فلما قتله صلى الله عليه وسلم واسلمت تزوجها وقصتها في السيرة **فقال صلى الله عليه وسلم لهما انها** اى التي رأيتماها تتحدث معي **صفية** زوجتي لا اجنبية وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال لهما لما اسرعا على رسلكما اى تمهلا انها صفية فقالا سبحان الله تعجبا من قوله سبحان الله صلى الله عليه وسلم ما ذكر لظنه انهما ظنا به ما لا يليق بمقامه وقد قال الحفاظ انهما لم يعرفا ولم يسميا في شيء من كتب الحديث الا ان ابن العطار تلميذ النووي قال في شرح العمدة زعم بعضهم انهما اسيد بن حضير وعباد بن بشر ووقع في رواية سفيان في البخاري فابصره رجل من الانصار بالافراد وفي اخرى وهما من الانصار فيحتمل تعدد القصة وقال ابن حجر الاصل عدم التعدد فهو محمول على ان احدهما كان تابعا للاخر فخص احدهما بخطاب المشافهة **ثم قال** صلى الله عليه وسلم **لهما** بعدما قال لا ان **الشيطان**

يجرى من ابن ادم يوسوسه له فى باطنه مجرى الدم وهو داخل عروقه وفى رواية
انى خفت ان تظنا بى ظنا ان الشيطان الخ والمراد بابن ادم الجنس فيشمل النسا وجريانه
مجرى الدم قيل انه على ظاهره وانه اقدره الله على الدخول فى عروق الناس ويتصل
بقلوبهم وقيل انه تمثيل لشدة اتصاله به ولزومه له وانى خشيت عليكما ان يقذف
اى يلقى ويوقع الشيطان فى قلوبكما شيا من الظن السوء فتهلكا فتقعا فى اثم
يهلككما الله بما يحل بكما من العقوبة على ذلك الذنب فخشى صلى الله عليه وسلم عليهما ان
يلقى بينهما الشيطان فيلقى فى قلوبهما سوء ظن به وانه يتكلم مع اجنبية فيوديهما ذلك
الى تنقيصه وهو كفر يستحقان به دخول النار فيهلكا فبادر لاعلامهما بما ينقذهما
من الهلاك والحديث فى البخارى وغيره كما مر وفيه جواز خروج المعتكف من المسجد
لحاجة والارشاد للاحتراز من محل التهم وانه ينبغى للعالم ان يرشد غيره لما فيه خير
له الى غير ذلك من الفوايد التى لا تحصى قال القاضى عياض المولف رحمه الله هذه اى
معرفة ما يجب اعتقاده فيه صلى الله عليه وسلم من عصمته من ساير الذنوب لئلا يهلك
ان اعتقد خلافه اكرمك الله اى جعلك الله مكرما بما هداك له مما يجب عليك معرفته
احدى فوايد ما تكلمنا عليه هو خبر هذه المبتدا وما بينهما من الجملة الدعايية
اعتراض فى هذه الفصول بصاد مهملة جمع فصل اى السابقة فى بيان عصمة الانبيا
عليهم الصلاة والسلام وما يجب لهم علينا ولعل جاهلا لا يعلم بجهله لانه هو الذى
يخشى عليه من هذا اللوم ولعل هنا للاشفاق عليه وخوفه من هلاكه اذا سمع شيا
منها اى من الفصول المعقودة لتنزيه الانبيا عليهم الصلاة والسلام عن النقايص يرى
ويعتقد ان الكلام فيها جملة اى جميعا فهو منصوب على الحال من فضول العلم خبر
ان جمع فضل غلب على الامر الذى يعد عبثا ومنه الفضولى ولذا نسب للجمع فيه وهو بضاد
معجمة بمعنى زيادة وان السكوت عن ذكرها اولى من ذكرها وهو جهل عظيم منه لانها
من اهم الامور وقد بان لك مما قررناه انه امر متعين واجب ذكره واعتقاده
للفايدة التى ذكرناها وهى ان فيها النجاة من الهلاك كما يرشد اليه حديث
صفية الذى ذكره وفيه فايدة ثانية غير الذى قدمه يضطر اليها الجهول
اى يحتاج اليها احتياجا شديدا لانها من ضروريات الدين فى اصول الفقه
اى فى القواعد الفقهية او فى علم اصول الفقه ويبنى عليها اى يترتب ويتفرع
○ مسايل لا تعد من الفقه اى مسايل الدين الشرعية وفروعه اى لا تعد لكثرتها
الا ان الاتيان لمن العد قليل فى الاستعمال الا انه قيل لغة ردية لانها تعد
ويتخلص بها اى يخرج من عهدتها ويسلم من تشغيب تفعيل من الشغب بفتح الغين
المعجمة وسكونها وهو تهييج الشر والصياح فى الخصومة مختلفى الفقها اى اقوال
الفقها المختلفة فى عدة منها اى فى عدة مسايل تتعلق بالاعتقاد فيما يجوز على الانبيا
عليهم الصلاة والسلام ويجب لهم وهى اى الفايدة المضطر اليها الحكم فى اقوال
النبى صلى الله عليه وسلم وافعاله التى هى نمط سنته الواردة فى حديث لانها

صفاته

صفاته واقواله وافعاله وتقريراته فى جميع احواله من الغضب والرضى والصحة والمرض
وغير ذلك مما ثبت له الصحة ولابى شامة رحمه الله كتاب مستقل فى افعاله صلى الله عليه
وسلم وما يجب الاقتدا به ويختلف فان منها ما هو قربة وضرورة وامور عادية وجبلية
اختلفوا فى لزوم الاقتدا به فيها واستحبابه فيما لم يعلم انه قصد به التشريع فمذهب
الباقلانى والغزالى الى انه يندب التاسى به فى الامور الجبلية ولابى اسحاق فيها
وجهان فيها انواع ثلاثة بالندب والاباحة والامتناع كذهابه للعيد من طريق
ورجوعه من اخرى وهذا كله فيما لم يعلم حكمه بنص منه او من الصحابة رضى الله عنهم
ولم يعلم انه من خصوصياته صلى الله عليه وسلم وهو باب عظيم شانه واصل كبير
من اصول الفقه وقواعده المهمة لانبنا كثير من احكام الشرع عليه ولا بد من
بنايه اى جعله مبنيا على اساس وقاعدة يرجع اليها وهى انه متفرع على صدقه
صلى الله عليه وسلم فى اخباره وبلاغه اى ما يبلغه لامته ومن بعث لهم ابتدا وارشاده
وانه لا يجوز عليه السهو فيه اى فيما يبلغه عن ربه لعصمة الله له عنه لمنافاته لكونه
صلى الله عليه وسلم ارسل مشرعا مبينا لما امر به وعلى عصمته من المخالفة فى افعاله
الصادرة عنه عمدا فلا يتوهم جوازه عليه ولا اعتقاده ويختلف بكون المبنى اختلافهم
على مقداره فى وقوع الصغاير من الانبيا كلهم عليهم الصلاة والسلام لاسيما نبينا
صلى الله عليه وسلم ووقع خلاف بين الفقها وفى نسخة اختلاف فى امتثال الفعل
اى اتباعه بمجرد صدوره منه وعليه اكثر فقها المذاهب وقد بسط اى وضح وبين
وذكر بيانه فى كتب ذلك العلم يعنى الفقه واصوله فلا نطول به الكلام فى هذا
الكتاب لانهم جزاهم الله خيرا كفونا مونته ولا حاجة لاعادته هنا وفايدة
ثالثة يحتاج اليها الحاكم اى القاضى وغيره والمفتى اى المجيب السايل عن الامور
الشرعية من علما الشرع واحكامه فيمن اضاف بنسبته ووصفه للنبى صلى الله
عليه وسلم شيا من هذه الامور التى تجوز او تجب او يمتنع عليه ووصفه بها صريحا
او ضمنا قولا او فعلا حتى لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه من الاوصاف ولم يعرف
ما وقع الاجماع فيه نفيا واثباتا ولم يعرف ما وقع الخلاف فيه جوازا او نفيا
كيف يصمم اى يجزم او يعزم عليه فى الفتيا فى ذلك اى امر الانبيا عليهم الصلاة
والسلام منعا وجوازا وفى نسخة الفتوى وفى القاموس افتى فى الامر ابانه والفتيا
والفتوى ويفتح ما افتى به الفقيه انتهى وفيه تفصيل فى المصباح كغيره ومن اين
يدرى ويعلم هل يعقل وانتقل هل ما قاله فى حق الانبيا فى فتواه او حكمه فيه
نقص لهم او مدح لهم حتى يقدم عليه حكما وافتا فاما ان يجترى اما بكسر
الهمزة وفتحها كما حرر فى كتب العربية والاجترا الاقتحام من الجراة وهى الاقدام
على الشى من غير مبالاة بما فيه من الضرر وبينه وبين الشجاعة عموم وخصوص كما
بين فى كتب الاخلاق على سفك دم مسلم حرام بان يحكم او يفتى بكفره وقتله وهو
غير مستحق لذلك والسفح والسفك بمعنى الاراقة والصب تنبيه قال فى العقايد

العصمة لا يكفر احدا من اهل القبلة الا فيما فيه نفي الصانع المختار او ما فيه شرك او انكار النبوة او انكار ما علم من الدين بالضرورة او انكار مجمع عليه قطعا او استحلال محرم واما غير ذلك فالقايل به مبتدع وليس بكافر انتهى وسياتي بيان ذلك واعلم ان شيخ والدي ابن حجر الهيتمي قال في شرح المنهاج نقلا عن الزركشي انه وقع في كتب الحنفية هنا واهم من التكفير بالفاظ كثيرة كان المتورعون من متاخريهم ينكرون اكثرها لمخالفتها لاصول ابي حنيفة وغيره بل هم وغيرهم من اهل الاجتهاد فليحذر من الاخذ بها ومنها ما افتى به على قايلها ان من قال في قوله صلى الله عليه وسلم من كفر مسلما بغير حق فقد كفر انتهى وفي الفتاوى البزازية حكي عن بعض السلف انه قال ما في الفتاوى من التكفير بكذا او كذا فذلك للتخويف والتهويل وهو كلام باطل وحاشا ان يلعب امنا الله تعالى على الاحكام من الحلال والحرام ويكفر اهل الاسلام بل لا يقولون الا الحق الثابت عن سيد الانام وما ادى اليه اجتهاد الامام اخذا من نص كلام الملك العلام او حديث سيد الرسل العظام انتهى وهذا يحتمل ان يكون تابعا لما قاله ابتداء انهم لا يقولون الا ما نص عليه امام مذهبهم مستند الى دليل من القران او الحديث الصحيح او هو اعتراض على الجواب بان المقصود به التخويف والتهديد بانه لا يصح مثله من الشارع الا في الحديث والتنزيل اما في كتب الفقه الموضوعة لبيان الحلال والحرام وتعليم الناس حتى العوام فلا يصح فيها مثله لما فيه من التلبيس او يسقط حقا من حقوق النبي صلى الله عليه وسلم مما يوهم نقصا فيه او يضع حرمة النبي صلى الله عليه وسلم اي امرا مختصا له صلى الله عليه وسلم كتجويز المعاصي عليه ونحوه مما لا يليق به فلا يجوز لمسلم ان ينسب لنبينا وغيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام امرا ما في عصمتهم عمدا او سهوا قبل النبوة وبعدها وهو الذي ارتضاه اكثر من ايمة الدين واهل الاصول كما مر ثم ان المص شرع في بيان عصمة الملايكة عليهم الصلاة والسلام كما وردت به النصوص فقال وسبيل هذا الباب يعني في اي ما ذكر في طريق هذا وفي نسخة وسبيل هذا بدون با وهذا اشارة لما ذكر من عصمة الانبيا ما قد اختلف ارباب اي اصحاب الاصول اي علما اصول الدين في العقايد وايمة العلما اي كبار علما الشرع المقتدى بهم والمحققين اي اهل التحقيق من اعلامهم في عصمة الملايكة عليهم الصلاة والسلام لانهم لا يعصون الله ولا يفعلون الا ما يومرون فهم مثلهم في جريان الخلاف فيما هو لازم لهم والصحيح والصواب فيه

مطلب

فصل

في تحرير القول في عصمة الملايكة جمع ملك والتا لتانيث الجمع وفي اشتقاق الملك خلاف لاهل اللغة المشهور انه من الالوكة وهي الرسالة لانهم رسل الله يرسلهم لما يريد واصله مالك ثم قلب ثم نقل ثم جمع على ملايكة واختلفوا في حقيقتهم والصحيح انهم اجسام لطيفة قادرة على التشكل وفي تشكلهم كلام ليس هذا محله وليس الجن منهم على الصحيح خلافا لمن ذهب الى انهم جنس واحد وقد بيناه في حواشي التفسير وتقدم الكلام في معنى العصمة

قال

قال الجلال الدواني العصمة عندنا ان لا يخلق الله فيهم ذنبا وعند الفلاسفة ملكة تمنع الفجور انتهى اتفق المسلمون وفي نسخة اجمع المسلمون على ان الملايكة مومنون بالله ورسوله وشرايعه كما وصفهم الله في القران فضلا اي ذو قدر معظم مبجل واتفق ايمة المسلمين من علما الملة الاسلامية على ان حكم المرسلين منهم حكم النبيين من البشر فهم سوا اي مساوون لهم في العصمة وتنزيههم عما ينزه عنه لشرف قدرهم مما ذكرنا عصمتهم منه من الكباير والصغاير كما تقدم تفصيله والجار والمجرور متعلق بالعصمة قال الله تعالى الله يصطفي من الملايكة رسلا قال ابو احدى الملايكة منهم رسل كجبرايل واسرافيل وميكايل وعزرايل ومنهم غير رسل وقال بعضهم كلهم رسل ارسل بعضهم لبعض منهم وبعضهم الى الناس كجبريل والحفظة والمص تبع فيما قاله الواحدي وهو المشهور في كلامه اشاروا الى ان من انكر الملايكة ليس مسلما كالفلاسفة فانهم ذهبوا الى انها ارواح الفلكيات وعقولها لقولهم انها حية فعالة لا عقول روحانية كما فصل في كتب الحكمة ومطولات الكلام والنصوص القرانية شاهدة بخلافه وانهم اي رسل الملايكة في حقوق الانبيا من حيث الوساطة بين الله وبينهم والتبليغ اليهم فيما امرهم الله ان يبلغوه اليهم من الوحي فما لهم معهم كالانبيا عليهم الصلاة والسلام مع الامم في تبليغ الاحكام اليهم وبيان المصالح لهم حسبما امرهم الله به والمراد بعصمتهم انهم لا يخالفون امر ربهم ولا نهيا لان الله لم يخلق لهم شهوة ودواعي كما في الطباع البشرية وهو ظاهر غني عن البيان خلافا لمن تصدى للجواب عنه واختلفوا في غير المرسلين منهم اي من الملايكة هل هم مساوون لهم في العصمة كما تقدم وعدمها فذهبت طايفة من ايمة الدين الى عصمة جميعهم من الرسل وغيرهم من المعاصي جميعها لان الله تعالى لم يخلق فيهم شهوة ولا داعية لها واحتجوا لعصمتهم من جميعها وفي نسخة احتج اي الفرقة والاولى اولى بايات كقوله لا يعصون الله ما امرهم منصوب على نزع الخافض اي فيما امرهم او بدل اشتمال من اسم الله اي امره ويفعلون ما يومرون به اي يبادرون بفعله من غير تثبط ولا تاخير فعلى هذا ليس تاسيسا وان حمل على ظاهره فهو تاكيد والعطف بالواو يبعده فتامل ولا دليل في هذه الاية لمدعاه من العموم لانه عايد على خزنة النار قبله في قوله عليها ملايكة غلاظ شداد وهم التسعة عشر وبه فسر في الكشاف فكانه لاحظ عدم الفرق بينهم وبين غيرهم ولا يخفى ما فيه وبقوله وما منا الا له مقام معلوم لا يتعداه لغيره حسبما امر ووقف عنده في الموصوف اي ما احد منا او ما منا فريق وانا لنحن الصافون اي الواقفون صفوفا كصفوف الملايكة للصلاة في المقام المعين لنا ولما امرنا به وتقديمه لصافين انه ليس في الصلاة لا وجه له هنا كما قيل وانا لنحن المسبحون اي الملازمون لتقديس الله وتنزيهه عما لا يليق بشانه وقيل معناه المصلون العابدون كما ورد في الحديث ان لهم صفوفا كصفوفنا وبقوله ومن عنده اي الملايكة المقربون مكانة لا مكانا لتنزه الله عنه لا يستكبرون عن عبادته اي يتذللون ويخضعون لعظمة الله ولا يستحسرون اي لا يتعبون ويملون من العبادة التي امروا بها وبقوله ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته

ابن اقبوس

ابن اقبرس

دحي

الاية لتلذذهم بعبادته وقوله كرام بررة صفة سفرة جمع سافر وهو الكاتب وهم
الكرام الكاتبون من الملائكة والبررة جمع بار وهو المطيع المتقي ربه واما البر فجمع ابرار
وقوله لا يمسه الا المطهرون هذا على ان المراد به لا يمس القرآن في اللوح المحفوظ
او في غيره الا الملائكة المطهرون من الكدورات الجسمانية والعلائق البشرية وقد فسر
بانه لا يجوز ان يمسه من الناس الا من تطهر من الحدث او لا يمسه الكفرة لنجاسة كفرهم
فهو نفي بمعنى النهي ولا شاهد فيه على هذا كما انه لا شاهد في قوله وما منا الا له مقام
معلوم اذ فسر بانه ما من احد من المسلمين الا له مقام في الاخرة او يوم القيمة وقد يقال ابن قبرس
ايضا انه لا شاهد فيه على رسل الملائكة اذ لا تخصص فيه وقد اشار الى عمومه في الكشاف
ونحوه مما هو بمعناه من السمعيات اي النصوص القرآنية الواردة في حق الملائكة
كقوله تعالى لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون او ما هو مسموع من الشارع من كتاب
وسنة وذهبت طائفة من العلماء الى ان هذا اي ما ذكر من امر العصمة خصوص
اي مخصوص كما وقع في بعض النسخ للمرسلين والمقربين منهم اي من الملائكة دون
غيرهم والمقربون هم الكروبيون بتشديد الرا وتخفيفها وانشد ابو علي كروبية منهم
ركوع وسجد وكافه مبدلة من القاف او اصله من كرب بمعنى دنا ايضا او هو كرب الحلق
اي قوي به سموا به لقوتهم او لصبرهم على العبادة او هو من الكرب لشدة خوفهم من الله واحتجوا
باشيا ذكرها اهل التفاسير نحن نذكرها ان شا الله وفي نسخة بعد انشاء الله على
الضم ونبين الوجه فيها اي القول الموجه المرضي مستعار من الوجه المعروف والصواب
عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم اي كمال مقامهم الرفيع العالي منزلة عند الله عن
جميع ما يحط اي ينقص وينزله من حط الحمل اذا انزله من مكان عال الى اسفل منه من رتبتهم
ومنزلتهم هو معنا معهم عن جليل مقدارهم اي قدرهم الجليل فهم معصومون عن جميع
الذنوب كبيرها وصغيرها ولا يجوز ذلك عليهم ولا يقدرون عليه ورايت بعض شيوخنا
اشار اي قال والاشارة تطلق بهذا المعنى لكنها الى ان بفتح الهمزة مخففة من الثقيلة
اي انه لا حاجة بالفقيه قيل الباء بمعنى اللام اي لا حاجة له الى الكلام في عصمتهم قيل لكننا دلجي
بما ورد واشتهر في حقهم ومدحهم من النصوص في القرآن والحديث وقيل لانه لكونهم غير مرسلين
لنا ولم نؤمر باقتدائهم بخلاف الانبيا عليهم الصلاة والسلام فانا متعبدون لاقوالهم وافعالهم
مقتدون بهم فلا بد من معرفة عصمتهم واعتقادها للوثوق بهم حين يجب امتثال اوامرهم
ونواهيهم للامم وقيل انما اراد انه يجب الكف عن الكلام في جميعهم لانه امر مشكل لا يتكلم فيه ابن قبرس
الا بدليل قطعي لانه لا فائدة فيه وانا اقول ان الكلام في ذلك اي في عصمة الملائكة
لازم كالكلام في عصمة الانبيا وفي نسخة ان الكلام في ذلك ما للكلام في عصمة الانبيا
من الفوايد الثلاثة التي ذكرناها فانهم وسايط بين الله ورسله وتشبيههم للرسل
كتشبيه الرسل لامهم فلو لم يكونوا معصومين لم يحصل الوثوق للرسل بما يجيئوه ويرى ذلك
لنا فلا فرق اذن سوى فائدة الكلام في الاقوال والافعال اي الفائدة التي
ذكرها في اقوال الرسل وافعالهم فهي ساقطة هنا اي في حق الملائكة لعدم اطلاعنا

على

على اقوالهم وافعالهم ولسنا مكلفين باتباعهم فيها كالانبيا عليهم الصلاة والسلام فلا داعي
لعصمتهم فيها عمدا او لا سهوا لعدم طريقها لا يليق وما احتج به من لم يثبت عصمة جميعهم
وقال بوجوب عصمة الرسل منهم فقط قصة هاروت وماروت هما علمان لملكين بابل
ممنوعان من الصرف للعلمية والعجمة ولو كانا عربيين من الهرت والمرت صرفا وما
ذكروا فيها اي القصة اهل الاخبار وعلما التاريخ ونقله جمع ناقل مثل كاتب وكتبة مضاف
لقوله المفسرين اي من اعتمد على النقل من المصحف دون تحقيق وفي نسخة ونقله المفسرين
بفعل ماض وفاعل وما روي عن علي وابن عباس في خبرهما وابتلائهما بفتنة المرأة
وعقابهما على ما نقلاه كما ستسمعه قريبا مع ما فيه ردا او قبولا وما وقع من السحر فتنة
للناس وان السحر من اعتقده وعمل به فقد كفر كما يأتي واما من تعلمه لتوقيه وتداوي
منه فلا كما قيل عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه
ويلقيها فيه وفي قتل الساحر كلام طويل الذيل ليس هذا محل تفصيله فاعلم خطاب عام
لكل واقف على هذا الكلام طالب للعلم به اكرمك الله بعد ابتك للحق ان هذه الاخبار
المذكورة في قصة هاروت وماروت لم يرو منها شيء عن يعتد به من المحدثين لا سقيم
اي ضعيف ولا صحيح ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو اي ما
تضمنه قصتهما شيئا يؤخذ اي يستنبط بقياس وفي نسخة بالقياس اي ليس مما يجري
فيه القياس على غيره مما ورد من الايات والاحاديث الصحيحة فلا ينبغي الخوض فيه
نفيا واثباتا وهذا الذي ذكره من انه لم يرد فيه حديث ضعيف ولا صحيح ردوه كما نقله
السيوطي في مناهل الصفا في تخريج احاديث الشفا بانه ورد من طرق كثيرة منها ما في مسند
احمد عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعا ورواه ابن حبان والبيهقي وابن جرير وابن حميد
في مسنده وابن ابي الدنيا وغيرهم من طرق عديدة وقال ابن حجر في شرح البخاري ان له
طرقا تفيد العلم بصحته وكذا في حواشي البرهان الحلبي وذكره مسندا عن ابن عمر رضي الله
عنهما انه سمعه صلى الله عليه وسلم يقول لما اهبط الله ادم الى الارض قالت الملائكة اتجعل
فيها من يفسد فيها الاية قالوا ربنا نحن اطوع لك من بني ادم فقال الله هلموا ملكين يهبطا
للارض قالوا ربنا هاروت وماروت فاهبطا فتمثلت لهما الزهرة امراة حسنا من
البشر فراوداها عن نفسها فقالت لا والله حتى تتكلما بهذه الكلمة من الشرك فابيا فذهبت
واتت بابن جارتها تحمله فراوداها فقالت لا حتى تقتلا هذا الصبي فقالا لا ثم راوداها
مرة اخرى فاتت بقدح خمر فقالت لا حتى تشرباه فشرباه وسكرا فتكلما بكلمة الكفر وقتلا
الصبي فخيرهما الله بين عذاب الدنيا فعلقا بين السما والارض والزهرة بضم الزاي وفتح
الهاء وتسكينها لحن ولا مانع منه تخفيفا ويقال لها بالفارسية اناهيد وتخفف فيقال ناهيد
وفي رواية ابن عباس انه سالاها بحكمان بين الناس وان الزهرة قالت لهما اخبراني بما
تصعدان به الى السما قالا باسم الله الاعظم وعلماها اياه فطارت الى السما فمسخت
كوكبا وقد جمع الجلال السيوطي طرق هذا الحديث في تاليف مستقل فبلغت نيفا وعشرين
طريقا وقوله والذي منه اي من ذكر هذه القصة في القرآن جواب سوال تقديره

انك قلت ان هذه لم تثبت عنه صلى الله عليه وسلم فما تقول فى ذكرها فى القرآن فى قوله تعالى
واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا
يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من
احد حتى يقولا انما نحن فتنة الاية فاجاب بقوله اختلف المفسرون فى معناه اى
معنى ما ذكر فى هذه الاية فانكر ما قال بعضهم فيه اى فى معناه كثيرٌ من السلف
كما سنذكره فلا حاجة لذكره هنا وهذه الاخبار التى ذكرها بعض المفسرين منقوله
من كتب اليهود فى الاسرائيليات وافترائهم اى كذبهم على انبيا الله وملائكته عليهم الصلاة
والسلام كما قصه الله اى حكاه فى اول الايات من افترائهم بذلك على سليمان وتكفيرهم
اياه اى نسبته الى الكفر الذى رده الله تعالى بقوله وما كفر سليمان الخ وقد انطوت اى
اشتملت واحتوت هذه القصة على شنع عظيمة بضم الشين المعجمة وفتح النون وعين مهملة
جمع شنعة اى قبيحة شايعة من شنع عليه اذا اشاع قبايحه وذلك كما ياتى بيانه انهم كتبوا
سحرا ونيرنجيات على لسان اصف بن برخيا وزير سليمان عليه الصلاة والسلام ودفنوها
تحت مصلى سليمان فنزع ملكه ثم لما مات استخرجوها وقالوا انما ملككم بهذه فانكرها
صلحاؤهم واقبل عليها السفلة ورفضوا كتب انبيائهم ونسبوا سليمان عليه الصلاة والسلام
للكفر والسحر نبراه الله منه وها نحن نحبر اى نحرر نحريرا احسنا من حبره بمهملتين
بينهما موحدة اذا احسنه وزينه وفيه تورية لانه يقال حبره اذا كتبه بالحبر ففيه ايهام
لمعنى نكتبه لنبينه فى ذلك المذكور فى قصة هاروت وماروت ما يكشف غطا
هذه الاشكالات اى ما يزيل لبسه واشكاله ببيان الحق فيه وفيه استعارة مكنية
وتخييلية او تصريحية باستعارة الكشف للازالة والغطا للبس ان شا الله اى
ان اراده بمنه وبركته فاختلف اولا فى هاروت وماروت اى فى حقيقتهما وجنسهما
لان بيان الحقيقة ينبنى تقديمه على بيان احوالهما وهل هما ملكان بفتح اللام
فى جواب هذا السوال فهو تفسير للاختلاف وجهته او انسان نسبة الى الانس
خلاف الجن اى من بنى ادم وهل هما المراد بالملكين فى قوله وما انزل على الملكين فى
الاية بان يكونا بدلا منه ام لا وهل القراة ملكين بفتح اللام وهى قراة السبعة او
ملكين بكسرها وهى قراة شاذة منقولة عن الحسن البصرى وغيره كما ياتى وهل ما فى
قوله وما انزل على الملكين وفى قوله وما يعلمان من احد نافية او موجبة اى
غير نافية من الايجاب ضد النفى فهى على هذا موصولة او موصوفة وهو الظاهر وكونهما
ملكين بالفتح مذهب الجمهور وقراته متواترة وعلى قراة الكسر يلزم كونهما انسيين
لتصور البصريين الاصلية لانه المتبادر وكونهما من الملائكة امرهما الله بالهبوط للارض
والحكم بين الناس كما تقدم فى الحديث متصورا بصورة البشر لقد زينهما على الشكل
بعيد من دلالة اللفظ والاحتمال البعيد لا يعول عليه فالمراد هنا غير صحيح والقايل عرضي
بانهما ملكين بالكسر استدل بظاهر حديث روته عايشة رضى الله عنها ان امراة قالت
لها انى رايتهما رجلين معلقين بارجلهما وفيه الاحتمال السابق ايضا فلا احتجاج به غير

تام فان كانت ما فى وما انزل نافية كان معطوفا على ما كفر سليمان اى لم يكفر ولم ينزل
على الملكين شى من السحر وهاروت وماروت بدل من الشياطين بدل بعض وما بينهما
اعتراض وهو رد على اليهود لعنهم الله فيما افتروه على الانبيا والملائكة والا فهى
موصولة او موصوفة وقوله من احد اى كونها غير نافية ولذا قال بعض الشراح انه
لم يذكره احد من المفسرين وان الذى عليه غير ظاهر والكلام فى ذلك مفصل فى
التفاسير قال بعض المفسرين يقول ان الله امتحن الناس بالملكين اى ابتلاهم وعاملهم
معاملة المحنة لامرهم حتى يظهر حالهم والملكين تثنية ملك بفتح اللام فانزلهما لتعليم
السحر لهما وتبيينه وان عمله كفر وفى نسخة عمله بتقديم الميم على اللام وجعله
كفرا مبالغة لانه سببه فهو مجاز كزرعنا الغيث والمطر فمن تعلمه وعمل به معتقدا حله
كفر لاعتقاده ما هو حرام اجماعا حلالا ومن تركه امن اى دام وهو مومن على ايمانه
ان الكافر بمجرد تركه السحر لا يصير مومنا وهذا مذهب مالك وعزاه المصنف فى شرح
مسلم الى سيدنا احمد بن حنبل فهو عندهما كافر يقتل ولا يستتاب كالزنديق عنده
وهو عند الشافعى كبيرة ان لم يكن فيه ما يقتضى الكفر فلا يقتل وتقبل توبته فان قتل
بسحره قتل قصاصا عنده وقيل تلزمه الدية والكفارة وعند غير الشافعية فيه خلاف
ودليل مالك ما قال الله عز وجل انما نحن فتنة فلا تكفر فان قولهما له على
طريق النصح حتى روى انه مكرره سبع مرات يقتضى انه كفر وما قيل من انه لا دليل فيه عرضي
لاحتمال ان الله يبتليه بسلب الايمان منه اى لا تفعله فانه سبب لسو الخاتمة خلاف
الظاهر ويعلمانها للناس تعليم انذار مبتدا او خبر والناس مفعول المصدر
الاول وهو جواب عما استدلوا به اى انما علموه لهم ليحذروه ويجتنبوه فهو انذار
وتحذير لهم من وباله وتخويف منه بقوله اى يقولان يعنى الملكين لمن جا يطلب تعلمه
منهما لا تفعل اى لا تتعلمه وفى نسخة لا تعلموا فانه يفرق بين المرء وزوجه
اى هو سبب لذلك بما يلقيه فى قلبهما من البغض الموجب لمفارقة احدهما الاخر وما
هم بضارين به من احد الا باذن الله اى بتقديره وارادته والسحر له تاثير ان غير ذلك
وانما خصه لكثرته والجمهور على ان السحر له حقيقة يحدث عند نطقه ببعض الكلمات او
فعل بعض الاشيا بخاصية اوجدها الله عنده وقيل انه تخييل باطل وانه لا اثر له
غير تفريق الزوجين والاول هو الصحيح كما قاله المازرى ولا تتحيلوا ايها الخلق افتعل
من الحيلة بالحا المهملة اى لا تباشروا حيل السحرة التى تفعلونها من التمويه والنفث
فى العقد ونحوه وروى لا تتخيلوا بما يعجز من التخيل وهو ظن الشى على خلاف ما هو عليه
والاكثر على الاول وتوبيخه تعقدوه بالبا او فى سببية فانه سحر اى امر غير محمود
ولا حائز فلا تكفروا بفعل هذا لانه كفر او موديه كما بيناه فعلى هذا اى ان
تبيينه لانذار الناس من الوقوع فيه فعل الملكين فى السحر بعد تبيينهما عنه وبيان
ضرره وكفر فاعله طاعة لما فيه من النهى عن المنكر وتصرفهما فيما امرا به
اى امرهما الله باظهاره وبيان حاله ليس بمعصية يستدل بها على عدم عصمة بعض

الملائكة وهو جواب عن سؤال تقديره اذا فعلا ما هو غير جائز في نفسه بانه في حقهما جائز كالمفتي والواعظ التي يتكلم بكلمات الكفر ليجتنب وهو مامور به لذلك فهو في حقه غير ممنوع وهو تفسير هنا فتنة بلية لتفلكه بعقاب الله وروى ابن وهب هو الامام عبد الله بن وهب البصري وقد تقدمت ترجمته عن خالد بن ابي عمران التجيبي التونسي قاضي افريقية ومحدثها توفي سنة مائة وتسعة وثلاثين واخرج له اصحاب السنن ووثقوه وكان مستجاب الدعوة وله تفسير انه ذكر عنده هاروت وماروت وكونهما يعلمان السحر من طلب تعلمه منهما فقال نحن ننزههما عن هذا اي تعليم السحر فقرا بعضهم رد المائل له بانه مخالف لظاهر قول الله وما انزل على الملكين الاية احتج لها بناء على الظاهر من ان ما موصولة وعلى قراءة الجمهور بفتح اللام فقال خالد مجيبا له لم ينزل عليهما بناء للفاعل او المفعول وهو انكار لما قاله وانه ليس ما فهمه مراد الله وان لها معنى غير ما يظهر منها كما ياتي وسياتي ان شاء الله تعالى فهذا خالد على جلالته اي عظم قدره وجلاله وشهرته كانه حاضر مشاهد عنده وعلمه بالتفسير والحديث نزههما اي الملكين عن تعليم السحر الذي قد ذكر غيره انهما اذن لهما في تعليمه لان الله امرهما بتعليمه انذارا للناس وليس معصية في حقهما كما سمعته انفا بشريطة بمعنى شرط كما وقع في بعض النسخ ايضا ان بينا انه كفر فيعلم ما فيه من المحذور وانه امتحان من الله وابتلاء عطف تفسير فتفسيرها له جعل ما موصولة ايجابية مثبتة لانزال السحر عليهما وهو عنده نافية كما ياتي وكنه امر بتعليمه لانذارهم وتحذيرهم من مضاره وبيان انه ابتلاء من الله فكيف لا ينزههما هو مصدر مسند الى خالد او لمشاة تحتية وقيل انه مبدو بالنون مسند للمتكلم وغيره اي كيف لا ننزه نحن الملكين عن الكبائر والصغائر كشرب الخمر وقتل النفس والزنا والكفر بالتكلم بكلمة الكفر ونحوه المذكورة في تلك الاخبار التي رويناها كما سمعته وفصلناه فرينة تنزيههما عن هذا بعلم من تنزيه خالد لهما عن السحر وتعليمه بشرطه المذكور بالطريق الاولى وقول خالد الذي نقله المصنف عنه لم ينزل عليهما بالتشديد والتخفيف مبنيا للمجهول الذي دل عليه قوله وما انزل على الملكين الخ يريد بقوله ذلك ان ما في هذه الاية نافية وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وبه اقتدى خالد وهو يقول كما في بعض الشروح ان المراد بالملكين جبريل وميكائيل وهاروت وماروت بدل من الشياطين بدل بعض وغيره لم يذهب لهذا كما تقدم وهذا القول لم يقل به جمهور المفسرين والمحدثين كما عرفته قال مكي في تفسيره وقد تقدمت ترجمته وتقدير الكلام عند ابن عباس وخالد اذا كانت ما نافية وانه معطوف على نفي له وما كفر سليمان نبي الله صلى الله عليه وسلم يريد بالسحر الذي افتعلته الشياطين عليه اي افترته وكذبت في نسبته اليه قال في الاساس مفتعل مختلق مصنوع بني لا اصل له قال ذو الرمة

غرايب قد عرفن بكل افق ... من الافاق تفتعل افتعالا

دجى

ابن الفرس

فاتبعتم

فاتبعتم في ذلك اليهود كما قيل ان الشياطين دفنت كتب السحر تحت كرسيه فلما مات وذهب علماء ملته في لوان تحت كرسيه كذا فحفروا ما تحته فوجدوا الكتب فقالوا ان سليمان كان ساحرا فلما نزل القران بذكره قال اليهود انه ساحر فنزلت الاية تكذيبهم اي تكذيبا لهم كما رواه الطبري عن ابن جبير بسند صحيح لكن فيه ان الشياطين هي التي كتبت كتب السحر ودفنتها فلما مات استخرجتها وقالوا هذا هو العلم الذي كتمه عن الناس وزاد ابن اسحاق انهم نقشوا خاتما كخاتم سليمان وختموا به الكتاب وعنوانه هذا ما كتبه اصف بن برخيا الصديق للملك سليمان بن داود من ذخائر كنوز العلم الذي انزله الله على سليمان فاخفاه عنا ثم قرؤا كتب السحر والكفر على الناس وقوله ما انزل على الملكين اي شيء من السحر وهذا بيان لانها نافية وهو قول ضعيف قال مكي هما اي الملكان جبريل وميكائيل كما تقدم ادعى اليهود عليهما المجيء به اي انهما نزلا بالسحر وتعليمه افتراء عليهما كما ادعوا على سليمان عليه الصلاة والسلام انه ساحر اعتقد السحر وعمل به افتراء عليه فاكذبهم الله اي بين كذبهم في ذلك كله مما نسبوه لجبريل وميكائيل وسليمان بقوله ولكن اضراب ابطالي الشياطين كفروا بكذبهم على الله وملائكته ورسله وعملهم السحر وتدوينه وهم الذين يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وبابل علم ارض ممنوع من الصرف للعلمية والتانيث سميت بها لتبلبل الالسنة والتفاف لها بعد الطوفان وهي بالعراق وما قيل انها بالمغرب فهو قول ضعيف جدا وقيل هما اي هاروت وماروت رجلان لا ملكان تعلماه اي تعلما السحر وهو قول مردود وبابل يضاف لهما على هذا وقال الحسن هو الحسن البصري وقد تقدم بيانه هاروت وماروت علجان تثنية علج وهو الغليظ من كفار العجم اي ما عدا العرب ويطلق على كل شديد من الكفار مطلقا من قولهم هو مستعلج الوجه اي غليظه واعتلجوا اصطربوا وقرا الحسن وما انزل على الملكين بكسر اللام كما تقدم بيانه وتكون ما ايجابا اي موصولة لا نافية على هذا القول والقراءة والمعنى الذي انزل على هذين الرجلين وكذلك اي كما قرا الحسن قرا عبد الرحمن بن ابزى بكسر اللام وبه قرا في الشواذ ابن عباس والضحاك وعبد الرحمن هذا صحابي كما جزم به النووي والذهبي واختلف في ابيه فقيل انه صحابي ادرك النبي صلى الله عليه وسلم وصلى خلفه وقيل انه تابعي لم يدركه وابزى بفتح الهمزة وسكون الموحدة وزاي معجمة والف مقصورة يقال ابزى اذا اوسع خطوه وقد اخرج له الستة وغيرهم كاحمد في مسنده وهو خزاعي ولكنه قال الملكان هنا اي في هذه الاية المراد بهما داود وسليمان صلى الله عليهما وسلم وتكون ما نفيا على ما تقدم ولا شك انهما معصومان فلا تكون ما موصولة وقيل كانا ملكين على انه بكسر اللام في هذه القراءة من بني اسرائيل هو لقب يعقوب ومعناه صفوة الله والله يثيب بنو ابراهيم فمسخهما الله بما وقع منهما حكاه السمرقندي قيل انه بسكون الراء والنون وتقدم بيانه والقراءة بكسر اللام شاذة كما مر والشاذ ما يوقف العشرة على الصحيح وقيل ما فوق

دجى

السبعة والكلام عليه في الاصول وعلم القراات مشهور **فحمل** بفتح الميم الاولى وكسر الثانية اي ما يحمل عليه وتضرب به **الاية** يعني قوله وما انزل على الملكين الخ **على تقدير كي** يحمل ما نافية معطوف على ما كفر سليمان **حمل** على القول بانهما لم يومرا بتعليمه ابتلا وامتحانا كما تقدم وحسنه لانه **بنزه الملائكة** عن المعاصي **ويذهب الرجس** اي الاثم وجزاه **عنهم ويطهرهم تطهيرا** اي يبريهم عن المعاصي وارساخها وهو اقتباس من استعير فيه الرجس للمعاصي والتطهير للعصمة منها وتحقيقه في الكشاف وشروحه **وقد وصفهم الله** اي وصف الملائكة في القران **بانهم مطهرون** من الادناس العيوب كالمعاصي وهذا انما على احد التفاسير فيها كما تقدم **ولا يعصون الله ما امرهم** ويفعلون ما يومرون وقد تقدم بيانه **واعلم** ان ما ذكره المص في قصة هاروت وماروت من انها لا اصل لها بحسب الرواية ولا من جهة الدراية على ما هو الاصح من ملكيتهم لانهم معصومون والملك المعصوم لا يليق ان ينسب اليه ما ذكر من المعاصي ونحوها مما هو مردود اما الاول فلما عرفته فيما مر من انه ورد في حديث من طرق كثيرة باسانيد صحيحة كما قاله الحافظ ابن حجر والسيوطي قال وجمعت طرقه في جز مستقل الى اخر ما مر فلا تردد فيه لا ينبغي واما ما انكره من انه نسب للملائكة ما لا يليق بهم ولا يصح نسبته لهم فتحقيق الوجه فيه ان الله تعالى لما جعل ادم عليه الصلاة والسلام خليفة والخلافة في اولاده وقالت الملائكة سوال استفسار اتجعلهم خلفا يفسدون في الارض فقال لو جعلت فيكم ما فيهم من الشهوة كنتم مثلهم فتعجبوا من ذلك فامرهم باختيار من يحكم في الارض فاختاروا هذين الملكين فاودع فيهما جبلة شهوة بشرية وتمثلا بصورتهم فلما اهبطهما ورايا الزهرة فتنا بها وكان ما كان مما قصصناه عليك فاذا عرفت هذا اسقط هذا الاعتراض لانهما لما خرجا عن الملكية واودع فيهما شهوة البشر لا ينكر مثله منهما لان المعصوم الملك ما دام على اصل ملكيته فاذا خرج عنها التحق بالبشر فلا ينكر ان يصدر منهما ما يصدر منهم وهذا هو الحق الحقيق **ومما يذكرونه** في الاستدلال على ما ادعوه من ان الملائكة غير معصومين والمعصوم منهم الرسل فقط **قصة ابليس** لما عصى الله وابى السجود لادم عليه الصلاة والسلام على القول بانه كان من الملائكة وفيه خلاف مشهور كما اشار اليه بقوله **وانه كان من الملائكة رئيسا فيهم ومن خزان الجنة الى اخر ما حكوه** خزان بضم ففتح وتشديد جمع خازن كخزنة من الخزن وهو حفظ الخزاين والمراد به حفظها وحراستها **وانه استثناه الله من الملائكة بقوله فسجدوا الا ابليس** والاصل في الاستثنا الاتصال المقتضي لانه منهم ولو لم يكن منهم داخلا في امرهم بالسجود لم يكن مستحقا للطرد وغيره **وهذا ايضا لم يتفق عليه** مبني للمجهول اي لم يتفق عليه العلما حتى يتم الاستدلال به مع معارضته لقوله في اية اخرى كان من الجن وان اوله الذاهبون الى الاول وهو منقول عن ابن عباس والكلام فيه مشهور غني عن البيان **بل الاكثر منهم ينفون ذلك ويقولون انه ابو الجن** وهو المسمى بالجان ايضا ومنهم من قال انه ابو الشياطين وان الجن جنس غيرهم الجان ابوهم وان

الشياطين لا يبلون ولا يموتون الا معه والجن منهم مسلم وكافر ويموتون كالبشر ويحشرون ويدخلون الا من رد الجنة **كما ان ادم ابو الانس وهو اي هذا القول قول الحسن وقتادة وابن زيد** وهو عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وتقدمت تراجم هولا كلهم **وقال شهر بن حوشب** شهر بمعجمة بزنة ضرب وحوشب بفتح الحا المهملة وسكون الواو وفتح الشين المعجمة وموحدة وهو ممن رد واعنه ووثقوه وضعفه بعضهم وتوفي سنة احدى عشرة ومائة وقيل في تاريخ موته غير ذلك وله ترجمة في الميزان **كان من الجن الذين طردتهم الملائكة في الارض حين افسدوا فيها والاستثنا من غير الجنس** وهو الاستثنا المنقطع **شايع** من شاع الخبر اذا اشتهر بين الناس **في كلام العرب سايغ** بسين مهملة وغين معجمة اخره ومعناه جايز من ساغ الشراب اذا سهل شربه وطاب استعيره لما ذكر يعني انه مسموع من اهل اللسان غير ممتنع بحسب العقل والفهم ثم استدل بقوله تعالى **ما لهم به** اي الذين اختلفوا في قتل عيسى **من علم الا اتباع الظن** والظن ليس من العلم وكذا اتباعه وقد اخرج منه وليس من جنسه اي لكنهم اتبعوا الظن فيما زعموه وما قتلوه يقينا كما يكون البدل النفي يعني ولا يجعله متصلا كما قيل واما كون ابليس ملكا او جنيا او ان الجن والملك نوع واحد من عنصر واحد والجن من نار ريحا لطا لدخانه والملك من صافي نوره كما ذكره البيضاوي والكلام على هذه الاقوال الثلاثة وعلى حقيقة الجن والملك لا يسعه هذا المقام **ومما رووه من الاخبار** كما رواه ابن جرير عن ابن عباس وابن ابي حاتم عن يحيى بن كثير **ان خلقا** اي طايفة **من الملائكة عصوا الله** فيما امرهم به وهذا بنا على عدم عصمة جميعهم **فحرقوا** ضبطه بعضهم بالقاف من التحريق اي طردوا واصرفوا عن مقامهم وفي بعض الشروح انه بالفاء من تحريق النار والرا المهملة مشددة فيهما مع بنا المجهول لكن قوله **وامروا ان يسجدوا لادم فابوا** السجود له اباه لانه بعد تحريقهم وثباتهم كيف يومروا بالسجود له الا ان يقول واخرون امروا بالسجود **فحرقوا** نحو الذي قبله ولو ضبط الاول بالفا والثاني بالقاف جاز على انه قصد التجنيس فليحرر **واخرون كذلك** اي امروا بالسجود لادم فابوا فحرقوا **حتى سجد له من ذكر الله** في قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون **الا ابليس** واخبار اي ما ذكره الله في القران مع اخبار اخر في معنى الاية **لا اصل لها** اي لا يعتمد عليها بثبات لكن ما لا يصح هذا لا اصل له فيكفي بنفي الاصل عن نفيها **يردها صحيح الاخبار** المنافية لها او لانها على عصمة الملائكة كما في الايات المتقدمة **فقد استغربها**

الباب الثاني فيما يخصهم

من الامور الدنيوية التي تختص بالانبيا من الصفات والسمات التي تكون لهم في الدنيا سواء كانت واجبة او مندوبة او مباحة او لا **وتنبا بطرا** اي يحدث ويوجد وهو مهموز الاخر وقد تبدل همزته بحرف علة تقول طرا عليه كذا اذا عرض له فلذا فسره وبينه بقوله **من العوارض** جمع عارض واصل معناه ما يعرض ثم استعمل فيما يعرض ويحدث من سقم وغيره وقوله **البشرية** تخصيص له لان العوارض تعرض للبشر من بني ادم وغيرهم لما ذكر في الفصول التي قبل هذا مما يتعلق بالانبيا من عصمتهم

عرضي

دجى

صحاح

من الكبائر والصغائر والخفة ببيان عصمة الملائكة وهو مما يتعلق بالامور الاخروية
شرع فيما يتعلق بهم من الامور الدنيوية لما بينهما من التنافي بل فقال قد تقدم في
هذا الكتاب انه اي نبينا صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء والرسل اي بقيتهم صلوات
الله وسلامه عليهم اجمعين من البشر اي افراد كاملة من هذا النوع يجري عليهم ما يجري
على غيرهم من لوازم البشرية وان جسمه وظاهره الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم او
للجسم والاول اولى خالص للبشر يعني به انه صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق ببدنه
متمحض للبشرية لا مزية له على غيره في شيء منها فلذا اي فلذلك يجوز عليه اي يجوز ان يطرا عليه من
الآفات جمع آفة كعاهة وزنا ومعنى وهو ما يفسد ما اصابه ويضره قال
السرقسطي في افعاله اف القوم اوفا اذا دخلت عليهم مشقة وتدمر والتغيرات اي
الانتقال من حال الى حال كالمرض والصحة والآلام بالمد جمع الم وهو كما قال الراغب
الوجع الشديد ومنه عذاب اليم اي مؤلم والاسقام جمع سقم بفتحتين وسقم بضم فسكون
وهو المرض المختص بالبدن لان منها ما هو نفساني ومشترك وتجرع كاس الحمام التجرع
الشرب تدريجا جرعة بعد جرعة وكاس بهمزة تبدل الفا قدح الشراب ما دام فيه
والا فهو زجاجة وقدح والحمام بكسر الحاء المهملة الموت من حم الامر اذا انقضى وقدر
لانه يقضيه ويقدره وفيه استعارة مكنية مرشحة شبه بالمسكر كما في الحديث ان للموت
لسكرات لان ازالة العقل فاثبت له الكاس تخييلا واثبت التجرع ترشيحا وكون اضافة الكاس
كاضافة لجين الماء ركيك وثنا خبره عن الاسقام والآلام واقع موقعه ما يجوز على غيره من
البشر لان المساواة في الجنسية تقتضي المساواة في قبول العوارض كما تقرر في الحكمة وعلم
الكلام وما موصولة فاعل ليجوز الاول وهذا كله اي ما جوز عليه وعلى سائر الانبياء من جواز
ان يطرا عليهم كغيرهم من العوارض البشرية من الآلام وغيرها ليس بنقيصة فيه لانه امور طبيعية
غير كسبية لا يعد مثله نقصا الا عند بعض العقول القاصرة كما قالوا ما لهذا الرسول
ياكل الطعام ويمشي في الاسواق لان الشيء انما يسمى ناقصا بالاضافة اي بالنسبة
الى ما هو اتم منه واكمل من نوعه كما تتفاوت بعض افراد الناس ويفوق بعضهم بعضا
بالفضائل والاخلاق الحميدة وقد كتب الله اي قضى وقدر في الازل قضاء مبرما على
اهل هذه الدار يعني دار الدنيا انهم فيها يحيون وفيها يموتون ومنها يخرجون
الى البرزخ ثم الى منازلهم في الآخرة وهذا اوقع في القرآن خطابا لآدم وحوا والمراد
عمومه لهم ولغيرهم ومنه اقتبس المصنف وخلق جميع البشر بمدرجة الغير مدرجة بفتح
الميم اسم مكان بمعنى الطريق قال الراغب يقال لقارعة الطريق مدرجة وفلان يتدرج
اي يتصعد درجة درجة ودرج مشى فهي محال المشي والغير بكسر الغين المعجمة
وفتح المثناة التحتية وراء مهملة يقال غير الدهر حوادثه المتغيرة من حال الى حال
وهو مفرد بزنة عنب او جمع غيرة وهي الامر المتغير وبمدرجة بمعنى في او للملابسة
وهذه فقرة بليغة لانه جعل دار الدنيا على طريق يمر عليها حوادث الدهر والمراد
انهم مستعدون لها لا محالة وفيه اشارة الى ان الدنيا دار ممر لا مقر وفيه

استعارة مكنية شبه حوادث الدهر بقوم سالكين في طريق هو لابسا لكون فهو
في غاية الحسن فقد مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا يحتمل انه اشارة
الى ما كان يطرو عليه من الامراض مطلقا كما رواه البخاري انه صلى الله عليه وسلم كان
يتوعك وعكا شديدا وذلك ليزداد اجره ويحتمل انه اشارة الى ما وقع له صلى الله عليه
وسلم في مرض موته والكلام عليه مفصل في كتب الحديث والسير فلا حاجة لسطوه بل
بذكره كما نقله بعضهم هنا وقوله واشتكى بمعنى مرض ايضا قيل وانما ذكره اشارة عرضي
الى انه ورد في الحديث تارة التعبير عنه بانه مرض وتارة بانه اشتكى وليس المراد به
معناه المشهور لما يؤثر من صبره والرضى بما يفعله الله به وروي ان جبريل كان يرقيه
صلى الله عليه وسلم في مرضه فيقول بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس او
عين حاسد الله يشفيك واصابه الحر والقر والحر بفتح الحاء المهملة وتشديد الرا
المهملة وهو شدة سخونة الهواء في الصيف وضده القر بضم القاف وتشديد الرا
وهو شدة البرد ويجوز فتح قافه للازدواج وادركه الجوع والعطش وهو من
الله ليزداد اجره بصبره ومجاهدته تعليما لامته ولو اراد خلافه ملأ الله له الدنيا
رزقا ولنا في ذلك ايضا رياضة يتصفى بها الذهن ويخف الروح لكنه يظهره في صورة
العجز تادبا مع الله تعالى ومخالفة لاهل الملل في ذلك لانه صلى الله عليه وسلم قال لا رهبانية
في الدين وهذا في بعض الاحيان وان كان يواصل الصوم ويقول اني لست كاحدكم اني
ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني اذ ان لكل مقام حالا يخصه وقد حققه المحدثون وابن
سينا في مقامات العارفين في اخر الاشارات ولحقه فعل ماض بلام وحاء مهملة وقاف
الغضب وهو ثوران النفس لارادة الانتقام وكان غضبه صلى الله عليه وسلم لله اذا
وقع من غيره ما لا يرضاه والضجر بضاد معجمة وجيم وراء مهملة بمعنى القلق وقيل انه
الملل والسآمة من الحاح بعض الناس من الاعراب والمؤلفة قلوبهم وهذا كله ورد
في الاحاديث الصحيحة وناله اي حصل له صلى الله عليه وسلم الاعيا والتعب هو عطف
تفسير للاعيا فانهما بمعنى واحد فكان يعرض له هذا كله كما يعرض لغيره من البشر
ومسه الضعف في بدنه في اخر عمره والكبر المراد به هرم الشيخوخة وهذه كلها
امور جبلية تحدث لنوع الانسان لا يسلم منها احد لا نبي ولا غيره ولا يعد ذلك نقصا
وكان صلى الله عليه وسلم يصلي قاعدا في تهجده كما رواه مسلم ولو قصد السجع فجعلها فقرات
رائية قدم الضعف والكبر وسقط اي وقع صلى الله عليه وسلم من فوق فرسه فجحش
بضم الجيم وكسر الحاء المهملة وشين معجمة مبني لما لم يسم فاعله اي خدش والخدش والجحش
جرح في الجلد وقال الخليل هو كالخدش او اكثر شقه بكسر الشين المعجمة وتشديد القاف
اي جانبه الايمن وهو في حديث من احاديث الصحيحين وكان ذلك في ذي الحجة سنة
خمس وفي البخاري عن انس انه صلى الله عليه وسلم سقط عن فرسه فجحشت شاقه او كتفه
وشجه الكفار في وجهه فادموه والشج في الاصل ان يضرب الراس فيشق ثم استعمل
في غيره من الاعضاء والذي شجه ابن قميئة فاسند ما وقع من البعض للكل كقولهم بنو

فلان قتلوا قتيلا كما تقدم **وكسروا رباعيته** بتخفيف اليا بزنة ثمانية وهي السن
التي بين الثنية والناب وتجمع على رباعيات وفي التعبير بالكسر اشارة الى انه ذهب منها
فلقة ولم تسقط من اصلها وكان هذا في وقعة احد فشج وجهه الشريف وكسرت رباعيته
السفلى وجحشت ركبته وسال الدم على وجهه وهشمت الخوذة التي على راسه الشريف كما
فصل في السير وهو لا ينافي كون الله عصمه من الناس ان قلنا ان اية العصمة نزلت قبل
والا فالعصمة انما هي عن القتل كما مر وقد فصله الامام الخيضري في خصائصه **وسقي**
بالبنا للمجهول **السم** بتثليث السين وذلك انه صلى الله عليه وسلم بعد فتح خيبر اهدت له
زينب بنت الحارث اليهودية شاة مشوية وكانت سالت اي اعضا الشاة احب اليه فقالوا
الذراع فاكثرت من السم فيه وقدمت اليه فلما مضغه صلى الله عليه وسلم لم يسغه واكل منه
بشر بن البرا فمات بعد ذلك وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه امسكوا فانها مسمومة
وقال لها ما حملك على هذا فقالت ان كنت نبيا سلمت منه فاعلم بك والا ارحت الناس فادو
منك فاحتجم صلى الله عليه وسلم على كاهله كما ياتي وروي انه صلى الله عليه وسلم لم يعاقبها وفي
رواية انه قتلها قال الواقدي رحمه الله وهو الثبت وجمع بينهما بانه تركها اولا ثم لما
مات بشر بن البرا قتلها وقيل انها اخت مرحب اليهودي ولذا ترك قتلها اولا العفو وتفصيله
في السير **وسحر** بالبنا للمجهول والساحر له لبيد بن الاعصم كما ترك ذكره لشهرته
او كثرته او لعدم تعلق الغرض به وهو يهودي من بني زريق وقيل انه منافق اسلم ظاهرا
وارتضاه ابن الجوزي وكان ذلك في مرجعه من الحديبية في ذي الحجة ودخل المحرم سنة سبع
وقيل انه كان حليفا في بني زريق يحسن السحر فجعل له اليهود جعلا على ان يسحره صلى الله عليه
وسلم فاثر فيه سحره اربعين ليلة وقيل ستة اشهر وقيل انه مكث سنة وياتي في رواية يحيى
ابن يعمر ما يؤيد هذا الاخير وان السهيلي قال انه المعتمد **وتداوى** صلى الله عليه وسلم
كما يتداوى غيره فهو من جملة ما يلحقه من العوارض البشرية فتداوى من لدغة عقرب
بما وملح لما لدغته في اصبعه وهو يصلي كما في مسند ابن ابي شيبة عن ابن مسعود فاتى بما
وملح فجعل فيه اصبعه الشريف **واحتجم** على كتفه لما مضغ من الشاة المسمومة كما تقدم
وبالحجامة يخرج السم مع الدم او يضعف الدم فلا يصل السم الى القلب الا انه لم يزل به
صلى الله عليه وسلم اثره حتى مات لاجل ان يرزقه الله الشهادة وفضلها كما ورد في كتب
الحديث **وانتشر** انفعال من النشر بضم وسكون معجمة وراء مهملة وفي نسخة تنشر والنشرة
بمعنى الرقية والتعويذ والتحقيق ان النشرة بالضم او الفتح ما يكتب عليه ادعية ونحوها ويجي
ثم يغسل بها من به مرض ونحوه سميت نشرة لنشر الماء بها **وتعوذ** بذال معجمة من
العوذة وهي الرقية باعوذ بالله ونحوه ثم عمت ورقية صلى الله عليه وسلم لنفسه ورقية
جبريل له مروية من طرق كقوله اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة
ومن كل عين لامة وغيره **ثم** بعد هذا كله **قضى نحبه** كثيره وقضا النحب كناية عن
الموت واصل معنى النحب النذر الواجب فيقال ذلك كانه لتحتمه كان نذرا في ذمته
فيقضيه بموته كما يقال قضى اجله واستوفاه وقيل النحب الموت من النحب وهو البكا

والتخفيف

والتخفيف ما قدمناه **فتوفي صلى الله عليه وسلم** اي توفاه الله **ولحق بالرفيق الاعلى**
وهم الانبيا والملائكة عليهم الصلاة والسلام والرفيق بمعنى المرافق يقع على الواحد وغيره
قال تعالى وحسن اولئك رفيقا وقيل الرفيق المراد به الله لرفقه بعباده او لانه معهم
اينما كانوا وعن عايشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم قال عند موته بل الرفيق الاعلى
وذلك انه خير بين بقائه في الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عنده **وتخلص** بوفاته
من الدنيا التي هي دار المحن وفي نسخة الامتحان **والبلوى** لما كان يقاسيه من
اعدا الدين وتبليغ امانة الله **وهذه** الامور المذكورة التي كانت تصيبه صلى الله
عليه وسلم **من سمات البشر** اي من صفاتهم وعلاماتهم المختصة بهم من السمة وهي الوسم
والعلامة **التي لا محيص عنها** اي لا يتخلص منها احد من الخلق نبيا كان او غيره قال
الراغب يقال ما لي عنه محيص وما لنا من محيص من حاص يحيص او من حاص بمعنى حاد
عما فيه شدة فهو مكروه **واصاب غيره من الانبيا ما هو اعظم منها** اي من الامور
التي اصابت النبي صلى الله عليه وسلم **فقتلوا قتلا** بغير حق كما وقع ليحيى بن زكريا والقتل
وقع لبعض الانبيا كما قال تعالى يقتلون النبيين بغير حق ولبعض رسل الله الا ان الله
عصمهم من القتل حين الدعوة وفي مقاتلة الكفار المامورين بها كما ذكره علما التفسير
والاخبار وقتل يحيى وانتقام الله ممن قتله بان سلط عليهم بخت نصر فقتل منهم سبعين
الفا كما فصله المورخون وفي نسخة قتلوا تقتيلا والمصدر معنوي لتاكيد القتل **ورموا**
في النار كابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم رماه فيها بمنجنيق من بنا عاد نمرود فصارت
النار عليه بردا وسلاما وكذا جرجيس كما في قصص الانبيا للثعالبي **ونشروا**
بالمناشير جمع منشار ويقال ميشار بيا بدل النون وبهمز وهي الة من حديد مسننة
يشق به الخشب وهو مشتق من النشر لتفريقه المنشور قطعا وفي المثل لغات يقال
نشره ووشره وفي جمعه مناشير ومواشير فيجب ضبط ما هنا بالبا وقال ابن قتيبة
ان مناشير عامية كما نقل عنه لا ادري وجهه والذي نشر هو زكريا عليه الصلاة والسلام تلمانى
لما قتل الملك يحيى وفزع مما وقع من قتل ابنه اذ سلط الله عليه عدوا فهرب زكريا من
الملك فارسل خلفه من يطلبه وادركه الطلب فانشقت له شجرة فدخل فيها فامسك
الشيطان هدب ازاره خارجا من الشجرة فدلهم الشيطان عليه فنشروا الشجرة
وزكريا وقيل سبب هربه انهم اتهموه بمريم **ومنهم** اي الانبيا **من وقاه الله** اي
صانه **ذلك** اي القتل والحرق والنشر وفي معنى حفظ وسنن يتعدى لمفعولين
وفي الحديث بقي بالصدقة وجه النار **في بعض الاوقات** كما وقع في يوسف عليه
الصلاة والسلام لما نجاه الله من السجن وابراهيم عليه الصلاة والسلام من احراق
النار **ومنهم من عصمه** وحفظه من القتل وان وقع له بعض ما يؤذيه **كما عصم**
بعد مبني على الضم اي بعد ما تسلط عليه الاعدا **نبينا صلى الله عليه وسلم من الناس**
كما قال تعالى والله يعصمك من الناس كما تقدم **فلئن لم يكفه** من كفه يكفه بالتشديد
ويجوز تخفيفه بجزمه بحذف اخره كيرمي وهو الظاهر على النسخة الاولى **نبينا**

صلى الله عليه وسلم وهو مفعول مقدم و ربه فاعل موخر وفي نسخة عن شجها بدل ابن قمئة
مفعول ثان وقمئة بالهمز بوزن قصبة قبيلة من فتى بني صخر ودل وهو عبد الله بن قمئة الذي
جرح وجهه الشريف صلى الله عليه وسلم لما رماه وقال له خذها وانا ابن قمئة فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم اقماك الله اي اذلك فرماه الله من شاهق جبل لما
انصرف فتقطع قطعا وقصته في السير يوم احد اليوم بمعناه الحقيقي او المراد به
غزوتها كقولهم ايام العرب لوقائعهم وهو بهذا المعنى مشهور ومنه وذكرهم بايام الله ولا
جنبه عن عيون عداه بكسر العين مقصور جمع عدو وفيه كلام في كتب اللغة والنحو عند
دعوته للاسلام اهل الطائف هي بلاد ثقيف بقرب مكة سميت بها لانها طافت على
الماء في الطوفان او لان جبريل عليه الصلاة والسلام اقتطعها من الطائف وطاف بها بالبيت
وقيل لانه بني عليها طوف اي حائط وهذا كان سنة عشر من النبوة بعد موت ابي طالب
وقد نال منه صلى الله عليه وسلم قريش ما نالها فخرج الى الطائف وحده او معه زيد بن
حارثة يلتمس نصرة ثقيف له فقام على ناس من اشرافهم ودعاهم للاسلام فابوا واغروا
به سفهاءهم فاطالوا عليه وحصبوه حتى ادموا ساقيه وهو زيد يشج كفهم الله عنه وجنبهم
عند فجلس عند حائط كرم وكان مما فصل في السير من عرضه نفسه على قبائل العرب
فلقد اخذ الله عز وجل اي غطى وحجب على عيون قريش يقال اخذ على عينه
وعلى يديه اذ اكفه ومنعه فالعيون جمع عين بمعنى الباصرة او بمعنى الربية والجاسوس
وكان ذلك عند خروجه من مكة الى غار جبل ثور هذا هو الصحيح وفي نسخة الى
ثور وهي غلط لانه انما يعرف بثور وهو جبل معروف على يمين مكة لما تشاوروا في امره
صلى الله عليه وسلم بدار الندوة ثم اجمعوا على قتله فامر عليا كرم الله وجهه بالنوم على فراشه
فخرج صلى الله عليه وسلم عليهم عند داره وقد اخذ الله على عيونهم ونثر على رؤسهم ترابا
وسمي ثورا لنزول ثور بن عبد مناف عنده وثور اسم جبل ايضا بالمدينة كما في القاموس
وغيره واهل المدينة تعرفه فلا عبرة بمن انكره كابن عبد السلام واسك الله عنه
صلى الله عليه وسلم سيف غورث ابن الحارث الاعرابي كما في البخاري وغورث بغين
معجمة على الصحيح وقيل مهملة وواو وراء مهملة وثاء مثلثة وروي مصغرا وهو بزنة جعفر
وهو عند الخطيب بكاف بدل المثلثة وقيل اسمه دعثور بن الحارث والظاهر انه
غيره في قصة اخرى وكان في بعض غزواته ادركتهم القائلة فنزلوا بواد كثير العضا
فانزل صلى الله عليه وسلم بظل شجرة علق بها سيفه وتفرقوا عنه وناموا فنعد حتى
دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوه فاذا اعرابي جالس عنده فقال ان هذا
اتاني وانا نائم فاخترط سيفي فاستيقظت وهو في يده مصلتا فقال من يمنعك
مني قلت الله وها هو جالس ولم يعاقبه وهو من المشركين والغزوة ذات الرقاع
وهو من غطفان ومحارب وكان قال لقومه انا اقتل لكم محمدا وروي ان جبريل
دفع صدره فسقط السيف من يده واسلم وذهب لقومه فدعاهم للاسلام وفي هذه
القصة نزل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم الخ كما تقدم

مطلب وجه تسمية الطائف البلد المعروف بهذا الاسم

حجبه عنهم

ذلك

ذلك كله واسك عنه صلى الله عليه وسلم حجر ابي جهل بن هشام لعنه الله اذ اراد ان
يرميه صلى الله عليه وسلم وكان قال لقريش لارضخنه عند الحجر بحجر لا اكاد اطيق حمله
فامنعوني من بني عبد مناف فارتقبه غداة يومه حتى اتى المسجد يصلي فاخذ الحجر ومضى
له فلما اراد رميه صلى الله عليه وسلم يبست عليه يده ثم عاد متغير اللون فسالوه فقال
عرض دونه فحل لم ار مثله عظاما اراد ان ياكلني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك
جبريل لو دنى لاخذه واسك الله عنه صلى الله عليه وسلم فرس سراقة هو سراقة
ابن مالك بن جعشم الكناني كان جعل له قريش دية من اخذ من ابي بكر ورسول الله صلى
الله عليه وسلم لما خرج مستخفيا للهجرة وهو من مدلج القافة وقصته في ذهابه خلفهما
فلما ادركهما ساخت قوائم فرسه في الارض وكادت تبتلعه فطلب الامان فامنه ونجا
وعاد الى اخر القصة المشهورة وهو شجاع شاعر كبير اسلم وحسن اسلامه ومات
سنة اربع وعشرين في خلافة عثمان قلت ولما كف يده عنهما شرفه الله بالاسلام
والبسه سواري كسرى كما هو بيانه ولبن انبه من سحر بن الاعصم لبيد اليهودي
كما تقدم فلقد وقاه ما هو اعظم خطرا من سحره من سم اليهودية في قصتها
التي تقدمت قريبا وسباق الكلام على سحره وهذا جواب عن سؤال تقديره انك زعمت
ان الله ميزه عن سائر الانبيا بوقاية وجعله في حصن صيانته فلم لم يعصمه من ابن
الاعصم فاجاب بانه ابتلاه به تكثيرا لاجره ووقاه مما هو اعظم منه وهو السم القاتل ولاوجه لما قيل من انه لا فائدة فيه وسباق بيان
فائدته مع انه توطية لقوله وهكذا سائر انبيا به اي عادة الله مع سائر انبيائه
يبتلي انبياء الله منهم مبتلى بالمصائب تكثير الاجور ومنهم معافى تكرما لهم وحفظا
وذلك اي ابتلاؤهم او كون احوالهم مختلفة من تمام حكمته الجارية في مخلوقاته ليظهر
بابتلائهم مع صبرهم ورضاهم في السراء والضراء شرفهم في هذه المقامات اي احوالهم
المتفاوتة ويبين امرهم بصبرهم على ما لا يطيقه غيرهم وتتم كلمته فيهم بنفاذ امره لهم
بالصبر على الاذى حتى يكون لهم العاقبة الحسنى وليحقق بامتحانهم بما ابتلاهم به بشريتهم
اي انهم من جنس البشر الذين في دار المصائب ويرتفع وفي نسخة يرتفع اي يزول الالتباس
في امور الدنيا عن اهل الضعف اي من ضعفت عقله من العوام فيهم اي في انبياء الله
فيتوهم لضعف عقولهم انهم ليسوا كغيرهم ممن يغشاه البلا ويعرض له الوهن والعنا
ولذا ارتد بعض جهلة الاعراب لما نزل في رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الابتلاء ظهر
ليعرف الناس انهم كغيرهم في العوارض البشرية لئلا يضلوا بفساد اعتقادهم فيهم
فيما يظهر من العجائب اي خوارق العادات وبدائع المعجزات التي تظهر
على ايديهم ويصدر منهم بامر الله تابيدا لهم كانشقاق القمر واحيا الموتى ونحوه
فيقولون من بعده وعلى بعد انه مريض او نبي ويعرض له ما يعرض لضعفا الخلق
ضلالا اي ضلالا كضلال النصارى بعيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام لما راوا
معجزته جعلوه الها وقالوا لولا انه الا جهلهم وعدم دقة نظرهم والنصارى على فرق

ابن الحرس

يطول الكلام في بيان اعتقادتهم الباطلة وتزييف ما قالوه وقد الف في ذلك عدة
كتب اجلها كتاب ابن تيمية والقرطبي وهذا ما ينبغي من الكلام عليها اذ المراد شرح
ما قاله المصنف حتى يسهل فهمه على المبتدئين **وليكون في محنتهم** مما ابتلاهم به الله تعالى
تسلية لاممهم فيعتقدوا انهم اذا نزلت بهم المصائب ويصبروا كما صبروا **ووفور اجورهم**
الوفير الكثرة والزيادة **عند ربهم** اذا رجعوا اليه ويجازيهم بما صبروا عليه ويجزيهم
نعمة السلامة والعافية **تماما** اي يتم ذلك بانعامه **على الذي احسن اليهم** اولا بنعمة
الوجود والصحة وغيرهما من النعم الدنيوية فيزيد بها اعظم منها من النعم الاخروية التي
لا ابتداء لها ولا تجازي لصبرهم وشكرهم **وقال بعض المحققين هذه الطوارئ** جمع
طارئ بالهمزة وتبدل يا وهي ما يطرأ اي يحدث ويتجدد **والتغيرات** اي تغير
احوالهم من صحة لسقم وسعة لضيق وغيره **المذكورة انما تختص باجسامهم البشرية**
دون ارواحهم ونفوسهم القدسية **المقصود بها** والغاية في ايجادها لهم واجادهم
مقاومة البشر اي ان يكونوا ايضا معهم مساوون لاممهم فيها حتى يقدروا على القيام
باموره **ومعاناة بني ادم** بمباشرتهم وعدم لطفهم **لمشاكلة الجنس** اي مشابهتهم له في الخلق
والخلق ولذا كانت الرسل من البشر دون الملائكة ولو جعل جعلناه ملكا لم يطيقوا اتباعهم كما
ذكر كما نرى بعض الناس لا يهتدي على عشرة العوام وينفر منهم لمنافرة الطباع **واما بواطنهم**
اي امورهم التي لا تخفى من عقولهم وقواهم الروحانية وقلوبهم وحواسهم الباطنة وهو جمع
باطن خلاف الظاهر **فمنزهة** اي سالمة مبرأة **عن ذلك غالبا** وقد يعرض لها شيء
منه معفو عنه لكنها في غالب احوالها **معصومة منه** مطهرة مما يشينها كتغير العقل
وقد يعرض له احيانا ما لا يضره كالاغماء الذي وقع له صلى الله عليه وسلم في مرض
موته فبواطنهم **متعلقة بالملا الاعلى** وفي نسخة بالرفيق الاعلى وقد تقدم ان الرفيق
فعيل بمعنى فاعل يستوي فيه الواحد وغيره والمراد ارواح الانبياء الساكنين في عليين **والملائكة**
فهو عطف تفسير على هذا **لاخذها** اي لاخذ البواطن وتلقيها واجاع ضمير اخذها وهي
لاخبار السماء وغيرها بعيد **عنهم** اي الملائكة **وتلقيها الوحي** الذي نزل عليهم لتبليغه
ما ارسل به **منهم** اي من الملائكة وما يتلى عليه من ان حذف قوله عنا لبا احسن بل واجب
لاوجه له لما بيناه من بيان مراده به **قال** القائل بعض المحققين المحكي عنه ما ذكره
الى هنا وهو دليل لما قاله **وقد قال صلى الله عليه وسلم** في حديث قد تقدم بسنده
ان عيني بتشديد الياء مثنى عين مضافة لياء المتكلم **تنامان** اي يعرض لهما النوم حتى لا
يجد ان احساسا ظاهرا متعارفا **ولا ينام قلبي** اي لا ينقطع شعوره وادراكه بالكلية
وهذا باعتبار الغالب من احواله صلى الله عليه وسلم وقد ينام نوما ينقطع به شعور
عينه وقلبه كما تقدم في حديث الوادي الذي نام فيه حتى فاتته الصلاة وبهذا
علمت ان قوله غالبا في محله كما مر وفيه دليل على ان ظاهرهم كغيره **وقال** صلى الله عليه
وسلم **اني لست كهيئتكم** اي ليس حالي كحالكم وتقدم المراد بالهيئة هنا **اني ابيت
يطعمني ربي ويسقيني** بضم الياء يطعمني وفتحها يسقيني ويجوز ضمها بمعنى اسقاه

واسقاه

واسقاه بمعنى وهو في صومه صوم الوصال على حقيقته اوما ولد بما يقوى به روحه
من المعارف الالهية التي تقوم مقام الطعام والشراب في تقوية الروح التي تسري للبدن
وفيه كلام مشهور وتقدم طرف منه **وقال** صلى الله عليه وسلم في حديث اخر **اني لست
انسى ولكن انسى ليستن بي** تقدم فيه ما يغني عن الاعادة **فاخبر** صلى الله عليه وسلم
في هذه الاحاديث **ان سره** اي ما خفي من امره **وباطنه** عطف تفسير لسره **وروحه**
التي بها الحياة وقيام البدن وهذا حقيقته ولها معان اخر **بخلاف جسمه وظاهره**
اي مخالفة لها فيما يعتريها من التغيرات والالام كغيره من سائر البشر كما قرره في
اول هذا الفصل **وان الافات** جمع افة وتقدم قريبا لفظ **التي تحل ظاهره** اي ما يطرأ على
من جسده الشريف فقط وبينه بقوله **من ضعف** بانحطاط القوى لمرض او كبر
وجوع لفقد الغذاء او ما به قوام البدن من بدل ما يتحلل منه **وسهر** بفقد النوم
الذي به راحة البدن واستراحة الحواس **ونوم** يستريح به بدنه وقواه وقال
المعري وفضيلة النوم الخروج باهله عن عالم هو بالاذى مجبول **لا يحل** بضم الحاء المهملة
من الحلول **منها** اي من هذه المذكورات كلها من التغيرات **باطنه** اي حواسه
الباطنة **بخلاف غيره من البشر** فانه يعرض له تغيرات في الظاهر والباطن مما يعد
نقصا فيه **في حكم الباطن** اشارة الى محل المخالفة لنا وبها في الظاهر كما
تقدم ثم وضحه بقوله **لان غيره** من البشر بل سائر الانبياء ولم يصرح به لعلمه مما قدمه
اذا نام استغرق النوم ا لرفع فاعل استغرق **جسمه وقلبه** مفعوله اي شغلهما
واثر فيهما تاثيرا ما يعطل حواسه الظاهرة والباطنة بخلاف الانبياء فانه يشمل
ظاهرهم دون باطنهم فالاول كالميت كما قال ابن عربي رحمه الله تعالى
فيا نايم الليل يغبنه ه قبل الممات سكنت القبورا
النوم اخو الموت **وهو صلى الله عليه وسلم في نومه حاضر القلب** لعدم استغراقه
في نومه وحضور القلب مجاز عن ادراكه وشعوره وغيره كان قلبه فارقه او اريد به
لازمه فهو استعارة او مجاز مرسل ومثله كثير في استعمالهم فحاله صلى الله عليه وسلم في
نومه **كما هو في يقظته** بفتح القاف وقد تسكن في الشعر كما مر وهو ضد النوم اي
حاضر الحواس والمشاعر فيهما **كما ذكرناه** سابقا وقد تقدم انه باعتبار غالب احواله
حتى قد جاء اي ورد **في بعض الاثار** اي الاحاديث والاثر ورد بهذا المعنى وقد
يخص بغيره من الاخبار **انه صلى الله عليه وسلم كان محروسا** اي مصونا محفوظا
واصل الحرس ملازمة من يحفظه من الناس فتجوز به عما ذكر **من الحدث** في
ما ينقض الوضوء وطهارته مما هو معروف في الاستعمال **في حال نومه** لانه انما
يحدث لعدم الشعور به كما قال صلى الله عليه وسلم العينان وكاء السه **لكون قلبه
يقظان كما ذكرناه** والحدث انما يعرض لعدم شعور القلب والحواس الباطنة
وقد ذهب الفقهاء الى ان نومه صلى الله عليه وسلم كان لا ينقض وضوءه وعدوه من
خصائصه كما مر واما نوم غيره فينقض وضوءه ما لم يكن حاله متمكنا بشرطه على

الصحيح ومن قال خلافه فليس معتمدا عليه كما بينه الفقهاء في كتبهم وقد روى المحدثون
باسانيد صحيحة كما تقدم انه صلى الله عليه وسلم كان ينام حتى يسمع غطيطه ثم يقوم فيصلى
من غير تجديد لوضوئه وما قيل من انه قد يحيا لانه اذا كان حاضر القلب فهو يقظان
وهو حينئذ ليس مظنة الحدث ونقض الوضوء حتى يحتاج الى كونه محروسا ويستشهد له
بالآثار ليس بشىء لانه اذا نامت حواسه الظاهرة ينتفى ذلك لان الاحكام منوطة
بالظاهر دون الباطن **وكذلك** اى كما ان نوم غيره ليس كنومه لكونه غير محروس
من الحدث **غيره** اى غير النبى صلى الله عليه وسلم **اذا جاع** بترك غذائه الكثير من معتاده
ضعف لذلك اى لجوعه تضعف بنيته **وجسمه وخارت قوته** بخاء معجمة وراء مهملة
اى ارتخت وضعفت من الخور وهو اللين والضعف وقيل معنى خارت ذهبت وانكسرت
فبطلت بالكلية جملته اى جميعه ظاهره وباطنه كما هو لغير الانبياء ظاهرهم دون باطنهم
وهو صلى الله عليه وسلم **قد اخبر انه لا يعتريه** اى يعرض له **ذلك** اى بطلان جملته
لقوله صلى الله عليه وسلم ولا ينام قلبى **وانه** اى حاله **بخلافهم** اى بخلاف حال غيره من
البشر **كقوله** صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه البخارى فى وصاله الصوم ونهى غيره
عنه وقيل له انك تواصل صومك فقال لهم **انى لست كهيئتكم انى ابيت يطعمنى ربى
ويسقينى** تقدم بيانه فى الفصل **وكذلك** اى كما قال بعض المحققين ان التغيرات الطارئة
على البشر تختص بظواهر الانبياء دون بواطنهم **اقول انه** صلى الله عليه وسلم **فى هذه
الاحوال البشرية كلها من وصب** بيان للاحوال والوصب الالم الدائم وقد يأتى بمعنى
التعب وهو اولى هنا لئلا يتكرر مع قوله **ومرض** وان صح جعله عطف تفسير او مؤكدا
وضجر هو قلق واضطراب من بعض الامور **وغضب** تقدم بيانه وانه صلى الله عليه
وسلم لا يغضب لنفسه بل لله اذا انتهكت حرمه **لم يجر** بالجيم مضارع بمعنى وقع وحدث **على
باطنه ما يخل** اى يوقع خللا ونقصا **به** صلى الله عليه وسلم او الضمير لباطنه اى لم
يصدر منه من ظاهره ما يخل به **ولا فاض منه** بفاء وضاد معجمة اى ظهر من فاض الاناء
بالماء اذا امتلا منه حتى تدفق من جوانبه **على لسانه وجوارحه** اى اعضائه الظاهرة
جمع جارحة بمعنى عضو كما يقع لبعض الناس فى المرض وغضبه انه يتكلم ويتحرك بحركات
مختلفة لانه لا يملك نفسه فى بعض احواله **ما لا يليق به** اى لا يناسب علو مقامه كهذيان
بعض المرضى وحمق انهم وشتم من غضب عليه **كما يعترض** اى يعرض **لغيره من
البشر** اذا ابتلى بشىء من ذلك **مما نأخذ** نشرع **بعد** بالبناء على الضم **فى بيانه**
اى مما نحن فيه
فصل فان قلت فقد جاءت الاخبار الصحيحة
كما فى حديث رواه البخارى **انه صلى الله عليه وسلم سحر** كما تقدم وهذا مما طعن به
بعض الملحدين فى عصمته من الناس **كما حدثنا به الشيخ ابو محمد العتابى بقراءتى
عليه** نسبة لعتاب قبيلة باليمن وهو فى الاصل اسم ماء نزلوا عليه فنسبوا اليه **قال حدثنا
حاتم بن محمد** بن عبد الرحمن بن حاتم كما تقدم **قال حدثنا ابو الحسن على بن
خلف** هو على بن محمد بن خلف المعافرى القروى وهو الحافظ القابسى كما تقدم

قال

قال حدثنا محمد بن احمد هو ابو زيد المروزى كما تقدم **قال حدثنا البخارى** صاحب
الصحيح المشهور وهو غنى عن البيان **قال حدثنا عبيد الله بن اسماعيل** الهبارى
توفى سنة خمسين ومائتين **قال حدثنا ابو اسامة** حماد بن اسامة الكوفى توفى فى
سنة احدى ومائتين وعمره ثمانون واخرج له الستة وترجمه فى الميزان **عن هشام
ابن عروة عن ابيه** تقدم الكلام عليهما **عن عائشة** ام المؤمنين رضى الله عنها **قالت
سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم** مبنيا للمجهول وتقدم ان الذى سحره لبيد بن
الاعصم وهو يهودى او منافق كان حليفا لليهود وجمع بينهما بانه كان يخفى اليهودية
ويظهر النفاق وكان فى سنة سبع واختلف فى مدة سحره فقيل اربعين يوما وقيل
ستة اشهر وقيل سنة كما تقدم واعتمده السهيلى وجمع بينها بان ذلك باعتبار ظهوره
وشدة تأثيره **حتى انه صلى الله عليه وسلم ليخيل اليه** اى يقع فى خياله ويتوهم ما لا اصل
له وليس بمعنى يظن لانه لا يتعدى بالى **انه فعل الشىء وما فعله** لما وقع به من الم
السحر **وفى رواية اخرى** لهذا الحديث **حتى كان يخيل اليه انه يأتى النساء ولا
يأتيهن** اى يتوهم انه جامعهن وهو لم يجامعهن وهو المراد بالشىء فى تلك الرواية لكنه
لم يصرح به تأدبا لاستحياء راويه عائشة فاستحيت من ذكره **الحديث** اى اقرأ الحديث
واذكره بتمامه وتمامه كما فى الصحيحين عن عائشة كان صلى الله عليه وسلم ذات يوم او
ذات ليلة وهو عندى دعا ثم قال اشعرت ان الله افتانى فيما استفتيته فيه اتانى رجلان
فقعد احدهما عند رأسى والآخر عند رجلى فقال احدهما لصاحبه ما وجعه قال
مطبوب اى مسحور قال من طبه قال لبيد بن الاعصم فى مشط ومشاطة وجف طلع
نخلة ذكر فى بئر ذروان فاتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ناس من اصحابه ثم
لم يستخرجها والكلام عليه مشهور تقدم بعضه **واذا كان هذا الامر المذكور من التباس
الامر على المسحور** يتخيل فعل ما لم يفعله **فكيف حال النبى صلى الله عليه وسلم فى
ذلك** الالتباس وعلى اى حال وقع له **وكيف جاز عليه** ذلك الامر الذى جاز على
غيره من تأثير السحر فيه **وهو معصوم** جملة حالية هى محل انكار السائل الذى توهم
ان مثله ينافى عصمته فالاستفهام هنا انكارى لاعتقاده عدم طرو التغيرات الباطنة
عليه وهذا انما قاله لما اجاب عنه بقوله **فاعلم** ايها السائل عن سحره **وفقنا
الله واياك** للوقوف على الحق وتحقيقه وهو جملة اعتراضية دعائية اشارة الى ان
قصده فى كتابه هذا ارشاد الى الحق له **ان هذا الحديث صحيح متفق عليه**
اى ما اتفق على صحته اهل الحديث او اتفق على روايته الشيخان **وقد طعنت فيه
الملحدة** الطعن الضرب برمح ونحوه استعير لاسناد ما لا يليق من الثناء بمعنى الحجر
الطائفة من اصحاب العقائد الفاسدة من الحد بمعنى حاد عن الطريق و فى
للسببية اى طعنوا بسببه فى مقام النبوة **وتذرعت به** بذال معجمة وراء مشددة وعين
مهملة من الذريعة كالوسيلة وزنا ومعنى واصلها شوك المصائد استعير لما ذكر
ووجه الشبه ظاهر والباء سببية وقال البرهان فى المقتفى انه بدال مهملة اى ليست

دوعا اى تعوق به وظنته دلبلا ليغمهم لسخف عقولها بضم السين المهملة بمعنى رقتها
وضعفها وتلبيسها على امثالها ممن ضعف عقله فرجع عليهم الى التشكيك فى الشرع
اى يوقع بعضهم بعضا فى شك من احكام الشريعة بتوهم انه يخيل عليه فيها والى متعلقة
بتشريع وهو يعين انه بذا لمحجة وقد نزه الله الشرع طهره عما تبيته والنبى
صلى الله عليه وسلم عما يدخل بضم اوله فى امره اى دينه وما يتعلق به لبسا اى شيئا
يصير امره ملتبسا لغيره مما لا يليق به وانما السحر مرض من الامراض حمله مرضا
مبالغة لانه سبب لتغير المزاج وانفعاله فينشا عنه امور غير طبيعية كالنسيان وهو
معدود من الامراض والامور الروحانية تسرى للبدن تعاوضا والاطبا
معترفون بذلك وعارض من العلل جمع علة والعارض هنا بمعنى العرض وهو
عند الاطبا ما يزول بسرعة من الامراض وهو عند المتكلمين والحكما ما لا يقوم بنفسه
يجوز عليه تخصيص له لاخراج ما لا يجوز عليه صلى الله عليه منها كالجنون وكانواع
الامراض التى تجوز وهاعليه مما لا ينكر عروضه له صلى الله عليه وسلم وعلى سائر
الانبيا ولا يقدح اى لا يعد نقصا وعيبا قارحا فى نبوته صلى الله عليه وسلم من
الامراض كالجذام والبرص وغيره مما صان الله عنه الانبيا لخلقه لهم على اكمل خلق
واتمه ومزاجه صلى الله عليه وسلم اعدل الامزجة وهذا مبنى على ان السحر له حقيقة
موثرة ينشوعنه تغيرات وامراض وهو مذهب الجمهور ويشهد له القران والسنة خلافا
لمن قال انه تخيل لا حقيقة له واليه ذهب ابن حزم وغيره والسحر عند الجمهور على انواع
منه ما لا حقيقة له وهو شعبذة ومنه ماله حقيقة بمعاونة الشياطين وخواص بعض الاشيا
كما تقدم وياتى ايضا عن الراغب واما ما ورد فى الحديث السابق انه كان يخيل اليه انه
فعل الشى وهو لا يفعله كما تقدم بيانه فليس فى هذا ما اى امر يدخل بضم اوله
مضارع ادخل عليه صلى الله عليه وسلم داخلة اى نقيصة وعيبا وفسادا كما يقال امر
مدخول اى معيب فى شى من تبليغه او شريعته قال الراغب الدخول يقتضى الخروج والدخل
كناية عن الفساد والعداوة كالدغل ودعوة النسب بفتح الخاء قال تعالى ولا تتخذوا
ايمانكم دخلا بينكم او يقدح اى يعيب فى صدقه فيما بلغه وشرعه كما توهمه الطاعنون
به لانه سرى على الحال فيقال ان جبريل والملائكة التى كان صلى الله عليه وسلم يراها امورا
متخيلة وحاشاه من ذلك لقيام الدليل المويد بمعجزاته والاجماع من المسلمين وايمة
الدين على عصمته صلى الله عليه وسلم من هذا اى مما يدخل عليه داخلة فى شرعه وتبليغه
عن ربه وهذا بعضه من كلام المازرى فى المعلم قال انكر بعض المبتدعة هذا الحديث
وزعم انه يحط من منصب النبوة وقالوا كلما ادى الى ذلك فهو باطل وتجويزه يعدم الثقة
بما شرعوه من الشرايع اذ يحتمل على هذا انه صلى الله عليه وسلم يرى جبريل وليس هو وانه
يوحى اليه شى ولم يوح اليه وهو مردود لان الدليل قام على صدقه صلى الله عليه وسلم فيما
يبلغه عن الله وعلى عصمته فى التبليغ والمعجزات شاهدة بصدقه فتجويز ما قام الدليل
على خلافه باطل انتهى وانما هذا اى انه يخيل اليه فعل شى لم يفعله ليس عاما بل فى امور

مخصوصة

مخصوصة وهى فيما يجوز طروه بالهمز ونزله اى عروضه فى امور دنياه التى لم يبعث
بسببها من التوحيد والاحكام المشروعة وفى نسخة امر مفرد او فى اخرى من امور
اى لاما يتعلق بشريعته وتبليغه ولا فضل بشد المعجمة وبنا المجهول من اجلها اى
من اجل امور الدينية وانما هو برفعه وزيادة اجره وهو صلى الله عليه وسلم فيها اى
فى امور الدنيا عرضة بضم فسكون اى بعرض يجد ثاله بمستعد للافات اى
التغيرات التى تلحقه كسائر البشر يعرض له ما يعرض لهم لحكمة تقدمت فغير بعيد
اى اذا كان عرضها فلا يبعد ان يخيل صلى الله عليه وسلم من امورها اى امور الدنيا
التى لا تتعلق بالتشريع فالفا فصيحة فى جواب شرط مقدر ما لا حقيقة له مما يتوهم
انه فعله ولم يفعله ثم ينجلى عنه اى يزول وينكشف فيفهم تمام اوصافه مكيدة وتخييلة
او هو حقيقة عرفية فيه كما كان متعلق بينجلى اى حاله لما كان عليه قبل ما عرض له
او المراد كما كان بحاله وهو مسحور وايضا اى كما دفع ما توهموه بما ذكر يبين بوجه
اخر فقد فسر هذا الفصل يعنى قوله يخيل اليه الشى الحديث الاخر معرفا على شر
اى بين المراد به رواية الثانية من قوله بيان لمفسره وهو حتى يخيل انه ياتى اهله يعنى
زوجاته والاهل ورد بمعنى الزوجة كثيرا والحال انه لا يا تيهن يعنى يتوهم انه جامعهن وهو لم
يجامعهن كقوله فالتواحرثكم انى شئتم فهو تصريح بانه من اموره الدنيوية لا الشرعية فلا ضير
فيه وقد قال سفيان اى ابن عيينة كما صرح به فى سنده فى البخارى وهذا التخيل اشد
ما يكون من السحر اى غاية ما يوثره تخييل انه فعل ما لم يفعله ولذا قالت عايشة رضى الله عنها
حتى كان يخيل الخ فان حتى للغاية فلا يبلغ اكثر من ذلك كتقليب الاعيان ونحوه من تغيير الماهيات
وهذا مبنى على ان السحر تخيلات لا حقيقة لها كالشعبذة والمحققون على خلافه كما مر وقد قال
الراغب انه على انواع منها هذا وهو المشار اليه بقوله تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى وقوله
سحروا اعين الناس والثانى استجلاب امور بمعاونة الشياطين واليه يشير قوله ولكن
الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر والثالث فعل يتوهمه تغيير الصور والطبايع فيجعل
الانسان حمارا ولا حقيقة له عند المحصلين انتهى وتقدم ان الاول من جنس الامراض ولذا
قال صلى الله عليه وسلم شفانى الله منه فانه المتبادر من الشفا وبعضهم هنا كلام لا طايل تحته
ولم يات عن احد من المحققين فى خبر منها اى من الاخبار المروية عنه صلى الله عليه وسلم
انه صلى الله عليه وسلم نقل عنه فى ذلك اى فى قصة سحره قول بخلاف ما كان اخبر به
من انه قال انه فعله ولم يفعله اى لم ينقل عنه فى حال سحره قول صدر عنه غير هذا
الذى فسر فى الحديث وانما كانت الامور المنقولة عنه خواطر وتخيلات من قبيل الوسوسة
التى تعرض للعقلا كثيرا من غير تاثير فى عقولهم وعلمهم بمهمات امورهم فلا اعتراض عليه
فى شى مما توهم وقد قيل فى الجواب عما استشكلوه ان المراد بالحديث المذكور فى سحره
انه كان يخيل له ويقع فى خاطره انه فعله وما فعله بمجرد خطوره بباله لكنه
تخييل لا يعتقد صحته ليقظة قلبه وسلامة ذهنه التى لا تؤثر فيها مثل هذه التخيلات
وهى سمابة صيغة عن قرب فتنقشع فتكون اعتقاداته صلى الله عليه وسلم كلها على

عرضى وابن اقترس

الشداد بفتح السين بمعنى الاستقامة وامورة كلها مستقيمة كاملة وادراكه كذلك
لمعرفته صلى الله عليه وسلم بان ما عرض له تخيل لا يعتد به واما بكسر السين فهو ما
يسد به اسم الة كحزام وركاب وفيه بيان في شرحنا لدرة الغواص واقواله كلها جارية
على الصحة فهي كلها صحيحة صادقة اذ لم يقع الخلف في شيء من اقواله وقول عائشة السابق
يخيل له فعل ما لم يفعله لا ينافي ما قررناه لان التخيل بمعنى التوهم وكون الخيال قوة باطنية
مدركة مما اصطلح عليه الحكماء فهو وما يبتنى عليه لا وجه لايراده هنا كما توهم هذا
المذكور في جواب ما دفع في هذا الحديث ما وقفت عليه لائمتنا المحدثين او الاشعرية عرضي
او الفقهاء المالكية في هذا الحديث الذي روته عائشة عنه صلى الله عليه وسلم وفي
نسخة عن هذا وفي اخرى على هذا وهو ظاهر مع ما اوضحناه من معنى كلامهم
في تفسيره وزدناه بيانا زادها متعلق لمقولهم من تأويلاتهم اي من اثاراتهم له
من غير تصريح له وكل وجه منها اي من الوجوه التي ذكرها الائمة مقنع اسم فاعل
بوزن مكرم اي كاف ومغن عن غيره لمن كان له قناعة تغنيه عن الوجوه الضعيفة والاقوال
الواهية والتكلفات الباردة ويجوز فتح ميمه وتنوينه مصدر ميمي بمعنى ما هو مقنع
في الامر بزنة جعفر والاول هو الصواب من غير تكلف لكنه الضمير للشان والامر
قد ظهر لي في هذا الحديث المتقدم في السحر تأويل وتفسير له اجلى اي اظهر من
غيره من التأويلات التي ذكروها وتقدم بعض منها وابعد من مطاعن ذوي الاضاليل
اي اكثر بعدا لمن له عقل سليم عما طعن به اهل الضلال مما تقدم بيانه فالاضاليل جمع ديجي
لا واحد له كالمذاكير او جمع لمفرد مقدر او موجود فقيل جمع ضليل بكسر ثم تشديد اللام
صيغة مبالغة كشريب ولذا قيل لامرئ القيس الملك الضليل وقيل جمع اضلولة بالضم
وهو ما يضل به مرتكبه ولو قيل انه جمع اضلال على خلاف القياس لم يبعد يستفاد
ويؤخذ ذلك التأويل الاجلى من نفس الحديث اي حديث السحر وهو ان عبد
الرزاق بن همام الصنعاني قد روى هذا الحديث اي رواه في مصنفه عن الزهري
عن ابن المسيب واسمه سعيد كما تقدم وعن عروة بن الزبير تقدم ايضا وقال
فيه اي في الحديث الذي رواه عنهما اي عن سعيد وعروة سحر يهود بني زريق بالاضافة
وزريق بتقديم الراء المهملة والتصغير طائفة منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
مفعول سحر وفاعله يهود وهو بلا تاء علم لهم وقد يذكر وتدخله اللام فجعلوه اي
السحر في بئر اي في بئر ذروان كما تقدم حتى كاد رسول الله صلى الله عليه
وسلم اي قرب من ان ينكر بصره اي ما ابصره او ينكر نفسه وفيه لف ... السحر فيه
ثم دله الله على ما صنعوا باخبار الملك وبالمحل الذي وضع فيه فاستخرجه من البئر
على رواية وقيل انه صلى الله عليه وسلم امر به فدفن ولم يخرجه من البئر وكانوا
امروا علما من اليهود كان يدخل بيته صلى الله عليه وسلم فاخذ شعرات من شعر راسه
الشريف وشيئا من اسنان مشطه فعقد وافيه عقدا ودفنوه في تلك البئر فلما انزل
الله عليه المعوذتين واستخرج السحر وحلت عقده شفاه الله والكلام عليه طويل

فصل

فصل في شروح الصحيحين فلا نطيل بذكره به وذكر عن عطاء الخراساني عن
يحيى بن يعمر كما رواه عبد الرزاق ايضا ويعمر بفتح الياء التحتية وبالميم المفتوحة
ونقط وهو ممنوع من الصرف للعلمية ووزن الفعل ويحيى هو قاضي مرو وهو اول
من نقط المصحف وتوفي سنة تسعين قال فيه حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم
بفتح الجهول اي منع عن عائشة اي عن مجامعتها سنة هي مدة السحر كما تقدم عن
السهيلي فبينما هو نائم حقيقة او مضطجع بين النوم واليقظة كما في رواية وبينما
للمفاجاة كبينا وتضاف وتحتاج لجواب كما بينه النحاة اتاه ملكان هما جبريل وميكائيل
فقعد احدهما عند راسه والاخر عند رجليه الحديث اي اذكره واقرأه الى اخره
كما تقدم وقال عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم اي منع من الجماع
عن عائشة خاصة سنة على احد الاقوال السابقة وخص منعه منها دون غيرها
لانها كانت احب ازواجه النبي صلى الله عليه وسلم حتى انكر بصره اي تغيرت قوته الباصرة
عما كانت عليه قبل ان يسحر لا انه فقده بالكلية لما في بعض روايات الحديث السابقة
حتى كاد ينكر بصره اي قارب فقده ولم يفقده ومن قال لم ينكر ثم تنكر اذ لغيره
تغير كما في الاساس ولم يعده مجازا وروى البيهقي صاحب السنن بسند ضعيف
عن محمد بن سعد هو كاتب الواقدي وصاحب الطبقات كما تقدم عن ابن عباس
رضي الله عنهما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبس اي منع عن النساء ان
اريد به الحبس لم يخالف الرواية التي قبله والا خالفها والطعام والشراب فكان لا
يشتهي ولا ياتيها ولا شيئا منها لتغير مزاجه كما في المريض فهبط اي نزل من السما
عليه ملكان هما ميكائيل وجبرائيل وذكر القصة بتمامها وتقدم ان القصة انه
صلى الله عليه وسلم قال لعائشة ان الله اخبرني بدائي ثم بعث عليا والزبير وعمار بن
ياسر فنزحوا ماء البئر كانه نقاعة الحناء ثم رفعوا الراعوفة وهي صخرة في قعر
البئر فاخرجوا جفا ومشاطة وهو شعر راسه الشريف واسنان مشط ووتر معقود فيه
احدى عشر عقدة وتمثالا لصورته من شمع غرز فيه ابر فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام
بالمعوذتين فكان كلما قرا اية منها انحلت عقدة وكلما نزع ابرة وجد لها الما ثم تعقبه راحة
فاعترف لبيد بانه وضعه فعفا عنه فقد استبان لك اي تبين وظهر من مضمون هذه
الروايات اي مما تضمنته واشتملت عليه ان السحر الذي سحر به رسول الله صلى الله
عليه وسلم انما تسلط من السلاطة وهي التمكن ممن يريد قهره والمراد تأثره على ظاهره
اي ظاهر بدنه الشريف وجوارحه واعضائه دون باطنه لا على قلبه واعتقاده
وعقله اذ لم يؤثر فيه نقص اصلا وانه اي السحر انما اثر في بصره بتغيره حتى
كاد ينكره كما تقدم وحبسه عن وطء نسائه وعن طعامه فاضعف جسمه
فامرضه فهو كسائر الامراض لا ينكر عروضه للانبياء عليهم الصلاة والسلام ويكون
معنى قوله يخيل اليه انه ياتي اهله ولا ياتيهن اي يظهر له من نشاطه هذا جواب
سؤال تقديره اذا قلت ان السحر لم يؤثر الا في ظاهر بدنه يرد عليك ان تخيله لم

يبقى وانما يقتضي خللا في الذهن والادراك فهو مناف لما قلناه وقوله معنى اسم كان وخبره مقدر يدل عليه ما بعده اذ لا يصح اقتران الخبر بالفاء المعنوية ومثله كثير في كلام المصنفين وفي الاساس رجل نشيط طيب النفس للعمل ومتقدم عادته اي ما اعتاده صلى الله عليه وسلم قبل السحر المذكور على انما فاعل يظهر اي تقربه وقوته على جماعهن فاذا دنا منهن اي قرب منهن ليجامعهن اصابته اخذة السحر بضم الهمزة وسكون الخاء وذال معجمة وهي امر تتخذه السحرة يحبس المرء عن انتشار آلة الجماع تسميه العامة رباطا وهو نوع من السحر ويقال به اخذة من الجن ايضا كانها اخذته قوته فلم يقدر على اتيانهن كما يعتري اي يعرض ويغشى من اخذ قبل هو بضم الهمزة وتشديد الخاء المعجمة وذال معجمة من التاخذ وفي نسخة وخذ بالواو اي منع من الجماع كما قيل والظاهر عليهما ان يقرا من صنع له اخذة السحر السابقة واعترض بينا المجهول اي عرض له عارض من مرض ونحوه والظاهر انه من العارض المعروف بين السحرة الذين يدعون الجن وهو المناسب للاخذة ولعله الصحيح لان في نسخة حذفه لمثل هذا اشار سفيان بن عيينة فيما نقله عنه سابقا بقوله وهذا اشد ما يكون من السحر اي اعظم انواعه ان يخيل له فعل ما لم يفعله وقد تقدم ما فيه ويكون قول عائشة في الرواية الاخرى من احدى الروايتين في الحديث اعني قولها انه يخيل له انه فعل الشيء وهو ما فعله والتي هم في روايتها دون الاخرى فيحتمل انه من باب ما اختل من بصره اي قوة نظره لا نفس عينيه وهو ما انكره كما ذكر في الحديث من انه كان يخيل اليه الخ وبينه بقوله فيظن انه راى شخصا من بعض ازواجه او شاهد فعلا من غيره انه فعله وصدر منه على وجه مخصوص ولم يكن صدر منه على ما يخيل اليه وذلك لما اصابه في بصره وضعف نظره من اثر السحر لا لشيء طرا عليه في مميزه بفتح الميم وسكون الياء المثناة التحتية بمعنى تمييزه والمراد به قوة عقله المميزة بين الحاذه بمبرزه مميز اكثار بيبرسبر بمعنى مميز وبين واذا كان هذا اي ما ذكر من حاله صلى الله عليه وسلم على جاز وره لم يكن فيما ذكر من اصابة السحر له في هذه المرتبة من غير زيادة فيه وتاثيره فيه بمجرد ضعف بصر غير قادح ما يدخل لبسا عليه بان يوثر في عقله وتمييزه او يعرض لباطنه ولا يجد به الملحد الزائغ عن الحق بطعنه في الانبيا عليهم الصلاة والسلام المعترض به على انه يلزم من تاثير السحر فيه ان يتخيل ما لا حقيقة له ويورث شكا فيما يراه من الملايكة كما تقدم انسا اي امرا بينا يتشبث به او يهامه للفاسدة او يجدث عنده علما ينقص به مقام النبوة حتى في قولهم آنست منه كذا اذا علمته او ابصرته

فصل

هذه الامور المذكورة في الفصل المتقدم حاله صلى الله عليه وسلم في جسمه الشريف ظاهرا وباطنا واما احواله في امور الدنيا اي الامور المتعلقة بها فنحن نسبرها بفتح النون وضمها وسكون السين المهملة وضم الباء الموحدة او كسرها وراء مهملة والضمير راجع لامور الدنيا يقال سبره واسبره اذا اختبره كما في الصحاح واصل

معناه ان يدس في الجرح مرودا ليعلم عمقه ثم شاع فيما ذكر وهو عند اهل الاصول استقصاء افراد امر كلي وانقسامه والمراد هنا تتبعها على اسلوبها اي نوردها على طريقة المتقدم في هذا الكتاب والاسلوب بضم الهمزة الفن والطريقة يقال اساليب الكلام لفنونه بالعقد اي الاعتقاد المتعلق بتدبيرها والقول والفعل اي نسوق في اقسامها النظرية والقطعية والعملية اما العقد منها اي ما يتعلق من احواله صلى الله عليه وسلم في امور الدنيا بالعلم بها والاعتقاد فقد يعتقد صلى الله عليه وسلم الشيء من امور الدنيا على وجه اي ويعتقد على وجه من الوجوه في بادي الراي ويظهر خلافه اي يظهر له انه على خلافه في الواقع ونفس الامر او يكون منه اي من الشيء الذي هو من امور الدنيا على شك فيه او يكون منه على ظن بان يترجح عنده احد طرفي الوقوع وعدمه بخلاف امور الشرع فانه صلى الله عليه وسلم لا يتردد فيها لانه معصوم عن الخطا وان قلنا بجواز اجتهاده فيها لانه مستند للوحي ايضا ثم اورد شاهدا لانه قد يعتقد شيئا من امور الدنيا على خلاف ما هو عليه وهو حديث رواه مسلم تقدمت الاشارة اليه مرارا فقال كما حدثنا ابو بكر سفيان بن العاصي تقدم بيانه وغير واحد قراءة وسماعا اشارة الى انه رواه من طرق قالوا حدثنا ابو العباس احمد بن عمر قال حدثنا ابو العباس الرازي قال حدثنا ابو العباس احمد بن عمرويه الكلام فيه كالكلام في سيبويه في بنائه على الكسر واعرابه اعراب ما لا ينصرف وان المحدثين يضمون ما قبل الواو ويفتحونها كما اشتهر عنهم قال حدثنا ابو سفيان ابراهيم محمد بن سفيان راوي صحيح مسلم عنه قال حدثنا مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح المشهور قال حدثنا عبد الله بن الرومي بن محمد او ابن عمر نزيل بغداد ثقة حافظ توفي سنة مايتين وست وثلاثين ولم يخرج له من اصحاب الكتب الستة غير مسلم وعباس العنبري بن عبد الله بن اسماعيل بن توبة ابو الفضل العنبري البصري الحافظ توفي سنة مايتين وستة واربعين واحمد المعقري هو احمد بن جعفر والمعقري بفتح الميم وسكون العين المهملة وكسر القاف وراء مهملة وبانسبة وقيل بكسر الميم وسكون العين وفتح القاف وقيل بضم الميم وفتح العين وكسر القاف المشددة نسبة لمعقر ناحية من اليمن قالوا حدثنا النضر بن محمد الجرشي اليمني وله ترجمة في الميزان قال حدثني عكرمة بن عمار وقد تقدم قال حدثنا ابو النجاشي عطا بن صهيب الثقة قال حدثنا رافع بن خديج بفتح الخاء المعجمة وكسر الدال المهملة ومثناة تحتية ساكنة وجيم توفي سنة اربع وسبعين من الهجرة واخرج له الستة وهو انصاري صحابي شهد احدا قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة لما هاجر من مكة وهم يابرون النخل بضم الباء الموحدة بعد الهمزة الساكنة والجملة حالية وتابيرها ان يوخذ من طلع النخلة الذكر ما يوضع في طلع غيرها حتى يتشقق فتلقح يقال ابرته وابرتها بالتشديد وروي هنا يابرون مشددا والتاخير ان يخرج ثمرتها صالحة لا شيصا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد راهم على رؤس

النخل وهم يأبرون كما في مسلم ما تصنعون استفهام تقريري قالوا شيئا كنا نصنعه
وهو التأبير ليثمر ثمرا حسنا فقال لهم لو لم تفعلوا كان خيرا اي لو تركتم التأبير
للنخل كان خيرا من تأبيرها وروي ما اظن ذلك يغني شيئا فاخبروا بذلك فتركوه
اي التأبير فنفضت بنون وفاء وضاد معجمة وصححه بعضهم بنون وقاف قاله ابن قرقول
اي تمر ثمرها او نقصت فصارت شيصا غير مستوية فذكروا ذلك اي نقصها له صلى
الله عليه وسلم فقال انما انا بشر اصيب واخطئ في امور الدنيا التي لم يوح الي فيها شيء
ولكن اذا امرتكم بشيء من دينكم فخذوا به اي تمسكوا به ولا تخالفوني فيه واذا
امرتكم بشيء من رأيي اي يكون رأيا في امور الدنيا الصرفة فانما انا بشر مثلكم
قد ارى رأيا والامر بخلافه في امور الدنيا فلا يجب اتباعه وفي رواية لمسلم عن انس
انتم اعلم بامر دنياكم اي بجميع احوالها واضاف الدنيا لهم لانه صلى الله عليه وسلم لا يريد
شيئا منها ولا يلتفت اليه وفي حديث اخر رواه مسلم عن طلحة في هذه القصة انما
ظننت بما قلته لكم ظنا مني انه لا يلزم ما فعلتموه فلا تؤاخذوني بالظن اي لا تجدوا
علي في انفسكم كدرا فيما ظننته خيرا لكم فتبين خلافه قال ابن رشد في كتاب
التحصيل والبيان هذا الحديث روي بالفاظ مختلفة متقاربة معنى كقوله صلى الله عليه
وسلم ما انا بزارع ولا صاحب نخل ولا فلاحة او كل حكى ما سمع وانما نفى الظن بانه لا يلزم
لاختصاصه بالحيوان ولم يكن ذلك عن وحي كما قاله الطحاوي وقال ابو الوليد انه صلى
الله عليه وسلم بين انه لا تأثير في الصلاح والافساد لغير الله الا ان الله قد يجري العادة
باسباب لذلك تعلم بالتجربة كالتأبير وهو صلى الله عليه وسلم لم يسبق له تجربة فيه وقيل
عليه ان عدم علمه به بعيد فالاولى ان يقال انه صلى الله عليه وسلم نبههم على توكل الخواص
بترك الاسباب الذي هو من مقامات الانبيا دون غيرهم وقوله لا تؤاخذوني اي المراد
انه ظنهم من اهل هذا المقام فلما اخبروه بما لهم ردهم لها وقال لهم انتم اعلم بما لكم
واستدل بهذا على ان الاجماع في امور الدنيا لا يعتد به لرجوعه صلى الله عليه وسلم
لقولهم كما رجع لهم في منزل بدر كما في التلويح اي وياتي في كلامه قريبا وقال ابن
ابي شريف انه ممنوع وقول الرسول صلى الله عليه وسلم حجة في الامور الدنيوية
وغيرها لانه اما بوحي او باجتهاد لا يقر على الخطأ فيه ومراجعته كانت قبل استقرار
اجتهاده والتلقيح من ربط المسبب بالسبب ولو شاء الله صلحت الثمرة بدونه وهو
اعتقادنا وقوله انتم اعلم لا ينافيه وفيه بحث فتدبر وفي حديث ابن عباس
الذي رواه البزار بسند حسن في قصة الخرص بفتح الخاء المعجمة وسكون الراء وصاد
مهملتين وهو الحزر والتخمين لما على النخل والكرم من الرطب والعنب وتفسيره كما
قال الترمذي ان الثمار اذا ادركت من الرطب والعنب ووجبت الزكاة وبعث
السلطان من يخرصها فخرصها وقال يخرج منها كذا او كذا فيبين قدره ومقدار عشره
فيثبته عليهم فاذا جاء وقت الجداد اخذه وفي بدنه التوسعة على ارباب الثمار فيتناولوا
منه ما ارادوا وهذا كان على عهده صلى الله عليه وسلم وعلى عهد الخلفاء ولذا اجوزه بعضهم

ومنعه

ومنعه بعضهم لانه تخمين وفيه غرر واما الخرص بكسر الخاء فاسم للمخروص فقال صلى
الله عليه وسلم انما انا بشر اي انا مقصور على صفة البشرية التي يجوز عليها الاصابة
وعدمها وقيل هو قصر قلب خلافا لمن يعتقد او يظن ان الخطأ في الامور الدنيوية
لا يجوز عليه فعكس اعتقاده فيما لا تعلق له بالشرع والوحي فما حدثتكم عن الله
فهو حق لا يجوز الخلف فيه وما قلت فيه من امور الدنيا من قبل نفسي برأي
لا بخبر خطر على نفسي فانما انا بشر اخطئ تارة واصيب اخرى قيل هذا مما يستدل
به على جواز خطائه في اجتهاده وقيل لا دليل فيه لانه لم يقله اجتهادا وانما هو ظن
شيء له وقد تقدم ما فيه قريبا وهذا اصل ما قررناه من انه صلى الله عليه وسلم قد
يرى شيئا من امور الدنيا على وجه فيظهر خلافه كما اشار اليه بقوله فيما قاله من قبل
نفسه في امور الدنيا وظنه من احوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في
شرع شرعه بالتخفيف والتشديد اي اظهره وبينه وسنة سنها وهذا الكلام مبني على انه
صلى الله عليه وسلم كان يجتهد في بعض الاحيان وهو الصحيح كما تقرر في الاصول
واذا اجتهد لا يخطئ ولا يقر على خطأ وقد دفع له ذلك لا حجة لمن تمسك في قوله وما
ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ونحوه لانه اذا اذن له فيه كان وحيا مع انه الهام
والهام الانبيا قسم من الوحي والمراد بالسنة الطريقة المحمدية من اقواله وافعاله
وسنها بمعنى جعلها امرا متبعا وطريقا مسلوكا لا ما يقابل الفرض فهي بالمعنى اللغوي وقوله
فيما قاله من قبل نفسه تخصيص مفروغ عنه مقرر في بحث الاجتهاد من كتب اصول الفقه
فمن قال انه تخصيص من غير مخصص مع ما اطال فيه من الزوائد وضرب في حديد
بارد غني عن الرد وكما حكى محمد بن اسحاق رحمه الله في كتاب المغازي مما يشابه ما
قبله من امور الدنيا انه صلى الله عليه وسلم لما نزل في غزوة بدر وبدر اسم ذلك
المكان وبير فيه سميت باسم صاحبها كما مر بادنى مياه بدر اي ابعدها واقلها ماء وليس
بمحل نزول وتركت قريش بالعدوة القصوى من الوادي والمسلمون بكثيب اعفر تسوخ
فيه الاقدام وسبقهم المشركون الى الماء واحرزوه وحفروا القلب واصبح المسلمون
وبعضهم على غير طهارة يحتاج الى الماء واصابهم الظما ولم يصلوا الماء ووسوس الشيطان
لبعضهم في ذلك والغرارية فارسل الله عليهم مطرا سال منه الوادي فشربوا واستقوا
وتطهروا وثبتت الاقدام وزال وسواس الشيطان كما قال تعالى وينزل عليكم من
السماء ماء ليطهركم به الاية وكان صلى الله عليه وسلم لما نزل بادنى مياهها قال له الحباب
بضم الحاء المهملة وموحدتين علم منقول من اسم الشيطان بن المنذر رضي الله عنه
ابن الجموح بن زيد بن حرام بن غنم بن كعب بن سلمة الخزرجي الانصاري الصحابي الذي
يقال له ذو الرأي توفي كهلا في خلافة عمر رضي الله عنه اهذا المنزل الذي انزلنا فيه
يا رسول الله منزل انزلكه الله عز وجل اي امرك بالنزول فيه ليس لنا ان نتقدم
ونتنزل فيما هو اولى منه لانا لا نخالف امر الله بوحيه ام هو الراي اي رأي منك بلا امر
من الله يجب اتباعه وليس تعريفه للاستغراق العرفي اي انه هو الراي الكامل كما قيل

عرضي

لانه لا يناسب هنا والحرب اى ام هو محل مناسب لمحاربة الاعدا والمضرة فهو
مجاز بذكر المسبب وارادة السبب والمكيدة اى الكيد والمكر لان الحرب خدعة
والمكيدة مصدر ميمي بمعنى الكيد وهو الحيلة لا يتناع ما يريده من السوء ويسمى الحرب
كيدا كقوله فى الحديث لم يلق كيدا اى حربا فقال صلى الله عليه وسلم مجيبا له رضى الله
عنه لا اى لم يامرنى الله بنزوله بل هو الراى والحرب والمكيدة اى نزلته براى
منه لما ذكر فقال له الحباب ليس هذا المحل بمنزل مناسب لما ذكر لبعده
عن الما وكثرة رمله انهض اى قم من هنا وانتقل حتى تاتى ادنى اى اقرب ما من
القوم وهم قريش فتنزله اى تنزل فيه ثم تغور ما وراءه اى تفسده وتطمه
حتى يذهب ماؤه الذى ينتفع به الاعدا وفى نسخة ما وراءه ما موصولة بالظرف منصوب
وروى بالمد ما بعده صفته من القلب بضم القاف واللام وتسكن وهو جمع قليب
وهو البير الذى لم تطو اى لم يبن اطرافها بالحجارة وتغور بضم التون وتشديد الواو
بينهما غين معجمة او مهملة كما فى المنتقى وقال السهيلى انه بضم العين المهملة وسكون الواو
وفى حواشى السيرة لابى ذر الخشنى من رواه بغين معجمة معناه تذهبه وتدفنه ومن
رواه بمهملة معناه تفسده انتهى وفى اهماله مناسبة للعين لا تخفى فنشرب اى المسلمون
منه ولا يشربون اى الكفار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للحباب اشرت
بالراى اى بالراى الصواب الحسن وفعل صلى الله عليه وسلم ما قال له الحباب بن المنذر
له ونزل على الما وبنى حوضا يشربون منه الى اخر ما ذكره ابن اسحاق فى سيرته
وروى ابن سعد ان جبريل نزل عليه صلى الله عليه وسلم وقال له الراى ما اشار
به الحباب ثم ذكر ما دعاه لمشاورته فقال وقد قال الله صلى الله عليه وسلم
وشاورهم فى الامر الامر للندب لا للوجوب وانما امره بذلك تطييبا لخاطرهم
وقلوبهم ورفعا لمقدارهم لان كبرا العرب كانوا اذا لم يشاوروا شق ذلك على نفوسهم
فامره بذلك رعاية لهم وتشريعا لمن بعدهم وان كان صلى الله عليه وسلم اكمل الناس
عقلا واسدهم رايا واختلف فى ذلك فقيل كان فيما لم ينزل فيه وحى ليجتهد فيه
ويجتهدوا معه فان الاجتهاد بحضرته جائز ايضا كما تقرر فى الاصول وقيل انه
مخصوص بامور الدنيا ومصالح الحرب فانهم جربوها وقاسوا شدايدها وكلام
المصنف يومى لهذا ولذا قال واراد اى النبى صلى الله عليه وسلم مصالحة بعض عدوه
على ثلث ثمر المدينة الحاصل من نخلها وكان ذلك فى غزوة الخندق لما بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى عيينة بن حصن والى الحارث بن عوف المرى وهما قايدا غطفان
بان يعطيهما ما ذكر فاستشار الانصار رضى الله عنهم اى شاورهم ليرى رايهم
والمستشار منهم سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فلما اخبروه برايهم فى ذلك وهو ما
قال له سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهولا القوم على الشرك وعبادة
الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون ان ياكلوا منها تمرة الا قرى او بيعا
فحين اكرمنا الله بالاسلام وهدانا له واعزنا بك وبه نعطيهم اموالنا ما لنا بهذا من

حاجة

حاجة والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم رجع عنه اى عن رايه فى
اعطايهم وقال لسعد انت وذاك كما ذكره ابن اسحاق فى مغازيه وساق القصة بتمامها
وذلك لما اشتد الامر على المسلمين وظهر من المنافقين ما ظهر بعث صلى الله عليه وسلم
اليهما بذلك واراد ان يكتب به صحيفة فلما استشار رئيسهم السعدين قال له ابن معاذ امرك
الله بهذا اى قال لا ولكن اردت دفعهم فقال له صلى الله عليه وسلم ما ذكرناه انفا وتناول
الصحيفة ومحاها وجرى ما جرى حتى هزم الله الاحزاب وحده واعز جنده فمثل هذا
المذكور من قصة الحباب والانصار وغيره واشباهه مما يضاهيه من امور الدنيا التى
لا اعتناله صلى الله عليه وسلم بها ولا مدخل فيها لعلم ديانة اى امور اعتلقته بالشرع والدين
واحكامه ولا اعتقادها ولا تعليمها بالجر عطفا على ما قبله علم ديانة اى ليس مما امر صلى
الله عليه وسلم باعتقاده وتعليمه لامته وتعليمه لم يجوز عليه فيه ما ذكرنا من ان يعتقد
على وجه فيظهر له خلافه لانه ليس من مهمات الدين والجملة خبر قوله هذا اذ ليس فى
هذا كله نقيصة له صلى الله عليه وسلم لانه ليس بها عنده ولا محطة بما وطا مهملة من
من الحط وهو التنزيل لا سفل اى لا يحط على مقامه ولا يشينه وانما هى امور اعتيادية
اى جارية على عادة الناس فيها لا من العلم والاحكام يعرفها من جربها واعتنى بها وهو
صلى الله عليه وسلم لا يعتنى بها ولا يجعلها فضلا عن تجربتها وجعلها همه اى امرا يهتم به
ويتقيد وهو صلى الله عليه وسلم لا يلتفت لها وشغل نفسه بها اى بامور الدنيا ومعاناتها وزوالها
والنبى صلى الله عليه وسلم مشحون القلب اى قلبه مملوء بمعرفة الربوبية وما يتعلق بها
من اجلال وتكريم وتنزيه وتعظيم لم يبق فيه محل فارغ لغيرها حتى يخطر ببال كما قيل

ملكت بعض حبك كل قلبى … فان ترد الزيادة هات قلبا

وقد تقدم ويسمى عليه يعنى مملوء غير خال منها يقال شحن السفينة اذا ملاها ملان
الجوانح جمع جانحة وهى الضلوع التى فى الصدر وجعل معرفة الله وصفاته ملء قلبه
اشارة الى انها اول ما علمه وانها اعتقادات حقة وهى اول ما يجب كما قيل

اتانى هواها قبل ان اعرف الهوى … فصادف قلبا خاليا فتمكنا

وجعل ما علمه بعده فيما يتعلق بعلوم الشريعة ملا صدره لوروده عليه بعدها وهى
فى غاية الحسن والاتقان وقيل كنى بالجوانح عن نفسه مجازا مرسلا من اطلاق الجزء
على الكل ولا يخفى ما فيه مقيد البال بمصالح الامة الدنيوية والاخروية والبال
هنا بمعنى الخاطر الذى يخطر على النفس لا بمعنى القلب وان ورد بهذا المعنى لانه اراد ان افكاره
صلى الله عليه وسلم وخواطره بعد معرفة الله تعالى وتلقى ما اوحى اليه لا تشتغل الا بمصالح
الامة المذكورة والمراد امورهم التى بها صلاح دينهم بتعليمهم ما يجب لهم وعليهم من الطاعات
والاعتقادات والمراد بالدنيوية ما يتعلق بدنياهم فى معاملاتهم ونحوها من الامور
الشرعية ولله دره فيما اتى به مرتبا مع التفنن فى العبارة حيث ذكر ما يتعلق به صلى الله عليه
وسلم اولا من معرفة ربه ملا قلبه ثم ما يتعلق به من تلقى الوحى ملا صدره ثم جعل ما يتعلق
بامته وتبليغهم وتعليمهم خواطر وافكارا فاعرفه ولكن هذا اى ما يعتقده ويظهر خلافه

انما يكون اي يقع له صلى الله عليه وسلم ويتفق في بعض الامور الدنيوية العادية
التي تعرف بالتجربة وكثرة المزاولة ومع انه ايضا انما يجوز صدوره منه بخلاف ما
هو عليه في النادر ايضا والا فلامية عقله صلى الله عليه وسلم وشدة حذقه يقتضي انه
اعلم الناس بامور دنياهم ايضا لانه اوفر الناس عقلا وقد اطلعه الله على اسرار الوجود
من مذموم ومحمود وقوله صلى الله عليه وسلم انتم اعلم بامر دنياكم انما اراد به تطييب
قلوبهم كما مر وان لا يزكي نفسه تواضعا منه وما ندر منه دفوعه كان فيما سبيله اي طريق
العلم به التدقيق اي تدقيق النظر فيه بتكريره وصرفه في حراسة الدنيا اي حفظ امور
الدنيا وصرفها واستثمارها اي طلب زيادتها وتنميتها وهو امر ناشئ عن محبتها والحرص
على تحصيلها وهو صلى الله عليه وسلم لا يهتم بحرث الدنيا ولا يشغل خاطره ومع ذلك ما
وقع منه عدم العلم بها الا نادرا لا في الكثير من امورها المؤذن الذي يعلم كثرته من
اطلع عليه انه صدر بسبب البله والغفلة البله والبلاهة نقص في العقل وهو صلى
الله عليه وسلم اكمل الناس وارجحهم عقلا والغفلة دون البله وهي كونه لعدم حذقه يغفل
عن بعض الامور وما ورد في الحديث من ان اكثر اهل الجنة البله فالمراد بهم كما في النهاية
الغافلون عن الشر لانهم مطبوعون على الخير وحسن الظن بالناس لا لنقص العقل لا
يمدح به وبعضهم في بعض الحمق وقد بني له دارا حسنة دار كيا هذا عدت جنة
وان اهل الجنة البله وقد تواتر بالنقل تواترا معنويا كتواتر كرم حاتم وشجاعة علي
كرم الله وجهه ممن لا يمكن تواطيهم على الكذب في الجميع لا في مادة بخصوصها عنه صلى الله
عليه وسلم متعلق بتواتر من المعرفة بامور الدنيا واحوالها تفصيلا من غير الامور المترددة
ومعرفة دقائقها اي الامور الدقيقة التي تخفى على كثير منهم مصالحها اي حاجاتهم
التي بها صلاح العالم في المعاش وسياسة فرق اهلها عربا وعجما على اختلاف عقولهم
وطبايعهم وعاداتهم والسياسة حكم الناس وضبط امورهم الجارية بينهم
حتى لا يتعدى بعضهم على بعض يقال ساسه يسوسه اذا حكم عليه بما يجعله منقادا
ما هو ما موصولة او موصوفة فاعل تواتر معجز في البشر اي امر يعجز البشر عن
مثله والبشر بنو ادم سموا به لظهور بشرتهم اي ظاهر جلدهم من غير استتار بشعر ووبر
كالحيوانات كما قد نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب كما تقدم تفصيله
فلا حاجة لاعادته هنا لانه صلى الله عليه وسلم لما فوض له الامامة العظمى على جميع
الخلق والحكم بينهم ودعوتهم لطاعته لزمه ان يعلم جميع احوال الناس دنيوية ودينية
ليتم امره ويتأتى له ما امر به فلا يخفى عليه الامور فلعله لا يضره عدم العلم بها ولذا
كان صلى الله عليه وسلم يحكم بالسلطنة والقضا والفتوى كما فصلوه وسبق الفرق
بين احكامها **فصل** قال المص واما ما يعتقده صلى الله عليه
وسلم في امور احكام البشر اي ما يحكم به عليهم في امورهم التي ترفع اليه من الامور
الجارية على يديه اي الواقعة عنده فاستعار الجري على يديه لهذا وقضاياهم
اي امورهم التي ترفع اليه صلى الله عليه وسلم ليقضي فيها بما اراه الله ومعرفة المحق

مطلب المراد بالبله في حديث اكثر اهل الجنة البله الغافلون عن الشر

من

من المبطل ضمن المعرفة معنى التمييز فعداه بمن والمحق والمبطل اسما فاعل بمعنى من
هو على الحق او الباطل وكونه اسم مفعول كما قيل ركيك من غير داع له وعلم المصلح من
المفسد اي اهل الصلاح والفساد فبهذه السبيل الطريقة اي جا في هذه الطريقة
السابقة في امور الدنيا التي قد يظهر له فيها ما الامر بخلافه احيانا ولا يضره لما سبق وهو
وان كان لا يخفى الله عنه علمه اصلا كما قاله بعض العارفين يظهره الله تعالى لئلا تضل به
بعض امته لتوهمهم انه يعلم الغيب فيتبعون نبيا وقع فيه النصارى فلذا كان يتبرؤ
كما قال الابوصيري رحمه الله تعالى

لم يمتحنا بما تعيى العقول به ... حرصا علينا فلم نرتب ولم نهم

لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان مسندا وابو داود وعنه رواه المص
لعلو سنده فيه كما مر وتقدمت الاشارة اليه مرارا انما انا بشر لا اعلم الغيب وانكم
تختصمون الي في امور عندي وتردون حكمها الي ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته
من بعض اي اعرف باقامة الحجة وافصح في بيانها ممن يخاصمه واصل معنى اللحن الميل عن
الاستقامة ومنه اللحن في الاعراب لميله عن الصواب واللحن الطرب ومنه الحان القراءة
وفي الاساس لحن بحجته فطن لها فبصرها لما بينا وفلان الحن بحجته من صاحبه انتهى
اي افصح منه واقدر على اقامة الحجة فاقضي له واحكم على نحو ما اسمع اي على نوع وضرب
مما يسمع من كلامه بحسب الظاهر منه فمن قضيت له من حق اخيه لشيء ولو قليلا اي حكمت
له بشيء ليس له حق فيه وانما هو حق لخصمه ويعبر بالاخ عن الخصم كقوله تعالى ان هذا اخي
له تسع وتسعون نعجة للاستعطاف والحث على عدم الكذب فلا ياخذ منه شيئا ليس
حقه فانما اقطع له بما اعطيته من حق غيره قطعة من النار فهل ما ياخذه بغير حق
قطعة من نار جهنم مبالغة في حرمته عليه واستحقاقه للعذاب تنزيله منزلة عذابه حقيقة
كما في قوله ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا وحاصله ان
حكم الحاكم بحسب الظاهر صحيح نافذ ولكنه ان خالف الواقع لا يحل حراما ولا يحرم حلالا
لانا نحكم بالظاهر وعند الله علم السرائر وهذا في الاموال والدما وغيرها فالحكم ينفذ
بحسب الظاهر ويبقى الباطن في الاخرة وقد دفع الخلاف بين الفقها في بعض احكام
الفروج كما لو شهد شاهدا زور على رجل انه طلق امراته وحكم الحاكم بالفرقة بينهما
وهو لم يقع منه طلاق في نفس الامر فهل يجوز له ان ينكحها بعد الحكم
المذكور ام لا فيه قولان كما في كتب الفروع حدثنا الفقيه ابو الوليد رحمه الله
تقدم بيانه قال حدثنا الحسين بن محمد هو الحافظ ابو علي الغساني وقد تقدم
قال حدثنا ابو عمر هو ابن عبد البر وقد تقدم قال حدثنا ابو محمد عبد
الله بن محمد بن عبد المومن القرطبي كان ممن لقي ابن داسة واخذ عنه وترجمه الذهبي
قال حدثنا ابو بكر هو ابن داسة راوي سنن ابي داود كما تقدم قال حدثنا
ابو داود الامام المشهور صاحب السنن وقد تقدم قال حدثنا محمد بن كثير
بكاف مفتوحة ومثلثة مكسورة وتحتية ساكنة وهو ابن كثير العبدي البصري

تلمسانى

الامام المشهور اخرج له السنة توفى سنة مائتين وثلاث وعشرين وعمره تسعون سنة
وترجمه فى الميزان قال حدثنا وفى نسخة اخبرنا سفيان اى الثورى لا ابن
عيينة لانه الذى يروى عنه ابن كثير وبه صرح عبد الغنى فيحمل المطلق عليه عن هشام
ابن عروة عن ابيه عروة وتقدم الكلام عليهما عن زينب بنت ام سلمة ام
المومنين رضى الله عنها وزينب هذه بنت ابى سلمة ربيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهى صحابية تزوجها عبد الله بن زمعة توفيت سنة ثلاث وسبعين عن ام سلمة
ام المومنين المذكورة واسمها هند وقيل رملة كما تقدم قالت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الحديث المذكور يعنى انما انا بشر الخ وقدم المتن على السند
هنا وهو جائز لانه مبين لما عقد له الفصل كالترجمة له وعدل فيه عن رواية الصحيحين
لعلو سنده فى سنن ابى داود او لانه ضمه لما هو مشهور معلوم تقويته له وفى رواية
الزهرى ابن شهاب الامام المشهور عن عروة تقدمت ترجمته فلعل بعضكم وقع
فى هذه الرواية بالفا التفريعية وفيه ابلغ من بعض مكان الحن وهو من البلاغة
ليوافق معنى الرواية الاخرى وما قيل انه من البلوغ وهو الوصول اى اسرع وصولا
للحجة مع انه غير مناسب لما قاله للظاهر فلا حاجة لتكلفه وقيل انه من المبالغة
والزيادة فى اجتهاده بترويج حجته فاحسب انه صادق فيما ادعاه بحسب الظاهر
وان وما بعده ساد مسد مفعولى احسب فاقضى له اى احكم له بما اظنه حقه وهو
صلى الله عليه وسلم يجرى بمثناة فوقية واحكامه مرفوع نائب مناب فاعله او تحتية
مضمومة واحكامه منصوب مفعوله على الظاهر من الامر وما يقتضيه ويجرى على
موجب بضم الميم وفتح الجيم اى ما يقتضيه غلبات الظن اى ما يغلب تحققه فى ظنه
بحسب الظاهر الحال وجمع غلبات باعتبار تعدد الخصومات ثم بين سبب غلبة ظنه
بما قضى به فقال بشهادة الشاهدين اى بسبب ذلك وبيمين الحالف اذا حلف
فانه يغلب على الظن صدقه والمراد اليمين الذى يقتضيه الشرع فى محله ولذا قال
الحالف من غير تعيين فلا وجه لصرفه لمعان من غير ما يشعر به فى العبارة وظن
بعضهم ان غير الحالف المراد بها اليمين مع شاهد واحد الذى حكم به بعض الائمة ولا
حاجة تدعو له ومراعاة الاشبه اى ما هو اكثر شبها بالحق بما فيه من القرائن وظن
بعضهم ان الاشبه المراد به شبه الولد فى الملاعنة وبما حكم فيه بالظاهر اللقطة
وما فيها من معرفة العفاص وهو بكسر العين المهملة وفا مفتوحة مخففة قبل
الالف وصاد مهملة وهو وعا من جلد ونحوه يوجد فيه ما التقط والوكا بكسر
الواو ما يربط به فاذا عرفها وجا طالبها بادعى انها له فاذا ابينها تدفع له
لغلبة الظن بانه صاحبها ومواشرة لما ورد فى الحديث الصحيح وعرفها سنة ثم
احفظ عفاصها ووكاها فان جاك احد يخبرك بها والا فانفقها مع مقتضى
حكمة الله تعالى فى ذلك اى اقتضى حكمة الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام
ان يحكم بالظاهر ليقتدى به من بعده من حكام امته ولو اراد ان يطلعه الله فى

عرضى

عرضى

كل

كل قضيه على حقيقتها فعل ولكنه لا يتيسر لمن بعده اتباعه فى احكامه وهذه الاحكام
وان خالفت الواقع لا خطا فيها لانه مامور بالحكم به وليس من قبيل اجتهاده حتى يقال
انه لا يخطى فيه ولا يقر على الخطا فيما فى ما تقدم وموطاهر حديث افاده صلى الله عليه
وسلم لو شا لاطلعه الله على اسرار عباده اى ما خفى منها فاراد الله ان لا يطلعه
وانه اذا اطلعه لا يظهر لهذه الحكمة ومخبات ضمايرهم اى ما اضمروه واخفوه
فى انفسهم مما لا يطلع عليها الا الله عالم الغيب وهى جمع مخباة اسم مفعول مستعارة اى
مكتومة غير ظاهرة وخبايا الارض فى الحديث الزرع لاستتاره اذا بذر وفى الحديث
ابتغوا الرزق فى خبايا الارض وقال الشاعر

تتبع خبايا الارض وادع مليكها لعلك يوما ان تجاب وترزقا

فتولى الحكم بمجرد يقينه وعلمه يعنى لو اطلعه الله على السراير لحكم بها كان يحكم
بعلمه فيها دون حاجة له فى حكمه الى اعتراف اى اقرار من الخصم او بينة تشهد عليه
او يمين تتوجه على المنكر او شبهة اى مشابهة فى الامر للحق كما تقدم والامر كذلك
لكن لما امر الله امته فى اتباعه فى احكامه التى شرعها لهم والاقتدا به فى افعاله
المشروعة واحواله وقضاياه اى احكامه صلى الله عليه وسلم التى قضى بها لامته
وسيره المأثورة عنه صلى الله عليه وسلم فى غزواته وغيرها وكان هذا الامر الذى
امر باتباعه فيه لو كان مما يختص صلى الله عليه وسلم بعلمه الذى اعلمه الله به مما خفى على
غيره ويوثره الله تعالى به اى يخصه صلى الله عليه وسلم به دون امته لانه وحى منه
او الهام له لم يكن للامة سبيل اى طريق لهم للاقتدا به فى شى من ذلك لعدم
علمهم به لانه مما اثره الله به ولا قامت حجة بعده صلى الله عليه وسلم بقضية من
قضاياه فى امر من الامور الدينية لاحد من حكام امته وخلفائه فى شريعته
واحكامه لانا لا نعلم ما اطلع عليه باطلاع الله له على ما خفى منه هو فى تلك
القضية بحكمه هو اذ ان ذلك بالمكنون اى الخفى من اعلام الله له بما اطلعه
عليه من سرايرهم التى اخفاها عن غيره من الامة وهذا مما لا يعلمه الامة
لانه تعالى لا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فاجرى الله احكامه
الشرعية على ظواهرهم التى يستوى فيها هو صلى الله عليه وسلم وغيره من البشر
من امته فى زمنه وبعده وهذا باعتبار الاكثر احواله والا فمن خصايصه صلى الله
عليه وسلم انه يجوز له ان يحكم بعلمه وقد اطلعه الله على كثير من السرايرو المضمرات
لكنه لم يومر بالحكم بها للحكمة المذكورة وقد امر بعض الانبيا بالحكم بالامور الباطنة
كالخضر على القول بنبوته وهو الاصح كما مر لكنه لم يكن له امة تقتدى به ولذا
انكر عليه موسى عليه الصلاة والسلام قبل اطلاعه على انه اذن له فيه ولما علم سلم
له وللسيوطى رسالة فى ان نبينا صلى الله عليه وسلم كان له الحكم بالباطن ايضا اذا لم
يخش من الثم وسافوا منه فتنة بالا تطيل لها هنا وحكمه على الظاهر كان تارة
بالقضا وتارة بالسياسة والسلطنة اى الامامة العظمى وتارة بالفتوى كما فصله

ابن السبكي في قواعده مع الفرق بينها فارجع اليه ان اردته لتبين اقتدا الامة في
تبيين قضاياه التي وقعت في احكامه بين الناس وبين بعض الفتية وفاعله ضمير
يعود الى الله عز وجل واقتدا الامة بالنصب مفعول له ويجوز نصبها ورفع اقتدا على
الفاعلية وتنزيل احكامه على قواعد شرعه واجرايها في جزئياتها وياتوا اما
اتوا بقصر الهمزة اي يفعلوا ما فعلوا من ذلك اي من قضاياه وتنزيل احكامه على
علم ويقين من سنته اي طريقته في شريعته التي بينها لامته اذ البيان بالفعل
الذي فعله في احكامه اوقع في النفوس واثبت طمانينة منه اي من البيان بالقول
وارفع لاحتمال اللفظ للتاويل والتجوز وتاويل التاول بخلاف الفعل
فانه لا يجري فيه مثله مع موافقته للظاهر فلا خفا فيه فكان حمله اي الفعل لا
النبي صلى الله عليه وسلم كما قيل على الظاهر اجلى بالجيم افعل تفضيل اي اظهر واوضح ديجي
عطف تفسير في البيان لكل احد بيانا هذه في وجوه الاحكام جمع وجه وهو ما
يتوجه منه ويحمل عليه كما يقال في هذا وجهان اي توجيهان وجعله من قبيل لجين
الما او الاستعارة المكنية والتخييلية كما قيل صرف له عن الظاهر من غير داع له ديجي
واكثر فايدة لموجبات بفتح الجيم اي ما تقتضيه التشاجر وهو بضم الجيم مصدر بمعنى
والخصام الواقع في المنازعات والدعاوى من تشاجر بينهم كذا اذا وقع وجرى وفي الحديث
اياكم وما شجر بين اصحابي اي وقع بينهم من امور اقتضاها الاجتهاد وانما كان الفعل
اظهر لانه شاهد محسوس وفي الحديث ليس الخبر كالمعاينة فان الله تعالى اخبر موسى
عليه الصلاة والسلام بما فعل قومه بعده فلم يلق الالواح فلما عاين ذلك القاها رواه
الطبراني وغيره وهو حديث صحيح وزعم بعضهم ان القول اقوى لان الفعل قد يطول
فيتاخر البيان ورد بان القول قد يطول ايضا وليهتدي بذلك الفعل الصادر
عنه حكام امته بعده ويتوثق اي يتمسك بما يؤثر عنه اي بما روي او
ينتظم وينضبط على القواعد الشرعية وفيه روايتان احداهما انه مبني للمعلوم بسين
مهملة بمعنى انتظم وهو استفعال من الاتساق قال تعالى والقمر اذا اتسق والثانية
انه روي بمثلثة بعد الواو مبني للمجهول اي يتمسك بما يؤثر عنه اي ينقل نقلا صحيحا
ثابتا وفي بعض الحواشي انه تصحيف وليس كما قال لان المستعمل من الاول الاتساق
دون الاستفعال وكلاهما صحيح خلافا لمن زعم الثاني وينضبط قانون شريعته نلعمانى
وهي القضايا الكلية المنطبقة على جزئياتها فيتعرف منها احكامها حلا وحرمة وغيرهما
ثم اجاب عن سوال مقدر فقال وطي ذلك عنه اي اخفاه سترا وهو من طوى
المتاع في صوان له وفيه اشارة لجلالته ونفاسته وانما اخفاه لانه من علم الغيب
الغيب عن غيره الذي استاثر اي انفرد واختص به عالم الغيب عز وجل فلا يظهر
على غيبه احدا من خلقه الا من ارتضى لعلمه من رسول بان لم يرتضي
فيعلمه منه اي نطلعه على بعضه بما شا بوحي او الهام او فراسة ليكون معجزة
له او كرامة اكرمه الله بها ويستاثر اي يختص بما شا بما طوى علمه عن غيره فانه

لا يعلم جميع المغيبات الا الله والرسول في الاية من البشر او رسل الملائكة وفيه كلام
ذكرناه في حواشي القاضي وقد اطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على كثير من المغيبات
وحديث حذيفة بن اليمان في الفتن التي تحدث الى اخر الزمان حديث طويل مشهور
وخطبته صلى الله عليه وسلم التي ذكر فيها ما سيقع لامته مذكورة في بعض كتب الحديث
وقد فصله ابن كثير في كتاب الفتن ولا يقدح هذا اي عدم اطلاعه على بعض المغيبات
في نبوته صلى الله عليه وسلم وكونه مرتضى للرسالة ولا يفصم بالفا والصاد المهملة
قالوا هو الكسر من غير ابانة وفسر بالكسر والحل والثاني انسب بقوله عروة من
عصمته والعروة ما يدخل فيه الزر وما يعقد به شبه عصمته وحفظه بلباس زرلة
لعرى وازرار تمسكه بطريق الاستعارة المكنية التخييلية لان للعصمة جهات يتمسك بها
وهو دفع لشبهة وردت وهو انه صلى الله عليه وسلم اذا حكم بظاهر يخالف الواقع
توهم انه مخالف لعصمته وليس كذلك لانه مامور به لحكمة تقدمت

فصل

واما احواله صلى الله عليه وسلم الدنيوية اي المتعلقة بامور الدنيا التي لا تعلق
لها بالشرع من اخباره عن احواله التي لها تعلق به صلى الله عليه وسلم في نفسه
وسائر اموره واخباره عن احوال غيره الدنيوية وما يفعله هو في المستقبل
او فعله فيما مضى مما صدر منه صلى الله عليه وسلم فقد قدمنا ان الخلف هو ضد الوفا
ويكون الاخلاف من الكذب لانه يكون في الامور التي يخبر عنها بجملة انشائية فيها ممتنع
عليه صلى الله عليه وسلم فلا يصدر وعدا منه ما يخالف نفس الامر لانه معصوم في اقواله
وافعاله في كل حال من احواله البشرية او على اي وجه من وجوه احواله التي
يقع عليها وبينه بقوله من عمد او سهو وصحة او مرض ورضى او غضب فانه صلى
الله عليه وسلم معصوم منه اي محفوظ من الله عن ان يصدر عنه خلف في شي من اخباره
هذا الامر الذي عصم فيه من اقواله فيما طريقه الخبر المحض اي طريقته التي
يردها قوله وخبره اذا كان من الخبر المحض اي الصريح الذي ليس من قبيل المعاريض
التي يراد بها التورية فيما يدخله الصدق والكذب بمعنى الخبر فانه ما يحتمل
الصدق والكذب في حد ذاته بقطع النظر عن عوارضه فاما المعاريض جمع
معراض من التعريض بمعنى خلاف التصريح وهو النص الذي لا يحتمل التاويل من القول
يقال عرفته في معراض كلامه ومعرضه بمعنى اللحن وفي الحديث ان في المعاريض
لمندوحة عن الكذب الموهم ظاهرها وموضوع لفظها الموضوع له خلاف
باطنها اي ما خفي منها مما يؤول به لقصد التورية فجايز ورودها بالتلفظ بها
ويقصد غير ظاهرها منه صلى الله عليه وسلم في الامور الدنيوية دون
الامور الشرعية لانها تقدم الكلام عليها وانما استثنا عند النحاة يكون ما بعدها
اولى بالحكم مما قبلها لقصد المصلحة اي اذا كان في اخفا المعاريض مصلحة ومنفعة
كتوريته صلى الله عليه وسلم عن وجه مغازيه اي جهته صلى الله عليه وسلم التي
يتوجه اليها في غزواته فان فيها مصلحة والتورية عندهم ان يكون اللفظ له معنيان

قريب وبعيد فيقصد البعيد وهي تفعلة من الوراء كانه وراه ليستر المراد منه بايهام غيره
لئلا يأخذ اي يتاهب العدو الذي قصد غزوه حذره بكسر الحاء المهملة وسكون
الذال المعجمة قبل راء مهملة اي تيقظه لما يحذره ويخافه فلا يفرط فيه وفي البخاري
لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها وفي فرق لها خذ حذرة
دون يجعل كلام في الكشاف وشروحه وكما اي مثل تورية ومعاريض في غزواته
ما روي عنه صلى الله عليه وسلم من ممازحته المزاح معروف ويسمى احماضا ودعابته
بضم الدال وبالعين المهملتين وموحدة وهي بمعنى الممازحة وذكرها الجوهري وهافي حديث
كان فيه صلى الله عليه وسلم دعابة وقيل في علي اتيا لولا دعابة فيه وانما كان يفعله احيانا
لبسط امته اي لسرورهم وشرح صدورهم وقد ورد البسط بهذا المعنى في اللغة على طريق
التجوز لان العبس يجعد اسارير وجهه وعند الفرح يبسطها فيتسع وفي امثال العامة
البسط صدق وهو البشاشة وطلاقة الوجه وتطييب قلوب المومنين من اصحابه
وفي نسخة من صحابته ومن بيانية او تبعيضية اي جعلها طيبة مسرورة وتاكيدا في محبتهم
وفي نسخة تحبيبهم لان المزاح انما يمازح من يحبه ويطرح التكلف بينه وبينه ومسرة
نفوسهم كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابو داود والترمذي عن انس وصححاه
لاحملنك على ابن الناقة ورد عن ابي هريرة ايضا وهو انه صلى الله عليه وسلم قال
له رجل كان فيه بله يا رسول الله احملني فيما سطه صلى الله عليه وسلم بما عساه ان يكون
ثم قال له انا حاملك على ابن الناقة فسبق لخاطره من لفظ البنوة استصغاره فقال
يا رسول الله ما يغني عني ابن الناقة فقال له صلى الله عليه وسلم وهل يلد الجمل
الا الناقة وانما كان صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك معهم اذهابا لوحشتهم ولما يجده صلى الله عليه
وسلم من مهابته في نفوسهم فيانسهم بذلك وليعلم الناس حسن الخلق في المعاشرة وما ورد
من النهي عن المزح انما هو عن كثرته المفرطة واستعماله مع كل احد في غير محله فكان
صلى الله عليه وسلم يلاعب الاطفال ويمسح المائي وجوههم وافواههم والاخبار في هذا
الباب مبسوطة في كتب الحديث واموره صلى الله عليه وسلم مع ابي ذر الذي كان يهدي
زهيرا مشهورة ثم اشار الى بيان ذلك بقوله وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه ابن ابي حاتم وغيره للمراة التي سالته عن زوجها كما اخرجه ابن ابي الدنيا
عن زيد بن اسلم ان امراة يقال لها ام ايمن جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت
له ان زوجي يدعوك فقال لها من هو اهو الذي بعينه بياض فقالت لا
والله ما بعينه بياض فقال لها صلى الله عليه وسلم ما من احد الا بعينه بياض
يعني به البياض المحيط بالحدقة وهي تو همته غشاوة على حدقته مضرة بالبصر
واللفظ يحتملها والاستفهام تقريري ثم اشار الى بيان ذلك بقوله وهذا الذي
قاله صلى الله عليه وسلم مداعبة كله صدق لان كل جمل ابن ناقة لصدق الابن
على الصغير والكبير وان تبادر منه صغره عرفا وكل انسان بعينه بياض يحيط
بحدقته وقد قال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه احمد والترمذي والطبراني عن

مطلب
ما ورد من النهي عن المزح
انما هو عن كثرته

ابن

ابن عمر وابي هريرة بسند حسن اني لا امزح ولا اقول الا حقا ولفظ الحديث انهم
قالوا له يا رسول الله انك تداعبنا فقال اني اذا داعبتكم لا اقول الا حقا فالنفي عنه
في قوله لا انا من دد ولا الدد مني ولا انا رحمه وفي قول عمر رضي الله عنه من مزح استخف به وقول
ابن العاص يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا الدني فيجترئ عليك محمول على
الكثرة منه في غير محله وعلى غير سنته صلى الله عليه وسلم فمثله مذموم منهي عنه هذا كله
اي ما صدر من مزاحه على وجه الحقيقة وغيره فيما بابه اي نوعه الوارد فيه الخبر
اي الاخبار عما له نسبة خارجية كما مر فاما ما بابه غير الخبر من الانشاء مما
صورته صورة الامر والنهي المعروفين عند اهل العربية في الامور الدنيوية
فلا يصح منه ايضا القول بضد ورده منه لعصمته ولا يجوز عليه صلى الله عليه
وسلم ان يامر احدا بشي او ينهى احدا عن شي وهو صلى الله عليه وسلم يبطن خلافه
جملة حالية لبراءته من الامر والنهي بخلاف ما عنده وقد قال صلى الله عليه وسلم ما كان
لنبي ان يكون له خائنة الاعين فكيف ان يكون له خائنة قلب ان يكون فاعل
فعل اي ينبغي ان يكون الخ هذا هو الظاهر وكونه مبتدا تكلف لا داعي له وخائنة
مصدر بمعنى خيانة كالعافية وخائنة الاعين ان يضمر في نفسه غير ما يظهره فاذا
اراد اظهاره او ما بعينه لظهوره من العين نسب لها قال تعالى يعلم خائنة الاعين اي ما
تخون فيه مسارقة النظر والغمز وخائنة القلب خيانته فاذا لم يجز له ان يشير بطرفه
بخلاف ما في قلبه فكيف بهذا اي لو وهذا من خصايص الانبيا انهم لا يجوز لهم هذا لما
فيه من ارتكابه ما لا يليق بهم وهذا من حديث رواه الحاكم والنسائي وابو داود وهو انه
صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة امرهم ان لا يقتلوا الا من قاتلهم الا نفرا سماهم وامر بقتلهم
وان وجد وا تحت استار الكعبة منهم عبد الله بن سعد بن ابي سرح العامري وكان ممن
اسلم وهاجر وصار كاتب الوحي ثم ارتد وذهب لقريش وقال ما يجده صلى الله عليه وسلم
من انه كان يكتب في الوحي بعض كلام له كما مر وكان اخا لعثمان من الرضاع فغيبه
ثم اتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما اطمان الناس فاستامنه من رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسكت طويلا ثم قال نعم فلما انصرف قال صلى الله عليه وسلم ما سكت
الا ليقوم احد ليضرب عنقه فقال رجل من الانصار هلا اومات لنا يا رسول الله
فقال ما كان لنبي الخ ثم حسن اسلامه وهو احد النجبا الكرما العقلا فان قلت فما معنى
قوله تعالى في قصة زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبي كانت خديجة رضي الله عنها
اشترته ووهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل النبوة بمكة وهو اسن من رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعشرا وعشرين سنة فتبناه صلى الله عليه وسلم حتى كان يقال له ابن محمد
حتى نزل قوله تعالى ادعوهم لابائهم وقد كان ابوه وعمه لقداه فقالوا يا رسول الله
يا ابن عبد المطلب انتم اهل حرم الله وجيرانه وقد جيناك في ابن لنا عندك قال من هو
قالوا زيد قال فهلا غير ذلك قالوا ما هو قال اخيره فان اختاركم فهو لكم وان اختارني
فهو لي فدعاه وخيره فاختار رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انت مكان الاب والعم

فقالوا ويحك تختار العبودية على الحرية والحرية قال نعم قد رأيت منه ما لا اختار
عليه احدا ابدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حضره اشهدوا انه ابني يرثني
وارثه الى اخر ما ذكر في السير **واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه الاية**
وهذا السؤال وارد على قوله انه صلى الله عليه وسلم لا يأمر بخلاف ما في نفسه ولم تصدر
خائنة قلب لان قوله امسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه
وتخشى الناس والله احق ان تخشاه مناف له بحسب الظاهر وانعام الله عليه بهدايته
للاسلام وما وسع عليه في الدارين وانعام الرسول عليه باعتاقه عليه الصلاة والسلام
وتقريبه وتحببه له وكان زوجه زينب بنت عمته عليه الصلاة والسلام اميمة بنت عبد
المطلب وكانت من اجل النساء واشرفهن فاتى صلى الله عليه وسلم زيدا لحاجة فلم يجده
فوقع نظره عليها فاعجبه حسنها ووقعت في قلبه اعظم موقع فقال سبحان مقلب القلوب
وانصرف فلما جاء زيد اخبرته بذلك ففطن زيد لوقوعها في قلبه والقى الله في نفسه
كراهيتها فقال يا رسول الله اني اريد مفارقة زوجتي قال له ما رابك منها قال ما رابني صاحب
منها شيء وما رايت منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي ولو ذيني بلسانها فقال له صلى الله عليه
وسلم امسك عليك زوجك واتق الله في امرها فابى وطلقها فاجاب عنه المصنف بقوله
فاعلم ايها السائل عن هذه القصة **اكرمك الله عز وجل** كما اكرمت مقام
النبوة ونزهته عما لا يليق به **ولا تسترب** اي لا تقع في ريبة وشك في شيء من امره
صلى الله عليه وسلم واصل الريب قلق النفس واضطرابها ثم نقل للشك وفي الحديث
الشك ريبة والصدق طمانينة اي لا تشك **في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن
هذا الظاهر** من الاية من انه صلى الله عليه وسلم اخفى في نفسه امرا يخشى طعن
الناس فيه بحبها وارادة طلاقها وامره بامساكها وهو يريد خلافه كما قال
وان يامر زيدا بامساكها في عقد نكاحه ولا يفارقها **وهو** صلى الله عليه وسلم
يحب تطليقه اياها ليتزوجها كما ذكره جماعة من المفسرين بانه اظهر خلاف ما
في نفسه وامره بما لم يرده وانه خشي قالة الناس فيه كما نقل بعضهم عن قتادة وابن
عباس وهو غير لائق بمقامه **واصح ما قيل في هذا** الامر المذكور في هذه الاية
ما حكاه بعض اهل التفسير وفي نسخة رواة التفسير **عن** زين العابدين تعالى
علي بن حسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم وقيل المراد به بن الحسين
ابن طلحة بن ابي طالب احد الشيعة **ان الله كان** قبل وقوع هذه القصة
اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم **ان زينب** بنت جحش **ستكون من ازواجه** امهات
المؤمنين بعد ما تزوجها زيد وهي تحت نكاحه **فلما شكاها اليه زيد** بانها تتعظم
عليه لشرفها وهو من الموالي **قال له امسك عليك زوجك** لانه فهم من شكاية
انه يريد ذنبه في طلاقها **واتق الله** فلا تؤذها بوصفها بالتكبر وطلاقها بلا
سبب **واخفى منه** اي من زيد **في نفسه** لم يصرح له به حياء منه ان يطلع الناس
على انه سيتزوجها وانه لم يكن فيه امر مستقبح وانما كتم سره وهما **اعلمه الله به**

من

من انه سيتزوجها وفي نسخة سيتزوجها الله له **ما الله تعالى مبديه ومظهره**
باظهاره في الخارج **بتمام التزويج وطلاق زيد لها** كما قال تعالى لكيلا يكون على
المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم الاية قال ابن العربي فان قلت فلاي شيء قال له
امسك عليك بعد ما اخبره الله بانه سيتزوجها له قلت ليختبر ما لم يعلمه من كراهية
زيد لها ورغبته في طلاقها حتى لا يبقى في نفسه شيء منها وعلى هذا التفسير لم يبق
اشكال في القصة اصلا **وروى نحوه عن عمرو بن فائد** بفاء والف وهمزة ودال
مهملة وفي الاكمال انه بالقاف وذكره الذهبي فقال عمرو بن فائد الاسواري
وقال الدارقطني وغيره انه ضعيف متروك الحديث معتزلي قدري لا يقيم الحديث
وهو بصري يكنى ابا علي قال البرهان وهو في النسخ التي وقفت عليها بالقاف وفيه
نظر **عن الزهري** بن شهاب كما تقدم **قال نزل جبريل على النبي صلى الله عليه
وسلم يعلمه** بضاد مع من الاعلام **ان الله يزوجه زينب بنت جحش** ويعدها
بنت جحش لتخرج غيرها فان من امهات المؤمنين زينب اخرى هي بنت خزيمة ام
المساكين **فذلك هو الامر الذي اخفى في نفسه** لا ما يتوهم من ظاهره **ويصحح
هذا** الذي رواه الزهري **قول المفسرين في قوله تعالى بعد هذا** في اخر
الاية **وكان امر الله مفعولا** لا فادته انه امر اراده قبل ذلك ونفى عنه الحرج
في تزويج منكوحة من تبناه لانه ليس كالولد الحقيقي **اي لا بد لك ان تتزوجها**
لانه قدره ازلا وانما تزوجها لحكمة ترتب عليها احكام شرعية **ويوضح هذا الامر**
الذي قرره المفسرون **ان الله لم يبد** اي لم يظهر **من امره** اي من شأنه صلى الله عليه
وسلم في هذه القصة **معها** اي مع زينب رضي الله عنها **غير زواجه لها** اي تزوجه
اياها **فدل** ما ابداه الله من امره **على انه** اي تزوجها له بامر الله هو **الذي
اخفاه** صلى الله عليه وسلم في نفسه لانه اخفى في نفسه غير ما امره الله به وانما
الذي اخفاه شيء **مما اعلمه الله به** لا غيره مما توهموه فانه تعالى لم يبد شيئا غير
زواجه بها فدل على انه هو الذي اخفاه كما تقرر ولو كان امرا اخر ابداه وبان
في الكتاب من قوله فان قلت فاذا اراد الله منه ان يقول له حين قال له زيد
اريد ان افارقها وكان من الحجة ان يقول له افعل فاني اريد نكاحها قلت الذي
اراده تعالى منه ان يصمت او يقول له انت اعلم بشأنك انتهى بزعمه اعتراضه في تخلف
الارادة فاحذرها **وقوله تعالى في القصة** اي قصة زينب المذكورة **ما كان على
النبي من حرج الاية** فيما فرض الله له سنة الله والحرج في الاصل الضيق واريد به
الاثم اي لا اثم عليك فيما قدره لك ووسع عليك في امر النكاح وسنة الله منصوب
على الاغراء او هو مصدر لفعل علم من السياق اي سن ذلك سنة وطريقة شرعية كانت
لمن قبلك من الانبياء في تزوج من تريد او في تعدد المنكوحات وكثرتها كما وقع لداود
وسليمان وغيرهما من الرسل وفرض بمعنى قضى وقدر لا من الفرض مقابل السنة ففي
ذكره مع السنة تورية وطباق يليق فيه من اللطف ما لا يخفى حسنه **فدل** ما ذكر

من قوله ما كان على النبي من حرج على انه لم يكن عليه صلى الله عليه وسلم حرج
اي تضييق ولا اثم يقتضي العتاب عليه في الامر الذي فعله وقضى قدره الله له
واعلمه به وقال الطبري محمد بن جرير وقد تقدمت ترجمته ما كان الله اي
ما فعل وقدر ان يوثم نبيه عليه افضل الصلاة والسلام اي بوقعه في اثم
وذنب فيما احل مثال فعله اي احل مثله لمن قبله من الرسل يعني ان الاية
دالة على ان ما فعله لا اثم فيه لانه قال تعالى سنة الله في الذين خلوا من
قبل اي مضوا وتقدموا اي من قبلك من النبيين فيما احل لهم فلما قاله
انما فعلته من سنن الانبيا الذين قبلك دل على انه امر مشروع لا اثم فيه فدلت
الاية على بطلان غير ما قيل لدلالة الاية عليه تصريحا ظاهرا ولو كان الامر
على خلاف ما ذكر وتفسير ما اخفاه بما ذهب اليه غير علي ما روي في حديث عبد
بن حميد عن قتادة وقوله فيما نقل عنه من وقوعها اي زينب رضي الله عنها من
قلب النبي صلى الله عليه وسلم اي انه لما راها وقعت في قلبه موقعا عظيما لتعلقه
بما عنده ما اعجبته بحسنها الذي راه وهو من محبته طلاق زيد لها ليتزوجها
لتعلق قلبه بمحبتها لكان فيه اعظم الحرج اي الاثم غير اللائق به والتضييق
على زيد بارادته مفارقة منكوحته وحاشاه من مثله ولكان ايضا فيه ما لا
يليق به اي لا يحسن صدوره منه ولا ينبغي له من مد عينيه الى ما نهي عنه
اي عن طلبه وتمنيه ومد العين اطالة النظر حتى لا يرده استحسانا له فهو بتقدير
مضاف او تجوز في العين وهو كناية عن تطلب الامر وارادته ارادة قوية ويعني
المنهي عنه بقوله من زهرة الحياة الدنيا اي زينتها وزخرفها وبهجتها وهذا
اشارة الى ما وقع في القران العظيم ممثل به لانه نزل لما وردت سبع قوافل من
بصرى فيها طيب وامتعة نفيسة فقال المسلمون لو كان لنا هذا لتقوينا به وانفقنا
في سبيل الله فانزل الله عليه ولقد اتيناك سبعا من المثاني الاية اي هذه خير
لكم من القوافل السبع فلا تمدوا اعينكم نحوها وكل هذا لا يليق بمقاصده وزهده
في الدنيا فما قيل من ان مجرد وقوعها في قلبه صلى الله عليه وسلم من غير ان يبدو عرضي
منه شي لا اثم فيه وكذا محبته وميله لطلاقها من غير تكلم به لا اثم فيه فكيف
يكون اعظم الحرج فيه نظر ولكان هذا اي لو كان ما اخفاه صلى الله عليه
وسلم في نفسه بعدما اعجبته زينب وارادة ان يطلقها اي لو صح هذا كان من
الحسد المذموم لان الحسد تمني نعمة من الله بها على غيره يريد زوالها
عنه وقيد بالمذموم لان الغبطة حسد غير مذموم لان معناه ان يتمنى ان
يكون له نعمة كنعمة غيره من غير تمني زوالها وهذا في امور الدنيا لا في الدين
واقبح الحسد تمني زوال نعمة غيره لا تحصل له الذي لا يرضاه صفة للحسد
ولا يتسم به اي لا يتصف من الوسم وهي العلامة واصلها ان يكون بكي ونحوه
كما مر الاتقيا فضلا عن يرضى ويتسم فكيف بسيد الانبيا الذي هو اعظمهم

واشرفهم

واشرفهم نفسا صلى الله عليه وسلم والاستفهام فيه انكاري والمراد به استبعاد صدور الحسد
منه ومنهم صلى الله عليه وعليهم وسلم قال القشيري عبد الكريم بن هوازن صاحب
الرسالة الامام المفسر الزاهد شيخ الصوفية وراس الشافعية المشهور وهذا المنقول
عن قتادة من انه صلى الله عليه وسلم راها فاعجبته واراد طلاقها اقدام من قايله
اولا دون حاكيه عنه اي جراة على مقام النبوة وقلة معرفة بل عدم معرفة بحق النبي
صلى الله عليه وسلم الذي يجب ان يعتقد فيه وبفضله اي زيادته على غيره في
الشرف وعلو المرتبة عن امور الدنيا وكيف يقال انه صلى الله عليه وسلم راها فاعجبته
مما يقتضي انه لم يرها قبل ولا يعرفها وهي بنت عمته عليه الصلاة والسلام لانها بنت
اميمة بنت عبد المطلب كما مر ولم يزل يراها منذ ولدت الى ان بلغت فهو صلى
الله عليه وسلم يعرفها ويعرف جمالها وكيف لا يعرفها ولا كان النسا ولو اجنبيات يحتجبن
منه صلى الله عليه وسلم لمعرفتهن بعفته وعصمته وهو الذي زوجها زيدا مولاه رضي
الله عنه وانما جعل الله طلاق زيد لها اي لزينب بعدما زوجها له وتزويج النبي صلى
الله عليه وسلم اياها لما قدره وامره به كما تقدم لحكمة ولهذا لم يتزوجها قبل زيد
ليعلم حكما شرعيا وهو ما اشار اليه بقوله لازالة حرمة التبني اي اتخاذ ابن غيره
ابنا له لئلا يظن الناس انه يحرم تزوج حليلة من تبناه كما يحرم بين الاب وابنه الحقيقي كل
حليلة كل على الاخر وابطال سنته اي الطريقة الجارية بين الناس في جعل التبني ابنا
حقيقيا يحرم منه ما يحرم منه كما كان في الجاهلية وما قيل من ان القول الذي رده المصنف
ثابت بالنقول الصحيحة مقرر بما ارتضاه المصنف تخليط لا حاجة للاطالة به الا ان ائمة
الشافعية قالوا انه مما خص به صلى الله عليه وسلم انه يجوز له النكاح بغير الرضى وانه
اذا رغب في نكاح امراة لزم اجابته وحرم على غيره خطبتها فان كانت تحت زوج وجب
عليه طلاقها لانه يجب على كل احد ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم احب اليه من
نفسه واهله وماله وولده كما قاله العراقي وقال ابن حجر في شرح البخاري الذي صح بالادلة
القوية ان من خصائصه صلى الله عليه وسلم جواز الخلوة بالاجنبية والنظر اليها كما كان يدخل
على ام حرام وينام عندها وتفلي راسه وهي اجنبية منه وكان صلى الله عليه وسلم زوج زيدا
زينب كما مر وساق مهرها من عنده وكانت تفتخر على اخواتها بذلك لشرف النسب وقرابة
الرسول صلى الله عليه وسلم وكان لها رضي الله عنها حدة وشهامة كما قال تعالى في بيان
هذه القصة وما فيها من الحكم ما كان محمد ابا احد من رجالكم اي ليس ابا حقيقيا لاحد منكم
فانه صلى الله عليه وسلم لم يعش له ولد ذكر وابنه ابراهيم مات صغيرا لم يبلغ سن الرجولية
ومن جوز ان يقال له اب المومنين كما يقال لنسائه امهات المومنين فانما هو ابوة شفقة
وتعظيم وكان زيد رضي الله عنه يقال له ابن محمد فلما نزلت الاية لم يقل له ذلك فعوضه الله
عنه بذكر اسمه في القران المتلو في المحاريب ولم يبق هذه العبرة من الامة واما الحسن والحسين
رضي الله عنهما فليست بنوتهما حقيقية كما لا يخفى فلا يثبت لاحد حكم البنوة الحقيقية منه
صلى الله عليه وسلم ولذا قال الله عز وجل في هذه الاية لكيلا يكون على المومنين حرج

اى تضييق فى امر النكاح وهو تعليل لقوله زوجناكها اى شرعنا لك ذلك توسعا
على الامة لا خاصة لك فى ازواج ادعيائهم جمع دعى بمعنى مدعو وهو من يلصق
نسبه بنسب غيره وليس بينهما بنوة حقيقية وقوله اذا قضوا منهن وطرا اى التزوج والنكاح ح
ونحوه اى مثل ما ذكر وبمعناه حمزة لابن فورك تقدمت ترجمته وقال ابو الليث
السمرقندى تقدم بيانه ايضا فان قيل اذا كان الله قد زوجها له صلى الله عليه وسلم
ورضيه له فما فائدة امر النبى صلى الله عليه وسلم زيدا بامساكها بقوله امسك عليك
زوجك فهو ان الله اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم انها زوجته صلى الله عليه وسلم فنهاه
اى نهى النبى صلى الله عليه وسلم زيدا عن طلاقها واخراجها من زوجيته اذ لم تكن بينهما
اى بين زينب وزيد وهو تعليل لنهيه الفة اى محبة لانها لم ترض نكاحه لشرفها وكانت
تطيل لسانها عليه فالقى الله فى قلبه كراهتها حتى احب فراقها ليقضى الله امرا كان مفعولا واخفى
فى نفسه ما اعلمه الله به من انه تقدر لها نكاحها له وامره به فلما طلقها زيد خشى
صلى الله عليه وسلم قول الناس باعتبار ما اعتادوه فى الجاهلية انه يتزوج امراة ابنه
لتوهمهم ان التبنى كالبنوة الحقيقية وانما خشيه وهو لا اثم فيه كراهة القيل لمن لا يعرف
حقيقة الحال كما هو حقيقة الاشراف فامره بزواجها ازالة لما نخشاه ليباح ذلك لامته
اقتداء به صلى الله عليه وسلم توسعة عليهم كما قال لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى
ازواج ادعيائهم فنفى عنهم الحرج ليتبعه بالطريق الاولى تطييبا لنفسه صلى الله عليه
وسلم وازالة لطعن الجهلة وحاصل ما ورد وما وقع فى هذه القصة مما يخالف ظاهره ما
يقتضيه مقامه لامره بما يريد خلافه ومحبته لها وهى تحت نكاح غيره فاشار الى الجواب
عما ذكر وقد قيل كان امره صلى الله عليه وسلم لزيد بامساكها قمعا للشهوة اى منعا
لها وزجرا لها يقال قمعه فانقمع اى كفه وذلله والشهوة ميل النفس لما تستلذه وردا
للنفس عن هواها اى عما تهواه من الصور الجميلة وحكاه بقيل اشارة الى انه غير
مرضى عنده فلا وجه لاستحسانه لانه صلى الله عليه وسلم لم يكن فى نفسه هوى وحاشاه
من مثله وهذا اذا جوزنا عليه صلى الله عليه وسلم انه راها فجاة واستحسنها
لا سيما وقد مر انه صلى الله عليه وسلم كان راها قبل وكان يعرفها ويعرف جمالها الا انه
ليس ببكر ولذا قال ومثل هذا القبيل على ما فيه لا نكرة فيه اى لا ننكر صحته فى الجملة
والنكرة ضد المعرفة فى اصطلاح النحاة واصلها كل ما لا يعرف فيتمثل وحشى لما طبع عليه
ابن ادم من استحسانه الحسن من الصور وغيرها مما يشاهد وغيره ونظرة الفجاة
اى النظر الذى وقع بغتة من غير قصد والفجاة بضم الفاء والمد ويجوز فتحه بضم وسكون
والفجاة بالفتح المرة منه معفو عنها اى لا حرج فيها ولا اثم لانها لم تقصد وهو جواب عن سؤال
تقديره كيف نظر صلى الله عليه وسلم لغير محرم مشتهى ثم قمع نفسه عنها بصيغة الماضى ويجوز
ان يكون مصدرا وكذا فى قوله وامر زيدا بامساكها فى نكاحه وتقوى الله فيها بعد ما
ذكر ما بعيبها وانما يتكرر تلك الزيادات التى ذكرها بعض المفسرين فى القصة من انه
تعلق قلبه صلى الله عليه وسلم بها واراد ان يطلقها واخفى ذلك فى نفسه ونحوه مما لا

عرضى

يليق

يليق بنزاهته والتعويل اى المعول عليه المعتمد فى هذه القصة على ما ذكرناه
وهو القول الذى ارتضاه والقول بانه لا باس فيما قاله لولا وجه له وهو الاولى
وان جاز غيره لكنه لا يناسب مقامه وان كان جائزا فتنبه ما ذكرناه عن على بن
الحسين وهو الامام زين العابدين كما تقدم وحكاه السمرقندى فى تفسيره
كما تقدم وهو قول ابن عطاء رحمه الله وتقدمت ترجمته وصححه اى جزم بانه القول
الصحيح واستحسنه القاضى القشيرى لما فيه من صيانة مقام النبوة عما لا يليق وعمدة
وعليه عول ابو بكر بن فورك تقدم ضبطه فى ترجمته مع ما فيه وقال انه اى هذا
القول الذى اعتمده معنى ذلك اى المذكور فى هذه الاية والقصة عند المحققين من
اهل التفسير قال اى ابن فورك رحمه الله والنبى صلى الله عليه وسلم منزه عن
استعمال النفاق فى ذلك اى عن ان يظهر امرا فى نفسه خلافه وان كان امرا جائزا له
والنفاق فى الاصل معناه الاخفاء ماخوذ من نافقاء اليربوع وهو مخرجه الذى يخفيه ثم
نقل فى الشرع لاخفاء الكفر واظهار الاسلام واستعمل بعد ذلك استعمالا لغويا لاخفاء
كل امر لا يرتضى ومنه الحديث ثلاث من كن فيه فهو منافق وعد منها الكذب وغيره
كما صرح به فلذا قال واظهار خلاف ما فى نفسه فهو عطف تفسير موضح لما اراده
فلا وجه لما قيل انها عبارة مستبشعة الى اخر ما اطال فيه من غير طائل نعم لو تركها
كان احسن لكنه حكاها عن غيره فلا عهدة عليه فيها ومراد ابن فورك التغليظ على قائل
هذه المقالة وتغليظه بان من يجوز عليه صلى الله عليه وسلم مثل هذا امثل من يجوز عليه الكفر
والنفاق والمعترض لم يقف على مراده وقد نزهه الله عز وجل عن ذلك الذى قاله
بعض المفسرين بقوله تعالى ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له اى قضى وقدر
من تزويجه صلى الله عليه وسلم زينب فهذا صريح فى رد ما قاله بعض المفسرين وصريح
فيما ارتضاه قال ابن فورك ومن ظن ذلك بالنبى صلى الله عليه وسلم اى انه وقع
فى قلبه محبتها واراد ان زيدا يطلقها واخفى ذلك فى نفسه فقد اخطا خطا فاحشا
ولذا احتاج لتبديله كنسبة النفاق له صلى الله عليه وسلم فالتعبير به للتشنيع على قائله
وبعد تنزيهه عنه كيف يعترض عليه كما قيل وما ادنة الاخبار الا رواتها قال
ابن فورك وليس معنى الخشية هنا يعنى فى قوله وتخشى الناس والله احق ان تخشاه
الخوف بل معناه المقصود هنا وفى نسخة معناها اى الخشية وعلى الاولى الضمير للفظ
المذكور الاستحياء اى يستحيى منهم اى من الناس ان يقولوا تزوج زوجة ابنه
اى من تبناه وهو زيد وهذا اعنى قوله وعليه عول ابن فورك الى هنا سقط من
بعض النسخ واستحياؤه لشرفه المقتضى ان لا يقع مثله من احد وان لم يكن
شرعا وقد نشر عرضه وان خشيته اى استحياءه صلى الله عليه وسلم انما كان من
ارجاف المنافقين واليهود اى اشاعة ما هو مكروه بزعمهم واصل الرجف الاضطراب
وابتاعهم اياها بالفعل واما بالقول وتسمى الاراجيف لانه مطلع الفتن كما قيل
السن الناس اذا ما انطلقت فهو تمهيد للبلاء والمحن

ابن فورك

ابن فورك

فاحذر اللسن مهما انطلقت   فالا راجعت ملا قبح الفتن

وتشعيبهم من الشغب بغين معجمة ساكنة ومفتوحة وهو ما يؤدي الى الشر من
الاكاذيب على المسلمين بذكرهم ببغض نبيهم صلى الله عليه وسلم فان ما يعيبوه يوم
تقولهم تزوج زوجة ابنه لزعمهم انه غير جائز كالابن الصلبي جهلا منهم وتنقيصا
لجده نهيه اي تحريمه من نكاح حلائل الابناء جمع حليلة وهي الزوجة المنكوحة لابنها
منهم بجعل المتبنى كالابن الحقيقي وقد قال تعالى وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم
كما كان اي وقع من اراجيفهم وتشغيبهم فعتبه الله على هذا عتب محبة وتسلية لعدم
قبحه وتنزهه عن الالتفات اليهم والاعتداد بقولهم فيما احله له وقدره من
هذا النكاح من غير حرج فيه وهذا العتاب كما عتبه على مراعاة رضى ازواجه التارك
ذلك العتب في سورة التحريم بقوله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك الاية
تبتغي مرضات ازواجك والله غفور رحيم كذلك قوله هنا وتخشى الناس والله
احق ان تخشاه فيما اخفيته مما الله مبديه ومجوزه لك فلا حرج اي انه مثل في انه عتب
ملاطفة وتسلية على ما استحيى منه لشرف مقامه صلى الله عليه وسلم عن ان يصل اليه
غبار الاوهام وقد روي عن الحسن البصري رضي الله عنه اي رواه الترمذي وصححه
وقدمه على قوله وعائشة رضي الله عنها لانه هو الذي رواه عنها تقدمه على عادة
الاسانيد فلا يقال كان ينبغي تقديمها عليه لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا برهان
مما اوحي اليه مما نبينه لكتم هذه الاية اي اية التحريم لانه في زيد وزينب كما قيل لما فيها دلجي
علة للكتم من عتبه صريحا وابدا اي اظهار ما اخفاه مما جرى بينه وبين ازواجه
فيها وهذا الحديث فيه انه صلى الله عليه وسلم كان يحب العسل والحلوى فدخل على حفصة
رضي الله عنها ومكث عندها اكثر من عادته فسالت عنه فقيل اهدي لها عكة عسل فسقته منه
فاتفقن على ان يقلن له نجد منك رائحة المغافير وهو شيء كريه الرائحة اذا رعته النحل
اثر في عسلها فقال لا اعود له بعد هذا والقصة مفصلة في كتب التفسير والحديث

فصل فيما وقع له صلى الله عليه وسلم في مرض موته مخالفا لما قررته فان
قلت سلمنا ما يخالف ما قررته قد تقررت عصمته صلى الله عليه وسلم في اقواله
في جميع احواله وانه وقائعه وانه لا يصح منه فيها اي في اقواله خلف اي مخالف للواقع
ولا اضطراب اي اختلاف وتناف فهي كلها متفقة لا تختلف في عمد وقصد
ولا سهو ونسيان ولا صحة في بدنه ولا مرض بتغير مزاجه الشريف ولا جد
موضعه الهزل ولا مزح كما تقدم ولا رضى على غيره ولا غضب لوقوع ما لا
يرضاه الله فما معنى الحديث الذي روي عنه صلى الله عليه وسلم في الصحيحين في
وصيته لاصحابه في مرض موته الذي حدثنا به الشهيد ابو علي بن سكرة كما تقدم
قال حدثنا القاضي ابو الوليد الباجي وتقدمت ترجمته ايضا قال حدثنا ابو
ذر الهروي وقد تقدم ايضا قال حدثنا قال حدثنا ابو محمد بن حمويه السرخسي
وابو الهيثم الكشميهني كما تقدم ايضا وابو اسحاق المستملي وقد تقدم قالوا

حدثنا

حدثنا محمد بن يوسف هو الفربري وقد تقدم قال حدثنا محمد بن اسماعيل
هو الامام البخاري قال حدثنا علي بن عبد الله ابو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر
ابن نجيح بن المديني الحافظ الامام العظيم روى عنه اصحاب السنن وغيرهم وتوفي في
سنة اربع وثلاثين ومائتين وعمره ثلاث وسبعون والمديني بالياء نسبة لمدينة الرسول
عليه الصلاة والسلام قال ابن الاثير وهو في الاكثر يقال مدني والنسبة لمداين
كسرى مدايني وفي الصحاح المدني نسبة لمدينة الرسول والمديني نسبة للمدينة التي
بناها المنصور وقال ابن الصلاح في المسلسل المديني نسبة الى مدينة اصبهان المسماة
جي انتهى وقد تقدم الكلام فيه ايضا والمديني هذا له ترجمة في الميزان كما قاله البرهان
قال حدثنا عبد الرزاق بن همام الحافظ وقد تقدم عن معمر بن راشد بفتح الميمين
كما تقدم وهذا هو الصواب وما في بعض النسخ من قوله عبد الرزاق عن همام خطا
لان عبد الرزاق لا يروي عن همام واسم ابيه همام ويروي عن معمر عن الزهري محمد بن
شهاب كما تقدم عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة الاعمى احد الفقهاء السبعة
المشهور توفي سنة ثمان وتسعين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما احتضر رسول
الله صلى الله عليه وسلم احتضر بالبناء للمفعول بمعنى حضره الموت وظهور علاماته ومحتضر
اسم مفعول بمعنى دنى موته وهو المراد وقيل لمن به مس من الجن وكان هذا يوم
الخميس قبل وفاته صلى الله عليه وسلم بايام والحديث صحيح رواه البخاري وغيره واحتضر
يكون متعديا ولازما فيقال احتضره بمعنى حضره وفي نسخة حضر والصحيح الاول
وفي البيت يعني بيته صلى الله عليه وسلم رجال من كبار الصحابة وقرابته رضي الله عنهم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلموا اي اقبلوا علي واصل معناه تعالوا وهذا على
لغة من يلحق به الضمائر من تميم واهل الحجاز يستعملونه مفردا مبنيا على الفتح للواحد
المذكر وغيره قال تعالى والقائلين لاخوانهم هلم الينا اكتب لكم كتابا يبان ما يهمكم في
دينكم ودنياكم حتى لا يقع بينهم اختلاف بعده والمراد امر بكتابته وجوز بعضهم حمله
على ظاهره وانه صلى الله عليه وسلم يكتب بيده وذلك معجزة له وتقدم ما فيه مرارا لن تضلوا عرضي ٢ لثن
اي لا يقع منكم امر تضلون به بعده اي بعد كتابته والعلم بما فيه والعمل به فقال بعضهم
هو عمر رضي الله عنه كما سياتي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه اي اشتد
وقوي عليه الوجع اي الم مرضه وهذا هو محل الشبهة والسؤال لانه يقتضي انه صلى
الله عليه وسلم في حال مرضه قد يصدر عنه ما يخالف الواقع وقد تقدم انه معصوم في
مرضه وصحته وسائر احواله الحديث وفي رواية اخرى لهذا الحديث ائتوني اي
احضروا ما يكتب فيه اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده ابدا وهذه اكد من الاولى
لقوله فيها لن وابدا فتنازعوا اي وقع بينهم نزاع واختلاف في مجلسه صلى الله عليه
وسلم هل يكتبون ام لا فقالوا كما في البخاري ما له اهجر من الهجر بالضم وسياتي بيانه
قيل انه ظهر لعمر رضي الله عنه ان ما اراد كتابته ما فيه ارشادهم للاصلح وما لم يجب لانه
صلى الله عليه وسلم لم يترك ما يجب تبليغه شيئا وقد قال تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء

وقيل انه اراد كتابة امور شرعية على وجه يرفع الخلاف بينهم وقال سفيان اراد ان
يبين امر الخلافة بعده حتى لا يختلفوا فيها ويأتي في كلام المصنف حكايته غير منسوب ويؤيده
ما رواه مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال في اول مرضه لعائشة ادعي لي اباك واخاك
اكتب كتابا فاني اخاف ان يتمنى متمن ويقول قائل ويأبى الله عز وجل والمؤمنون الا ابا
بكر واما الاول فيقول عمر رضي الله عنه حسبنا كتاب الله وهو شاهد لهذا ايضا وقال
الخطابي انما ذهب عمر الى انه لو نص على شيء او اشياء بطلت اقوال العلماء والاجتهاد ورده
ابن الجوزي بانه لا يلزم ما ذكر لان الحوادث لا تنحصر وقال انما اراد عمران ما يكتبه
في المرض ربما يجد المنافقون سبيلا للكلام وما قيل من انه صلى الله عليه وسلم اراد نفي عرضي
جوامع الكلم يجوز ان يكتب ما يشمل جميع الاحكام ويستخرج منه بسهولة حتى لا يحتاج
لاجتهاد مجتهد وتخريج عالم وهو معصوم من ان يقول في مرضه ما يطعن فيه طاعن
لاستقامة ذهنه في سائر احواله لا وجه له ولفظ الحديث كما في البخاري لما احتضر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هلموا اكتب لكم كتابا لا تضلون بعده فقال بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه
المرض وعندنا القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف اهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا
يكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده ومنهم من يقول غير ذلك فلما كثر اللغو والاختلاف قال
قوموا وكان ابن عباس يقول ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله
عليه وسلم وبين ان يكتب لاختلافهم ولغطهم وقال الشهرستاني انه اول اختلاف وقع
في الاسلام استفهموه اي قولهم اهجر بهمزة الاستفهام الانكاري لانه يجوز بعضها استفهموا
من توقف في امتثال امره بالكتابة اي ايصدر عنه هجر وهو الهذيان وما يقبح من القول
وهو صلى الله عليه وسلم معصوم منزه عن مثله في سائر احواله وقال الراغب يقال هجر
واهجر اذا تكلم من غير قصد وقيل المراد استخبروه عما اراده انتركه او لا ام لا فقال
صلى الله عليه وسلم دعوني اي اتركوا النزاع عندي واللغط فانه لا ينبغي ان يقع مثله
عند نبي من امته فان الذي انا فيه من مراقبة الله والتأهب للقائه والنظر لرسله
الداعين لي للرفيق الاعلى خير من الاشتغال باموركم واستماع كلامكم ولغطكم وفي
بعض طرقه اي طرق هذا الحديث المروي عنه فقال عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم
يهجر بفتح اوله وضم ثالثه اي يأتي بالهجر من القول وهو على تقدير الاستفهام الانكاري
وليس من الهجر بمعنى ترك الكتابة والاعراض عنها كما قيل وهذه رواية الاسماعيلي من دكجي
طريق ابن خلاد عن سفيان وفي رواية كما في البخاري هجر ماض بدون استفهام
ويروى اهجر بالاستفهام والمصدر المرفوع ويروى اهجرا بالاستفهام ونصب
المصدر اي ايهجر هجرا ايهذي الخ وفيه اي في هذا الحديث فقال عمر ان النبي صلى الله
عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا بالنصب على الظرف اي
كافينا من غيره مصدر بمعنى اسم الفاعل اي محسب وكافلنا وفي نسخة حسبنا اي
هو كافينا وكثر اللغط وهو ارتفاع الاصوات واختلاطها حتى لا تكاد تفهم فقال

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم قوموا واقعد واعني اراد ذهابهم من مجلسه
حتى لا يشتغل بهم عما هو فيه وفي رواية في الصحيح ايضا واختلف اهل البيت
اي من كان في بيته صلى الله عليه وسلم من الصحابة اذ ذاك وازدادوه منهم كابن عباس
رضي الله عنهما واختصموا اي نازع بعضهم بعضا فمنهم من يقول قربوا الكاتب او
الكتاب يكتب لكم بالرفع والجزم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا تتمسكوا
به فتهتدوا اي يأمر بالكتابة ومنهم من يقول ما قال عمر من قوله حسبنا كتاب الله
شفقة وحكمة منهما ولذا لم ينكر عليه قوله كما سيأتي والروايات كلها تدل على انه استفهام
ملفوظ او مقدر لكنهم اختلفوا في هائه اهي مضمومة او مفتوحة والاول هو المشهور
تلماني ولابن قرقول فيه كلام وقد افرد بعضهم هذا الحديث برسالة مستقلة وفي بعض الحواشي
ما يدل على انه يجوز في هاء الهجر الضم والفتح وليس ببعيد ان ساعدته الرواية وفي
كلام المصنف ما يوافقه قال ابن قتيبة المالكي او الاشعرية او ابن الحديث بقرينة المقام
في هذا الحديث المروي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم غير معصوم من
الامراض التي تظهر عليه في ظاهر جسمه دون باطنه اذا لم تكن منفرة وما يكون
من عوارضها اي ما يعرض معها من الالام والتغيرات من شدة وجع يؤلمه وغشي
اي اغماء خفيف ونحوه مما يعرض على جسمه وهو معصوم عن ان يكون اي يوجد
منه من القول اثناء ذلك اي في خلاله ويتخلل حينه وهو وجع شيء كما تقدم ما يطعن
في معجزته اي يقدح فيها من مخالفتها للواقع ويؤدي الى فساد في شريعته لتطرقه
للشك في اخباره واحكامه من هذيان اي كلام غير معتد او اختلال في كلام كتقصه
ومخالفته الواقع والعقل لنزاهته صلى الله عليه وسلم وعصمته وكماله في جميع حالاته
كما شوهد منه في مرضه الى ان سلم روحه الشريفة لمالكها وعلى هذا الامر الذي
قرره من عصمته في اقواله ونزاهته لا يصح رواية من روى هجر بدون استفهام
من الهجر بالضم والفتح اذ معناه هذى اي تكلم بكلام كثير لا فائدة فيه ولا انتظام
فقائله ممن لا يعرف قدره عليه الصلاة والسلام كخلل في دينه او عقله او لقرب عهده
بالاسلام فتوهم انه يعرض له صلى الله عليه وسلم من المرض ما يعرض لغيره من تخليطه
في كلامه كخلل في عقله وحاشاه من مثله ويقال هجر يهجر كنصر ينصر هجرا
دكجي بفتح اوله وسكون ثانيه كما في بعض الشروح وسها فيما فيه اذ هذا بالذال
المعجمة من الهذيان واهجر مزيد كاكرم هجرا بضم اوله بوزن قفل وهو اسم مصدر
ومصدره الاهجار اذا افحش اي تكلم بكلام قبيح عن قصد والاول بغير قصد
دكجي واهجر بفتح الهمزة مزيد هجر كاكرم وما في بعض الشروح انه بضم اوله وسكون ثانيه
تلماني سهو من الناسخ وصوابه بفتح اوله تعدية هجر اي ثلاثية معدى بالهمزة وقد قيل
عليه ان هجر واهجر لازمان وصوابه هجر واهجر بمعنى سواء لان هريد يتعدد به تعدية
عن الحديث فيه ونحا دره وهو بعيد انتهى وما ذكره هو الذي يقتضيه كلام اهل اللغة
وانما الاصح اشارة الى رد ما قبله وقد قيل عليه انه غير مسلم لانه ان اراد رده بحسب الرواية

فهو غير صحيح لانه ثابت في صحيح البخاري وان اراد بحسب المعنى فكذلك لانه بتقدير فيه
همزة الاستفهام وحذفها كثير في كلامهم كقوله وتلك نعمة تمنها علي اي وام تلك الخ وقول
الشاعر فوالله ما ادري وان كنت داريا بسبع رمين الجمر ام بثمان
وله ان يجيب عنه بان مراده انه غير صحيح ان لم يقدر الهمزة وقوله والاولى اي ان
قدرت لان الاصل خلافه ولولا هذا لم يصادف قوله الاصح والاولى محزه اهجر
يعني بهمزة الاستفهام الانكاري حتى لا ينسب له ما لا يليق بمقامه وقابله فاله على
طريق الانكار على من قال لا تكتب ما امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابته
لانه لا يجوز مخالفته كما تقدم في كلام ابن عباس رضي الله عنهما من اباه وعلله بشدة وجعه
وهو معصوم في مرضه وصحته والقائل لا يكتب عمر رضي الله عنه والراد عليه بقوله
اهجر بعض الصحابة ووجه ما قاله عمر ما تقدم وسياتي تتمته وهكذا رواينا في
صحيح البخاري اي ثبت عنده روايته بهمزة الاستفهام ملفوظة عن مشايخنا ثابتة
من جميع الرواة في حديث الزهري المتقدم ذكره قبل وفي حديث محمد بن
سلام بلو الامام الحافظ الذي روى عنه البخاري وغيره وتوفي في سنة خمس وعشرين
وثلاثمائة وسلام بتخفيف اللام عند الاكثر كما قاله الذهبي والمزي وغيرهما وجوز
بعضهم تشديدها ايضا وعند بعضهم انهما اثنان فالاشهر منهما بالتخفيف والصغير
بالتشديد وهو محمد بن سلام بن السكن البيكندي وعلى كل حال فالاصح في هذا عندهم
التخفيف عن ابن عيينة يعني به سفيان لان اولاد عيينة عشرة منهم خمسة
اشتهروا بالعلم والحديث وخمسة لم يشتهروا بذلك ولذا قال ابن الصلاح انهم خمسة
والكرم واشهرهم سفيان وكذا ضبطه الاصيلي بهمزة وثقات بخطه في كتابه
يعني به صحيح البخاري الذي رواه وضبطه بقلمه كما ذكر والاصيلي تقدم بيانه
واصيل بلد بالاندلس ولذا ضبطه بخطه غيره اي غير الاصيلي ممن روى البخاري
وكتبه ممن يعتمد عليه من هذه الطرق اي طريق الزهري وغيره وكذا رويناه عن
مسلم كما رواه البخاري في حديث سفيان بن عيينة يعني في روايته ورويناه ايضا
عن غيره اي غير مسلم فصح عنده من طرق بثبوت الهمزة فيه ردا وانكارا على من
ابى الكتابة اي انجعله كغيره ممن يصدر عنه وهو صلى الله عليه وسلم منزه عنه وقول
عمر رضي الله عنه انما هو رد على من نازعه لا رد على النبي صلى الله عليه وسلم كما يعلم مما
ياتي وقد يحمل عليه اي على هذه يحمل بمعناه رواية من رواه هجر بدون همزة
فيحمل على حذف الف الاستفهام يعني الهمزة لانه يطلق عليها الف كما في المغني
وغيره والتقدير على هذا اهجر وحذفها وتقديرها جائز كما تقدم والقرينة على
حذفها غلبة العلم بعدم اتصافه صلى الله عليه وسلم بمعناه او ان يحمل ويوجد قول
القائل هجر بغير استفهام او اهجر بالهمزة والاستفهام عما لا يتوهم فيه اذا ثبتت
هذه الروايات فانما صدرت منه دهشة اي حيرة تذهل من امر عظيم يبغته
من قائل ذلك اي قوله هجر وتكون حيرة تشغله عما يقوله لعظم ما شاهده من

حال

حال الرسول صلى الله عليه وسلم مما يشق عليه فيذهل عما يقول وشدة وجعه
والمه المؤثر في قلوب محبيه وهول المقام الذي اختلف فيه عليه اي يشق عليه
مخالفتهم فيما امر به وهول الامر الذي هم صلى الله عليه وسلم بالكتابة فيه
اي هم بان يكتب في شانه فانه انما يهم في حال المرض بكتابة امر الاولوي امر عظيم لم يظهر
الى الان فربما شق عليهم او خشي منه ومن عواقبه كامر الخلافة مثلا حتى ان القائل
لشدة دهشته لم يضبط لفظه بالتحري ومراعاة حسن تعبيره وفي نسخة حتى لم
يضبط هذا القائل لفظه واجرى الخ بدل قوله او يحمل قوله على انه اجرى الهجر بضم
الهاء مجرى بضم الميم ويجوز فتحها ولا يتعين الاول كما توهم شدة الوجع اي استعمله
مجازا في لازم معناه ولم يرد حقيقته لانه صلى الله عليه وسلم كما ورد في الحديث كان يوعك
كما توعك الرجلان وزيادة المه للطف بنيته وكثرة ثوابه لا انه اي القائل اعتقد
انه يجوز عليه الهجر بالضم اي الهذيان كما حملهم اي بعثهم وحركهم الاشفاق
اي الخوف عليه صلى الله عليه وسلم لشفقتهم ومحبتهم له على حراسته حذرا عليه من ان
يصيبه مكروه او عدو والله يقول جملة حالية والله يعصمك من الناس فهذا
لا حاجة لحراستهم له لكن شدة المحبة دعتهم لذلك كما قيل ان المحب بسوء الظن مولع
ونحو هذا مما يخففه احترازا من غير حاجة له واما على رواية اهجرا بهمزة
الاستفهام وضم الهاء منصوبا منونا ويجوز فتحها وقيل انه الصواب وفيه نظر وهي رواية
ابي اسحاق المستملي في الصحيح اي صحيح البخاري لانه احد رواته وفي نسخة المستملي
ولم يبينوه والمعروف انما هو الاول والظاهر انه تحريف من النساخ في حديث ابن
جبير عن ابن عباس من رواية قتيبة فقد يكون هذا اي الوصف بالهجر راجعا
الى المختلفين عنده صلى الله عليه وسلم ومخاطبة لهم من بعضهم فيكون بعض الصحابة
قاله لبعض منهم لما وقع بينهم نزاع بعد طلبه صلى الله عليه وسلم من يكتب فهو على هذا
مفعول فعل مقدر وتقديره اي جئتم باختلافكم اي بسبب الاختلاف واللغط على
رسول الله صلى الله عليه وسلم متعلق باختلاف وبين يديه اي في حضوره هجرا
بضم فتكون ومنكرا من القول عطف تفسير وصفه بقوله والهجر بالضم الفحش في
المنطق اي التكلم بما يقبح ولا يليق بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد اختلف العلماء
في هذا الحديث اي في معناه المراد به وكيف اختلفوا بعد امره صلى الله عليه وسلم لهم
ان ياتوا بالكتاب ليكتب فيه ما لا يضلون بعده فقال بعضهم اي بعض المختلفين في
بيانه ونا ويله اوامر النبي صلى الله عليه وسلم وتقدم انه جمع امر وامور فهو جمع
الجمع وما فيه يفهم ايجابها اي ما اريد به الايجاب منها من ندبها اي متعديها من
اباحتها اي مباحها والعاطفة محذوف بقرائن قوية اي بالقرائن اللائحة من
سياقه وان كان اصله الايجاب وليس هذا مبنيا على ان الامر مشترك بين هذه المعاني
الثلاثة ولا يتعين لاحدها بدون قرينة كما هو قول لبعض اهل الاصول مع ما فيه
وما عليه فلا نطول به فلعله قد ظهر من قرائن قوله صلى الله عليه وسلم لبعضهم

حين سمعوه منه ما فهموا من ظاهره وحملوا على ظهره انه اى امره صلى الله عليه وسلم
بقوله هلموا لم يكن ذلك الامر منه عزمة اى امر عزم عليه عزما مصمما فيجب امتثاله
بل هو امر رده الى اختيارهم فهو مشاورة مخيرا فيه ولذا اختلفوا فيه وراجعوه
وبعضهم اى بعض الصحابة لم يفهم ذلك فظنه واجبا لا لا يجوز مخالفته فانكر
على من خالف فيه فقال استفهموه اى استخبروه صلى الله عليه وسلم عما اراده بامره
ولما اختلفوا فيما بينهم كف عنه صلى الله عليه وسلم فقال دعوني اى كفوا القايل
عن طلب الاستفهام منه اذ لم يكن بابا والنا اى تؤجدا وهو ناقض عزمة واجبة
الامتثال بالرفع والنصب ولما راى صلى الله عليه وسلم او الكاف ولما بكسر اللام وتخفيف
الميم ولا يجوز الفتح والتشديد وفي نسخة ولما راوه من صواب راى عمر في تركه لما عرفوه
من شدة رايه وموافقاته رضي الله عنهم ولولا القايلون بهذا الوجه قالوا وعلى هذا
يكون امتناع عمر من كتابة ذلك الكتاب اشفاقا وحذرا على النبي صلى الله
عليه وسلم من تكليفه في تلك الحال اى حال وجعه والمه املاء الكتاب او اشفاقه من
ان يدخل عليه مشقة من ذلك الاملاء كما يشهد له انه قال ان النبي صلى الله
عليه وسلم اشتد به الوجع فهذا صريح في شفقته عليه من التعب وثانيا مع علمه بانه
صلى الله عليه وسلم لم يدع شيئا الا اعلمهم به بكتاب الله وسنته ولم يكن صلى الله عليه
وسلم ليوخر بيان امر من مهمات الدين وقد قال الله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وقيل
خشي عمر وخاف ان يكتب امورا يعجزون عنها ولا يوفون بها حقها فيحصلون
اى يقعون في الحرج اى ما يضيق عليهم من الاثم بالمخالفة لما امرهم به وراى عمر
رضي الله عنه برايه هذا ايضا ان الارفق بالامة اى الاسهل والاكثر رفقا بهم
في تلك الامور التي اراد كتابتها لهم سعة الاجتهاد اى ما يتوسعون فيه باجتهادهم
واستنباطهم من النصوص التالفة وحكم النظر اى نظر من يجتهد في المقدمات التي
يريد الاستنباط منها نظرا صحيحا مقرونا بشرايطه وطلب الصواب بالنظر في
الادلة والنصوص ومقتضياتها ومواقعها فيكون المجتهد المصيب والمجتهد المخطي
في الحكم الشرعي ماجورا مثابا اما الاول فله اجران اجر اجتهاده واصابته الحق
والثاني له اجر اجتهاده فقط لبذل جهده في طلب الصواب والحق وهذا بنا على ان
المصيب واحد منهما والقول بان كل مجتهد مصيب ليس مرضيا كما بين في كتب الاصول
واجر المخطي انما هو على سعيه وطلبه للحق لا على خطايه لكنه لا اثم عليه في اجتهاده اذا
كان من اهله على الصحيح وتفصيله في كتب الاصول وقد علم عمر رضي الله عنه تقرر
الشريعة اى انه صلى الله عليه وسلم قررها لهم وبينها لهم قبل مرضه ولم يترك شيئا مما
يحتاجون اليه وتاسيس الملة اى احكام قواعدها وما يبنى عليه احكامها المحكمة
التي لا يهمل منها شي وعلم ان الله تعالى قال في اخر ما انزله اليوم المراد به الوقت
الحاضر في اخر عمره صلى الله عليه وسلم اكملت لكم دينكم فلم يترك شيئا مما يحتاجون
اليه لم يبينه لهم صريحا وضمنا ولم يرشدهم لطرق استنباطه فلذا ترك ما اريد

كتابته

كتابته لحكمة هداه الله لها وهذه الاية نزلت يوم جمعة او ليلتها بعرفة في الحج الاكبر ولما
قراها بكى عمر رضي الله عنه لان التمام يدل على انقضاء امر الوحي وعلم عمر ايضا قوله
صلى الله عليه وسلم اوصيكم بالتمسك بكتاب الله بامتثال اوامره ونواهيه
والتادب باداته وما فيه من مكارم الاخلاق وعترتي بكسر العين وسكون التاء
الفوقية او لانها ساكنة بينها والمثناة المهملة وهم اهل بيته صلى الله عليه وسلم الذين
يحرم عليهم الزكاة من بني هاشم وبني المطلب وهذا حديث صحيح رواه مسلم في خطبة
خطبها صلى الله عليه وسلم وسماهما فيه ثقلين كما ياتي لفظها لثقلهما فقال اني تارك فيكم
الثقلين كتاب الله واهل بيتي لن تفترقا حتى يردا على الحوض وفي النهاية عترة الرجل
اخص اقاربه وعترته صلى الله عليه وسلم بنو عبد المطلب وقيل اهل بيته الاقربون
وهم اولاد علي رضي الله عنه وقيل عترته الاقربون والابعدون من قريش والمشهور
انهم اهل بيته الذين تحرم عليهم الزكاة انتهى وما قيل من ان هذا يقتضي ان ما امر به
صلى الله عليه وسلم لا فايدة فيه وهو بعيد وغيره لا يليق بي ليس بشي لما علمته فتنبه وقول
عمر حسبنا كتاب الله تعالى لكفايته عما عداه رد على من نازعه اى نازع النبي صلى
الله عليه وسلم او عمر في امر الكتاب لا رد من عمر رضي الله عنه على امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان ياتوا بمن يكتب لهم كتابا وقد استبعد هذا ابن السبكي جدا فانكر ما
سياتي وليس فيه شين لعمر وشبهة يحتاج للدفع بهذا وقد قيل في الجواب عن قول
عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم على تقدير تسليمه انه انما خشي عمر رضي الله عنه
تطرق المنافقين اى وصولهم من طريق نفاقهم ومن وصول من في قلبه مرض
لحقده على اهل الاسلام واهله كاليهود لما كتب في ذلك اى بسبب الكتاب في الخلوة
وان يتقولوا في ذلك الاقاويل اى ان يكذبوا اشيا ذم ما ليس فيه له واصل معنى
التقول تكلف القول وتفسيرها ذكر قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل وجمع
الاقاويل تحقيرا لما يقولونه او انه خشي ان ياتيا ولو اما يكتب فيه بناويلات باطلة
كما وقع من بعض الزنادقة كادعا الرافضة الوصية اى النبي صلى الله عليه وسلم
اوصى لعلي كرم الله وجهه وتسميتهم له الوصي لذلك واله بعض الصحابة كتب ذلك وغير
ذلك لما افتراه الرافضة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ادعوا ان الكتاب الذي
اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابته كان فيه الوصية بخلافة علي فلذا امتنع منه
عمر وهو كذب منهم عليه وسموا رافضة من الرفض وهو الترك لرفضهم زيد بن علي
لامور يطول ها وقيل لغير ذلك وهم فرق يطول ذكرهم وقيل في توجيهه انه
اى امره كان من النبي صلى الله عليه وسلم امر على طريق المشورة والتخيير تطييبا
لقلوبهم لا امر ايجاب لا تجوز مخالفته والمشورة بفتح الميم وضم الشين وسكون الواو
بزنة مثوبة في الافصح ويجوز سكون الشين وفتح الواو وقول الحريري في الدرة انه
خطا خطا منه كما فصلناه في شرحها وهي اى المشورة من شرت العسل اذا اجتنيته والاختيار
اى التخيير لا الايجاب ولينظر هل يختلفون على ذلك الامر الذي اراد ان يكتب

ابن الفرس

ام يتفقون عليه فلما اختلفوا فيه وتنازعوا تركه وكف عنهم لا انهم عصوا وفرطوا
فى امر لابد منه وقالت طائفة اخرى فى معنى الحديث ان النبى صلى الله عليه
وسلم كان مجيبا لما طلب منه اى كانوا سالوه ان يعهد اليهم بما يكتبونه عنه فاجابهم
بقوله هلموا الخ لا انه ابتدا بالامر به حتى يقال لا ينبغى مخالفته فيه بل اقتضاه اى
طلب منه بعض اصحابه ممن كان عنده فاجاب رغبتهم اى ما رغبوه منه وكره
ذلك غيرهم اى غير من طلبه كعمر لثقله عليه صلى الله عليه وسلم فى مرضه شفقة منه للعلل
التى ذكرناها سابقا واستدل بالبنا للمجهول اى على صحة هذا التاويل فى مثل
هذه القصة اى قصة الكتاب المذكور بقول العباس فى حديث رواه البخارى
لعلى بن ابى طالب انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم نسأله عن الخلافة
بعده فان كان الامر اى امر الخلافة بعده صلى الله عليه وسلم فينا اهل البيت علمناه
فلا ينازع فيه احد وان كان لغيرنا لم نطلبه ولم نرجه وكراهة على رضى الله عنه
هذا اى ما قاله العباس رضى الله عنه له وقوله لعمه العباس والله لا افعل اى لا انطلق
ولا اسال الحديث رواه البخارى مسندا وفيه ان عليا خرج من عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم فى مرضه الذى توفى فيه فقال له العباس كيف اصبح رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اصبح بحمد الله بارئا فاخذ بيده وقال له انت بعد ثلاث عبد العصا
وانى والله اراه سيتوفى فى مرضه هذا وانى لاعرف وجوه بنى عبد المطلب عند الموت
اذهب بنا اليه نساله فيمن هذا الامر بعده فان كان فينا علمنا ذلك وان كان فى غيرنا
اوصاه بنا فقال انا والله لا اساله ولو كان فينا لاعطيناه للناس بعده واستدل
ايضا لما ذكر من انه كان مجيبا لا آمرا فخالفوا امره بقوله صلى الله عليه وسلم فى هذا
الحديث دعونى فان الذى انا فيه خير من ان يكتب الكتاب فانه لو كان آمرا فيه بواجب
لم يقل ان تركه خير منه اى الذى انا فيه خير من ارسال الامر اى اهماله وتركه
وخير من تركهم اى تركى لكم او تركهم كتاب الوصية ومن بيان لما هو فيه وكتاب
الله بالنصب مفعول معه اى مصاحبين لكتاب الله والتمسك به فانه حسبكم فاياكم
ان تختلفوا فيه فتهلكوا اى ثبتكم من الاثم وتتقتلوا ان تنازعتم فيه وقد قيل انه كان
مراده صلى الله عليه وسلم كتابة هذا شفقة عليهم وان تدعونى ان شرطية والجملة معطوفة
على جملة دعونى ما طلبتم اى من كتابة الكتاب الذى طلبتموه فانه جنبكم والجواب مقدر
اى فهو خير لكم ويجوز فتحها وذكر بالبنا للمجهول ان الذى طلب كتابته لهم امر
الخلافة بعده وتعيين ذلك اى تعيين من يكون خليفة بعده واعلم ان
هذا هو الصواب كما قاله ابن تيمية فى كتاب الرد على الروافض وانه ورد مفسرا به
فى الحديث المروى فى الصحيحين كما مر فى قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة ادعى لى اباك
واخاك ولا يجوز غيره لانه لا يخلو من ان يكون امرا واجبا اوحى اليه به قبل مرضه
او اوحى اليه فى مرضه والاول لا يصح لان فيه تاخير البيان عن وقت الحاجة وهو
غير جائز والثانى لو كان بلغه من غير طلب كتاب ونحوه وحينئذ فما قاله عمر رضى الله

عنه

عنه ما قاله لانه علمه وعلمه غيره كما بينته وغيرهما من كبار الصحابة ولو ذكره لذكر بعده
عمر وربما اشمازت منه بعض النفوس القاصرة وقد علم ان الله منجزه وان اخفاه فى
حياته اولى وما سوى هذا القول لا وجه له فلذا اخترته هذا الفصل وكرر ذكره فيه
والقول بانه يعيد لا وجه له ايضا

فصل فى ذكر شبهة اخرى فيما قرره (ابن افارس)

من عصمته صلى الله عليه وسلم فى رضاه وغضبه فان قيل فما وجه حديثه الذى رواه
مسلم اى توجيهه بما يوافق ما قرره ورواه المصنف من طريقه مسندا ايضا اى المماثل
للحديث الذى قدمه الذى حدثناه الفقيه ابو محمد الخشنى بقراءتى عليه قال حدثنا
ابو على الطبرى قال حدثنا عبد الغافر الفارسى قال حدثنا ابو احمد الجلودى
قال حدثنا ابراهيم بن سفيان تقدم بيان رجال هذا السند كلهم قال حدثنا
مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح المشهور قال حدثنا قتيبة بن سعيد كما تقدم
قال حدثنا الليث عن سعيد هو المقبرى وقد تقدم ابن ابى سعيد اسمه كيسان
كما تقدم عن سالم مولى النصريين بنون وصاد مهملة وهو ابن عبد الله النصرى
روى له اصحاب الكتب الاربعة نسبة لجماعة بنى النصر كما بين فى اسماء الرجال قال
سمعت ابا هريرة رضى الله عنه يقول تقدم الكلام على ابى هريرة وعلى هذا التركيب
من جهة العربية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم انما محمد بشر
الحصر فيه اضافى ادعائى اى ليست احواله الا من جنس احوال البشر الذى يطرا وغالب
ما يطرا وعليهم من العوارض البشرية وليس مبرا منها فهو يغضب احيانا لا لنفسه
كما يغضب البشر وعدل عن التكلم الى الغيبة بذكر اسمه تواضعا منه لربه فيفيد المعانى
على راى وانى اتخذت انما لم الاخذ فنا وهو مبدلة لا اصلية كما بين فى العربية
عندك عهدا يعنى انه صلى الله عليه وسلم عاهد الله عهدا بينه وبينه لن تخلفنيه
بينى وانك وعدتنى بانجاز عهدى وانت لا تخلف الميعاد وفى قوله اتخذت التفات من
الغيبة للتكلم لبيان انه متلذذ بمناجاته متوقعا لاجابته ثم فسر العهد الذى عهده بقوله
فايما مؤمن اذيته اى فعلت معه شيئا يؤذيه وهو مستحق له كحد وتعزير اقتضاه
فانه صلى الله عليه وسلم على خلق عظيم لا يؤذى احدا لا يستحق الاذية كما لا يخفى او
سببته اوجلدته هذا من جملة الاذية فينبغى تخصيصها بغير ما ذكر لان الخاص
لا يعطف على العام او فاجعلها انثه باعتبار المذكورات والفاء فى جواب ايما لتضمنها
معنى الشرط كفارة له اى مكفرة لذنوبه وفيه اشارة الى ان ما فعله فى مقابلة ذنب
صدر منه لا لحظ نفسه وهى صيغة مبالغة ملحقة باسما الاجناس وقربة اى فعلة
مقربة له تقربه بها اليك اى تتبعه بها ثوابا ترفع بها منزلته عندك لانه تعالى منزه (ترفعه)
عن الجهة والقرب المكانى لانه من صفة الاجسام يوم القيمة حين تعرض الاعمال
ويحاسب العباد وفى رواية اخرى لهذا الحديث فايما احد بالجر وما مزيدة ويجوز
رفعه دعوت عليه دعوة فى حال الغضب عليه قال فى المقتفى وفيه نظر لان هذا
ليس من حديث ابى هريرة وانما هو حديث اخرجه عن انس رضى الله عنه فمقتضى الظاهر

ان يقول وفي رواية انس ونحوه يعني ان سياقه يقتضي انه من رواية ابي هريرة التي
سبقت وليس كذلك فلعل الامر فيه سهل وذكر الرواية وتكريرها يقتضي مخالفتها لما
قبلها سندا ومتنا وهو ظاهر فلا وجه لما قاله وفي رواية اخرى ليس اي المدعو عليه
او المذكور لها باهل اي مستحق لها اي لهذه الفعلة وهذا هو المشكل لانه صلى الله عليه
وسلم لا يفعل فعلا باحد الا ويستحقه وسيأتي توجيهه وفي رواية اخرى ايما رجل من المسلمين
سببته وشتمته او لعنته اي دعوت عليه باللعنة واصل معناها الطرد والابعاد مطلقا
او جلدته فاجعلها اي المذكورات له زكاة اي طهارة من ذنوبه او زيادة في حسناته
لان الزكاة تكون بمعنى الطهارة والنما فاستعيرت لما ذكر وصلاة ورحمة عطف تفسير
او تفسير الصلاة بالعطف والرافة فيتغايرا وهو مفصل في تفسير قوله تعالى اولئك
عليهم صلوات من ربهم ورحمة ثم بين وجه الشبهة والسوال بقوله وكيف يصح ويجوز
والاستفهام انكاري ان يلعن النبي صلى الله عليه وسلم من لا يستحق اللعن فعلى اي
حال يصح صدوره منه ويسب من لا يستحق السب لقوله في رواية ليس لها
باهل ويجلد من لا يستحق الجلد وقوله او بسكون الواو وفتحها وهمزة الاستفهام
يفعل مثل ذلك الامر المذكور عند الغضب اي في حال غضبه وهو صلى الله عليه
وسلم معصوم في جميع احواله كما تقدم والجملة حالية من هذا كله في جميع احواله فاعلم
شرح الله صدرك اي فسح فيه ووسعه لقبول الحق فيما تحقيه ونوره بمعرفته والجملة
دعائية معترضة لتعرف الحق في هذا ان قوله صلى الله عليه وسلم في بعض الروايات
اولا فيما تقدم ليس لها باهل اي ليس مستحقا لما فعلته به اي عندك يا رب اي في
علمك مما هو في باطن امره اي حقيقته التي تخفى على غيره وعند الله في القرآن يكون تارة
بمعنى علمه وتارة بمعنى حكمه والمراد هنا الاول كما بيناه وفي حواشي القاضي ايضا وفي
قال حكمه صلى الله عليه وسلم بين امته كما تقدم على الظاهر من الحال غالبا كما قال
صلى الله عليه وسلم نحن انما نحكم بالظاهر كما تقدم وللحكمة التي ذكرناها من انه
ليقتدى به امته ولو اوحى اليه ما في نفس الامر وحكم به لم يمكن امته الاقتدا به في
احكامه بعده كما مر فحكم صلى الله عليه وسلم بمقتضى الظاهر بجلده او اذيه بسبه
او لعنه اي دعا عليه باللعنة او طرده بما اقتضاه عنده اي في حضوره او في علمه
حال ظاهره الذي ظهر له ولغيره والدعا باللعن شرعا انما يجوز على من كان
غير معين كافرا كان او غير كافر كلعنة الله على الظالم او على معين مات على كفره واما
على معين كافر او لا فلا يجوز لجواز ان يسلم فلا يكون ملعونا اي مطرودا عن رحمة الله الا
انه قيل انه كان جائزا للنبي صلى الله عليه وسلم ولو على غير الكافر فهو اما من خصائصه
او منسوخ ثم دعا صلى الله عليه وسلم من دعا عليه بقوله اللهم اجعله كفارة له لشفقته
على امته ورافة ورحمة للمومنين التي وصفه الله بها بقوله بالمومنين رؤف
رحيم وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ونحوه وحذره بالجر عطف على شفقته اي
خوفه ان يتقبل الله تعالى فيمن دعا عليه دعوته بقوله اللهم اجعل الخ ان يجعل

الله

الله ما هو مقصود دعاه دعا ان عليه ولعنة له رحمة لمن دعا عليه فهو معنى قوله ليس
لها اي المدعو عليه ليس في علم الله باهل اي مستحقا لما دعي به عليه لا انه صلى الله
عليه وسلم يحمله الغضب بمقتضى البشرية اي يدعوه ويبعثه ويستفزه الضجر
اي القلق وضيق الصدر ممن عصا الله وخالفه اي يحركه بسرعة لان يفعل مثل
هذا الدعا من السب واخوته بمن لا يستحقه في الباطن وان استحقه بحسب الظاهر
من مسلم صدر منه ذلك وهذا معنى صحيح والحديث وهو صحيح مستقيم مقبول لا يعيبه
شي ولا يفهم من قوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث اغضب كما يغضب البشر
ان الغضب حمله وبعثه على ما لا يجب فعله اذ هو صلى الله عليه وسلم منزه عن مثله
بل يجوز ان يكون المراد بقوله هذا ان الغضب لله هو الذي حمله على معاقبته
بلعنه او سبه كما ورد في الحديث انه صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه قط الا ان تنتهك
حرمة الله فينتقم لله او يجاب بجواب اخر هو انه اي الذنب الذي عاقبه عليه وفي نسخ وانه
بالواو وكان مما يحتمل ويجوز عطف تفسير ليحتمل عفوه صلى الله عليه وسلم عنه وترك
المعاقبة عليه بالسب ونحوه او كان ذلك الذنب مما خير فيه البنا للمجهول اي خيره الله بين
المعاقبة والعقوبة وفي نسخة او العفو والصواب عطفه بالواو لاقتضا التخيير التثنية
ولا حاجة لجعل او بمعنى الواو وهذا الجواب قريب مما قبله وقد يحمل الدعا الوارد في
هذا الحديث على انه خرج مخرج الاشفاق والخوف منه صلى الله عليه وسلم على امته وتعليم
امته الخوف من الله ومعاصيه من الصغاير والحذر من تعدي وتجاوز حدود
الله اي ما حده الله مما لا يجوز الخروج عنه وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا وما ورد
من دعواته على غير واحد اي على كثير من الناس في غير موطن اي في مواطن ومحال
كثيرة صدر فيها الدعا عليهم على ما صدر من غير العقد اي العزم وتصميم القلب
والقصد منه للدعا عليهم بل دعوات صدرت منه بما جرت به عادة العرب في
محاوراتهم يدعون على مخاطبهم بنحو قاتله الله وويل امه ولا اب له لمن قصد مدحه
وتحسين فعله وهو مشهور في غير لسان العرب ايضا وليس المراد بها اي بهذه
الدعوات الاجابة اي دعا عليه يطلبون استجابته فيهم بوقوع ما دعوا به كقوله
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان تربت يمينك قال في النهاية ترب الرجل
اذا افتقر كانه التصق بالتراب واترب اذا استغنى اما على همزة السلب او على معنى
صار ماله كالتراب كثرة وقد ورد كل منهما بمعنى الاخر وترب يداك وتربت ونب
لليد لان بها الكسب وليس المراد به الدعا عليه وقد صدر هذا منه صلى الله عليه وسلم
مرارا مرة لام المومنين ام سلمة رضي الله عنها كما في البخاري انها قالت لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله لا يستحيي من الحق هل على المراة من غسل اذا هي احتلمت فقال
نعم اذا رات الما فغطت وجهها وقالت او تحتلم المراة قال نعم تربت يمينك فبم
يشبهها ولدها ووقع في احاديث اخر ايضا كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
مسلم عن ابن عباس لا اشبع الله بطنك قاله لمعاوية ولكن الذي رواه مسلم بطنه

قال البيهقي فما شبع بعدها وكان رضي الله عنه مشهورا بالبطنة حتى قالوا اللا كول
كان في اصحابه معاوية والحديث قد علمت انه عن ابن عباس ولفظه قال كنت مع
الصبيان فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواريت خلف الباب فقال اذهب
فادع لي معاوية قال فجئته وقلت هو ياكل فقال ثانيا اذهب فادعه فجئته وقلت
هو ياكل فامرني فجئته وقلت هو ياكل فقال لا اشبع الله بطنه فجيئ فيما قاله المص
شئ لان الله استجاب دعاءه فيه فليس هذا من الباب الذي جرت به العادة من غير
قصد وقوله صلى الله عليه وسلم لصفية في حديث رواه مسلم عن عائشة **عقرى حلقى** وهذا
قاله صلى الله عليه وسلم لصفية بنت حيي ام المؤمنين رضي الله عنها في حجة الوداع وهو في
البخاري بسنده عن عائشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم للحج فلما كانت
ليلة النفر حاضت صفية فقال صلى الله عليه وسلم ما اراها الا حابستكم الخ وهذا ايقال
للتعجب دون قصد الدعا واصله صفة للمراة المؤذية المشومة واختلف في لفظه
ومعناه فقيل معنى حلقى اصابها وجع في حلقها وقيل معناه تحلقهم اي تستأصلهم كما
يستأصل الحالق الشعر وعقرى من العقر وهو عقر قبة الدواب او من العقرة وهي
رفع الصوت ويجوز تنوينهما وعدمه على ان الفه للتانيث كسكرى وعلى جعلها ليست
للتانيث فكل منهما صواب ومحلها رفع خبرا ونصب على المصدرية والمحدثون يروونه
غير منون والمعروف عند اللغويين تنوينه **وغيرها** اي غير الدعوات المذكورة
من المروي **من دعواته** صلى الله عليه وسلم التي لم يرد بها الدعاء على من خاطبه وانما
يراد المدح او التعجب على عادة العرب في مخاطباتهم ووجهه كما قالوه في نحو قاتله الله
انه يقصد به دفع العين عنه بجعله كالمذموم المدعو عليه فهو من قبيل الذم الذي يراد به
المدح **وقد ورد في صفته** صلى الله عليه وسلم **في غير حديث** اي في احاديث كثيرة
تقدم بعضها منها ما رواه وهو في صحيح البخاري وغيره **انه لم يكن** صلى الله عليه وسلم
فحاشا صيغة مبالغة من الفحش وهو القبيح والوقاحة في كلامه ومخاطباته وقد كان
صلى الله عليه وسلم بمعزل عن كل ما يستحيي منه **وقال انس** فيما رواه عنه البخاري
ايضا **لم يكن** صلى الله عليه وسلم **سبابا** اي لا يقول ما هو سب وشتم **ولا فاحشا** اي لا
يتكلم بما يقبح التصريح به **ولا لعانا** اي لا يقول اللعنة لاحد **وكان** عادته صلى الله
عليه وسلم انه **يقول لاحدنا عند المعتبة** مصدر ميمي من العتاب وهو بالتاء المثناة من
فوق مفتوحة ومكسورة من عتب عليه عند الغضب اذا لامه **ما له** اي شئ اقتضى
ما فعله **ترب جبينه** الجبين واحد الجبينين وهما جانبا الجبهة وفي نسخة ترب
جبينه بالتثنية لانه عضو مثنى او المراد به الجبهة لانه ورد بمعناها في قول زهير

يقيني بالجبين ومنكبيه ،، وانصره بمطرد الكعوب

كما في شرح ديوانه فلا وجه لتخطئة المتنبي في استعماله بهذا المعنى وترب دعاء في
الاصل بمعنى كبه الله على وجهه ولم يرد به الدعاء كقولهم تربت يداه **فيكون حمل
الحديث** برفع حمل والمراد بالحديث ما ذكره اولا وهذا **على هذا المعنى** اي انه

جا

جاء على عادة العرب في ملاطفاتهم وقيل معنى ترب جبينه كثر سجوده فلا يكون دعا
عليه وهذا يقتضي ان المراد به الجبهة **ثم اشفق** اي خاف صلى الله عليه وسلم **من
موافقة امثالها** اي الدعوات الصادرة **اجابة** اي ان يستجاب دعاؤه عليه بحسب
ظاهره كما قال بعضهم ترب تحرك تقتل شهيد الخائف من مثله **فعاهد ربه كما قال
في الحديث** السابق ذكره اللهم من دعوت عليه **ان يجعل ذلك القول له** ما سبق من
سب ونحوه مما هو بمعنى القول او التحصيص **زكاة ورحمة وقربة** كما تقدم بيانه مفصلا
وقد يكون ذلك المذكور من دعائه لمن سبه **اشفاقا على المدعو** اي شفقة ورحمة
بجعل دعائه عليه رحمة له **وتانيسا له** اي تانيسا له ليطمئن قلبه **لئلا يلحقه** ما يقع في
قلبه **من استشعار الخوف** اي الشعور بادراكه **والحذر** اي الوقوع فيما يحذره
من لعن النبي صلى الله عليه وسلم له ومن تقبل دعائه اي يخاف قبول دعائه
عليه بلعنه وابعاده من رحمة الله تعالى **ما يحمله على الياس والقنوط** من رحمة
الله وهما بمعنى جمع بينهما تاكيدا وقيل القنوط شدة الياس والياس من رحمة الله كبيرة
وقيل انه كفر وفيه كلام في الاصول كما فصلناه في رسائلنا وتقدمت الاشارة الى شئ منه
وهذا ثالث وقيل رابع في غاية الحسن **وقد يكون ذلك** منه صلى الله عليه وسلم **سؤالا لربه**
عز وجل اي قوله اللهم اجعله رحمة الخ **لمن جلده او سبه** متعلق بسؤال **على حق وبوجه
صحيح** لانه صلى الله عليه وسلم لا يفعل شيئا بغير وجه شرعي **ان يجعل ذلك** اي دعاءه عليه
كفارة لما اصابه اي فعله من الذنوب التي استحق بها السب **وتحقيقه** مصدر بمعنى
التنفيس بمعجمة من محاه اذا ازاله **لما اجترمه** اي فعله واكتسبه **وان يكون عقوبته
له في الدنيا** خبر يكون وقوله **سبب العفو والغفران** لانه تعزير له بالقول
الذي يؤذيه **كما جاء في الحديث الاخر** الذي رواه الشيخان عن عبادة بن
الصامت انه قال صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة للانصار بايعوني على ان لا
تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تاتوا ببهتان تفترونه بين ايديكم
وارجلكم ولا تعصوني في معروف فمن وفى بذلك فاجره على الله **ومن اصاب
من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له** ومن اصاب من ذلك شيئا
فستره الله فهو الى الله ان شاء عاقبه وان شاء عفا عنه وذلك في الحديث اشارة
الى ما سبق في الحديث من الذنوب التي بايعهم على تركها ما عدا الشرك او هو عام
مخصوص وهذا يدل على ان الحدود كفارة فهو بعد قوله في حديث اخر لا ادري
الحدود كفارة لاهلها اولا فهذا كان قبل ان يعلمه الله بانها مكفرة وفيه كلام في
شروح الصحيحين ولا يلزمه ان يكون قوله في الدعاء عليها بان يجعلها كفارة تحصيلا
للحاصل ايضا كما توهم ثم ان ورد شبهة اخرى على ما قرره ودفعها فقال **فان قلت**
فما معنى حديث الزبير بن العوام الصحابي المشهور وحديثه هذا رواه البخاري
وقول النبي صلى الله عليه وسلم له حين تخاصمه وتنازعه مع الانصاري الا في
ذكره وحين مضافة لمصدر تخاصم وتخاصمه كان مع بعض الانصار الذين شهدوا

ای افتری

بدريا كما في بعض كتب الحديث فقال ابن بشكوال انه حاطب بن ابي بلتعة وقيل
ثابت بن قيس بن شماس الانصاري الا انه لا شاهد عليه وقال النووي هو حاطب
وقيل ثعلبة بن حاطب وقيل حميد والقول بانه حاطب بن ابي بلتعة لا يصح لانه ليس
انصاريا وقد ثبت في البخاري انه انصاري بدري وكذا ثابت لانه ليس بدريا وقال
الزجاج الخصم من قبيلة الانصاري منافق ليس من المومنين منهم وفيه نظر لانه بدري
وقد شهد صلى الله عليه وسلم لاهل بدر بالجنة وثعلبة بن حاطب ليس بمعروف في الصحابة
وقوله في شراج الحرة هو المخاصم والشراج بكسر الشين المعجمة وراء مهملة والف بعدها
جيم سيل صغير في السد او الى السهل كما في النهاية لها كالقناة جمع شرجة او شرج
والحرة بفتح الحاء وتشديد الراء المهملتين ارض صلبة تعلوها حجارة سود وهي مكان
معروف بطيبة كان فيها وقعة يزيد المشهورة اسق يا زبير اى بستانك من هذا
الماء وفي لفظ المصنف هنا حتى يبلغ الماء السائل الكعبين سهو منه كما قيل لانه صلى الله
عليه وسلم لم يقله ابتداء وانما قاله بعد غضبه من كلام الانصاري وكان قاله اولا لما
نازعه له اسق يا زبير فقط فامره بقدر ادنى السقي من غير استيفا لحقه بتمامه كما
صرح به البخاري وقال له فامره بالمعروف وكان اراد الانصاري ان يرسل الماء الارض
من غير حبس له اصلا مع انه يمر على ارضه اولا وله فيه حق شرب تام فابى الانصاري
فامره صلى الله عليه وسلم بمجرد السقي وقال اسق فقط اى افعل السقي من غير استيفا
لحقك ثم ارسل الماء الى جارك وامره بالمعروف يعني الجميل من الاحسان والعادة المعروفة
ورعاية الجار والمراد به الوسط المعتدل فقال له اى قال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم الانصاري الذي ذكرناه لما قال اسق الخ ان كان ابن عمتك يا رسول الله بفتح
الهمزة اى حكمت له لانه ابن عمتك لانه ابن صفية بنت عبد المطلب لان ان المخففة
يطرد معها تقدير حرف الجر ولو في صدر الكلام كما يطرد مع المشددة كقوله تعالى
ان كان ذا مال وبنين وحكى الكرماني فيه كسر الهمزة على انها شرطية مقدرة الجواب
وفي فتح الباري انه غير معروف في الرواية لكنه يويده ما في رواية ابن اسحاق
وان كان ابن عمتك وهمزة الاستفهام على هذا مقدرة ويمد الهمزة ان ذكرت كما
ذكره البعض والقرطبي آان كان ابن عمتك نحو قوله آلله اذن لكم وهي رواية عندهما من
غير هذه الطريق وفي رواية ابن معمر انه ابن عمتك قال ابن مالك في توضيحه يجوز
في هذه الرواية فتح همزة انه وكسرها فان فتحت قدرت لام قبلها جارة وان كسرت
قدرت قبلها الف استفهام لانها وقعت بعد كلام معلل بمضمون ما بعدها كقوله
لا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وقد روي بهما فتلون وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم اى عرض له تغير لونه الذي كان له من حمرة الغضب لقول الانصاري
المذكور وعلم انه ساءه وقيل انه كناية عن الغضب وانما سامحه صلى الله عليه وسلم في
مقالته هذا ولو صدر من غيره الان وجب قتله لانه كان من المنافقين المولفة قلوبهم
وكان له صلى الله عليه وسلم ان يعفو عن مثله كما قال لئلا يتحدث الناس ان محمدا يقتل

اصحابه

اصحابه وهو خاص به وبعده يقتل قائله كما قاله النووي ثم قال صلى الله عليه
وسلم بعدما غضب من قوله وكونه لم يرض بما هو الكثر من حقه وقد حكم له بالعدل
والحق فلم يرض بحكمه طمعا وبغيا منه اسق يا زبير حد بعينه بحقك ثم احبس الماء
بسد مجراه حتى يبلغ الماء الذي حبسه الجدار الحديث اى الى اخره المروي في
البخاري والموطا وغيرهما وبعده رواية في الرواية الاخرى هنا حتى يبلغ الكعبين
وهما بمعنى وتقديم البعض لها ليس في محله كما تقدم وفي رواية الموطا حتى يرفع الى الجدر
وهو بفتح الجيم وسكون الدال وبالراء المهملتين بمعنى الجدار وروي بضم الجيم جمع جدار
وروي بفتح الجيم وكسرها وذال معجمة من جذر الحساب وجذر كل شيء اصله
والمراد به الحائط ولما كان ذلك مختلفا قدروه بما يبلغ الكعبين وبه قضى رسول
الله صلى الله عليه وسلم في غير هذه القصة وقيل المراد به ما يجعل من التراب حول الزرع
وهو الظاهر والمعنى واحد وحاصل السوال انه صلى الله عليه وسلم حكم اولا بحكم ثم رجع
عنه وهو مناف في العصمة في اتباعه الذي فرض نفوه ولذا قيل انه يدل على ان الحاكم يجوز له
نقض حكمه ولا دليل فيه لما سيأتي فالجواب عما ذكر انه صلى الله عليه وسلم منزه اى
مبعد ومبرؤ من ان يقع بنفس مسلم اى في فكره وذهنه منه صلى الله عليه وسلم
في هذه القصة التي قضى فيها وحكم بها على غيره امر يريب اى يوقع صاحبه في ريب
وشك في اقواله ويظن انه صلى الله عليه وسلم بعد رشده قول من غير تامل وتثبت ثم يرجع
عنه ولكنه صلى الله عليه وسلم ندب الزبير اى دعاه وطلب منه اولا حين قال له
اسق على الاقتصار وعلى بعض حقه على طريق التوسط اى الاعتدال من غير افراط
ولا تفريط وعلى وجه الصلح بينه وبين الانصاري لا انه كان مستحقا لغير ذلك فلما
لم يرض بذلك اى بما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم واعطاه فوق حقه الاخر اى
الرجل الاخر المخاصم وهو الانصاري ولج اى ابدى اللجاج عنادا منه في خصومته للزبير
رضي الله عنه وقال ما لا يجب ان كان هذا بضم المثناة التحتية وكسر الحاء المهملة
وتشديد الباء الموحدة من المحبة فهو ظاهر وان كان بفتحها وكسر الجيم فالحق ان يقول
ما لا يجوز لكن مثله كثير في عباراتهم وقد سبق مثله فالمراد به ما لا يجوز ايضا لان
غير الواجب يصدق على الحرام والمباح بل والمندوب فاريد به بعض افراده ايما الى انه
ينحصر في حقه على الواجب له فما لك بحرام يقتضي الردة وما قيل من ان الوجوب بمعناه عرضى
اللغوي وهو السقوط كقوله تعالى وجبت جنوبها اى ما لا يسقط من قائله حرمته حتى
يجدد اسلامه ويتوب منه تكلف لا نوع له بالعبارة بلا قرينة استوفى اى وفى وكمل صلى الله
عليه وسلم للزبير حقه من الشرب من غير مسامحة وقد ترجم البخاري على هذا الحديث
المذكور في هذه القصة والترجمة في الاصل كما تقدم تفسير لغة باخرى فيكون بمعنى
ايصال الكلام لمن لم يفهمه كما في قوله قد احوجت سمعي الى ترجمان وفي عرف المصنفين
عنوان الكلام بذكره اجمالا مع لفظ الباب ونحوه وهو المراد هنا بقوله باب
بالتنوين اذا اشار الامام بالصلح بين خصمين فابى اى امتنع احدهما مما اشار به حكم

الحاكم عليه اى على من ابى الحكم بالحكم الحق الذى اتانا به الكريم من عنده فالالف
واللام فى الحكم للعهد وهو الحكم البين ولا يقال انه سقط منه لفظ البين المروى فيه
كما قيل وذكر البخارى فى اخر هذا الحديث المذكور فاستوعى رسول
الله صلى الله عليه وسلم حقه اى استكمله واصل معناه جعله فى الوعا فتجوز به عن
لازم معناه والضمير للحكم او للرسول لادنى ملابسة او للانصارى على زعمه انهما به
ولو رجع للزبير فى عبارته لزم عوده على متاخر ورد بانها متاخرا من عنده
صلى الله عليه وسلم مر على المقداد فقال لمن كان القضا فقال الانصارى ولوى شدقه
ففطن له يهودى كان مع المقداد فقال قاتل الله هولا يشهدون انه رسول الله ثم
يتهمونه فى قضا يقضى به بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة فى حياة موسى عليه الصلاة
والسلام فدعانا الى التوبة فقال اقتلوا انفسكم فبلغ قتلانا سبعين الفا فى طاعة ربنا حتى رضى
عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس ان الله يعلم منى الصدق ولو امرنى محمد ان اقتل
نفسى لفعلت وقد جعل المسلمون المراد بهم العلما الفقها وغيرهم لان المسلمين فى
العصر الاول اكثرهم علما مجتهدون هذا الحديث اصلا اى قضية كلية وقاعدة
مضبوطة فى قضية اى قضية الزبير فى منازعته مع الانصارى والمراد بالاصل الماخوذ
من هذه القصة انه يسقى حايطه حتى يبلغ الماء فيه الكعبين من القايم ثم يرسله كله لمن
يليه او يرسل ما زاد على حاجته له كما فى التمهيد لابن عبد البر وقيل المراد انه اذا تحاكم
خصمان فللحاكم ان يصالحهما على امر فيه رفق وتوسعة فان ابيا او احدهما امضى حكم
الله عليهما وفيه اى فى هذا الحديث ما يوخذ منه ويستنبط الاقتدا به صلى الله
عليه وسلم فى كل ما فعله مما لم يعلم انه من خصايصه فى حال غضبه ورضاه اما
الرضا فظاهر واما الغضب فلعصمته صلى الله عليه وسلم ولانه لم يكن يغضب لنفسه وانما
يغضب لانتهاك حرمات الله كما فى هذه القضية وانه صلى الله عليه وسلم وان نهى فى
حديث رواه الشيخان ان يقضى القاضى وهو غضبان لانه غير معصوم فربما حمله
الغضب على امر لا يرضى والجملة حالية بخلاف النبى صلى الله عليه وسلم والنهى فيه محمول
على الكراهية كما صرحوا به فانه فى حكمه فى حال الغضب والرضا سوا لكونه
فيهما اى فى الغضب والرضا معصوما حفظه الله من ان يصدر منه فيهما ما يخالف امر
ربه وغضب النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الامر الذى صدر من الانصارى انما
كان لله تعالى لنسبة رسول الله صلى الله عليه وسلم للهوى الذى حماه الله منه مما يقتضى
الردة والقتل ولكنه عفا عنه لما مر لا لنفسه فانه لا ينتقم كما جا فى الحديث الصحيح
الذى قدمنا ذكره من انه انما كان يغضب لله وانتهاك حرمته ومثل الغضب فى كراهة
حكم الحاكم فيه كل ما يلهى عن الفكر من جوع ومرض وذهب بعضهم الى ان من غضب لله
لا يمتنع من الحكم ايضا لانه منتقم فلا يرتكب امرا الا لما امر به فيا سا عليه صلى الله عليه
وسلم وظاهر الحديث يقتضيه والمعنى فيل انه مثل القاضى ايضا وقد يفرق بينهما وكذلك
اى مثل ما ذكر ما رواه ابو نعيم فى الحلية وهو الحديث فى افادته عكاشة الافادة

افاد

افعال من القود لله انه مقابل السوط ثم استعمل فى الاقتصاص فى النفس وغيرها لان
الجانى يقاد ليقتص منه غالبا فاريد به لازم معناه وصار حقيقة فيه والمصدر مضاف
لفاعله وعكاشة من الصحابة وعينه مضمومة وكافه مخففة ومشددة وهو علم منقول
واصله العنكبوت وفى كتاب ليس لابن خالويه عكاشة صاحب النبى صلى الله عليه وسلم
واهل الحديث يخففونه وانما هو مشدد وعكاشة اسم موضع انتهى من نفسه الشريفة
صلى الله عليه وسلم فى قصته وقيت قبيل وفاته صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه اذا جا
نصر الله الخ قال لجبريل قد نعيت فقال له الاخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك
ربك فترضى فامر بلالا ان ينادى الصلاة جامعة فاجتمع الصحابة فى مسجده صلى الله
عليه وسلم فصلى بالناس وصعد المنبر وخطب خطبة وجلت منها القلوب فقال ايها
الناس اى نبى كنت لكم فقالوا جزاك الله عنا خيرا فلقد كنت لنا كالاب الرحيم والاخ الشفيق
اديت رسالة الله وبلغت وحيه فجزاك الله عنا افضل ما جزى نبيا فقال معاشر المسلمين
انشدكم بالله عز وجل من كانت له على مظلمة فليقم فليقتص منى وكرره فقام شيخ يقال له
عكاشة فتخطى المسلمين حتى وقف بين يديه صلى الله عليه وسلم فقال لولا امرك ما كنت لاقدم
على شى لما انصرفنا من الفتح حاذت ناقتى ناقتك فرفعت القضيب فضربتنى فما ضربتنى
ولا ادرى اعمدا كان ذلك ام لا فطلب صلى الله عليه وسلم قضيبه ودفعه لعكاشة وقال له
اضرب ان كنت ضاربا فقال ضربتنى وانا حاسر عن بطنى فكشف له رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن بطنه فقبله وقال فداك ابى وامى من يطيق ان يقتص منك فقال له اما
ان تضرب او تعفو فقال قد عفوت رجاء ان يعفو الله عنى فى القيامة فقال صلى الله عليه وسلم
من سره ان ينظر الى رفيقى فى الجنة فلينظر لهذا فجعلوا يقبلون بين عينيه ويهنونه بذلك
وهو حديث طويل ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات وقال السيوطى انه اخرجه ابو نعيم
فى الحلية ولم يقل انه موضوع وهو تعقب له وعلى هذا اعتمد المصنف لم يكن ما صدر منه صلى
الله عليه وسلم من ضرب عكاشة لتعمد اى عن عمد منه حمله الغضب عليه اى على فعله بغير
حق بل وقع فى هذا الحديث نفسه لا فى حديث اخر ان عكاشة قال له صلى الله عليه
وسلم حين اراد القود منه وكان تعلق بزمام ناقته صلى الله عليه وسلم فنهاه ثلاث مرات وضربتنى
بالقضيب وهو عصا كانت فى يده الشريفة فلا ادرى اضربتك بهذا كان
عمدا تعمد اياك لتضربنى ام اصابتك لخطا وقد اردت غيره وهو ناقتك ضربت
الناقة فاصابنى ذلك فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اعيذك بالله اى احفظك
فى حفظه يا عكاشة ان يتعمدك رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرب لم تستحقه فيه
التفات من التكلم الى الغيبة واصله ان اتعمدك فاتى باسمه الظاهر اشارة لعصمته
صلى الله عليه وسلم مما قاله عكاشة لان من هو رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصدر منه مثله
وعكاشة هذا هو ابن محصن صحابى بدرى وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حين ذكر ان سبعين الفا يدخلون الجنة بغير حساب ادع الله لى ان يجعلنى منهم فقال انت
منهم فقال اخر مثله فقال له سبقك بها عكاشة فضرب مثلا كما فى الاصابة وكذلك

اي مثل ما وقع لعكاشة ما وقع في حديثه صلى الله عليه وسلم الآخر مع الاعرابي وهذا
الحديث لا يعرف من رواه ويحتمل انه حديث عكاشة بعينه حين طلب الاقتصاص
منه صلى الله عليه وسلم لضربه له اقتص مني ومكنه من نفسه فقال الاعرابي قد عفوت
عنك اي تركت ذلك يرضى مني وكان صلى الله عليه وسلم قد ضربه بالسوط لتعلقه بزمام
ناقته مرة بعد اخرى فعله ذلك ادب يستحق به الضرب تعزيرا فلم يكن ذلك الا بحق
فلا يستحق به الاقتصاص ولكنه صلى الله عليه وسلم فعله كرما منه وتطييبا لقلبه من
غير حق له مضى كان تاديبا وتشريعا مستحقا للحمد لا للعفو والنبي صلى الله عليه وسلم
ينهاه عن تعلقه بزمام الناقة وسواديه وعبر بالمضارع حكاية للحال السابقة استحضارا
لصورتها كما في قوله ويقول له اي للاعرابي تدرك حاجتك اي اقضيها لك وتصل
اليها فدع الزمام وهو يابى ارسال زمام ناقته الا كاحامه فضربه بعد تلفه ثلاث
مرات حلما منه صلى الله عليه وسلم وتحملا لا بما يرام عليه يبين الوجه في هذا وانه غير
مناف لما قرره من عصمته في غضبه ورضاه فقال وهذا الذي وقع منه صلى الله عليه
وسلم لمن لم يقف عند نهيه لعدم امتثاله فجعل امتثاله كالوقوف فيه استعارة وكذا
في قوله عند نهيه فهي مكنية تخييلية صواب لا جور وخطا يستحق به العقود وموضع
ادب في الحضور عنده يستحق من لم يتادب فيه التاديب والحكم فيه مفوض له صلى الله
عليه وسلم لكنه صلى الله عليه وسلم اشفق اي رحم من ترك الادب عنده بعد ضربه يجب
اذ كان حق نفسه علة لاشفاقه فدفع استحقاقه للتاديب من الامر اي من الحال الذي
وقعت فيه هذه القضية حتى عفا عنه صلى الله عليه وسلم وان كان ما فعله من ضربه تاديبا
له وزجرا عما فعله من سوء الادب بعد تكرار نهيه له كما تقدم فلم يقع منه لغضبه امر ينافي
عصمته ومراد المصنف بقوله حق نفسه انه امر يتعلق به صلى الله عليه وسلم ونية انه لعدم
امتثاله نهيه اللازم له شرعا وليس المراد ان ما فعله انتقاما لحظ نفسه وهواها
واعلم ان العلامة ابن القيم قال في كتاب المعالم ان الشافعية والحنفية والمالكية
والحنابلة قالوا ان الضربة واللطمة لا قصاص فيها شرعا وانما فيها التعزير وادعى بعضهم
فيه الاجماع الا ان لبعضهم فيه خلافا فاجرى فيه على خلاف القياس الا انه مقتضى النصوص
وعليه عمل الصحابة لقوله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ولا ريب
ان لطمه بلطمة وضربه بضربة اقرب الى المماثلة من التعزير بغير جنس اعتدائه وهو
هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين حتى عقد له المحدثون بابا ترجموه
بباب القصاص في الضربة واللطمة ورووا فيه آثارا انتهى اقول الظاهر ما عليه
الفقهاء وهو مقتضى القياس لانه لا يمكن ضبطه وقد يوجد فيه تفاوت فاحش كمن ضرب
متخصصا على عينه ولم يقصد بصره فربما تخرج عينه ضربة القصاص واما فعل الصحابة
لو ثبت فهم يعدم تجاوز افعالهم فلا يقيس انفسنا عليهم فلا وجه لما قاله ابن القيم واما
حديث سواد بن عمرو عن عطية الانصاري الذي رواه ابو القاسم في معجم
الصحابة وابن سعد وعبد الرزاق في جامعه عن الحسن وسواد بن عمرو هذا

انصاري

انصاري صحابي وليس هو سواد بن غزية الا انه وقع نقل مثل هذه القضية عنه وانه
صلى الله عليه وسلم طعنه بالعصا في خاصرته لكن لا على هذا الوجه كما ياتي وما وقع في
بعض النسخ عمرو بن سواد غلط من النساخ وقال ابن الملقن في شرح البخاري بعد ما
نقل ما في الشفاء هذا لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم فانه صاحب ابن وهب فان ثبت هذا
فلعله صحابي آخر وافق اسمه واسم ابيه لكن القصة مشهورة لسواد بن عمرو والظاهر
انه انقلب عليه انتهى وذكر ابن عبد البر انه سوادة بزيادة الهاء قال سواد اتيت
النبي صلى الله عليه وسلم وانا متخلق جملة حالية اي متضمخ بالخلوق وهو نوع من
الطيب يخلط بالزعفران ولونه بين الحمرة والصفرة وقد ورد في بعض الاحاديث النهي
عنه وفي بعضها اباحته والنهي قيل انه متاخر ناسخ للاباحة لانه معتاد في النساء والتشبه
بهن غير جائز ولذا ذهب شيخ والدي الشيخ شهاب الدين احمد الى حرمة الحناء على الرجال
لغير التداوي يعني في غير اللحية فقال ورس ورس حط حط الورس نبت
اصفر باليمن يصبغ به ويتعطر فهو منهي عنه كالخلوق والحناء وحكمه حكمه وهو حرام
للنهي عنه في الحديث وذكره كرره للانكار عليه وورس بوزن ضرب وحط امر له كرره
تاكيدا ايضا وتقديره اعليك ورس فيجوز رفعه على انه مبتدا او خبر مبتدا مقدر
وسكون السين للوقف وتقديره وطا حط ساكنة او مفتوحة كما يجوز في كل امر
مشدد الآخر كرد واصله اردد واحطط ويجوز ان لا يقدر فيه شيء ويقصد به مادر
ايضا فتدبر وهو من طيب النساء ايضا وغشيني بمخصرة معي ضربني وهو استعارة
معروفة كما يقال جلده وقنعه بالسوط ومثله قوله تعالى فصب عليهم ربك سوط عذاب
بقضيب اي عصا كان عادته صلى الله عليه وسلم حمله في يده في بطني اي عليها وجعله
لتمكنه منه كانه فيها فاوجعني ضربه او هو يضربه فقلت القصاص يا رسول
الله اي اسالك او اطلبه منك فكشف لي عن بطنه لاضربه اقتصاصا كما فعل بي واما
ضربه صلى الله عليه وسلم له منكرا عليه وهو تطييبه بما فيه تشبه بالنساء يستحق التعزير
عليه وقيل انه كان محرما فيمتنع عليه الطيب فما فعله صلى الله عليه وسلم به امر مشروع له
زجر الفاعل بالفعل بعد القول ولكنه اجابه للقود تواضعا ولطفا ورحمة منه كما
تقدم وقد كان المضروب يعلم انه منهي عنه ولعله صلى الله عليه وسلم لم يرد بضربه
الا تنبيهه على ما راه منه مما لا ينبغي فاراد الاشارة اليه بقضيب في يده لينزجر ولم يرد
ضربه اولا فهم لشدة ولم يقصد ضربه فلما كان اي وجد منه ايجاع وهو
لم يقصده بضربه اياه طلب التحلل منه بالقود حتى لا يبقى له عليه حق فدفع الشبهتين
بوجهين احدهما انه تعزير مشروع له لكنه تكرم باجابته لما علم انه لم يقصد تقدمه وانما
قصد تقبيل جسده الشريف والثاني انه خطأ معفو عنه وفعله صلى الله عليه وسلم تطييبا
لقلبه وهذا اجار على ما قدمناه في قصة عكاشة وذكر ابن اسحاق انه صلى الله عليه
وسلم عدل صفوف اصحابه يوم بدر وفي يده قدح يعدل به فمر بسواد بن غزية
مستنصلا عن الصف فطعنه في بطنه بالقدح وقال له استو يا سواد فقال له اوجعتني

يا رسول الله وقد بعثك الله بالعدل فاقدني فكشف له عن بطنه وقال استقد فقبل بطنه واعتنقه فقال له صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا قال حضر ما ترى فاردت ان يكون اخر العهد بك جلدك فدعا له صلى الله عليه وسلم

فصل قال القاضي رحمه الله واما افعاله صلى الله عليه وسلم الدنيوية اي المتعلقة بامور دنياه لا بالعبادة والعقائد **فحكمه فيها من توقي المعاصي** اي اجتناب المحرمات شرعا **والمكروهات** كراهة تنزيه بقرينة مقابلة المعاصي **ما قدمناه** خبر قوله حكمه المتقدم اي انه صلى الله عليه وسلم معصوم عنها فان وقع منه مكروه لبيان الجواز كثيرا ما يفعله لتعليم امته فلا يكون مكروها في حقه وما قيل هنا من انه غير منهي عنه فلا حاجة لذكره لغموض الكلام لا حاجة للاطالة بمثله ابن اقبرس

ومن جواز السهو والغلط في بعضها ما ذكرناه فانه يجوزه في العبادات فيعلم جوازه في هذا بالطريق الاولى **وكله** اي كل ما ذكر من السهو وما بعده **غير قادح في النبوة** حسن منه لما فيه من التشريع **بل ان هذا** مع انه غير مذموم صدوره **فيها** اي في افعاله **على الندور** اي قليل جدا والنادر ما قل وقوعه ولا حكم له **اذ عامة افعاله** اي اكثرها واقع **على السداد** بفتح السين المهملة اي الاعتدال والقصد ويجوز ان يريد بالعامة الكل ويجعل غيرها كالعدم **والصواب** وعدم الخطأ **بل اكثرها** اي افعاله صلى الله عليه وسلم **او كلها جارية مجرى العبادات والقرب** بضم ففتح جمع قربة وهي العمل الصالح الذي يتقرب به الى الله **على ما بينا** فيما تقدم اما ان اكثرها كذلك فلان منها مباحات كالاكل والشرب ونحوه واما كون كلها عبادة فلانه يحتوي على تعليم الاباحة وتقوية الجسد للطاعة ونحوه مما يجعل العادة عبادة **اذ كان صلى الله عليه وسلم لا ياخذ منها** اي من الدنيا او افعالها **الا الضرورية** اي مقدار ما يضطر اليه ويحتاج له **وما يقيم رمق جسمه** اي ما به قوام حياته اي تعيشه وقوته والرمق معناه بقية الروح والحياة والقليل من العيش الذي يسد الرمق **وفيه مصلحة ذاته** اي ما يصلحها كما يدفع الحر والبرد ويدخل فيه طعامه ودوابه وخدمه ونساؤه ومونتهم **التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته ويسوس امته** اي يضبطهم ويحكم عليهم لانه معنى السياسة لغة **قال** وكنا نسوس الناس والامر امرنا وهذا بيان لجهة العبادة المقصودة بما قبله يقال ساس الرعية اذا حفظها واقام امرها **واما ما كان بينه وبين الناس من ذلك** اي امور الدنيوية الجارية منه في معاملة امته وصحبتهم **فبين معروف** اي امر جميل حسن لان المعروف يراد به هذا وبين هنا للتقسيم كما يقال اشترى بين كذا وكذا **يصنعه** اي يوصله ويفعله لهم من احسانه وتكرمه عليهم **وبر** اي مبرة وعطا **يوسعه** عليهم باعطا ما يغنيهم **او كلام حسن يقوله** لهم مما يلطف به ويلين قلوبهم ويعظهم ونحوه **او يسمعه** بفتح اوله وثالثه اي يسمعه من غيره ويصغي له او يسمعه اوله وكسر ثالثه كما قيل وما قبله اولى لانه حينئذ لا فرق بينه وبين ما قبله الا بتكلف **او تالف شارد** اي نافر عن طاعة الله ورسوله برهان

لجفاة الاعراب المؤلفة قلوبهم بالعطا وجهات البر واللطف حتى يتم نعمة الله حلاوة الايمان ويجذبه اسلامه **او قهر معاند** ثم دعه ويزجره حتى يرجع قهرا عليه لما يريد **او مداراة حاسد** بملاطفته وتحمل اذاه والاغضاء عنه فيما يجده كما كان يفعله صلى الله عليه وسلم مع المنافقين واهل الكتاب وقال صلى الله عليه وسلم راس العقل بعد الايمان مداراة الناس **وكل هذا** الامر الذي كان بينه وبين الناس **لاحق بصالح اعماله** اي يلحق بعباداته ومعدود منها ومثاب عليه لما فيه من المنافع والمزايا الدينية **منتظم في سلك وظائف عباداته** اي معدود من عباداته الموظفة اللازمة كالصلاة فهذا التشبيه حسن شبه ما نحن فيه كانه من تلك العبادات بنظمها في سلكها ففيه استعارة تخييلية ومكنية على ما مر **وقد كان صلى الله عليه وسلم يخالف في افعاله الدنيوية** اي يخالف غيره فيها بقصد منها **بحسب اختلاف الاحوال** التي تعرض له فتقتضي الحالة لحال اخر له **ويعد** بضم اوله وكسر ثانيه وتشديد داله اي يهيئ ويقدم مستدركا منه **للامور التي تستقبل اشباهها** اي ما يناسبها ويشابهها **فيركب في تصرفه** اي حركته من مكان لاخر **لما قرب** اي للمكان القريب حاله اقامته **الحمار** لسهولة ركوبه مع ما فيه من عدم التكبر وكان له صلى الله عليه وسلم حمار يسمى يعفور مذكور في السير **وفي اسفاره البعيدة الراحلة** وهي من الابل ما يقوى على الحمل ذكرا كان او انثى وهاؤه للمبالغة لتحمله الرحيل فركوبه في السفر مناسب لتلك الحال لقوته وصبره وكان له صلى الله عليه وسلم عدة ابل مذكورة في السير **وقد يركب** صلى الله عليه وسلم احيانا فيها **البغلة في معارك الحرب** اي في مواضع او اوقات وقع فيها المعاركة والمقاتلة في حروبه وذلك لقوة قلبه صلى الله عليه وسلم وشدة باسه وعدم خوفه من عدوه وكان ذلك بحنين ونحوها اشتد الباس وبغلته التي ركبها هي دلدل وكانت شهباء ذكرا اهداها له المقوقس وله بغلة اخرى والكلام عليه في السير **دليلا على الثبات** وانه لا يمكنه ان يفر ولا يريد الفرار لو اراده بركب الخيل ونصب دليلا على انه مفعول له او حال والاول اولى لانها دفاعه العلة والمعلل لانه الراكب والدال وكان صلى الله عليه وسلم كما مر اشجع الناس وقال علي كنا اذا اشتد الباس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فيوم حنين لما راى شدة العدو وان منهم من يفر ركب بغلته قصدا منه حتى لا يقال فر وليشجع غيره من اصحابه لان البغل لا يصلح للكر والفر فانظر هذا ففيه معجزات له تعلم مما في السير وكان صلى الله عليه وسلم يركب الخيل ايضا **ويعدها** اي يهيئها ويحضرها **ليوم الفزع** اصل معنى الفزع الخوف ثم كني به عن خروج الناس بسرعة لدفع عدو ونحوه اذا جاءهم بغتة وصار حقيقة فيه كما في كامل المبرد فليس هو استعارة كما قيل **واغاثة الصارخ** هو المصوت للاعلام بامر يطلب من يغيثه فهو معطوف على يوم او الفزع وفيه اشارة لما وقع له صلى الله عليه وسلم بالمدينة من سماعه صراخا ظنه عدوا هجم على المدينة فركب فرسا لابي طلحة كان قطوفا اي غير سريع المشي وذهب وحده ثم رجع وقد ورجع فلقيه من خرج خلفه راجعا

فقال لهم لن تراعوا اى لا تخافوا فتبين له كيف وجدت الفرس فقال وجدناه
بحرا اى واسع الخطو فلم يسبقه فرس بعد قوله ذلك ويقال للفرس الواسع الخطو
بحر لان اصل معنى البحر السعة وكذلك اى كما ان ما بينه وبين الناس كان على احسن
نظام كان حاله فى لباسه اى ملبوسه وساير احواله وافعاله كلها متناسبة من
غير تكلف فيها وتصنع فكان يضع كل شىء فى محله وهو معنى قوله الاتى بعد
للامور انتباهها كما قيل

فاقسم لكل محل ما يليق به ... فان للرجل حليا ليس للعنق

بحسب اعتبار مصالحه الخاصة به فى نفسه ومصالح امته وكذلك كان يفعل
الفعل من امور الدنيا وان لم يكن له فيه رغبة مساعدة اى معاونة لامته
فهو منصوب مفعول له وسياسته اى قد يفعله لاجل سياسته اى حفظهم وكراهية
خلافها بتخفيف اليا مصدر والضمير للامة اى يفعل ما لم يرده احيانا جبرا لقلوبهم
وتاليفا بعدم مخالفتهم فيما يجوز وان كان قد يرى غيره كتركه ادخال الحجر
خيرا منه لانه احب اليه كما ترك الفعل لهذا وقد يرى فعله خيرا منه وقد
يفعل هذا اى ما يرى تركه خيرا من فعله فى الامور الدينية كما تقدم فى امور
الدنيا مما كان له الخيرة بكسر الخاء وفتح المثناة التحتية كما فى المغنى وقال
غيره انه بكسر الخاء وسكون المثناة اسم من خار الله فى كذا وما قيل انه بفتحها ليس بوجه
اقول لا وجه لهذا لان فعله بكسر ففتح مما ثبت فى المصادر كخيرة وطيرة وفى الاسما
كخيرة كما صرح به النحاة فى احد وجهيه دون الاخرى مما خيره الله فى فعله وتركه
ولولا ذلك لم يحو مثله فى الامور الدينية ثم مثل له بقوله كخروجه صلى الله عليه
وسلم باصحابه من المدينة لاحد اسم جبل معروف كانت عنده الوقعة المذكورة فى السير
لمحاربة ابى سفيان وقريش وكان اذ ذاك مذهبه اى رايه صلى الله عليه
وسلم المختار عنده والمذهب يطلق على هذا المعنى قال ابو نواس

ومن مذهبى حب الديار لاهلها ... وللناس فيما يعشقون مذاهب

التحصن بها اى عدم الخروج منها وذلك لان بعض الصحابة رضى الله عنهم الذين
لم يحضروا غزاة بدر احبوا خروجه صلى الله عليه وسلم من المدينة للقتال وكان
صلى الله عليه وسلم راى رؤيا تدل على قتل بعض اصحابه وامور اخر فقصها عليهم
واولها لهم كما فى السير واراد بذلك الخروج فرغبوه فيه فدخل منزله فلبس درعه
ولامة حربه فندموا على مخالفته وقالوا له لما خرج الراى لك فقال ما كان لنبى
اذا لبس لامته ان يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه ومضى فكان ما كان من
جراحته وقتل حمزة وغيره فهذه قصة دينية ترك فيها ما احبه لما رآه اصحابه
وكلاهما امر جائز ومن ذلك تركه قتل المنافقين وهم المظهرون للاسلام مع
اخفاء الكفر وهو لفظ اسلامى لا تعرفه العرب قديما ماخوذ من نافقاء اليربوع
وهو مخرج يستره فى جحره ليخرج منه اذا احس بصائده ويطلق على كل من خالف

ظاهره

ظاهره باطنه كما تقدم بيان ذلك كله وهو صلى الله عليه وسلم على يقين من
امرهم باخبار الله له به وبما يظهر من احوالهم من ايذائه وما يبلغه عنهم مما لو ظهر
الان اقتضى كفرهم وزندقتهم وقتلهم ولكنه صلى الله عليه وسلم حكم بظاهر حالهم
مؤالفة لغيرهم ممن يرجى اسلامه او خلوص ايمان من قرب عهده بالاسلام ورعاية
للمؤمنين من قرابتهم اسم جمع بمعنى الاقربا كالصحابة كما قاله ابن مالك فلا يحتاج
لتاويل او تقدير كما توهم وبذلك يسرون وتطمئن قلوبهم وهما مفعولان له وكراهة هذا
لان يقول الناس من اعدائه تشنيعا على زعمهم ان محمدا يقتل اصحابه يصدون
به من يريد الاسلام عنه كما جاء فى الحديث الذى رواه البخارى فى عبد الله بن ابى
ابن سلول لما قال فى غزوة بنى قينقاع ليخرجن الاعز منها الاذل وبلغه صلى الله عليه
وسلم ذلك فقال بعض الصحابة نقتله لنفاقه فقال صلى الله عليه وسلم فكيف اذا تحدث
الناس ان محمدا يقتل اصحابه والحديث مشهور مما كان يرتكب فيه احد الجائزين
تطييبا للخواطر تركه بناء الكعبة على قواعد ابراهيم حين بناها مع اسماعيل عليهما
الصلاة والسلام وكان مقدار اذرع من الحجر ستة او سبعة اذرع وخمسة داخل فيها ولها
بابان ملصقان بالارض فلما بنتها قريش قبل البعثة لم تف نفقتهم ببنائها كذلك فاخرجوا
بعض الحجر منها وجعلوا لها بابا واحدا مرتفعا والكلام على ذلك وكم بنيت وامتناعه
وجوازه مفصل فى محله وللسيد السمهودى فيه تاليف مستقل نفيس مراعاة لقلوب
قريش مفعول لاجله فانها لا ترضى بذلك وبعده تغييرها لما تزعم للتفرد بحوزه عنهم
وتعظيمهم لتغييرها عما بنته اباؤهم وتخوفهم من هدمها وحذرا من نفار قلوبهم
عنه صلى الله عليه وسلم لمن يقوى ايمانه ومن به بقية من الجاهلية وتركه حذرا من تحريك
متقدم عداوتهم للدين اى دين الاسلام واهله فقال صلى الله عليه وسلم لعائشة
فى الحديث الصحيح الذى رواه الشيخان وغيرهما لولا حدثان قومك بكسر فسكون
مصدر بمعنى الحدوث ضد القدم اى تجدده وعدم رسوخه والمراد به هنا التقرب
اى لولا قرب عهدهم بالكفر والشرك لاتممت البيت اى لبنيته على تمامه وكماله
على قواعد ابراهيم التى كان بناه عليها وعلى هيئته الاولى بادخال بعض الحجر الخارج
منه فيه والصاق بابيه بالارض وجعل ارتفاعه على ما كان عليه ومن تركه احد الجائزين
ما يقارب به ويتبين انه صلى الله عليه وسلم كان يفعل الفعل الذى صدر منه ثم يترك له
لكون غيره خيرا منه وان كانا جائزين له كانتقاله من ادنى ابار مياه بدر
وهى ارض معروفة اى قيامه برحله من منزله عنده وقد اشار عليه الحباب بن
المنذر به كما تقدم الى اقربها للعدو وذلك العدو من كفار قريش الذين وقعت
معهم غزوتها وتغويره ما استغنى عنه من العيون تضييقا عليهم لعطشهم وكفرهم
وكان نزل اولا على غير الماء فقال له الحباب بن المنذر ابوحى هذا ام راى قال
راى فاشار عليه بما ذكر ونزل عليه جبريل وقال الراى ما اشار به الحباب كما تقدم
وكقوله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع كما رواه الشيخان لو استقبلت من امرى

ما استدبرت ما سقت الهدى الى اخر الحديث والهدى بفتح فسكون وبالتخفيف
ويجوز كسر ثانيه وتشديد اليا وبهما قرئ وهو ما يساق من الابل ليتحرى في الحرم
ويتصدق بلحمه وهو انه صلى الله عليه وسلم احرم بالحج منفردا وساق معه الهدي فما
لا يحل له ان يلبس ويحل من احرامه حتى يبلغ الهدى محله يوم النحر وكان اصحابه
رضي الله عنهم تمتعوا بالعمرة وفكوا احرامهم فلما علموا انه صلى الله عليه وسلم لم يتمتع كرهوا
تمتعهم بلباسهم ونسائهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم لو استقبلت الخ اي وددت
اني مثلكم انتفع لو لم يمنعني سوق الهدي وعقد النية وهذان امران جائزان فعل
احدهما والاخر احب اليه بيانا للجواز واختلف ايهما افضل كما ذكر في كتب الفقه
وقوله استقبلت من امري المراد من امره احرامه ومعناه لو لم يصدر مني ما
صدر مما يمنع من تمتعكم وهو سوق الهدي واستقبالا لكناية عن عدم وقوعه وتقدمه
واستدباره كناية عن وقوعه لان ما وقع ومضى كانه خلفك وما لم تفعله فقد امامك
موجود ولو للتمني اي وددت ان ما صدر مني من سوق الهدي كانه لم يكن حتى اوافقكم
والشاهد فيه لما ذكره ظاهر وكان صلى الله عليه وسلم يبسط وجهه للكافر والعدو
من هو من اعدائه رجا استيلافه اي ان يولف بينه وبين المسلمين بهدايته للاسلام
وعدم نفرته لما يراه من لطف الله به واظهاره له ما يحبه وتقدم ان بسط الوجه
عبارة عن البشاشة واظهار المسرة لان غيره يقطب وجهه ويجعد اسارير جبهته
وكان صلى الله عليه وسلم يصبر للجاهل المراد به هنا غير متعارفهم فانه في كلامهم
بمعنى ذو العتو والغلظة والتكبر الحامل على تجاوزه كقوله ويجهل فوق جهل الجاهلينا
اي يصبر ويقول صلى الله عليه وسلم اذا بدا من مثله ما لا يرتضيه ويسيل عنه كما ورد
في حديث رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها ان من شر الناس شر بحذف
الف اشر اسم تفضيل اي اخبثهم واكثرهم شرا من اتقاه الناس اي توقوا اذيته وتجنبوه
وسالموه وراعوه خوفا منه لشره اي من اجله فان مثله يختشى منه ويبذل له بوجوده
وذا المحبة اي يعطي له الرغائب جمع رغيبة وهي ما يرغب فيه كالعطايا الكثيرة ونحوها
ليحبب اليه شريعته فان الجاهل ميله للدنيا فاذا راها منه احبه واطاعه
فيما يامره به من الشرع ودين ربه مع انه اذا سامه وقهره والفرق بين
الدين والشريعة مشهور ويتولى اي كان صلى الله عليه وسلم يباشر ويفعل بنفسه
في منزله اي في داخل بيته مع اهله ما يتولاه ويفعله الخادم تواضعا منه
صلى الله عليه وسلم من مهنته الضمير للمنزل اوله وهي بفتح الميم وسكون الهاء والنون
قبل تا التانيث والضمير وهي بمعنى الخدمة واصلها الابتذال والمسموع فيها الفتح
والكسر خطا وان كان هو القياس كالخدمة والجلسة كما نقله الزمخشري عن الاصمعي
وفي القاموس المهنة بالكسر والفتح وككلمة الخدمة والعمل وعن عائشة كان صلى
الله عليه وسلم يخصف النعل ويخيط ثوبه ويعمل في بيته كما يعمل احدكم في بيته ويقم بيته
ويحلب شاته ويأكل مع الخادم ويعجن ويحمل حاجته من السوق كله للتواضع وتعليمه

فتأمله

للامة

الخامس والثلاثون
الثاني

للامة وهو من سنن الانبيا ويتسمت بفتح تا المضارعة تفعل من السمت وهو
التلبس بالهيئة الحسنة والسمت بسين مهملة وهو القصد الحسن وقيل الهيئة والمنظر
الحسن في نفسه ولباسه وفي القاموس السمت الطريق وهيئة اهل الخير والسير على
الطريق والقصد انتهى واهل المعقول يستعملونه بمعنى المقابل للشي والجهة وهو قريب
منه في ملابسه في بعض النسخ بفتح الميم واللام وكسر الهمزة قبل الضمير وعليه اقتصر
الشارح الجديد وهو المناسب بما قبله من قوله في منزله اي كان صلى الله عليه وسلم
في منزله على نهج الخادم في خدمته وغيرها فاذا برز للملا من اصحابه وجلسائه من
الاشراف برز على هيئة حسنة متزرا بازاره لشدة حيائه وادابه وقال البرهان وغيره
انه في ملابسه بضم الميم والمدحرج ملاءة وهي الملحفة وفي المطالع لابن قرقول انه
منقوص مهموز ونقله النووي عن المشارق للمصنف قال وهو غلط من الناسخ بلا شك
والملاء جماعة يملون العيون مهابة وجلالة والاول انسب ايضا بقوله وحتى الخ
وقال التلمساني انهما روايتان اعني ملئه وملابسه حتى لا يبدو اي لا يظهر منه
شي يكشفه من اطرافه اي اطراف بدنه لكثافته وادامه كما هو عادة الاشراف
المحتشمين في الخلوة والنادي وحتى كان على رؤوس جلسائه الطير اي لمهابته وهيبته
ذلك لا يرفع احد عنده راسه ولا يطيل نظره اليه توقيرا له وتكريما له وانه عفو لهم
لان الطير لا يقع الا على ساكن من جذع وحائط ونحوه فشبهوا بذلك ووجه الشبه
ظاهر كما قلت في مقصورتي في مدحه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

كانما الطير على رؤوسهم من كل غصن في ربا المجد نما

ويتحدث مع جلسائه بحديث اولهم اي بما كان لمن قبله من اوائلهم بحكاية ما
كان قبل الاسلام من حروبهم كيوم بعاث وغيرها كحلف الفضول وقيل المراد انه
يتكلم بحديث اول متكلم منهم اي بما سبق لانه يعيده لهم ويتعجب مما يتعجبون منه
كمناسبه ولا يعارضهم ولا ينكر عليهم تانيسا لهم وجبرا لخواطرهم لكمال خلقه ولطفه
ويضحك معهم مما يضحكون منه مما يقتضيه حديثهم ولا يعبس كالجبابرة الا ان ضحكه
صلى الله عليه وسلم على عادته التبسم بلا قهقهة وبلا ابدا داخل الفم فلا ينافي قول
عائشة ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا ضاحكا اي ضاحكا بجميع فمه حتى
يبدو لهواته قد وسع الناس اي عم جميع من عنده بشره اي طلاقة وجهه وبشاشته
في وجوههم ووسعهم عدله وتسويته بين جلسائه اولا يحيف ويجور على احد عنده
او على احد من الخلق اصلا لا يستفزه اي لا يقلقه الغضب اي اذا صدر من
احد ما يغضبه لوقاره وشدة صبره على الاذى من بعض المنافقين وجفاة الاعراب
الواردين عليه قال تعالى واستفزز من استطعت اي ازعجه وهو من الفز بمعنى
الخفة ومع حلمه لا يقصر عن الحق فيوفيه حقه ولا يترك منه شيا ولا يبطن
اي لا يخفي في باطنه امرا على جلسائه ممن هو عنده شيا مما يريده ويقول
لاعلامهم بانه لا يخفي عليهم امرا ما كان اي لا يبغي ولا يبلغ ولا يبيح وما كان

عرضى

جاءت لهذه المعاني لنبي ان تكون له خائنة الاعين اي ليس له ان يغمز ويشير
بطرف عينيه لاحد ان يفعل شيئا اخفاه ولم يتكلم به وقد تقدم ذلك في حديث الفتح
وارادته صلى الله عليه وسلم قتل ابن ابي سرح لما توقف على مبايعته فيقوم له من
يضرب عنقه لانه صلى الله عليه وسلم كان اهدر دمه فلما بايعه ومضى قال هلا قام
اليه من يضرب عنقه فقيل له هلا اومأت الينا يا رسول الله فقال ما كان لنبي الخ
وحرمة ذلك عليه عدت من خصائصه دون الانبيا كما مر وفي النهاية خائنة الاعين ان
يضمر في نفسه ما لا يظهره بلسانه فيومي له بعينه وهو خيانة والخائنة مصدر بمعنى
الخيانة او اصله الاعين الخائنة وقد تقدم فان قلت فما معنى قوله صلى الله
عليه وسلم لعائشة في حديث رواه الشيخان وغيرهما عنها في الداخل عليه وهو عيينة
ابن حصن الفزاري وقيل هو مخرمة بن نوفل القرشي وقيل ابنه وانما ذ تعددتا بئس
ابن العشيرة هو والعشيرة بنو الاب الادنون او القبيلة فلما دخل الان له القول
اي تلطف بعد ما قال له في حقه وضحك معه لمقاله الدال على حمقه فلما سالته صلى
الله عليه وسلم عائشة عن ذلك الذي فعله معه بعد ما قاله قال ان من شر الناس
من اتقاه الناس لشره تقدم تفسيره قريبا وكيف جاز منه صلى الله عليه وسلم ان يظهر
له خلاف ما يبطن اي يخفيه عنه او مطلقا ويقول في ظهره اي في غيبته بعد ما ذهب
وولى ظهره ما قال في حقه من قوله بئس ابن العشيرة بعد الانثنا لقوله له وضحكه في
وجهه وقد مر ان عيينة هذا من المولفة قلوبهم وكان قبل اسلامه دخل بغير اذن
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة فقال له ابلا اذن فقال ما استاذنت
على احد من مضر اي لانه كان رئيسا في قومه ويقال له الاحمق المطاع في قومه ثم
قال لمن هذه الحميرا فقال ام المومنين فقال الا انزل لك عن اجمل منها فقالت يا رسول
الله من هذا قال هو الاحمق المطاع في قومه وهو على ما ترى سيد قومه ثم اسلم وله
ترجمة فيها بعض اموره تتل وفي الحديث دليل على جواز غيبة الكافر والفاسق المجاهر
وياتي ما فيه وما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم مداراة لا مداهنة والفرق
بينهما مشهور وياتي عن قرب وقد قيل لو ذكر المص هذا في الفصل الذي قبله
كان اولى والجواب عما ذكر ان فعله صلى الله عليه وسلم لما ذكر كان استيلافا
لمثله من اجلاف العرب واشرارهم رجا لاسلامهم ودفعهم بالتي هي احسن حتى يلين
قلبه ويحسن اسلامه وقد نفع وكان معه من قومه اكثر من عشرة الاف او المراد
بمثله من هو سيد مطاع كثير الاتباع وهو انسب بما بعده وقول القرطبي ان
هذا الحديث يدل على ان عيينة كان له سوء الخاتمة لجعله في الحديث شر الناس لا وجه
له لان الحديث عام غير مخصوص بالمذكور حتى يدل على ما قال له فهو شامل لكل متصف
بهذه الصفة وتطييبا لنفسه حتى يذعن للاسلام فيهديه الله حتى يشاهد معجزاته
صلى الله عليه وسلم ويشرق عليه من نوره ما ينشرح به صدره ليتمكن ايمانه اي يتقرر
ويثبت في قلبه بحيث لا يقبل الزوال ويدخل بسببه لانه كان رئيسا كثير الاتباع

كما مر في الاسلام اتباعه لانقيادهم له وكونه معهم كظل لا يفارقه ويراه اذا اسلم
واطاع مثله من سادات العرب والجبابرة منهم فينجذب اي ينقاد ويذعن الى
الاسلام لما يراه من اتباع غيره له من الروسا ومثل هذا اي من قوله لاحد من الناس
في وجهه شيئا وذكره خلافه بعد ذهابه على هذا الوجه يخرج بقصد انه في حق من
تحل غيبته وانه لتاليف القلوب لما ذكر من الفوايد فقد خرج لهذا عن حد مداراة
الدنيا اي عن المداراة التي هي لاجل امور الدنيا الى السياسة الدينية اي التدبير
بتاليف القلوب الداعي لدخول الناس في الاسلام من غير ضرر ونفع فهو من جملة
مصالح الدين ومهماته وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستالفهم اي يطلب تالف
قلوبهم للاسلام ببذل اموال الله من الغنايم العريضة اي الكثيرة جدا
والعرض مقابل الطول استعير لما ذكر كثيرا يقال له مال وغنى عريض ووجه
الشبه ظاهر واختياره على الطول ادخل في المبالغة لانه اذا اعظم عرضه علم عظم طوله
التزاما كما لا يخفى وهذا كرما وقع له صلى الله عليه وسلم انه اعطى بعضهم واديا مملوا بالغنم
فاسلم واسلم قومه لما قال لهم يا قوم انه يعطي عطا من لا يخاف الفقر فكيف لا يتالفهم مع
تالفهم بالاموال العريضة بالكلمة اللينة فانه يعلم بالطريق الاولى ويجد عدمه جدا
والاستفهام انكاري بمعنى الاستبعاد كقوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم
وعطاياه صلى الله عليه وسلم وكثرتها للمولفة قلوبهم لا تحصى وهو مداراة حسنة وقربة
عظيمة والفرق بينها وبين المداهنة ان المداهنة ما فيه رضى بامر غير مشروع لغرض
فاسد والمداراة ما فيه لطف بامر مشروع محمود لمصلحة محمودة قال صفوان بن امية
ابن وهب الجمحي الصحابي احد الاشراف الفصحا الاجواد اسلم بعد حنين وتوفي في سنة
اثنين واربعين واخرج له اصحاب السنن وفي الصحابة من اسمه صفوان غيره ستة
عشر لقد اعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابغض الخلق الي لما كان في
قلبه من عداوته له صلى الله عليه وسلم فما زال يعطيني من مواهبه الجزيلة من غير سوال
حتى صار احب الخلق الي لما راه من احسانه له من غير امتنان وعطف على ما كان منه
في الكفر والعداوة ثم اشار الجواب سوال تقديره انك قلت ان قوله بئس
ابن العشيرة لم يقله في وجهه والذي خالفه له ليس لغيبة وهذه غيبة محرمة شرعا
فكيف صدر منه صلى الله عليه وسلم ما حرمه الله تعالى بقوله وقوله صلى الله عليه وسلم
فيه اي في حق عيينة بن حصن الداخل عليه بغير اذن كما مر بئس ابن العشيرة
هو في حقه غير غيبة منهي عنها بل هو تعريف ما علمه منه من خصاله القبيحة
المذمومة لمن لم يعلم حاله تعرفه ذلك ليحذر حاله ويحترز منه باجتنابه
ليسلم من شره ولا يوثق بجانبه اي بما يكون من جهته من قول وفعل كل الثقة
اي وثوقا كليا لما علم من حمقه وجاهليته لا سيما وقد كان مطاعا اي سيدا مهابا
بين العرب يطاع امره متبوعا اي له اتباع كثير من العرب اذا امرهم اطاعوه فيتقى
من شره ومثل هذا الذي صدر منه صلى الله عليه وسلم من ذمه له مع لين قوله اذا

كان لضرورة اقتضاها الحال من دفع شره ولا ضرر عاجل منه للمسلمين يتعلق
دفعه ودفع مضرة اى ازالة ضرره لم يكن ذلك بغيبة منهى عنها شرعا حتى يعترض
ويقال كيف يصدر منه صلى الله عليه وسلم وهو معصوم ثم انتقل على طريق الترقى
فى تنزيه مقام النبوة فقال بل كان جائزا منه لتقريب حاله من غير قصد ذمه
بل كان واجبا عليه صلى الله عليه وسلم ان يبين بعض عيوب انسان اذا احتيج
لا يعرفها فى بعض الاحيان جمع حين والمراد زمان توقع الضرر فلا يجوز تاخير
بيانه عن وقت الحاجة اليه كعادة المحدثين اى علماء الحديث النبوى فى تجريح الرواة
بذكر عيوبهم لئلا يعمل بما رووه كفلان كذاب او غير ثقة او مختل عقله او دينه والجرح
معروف استعير لذكر العيوب كقوله ٥ ولا يلتام ما جرح اللسان ٥ وصار حقيقة فيه
وكعادة المزكين فى تجريحهم الشهود اذا سألهم الحاكم عنهم ليقبل شهادتهم او لا فيجب
عليهم ذكر ما يعلمون من حالهم خيرا وشرا وسمى مزكيا واصله من تطهر بدفع المعايب
وتنبيها اشارة الى ان حق الانسان ان يتصف بالخير وشاع فى المعنى العام وكان هذا
واجبا لما فيه من دفع الفساد عن الاحكام الشرعية وصيانة حقوق الناس وقد استثنوا
من الغيبة مع ما ذكر امورا اخر فى صور ستة ذكرناها فى غير هذا المحل وجمعها بعضهم ايضا
فى قوله
٥ القدح ليس بغيبة فى ستة ٥ متظلم ومعرف ومحذر ٥
٥ ولمظهر فسقا ومستفت ومن ٥ طلب الاعانة فى ازالة منكر ٥
فقول المص انها ليست بغيبة يجوز بناؤه على ظاهره ان قلنا هذه لا تعد غيبة شرعا
بجوازها او وجوبها فان قلنا انها ذكر المرء بما يكره فى غيبته مطلقا فتقيده بقيد مقدر
اى ليست بغيبة يأثم قائلها ويمتنع عليه شرعا فلا يرد عليه شىء فان قيل فما معنى عرضى
المعضل اسم فاعل من اعضل الامر اذا اشكل واعيى وكان هذا اشكالا لما سبق وليس
المراد بالمعضل هنا مصطلح اهل الحديث واصل الاعضال عسر الولادة فاريد به ما
ذكر ووقع فى نسخة الفصل لنا وصاد مهملة الوارد فى حديث بريرة رضى الله عنها
الذى رواه الشيخان وبريرة فعيلة بمعنى فاعلة او مفعولة وكانت مملوكة لبعض الانصار
او بنى هلال اولهما وقيل كانت لعتبة بن ابى جهل وقيل لبعض بنى كاهل وكانت تخدم
عايشة رضى الله عنها قبل عتقها وتوفيت فى زمن معاوية رضى الله عنه واختلف
فى جنس بريرة فقيل كانت قبطية غير سودا وقيل حبشية سودا من قوله صلى الله
عليه وسلم بيان للحديث المعضل لعايشة وقد اخبرته ان موالى بريرة اى
المالكين لها ابوا بيعها اى امتنعوا من بيعها واختلف فى المخبر له صلى الله عليه وسلم
هل هو عايشة او بريرة او غيرهما كما وقع فى روايات للحديث الا ان يكون لهم
الولا اى ولاء العتاقة وهو معروف فى كتب الفقه فانهم كانوا كاتبوها فعجزت
واستعانت بعايشة رضى الله عنها فقالت لها ان اراد اهلك دفعت لهم ثمنك واعتقتك
ويكون ولاؤك لى فابوا ذلك وكانوا كاتبوها على تسعة اواق فى كل سنة وقيل فيها
اختلاف فى صحة بيع المكاتب مطلقا او اذا عجز كما بيبوه فقال صلى الله عليه وسلم

لها اى لعايشة لما اخبرته بقولهم اشتريها منهم واشترطى لهم الولا كما ارادوا
ففعلت اى اشترتها بشرط ان الولا لهم اذا اعتقتها والولا عصوبة شرعية معروفة بحديث
الولا لحمة كلحمة النسب ثم قام صلى الله عليه وسلم على منبره خطيبا على عادته فيما اذا اراد
بيان امر للناس فقال صلى الله عليه وسلم فى خطبته ما بال اقوام اى ما شأنهم
وحالهم وكان على عادته صلى الله عليه وسلم ابهام من صدر عنه ما لا يرضاه فلم يقل ما
بال فلان والاستفهام انكارى يشترطون شروطا غير جائزة ليست فى كتاب الله
ولم يشرعها لهم من امور الجاهلية كل شرط ليس فى كتاب الله ولا فى حديث نبيه
صلى الله عليه وسلم الذى هو حكمه فهو باطل كشرط الولا هنا لهم والشرط على اقسام جائز ١
وممتنع ولغو وباطل وتفصيله فى كتب الفقه لا حاجة للتطويل به هنا ثم بين وجه
الاشكال فى الحديث بقوله والنبى صلى الله عليه وسلم قد امرها اى عايشة رضى الله
عنها بشرائها بالشرط لهم اى بشرط الولا لهم اذا اعتقتها وعليه باعوها اى على هذا
الشرط وقع بيعهم لها ولولاه اى شرط الولا بضمير متصل وهو جائز والافصح انفصاله
نحو لولا انتم وبيانه فى كتب النحو والله اعلم جملة معترضة تفويض علمه لله تعالى
تادبا ما باعوها من عايشة لانهم ابوا البيع بدونه كما تقدم كما انهم لم يبيعوها قبل
مبنى على الضم اى قبل شرط الولا لهم حتى شرطوا ذلك اى كون الولا لهم ثم ابطله
صلى الله عليه وسلم وهو اى والحال انه صلى الله عليه وسلم حرم الغش اى التلبيس قرأ
واخفا ما يجب فيما يقابل النصح والخديعة فقال من غشنا فليس منا ولا خلابة اى لا
خداع فى المعاملة فكيف امر عايشة بعقود ما لا يجوز ولولاه ما باعوها ففيه غش
وخديعة فرفعه بقوله فاعلم اكرمك الله كما اكرمت مقام النبوة بتنزيهه عما لا يليق به
والجملة دعائية معترضة لدفع الاعتراض ان النبى صلى الله عليه وسلم منزه
اى مبرؤ ومبعد عما يقع فى بال الجاهل بالحديث ومقام النبوة اى فى فكره او قلبه
وخاطره لا شانه وحاله من هذا الامر الذى يتوهم انه غش وخديعة ولاجل عرضى
تبرئة النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك الذى يتوهمه جاهل بما ذكر قد انكر قوم
هذه الزيادة قوله صلى الله عليه وسلم وهو بدل من الزيادة اشترطى لهم الولا وانما
انكروها اذ ليست فى طرق الحديث هذا ما ذهب اليه الخطابى وقيل ان الشافعى
ذكره فى الام وانه وقع فى طريق لم يتابع عليها وهو مردود وقد علمت انه الواقع فى
النسخ تقريبه بصيغة المصدر فانه زايدة وهو ظاهر ورواه بعضهم بفتح همزتها دج
فاعرب فاعلا له والظاهر نحو تحريف الناسخ وعدم تثبت الناقل ومع ثبوتها
وصحة روايتها وهو الذى عليه الاكثر ورواه الثقات من طرق متعددة صحيحة
فلا وجه لانكارها لكنه اختلف فى توجيهه بوجوه تاتى وحينئذ فلا اعتراض لها
على هذا التقدير لان ثبوت هذه الرواية هو الذى ذكره الجمهور وقولوا انه ورد من
طرق صحيحة وما قيل انها لم ترد الا من طريق واحد لم يتابع عليه مردود كما فى شروح
الصحيحين والحامل عليه ما ذكر من الاشكال وهو مدفوع بوجوه منها ما اشار اليه

بقوله اذ يقع لفظ لهم بمعنى عليهم على ان اللام بمعنى على في كلام العرب لعكسه والشاهد
عليه ما قال الله تعالى اولئك لهم اللعنة اي عليهم وقال تعالى وان اسأتم فلها
اي عليها كقوله ولهم سوء الدار فعلى هذا التأويل يحمل اللام بمعنى على كما في الابتهاج
يكون معنى الحديث فاشترطي عليهم الولاء لك يا عائشة فان الولاء لمن اعتق لا لمن باع
ويكون على هذا التقدير قيام النبي صلى الله عليه وسلم على منبره ووعظه بقوله ما
بال اقوام الخ انكارا وزجرا لما سلف منهم اي لما تقدم من مواليها من شرط الولاء
على بريرة بنت صفوان قبل ذلك اي قبل وعظه تأديبا لهم وارشادا لمن خالف
كتاب الله وشريعته وهذا التوجيه منقول عن المزني واسنده البيهقي الى الشافعي
رضي الله عنه وجزم به الخطابي وصححه وانكره غيره وقال النووي انه ضعيف لانه صلى
الله عليه وسلم انكر اشتراطهم ذلك ولو كانت اللام بمعنى على لم ينكره وكون انكاره لاذنهم
الاشتراط لهم اولا يأباه سياق الحديث وقال ابن دقيق العيد رحمه الله اللام تدل
على اختصاص امر ما ضارا كان او نافعا كما تقول العقاب لزيد فلا حاجة لجعلها
بمعنى على حيث لا لبس وعلى كل حال فضعف هذا الجواب ظاهر ووجه ثان عما
استشكلوه في هذا الحديث بعد ثبوت روايته هكذا ان قوله صلى الله عليه وسلم
في هذه الرواية لعائشة اشترطي لهم الولاء ليس صادرا منه صلى الله عليه وسلم على معنى
الامر فان صيغة الامر ترد لمعان كثيرة تخرج لها كي تكون كما بين في الاصول وان كان
حقيقة النادرة منه الامر الطلبي ثم استدرك ببيان المراد به على هذا فقال لكن
انما ورد منه امر اشترطي على معنى التسوية اي تسوية الاشتراط وعدمه واصله
اشترطي او لا تشترطي كما اتى وهذا المعنى يرجع الى الاباحة والتسوية من معاني او وقد
يضاف للامر ايضا وجمع بينهما بانه يفهم من قرينة السياق فيصح نسبته لكل منهما ويؤيد
هذا وان قيل انه ضعيف جدا انه وقع في بعض طرقه اشترطي او لا تشترطي فانما الولاء
لمن اعتق ولما كان هذا يتوقف على ان الموالي كانوا يعلمون ان هذا الشرط شرعا
غير معتبر اشار الى ذلك بقوله والاعلام بالجر عطف على التسوية بان شرطهم
اي شرط الولاء للموالي المذكورين لا ينفعهم ولا يفيدهم شيئا منه لعدم وروده ما يجوزه
بعدما بان النبي صلى الله عليه وسلم قبل مبني على الضم اي قبل وقوع هذه القضية
ان الولاء انما هو لمن اعتق فكانه صلى الله عليه وسلم على هذا التقدير قال لها اي
لعائشة اشترطي او لا تشترطي فان الاشتراط وعدمه سواء ويؤيده انه روي
هكذا كما مر وانما استوى هو وعدمه فانه شرط غير نافع لانه لغو لا يفيد هو
انتقال الولاء لهم والى هذا التوجيه ذهب الداودي وهو الامام ابو الحسن
عبد الرحمن بن محمد بن المظفر داود المعروف بالداودي كما تقدم في ترجمته
وغيره من العلماء وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم لهم اي تعييرهم بتقبيح فعلهم على
منبره وتقريعهم بلومهم بين الناس على ذلك اي على اشتراطهم بدون اشتراط
الولاء لهم يدل على علمهم به اي بعدم نفع اشتراطهم قبل هذا اي قبل ما قاله صلى
الله

الله عليه وسلم لهم لانهم يكونون معذورين بجهلهم لهذا غير مستحقين للتقريع والتوبيخ
فسقط ما قيل انه مخالف للظاهر متوقف على ثبوت علمهم بهذا الحكم قبل خطبته صلى
الله عليه وسلم الوجه الثالث في الجواب عن هذا الاشكال ان معنى قوله اشترطي لهم
الولاء خبر ان معناه وتقديره صحيح ونحوه اذ لا يصح انتفاء الخبر اي في قوله اي
اظهري لهم حكمه من انه لمن اعتق لا يتعداه لغيره وان شرط له وبيني لهم عدم سنته
اي طريقته وما شرعه فهي بالمعنى اللغوي لا مقابل الفرض ان الولاء انما هو لمن اعتق
بفتح الهمزة في النسخ بدل من قوله سنته ثم بعد هذا الذي ذكره من عدم فائدة
الشرط قام هو صلى الله عليه وسلم في خطبته مبينا ذلك الحكم وموبخا لهم على مخالفة
ما تقدم منه صلى الله عليه وسلم من ان هذا الشرط لا يجدي نفعا وفيه اشارة لما قدمه
من ان لهم علما بهذا الحكم قبل خطبته فيه اي في الولاء او في امر بريرة ولا يخفى ما في
هذا الوجه من الانغلاق فان اراد قائله ان امر اشترطي ليس على ظاهره وانما هو مجاز
عن معنى اظهري لهم حكم الاشتراط وبيني لهم حكم الله فيه وطريق النبي صلى الله عليه وسلم
وشريعته في انه انما هو لمن اعتق فوجه المجاز فيه وعلاقته غير بينة وقد قيل في بيانه
ان هذا الامر للتهديد لهم كقوله اعملوا فسيرى الله عملكم لانه سبق بيانه وكان امرا
معلوما لهم ولعنادهم وطلبهم له بعد ذلك امر منكر مستحق للتوبيخ وقال الشافعي في الام
انهم لما عصوا الله باشتراط ما قضى بخلافه امرها ان يشترطه لهم بحسب الظاهر حتى يرجعوا
ويردعهم لان توبيخ من ارتكب المعصية بعد ارتكابها اقوى من زجره قبله واعظم في
النهي عنه فقال لها اشترطيه ليتأتى ردعهم وقال بعضهم هذا الامر لترك المخالفة والنزاع
فالامر مجاز عن التخلية بينهم وبين ما ارادوا اظهارا لعدم امتثالهم للنهي ابلغ وهو
ابلغ زجر لا اباحة وهذا ما ذكره المفسرون في قوله تعالى وما هم بضارين به من احد
الا باذن الله فسر بمعنى التخلية بينهم وبين الاضرار مجازا وقال النووي انه حكم خاص
بعائشة رضي الله عنها وفيه نظر ثم استطرد ببعض ما وقع لغيره صلى الله عليه وسلم من
الانبياء مجانسا لما قرره من براءتهم عما تقدم فقال فان قيل فما معنى فعل يوسف
ابن يعقوب نبي الله عليهما الصلاة والسلام باخيه شقيقه بنيامين اذ جعل السقاية
هي اناء من فضة او ذهب مرصع او زبرجد وقيل انه اول الامر كان يشرب به ولانه
ثم جعل صاعا يكال به ولها قصة عظيمة ذكرها يوسف اولا باخبارها بين امتعة
اخيه ليأخذه بها وكان من شرعهم اخذ من سرق والرحل رحل البعير والامتعة المتاع
التي تحمل عليه واخذه اي اخذ اخاه باسم سرقته اي بسبب نسبته لسرقة الصاع
والحكم اسم اشارة الى يوسف انما تهمة لا اصل لها كما يقولون ما لفلان من الامر الا اسمه
وما جرى على اخوته في ذلك اي ما كان بينهم في تلك القصة كما بينه المفسرون
والمؤرخون وقوله اي يوسف صلى الله عليه وسلم انكم لسارقون ولم يسرقوا
فكيف يقول ما لا اصل له وهو نبي معصوم فيه اشكال يشبه ما في قصة بريرة
فاعلم علما يزيل عنك الشبه اكرمك الله بما من الله به عليك من العلم

في رحله

ان الاية التي في قصة يوسف تدل بظاهر النظم على ان فعل يوسف مع اخوته
كان عن امر الله تعالى له بوحي يقول فيه قل لهم كذا او افعل معهم كذا فلا يرد عليه
اعتراض لانه امر الله وحكمه لقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ
اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله الاية فاذا كان كذلك اي ما فعله بامر الله
وتعليمه واذنه له فيه فلا اعتراض به عليه فيما قاله وفعله وبما وقع من تكلفه لخلاف
الواقع لانه يجب عليه امتثال امر ربه ولو كان ما امر به مخالفا لشريعته فانه لا يسأل
عما يفعل وقد يامر بعض انبيائه ان يحكم بالباطن لحكمة كما في قصة الخضر عليه الصلاة
والسلام مع موسى وبه استدل من ذهب من الائمة الى جواز الحيل كابي حنيفة واصحابه
خلافا للشافعية فان لم يكن فيها خلاف فمعنى كدنا ليوسف علمناه ما يكيد به اخوته حتى ياخذ
اخاه منهم والكيد قريب من المكر وهو اظهار خلاف الباطن للتحيل على امر يريده ودين
الملك بمعنى طاعته بابقائه بمصر وما كان من دينه من اخذ من سرقه وقوله الا ان يشاء
الله يدل على ان فعله بارادته ورضاه وبهذا سقطت الشبهة المذكورة وان كان فيه
ما فيه اي وان وقع فيه ما ذكر مما يخالف ظاهره الواقع ويقتضي الخديعة بما يليق بمقام
النبوة وايضا مما يجاب به عن هذه الشبهة فان يوسف كان اعلم اخاه فيما بين
حين اخذه من اخوته بكيده وتدبيره فقال له سرا وهم لا يعلمون باني انا اخوك
فلا تبتئس اي لا تحزن فيكون عندك بؤس وشدة حين اسند لك السرقة واخذك
عندي واخبره ان لا يعلمهم بما قاله له فرضي وقال له اذن لا افارقك بما كانوا يعملون
مما يقولون ويخافون وكان ما جرى عليه اي على اخي يوسف بعد هذا اي بعد
اعلامه بما ذكر من وفقه بتواطؤ اي من اتفاق جرى بينهما سرا ورغبته في الاقامة
معه فانه لا عقوق فيه لابيه وعلى يقين من عقبى الخير له به اي لتيقنه ان هذه
القصة يعقبها خير لهم ولابيهم باجتماع شملهم ويعلمون عما سلف منهم عاجلا واذا خذه اي
ان الذي السوء والمضرة عنه اي عن اخيه بذلك اي بما علمه مما سيكون بعد
رغبته في اقامته عنده وانه لم يعلم اخوته به واما قوله عز وجل في حكاية القصة
ايتها العير اي اصحاب هذه الدواب والابل الحاملة لكم من عار يعني ذهب
وجا انكم لسارقون للصاع وهم لم يعرفوا حقيقته فهو انه اعبر لا بغي فليس
من قول يوسف عليه الصلاة والسلام وانما قاله غيره ممن لم يقف على حقيقة
الحال فيلزم هو مرتب على النفي فهو منفي ايضا اي فلا يلزم عليه جواب لكل
شبهة ترد عليه لانه كذب حقيقة وقوله لكل بلام جارة وفي نسخة بالباء وفي اخرى
مضارع والكل صحيح متقارب معنى الا انه يقال عليه انه يحتاج للجواب عن اقرار يوسف
قائله على امر قبيح والاقرار على القبيح قبيح كفعله فان كان يوسف لم يسمعه لم يحتج
لذلك ولعل قائله الذي هو يوسف ان حسن بنا المجهول من التحسين لما له التأويل
اي تأويل اسناد السرقة لهم كانها من كان غير يوسف لعدم عصمته وتراه عدلا فيه
هو ظن على صورة الحال ذلك اي اراه ظاهر حالهم لحال السارق لوجودها

لبس

لبس لهم بين امتعتهم فظن سرقتهم له وان جاز ان يكون غفلة وسهوا او وضعه فيها
غيرهم ويقال في الجواب ايضا ان كان القايل يوسف فهو قال ذلك نظرا
لفعلهم قبل اي قبل هذه الحال الواقعة بيوسف وبيعهم له من السيارة فانه في
معنى السرقة وهذا بناء على انهم باعوه بانفسهم لا من اخرجه من البير ولانهم لم يبيعوه
وانما ذهبوا به باذن ابيهم ولم يبيعوه وان القوه في الجب لكنهم في فعلهم هذا في ما
كان سببا له كمن سرق حرا وباعه فلا يرد عليه اعتراض بما ذكر ولا يلزم لنا ان
نقول بضم النون للمتكلم مع غيره وفتح القاف وتشديد الواو المكسورة دفعا عنه
نحن ستره ومنقوله للانبيا مما اي يثبت لهم بمقامهم قوله لم ياتوا اي لم يعرفوا ولو غير
لا يليق بمقامهم انهم قالوه مع انه يجوز ان يكون القايل غيرهم كما ذكره انفا حتى يطلب
الخلاص منه بتاويله وصرفه عن ظاهره ولا يلزم احدا من العلماء الاعتذار
عن زلات غيرهم اي غير الانبيا عليهم الصلاة والسلام لعدم عصمتهم وجواز صدورها
منهم **فصل** في بيان حكمة ابتلا بعض الانبيا بالامراض ذكره بعد ما
ذكر عصمتهم ونزاهة ذواتهم وصفاتهم واقوالهم وافعالهم عن كل نقص لانه ربما يتوهم
جاهل ان الابتلا بمثله غير لائق بهم ايضا فقال فان قيل مقوله مقدر تقديره
هم معصومون عن النقايص فما الحكمة جواب الشرط في اجرا الله الامراض والاشد
المولمة لابدانهم اللطيفة وشدتها عليه صلى الله عليه وسلم وعلى غيره من الانبيا صلوات
الله وسلامه عليهم اجمعين وكانت امراضه صلى الله عليه وسلم اشد من غيره كما سياتي
وسيل عنه فقال انا كذلك يشدد علينا ويضاعف لنا الاجر وهو حديث صحيح رواه
ابن ماجه والنسائي عن عائشة رضي الله عنها ما رايت احدا كان اشد عليه الوجع من
رسول الله صلى الله عليه وسلم وايضا بدنه الشريف الطف من غيره واللطيف يتاثر
اكثر من تاثر الكثيف وما الوجه فيما ابتلاهم الله اي الانبيا به من البلايا فان
للتعبير والوجه يكون بمعنى السبب الذي يوجه به بنال ما وجهه اي ما حكمته
وسببه وامتحانهم بما امتحنوا به اي معاملتهم معاملة المحنة ليظهر صبرهم
ورضاهم والمراد بالمحن غير الامراض من المصايب كما سياتي كايوب اذ ابتلاه بامراض
شديدة ويعقوب في حزنه وشدة بكائه به حتى ضعف بصره ويحيى هذا مثال للمحن
لقتله وزكريا ابتلي بالقتل ايضا كامر وعيسى ابتلاه باليهود وكيدهم وابراهيم
ابتلي بالقاء نمرود له بالنار ويوسف ابتلي بفراق ابيه له والقائه في السجن
والجب ودانيال ويقال دانال ايضا وهو اسم اعجمي غير مصروف بدال مهملة
وما في بعض الكتب من انه يجوز اعجامها لا اصل له وقيل معناه الحكم لله وهو نبي غير
مرسل كان في زمن بخت نصر وكان من اعز الناس عنده فوشوا به له فالقاه واحمى
في الاخدود وهذا ما ابتلي به وقصصهم مفصلة يطول ذكرها وغيرهم من الانبيا
كنوح وغيره ممن ذكره الله في القران وبينه المفسرون وهم خيرته من خلقه حال
معينة لوجه وروده والسؤال والخيرة المختار والمجتبي بسكون اليا وقد تحرك والاول

اسم والثاني مصدر وقيل الوجهان فيهما وقيل بالعكس والاول هو المعروف واحباوه
واصفياوه اي الذين يحبهم ويحبونه وهم الذين اصطفاهم الله واختارهم لرسالته
وقربه فاعلم وفقنا الله واياك للوقوف على الحكمة في افعاله ان افعال
الله تعالى كلها عدل فلا يظلم احدا من خلقه وان كان لا يجب عليه شي وله ان يعذب
كل من اراد لانه ملكه يتصرف فيه كما يشا كما فصل في الكلام وكلماته اي اخباره ووعده
صدق اي صادقة كلها لا مبدل لكلماته اي لا يمكن احد ان يغير شيا مما اخبر به
وهذا اقتباس من قوله تعالى وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو
السميع العليم فله ان ان يبتلي عباده كما قال عز وجل لهم ثم جعلناكم خلايف في
الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون اي ليظهر للناس اعمالكم فيعلم استحقاقكم لما
انعم به عليكم ويجازيكم عليه اعظم جزا وقال لهم ايضا الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم
ايكم احسن عملا اي اودع فيكم اذ احياكم العقل والاحساس الذي صح به تكليف الاحكام
وانزل بكم معاملة المختبر فيجازيكم بما تستحقونه ونفس نبلو بمعنى نختبر العلم علق
عن جملة ايكم الخ او فيه تقدير يعلم كما فصله المفسرون وفيه كلام مشهور في المغني وحواشي وشرده
الكشاف وقال لهم ايضا ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا
منكم نفي العلم والمراد نفي المعلوم الذي هو الجهاد ولما نافية جازمة بمعنى لم مع زيادة توقع
المنفي في الماضي فيما يستقبل ويعلم الصابرين منصوب بان مقدرة وقري بالرفع وقال
لهم ايضا ولنبلونكم بالجهاد والتكاليف حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين على هذه
المشاق ونبلو اخباركم اي ما نخبر به من اعمالكم واحوالكم ساق المصنف هذه الايات
لبيان حكمة الابتلا وقوله نعلم ونبلو وما في معناه مع تقدم علمه القديم وافعاله تعالى
لا تعلل بالاغراض عند بعضهم لبيان ما تعلق به علمه وانه بحكم تترتب عليه كالاغراض
الباعثة على الافعال والايات دالة على ان الله تعالى يبتلي بعض عباده ليظهر صبره فيجازيهم
اعظم جزا فيه تسلية لهم وحث على الرضا بما قدره لهم فامتحانه عز وجل لهم اي
لانبيايه عليهم الصلاة والسلام المذكورين في هذه الايات لضروب وانواع من
المحن والمصايب التي ابتلاهم بها زيادة بالنصب مفعول لاجله في مكانتهم
اي منزلتهم العالية بالشرف عنده وكذا قوله ورفعة في درجاتهم اي مراتبهم
العالية حسا ومعنى ولاجل ان يكون اسبابا لاستخراج اي لاظهار حالات
الصبر المذكورة في طي يعمم من القوة الى الفعل حتى يعلمها الناس وفي نسخة
رفع اسباب وما عطف عليه على انه خبر مبتدا مقدر اي وهي اسباب الخ والرضا
في السرا والضرا بما قدره الله والشكر على كل حال لما يترتب عليه من الثواب
الجزيل والتسليم بقبول كل ما فعل والتوكل على الله تعالى والتفويض لجعل
امرهم مفوضا اليه والدعا والتضرع منهم اي اظهار التذلل والخضوع لله في
كل حال وتاكيدا بالنصب والرفع وفي نسخة توكيدا وهي لغة فيه لبصايرهم
جمع بصيرة وهي القوة المدركة للمعاني كالباصرة في المحسوسات فهم على بصيرة فيما

ذكر

ذكر ولكن الابتلا لتسعهم لما ذكر مخو ومؤكد ومبين لصبرهم في رحمة الممتحنين اسم
مفعول وهو من حلت بهم المحن والبلايا غيرهم والشفقة على المبتلين بفتح اللام
جمع مبتلى اسم مفعول وهو من حلت به مثل ما حل بهم فانه لا يجزع في الخطب الا من
يقاسيه وتذكرة لغيرهم وموعظة لسواهم اذ السعيد من يعتبر ويتعظ فانهم مع
جلالة قدرهم اذا لم يسلموا منها فكيف غيرهم ممن هو دونهم ليتاسوا اي يقتدوا بهم
ويكون لهم بهم اسوة في البلا الذي نزل بهم ويتسلوا اي يكون لهم سلوة تذهب
حزنهم في المحن والمصايب بما جرى عليهم ودفع بهم ويقتدوا بهم في الصبر على
ما اصابهم فيقولون اذا كان انبيا الله واحباوه ابتلوا بمثل هذا فاي بالنا نحن
ومن جملة الحكم في ابتلايهم محو الهنات جمع هنة وهي الهفوة اليسيرة ويكنى بها عن
القبايح كما في ... هذه اللفظة والمعنى انها كفارة للصغاير وما يصدر عنهم
سهوا وامور تعد سيات بالنسبة لهم اذا فرطت منهم اي وقعت بسبب تفريط يصدر
منهم فيظهر لهم ويرفعها لهم عن مثلها وان كانت جايزة او غفلات بفتحات جمع غفلة
وغفلتهم لاشتغال قلوبهم بامور امهم سلفت لهم وتقدمت منهم وقد عفرت فيلقوا
الله بعد ابتلايهم وحمل مصايبهم مكفرة لما صدر عنهم طيبين مبرئين من خبايث
الذنوب ودنسها مهذبين اي مخلصين مما يشينهم من التهذيب واصله تنقية الاشجار
بقطع الاطراف التي تزيد عاعوا ولتكون اجورهم اعظم عند الله واكمل فانما يصيب
المومن حتى الشوكة يوجر عليه كما سياتي وثوابهم اوفر اي اكثر واجزل اي اعظم
فيزيد كما وكيفا والاجر والثواب بمعنى وقد يفرق بينهما بان الاجر ما كان في مقابلة
العمل كالاجرة والثواب ما كان تفضلا واحسانا من الله ويستعمل كل منهما بمعنى الاخر
ثم ان المصنف رحمه الله استشهد على كونه صلى الله عليه وسلم اشد الناس بلا بحديث
رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة والحاكم فقال حدثنا القاضي ابو علي
الحافظ هو شيخه ابن سكرة كما تقدم قال حدثنا وفي نسخة اخبرنا ابو الحسين
مصغرا وما في بعض النسخ مكبرا غير صواب الصيرفي وقد تقدمت ترجمته وابو
الفضل بن خيرون تقدم ايضا قالا حدثنا ابو يعلى البغدادي المعروف
بزوج الحرة كما تقدم قال حدثنا ابو علي السنجي تقدم مع بيان نسبته قال حدثنا
محمد بن محبوب راوي سنن الترمذي كما تقدم قال حدثنا ابو عيسى الترمذي
صاحب السنن المشهورة قال حدثنا قتيبة بن سعيد كما تقدم قال حدثنا حماد
ابن زيد تقدم وفي بعض نسخ الترمذي شريك بدل حماد عن عاصم بن بهدلة
هو عاصم بن ابي النجود بن بهدلة مولى بني اسد احد القرا السبعة قال الذهبي هو
ثقة في الحديث والقراات توفي سنة ثمان وعشرين ومايه وله ترجمة في الميزان
وبهدلة بفتح البا الموحدة وسكون الها وفتح الدال المهملة واللام وبعدها ها ساكنة
اسم امه فيجوز منعه بالصرف ومعناه الخفة واسرع المشي وعوام مصر تستعمله بمعنى الاهانة
فكانه مجاز لتلزمه للخفة والنجود بفتح النون وضم الجيم وسكون الواو وبعدها دال

وهي الحارة الوحشية التي لا تحل ويقال هي المشرفة قيل وكل عام في المحدثين ردك
الحفظ هذا استقر امر الذهبي عن ابن القطان عن مصعب بن سعد عن
ابيه هو سعد بن ابي وقاص مالك بن اهيب احد العشرة المبشرة بالجنة وهو ممن
نزل الكوفة وتوفي سنة ثلاث عشر ومائة واخرج له السنة قال سعد قلت
يا رسول الله اي الناس اشد بلاء بالامراض وغيرها قال الانبياء عليهم
الصلاة والسلام اشد الناس بلاء ثم يليهم في شدة البلاء الامثل فالامثل
الفا للترتيب في الشرف والامثلية بمعنى الافضلية يقال هو امثل بني فلان واماثل
القوم رؤساهم من الثالثة وهي الفضيلة قال العباس ابلغ لعتبي بني شهاب كلهم
وذوي الثالثة من بني عتاب وقال الراغب الامثل يعبر به عن الاشبه بالافاضل
والاقرب الى الخير واماثل القوم خيارهم قال تعالى اذ يقول امثلهم طريقة وطريقة
مثلى حسنة يبتلى الرجل على حسب دينه الدين هنا بمعنى الطاعة اي بقدر طاعته
وتقواه قوة وضعفا يكون بليته فالاتقى اشد والاكثر بلاء فلا يبرح البلاء اي لا
يزال نازلا بالعبد المؤمن حتى يتركه يمشي على الارض مجازا عن خلوه
او صحته اي بصيره كذلك فان ترك يكون بمعناه كقوله وجرى السباع وهو
حقيقة او مجاز من تركه بمعنى ابقاه كذلك وما عليه خطيئة ظاهره ان نفس
الامراض والمصائب تكفر السيئات وانما تكفر الصغائر والكبائر لا طلاق هذا
الحديث وما جاء في معناه وقيل انما يكفر الصغائر ونفسها لا تكفر وانما يكفر الصبر عليها
واحتسابها واليه ذهب ابن عبد السلام وسيأتي بيانه وكما قال الله تعالى مما يدل
على ما دل عليه الحديث وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير الايات بعضها وهنوا
لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم
الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين
فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين وفي هذه الايات
ما يدل على ابتلاء الانبياء وصبرهم وكثرة ثوابهم عليه وكأين بمعنى كم كما بينه النحاة
ومن بيان تمييز لها والربيون جمع ربي منسوب الى الرب وفيه تغيير كتغييرات النسب
وواحده ربي بكسر الراء وقيل انه نسب للربة بمعنى الجماعة الكثيرة ويجوز اسناد قتل
للنبي وقال الحسن البصري وابن جبير لم يقتل نبي في حرب اصلا ووهنوا بمعنى
فتروا واستكانوا بمعنى ضعفوا واصله استكنوا واستكونوا من الكون وهذا تعريض
لما اصابهم من الارجاف بقتل النبي صلى الله عليه وسلم باحد وانه لو كان حيا كان
مثل ما وقع لغيره وانهم مع شدة جهادهم وصبرهم متحققون بمغفرة ربهم وانهم يعدون
منهم ذنبا تواضعا وخشية وعن ابي هريرة رضي الله عنه في حديث رواه الترمذي
وصححه ما يزال البلاء وانما بالمؤمن في نفسه وولده وماله حتى يلقى
الله اذا مات او حشر وما عليه خطيئة لان ما اصابه يكفر سيئاته كبيرة كانت او
صغيرة كما تقدم وعن انس بن مالك رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم

في

في حديث رواه الترمذي ايضا وحسنه واسناده هذا للنبي صلى الله عليه وسلم يشعر بان ما
قبله موقوف الا ان له حكم الرفع لان مثله لا يقال بالرأي اذا اراد الله بعبده الخير
في آخرته عجل له العقوبة في الدنيا بما يبتليه به فيها مما يمحو به عنه الذنوب واذا اراد
بعبده الشر في عقباه امسك عنه مصائب الدنيا استدراجا له فلا يمحو عنه ويبتليه
بل يتركه بذنبه والبلايا الملائمة ويقول امسك عند رأى البلايا يدفعها عنه حتى
يوافي ربه ويلقاه به اي بذنبه يوم القيامة فيجازى به عليه ان لم يرد العفو عنه ويوافي
بفاء مكسورة مبني للفاعل ومن فتحها وبناه للمجهول فقد تعسف وفي حديث آخر رواه
الديلمي عن ابي هريرة اذا احب الله عبده ابتلاه ليسمع تضرعه اي دعاءه متذللا له
لمحبته لكلامه ومراجعته والتضرع بمعنى الدعاء ورد كثيرا وبه فسر لانه لازم لمن فسره
بالتذلل والخضوع وفسر ليسمع بمعنى ليعلم لانه غير مسموع لم يصب وحكى السمرقندي ان كل
من كان اكرم على الله واحب اليه كان بلاؤه في الدنيا اشد واقوى من بلاء غيره فيها
كي يتبين فضله في الآخرة او في الدنيا لمن لم يبصره وليستوجب الثواب اي يستحقه
تفضلا من الله لوعده به كما روي عن لقمان الحكيم انه قال لابنه اذ وصاه يا بني
الذهب والفضة يختبران بالنار بالبناء للمجهول اي يعلم خلوصهما وعدمه اذا اذيبا بالنار
علم هل فيهما خبث ام لا والمؤمن يختبر ايمانه ودينه بالبلاء اي باصابته وصبره عليه
وتضجره منه وقد حكي ان ابتلاء يعقوب بمفارقة يوسف وحزنه عليه كان سببه
التفاته اليه اي الى يوسف في صلاته ويوسف نائم عنده والتفاته لمحبته له منصوب
اي لاجل محبته له فلما قطع التوجه لله قطعه الله عنه لفرقته وهذا رواه القرطبي في تفسيره
غير مسند وقيل بل سببه ان يعقوب اجتمع يوما هو وابنه يوسف على اكل حمل
بفتح الحاء المهملة والميم وهو الصغير من الضأن لسنة واقل مشوي وهما يضحكان
جملة حالية وكان لهم جار صغير يتيم فشم ريحه اي رائحة الحمل المشوي واشتهاه
اي احب الاكل منه وبكى على عادة الاطفال اذا ارادوا ما ليس عندهم وبكت جدة له
عجوز رحمة لبكائه وبينهما اي بين يعقوب واليتيم جدار حائل بينهما ولا علم عند
يعقوب وابنه يوسف عليهما الصلاة والسلام لغافل المانع عنه فعوقب يعقوب
بسبب بكاء اليتيم والعجوز بالبكاء اسفا واسفا وحزنا على يوسف لفقده الى ان سالت
وخرجت حدقتاه والحدقة سواد العين وبياضها وابيضت عيناه من الحزن
فلما علم يعقوب ببكاء اليتيم وجدته كان بقية حياته منصوب على الظرفية اي عمره كله
بعد ذلك يأمر مناديا ينادي باعلى صوته على سطحه والسطح اعلى المكان المرتفع يصل
الى بعيد منه ويقول في ندائه الا من كان من الناس مفطرا غير صائم فليتغد بدال
مهملة مشددة من الغداء او روى بمعجمة ايضا عند آل يعقوب اي اهل بيته او آل
بمعنى اي عنده وفي هذا الخبر ومن كان صائما فليفطر عندهم وعوقب يوسف بالمحنة
اي البلية التي قص الله علينا في القرآن من السجن وغيره وحكى هذا عن المصنف الدميري
رحمه الله في حياة الحيوان وقال لا ينبغي له ذكره فانه لا صحة له وان رواه الطبراني عن انس

برهان

ابن اقبرس

عن شيخه ابن جهم الباهلي وهو ضعيف الرواية جدا ورواه البيهقي في الشعب وما يدل
على عدم صحته ان قوله سالت حدثناه لا اصل له وانه مع قوله لا علم لهما كيف يصح ان
يتوافقا على ما لم يعلماه ان قوله ابيضت عيناه بعد قوله سالت حدقتاه كلام متنافر فضل
وجعله تفسيرا للسيلان تعسف بارد والصحيح انه لم يعم فان العمى لا يجوز على الانبيا وفي
الشرح الجديد هنا كلام طويل بغير طائل وروى عن الليث بن سعد الامام
وقد تقدم ان سبب بلا ايوب عليه الصلاة والسلام انه دخل مع اهل قريته
على ملكهم فكلموه في ظلمه اي بسببه فاغلظوا عليه بشدة لومهم له وموعظته الا
ايوب عليه الصلاة والسلام فانه لم يغلظ عليه لانه رفق به اي كلمه برفق ولين
رجا ان يقبل كلامه لتجبره كما قال تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام فقولا له قولا لينا
الخ مخافة على زرعه الذي في مملكته فعاقبه الله ببلايه الذي ابتلاه به من
الامراض وهذا لا ينبغي ان يقال في حق الانبيا عليهم الصلاة والسلام فليت المص تركه
ومنه سليمان عليه الصلاة والسلام لما ذكرناه فيما مر والجنة كالمصيبة كما تقدم
من نبينا من كون الحق في جنبة اصهاره بفتح الجيم والنون ويسكونها ايضا وموحدة
بمعنى الجانب والناحية وفي نسخة جهته وفي اخرى حيه بنقطة فوق وهو تحريف من الناسخ
كما في المغني قال الراغب الصهر الختن واهل بيت المراة يقال لهم اصهار كما قاله الخليل وكل
محرم او بليته انما كانت للعمل بالمعصية في داره ولا علم عنده بما صدر منهم من
المعاصي بانه نزلته اليهود من انه عليه الصلاة والسلام قتل ملكا له بنت جميلة تسمى جرادة
فكانت عنده واسلمت ثم كانت تبكي على ابيها فاسر الشياطين ان يعملوا لها صورة ابيها فعملوا
فكسته واعدت له ثيابا وكانت تذهب اليه وتسجد لصورته وهو لا يعلم واستمر ذلك
مدة اربعين يوما فسلبه الله ملكه وابتلاه بما ابتلاه به وهو ما اشار اليه الجواب
الثاني وقوله من كون الحق الخ جواب اخر وهو ان جرادة بنت صيدون الملك التي
تزوجها سليمان واحبها تخاصم عنده ناس مع اخرين من اقارب امراته فحكم بالحق لغيرهم
وتمنى ان يكون الحق لهم وهو وان لم يكن حراما في شرعنا وغيره لكنه بالنسبة لمقامه
بعيد ذنبا وفي كتب القصص اسباب اخر لا ينبغي ذكرها وهذه الامور المذكورة
التي ابتلى بها الانبيا عليهم الصلاة والسلام لتزداد ثوابهم وغيره مامر فانه شدة
المرض والوجع النازل بالنبي صلى الله عليه وسلم فكان يوعك كما يوعك الرجلان
كما قالت عايشة في حديث رواه الشيخان عنها ما رايت الوجع في الامواض على
احد من الناس اشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تقدم من حكمته
وعن عبد الله اي ابن مسعود رضي الله عنه لا ابن عمر رضي الله عنهما كما قيل رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي كان يمرض له وهو اي والحالة انه يوعك بضم
اوله وفتح عينه المهملة المخففة وعكا بفتح العين وسكونها شديدا اي اشد الما من غيره
اذا اصابه مثله فقلت له انك لتوعك وعكا شديدا قال اجل بفتحتين بمعنى نعم
فهو جواب يا رسول الله له اني اوعك كما يوعك اي اتالم كما يالم رجلان منكم ايها المكلفون

او

او الصحابة او الناس قال عبد الله بن مسعود قلت ذلك اي شدة وجعك وكونه
كوجع رجلين ان بفتح فتشديد اي لان لك اجرك وفي نسخة الاجر مرتين
اي ليضاعف لك الثواب قال اجل بغير ذلك كذلك اي هو كما قلت امر محقق وجهه
وحكمته وفي رواية انك اجرين كاملين واصل معنى الوعك الحر الشديد ويراد به الحمى
والمها وحرارتها وقد يراد به المرض الخفيف والمراد الاول هنا كما تقرر وما ذكره التلمساني
مما مر من قول المكي انه صلى الله عليه وسلم لو وزن باهل المرض رجح عليهم كما توهم لان
ذلك في الفضل والكمال وهذا في العلة والمرض فخروج زيادته عن الحد غير مناسب
فلا حاجة لما ارتكبه في الجواب عنه من التعسف الذي لا داعي له وفي حديث رواه
ابن ماجة والحاكم عن ابي سعيد اي سعد بن مالك بن سنان الخدري وقد تقدم ان رجلا
وضع يده على جسد النبي صلى الله عليه وسلم كما يفعله العواد للمريض ليعلموا
حرارة جسده لشدتها عليه فقال والله ما اطيق اي ما اقدر ولا استطيع
في شدة حرارته اضع يدي عليك واس جسدك من شدة حماك بضم الحا المهملة
وفتح الميم المشددة اي حرارتها ويقال حمى وحمة والافصح الاول فقال له صلى الله
عليه وسلم انا معشر الانبيا بنصب معشر على الاختصاص والمدح كما بينه النحاة في باب
يضاعف لنا البلا اي يزاد ويضعف الشي مثله او مثلاه على كلام فيه في كتب اللغة ان كان
النبي من الانبيا المتقدمين بكسر الهمزة من ان المخففة من الثقيلة بشهادة اللام في خبرها
في قوله ليبتلى واسمها ضمير شان مقدر بالقمل بفتح فسكون او بضم فتشديد وهو معروف
حتى يقتله اي يموت من شدة الم به وفي سنن ابن ماجة ان الرجل الذي وضع يده
على جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ابو سعيد ايضا والمص رحمه الله رواه
من طريق اخرى لم يصرح فيها باسمه فلا وجه للقول بانه سبق قلم من الناسخ وان كان النبي
من الانبيا ليبتلى بالفقر الشديد وهو بحسب ظاهر حالهم وانما تركهم الدنيا زهدا
منهم وان كانوا اي الانبيا وان هذه كالتي قبلها اي عادتهم وجبلتهم ليفرحون بالبلا
اي يحبون مصايب الدنيا لما يعلمون من انها رفعة لقدرهم وزيادة لاجورهم كما تقدم
فالبلا بمعنى ما ابتلوا في الدنيا من الامراض وغيرها كما تفرحون بالحنفية او نيا الخطاب
بالرخا وهو سعة المعيشة وحسن الحال والمراد به مقابل البلا وذلك لشدة محبتهم
بربهم وعلمهم بما ادخره لهم في مقابلة ما نزل بهم وتعذابهم ومع هذا فلا ينافي الدعا بالعفو
والعافية المعينة لهم على الطاعة والقيام باوامره ولكل مقام مقال فلا تعارض
بينهما فان الامور بمقاصدها ولا ينافيه ايضا ما مر من انه صلى الله عليه وسلم كان متواصل
الاحزان كما تقدم بيانه وعن انس ابن مالك رضي الله عنه في حديث رواه الترمذي
وحسنه ان عظم الجزا اي الثواب مع عظم البلا اي لا ينفك عنه مضاعفته كما مر
وعظم بضم العين المهملة وسكون الظا المعجمة او بكسر ففتح اي من كان بلاؤه اعظم
كان جزاؤه اعظم عند ربه فمن رضي بما ابتلاه به الله فله الرضى من الله عنه بجزيل
ثوابه ومن سخط اي كره قضا الله ولم يرض به فله السخط اي غضب الله عليه

وعفا به له فاذا صبر ولم يجزع بما اصابه رضا بقضائه كان ذلك له مثوبة واجر
فلا يتوهم انه ليس امر اختيار له فان ما ذكر من الصبر وعدم الشكوى امر اختياري
اما حزنه من غير جزع ولا ضجر فلا يضره كما في الحديث ان القلب ليحزن وان العين لتدمع
وقد قال المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوا يجز به عاجلا وذلك ان المسلم
يجزى بمصائب الدنيا فيكون كفارة له اي لذنوبه ان كانت وزيادة في ثواب
غير المذنب وهذا التفسير مروي عن ابي بكر وقال المصنف انه روي مثل هذا عن
عايشة وهو الذي رواه الحاكم عنه وابي وعن مجاهد ايضا وقال ابو هريرة
رضي الله عنه في حديث رواه البخاري عنه صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب
منه روي بفتح الصاد والمعجمة اي ينزل به مكروها ومصيبة في الدنيا يثاب عليها
واختلف في اي الروايتين ارجح فقال ابن الجوزي الثاني وقال ابن حجر الاول ولكل وجهة
لان الاول فيه ادب لعدم اسناد المصائب لله والثاني فيه تسليم بجعل كل شي منه واليه
وما ذكر في الاية هو احد وجهين فيها فيكون في حق المومنين وثوابهم على مصائبهم
كما ورد في الحديث وقيل انها في حق الكفار ومعناها كمعنى قوله وهل يجازي الا الكفور
وهو مروي عن الحسن وبؤيده قوله بعدها ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا
وتتمته في كتب التفسير وشروح البخاري وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان
في رواية عايشة فيه ما من مصيبة تصيب المسلم اي مصيبة كانت قليلة او كثيرة
وفيه التجانس المغاير اذ احدى كلمتي المادة اسم والاخرى فعل ومثله ازفت الازفة
الا يكفر الله بها عنه اي من ذنوبه او يزيد بها في حسناته حتى الشوكة يشاكها في
بدنه فانها مع قلتها يكفر بها عنه تفضلا منه والمصيبة واحدة المصائب كل ما يصيب
الانسان من خير او شر وخصها العرف بالثاني وقيل الاول من صوب المطر والثاني
من اصابة السهم واجمعت العرب على همزة المصائب واصله الواو وكانهم شبهوا الاصلي
بالزايد وجمع على مصاوب وهو الاصل وقوله حتى الشوكة يجوز جرها بجعل حتى بمعنى الى ورفعها
على انها ابتدائية وجوز نصبها بمقدر اي حتى تجد الشوكة وهو بعيد وشاكها بضم
اوله اي تدخل في جلده بنفسها او بادخال الغير اي بشوك غيره بها ففيه وصل الفعل
لان الاصل يشاك بها وجوز بعضهم فتح يا يشاك الحقيقة ونسب للجوهري ولا وجه له
لانه مضارع شاك الرجل اذا كان له شوكة وقوة وهو معنى اخر والشوكة معروفة وهي
في غاية القلة وكونها بمعنى ذات الجنب وهو غاية في الشدة تعسف وروي الاحط الله
بها عنه خطيئة او كتب له بها حسنة او رفع له بها درجة واعلم ان العز بن عبد
السلام قال ظن بعض الجهلة ان المرء يوجر على نفس المصاب وليس كذلك فان الثواب
انما يكون على ما يفعله باختياره ولا دخل له في ذلك فثوابه انما هو على صبره ورضاه بما
قدره الله وعدم شكايته ورده السخاوي بانه مخالف للنصوص من غير بيان لوجهه
وقال القرافي لا يجوز ان يقال للمصاب جعل الله ذلك كفارة لك لان الشارع جعله
كفارة فهو تحصيل للحاصل وسو ادب وانا اقول ما قاله العز لا وجه له ولا يليق

تلمساني

البحث مع الشيخ بن عبد السلام على ... في حصول الثواب على نفس المصيبة

صدور

صدور مثله منه فانه تعالى له ان يثيبه ابتدا وان يجعل ما اتفق له بغير فعله سببا
لذلك ومثله من خطاب الوضع الاترى ان من قتل قتيلا واستحق وارثه الدية حصل
له نفع دنيوي بغير فعله فهذا ايضا مما جعله الله سببا لثواب عبده المومن رحمة له وتحننا
عليه كما نرى بعض كرام الناس اذا اذى احدا يبعثه على جبر الخاطر فكيف لا يكون مثله
من الله عز وجل ويزيد في ثوابه اذا صبر ورضي وفي كلام شيخ والدي ابن حجر الهيتمي
نص الشافعي في الام بما يصرح بان نفس المصيبة يثاب عليها لتصريحه بان كلا من المجنون
والمريض المغلوب على عقله ماجور مثاب يكفر عنه بالمرض فحكم بالاجر مع انتفا العقل
المستلزم لانتفا الصبر وحمل النص على من يصبر عند ابتدا مرضه ثم استمر صبره الى زوال
عقله يرده انه سوى بين المريض والمجنون في الثواب ومثل ذلك لا يتصور في المجنون فالحمل
المذكور غلط منشاه الغفلة عما ذكره في المجنون والحاصل ان من اصيب وصبر حصل له
ثوابان غير التكفير لنفس المصيبة وللصبر عليها ومثله كتابة مثل ما كان يعمله من الخير وغير
ذلك مما ورد في السنة وان من انتفى صبره فان كان لعذر كجنون فهو كذلك او نحو جزع
لم يحصل له من ذينك الثوابين شي انتهى ملخصا وما قاله القرافي ليس بشي ايضا فانه قد
يقصد الدعا لما هو حاصل لزيادته او تنبيه سامعه وغيره ولو قيل بمثله لم تجز الصلاة على
النبي صلى الله عليه وسلم والدعا له بالوسيلة والدرجات العالية الرفيعة وهي محققة له
وقد امرنا بالدعا بها كما تقرر في محله وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان
من رواية ابي سعيد الخدري ما يصيب المومن من نصب بفتحتين اي تعب
ينال له من سعيه في بعض اموره الحايزة له ولا وصب اي وجع ولزومه او فتور في بدنه
وقد فسرهذه في اللغة ولا هم بفتح الها وتشديد الميم وهو قريب من الغم معنى وقد يفرق
بينهما بان الهم يكون لما لم يقع والغم على ما وقع كما مر ولا حزن بفتحتين وبضم فسكون
وهما من امراض الباطن ولذلك ساغ عطفهما على الوصب ولا اذى يلحق من تعدي
الغير عليه ولا غم واصله ما يمنع خروج النفس كاربه ما ذكر حتى الشوكة يشاكها
تقدم بيانه الا كفر الله بها من خطاياه من زايدة او تبعيضية لان بعضها لا يكفر كا
لحقوق العباد وفي حديث ابن مسعود الذي رواه الشيخان ما من مسلم يصيبه
اذى اي امر يوذيه في بدنه او نفسه الا حات الله عنه خطاياه بالحا المهملة
المفتوحة بعدها الف فوقية مشددة واصله حاتت فادغموحات وحت بمعنى ازال
يقال حت المني من الثوب اذا فركه ليزيله والورق يحات تناثر وتساقط منه كما تحات
وفي نسخة كما تحت ورق الشجر وهو كناية عن اذهاب الخطايا فشبه سقوط ذنوبه
بعفوها عنه بتناثر اوراق الشجر منها وفي حديث عايشة عند الطبراني في الاوسط بسند
جيد من وجه اخر ما ضرب على امرء عرق الا حط الله به خطيئة وكتب له به حسنة ورفع
له درجة وفي حديثها عند الامام احمد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وجع فجعل يتقلب
على فراشه ويشتكي فقالت له عايشة لو صنع هذا بعضنا لوجدت عليه فقال ان الصالحين
يشدد عليهم الحديث وفي هذه الاحاديث بشرى عظيمة لكل مومن لان الادمي لا ينفك غالبا

من ألم بسبب مرض أو هم أو نحو ذلك فإن حقيقة الصبر تكون على ثلاثة أقسام صبر على المعصية فلا يرتكبها وصبر على الطاعة حتى يؤديها وصبر على البلية فلا يشكو ربه فيها وعن علي رضي الله عنه من إجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك لغيره وقيل ذهبت عين الأحنف منذ أربعين سنة ما ذكرها وقال شقيق البلخي من شكى ما نزل به لغير الله لم يجد لطاعة الله في قلبه حلاوة أبدا وما أحسن قول ابن عطا

سأصبر كي ترضى وأتلف حسرة ... وحسبي أن ترضى ويتلفني صبري

وسئل علي رضي الله عنه أي خصال المؤمن خير فقال ما عاين امرؤ شيئا أعظم من الصبر والرضى والتسليم للقضا فذلك خير دنيا وأخرى وسئل أيضا ما رأس العلم والعمل فقال الحلم والتواضع فمن تم كما كان عليه وبال عليه وأرشد في التنبيه

فتحنه لا تسلمن لأمره ... في كل صائبة وشد خناق

موسى وإبراهيم لما سلما ... سلما من الإغراق والإحراق

وحكمة أخرى في ابتلاء الأنبياء ونحوهم بالأمراض والمصائب **أودعها الله** تعالى أي جعلها لهم كالوديعة **في الأمراض المصيبة لأجسامهم** دون بواطنهم وحواسهم **وتعاقب الأوجاع عليها** أي على أجسامهم بتكررها ومجي بعضها عقب بعض **وشدتها** عليهم **كما مر عند مماتهم** أي يبتليهم الله بذلك إذا قرب موتهم **لتضعف قوى نفوسهم** الروحانية بكثرة أمراضهم وشدتها وإذا وقع هذا **فيسهل خروجها** أي خروج أرواحهم ومفارقتها لأبدانهم **عند قبضهم** أي قبض أرواحهم ووفاتهم فإن ضعف البدن وقواه يعجز عن إمساكها فيسهل ذلك عليهم **ويخف عليهم مؤنة النزع** أي إخراج الروح من البدن ومؤنة بميم مفتوحة وهمزة مضمومة قبل واو ونون **وشدة السكرات** يعني سكرات الموت وغمرات شدائده وما يلحق الميت من الغشي الشبيه بالسكر في غيبة الحس **بتقدم المرض على الموت** والاحتضار **وضعف الجسم والنفس بذلك** أي بسبب ذلك المذكور ولو قويت شق عليها وصعب فكان أشد عليه **بخلاف موت الفجأة** بضم الفاء والمد وبفتحها والقصر وهو الموت بغتة من غير مرض تقال فجاءه الأمر يفجؤه إذا أتاه على غفلة منه **وأخذه** له دفعة من غير انتظار لأجل فهو أشد عليه لشدة قواه المانعة عن تسليم الروح بسهولة ولذا كرهه بعض العلما كما يأتي قريبا وقال إنه مذموم وفي الحديث موت الفجأة أخذة أسف أي غضب وقهر من الله كما يأتي وروي أسف بالمد اسم فاعل لكنهم قالوا إنما يكره لعدم التأهب له بالوصية ونحوها فمن لم يحتج لذلك يكون في حقه رحمة وهو الصحيح لحديث موت الفجأة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر ويجمع بينهما **كما يشاهد من اختلاف أحوال الموتى في الشدة واللين والصعوبة والسهولة** عطف تفسير لما قبله فبعضهم يعسر عليه ويشتد عليه وبعضهم يسهل عليه حالة النزع فإن قلت إذا كان توالي الأمراض لتخفيف الموت وسكراته فكيف قال صلى الله عليه وسلم إن للموت سكرات حتى ذكروا الحكمة وكيف يكون موت الفجأة لبعض الكفرة والفجرة قلت ما به صلى الله عليه وسلم بسكرات موته لا ينافي أنها أخف من سكرات

غيره

غيره وموت الفجأة وإن لم يكن فيه سكرات أشد من غيره لكونه كالكسير بثمرة فوته كما تقرر مع ما فيه من بعد **وقد قال صلى الله عليه وسلم** في حديث رواه الشيخان عن كعب ابن مالك وجابر **مثل المؤمن** أي حاله وصفته العجيبة **مثل خامة الزرع** الخامة بخاء معجمة وميم العود اللين الذي لم يشتد والغصن الطري وقال الخليل هي أول ما ينبت على ساق واحد وألفها منقلبة عن واو ونقل عن الفراء أنها بحاء مهملة وفاء وفسرها بطاقة الزرع وعند أحمد مثل المؤمن مثل السنبلة يستقيم مرة ويخر أخرى وروي تحمر مرة وتصفر أخرى **تفيئها الريح** بضم التاء الفوقية وكسر الفاء بعدها مثناة تحتية ساكنة ثم همزة والمشهور تشديد الياء التحتية وروي تفيئها في أوله أي تميلها **هكذا وكذا** أي تلينها تميل يمينا وشمالا ولا تنكسر كما قال ابن خفاجة

إني وإن كنت هضبة حلم ... اهتز للحسن فاتنه غصنا

كأنني غصن بانة خضل ... تعطفه الريح ها هنا وهنا

وفي صحيح مسلم من رواية أبي هريرة من حيث أي من أي جانب أتت الريح على الغصن **أتتها الريح تكفؤها** بفتح أوله وثالثه وسكون ثانيه وهمزة أي تصلها والمراد تميلها أيضا **فإذا سكنت** الريح ولم تهب **تعدلت** أي انتصبت لأنها لم تنكسر للينها وعدم غلظها وفي نسخة اعتدلت **وكذلك المؤمن يكفؤ** بضم فسكون وفتح وهمزة أي ينقلب من صحة لمرضه كما أشار إليه وخلاصته الأمراض لا تغنيه ولا تهلكه **بالبلاء** من حيث أتاه ووجه الشبه ظاهر وفيه من البلاغة واللطف ما لا يخفى **ومثل الكافر** والفاجر المنافق الغليظ **كمثل الأرزة** لأنها ثابتة حتى تنقصف أي تنقصف من أصلها والأرزة بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وزاي معجمة وروي فتحها وهو شجر الأرز المعروف وقيل هو الصنوبر وقيل إنه آرزة بالمد بزنة فاعلة وأنكره أبو عبيد **صما** أي صلبة شديدة اليبس والقوة **معتدلة** أي قائمة منتصبة لا تميل لغلظها ويبسها **حتى يقصمها الله** بقاف وصاد مهملة قبل الميم أي يأخذه بغتة من غير تقدم بلاء والقصم بالقاف الكسر مع الإبانة والفصم بالفاء بدونها وفي العقد لابن عبد ربه قالت الحكما من تعرض للسلطان أرداه ومن تطامن له تخطاه وشبهوه في ذلك بالريح العاصفة التي لا تضر ما لان من الشجر ومال معها من الحشيش

وما استهدف لها من الدوح العظيم قصفته ولأبي تمام

إن الرياح إذا ما أعصفت قصفت ... عيدان نجد ولم يعبأن بالرتم

بنات نعش ونعش لا كسوف لها ... والشمس والبدر منه الدهر في الرقم

وفي كليلة ودمنة

الريح لا تقلع عودا أنابتا ... وتقلع الدوح العظيم النابتا

معناه أي هذا الحديث **أن المؤمن مرزء** بالتشديد والهمز أي لا يزال تصيبه الرزايا وهو من رزأ الشيء إذا انتقصه **مصاب بالبلاء** بالمد أي ينزل به المصائب **والأمراض راض بتصريفه** أي بتقلب أحواله وقيل بتصريف الله فيه وله وتقلبه **بين أقدار الله** التي قدرها عليه من صحة ومرض وغيره **مطاع لذلك** أي منقاد مذعن مطيع

سلم وانى بصيغة الانفعال النون للدلالة على انه مطاوع لين الجانب برضاه اى
لين جانبه يقبل كل ما يرضاه الله كالشى اللين الذى ينطبع بكل ما يختم به كما قيل
ان المحب لمن يحب مطيع ووقع هنا فى بعض الشروح برضاه بميم بعد الراء من
رمضا النار وحرارتها اى ما يصيبه من الالام بزيده لينا لكن قوله بعده وقلة سخطه
ينتفى الاول اياه واظنه من تحريف النا سخ كطا عة خامة الزرع وانبيا دها
للرياح عطف تفسير وتمايلها من غير ان تنكسر لهبوبها وتزيحها براوحا مهملتين
بينهما نون من ترنح السكران اذا تمايل وفيه كلام فى شرح مقامات الزمخشرى من
حيث ما اتتها اى من اى جهة كانت جنوبا وشمالا لليبنها فاذا ازاح الله عز وجل
بزاى معجمة اى ازال عن المومن رياح البلايا استعارة مقررة لما فى الحديث كانه لما
شبهه بالخامة شبه ما يطرو عليه بالرياح المقررة عليه تميله هنا وهنا فاعتدل
اى برا من مرض ونحوه شبه صحته بما عند الخامة اذا سكنت الريح والبداءة بقوله
صحيحا وطود الا وتبيين كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو بفتح
الجيم وتشديد الواو وهو ما بين السما والارض من مهب الرياح واصل معناه الداخل
من كل شى ومنه الجوانى مقابل البرانى رجع اى المومن الى شكر ربه على ما انعم به
عليه من السلامة ومعرفة نعمته اذ انعم عليه بالخلاص مما يكره ويخشى برفع بلائه
عنه وتجاوزه عنه منتظرا رحمته له راجيا احسانه وثوابه عليه اى على ما ابتلاه وفى
لشكره وصبره لقوله تعالى وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله
وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون فاذا
كان المومن بهذه السبيل اى على هذه الحالة من اصابته بالبلايا والامراض
لم يصعب ويشق عليه مرض الموت اى المرض الذى كان سبب موته منه لا ابتلائه
بالامراض المتوالية عليه ولا نزوله اى حلول الموت ولا اشتدت عليه سكراته
ونزعه اى نزع الروح منه عند الموت لضعف قوة نفسه الدافعة له وهذا لا ينافى
ما تقدم فى حق الانبيا من انهم اشد الناس بلا لانه فى حالة اخرى وهى نزول
المصايب بهم قبل حضور الموت لعادته اى اعتياده بما تقدم من الالام ومقاساتها
ومعرفة ماله فيها اى المصايب التى تصيبه قبل موته من الاجر والثواب فانه لعلمه
بذلك يهون عليه وتوطينه نفسه على المصايب اذا اصابته اى اطمينان نفسه
لها لعلمه بانه لا بد له منها فيرضى ولا ينزعج ويقلق فالتوطين اصله اتخاذ الوطن
ثم تجوز عن عدم القلق والضجر قال

ولا خير فيمن لا يوطن نفسه ٭ على نائبات الدهر حين تنوب

وعلى نتنها وضعفها الضمير للنفس والرقة براء مهملة وقاف مشددة المراد بها
الضعف فهو عطف تفسير ويجوز عود الضمير للمصايب ايضا بتوالى المرض اى
دوامه او تكرره او شدته اى قوته والمه فهذا حال المومن فى حياته والكافر
حاله بخلاف هذا الحال الذى اعتاده المومن فهو معافا من الامراض والبلايا

فى غالب حاله اى فى حاله الغالب عليه واكثر اوقاته ممتع اى متنعم ومتنعم
بصحة جسمه لعدم ابتلائه بالامراض استدراجا له حتى يغفل عن اخرته كالارزة
الصما اى الشجرة التى هى غير مجوفة فلا تزال كذلك حتى اذا اراد الله هلاكه بحضور
اجله وانقراض عمره قصمه اى كسره لحينه اى لوقته الذى حضر فيه اجله على
غرة بكسر اوله وهو الغين المعجمة وراء مهملة مشددة وتا تانيث اى على غفلة وفى
الاساس يزل يطلب غرته حتى اصابها اى يترقب غفلته ليهجم عليه ويتمكن منه واخذه
بغتة وفجاة من غير لطف ولا رفق به بل بشدة وعنف تضربه الملائكة وكان
موته اشد عليه حسرة تمنيه وذلك لعدم تاهبه له ومقاساة نزعه اى نزع روحه
منها وقبضها مع قوة نفسه وصحة جسمه بعدم ما يعتريه من الاسقام والالام
الما وعذابا له فى الدنيا ولعذاب الاخرة اشد عليه مما قاساه فى الدنيا
فى حال نزعه كانجعاف الارزة هو انفعال من الجعف بجيم وعين مهملة وفا وهو
القلع بشدة وفى نسخة بتقديم العين على الجيم وكما قال الله تعالى فى حق الكفار
فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون اى غافلون لاشتغالهم بامور دنياهم وعدم ما
ينبههم على عاقبتهم وكذلك عادة الله فى اعدائه من القوم الكفرة جارية على اخذهم
بغتة كما قال الله عز وجل فكلا من القوم الكفرة اخذنا بذنبه فمنهم من
ارسلنا اى انزلنا عليه حاصبا وهم قوم لوط والحاصب ريح تاتى بالحصبا وهى
حجارة صغار كما قال تعالى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل وخسف ارضهم كما بينه
المفسرون ومنهم من اخذته الصيحة وهم قوم صالح وشعيب اتتهم صيحة واصوات هايلة
وصواعق فاهلكتهم الاية ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا فنجا جميعهم من
بعض اتاهم فجاة بالموت على حال عتو بفتح العين المهملة ومثناة فوقية وواو مشددة
اى تكبر وتمرد وتجبر منهم وغفلة عما حل بهم وصبحهم اى اتاهم فى الصباح به
اى بالهلاك على غير استعداد اى تهيو لما سيحل بهم لاستدراجهم بغتة ولهذا
الامر الذى ياتى غفلة وكونه من شان الكفرة ذكر عن السلف من العلما والصالحين
انهم كانوا يكرهون موت الفجاة لحمله على غير استعداد له بتوبة ونحوها من
المرض المكفر للذنوب وفى نسخة ولهذا ما كره السلف موت الفجاة وحما بين صحة
الاولى قوله ومنه اى مما ذكر عن السلف ما روى فى حديث ابراهيم هو النخعى كما فى
النهاية وقد تقدمت ترجمته كانوا يكرهون اخذه كاخذة الاسف اى الغضب
لان من غضب على احد ياخذه بغتة بعنف وموت الفجاة يشبهه ويريد باخذة
الاسف موت الفجاة كما تقدم وتقدم انه ليس على اطلاقه وانه قد يكون راحة
للمومن وحكمة ثالثة فى مصايب الانبيا عليهم الصلاة والسلام والصالحين
ان الامراض نذير الموت بنون وذال معجمة اى منذرة به ومنبهة لمن يحل به وفى
نسخة نذير الممات وفى اخرى بريد بموحدة وراء ودال مهملتين بينهما مثناة تحتية
ساكنة اى رسول يجى من الموت يخبر بانه سيقدم وهو استعارة حسنة والبريد

فارسي معرب بريده دم اي بغلي مقطوع الذنب كان يعد في المنازل لرسل الملوك
وما قيل من انه لو قال يبعد ربما لموت كان احسن ليس بشي **ويعد وشدتها** اي شدة
الامراض **شدة الخوف من نزول الموت** لاندارها بما هو اشد منها **فيستعد من**
اصابته الامراض اي يتهيا بالاعمال الصالحة وزهده في الدنيا الفانية **وعلم**
تعاهدها له اي مجيها له مرة بعد اخرى يقال صديقي من يتعاهدني بنوالدعني
وبره اي كانه يذكره عهد ابيه وينبه وفيه استعارة لطيفة كما قال بعض العرب
ان الرجال لبرة اولادها وجبلت امراضها بقنادها فتلك زرع قد دنى حصادها
للقارية عزوجل ولقا الله كناية عن الانتقال للدار الاخرة والموت **وبعرض عن**
دار الدنيا بترك امورها **الكثيرة الانكاد** جمع نكد وهو ما يغم المرء ويسوءه وهو من
شانها ولا راحة لمومن بها وفي القاموس النكد الضيق والشدة **ويكون قلبه** اي
فكره **معلقا** اي مشغولا مهتما **بالمعاد** اي الاخرة وما بعد الموت وتعلق القلب عبارة
عن كثرة الشغل والتقيد **فيتنصل** بفوقية ونون وصاد مهملة اي يخرج **عن كل ما يخشى**
تباعته بكسر التاء العوقبة والذي في الصحاح فتحها وهي التبعة وما يترتب
على الامر وبعقبه من المواخذات والضرر **من قبل الله** اي حقوقه التي هي من جانبه
ومن قبل العباد اي حقوقهم فيخرج من عهدة تفاوتها لبلا يعاقب عليها **ويودي الحقوق**
التي في ذمته **الى اهلها** اي اصحابها بايصال المظالم واعطا كل ذي حق حقه **وينظر** اي يتفكر
ويتدبر **فيما يحتاج اليه من وصية فيمن خلفه** فعل ماض او ظرف بسكون اللام اي ما
بقي بعده من مال وولد ونحوه وفي نسخة فيمن يخلفه **او ينظر في امر عهده** اي يعهد به
فيوصي به كالدين ونحوه ورثته عليه وهذا اقلما يخلو منه احد وما قيل من انه انما
يليق باهل الدنيا الغافلين واما الانبيا فهم عن غير محتاجين لمثله ليس بشي ولو سلم فهو
بالنسبة لبعض المومنين ويرد الاول قوله **وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم المغفور**
له ما تقدم من ذنبه وما تاخر اشارة لما في اول سورة الفتح اي لو كان ثمة ذنب
سابقا او يكون فهو مغفور لا يواخذ به او ما يعد ذنبا من مثلك وفي الاية كلام في كتب
التفسير مشهور ومر انها نزلت عليه صلى الله عليه وسلم في مرجعه من الحديبية بعد بيعة
الشجرة وما وقع فيها **قد طلب التنصل** اي التخلص والخروج من عهدة ما في ذمته
في مرضه اي مرض موته وعده في مرضه لقربه منه لانه كما تقدم وقع في خطبة خطبها
قبل مرضه بايام فقال **فمن كان له عليه مالا وحق في بدن** كضرب وقع منه صلى
الله عليه وسلم لبعض اصحابه نحو عكاشة والاعرابي ونحوهما **واقاد من نفسه**
وماله اي مكن من له حق في بدنه من القود منه بفعل مثل ما فعل **وامكن من**
القصاص منه وان لم يكن عليه حق في نفس الامر كما بيناه **على ما ورد في حديث**
مروي عن **الفضل** بن العباس عنه صلى الله عليه وسلم انه ضرب اعرابيا بقضيبه
فلما خطب الناس وقال من كان له علي حق فليطلبه قام الاعرابي وقال يا رسول الله
القصاص فلما كشف له عن بطنه الشريف التزمه وقبله وقال انما اردت هذا **وكما**

ورد

ورد في السير **في حديث الوفاة** اي وفاته صلى الله عليه وسلم فانهم رووا فيه انه
صلى الله عليه وسلم قبيله استحل الناس فيما لهم عليه من الحقوق كما مر وما قيل من ان
هذا ليس في موقعه لان التنصل من الحقوق مطلوب من ادنى المومنين فكيف باعلاهم
عند موته ناس من عدم الفهم لانه صلى الله عليه وسلم لم يكن لاحد عليه ما يجب عليه التنصل
منه ولو كان فهو مغفور ومع ذلك تنصل منه رعاية لظاهر الحال ورعاية للمومنين
وهذه اعلى المراتب **واوصى** صلى الله عليه وسلم في مرض موته **بالثقلين بعده** وقوله
كتاب الله وعترته بدل من الثقلين او عطف بيان مبين للمراد بهما والثقلين تثنية
ثقل وهو ما يثقل من الثقل ضد الخفة وهما الانس والجن فهما لهما ثقلين تغليبا لانهما
وان عمارة الدنيا بهما كما فسر بالانس والجن ولرجحان قدرهما لان الرجحان في الميزان
بثقل ما فيها اولانه يثقل رعاية حقوقهما والعترة بمثناة فوقية الاقارب الادنون واهل
البيت واختلف في المراد بهم فقيل من يحرم عليه الزكاة وقيل بنو عبد المطلب وقيل غير ذلك
وحديث الوصية رواه مسلم وفيه انه صلى الله عليه وسلم خطبهم وقال ايها الناس انما انا
بشر مثلكم يوشك ان ياتيني رسول ربي فاجيبه واني تارك فيكم الثقلين اولهما كتاب
الله فيه الهدى والنور فتمسكوا به وحث على ذلك ثم قال واهل بيتي اذكركم الله في اهل
بيتي ثلاثا والكلام عليه مستوفى في شروحه **واوصى بالانصار عيبته** والعيبة بعين
مهملة مفتوحة وياء ساكنة وموحدة ما يجعل المرء فيه نفيس متاعه وفي حديث البخاري
الانصار كرشي وعيبتي ولما كان الكرش مقرا للغذاء من الحيوان كالمعدة للانسان
تجوز به عن موضع اسراره التي تخفى وعبر بالعيبة عن مقر ما يظهر من مهماته وهو ابلغ
كلام واوجزه الذي لم يسبق اليه كما قاله ابن دريد وقد تقدم الكلام عليه مبسوطا وهذا
ايضا مما قاله صلى الله عليه وسلم في خطبته التي لم يخطب بعدها وبقيته وقد قضوا الذي عليهم
وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم **ودعا** اي طلب صلى الله عليه وسلم
من الصحابة في مرض موته **الى كتب كتاب لئلا تضل امته بعده** كما تقدم بيانه وما
فيه وانه **اما في النص على الخلافة** لمن هو بعده وهو الاصح كما مر **اوما الله اعلم بمراده**
الذي اراد ان يكتبه ثم **راى** صلى الله عليه وسلم ان لا يجزم به وهو ان **الامساك عنه وتركه**
افضل وخيرا من كتابته لانهم خالفوه وامتنعوا مما اراده كما تقدم تفصيله **وهكذا**
اي مثل ما وقع له صلى الله عليه وسلم في اخر عمره من التنصل والوصية **سيرة عباد الله**
المومنين واوليايه المتقين اي دابهم وطريقتهم ان يتنصلوا من الحقوق ويوصوا عند
الموت تاسيا به صلى الله عليه وسلم **وهذا** المذكور **كله** مما يفعل عند حلول الاجل
يحرمه غالب الكفار وقد يقع لبعضهم ولا يفيده شيا وانما حرموا هذا **لان املا الله** اي
امهاله لهم حتى تنصرم اعمارهم وانما املى لهم **ليزدادوا اثما** بكفرهم ومعاصيهم وغفلتهم
عن حقوق الله وحقوق عباده **واستدراجهم** اي تقربهم من الهلاك درجة بعد درجة
من حيث لا يعلمون لغفلتهم بما هم مشغولون به من امور الدنيا منهمكين في غيهم متقلبين
في نعم الله الدنيوية التي توهموا استحقاقها وانما هي لقطع معذرتهم ومزيد عذابهم بالكفر

ابن افنبرس

عرضى

ابن افنبرس

وكفران النعم حتى يأخذهم بغتة على غرة كما قال الله تعالى ما ينظرون الا صيحة
واحدة الآية تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون والمراد
بالصيحة نفخة الصور الاولى والاخذ الاهلاك بغتة ويخصمون بمعنى يختصمون في معاملاتهم
وقد ورد ان الساعة تقوم على الناس وهم في الاسواق وهم يتبايعون ويختصمون بفتح الكاف
وفيه كلام طويل في كتب القراآت والعربية ولذلك اى لكون عادة الانبيا التنصل
من الحقوق والوصية عند الموت قال صلى الله عليه وسلم في حديث متقدم رواه عن
انس في رجل مات فجأة سبحان الله المقصود بها التعجب كما تقدم بيانه والتعجب من
موته فجأة كانه مات على غضب من الله اشار الى ان المراد بالغضب عليه انه محروم
من الثواب ولطف العزيز الوهاب فقال المحروم من حرم وصيته فانها مستحبة وذهب
بعضهم الى وجوبها وقيل انها كانت واجبة اولا لقوله تعالى كتب عليكم اذا حضر احدكم
الموت خيرا الوصية الآية نسخت وقال صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه احمد
عن عائشة موت الفجأة راحة للمؤمن الذي ليس عليه تبعة يحتاج للوصية بها لراحته
من سكرات الموت واخذة اسف بفتحها بمعنى غضب وبكسرها بمعنى غضبان ومنه فلما آسفونا
انتقمنا منهم للكافر او الفاجر اى المنهمك في المعاصي والشك من الراوي ورجح بعضهم
كونها من الحديث والمراد بالفاجر المنافق فتأمل وذلك اى كون موت الفجأة كذلك
لان الموت يأتي المؤمن وهو غالبا اى في اكثر احواله واوقاته او على غالب المؤمنين يأتيه
الموت حالة كونه مستعد له اى متهيئا باعماله الصالحة ووصيته وتنصله منتظر
لحلوله اى غير غافل عنه وفي نسخة برفعهما فهان امره اى الموت عليه كيف ما جاء
في اى حال حل به وافضى اى اوصل الى راحة من نصب وتعب الدنيا واذاها
لو تركه او افضى كان اوضح واذاها من انكادها واكدارها كما قيل

خلقت على كدر وانت تريدها ... صفوا من الاقذاء والاكدار

كما قال عليه الصلاة والسلام في حديث رواه الشيخان عن ابي قتادة في جنازة مرت
به فقال يقال تعقيبا للموتى بعد موتهم انهم مستريح من اذى الدنيا ونصبها اذ لا
راحة للمؤمن دون لقاء ربه ومنهم من هو مستراح منه اى يستريح من ظلمه واذاه
العباد والبلاد والشجر والدواب وقد ورد تفسير النبي صلى الله عليه وسلم له بهذا
وبتامه قد يمنع القطر ويحل البلا وتأتي الكافر والفاجر منيته على غير استعداد
لها والمنية الموت من منى بمعنى قدر لانها مقدرة في وقت مخصوص ولا اهبة بضم
الهمزة بمعنى التأهب والاستعداد ولا مقدمات بفتح الدال وكسرها من قدم
بمعنى تقدم او من المتعدي وهو قدمه اى ما تقدمه من امراض ونحوها منذرة
من الانذار وهو الاعلام بما يخاف منه مزعجة اى محركة له على تدارك ما يلزمه بل
تأتيهم بغتة وفجاة فتبهتهم اى تدهشهم وتذهب عقولهم بحيرتهم فلا يستطيعون
ردها بدفعها ولا هم ينظرون اى لا يمهلون بعد مجيئها فلا يؤخرون ساعة بعد
امهالهم الاول وهو اقتباس من الآية فكان الموت اشد شي عليه لذلك وفراق

الدنيا

الدنيا افظع بفاء وظاء معجمة وعين مهملة اى اشق واكره واشنع امر يصدمه اى اصابه
بشدة ... فلا غفلة عنه واكره شي له لانه كما ورد ايضا ان المؤمن اذا مات كان كالغائب
لانه كما ورد ايضا ان يقدم على اهله يسرهم قدومه وغيره كالعبد الآبق يرد على سيده
والى هذا المعنى المذكور اشار صلى الله عليه وسلم بقوله في حديث رواه الشيخان عن
عبادة بن الصامت من احب لقاء الله بقلبه وما علمه عند موته احب الله لقاءه باكرامه
له في جواره للملأ الاعلى ومن كره لقاء الله بسخطه وعدم رضاه بقبض روحه كره الله
لقاءه لانه كفر نعمته وعصاه ومن فيه شرطية او موصولة ويؤيده رواية اذا احب الله
الخ واحتمال الظرفية بخلاف الظاهر وعلى الشرطية قال الكرماني يحتاج للتأويل لان
الشرط ليس سببا للجزاء اى لمعنى احب واعلم بحبه لقاءه اذ محبة الله قديمة سابقة فالمراد
ظهورها لنا وهو كلام حسن لا يرد عليه شي بما قاله ابن حجر واتم الله هو مقام الضمير
تنويها بشأنه ومشاكلة تتميما اعلم ان العز بن عبد السلام قال في كتاب فوائد
المصائب ان لها فوائد تختلف باختلاف الناس كمعرفة الربوبية وقهرها ومعرفة العبودية
وذلها واليه الاشارة بقوله الذين اذا اصابتهم مصيبة الخ اى اعترفوا بانهم عبيده وملكه
ومرجعهم لحكمه وقضائه لا محيد لهم عنه ومنها الاخلاص لله اذ لا يكشفها الا هو كما قال
وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو والتضرع والدعا قال تعالى واذا مس الانسان
ضر دعانا ومنها الصبر والحلم والعفو عن جناتها والفرح بها لاعتبار الثواب والشكر
على العافية ومحو السيئات بها ورحمة المصاب بها غيره ومعرفة قدر النعمة الزائلة عنه وترتب
منافع خفية بها كما قيل كم نعمة مطوية كذلك اثناء المصائب ومنها من التكبر والخيلا
والرضى بها قدره الله فلذا كان اشد الناس بلاء الامثل فالامثل الخ ما فصله
القسم الرابع من هذا الكتاب في تصريف وجوه الاحكام وفي
نسخة تصرف والمراد بيان وجوهها وسبب الاختلاف فيها الذي اوجب تغييرها من
قول الى آخر فيمن تنقصه صلى الله عليه وسلم بذكر ما فيه تحقير له وغض من علو مقامه
وسبه اى بذكر ما فيه سب وشتم له صلى الله عليه وسلم قال القاضي ابو الفضل
عياض المص رحمه الله قد تقدم في هذا الكتاب من الكتاب والسنة واجماع الامة
ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله عليه وسلم اى التي يستحقها لذاته وما يتعين له
على امته بل الناس كافة من بر اى احسان قول وفعل يتعلق به صلى الله عليه وسلم
وتوقير اى تعظيم وتبجيل وتعظيم واكرام لاحترام مقامه وبحسب هذا
بفتح السين اى بمقدار اعتبار ما يجب ويتعين له حرم الله اذاه في كتابه كما سيأتي
بيانه وهذه قرينتها واجمعت الامة على قتل منتقصه من المسلمين صلى الله عليه
وسلم وسابه وقيده بالمسلمين لاختلافهم في الفاعل لذلك من الكفار هل يقتل وينتقض
عهده ويبلغ مأمنه وباقي ذلك مبسوطا في فصل معقود له وقد قيل ان في دعواه
الاجماع في المسلم نظرا لان من مذهب الشافعي ان من تنقصه يعتبر قذفا من المسلمين
وكذا سائر الانبيا يستتاب فان تاب لم يقتل ومن تتبعه خلاف ايضا فقيل

عرضي

يقتل لان حد القذف لا يبطا القتل فلا يستتاب وقيل ان تاب فورا واسلم بعد الردة يحد حد القذف ولا يقتل كما حكي عن كثير منهم فلا ينبغي دعوى الاجماع فيه الا ان يريد اجماع اهل مذهبه من المالكية او عدم الاعتداد بالمخالف فيه واقول ان مراده الاجماع على وجود موجب القتل فيه لكفره وردته فان تاب وقبلت توبته خرج عما استوجبه الاجماع ولو صرح به كان اظهر الا ان هذه العبارة عبر بها السلف كلهم كما نقله السبكي في كتابه السيف المسلول على من سب الرسول واشار الى ان الاجماع على كفره وردته الموجبة لقتله اجماعا وان عرض ما يمنعه بعده وقال انه لم يخالف فيه احد الا ابن حزم القائل بعدم كفر من استخف به صلى الله عليه وسلم ولم يتبعه احد عليه ولاعبرة به فالمعترض لم يقف على مراد القاضي ولم يفرق بين الوجوب والوقوع وسياتي ان شاء الله بيانه ثم ذكر ما يؤيد ما اتى له من الايات فقال قال تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا فيه استيفاء ما ذكره لان من لعن في الدنيا والاخرة واعد له العذاب لا يكون الا كافرا وقرن اذيته صلى الله عليه وسلم باذيته تعالى للدلالة على ان من اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اذى الله فما قيل من انه لا يدل على مدعاه من الاجماع كلام ناش من عدم العلم بمراده وقال تعالى والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم يعني في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بخلود العذاب وقال تعالى وما كان لكم اي لا يجوز ولا يصح كما مر ان تؤذوا رسول الله بكل ما يكرهه قولا وفعلا ولا كان لكم ان تنكحوا ازواجه من بعده اي بعد موته ابدا فحرمتهن عليهم مؤبدة لانهن امهات المومنين ان ذلكم المذكور من الاذية والنكاح كان عند الله عظيما لقبحه ومنعه شرعا واستحقاق فاعله الخزي في الدنيا والاخرة وقال تعالى في تحريم التعريض له صلى الله عليه وسلم بما يؤذيه من غير تصريح به يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا الاية وذكر ما يدل على المنع عن التعريض بعد ما يكون صريحا مترتب حسن فالنهي عن اذيته صلى الله عليه وسلم صريحا وتعريضا فيه دلالة على ما ادعاه بالطريق الاولى والاقوى فالاعتراض بانه غير دال على ما ادعاه لا وجه له غير قلة التدبر واراد المص بالتعريض الايهام والتورية بما يوهم ذلك وذلك ان المومنين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كلمهم بما لا بد دونه راعنا اي ارع جانبنا وتمهل علينا حتى نفهم ما تقول فلما سمعهم اليهود انتهزوا الفرصة في تنقيص مقام النبوة فكانوا يقولون له صلى الله عليه وسلم ذلك يقصدون سبه اما لانها كلمة سب بلغتهم بالعبرانية او يقصدون بها وصفه بالرعونة وهي الحمق فتفطن لذلك بعض الصحابة فقال لهم لئن لم تنتهوا عن مخاطبته بهذا لاخبرته بما قصدتم فقالوا الستم تقولونها فانزل الله هذه الاية نهيا للمومنين ان يقولوا ما يتوصل به اليهود لسبه صلى الله عليه وسلم كما اشار اليه المص بقوله وذلك المذكور من التعريض وجهه ان اليهود لعنهم الله تعالى كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم راعنا يا محمد اي ارعنا سمعك اي ارع جانبنا بتوجيهك الينا والقا سمعك نحونا واسمع

ابن ادريس

منا ما نتكلم به عندك ويعرضون بالكلمة يقصدون معنى غير ظاهرها يريدون الرعونة اي يقصد وبها اسم فاعل من الرعونة وهي خفة العقل فينصبونه بتقدير كن او صرت راعنا اي ذا رعونة فنهى الله المومنين في هذه الاية عن التشبه بهم بقول مثل مقالتهم له صلى الله عليه وسلم والمراد بالتشبه فعلها بالنية من غير قصد وامروا ان يقولوا ما يؤدي معناها من غير ايهام وهو انظرنا واسمع منا اي انتظر فهمنا وقطع الذريعة بنهي المومنين عنها اي عن هذه الكلمة الموهمة او الضمير للذريعة وقطع مصدر او فعل ماض اي قطع الله الذريعة وسد بابها بهذا النهي والذريعة هي الوسيلة الموصلة لامر غير محمود وسد باب الذريعة قاعدة عند الامام مالك مشهورة تقدم الكلام عليها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق الى سبه صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به لانهم كانوا يقولونها ويتغامزون وقيل بل نهى المومنون عنها لما فيها من مشاركة اللفظ اي كونه مشتركا بين معنيين لانها اي هذه الكلمة عند اليهود في لغتهم بمعنى اسمع لا سمعت دعا عليه في لسانهم كان ذلك فلا يقولونه للنبي صلى الله عليه وسلم على سبيل التهكم يقصدون به وصفه بالرعونة ويوهمون انهم يقولون راعنا اي احفظنا انتهى ومعناها الدعاء عليه كاسمع غير مسمع وهي عبرانية كانوا يتسابون بها واصلها راعين كانظرنا بمعنى انظر الينا بالحذف والايصال وانتظرنا وتأن حتى نفهم ما تقول وقيل بل نهوا عنها لما فيها من قلة الادب وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لانها في لغة الانصار بمعنى ارعنا نرعك اي ان راعيتنا راعيناك لانها صيغة مفاعلة من الجانبين وسوء الادب فيها ظاهر فنهوا عن ذلك لما فيه من ترك الادب معه صلى الله عليه وسلم اذ مضمونها اي مدلولها عندهم انهم لا يراعونه ويحفظون حقه الا برعايته صلى الله عليه وسلم لهم وهذا النهي مخصوص بزمان النبوة كما في لسان الواحدي في الوسيط وهو صلى الله عليه وسلم واجب الرعاية على كل احد بكل حال اي في كل حال سواء راعى غيره ام لا والجواب الثاني قريب من الاول الا انه يحتمل ان الثالث فيه نسبة ما لا يليق للصحابة رضي الله عنهم لانهم اعرف بمقام النبوة واجل من وقوع تقصير منهم في التادب معه وهو صلى الله عليه وسلم قد نهى الناس في الحديث المشهور عن التكني بكنيته الشريفة وهي ابو القاسم كني باسم بعض اولاده وتقدم ان القاسم اكبر اولاده ولذا كني به واختلف فيه هل مات قبل البعثة او بعدها والكنية ما صدرت باب او ام والتعب ما اشعر بمدح او ذم والعلم ما عداهما واختلفوا فيها هل تنهى على الدوام او لا فقال تسموا باسمي اراد به محمدا لانه اشهر اسمائه صلى الله عليه وسلم واشرفها والتسمية مستحبة متيمنة ورد فيها احاديث كثيرة مشهورة وتركها معروفة ولا تكنوا بكنيتي بفتح التاء الفوقية والكاف وتشديد النون واصله تتكنوا بحذف احدى التاءين تخفيفا قياسا وقيل اصله تتكنوا فحذفت النون الاولى لالتقاء الساكنين وهو تكلف من غير داع وقيل انه روي تكنوا مخففا ساكن الكاف والاول اشهر واظهر وورد لا تكتنوا انتصاصا منه لنفسه عن ان يشاركه غيره في كنيته المنوهة برفعه

قدره وهو وما بعده مفعول له منصوب وحماية اى حفظا عن اذاه اى ان يوذيه
غيره ثم بين علة المنع ونادبه بذلك بما وقع فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم بقوله
اذ كان صلى الله عليه وسلم استجاب اى اجاب والتفت لرجل نادى يا ابا القاسم
من خلفه وهو فى السوق فقال له الرجل الذى نادى لم اعنك اى اقصدك بندائى
هذا انما دعوت هذا يشير لرجل ثمة وابو القاسم المذكور قيل انه رجل من الانصار
فنهى صلى الله عليه وسلم حينئذ اى حين اذ وقعت هذه القصة عن التكنى بكنيته بضم
الكاف وقد تكسر من كنيته وكنوته واصل الكناية الستر لئلا ينادى باجابة دعوة
غيره الصادرة ممن لم يدعه اذ ظنه دعاه والتفت نحوه وجد بذلك المنافقون
والمستهزيون من الكفرة ذريعة اى وسيلة وطريقا الى اذاه بندا غيره ايهاما
لندائه واسماعا له والازراية اى الاستخفاف وتحقير اية فيما دونه بكنيته فاذا
التفت صلى الله عليه وسلم لمن ينادى تخالوا له حين اجابهم انما اردنا هذا مشيرين لغيره
وضعا لسواه ممن تكنى بكنيته تعنيتا له اى ايقاعا له فى العنت وهو الامر الشاق فهو
بعين مهملة ونون ومثناة فوقية واستخفافا بحقه اى تقصيرا وتحقيرا بالعدو ونحو
ذلك غيره على عادة المجان بضم الميم وتشديد الجيم قبل الف ونون جمع ماجن
من المجون وهو الهزل والسخرية فحمى صلى الله عليه وسلم حمى اذاه اى منع منه منعا
تاما فان من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه بكل وجه يفضى اليه ولذا منع من
المشاركة فى كنيته فيحسم منه المنع ما يوهم معنى قبيحا بالطريق الاولى كقولهم راعنا
ونحوه ثم شرع فى بيان حكم التكنى بكنيته شرعا فقال فحمل محققو العلماء نهيه اى جعلوا
حكمه فى المنع ونهيه عن هذا المذكور من التكنى بكنيته على مدة حياته لان علته ما ذكره
بما عه انما يتصور فى حياته واجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة المذكورة
بموته صلى الله عليه وسلم والشئ قد يرتفع بارتفاع ما علل به ويبتنى بانتهائه فلا يقال
ان عموم لفظه اباه وللناس من العلماء فى هذا الحديث يعنى حديث تسموا باسمى ولا
تكنوا بكنيتى مذاهب ليس هذا موضعها التى تذكر فيه مفصلة لطولها وما ذكرناه من
تخصيصه بحياته لما تقدم هو مذهب الجمهور اى اكثر الفقهاء والمحدثين وهو
الصواب ان شاء الله من الاقوال وهى كثيرة احدها المنع مطلقا سواء كان اسمه
محمد ام لا وروى عن الشافعى الثانى الجواز مطلقا الثالث لا يجوز لمن اسمه محمد ويجوز
لغيره وعليه عمل السلف وصححه الرافعى وبالغ بعضهم فقال لا يجوز ان يسمى احد
ابنه القاسم لئلا يكنى بابى القاسم والرابع منع التسمية بمحمد مطلقا والتكنى بابى القاسم
مطلقا واستدل ما يانى قريبا ان عمر رضى الله عنه غير اسماء جماعة سموا بمحمد من
اولاد الصحابة ونهى ايضا عن التسمية باسماء الانبياء اعظاما لهم عن ان يسبوا ويسرك
لسبهم لكنه كما صح بانه اندرج عن هذا لما بلغه ان النبى صلى الله عليه وسلم سمى به بعض
من ولد فى حياته والخامس المنع مطلقا فى حياته والتفصيل بعده بين من اسمه محمد
او احمد فيمتنع ويجوز فى غيره والسادس انه يجوز فى حياته لمن سماه النبى وكناه

كما يانى من انه روى عن على كرم الله وجهه انه قال له يا رسول الله ان ولد لى ولدا
سميته باسمك واكنيه بكنيتك قال نعم وهو محمد بن الحنفية المكنى بابى القاسم ولذا قيل الاصح
ان النهى مخصوص بحياته صلى الله عليه وسلم الا من اذن له النبى صلى الله عليه وسلم فيه والذى
سلك له المصنف لدلالة الحديث عليه دلالة ظاهرة ولبعضهم فى نظم ذلك
فى كنية بقاسم خلف وقع • فالشافعى مطلقا لها منع
ومالك جوز والنهى حمل • على الحياة والنواوى جمل
هذا هو الاقرب اما الرافعى • يمنع من سمى محمد اتبع
وان ذلك المنع انما جا فى حياته بكنيته فقط لانه كان لا ينادى باسمه تادبا على طريق
توقيره وتعظيمه فى عدم المشاركة فى كنيته ولان معنى القاسم من يقسم ارزاق الناس
ونحوه مما لا يليق بغيره انه ايضا انما منع على سبيل الندب والاستحباب الندب اكد
من الاستحباب لانه الاولى لا على التحريم لانه لا يلزم منه التاذى به حتى يقال يجب لا يجوز
ما فيه اذية له صلى الله عليه وسلم ولذلك اى كونه ندبا لا وجوبا لم ينه عن التسمية باسمه
مع وجود العلة فيه لكنه دفع ذلك المحذور بقوله لانه قد كان الله منع من نداه
به وحده لما فيه من ترك الادب بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
اى كما ينادى احدكم غيره باسمه فهو مصدر مضاف للمفعول او الفاعل كما كان يدعوكم باسمائكم
فانه جائز له صلى الله عليه وسلم ويجب اجابته مطلقا حتى ذهب بعض الشافعية الى انه تجب
اجابته فى الصلاة كغيره من الانبياء ولا تبطل بها الصلاة بالنسبة له صلى الله عليه وسلم وانما كان
المسلمون يدعونه اى ينادونه ويخاطبونه بقولهم يا رسول الله ويا نبى الله ولا
يقولون يا محمد وكذا يقولون يا ابا القاسم لما فى الكنية من التعظيم وتوقف فيه صاحب
الامتاع كما ندسا ولعله محل توقف ولذا قال المصنف وقد يدعوه بها الكنية لاسنادوه
للظاهر وفى نسخة يدعونه فالظاهر يدل منه بكنيته يعنى ابا القاسم لما فيها
من الادب وشتان ما التعظيم بعضهم فاعل او بدل بعض كما تقرر فى بعض الاحوال
وهو لا ينافى النهى عن التكنى بها كما توهم بل يناسبه اتم مناسبة الا انه نقل عن الشافعى
انه حرم نداءه صلى الله عليه وسلم بكنيته كما حرم نداءه باسمه فسوى بينهما لدخولهما
تحت قوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا لانهم كانوا ابتداءً يقولون بينهم
بالكنى وقد يفرق بينهما فكان هذا هو الداعى لتوقف صاحب الامتاع وفى الشرح
لا اتفق على ان احدا ناداه صلى الله عليه وسلم بكنيته بعد هذا النهى الا ان يكون
حديث عهد بالاسلام وقد روى فى حديث رواه الحاكم والبزار وابو يعلى وغيره
عن انس رضى الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ما يدل على كراهة التسمى باسمه العلم
وهو محمد او ما يشمله وغيره وتنزيهه اى تبعيد اسمه عن ذلك اى عن تسمية غيره به
تكريما له والكراهة كراهة تنزيه لا تحريم اذا لم يوقر اسمه والمسمى به اى يعظمه
فقال تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم واصله اتسمون بالاستفهام الانكارى
الدال على كراهته لمن اعتاد سب اولاده واسمائهم وقال الحافظ ابن حجر انه حديث

ضعيف ولا دليل فيه للكراهة مطلقا وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه كتب
الى اهل الكوفة لا يسمى بالبناء للمفعول او الفاعل احد باسم النبي صلى الله عليه وسلم
توقيرا له وخوفا ان يسب بما يوجب سبه سماه مطلقا حكاه عنه ابو جعفر محمد
ابن جرير الطبري الا انه رجع عنه لما روي له ما بان انه صلى الله عليه وسلم سمى ابن ابي طلحة
محمدا وغيره فقال فلا سبيل اليكم يعني في المنع وروي سعيد بن المسيب احب الاسماء الى الله
عز وجل اسماء الانبياء قال وانما كرهه عمر رضي الله عنه لئلا يسب المسمى به فتبرى لذلك
وحكي عن محمد بن سعد الواقدي الامام المشهور وقد تقدمت ترجمته انه اي عمر رضي
الله عنه نظر الى رجل هو ابن اخيه ابو عبد الحميد بن زيد بن الخطاب اسمه محمد
ورجل يسبه ويشتمه بقوله فعل الله بك يا محمد وصنع هو كناية عما شتمه به كما
يقال فلان الفاعل الصانع فقال عمر لما سمع شتمه باسمه لابن اخيه محمد بن زيد
ابن الخطاب الا ارى محمدا عليه الصلاة والسلام يسب بك اي بسبب
اسمك لما فيه من الايهام والكلمة تنبيه مركبة من همزة الاستفهام الانكاري ولا
النافية الا ان الاستفهام الانكاري ازال النفي وحقق ما بعدها ولذا اتلقى بما يتلقى به
القسم كان والله لا تدعى اي لا تسمى انت محمدا ما دمت انا حيا اي في مدة حياتي
توقيرا له صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاسمه ان يتهاون بسبب اسمه فغير اسمه محمدا
وسماه اي سمى عمر رضي الله عنه ابن اخيه الذي هو محمد عبد الرحمن فهو عبد الرحمن
ابن زيد بن الخطاب العدوي وامه بنت ابي لبابة ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم
فسمي محمدا فغير عمر اسمه واراد عمر رضي الله عنه في زمن خلافته ان يمنع الناس ان
يسمي احد باسماء الانبياء صلى الله وسلم عليهم اجمعين اكراما لهم اي للانبياء بذلك اي بمنع
التسمية باسمائهم لئلا يسبوا بما يوجب ذلك وغير اسماء جماعة تسموا باسماء الانبياء ثم
امسك اي كف ورجع عن منع التسمية لما مر وسيأتي والصواب جواز هذا كله
اي التسمية باسمه مع الكنية وبدونها وكذا التسمية باسماء الانبياء والملائكة لما مر
خلافا لمن منعه او كرهه بعده اي بعد حياته صلى الله عليه وسلم لان وجه النهي الذي
في حياته وهو غير منصور بعده بدليل اطباق الصحابة رضي الله عنهم على ذلك
اي على التسمية بما ذكر وجوازه وقد سمى جماعة منهم اي من الصحابة ابنه محمدا وكناه
بابي القاسم فجمع بين الاسم والكنية ولم ينكره احد منهم مع كثرة الصحابة اذ ذاك
فهذا كله يدل على انه غير ممتنع شرعا والاطباق بمعنى الاجماع هنا من المطابقة وهي
الموافقة مستعار من الاطباق بمعنى جعل شيء فوق شيء بقدره ومنه طابقت النعل ثم
شاع وصار حقيقة عرفية وانما جاز هذا لقصد التبرك المستلزم للتعظيم ولما ورد
في حديث رواه ابن وهب تسموا باسماء الانبياء واحب الاسماء الى الله عبد الله وعبد
الرحمن وسمى النبي صلى الله عليه وسلم ابنه ابراهيم وروي في حديث رواه ابو داود
والترمذي عن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اذن لعلي بن ابي
طالب في ذلك اي في الجمع بين الاسم والكنية وذلك انه قال له يا رسول الله ان ولد

لي

لي ولد بعدك اسميه باسمك واكنيه بكنيتك فقال له نعم فهذا دليل على ان المنع
مخصوص بزمانه وهذا الحديث رواه اصحاب السنن وصححوه كما قاله البرهان
الا انه قال حفظت من مشايخي انه روي انه عليه الصلاة والسلام قال لعلي سيولد لك
ولد بعدي وقد نحلته اسمي وكنيتي ولا يحل لاحد من امتي بعده انتهى فعلى هذا لا شاهد
فيه الان لنا لكبار الصحابة كابي بكر وابن عوف فعلوا ذلك وما ذهبوا به حجة وذلك المولود
به كما مر هو محمد بن الحنفية بن علي بن ابي طالب المشهور كنايته على علم وقد اخبر صلى
الله عليه وسلم في حديث روي عنه ان ذلك اي محمد وابو القاسم اسم المهدي وكنيته
الذي يظهر في اخر الزمان بعدما يظهر الفساد والجور فيملأ الارض عدلا وهذا ورد
في حديث رواه ابو سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصيب هذه
الامة بلاء حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ اليه من الظلم فيبعث الله رجلا من عترتي وفي رواية
من اهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم ابيه اسم ابي وكنيته كنيتي فيملأ الارض عدلا وقسطا
ويكثر المطر والنبات ويعيش سبع سنين او ثمان او تسع وفيه احاديث كثيرة افردت
بالتاليف ليس هذا محلها وقيل انه من ولد العباس رضي الله عنه وقيل غير ذلك والشاهد
فيها ذكر انه لو لم يكن جائزا بعده لما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم ونسمي به من
هو اصلح الناس واعلمهم واعدلهم في عصره ومما يدل على جواز التسمية باسمه انه قد
سمى النبي صلى الله عليه وسلم جماعة منهم محمد بن طلحة التيمي جيء به له صلى الله عليه وسلم
فمسح راسه وسماه باسمه وكناه بكنيته وهو المعروف بالسجاد وقتل يوم وقعة الجمل
ومحمد بن عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان الانصاري ولد سنة عشر وقتل في وقعة
الحرة سنة ثلاث وستين وهو من الفقهاء وروي عنه احاديث في السنن ومحمد بن ثابت
ابن قيس بن شماس الخزرجي اتى به ابوه النبي صلى الله عليه وسلم فحنكه وسماه محمدا وهو
ممن قتل بالحرة ايضا وروي عنه احاديث في السنن وغير واحد اي كثيرون سماهم
النبي صلى الله عليه وسلم باسمه من اولاد الصحابة وكانوا اذا ولد لهم ولد ربما اتون به للنبي
صلى الله عليه وسلم تبركا به فيسميه باسمه ويسميه وقد يحنكه بتمر وقد ذكر منهم جماعة الحافظ
الذهبي ونقلهم البرهان وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه ما ضر احدكم ان يكون
في بيته من اولاده الذكور محمد ومحمدان اثنان وفي نسخة وثلاثة واراد بنفي
الضرر النفع ولكنه لم يصرح به احترازا من المدح ومثل هذه العبارة يكنى بها عن
كثرة النفع كثيرا وقد فصلنا الكلام في هذا القسم الرابع على ما بين كما قد سماه في
بيان التراجم اول الكتاب

الباب الاول

في بيان ما هو اذا قيل في حقه عليه الصلاة والسلام اي بالنسبة اليه سب
وشتم او نقص مما لا يليق وان لم يكن شيئا من نقص بطريق الكناية والايماء او
نص او صريح لا يحتمل التاويل قال القاضي ابو الفضل عياض المؤلف رحمه الله
اعلم وفقنا الله واياك لمعرفة حق النبوة وما يجب له صلى الله عليه وسلم ان جميع من
سب النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه او عابه هو ما عم من السب فان من قال فلان اعلم منه

صلى الله عليه وسلم فقد عابه و نقصه ولم يسبه او الحق به نقصا فى نفسه وذا مما
يتعلق بخلقه وخلقه او نسبه كان نفضل احدا على قومه واصوله وكان يقول انه
صلى الله عليه وسلم لم يكن قرشيا فانه كفر كما صرح به الفقها ويأتى ايضا فى محله وليس
من تنقيص النسب ما وقع من الاختلاف فى اسلام ابويه كما هو ظاهر او دينه
اى نقص شريعته او نسبه لقصوره فيما يجب منها او خصلة من خصاله وصفة
من صفاته كشجاعته وكرمه او عرض به اى قال فى حقه صلى الله عليه وسلم ما لا
يليق به تعريضا لا تصريحا او شبهه بشى غير حسن على طريق السب له
بتنقيصه كما سيأتى او الازرا عليه اى التنقيص له وان لم يكن قصد السب او التصغير
لشانه اى تحقيره كتصغير اسمه او صفته من صفاته او الغض بمعنى اقل تنقيص وهو بغين
وضاد معجمتين واصل الغض نقص فى الصوت او الطرف كما قاله الراغب فاريد به مطلق
النقص القليل او العيب له فهو ساب اى كالساب معنى وفى نسخة والعيب بالواو
والحكم فيه حكم الساب الاتى من غير فرق بينهما من انه يقتل كما نبينه ولا نستثنى
نبوب المصادر معناه اى لا نخرج منه فصلا اى قسما وصورة كما يقال المسئلة على فصول
لفصل بعضها من بعض من فصول هذا الباب بجميع انواعها ولا نمترى نبون ايضا
اى لا نشك ولا نتردد فيه صريحا كان السب او تلويحا اى كناية وتعريضا
وكذلك من لعنه والعياذ بالله او دعا عليه او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا
يليق بمنصبه اى باصله وحسبه وهذا هو حقيقة المنصب كما قدمناه لا ما اشتهر
بين العوام على طريق الذم له حاشاه منه او عبث اى قاله على طريق الهزل والمجون
فى جهته العزيزة اى بشى له تعلق بجانبه الشريف بسخف من الكلام اى امر سخيف
رذل وهجر بضم الهاء وفتحها وهو الفحش والقبح ومنكر من القول وزور اى الكذب
عليه بما ليس لائقا بجانبه الشريف او عيره بعين مهملة ويا تحتية مشددة اى نسب
له صلى الله عليه وسلم ما يعد عارا عليه مما جرى من البلا والمحنة عليه كذكره ما اتفق له
صلى الله عليه وسلم مع العرب فى ابتدا دعوتهم كما فصل فى السير او غمصه بغين معجمة
وميم وصاد مهملة اى نقص من قدره ببعض العوارض البشرية الجائزة عليه
كالامراض ونحوها مما تقدم والمعهودة لديه اى المعتادة بينه وبين سائر الانبيا
وهذا كله غير جائز بوجب العقاب فى الدارين اجماع من العلما وايمة الفتوى
من ايمة المذاهب معروف متواتر بينهم من لدن عصر الصحابة رضوان الله عليهم
الى هلم جرا اى الى اخر الزمان وانقضا الدول لان عصر الصحابة وقرنا بعد قرن
بلا خلاف فيه وحكاية ابن حزم الخلاف فيه لا يعول عليها كما ياتى وقد تقدم بيان
الاجماع فيه وان من اعترض على المص لم يفهم مراده وان هذه العبارة منقولة عن الايمة
كلهم كما فى السيف المسلول على من سب الرسول للسبكى وفى نسخة من الصحابة واصحابه
وهو سهو من الناسخ حمل بعض المحشين على التكلف فى توجيهها وقوله
هجو بمعنى هذيان وتخليط لا يرد عليه ما ورد من قول عمر رضى الله عنه فى مرض موته

ابن اقبرس

تلمانى

صلى

صلى الله عليه وسلم يهجر فانه استفهام انكارى على الاصح فهو لم يصفه صلى الله عليه
وسلم بذلك حتى يقال كيف يعد كفرا وقد صدر ممن مثله ولا حاجة الى الجواب بانه لم
يقصد تنقيصه به ومثله ممنوع حتى قال الزركشى كالسبكى انه لا يجوز ان يقال له صلى الله
عليه وسلم فقيرا ومسكين وهو اغنى الناس بالله لا سيما بعد قوله تعالى ووجدك
عائلا فاغنى وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم احينى مسكينا اراد به المسكنة القلبية
بالخشوع والفقر فخرى باطل لا اصل له كما قاله الحافظ بن حجر العسقلانى وقوله
وزور قد علمت ان المراد به الكذب عليه صلى الله عليه وسلم بتعمد وصفه بما لا يليق به
واما الكذب عليه بنقل ما لم يقله فليس داخلا فيه لانه معصية لا كفر وقول الجوينى
من الشافعية ان تعمد الكذب عليه مطلقا كفر لانه قد يودى الى استحلال الحرام
وهو كفر قول شاذ مردود وما علل به واه جدا وقوله الى هلم جرا هلم كلمة مركبة
من ها التنبيه ولم فعل ماض ثم جعلت بمعنى اقبل وفيها لغتان احداهما ان تكون اسم
فعل يستوى فيه الواحد المذكر وغيره والثانية ان تستعمل استعمال الافعال باتصال
الضماير وقد تتعدى باللام وجرا منصوب على الحالية او التمييز او المصدرية اى
وجر جرا واصلها ان يرسل الابل للرعى وهى سائقها ثم جعل كالمثل وصارت بمعنى استدامة
الامر واتصاله فيقال كان كذا فى عام كذا وهلم جرا الى اليوم واصل معناه سيروا على
هينتكم من غير استعجال وحث لكن فى كلامه شى لم ينبهوا عليه وهو ادخال الى على هلم
مقابلة لمن الابتدائية الداخلة على لدن وهو غير مسموع بل غير صحيح لانها فعل فى
الحال او الاصل على اللغتين فكانه حذف مجرورها واصله الى وقتنا هذا وهلم
جرا وهو ايضا غير جار على وفق كلامهم وقال ابو بكر بن المنذر تقدمت ترجمته
وانه محمد بن ابراهيم النيسابورى اجمع عوام اهل العلم جمع عامة بمعنى جماعة كثيرة
والمتقدمون كالشافعى رضى الله عنه يعبر دون بهذه العبارة للعموم وليس المراد
العامى فانه غير صحيح اذ لا عبرة بهم وباجماعهم واهل العلم مضاف عليه لان العامى لا يكون اهل
علم على ان من سب النبى صلى الله عليه وسلم يقتل مطلقا وممن قال ذلك اى
حكم بقتله مطلقا مالك بن انس والليث بن سعد المصرى الامام المجتهد
المشهور واحمد بن حنبل واسحاق بن ابراهيم بن راهويه المشهور وهو
مذهب الامام الشافعى المنقول عنه فى الاشهر قال القاضى ابو الفضل
عياض المص رحمه الله ورضى عنه وهو مقتضى قول ابى بكر الصديق
رضى الله عنه ولم يقل وهو قول الصديق مع انه اظهر واخصر تلذذا بذكره
وعبر بالمقتضى لانه نقل عنه ما يدل عليه فى عهد خلافته وسيأتى ما يوضحه ولا تقبل
توبته عند هولا العلما بل يقولون بوجوب قتله مطلقا صونا لمقام النبوة كما قال المتنبى

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى ٭ حتى يراق على جوانبه الدم

وبمثله اى بمثل قول هولا بوجوب القتل وعدم قبول التوبة قال ابو حنيفة
واصحابه محمد وابو يوسف وزفر واهل مذهبه والثورى سفيان بن سعيد

مطلب الكلام على هلم جرا

الكوفى الفقيه سيد اهل عصره وامير المومنين فى الحديث والتقوى لم ير احفظ منه
ولا اجل ولم ير هو ايضا مثل نفسه وهو منسوب لثور وهى قبيلة توفى سنة احدى
وستين ومائة واهل الكوفة من عطف العام على الخاص لان الثورى وابا حنيفة
كوفيان والاوزاعى عبد الرحمن بن عمرو الامام الجليل فى الحديث والفقه
والتوسل والزهد والعبادة حبر هذه الامة مات فى جمادى سنة سبع وخمسين
ومائة ونسبته للاوزاع لقب لابى بطن من حمدان فى المسلم خاصة دون الكافر
وفى نسخة المسلمين وكلهم قال هو ردة اى يرتد صاحبها ويكفر به وانث
الضمير لتانيث الخبر على القاعدة وعلى هذا يستتاب كالمرتد وقيل انه يمهل ثلاثة
ايام ونقل هذا عن عمر رضى الله عنه واذا قتل يضرب عنقه وقال الماوردى يضرب
بالخشب ولا يحرق ولا يدفن فى مقابر المسلمين ولا المشركين وروى مثله الوليد
ابن مسلم ابو العباس الدمشقى مولى بنى امية عالم اهل الشام كما تقدم وانه
ولد سنة عشر ومائة وتوفى سنة خمس او اربع وتسعين ومائة فى المحرم ويقال له
كما فى نسخ ابن ابى مسلم والاول اصح عن مالك فى احدى الروايتين عنه وحكى
الطبرى محمد بن جرير وقد تقدم مثله عن ابى حنيفة واصحابه فيمن تنقصه
اى نسب له صلى الله عليه وسلم نقصا دون السب او برئ منه او كذبه فهو مرتد
يجرى فيه ما تقدم من حكم المرتد وقبول توبته وقال سحنون هذا ممنوع من
الصرف للعلمية وشبه العجمة كما قال له المعرى فى كتاب ذكرى حبيب وقال ابن حجر
فى لسان الميزان هو عبد السلام بن سعيد بن حبيب بن حسان
ابن هلال بن بكار بن ربيعة التنوخى ابو سعيد الفقيه المالكى غلب عليه لقبه
وسمع من ابن وهب وابن القاسم واشهب وغيرهم وقال ابى يعلى لم يرض اهل الحديث
حفظه فما لغوه فيه فقالوا انه انتشرت امامته وسلم له اهل عصره واجمعوا على
فضله وتقدمه وانه اجتمع فيه خلال لم تجتمع فى غيره من الفقه والورع والزهد
والسماحة ولد فى رمضان سنة ستين او احدى وستين ومائة وتوفى فى سنة اربعين
ومائتين لتسع خلون من رجب وهو ابن ثمانين سنة انتهى فيمن سب ذلك اى
سبه ردة له حكمها كالزندقة مصدر تزندق وهو مأخوذ من الزنديق
وهو لفظ معرب فى اصله اختلاف وهو يطلق على معان فيقال على الثنوى القائل
بالنور والظلمة كالمانوية وعلى من لا يؤمن بالاخرة والربوبية وهو اشهر معانيه
وعلى من يبطن الكفر ويظهر الايمان والفرق بينه وبين المنافق مشكل وعلى من
لا ينتحل دينا وهو مشهور ايضا والفرق بين هذا القول وبين القول بانه
ردة عند ابى حنيفة انه يوجد منه الجزية لانه تقبل توبته قبل الاخذ كما قاله
قاضى خان لانهم باطنية يخفون خلاف ما يظهرون وعند الشافعى الزنديق لا
تقبل توبته وقيل لا تقبل وتفصيله مع ادلته فى كتب الفروع وليس هذا
محل تفصيله وتانى الاشارة الى شىء منه وبنا على هذا المذكور من قول
سحنون

سحنون وغيره انه وقع الخلاف فى استتابته هل هى لازمة اولا وتكفيره اى فى الحكم
بكفره بقتال كفره واكفره على الصحيح خلافا لمن جعل الاول من الكفارة وهو غلط مشهور
ووقع الخلاف ايضا فى قتله هل قتله حد لانه لمن قذف الانبيا وسبهم جزاء عليه كسائر
الحدود ام هو كفر لانه كقتل المرتد بردته كما سنبينه فى الباب الثانى من القسم الرابع
ونحن ان شاء الله نبين ما فيه تفصيلا مع الفرق بينهما وما فيه ولا نعلم لكم زعما ولا
نعلم خلافا بين علماء الاسلام فى استباحة دمه اى انه هدر لا استحقاقه القتل بسببه
صلى الله عليه وسلم بين علماء الامصار اى البلاد العظيمة كمكة والمدينة وبغداد وعلماؤها
اعظم واعلم من غيرهم وسلف الامة المتقدمين من الصحابة والتابعين ومن تبعهم
باحسان وقد ذكر غير واحد هو كناية عن الكثرة عندهم الاجماع على قتله وتكفيره
اى عده كافرا مستحقا للقتل واشار بعض الظاهرية وهم قوم على مذهب داود الظاهرى
الذى كان يرى وجوب الاخذ بظاهر الاحاديث والنصوص من غير تاويل وهو اى هذا
البعض ابو محمد على بن احمد الفارسى وهو الامام العالم العلامة المشهور الحافظ المعروف
بابن حزم بن غالب ويتصل نسبه ابى سفيان بن حرب وهو فارسى اموى الاصل قرطبى ظاهرى
كتابه فى مذهب داود المسمى بالمحلى كبير وقفت عليه فى مجلدات ضخمة ولد بقرطبة سنة
اربع وثمانين وثلاثمائة وترجمته ونصانيفه مفصلة فى التاريخ وقيل لسان ابن حزم وسيف
الحجاج شقيقان الى الخلاف فى تكفير المستخف به صلى الله عليه وسلم بتصغير شانه او بشئ
يتعلق به من غير سب صريح وهو قول مردود عليه والمعروف ما قدمناه من تكفيره
وفيه اشارة الى عدم الاعتداد باقوال الظاهرية النافين للقياس وفيه خلاف هل
يجوز العمل بقولهم ام لا والصحيح عدم الجواز وما ذهب اليه ابن حزم دليله انه وقع ذلك فى
عهده صلى الله عليه وسلم لكثير من الاعراب ومن غيرهم كالحكم ولم يقتلهم صلى الله عليه وسلم
وجوابه ظاهر ولا يقاس حالنا اليوم عليه لانه فى بدء الاسلام كان يتالف القلوب
ويسامح اما اليوم فلا وقال محمد بن الامام سحنون الذى سبق بيانه قريبا وابنه
هذا ايضا من اجلة المالكية والمحدثين وله مصنفات عديدة وتفقه على ابيه وكان مغنى القيروان
بعده وهو عظيم القدر قوى المناظرة اجمع العلماء على ان شاتم النبى صلى الله عليه
وسلم المتنقص له لو بعضه كان احسن كافر مرتد بسببه والوعيد الذى ورد فى الايات
جار عليه لشموله له بعذاب الله له لقوله تعالى لهم عذاب اليم فى الاية وحكمه عند
الامة اى امة الاجابة القتل ومن شك فى كفره وعذابه كفر لان الرضى بالكفر كفر
وللتكذيب للقران فى قوله والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم قال ابن حجر وما
صرح به من كفر الساب والشاك فى كفره هو ما عليه ائمتنا وغيرهم لكنه عندنا كالمرتد
فيستتاب وجوبا فورا فان اصر قتل ولو امراة فان اسلم صح اسلامه وترك وبانى
ذلك فى محله قيل وفى جزمه بكفره بعد نقل الخلاف فيه نظر وكيف يصح قوله من شك
فى كفره وعذابه كفر مع ذكر الخلاف فيه اولا قلنا ما مثل واحتج ابراهيم بن حسين
ابن خالد الفقيه فى مثل هذا وفى نسخة على مثل هذا بقتل خالد بن الوليد مالك بن

نويرة علم من تصغير نار لقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم يعني به النبي
صلى الله عليه وسلم وفيه تنقيص له بتعبيره عنه بصاحبكم دون رسول الله ونحوه واضافته
لهم دونه المشعر بالتبري من صحبته واتباعه واستنكافه وهو في غاية الظهور ومالك
ابن نويرة هذا كان له وفادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شجاعا شاعرا سيدا
مطاعا في قومه بني تميم فولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم وعلى اخذ زكاتهم فمنعها
بعده صلى الله عليه وسلم فارسل ابو بكر خالد بن الوليد لطلبها فقال له مالك بن نويرة
انا اتي الصلاة دون الزكاة فقال له لا تقبل احديهما بدون الاخرى فقال قد كان
صاحبكم يقول ذلك فقال له خالد اما تراه صاحبا لك لقد همت بضرب عنقك فقال
مالك ابذلك امرك صاحبك فقال له اهذه بعد تلك بنكر عليه خالد تكرير قوله
صاحبكم بعد ما وعده عليها ثم امر ضرار بن الازور بضرب عنقه لانكاره قوله
صاحبكم مرتين استصغارا له صلى الله عليه وسلم وهو الذي رثاه اخوه متمم بالقصيدة العينية
التي منها ٭ فلما افترقنا كاني ومالكا ٭ لطول اجتماع لم نبت ليلة معا ٭
وهي قصيدة بليغة مشهورة وفيها ذكره المصنف اشارة الى رد ما قيل ان مالكا لما قدم
للقتل قال لزوجته ما قتلني الا هذه يعني ان خالدا اعجبه حسنها فقتله ليتزوجها ولما
قتله جعل راسه اثفية قدر ثم بعد ذلك تزوج بها خالد فقال ابو حنبة السعدي فيه
شعرا منه ٭ قضى خالد بغيا عليه لعرسه ٭ وكان له فيها هوى قبل ذلك ٭
ولما انكروا عليه ذلك عند ابي بكر رضي الله عنه وقالوا له اعزله قال انه تاول في ذلك وما
كنت لاغمد سيفا سله الله عليهم فهو مذهب صحابي وممن شدد النكير عليه عمر رضي الله
عنه وودى القتيل من بيت المال وراى ان قتله غير صواب لكن خالد رضي الله عنه لما راى
جاهليته وانكاره فرض الزكاة وقد قال له لا تقل هذا فانك ان قلته قتلتك فلم ينته
واعادها فتله لتحكم بقتله وابي بكر رضي الله عنه اقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم في
فعله لانه وقع له مثله في قصة بني جذيمة لما قتلهم خالد مع اسلامهم كما هو مذكور في السير
فسقط ما قيل انه لا دليل في هذه القضية لما تمكن بصدده لانها امر منكر يحتاج للتاويل ابن اقبرس
وقال ابو سليمان الخطابي هو حمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب وله نسب وقيل
انه من نسل زيد بن الخطاب اخي عمر رضي الله عنه وهو بستي وتوفي في سنة ثمان وثمانين
وثلاثمائة وهو امام جليل له تصانيف جليلة كمعالم السنن وغيره لا اعلم احدا من المسلمين
اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما وانما الخلاف في الكافر كما تقدم وقد قيل ابن اقبرس
انه مقيد بعدم التوبة فانه محل الاجماع وانه لا يخلو من نظر وقد قدمنا لك ما يعلم منه
الجواب عنه وقال ابن القاسم الامام عبد الرحمن المصري صاحب الامام مالك رحمه الله
عن مالك في كتاب محمد ابن سحنون الذي تقدم قريبا والمبسوط والعتبية
تقدم انها من اجل الكتب وبيانها وحكاه عبد الله بن مطرف وهو ابن اخت الامام
مالك كما قدمناه في ترجمته في كتاب ابن حبيب الذي تقدم بيانه ايضا من سب
النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل حدا ولم يستتب ولا تقبل توبته وقال

ابن

ابن القاسم في العتبية تقدم انها اسم كتاب منسوب لمحمد بن احمد بن عبد العزيز
ابن عتبة الاموي القرطبي الفقيه احد اعلام ائمة الاندلس من سبه او شتمه معطوف
على سبه والمراد بالسب ذكره بما فيه تحقير له من الامور الذميمة وشتمه بنسبة ما لا
يليق به صلى الله عليه وسلم في ذاته مما لا يحتمله ككونه جبارا وزانيا ونحوه لان المترادفين
يعطف احدهما على الاخر او هي للتقسيم هنا او عابه او تنقصه اي نسب له كما من نقصا
وان لم يكن شتما كقوله غيري اعلم منه او اعقل فانه يقتل حدا وحكمه عند الامة
اي في اعتقاد جميع المسلمين القتل وجوبا بلا تردد كالزنديق اي كما يقتل الزنديق
كما تقدم وقد فرض الله على كل احد توقيره اي تعظيمه صلى الله عليه وسلم وبره
برعاية حقه الواجب على امته فمن خالف ما فرض الله عليه مما علم من الدين بالضرورة
كان زنديقا يجب قتله ولا تقبل توبته وفي المبسوطة وفي نسخة البسطة عن عثمان
ابن كنانة بكسر الكاف ونونين بينهما الف وهاء تانيث وهو ابو عمرو امام جليل من ائمة المالكية
له كتاب اسمه المبسوطة لم يشتهر توفي سنة ست وثمانين ومائة بعد مالك بسنتين وقيل
وقيل ثلاث وستين وهو احد الرواة عن مالك من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من
المسلمين قتل او صلب حيا على جذع الى ان يموت تشهيرا له ولم يستتب اي لم تقبل توبته
والامام مخير في صلبه حيا او قتله بضرب عنقه وفي رواية ابي المصعب عن
مالك ومصعب بزنة اسم المفعول وهو احمد بن ابي بكر ابو مصعب الزهري العوفي قاضي
المدينة وعالمها الثقة المحدث روى عن مالك وغيره وتوفي في سنة اثنين واربعين ومائتين
وله ترجمة في الميزان وابن ابي اويس اسماعيل بن عبد الله بن ابي اويس ابن اخت مالك
كما تقدم سمعنا مالكا يقول من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم باي نوع كان
او شتمه او عابه او تنقصه بنسبة نقص له حماه الله منه قتل مسلما كان القائل او
ابن اقبرس كافرا ولا يستتاب لانه حد لا يسقط بالتوبة عنده قيل قوله ولا يستتاب فيه كلام
اما الكافر اذا تاب وتوبته اسلامه فتقبل توبته ولا يقتل لان الاسلام يجب ما قبله وقال
تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وسيأتي تمامه وفي كتاب محمد بن ابراهيم
المعروف بابن المواز من ائمة المالكية المشهورين اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب
النبي صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وقال
اصبغ بن الفرج الطالقاني الاندلسي المالكي مفتي قرطبة الامام المعروف توفي في سنة سبع
وتسعين وثلاثمائة كما تقدم يقتل على كل حال كما بينه بقوله اسر ذلك اي اخفاه
عن بعض الناس او اظهره وجهر به ولا يستتاب لان توبته لا تعرف هل هي
كائنة باخلاص او تقية لخوف القتل وقال عبد الله بن عبد الحكم بن يحيى بن اعين
الفقيه المصري ثقة يروي عن مالك والليث وغيرهما توفي في سنة اربع عشرة ومائتين
من سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وحكى الطبري
الامام المشهور محمد بن جرير مثله عن اشهب عن مالك رحمه الله واشهب هذا هو
ابن عبد العزيز بن داود بن ابراهيم الجعدي القيسي العامري المصري الفقيه قيل اسمه

مسكين واشهب لقبه روى عن مالك والليث وغيرهما وهو ثقة توفي في سنة اربع ومائتين
وعمره اربع وستون سنة وروى ابن وهب عن مالك رحمه الله وابن وهب هو ابو
محمد وهب بن مسلم الفهري المصري احد الاعلام روى عن مالك والليث والسفيانين
وعن كثير بن وطلب للقضا فاختفى وانقطع في بيته وكان من الزهد والعبادة وكثرة
حفظ الحديث بمرتبة لم يبلغها غيره حتى بلغ حديثه ثمانين الف حديث وله تصانيف
كثيرة جليلة توفي في سنة سبع وتسعين ومائة في شعبان وولد سنة خمس وعشرين
ومائة من قال ان رداء النبي صلى الله عليه وسلم ويروى زر النبي صلى الله عليه وسلم
وسخ الوسخ والدنس معروفان واراد به عيبه اي قصد تنقيصه والازراء به قتل
فان لم يقصد ذلك لم يقتل كما قال بعضهم رايت عصابته صلى الله عليه وسلم وسماي مسودة
من دنس العرق لانه يريد بذلك عدم سبا لانه صلى الله عليه وسلم يلبسها سود هيئته والمراد
يعلم من سياق الكلام كما قيل

اذ المرء لم يدنس من اللؤم عرضه ۞ فكل رداء يرتديه جميل

الا انه لا ينبغي ذكر مثله ورواية عند العوام ولذا افتى بعض علما العصر فيمن قال
انه كان صلى الله عليه وسلم يدهن حتى كان يثبا به بثياب زيات مع انه مروي في الشمايل بل
ولذا كل اذية بانه لا يكون كفرا الا اذا قصد بها الاذية له صلى الله عليه وسلم ولذا لم يكفر
الكا بحبون في الافك مع انه اذية له صلى الله عليه وسلم بنص القران كما صرح به السبكي في
السيف المسلول وسياتي تفصيله قال ابن حجر الهيتمي بعد سياقه كلام المص ويتجه جزمه
انه لو اطلق ذلك او قصد الاخبار عن تواضعه لا يكفر ويتوظاهر في ارادة التواضع ويحتمل
عند الاطلاق لانه ليس صريحا في النقص واذا قلنا بعدم الكفر فظاهر انه يجوز التعزير
البليغ لذكره ما يوهم نقصا واختلفوا فيما لو قال ان النبي صلى الله عليه وسلم طويل الظفر والذي
يظهر انه لو قال ذلك احتقارا له صلى الله عليه وسلم او استهزاء به او على جهة نسبة النقص اليه
كفر والا فلا بل يجوز التعزير والتشديد انتهى ملخصا وقال بعض علمائنا يعني المالكية اجمع
العلما تقدم الكلام في الاجماع في هذه المسئلة على ان من دعى على نبي من الانبيا بالويل
فقال ويلاه وهي كلمة يدعى بها ومعناها الهلاك او البلاء والمصيبة والعذاب والمشقة
او دعا عليه بشي من المكروه مما يكرهه الناس ويشق عليهم انه يقتل بلا استتابة اي لا
تطلب توبته ولا تقبل وقال ابن حجر الهيتمي في فتاويه من نسب صلى الله عليه وسلم
ان من زنى بحضرته كفر ونظر فيه في الروضة واجيب بانه ظاهر في الاستخفاف فكان
كفرا ويوخذ منه ان غيره من الانبيا كذلك وافتى القابسي ابو الحسن علي بن محمد بن خلف
المعافري القروي واتى شيخ الحديث وفقه مالك الضرير الزاهد العابد صاحب التصانيف
الجليلة في الفقه والاصول عديم النظير توفي في سنة ثلاث واربعمائة فيمن قال في النبي
صلى الله عليه وسلم الحمال بفتح الحا المهملة وتشديد الميم قبل الف ولام وذلك لانه صلى
الله عليه وسلم كان اذا اشترى شيا من السوق حمله بنفسه فاذا قيل من ارادجله قال
رب المتاع اولى بحمله كما روى في كتب الحديث يتيم ابي طالب لانه ربما يعد من ابيه

وجده

وجده عبد المطلب بالقتل لما فيه من الاستخفاف والتحقير وقصد قائله ذلك لعتابه
فيه عليه كما سياتي قال ابن حجر والظاهر ان مذهبنا لا يابى ذلك لما في عبارته من الدلالة
على الازرا فان ذكر يتيم ابي طالب فقط لم يكن صريحا في ذلك فيما يظهر نعم ان كان
السياق يدل على الازرا كان كما لو جمع بين اللفظين وافتى الشيخ ابو محمد بن ابي
زيد عبد الله القيرواني المالكي الذي انتهت اليه رياسة مذهب مالك بالمغرب ورحل
اليه من الاقطار وكثر الاخذ عنه وقال المص في حقه انه جاز رياسة الدين والدنيا
حتى سمي مالكا الاصغر توفي في نصف شعبان سنة تسع وثمانين وثلاثمائة بقتل رجل
سمع قوما يتذاكرون اي يتحدثون ويذكر بعضهم لبعض صفة النبي صلى الله عليه وسلم
يعني حليته الشريفة التي مر الكلام عليها اذ مر عليهم في حال تحدثهم رجل قبيح الوجه
واللحية على غير هيئة مستحسنة فقال لهم اي لهؤلاء الجماعة الذين يتحدثون تريدون
تعرفون صفته صلى الله عليه وسلم وخلقته تمثالوا له نعم فقال هي في مثل صفة هذا
المار في خلقه بفتح فسكون وهيئة لحيته وكانت هيئة ذلك المار مستقبحة كما تقرر قال
ولا تقبل توبته لكفره وعظم جرمه قال ابن حجر ومذهبنا لا يابى ذلك وقد كذب
هذا الرجل في مقالته هذه لعنه الله واخزاه وقبح وجهه وليس يخرج ما قاله هذا
الملعون من قلب سليم الايمان بل عديم العقل والايمان وقال احمد بن ابي سليمان هو
من علما المالكية المعروفين عندهم وصاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان لون وجهه وظاهر بدنه اسود يقتل لانه صلى الله عليه وسلم كان من الحسن وبياض
الوجه بصفة لا تخفى كما مر فهذا القايل قد كذب وافترى ووصفه صلى الله عليه وسلم
بما فيه اشعار بالتحقير لعنه الله وسود وجهه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وهذا مما
صرح به الفقها وعللوه بان قصد الكذب استخفافا كما لو قال لم يكن قرشيا وقال
اي ابن ابي سليمان ايضا في رجل قيل له وقد تكلم بشي لجماعة لم يقبلوه لا ردا لما قاله
وحق رسول الله اي عظمته وجلالة قدره عند الله وهو قسم موكد لما قبله ومثل
هذا اليمين الموكد به والاستعطاف في ليس يمينا شرعيا وانما جا على عرف التخاطب فالمحدث
عنه هنا لا وجه له فقال الرجل المخاطب بعد ما ذكر فعل الله برسول الله كذا وكذا عرضى
كنا يتر عن كلام قبيح وصف به رسول الله صلى الله عليه وسلم تركه لاستهجانه ما ذكر بقوله
وذكر كلاما قبيحا لا يليق ذكره فقيل له انكارا لمقالته ما تقول يا عدو الله جعله
عدو الله لتحقيره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اي لمن انكر كلامه كلاما في قبحه
اشد من كلامه الاول الذي سبق منه ثم قال بوجه كلامه القبيح وبا وله انما
اردت بقولي برسول الله الذي وصفته بصفات انكرتموها العقرب لان الله
هو الذي ارسلها وسلطها كما في قوله تعالى ويرسل الصواعق وهذا حقيقة معنى الارسال
وهذا مما لا شك في فساده وانكاره مكابرة لكنه لا يقبل من قايله وادعاه انه مراده لان عرضى
رسول الله صار في كلامهم لا يراد به الا الانبيا عليهم الصلاة والسلام ولا يخطر غيره بال
احد فلذا لم يقبل تاويله قال ابن حجر ومذهبنا لا يابى ذلك فقال ابن ابي سليمان

للذى ساله مستفتيا عنه اشهد عليه امرله بان يشهد به عند حاكم يجرى عليه ما يستحقه واما شر بكث معطوف على مقدر تقديره فاذ افتل فلك اجر عظيم بر يد فى قتله وثواب ذلك فهو ما وقع فيه الشركة قال حبيب بن الربيع هو يحيى بن حبيب وقد تقدم موجها لقول ابن ابى سليمان وفتواه بقتله لان ادعاء التاويل بصرف اللفظ عن ظاهره وما دل عليه فى لفظ صراح بمهملات مضموم الاول وهو بمعنى صريح وابلغ منه بالتاويل لا يقبل لبعده غاية البعد وصرف اللفظ عن ظاهره لا يقبل كما لو قال انت طالق وقال اردت محلولة غير مربوطة لا يلتفت لمثله ويعد هذيانا لانه امتهان اى ابتذال وتحقير من المهنة وهى الذلة اى فيه تحقير لرسول الله صلى الله عليه وسلم بحسب صريحه ومدلوله المعروف وهو اى قائله غير معزر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بزا معجمة فى اوله وراء مهملة فى اخره او معجمة اى غير معظم ولا موقر له لعدم تادبه فوجب بسبب هذا اباحة دمه بجعله هدرا لوجوب قتله وتاويله لا يجيء منه وافتى ابو عبد الله بن عتاب من فقها المالكية فى عشار بالتشديد وهو من ياخذ العشر وهى المكاس قال لرجل طلب منه المكس فامتنع وقال له انه ظلم لا يرضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له المكاس ادِّ بفتح الهمزة وتشديد الدال المهملة امر بمعنى اعط ما طلب منك واشك الى النبى صلى الله عليه وسلم منى ومن ظلمى لك ومثله تحقير للنبى صلى الله عليه وسلم والشريعة كانه يقول لا قدرة له على دفعه لو كان حيا موجودا الان فلذا افتى فيه بوجوب القتل واشك امر من الشكاية وكان المتضرر باخذ المكس قال لا اشكوك للنبى صلى الله عليه وسلم وقال اى العشار لذلك الرجل ويحتمل ان القايل ابن عتاب فهى فتوى اخرى فيمن قال ان سالت بضم التا او جهلت انا امرا سال عنه فقد جهل النبى بعض امور لان علم جميع الامور انما هو لله وما علم لعلمه النبى صلى الله عليه وسلم فافتى فى هذا ايضا بالقتل لما فيه من الاستخفاف برسول الله صلى الله عليه وسلم لتسويته بينه وبينه واسناد السوال والجهل له فهذا مع ما قبله كلام واحد وكلاهما كما اشرنا اليه قال ابن حجر وما هنا قاض بذلك ايضا بل الذى يظهر ان مجرد قوله ادّ واشك الى النبى بقصد عدم المبالاة كفر ايضا وافتى فقها الاندلس بفتح الهمزة والدال المهملة وضم اللام كما مر علم ارض بالمغرب كان بها من كبار العلما ما لا يحصى وهى الان بيد النصارى وفى دخول ال عليها كلام وهى معروفة بقتل ابن حاتم المتفقه اى الذى كان يدعى علمه بالفقه والتبحر فيه وهو رجل من اهل الاندلس لم اقف له على ترجمة الطليطلى بضم الطا المهملة وفتح لام قبل مثناة تحتية ساكنة وطا مهملة مكسورة ولام ويا نسبة لطليطلة وهى مدينة مشهورة بالاندلس وصلبه على جذع مرتفع الى ان يموت او بعد قتله تشهيرا له تخويفا للعامة من الجراة على مثله بما شهد بضم الشين المجهول عليه من استخفافه بحق النبى اى بتكلمه بكلام يشعر بتحقيره اى برفعة قدره الذى هو حق ثابت له على كل احد من امته وتسميته اياه اى تسمية ذلك الملعون اثنا مناظرته النبى صلى الله عليه وسلم باليتيم اى قوله انه يتيم او يتيم ابى طالب كما كان يقوله الكفرة استخفافا به وازدرا

ومثل

ومثل هذا اذا سبق تحقيرا بتحقير كان كفرا فان لم يشعر به جاز كما قال الابوصيرى رحمه الله فى البردة

كفاك بالعلم فى الامى معجزة ٭ فى الجاهلية والتاديب فى اليتم ٭

واليتيم من الادمى ولد صغير لا اب له ومن الحيوان ما لا ام له ومن الطير ما لا ام له ولا اب وقيل لبعضهم كان صلى الله عليه وسلم يتيما فقال لئلا يكون للمخلوق عليه منة وحكمة اخرى ظهرت فى هذا البيت لان اليتيم من شانه عدم الادب وغنى النفس وقد نشا صلى الله عليه وسلم يتيما مع ما فيه من الاداب وعزة النفس التى لا يصل اليها احد من البشر ولذا قال ادبنى ربى فاحسن تاديبى كما رواه السمعانى ومر انه مات ابوه وهو حمل على الاصح وقيل ابن شهرين وقيل ابن سبعة وقيل ثمانية وقيل ثمانية وعشرين شهرا فكان فى كفالة عمه ابى طالب بعد جده وهو فى البيت مدح كما فى قوله عز وجل الم يجدك يتيما فاوى فما قيل انه كان على الناظم ان يجتنبه لا وجه له وتاويله بانه متفرد كالدرة اليتيمة مع عدم الحاجة اليه لا يناسب فى البيت ولا يصح مراده له وختن حيدرة اى قال الطليطلى انه ختن حيدرة اى ابو زوجته يعنى فاطمة الزهراء رضى الله عنها صلى الله عليه وسلم استخفافا به فحكموا بقتله وقتل وهو من اهل الاندلس ايضا والختن كل قريب لامراة رجل كالاب والاخ والعامة تطلق على زوج البنت كما فى الصحاح وحيدرة معناه الاسد وهو هنا اسم رجل اندلسى وهو لقب على رضى الله عنه لشدة خلقه وكانت امه سمته اسد اسم ابيها لما ولدته باسم ابيها لانها فاطمة بنت اسد فلما قدم ابوه من سفره سماه عليا ولذا قال انا الذى سمتنى امى حيدرة وزعمه بتثليث الزاى المعجمة بمعنى الظن وغلب استعماله فى الباطل كما هنا ولذا قيل زعم مطية الكذب والضمير للطليطلى ان زهده صلى الله عليه وسلم يترك الدنيا لم يكن قصدا منه ولخيتار بل عجزا واضطرارا وقال لو قدر على الطيبات اكلها وطم ما قاله من الهذيان الى اشباه لهذا اى كلمات اخر تشبهها فى السخافة والقبح الذى كفر به وهذا اجهل منه بالله وقدرته وبالنبى صلى الله عليه وسلم وعزته ولو اراد ان تكون جبال مكة ذهبا كانت وقد عرض عليه ذلك فاباه ٭ وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من ٭ لولاه لم تخرج الدنيا من العدم ٭ وهو غنى عن البيان قال ابن حجر وما هنا لا ينافى ذلك بل زعمه ما ذكر فى الزهد ينبغى ان يكون كافيا فى كفره وهو ظاهر لنسبة النقص اليه صلى الله عليه وسلم وافتى فقها القيروان كابن ابى زيد صاحب الرسالة والقيروان مدينة عظيمة بالاندلس وهو لفظ معرب كاربا بمعنى القافلة لا الجيش كما توهم وراوها نضم وتفتح وينسب اليها قيروانى وقروى على خلاف القياس واصحاب سحنون بقتل ابراهيم الفزارى نسبة لفزارة قبيلة مشهورة وكان شاعرا جيد الشعر فصيحا متفننا اى ذو فنون من العلوم الفلسفية وغيرها ولكن من يضلل الله فما له وهو راس مال الجهله بالعجب العلم به وكان ممن يحضر مجلس القاضى ابى العباس بن طالب للمناظرة اى المباحثة فى العلوم وهى مفاعلة من النظر بمعنى الفكر فى اقامة الادلة فرفعت اى

نقلت عنه كما يقال حديث موضوع وصنف معنى شنع نقد اه بعلى بقوله عليه امور منكرة منكرها عليه علما الشريعة واهل الدين من هذا الباب اى من نوع الكفر القبيح فى الاستهزا بالله تعالى وانبيائه ونبينا عليه وعليهم افضل الصلاة والسلام اجمعين فاحضره لمجلس الحكم القاضي يحيى بن عمر وهو قاضي القيروان وعالمها وغيره من الفقها المالكية فى عصره وامر بقتله بعدما حكم بتجويه بما ثبت عليه فى ملا من الناس وصلب وطعن بالسكين ليقتل وصلب على جذع رجلاه اعلى وراسه اسفل تحقيرا له وتشهيرا ثم انزل عن جذعه المصلوب عليه واحرق بالنار بعد موته وهذا مما اجازه العلما كما ذكره السبكى فى كتابه السيف المسلول على من سب الرسول وحكى بعض المورخين اى العلما بعلم التاريخ واخبار من السلف انه اى ابراهيم الفزارى المصلوب لما رفعت خشبته التى صلب عليها وزالت عنها الايدى التى رفعتها وذكره ليعلم ان ذلك الامر ليس لفعلهم وانما هو امر الهى استدارت كجانب اخر غير ما كان موجها له وحولته عن القبلة بعد ما كان موجها لها بيانا لانه غير مسلم وليس من اهل القبلة وكان ذلك اى تحوله عن القبلة اية اى علامة وعبرة للجميع اى جميع من حضر او جميع من كان على نهجه فى الزندقة وكبر الناس اى صاحوا الله اكبر تعجبا لما شاهدوه وجاء كلب فولغ فى دمه الذى جرى منه حين طعن بالسكين يقال ولغ الكلب والسبع يلغ اذا الحق ما بها بلسانه ولا يقال ولغ لغيرهما فقال يحيى بن عمر القاضى حين راى ولوغ الكلب من دمه صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ما صدق فيه بان ذكر حديثا عنه صلى الله عليه وسلم نقلت عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لا يلغ بفتح اللام وكسرها والثانى هو القياس الكلب فى دم مسلم تنكيرها له الا انه قيل انه لا يعرفه الحفاظ فالظاهر انه لا اصل له لانه لم يثبت فى الثقات ونقل عن ابن حجر ايضا انه لا اصل له ونقل المصنف له عن القاضى المذكور لعدم وقوفه عليه فى كلام غيره وقال القاضى ابو عبد الله بن المرابط هو من يقيم بالثغور الاسلامية كحراستها وله فضائل عظيمة مذكورة فى باب الجهاد وابن المرابط هذا هو ابو مصعب ويقال المصعب كما سرا ابن محمد بن خلف بن سعيد بن وهب توفى بعد ثمانين واربع مائة وهو من اجلاء المالكية بالمغرب من قال ان النبى صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب اى يطلب منه ان يتوب مما قاله ويرجع عنه وهزم بزاى معجمة مبنى للمجهول من الهزيمة وهى الفرار من الزحف وهو كبيرة الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة كما فى الاية وبيانه فى التفسير وكتب الفقه فمن قال انه صلى الله عليه وسلم فر من عدو خوفا وجبنا فى وقعة هوازن بحنين فقد كذب ونسب اليه ما فيه نقص وعار وقال ابن حجر وقضية مذهبنا انه لا يكفر بذلك الان قاله على قصد التنقيص لانه ليس صريحا فيه لان الهزيمة قد تكون من الجبلات البشرية فان لم يقصد ذلك لم يكفر بل يعزر التعزير الشديد انتهى ولو قيل ان الفرار ربما لا ينافى من سبقنا لانبيا كما فى موسى حين هم به القبط لم يبعد فان تاب قبلت توبته والا اى وان لم يتب قتل لانه تنقص له صلى الله عليه

وسلم واستهانة به وهو كفر وهذا مخالف لما قدمه من ان منتقصه صلى الله عليه وسلم يقتل ولا يستتاب فاما ان يكون ابن المرابط خالف مذهبه فى هذا او يقول انه بما ظنه كثير من الناس فان اثابه اى زاعنه الحد لما فيه من الشبهة وانه لا منقص فيه مع كثرة العدو وقيل ندو وقوله اذ لا يجوز ذلك اى هزيمته صلى الله عليه وسلم عليه فى خاصته اى فالهزيمة منه ممتنعة له مرخصا الله به وجبله عليه لالقا الرعب منه فى قلوب اعدايه وتثبيت الله لعزة قلبه اذ هو صلى الله عليه وسلم طبعه الله على بصيرة يعرف بها ان احدا لا يقدر على اصابته بسو ويقين من عصمته اى عصمة الله له بحفظه لقوله والله يعصمك من الناس ومر ما فيه من الكلام فلو انهزم كان شاكا فيما اخبره الله به ومر انه كان صلى الله عليه وسلم فى حرب هوازن وتدحى او طبى على بغلته البيضا وكان ابو سفيان بن الحارث اخذا بزمامها وهو يقول انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب كما فى البخارى وركب البغلة وهى لا تصلح للكر والفر ونادى باسمه اعلاما لاعدايه بمكانه ليقصد فاى ثبات وشجاعة اقوى من هذا وقد فر كثير من الصحابة لما تخوفهم بالسهام وقال حبيب بن ربيع من ايمة مذهب مالك كما تقدم القروى منسوب لقرية والقيروان على خلاف القياس كما تقدم مذهب مالك واصحابه ان من قال فيه اى فى حقه صلى الله عليه وسلم ما فيه نقص لمقامه العظيم قتل دون استتابة هذا تعقب على ما قاله ابن المرابط لمخالفته لمذهبه وقد عرفت ما فيه وقال ابن عتاب من المالكية ايضا نص الكتاب والسنة من الاحاديث الصحيحة وطريقة السلف موجبان ان من قصد النبى صلى الله عليه وسلم باذى اى بما يؤذيه ويسوءه او نقص اى ما فيه تنقيص له وتحقير سوا كان معرضا او مصرحا وان قل فقليله وكثيره سوا والتعريض الاتيان بما يوهم ذلك والتصريح بخلافه فقتله واجب على كل حاكم دفعا لضرره ولان من اذاه صلى الله عليه وسلم فقد اذى الله وقد وقع وعيده فى ايات عديدة مشهورة سر بعضها وياتى بعضها ايضا فهذا كله اى كل ما ذكر فى هذا الباب مما فيه اذية او تنقيص له صلى الله عليه وسلم مما عده العلما سبا وتنقصا يجب قتل قائله لم يختلف فى ذلك متقدمهم ولا متاخرهم وان اختلفوا فى حكم قتله على ما اشرنا اليه فيما تقدم من هذا الكتاب ونبينه تفصيلا بعد اى بعد هذا انه مبنى على الخ وكذلك اى مثل ما تقدم عن ايمة الدين اقول حكم من غمصه بغين معجمة وميم وصاد مهملة اى حقره وعابه بما لا يليق به او عيره بتشديد الياء التحتية اى نسبه صلى الله عليه وسلم لما فيه عار وهو يتعدى بنفسه فى الفصيح وقد يتعدى بالبا وانكاره الحريرى له فى درة الغواص لا وجه له كما فصلناه فى شرحها مع شواهده ومنه قوله برعاية الغنم قال السيوطى فى كتابه تنزيه الانبيا عن تسفيه الاغبيا وهو كتاب جليل ينبغى الوقوف عليه ان رجلا سب اخر بانه راعى فقال له ما من نبى الا رعى الغنم بجمع من العامة فقال قاضى القضاة المالكى لو رفع لى هذا ضربته بالسياط فلما سيلت عنه اجبت بانه يعزر ابلغ تعزير لانه يقتضى ضرب احاد الناس مثلا لنفسه بالانبيا والمستدل بمثله قد يكون

في مقام التدريس والافتاء والتصنيف وبيان العلم لاهله لا ينكر عليه اما في مقام الخصام والتبري عن معرة نقص نسب اليه او لغيره فهو محل الانكار والتاديب لاسيما بحضرة العوام وفي الاسواق فهو سوء ادب وتنقص ولكل مقام مقال انتهى ومن ثم قال الحافظ ابن حجر مما يقع في الموالد من الوعاظ بين العوام من ذكر الانبياء مما يخل بالتعظيم حتى يحصل لسامعه رقة وحزن كقولهم ان المراضع لم ترضعه صلى الله عليه وسلم لعدم ماله حتى اخذته حليمة تشفقة عليه ويقولون انه كان يرعى غنما ويتيما وقد في ذلك

ما اغنامه سار الكبيب لكي يرعى ... فيا حبذا راع فوادي له يرعى

فاجاب بانه ينبغي ان يجتنب من الخبر ما يوهم نقصا وان لم يضره بل يجب ذلك انتهى او وصفه بالسهو والنسيان او السحر اما الاخير فلا شبهة في امتناعه واستحقاق قائله ما مر واما الاولان فمما صدر عنه صلى الله عليه وسلم نادرا كما تقدم لكنه لا يجوز وصفه به في سياق يوهم تنقيصا لمقامه لانه يصدر عنه نادرا للتشريع او اي ولا يجوز ايضا ذكر ما اصابه من حرج بالحاء والراء المهملتين المفتوحتين والجيم موحدة اي ضيق وشدة من اعدايه احيانا كما وقع له صلى الله عليه وسلم باحد من كسر رباعيته وجرحه وفي بعض النسخ او جرح بالجيم المضمومة مقدمة وسكون الراء او هزيمة لبعض جيوشه فلا يجوز ذكره وان لم يكن في ذاته كما تقدم لان اهانة اصحابه اهانة له وذكرها يوذيه او اذى من عدوه له او كيده او شدة في زمنه نصيبه او نصيب اصحابه كقلة المعيشة وضيق الحال وخوف العدو او وصفه بالميل الى نسائه فلا يجوز وان كان جايزا عليه لما فيه من النقص بالنسبة لجليل قدره فحكم هذا المذكور كله وان كان فيه ما هو جايز عليه كالسهو لمن قصد به نقصه القتل فان لم يقصده لم يمتنع كما تقدم في كلام السيوطي وغيره قال ابن حجر وما ذكره المص ظاهر لو قصد النقص وهو كفر كما مر وقد مضى في هذا الكتاب من مذاهب العلماء في ذلك وياتي ما يدل عليه وبينته رسالة موصولة او موصوفة تنازعها مضى وياتي قال السبكي رحمه الله بعد ما ذكر ما هنا في هذا الفصل ان كان هذا عن سوء عقيدته فلا اشكال فيه اما اذا صدر عن مومن وقلنا الايمان هو التصديق فقط والكفر الجحود كيف يكون هذا كافرا واجاب نقلا عن امام الحرمين ان المسلمين اجمعوا على تكفيره وكانه لانه تعالى قضى بانه لا يصدر مثله الا ممن قضى الله بانتزاع معرفة الله من قلبه والعلم ان لم يكن ركن الايمان فالاقرار والانقياد والاذعان بترك الاستكبار عن امتثال اوامره لابد منه ولذا كفر ابليس بالاستكبار والحاصل ان الايمان بمعنى التصديق لابد ان يقترن به امر اخر هو طمانينة القلب بقبول الاوامر والنواهي والانقياد لها بقلبه وهو معنى الطمانينة فمن استخف واستهان به صار ذلك فانتفى تصديقه الوجودي صورة بانتفا اثره فصار كالعدم فالكفر كفران كفر جهل وجحود ككفران النصارى وكفر مع التصديق والمعرفة لوجود ما يعارضه ويصيره كالعدم ككفر ابليس واليهود فانتفى عنه التصديق فهو نفي للمقدم منه وكفر الساب والمنتقص من هذا القبيل فهو كافر جهل استحل ام لا

في

في التكفير من الفقها لمن لم يستحل وخفي عليه ماخذه انتهى وهو نفيس جدا ينبغي التنبه له في تكفير الفقها لبعض الناس فتدبر

فصل في الحجة اي في بيان الدليل في ايجاب قتل من سبه او عابه صلى الله عليه وسلم بذكر ما فيه تنقيص له من ايات القران لعنه تعالى لموذيه في الدنيا والاخرة كما مر ولا مطرود في الدارين عن رحمته تعالى الا الكافر المستحق للقتل وقرانه تعالى اذاه باذاه بجعل ما يوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوذيه ووجه الدلالة انه لا خلاف في قتل من سب الله تعالى فانه كفر بالاتفاق كما ياتي ولا خلاف في ان اللعن اي الطرد من رحمة الله في الدارين انما يستوجبه اي يستحقه وجوبا من هو كافر وهذه مقدمة من برهان منطقي على الحكم بقتله والمقدمة الاخرى حكم الكافر القتل لانه غير معصوم الدم بالذات وان عرض له ما يمنع من قتله ومن كفر بسبه اشد من الكافر الاصلي كما سمعته انفا وقال تعالى ان الذين يوذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة واذية الله لا تمكن لانها ايصال مكروه له وهو لا يتصور في حقه فذكره توطية لاذية الرسول صلى الله عليه وسلم فان من يوذيه كمن يوذي الله واللعن الطرد من رحمة الله وهو انما يكون في الدارين للكافر كما تقرر وقال الله في القران في قاتل المومن عمدا بغير حق مثل ذلك اي مثل ما قال في حق من يوذي النبي صلى الله عليه وسلم فوصفه باللعنة فمن لعنته في الدنيا القتل اي لعنة القاتل في الدنيا بقتله قصاصا والذي يدل على ان لعنة الدنيا القتل ما قال الله تعالى لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا نصب ملعونين على الشتم او الحال اي لا يجاورونك في المدينة الا ملعونين وثقفوا بمعنى وجدوا وقد ظفرتم بهم اخذوا وقتلوا تقتيلا والاية تدل على ان معنى لعنة الدنيا هي القتل فتدل على قتل من اذاه لان الله لعنه في الدنيا والاخرة وقال الله عز وجل في المحاربين اي الذين حاربوا الله ورسوله انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا الى المراد بهم قطاع الطريق جعل محاربتهم للمسلمين محاربة لله ولرسوله لخروجهم عن امرهما وحكمهم مذكور في كتب الفقه وانما ذكر المص هذا دليلا على اللعنة جاءت بمعنى القتل وقوله وذكر عقوبتهم بمعنى في الدنيا بقوله ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض والجملة حالية او معترضة ومفعول قال ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب عظيم وذلك اشارة للقتل وما بعده والخزي الذل والفضيحة وهو استدلال معنوي لان الخزي في الدنيا بمعنى اللعنة فما قيل من انه قليل الجدوى هنا ناش من عدم التدبر وقد ذكر هنا كلاما طويلا بغير طايل وقد يقع في القران القتل بمعنى اللعن عكس ما تقدم فوقوع كل منهما في موقع الاخر يدل على ان المراد بهما معنى واحد وقال تعالى قتل الخراصون اي الكذابون الذين يقولون ما لا يصح تخمينا وتقديرا من انفسهم فالقتل بمعنى الاهلاك جرى مجرى اللعن والتبح في الدعا وغيره وقاتلهم الله في الدعا

ابن الفرس

كلعنهم الله وقد يرد هذا التعجب ممن فعل فعلا غريبا ولو في مقام المدح وقد يرد على
ظاهره كقوله تعالى قاتلهم الله انى يؤفكون اى يصرفون عن الحق اى لعنهم الله فوقع
موقعه في الدعاء والمعنى المجازى كالحقيقى ولانه لا فرق بين اذاهما اى اذية الله تعالى
واذية رسوله صلى الله عليه وسلم واذية المؤمنين لان اذاهم يؤذى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ويجوز ذلك في امته واذيته اذية لله كما تقدم وعدم الفرق في مطلق الاذى
وان كان بين اذاهما واذى المؤمنين فرق بحسب الجزاء واليه اشار بقوله وفى
اذى المؤمنين ما دون القتل اى اقل منه من الضرب حدا وتعزيرا والنكال
اى العقوبة بغير قتل كقطع يد ونحوه قال تعالى والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات
بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا فكان حكم مؤذى الله تعالى ونبيه
صلى الله عليه وسلم اشد من ذلك اى من جزاء اذية المؤمنين التى تكون بضرب
ونحوه وقوله وهو القتل راجع لحكم الاشد وحاصله الاستدلال على ان من سبه صلى
الله عليه وسلم يقتل والدليل عليه ايضا انه قال تعالى فلا وربك اى فوربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم اى وقع بينهم من الاختلاف والمخاصمة وحتى غاية متعلقة
بقوله لا يؤمنون اى ينتفي عنهم الايمان الى هذه الغاية وهى تحكيمك وعدم وجدانهم
الحرج وتسليمهم لامرك الاية يعنى قوله تعالى ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت
ويسلموا تسليما وتقدم ان سبب نزول هذه الاية كما في البخارى ان الزبير بن العوام
رضى الله عنه خاصم رجلا من الانصار بدريا في امر الماء الذى تشرب الحرة فاغضب
رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تقدم فنزلت هذه الاية ولا مزيدة لتاكيد النفى
في جواب القسم لا لتظاهر لا في قوله لا يؤمنون لانها تزاد ايضا في الاثبات كقوله
تعالى لا اقسم بهذا البلد وقيل ان لا الثانية زائدة والقسم معترض بين حرفى النفى
والمنفى وكان التقدير فلا يؤمنون وربك فنفى الايمان عمن لم يرض بحكمه لما فيه من
الاذية له صلى الله عليه وسلم كما اشار اليه بقوله فسلب الله تعالى ونفى اسم الايمان
عمن وجد في صدره اى قلبه الذى فيه ونفسه واسم على ظاهره اى لا نسميه مؤمنا
او هو مجاز يريد المبالغة في نفيه عنه حرجا اى ضيقا عن قبول حكمه او قلقا اشارة
لقوله ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت اى من قضائه وحكمه ولم يسلم له
اى لم ينقد ولم يذعن لحكمه صلى الله عليه وسلم اشارة لقوله ويسلموا تسليما واورد هنا
بعض الشراح كلاما طويلا وزعم ان المعترض لم يتدبر وابه وحاصله انها ان كانت
في اليهود والمنافقين ممن ليس بمؤمن فلا يجعل سلب ايمانهم غاية لعدم الرضا بحكمه
صلى الله عليه وسلم وان كانت في الزبير رضى الله عنه فهو مؤمن قبل الحكم وبعده
فان كانت عامة فالحرج كاف فلا حاجة لقوله يحكموك الخ وهو يقتضى ان مجرد الرضا
بحكمه يكفى في ثبوت الايمان ولا قائل به الى اخر ما ذكره مما يدل على ضيق العطن
بل قلة الفطن لان المراد ان من لم يرض بحكمه صلى الله عليه وسلم ولم ينقد للهيبة
وامره شاك في دينه غير متحمل بيقينه ومثله مؤذ له مغضب له صلى الله عليه وسلم

ابن اقبرس

قد علمت ان

كما مر

كما مر في سبب النزول واذيته كفر حقيقة او مؤدية اليه ففيها حث على اجتناب ما
يكره والخوف من عاقبته فاى حاجة لتدقيقه بما لا محصل له ولولا خوف الاطالة
اوردناه وبينا ما فيه ومن تنقصه اى صدر عنه ما فيه تنقص له صلى الله عليه وسلم
فقد ناقض هذا المذكور في هذه من الحرج وعدم التسليم مما يجر الى نفى الايمان
وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى الى قوله
ان تحبط اعمالكم ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض فنهى الله المؤمنين عن رفع
الصوت في مخاطبته وان يتأدبوا معه صلى الله عليه وسلم بخفض اصواتهم تعظيما له وتأدبا
وحبوط الاعمال سقوطها حتى لا يثاب عليها من حبطت الدابة اذا اكثرت اكلها حتى انتفخت
وماتت ولا يحبط الاعمال بسقوطها عن ان يعتد بها ورفع ثوابها الا الكفر لان
الاعمال انما تتقبل من المؤمن لان العمل المقبول ثمرة الايمان وهذا مذهب اهل
السنة من ان المحبط الكفر اصليا او طارئا بردة والمعتزلة يقولون يحبط بالكبائر
والخلاف مشهور في الاصول والكافر يقتل اى يقتضى القتل شرعا بما اوجبه والمراد
النهى عن الاذى ورفع الصوت فوق صوته صلى الله عليه وسلم فيه اذية له وهذا
مخصوص بمن قصد اهانته وتحقيره صلى الله عليه وسلم فان لم يقصده كان خلاف
الاولى فالقول بان اطلاقها لا يوافق مدعاه غير ظاهر لعدوله عن الظاهر
وكان الصحابة بعد نزول هذه الاية لا يكلمونه صلى الله عليه وسلم الا كاخى السرار كما
مر قال ابن العربى رحمه الله هذا كما في حياته صلى الله عليه وسلم ينبغى بعد مماته
حتى لا ينبغى رفع الصوت عند قبره ولا عند قراءة حديثه ولا عند احد من العلماء
الذين يرثوا مقامه صلى الله عليه وسلم فهذا كله مكروه اشد كراهة ومع قصد الاهانة
حرام وقد علم هذا كله مما مر وقال الله تعالى واذا جاءوك حيوك
بما لم يحيك به الله يعنى اليهود والمنافقين لما كانوا يقولون له السام عليك يقولون
الدعاء بالموت ويحرفون تحية الله التى هى السلام ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا
الله بما نقول ثم قال عز وجل بعد في لهم بعدا حسبهم جهنم يصلونها فبئس
المصير اى يكفى في جزائهم ما اعد الله لهم من عذاب الاخرة الذى يصلونه وقد
علمت ان ضمير جاءوك لليهود والمنافقين الذين كانوا يتناجون ويتغامزون حتى
شكاهم الانصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهم فلم ينتهوا فنزلت فيهم هذه
الاية وقيل نزلت في اليهود لما كانوا اذا جاءوه قالوا السام عليك ثم يقولون لو كان
نبيا ما امهلنا اسمع استخفافنا وذاك انهوا عن هذا وجاء وعيدهم به فالسب بهم
بالطريق الاولى وقال تعالى ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو
اذن اى يسمع كل ما يقال له ويقبله من كل احد فجعل ذاته كلها اذنا تشبيهة للكل
باسم جزئه كما سمى الربيئة عينا فهو مجاز مرسل والقائلون هم المنافقون قالوا انا
له ما نريد ثانية فنحلف فيصدق فظنوه غفلة منه وانما هو حلم منه صلى الله
عليه وسلم عليهم فرد الله عليهم مقالهم بقوله قل هو اذن خير لكم اى نعم هو اذن

ابن اقبرس

ولكنه اذن خير وصلاح لعفوه وصفحه وموضع ذلك يؤمن بالله يتصدق بقية
لما جاء منه ويؤمن للمؤمنين يصدقهم ويجعلهم في امان بقبوله من حسنهم وتجاوزه
عن سيئهم وعداه باللام لتضمنه معنى يصدق لهم مصدق قاله وفيه تعريض لهم بانه لا
يقبل قولهم وانما يستكذبهم بحلمه عليهم كما قال ورحمة للذين امنوا منكم اي
اظهروا الايمان ولذا اعتبر غيرهم وسمى غيرهم المؤمنين وقد قال وفي نسخة
ثم قال والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم اي مؤلم وفيه مجاز عقلي
وقال الله تعالى ولئن سالتهم اي المنافقين الذين قالوا وهو صلى الله عليه
وسلم ذاهب لتبوك انظروا لهذا الرجل يريد فتح حصون الشام هيهات هيهات
فاطلعه الله بذلك فلما اخبرهم بما قالوه قالوا اخبرهم قوله ليقولن انما كنا نخوض
ونلعب اي نتحدث لنقطع السفر بالتلهي بالحديث ونلعب نلهو هنا قل ابالله واياته
ورسوله كنتم تستهزءون استفهام تقرير لتنزيلهم منزلة المنكر فيه توبيخا ولتقضي
لهم لا تعتذروا قد كفرتم باستهزائكم بعد ايمانكم بحسب الظاهر اي لا تعتذروا
بعذر غير مقبول لكذبكم ولا تقابل ذلك ووديعة بن ثابت لا ابن سلول كما قالوا ان شك
لانه لم يشهد تبوك فهو خطأ وقوله ان يعف عن طائفة منكم نعذب طائفة كانوا
ثلاثة تكلم اثنان وضحك الثالث وهو المعفو عنه واختلف هل هو مخشي بفتح الميم وسكون
الخاء المعجمة وشين معجمة مكسورة ويا مثناة بنقطتين من تحت مشددة او ابن مخشي او جاس
ابن حمير بحاء مهملة مضمومة وميم مفتوحة ويا مشددة وراء مهملة تصغير حمار
هو الاشجعي وهو مسلم وقيل منافق لكنه تاب وحسن اسلامه وسال الله الشهادة
فقتل باليمامة وطلبه الشهادة لتداركه على ضحكه رحمه الله ورضي عنه وقال اهل
التفسير في تفسير هذه الاية معنى كفرتم بقولكم في رسول الله صلى الله عليه
وسلم هو اذن يدل على ان اذيته صلى الله عليه وسلم كفر وهذا اقوال المفسرين في
كفره واما الاجماع على كفره فقد ذكرناه فيما تقدم وقد بيناه اتم تبيين واما
الاثار اي الاحاديث المسندة المروية فيه فمنها ما ذكره المص ورواه الطبراني
والدارقطني عن علي رضي الله عنه وقدم الاجماع لانه اقوى في الدلالة على ما اراده
لاحتمال الاحاديث التاويل والتهويل بقوله حدثنا الشيخ ابو عبد الله احمد
ابن محمد بن غلبون الخولاني القرطبي الاشبيلي الزاهد العلامة في جميع الفنون
الثقة العابد توفي سنة ثمان وخمسماية وله ثمانون سنة عن الشيخ ابي ذر
الهروي وهو عبد بن محمد بن عبد الله الانصاري الهروي الحافظ الفقيه
المالكي نزيل مكة وله معجم كبير وعاش سبعا واربعين سنة وهو ثقة عابد حافظ عارف
بالفقه واخذ الاصول عن الباقلاني وتوفي سنة اربع وثلاثين واربعماية اجازة
تقدم معنا هنا والاجازة لغة فيها كلام في ابن الصلاح وحواشيه قال حدثنا
ابو الحسن الدارقطني علي بن عمر بن احمد البغدادي الحافظ المشهور صاحب
المصانيف الجليلة يروي عن البغوي وطبقته كما قاله الحاكم وكان اوحد عصره

في

في الحفظ والفهم والورع وانتهت معرفة الحديث والعلل له وكذا اسماء الرجال
مع الصدق وصحة الاعتقاد والاطلاع على علوم كثيرة غير الحديث كالقراءات والفقه
والادب والشعر وهو لم يرحل نفسه وقيل انه كان امير المؤمنين في الحديث
توفي سنة خمس وثمانين وثلثماية وسنه ثمانون وهو منسوب لدار القطن محلة
ببغداد وابو عمر بن حيويه الامام الحجة محمد بن العباس بن محمد بن زكريا البغدادي
وهو امام ثقة توفي سنة اثنين وثلاثماية عن سبع وثمانين وحيويه بفتح الحاء المهملة
وسكون اليا المثناة التحتية وفتح الواو وبعدها يا مشددة للنسبة لحيوه وهو
على خلاف القياس لان مقتضاه قلب الواو يا وادغامها لكن الاعلام ارتكبوا فيها
خلاف القياس احيانا كما ذكره النحاة قال حدثنا محمد بن نوح قال حدثنا عبد
العزيز بن محمد بن الحسن بن زبالة بفتح الزاي المعجمة وتخفيف الموحدة ولام قبلها
وهو من ايمة الحديث المشهورين وله في كتاب متداول الان فيه امور انتقد فيها
المحدثون قال حدثنا عبد الله بن موسى بن جعفر هو عبد الله بن موسى الهاشمي
وفيه كلام فقيل ضعيف وقيل ثقة توفي سنة اربع وسبعين وثلاثماية عن علي بن
موسى المعروف بالرضا العلوي وهو في الاكثر يروي عن ابيه موسى الكاظم
ابن جعفر الصادق توفي بطوس سنة ثلاث ومايتين وله خمسون سنة قال ويقع
له امور لا اصل لها كما يروى عن جعفر الصادق ولا ابنيهما وانما الكلام فيمن نقل عنهما
عن جده جعفر الصادق عن محمد بن علي بن الحسين عن ابيه وهو ابو جعفر
الباقر وابوه زين العابدين عن الحسين بن علي بن ابي طالب عن ابيه علي بن ابي
طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سب نبيا فاقتلوه ومن
سب اصحابي فاضربوه اي حد القذف وهذا الحديث تقدم من رواه لكنهم
قالوا ان سنده ضعيف ولم يروه اصحاب الكتب لكنه اعتضد بالاجماع وقول
ابن الصلاح انه حديث لا يعرف مردود عليه بروايته مسندا وفي الحديث
الصحيح الذي رواه البخاري وغيره مسندا امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل
كعب بن الاشرف وهو يهودي من يهود خيبر مشهور وقوله صلى الله عليه وسلم
في هذا الحديث من لكعب بن الاشرف جملة اسمية معطوفة على جملة امر الفعلية
اي قوله هذا ثابت ومن استفهامية اي من يقوم له ليقتله وهو حث وحض على
الانتصار بالانتقام كما تقول من لي بفلان في الاستعانة وطلب الاعانة ثم علل
الطلب بقوله فانه يعني كعبا لعنه الله اذى الله ورسوله وروي يؤذي الخ لانه
اعلن بسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهجاه ورثى قتلى المشركين ببدر وذهب
لمكة ليحرض اهلها على حربه واخذ الثار فلما رجع وبلغ رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما فعله قال من لي بابن الاشرف الخ وروى ابن جرير عن ابن اسحاق بسند ضعيف
ان كعبا صنع وليمة جمع فيها اليهود ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وقال
لليهود اذا حضر فاقتلوه فلما اتاه لدعوته نزل عليه جبريل عليهما الصلاة والسلام

فنزل بجناحه وخرج وهم لا يرونه فلما فقدوه نفروا وكعب هذا كان من بني نبهان بطن من طي وكان شاعرا فصيحا وكان ابوه اصاب دما في الجاهلية فاتى بني النضير وتزوج منهم عقيلة بنت ابي الحقيق فولدت له كعبا وكان جسيما جميلا فارسا فيهم ثم اشتد اذاه وهجوه على المسلمين ورسول الله صلى الله عليه وسلم يامرهم بالصبر فاشار سعد ابن معاذ بقتله فقتل في السنة الثالثة في ربيع الاول كما فصلت قصته في السير وذلك انه صلى الله عليه وسلم وجه اليه اي الى كعب اي ارسل له واصله الارسال لجهة من قتله غيلة بكسر الغين المعجمة وسكون المثناة التحتية ولام وهاء اي خفية من غير شعور احد من الاغتيال وهو الخداع والاخفاء للقتل دون دعوة للاسلام والرجوع عن الكفر بخلاف غيره من المشركين من مطلق الكفرة فانه انما يقتل بعد الدعوة والانذار وعلل صلى الله عليه وسلم قتله اي بين علة قتله باذاه له كما مر بقوله في الحديث فانه يؤذي الله ورسوله فدل تعليله على ان قتله اياه انما كان لغير الاشراك اي مطلق الكفر لانه من اهل الكتاب والاشراك ورد بهذا المعنى ايضا بل كان قتله للاذى لله ولرسوله فدلت هذه القصة على ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم واذاه من الكفار يقتل واعلم ان محصل قصة كعب كما مر انه لما اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهجاه وحث اعداءه عليه وقال له سعد بن معاذ الراي فيه ان يقتل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقوم لقتله فقام من الانصار لذلك خمسة رجال فيهم محمد بن مسلمة رضي الله عنه فقال انا لك به يا رسول الله فسكت ثم قال له افعل وشاور سعد بن معاذ فشاوره فاشار عليه برأي سديد فقال ابن مسلمة اني سأقول له شيئا قبلك يا رسول الله فقال قل ما تريد يريد انه يقول في صورة الذم ما يخدعه به فتوجه اليه وكان بينهما صداقة وشكى اليه الحاجة وطلب منه ان يقرضه وسقا او وسقين من الطعام لعياله ومعه ابو نائلة وكان اخوه من الرضاع وشكيا له من النبي صلى الله عليه وسلم وقالا له انه عنانا باخذنا الصدقة قد عنانا وصار بلاء علينا فقال فما تريدانه فقالا انا نريد ان نخذله ولكنا نتربص حتى نرى ما يؤول اليه امره فقال قد سرني هذا الهوان لكم ان تعرفوا ما انتم عليه من الباطل ثم طلب رهنا فقال ما ترهن قال نساءكم قالا انك رجل جميل جميل الوجه نشرب الشراب يخشى من فتنة النساء بك قال اولادكم قالا تعيرنا العرب بان يقال هذا رهن وسق او وسقين ولكنا نرهنك السلاح واللامة يعني الدرع فقبل وواعدهما فقالا لا ناتي ليلا سرا حتى لا يدري احد وكان رايا لطيفا لئلا يرتاب اذا راهم مسلحين فلما خرجوا اليه شيعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بقيع الغرقد وقال انطلقوا على اسم الله اللهم اعنهم عليه فلما اتوه نادوه وهو مع امراته في حصنه فقالت له لا تخرج في مثل هذه الساعة اني لاسمع صوتا يقطر منه الدم وهي فراسة عجيبة منها فقال انما هو صاحبي واخي والكريم اذا دعي ولو الى الطعن ليلا

اجاب

اجاب وهو متوكل بملحفة ثم نزل فوجدوه في نفر من الاوس وهو يفوح منه الطيب فقال لهم ابن مسلمة اني سأشم طيب راسه فاذا رايتموني امسكت راسه فاضربوه فلما اتاهم متوشحا قال له ابن مسلمة ما رايت كاليوم طيبا فقال عندي اطيب العرب واجملهم فقال اتأذن لي ان اشم فقال نعم فشمه هو واصحابه ثم قال له اتأذن لي ان اشم ثانيا فقال نعم فامسك راسه ثم قال اضربوه فضربوه وقتل لعنه الله تعالى واصاب طرف سيفه الحارث بن اوس فجرح فلما جاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم تفل على جرحه والصقه فالتحم لوقته ولما ضرب اللعين صاح فذهب لهم اليهود في طريق اخر فلم يجدوهم فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فكبروا فقال لهم افلحت الوجوه فقالوا افلح وجهك يا رسول الله ورموا راسه بين يديه صلى الله عليه وسلم فلما اصبح اليهود اتوه وقالوا قتلت سيدنا غيلة فقال انما قتلتم صنيعه واذيته للمسلمين ثم لم ينطقوا بحرف خوفا منه صلى الله عليه وسلم فدل هذا على جواز قتل الكافر المعاهد اذا سب الرسول صلى الله عليه وسلم خلافا لابي حنيفة ولذا قال السبكي ان هذه القصة تشكل على مذهب ابي حنيفة الا ان البخاري ترجم لهذه القصة بقتل اهل الحرب فكانه يشير الى ان اعلانه به وتحريك الفتنة نقض للعهد يصير به في حكم المحارب فلا اشكال وفي هذه القصة اشكالان احدهما هذا والثاني وهو ما اورده ابن المنير رحمه الله من ان الطعن في النبي صلى الله عليه وسلم بلا اكراه كفر فكيف رخص لهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكره عليهم وهو اشكال قوي وقد اجاب عنه ابن القيم بانه لما اشتد اذاه وتحريضه على قتالهم المؤدي للقتل وفي قتله خلاص منه كان كالاكراه والالجاء على النطق بما ذكر للظفر به وهو غير قوي الا ان ابن السبكي ارتضاه في قواعده وقال لبس زي الكفار والتكلم بالكفر من غير اكراه كفر الا لمصلحة مهمة فاذا اشتدت الحاجة كان في حكم الاكراه وقد اتفق للسلطان صلاح الدين رحمه الله انه لما اشتد عليه امر ملك صيدا امر اثنين من المسلمين ان يلبسا لبس الرهبان ويتكلما بكلامهم ليغتالاه فقتلاه ولم ينكر العلماء عليه والذي ارتضاه الامام محمد في كتاب السير وتبعه كثيرون جواز ذلك وقال السرخسي في شرحه يعني ان كلامهم انما كان تعريضا وتورية ومثله لا يعد كفرا اذ قصدهم غير ظاهره وفي رواية انه لما قال ابن مسلمة انا لك به مكث اياما لا ياكل ولا يشرب فدعاه صلى الله عليه وسلم وقال له لم تركت الطعام والشراب فقال لقول قلته لا ادري اني به ام لا فقال انما عليك الجهد وهكذا ينبغي لمن عزم على شيء ثم قالوا يا رسول الله نحن نقتله فاذن لنا ان نقول فيك ما لا بد منه اي لنخدعه بالمعاريض باظهار التخلي منك فخرج اليه ابو نائلة فتحدث معه وتناشدوا الاشعار ثم قال كان قدوم هذا الرجل يعني النبي صلى الله عليه وسلم علينا من البلاء واراد به النقمة فانه ما يبتلى به من نعمة او نقمة قال تعالى وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم اي النجاة من ال فرعون ثم قال حاربتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة وتقطعت السبل عنا حتى جهدت الابدان وضاعت العيال واخذنا بالصدقة ونحن لا نجد ما نأكل فقال

كعب فقد كنت احدثك بهذا وان الامر سيصير له فقال معي رجال من اصحابي
على رأيي سآتيك بهم لنبتاع لهم طعاما او تمرا ثم ذكر شيئا مما تقدم بمعناه وقيل ان
ذلك حيلة صلى الله عليه وسلم قبله ان يرخص فيه وكذلك اي مثل قصة كعب وقتله
غيلة ما رواه البخاري من انه صلى الله عليه وسلم قتل ابا رافع وفي نسخة بالاضافة
لابي قال البراء بن عازب رضي الله عنه وكان ابو رافع من يهود المدينة يؤذي
ايضا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبه ويعين عليه اعداءه يحرضهم
على قتاله وابو رافع اسمه عبد الله او سلام بن ابي الحقيق وكان الخزرج والاوس
يتناظران في الفخر فلما قتل الاوس كعبا قالوا انقتل رجلا ممن يعادي رسول الله
لئلا تفضلنا الاوس فذكروا ابن ابي الحقيق بخيبر وكان ذلك في سنة ست في رمضان
وقيل في ذي الحجة سنة خمس او اربع او في رجب سنة ثلاث بعث له رسول الله صلى
الله عليه وسلم من الخزرج عبد الله بن عتيك وعبد الله بن عتبة ومسعود بن سنان وعبد
الله بن انيس وابو قتادة وابن الاسود وكان ابا رافع يعين بالمال مشركي العرب
وكان له حصن فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم قال ابن عتيك
لاصحابه اجلسوا لانطلق واتلطف بالبواب فاتى الباب وتقنع بثوبه كانه يقضي حاجة
والناس داخلون فقال البواب له يا عبد الله ان كنت داخلا فادخل فاني اغلق
الباب فدخلت واغلقت المغاليق فقمت واخذت المفاتيح وكان ابو رافع يسمر في
علالي له فلما ذهب عنه سماره صعدت وجعلت كلما فتحت بابا اغلقته علي من بر حتى
لا يلحقني احد منهم بعد قتله فانتهيت اليه وهو في بيت مظلم مع اهله لا ادري
من هو واين هو فقلت ابا رافع فقال من هذا فاهويت نحو الصوت وانا دهش
وضربته فما اصبت شيئا فخرجت ثم عدت وقلت ما هذا الصوت يا ابا رافع فقال
لامك الويل ان رجلا ضربني بسيف فاهويت نحوه فضربته حتى اثخنته ولم اقتله ثم
اتيت اليه فوضعت السيف في بطنه حتى نفذ من ظهره فقتلته ثم فتحت الابواب بابا
بابا ونزلت حتى انتهيت الى درجة ظننتها الارض فاذا هي ليست كذلك فوقعت وانكسر
ساقي فقعدت عند الباب لا اخفي الخبر وانه مات فلما صاح الديك قام ناع على السور
ينادي انعى ابا رافع تاجر الحجاز فانطلقت لاصحابي وقلت النجاة النجاة قتل الله ابا رافع
ثم انتهيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثته الحديث فقال امدد رجلك فمددتها
فمسحها بيده الشريفة فكان لم اشتكها قط وكذلك اي مثل امره صلى الله عليه وسلم بقتل
من ذكر من الكفرة امره بقتل بعضهم يوم الفتح اي يوم فتح مكة كامره بقتل ابن
حطل لانه صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة امن الناس الا اربعة رجال وامرأتين امر
بقتلهم ولو دخلوا تحت استار الكعبة مستجيرين بها لانهم كانوا اظهروا عداوته واكثروا
من ذمه وهجوه صلى الله عليه وسلم وكان لابن خطل قينتان تغنيان بهجوه كما في السير
كالصحيحين باسانيد وابن خطل بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة اختلفوا في اسمه
وقاتله فقيل اسمه عبد الله وقيل هلال وقيل عبد العزى وقيل غالب وخطل بن

ذكره المصنف

عبد

عبد مناف بن اسعد بن جابر بن كبير بن تيم بن غالب قاله ابن الكلبي وقتله سعيد
ابن حريث المخزومي وقيل ابن حريث وابو برزة الاسلمي وقيل ابن الزبير وفي
مناسك الطبري انه عبد العزى بن زبير فيحتمل انهم اشتركوا في قتله والاولى ان
في قاتله خمسة وامر صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ايضا بقتل جاريتيه اي جاريتي
ابن خطل وهما المرأتان اللتان امر بقتلهما اللتين كانتا بمكة يغنيان بسبه وهجوه
صلى الله عليه وسلم واسمهما قرتنا وقريبة قال ابن سيد الناس فقتلت احداهما وقال
السهيلي اسمهما سارة وقرتنا واسلمت الاخرى فامنت فعاشت الى زمن عمر حتى وطئها
فرس فماتت وقرتنا بفتح القاف ثم راء ساكنة ثم مثناة فوقية ونون والف وقريبة
بضم القاف ثم مصغر قربة بالموحدة وقيل بفتح القاف بزنة فعيلة وكان ابن خطل اسلم
اولا فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا ومعه رجل من الانصار ومولى مسلما
يخدمه فنزلوا منزلا فامر الخادم ان يذبح له ويصنع طعاما فنام ولم يصنع شيئا فقتله ثم
ارتد مشركا فكانت قينتاه تغنيان له بهجو النبي صلى الله عليه وسلم وفي حديث اخر
لا يعرف من رواه ان رجلا كان يسبه صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم
من يكفيني في قتل عدوي الذي اظهر عداوته بسبه له اي من يكون كافيا في
قتله فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه انا اكفيك ما اهمك من قتله فبعثه
صلى الله عليه وسلم له فقتله باعانة الله له عليه وكذلك اي مثل ما ذكر في قتل من
سبه صلى الله عليه وسلم لم يقل من الاقالة وهي الترك يقال اقال عثرته اذا عفى عنه
فهو بضم اوله وكسر ثانيه او فتحه ان بني للمفعول وفاعله ضمير النبي وجماعة مفعوله
او مرفوع نائب الفاعل ممن كان يؤذيه من الكفار ويسبه فدل هذا على انه لا فرق
بين المسلم والكافر في وجوب قتله بالسب خلافا لما روي عن ابي حنيفة وغيره من عدم
قتله لان كفره اشد منه كما في كالنضر بن الحارث بفتح النون وسكون الضاد المعجمة
وراء مهملة وهو النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة القرشي من بني عبد الدار وقد
كان شديد العداوة والاذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله صلى الله عليه وسلم
ببدر وهو الذي قالت فيه اخته للنبي صلى الله عليه وسلم بعد قتله له ابياتا فيه منها

ما كان ضرك لو مننت وربما ... من الفتى وهو المغيظ المحنق

وذكر بعض المحدثين كابن منده وابي نعيم عن ابن اسحاق ان النضر هذا له صحبة
وشهد حنينا وكان من المؤلفة قلوبهم وهو غلط فاحش باتفاق الحفاظ والذي له صحبة
انما هو علقمة بن كلدة كما ذكره الزبير وابن الكلبي وغيرهما فغلطا لاشتراك كل منهما في
انه ابن كلدة والظاهر انه اي النضير بالتصغير وهو اخو النضر بن الحارث المذكور
وهو ممن اسلم وهاجر وقيل انه من مسلمة الفتح فالغلط بسببه وهو سهل وعقبة
ابن ابي معيط بضم الميم وفتح العين المهملة بصيغة التصغير وكان اسر ببدر فقتله النبي
صلى الله عليه وسلم منصرفه من بدر بمحل يقال له عرق الظبية فقال يا عاصم اضرب
عنقه فضرب عنقه ولما قدم للقتل الاتي في كلام المصنف قال لم تقتلني يا محمد فقال

تجدا ونك لله ولرسوله فقال من للصبية قال النار فلما ضربت عنقه قال الحمد
لله الذي قتلك واقر عيني منك اي لانه كان اشد الناس عداوة واذى لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وعهد صلى الله عليه وسلم اي وصى الصحابة عند قدومه للفتح
بقتل جماعة منهم اي من الكفار الذين كانوا يؤذونه صلى الله عليه وسلم ويهجونه
على ما تقدم قبل الفتح اي قبل فتح مكة وهو ما رءم له وبعده حين تقدم
لشدة عداوتهم له وعلمه بانهم لا ينتهون ولا يرجى خيرهم واسلامهم فقتلوا واراح
الله منهم المسلمين الا من بادر اي اسرع وتقدم باسلامه قبل القدرة عليه باخذه
واسره كابن ابي سرح وكعب بن زهير وقد روى البزار من ائمة الحديث كما تقدم
لكن رواه بسند فيه ضعف عن ابن عباس ان عقبة بن ابي معيط لما قدم ليقتل
نادى رافعا صوته يا معشر وفي نسخة يا معاشر جمع معشر وهم الجماعة الذين لهم عشرة
واختلاط قريش هم القبيلة المعروفة من ولد النضر بن كنانة وانما ذكرها بيانا لحجته
في عدم الفرق بينه وبين غيره او ليعطف عليه المسلمون منهم مالي اقتل من بينكم استفهام
انكاري اي دون غيري منكم ومثله يستعمل للاختصاص كما يقال اعطاه من بين اهله
صبرا الصبر اصل معناه الحبس ويقال لمن قتل في غير حرب ودون غفلة منه بان
يقدم ليقتل قتل فلان صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بقتلك بكفرك
وافترائك اي تعمدك الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو احد المستهزئين
وهو الذي القى سلا الجزور عليه صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فدعا عليهم فالقوا بلعنة
الله في قليب بدر كما هو مشهور في السير وهو من بني امية بن عبد شمس وذكر عبد
الرزاق بن همام الحافظ ابو بكر الصنعاني صاحب المصنفات الجليلة وقد تقدمت ترجمته
في جامعه ان النبي صلى الله عليه وسلم سبه رجل من اجلاف العرب فقال من يكفيني عدوي
الذي اظهر عداوته بسبه له فقال الزبير بن العوام انا اكفيكه بقتله فبارزه
فقتله الزبير والمبارزة ان يخرج رجل من طائفتين ثم يطلب ويبادر من يبرز له
من الصف لا قاتله فيعلم ايهما اقوى واشجع وايهما القاتل والمقتول وهذا انما يفعله
من زادت قوة قلبه وشجاعته وروى عبد الرزاق في جامعه عن عكرمة ايضا كما
روى ما قبله ان امراة مشركة كانت تسبه عليه الصلاة والسلام فقال
من يكفيني عدوتي بقتلها فخرج اليها خالد بن الوليد فقتلها ووقع بتونس ان
رجلا قال لاخر انا عدوك وعدو نبيك فعقد له مجلس فافتى بعض ائمة المالكية بانه
مرتد يستتاب واخذ كفره من قوله تعالى من كان عدوا لله الاية وافتى بعضهم بان
كفره كفر تنقيص فلا يستتاب واخذ ذلك من كلام المص هنا في هذه المراة السابقة
ومن قصة خالد السابقة ومن افتاء ابن عتاب السابق واعترض بعض ائمتهم ممن مال
الى الاول بانه نص في ان كل ساب عدو ولا شك فيه وانما الكلام في عكس هذه القضية
وهي لا تنعكس لنفسها بل قد يقول له انا عدوك وعدو نبيك رب اشعر بترفيع المقول له
ذلك لانا نجد الوضعاء يجعلون لانفسهم منزلة بذلك بقولهم انا عدو الامير

والامير

والامير عدولي وقصده به رفع نفسه لانه في نسبة من يعادي الامير وان قتل
خالد المراة المذكورة مذهب صحابي وافتاء ابن عتاب انما هو لان ما ذكر في قصته
صريح في التنقيص فالمحقق ان قائل هذا مرتد لا منتقص هذا كله على قول عدم من
التفرقة بينهما اما على قول احدنا فالذي يظهر انه ردة قاله ابن حجر في الاعلام ملخصا
ويروى رواه عبد الرزاق في جامعه ايضا عن سعيد بن جبير ان رجلا كذب
على النبي صلى الله عليه وسلم والمراد انه اسند اليه قولا فيه تنقيص له والا فمجرد
الكذب عليه لا يوجب القتل لكن روى حديثا وضعه فبعث عليا والزبير اليه
ليقتلاه لم يقل قتلاه لانه اشارة لما رواه البيهقي عن ابن جبير ان رجلا اتى قرية
من قرى الانصار فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسلني وامر ان تزوجوني
فلانة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فارسل عليا والزبير فقال اذهبا الى فلان
فان ادركتماه فاقتلاه ولا اراكما تدركانه فذهبا فوجداه قد لدغته حية فقتلته
ورواه متصلا من وجه اخر وسمى الرجل الذي كذب جد جد الجندعي فان كان المص
اراد هذا فهو مشكل لان مجرد الكذب عليه ليس موجبا للقتل والكفر وانما هو اذا نسب
اليه افتراء فيه نقص له لكونه ساحرا ونحوه وشذ الجويني كما مر فذهب الى ان كل كذب
عليه كفر ولم يقله غيره ولعله كان علم منه امرا اخر اقتضاه كما علم قتل الحية له او لعله
مخصوص به لما فيه في جنايته مراعاة لامر الدين واما قول الكرامية انه يجوز وضع
الحديث عليه لمصلحة دينية فهو قول باطل رده الخطابي بعد ما اطال في ذكره ولزم لكونه
كذبا له لا عليه ونحوه غني عن الرد لظهور فساده وروى ابن قانع هو الامام الحافظ
عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق ابو الحسين الاموي كما تقدم وقانع منقول
من اسم فاعل القنع بقاف ونون كقول ان رجلا من الصحابة جاء الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله اني سمعت ابي يقول فيك قولا قبيحا لما فيه من ذمه
والطعن فيه فقتلته فلم يشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم اي لم يصعب عليه كراهة
له ولو لم يكن قتله مشروعا كان اكبر كبيرة بعد الكفر لما فيه من القتل والعقوق وقيل
وهذا الرجل هو ابو عبيدة بن الجراح وليس على ثقة منه فان الحافظ الحلبي قال لا اعرفه
كالمراة التي تقدم ان خالد بن الوليد قتلها وسيأتي ما يشبه قصتها وفي اثر رواه ابن
سعد وابن عساكر فيه انه بلغ المهاجر بن ابي امية المهاجر بزنة اسم الفاعل اسمه حذيفة
على الصحيح وقيل سهيل وقيل هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم كان اسمه
الوليد فكرهه النبي صلى الله عليه وسلم وسماه المهاجر فالتسمية به منكرة وهذا لانه اسم
فرعون مصر وهو اخو ام المؤمنين ام سلمة رضي الله عنها ارسله رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى اليمن الى الحارث بن عبد كلال الحميري واستعمله على الصدقات ثم بعثه ابو بكر
رضي الله عنه في خلافته الى قتال المرتدين باليمن ففتح الفتوح وله اثار جليلة باليمن
فكان رضي الله عنه امير اليمن منصوبا لابي بكر اقرارا له على ما فعله رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان امراة هناك اي باليمن في الردة اي في زمن ردة بعض

اهل اليمن فى خلافة الصديق غنت بسب النبى صلى الله عليه وسلم وهجوه اى بشعرفيه ذلك فقطع مهاجر يدها ونزع ثنيتها هى السن المتقدمة فبلغ ابا بكر ذلك اى قطعه لدها ونزع ثنيتها فقال ابو بكر رضى الله عنه لولا ما فعلت بالمراة لامرتك بقتلها لان حد فذف الانبيا ليس يشبه الحدود وهذا مبنى على انه لا يجب قتل الساب من الكفرة وانما هو مفوض الى الامام فله ان يغلظه ويزيد فيه بتنكيل او قتل فلما سبق من مهاجر تنكيله بها لم ير ابو بكر رضى الله عنه ان يجمع فيه بين حدين وهذا مذهب نقله ابن تيمية فى السيف المسلول الان ابا بكر رضى الله عنه كره ما فعله لما فيه من زيادة التعذيب لانه ليس اشد من القتل قال *رد على العرضي*
ابن تيمية هذا هو الذى يسميه الفقها سياسة وهو الحد الذى رخص للامام فى تغليظه اذ اقتضاه الحال ومن لم يقف على هذا قال انه مشكل لان المثلة منهى عنها وهى اما ان *ابن قنبرس*
تكون ثابتة وقلنا بقبول توبة الساب او لا فاما ان تترك او تقتل وما قاله ابو بكر رضى الله عنه يقتضى الاجتهاد فى الحدود وقوله لان حد الانبيا الخ لا يلتئم معه واطال فيه من غير طايل وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال هجت امراة من خطمة بكسر الخا المعجمة وفتح الطا المهملة وبميم وها اسم قبيلة وفى القاموس فى طى خطمة وخطيبة كجهينة ابا سعد بن ثعلبة وخطمة من الانصار بنو عبد الله بن مالك ابن اوس النبى صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم من لى بها اى من يقوم لاجل حقى عليه بقتلها فقال رجل من قومها اى من قبيلتها انا اقتلها يا رسول الله فنهض اى قام بسرعة بعد مقاله فاتاها فقتلها فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك اى بقتلها فقال لا ينتطح فيها عنزان اى ذهب دمها هدرا من غير مبالاة احد به وهو مثل ضربه النبى صلى الله عليه وسلم للامر الذى يقع من غير خلف فيه ولا نزاع لان العنزين لا ينتطحان وانما ينتطحان تيسان والنطاح انما يكون بين التيوس والكباش واول من تكلم به النبى صلى الله عليه وسلم كما تقدم وهذه المراة عصما بنت مروان من بنى امية بن زيد زوجة يزيد بن حصن الخطمى وكانت شاعرة تؤذى المسلمين وتهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحرض عليه والذى قتلها عمير بن عدى ابن خرشة بن امية الخطمى فلما سمع قولها وهو يومئذ مع صلى الله عليه وسلم نذر ان رجع الى المدينة ليقتلنها وقال ابن عبد البر رحمه الله انها اخته وقيل ابنه وكان اعمى وهو امام قومه وقاربهم فدخل عليها فى جوف الليل وهى ترضع ولدها فنحاه عنها ووضع سيفه فى بطنها حتى نفذ من ظهرها ثم خرج وصلى الصبح خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر اليه فقال اقتلت بنت مروان قال نعم ثم خشى ان يكون عليه شى فقال يا رسول الله اعلى شى فقال له لا ينتطح الخ ثم قال صلى الله عليه وسلم ان اردتم النظر لرجل نصر الله ورسوله فانظروا الى عمير وسماه البصير والقصة بطولها فى السير ومن فقهها انه يستحب ان يقال للضرير بصير وهذه المراة قيل انها كانت يهودية وهو الظاهر *ابن قنبرس*
من سببها فقصتها غير معصومة الدم لكفرها واظهار سبها وللبعض هنا كلام لا فائدة فيه

مع

مع كثرة حبطه فيه وعن ابن عباس رضى الله عنهما فيما رواه ابو داود والحاكم والبيهقى وصححه ان شخصا اعمى كانت له ام ولد اى امة وكانت تسب النبى صلى الله عليه وسلم فيزجرها اى يمنعها وينهاها بزجره فلا تنزجر ولا ترجع عما هى فيه لشقاوتها وكان له منها ابنان مثل اللولوتين فلما كان ذات ليلة بجوز رفع ذات ونصبه على الظرفية وكذا اصبطه اى ساعة من ليلة كذات يوم وهو مبنى فى النحو وقيل معناه ليلة من الليالى جعلت اى شرعت واستمرت تقع فى النبى صلى الله عليه وسلم وتسبه وفى نسخة تشتمه وهو عطف تفسير لتقع لانه يقال وقع فيه اذا ذمه وهو مجاز مشهور فقتلها سيدها وفى رواية فاخذ المغول فوضعه فى بطنها ثم اتكا عليها حتى انفذه واعلم النبى صلى الله عليه وسلم بذلك اى *ابن قنبرس*
بقتلها وفى رواية عن ابن عباس فلما اصبح قيل ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقام الاعمى فقال يا رسول الله انا صاحبها كانت تشتمك وتقع فيك فانهاها فلا تنتهى وازجرها فلا تنزجر ولى منها ابنان مثل اللولوتين وكانت رفيقة بى فلما كانت البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك فقتلتها فاهدر صلى الله عليه وسلم دمها اى قال له انه هدر لا اثم فيه ولا عقوبة ولا شى يجب منه وفى الرواية السابقة فقال صلى الله عليه وسلم الا اشهدوا ان دمها هدر وقوله ام ولد صريح فى انها جارية مملوكة له لا مملوكة حتى يقال انها مشركة وكيف حلت له وهو وهم ونحوه مما لا حاجة فى ذكره من غير داع له وفى حديث ابى برزة الاسلمى نسبة لاسلم قبيلة وهو نضلة بن عبيد بن الحارث اسلم قديما وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد وتوفى بالبصرة سنة اربع وستين وهذا الاثر رواه ابو داود والحاكم والبيهقى وصححوه قال كنت يوما جالسا عند ابى بكر الصديق فى زمن خلافته فغضب ابو بكر رضى الله عنه على رجل من المسلمين صدر عنه ما اغضبه ثم بين هذا بقوله حكى القاضى اسماعيل بن اسحاق بن اسماعيل ابن حماد بن زيد البغدادى المالكى الحافظ وقد تقدمت ترجمته وغير واحد من الايمة فى هذا الحديث المراد بالحديث اثر الصحابى لانه له حكم كما يعن الكثرة من الايمة فى هذا الحديث المرفوع هنا انه سب ابا بكر رضى الله عنه سبا فاحشا ورواه ايضا النسائى ابو عبد الرحمن شعيب الحافظ احد الايمة الستة كما تقدم ولفظه عن ابى برزة قال اتيت ابا بكر وقد اغلظ لرجل اى شدد وتكبر عليه لغضبه منه فرد عليه كلامه بغلظة منه قال ابو برزة فقلت يا خليفة رسول الله دعنى اى اتركنى ولا تمنعنى من ان اضرب عنقه لسوء ادبه على اعظم الخلفا بسبه اياك وقام لضرب عنقه فقال له ابو بكر اجلس ولا تفعل فليس ذلك اى قتل من سب احدا لاحد الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اى الا لمن سبه كما تقدم قال القاضى ابو محمد ابن نصر هو القاضى عبد الوهاب المالكى البغدادى الاديب وهو من شعرا اليتيمة له الاشعار الفايقة والفضايل الباهرة وقد ذكره الثعالبى واثنى عليه وذكر من اشعاره جملة ولم يخالف عليه احد اى ان ابا بكر لما ذكر هذا بحضر

١

من الصحابة لم يخالفه فيه احد منهم فدل على ان قتل من سب النبي صلى الله عليه وسلم
اتفقت عليه الصحابة كما تقدم فاستدل الائمة بهذا الحديث الذي قاله ابو بكر
ولم ينكره احد من الصحابة الحاضرين عنده على قتل من اغضب النبي صلى الله عليه
وسلم بكل ما اغضبه من قول او فعل او كتب او اذاه او سبه بما فيه تنقيص لقدره
وتشنيع على ما صدر منه كما تقدم لاسطلنا ومن ذلك التفصيل والمعنى الذي افاده
كلام ابي بكر رضي الله عنه كتاب عمر بن عبد العزيز بن مروان الخليفة العادل الى
عامله بالكوفة وهو عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وقد استشاره
ليهتدي به للحكم في قتل رجل سب عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب عمر بن عبد
العزيز جوابا لعامله انه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب احد من الناس من حيث هو
له فان اقتضى كفرا فلا مراحر الا رجلا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن
سبه صلى الله عليه وسلم فقد حل دمه اي حل اراقة دمه وهو كناية عن قتله
وكذا حكم ساير الانبيا عليهم الصلاة والسلام كما يأتي وسال هارون الرشيد
الخليفة العباسي المشهور مالكا امام دار الهجرة وكان الرشيد اخذ عنه الحديث
واجله بما هو حقه في رجل شتم النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له اي الرشيد لمالك
حين سواله عما ذكر ان فقها العراق استفتاهم فافتوه بجلده حد القذف
فغضب مالك على من نقل عنه ذلك حمية وصيانة لمقام النبوة وقال يا امير
المومنين ما بقا الامة بعد شتم نبيها اي ان شتم نبيها معرض لها ومهلك فلا يحل
لاحد سمعه الا قتل قائله وبذل روحه في جهاده ثم بين ما لا له الحكم فيه فقال
من شتم الانبيا قتل لان ذلك حد شاتمهم ومن شتم اصحاب النبي جلد حد
القذف وهذا مذهبه من غير فرق بين كافر ومسلم وبين التايب وغيره وقال
القاضي ابو الفضل عياض المصنف رحمه الله كذا وقع في هذه الحكاية الواقعة بين
الرشيد والامام مالك رواها غير واحد ممن ذكر مناقب الامام مالك وفي
نسخة وفي نسخة من اصحاب مناقب مالك اي ممن اعتنوا بما فيه ودونها ومولفي
اخباره وغيرهم من اصحاب التواريخ ولا ادري من هولا الفقها بالعراق الذين
افتوا الرشيد بما ذكر من جلده وحده كحد غيره مما لم يذهب اليه احد من اصحاب المذاهب
لا سيما اذا حمل على ظاهر اطلاقه وقد ذكرنا فيما تقدم مذهب العراقيين وقولهم
بقتله ولعلهم ممن لم يشتهر بعلم الاحكام الشرعية واني يلحق بجهابذة الايمة الاجلة
من مثله او ممن لا يوثق بفتواه ممن لا علم عنده او يميل به هواه الباطل ممن
هو من اصحاب البدع والزندقة والهوى ما يجي من غير تحقيق ونظر للحق قال تعالى
وما ينطق عن الهوى وضبطه بعضهم بهواه بهم في اوله وقال هو مفعل من الهوى
وهو الغي والضلال ولذا قالوا اذا كان في المسالة قولان لا يجوز للمفتي ان يفتي
العامة بالتشديد وللخاصة بالتخفيف فانه خيانة للشريعة او يكون ما قاله
مفتي العراقيين يحمل على غير السب الموجب للقتل بل كلام ما عن غير عمد في حقه

نلاني

او

او يمكن حمله على وجه سديد فيكون الخلاف الواقع فيه بين المفتيين محصله
هل هو سب لتنقيصه له ام غير سب لعدم تنقيصه له او يكون المفتي به
رجع وتاب عن سبه وهولاء يقبلون توبته مثله مقبولة في مذهبهم فيصح كلامهم
في الجملة فلم يقبله اي لم يقبله الرشيد لمالك حين سأله عنه على اصله اي على الوجه
الذي ورد ووقع عليه واستفتى فيه فاجيب بما قالوه والا اي وان لم يكن شي من
هذه الاحتمالات لانه لا يصح ما نقله الرشيد فالاجماع منعقد على قتل من سبه كما قدمنا
مفصلا في اول هذا البحث فكيف يفتى بخلاف ما اجمع عليه ونقول له رجع وتاب بنا على ان
من تاب لا يقتل فلا ينافي ما تقدم وما قدمه يدل على قول السلف والاجماع على قتله
ويدل ايضا على قتله من جهة النظر اي التفكر فيما يدل عليه عقلا والاعتبار
اي التأمل في موجبات القتل شرعا ليعلم من تتبعها ان النظر والعقل السليم يدل عليه
والمراد به هنا القياس اردف به ما تقدم من الايات والاحاديث واجماع الامة
ليفيد انه ثابت بجميع الادلة والقياس يسمى اعتبارا في القرآن في قوله تعالى فاعتبروا
يا اولي الابصار فان الاصوليين اثبتوه بهذه الاية واليها نظر المصنف من طرف خفي ان
من سبه او تنقصه صلى الله عليه وسلم عمدا او كذا ساير الانبيا كما مر فقد ظهرت
علامة مرض قلبه اي سو عقيدته وكفره المضمر لان المومن يحبه ويجله صلى الله
عليه وسلم فخلاف ذلك يدل على عدمه كما عرفته فيما نقلنا عن السبكي وظهر من تنقيصه
ايضا برهان ودليل يحتوي على سوطويته اي ما اخفاه في نفسه واضمره في قلبه
والطوية بمعنى ما خفي كانه شي طوي ولم يظهر ما يستره فهو استعارة شاعت
وصارت حقيقة فيما ذكر وجه ترقيه من العلامة وهي ظنية الى البرهان القطعي فلا
يرد عليه ان حقيقة الايمان التصديق القلبي عند الجمهور وهو خفي لا يطلع عليه كما قيل
وكفره لانه ردة عندهم ولهذا المذكور من دلالة على ما اسره في نفسه ما
حكم له اي على الساب والمتنقص وما زايدة واللام بمعنى على او موصوفة واللام
تعليلية اي حكم لاجله كثير من العلما بالردة وهي الخروج من الاسلام بقول او فعل
او اعتقاد قام عليه دليل وهذا اذا كان مسلما لا كافرا اصليا كما لا يخفى وهي رواية
الشاميين اي علما الشام الاخذين عن مالك فان لمذهبه طرقا متعددة وهي
ايضا رواية الشاميين عن الاوزاعي عبد الرحمن ابو عمرو وهو صاحب مذهب كما
تقدم في ترجمته وبه اي بهذا القول في ردته وقتله قال الثوري سليمان بن سعيد
كما تقدم وابو حنيفة فانه ذهب اليه في المسلم فقط والكوفيون من عطف العام
على الخاص والقول الاخر في رواية عن هولا انه اي السب والتنقيص دليل
على الكفر المضمر فليس نفسه كفرا بل ذاته وانما هو علامة عليه فيقتل على هذا
حدا لا انه حد من قذف الانبيا كما ورد في الحديث الذي تقدم وان لم يحكم له اي
عليه بالكفر حقيقة الا ان يكون الساب متماديا اي مستمرا في تعديه وعدم
توبته على قوله الذي سبه به غير منكر لما قاله ولا مقلع اي راجع عنه فهذا

ابن افتوس

كفر محقق منه مستوجب لقتله كفر افان زجروا علم بانه كفر ولم ينزجر كان راضيا
به ومقرا بكفره وهو كفر بلا شبهة وبهذا استثنى من قوله لم يحكم له بالكفر فمعناه انه
حينئذ يحكم بكفره ثم فصل فى قوله مطلقا فقال **وقوله** الصادر منه **اما صريح**
كفر كالتكذيب له صلى الله عليه وسلم بانكار نبوته او انكار ما جاء به لا الافترا
عليه **ونحوه** مما هو فى معنى التكذيب الصريح **او من كلمات الاستهزا** به تحقيرا
له **او التسبب** او هجوله **فاعترافه** بها اى بكلمات الاستهزا **وترك توبته**
برجوعه **عنها دليل استحلاله** اى عده حلالا **لذلك** الاستهزا او الذم
وهو اى الاستحلال من حيث هو استحلال لما لا يحل **كفر ايضا** كما ان ما قاله
كفر **فهذا** القايل المستحل **كافر بلا خلاف** بين المسلمين وايمة الدين فى
كفره وبهذا ابنا على انه فرق بين قتل المرتد وقتل الحد المذكور وقال السبكى فى
السيف المسلول على من سب الرسول المرتد يقتل بالنص والاجماع وتوبته مقبولة
عند الاكثر ان لم يكن زنديقا وليس قتله كقتل الكافر الاصلى كما نص له الفقها فعلم من
هذا ان علة قتله ليس مطلق الكفر بل خصوص مطلق الردة ولذا اجعله الفقها من
الجنايات الموجبة للعقوبة كالبغى والسرقة وحكوه عن غيره وقالوا قتل المرتد حد
يسقط باسلامه وهو التحقيق ومن ظن ان من سماه حدا فهو عنده لا يسقط بالاسلام
فهو مخطى والحد هو العقوبة المقدرة من جهة الشارع وهل المعاقب عليه فى الردة
خصوص الكفر بعد الاسلام او قطع الاسلام بالكفر وهو معنى غير الاول فالساب
المسلم مرتد فقتله حد وكذا الكافر ما كلاف فى قتله هل هو حد او كفر لفظى لم يظهر له
فايدة انتهى ملخصا **قال الله تعالى فى مثله** اى مثل المعترف بالاستهزا والذم
يحلفون اى المنافقون **بالله ما قالوا** الاستهزا الذى قالوه فى غزوة تبوك من
ان من يزعم انه سيفتح قصور الشام وحصونه شر من الحمير هيهات هيهات **ولقد**
قالوا كلمة الكفر وهى هذه المذكورة **وكفروا** اى اظهروا الكفر **بعد اسلامهم**
الذى اظهروه وللبعض من هذا الشارح تقوله **قال اهل التفسير فى هذه الاية انه كان**
ما يقول محمد من فتح حصون الشام **حقا** محقق الوقوع **لنحن شر من الحمير**
اى اجبن منها لحمقنا وبلادتنا فان الحمير يوصف بذلك وكان القايل ذلك الجلاس
ابن سويد او وديعة بن ثابت فقال له عامر بن قيس الانصارى اجل والله ان محمدا
لصادق مصدق وانت شر من الحمار فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وجا الجلاس
فحلف بالله عند منبر النبى صلى الله عليه وسلم انه ما قال وان عامرا لكاذب وحلف عامر
لقد قال وقال اللهم انزل على نبيك الصادق شيا يصدق فنزلت الاية فتاب
الجلاس وحسنت توبته و فى الذى سمعها فى الاخر فقيل حذيفة وقيل عاصم بن
عدى وقيل ولدامراته عمير بن سعد وانه هم بقتله كما فصل فى التفسير والسير
وهذا تمثيل لما هو فيه لان من ذكر ليس مشركا مصرا فلا يرد عليه ما قيل انه ليس
مناسبا هنا **وقيل بل انما هذه الاية فى قول بعضهم** وهو رييس المنافقين

ابن اقيرس

عبد

عبد الله بن ابى بن سلول **ما مثلنا** اى حالنا وصفتنا **ومثل محمد** اى حاله
وصفته **الا كما قال** من وقع فيه **قول القايل** فى مثل قديم يضرب لمن يحسن
لاحد فيسى اليه **سمن كلبك يأكلك** لان الكلب اذا شبع واستغنى عن صاحبه قد
يجترئ عليه كالاسد الضارى **ولين رجعنا** من سفرنا هذا الى المدينة **ليخرجن**
الاعز يعنى نفسه **منها** اى من المدينة **الاذل** يعنى اذله الله المومنين كلهم وكان
هذا فى بعض غزواته تبوك او بنو المصطلق واختلف فيمن بلغ رسول الله صلى
الله عليه وسلم هذه المقالة والمشهور انه زيد بن الارقم وكان سبب هذه المقالة
ان رجلا من المهاجرين ورجلا من الانصار جرى بينهما امر فصاح يا للانصارى
يا للانصار والمهاجرين يا للمهاجرين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوها
فانها جاهلية مستقذرة فقال ابن ابى او فعلوها قال لقومه ماذا فعلتم بانفسكم
انزلتموهم بلادكم وقاسمتموهم اموالكم وطعامكم اما والله لو امسكتم عنهم لم يركبوا رقابكم
واوشكوا ان يتحولوا عن محمد فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا عنه الى اخر ما حكاه الله فلما
بلغ زيد رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله له انكر وحلف لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فصدقه وحزن زيد حتى نزل القران بتصديقه فقال عمر رضى الله عنه
دعنى اضرب عنقه فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكرم بكفه عنه لاجل ولده فلما
اراد دخول المدينة منعه ابنه رضى الله عنه وقال لا تدخلها حتى تقول انك الارذل
وبا ذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم والا ضربت عنقك فقال ويحك افاعل انت قال
نعم فلما راى الجد منه قال اشهد ان العزة لله ولرسوله وللمومنين فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم جزاك الله عن رسوله وعن المومنين خيرا **وقد قيل ان قايل**
مثل هذا الذى قاله ابن ابى وغيره **ان كان مستترا به** عن المسلمين بحيث لم
يظهره لهم ويسمعوه منه وفى رواية مستترا استفعالا من السر اى مختفيا حتى قاله
عن المسلمين والستر خلاف العلانية **او حكمه حكم الزنديق** وهو انه **يقتل**
لانه مثله فى اخفايه الكفر واظهاره الايمان فيقتل لذلك **ولانه قد غير**
دينه بما قاله فصار كالمرتد **وقد قال** صلى الله عليه وسلم **من غير دينه** باظهار
ما يخالفه **فاضربوا عنقه** ان لم يتب وقيل بقبول توبته برجوعه لدينه واستدل
بهذا الحديث على قتل الزنديق من غير استتابة وقال الشافعى تقبل توبته مطلقا كالمرتد
وعن ابى حنيفة فيه روايتان وقيل كذلك واستدل القايل بقبول توبة من اخفى
كفره بحديث ابن عمر فى الصحيح الاتى فى كلام المصنف مع الكلام عليه انه صلى الله عليه وسلم
قال امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله محمد رسول الله ويقيموا
الصلاة ويوتوا الزكاة فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماهم واموالهم الا بحق الاسلام
وحسابهم على الله يعنى فيما يستترون به ففيه دليل على ان من ظاهر حاله الاسلام
لا يتعرض له وتقبل توبته قالوا وعليه اكثر العلما الا مالك واحمد بن حنبل فانهما
لم يقبلا توبته وهذا هو الزنديق على القول بانه من يظهر الاسلام ويبطن الكفر

لامن لا يتعقل دينا و قد اختلفوا فيه كما مر على اقوال منها ما ذكر ونقله قاضي خان
كما تقدم والكلام عليه مفصل في الفقه ولان حكم النبي صلى الله عليه وسلم في الحرمة
اي احترامه وتوقيره وصيانة جانبه مزية بفتح الميم وكسر الزاي المعجمة وتشديد
الياء التحتية وهي زيادة الفضيلة وقال العلامة لا ينبغي منه فعل لكن تقدم عن الاساس
تميز عليه زاد على امته فلا يسوى بينه وبينهم فيما يخصه فيزاد في جزاء من سبه على
حد غيره لرفعة محله وساب الحر لا العبد من امته يحد حد القذف بشروطه
ان استحقه والا يعزر واطلقه لظهوره او تسمح فادخل التعزير في الحد وفي نسخة
يحد بجيم ولا ادري ما معناه والظاهر انه تحريف من الناسخ فكانت العقوبة
لمن سبه صلى الله عليه وسلم او سب غيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام القتل
رعاية لعظيم قدره فيعظمه يعظم الذنب فيه وتفوق منزلته على غيره بتثنية
مهملة وقاف اي زيادتها يقال شق عليه اذا زاد قاله ابن القطاع وهو بمعنى النقص
ايضا من الاضداد والقرينة مانعة منه هنا اي لزيادة مرتبته العالية بشرفه
صلى الله عليه وسلم تسليما وزاده تشريفا وتعظيما وهذا اعظم الجزاء لاعظم الخلق واحتمال
ان يراد بدون القتل لا يرد عليه كما قيل

فصل في دفع الشبه الواردة

على ما قدمه في هذا الفصل فان قلت اذا كان سبه صلى الله عليه وسلم وتنقيصه
مقتضيا للقتل فلم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي الذي قال له السام
عليكم وهذا دعا عليه واذية له ولم يجازه بما فيه فاتله فيرد على ما قرره اولا والسام
بمعنى الموت فهم يوهمون انهم قالوا السلام وانما ارادوا الدعا عليه بموته ومثله مما يوذيه
وهذا رواه البخاري وغيره وقالوا ان عائشة رضي الله عنها تفطنت له لما كانوا اذا
قالوا السام عليك يا ابا القاسم قالت عليكم السلام والذام واللعنة ولذا قال صلى
الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم رد الدعا لهم عليهم الا ان الخطابي
قال المحدثون يروونه بالواو ورواه ابن عيينة بدونها وهو الصواب لان الواو التي
لمطلق الجمع للاشتراك بينهما قلت لا محذور فيه لانه صلى الله عليه وسلم قصد الاشتراك
في معنى غير الذي قصدوه اي الموت مقدر علينا وعليكم كما في بيانه فيكون
من القول بالموجب البديعي كقوله

وقالت انت عندي مثل عيني ... فقلت نعم ولكن في السقام

ولذا ذهب كثير الى جواز اثبات الواو وحذفها وان الخطابي رجع عما قاله لما
نقل بمعنى الموت ويجوز ان يكون مهموزا من السأمة والذام بالمعجمة بمعنى الذم
والعيب ويجوز انها من الدوام والقائل جماعة من اليهود وقيل واحد
منهم اسمه ثعلبة بن الحارث وجمع بين الروايتين بتعداد القصة او بان الداخل
جماعة والقائل منهم واحد ولا قتل الرجل الاخر وهو ذو الخويصرة الذي
سبق ذكره وبانه فانه الذي قال له صلى الله عليه وسلم في قسمة قسمها من مال الغنائم
ان هذه القسمة التي قسمها يعني الغزاة وفي نسخة ان هذه لقسمة ما اريد بها

وجه

وجه الله اي خالصة له جارية على العدل كما امره الله وهذا في حديث رواه
البخاري ايضا فلم يقتله صلى الله عليه وسلم والحال انه صلى الله عليه وسلم قد تاذى من
ذلك اي من قوله الذي قاله ونسبه فيه الى الجور وهو اذية مسلم له وافترا عليه
يقتضي قتله فلم لم يامر بقتله وقال الحافظ الذهبي هذا الاخر لا اعرفه وفي الصحيح
انه من الانصار وقال انه معتب بن قشير والذي قال له اعدل ذو الخويصرة
التميمي الخارجي الذي قتل يوم النهروان ويقال له حرقوص وكانت هذه القسمة
يوم حنين زاد فيها بعضهم لمصلحة وهو تاليفهم ومع ذلك لم يقتلهم صلى الله عليه وسلم
حين اذوه بل قد قال اوذي موسى من قومه باكثر من هذا الذي اوذيته فصبر
على اذيتهم ولم يقتل احدا ممن اذوه فلي اسوة به واذية موسى انهم رموه بالبرص والادرة
واتهموه بقتل اخيه هارون وخالفوه في امور كثيرة قصها الله في القرآن عليهم ولا
قتل المنافقين الذين كانوا يوذونه في اكثر الاحيان وروي في كل الاحيان
والاول اظهر واشهر واذية المنافقين له تقدم بعضها قريبا فهذا كله يدل على ان من
اذاه او من ذمه او ذم غيره من الانبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام لا يستحق القتل
فيخالف هذا جميع ما تقدم من الادلة والاجماع الذي حكاه شرح المص في الجواب عن هذا
الاشكال بقوله فاعلم ايها السائل عما اشكل عليك وفقنا الله تعالى واياك
لما لم تعلم وهي جملة دعائية معترضة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اول
الاسلام اول منصوب على الظرفية اي في ابتدائه يتالف عليه الناس اي يطلب
الفتهم وقربهم لقرب عهدهم بالاسلام وفيهم الاعراب الجفاة حين يثبتهم على الاسلام ويداوي
امراض قلوبهم بعفوه وكرمه ولم يقل اول الهجرة لان هذا كان بالمدينة بعد هجرته
لان ابتدا التاليف ببعض انواعه كان قبلها واستمر ذلك الى الهجرة كما روي اليه
في له كان الدالة على الاستمرار فلا اعتبار به كما قيل لو قال اول الهجرة كان اولى
وفي نسخة يستالف بسين مهملة ساكنة بين الياء والتاء ويميل قلوبهم اليه اي الى
الاسلام وخلوص الايمان محبته والاذعان له ودواعيه الثانية مخففة مضارع امال
اماله ويجوز تشديدها والاولى اولى ويحبب اليهم الايمان ليتمكن في نفوسهم ويزينه
في قلوبهم اي يحببه بتزيينه فيه ويداريهم بترحيبه قبل الهاء اي يعاملهم بملاطفة
لهم ورفق بهم ويقول لاصحابه اي خلصهم الذين سبق ايمانهم وعلم اخلاصهم انما
بعثتم دينه تغليب اي انما بعثت معكم او هو مجاز عن امرتم وعلمتم او هو بمعناه
اللغوي اي جئتم لدار الهجرة وارسلتم لها لتكونوا ميسرين بسين مهملة اي
مسهلين مسامحين لا معسرين مشددين على من قرب عهده بالاسلام ولم تبعثوا
وترسلوا منفرين للناس عن الاسلام اي بشدة وغلظة تحمل الناس على نفورهم
عنكم بمنافرتهم وتنفيرهم عنكم وكان الظاهر ان يقول معسرين ليطابق قوله
ميسرين لكنه عدل للمطابقة الخفية لانها ابلغ لان التيسير يقتضي تالفهم وعدم
تنفيرهم عنهم فاتى بلازم المقابل لانه ابلغ واكثر كما في قول المتنبي كانك مستقيم في محال

اذ لم يدخل في امواج و لبس هذا الاجل التانية كما قيل ونحوه لايرون فيها شمسا ولا زمهريرا **و** كان صلى الله عليه وسلم **يقول** لاصحابه ايضا **بشروا** الناس بكل خير **ولا تنفروا** اى لا تشددوا وتغلظوا عليهم **وسكنوا** اى اتركوا الناس على ما هم عليه ولا تكلفوهم بما لم يالفوه **ولا تنفروا** الناس عنكم فينفروا ويفروا اى لا تثقلوا عليهم وتلجئوا فيملوا منكم وهذا انما لم يجب عليهم والامتثال لا يباح فيه **و** كان صلى الله عليه وسلم **يقول** لاصحابه كما مر فى قصة ابى بن سلول والمنافقين لما بلغه ما قالوه فقالوا له دعنا نضرب عنقه فابى **لا يتحدث الناس** فيما بينهم فيقولوا **ان محمدا يقتل اصحابه** وهذا اذا شاع عنه صلى الله عليه وسلم منع بعض الكفرة من الدخول فى الاسلام وجعله المشركون واعداء الدين وسيلة للطعن فيهم ومثله مما ينبغى الاحتراز عنه لما فيه من الشوائب وهذا قاله صلى الله عليه وسلم لعمر لما قال فى قصة ابى بن سلول دعنى اضرب عنقه كما تقدم مفصلا **وكان** صلى الله عليه وسلم **يدارى الكفار والمنافقين** بتلطفه بهم واحسانه وعفوه عنهم والفرق بين المداراة والمداهنة مشهور تقدم مرارا ايضا فالمداراة اللطف ولين القول لدفع الضرر وجلب النفع له او لمن داراه كامره بنصح ورفق وبيان ما فى حاله من محذور وسوء عاقبته والمداهنة تحسين القبيح وقوله له ما هو باطل وكذب مما يغره ويحثه على ارتكاب الفواحش والاول محمود شرعا والثانى مذموم غير جائز **ويجمل صحبتهم** بضم المثناة التحتية وسكون الجيم وكسر الميم ثم لام من الجميل الحسن قولا وفعلا وقيل يجمل بمعنى يجمع بعد تفرقه وهو بعيد ركيك **ويغضى عنهم** الاغضاء العفو والتجاوز والسكون وغض البصر عما لا يليق وحمله على غض البصر او رأى ما فيه من العفو فعداه بعن وهو متعد بعلى وفى المصباح اغضى الرجل قارب بين جفنيه ثم استعمل فى الحلم **ويحتمل من اذاهم** اى يتحمله ويعفو عنه قال فى المصباح حمل الشىء واحتمله بمعنى عفا عنه وهو فى اصطلاح الفقهاء يستعمل بمعنى الوهم والجواز فيكون لازما وبمعنى الاقتضاء والتضمن فيتعدى ومن زائدة او تبعيضية وسيأتى ما فيه **ويصبر على جفائهم** اى غلظة طباعهم المقتضية لعدم الادب فى الاقوال والافعال ويقال لاهل البادية اهل الجفاء **ما لا يجوز لنا الصبر عليه** ما موصولة مفعول ليحتمل فمن بيانية مقدمة على المبين وتجوزه النحاة والمراد باليوم ما بعد عصره صلى الله عليه وسلم وابتداء الاسلام وقواعد الاسلام لم تكن على ما هى عليه الان من القوة التى لا يفتقر فيها لاحد ما كان يباح فيه الرسول صلى الله عليه وسلم لمصلحة تمت بذهاب اسبابها فما فعله صلى الله عليه وسلم من عدم قتل بعض لا يجوز لنا الان المسامحة فيه اصلا لما فى قوله فلما استقر الخ وهذا هو الجواب عن السؤال مع انه حق له صلى الله عليه وسلم يجوز له العفو عنه لانه ممتنع علينا الاغضاء عن اهانته صلى الله عليه وسلم **وكان** صلى الله عليه وسلم **يرفقهم** اى يصلهم ويتحفهم **بالعطايا** تكرما عليهم **والاحسان** اليهم بكرمه ولين قوله ليؤلف قلوبهم ويحببهم لان النفوس جبلت على حب من

احسن اليها فيرفق بزنة يحمد مضارع رفق او بوزن يكرم مضارع ارفق وفى الصحاح الرفق ضد العنف وقد رفق به يرفق وحكى ابو زيد رفقت به وارفقته بمعنى ترفقت به ويقال ارفقته بمعنى نفعته وقال ابن القطاع رفقته رفقا وارفقته نفعته ومن الرفق لذلك فهو ثلاثى ورباعى **وبذلك** المذكور من مداراتهم وعطاياهم ورفقه بهم **امره الله تعالى فقال ولا تزال تطلع على خائنة منهم** اى على طائفة خائنة او خيانة تصدر منهم فى حقك كما صدر من اسلافهم مع رسلهم ولا تجزعن لذلك او المراد نفسه خائنة او نفس خائنة ويقال فى المبالغة رجل خائنة كراوية ونذير على خيانة **الا قليلا منهم** لم يخن **فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين** الذين يجزون السيئة بالحسنة ويتجاوزون عما سلف وهذه الاية نزلت فى اليهود الذين كانوا فى زمن نبينا صلى الله عليه وسلم بيانا لانهم من شانهم الخيانة وانهم ورثوا اباءهم وامره بالعفو عنهم بشرط المعاهدة اوكونها او هذه الاية منسوخة والتقبل المستثنى من امن به صلى الله عليه منهم كابن سلام **وقال الله تعالى** امرا لنبيه صلى الله عليه وسلم كما مر **ادفع** ما تراه من السيئات **بالتى هى احسن** وهى الاحسان لمن اساء واللطف به **فاذا الذى بينك وبينه عداوة** من الكفار **كانه ولى حميم** اى لا يزال احسانك اليه حتى يصيره كالصديق الذى بينك وبينه مصافاة وموالاة والولى من يوالى ويتابع والحميم الصديق المصافى نزلت فيمن كان يعادى رسول الله صلى الله عليه وسلم كابى سفيان وقيل المراد بالتى هى احسن المصافحة وهى سخيفة وقيل ان هذه نسخت باية السيف **وذلك** اى ما ذكر من مداراته صلى الله عليه وسلم كان **لشدة حاجة الناس للتاليف** لقلوبهم وجذبها له **فى اول الاسلام** ومبادى الهجرة **و** للحاجة فى اول الامر الى **جمع الكلمة** باتفاق اراءهم معه صلى الله عليه وسلم وعدم مخالفتهم له فانه يحصل بالملاطفة والملاينة ما لا يحصل بغيرها **فلما استقر** فيه ضمير مستتر للاسلام اى لما قوى وثبت **واظهره** اى اظهر الله دين الاسلام اى علاه ورفعه **على الدين كله** اى على كل دين وملة بحيث غلب اهله وقهرهم والدين فى الاصل مصدر يستوى فيه الواحد وغيره **قتل من قدر عليه** ممن اظهر عداوته وطعن فيه وفى دينه اذ لم يبق حاجة للمداراة التى كانت لمصلحة انتهت الان **واشتهر امره كفعله** صلى الله عليه وسلم **بابن خطل** يوم الفتح حين امر بقتله يوم فتح مكة ولو وجد متعلقا باستار الكعبة **و** قتل ايضا بامره بذلك **من عهد** اى اوصى المسلمين **بقتله يوم الفتح** اى يوم فتح مكة كما تقدم مفصلا **و** قتل ايضا **من امكنه قتله غيلة** بكسر الغين المعجمة وهو القتل خفية ومخادعة كابن الاشرف وابن ابى الحقيق **من يهود** من اعاظم الطائفة الملعونة **وغيرهم** اى غير اليهود من الكفرة **او غلبة** اى وقتل ايضا من امكنه قتله من غير اخفاء اى بطريق الغلبة والقهر كابى عزة الجمحى كما مر **ممن لم يتظاهر قبل** اى لم يدخل قبل قتله **في سلك صحبته** صلى الله عليه وسلم باسلامه ومتابعته له صلى الله

عليه وسلم والسلك خيط ينظم فيه لؤلؤ ونحوه والنظم ادخاله فيه فاستعير للجمع
وجعل محل الجمع اوما يتضمنه بمنزلة السلك وسلك صحبته كلجين الما اوهو استعارة
ايضا والانخراط في جملة مظهري الايمان به من الصحابة رضي الله عنهم
اجمعين وقد فسر الانخراط بالدخول يقال انخرط في السلك اذا انتظم ووقع
ذلك في كلام الفصحاء الثقات كالسكاكي والزمخشري وقد ربما ذكر الاني لم اجده
في كلام العرب قديما ولا في كتب اللغة بهذا المعنى بل الموجود خلافه كخرط القتاد
واخترط السيف سله وقد تتبعته فلم اظفر به وغاية ما يقال في توجيهه انه من
اخترط اذ اجعله في الخريطة وهي الكيس فتجوز واريد جعله في العقد قال ابن
عباد في محيط اللغة الخريطة مثل الكيس يشرج من ادم اوخرق ويقال اخرطت
الخريطة اخراطا انتهى وتقدم التنبيه عن ذلك ايضا وقوله ممن كان يؤذيه
من الكفرة بيان لمن الذي تقدم كابن الاشرف وابي رافع تقدم بيانهما مفصلا
والنضر بن الحارث الذي تقدم بيانه وعقبة بن ابي معيط وتقدم ايضا دجى
وهذا تمثيل لمن قتله صلى الله عليه وسلم مطلقا غيلة وعلانية فلا وجه لما قيل ان في
ذكر ابن الاشرف مع من قتله علانية نظرا لقتله غيلة وكذلك اي مثل قصة من
ذكر ممن قتله ندر دم جماعة من الكفار سواهم اي سوى من ذكر من كعب واصرابه
وندر بنون ودال مهملة وراء مهملة اي اوجب قتله على من عنده من اصحابه قال
في الاساس ندر رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا اوجبه على نفسه وهو من كلام
اهل الحجاز انتهى فقول بعض الشراح انه بدال مهملة بمعنى اسقط واهدر ليس دجى
بشي ككعب بن زهير بن ابي سلمى بضم السين وسكون اللام ربيعة بن رباح
بكسر الراء وبالمثناة التحتية ابن قرط المزني وهو واخوه شاعران مجيدان
غير مكثرين واخوه اسلم قبله وكان كعب قال قبل اسلامه شعرا يعرض فيه
بالنبي صلى الله عليه وسلم فكتب اليه اخوه كتابا يقول فيه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اهدر دما قوم كهبيرة بن ابي وهب وابن الزبعرى فان كان لك حاجة
في نفسك فطر اليه فانه صلى الله عليه وسلم يقبل من اتاه تائبا فضاقت الارض
عليه وارجف الناس بانه مقتول فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي
الصبح فلما فرغ جلس بين يديه ووضع يده في يده وقال يا رسول الله ان كعبا
جاءنا تائبا مسلما اتقبله قال نعم وهو لا يعرفه فقال انا كعب فوثب عليه رجل من
الانصار وقال يا رسول الله دعني اضرب عنقه فقال دعه فانه جاءنا تائبا فغضب
كعب على الانصار لانه لم يقل فيه احد من المهاجرين الا خيرا وانشده صلى الله
عليه وسلم قصيدته المشهورة والبسه بردته التي يتوارثها الخلفاء بعده وكان
معاوية رضي الله عنه طلبها منه فقال ما كنت لاوثر احدا بثوب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلما مات اخذها من اولاده بعشرين الفا او بثلاثين الف درهم وفي
وفي هذه القصة ان حسنة الرسول صلى الله عليه وسلم العفو عمن سبه من

الكفرة

الكفرة وان اجازة الشعراء مسنونة من مكارم الاخلاق كما قال الغزالي

جود فضيلة الشعراء عني ۝ وتحسين المديح من الرشاد
تحت بانت سعاد ذنوب كعب ۝ واعلت كعبه في كل ناد
وما احتاج النبي الى مديح ۝ وتشبيب بشي من سعاد
ولكن سن اسداء الايادي ۝ وكان الى المكارم خير هاد

وابن الزبعرى هو عبد الله بن الزبعرى بن سعيد بن سهم القرشي وهو بكسر
الزاي المعجمة وفتحها وكسر الباء الموحدة وسكون العين المهملة مقصور علم منقول
من سيء الخلق او كثيف الشعر كان شاعرا مجيدا اشجعا من اشد الناس على
رسول الله صلى الله عليه وسلم بطول لسانه وسنانه ولا عقب له اسلم بعد الفتح وحسن
اسلامه وكان فر هو وزوجته ام هانئ بنت ابي طالب الى نجران فقال له مازالك
فقال ان محمدا قتل قريشا وفتح مكة واراه سابرا لكم فاصبح بالحارث وكعب منهم
مارث من حصنهم وحموا اما تنبتهم فارسل له حسان رضي الله عنه شعرا يقول
فيه ۝ غضب الاله على الزبعرى وابنه ۝ وعذاب سوء في الحياة مقيم
فلما بلغه قال مالي وبني الحارث وترك دارك وخرج حتى اتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم في اصحابه فلما راه قال هذا ابن الزبعرى في وجهه نور الاسلام فوقف
عنده وقال السلام عليكم اني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبد الله ورسوله
والحمد لله الذي هداني للاسلام وقد اجلبت على عداوتك حتى هربت الى نجران
وانا اريد ان لا اقرب الاسلام ابدا ثم اراد الله بي خيرا فالقاه في قلبي وحببه الي وذكره
ما كنت فيه من الضلالة واتباع ما لا ينفع ولا يعقل من حجر يعبد ويذبح له فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداك للاسلام ان الاسلام يجب
ما قبله وقلت في ذلك

رايت الاسلام قوم يجب ما كان قبله ۝ وكم حصر اراه بالكفر في شوملة

وغيرهما اي غير كعب وابن الزبعرى ممن اذاه صلى الله عليه وسلم وسبه نثرا ونظما
وهجاه ثم تاب باسلامه فقبلت توبته وعفي عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما في السير حتى القوا بايديهم اي انقادوا وسلموا وهو مجاز عما ذكر واصله
وضع يده في يد غيره ممن يمسكه لانقياده التام انقياد ويقبض يد غيره عنه ولقوه طن
عليه الصلاة والسلام مسلمين فعفى عنهم وامنهم واحسن اليهم واما من نافق ابواطن
المنافقين وما فيها من الكفر مستورة غير معلومة لعيوبهم وحكمه صلى الله
عليه وسلم انما كان على الظاهر وهو الاسلام المانع من قتلهم وهذا الاجل الشريح
لامته بعده وان اطلعه الله على سرائرهم ومع ذلك اكثر الكلمات التي قصد المنافقون
بها تنقيصه صلى الله عليه وسلم وذمه انما كان يقولها القائل منهم اي من المنافقين
خفية مع امثاله من المنافقين ولا يقف عليها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون
وخفية بضم اوله وكسره وفي نسخة زيادة واو قبل مع ويحلفون عليها اي يحلفون

انهم ما قالوا ما نسب اليهم وهذا ابلغ مما سبق وقد مر هذا في قصة ابن ابي وابن [illegible]
من المنافقين اذا نميت اليهم اي نقلت وبلغت لرسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم من
نمى الحديث بالتخفيف والتشديد والمشهور ما قاله ابو عبيد من انه بالتخفيف ما نقل
على وجه الاصلاح وبالتشديد ما كان على وجه الافساد وهو النميمة وكذا قاله ابن
قتيبة وغيره لكن رواية اكثر المحدثين بالتخفيف هنا تدل على خلافه وينكرونها اي
هذه المقالة ويحلفون بالله ما قالوا ما نقل عنهم ولقد قالوا كلمة الكفر اي الكلمة
التي يكفر بها قائلها والتي انما تصدر عن الكفرة واعداء الدين مما نقلاه سابقا
وكان صلى الله عليه وسلم مع هذا اي مع ما قالوه من كلمة الكفر يطمع في فيئتهم بكسر
الفاء وفتح الهمزة قبل التاء الفوقية اي رجوعهم وروي فيئتهم بفتح الفاء قبل ياء ساكنة قبل
الهمزة من فاء اليه اذا رجع ومنه الفيء للظل بعد الزوال ورجوعهم الى الاسلام
عطف تفسير اي دخولهم فيه فهو مجاز مرسل من اطلاق المقيد على المطلق كقوله وان
عدتم عدنا وتوبتهم من نفاقهم ولعزمهم الخفي فيصبر صلى الله عليه وسلم على اذيتهم
ونفاقهم وذمهم الذي علمه منهم وبلغه عنهم وعلى هناتهم بفتح الهاء والنون المخففة
وفي المصباح الهن خفيف النون كناية عن كل اسم جنس والانثى هنة بالتخفيف ولامها
محذوفة ففي لغة هي هاء فتصغر هنيهة ومنه مكث هنيهة اي ساعة لطيفة وفي لغة
هي واو فتصغر في المونث على هنية بتشديد الياء والجمع هنات الاولى وجمعها هنوات
وربما جمعت على هنات مثل جهات والمذكر هن وبه سمي وكني به عن الفرج انتهى وهو
احد الاسماء الستة اخوات اب واخ وكني به هنا ايضا عن قبائحهم وكان صلى الله عليه وسلم يصبر
ايضا على جفوتهم اي ما يصدر عنهم من الاقوال والافعال القبيحة لغلظة طباعهم
وسوء ادبهم كما صبر اولو العزم من الرسل وهم الذين كانوا ذوي عزيمة في نبوتهم
وثبات في دعوة الناس الى الدين وقد مر انه قد اختلف فيهم فمنهم من قال هم خمسة
نوح وابراهيم وعيسى وموسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وقيل
هم المذكورون على التوالي في الشعراء والاعراف وهم نوح وهود وصالح وسليمان
ولوط وموسى لصبرهم على اذى قومهم وما ابتلوا به ومنهم من عد منهم اسماعيل ويعقوب
وايوب وقيل كل من امر بالجهاد والقتال وقيل ثمانية عشر ذكروا في الانعام وعينهم
الله بقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقيل كل الرسل وقيل الا يونس
لقوله ولا تكن كصاحب الحوت فهؤلاء صبروا على اذى الناس ومواجهتهم بما يكرهون
وقد امر صلى الله عليه وسلم بالاقتداء بهم في الصبر على الاذى والعفو لم يزل يتحمله في
ابتداء الهجرة حتى فاء كثير منهم باطنا اي رجع عن نفاقه فخلص ايمانه في قلبه كما فاء
ظاهرا اي كما كان ظاهره في الرجوع الى الايمان بعد الكفر واخلص ايمانه بالله
ورسوله صلى الله عليه وسلم سرا خفيا اسره واخفاه في قلبه وبينه وبين نفسه
كما اخلص جهرا اي كما جاهرهم به من نفاقه فتوافق باطنه وظاهره وسره
وجهره ونفع الله بعد بكثير منهم اي نفعهم بعد اخلاصهم وهداية الله لهم

وقام

وقام منهم اي من هؤلاء الذين نافقوا وعفا عنهم للدين واهله وزراء واعوان
عطف تفسيري لان الوزير من الوزر وهو المعاونة والنصرة فتقوى وتعاضد بهم
اهل الاسلام وحماة وانصار فهم حامون للدين وناصرون لاهله كما جاءت
به الاخبار الثابتة فكم من منافق كان حبب الله له الايمان واعزه الله به
وهو مذكور في كتب الحديث غني عن البيان وبهذا الجواب المذكور اجاب بعض
ائمتنا المالكية رحمهم الله عن هذا السؤال السابق من قول اليهود السام عليكم
وعنه اجوبة اربعة ذكرها في السيف المسلول بعد ما ذكر في حقهم واذا جاءوك
حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم
يصلونها فبئس المصير فاخبر الله عنهم بانهم كانوا يحيونه بتحية منكرة ويقولون لو
كان نبيا لعذبنا الله بقولنا له السام عليكم واخبر تعالى انه لا حاجة لعذابهم لانه
يكفي من لم يتب منهم عذابه في الاخرة فاجيب عن السؤال الذي تقدم من انه لم
يقتلهم ونهى عائشة رضي الله عنها عن قولها بل عليكم السام والذام واللعنة كما مر فقال
لها مهلا فان الله يحب الرفق في الامر كله وحاصله انه كان لحكمة وهو انه وقع
والاسلام لم يتقو القوة البالغة فصبر لعل الله يهديهم ويقوى بهم الدين وقد وقع ذلك
لكثير منهم وكان الصبر عليهم والعفو عنهم حاملا له صلى الله عليه وسلم والجواب الثاني عنه
انهم كانوا يخفونه ويتكلمون به بعجلة وخفض صوت ولا يطلع الناس عليه والعقاب
على الكفر انما يكون على الظاهر دون الخفي وقال بعض الائمة المجيب بهذا وفي
نسخة وقيل لعله اي قولهم السام للدعاء عليه لم يثبت عنده صلى الله عليه وسلم من
اقوالهم اي اليهود ما رفع بالبناء للمجهول من رفع الكلام بمعنى اوصله وبلغه وانما
نقله له صلى الله عليه وسلم الواحد الذي لم يتم به نصاب الشهادة ومن لم يصل اي لم
يبلغ رتبة قبول الشهادة في هذا الباب اي النوع المقتضي للقتل من صبي صغير لا
تسمع شهادته شرعا وعبد مملوك وامراة شهادتها غير مسموعة في مثله مما يندرئ
ويدفع بالشبهات وهو الحدود والدماء لا تستباح الا بعد الثبوت بعدلين ذكرين
حرين واعلام الله له بعد حكمه بالظاهر ونفوذ حكمه لا يجاوز فما قيل من انه يجب
من المضر مع تكذيب الله لهؤلاء واعلامه بما لهم في القرآن ليس بشيء لا سيما ومونا قتل
ثقته وما على الرسول الا البلاغ وعلى هذا الذي ذكره بعضهم في الجواب يحمل امر
اليهود وفي نسخة اليهودي في السلام وفي نسخة السام وهما بمعنى لان المراد بالسلام
سلام اليهود وهو قولهم السام وانهم لووا بواو بعد اللام مخففين والتشديد به وان صح
غير مناسب هنا لانه للمبالغة ولم تقصد هنا والى فتل الالسنة ولفتها بسرعة حتى
يخفى ويظن انهم قالوا السلام السنتهم جمع لسان وهو الجارحة المعروفة ولم يبينوه
اي سلامهم وهو تفسير للمراد بلي الالسنة الا ترى ما يحقق ما قيل ويوضحه كيف
نبهت عليه اي على قولهم هذا عائشة رضي الله عنها حيث ردته عليهم بقولها المتقدم
عليكم السام والذام واللعنة ونهاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وامرها بالرفق

ابن فرحون والدلجي

وقال اني ارد عليهم فيستجاب لي ولا يستجاب لهم لكن قال ابن تيمية ان قوله صلى
الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم اي رد والذي يقولونه عليهم
وتقرير الصحابة له بعده يدل على عدم اختصاصه بذلك الامر وبين الاسلام وانه
لم يخف عليه فتامل ولو كان اليهودي الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم السام عليك
صرح بذلك من غير اخفاء ولي السنة لم تنفرد بنا فرقة اي عايشة رضي الله عنها
بعلمه دونه صلى الله عليه وسلم ولهذا اي لكونهم لم يصرحوا بما يعلمه كل احد ولكون
اليهودي لم يصرح بالسام بلا ضمره خفية ولامه نبه النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه
على فعلهم اي فعل اليهود القبيح الذي انه يقول لهم السام عليك وقد صدقهم في
كلامهم وحيل قوله لهم السام موهمين انهم قالوا السلام كذبا تحملهم مالبس بتحية تحية وهو
باعتبار ما تضمنه كذب بخالفه الواقع وخيانتهم في ذلك لله ولرسوله صلى الله عليه
وسلم ليا بالسنتهم بتحريف مقالتهم وكذبهم وعدولهم عن سنن الصواب وطعنا في
الدين اي دين الاسلام واهله وفيه اشارة الى الاية اعني قوله عز وجل الم تر الى الذين
اوتوا نصيبا من الكتاب الاية وهي نزلت في حق اليهود وقولهم راعنا واسمع لكن لما
كانا من قبيل واحد في التحريف والعدول عن الظاهر وانتبه المصنف هنا وانما كان
هذا طعنا في الدين لانهم قالوا لو كان نبيا علم بمقالتنا وعذبنا الله عليها كما مر فلا يتوهم
انه كيف يكون هذا طعنا في الدين بمجرد ذكر السام بمعنى السلام فقال صلى الله عليه
وسلم لاصحابه منبها لهم ان اليهود اذا سلم احدهم فانما يقول السام عليكم فقولوا
في رد سلامهم عليكم وفي رواية وعليكم بالواو وقد تقدم الكلام عليه مفصلا وقد
قال الفقها لا يبدؤوا بالسلام الكفرة وانما يرد سلامهم بقول وعليكم وفي رواية عن
الشافعي جوازه وكذلك قال بعض اصحابنا البغداديين كالقاضي عبد الوهاب
المالكي البغدادي وقد تقدم بيانه ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين
بعلمه فيهم وبما في نفوسهم مع انه عالم بهم واطلعه الله على سريرة نفاقهم وان كان
له صلى الله عليه وسلم ان يقضي بعلمه في زمان قضائه او في مجلس حكمه وانما المانع عنه
انه امر بالعمل بالظاهر في اكثر احواله تشريعا لامته وكان ذلك في ابتدا الاسلام
تاليفا للقلوب حتى يهديهم الله ولا تنفر قلوب من يريد الدخول في الدين ويكف
السنة الطاعنين بقولهم انه صلى الله عليه وسلم يقتل اصحابه والحكم تتناقض والمصالح
لا تتزاحم فلا تنافي بين الاحاديث كما توهم ولم يات اي لم ينقل في الاحاديث ابن اقبرس
انه قامت بينة عنده صلى الله عليه وسلم على نفاقهم فلهذا اي لكونه لم تقم عنده
بينة على نفاقهم وهو ما مر في اكثر الاحكام انه يحكم بالظاهر وبالصبر كما صبر اخوانه
اولوا العزم تركهم من غير ان يقتلهم ولم يحكم بعلمه وان اعلمه الله به في سورة المنافقين
وسورة براءة اجمالا من غير ذكر لهم باعيانهم فمن قال كذلك ما فيهما من تفضيحهم بعينه
لم يصب وهذا مبني على ان الحاكم لا يجوز له ان يحكم بعلمه مطلقا او في الحدود او في
حقوق الله وفيه كلام للفقها ليس هذا محله وانما مع البينة على النفاق تتصور بان

تشهد

يشهد على اقراره والا فما في قلبه لا يمكن الاطلاع عليه لغير علام الغيوب وايضا
يقتضي عدم قتلهم فان الامر اي نفاقهم كان سرا وباطنا يخفى على الناس فكيف
تقوم عليهم بينة وظاهرهم الاسلام والايمان هما بمعنى وقد يفرق بينهما بحسب
المفهوم وان اتحدا بما صدقا عليه والامر فيه معلوم وان كان المذكور الذي لم
يحكم بقتله من اهل الذمة فكسر الذال المعجمة هي العهد والامان هنا قال
في المصباح الذمة تفسر بالعهد والامان وسمي المعاهد ذميا نسبة الى الذمة
بمعنى العهد وقولهم في ذمتي كذا ضمنته في ضماني انتهى كما اشار اليه بقوله بالعهد
وهو الميثاق بان لا يغدر به والجوار بكسر الجيم وتضم وهو الامان من جاره يجيره
اذا امنه بعهد بينهما والامان يكون لمعين وغيره كاهل بلدة واقليم فان كان بغاية
معينة فهي الهدنة وان لم يكن فهو الجزية وهم اهل ذمة اي امان وهذان يختصان
بالامام بخلاف مطلق الامان لزمن قريب فلا يختص به لحديث المسلمون يسعى بذمتهم
ادناهم والناس قريب عهدهم بالاسلام اي دخولهم في الاسلام كان قريبا في ابتدا
الاسلام والهجرة لم يتميز بعد بالضم اي بعد قرب عهدهم الخبيث من الطيب
منهم اي لم يتبين من خلص اسلامه وطابت سريرته او لم يخلص ايمانه فقلبه بقية من
خبث الكفر لم تظهر لغيره وقد شاع اي سمع واشتهر بين الناس عن المذكورين اي
من كان منافقا يظهر اسلامه في العرب المجاورين لهم المشاهدين لهم كون من يتهم
بالنفاق اي يتهمه خلص المؤمنين المهاجرين الذين نور الله بصائرهم من جملة
المؤمنين اي معدودا منهم بالنظر لظاهر حالهم ومن متعلقة بشاع وصحابة بفتح الصاد
اسم جمع لصاحب وهو في الاصل مصدر كالقرابة سيد المرسلين لكونهم معدودا بعضهم
له وشاع ايضا انهم من جملة انصار الدين الذين نصروا رسوله صلى الله عليه
وسلم على اعدائه ظاهرا وهذا انما هو بحكم ظاهرهم اي ما يظهر من حالهم لانا لا نطلع
على سرائرهم فلاجل هذا لم يقتلهم صلى الله عليه وسلم وقال لعمر وغيره ممن قال في بعضهم
دعني اضرب عنقه لا لئلا يتحدث الناس بان محمدا يقتل اصحابه كما تقدم فعد رأس
اصحابه نظرا لظاهر حالهم فلو قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم لما علمه من حالهم ولنفاقهم
الذي اطلعه الله عليه دون غيره وما يبعد رحمهم بفتح التحتية وسكون الموحدة وضم
الدال والراء المهملتين يعني يسرع ويجيء منهم بعجلة وفي نسخة يبعد وبالواو بعد الراء وفي
نسخة يبدر بالنون مع الراء وهي صحيحة ايضا وان خالفت رواية الشراح قال في
المصباح ندر من قومه اذا خرج ومنه النادر لخروجه عن امثاله فتسميته نادرا لمخالفته
ظاهر حالهم وهو الاكثر منه فلا يبعد فيه وعليه مجرور معطوف على نفاقهم اي علمه
رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اسروا اي اخفوا من الكفر في نفوسهم من النفاق
لوجد المنفر جواب لو اي لوجد الذي يقصد تنفير الناس وصدهم عن الدخول في
الاسلام من المشركين واعداء الدين ما يقول اي امرا يقوله لمن يريد الدخول في
الاسلام بان يقول له انه سفاك يقتل اصحابه اذا خالفوه والمرء لا يخلو من زلة

ولا ارتاب الشارد اى ولا وقع فى ريبة تخوفه من القتل من كان شاردا عن الدين
ضالا عن اليقين والجاهلية والاعراب اباة الضيم من شرد البعير اذا نفر وذهب فى الارض
وفى الحديث لتدخلن الجنة الا من شرد على الله اى خرج عن طاعته وفارق الجماعة
وهو فى الاصل استعارة وارجف المعاند اى اتى بالاقوال الكاذبة التى يقصد
بها التشنيع على الاسلام من كفر عنادا كبعض المشركين الذين كانوا يجيئون اشاعة
قتله وارتاع اى خاف من يسمع الاراجيف وعلم بالقتل من الروع وهو الخوف
من صحبة النبى صلى الله عليه وسلم وارتاع ايضا من الدخول فى الاسلام خوفا من
ان يقتل كمن قتله غير واحد اى كثير ممن يريد الاسلام ممن ضعف قلبه ولم ينظر
ببصيرة صادقة ممن اضله الله وزعم الزاعم اى وجد وصلة لكذبه ممن اراد الافترا
على الله ورسوله وظن العدو للاسلام واهله الظالم لنفسه وغيره ممن صده عن
سبيل الله وسعادة الدارين وهذا بنا على انه بعين مهملة من العداوة وقال
البرهان انه فى الاصل العذيبا وذال معجمة مشددة بمعنى المتمرد والا دلصح فى
الهامش انتهى والمعنى ان هذا انما هو فرد من الناس او ظالم ان القتل الذى اوقعه
رسول الله صلى الله عليه وسلم باهل النفاق والشقاق المقتولين بالاستحقاق انما
كان للعداوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن قتله وطلب اخذ الترة اى
اخذ الثار له عند من قتله من العرب وهو بكسر المثناة الفوقية وفتح الرا المهملة والها
كالعدة والها عوض عن الفا المحذوفة من الوتر وهى تجئ واسكانه اولا اتم منه
والوتر قتل من له عنده دم فهو قتل القاتل واما الثار بمثلثة وهمزة تخفف بيدلها الفا
فهو بمعناه ايضا وان كان من مادة اخرى وقولهم بالثارات فلان حثا على طلب
الدم ممن هو عنده فهو بمثلثة ومثناة ايضا والمعنى واحد فلا معارضة بين ما فى القاموس عرضى
والنهاية الاثيرية كما توهم وكمن نقط من ما دنيا بعين مشتملة فلا حاجة للنظر بل
بمثله وقد رأيت معنى ملحوظة اى هذه نية من ان النبى صلى الله عليه وسلم ترك قتل
المنافقين الذين علم نفاقهم لحكمه بالظاهر تشريعا للامة ولهذه المصالح من تالف القلوب
ودفع طعن الطاعنين ليدخل الناس فى دين الله افواجا مستوفا الى مالك بن انس
امام دار الهجرة رحمه الله ولهذا المعنى الذى ذكره وحرره اى ظهر كونهم من المؤمنين
وصحابة سيد المرسلين قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى تقدم لمن قال
دعنى اضرب عنقه كما مر لا يتحدث الناس فى مجالسهم ويشيعون ان محمدا صلى
الله عليه وسلم وذكره باسمه حكاية لما يقولونه يقتل اصحابه لغرض اخر من ترة
وامر سابق لا لنفاقهم بقصد ولئلا ينفر الناس وصدهم عنه كما كان عادة
المشركين وقال صلى الله عليه وسلم فى حديث اخر لم يخرجوه اولئك المنافقون
الذين لم اقتلهم مع العلم بنفاقهم نهانى الله عن قتلهم لحكمة علمها وفائدة عظيمة من
مصالح الدين والحديث الذى قبل هذا فى الصحيحين كما علم مما مر وهذا المذكور من
عدم القتل بالنفاق المضمر بخلاف اجرا الاحكام الظاهرة عليهم اى المنافقين

او

او الناس من حد وحد الزنا جمعها لتعدد من زنا او لتعدد حدها برجم وجلد
وتغريب والزنا يمد ويقصر بمعنى وهما لغتان وقيل الممدود فعل اثنين والمقصور
من واحد وقيل انه حقيقة فى الرجل لانه فعل صدر منه دون المراة قاله الكرمانى
والمقصور انصح والقتل قصاصا ونحوه وشبهه كحد القذف وشرب الخمر والسرقة
لظهورها بشهادة الشرعية واستوا الناس فى علمها لانها من الامور الباطنة
وقال محمد بن المواز بفتح الميم وتشديد الواو والف وزاى معجمة وهو مشهور من
ايمة المالكية كما تقدم لو اظهر المنافقون نفاقهم لقتلهم النبى صلى الله عليه وسلم
هذا توضيح لما قبله فلا يرد عليه ما قيل انهم اذا اظهروه يكون كفرا وردة لا نفاقا
وفيه نظر وقاله ايضا القاضى الحسن بن القصار المالكى الذى تقدمت ترجمته
وقال قتادة فى تفسير قوله عز وجل لئن لم ينته المنافقون من النفاق المعروف
وهو لفظ حدث فى الاسلام من نافقا الضب وهو جحر يخفيه اذا اريد صيده خرج
منه وفر وقيل انه ماخوذ من النفق وهو السرب والذين فى قلوبهم مرض اى
شك وحقيقته سماه مرضا استعارة والمرجفون فى المدينة من الارجاف وهو
اشاعة الافترا والكذب بلا نثرا واغرا الاعدا لنغرينك بهم اى نامرك بقتلهم
ونكالهم من الاغرا وهو الحث والتحريض على سبيل الاستمالة ثم لا يجاورونك
فيها اى لا يبقون لهم الاقامة بها لقتلهم او طردهم وهو عطف على لنغرينك الجواب
القسم الا قليلا اى زمانا قليلا لوقوع ما اغريناك بهم من القتل او الاجلا ملعونين
نصب على الشتم او الحال اى مطرودين ومبعدين عن رحمة الله فى الدنيا اينما
ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله الاية مصدر مؤكد اى سن الله فى الذين
خلوا من قبل ممن كان قبلكم منافقى الانبيا ان يقتلوا اينما وجدوا وظفر بهم ولن تجد
لسنة الله تبديلا بل هى جارية على سنن واحد فى جميع الامم قال اى قتادة معناه اى
معنى ما ذكر من الاية اذا اظهروا النفاق لانه صلى الله عليه وسلم امر بجهاد المنافقين وهو
انما يكون اذا اظهروه لانهم قبل اظهاره مسلمين دماؤهم معصومة ومعنى ثقفوا اخذوا
وقتلوا منهم اذا وجدوا والذين فى قلوبهم مرض هم المنافقون والمرض ما يعرض
للبدن فيخرجه عن الاعتدال ويوجب اختلال افعاله فتجوز به عن الاعراض
النفسانية المانعة لكمالها كالجهل وسو العقيدة والمرجفون هم المنافقون لانهم كانوا
يشيعون اخبارا تسر المؤمنين كهزيمة عدوهم واصابة بعض سراياهم وقال ابن عباس
اشاعة الكذب التماسا للفتنة وهو من الرجفان وهو الاضطراب بزلزلة ونحوها
فاستعير لما ذكر وقيل ما قاله قتادة مخالف للظاهر وانما المراد نهيهم عن
اذية رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يعنى ان جهادهم لا يظهر لما مر ولذا
قال الثعلبى فى تفسيره ان ابن مسعود قال جهاد المنافقين الانكار عليهم والتعبيس
فى وجوههم وترك الرفق بهم وقيل انها نسخت العفو عنهم ولذا قال وحكى محمد بن
مسلمة تقدمت ترجمته فى المبسوط اسم كتاب له عن زيد بن اسلم تقدم بيانه

ايضا ان معنى قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين نسخ ما كان
قبلها اي قبل نزولها من العفو والصفح عن اذيتهم له صلى الله عليه وسلم الذي كان
قبل في قوله تعالى فاعرض عنهم وتوكل على الله فانه نهي اولا عن قتل المنافقين
ثم نسخ بهذه الاية كما قاله الواحدي في سورة النسا ومجاهدة المنافقين عند الحسن
وقتادة اقامة الحدود عليهم وعن مجاهد بالوعيد وافشا اسرارهم ومن ذكر هذا
وقال لا نسلم انها منسوخة لم يصب لانه منع لقتل وهو خطا ويرد تاويل الجهاد في
الاية قوله واغلظ عليهم اي شدد وعيدهم وانهم اجمعوا على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يقتل احدا من المنافقين الى ان توفاه الله تعالى وقال بعض مشايخنا من الفقها
المالكية وقيل من متكلمي الاشعرية لعل القايل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد
قسم بعض الغنايم هذه قسمة ما اريد بها وجه الله اي لم تقع على وجه العدل
بين الغزاة يعني انها قسمة جايرة ولعل القايل له اعدل اي سو بين المسلمين في
القسمة قال البرهان الحلبي ظاهره ان في بلبها واحد وليس كذلك فكان ينبغي ان
يقول وقول الاخر والاول هو ذو الخويصرة كما في مسلم وقبا لمله حرقوص كما
تقدم وهو ذو الثدية راس الخوارج وليس ذو الخويصرة التميمي وهو البايل في المسجد
ولم ايضا لك لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم منه اي من قوله هذا الطعن عليه
في قسمته اي لم يقصد به ذمه وتنقيصه ولا التهمة له فيها اي لم يظن به سوا قال في
المصباح التهمة بسكون الها وفتحها الشك والريبة واصلها الواو لانها من الوهم انتهى
وانما راها اي فهم من كلمته هذه انها صدرت من وجه الغلطة اي صدرت منه
لغلظة طبعه وعدم ادبه كما هو عادة الاعراب وفي نسخة الغلط في الراي الذي
يراه جفاة العرب كما هو راي امثالهم في امور الدنيا لحرصهم عليها والاجتهاد
في مصالح اهلها الذين يرون ان تنضبط المقاسم بحصصها كما يقال الابرام يحصل ويبرد
الوقاحة سلاحا لم فلم ير ذلك الكلام الذي واجهه به سبا وتنقيصا له فهو
يبين مهملة وبا موحدة مشددة وراي بشين معجمة ومثناة تحتية مشددة او
خفيفة بعدها همزة قال البرهان والاول اصوب وعلى الثاني لم يره شيا يعتد
به او ينقصه قيل ويبعد هذا انه تغير وجهه الشريف وقال يرحم الله اخي موسى
لقد اوذي باكثر من هذا فصبر كما تقدم فلذلك لم يعاقبه صلى الله عليه وسلم
وفي نسخ ذكر هذا بعد قوله الاذى والصبر عليه وقيل انه انما لم يعاقبه لئلا يقول
الناس انه يقتل اصحابه كما صرح به الحديث المار ولما قيل انه حقه صلى الله عليه وسلم
له العفو عنه فلعله اشار لقوله وراى انه من الاذى هو الشر القليل كما فسره به
السبكي تنبيها بان الذي له العفو عنه لقلته اولانه حقه وهو لا ينتقم لنفسه والصبر
عليه تاليفا لقلوب الناس وقد عد ابن تيمية هذا جوابا اخر في كتابه السيف
المسلول وكذلك اي كما قيل في الجواب عما ذكر يقال في اليهود اذ قالوا
له في الحديث السابق السام عليكم للدعا عليه صلى الله عليه وسلم وعلى اصحابه

ليس

ليس فيه صريح سب يوجب عقابهم عليه ولا دعا عليه بما لا يصح من احد
بشي من الاشيا الا بما اي بامر لا بد منه اي لا ينجو منه احد من الموت الذي كتبه
الله على العباد وقدره ولا بد من لحاقه جميع البشر لان كل نفس ذايقة الموت
فالسام على هذا معناه الموت فهو محتمل المعنيين كما مر وقيل بل المراد والمعنى
الذي تقصدونه انكم تسامون دينكم اي تضجرون من مشاقه فتملونه وتتركونه
فهو اما دعا بهذا او دعا وطعن في الدين لا اعتذارعنهم كما توهم ثم بين وجهه
بحسب اللغة بقوله والسام بفتح السين والهمزة والسامة بمد الهمزة بزنة الفناحة
الملال وهي الضجر والقلق المودي للترك فهو على هذا مهموز العين ابدلت همزته
الفا لانه من بيم مهموزا فما قيل الرواية بلاهمز لاختلاف صيغتهما واو وهمز البعض
يبني وهذا على هذا القول دعا على سامة الدين سامة بالمد مصدرا وبه وبه
جمع سايم نحو كتبة جمع كاتب ولعل هذا انسب بقوله ليس فيه صريح سب له صلى الله
عليه وسلم فلذا لم يعاقبه قايله ولهذا اي لاجل كونه ليس بسب صريح ترجم البخاري
في صحيحه على هذا الحديث بقوله باب ــــــــ ما لنفي بزو زكه اذا عرض
اي ذكر بطريق التعريض دون التصريح فهو مشدد الرا الذمي او غيره من المسلمين
او المستامنين من اهل الحرب بسب النبي صلى الله عليه وسلم والترجمة الباب
والعنوان في اصطلاح المصنفين واصله ذكر لفظ بلغة بلغة اخرى او ابلاغ
كلام الغير لمن لم يسمعه كما في قوله
ان الثمانين وبلغتها قد احوجت سمعي الى ترجمان
فتجوزبه عما ذكر لانه اجمال يفيد ما بعده كما تقدم وقد قيل ان السام غير عربي
وهو على هذا التعريض بالنقص لا بالسب وقد تقدم ان التعريض له حكم التصريح
ولذا اعقبه بقوله وقال بعض علمائنا المالكية وليس هذا الذي قاله اليهود
بتعريض بالسب لانه الذم بصفات النقص التي لا تليق وانما هو تعريض بالاذى
اي بما يوذي ويولم وقال السبكي الاذى الشر الخفيف فان زاد فهو ضرر كما
قاله الخطابي وغيره انتهى لان الموت والملال من لوازم البشرية لا تنقيص لكن ذكره
بمن لا يقصد به حقيقته يوذي ويولم قال القاضي ابو الفضل عياض المصنف رحمه
الله وقد قدمنا في هذا الباب ان الاذى والسب في حقه ووصفه صلى الله
عليه وسلم بشي منها سوا في الحكم من قتل ونحوه وقد قال القاضي ابو محمد بن نصر
الذي قدمنا ترجمته مجيبا عن هذا الحديث في نقضه سلام اليهود عليه ببعض
ما تقدم من الاجوبة ثم قال ابن نصر ولم يذكر في الحديث المذكور هل كان
هذا اليهودي الذي صدر عنه ما ذكر من اهل العهد اي من وقع بينه وبين
النبي صلى الله عليه وسلم امان وهو الهدنة كما تقدم والذمة هي امان كما تقدم
او الحرب اي من المحاربين واعدا الدين الذين لا عهد ولا ذمة لهم فينتقض عهده
او يعد ذمة ولا يترك موجب الادلة الدالة على تعين قتل من سب مطلقا

للامر الذي علم من قصة هولاء اليهود المحتمل الذي لم يعلم منه انهم معاهدون او محاربون
والامر الذي فيه احتمال لا يتم به الاستدلال ولا يعارض الادلة اليقينية والاولى
هذه في الجواب عن تركه صلى الله عليه وسلم قتل من سبه واذاه مع انه لازم في ذلك
كله اي توجيه ما ورد مما يخالفه كله والاظهر من الوجوه التي وجه بها ما ذكر هذه
مما اشكل على الاية مقصد الاستئلاف اي لاجل قصد الاستئلاف لهم اي
قصدنا تحببهم وتاليف قلوبهم والمداراة على الدين لعلهم اي انه باستمالتهم بالعفو
عنهم يرجو انهم يؤمنون به صلى الله عليه وسلم ويدخلون في دينه ولذلك اي لبيان
ذلك وانه انما فعله للمداراة لا لانه غير جائز ترجم البخاري اي جعل الامام البخاري
في صحيحه عنوان الباب الذي ذكر فيه هذا مبنيا على حديث القسمة اي الحديث الذي
ذكر فيه قسمة الغنائم وقد قال له صلى الله عليه وسلم بعض المنافقين اعدل ما هذه
قسمة اريد بها وجه الله كما تقدم والحديث الذي فيه ذكر الخوارج كذي الخويصرة
واصحابه فجعل ترجمته باب من ترك قتل الخوارج للتالف اي لاجل ان
يولفهم ليثبتوا على الاسلام ولئلا ينفر الناس عنه اذ راوه يقتل من اذاه وترك
قتلهم ايضا لما بكسر اللام وتخفيف الميم ذكرناه عن الامام مالك وقررناه
من انه تركه لئلا يرجف الناس ويتزعزعوا ولئلا يجد الطاعن في الدين طريقا للطعن
فيه وقررناه قبل اي قبل هذا كما سمعته انفا وقبل مبني على الضم والخوارج جمع
خارج على خلاف القياس او خارجة بمعنى طائفة خارجة سموا بذلك لانهم خرجوا
من احكام الدين او لانهم خرجوا على علي كرم الله وجهه وقصتهم معه بعد وقعة
الجمل مشهورة وليس المراد بهم الذين خرجوا على عثمان رضي الله عنه حتى قتل كما ذكره
الرافعي في شرح الوجيز ولم يكن خروجهم في حياته صلى الله عليه وسلم لكن المذكور وله
في حديث القسمة ذو الثدية كان رئيسهم واشار صلى الله عليه وسلم لقصته في هذا فهو
من معجزاته صلى الله عليه وسلم في اخباره بالمغيبات وقصة الخوارج مفصلة في التواريخ
ولهم عقائد باطلة وكان المعترض على قسمة رسول الله صلى الله عليه وسلم هو ذو
الثدية ولما قال ما قال له قال عمر رضي الله عنه دعني اضرب عنقه فقال دعه
فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين
كما يمرق السهم من الرمية وفيه نزل قوله ومنهم من يلمزك في الصدقات الاية وقد صبر
صلى الله عليه وسلم على اعظم من السب والاذى فصبر لهم على سحره الذي فعله
اليهود كما مر وسمه اي سم المراة اليهودية له صلى الله عليه وسلم في ذراع شاة
اكل منها وقصة السحر والسم تقدمت وهي مشهورة غنية عن البيان وهو اي ما صبر
عليه مما ذكر اعظم في الاذية له من سبه اي سب اليهود له لتعريضهم كما مر حتى
نصره الله عليهم واذن الله له صلى الله عليه وسلم بعد ما امره بالعفو والصفح
عنهم في قتل من عينه منهم اي ممن سبه واذاه من المنافقين واليهود وعينه
بفتح العين المهملة وتشديد الياء المثناة التحتية ونون وهاء الضمير اي بين

عينه

عينه وشخصه مثل كعب بن الاشرف وفي نسخة حينه بحاء مهملة مكان العين
اي قتله واهلاكه من الحين بفتح الحاء وهو الهلاك وفي اخرى خيبه بخاء معجمة وباء
موحدة مكان النون اي اظهر انه خائب خاسر بافتضاحه ونكاله في الدارين
وانزلهم من صياصيهم اي اخرجهم من حصونهم وقلاعهم ومساكنهم العالية التي
وكلها يتحصن به من الاعداء يسمى صيصية بصادين مهملتين مكسورتين بينهما مثناة
تحتية اولاهما ساكنة والثانية مفتوحة خفيفة ويقال لقرن البقر وشوكة
الديك كما قال الراغب والذين انزلهم من حصونهم بنو قريظة كانوا عاهدوه
صلى الله عليه وسلم ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه عدوا فلما تجمعت الاحزاب نقضوا
العهد وكان ابن اخطب من بني النضير اتى كعب بن اسد القرظي رئيس قريظة
الذي عاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اتاه ابن اخطب قفل باب حصنه فناداه
افتح فقال اذهب فانك مشؤم وقد عاهدت محمدا عهدا لا انقضه وانه يفي بعهده
فلم يزل يحتال عليه حتى ادخله حصنه ولم يزل يفتل في الذروة والغارب حتى نقض
عهده فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث السعدين مع جماعة لينظروا
هل نقضوا عهدهم ام لا فلما اتوهم وقالوا لهم ينذرهم عهد رسول الله قالوا من رسول
الله وشتموه ثم اتوه عليه الصلاة والسلام فاخبروه بخبرهم وانهم ظاهروا الاحزاب
فاتاه جبريل عليهما الصلاة والسلام وقال له انهض لبني قريظة فاني تاركهم في زلزال
وبلبال فقاتلهم وقاتلهم وناداهم يا اخوة القردة والخنازير كما ياتي فقالوا يا ابا القاسم
ما كنت فحاشا ثم نزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه لحلف كان بينه وبينهم فظنوه
يتلطف بهم فحكم فيهم بقتل المقاتلة منهم وسبي الذرية وان يكون عقارهم للمهاجرين
دون الانصار لانهم لا عقار لهم اذ ذاك فقال صلى الله عليه وسلم قضيت فيهم بحكم الله
فاتى بهم سوق المدينة وضرب اعناقهم وهم قريب من تسعمائة وقذف في قلوبهم
الرعب اي القى الله في قلوبهم الخوف من رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه مما نصره
الله به فقال نصرت بالرعب وكتب اي قدر الله على من شاء منهم الجلا بفتح الجيم ممدود
اي خروجهم من بلادهم واصله بمعنى الكشف الظاهر يقال جلت القوم عن منازلهم
جلوا اي ابرزتهم وغيبتهم عنها لقوله واخرجهم من ديارهم عطف تفسير والذين اجلاهم
بنو النضير لما نقضوا العهد بهمهم ان يلقوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرا فاخبره
جبريل بذلك فقام من عندهم كما مر ثم رجع لهم وحاصرهم اياما ثم القى الله في قلوبهم
الرعب فسالوه صلى الله عليه وسلم ان يجليهم ويبيح لهم مقدار ما يحملوه معهم فاجابهم وفيهم
نزلت سورة الحشر فكان احدهم يخرب بيته بيده كما قال وخربوا بيوتهم التي
سكنوها بايديهم وايدي المؤمنين بعد هدمها وقطع اشجارها وهدم حصونهم حتى
لم يبق منهم باطراف المدينة دار ولا ديار وهذا كله من الايات النازلة في حق يهود خيبر
ومن قرب منهم وكاشفهم اي واجههم بالسب اي بسب صريح تذليلا لهم وكذا باللعن
الوارد في القرآن والحديث تذليلا لهم ايضا فقال لهم يا اخوة القردة والخنازير

خ صياصيهم

اى المشابهين لها فى الخسة وتبع المنظرون منهم من مسخ قردا وخنزيرا كما قال تعالى وجعل منهم القردة والخنازير وحكم فيهم بالتشديد مجازا يعنى سلط عليهم سيوف المسلمين اى سلط المسلمين بسيوفهم على من قتل من بنى قريظة واجلاهم اى اخرجهم والجلا اخراج جماعة مع اهلهم كما علم مما مر من جوارهم لان ارضهم كانت مجاورة للمدينة الشريفة واورثهم اى المسلمين ارضهم من مزارعهم وحدائقهم اى ملكها لهم كما مر وديارهم اى مساكنهم واوطانهم واموالهم اى امتعتهم ودوابهم وكل منقول معهم لتكون كلمة الله اى دينه وامره فيما تصرف فيه هى العليا اى نافذة وكلمة الذين كفروا السفلى اى ملغاة مهملة فكانها مرمية على الارض فان قلت يقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم من اذاه فقد جا فى الحديث الصحيح الذى رواه البخارى وغيره عن عايشة ام المومنين رضى الله عنها انها قالت فيه انه عليه الصلاة والسلام ما انتقم من احد لنفسه اى لاجل حق له صلى الله عليه وسلم فى نفسه فى شى يوتى اليه مبنى للمجهول اى ياتى اليه احد ويفعله ويواجهه به فلم يعاقب احدا على مكروه فعله قط الا ان يكون ما تعلوه وانتوه امرا تنتهك فيه حرمة الله هى ما يحرم ويراعى من حدوده واحكامه اى تهان ويفعل فيها ما لا يجوز وفى المصباح نهكت الشى نهكا بالغت فيه ونهكه السلطان عقوبة اى بالغ فيها وانهكه لغة فيه وانتهاك الحرمة تناولها بما لا يحل انتهى فان وقع من احد تعدى حدود الله فينتقم منه رسول الله صلى الله عليه وسلم لله اى لاجل الله لا لنفسه فهذا الحديث يقتضى انه صلى الله عليه وسلم لا ينتقم ممن اذاه او سبه وهو مناف لما تقدم فاعلم ايها السايل ان هذا المذكور فى الحديث من انه لا ينتقم لنفسه لا يقتضى اى لا يدل دلالة لازمة انه لا ينتقم من سبه او اذاه او كذبه اى نسبه للكذب وتردد منافيا له منفصلا وما المراد بالكذب فيه فان هذه الامور المذكورة من سبه صلى الله عليه وسلم واذيته وتكذيبه من حرمات الله لان اذية رسول الله صلى الله عليه وسلم اذية لله يعنى انه لا يحبها كما انه طاعته طاعة لله ومحبته محبة لله بالنص فهو رعاية حق مشترك بين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وانتقام رسول الله تارة لحق الله وعفوه تارة رعاية لحق نفسه وهكذا الحقوق الشرعية منها ما هو حق العبد ومنها ما هو حق الله ومنها ما هو مشترك وهو على قسمين ما الارجح فيه حق العبد وما الارجح فيه حق الله وربما يشتبها ولكل احكام ليس هذا محل تفصيلها فالمراد بقوله انه من حرمات الله انه مما راعى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حق الله دون حق نفسه فلا يرد عليه انه مشترك كما قيل ولا يرد عليه النصوص الناهية عن اذيته صلى الله عليه وسلم كما اشار اليه بقوله التى انتقم لها ممن صدرت منه لانه راى رعاية حق الله فيها ارجح عنده كما فى قضية كعب بن الاشرف ونحوه وانما يكون ما اى الامر الذى لا ينتقم له فيها تعلق بسوء ادب او سوء معاملة معه لانه حقه فله العفو عنه ويبينه بقوله من القول الذى يخاطب به او الفعل

ابن قبرس

الذى

الذى يعاملونه مما يتعلق به ويكون فى النفس اى فى نفسه وذاته الشريفة والمال الذى يعطيه لهم من الغنايم كما تقدم فى القسمة مما لم يقصد فاعله وقائله به صلى الله عليه وسلم اذاه او بالنفس اذاه وادخل القول فى الفعل اختصارا لانه فعل اللسان لكن صدوره عنه لجهله وغلظة طبع مما جبلت وطبعت عليه الاعراب سكان البوادى الذين لا ادب لهم من الجفا اى غلظة الطباع والجهل بحقوق الله وحقوق رسوله صلى الله عليه وسلم وعدم معرفتهم باداب الصحبة او جبل عليه البشر كلهم من الغفلة عما يجب عليهم فان الناس قلما يخلو عنها وفى نسخة من السهو كجبذ الاعرابى بردايه صلى الله عليه وسلم وفى نسخة بازاره والمعنى واحد وجبذه وجذبه بمعنى وقيل جبذ مقلوب من جذب وقيل الصواب رواية رداية وهو ما يكون على العاتق والظهر والازار ما يكون تحته فى وسطه الاسفل وجذبه يقتضى لكشف العورة وصحة هذه الرواية تقتضى انه مجاز مرسل بمعنى الرداء ومطلق اللباس ذا لم يخطر فيه خطاء من قايله وقوله حتى اثر جبذه فى عنقه قرينة ظاهرة عليه وقد ورد ايضا بهذا المعنى فى كتب اللغة وكان بردا نجرانيا غليظا وروى انه انشق من شدة جذبه وكرفع صوت الاعرابى الاخر عنده حين ناداه او حين كان يكلمه وهو ثابت بن قيس بن شماس كان جهير الصوت كما تقدم فلما نزل قوله تعالى لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى فالزم منزله فتفقده صلى الله عليه وسلم فقال سعد بن معاذ انا اعلم علته وهو خوفه من الله لذلك وقيل انما هى فى وفد بنى تميم لما نادوه من وراء الحجرات صلى الله عليه وسلم وقيل هو الاقرع بن حابس وقيل غير ذلك وكجحد الاعرابى اى انكاره شراه صلى الله عليه وسلم منه اى من الاعرابى فرسه التى شهد فيها له انه اشتراها خزيمة والاعرابى هو سواد ابن قيس المحاربى كما قاله الذهبى ونقل الخطيب انه سواد بن الحارث وفى السير ان تلك الفرس فرسه صلى الله عليه وسلم البيضا واسمه المرتجز او الطرف او النجيب فامضى رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادة خزيمة وحده وجعلها بشهادتين كما مر وليس هذا قضاء بعلمه لعصمته صلى الله عليه وسلم لان قوله فى الحديث من شهد له خزيمة فهو حسبه يبعده وهو من خصايصه وخزيمة هو ابن ثابت الانصارى ابن عمارة وهذا الحديث رواه البخارى وغيره وفيه انه تبعه ليقضيه ثمنه وجعل الناس يساومونه فقال ان كنت مبتاعا فاشتره والا بعته فقال له صلى الله عليه وسلم اوليس قد ابتعته منك فقال لا هلم شاهدا فقال خزيمة انا اشهد فقال لم تشهد فقال بتصديقك يا رسول الله فجعل شهادته بشهادة رجلين وتمسك به بعض المبتدعة فى قبول شهادة من عرف صدقه مطلقا كما بينه الخطابى ورده وهو لازم الخطابية فرقة من الرافضة وكما كان من تظاهر زوجتيه عليه صلى الله عليه وسلم وهما عايشة وحفصة اى تعاونهما كما تقدم والتظاهر الاتفاق على معاونة كل منهما الاخرى بتصديقها فيما تقوله وهو من الظهر لاستناد كل منهما للاخرى وكان زجلته

ابن قبرس

صلى الله عليه وسلم عمته زينب بنت جحش فسقته عسلا فاتفقنا على انه اذا جا
قالت له احد منك ريح مغافير وهو مثل او صمغ كريه الرايحة وكان صلى الله عليه
وسلم لا يحب الرايحة الكريهة لمنافاتها للملائكة فلما سمعه صلى الله عليه وسلم قال لا اعود
كما نقل في التفسير والسير واشباه هذا المذكور مما يحسن الصفح عنه
اى العفو واصله ان يميل صفحة وجهه لجانب اخر وكنى به عما ذكر لانه امر معفو عنه
ولم يبحث عن تفاوت وقصد تنقيص له وانما كان لامر اخر وقد قال بعض
علمائنا اى علماء المالكية او اهل العلم مطلقا ان اذى النبي صلى الله عليه وسلم
حرام لا يجوز بفعل مباح ولا غيره اما غيره فيجوز بفعل مباح ما لا يجوز
للانسان فعله وان تاذى به غيره واحتج بعموم قوله تعالى كما تقدم الكلام
عليه ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة استدل
باطلاق ما يوذى ولعنة فاعله في الدارين على انه كبيرة ومثل المباح بقوله
بعض زوجاته له صلى الله عليه وسلم كما مر وقد كان الناس يتحرون بهداياهم
يوم عايشة مريدين بها لا هدا في بيت غيرها فقال صلى الله عليه وسلم لا تؤذوني في
عايشة فان الوحي ما نزل علي في لحاف امراة غيرها فلما علم تاذيه بترك
ذلك فهو مقيد بمن يعلم تاذيه بالمباح فان علم فهو حرام كغيره وهو ظاهر وقد
ذكر المص هنا في بعض النسخ حديث البخاري لما اراد علي رضي الله عنه ان
يتزوج بنت ابي جهل على فاطمة الزهرا رضي الله عنها فصعد صلى الله عليه وسلم
المنبر وذكر ما ياتي بقوله وبقوله صلى الله عليه وسلم في حديث فاطمة انها
بضعة مني بكسر الباء اى قطعة لحم مني اى كقطعة من بدني يؤذيني ما يؤذيها
هذا من شبه للاستعارة لان البدن كله يتالم بالم بعضه وفي نسخة ما اذاها الا واني
لا احرم ما احل الله ولكن لا تجتمع ابنة رسول الله وابنة عدو الله وهي بنت ابي
جهل واسمها جويرية وقيل غير ذلك عند رجل ابدا فلا ينبغي نكاحها على بنت حبيب
الله والحديث يدل على ان اذية غيره اى اذاه تحرم ايضا كاذية فاطمة وكذا اذية
احد من اولادها والكلام عليه مفصل في شروح البخاري وفضائل اهل البيت رضي
الله عنهم او يكون هذا المذكور ان قصد به الاذى مما اذاه به كافر رجا صلى الله
عليه وسلم بصيغة الماضي او مصدر منصوب وفي نسخة وجا وسياتي ما فيها بعد ذلك
الذي صدر منه من الاذية اسلامه فيعفو عنه استمالة له حتى يدخل في دين الاسلام
فاذا علم ذلك جاز له صلى الله عليه وسلم العفو عنه كعفوه عن اليهودي الذي سحره
في قصته التي تقدم تفصيلها وانه لبيد بن الاعصم وكان يرجو اسلامه وعن الاعرابي
الذي اراد قتله صلى الله عليه وسلم وهو نايم تحت شجرة في بعض اسفاره كما تقدم
وتقدم انه اسلم وكعفوه عن اليهودية التي سمته الا انه اختلف في قتلها وقد قيل
انه قتلها ببشر بن البرا التي مات من سمها ومثل هذا المذكور مما اوذي به مما بلغه وفي
نسخة يبلغه من اذية اهل الكتاب من اليهود والمنافقين الذين جاوروه بالمدينة

كابن سلول فصفح عنهم وعفا تكرما منه رجا استيلافهم باستمالتهم للاسلام
واستيلاف غيرهم اى بسبب ما يبلغه من كرمه صلى الله عليه وسلم وعفوه كما قررناه
قبل اى قبل هذا فيما سبق في هذا الكلام وبالله التوفيق هذا اما دعا لنفسه في
ختم كلامه كما هو عادة المصنفين او موتنة لما قبله اى وبالله توفيق هولا للايمان
واستيلافهم الا بتقدير الله ولطفه او هما مرادان معا واعلم انه وقع في
بعض النسخ بعد قوله رجا اسلامه وجابوا وعاطفة بعدها جا نقل ما نص من
المجي فقال البرهان وتبعه بعض الشراح ان ظاهر عبارته يقتضي ان هولا الثلاثة
اسلموا اما الذي سحره صلى الله عليه وسلم وهو لبيد بن الاعصم فلا استحضر حديثا في
انه اسلم ولم يعلم من قاله الا هنا واما الاعرابي الذي اراد قتله صلى الله عليه وسلم
فهو غورث بن الحارث ولم يذكره احد في الصحابة وقد قيل انه دعثور وتقدم ما فيه
واما اليهودية التي سمته صلى الله عليه وسلم فهي زينب بنت الحارث ولم يذكرها احد في
الصحابة وذكر شيخي الحافظ ابو جعفر الا نصاري ان معمر بن راشد قال في جامعه
عن الزهري انه قال انها اسلمت فتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال معمر كذا قال
الزهري والناس يقولون انه قتلها ولم تسلم لكن رايت في بعض النسخ رجا بعد ذلك
اسلامه بالرا وهو الصواب والتي تقدمت تصحيف انتهى فصل قال القاضي
ابو الفضل عياض المص رحمه الله تقدم الكلام في قتل القاصد لسبه اى في حكمه
واذيته فلا يحتاج لاعادته والازراية بتنقيصه وغمصه بغين معجمة مفتوحة
وسكون الميم وصاد مهملة اى عيبه صلى الله عليه وسلم والازرا افتعال من ازرى
بدال الحقيره وعابه فابدلت تاوه دالا لمجاورتها الزاى المعجمة كما بين في علم التصريف
وقيل الازرا العيب القليل واكثر اهل اللغة فسروه بالعيب مطلقا باى وجه كان وباى
طريق وقع في حقه من ممكن وجوده او محال ممتنع عادة او عقلا وشرعا والاول
كبعض العوارض البشرية والثاني كنسبة الكذب ونحوه مما يمتنع شرعا بدلالة المعجزة على
صدقه صلى الله عليه وسلم فهذا المذكور وجه بين مما قدمه ولا اشكال فيه
ولا في حكمه من قتل متعاطيه الوجه الثاني في امور تتعلق بما هو فيه لاحق بفتح اى
بما في الوجه الاول لكونه قريبا منه لمشابهته له في البيان اى الظهور والجلا بكسر
الجيم وفتحها اى الوضوح وهو ان يكون القايل لما قال ما فيه نقص ما في جهته
عليه الصلاة والسلام اراد في حقه وعبر بالجهة اشارة لتنزاهته عن الاتصال به
فلله دره غير قاصد بما قاله للسب والازرا الانتقاص والاستخفاف ولا
معتقد له ولعيبه ولكنه تكلم في جهته صلى الله عليه وسلم بكلمة الكفر التي يكفر
بها من لعنه او سبه او تكذيبه في شي مما جا به او اضافة ما لا يجوز عليه من نحو
ما ذكر او نفي ما يجب له على امته من حقوقه وذلك كله مما هو في حقه صلى الله
عليه وسلم نقيصة مثل ان ينسب اليه اتيان كبيرة وقد عصمه الله عنها وعن
سائر النقايص ومداهنة اى مداراة للكفرة في تبليغ الرسالة او مداهنة

للناس وهو في حكم بين الناس او بغض بعضهم وضاد مستند ذه مجتنبين اى
ينقص نقصا قليلا من مرتبته اى شريف مقامه صلى الله عليه وسلم او نقض وبطعن
في شى من شرف نسبه وهو كما قيل

نسب كان عليه من شمس الضحى نورا ومن فلق الصباح عمودا

او بعض من وفور علمه اى كثرته وزيادته او من زهده في الدنيا وامورها
او يكذب بما اشتهر من امور اخبر بها صلى الله عليه وسلم وتواتر الخبر بها عنه
بحيث يحصل اليقين بها فيكلم خلافها عن قصد لرد خبره صلى الله عليه وسلم المتواتر
قال ابن حجر وقوله وتواتر الخبر بها عنه اى لفظا وهو موجود خلافا لمن زعم نفيه
او معنى ولا نظر في ذلك خلافا لمن زعمه او باتى بسفه اى خفة عقل وسوادت من
القول او قبيح من الكلام ونوع من السب في جهته اى في حقه صلى الله عليه وسلم وان
ظهر لمن سمعه بدليل ظاهر حاله انه لم يتعمد اى لم يقصد ذمه بما قاله ولم
يقصد سبه ولما كان مخالفة الظاهر غير ظاهرة قال اما لجهالة اى لشدة جهل
قائله حملته جهالته لما صدر منه مما لا يعرف لقرب عهده بالاسلام ونحوه او لضجر
اى قلق وضيق صدر حمله على مقالته او سكر اضطره اليه وغيبة عقل فلا يعرف
هذيانه او قلة مراقبته له لكونه من اهل الخلاعة والمجون المعتاد لبذاءة اللسان
وعدم ضبط لسانه اذ انكلم يجرى على عادته به وسبقه لسانه لما قاله وتجرفه
اى تهاونه وتكلم من غير تامل كما تشاهده من كثير من الجهلة وتهور في كلامه التهور
الخروج عن الاعتدال بحدة لغضب ونحوه وكل شى له مراتب ثلاثة اوسطها المتهور الاعتدال
وما نقص منه تفريط وما زاد تهور واصله هدم البنا حتى يتهار ويقع فحكم هذا الوجه
الذى يلزم شرعا حكم الوجه الاول وحكمه كما تقدم القتل دون اى من غير
تلعثم بمثناة في اوله ولام مفتوحة وعين مهملة ساكنة ومثلثة مضمومة وميم اى
توقف وتردد في وجوب قتله شرعا يقال تلعثم في الامر اذا امكث وتراخى وقد يقال
تلعثم بدال مهملة بدلا او اصلا اى تبادر له بلا تامل فيه اذ لا يعذر احد في
الكفر بالجهالة فانه يجب عليه علم امور دينه وفعلها ولا يعذر ايضا بدعوى زلل
اللسان وخطيه في مثاله ولا يعذر بشى مما ذكره من الضجر والتهور والسكر
ونحوها مما سمعته انفا اذا كان عقله في فطرته اى ابتدا خلقته وجبلته التى ولد عليها
سليما من الافات وعنده من العلم ما يمنعه من الوقوع في الكفر فلذا لم يعذر الا
من اكره على الكفر فنطق به وقلبه مطمين بالايمان اى قادر عليه منه عن معتاد
مصدق بيقينا من غير ريبة فيه وتردد والاكراه حمل الغير على ما لا يريد وهو ملجى
وغير ملجى والكلام عليه مفصل في كتب الفقه والاصول فاذا انكلم بكلمة كفر مكرها
لم يكفر وهذه رخصة من الله من بها على عباده المومنين وقوله اذ لا يعذر ربما يحمل له
معتد ممن نشأ مسلما في دار الاسلام فلو كان قريب عهد به او نشا بادية فيعذر لط
عنيره عذر لانه يخفى عليه علم ذلك ولذا قال ابن حجر بعد سياق كلام المصنف ورد اذكره

ظاهر

ظاهر موافق لقواعد مذهبنا اذ المدار في الحكم بالكفر على الظواهر ولا نظر
للمقصود والنيات ولا نظر لقراين حاله نعم يعذر مدعى الجهل ان عذر لقرب
عهده بالاسلام او بعده عن العلما كما يعلم من كلام الروضة انتهى والحق لفظا دعوى نفى
نفى له دعوى زلل اللسان لان مراده انه اذا تكلم بذلك وشهد ظاهر حاله على قصده
ثم قال انما قلته زللا لا يقبل منه قوله فلا بد وعليه انه رفع عن هذه الامة الخطا
والنسيان وما استكرهوا عليه كما في الاية والحديث الصحيح وكذا يعتد انكار ما
تواتر بان يكون مما يعلم ضرورة من الدين كانكار وجوب الصلاة بخلاف ما لو
جحد احدى زوجاته صلى الله عليه وسلم ونحوه وبهذا افتى من العلما المالكية الاندلسيون
نسبة الى الاندلس بفتح الهمزة والدال وضمها اقليم معروف تقدم بيانه على ابن
حاتم مقول افتى وتقدم بيان حاله في نفيه الزهد عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فافتوا بقتله بلبيه الذى قد بيناه في هذا الباب وقال محمد بن سحنون تقدم
بيانه وبيان ابيه ايضا في الماسور الذى اسره الكفار بدار الحرب يسب النبي صلى
الله عليه وسلم في حال اسره في ايدى العدو الكفار اى في دارهم وتصرفهم يقتل
هذا مقول ابن سحنون ولا يعذر بكونه اسيرا الا ان يعلم تنصره بنون وصاد
مهملة اى انه ارتد ودخل في دين النصارى او اكراهه اى يعلم انهم اكرهوه على السب
بقوله يقتل ان عن غير ان يستتاب فان ارتد ثم سب لا يقتل البتة بل يستتاب فان
تاب ترك والا قتل وكذا لو علم اكراهه لم يقتل ايضا ان لم يعلم ذلك وقال كنت مكرها
ففيه خلاف تنبيه قال البرهان رحمه الله في قوله الا ان يعلم تنصره
الى هذا الكلام ينبغى ان يبا لغ عند المالكية وينص عليه ليبا لدو هو ما لا خفا فيه وسببه
انه وقع عنده تنصره بالبا الموحدة فظن ان معناه يعرف بالنصارة فلا يجرم حرو الحمى
المنيع بامر شنيع وانما هو بالنون فانه عند المالكية ان الاسير اذا ارتد وسب وقذف
ثم رجع للاسلام فهو في حكم المرتد كما بيناه ولو قيل انما مراده ان تفصيل هذه المسالة
لم يحضره وحسن الظن به كان البق الا ان يقال انه له رواية فيه وهو يعبد وعن ابى
محمد بن ابى زيد صاحب الرسالة الامام المالكى المشهور لا يعذر احد بدعوى
زلل اللسان بكفر نطق به كما تقدم بيانه انما في مثل هذا اى قذف النبي صلى الله
عليه وسلم وقد يعذر في غيره وقال ابن حجر بعد ما مر عنه ويعذر ايضا فيما يظهر
بدعوى سبق اللسان بالنسبة لدر القتل عنه وان لم يعذر فيه بالنسبة لو قوع طلاقه
وعتقه والفرق ان ذلك حق الله تعالى وهو مبنى على المسامحة بخلاف هذين وافتى ابو
الحسن القابسى تقدم بيانه فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم في سكره وغيبة
عقله بانه يقتل لانه يظن به انه يعتقد هذا ويفعله في حال صحوه الصحو
عبارة عن حضور العقل وعدم غيبته بسكر وغيره وصحو السما خلوها من الغيم
المانع لظهور الشمس والكواكب وهذا استعارة لستر السكر بالابخرة المتصاعدة
للراس بتاثر الحرارة لها عقله والمراد اسكر غاب فلا يبعد ما بصره ويخفيه

عن غيره من خبيث او شر كما قيل

الراح كالريح ان مرت على عطر طابت وتخبث ان مرت على الجيف

والى هذا اشار المصنف بقوله وايضا فانه لا يسقط الحد بالسكر لانه متعد بسببه
فلا يحد ربه كالقتل والقذف وسائر الحدود لا تسقط بالسكر كما هو مقرر في
الفروع لانه ادخله على نفسه اي هو الذي شرب باختياره فسكر سكرا اوجبه فلا
يعذر كمن اغمي عليه او جن فهذا لا اثم عليه يصح ذلك باختياره فيؤاخذ به لان من شرب
الخمر على علم اي متيقن ذلك حتى كانه مشتمل عليه فهي استعارة تبعية كقوله تعالى على
هدى من زوال عقله بسبب سكره بها اي بالخمر فانها موثرة سماعا واتيان
ما يكره منه من الافعال القبيحة فهو كالعامد القاصد لفعله بعد سكره لتعمده
الشرب الذي يعلم انه سببه وتعمد السبب تعمد مسببه لما يكون بسببه من كل جناية
وامر منكر فلذا يؤاخذ به شرعا وعلى هذا اي ولاجل هذا المذكور او على هذا القول
الزمناه الطلاق فيقع طلاق السكران والعتاق اي عتقه في سكره والقصاص
اذا قتل في سكره والزمناه سائر الحدود كحد القذف والزنا والسرقة فقيل عليه
ان ظاهره ان غير الحدود ساقط عنه وليس كذلك فانه مؤاخذ بجميع اقواله وافعاله
وليس كما قال فان تعبير المصنف فانه غير صحيح ولا يلزم من مؤاخذته ان يكون مكلفا
وان نقل عن الشافعي فيه خلاف فان الصحيح كما قرره ابن الحاجب في اصوله انه غير
مكلف ولا يرد على قوله تعالى لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى انه مكلف بالصلاة ومنهي
عنها فان نهيه انما هو عن سكره وهو امر بازالة ما يمنعه منها كما يؤمر من عليه نجاسة
او حدث بها لاستلزامه ازالة مانعها فهو كقوله ولا تموتن الا وانتم مسلمون وهذا
ليس خطاب تكليف وانما هو خطاب وضع كما قاله ابن الحاجب فلا اشكال فيه اصلا
ولا حاجة لما قيل عليه ولا يعترض على هذا المذكور من ان السكران يؤاخذ بما
صدر عنه حال سكره لتعديه بتعاطي سببه ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما ومن
الحديث حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وسيد الشهداء وقوله
اي حمزة رضي الله عنه وهو سكران للنبي صلى الله عليه وسلم وقد جلس يشرب
وعنده داره ناقتين لعلي يريد ان يحمل عليها إذخرا لحاجة له وعنده قينة تغنيه
الا يا حمز للشرف النواء فخرج ونحرهما وجب سنامهما ليأكلوه على شرابهم فاخبر علي
رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فجاء فلما راه حمزة رضي الله عنه صعّد نظره اليه
وقال له هل انتم معاشر قريش الا عبيد لابي فكل ما لكم يحل لي وهذا ابيه ما ينكر
في حق النبي صلى الله عليه وسلم فعرف النبي صلى الله عليه وسلم انه اي حمزة ثمل
بفتح الثاء المثلثة وميم مكسورة قبل لام اي سكران زائل العقل ولذا فعل ما فعل
وقال ما قال فانصرف صلى الله عليه وسلم عنه ولم يؤاخذه بما قاله في سكره وهذا
لا ينافي ما قدمه لان الخمر كانت حينئذ اي حين اذ شربها حمزة غير محرمة على
المسلمين حتى نزلت الاية فيها فلم يكن في جنايتها اي فيما جناه شاربها اثم لعدم

تعديه

تعديه بتعاطي سبب محرم وكان حكم ما يحدث عنها اي عن شربها والسكر منها معفوا
عنه كما يحدث من بعض الجنايات الحادثة من النوم اي بسبب النوم وشرب
الدواء المزيل للعقل وما يحدث عنه من الجنايات المامون اي الذي يامن شاربه من
ضرره وازالة عقله اذ ازال عقله من غير علم بانه يزيله فانه اذا زاله فوقع منه
امر من الامور لم يترتب عليه لم يكلف بالنهي عنه بخطاب الوضع فلا فرق بينه وبين
النائم في انه غير مكلف بمعنى ان جنايته اصلا ونبه بالمامون لان ما يعلم ضرره لا
يجوز تناوله فان غاب به عقله فحكمه حكم السكران وقد قيل عليه ان كلامه ابن اقبرس
يقتضي ان علة عدم المؤاخذة كونه غير محرم دون غيبوبة العقل الذي هو مناط
التكليف وكونه من خطاب الوضع لابد له من دليل وهو كلام ساقط بل مختل كما يعرفه من
له ادنى تامل وما قيل من ان الخمر وان لم تحرم حينئذ فالسكر حرام فقد قيل انه عرضي
لم يصح نقله وان اشتهر فيه تامل وكون حمزة رضي الله عنه ضمن لعلي ثمن ناقتيه او لم
يضمن لا يهمنا هنا والقصة مفصلة في الشروح

فصل الوجه الثالث

فيما وقع من سبه صلى الله عليه وسلم او اذيته وتنقيصه ان يقصد احد من الناس الى
تكذيبه صلى الله عليه وسلم اي يتعمد نسبته الى الكذب فيما قاله وقصد يتعدى بنفسه
وباللام والى كما في القاموس او يقصد تكذيبه فيما اتى به اي فيما اوحي اليه وامر
بتبليغه للناس او ينفي نبوته اي يقول انه صلى الله عليه وسلم ليس بنبي او ينفي
رسالته بان يقول ليس برسول من الله او وجوده في زمن من الازمنة او
يكفر به سواء انتقل بقوله ذلك الذي كفر به الى دين اخر كان تهود او تنصر
عن ملته ام لا اي لم ينتقل لملة اخرى فهذا كافر باجماع من المسلمين واصحاب
المذاهب يجب قتله من غير خلاف وانما الكلام في توبته فلذا قال ثم ينظر
في حاله او مقاله فان كان مصرحا بذلك الامر الذي كفر به كان حكمه الجاري
عليه شرعا اشبه بحكم المرتد وانما جعله اشبه بالمرتد لانه لم يتحقق امره وقوي
الخلاف في استتابته اي في انه هل يستتاب وتقبل توبته ام لا كما تقدم وعلى القول
الاخر القائل بانه يستتاب لا يسقط القتل عنه توبته لانه حد لا يسقط بالتوبة
كالقذف والسرقة لكنه يثبت له حكم المسلمين في ميراثه ودفنه في مقابر المسلمين
لحق النبي صلى الله عليه وسلم لان حق العبد لا يسقط بالتوبة وانما يسقط بها حق الله
ان كان ذكره بنقيصة اي بنسبته لامر فيه نقص له صلى الله عليه وسلم وهو اكمل الخلق
واعظمهم فيما قاله هذا المذكور من كذب او غيره مما نسبه له وان كان
متسترا بذلك اي بما قاله من تنقيصه او مخفيا لما قاله فهو اشنع له من الزنديق
نسخة متسترا انفعال من الستر والاسرار المقابل للاعلان كما هو معناه بل هو المصحح
في كلامه ومن فسره بالسرور اي ذا سرور فقد حرف واخطا فحكمه حكم
الزنديق الذي يظهر الاسلام ويبطن الكفر بخلاف المرتد لا تسقط قتله
التوبة عندنا اي في مذهب مالك رحمه الله كما سنبينه ونوضحه تفصيلا لاحقه

وهذا مذهب مالك وفيه خلاف لغيره مفصل في كتب الفقه وقال ابو حنيفة
واصحابه كالامام محمد وابي يوسف وغيرهما من برئ بزنة علم مهموز من التبري
اي من تبرا من محمد صلى الله عليه وسلم بان قال انا بري منه اي تارك له وله نبيه
غير معترف به ولا متبع ولا ممتثل لامره ونهيه او كذبه اي قال انه كاذب فيما
ادعاه ومن نسخ او كذب به فهو مرتد عن دينه بمقالته هذه حلال الدم اي دمه
هدر حلال اراقته وهو عبارة عن لزوم قتله شرعا الا ان يرجع عما قاله ويتوب
ويعترف بخلاف ما كان قاله اولا فهو عنده حكمه حكم المرتد فتقبل توبته لقوله
تعالى ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ولحديث اذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم
الاتي واحكام المرتد عندنا مفصلة في كتب الفقه غنية عن البيان وقال ابن القاسم
عبد الرحمن المصري الامام المشهور صاحب مالك في المسلم اي في حق الرجل المسلم
اذا قال ان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بنبي او لم يرسل من الله للناس كافة
او لم ينزل عليه قران ووحي من الله وانما هو شي تقوله اي شي دام افتراه على
الله وهو صلى الله عليه وسلم حاشاه ما ينطق عن الهوى وقد اتى بما عند البضا القضية فمن
قال مثل هذا يتعين ان يقتل ويلحق في الدارين قال اي ابن القاسم ومن كفر
برسول الله بانكار نبوته ورسالته صلى الله عليه وسلم وانكره من المسلمين بان انكر
وجوده كما تقدم واما الكفار فحكمهم سياتي وتقيد به لقوله فهو في احكامه يقتل ان لم بمنزلة المرتد
يتب وكذلك الحكم فيمن اعلن بتكذيبه اي اظهره جهرا فهو كالمرتد يستتاب
اي تطلب توبته فان لم يتب قتل وكذلك قال ابن القاسم فيمن تنبا وزعم انه نبي يوحى
اليه اي يقتل ان لم يتب ومحل ذلك اذا زعم انه يوحى اليه بنزول الملك عليه والا فالذي
ينبغي انه لا يكفر كما قاله ابن حجر وقاله اي ذهب الى مثله من ائمة المالكية سحنون
تقدم بيانه وانه المشهور وفيه ضم اوله وقد قيل انه يفتح وهو منقول مخفف فعلول
او فعلول من السحنة وهي بشرة الوجه ولونه وهيئته وانه ممنوع من الصرف
للعلمية وشبه العجمة كما قاله ابو العلا المعري في شرح ديوان البحتري وقال ابن
القاسم فيمن تنبا انه كالمرتد سواء كان دعا الى ذلك اي الى ما يدعيه من نبوته سرا
كان او جهرا كمسيلمة لعنه الله وقال اصبغ ابن الفرج هو اي من زعم انه نبي يوحى
اليه كالمرتد في احكامه لانه قد كفر بكتاب الله لانه كذبه صلى الله عليه وسلم في
قوله انه خاتم النبيين ولا نبي بعده مع الفرية على الله بكسر الفا اي الكذب عليه
بقوله ان الله اوحى الي وارسلني وقال اشهب في يهودي تنبا اي زعم انه نبي
وزعم انه ارسل من الله الى الناس يبلغهم عن الله او قال وزعم ان بعد
نبيكم نبي سياتي من الله بشريعة فقال انه يستتاب كالمرتد ان كان معلنا بذلك
اي مظهرا له الا اذا اخفاه فان تاب ورجع عما قاله والا قتل ان لم يتب وذلك
اي قتله لانه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله الذي نقله عنه الثقات لا نبي
بعدي اي لا ينبا احد بعدي بنبوة ومفتر متعمد الكذب فيما زعمه على الله في دعواه

الرسالة

الرسالة والنبوة لانه يقول ان الله اوحى اليه دخل في ومن اظلم ممن افترى
على الله كذبا وهذا الحديث رواه البخاري وقد قال صلى الله عليه وسلم لعلي لما استخلفه
على المدينة في غزوة تبوك وقال له اتتركني في النساء والصبيان اما ترضى ان تكون
مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي واما عيسى بن مريم عليه الصلاة
والسلام فلم ينبا بعده وانما يجي تابعا له صلى الله عليه وسلم مؤيدا لدينه حاكما بشرعه
في اخر الزمان اربعين سنة فان قلت ما تقول في قول الغزالي في كتاب الاقتصاد
ان بعضهم اول قوله خاتم النبيين بان معناه خاتم اولي العزم منهم ويلغي نقل القرطبي
له قلت قالوا في الجواب عنه ان كتابه هذا عقده لبيان اقوال الملحدين فذكر هذا
لينبه على فساده وانه مما لا يلتفت له لغموض تركه اولى من ذكره فان تعبيره بالنبيين
دون المرسلين مناف له وقال محمد بن سحنون تقدم بيانه من شك في حرف
مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله اي في شي مما اوحي به اليه وعبر بالحرف
مبالغة فهو كافر جاحد لشكه في الوحي المتواتر والجحد الانكار لما يعلمه عنادا
وعتوا ولا يرد على هذا من انكر البسملة في اول السورة فانه لا يكفر قرانيتها او المراد
انكار ما لم يختلف فيه واما ما ينقل عن ابن مسعود رضي الله عنه من ان المعوذتين
ليستا من القران فهو غير صحيح لانه اتفق وانما غلطوا فيه لعدم كتابتهما في مصحفه اعتمادا
على شهرتهما فان قلت فهل هنا جواب على تقدير الصحة قلت الجواب عنه انه لم
ينعقد الاجماع عند انكاره على كونهما قرانا واما الان فقد استقر وصارت قرانيتهما
معلومة من الدين بالضرورة فمنكر قرانيتهما مطلقا كان او مخالفا للمسلمين وسياتي اخر
الكتاب عن محمد بن سحنون هذا ايضا في المعوذتين ليستا من كتاب الله انه تضرب عنقه
الا ان يتوب مع الكلام فيه بابسط مما هنا وقال ابن سحنون من كذب على النبي صلى
الله عليه وسلم اي نسبه للكذب او انكر شيئا مما جاء به كان حكمه عند الائمة القتل
وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون الذي تقدمت ترجمته من قال ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان لونه اسود قتل لكذبه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولونه
السواد يزدري فيه تحقير واهانة له ايضا اذ لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم اسود
وانما كان ازهر اللون منورا كما تقدم في حديث الحلية الطويل وقال بعض المتاخرين
كلامه يوهم ان مجرد الكذب عليه في صفة من صفاته كفر يوجب القتل وليس كذلك
بل لا بد من ضميمة ما يفيد نقصه في ذلك كما في مسالتنا هذه لان الاسود لون مفضول
انتهى وقد علمت انه لا فرق لان اثبات صفة له صلى الله عليه وسلم غير صفته لا تكون الا
مشعرة بنقص لان صفاته لا يتصور اكمل منها بل كل ما اثبت له غيرها كان نقصا بالنسبة
لها فالاعتراض حينئذ ليس في محله وقال نحوه اي مثل هذا ابو عثمان الحداد كان زاولا
ما الكبائر صار شافعيا وهذا الفقيه واسمه سعيد قال لو قال احد انه صلى الله عليه
وسلم مات قبل ان يلتحي صغيرا او انه كان بتاهرت الباجارة
بعد هاء مثناة فوقية مفتوحة والف وهاء مضمومة او مفتوحة وراء مهملة ساكنة

وبالمثناة فوقية اخرى وهو اسم ثلاثة او حد بنية بنواحي تلمسان منها بكر بن حماد التاهرتي وهي بالمغرب بها قوم من العرب نزلوها كما ذكره المسعودي في اخبار الزمان وقيل انها نهاية الغور من المغرب وقال انه صلى الله عليه وسلم لم يكن بتهامة بكسر التاء اسم لكل ما نزل عن نجد من بلاد الحجاز وقال ابن فارس انها ماخوذة من التهم بفتح التاء والهاء وهو شدة الحر وركود الريح او بمعنى التغير من تهم الدهن اذا تغير ريحه سميت بذلك لتغير هوائها قتل من قال انه مات قبل ان يلتحي او لم يكن بها من ارض الحجاز لان هذا المذكور وان لم يتضمن انه سب لكنه نفي لوجود النبي صلى الله عليه وسلم فيه نقيصة المعرفة قال ابن حجر وما قاله منجه لكن محله كما يعلم من اخر كلامه فيمن طالت صحبته للمسلمين حتى ظن به علم ذلك وبه يعلم رد ما نقله العز بن عبد السلام عن ابي حنيفة وتراه من ان من قال او من بالنبي واشك في انه المدفون بالمدينة او الذي بمكة لا يكفر لانه وان كان معلوما بالضرورة الا انه ليس من الدين لانا لم نتعبد به فيكون جاحده كجاحد بغداد ومصر انتهى ووجه رده ان الشك في ذلك من المخالط للمسلمين يستلزم تضليل الامة وغير ذلك من العظائم في الدين وقال حبيب بن ربيع من ايمة المالكية تبديل صفته المشهورة كوصفه بكونه غير لونه ومواضعه التي كان معروفا بها كتهامة ومكة والمدينة كفر قال ابن حجر وهذا يشمل انكار الهجرة وكونه كان او لد بمكة واخبر بالمدينة وغير ذلك مما ذكر كله وهو متجه والمظهر له كافر لعله اذا قصده من لم يعذر في جهله به وبه اي في الكفر مما ذكر الاستتابة اي انه تقبل توبته والمسر له الذي لا يظهره لغيره زنديق اي حكمه كالزنديق يقتل دون استتابة لانه باخفائه له لا يدل على قصده نفي وجوده ونفي صفاته المعلومة تواترا لكل احد

فصل معقود لذكر بعض انواع ما نحن بصدده الوجه الرابع من اقسام هذه المسالة ان ياتي من تكلم به من الكلام بمجمل اسم مفعول من الاجمال وهو في اللغة مقابل للتفصيل ومنه جملة العدد وفي اصطلاح اهل الاصول ما لم تتضح دلالته على مراد من تكلم به وهو المراد هنا والمناسب لقوله وان ياتي بلفظ من القول مشكل وفي نسخة ويلفظ من القول بمشكل والشكل من الاصل ما له اشكال اي اشباه ونظائر وهو ايضا ما لا يظهر معناه قال الراغب المشاكلة في الهيئة والصورة والند في الجنسية والشبه في الكيفية والشي اذا كان له اشكال يلتبس فالمراد ما فيه التباس بغيره يمكن حمله باعتبار منه على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى غيره ممن يمكن حمله عليه او متردد اي مشتبه في المراد به اي ما قصده المتكلم به من سلامته من المكروه او سلامته من شره الذي لا يليق به صلى الله عليه وسلم وهو معطوف على سلامته فهاهنا اي في المقام الذي يورد فيه ما يحتمل قصده وعدمه متردد النظر بزنة المفعول اسم مكان التردد في حكمه اي نظر الحاكم فيه وحيرة العبر بزنة عنب بمعنى مهملة ومرحدة جمع عبرة وهو ما يعتبر ليستدل به على غيره ومظنة بكسر الظاء المشالة اي محل الظن الذي يظن فيه امر المقتضى

اختلاف

اختلاف المجتهدين في حكمه لاحتمال انه في حقه فيجري عليه حكم من ينقصه او في حق غيره فلا يكون متنقصا لتثليث دليله فهو محل تامل ونظر ووقفه معطوف على متردد استبراء اي لمد اطلب براءة المقلدين لهؤلاء المجتهدين يعني ان المجتهدين يعملون النظر في استخراج حكمه ويتحيرون فيه لاشكاله عليهم والمقلد لهم يتوقف حتى يعلم حال من قلده فيتبعه ويبرا من عهدته ليهلك من هلك عن بينة اي ليكون من حكم بكفره بعد ما له قتله بدليل واضح لان اراقة الدما لا يجازف فيها ويحيى من حي اصله حيي فادغم عن بينة اي يكون حياة من لم يقتل بدليل ظاهر لانه لا ينبغي المسامحة فيما يتعلق بمقام النبوة وحمايتها من طعن الطاعنين فيه وهو اقتباس لبيان علة التردد والتوقف في الامور المشكلة فمنهم اي من المجتهدين في مثل هذا من غلب حرمة النبي صلى الله عليه وسلم اي احترامه وصيانته وحمى حمى عرضه اي صان عرضه وحمى الاول ماض كرمى والثاني بكسر الحا اسم وهو ما يجب حمايته ورعايته والعرض كل ما يلزم رعايته من الصفات ويلوم ضده ويكون بمعنى الجانب والذات ايضا وفيه كلام لا يحتمله المختصر بل لا حاجة لنا به هنا اي منع ان يهجم احد على مقام النبوة ولو بالاحتمال فان من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه فجسر اي تقدم من غير مبالاة على القتل اي الحكم بقتله وان احتمل كلامه ومنهم من عظم حرمة الدم فلم يجسر على القتل ودرا بدال وراء مهملتين مفتوحتين وهمزة كدفع وزنا ومعنى الحد وهو هنا القتل بالشبهة فيما قاله لاحتمال عدم قصده لما يوجبه وهو اشارة لقوله صلى الله عليه وسلم ادروا الحدود بالشبهات وهو حديث ورد بمعناه كحديث ابن ماجة ادفعوا الحد ما استطعتم وكذا هو في الترمذي وغيره واما هذا اللفظ بعينه ففيه كلام في تخريج احاديث الهداية لابن حجر وبين الشبهة بقوله لاحتمال القول الصادر منه لامرين احدهما يقتضيه والاخر يمنعه فعمل بالثاني احتياطا والشبهة على انواع ذكرت في كتب الفقه والاصول وفي بعض النسخ وقتل الرجل المومن من الموبقات اي المهلكات للقاتل في الدنيا والاخرة لما ورد في الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم قال لزوال الدنيا اهون على الله من قتل مومن بغير حق وقد اختلف ايمتنا يعني الفقهاء المالكية في رجل اغضبه غريمه يعني من له عليه حق طالبه به فقال له غريمه في حال غضبه ودفعا صمته له صل امر بالصلاة على محمد يريد به دفع غضبه بذكره صلى الله عليه وسلم فقال له اي لغريمه الذي امره بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم الطالب من غريمه حقه الذي خاصمه لاجله لا صلى الله على من صلى عليه لتنويه وعدم تدبره فقيل لسحنون اي استفتي في هذا القائل هل هو كمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم صريحا في غير حال الغضب لنفيه رحمة الله وصلاته عن من صلى عليه او شتم الملائكة الذين يصلون عليه لدخولهم في قوله من صلى عليه قال سحنون لمن ساله لا اي ليس هو كمن شتم لقوله اذا كان هذا القائل

كاينا على ما وصفت اي ما ذكرته وحكيته عنه ونا وصفت مفتوحة ضمير المخاطب
من الغضب الذي اغضبه به غيره لان الحدة تحمل المرء على ان يصدر عنه ما لا
يرضاه لانه لم يكن مضمرا اي ناويا ومريدا للشتم وفي نسخة الشتم لاحد مما
ذكر وانما سبق لسانه له من غير تفكر وقد جرت عادة الناس انهم يقولون عند
الغضب صل على النبي ونحوه وقال ابو اسحاق البرقي بالموحدة المفتوحة
وسكون الراء المهملة والقاف ابراهيم بن عبد الرحمن بن عمرة بن ابي العباس توفي
سنة خمس واربعين ومايتين واصبغ بن الفرج تقدم بيانه لا يقتل هذا القايل
لانه انما شتم الناس لا النبي ولا الملائكة لان من رآه عم بحسب باعتبار متعارف
الناس في قصد جنسهم دون غيرهم ممن لا يخطر بباله في عرف التخاطب ولعل من
قرينة تصرف الشتم له صلى الله عليه وسلم ولا الى الملائكة الذين يصلون عليه كما
لا يخفى وقد يقال ان المتبادر من قول من صلى عليه الامر له او نفسه ان صلى عليه
لتسكين غضبه فكانه قال ان صليت انا او انت لدفع الغضب فلا صلى الله عليك او على
وهو في غاية الظهور وهذا الذي اجاب به البرقي واصبغ نحو قول سحنون
الذي ذكره يعني مرادهما واحد لانه اي سحنون في قوله اذا كان الخ لم يعذره بالغضب
اي بسببه في شتم النبي صلى الله عليه وسلم فانه لا يعذر فيه احد ولكنه لما احتمل
الكلام المذكور عنده اي عند سحنون في اعتقاده لشتم الناس وما هو محتمل
خلافه ولم يكن معه قرينة فيما قاله وفي حاله تدل على شتم النبي صلى الله عليه وسلم
او شتم الملائكة بحيث لم تخف من ولا مقدمة اي امر تقدم على كلامه يحمل عليها
كلامه اي قرينة وامر بانه قصد النبي او الملائكة بل القرينة الحالية في خصامه
تدل على ان مراده الناس الذي خصامه وكلامه معهم كما تقول العامة اي
الملائكة والحداد بن غيرهما اي الملائكة ونحوهم لاجل قول الاخر وامره له
صل على النبي فرد عليه بما يفيد ان قصده بقوله لا صلى الله على من صلى عليه
اي عليك او على او على من عندي ممن يعارضني ويريد دفع غضبي من غير استبيان حتى منه
فحمل قوله وسبه لمن يصلي عليه الان لاجل امر الاخر له بهذا عند غضبه
فمن ابن يخطر بباله عند الغضب النبي او الملائكة وهو في غاية الظهور في عرف
الناس هذا التأويل معنى قول سحنون الذي تقدم وهو موافق بحسب المعنى
لقول صاحبيه البرقي واصبغ وذهب الحارث بن مسكين القاضي هو ابو عمرو
المصري مولى مروان الثقة الحجة المحدث المالكي اخرج له اصحاب السنن وحمل
لبغداد في محنة خلق القرآن الخبيثة الى ان تولى المتوكل فاطلقه وولاه قضاء
مصر ثم بعد ذلك غاب بها الى ان توفي في سنة مايتين وخمسين وعمره يزيد على ثمانين
سنة وكذا ذهب غيره في مثل هذا القايل لا صلى الله الخ الى القتل لشموله من ذكر
من النبي والملائكة قال ابن حجر والذي يتخرج على قواعدنا الاول لان اللفظ ليس صريحا
في شتم الملائكة ولا الذات المقدسة وانما هو ظاهر في شتم نفسه ان صلى او غيره من

الناس

الناس ومع عدم التكفير يجوز التعزير البليغ وتوقف ابو الحسن القابسي في
قتل رجل قال كل صاحب فندق بضم الفاء وتفتح وهو لفظ معرب معناه الخان
الذي ينزله ابناء السبيل والتجار والغرباء والنون زايدة او اصلية وفي عباب
الصاغاني فندق فحل شجر كالبندق وهو ايضا بلغة اهل الشام خان من هذه
الخانات التي ينزلها الناس وبه اصحاب الدول من اهل الخيرات قرنان بفتح
اوله وزنه فعلان او فعالة وهو ذم بمعنى الديوث وهو الذي يجمع الرجال الاجانب
مع زوجته او بعض محارمه كاخته وبنته ونحوهن وقال الزبيدي هو الذي يدخل
الرجال على امرأته وقال الجوهري هو الذي لا غيرة له وهو مثنا ربة والقواد من
يجمع بين الرجال والنساء مطلقا حراما ولذا من يجمع بينهم وبين المرد والقرطبان
ويقال قلتبان الذي يعرف من يجمع بزوجته ويسكت وفي معناها بجارته ونحوهن
صاحب الفندق اي الخان كل من يجمع المال سواء كان له خان ام لا ولو كان اي
صاحب كل فندق نبيا مرسلا فامر بشده بالقيود والتضييق عليه بالحبس
وبحبس حتى يستفهم البينة اي يا لم يماثل له عن جملة الفاظه اي
بجميعها ليفهم منه مراده وما يدل على مقصده وما اراده هل اراده اصحاب
الفنادق الان اي الموجودين في زمنه فمعلوم انه ليس فيهم نبي مرسل الان فيكون
امره اخف من ان يقصد عمومه للموجودين وغيرهم ممن تقدمه قال القابسي
ولكن ارادة الموجودين الان يبعد لان ظاهر لفظه العموم لان لفظ كل يقتضيه
فهو عام لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتاخرين من الموجودين ومن
بعدهم ونحو يعتزله وقد كان فيمن تقدم من الناس من الانبياء والرسل صلى
الله وسلم عليهم اجمعين من اكتسب المال وقد علمت ان صاحب الفندق كناية عن
لدمال كثير الكسب لانه لا يقتنيه ويملكه الا من هو كذلك فهو كقولهم طويل النجاد
يعني طويل القامة قال القابسي ودم المسلم المعصوم لا يقدم عليه الا بامر
بين فكيف بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وكيف يتجرا على الحكم بالقتل وما ترد
اليه التاويلات ارنا ويل مايحتمل الظاهر لابد من امعان النظر فيه وفي
نسخة امعان وهما بمعنى والمراد تدقيق النظر واطالة التدبر والتفكر فيما ل
امعن النظر والتمه واصله من امعن في الطريق اذا ابعد وسار سيرا طويلا هذا
معنى كلامه في هذه المسالة رواه بمعناه دون لفظه وكانه يريد بهذا انه غير
ظاهر لانه احال علمه على ارادته وهو امر لا يطلع عليه وتفصيله بين ارادة العموم
وارادة اهل زمانه فيه ما لا يخفى ولذا قال ابن حجر بعده والظاهر ان لفظه ليس
صريحا في ذم الانبيا ولا سبهم فلا تكفير بمجرد هذا اللفظ بل يجوز التعزير الشديد به
وحكي عن الشيخ ابي محمد بن ابي زيد القيرواني وقد تقدم مرارا فيمن قال لعن
الله العرب ولعن الله بني اسرايل ولعن الله بني ادم من غير تعيين لاحد
منهم واسرايل لقب يعقوب معناه عبد الله او صفوة الله وذكر انه لم يرد الانبيا

منهم وقال لما انكر ذلك عليه انما اردت الظالمين منهم دون الصالحين والانبيا
والرسل منهم فقال ابن ابي زيد انه يحكم بان عليه الادب اي التعزير والزجر لما
في كلامه من الايهام بقدر اجتهاد السلطان اي بقدر ما يؤدي اليه اجتهاده
من ضرب وامر غيره دون القتل وهذا مبني على قاعدة هي ان العام اذا ذكر
من غير قرينة على الخصوص هل يصدق في قوله اردت الخصوص فقيل يصدق فاذا
غلب على الظن انه لم يرده وفيه كلام في الاصول ليس هذا محله وكذلك افتى
ابن ابي زيد كما افتى في المسئلة السابقة افتى ايضا فيمن قال لعن الله من حرم
المسكر وهذا بظاهره يقتضي الكفر والقتل لان الذي حرمه هو الشارع وهو
النبي صلى الله عليه وسلم وقال لم اعلم من حرمه وسيأتي حكمه مع ما بعده وهو قوله
وافتى ابن ابي زيد فيمن لعن حديث لا يبع حاضر معناه المقيم ويكون
مفرد او اسم جمع كالسامر لباد وهو من ياتي من البادية كالبدوي ولعل الحديث
لا معنى له الا لعن ناقله وراويه ولعن من جاء به اي بالنهي عن بيعه والذي جاء به
ناقله اولا وراويه وهذا مما اختلف فيه فقيل انه حرام لتغرير صاحبه فانه يأخذه
منه بثمن قليل ثم يبيعه له بالكثير وقيل انه نسخ وقيل الكراهة تنزيهية ومن
ذهب الى حرمته كبعض الشافعية شرط فيه شروطا من علمه بالنهي وكون المتاع مما
تعم الحاجة اليه وان لم يكن ماكولا والمعنى في التحريم التضييق على الناس والحديث
في الصحيحين وغيرهما مع اختلاف في بعض الفاظه ففي رواية لا يبيع حاضر لباد
وان كان اخاه او اباه دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض انه كان يعذر
بالجهل لقرب عهده بالاسلام وقد علمت انه شرط عند القائل بحرمته وعدم
معرفة السنن جمع سنة اي الاحاديث الماثورة عنه صلى الله عليه وسلم فعليه
الادب الوجيع الادب بمعنى التاديب وهو التعزير والوجيع بمعنى الموجع واسناده
مجازي عقلي وذلك انه هذا لم يقصد بظاهر حاله اي بسبب ظاهر حاله وما
يظهر من كلامه وفحواه سب الله لانه هو الذي حكم به اولا واوحاه ولا سب
رسوله صلى الله عليه وسلم لانه الذي جاء به وبلغه للناس وانما لعن من حرمه
من الناس اي العلماء المجتهدين الذين افتوا بحرمته لما صح عندهم من الحديث
فهو على نحو فتوى سحنون واصحابه من المالكية في المسئلة المتقدمة في
قول القائل لا صلى الله على من صلى عليه كما مر انفا قال ابن حجر بعد كلام المصنف
وهو ظاهر ولا بد من تقييد لاعن محرم المسكر بان يكون ممن يجهل ذلك ايضا
ويعذر بالجهل به بان يكون قريب عهد بالاسلام ولم يكن مخالطا للمسلمين والا فتحريمه
معلوم من الدين بالضرورة ولو كان لعنه من جاء بالحديث المذكور بعد نقل
احد له اي له النبي صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك كان ذلك كفرا ولا يقبل قوله ما
اردته لان لفظه ظاهر في تكذيبه فليتنبه والا فليقتل ومثل هذا المذكور
في حكم هذه المسئلة ما يجري اي يصدر ويقع في كلام سفهاء الناس ممن لا تدوم

عنده

عنده في اموره من قول بعضهم في مخاطبته لبعض فيما يقع في مخاصماتهم
يا ابن الف خنزير واراد بالخنزير من تقدم من ابائه واجداده بطريق الاستعارة
وابن مائة كلب اي يا رجل خسيس دني كالكلب وشبهه مما يصدر عن سفهاء
العوام من هجر القول بضم فسكون معناه الفحش في المنطق والقبح كما تقدم
ومراده بالالف والمائة التكثير دون العدد فلا شك انه يدخل في مثل
هذين العددين اي الالف والمائة وفي نسخة العدد من ابائه واجداده
جماعة من الانبيا كنوح واسماعيل ويعقوب عليهم الصلاة والسلام ولعل بعض
هذا العدد المذكور وهو الالف والمائة منقطع الى ادم الظاهر انه بمعنى
منقطع ينتهي قال في المصباح منقطع الشيء بصيغة البنا للمفعول حيث ينتهي اليه
طرفه نحو منقطع الوادي والرمل والطريق والمنقطع بالكسر الشيء نفسه فهو
اسم عين والمفتوح اسم معنى انتهى وقول بعضهم انه بمعنى منقطع من انقطع اليه
ولم يركن الى غيره ومن فسره بالمنقطع بمعنى منفصل اذ لو كان بمعناه عداه
بمن انتهى تكلف لانه عدا اللغة والحامل عليه ما راه من عدم صحة معناه بحسب
الظاهر والصواب ما سمعته اولا فينبغي لما ذكر من احتمال دخول بعض الانبيا
فيه وان الحامل على ذكره سفاهة قائله الزجر عنه وهو المنع بعنف ولوم وتبيين
ما جهله قائله منه ليزول عذره فيقال له انه يدخل في كلامك بعض الانبيا
فتب عنه ولا تعد لمثله وشدة الادب فيه اي تاديب قائله بزجره وتقريعه
او تعزيره ولو علم بالبنا للمفعول اي علم الحاكم انه اي القائل قصد سب
من في ابائه في سلسلة نسبه من الانبيا على علم اي علم قائله بان فيهم انبيا وقصد
دخولهم في عموم كلامه لقتل اي حكما كما هو حكم ساب الانبيا واللام داخلة في جواب
لو وحاصل ما ذكره انه لا يكفر بهذا اللفظ وان شمل جماعة من الانبيا ما لم يعلم
انه قصد سبهم وما ذكره فيه ظاهر لان ظاهر هذا اللفظ المبالغة في سب المخاطب
دون غيره لكن يعزر وربما بولغ في تعزيره كما مر وقد يضيق القول في نحو هذا
اي يزداد في التشديد على قائله فيما لو قال احد من الناس لرجل هاشمي
اي من بني هاشم بن عبد مناف بن قصي جد النبي صلى الله عليه وسلم لقب به واسمه
عمرو لهشمه رجلا او لانه كان يهشم الثريد لاطعام قومه كما فصل في السير لعن الله
بني هاشم فيضيق فيه لدخول النبي صلى الله عليه وسلم واهل بيته فيه دخولا متبادرا صريحا
فليس كالذي قبله ولذا اشتد على قائله وقال اردت الظالمين منهم والكفرة كابي
لهب وابي جهل ولا قرينة منه على تخصيصه بعد الاطلاق ولا قرينة تشهد له في دعوى
الخصوص فلو ظهرت القرينة لكون المخاطب من ظالميهم درئ عنه الحد بالشبهة فلا يقال
انه مناف لما تقدم او قال لرجل من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم او من نسله
اي من ولده من فاطمة او ولده من السادة الاشراف وينبغي تخصيص الولد
بمن قرب نسبه منه صلى الله عليه وسلم كالحسن والحسين والنسل بمن بعدهم فان عطفت

المتزارقين باو غير صحيح خلافا لابن مالك في تجويزه كقوله ومن يكتب خطبة او
اثنا ووقع في بعض النسخ وولده بالواو ولا اشكال فيه على علم منه اي وهو يعلم ويتحقق
انه من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قرينة قائمة في المسئلتين اي مسئلة بني
هاشم ومسئلة الذرية تقتضي تخصيص بعض ابائه بما ذكره من السب واخراج
النبي صلى الله عليه وسلم ممن سبه منهم بلفظ يخصه او نحوه من توجيه خطابه قال ابن
حجر وظاهر كلامه انه لا يقبل تخصيصه بارادة غير النبي صلى الله عليه وسلم من غير قرينة
وهو محتمل لعموم لفظه لكن الاقرب الى قواعدنا قبوله مطلقا لان اللفظ بوضعه لا يتناول في
تلك الارادة لكن يبالغ في تعزيره وقد رايت لابي موسى عيسى بن مناس بفتح الميم
والنون المخففة والف وسين مهملة وما في بعض النسخ من كسر ميمه لم يثبت وهو من
اصحاب سحنون ومن اهل قيروان وتقدم ذكره انه ربما من بعض تنائنا كنيته فيمن قال لرجل يخاصمه
ويتالمه لعنك الله واباك الى ادم انه ان ثبت عليه ذلك القول قتل لدخول
بعض الانبياء فيه كنوح عليه الصلاة والسلام قيل الظاهر انه يؤدب ولا يقتل لاحتمال ان
ابن اقبرس
يريد ان اللعنة تستمر عليه الى ان يلحق ادم لا سيما ودخول الغاية غير متعين
تنديبو وقال ابن حجر بعد كلام المصنف ونقيضه في اعدنا خلافه لما قد مر من ان لفظه
ليس صريحا في سب نبي لاحتماله الى انه يلحق ادم في القباحة بل لو قال لعن الله اباه الى
ادم كان عدم التكفير اقرب ايضا ان ادعا ارادة غير الانبياء منهم لاحتمال ما ادعاه وعدم
صريح يدل على خلافه ولا يبالي بكلامه بتناول ادم الخلاف المشهور في دخول الغاية انتهى
قال القاضي ابو الفضل عياض المؤلف رحمه الله وقد كان اختلف شيوخنا من
علماء المغرب المالكية فيمن قال لشاهد شهد عليه بشيء من الحقوق ادعى به عليه ثم
قال ذلك الشاهد له اي للمدعى عليه وقد اتهمه في شهادته تتهمني بحذف همزة الاستفهام
اي اتتهمني اي تنسب لي سوء امر يقتضي عدم قبول شهادتي والتهمة سوء ظن كما تقدم
فقال له الاخر المشهود عليه بحق الانبياء يتهمون بها المجهول اي ينسب لهم التهمات
وهذا مقول القول فكيف انت اي انت ادنى بان تتهم لبعد مقامك عنهم وكيف استفهام
انكاري استبعادي بحو كيف تكفرون بالله فكان شيخنا الامام ابو اسحاق ابراهيم
ابن جعفر تقدمت ترجمته يرى قتله اي يعتقد وجوب قتله لشناعة ظاهر
اللفظ اي قباحته بحسب الظاهر المقتضي لانهم وقع منهم ما يقتضي سوء الظن بهم وشناعة
بموحدة وشين معجمة وروي شناعة بمعجمة ونون وهما متقاربان قيل وتعبيره بالمضارع
في يتهمون الدال على الاستمرار التجددي هو المستبشع ولو عبر بالماضي لم يكن فيه كبير
استبشاع لانه قد وقع اتهامهم من جهلة الكفرة الفجرة وان احتمل انه لحكاية الحال الماضية
من اتهامهم بالكذب والسحر وغيره وكان القاضي ابو محمد بن منصور اسمه عبد الله بن
محمد بن منصور ومنصور جده عبد الله بن محمد بن منصور بن ابراهيم بن قاسم بن
منصور اللخمي ولد سنة ثمان وخمسين واربعمائة وتوفي في شعبان سنة ثلاث عشر
وخمسمائة وهو امام محدث مالكي المذهب يتوقف اي يتردد عن القتل فلا

يتقدم على الحكم به لاحتمال اللفظ المذكور عنده ان يكون خبرا عمن اتهمهم من
الكفار الذين اتهموهم بما لا يليق بهم كمن كذبوهم وهذا اما دفع وقابله لا يعتقد ما
قالوه قال ابن حجر وهذا الثاني هو الاوجه وافتى فيها اي في هذه المسئلة المتقدمة
قاضي قرطبة ابو عبد الله بن الحاج بنحو هذا الذي افتى به ابن منصور من
التوقف فيه وهو محمد بن احمد بن خلف بن ابراهيم التجيبي المالكي العلامة المحدث
الشهيد ولد سنة ثمان وخمسين واربعمائة وقتل وهو ساجد بجامع قرطبة قتله
ابن ذرك
رجل مجنون يقال ضربه بسكين في خاصرته فقتله ودفن في الموضع الذي قتله
فيه العامة سادس عشرين من شهر رمضان ودفن بعد العصر في مشهد عظيم
وليس ابن الحاج هذا صاحب المدخل وشدد القاضي ابو محمد بن منصور المذكور
انفا تصفيده اي جعله في صفد وهو القيد يقال صفدته وصفدته بالتشديد
اذا قيدته واصفدته اذا اعطاه ففرق بين بين المعنيين وقيل الصفد في العطية ماخوذ
من القيد كما قيل ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا وفيه كلام فصلناه في حواشي البيضاوي
واطال سجنه بفتح السين مصدر وتجوز كسرها بتقدير حذف سجنه ثم استحلفه
بعد بالضم اي بعد تصفيده وسجنه حلفه يمينا على تكذيب ما شهد به عليه اي
امره ان يحلف على انه ما قال ما نسب اليه اذ دخل في شهادة بعض من شهد عليه
بصدد وهذا القول منه وهن اي ضعف فحلفه وهذا احتياط في حق النبوة والا
فكونه اخبارا عما وقع من الكفرة من غير اعتقاد دلما قالوه وهو امر واقع يكفي في عدم
استحقاقه القتل ثم اطلقه لحكمه ببراءته مما نسب اليه وشاهدت شيخنا اي عاينت
وانا حاضر عنده ابا عبد الله الامام محمد بن عيسى بن حسين التميمي ولد سنة
تسع وعشرين واربعمائة وتوفي في سنة خمسين وخمسمائة صبيحة يوم السبت لعشر
بقين من جمادى الاخرة كما تقدم ايام قضائه اتي برجل ادعى عليه عنده هاتر
وفي نسخة تهاتر والمهاترة المغالطة في القول يقال تهاتر القتال اذا انتاحشا
في القول من الهتر بفتح الهاء وكسرها وهو الباطل والسقط من الكلام وهاتر وهتر
اذا لم يبال بما صنع وما قال وقيل هو بالفتح مزيق العرض وبالكسر السقط من
الكلام وانها نوع من الحمق والجهل وهو ايضا العجب والداهية رجلا اسمه محمد
والمراد انه خاصمه ثم قصد اي توجه الى كلب كان قريبا منه فضربه برجله
وقال له قم يا محمد وقصد بذلك تحقير خصمه المسمى بهذا الاسم لكن لمشاركته له
صلى الله عليه وسلم في الاسم لا ينبغي ذكره لا بهامه ما لا يليق فانكر ان يكون قال
ذلك الذي نقل عنه وشهد عليه باثبات ما انكره لفيف من الناس اي جماعة اجتمعوا
ليشهدوا عليه بما وقع منه قال تعالى وجئنا بكم لفيفا اي منضما بعضهم الى بعض من لفه
اذ اطواه فامر القاضي ان يمضى به الى السجن ليحبس فيه وتقصى بفتح التاء الفوقية
والقاف والصاد المهملة المشددة قيل العذر اي سال عن حاله في دينه والتقصي هو
البحث والتفتيش المتعمد كانه بلغ اقصاه قال ابو تمام يا صاحبي تقصيا نظريكما

وانه هل يعجب ممن يرتاب بدينه اي من للناس ريبة وشك في دينه ممن
يتهم بالاتحاد فان المرعلي بن خليله فان كان كذلك يعلم انه نقصد بكلامه حقيقته فالكثر
السؤال عنه وعمن يخالطه فلما لم يجد ما يقوي الريبة من حاله وحال اصحابه
ممن يتهم باعتقاده ضربه بالسوط يعزيرا له وزجرا عن العود لمثله واطلقه
قال ابن حجر وما دل عليه كلامه من عدم كفره بذلك هو الصواب فصل
الوجه الخامس من اوجه ما نحن بصدده ان لا يقصد بكلامه الذي اتى به نقصا
اي ما يدل على امر ينقصه ولا يذكر عيبا اي امرا معيبا قبيحا ولا سبا اي ما يسب
به ولكنه ينزع اي يميل ويلجأ من قولهم نزع الى وطنه يقال نازعته نفسه الى كذا اي
مالت لسبيل يستشهد به كما قاله الراغب وغيره بذكر بعض اوصافه صلى الله عليه
وسلم او يستشهد ببعض احواله التي كانت له صلى الله عليه وسلم اي انه يأتي بها
شاهدا اي نظيرا لامر وقع له الجائزة عليه في الدنيا فيعده به لان ما لا يجوز عليه
نقص له على طريق ضرب المثل له وتمثيله به ليتأسى عليه غيره او الحجة لنفسه
او لغيره ليتأسى به لقوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة او على
طريق التشبه به صلى الله عليه وسلم ان التشبه بالكرام فلاح او عند هضيمة وفي
نسخة عظيمة اي واقعة عظيمة والهضيمة من الهضم واصله كما قال الراغب شدخ
ما فيه رخاوة ثم استعمل للظلم والجور قال تعالى لا يخاف ظلما ولا هضما اي مظلمة نالته
اي اصابته او غضاضة لحقته اي نقيصة ينال غض منه اذا انقصه ليس على سبيل
طريق التأسي اي الاقتداء به في مثله ولا على طريق التحقيق لاتصاف النبي صلى الله
عليه وسلم به على مقصد الترفيع اي التعظيم لنفسه ان كان ذلك وقع له او
لغيره ممن وقع له او يذكره على سبيل التمثيل به وجعله مثلا فيما اتفق له وعدم
التوقير لنبيه صلى الله عليه وسلم لتشبيه نفسه به وابن الدنيا وابن الترك او على
قصد الهزل واللعب سفاهة منه والتندير بقوله بمثناة فوقية ونون ودال
وراء مهملتين اي الاتيان بامر نادر شاذ وقوعه فيذكره على سبيل الشذوذ لا
التشهير والترفيع وقيل معناه الاسقاط اي اسقاط حرمة مقامه وقيل انه
بجيم معجمة بمعنى التكلم بما فيه تعيب وتشهير وفيه نظر والظاهر انه بالموحدة والدال
معجمة نحو نبه عن السفاهة والنطق بما لا يليق به كقول القائل ان قيل في السوء
فقد قيل في النبي صلى الله عليه وسلم وفيه سوء ادب لا يخفى او ان كذبت اي نسب
لي الكذب فقد كذب الانبيا وهذا اقبح تسوية لنفسه بهم وان اذنبت اي وقع
مني ذنب وخطيئة فقد اذنبوا وهذا اسوأ ادب منه فانهم عليهم الصلاة والسلام
معصومون ولو قيل بنحو بوزه على غير الصحيح فذنوبهم حسنات بالنسبة لغيرهم فهذا
جهل من قائله او انا اسلم من السنة الناس اي من طعن السنتهم وعيبهم ولم
تسلم منهم انبيا الله ورسله فكيف بغيرهم او قد صبرت على ما ابتليت به
كما صبر اولو العزم من الرسل تقدم بيانهم قريبا فانا حقيق بالصبر او انى

صبرت

صبرت كصبر ايوب عليه الصلاة والسلام وتقدم بيان ما صبر عليه او صبر
نبي الله على عداه بكسر العين جمع عدو وحلم بزنة علم من الحلم اي عاملهم مع
ما وقع منهم بالحلم والعفو عنهم على اكثر مما صبرت انا عليه ففي كل هذا من ترك
الادب ما لا يخفى قال ابن حجر قيل كلامه بل صريحه عدم الكفر في هذه المسائل
وهل يحرم ذلك الذي يظهر انه ان قصد به الترفع وانه شاركهم في اصل هذه
الفضائل كان حراما شديد التحريم وان قصد هضم نفسه على طريق المبالغة بمعنى
انه لا نسبة لي باتباعهم وقد وقع لهم ذلك فوقوعه على اولى لم يكن حراما وعلى هذا يحمل
ما وقع لبعض الاكابر من استشهادهم على ما حصل لهم بنحو هذه الكلمات في خطب كتبهم
وغيرها نعم من قال ان اذنبت فقد اذنبوا اشد التحريم لا يجوز الاستشهاد
به بحال وقال بعض المالكية من قال ان كان قيل في حقي او حق فلان او ان جرى
له كذا فقد قيل في حق الانبيا او جرى لهم حرم عليه اطلاق ذلك لان ما استنقص
به بعضهم للانبيا فيؤدب وفهم بعضهم من كلام المص هنا انه يكفر بذلك وليس كما فهم
وليس في مذهبنا ما يوافق القول بالتكفير لا نصا ولا تلويحا وليس لمن قال به
دليل وتعليله بان القصد التشبيه والانتقاص فاسد اذ لا يقصد ذلك من في
قلبه اسلام بل المراد تنبيه لا يتكلم في حقه مثلي وقد تكلم في الاكابر قال بعض المتاخرين
بل اطلاق التحريم في ذلك بحسب مذهبنا منظور فيه انتهى والوجه عدم التحريم حيث
كان المراد ما ذكرنا واطلق انتهى ملخصا استطردنا ونحو هذا القبيل لبعض الشعرا
فقال وكقول المتنبي ابو الطيب احمد بن الحسين الشاعر المشهور وشهرته تغني عن
ذكره وترجمته مستوفاة في التواريخ انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود
الامة اقوام في زمن نبي بعث اليهم ويكون بمعنى الجماعة مطلقا ومعنى تداركها الله
ادركها بلطفه او بهلاكه فهو دعا لهم او عليهم وصالح نبي الله ثمود امته والغربة الخروج
عن الاهل والوطن فاستعملها هنا لعدم المناسبة والالفة كما يقال الكريم غريب بين
اهله وهو على طريقة الشعراء في الادعاء قال ابن حجر وكلامه محتمل لقصد تشبيه حاله
في الغربة بحال صالح فيكون من قصد الترفع او تشبيه حال من هو بينهم بحال ثمود من
المشاقة وعدم الطواعية له فيكون مستلزما للترفع صريحا في سبهم وعلى كل فهو غير
كافر والبيت من قصيدة له وقيل انه لقب المتنبي لهذا البيت وفيه اقوال اخر ونحوه
اي كقول المتنبي هذا وما في معناه مما وقع في اشعار المتعجرفين في القول الذي
يقولونه والعجرفة تجاوز الحد والخروج عنه والعجرفة ارتكاب ما لا يليق من غير مبالاة
به وهي في الترك بضم التاء واو وكاف اي الحماقة المتساهلين في الكلام
بقلة تأمل وتأمل اذا لم يتدبر ويتأمل ما فيه ضرر لدينه او عرضه كانه يجد
الصعب سهلا كقول ابي العلا المعري نسبة لمعرة النعمان البلدة المشهورة وهو
احمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي الشاعر المشهور وهو عفا الله عنه كان اعمى
من بيت علم وعراقة وموهبة في الذكا وسعة العلم بالعربية وغيرها وفصاحة في النظم

والنثر اشهر من تقانيف الا انه ممن اضله الله على علم كان متهما بالزندقة وكلامه فى دبو اندلز وما لا يلزم شاهد عليه لا يزيد دينه فكما اعمى الله بصره اعمى بصيرته ولولا خوف الاطالة اوردت لك من كلامه دررا وغررا

كنت موسى وافته بنت شعيب ⁂ غير ان ليس فيكما من فقير

وهو من قصيدة له فى سقط الزند اولها

إنّ فى نعمة بقا الوهود ⁂ عنا نفذ الامر فى جميع الامور

يشير لقوله تعالى رب انى لما انزلت الى من خير فقير وتوفى سنة تسع واربعمائة وما ينسب له يبلى به نفسه عن العمى

لو ابصرت عيناك هذا الورى ⁂ لم ير انسانك انسانا

والانبيا عليهم الصلاة والسلام لا يوصفون بالفقر ولا يجوز ان يقال لنبينا فقير وقولهم عند الفقر فخرى لا اصل له كما تقدم على ان اخر هذا البيت شديد فى جراءته عند تدبره وداخل فى باب الازرا والتحقير[٧] لانه لم يرض لممدوحه ان يكون مثل نبى الله اذ مراده لولا هذا لشبهتك به وتفضيل حال غيره عليه كما يعرفه من له المام بالادب قال ابن حجر ولا يستنكر له هذا الدال على الازرا والتحقير لموسى صلى الله عليه وسلم على نبينا وعليه فانه كان زنديقا كافرا وتمادى فى كثير من شعره بصرايح الكفر وتقدمه نحوه فى زيادة القبح والتصريح بالكفر فى شعره ابن هانى الاندلسى كما يأتى وكذلك قوله اى المعرى الذى ليس يصرح فى الكفر فى قصيدة اخرى

لولا انقطاع الوحى بعد محمد ⁂ قلنا محمد من ابيه بديل

وهو من قصيدة له فى سقط الزند مدح بها علويا اسمه محمدا اولها

لبس النحول من الحلول ⁂ والسير عن حلب لذى رحيل

ومنع صرف محمد الثانى للضرورة وقال صدر الافاضل انه على مذهب الكوفيين فى نحو منع الصرف بالعلمية وحدها كقوله ⁂ يفوقان مرداس فى مجمع ⁂

هو مثله فى الفضل الا انه لم ⁂ يأته برسالة جبريل

وفيه من ترك الادب ما لا يخفى وصدر البيت الثانى وهو نصف الاول من هذا الفصل لتشبيه غير النبى فى فضله بالنبى صلى الله عليه وسلم وحاشاه من ان يرضى به من له اسلام او ذوق فانه كفر يعبر لذة والعجز محتمل لانه اخف من صدره لوجهين احدهما ان هذه الفضيلة اى اتيان جبريل له بالوحى نقصت الممدوح عن درجة المشبه به فكانه قال لولا هذا قلت له انه مثله والوجه الاخر استغنا وه عنها بهذا ان قصد انه مثله وان كان كذبا فان قصد بهذا فهذه اشد فى كفره وتحريفه وما كان اغناه عن مثل هذا الهذيان وكلام ابن حجر فى لا وانما لم يكن كفرا لانه ظاهر فى قوله الا انه الخ ان الممدوح نقص لعقد ذلك فان اراد انه استغنى عن ذلك فلا يحتاج اليه فى المماثلة كان اقرب الى الكفر بل كفرا وهو

بالنبى صلى الله عليه وسلم

منه

منه اى مثل ما ذكر قوله الاخر فى الكفر

واذا ما رفعت راياته ⁂ خفقت بين جناحى جبرين

وهو من قصيدة للاديب زيد بن عبد الرحمن بن مما نا الاسبو فى الغربى من شعر الذخيرة قال هو من شعرا غربنا المشاهير يبنى عن ادب غزير تصرف فيه تصرف المطبوعين المجيدين فى عنوان شبابه وابتدا حاله ثم تراجع طبعه عند كماله وهو من قصيدة له فى ابن حمودة تداولها الفول الولة لعذوبة الفاظها وسلاستها اولها

البرق لايح من اندرين ⁂ ذرفت عيناك بالدمع المعين

ولصوت الرعد زجر وحنين ⁂ ولقلبى زفرات وانين

ومنها

ملك ذو هيبة لكنه ⁂ خاشع لله رب العالمين

واذا ما رفعت راياته ⁂ خفقت بين جناحى جبرين

واذا الشكل خطب معضل ⁂ صدع الشك بمفتاح اليقين

والنون فيه ساكنة لانه يلزم اختلاف حركات الروى لو وقع بعضها مرفوعا ومنصوبا ومجرورا ولولا ذلك جاز تحريكها لانه احد ضروبه وقوله خفقت اى تحركت واضطربت وهكذا رواه ابن بسام وفى نسخة معجمة صفقت وهو رواية اخرى حسنة وفيه انه ليس فيه ذكر له صلى الله عليه وسلم وما قيل من انه فيه اجترا على ملك معظم فيه ايضا انه ان قصد انها رايات رفعت للجهاد ونصرة الدين فصحبة جبرايل ليس فيه تحقير له وجبرين لغة فى جبريل وفيه لغات منها هذه ومن العجب ما قيل انه ان اراد تثنية جبريل ففيه ما لا يخفى وان اراد افراده فهو فى غالب النسخ بيا بعد النون وهو خلط وخبط يتعجب منه وقول الاخر من شعرا اهل العصر

فر من الخلد واستجار بنا ⁂ فصبر الله قلب رضوان

فيه تحقير لخلد رضوان وهو من الملائكة المقربين كانه يهودى هذا الحورى بحيث لا يقدر على فراقه ومثله قول ابن النبيه

ساق سها رضوان عن حفظه ⁂ ففر من جملة حور الجنان

وقوله فى حسن يوسف الا انه ملك ⁂ فلا يباع بخس النقد معدود

والمراد المبالغة فى وصفهم بالحسن لانه يقال لمن وصف بالحسن انه حورى وملك ومنه قوله تعالى ان هذا الا ملك كريم وكقول حسان المصيصى بصادين مخففتين مهملتين نسبة لمصيصة بلدة بالاندلس وقيل يجوز فيه فتح الميم وكسرها وتشديد الصاد وتخفيفها وانها مصيصى ثغر من الثغور الشامية قال ابن بسام فى الذخيرة هو الوزير الكاتب ابو الوليد حسان بن المصيصى رفيق الوزير بن عمار من عظما الدولة العبادية وله اشعار بديعة اكثر تصابيه فى مدايح المعتمد وله تصابيف جليلة ومعان رايقة كقوله

اذا المرء لم يزهد وقد صبغت له ⁂ بعصفر الدنيا فليس بزاهد

دعي

ابن الفرس

من شعر الاندلس تقدم انه اقليم وضبط لفظه في محمد بن عباد المعروف
بالمعتمد على الله على عادة الخلفا في الالقاب وقد تولى الخلافة بعد ان كان قاضيا
قال في الذخيرة القاضي ابن عباد هو القاسم بن محمد بن ذي الوزارتين ابي الوليد
ابن اسماعيل بن محمد بن اسماعيل بن عمرو بن عطاف بن نعيم وعطاف هو الداخل الى
الاندلس وكان من اهل حمص وكان عباد يلقب بالمعتضد وابنه يلقب بالمعتمد
وحده ثم تغلب وتولى بعد ذلك الخلافة وله وقايع وامور عجيبة وفي وزيريه ابي
بكر بن زيدون وابن زيدون هو ذو الوزارتين الشاعر البليغ وكان مع ابن
عمار فرسي رهان

ه كان ابا بكر ابو بكر الرضا ه وحسان حسان وانت محمد ه

اي كأنه وزيرك ايها الممدوح ابو بكر بن زيدون ابا بكر الصديق وكان شاعرك
حسان المصيصي حسان بن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا من جهله
بمقام النبوة ومجازفته وان كان المشبه دون المشبه به كما قيل

ه ظلمناك في تشبيه صدغيك بالمسك ه فمن عادة التشبيه نقصان ما يحكي ه

لكن لا وجه للتشبيه بمن ليس له شبيه وللشراح هنا كلام تركه خير من ذكره فلذا اضربنا
عنه صفحا الى امثال هذا المذكور من الكلام وانما اكثرنا اي اتينا بكثير منها دو
شاهدها المراد به ما يشهد لما ادعاه من ان الناس يتساهلون في امثالها بما لا
ينبغي واما كون الشاهد ما يذكر لاثبات حكم والمثال ما يذكر لايضاحه فكان عليه ان
يقول بمثالها فاسر اصطلح عليه اهل العربية وليس مراده هنا فليس ما ذكره شيئا مع
استثقالنا حكايتها اي عده ثقيلا لما فيه من ذكر الانبيا عليهم الصلاة والسلام
بما لا يليق بهم اي روايتها وذكرها لنعريف الناس امثلتها اي امثالها مما يقع من
امثالهم ولتساهل كثير من الناس في التكلم بمثله فذكرها رحمه الله ليحذر الناس
من مثلها كما قيل

ه عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه ه

في ولوج اي دخول هذا الباب الضنك اي الضيق الذي لا ينبغي دخوله لمن له
دين واستخفافهم فادح هذا العب اي عدهم له ثقيلا والفادح بفا ودال
وحا مهملتين هو الثقيل والعب بوزن الحمل ومعناه بهمزن الاخر وقلة علمهم
بعظيم ما فيه من الوزر اي الاثم والخطية والمراد بالقلة العدم وكلامهم
بالجر معطوف على تساهل اي تكلمهم فيه اي في هذا الباب فيما ليس لهم به علم
من حقوق الرسل والملائكة عليهم الصلاة والسلام وتحسبونه هينا سهلا عند الله
وهو عند الله عظيم لانه من الكباير وهو اقتباس من قصة الافك وقد اكثر الناس
منه لا سيما الشعرا فانهم ظنوه مبالغة في مداحيهم وتغزلاتهم وهو قبيح جدا واشدهم
فيه تصريحا اي الاتيان به صريحا لرقة دينه وللسانه تسريحا اي اطلاقا وارسالا
قال تعالى او تسريح باحسان اي طلقوهن ومنه تسريح الشعر بالمشط ولذا قال

ابن

عرضي

ابن نباتة فيمن يرجح محبته

ه فليس يعجبك اساكا بعرفه ذا ه ولا يرجح تسريحا باحسان ه

وفي التسريح والتصريح تجنيس ابن هانى بزنة فاعل مهموز الاندلسي وصفه
به لان ابا نواس يقال له ابن هانى ايضا وهو ابو الحسن او ابو القاسم محمد بن هانى
الاندلسي الاشبيلي ولد بمدينة اشبيلية ادنا بها واشتغل بعلوم الادب
والعربية ففاق فيها اهل عصره الا انه كان يميل لمذهب الفلاسفة ومن هنا وقع له
ما وقع حتى طعن فيه وديوانه مشهور في غاية البلاغة لكنه لا يخلو من تكلف كالمعري
وقد كتب عليه الشيباني كتابا سماه الديباج الخسرواني في شعر ابن هانى وارتحل
لمصر فعادمها فلما نزل ببرقة وجد ميتا لم يعرف من قتله وكان ذلك في يوم الاربعا
لسبع بقين من رجب سنة اثنين وسبعين وثلاثماية وسنه اثنين واربعين او ست
وثلاثين وهانى جده من اهل الازدية من نسل ابي صفرة الازدي وابو العلا ابن
سليمان المعري الذي تقدم قريبا بيانه وسليمان جده وهم ينسبون الى الجد
اذا اشتهر كقوله صلى الله عليه وسلم انا ابن عبد المطلب بل قد خرج كثير من كلامهما
الى حد الاستخفاف والنقص اي تنقيص من هو كامل والاستخفاف بنحوه عن
التحقير وصريح الكفر كخوضهم في حق الانبيا ونحوهم وقد اجبنا عنه كما بينه فيما
تقدم وغرضنا اي قصدنا الكلام في هذا الفصل فيما وقع للشعرا ونحوهم الذي
سقنا امثلته قريبا بعض شي منه له فان هذه الامثلة كلها وان لم تتضمن سبا
ولا اضافت الى الملائكة والانبيا نقصا اي ما ينقص مقامهم ولست اعني بكلامي
هذا اي بجزئي بيتي المعري فقط بل جميع ما ذكر من الامثلة ولا قصد ماضي معطوف
على قوله اضافت قايلها ازرا اي ازدرا ولا غضا اي نقصا لانه انما ضرب به المثل
لامور ذكرها قبل هذا فما وقر بالقاف اي عظم النبوة ولا عظم الرسالة اي مقدارهما
ومقامهما ووصف النبوة بالتوقير والرسالة بالتعظيم تفننا واشارة الى ان مقام
الرسالة لظهوره لهم اليق بالتعظيم ولا عزر حرمة الاصطفا عزر بمعجمتين ورا مهملة
بمعنى كثر وقوى وحرمتها احترامها والاصطفا اختيار الله لهم الرسالة واداء الامانة
ولا عزز حظوة الكرامة بمهملة ومعجمة اي جعلها عزيزة محترمة والحظوة بضم الحا
المهملة وكسرها وسكون الظا المعجمة بمعنى القرب اي قربهم من الله بسبب كونهم مكرمين
عنده بالرسالة حتى شبه من شبه اي شبه احد الشعرا من شبهه من الممدوحين له
في كرامة نالها اي امر وصل له مما يكرمه عند مادحه او شبه بسبب
معرة اي امر يشق عليه ويكرهه قصد الانتفا منها صفة معرة اي اراد التخلص
والتبري منها او شبه ممدوحه بما لا يليق به بضرب مثل ببعض الانبيا او الملائكة
لتطييب مجلسه اي لتطييب المجلس او المجالسة والمحاورة معه او تعضدا بما شبه
اغلا بالمعجمة اي غلو ومبالغة في وصفه لممدوحه او لغيره ويريد يعلو انه وسيلة
لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره بفتح الخا المعجمة وطاء وراء مهملتين وهو القدر

والمنزلة وشرف قدره كأنبيائه وملائكته وهو عطف تفسير والزم اي اوجب توقيره اي تعظيمه والتأدب معه وبره اي صلته بزيارة قبره والدعاء له ورعاية من ينتسب له وكونه ونهى من رآه عن جهر القول له بقوله لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ورفع الصوت عنده اي اعلاؤه لما فيه من قلة الادب وعدم المهابة فحق هذا القائل من غير قصد لسب وتنقيص لقدره بل لامر مما ذكر ان درى بضم الدال وكسر الراء المهملتين فتبل همزة مبني للمفعول اي دفع عنه القتل ثم يقتل الادب اي التأديب بضرب او لوم وزجر والسجن اي الحبس مدة بفتح السين وكسرها وقوة تعزيره بحسب بفتح السين اي مقدار شنعة مقاله اي قباحته ومقتضى قبح ما نطق به اي بقدر قباحة لفظه الذي قاله ويقدر بقدره يراه الحاكم فيه وما لوف عادته لمثله اي الفه واعتياده بتكرر صدوره منه كابي العلاء المعري اوندوره اي وقوعه نادرا قليلا فكثرته تدل على سوء اعتقاده وعدم مبالاته به وقلته تدل على انه خطأ وغفلة من غير اعتقاد له او قرينة كلامه الدالة على قصده لاستخفاف ونحوه اولا اوندمه الذي يظهر على ما سبق منه في كلامه من غير قصد لتحقير واستخفاف ولم يزل المتقدمون من السلف وكبار الائمة ينكرون مثل هذا الكلام ممن جاء به وقائله عندهم فليحذر الشاعر وغيره من ارتكاب هذه القبائح الشنيعة الموبقة العظيمة الاثم فانها ربما جرت الى الكفر نعوذ بالله من ذلك وقد انكر الرشيد هارون بن المهدي محمد بن منصور بن عبد الله بن عباس الخليفة المشهور على ابي نواس الحسن بن هاني بن عبد الاول بن الصباح الحكمي الشاعر المشهور بالفصاحة والبلاغة ولد بالبصرة ونشأ بها ثم ارتحل لبغداد واتصل بالخلفاء ومدحهم وتوفي بعد تسعين ومائة سنة خمس وقيل ست او ثمان ووفاته واحواله اعرف من ان توصف ونواس بضم النون وفتح الواو ولا يهمز لانه سمي به لانه كانت له ذؤابتان تنوسان على راسه اي تتحركان في قوله في قصيدة مدح الرشيد بها ومنها

فان يك باقي سحر فرعون فيكم ... فان عصى موسى بكف خصيب

هذا البيت من قصيدة له في المديح اولها ... وخصيب عبد للرشيد ولاه مصر وقيل في سبب توليته لها انه قرأ يوما ما حكاه الله عن فرعون اليس لي ملك مصر الاية فقال لما افتخر به فرعون لاعطينه عبدا من عبيدي فولاه مصر وكان لابي نواس فيه مدائح كقصيدته هذه وقصائد اخر منها قصيدة اولها

انت الخصيب وهذه مصر ... فتدفقا فكلاكما بحر

وفي هذا البيت حكاية لولادة ذكرها في تذكيره العنبان والخصيب بخاء معجمة وصاد مهملة من الخصب بكسر الخاء ضد الجدب لقب له وهو معروف مشهور ومعنى البيت انه خاطب اهل مصر لما تولى عليهم يقال يا اهل مصر ان كان عندكم بقية من سحر فرعون فقد ولي عليكم امير المؤمنين من يبطله فاستعار سحر فرعون لكيدهم ودخيرهم

على

على حكايتهم وعصا موسى لسياسة حاكمهم ودفع ظلمهم ففيه استعارة وتشبيه وتمثيل بديع لكن فيه سوء ادب لما فيه من جعل العصا التي هي معجزة لرسول بكف عبد من عبيد الخلفاء وجعل ذلك العبد كرسول من اولي العزم ومما يتعجب منه قول من لم يعرف معنى البيت ولم يقف على كتب الادباء وردوا وبينوا ان المراد بخصيب رجل كثير الخير وانه هنا عبارة عن الرشيد نفسه وقال معناه ان اعداء امير المؤمنين الكفرة الذين عندهم بقية قليلة من سحر فرعون سحروا بها جيش امير المؤمنين الجواد الكثير خيره سيتلقف جنوده ما صنعوا ويلقي كيدهم في نحورهم ثم اطال بذكر عصا موسى وما كان فيها من معجزاته فخبط بها خبط عشواء لا وجه لها وزاد في الطنبور نغمة حتى قال كف منون وخصيب صفته وترك تنوينه لكثرة الاستعمال وتشبيه النون بحروف العلة وانه روي خصيب بجمعين واعجب منه قول القائل انه بضاد معجمة والكف الخضيب اسم نجم وكف اعصا موسى وهذا كله مما يقضي منه العجب ومثله في كلام البرهان ايضا ولولا انه من السكوت عما هو دلالة لذكرنا كلامهم وكررنا عليه بالابطال لكني خشيت من السآمة والملال وقال له اي الرشيد لابي نواس لما انشده البيت يا ابن اللخناء هذا مما تشتم به العرب واللخناء هنا اسم من اللخن وهو النتن فاستعير للفاحشة او للمراة التي لم تختن اي دنى الاصل ولئيم الام استهزى بعصى موسى بجعلها في كف عبد من العبيد وهي معجزة نبي عظيم وامر باخراجه وطرده من عسكره من ليلته التي انشده فيها قصيدته اي امر بالمبادرة لطرده من غير امهال له الى الصباح صونا لمقام النبوة ولكن ابو نواس لم يقصد بما ذكره سبا وتنقيصا وابشع الناس في فخرهم لكل فرعون موسى قال القتيبي يعني عبد الله بن مسلم بن قتيبة وقد قدمنا ترجمته ان مما اخذ اي ذكر وعد عليه اي على ابي نواس وكفر فيه اي نسب فيه الى الكفر او قارب اي قرب من الكفر وان لم يكن كفرا لشدة قبحه قوله في قصيدة في مدح محمد الامين اي ابن هارون الرشيد الذي استخلف بعد موت ابيه سنة ثلاث وتسعين ومائة وقصته مفصلة في التواريخ وكذا قصة خلعه وتشبيهه اي تشبيه ابي نواس للامين بالنبي صلى الله عليه وسلم في قوله في قصيدة طويلة مدحه بها ومنها

تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها ... خلقا وخلقا كما قد الشراكان

شبه تشابههما في الخلقة والاخلاق يبرد وتنازع تنازعاه اي جذبه كل واحد منهما اوطلبه وهو عبارة عن شدة الشبه بينهما والاحمدان تثنية احمد يعني كثير الحمد وهما بزعمه الناظم رسول الله صلى الله عليه وسلم والامين واراد ان يقول المحمدين ثم بالغ في النظم وقيل انه تغليب ولا وجه له ثم اكد شدة تشابههما بقوله كما قد الشراكان تثنية شراك بكسر الشين اي سيرين قطعا من جلد اديم واحد بمقدار واحد فهما كشي واحد لا يتميز احدهما عن الآخر وهذا القول لما كان في غاية البعد وكان فيه الخلق الفرعة وفيه من سوء الادب ما لا يخفى لتشبيهه رجلا فاسقا سخيف العقل باكمل الخلق واجلهم عليه الصلاة والسلام وفي جعلهما كالشراكين وهما يوضعان في النعال

كحر على كفر وشبه بكسر فسكون بمعنى شبه بتحتيتين قال ابن حجر وهو وان كان في
غاية القبح الا انه لا يكون كفرا على قضية مذهبنا الآن نقص المشابهة المطلقة وقد
انكروا عليه ايضا اي على ابي نواس كما انكروا ما قبله قوله في قصيدة اخرى
هجى من عنزة قصايده اولها

ايها المنتاب عن عفره ** لست من ليلى ولا سمره

ومنها

كيف لا يدنيك من امل ** من رسول الله من نفره

خاطب نفسه على طريق التجريد اي كيف لا يقرب لما ترجيه وتامله كرم منسوب
الى اكرم الخلق وهو معنى حسن الا انه اساء في العبارة لان حق الرسول اي رسول
الله صلى الله عليه وسلم على من يذكره من امته وموجب تعظيمه بالفتح للجيم ويجوز كسرها
اي ما يوجب الترغيب في تعظيمه وانافة منزلته اي رفعها على غيرها ان يضاف غيره
اليه فيقال هو من نفر رسول الله ولا يضاف هو لغيره كما فعل ابو نواس قال
ابن عبد ربه في العقد فلو من حق رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يضاف اليه ولا يضاف
هو لغيره ولو اتسع متسع لكان له مجاز حسن وذلك لانه كقول القائل من بني هاشم لغيره
من افنا قريش منا رسول الله يريد انه من القبيلة التي هو فيها كقول حسان رضي
الله عنه

وما زال في الاسلام من آل هاشم ** دعائم عز لا ترام ومفخر
بهاليل منهم جعفر وابن امه ** علي ومنهم احمد المتخير

فقال من آل هاشم كما قال هذا من نفره انتهى اقول يعني ان اللوم انما جاء من
قوله من نفره لنفرة السمع عنها لكن من عرف نهج ابي نواس في الباس كلامه ديباج
كلام غيره من القدما عرف انه لا فرق بينه وبين قول حسان المذكور وانما نفروا
من نفره لانه بمعنى التابع والخادم وهو في كلام القدما من يفتخر به من المنافرة وهي
المفاخرة والعرب تفتخر بالآبا والقبايل وافتخارهم باحدهم امدح عندهم فهو لم
يقصد ما توهموه لكنه كما قيل اسا سمعا فاسا جابه وقال ابن هلال في كتاب
الصنعتين انه تبع قول حسان

اكرم بقوم رسول الله شيعتهم ** اذ تفرقت الاهوا والشيع

تنبيه قال السهيلي في الروض الانف في رسالة المهلهل بن المزرع قال
علي بن الاصغر وكان من رواة ابي نواس لما عمل ابو نواس هذه القصيدة وانشد هذا
البيت هو وقع لي انه كلام مستهجن اذ حق رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يضاف اليه
ولا يضاف الى احد فقلت له اعرفت هذا البيت فقال ما يعيبه الا جاهل بكلام العرب
انما اردت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم من القبيل الذي هذا الممدوح منه اما سمعت
قول حسان اكرم الخ وليس هذا بعيب لانه اضافة لتشريف لا لتعريف بخلاف قول ابي نواس
لانه ذكر واحدا واضافه اليه انتهى وتعرف ما فيه وقيل انه اراد بنفره منافرته
ومفاخرته وهي دون نفره والاولى تركه مثله فالحكم في مثل هذا اي في قبله وفي
نسخة في امثال هذا اما بسطناه اي بيناه متصلا مبسوطا في طريق الفتيا اي

يعني

يعني فيه ما يستحقه على قدر شناعة قوله قال في المصباح الفتوى بالواو بفتح الفا
وبالياء فتضم اسم من افتى العالم اذا بين الحكم واستفتيته سالته ان يفتي وهو من الفتى وهو
الشاب القوي وجمعه فتاوى بكسر الواو على الاصل ويجوز فتحها للتخفيف وعلى هذا
المنهج اي المسلك الذي سلكه جاءت فتيا امام مذهبنا مالك بن انس واصحابه
هو مجاز عمن اقتدى به في مذهبه ففي النوادر اسم كتاب في فقه مالك من رواية
ابن ابي مريم هو ابو بكر سعيد بن الحكم بن ابي مريم الجمحي المصري الحافظ الثقة روى
عنه البخاري والستة توفي سنة اربع وعشرين ومايتين عنه اي رواية عن مالك
في رجل عير اي عاب وسب آخر رجلا بالفقر فقال الرجل تعيرني بالفقر
بحذف الهمزة اي اتعيرني بهذا وقد رعى النبي صلى الله عليه وسلم الغنم باجرة
لاحتياجه فقال مالك رحمه الله مجيبا لمن ساله قد عرض اي نقص تعريضا بذكر
النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضعه لمنقبله له بحال بعيرها ارى ان يؤدب
اي يعزر ليزجر غيره عن مثله قال مالك ولا ينبغي لاهل الذنوب اي من
صدر منهم ذنب اذا عوقبوا على ذنوبهم بعد اقرارها ان يقولوا اعتذارا عما صدر منهم
قد اخطات الانبيا قبلنا فتشبيه نفسه بالانبيا ونسب الانبيا لصدور الذنوب
منهم وكلاهما ما لا يليق التكلم به وقد يؤدي الى القتل لانه ردة وهم معصومون من
الذنوب كبايرها وصغايرها كما مر وما نسب اليهم حسنات لعلمهم ولو سلم فهو مغفور
فكيف يجعل ذنوب غيرهم كذنوبهم فمثله لا يصدر ممن يعرف مقامهم وقال عمر بن
عبد العزيز الخليفة الاموي العادل الذي تقدمت ترجمته لرجل انظر لي كاتبا يكون
ابوه عربيا انظر هنا بمعنى ابغني به وعلى هذا جرى الاستعمال فهو مجاز او كناية
ومراده كاتب يكتب في الديوان وشرط ان يكون عربيا ليكتب كتابة صحيحة ويعرف
احوال الناس فقال له كاتب له قد كان ابو النبي صلى الله عليه وسلم كافرا اي اجابه
بهذا وهو لم يقل له مسلما لان الكتبة في العصر الاول كانوا من الروم والعجم نصارى
وصابية لمعرفتهم بالحساب لانهم اهل كتاب فقال عمر له اي للكاتب الذي اجابه
بهذا جعلت هذا الذي قلته مثلا اي جعلت كفر ابي النبي صلى الله عليه وسلم مثلا
وشاهدا لك على انه لا يشترط في الكاتب العربية والاسلام وتخيير ابي النبي صلى الله عليه
وسلم ولو سلم كفره فانه تعريض باذية النبي صلى الله عليه وسلم فسقط ما قيل انه حماقة
وجهالة اذ لا مناسبة بين عربية الكاتب وكفر ابي النبي صلى الله عليه وسلم فعزله
من كتابته وقال لا تكتب لي ابدا وهذا انما هو تاديبه له وتعزير حتى ينزجر امثاله عن
امثال هذه المقالة وفي ذلك اشارة الى اسلام ابويه صلى الله عليه وسلم قال ابن حجر
وهذا هو الحق بل في حديث صححه غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا لمن طعن فيه ان
الله احياهما له فآمنا به خصوصية لهما وكرامة له صلى الله عليه وسلم فقول ابن دحية
يرده القرآن والاجماع ليس في محله لان ذلك ممكن شرعا وعقلا على جهة الكرامة
والخصوصية فلا يرده قرآن ولا اجماع وكون الايمان به لا ينفع بعد الموت محله في غير

الخصوصية والكرامة وما احسن قول بعض المتوقعين في هذه المسئلة الحذر الحذر
من ذكرهما بنقص فان ذلك قد يؤذيه صلى الله عليه وسلم لحديث الطبراني لا تؤذوا
الاحيا بسبب الاموات انتهى وحديث مسلم قال رجل يا رسول الله اين ابي قال في النار
فلما قفى دعاه فقال ان ابي وابيك في النار يعني نا ويله واظهرنا ويله لعندي انه
اراد بابيه عمه ابا طالب لان العرب تسمي العم ابا فانه عمه الذي كفله بعد موت جده عبد المطلب
وانه صلى الله عليه وسلم انما قصد بذلك ان يطيب خاطر ذلك الرجل خشية ان يرتد لو قرع
سمعه اولا ان اباه في النار بدليل انه انما قال له ذلك بعد ان ولى او كان ذلك بعد ان
ينزل عليه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا كما وقع له صلى الله عليه وسلم انه
سيل عن اطفال المشركين فقال هم مع ابائهم ثم سيل عنهم فذكر انهم في الجنة انتهى ملخصا وقد
كره سحنون تقدم انه فقيه مذهب مالك عبد السلام التنوخي الامام الزاهد المحدث
تلميذ بن وهب واشهب وانه توفي لتسع خلون من رجب سنة اربعين ومايتين وهو ابن
ثمان وثمانين سنة ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم عند التعجب من امر يستحسن فيعجب
منه كما هو عادة العوام الا على طريق ان يقصد بصلاته عليه الثواب والاحتساب
اي ان يتوله امتثالا لامر الله بقوله تعالى صلوا عليه فيفعله توقيرا له صلى الله
عليه وسلم وتعظيما كما امرنا الله تعالى لا لقصد التعجب ولا لرفع العين عما يعجب منه
فانه ليس محلا لذلك وقد تقدم الكلام عليه وان فيه كلاما للفقها وسيل القابسي تقدم
بيانه عن رجل قال لرجل قبيح الوجه كانه اي كان وجهه وجه نكير اي نكير ومنكر الملكان
المعروفان اللذان يسالان الميت في قبره حين يوقف عن اعتقاده وسيل عن رجل قال
لرجل عبوس تقدم ان العبوس ان يقطب الرجل وجهه ولا يبدي بشاشته كانه اي
كان وجهه وجه مالك الغضبان مالك اسم ملك خازن النار ويوصف بالغضب لانه
موكل بمن غضب الله عليه فيتلقاهم بصورة الغضب فقال القابسي في جوابه اي شي اراد
القايل بهذا الكلام الذي قاله ونكير اسم احد فتاني القبر وهما ملكان خلقهما
الله تعالى للسوال فالفتانان هما ملكا السوال سميا فتانين في الحديث من الفتنة
واصل معناها الامتحان والاختبار لانهما يختبران ما في قلب الميت من معتقده
وايمانه فما الذي اراد القايل بكلامه اروع اي خوف وفزع دخل عليه اي وقع في
قلبه حين راه لشدة قبحه من وجهه متعلق بدخل او بروع اي من روية وجهه
ام عاف النظر اليه بعين مهملة وفا اي كرهه واستقذر منظره فلم يرد النظر اليه
لدمامته بدال مهملة وميمين بينهما الف بوزن قباحة ومعناها وهو المراد والذمامة
بالمعجمة من الذم وذكر المعايب وهو جايز هنا ايضا يقال رجل دميم وذميم بمعنى قبيح
ومذموم خلقه بفتح فسكون اي خلقته فان كان هذا المذكور من انه عافه وكرهه
فهو شديد في القبح مما قبله لانه جرى مجرى التحقير والتهوين بشناة في دية
وهاو واو ومثناة تحتية ساكنة وراء مهملة الوقوع في امر بغير مبالاة به وفي نسخة
بنون بدل الرا وهي غير مناسبة لانه حينيذ يكون من الاهانة لكن في ورود التهوين

بهذا المعنى نظر فهو مجاز وفي نسخة التوهين بتقديم الوا وعلى الها ومعناه التضعيف
من الوهن وعلى كل حال فيه ركاكة لا تخفى فهو اشد عقوبة ممن اراد انه حصل له فزع
منه لما فيه من تحقير ملك من الملايكة وليس فيه تصريح بالسب للملك وانما شبهه
به في انه كرهه ولا شك في ان كل احد يكره الموت وما معه بالطبع في اكثر العوام
وليس في مثل هذه الكراهة تحقير وانما السب واقع على الرجل المخاطب بهذا
الكلام لا على الملك وليس في قوله كان وجهه مواجهة بالخطاب فاما ان تكون قال له كان
وجهه فحكى القابسي معناه او المصنف تجوز به عن الكلام الملقى في حق غيره مطلقا ممن يصلح
للخطاب وفي الادب اي التاديب بمعنى التعزير بالسوط اي الضرب به والسجن بفتح
السين وكسرها كما مر اي الحبس نكال السفها فهو على انواع مفوضة للحاكم والنكال
العقوبة والسفها جمع سفيه من السفه وهو الخفة من عقله بتخفيف قال القابسي واما
ذاكر مالك خازن النار بما تقدم وذاكر اسم فاعل من الذكر يعني قايل ما تقدم من تشبيه
العبوس وجهه به فقد جفا اي غلظ طبعه وقل ادبه او هو من جفات القدر اذا رفت
زبدها ومعناها اي رمى الملك الذي ذكره بما قاله من ان وجهه كوجه مالك الغضبان
عندما انكر من عبوس الرجل الاخر المقول له ما مر الا ان يكون الرجل
المعبس لعبد اي ذا قدرة وتسلط بالقهر كالسلطان فيرهب بفتح الفاعل او المفعول
بعبسته وفي نسخة بعبوسه اي يخاف منه اذا عبس فيشبهه القايل كان وجهه وفي
نسخة فشبهه على طريق الذم لهذا الذي لعبد او لهذا الامر لان شر الناس من
يخاف الناس شره في فعله ولزومه في ظلمه في نسخة في صفته والظاهر انها تصحيف
لان الظلم لا يناسب قوله انه اثنى عليه صفة مالك الملك خازن النار المطيع لربه
في فعله لان الملايكة كلهم لا يعصون الله ولا يفعلون الا ما يومرون فيقول اذا
عصاه احد كانه لله يغضب غضب مالك اي كغضب مالك فانه لا يغضب الا على من
غضب الله عليه واراد عقابه به فيكون اذا قصد هذا اما قاله اخف واقل وزرا من
غيره وربما استشعر انه اذا اراد ان يغضب لله لا قبح فيه اصلا اجاب بقوله وما كان
ينبغي له التعرض لمثل هذا وفي نسخة التعريض بمثل هذا والذي ينبغي ترك التشبيه
بالملايكة لاحاد الناس ولو كان هذا القايل اثنى على العبوس بفتح العين صيغة
مبالغة لمجهول بعبسته واحتج بصفة مالك وهو عبوسه كان قوله بهذا
اشد مما قبله ويعاقب عليه المعاقبة الشديدة بجرمه الشديد وليس في هذا
الكلام مطلقا او فيما اثنى به احتجاجا بصفة الملك ذم للملك وقصده ذم من
خاطبه لا غيره ولو قصد ذمه اي ذم الملك لقتل هذا مذهب مالك وعند غيره
يودب ويستتاب فان تاب والا قتل ولا يخفى ما في كلام المصنف هنا وانه كلام مشوش
محتاج للتنقيح والتهذيب بان يقول وعن القابسي فيمن قال لقبيح كانه وجه نكير ولعبوس
كانه وجه مالك الغضبان انه لا يكفر اذ لا تصريح فيه بسب الملك وانما السب فيه
للمخاطب بل يعاقب العقاب الشديد فان قصد ذم الملك قتل وما ذكره ظاهر ويوخذ

شبهه

من كلامه هنا أن ذم بعض الملائكة وتنقيصه كذم الانبيا وتنقيصهم وهو ظاهر وصرح
به اخر الكتاب وقال ابو الحسن القابسي ايضا كما قاله في المسيلة المذكورة في شاب
معروف بالخير اي الصلاح والدين وصفه بهذا بيانا للوانع وانه لم يقصد تحقير
النبي صلى الله عليه وسلم بقوله الاتي قال لرجل شيا يتعلق بالعلم والدين فقال له الرجل
اسكت زجرا له عن قول له فيما لا يعلمه الا العلما فانك امي بضم الهمزة وقد تكسر ولقد
انه هو الذي لا يكتب ولا يقرو والخط نسبه الى امة العرف لانتهم لم يتدو بذلك او الى الام
لانه كان خرج من بطن امه فقال الشاب اليس كان النبي صلى الله عليه وسلم عليه اميا
وهو امام الناس والاستفهام فيه تقرير فشنع بضا المعلوم وفاعله ضمير الرجل والناس
على البناء او المجهول اي قبح وذم مقاله انه امي وكفره الناس بمقاله هذا اجهلا منهم
بما اطلقوه واشفق الشاب اي خاف على نفسه ودينه جهلا منهم بما اطلقوه لانه كان
صالحا دينا مما قال واظهر الندم عليه اي على صدوره وهذا القول منه حوفا مما يترتب
عليه في الدنيا والاخرة فقال ابو الحسن القابسي لما سيل عنه اما اطلاق القول
بالكفر عليه فخطا لان الله وصفه صلى الله عليه وسلم به في القران في قوله الذين يتبعون
الرسول النبي الامي الاية وهو لم يقصد بذلك ذما ولا تنقيصا لكنه مخطي في استشهاده
اي اتيانه بشاهد او نظير لحاله بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وهو كونه اميا مثله
في صفته وبينهما من الفرق ما بين السما والارض فلذا قال وكون النبي صلى الله عليه
وسلم اميا اية له اي معجزة باهرة وفضيلة ظاهرة وكون هذا الشاب المذكور اميا
نقيصة فيه اي صفة ناقصة بجهله وجهالة لعدم علمه وقرائه وبا في بيانه مبسوطا
اي ولو كان كاملا فاضلا قارا ولكن كيف شبه صفته الناقصة بصفة النبي صلى الله
عليه وسلم الكاملة ومن جهالته الظاهرة استشهاده وتمثيله واحتجاجه على حسن
اميته وعدم منافاتها للخوض في العلوم بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وكيف تستوي
اميته بامية غيره وقد اتى بعلوم لا تحصى واخبر عما سلف من احوال الامم وعما هو ات وهو
في امة امية ولم يخرج من بينهم ولا تعلم من احد ولذا كان ذلك من اعظم معجز انه
صلى الله عليه وسلم كما قال

كفاك بالعلم في الامي معجزة في الجاهلية والتاديب في اليتم

وتقدم ما فيه فاستشهاده بذلك لجهله فهو معذور لا يكفر بقوله هذا لكنه اذا
استغفر الله لعلمه بانه مذنب وتاب بندمه وعزمه على انه لا يعود لمثله واعترف
بذنبه وانه مخطي وبكا اي استند ورجع الى الله هاربا او فارا الحق يترك ولا
يواخذ ولا يعاقب ويزجر لان قوله هذا ال النبي صلى الله عليه وسلم كان اميا من
غير قصد تنقيص لا ينتهي ويصل الى الحد العقوبة بالقتل وما طريقه الادب
اي ما يستحق فاعله التاديب دون القتل فطوع اي يتطوع فاعله بالندم عليه
مبادرا معترفا بخطايه والتوبة والندامة يوجب الكف عنه وتركه من غير معاقبة
له وتركه اي وقعت والنوازل الحوادث التي تطرو ايضا كهذه مسيلة

استفتي فيها بعض قضاة الاندلس شيخنا القاضي ابا محمد بن منصور الذي تقدمت
ترجمته في رجل تنقصه اخر بشي اي عابه وذمه به فقال له انما تريد تنقصي
بذلك الذي قلته وانا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص حتى النبي صلى الله عليه وسلم
فانه بشر يلحقه ما يلحقهم والكامل المنزه عن النقص انما هو الله عز وجل فافتاه بان
اثني في هذا القايل باطالة حبسه في سجنه زجرا له ولاشا له وايجاع ادبه
اضافة الايجاع وهو الايلام بضرب به تعزيرا له الى ادبه بمعنى تاديبه من اضافة
المصدر لفاعله او هو من اضافة الخاص للعام اذ لم يقصد بما قاله السب لكنه
اخطا في استشهاده كما مر وكان بعض فقها الاندلس افتى بقتله فخالفه ورد
فتواه فصل الوجه السادس من وجوه ذكرها فيه تنقيص له صلى الله
عليه وسلم ان يقول القايل ذلك حاكيا له عن غيره واثرا بمد الهمزة وبثلثة مكسورة
وراء مهملة اي ناقلا له عن سواه من قولهم اثرت الحديث اذا رويته ونقلته فهذا
الحاكي الناقل ينظر في صورة حكايته الظاهرة من سياقه وقرينة مقالته
الدالة على مقصده عند نقله ويختلف الحكم الذي يحكم به باختلاف ذلك باختلاف
الصور والقراين على اربعة وجوه من الاحكام الوجوب والندب والكراهة
والتحريم وهو بدل مما قبله بدل بعض او كل ويجوز رفعه ونصبه وهذا اجمال فصله
بقوله فان كان هذا الناقل اخبر به على وجه الشهادة اثباتا او نفيا والتعريف
بحال قايله وصفته والانكار عليه فيما قاله والاعلام بقوله ليحكم عليه بما
يقتضيه والتنفير منه حتى يجتنب ويطرد والتجريح له بالطعن فيه وبيان عيوبه
وهي التجريح بتقديم الحا المهملة على الجيم اي التضعيف والتاثيم فهذا اي النقل
على هذه الوجوه المذكورة مما ينبغي امتثاله اي الانقياد له وقبول نقله ويحمد
فاعله اي يعد محمودا محمودا في فعله وكذلك حكمه ان حكاه في كتاب الفه وامر
لغيره او حكاه في مجلس بمحضر من الناس على جهة الرد له ببيان انه مخطي
فيه قايل لما لا ينبغي والنقض على قايله بما يدفعه اي الابطال لمقاله بالحجج
او ذكره للفتيا بما يلزمه ببيانه شرعا وهذا المذكور للرد والنقض والافتا
بما يلزمه ببيانه منه ما يجب ذكره وبيان حكمه ومنه ما يستحب بيانه بحسب
بفتح السين اي على قدر حالات الحاكي لذلك فيما يحكيه والمحكي عنه بحسب ما
يعلم من حاله وقراين مقاله وهذا الى هنا اجمال للحالات الاربعة وهي معلومة
منه وما قيل من انه لا يعلم منه الوجوب صريحا وقوله حكاه في كتاب او مجلس
لا يناسبه كلام واه غني عن الرد ثم فصله بقوله فان كان القايل من حكاه او ابن افبرس
حكي عنه وغيره بعضهم الحاكي والاخر المحكي عنه والاولى تعميمه لهما كما يقتضيه
ما بعده لذلك القول المذكور ممن تصدى اي انتصب ونفسه لاني يوخذ
عنه العلم لانه من اهله الذين يتلقى عنهم لكونه شيخا او مفتيا او راوية الحديث
عنه لاخذه له عن اهله او يقطع بحكمه لانه حاكم مفوض اليه الحكومة او شهادته

ابن اقبرس

لشهرة بعد النية او فتياه في الحقوق لمشاهدته ونصدره للافتا وجب على سامعه اذا سمع مقالة حكما او افتا الاشادة بما سمع منه برفع ذكره والاشادة بكسر الهمزة وشين معجمة ودال مهملة اي الاشهار بذكره وتشييعه بين الناس واصله رفع البنا ثم استعير لرفع الصوت وتوسع فيه فاريد به الشهرة مطلقا فسقط ما قيل من انه ينبغي ان يقول الاعلام الذي هو اعم من الاشادة وتنفير الناس عنه تحذيرا منه والشهادة عليه بما قاله ليجتنب او يجري عليه احكامه ووجب على من بلغه ذلك الذي سمعه منه من ايمة المسلمين انكاره وبيان كفره بسبب مقاله وفساد قوله لبطلانه ويتمثل هذا وبالغ لقطع ضرره عن المسلمين بزجره وغيره مما يستحقه وقياما بحق سيد المرسلين للانتصار له والانتقام ممن قصر في حقه وكذلك يجب ما ذكر ان كان قايله وبلغه ممن يعظ العامة ويذكرهم بنصحه لهم او يؤدب الصبيان بتعليمهم القران وغيره فان من هذه سريرته الخصلة التي تنقص بها سريرته اي ما يخفيه في نفسه فيرشح بها كلماته وكل انا بالذي فيه يرشح لا يؤمن على القاء مثل ذلك في قلوبهم اي قلوب من ذكر من العامة او الصبيان الذين يقبلون ما يلقي اليهم لعدم معرفتهم وعدم بصيرتهم فاذا كان من صدر عنه هذا حاله فيتاكد في هؤلاء الايجاب اي ايجاب انكاره واشاعة فساده لحق النبي صلى الله عليه وسلم على كل احد لا سيما الحكام ولحق شريعته التي يجب الذب عنها وحمايتها ما امكن وانه لم يكن القايل بهذه السبيل اي لم يكن ممن يؤخذ عنه العلم والحديث والفتوى فالقيام بحق النبي صلى الله عليه وسلم واجب ذبا عن مقام النبوة وعظيم منزلتها وحماية عرضه الشريف متعين لانها ونقيصه ونصرته ضمنه بمعنى حمايته فلذا قال عن الاذى اي ما يؤذيه حيا وميتا اي في حال موته وحياته مستحق بصيغة المفعول اي واجب على كل مؤمن فهو فرض على كل من بلغه خلافه لكن اذا قام بهذا المذكور من الحماية والذب عنه من ظهر به الحق بعد رده على اجرا حكمه فيه وفصلت به القضية اي وقع حكم له فاصل بين الحق والباطل بثبوته وبان به الامر اي ظهر ما يستحقه واثم عليه ما يستوجبه سقط عن الباقي اي عن بقية الناس الفرض الذي وجب عليهم لانه فرض كفاية لا فرض عين وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة عليه على من صدر منه مثله مما لا يليق وعضد بسكون الضاد المعجمة من عضده اذا قواه ونصره التحذير منه اي من قايله وقوله ونقل الحد الاول في فرض الكفاية اذا قام به البعض عن غيره وسقط عنه الوجوب هل يبقى مستحبا له وندبه او اباحته وجوازه وهذا مبني على انه هل يجب على الجميع ابتدا او على بعض غير معين والكلام فيه مقرر في كتب اصول الفقه وليس هذا محل تفصيله وقد اجمع السلف المتقدمون من علما المحدثين على بيان حال المتهم بالكذب في الحديث النبوي من رواته فكيف بمثل هذا المتهم بالغض من مقام النبوة وتنقيصها فلا غنا بذاته الشريفة صلى الله عليه

وسلم الزم منه بحديثه وقد سيل الشيخ ابو محمد بن ابي زيد نفعنا به وترجمته عن الشاهد اي من تقبل شهادته يسمع مثل هذا الكلام الذي يستحق قايله ما مر في حق الله تعالى ايسعه اي ايجل له ويجوز فهو مجاز بتشبيه قوله ان لا يودي شهادته بمحل واسعة اي ان لا يقيم الشهادة عليه عند حاكم يقضي عليه بما يستحقه قال ابن ابي زيد ان رجا اي ظن ظنا راجحا او علم نفاذ الحكم اي ان يمضي الحاكم بشهادته عليه فليشهد اي يلزمه الشهادة بما سمعه وكذلك يلزمه الشهادة ان علم ان الحاكم الذي تقام عنده الشهادة لا يرى القتل بما شهد به اي مذهبه ان القايل لا يستحق القتل عنده ويرى انه انما يستحق الاستتابة اي طلب التوبة منه والادب اي التعزير دون القتل وقوله فليشهد ويلزمه ذلك للحكم لما فهم من قوله كذلك وهذا مذهب الامام مالك ومذهب غيره انه يلزمه الشهادة مطلقا وان لم يكن تدعى عليه لانه لا يلزم طلب الشهادة في حقوق الله وما ورد من الذم في حق من شهد ولم يستشهد محمول على حقوق العباد واما الاباحة لحكاية قوله الذي فيه سب وتحقير للانبيا عليهم الصلاة والسلام اي جواز اذاعتها ونقلها لغير هذين المقصدين من الانكار والتنفير عنه والتجريح والنقض والافتا كما تقدم فلا ارى واعتقد لها مدخلا في الباب الذي يجب به صيانة مقام النبوة فليس التفكه اي التحدث على طريق التلهي به واجرا المصاحبة مستعار من تناول الفاكهة ولذا جاءه وروده بمعنى التعجب والتندم وان لم يعلم عدم ثبوته بهذا المعنى فلا وجه لما قيل انه ينبغي ان يقول الفكاهة بالضم لا بالفتح كما في المصباح بعرض النبي صلى الله عليه وسلم والعرض ما ينبغي صيانته من كل احد والتمضمض اي اجراوه على فمه ولسانه مستعار من تمضمض بالما اذا اعمل به داخل فمه فشبه الكلام بالما وادارته في فمه بالمضمضة وهو احسن من قول العرب تمضمض عنه بالنعاس كما في الاساس بسوء ذكره اي بما فيه سوء لاحد متعلق بعدد اي جايزا لاحد لانه يجب تعظيمه واحترام مقامه حماه الله عن كل سوء لا ذاكرا له بلفظه ولا اثرا اي ناقلا وراويا له عن غيره لغير غرض شرعي كالرد والتنفير ونحوه مما تقدم بمباح وجايز وهو متعلق بقد اكر والخبر لاحد او هو خبر والباء زايدة لتاكيد النفي وهذا اولى واما ذكره للاغراض المتقدمة من الشهادة عليه عند الحاكم والانكار ونحوه مما تقدم بيانه فيتردد اي دائر ومنقسم بين امرين الايجاب اي كونه واجبا عليه والاستحباب اي كونه مستحبا لعدم تعينه بان قام غيره به ودخل فيه الكراهة لانها نوع من الاباحة بالطريق الاولى فلا يقال انه لم يستوف الاقسام الاربعة التي ذكرها ثم استدل على ما ذكره فقال وقد حكى الله تعالى مقالات المفترين الذين كذبوا عليه وعلى رسله في كتابه الكريم في مواطن كثيرة على وجه الانكار لقولهم الذي اختلقوه وعلى وجه التحذير من كفرهم منه ومن مثله وعلى وجه الوعيد عليه بعقابهم في الدارين

ابن اقبرس رداحز عليه

ابن اقبرس

وعلى وجه الرد عليهم بابطاله ونقضه بما تلاه اى ذكره سبحانه تنزيها ولا يجنى موقعه هنا علينا فى محكم كتابه اى كتابه المحكم الذى لا يقبل التغيير والتحريف وذكره هنا لانه لا يقبل النسخ كالقصص وكذلك اى كما وقع فى القرآن وقع من امثاله وفى نسخة فى امثاله فى احاديث النبى صلى الله عليه وسلم الصحيحة اسنادا ومتنا على الوجوه المتقدمة من الانكار والتحذير ونحوه او الوجوب واحرائه واجمع السلف والخلف من ائمة الهدى الذين هدوا واهتدوا على حكايات مقالات الكفرة والملحدين المائلين عن الحق من الزنادقة والمنافقين فى كتبهم اى كتب الائمة التى صنفوها ومجالسهم اى مجالس وعظهم ومحادثتهم ليبينوها حتى يعلموا ما فيها من الفساد فيجتنبوها وينقضوا اى يبطلوا شبهها جمع شبهة ويردوها عليهم وان كان ورد اى نقل ما يخالفه لاحمد الامام احمد بن حنبل ايضا اى كما نقل عن غيره انكار لبعض هذا اى انكار حكاية هذا المذكور عن الكفرة وامثالهم مطلقا مما اجازه غيره عن الحارث بن اسد وهو المعروف بالمحاسبى صاحب التآليف المشهورة وقد قدمنا ترجمته فقد صنع الامام احمد مثله اى ذكر مثل ما صنع المحاسبى من ذكر مقالات هؤلاء فى كتاب الرعاية له فى رده اى الامام احمد على الجهمية وهو جهم بن صفوان واصحابه من المبتدعة واصحاب المذاهب الباطلة والعقائد الفاسدة وجهم هذا هلك فى اخر عصر التابعين قال الذهبى فى الميزان ما علمته روى شيئا لكنه زرع شرا عظيما وجهم يلقب بابى محرز وهو سمرقندى وكان يخبر بان الانسان لا يقدر على شى ولا استطاعة له ولا اختيار وافعاله يخلقها فيه وتنسب اليه مجازا ويقول ان الجنة والنار يفنيان وعلى القائلين بالخلق وفى نسخة ان القرآن مخلوق من المعتزلة وفى كثير من النسخ وبالمخلوق وذكر فيها الشمنى احتمالا لان منها مخلوق فيه القرآن ومنها ان يراد ان المخلوق قديم وهو قول الفلاسفة والظاهر ان المراد خلق افعال العباد من غير كسب وهو الجبر وما ذكره المحاسبى فى هذه الوجوه السابقة بسين مهملة وعين معجمة اى الجائزة الحكاية عنها هو من نوع فى على السابقة مقالات الكفرة ولا وجه لانكار هذه الحكاية فاما ذكرها اى الاقوال السابقة على غير هذا الوجه من الرد والابطال ونحوه مما مر من حكاية سبه صلى الله عليه وسلم من وقع منه والازراء اى الاحتقار بمنصبه العلى ومقامه الرفيع على وجه الحكايات اى القصص التى يقصها عوام الناس والاسمار اى التلهى بها جمع سمر وهو الحديث ليلا للمنادمة والمحاورة واصله ظل القمر لانهم كانوا يتحدثون فيه ويجوز بعضهم كسر همزته مصدر لانه يقال سمر واسمر بمعنى والطرف بطاء وراء مهملتين وفاء بوزن غرف جمع طرفة وهى الامر المستطرف اى المستحسن المعتاد وهو حقيقة فى الكلام مجاز فى غيره كالمال المستفاد مما لم يسبق مثله وقيل انه بمعنى طلاقة اللسان وهو غريب واحاديث الناس جمع احدوثة

وهو

وهو ما يحدث على طريق ويكون جمع حديث على خلاف القياس والمناسب هنا الاول ومقالاتهم فى الغث والسمين اى فى المعتد به وغيره واصل الغث بفتح الغين المعجمة وتشديد المثلثة بمعناه المهزول ضد السمين فاستعير لما ذكر وفى كلام ابن عباس رضى الله عنهما غثك خير من سمين غيرك قاله لابنه حين قال له اذهب لابن عمك عبد الملك وهو الكلام الجامع لاختلاف الدلالات حسنا وقبحا اذ الغث الهزيل كالمر ومضاحك المجان جمع ماجن وهو الذى يهتم بالهزل والسخرية من غيرهما لان واصل المجون غلظ الوجه ومضاحك جمع مضحكة وهو ما يضحك منه ونوادر السخفاء جمع نادرة او نادر وهو الامر المستغرب لقلة وقوعه والسخفاء بالمد جمع سخيف وهو الرقيق العقل والدين والخوض فى قيل وقال ونشره بقوله وما لا يعنى بفتح اوله اى ما لا يهم ولا يعتنى به وفى الحديث من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه قال فى النهاية فى الحديث نهى عن قيل وقال اى عما يتحدث به فيقال قال كذا او قيل كذا فهما مقولان من فعلين ماضيين فيحكى على الفعل مع الضمير فيعرب فتدخل عليه الالف واللام ومعناه كثرة الحديث بما لا يعنى وقيل قال الابتداء وقيل الجواب والمعنى ما لا يهم ولا حقيقة له وقيلهما مصدران يقال قال قولا وقيلا بمعنى فهما اسمان وفيه كلام فى المطالع فيجوز فتحهما وجرهما منونين والخوض اصله دخول الماء فاستعمل بمعنى مطلق الدخول فكل هذا المحكى من السب وما بعده ممنوع عنه حرام شرعا وبعضه اشد فى المنع والعقوبة من بعض باعتبار شدة قباحته نفعا وتفاوتا فما كان من قائله الحاكى له عن غيره على غير قصد به السب او غير معرفة بمقدار ما حكاه فى قباحته شدته واشد به او لم تكن عادته حكايته وانما وقع منه نادرا او لم يكن الكلام الذى حكاه من البشاعة بالموحدة اى القبح حيث هو حيث هنا مضافة لجملة خبر محذوف اى هو كريه ومستقبح وحيث ظرف مكان ولا يضاف الى الجملة من ظروف المكان غيره اى يكون فى مقام لا ينتفى بذلك عند العلم بانه لم يقصد به ازدراء وان كان ظاهره كذلك ولم يظهر على حاكيه استحسانه وانما ذكره لانكاره والتنفير عنه واستصوابه اى عده صوابا يعتقده فاذا كان كذلك زجر ونهى حاكيه عن ذلك اى حكايته له ونهى عن العود اليه وان لا يتلفظ به مرة اخرى صونا لمقام النبوة وان قوم بتشديد الواو مبنى للمجهول اى ارشد للاستقامة فيما حكيه ببعض الادب اى تعزير خفيف يليق به غير الزجر فهو مستوجب اى مستحق له اى للتاديب لتكلمه بما لا يليق بمنصب النبوة وان كان حاكيا عن غيره وان كان لفظه من البشاعة حيث هو كان الادب اشد وقد حكى ان رجلا سال مالكا رحمه الله عمن يقول القرآن مخلوق وهو بمعنى الالفاظ المتلوة عند الاشعرى كذلك لكنه يوهم انه من الاختلاق بمعنى الافتراء فقال الامام مالك قائله كافر فاقتلوه وقد نهى عن هذا

السلف لان ظاهره انه ليس كلام الله فهو نص يقتضي بتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم والكلام في هذه المسئلة لشهرته تغني عن البيان وباقي الكلام عليه ايضا في الباب الثالث عند ذكر المصنف لكلام مالك جاز مابه **فقال** ذلك القائل **انما حكيته عن غيري** وحاكي الكفر ليس بكافر **فقال مالك انما سمعناه منك** فانت متلبس بالحكاية لما لا يليق بحيث يحتمل انك تظهر به **سريرة لك وهذا** المذكور **من مالك** رحمه الله **على طريق الزجر والتغليظ** اي التشديد في الانكار عليه **بدليل انه لم ينفذ** بالمعجمة **قتله** اي لم يحكم به حكما قطعيا فان المذهب انه لا يقتل مثله وانما يقتل من انكر امرا معلوما من الدين بالضرورة وما روي من حديث من قال القران مخلوق فهو كافر لم يثبت مع انه لو ثبت فهو ما ولد عندهم **وان اتهم هذا الحاكي فيما حكاه بانه اختلقه** اي اخترعه ولم ينقله عن غيره فيحكي عنه وهو يعتقده **ونسبه الى غيره** بحكايته عنه خوفا من المواخذة به **او كانت تلك عادة له** بان يكثر من ذكره ويزعم انه حاك له **او ظهر** حال نقله **استحسانه لذلك** وانه لا يحذر ريبه **او كان مولعا بمثله** بفتح اللام اسم مفعول الولوع بالشي الاكثار منه مع اظهار الميل له وانه يحبه **والاستخفاف له** اي عده هينا تحقيره لا يحذر ريبه **او التحفظ** اي حفظه كثيرا **لمثله** ما هو شنيع كربه **او طلبه** ممن يحفظه حرصا عليه **وكثرة روايته** **اشعار هجوه صلى الله عليه وسلم** الذي هجاه به المشركون مما ذكره اهل السير **وسبه** المتولد عن المشركين **فحكم هذا الحاكي حكم الساب** من غير حكاية له **نفسه** لا حكم الحاكي وحكمه انه **يواخذ بقوله** ما يستحقه الساب **ولا تنفعه نسبته** لقوله ما حكاه **فيبادر بقتله** كالساب قال ابن حجر وما ذكره من المبادرة بقتل اي ان لم يتب **ويعجل الى الهاوية** اي يعجل بدخوله النار والهاوية من اسما جهنم ويقال هوت امه في الدعا بالهلاك وقوله امه فيها اي ان تقبل معناه ماواه لانها اي لام التي يأوي لها او راسه لانها ام دماغه وهمزته مضمومة وتكسر وهو نائب الفاعل مرفوع او مجرور بدل من الهاوية **وقد قال ابو عبيد القاسم بن سلام** بتشديد اللام وقد تقدمت ترجمته **من حفظ شطر بيت** اي نصفه **مما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم فهو كفر** اي هجوه كفر فالضمير راجع لما علم من هجا او كفر يعني كافر فيما لعنه وما ذكره من الكفر ظاهر عند الرضي بذلك او استحسانه لا ان قصد به غير ذلك قاله ابن حجر **وقد ذكر بعض من الف في الاجماع** اي الذي الف ما جمع فيه ما وقع عليه الاجماع من المجتهدين **اجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم وكتابته وقراءته** وحده او مع غيره **وتركه متى وجد** معطوف على رواية اي تحريم ان لا يمحى فيترك **دون محو** اي ازالة ما كتب بمحو ونحوه كاحراقه وما ذكر من الاجماع محله في روايته لغير غرض مسوغ لذلك **ورحم الله اسلافنا المتقين المتحرزين** اي الذين يحذرون مثله خوفا منه فهم صائنون **لدينهم** اي يحفظونه **فقد اسقطوا من احاديث المغازي والسير ما كان هذا سبيله** اي الاشعار التي وردت على هذا

الطريق

الطريق اي متضمنة لهجوه كما في سيرة ابن اسحاق وغيره من المتقدمين **وتركوا روايته** صونا لا لسنتهم من النطق بمثله وكتابته **الا اشيا ذكروها يسيرة** اي قليله **وغير مستبشعة** اي لا قبح فيها ولا سب ولا نقصا لمقامه كما في سيرة ابن هشام وفي نسخة مستشنعة بنون بعد الشين المعجمة **على نحو الوجوه الاول** اي ذكرت حتى نشر وبعد رمن قائلها كما تقدم او لا **ليروا نقمة الله تعالى** بفتح النون وكسر القاف اي ليظهروا بما ذكر معها انتقام الله **من قائلها** كاصحاب القليب وغيرهم **واخذه** اي اخذ الله بهلاكه **المفتري عليه** كما في هجايه **بذنبه** وهو هجوه وذكره بما لا يليق **وهذا ابو عبيد القاسم بن سلام** جملة حالية مقدمة لشهرة كتبه فاشار اليه **قد تحرى** بالحاء المهملة اي تثبت **فيما اضطر الى الاستشهاد به** اي التجا اليه للضرورة المقتضية لذكره لتوقف امر عليه فيه بعضه **من اهاجي** جمع اهجية وهي ما هجي به من القصائد **اشعار العرب في كتبه** التي الفها والمراد غير هجو النبي صلى الله عليه وسلم **فكنى عن اسم المهجو** ليس المراد بالكناية هنا مصطلح اهل المعاني ولا التورية عنه كما توهم بعضهم كما في شعر المتنبي وغيره انه يعبر عن غيبه مثلا بفعله الذي هو ميزانه التصريف وهو كثير في الشعر يعرفه من له المام بالادب فالكناية بمعناها اللغوي وقد ذكره الرضي في باب الضمير فلهذا قال **بوزن اسمه** كقول المتنبي

كان فعلة لم تملا مواكبها ديار بكر ولم تخلع ولم تهب

اراد بفعلة خولة **استبرا لدينه** اي طلبا لان يكون دينه بريا من تنقيص احد والخوض في عرضه بالتعيين **وتحفظا** اي حفظا وصيانة لنفسه **من المشاركة في ذم احد** ممن هجي **بروايته** اي اشاعة ذكره **لما هجي به** وهذا في حق احاد الناس **فكيف بما يتطرق الى عرض سيد البشر** المبرا من دنس النقائص صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وهذا كما تقال سبحان من يقلك والحاكي احد الثمانين

فصل

الوجه السابع ان يذكر ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم مما ليس فيه نقص له **او ما يختلف في جوازه عليه** من بعض العوارض البشرية كما قال **وما يطرأ** اي يحدث ويعرض له **من الامور البشرية به ويمكن اضافتها** اي وصفه ونسبته اليه على وجه يليق به وفي نسخة اضافتها **او يذكر ما امتحن به** اي ابتلي به من امور الدنيا زيادة لاجره **وصبر في ذات الله** اي لاجل الله ابتغا لرضاه لا لعجز انه ولا لغرض اخر هذا معنى هذا اللفظ والمراد به هنا وتحقيقه ان ذات في اصل وضعه مونث ذو بمعنى صاحب ثم توسع فيها العرب فيه فذهبا فاستعملوه بمعنى الجهة والجانب الذي يقصد ويتوجه اليه كان له صاحب القصد لتعلقه به ثم شاع في كل ما يتعلق بشي ما ومنه الحديث الوارد في حق ابراهيم الخليل المتقدم لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات في ذات الله اي فيها يتعلق بالرب جل وعلا ولاجله لحاهان هنا بمعنى التعليل ومنه قول خبيب رضي الله عنه الذي رواه البخاري في صحيحه وغيره

ولست ابالي حين اقتل مسلما على اي شق كان لله مصرعي

دمجى

ه و ذلك في ذات الاله وان يشا يبارك على اوصال شلو ممزع ه

كذا احققه ابن السيد وغيره من ائمة اللغة وهو المعول عليه واما استعماله في
النفس و الحقيقة فلم يسمع عن العرب ولذا قيل انه غير صحيح و اطلاقه على الله مع انه
مؤنث غير جائز و قولهم في النسبة الهذا اي لحن كقولهم صفاتي وهو من اصطلاح
المتكلمين وغلطهم و قول ثعلب في قوله تعالى ذات بينكم معناه عند الكوفيين حالتهم
بينكم وقال الزجاج حقيقة وصلكم لا دليل فيه لما استعمله المتكلمون فلا يصح الرد عرضي
على من خطاهم فيه كما توهم وتعبيره به هنا غير مستقيم ومن فسره بطاعة الله وانقياده
لما يريده لم يبعد عن الصواب على شدة من مقاساة اعدائه اي صبر على شدائد دلجي
قاسية من اعداء الدين واذاهم له اي شدة اذيتهم له صلى الله عليه وسلم وهو فقاسدا
حاله حين بعث ودعا الناس الى الله وسيرته وما لقيه من بؤس زمانه اي
شدائده وهو عليه من معاناة اي عنائه وتعبه في معيشته او معاناته بمعنى ملابسته
وما شرته والمعيشة مما يعاش به بمعنى تحمله و تصبره على لأوائها وضيقها كل ذلك
اي فيذكر هذا على طريق الرواية ومذاكرة العلم ليقتدى به ويعلم شرف نفسه
ومعرفة ما اي امر صحت منه العصمة للانبيا كحفظ الله لهم عن كل سوء وتبريهم
من كل نقص والعصمة تقدم انها خلق ما يمنعه عن المعصية باختياره لا بالجائه
ولذا قال الماتريدي انها لا تزيل المحنة اي الابتلاء فانها مجرد لطف من الله كما فصل في
علم الكلام وما يجوز عليهم فيذكر لمعرفته للاقتداء به عليهم فهذا المذكور هنا خارج
عن هذه الفنون الستة التي ذكرت قبله والفن بمعنى النوع اذ ليس فيه غمص ولا
نقص تفسير للغمص بغين معجمة وميم ساكنة وصاد مهملة اي شين وعيب ولا ازرا
ولا استخفاف اي اهانة وتحقير لا في ظاهر اللفظ الذي قاله ولا في مقصد
اللافظ به على الوجه الذي بينه لكن يجب ان يكون الكلام فيه اي في ذكر ما قاساه
صلى الله عليه وسلم من الشدة والبؤس في ابتداء امره مع اهل العلم الراسخين فيه
بحيث لا تزل لهم القدم وفهما طلبة الدين بزنة علما جمع فهم او فهيم اي الشديد
الفهم الذي يعرف حكمة ذلك وانه لا يصير عليهم لعلمهم بمقاصد الدين القويم ممن يفهم
مقاصده مما قصد منه من الحكم ويحقق فوائده اي يحققها لانه على بصيرة في
مقامات الانبيا وجلالة قدرهم ويجنب بمثل المعقود اي يبعده ويقصيه عن ذكر
ذلك الذي ذكر من احوال الانبيا عليهم الصلاة والسلام من عساه لا يفهمه الفهم
عسى لا ستبعاد فهمه ومن موصولة او يخشى به اي بذكره له فتنته بوقوعه فيما لا
يرضى في حق رسل الله عليهم الصلاة والسلام قال ابن حجر وما اقتضاه كلامه من
حرمة ذكره هو للعوام ظاهر ان ظن بقرينة حالهم لولا فتنة لهم منه او استخفاف او
نحوهما و الا فالذي ينبغي الكراهة ثم وجهه بقوله فقد كره بعض السلف تعليم النسا
سورة يوسف لما انطوت اي اشتملت عليه من تلك القصص جمع قصة اي مما فيها
من ذكر شغف النسا بالصور الجميلة ومراودتهن والتحيل منهن للمواصلة لمن يحب

لضعف

لضعف معرفتهن بالامور وما يترتب عليها ونقص عقولهن وادراكهن اي وصولهن
للمدركات وقد ورد في الحديث انهن ناقصات عقل ودين ثم بين جواز ذكره لخبر
العوام فقال فقد قال صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح سبأتي مخبرا عن نفسه
حال من فاعل قال باستيجاره اي اجارة نفسه لقريش في صغره لرعاية الغنم
اي اخذها لتسرح في المرعى في ابتدا حاله اي صغر سنه وقال صلى الله عليه
وسلم في حديث رواه الشيخان ما من نبي الا وقد رعى الغنم مذكورهذا الاصحابه
العارفين بنور الايمان الحكم فيما ذكر لعلمهم بقدرة تشرفه دليل لما تقدمه وبقية الحديث
فقال له اصحابه وانت يا رسول الله فقال نعم كنت ارعاها على قراريط لاهل مكة
وقراريط جمع قيراط جزء من الدراهم وقيل اسم مكان وتقدم ما في ذلك وتفصيله في
شروح الصحيحين واخبرنا الله في القران بذلك اي برعي الانبيا عليهم الصلاة
والسلام للغنم عن موسى عليه الصلاة والسلام في رعيه لشعيب عليه الصلاة والسلام
في قوله اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين الاية وقصته مفصلة في كتب
التفسير وهذا لا غضاضة فيه اي فيما ذكر من الرعاية للغنم وهي بمعجمات مفتوحات
بمعنى النقص وهو مستعار من غض البصر وكفه مطرقا فكنى به عما ذكر لانه انما يكون
مما يستحي منه صاحبه جملة واحدة اي ليس في شي منه اصلا غضاضة لمن ذكره على
وجهه من مذاكرة اهل العلم لما مر بخلاف من قصد به الغضاضة والتحقير وهو
عطف تفسير بل كانت رعاية الغنم عادة جميع العرب حتى اولاد اشرافهم وقد
نشأ صلى الله عليه وسلم بينهم غير مخالف لاحوالهم المباحة تواضعا منه وتاسيا باخلاقهم
فيما لا يضر ثم استشعر سوالا مقدرا كانه قيل ما حكمة وقوع ذلك وتقديره له
فاجاب بقوله نعم في ذلك للانبيا حكمة بالغة عظيمة قوية ظاهرة فنعم جواب
السوال المقدر وكثيرا ما تحمه العرب لتاكيد الكلام في ابتدائه كقول جحدر

ه البس الله يجمع ام عمرو وايانا وذاك بنا تدان ه

ه نعم وارى الهلال كما تراه ويعلوها النهار كما علاني ه

والبلوغ الوصول الى اقصى الامر ومنتهاه وقوله تعالى ام لكم ايمان علينا بالغة اي
في غاية التوكيد قاله الراغب وكانها بلغت غاية الصواب ومنتهاه وتدريج الله
تعالى لهم الى كرامته اي اكرامه لهم بالنبوة والرسالة ونحو وما بعده تفصيل للحكمة
ولذا عطفه كانه تفسير لها وتدريب بمهملتين اي تعويد له فيكون له دربة وخبرة
برعايتها لسياسة اممهم اي ضبط امورهم وحفظها من خليقته فبؤس الامم
كما يسوس الغنم بما سبق لهم اي للانبيا عليهم الصلاة والسلام من الكرامة باصطفائهم
للرسالة في الازل ومتقدم العلم اي علم الله تعالى فانه اعلم بمن يجتبيه كما في الاية
الله اعلم حيث يجعل رسالاته قال ابن حجر في شرح البخاري حصل لهم عليهم الصلاة
والسلام التمرن برعيها على ما يكلف من القيام بامر الامة والشفقة عليهم كما يصبر
الراعي على سوق غنمه وجمعها اذا انتشرت وحفظها عن سبع و ذيب وسارق وسوقها لمايه

نفعها في مرعاه وتفرده بامورها منقطعا عن الناس غير مشارك في امره ولا متوان فيغفل امور الناس بعد الرسالة على هذا المنوال ولذا قال كلكم راع ومسؤول عن رعيته مع ما فيه من تواضعه وكسبه فهذا مثل تمثيل ضرب له وكذلك اي مثل ما ذكر الله عن موسى الرعاية من غير تنقيص فيه قد ذكر الله عز وجل يتمه اي كونه توفي ابوه وهو جنين صغيرا وموت حكمته وعيلته اي كونه في القيام على اهله وعايلته في ذلة مصيبة قال تعالى الم يجدك يتيما فاوى الاية على طريق المنة عليه اي تعداد النعمة عليه لا تحقير له صلى الله عليه وسلم والتعريف للناس بكرامته له اي باكرامه وتشريفه واليتيم في اصله بمعنى الانفراد وهو في الادمي من لا اب له وفي الحيوان من لا ام له وفي الطير من لا ام ولا اب له كما مر وجهه ظاهر ومر ان اب النبي صلى الله عليه وسلم مات وهو جنين او في المهد وان امه ماتت وهو ابن ثمان وقيل اليتيم بمعنى منفرد لا نظير له كالدرة اليتيمة والعايل الذي لا مال له يقال عال يعيل عيلة اذا افتقر قال احيحة

فما يدري الفقير متى غناه ... وما يدري الغني متى يعيل

اي يفتقر والعيلة الفقر فذكر الذاكر لها اي لما مر من احوال نبينا وكذلك الانبيا عليه وعليهم الصلاة والسلام الجايزة عليهم على وجه وطريق تعريف حاله في ابتدا امره والخبر عن مبتداه بالمذاكرة به للعمل والتعجب من منح الله تعالى جمع منحة وهي العطية قبله بكسر وفتح اي عليه وفي جانبه وعظيم منته عنده بما افاضه عليه بعدما كان عليه ليس فيه على هذا الوجه غضاضة تنقص من مقامه وتنقيص له واهانة لعدم قصده لذلك بل فيه دلالة على نبوته وصحة دعوته لما اكرمه الله به بعد عدمه وكسبه له اذا اظهره الله تعالى فغزاه ونشر ذكره بعد هذا الذي كان عليه في ابتدا امره على صناديد العرب جمع صنديد وهو السيد الشريف في قومه الجامع بين الشجاعة والحماسة والجود الغالب لمن عاداه وعارضه ومن ناواه اي عاداه واصله المهموز من النو وهو النهوض من اشرافهم شيئا فشيئا اي بطريق التدريج حتى اظفره الله بهم وذللهم واباد من اصر على عداوته وفتح ديارهم ومن عليهم كما وقع له صلى الله عليه وسلم في فتح مكة وهو متعلق بقوله اظهره الله ونمى اي زاد واشتهر امره اي شان نبوته حتى قهرهم واذلهم فانقادوا خاضعين له وتمكن اي وصل من ملك مقاليدهم جمع مقلد بكسر الميم وهو المفتاح وملكها كناية عن حيازة ما لكهم والتصرف فيها كما يريد واستباحة ممالك كثير من الامم غيرهم اي غير العرب كالروم والعجم جمع مملكة وهي الاقاليم المملوكة اي جعلها مباحة مفوضة له صلى الله عليه وسلم ولاصحابه جميع ما فيها باظهار الله تعالى له واعلا كلمته ودينه وتاييده وتقويته بنصره وما النصر الا من عند الله وبالمؤمنين الذين اتبعوه وجاهدوا في سبيله والف بين قلوبهم بمحبة بعضهم لبعض وزال ما كان بينهم في الجاهلية من التباغض والعصبية ولا يقدر على تاليف القلوب غير الله كما قال تعالى

واذكروا

واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعدا فالف بين قلوبكم وامداده اي ارساله مددا يوم بدر وغيره بالملايكة المسومين اي الذين لهم سمة وعلامة تميزهم عن غيرهم وذلك كان بعمايم صفر مرخية بين اكتافهم وفي نواصي خيلهم واذنابها صوفا ابيض وهو بكسر الواو وفتحها لان لهم سمة وقد سوموا خيولهم بامره وغيره ولو كان صلى الله عليه وسلم ابن ملك بكسر اللام اي سلطان او ذا اشياع اي صاحب جنود واتباع جمع شيعة وهي الفرقة العظيمة من الناس متقدمين على زمن ظهوره بان كانوا اتباعا من ابيه وجده لحسب اي ظن كثير من الجهال ومن لا بصيرة لهم ان ذلك اي ملك ابيه واتباعه سبب ظهوره على غيره ومقتضي اسم فاعل اي موجب علوه في شانه وقدره كغيره ولهذا اي لاجل ما ذكر من انه لو كان كذلك ظن الجهلة فيه ما تقدم قال هرقل ملك الروم لما سال عنه لما بلغه خبره وهو بكسر اوله وفتح ثانيه وسكون ثالثه كدمشق ويجوز اسكان ثانيه وكسر ثالثه كخندف والاول هو المشهور والثاني حكاه الجوهري وغيره ولقبه قيصر وهو اول من ضرب الدنانير وملك الروم احدى وثلاثين سنة وفي ملكه توفي النبي صلى الله عليه وسلم حين سال ابا سفيان رضي الله عنه وسرانه بتثليث السين يكنى ابا حنظلة وان اسمه صخر بالمهملة ثم المعجمة ابن حرب بالمهملة المفتوحة والراء الموحدة بن امية ولد قبل الفيل بعشر سنين واسلم ليلة الفتح وشهد الطايف وحنينا وفقئت احدى عينيه في الاولى والاخرى يوم اليرموك وتوفي بالمدينة سنة احدى او اربع وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين سنة وصلى عليه عثمان رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم بابلغها وقال له هل كان في ابايه من ملك بمن الجارة لملك بكسر اللام صفة مشبهة في الاصل او من موصولة وملك ماض بفتحها صلتها ثم قال هرقل له بعد جوابه ولو كان في ابايه ملك لقلنا رجل يطلب بظهوره وعلوه ملك ابيه كعادة ابنا الملوك وقال ابيه دون ابايه ليكون اعذر في طلب الملك او المراد بالاب ما هو اعم من حقيقته ومجازه والحديث في الصحيحين وهو مشهور واذ النبي بضم اوله وسكون ثانيه وتقدم تفسيره من صفته صلى الله عليه وسلم في الكتب المتقدمة كالتوراة والانجيل واخبار الامم السالفة المتقدمة التي تلقوها عن انبيايهم كما في قصة تبع وكذا وصفه بالنبي وقع ذكره بهذه الصفة في كتاب ارميا بن حلقيا نبي الله وكان له صحف الهبة وهو من بني اسرايل ذكره مفصل في التواريخ وهو بفتح الهمزة ويجوز كسرها وسكون الراء المهملة ومثناة تحتية والف مقصورة كذا في الحواشي وفي مراة الزمان ان ارميا بضم الهمزة كما رايته على شيخي ابي منصور اللغوي بن الجواليقي وقال ان ارميا كان من ابنا الملوك وانه اوحى اليه فلما انذر قومه حبسوه فسلط الله عليهم بخت نصر وساق قصة طويلة له وبهذا اي النبي وصفه ابن ذي يزن ملك اليمن ويزن ممنوع من الصرف وفيه كلام للصاغاني في الذيل والصلة لعبد المطلب جده حين ذهب اليه مع اشراف قريش ليهنوه باخذ ملكه من الحبشة فاختلى به وبشره بمقدم نبي عظيم وانه لا اب له

وانما يكفله جده وعمه وقد تقدم طرف من قصته معه واكرامه له وكذا وصفه بحيرا الراهب لابي طالب حين ذهب معه للشام كما تقدم وفي كلامه يموت ابوه وامه ويكفله جده وعمه وبحيرا هو بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة ويمد ويقصر ويقال بحير بلا الف وفي خبره ان الراهب سأل عنه لما راى السحاب تظله فقال له انه ابني فقال انه لا ينبغي ان يكون له اب كما نجده في كتبنا فاخبره بموت ابيه فصدقه وكذلك اي كوصفه باليتيم وصفه ايضا وصف بانه امي لا يقرا ولا يكتب كما وصفه الله تعالى به في قوله فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الاية فهو مدحة له وفضيلة ثابتة فيه لما سيأتي وقاعدة معجزته اي مثبتة ومقوية كالاساس للبيان اذ معجزته العظمى الثابتة لسائر المعجزات من القران العظيم واعجازه انما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم التي وصلت اليه مما لم يتفق ولا يمكن لغيره مع ما منح اي اعطي صلى الله عليه وسلم وفضل به على سائر الخلق من ذلك اي من علومه ومعارفه التي لا تصل اليها عقول البشر كما قدمناه في القسم الاول ووجود مثل من رجل لم يقرا الخط ولم يكتب في عمره حرفا ولم يدارس اي لم يقارن احدا يدرس عنده ما يتعلمه من الافواه ولا لقن اي لم يلق اليه احد شيئا مقتضى العجب اي موجب له ومنتهى العبر اي غاية ما فيه عبرة لمن يقف عليه ومعجزة البشر التي اعجزتهم عن مثله واذا كان كذلك فليس في ذلك اي كونه اميا نقيصة له صلى الله عليه وسلم لما فيه من الشرف والفخر ما يعجز عنه الوصف والمطلوب المقصود من تعلم الكتابة والقراءة المعرفة بما يحتاج اليه من العلوم والمعارف فليست مقصودة لذاتها وانما هي اي القراءة والكتابة الة لها وواسطة موصلة اليها غير مرادة في نفسها اذ لا فائدة لها في نفسها فاذا حصلت الثمرة والمطلوب بالذات والثمرة فالكفة الانتجه يجوز بها عن كل فائدة مترتبة على امر من الامور استغني عن الواسطة والسبب الذي يراد لاجلها فهي فيه كمال وفضيلة والامية في غيره ممن لم يصل الى العلوم نقيصة معيبة فيه لانها حينئذ سبب الجهالة بالعلوم والمعارف وعنوان اي دليل ظاهر على الغباوة بفتح معجمة وموحدة وهي عدم الفطنة والذكاء كالبلادة والحماقة والعنوان ما يكتب على ظهر الكتاب ليعلم لمن هو وما هو فاريد به كل ما يدل على شيء خفي وعينه تضم وتكسر لانه يعلم من اميته انه لبلادته لم يقدر على التعلم وتقدم ما قيل انه مخصوص بمن يظهر علمه فلا حاجة الى ان يقال الا من خصه الله بعلم دونها كما قيل وفي العنوان لغات يقال عنوان وعلوان وفيه كلام في شرح الفصيح فسبحان من باين امره صلى الله عليه وسلم اي فصله وميزه وبعده من امر غيره من الناس فجعله في اعلى مراتب من الكمال لا يحتاج لوسائط والات وجعل ما به تمدح في غيره نقائص وهذا امر عجيب فلذا اتى بسبحان وهي تنزيه لله يستعمل للتعجب كثيرا كان هذا الامر العجيب لا يقدر عليه سواه وجعل شرفه اي علو مقامه وقدره فيما فيه محطة سواه الخط تنزيل شيء من علو سفل

ومحط مصدر ميمي والمراد ان بعض ما ادى به شرفه صلى الله عليه وسلم فيه نقص وتنزيل لغيره وهو اشارة لما تقدم من انه الذي يتيه به ان ربه ادبه فاحسن تاديبه ورباه من غير منة لمخلوق عليه فكان صلى الله عليه وسلم بهذا ابيا لغيره ممن تربى يتيما وجعلت اعيلة ليعلم انه غني بالله وانه لم ينتفع من نفعه لامر دنيوي وجعله اميا ليعلم ان علمه لدني وهذه غاية الشرف وهو في غيره نقص وشين وحياته فيما فيه هلاك من عداه تعدد الاقوى مما قبله لانه قد يتيسر لبعض الخواص واما تعدد اوهو شق قلبه فان الحكماء متفقون على ان القلب به قوام الحياة والادراك وهو رئيس الاعضاء ولا يحتمل جراحة ولا خروجا من محله فكيف بمثل من يخرج قلبه ويشق وقد وقع له صلى الله عليه وسلم مرارا اولها وهو صغير عند مرضعته كما تقدم بيانه واخراج حشوته بضم الحاء المهملة وكسرها وسكون الشين المعجمة والمراد ما في داخله من العلقة السوداء كما تقدم وبيان حكمته واصل الحشوة الامعاء والكرش والمراد به هنا ما ذكرناه تجوزا فكان ما فيه هلاك غيره تمام حياته لانه اخرج منه ما يتعلق به وسوسة الشيطان وملئ علما وحكمة تعقبه تمام الخلقة الحسية بان القى منه السوداء والمعنوية بالعلم الذي له بمنزلة الروح وغاية قوة نفسه لان قلبه نظف واودع ما قواه على تلقي الوحي ورؤية الملائكة وشدة الاذعان والفطنة وثبات روعه بضم الراء المهملة قيل واو ساكنة وعين مهملة وهو القلب والادراك فاريد به انه جعل فيه ما يثبته على تلقي الوحي وملاقاة الملائكة كما ورد في الحديث ان روح القدس نفث في روعي اي قلبي وخلدي وبه فسروه اي شق القلب اذا وقع فيمن سواه من الناس كان منتهى اي غاية قصوى ومن اقوى اسباب هلاكه باخراج روحه سريعا وحتم بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة الفوقية وميم اي وجوبه بحسب اللغة بمعنى معينه قطعا موته اي ذهاب حياته وفناء به بذهاب روحه وما يتبعه وحديث الشق وتعدده رواه الشيخان وغيرهما وتفصيله في شروحهما وهلم جرا تقدم الكلام عليها مبسوطا اي وغير ذلك ما خالفه فيه غيره مما يضاف الى سائر ما روي من اخباره وسيره في كتب الحديث مما باين حال غيره وتقلله من امور الدنيا في جميع احواله كما تقدم ومن الملبس والمطعم والمركب تفصيل لامور الدنيا التي تقنع فيها وتواضعه للخلق مع علو قدره وشرفه ومهنته بفتح الميم وكسرها وذهب الزمخشري تبعا للاصمعي انها لا تكسر كما مر وهو مصدر بمعنى الابتذال والخدمة وقوله لنفسه مفعوله في امور الدنيا كخصف نعله وخدمة بيته بنفسه وانما كان ذلك منه زهدا في امور الدنيا بتركها ورغبة من الدنيا لا فيها وتسويته بين حقيرها وخطيرها اي عظيمها عند غيره لشرف نفسه عنها لسرعة فناء امورها وعدم بقائها وتقلب احوالها من حال الى حال بحيث لانه دوم على حال ابدا اوكل هذا المذكور من فضائله التي فضله الله بها على غيره ومآثره جمع مأثرة بالضم وفتحها اسنا شرفه اي اختص به من الشرف

والمكارم مما يوثر عنه وشرفه مما ذكرناه فيما تقدم من هذا الكتاب فمن اورد اى ذكر شيئا منها مورده اى فى محله الذى ينبغى واصله من ورد الماء اذا ذهب ليستقى منه فاستعير لما ذكر وقصد بها مقصده الذى ينبغى بقدره وشرفه كان حسنا يمدح به ويثاب عليه عند الله ومن اورد ذلك على غير وجهه اللايق به لابهامه تحقيرا وتنقيصا له وعلم منه بذلك الايراد له على غير وجهه سوء قصده بتنقيص وتبين لحق بالفصول السنة المتقدمة جميعها وفصل فيها حكمه التى قدمناها فى هذا الباب وكذلك اى مثل هذا ما ورد على غير وجهه ما ورد من اخباره صلى الله عليه وسلم واخبار سائر الانبيا صلاة الله وسلامه عليهم اجمعين فى الاحاديث التى يرويها القصاص مما ظاهره اشكال اى مشكل لحالهم لما نقول من احوال عصمتهم عنها ما يقتضى امورا منقصة لهم ولا تليق بهم بحال من الاحوال ويحتاج الى تاويلها بصرفها عن ظاهرها وتردد احتمال اى تردد سامعها لاحتمالها لوجوه اخر فلا يجب اى لا يجوز كما مر ان يحدث منها بنقلها وروايتها الا بالصحيح روايته عن الثقات ولا يروى منها الا المعلوم معناه الثابت نقله عن الايمة ورحم الله عز وجل مالكا امام دار الهجرة فقد كره التحدث بمثل ذلك الذى فيه اشكال يحتاج لتاويله من الاحاديث الموهمة اى الموقعة فى فهم سامعها وهمه للتشبيه اى تشبيه الله بغيره وهى ما يذكره المجسمة كحديث ان الله خلق ادم عليه الصلاة والسلام على صورته والمشكل المعنى كحديث ينزل ربنا كل ليلة الى سما الدنيا فى الثلث الاخير ونحوه مما ذكره الامام ابن فورك فى كتاب المشكل له الاتى بيانه وهو كتاب جليل وقال الامام مالك ما يدعو الناس اى ما يقتضى نقل مثله والى التحدث بمثل هذا الوهم المشكل معناه فقيل له ان ابن عجلان يحدث بها ويرويها للناس وهو الامام الثقة المحدث ابو عبد الله محمد بن عجلان الفقيه المدنى احتج له مسلم وغيره روى عن ابيه وعن انس وغيرهما واخراج مسلم له انما هو فى الشواهد وتوفى فى سنة ثمان واربعين ومائة وقيل ان امه حملت به ثلاثة اعوام فشق بطنها واخرج وقد نبتت اسنانه وله ترجمة فى الميزان وكان مالك لا يرى التكلم فى المتشابهات وهذا محمول على نقلها عند العوام الذين لا يعرفون مثلها فلا وجه للاشكال بانه كيف يجوز ان يكتم ما صح عنه صلى الله عليه وسلم من غير نهى عن نقله ولو كان مما يجب تركه لم يحدث به اصحابه الى اخر ما اطال فيه بغير طايل فقال مالك لم يكن ابن عجلان من الفقها الذين يعرفون ما فى الحديث من الاحكام والدقايق وكان يحدث الناس بحديث ان الله خلق ادم على صورته وهو من المتشابه المشكل وفيه تاويلات فقيل ان الضمير لمن ضرب على وجهه لا تسود قبل الله الصورة لها معان كالحقيقة والصفة كما يقال صورة المسئلة كذا وفيه كلام لهم مشهور ولهذا الناس واتفقوا

ابن انبرس

اى وافقوا الامام مالكا على ترك الحديث اى ترك التحدث بها اى بالمتشابهات المشكلة وساعدوه المساعدة المعاونة والمراد بها هنا الموافقة على طيها اى على رايه فى تركها وعدم ذكرها راسا فاكثرها اى الاحاديث المتشابهة المشكلة ليس تحتها عمل اى ليس مدلولها وحملها تحت الالفاظ كخفايها كما بينا لـ ليس تحت هذا الامر فايدة لانها ليس فيها احكام شرعية وقد علمت ان هذا مذهب لمالك فى كراهة الكلام على متشابه الحديث كما ذهب اليه بعضهم فى متشابه القران وقد قيل انه لم يواخذه عليه احد فانه لو كان كذلك لم يحدث بها النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه ولم يقل بلغوا عنى وانما هو ابتلا للراسخين فى العلم ليثبتوا افكارهم ويعملوا انظارهم فيها حتى يطبقوها على الحكم وقد نقلوا اجرام الله كل حبر وقد حكى عن جماعة من السلف المتقدمين من الصحابة والتابعين بل حكى عنهم اى السلف على الجملة اى جميعهم انهم كانوا يكرهون كراهة تنزيه الكلام على ما ليس تحته عمل مما لا يشتمل على الاحكام الشرعية ثم اشار الى جواب سوال مقدر فقال والنبى صلى الله عليه وسلم اوردها اى حدث بها موردا لها على قوم من الصحابة فهو جواب عما اشرنا اليه من انها لو كانت كذلك ما حدث بها عرب يوزن تفعل وعجم اى من صميم العرب واهل اللسان فهم يفهمون كلام العرب يفنى ومن جملة ذلك كلامه صلى الله عليه وسلم على وجهه الذى اريد به من غير التباس وتصرفاتهم بالحرو النصب فى حقيقته وما وضع له ومجازه الذى تجوز به عنه مجازا لغويا او عقليا واستعارته من عطف الخاص على العام لانه مجاز علاقته المشابهة وبليغه اى ما يورد من فصيحه على مقتضى الحال والمقام وايجازه اى ايراد معانيه الكثيرة بالفاظ قليلة فلم تكن تلك الاحاديث فى حقهم مشكلة لانها لا يخفى عليهم مقاصدها ثم جا بعدهم من هذه الامة من غلبت عليه العجمة لخفا لطفه العجم ودخول غير لسان العرب فصار تخدع بما فصيحها بين اظهرهم والعجمة عدم الفصاحة والامية اى الجهل بلسان العرب فليس المراد به الامى بالمعنى المشهور فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب فى كلامهم المنزل الا نصها ويفنى به صريحها دون دقائق رموزها تنوعطف تفسير ولا يتحقق اشارتها اى لا يفهم دقائقها وتلويحاتها الى غرض الايجاز المقصود منه ومن عدم بسطه ووحيها بالحا المهملة واصل معناه الرمز قال وحى الملاحظ حيفة الرقبا وعرض تبليغها لها بلا تصريح وتلويحها التلويح هو التعريض والاشارة فتفرق اى تاويلها اى صاروا فرقا مختلفة لما ذكر فى فهم المراد منها تذهب طايفة الى ابطالها وتاويلها بما يتضح به معناها او حملها على ظاهرها من غير تاويل لها شذر مذرا اسمان ركبا وبنيا على الفتح كخمسة عشر بشين وذال معجمتين وراين مهملتين مع فتح اولهما وكسرهما وابدال ميمه با وقيل هو الاصل من التبذير وهو التفريق ومعناه متبددة متفرقة اى ذهبوا فى المتشابه الى مذاهب وجهات فمن قايل تاوله ومن قايل نبقيه على ظاهره

ومن قابل يؤمن به من غير تعرض لمعناه وكشف قناع وجهه فمنهم اي ممن تعرض
لتفسيره بعد ان من امن به اي صدق به وبانه حق ونزهه عن ان يراد به ظاهره وفوض
معناه الى الله تعالى فيقف على قوله الا الله وهم كثير من السلف وهو اسلم ومنهم
من اوله بما يليق به وهو اعلم كحديث ينزل ربنا الى سماء الدنيا والقلوب بين
اصبعين من اصابع الرحمن ومنهم من كفر بسببه للخوض فيه بما لا يصح ابتغاء الفتنة
واضلال الناس وبه لف ونشر فمن امن راجع للتاويل ومن كفر للحمل على
الظاهر ونفي مذهب الوقف وهو معلوم مما تقدم واعلم ان الكلام
على المتشابه من الكتاب والسنة وقع هنا استطرادي اذ ليس مما نحن فيه لانه
بصدد وصف النبي صلى الله عليه وسلم بما يجوز وما لا يجوز وليس من التشابه في شيء لكنه
يشبهه في تاويل بعضه ومنع الخوض فيه لبعضهم فاما ما لا يصح لعدم صحة سنده
من هذه الاحاديث المشكلة فواجب ان لا يذكر منها شيء لعدم صحتها وعدم
صحة معانيها سواء كانت في حقه تعالى او في حق انبيائه كما قال في حق الله تعالى
ولا في حق انبيائه ولا يتحدث بها رواية ونقلا لانها اما كذب بجزم نقله
الا لبيان انه كذب موضوع ولا يتكلف بعد نقلها الكلام على معانيها بتفسيرها وتوجيه
تاويلها والصواب طرحها اي تركها وترك الشغل بها اي الاشتغال بذكرها وتاويلها
والشغل بفتح الشين وضمها وسكون غينه وضمها اتباعا الا ان يذكر على وجه
التعريف والتبيين لمن لا يعرفها بانها ضعيفة المقاد بفتح الميم والقاف والف
ودال مهملة من قادت الدابة في سيرها وهو اسم مكان منه استعير لطريق رواية
وفي نسخة المقالة واهية الاسناد اي اسنادها بعيد الضعف ساقط عن
درجة الاعتبار من وهى بمعنى وهن وضعف وقيل انه من وهى الثوب اذا انخرق وقد
انكر الاشياخ جمع شيخ يعني العالم المعتمد على الامام ابي بكر بن فورك وهو الامام
محمد بن الحسن بن فورك الشافعي المحدث الاصولي وفورك بضم الفاء وراء مهملة
واختلف في صرفه وعدمه كما تقدم توفي سنة ست واربعمائة وقوله [illegible]
تكلفه مفعول انكر في مشكله اي في كتابه الذي سماه مشكل الحديث في المتشابه
الكلام مفعول تكلف اي التكلم على احاديث ضعيفة موضوعة الظاهر او
موضوعة لا اصل لها اي لا نقل لها ولا سند صحيح يقال كلام لا اصل له اي كذب
او منقولة عن اهل الكتاب اي اليهود والنصارى كبعض قصص الانبياء الذين
يلبسون بتخفيف الباء الموحدة وتشديدها اي يخلطون الحق بالباطل الذي
اختلقوه وافتروه كان يكفيه طرحها اي ترك ذكرها ويغنيه عن الكلام عليها
تاويلها وتوجيهها التنبيه على ضعفها وان رواتها لم تنقل عمن يعتد به
اذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها مما يخالف ظاهره الصواب ازالة اللبس
اي الاشتباه على من لا علم عنده واجتثاثها اي قلعها وقطعها بجيم ومثناة فوقية
وثاء مثلثة واصلها قطع اصول الشجر فاستعير لما ذكر وقوله من اصلها

توشيح

توشيح فيه تورية وطرحها اي تركها راسا اكشف اي اظهر وابين للبس من ذكرها
وتاويلها واشفى للنفس اي اكثر شفاء من تاويلها وهذا انما هو لمن تامل بعد
شيوعها لا بد من بيانها حتى لا يغتر بها الجهلة وفي كتاب ابن فورك فوائد جليلة ومعان
بديعة يعرفها من وقف عليه مع ان في كتابه احاديث منها ما هو صحيح كحديث نزول
الرحمن ومنها ما هو ضعيف نبه على ضعفه كما ذكره في كتابه

فصل

ومما يجب على المتكلم على ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز عليه كما تقدم
بيانه والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل الذي ذكر قبل هذا على طريق
المذاكرة مع اقرانه والتعليم لمن هو دونه من طلبة العلم ان يلتزم فاعل يجب اي
يلازم من غير ترك في كلامه عند ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر تلك الاحوال
التي وقعت له الواجب من توقيره وتعظيمه بما يليق به ويراقب المتكلم في
كلامه الصادر منه حال لسانه بتعبيره بعبارة حسنة ولا يهمله اي لا يترك
توقيره ويظهر بتحتية مضمومة او فوقية مفتوحة علامات الادب يجوز نصب
علامات ورفعها عند ذكره حالة ومثاله فاذا ذكر ما قاساه من الشدائد
كما وقع له صلى الله عليه وسلم في ابتداء دعوته واذاية المشركين له ظهر عليه الاشفاق
عليه صلى الله عليه وسلم باظهار شفقته عليه مما اصابه والارتماض اي احتراقه
ولوعته وهو بالضاد المعجمة يقال ارتمض الرجل من كذا اذا اشتد عليه واقلقه والغيظ
على عدوه باظهار بغضه وعداوته لعدوه وظهر عليه مودة اي محبة الفداء للنبي
صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه اي على ان يكون فدية له بنفسه واهله وماله
من جميع المكاره اي ان يسلم ويحل به ما حل به عوضا عنه والفداء اذا كسر مد وقصر
وقد ينون اذا جاور لام الجر نحو فداء لك كما في الصحاح فاذا فتح قصر ونصب ويرفع
وهو دعاء له ومن الله تعظيم وتوقير لتنزهه عن معناه والنصرة له صلى الله عليه
وسلم لو امكنه نصره وكان معه واذا اخذ اي شرع في التكلم في ابواب العصمة
اي انواع ما عصمه الله منه وصانه وتكلم على مجاري اي ما جرى من اعماله
الصادرة عنه واقواله المأثورة عنه صلى الله عليه وسلم تحرى بمهملتين اي
قصد احسن اللفظ وادب بهمزة ممدودة قبل دال مهملة وموحدة افعل
تفضيل العبارة التي يعبر بها اي اكثرها ادبا وتوقيرا ما امكنه اي بقدر امكانه
في بذل جهده وقدرته واجتنب اي ترك في جانبه بشيع ذلك بباء موحدة
وشين معجمة اي ما فيه بشاعة وقباحة تمجه السمع وهجر اي ترك من العبارة
ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية فلا يتكلم بمثلها ولو حكاية صونا
لمقامه المصون ثم وضح هذا او بينه بقوله فاذا تكلم في الاقوال اي فيما يتعلق
باقواله صلى الله عليه وسلم اي فيما يتعلق باقواله صلى الله عليه وسلم قال هل يجوز
عليه صلى الله عليه وسلم الخلف في القول والاخبار بكسر الهمزة مصدر اخبر
بخلاف ما وقع سهوا او غلطا سبق به لسانه ونحوه من العبارات من غير

نعهد وقصد فانه لا يؤاخذ به وتقدم ان الخلف المخالفة في الوعد قال تعالى ما اخلفنا موعدك بملكنا والمراد به تخلف القول مطلقا لا يقول هل يجوز عليه الكذب بل ويجتنب لفظ الكذب جملة واحدة اى بجميع الفاظه من مصدر وفعل واسم فاعل كذا وتركا وتركيب واذا تكلم على العلم وما يتعلق به في وصفه به نفيا واثباتا قال في حقه صلى الله عليه وسلم هل يجوز عليه ان لا يعلم الا ما علم بالتشديد وربما المجهول اى ما علمه الله عز وجل وهل يمكن ان لا يكون عنده اى في نفسه وعلمه كقوله اولئك عند الله هم الكاذبون علم ببعض الاشياء التي يمكن علمها حتى يوحى اليه بها ولا يقول في التعبير عن هذا بجهل وان كان الجهل عدم العلم لقبح هذا اللفظ وبشاعته اى استهجانه في السمع قال الباقلاني يجوز عنده كون النبي غير عالم ببعض شرائع من قبله وببعض المسائل التي يفرعها الفقهاء والمتكلمون اذا لم يخل بمعرفة التوحيد وكونه غير عالم بلغات غير قومه وببعض امور الدنيا كالحرف والصنائع وتبعه ابن الهمام بما لم يخطر ببالهم فان خطرت ببالهم فلا بد من علمهم ولواجبها دائبا على ان لهم الاجتهاد وانهم لا يقرون على خطائه فتامل واذا تكلم في امر الافعال اى افعاله صلى الله عليه وسلم قال هل يجوز منه في بعض الاوامر الخلف عدم التي امره الله بها والنواهي التي نهاه الله عنها وموافقته اى وقوع بعض الصغائر منه فهو اولى واحسن بالمراد الكثر ادبا من قوله هل يجوز ان يعصي او يذنب او يفعل كذا وكذا كناية تادبا عما يكون من انواع المعاصي فهذا اى ترك الالفاظ القبيحة والتعبير بغيرها من توقيره صلى الله عليه وسلم وتعظيمه وما يجب له من تعزير بزاى معجمة وراء مهملة اى تعظيم في نفسه واعظام عند غيره زاده الله شرفا ابن اقبرس وتعظيما وفي قوله من توقيره اشارة الى ان كل تعظيم لا يمكن ان يحيط به العبارة وقيل وليته اتى به في تسمية كتابه فقال الشفا في بعض حقوق المصطفى وفيه نظر وقد رايت بعض العلماء لم يتحفظ من هذا اى لم يتركه فقبح بالتشديد ويجوز تخفيفه ولم استصوب عبارته فيه مما يتحفظ منه اى لم اعده صوابا ورايت بعض الجائرين بالجيم اى المائلين عن الانصاف وجوز بعضهم الحاء المهملة من الحيرة قوله يتشدد بالواو من التقول وهو تكلف القول والافتراء عليه لاجل ترك التحفظ في العبارة بانيا بعبارة قبيحة ما لم يقله مقصد يقوله له قوله من معناه اى في الاول لم يقله وشنع ذلك البعض عليه اى على من لم يتحفظ بما باه اى بمنعه في حقه صلى الله عليه وسلم وكفر قائله اى بنسبه للكفر جورا منه عليه واذا كان مثل هذا من رعايته الادب جاريا بين الناس في محاوراتهم ومصاحبتهم مستعملا في ادابهم في مخاطباتهم ومكاتباتهم وحسن معاشرتهم اى اختلاط بعضهم ببعض كالعشائر وخطابهم الجاري بينهم فاستعماله في حقه صلى الله عليه وسلم اوجب اى احق واولى وحمله دبكى بعضهم على ظاهره فقال انه فرض ثم ذكر هنا الخلاف بين الشافعية والحنفية في الفرق بين الفرض والواجب والقول بترادفهما وليس هذا محله وما ذكره

ينافي

ينافي ظاهر كلام المصنف في عده من الاداب والتزامه اكد بالمد افعل تفضيل من التوكيد او التاكيد بابدال همزته الفا فجودة العبارة بفتح الجيم مصدر جاد الشيء فهو جيد كانه لم يرحرشا من حسنه الا ابداه تقبح الشيء اى تجعل الحسن قبيحا بحسن العبارة او تحسنه اى تجعله حسنا وان اتحد معناها وهذا ما ذكره اهل المعاني والبلاغة كما قيل في العسل

تقول هذا مجاج الشهد تمدحه ۞ وان تعبه قلت ذا قيء الزنابير

وتسميه اهل المنطق المعاني الشعرية والشعر عندهم الامر المبني على التخييل نحو الخمر جوهرة مذابة كما بينه ابن هلال في كتاب الصناعتين وتحريرها اى جعل العبارة محررة منقحة وتهذيبها اى تخليصها مما لا يحسن فيه يعظم الامر اى يصيره عظيما وان كان هينا او يهونه اى يجعله هينا وان كان عظيما في نفسه كمدح الموت او القتل الواقع في كلام شجعان العرب وكم حمل على الالقاء في المهلكة ومدح المال الحسن للشح به والثعالبي والجاحظ كتاب في مدح كل شيء وذمه وهو معروف بين اهل الادب ولهذا اى لاجل ان جودة العبارة تحسن القبيح وتقبح الحسن قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح ان من البيان لسحرا البيان بمعنى الفصاحة واللسن ممن له ذكاء وفطنة وقيل هو الكلام المفصح القريب الى الافهام المبين له احسن تبيين واقربه والسحر كما قال الراغب يطلق على معان احدها خداع وتخيلات لا حقيقة لها كالشعوذة قال تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى ومنه ما يكون بمعاونة الشيطان وما قيل من انه يغير الصور والطبائع لا اصل له وقيل انه ثابت واما في الحديث فهو استعارة اى كالسحر في الدقة وصرف العقول والاسماع ولذا قيل فيه انه هنا يحتمل المدح والذم فقال ابن قرقول انه اورده مورد الذم لتشبيهه بعمل السحر في قلب القلوب وجلب الافئدة وتحسين القبيح وتقبيح الحسن واصله في كلام العرب الصرف يقال سحره اذا صرفه وصيره كمن سحر له ويشهد له قوله في الحديث لعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض فيقلب به من الاثم ما يكسبه الساحر بعمله فهو ذم وقيل انه ورد مورد المدح اى يميل به القلوب ويرضى به الساخط ويستنزل به الصعب ولذا قيل له السحر الحلال ويشهد له قوله ان من الشعر لحكمة وقد ادخل مالك الحديث في باب ما يكره من الكلام والظاهر انه في الحديث محتمل للامرين وبه يحسن سياق المصنف ويقع في محزه واعلم ان ما ذكره المصنف يعظم من ابواب البلاغة وهو ان الكلام المتحد المعنى يختلف باختلاف العبارة كما حكي عن الرشيد انه راى في منامه ان اسنانه كلها وقعت وتعبيره ذهاب الاعوان والانصار فطلب معبرا يعبر رؤياه فاتى له برجل عابر فقال يموت اولادك واحبابك وترى مصيبتهم فامر بقلع اسنانه كلها ثم اتى باخر فقال عمرك اطول من عمر اهلك وحواشيك واحبابك فامر ان يحشى فوه درا وله نظائر كثيرة في كتب البلاغة ولكل لفظ موقع

لا يمتنع فيه مرادفه كما بينه الثعالبي في كتاب فقه اللغة. فاما ما اورده اي المتكلم في
حقه صلى الله عليه وسلم مما لا يجوز عليه على جهة النفي عنه اي ان يكون منفيا عنه والتنزيه
له بنفيه عنه فلا حرج اي لا ضرر ولا تضييق فيه مع نفيه في تسريح العبارة اي
اطلاقها من غير احتراز وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة اي في
جميع احواله واتي اله نذكو الكذب مع النفي لا منع فيه ولا اتيان الكبائر بوجه من
وجوهها فذكر الكبائر مع النفي لا بنا في الادب ولا يصدر عنه الجور في الحكم على حال
من الاحوال كالرضى والغضب ولكن مع هذا اي تجويز مثله في النفي يجب ظهور
توقيره وتعظيمه وتعزيره عند ذكر مثل هذا الكلام في النفي وقد وجب توقيره
مع ذكره مجردا من صفات لا يليق به فكيف بهذا فيلزم الطريق الاولى وقد كان السلف
يظهر منهم حالات شديدة عند مجرد ذكره صلى الله عليه وسلم من بكا ورعدة لمها بينه
وتغير لون وتواجد كما قدمناه في القسم الثاني وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك التوقير
والتعظيم عند تلاوة آي اي بالمد جمع اية من القرآن حكى الله فيها مقال عداه الضمير لله
تعالى فهو نظير لا تمثيل ويحتمل عوده للنبي صلى الله عليه وسلم اي ما ذكر فيه اعداء رسول
الله صلى الله عليه وسلم ودونا بعد فهو تمثيل لما نحن بصدده وذكر من كفر بآياته اي آيات
الله عز وجل او معجزات رسله فانظير لها ايضا وافترى عليه الكذب اي اخترعه واختلقه
فكان يخفض بها صوته في الآيات التي حكى فيها ذلك كانه خائف من اظهاره اعظاما لربه
واجلالا له بتوقيره واشفاقا اي خوفا على نفسه وحذرا من التشبيه بمن كفر به في
اجراما ذكر على لسانه ونلبسه بما تلبسوا به وفي نسخة سبحانه لا اله الا هو العلي العظيم
المتعالي عما يقوله الجاحدون علوا كبيرا وخفض الصوت المذكور يحكى عن ابراهيم النخعي
رحمه الله كما في التبيان وما قيل من ان سلب المحب يقتضي قابلية وانه من شانه مما لا
ينبغي ذكره كما لا يخفى

الباب الثاني من هذا القسم الرابع

في حكم سابه شرعا وشانيه اي مبغضه والمراد من يعيبه ببغضه وعداوته له ومنتقصه
اي ذاكر ما فيه تنقيصه صلى الله عليه وسلم ومؤذيه وفي ذكر عقوبته التي يستحقها وذكر
استتابته اي هل تقبل توبته ام لا ووراثته اي هل تورث اموال الدام لا قال القاضي
ابو الفضل عياض المؤلف رضي الله عنه قد قدمنا في هذا الكتاب ما هو سب واذى
في حقه صلى الله عليه وسلم وذكرنا فيما تقدم ايضا اجماع العلماء على قتل فاعل ذلك
المذكور من السب والاذية وتقدم ايضا الكلام على هذا الاجماع وقائله اي من
يقوله ويتكلم به وتخيير الامام في قتله بالسيف او صلبه تشهيرا له بين الناس
على منوال ما ذكرناه مفصلا وقررنا اي ذكرنا الحجج اي الادلة من الكتاب والسنة
الثابتة عليه وبعد مبني على الضم اي بعد ما ذكرناه فاعلم ايها المخاطب بما ذكرناه
من كل من يقف عليه ان المشهور من مذهب الامام مالك واصحابه من اهل مذهبه
وقول السلف من الصحابة والتابعين وجمهور العلماء اي اكثرهم قتله جزاء ومعـ
وما بعدها سادة مسد مفعولي اعلم حدا لانه حد قذف مخصوص بالانبيا كما تقدم

لا كفرا اي لا يقتل بسبب كفره لانه ردة ان اظهر التوبة منه اي مما قاله لانه ان
اصر عليه يكون كافرا ولهذا اي لكون قتله حدا لا تقبل توبته عندهم لان الحدود
لا تسقطها التوبة وانما تنفعه توبته في ان الآخرة اخلص فيها ولم تكن تقية ولا تنفعه
استقالته اي طلبه الاقالة من ذنبه وما قاله وهي في معنى التوبة ولا فيئته بالفا
والهمزة المفتوحتين والتاء مبنيا اي رجوعه عما صدر منه كما قدمناه قبل اي قبل
هذا وحكمه شرعا حكم الزنديق ومسر الكفر وهو مظهر الاسلام ومسر الكفر اي مبطنه ومخفيه
في سره وباطنه في هذا القول الذي قاله من السب وقيل المراد به القول المشهور عن
مالك واصحابه ومن وافقهم عليه وغيرهم يقولون تقبل توبته ولا يقتل وسوا كانت
توبته على هذا القول المشهور عن مالك تقبله حدا بعد القدرة عليه باخذه من
جانب الحاكم والشهادة عنده على ثبوت قوله الذي استحق به القتل او جاء تائبا من
قبل نفسه من دون اخذه له وقبل بكسر القاف وفتح البا الموحدة بمعنى جهة لانه حد
وجب عليه شرعا بسبب قذفه والحد لا تسقطه التوبة كسائر الحدود مثل
حد الزنا والسرقة وكون الحدود لا تسقطها التوبة ليس على اطلاقه متفق عليه وانما
هو فيما اذا كان محض حق الآدمي اما ما هو حق لله ففيه خلاف وسيأتي تفصيل هذا
الحكم ان شاء الله تعالى وقال الشيخ ابو الحسن القابسي الذي قدمنا ترجمته اذا اقر
بالسب له صلى الله عليه وسلم او لغيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام وتاب منه برجوعه
عنه وندمه واظهر التوبة وقبلت منه قتل بالسب اي بسببه صلى الله عليه وسلم لا بالكفر
اذ هو حده اي حد هذا السب المخصوص بالانبيا وقال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد
رحمه الله القيرواني المالكي شيخ المذهب كما تقدم في ترجمته مثله اي مثل قول
القابسي واما ما بينه وبين الله تعالى فيما الآخرة اذا اخلص في توبته فتوبته تنفعه
عند الله تنفعه فانه يقبل التوبة من عباده وقال ابن سحنون تقدم بيانه
ايضا من شتم النبي صلى الله عليه وسلم بذكر ما فيه نقص لمقامه الشريف من الموحدين
المراد بهم المسلمين فيخرج اهل الكتاب ثم تاب عن ذلك ورجع عنه لم تزل بضم اوله
مضارع ازال التوبة عنه اي عن فاعله القتل لانه حده كما تقدم وكذلك اي كما
اختلف فيمن سب قد اختلف في الزنديق اذا جاء تائبا من نفسه قبل الاخذ فحكى
القاضي ابو الحسن بن القصار تقدمت ترجمته في ذلك الذي جاء تائبا قولين في
مذهب مالك قال ابن القصار من شيوخنا وفي نسخة منهم اي من اصحاب مالك
من قال اقتله وجوبا باقراره بسببها وبانه زنديق لانه قبل اقراره يقدر على ستر
نفسه باخفا حاله ومقاله فلما اعترف خفنا انه خشي الظهور عليه بالاطلاع على حاله
فبادر اي اسرع قبل اخذه لذلك الاعتراف تقية لا رجوعا وندما على ما صدر منه
ومنهم اي من شيوخنا من ائمة المالكية من قال اقبل توبته لاني استدل حكاية للفظ
هؤلاء على صحتها اي توبته بمجيئه بنفسه من غير طلب فكانا وقفنا بظاهر حاله على
باطنه وما اسره في قلبه بخلاف من اسرته البينة اي شهدت عليه والزمته حتى كانه

استبرئته في وثاق قال القاضي أبو الفضل عياض المؤلف رحمه الله وهذا القول الثاني قول أصبغ من المالكية ومسئلة ساب النبي صلى الله عليه وسلم أقوى في حكم القتل من مسئلة الزنديق لانه حق الله وهذا ترجيح منه للقول الثاني لتسويته الاول بينهما لا يتصور فيها الخلاف الذي في الزنديق على الاصل والقاعدة الفقهية من المشاححة في حقوق الادمي المتقدم بيانه لانه اي سب النبي صلى الله عليه وسلم حق متعلق للنبي صلى الله عليه وسلم وحق لامته بسببه لانهم كورثته في ارث حقوقه لا تسقط التوبة كسائر حقوق الادميين التي لا تسقط الا برضى الخصم والزنديق حكمه اذا تاب بعد القدرة عليه باخذه بعد العلم بانه زنديق فعند مالك والليث ابن سعد واسحق ابن راهويه واحمد ابن حنبل لا تقبل توبته ولا يسقطها قتله وعند الشافعي تقبل توبته وما نقله المص عن الشافعي هو الصحيح من اقوال حسنة مفصلة في كتب الفقه واختلف اي اختلف النقل فيه عن ابي حنيفة وابي يوسف من اصحابه وتوجيه مشهورة لا حاجة للتطويل بها وحكى ابو بكر ابن المنذر الامام الحافظ المشهور كما تقدم عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انه اي الزنديق يستتاب اي تقبل توبته ان تاب بعد القدرة عليه والا قتل وقال محمد بن سحنون ولم يزل بفتح اوله وضم ثانيه مبنيا للفاعل مضارع من الزوال الدائم يذهب ويسقط القتل عن المسلم الذي سب النبي صلى الله عليه وسلم بالتوبة والرجوع عن سبه بعد صدوره منه لانه لم ينتقل من دين هو حق الى غيره هو دين باطل فليس مرتدا وانما هو على دين الاسلام لكنه صدر عنه ما يوجب الحد عليه وانما فعل شيئا وهو السب الموجب للحد وحده عندنا القتل والحدود لا تسقطها التوبة كما تقدم لا عفو فيه لاحد لان حدود الله لا يباح فيها فهو من هذا الوجه كالزنديق المظهر للاسلام لانه اي الزنديق لم ينتقل من ظاهر في الخفية الى ظاهر في الباطنية غيره لبقاء ظاهر اسلامه على حاله قيل في تعليله هذا نظر لانه ان اراد انه لم ينتقل لدين نبي اخر كموسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام يرد عليه انه لو صار مشركا تقبل توبته وظاهره ان من لم ينتقل لدين لا تقبل توبته وفيه نظر وحكم الزنديق مفصل في الفروع والمص لم يفصل في الساب بين القذف وغيره والشافعية لهم فيه تفصيل وفرق بينهما الا ان المص نقل ما في مذهبه وهو ثقة فيه لا يعترض عليه بمذهب غيره وسيفصله في اخر هذا الباب بما يشفي الصدور وقال القاضي ابو محمد بن نصر تقدم بيانه محتجا لسقوط اعتبار توبته اي توبة من سب النبي صلى الله عليه وسلم والفرق بينه وبين من سب الله تعالى فانه تقبل توبته وكان الظاهر خلافه لانه اشد والله تعالى اجل واعظم وقد ذهب الاكثر الى قبول توبة من سبه على مشهور القول باستتابته وقبول توبته والفرق على هذا ان النبي صلى الله عليه وسلم بشر والبشر جنس من شانه في الجملة ان يلحقه المعرة وهي النقيصة التي يلحق بها عار قال في المصباح المعرة المساءة والاثم من عره اذا لطخه بالشر يعره من باب قتل كلطخه او هو من العر بمعنى الجرب فاستعير لما ذكر فهذا يجوز ان يلحق

بعض البشر الا من اكرمه الله بنبوته ذاته وان كان من البشر لكن الله عصمه وحفظه عن ان تلحقه معرة ونقص كغيره من البشر والباري بمعنى الخالق وهو الله تعالى منزه ومبرا عن جميع المعايب قطعا اي بدليل عقلي لا يتردد فيه عاقل وليس من جنس اي ليس له جنس يكون منه لانه واحد احد في ذاته وصفاته ليس كمثله شيء ولا ماهية له ولا يجد فلا يكون من جنس تلحق المعرة جنسه بلحوقه لبعض افراده المعرة فيتوهم نسبة نقص له فكونه معلوم الانتفاء لم ينظر اليه وجاز قبول توبة من سبه بخلاف البشر

ابن الفيروز

وليس هذا لكون سب الله اهون من سب غيره وهو منافي لقوله في نسبة الولد له تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض كما توهم بل لانه لظهور بعده سبحانه وتنزهه لا يلحقه بكلام بعض من لا عقل له نقص ولو عند العقول القاصرة فلا يبالى بمثله وهو ضرب من الهذيان وبعد امكان توقيفها قرره الفقهاء ناشئ من عدم الاذعان وهو ان هذا احق الله اكرم الاكرمين رحمه الله تقبل العفو وليس سبه صلى الله عليه وسلم كالارتداد المقبول فيه التوبة وسبه لا تقبل فيه التوبة على قول كما تقدم لان الارتداد لخروجه عن دينه معنى ينفرد به المرتد اي يختص به في نفسه لا حق فيه لغيره من الادميين يتوقف قبوله على رضاه فقبلت توبته اي المرتد لهذا ومن سب النبي صلى الله عليه وسلم تعلق فيه اي بسبب سبه حق لادمي وهو النبي صلى الله عليه وسلم فكان من سب النبي صلى الله عليه وسلم كالمرتد يقتل بينا الفاعل اي يقتل المرتد رجلا اخر حين ارتداده وفي نسخة حال ارتداده فحينئذ يتعين قتله لحق الادمي الذي قتله قصاصا او يقذف اي المرتد الذي يقذف حال ردته فلا بد من اقامة الحد عليه لتعلق حق الادمي به حينئذ فان توبته اي توبة المرتد الذي قتل او قذف حين ردته لا تسقط توبته عنه حد القتل والقذف لانه حق ادمي غيره وهذا هو الاصح في المرتد انه لا بد من استتابته والكلام عليه مفصل في الفروع وفيه خلاف لبعضهم وايضا مما يدل على الفرق بين المرتد والساب فان توبة المرتد اذا قبلت واسقطت قتله من حيث هو مرتد لا تسقط توبته ذنوبه من غير الردة من زنا او سرقة او غيرها من حقوق الادميين وانما تثبت اسلامه ولم تقتل ساب النبي صلى الله عليه وسلم لكفره فيكون ردة كما قيل لكن لمعنى يرجع ويعود الى تعظيم حرمته وحفظ مقامه باحترامه وتوقيره ويرجع الى زوال المعرة والنقص اللاحق به وذلك لا تسقطه التوبة لانه متعلق بعرضه فهو حق له كحقوق الادميين وهذا هو القول الصحيح عند ابي حنيفة والشافعي وغيرهما وفي قول انها تسقط ايضا لقوله في الزنا فان تابا واصلحا فاعرضوا عنهما وفي السرقة فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه ولا خلاف في سقوطها فيما بينه وبين الله بعدم مؤاخذته بها وعليه يحمل ما ذكر وقال النووي في الروضة سقوط الحدود بالتوبة قول ضعيف قال القاضي ابو الفضل عياض المص رحمه الله تقييد الما تقدم من ان سبه صلى الله عليه وسلم ليس بكفر بل يريد والله اعلم لان سبه صلى الله عليه وسلم لم يكن بكلمة تقتضي الكفر كانكار نبوته ونحوه فهذا

ليس محل الخلاف وعليه يحمل ما ورد من الحكم بكفره واما قوله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن
احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه فمعناه لا يكمل اسلامه كغيره من النصوص فمن
توهم منافاته لما ذكره المص فقد قصر فان للسب له مراتب تختلف بها احكامه ولكن
المراد بالسب المذكور ما يكون بمعنى الازدرا والاستخفاف اي يذكر فيه تنقيص
لمقداره وازدرا غير مقيد بنية او لان من صدر عنه ذلك القول بانه كفر بتوبته
ورجوعه عما قاله وانابته اي رجوعه عما قاله الى الحق ارتفع عنه اسم الكفر كالمرتد
اذ الاسم لا يبقى كافرا ظاهرا ونحن انما نحكم بالظاهر والله تعالى اعلم بسريرته
فان الله عز وجل هو العالم بالسرائر وبقي حكم السب عليه لم يرتفع فيقتل حدا لتواصر
فهو كافر وفي قوله ازدرا واستخفاف نظر لان الازدرا به صلى الله عليه وسلم والاستخفاف
به كفر بل من اعظم الكفر فاستدراكه ليس في محله ثم انه قيل انه اذا كان حدا كيف
يترك والحدود لا يتسامح فيها كما تقدم وقد ترك النبي صلى الله عليه وسلم قتل بعض
من سبه واذاه الا ان يقال انه من خصائصه جواز تركه اذا كان له فيه حق الا ان
هذا يعود على الدليل بالنقض فلا يتم الجواب به ولا يلزم منه ان يكون مقتولا بالكفر
الباطن وهو لا يحكم به كما قيل وقال ابو عمران القابسي وفي نسخة القاسي وقد
تقدم بيانه من سب النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد عن الاسلام باظهاره وخروجه منه
قتل ولم يستتب اي لم نطلب توبته ولم تقبل لان السب من حقوق الادميين التي
لا تسقط عن المرتد وان تاب لكن توبته ان اظهرها واخلص فيها تنفعه في الاخرة
وكلام شيوخنا المالكية هولاء المنقول عنهم انفا وغيرهم مبني على القول بقتله اي
الساب حدا اي قذف الانبيا لا كفرا بردته الى ان مجرد هذا لا يكفي في تحقيق ما قالوه
وهو يحتاج الى تفصيل اكثر مما قالوه وهذا مبني على عدم كفره والفرق بين القتل
حدا وكفرا وكلاهما مشكل وقال السبكي في السيف المسلول ان قتل المرتد عقوبة خاصة
رتبها الشرع على خصوص الردة كالرجم على الزنا فقتل المرتد حد وسقوطه بالتوبة
لا ينافيه فان الرجم حد بالاتفاق مع الاختلاف في سقوطه بالتوبة ومن ظن انه من
سماه حدا لا يسقطه بالاسلام فقد غلط لان الساب المسلم مرتد والكلام فيه
كالكلام في المرتد وان قتل بقتله حدا انتهى وبه يعلم ما في كلام المص في هذا الفصل
وانه فرق بين الحد وقتل الكفر وهو غير مسلم ايضا واما استشكاله بانه كيف يكون
حدا مع انه صلى الله عليه وسلم ترك قتل بعض الناس ممن سبه والحدود لا يمكن تركها
فغير مسلم على اطلاقه فان منها لا يعفى عنه منها ما هو حق الغير واما حق نفسه صلى الله
عليه وسلم فليس كذلك كما مر واما علي وابن الوليد بن مسلم الذي قدمنا ترجمته
عن مالك ومن وافقه على ذلك صبروا انه لمالك او للوليد ممن ذكرناه فيما تقدم
وقال به من اهل العلم فقد صرحوا انه اي سب الرسول صلى الله عليه وسلم ردة
وكفر قالوا ويستتاب منها فتقبل توبته كغيره ممن ارتد فان تاب نكل بينا
المجهول مشددا اي عوقب بتعزيره وضربه ونحوه وان ابى التوبة فلم يتب قتل

ابن فرحون

فحكمه

فحكمه حكم المرتد مطلقا اي باي وجه كانت الردة فحكمها ما ذكر في هذا الوجه
على هذا القول الذي رواه الوليد عن مالك والوجه الاول من انه يقتل حدا
لا كفرا اشهر واظهر لما قدمناه في توجيهه ونحن نبسط الكلام اي نفصله
ونوضحه فيه اي في سبه صلى الله عليه وسلم فنقول من لم يره اي من لم يعتقد ويذهب
الى انه ردة وكفر فهو يوجب القتل فيه حدا لا كفرا وانما نقول ذلك مع فصلين
اي في وجهين وصورتين مخصوصتين نفصله ونميزه عن غيره اما مع انكاره بما
شهد به عليه من سبه صلى الله عليه وسلم ولاجل انكاره لم يحكم بكفره لكن لما ثبت
البينة العادلة عليه او مع اظهاره الاقلاع انفعال من القلع وهو النزع اريد به
الترك بالكلية والرجوع عنه والتوبة عنه ماو عطف تفسير فنقتله حدا كما تقدم
لثبات كلمة الكفر عليه بشهادة امضاها الحاكم عليه في حق النبي صلى الله عليه وسلم
بسبه له فيحد حد قاذف الانبيا وهو القتل وتحقيره ما عظم الله من حقه الذي
اوجبه على عباده واجوبا حكمه اي حكم الساب المنكر في ميراثه فورثه ورثته منه
لظاهر اسلامه وغير ذلك من حقوق المسلمين حكم الزنديق اذا ظهر عليه وانكر او
تاب ثم استشعر سؤالا بانه لا يحكم بكفره بعد ثبوت تكلمه بكلمة الكفر واجاب عنه بقوله
فان قيل كيف تثبتون عليه الكفر ويشهد بالبنا للمفعول اي يشهد الشهود وفي
نسخة ويشهدون عليه بما قاله من تلفظه بكلمة الكفر في سبه للنبي صلى الله عليه
وسلم ولا يحكمون عليه بحكمه اي بحكم الكافر المرتد من الاستتابة وتوابعها من ترك
قتله اذا تاب ونحوه قلنا في الجواب عن هذا السوال نحن وان اثبتنا له حكم الكافر
في القتل اي في قتله كالمرتد فلا نقطع اي نجزم بالحكم عليه بذلك اي بكفره
لاقراره بالتوحيد واثباته بكلمته واقراره بالنبوة اي بان محمدا نبي الله ورسوله
صلى الله عليه وسلم وانكاره ما شهد به عليه من السب والتحقير او زعمه بتثليث
اوله اي ادعا به ان ذلك الذي صدر منه كان منه وهلا اي خطا وذهولا منه
وهو بتحتيتين من وهل الى الشي يهل بالكسر كيعد اذا ذهب وهمه اليه او من وهل
بالكسر يوهل اذا غلط ونسيها ومعصية اي زعمه انه معصية لما سبق اليه وهمه
من غير تعمد منه وانه مقلع عن ذلك اي راجع عنه نادم عليه اي على ما صدر عنه
واجاب عن سوال تقديره وكيف يثبت له احكام الكفر مع اسلامه بقوله ولا يمتنع
شرعا اثبات بعض احكام الكفر كالقتل على بعض الاشخاص وان لم تثبت له
خصائصه اي ما يختص بالكفر في ميراثه وغيره كقتل تارك الصلاة عند القائل
به كالشافعي رضي الله عنه وهذا اذا تركها كسلا ونحوه لا لجحدها فانه كفر بالاتفاق
وعلى ما تقرر من مذهب الشافعي قال السبكي في طبقاته للمزني فيه اشكال صعب فان
هذا لا يتصور لانه اما ان يكون على ترك صلاة مضت او لم تات والاول باطل لان
المقضية لا يقتل تاركها والثاني كذلك لان له التاخير ما لم يخرج الوقت فعلام يقتل
وقد اجيب عنه بوجوه الاول انه وارد في التعزير والضرب فالجواب الجواب وهو

حد في الثاني انه على المعصية لانه تركها بلا عذر ورد بان القضا لا يجب على الفور بان
الثاني لا يقتل بالمعصية مطلقا ومذهب اصحابه انه لا يقتل بالامتناع عن القضا
الثالث انه يقتل بالمؤداة في اخر وقتها ويلزمه ان المبادرة الى القتل لتارك الصلاة
احق منها الى المرتد اذ يستتاب وهذا لا يستتاب ولا يمهل اذ لو امهل صارت
مقضية وتدبر ما فيه انتهى اقول قد يقال مراده من اعتقاد ذلك بقطع النظر عن
كونها ادا او قضا لما فيه من تركها ونبذها وهو عماد الاسلام والمفترض فرضها في صلاة واحدة
معينة فتدبر واما من علم انه سبه صلى الله عليه وسلم معتقدا استحلاله اي وهو يعتقد
ان سبه يحل له مع حرمته اجماعا فلا يشك في كفره بذلك اي باعتقاده حل ما حرمه
الله وما ذكره من ان سبه انما يكون كفرا اذا استحله صحح بعضهم خلافه وقال الصحيح
انه يكفر مطلقا وهو الظاهر وكذلك لا يشك في كفره ان كان سبه كفرا اي ما سبه به فان
انواع السب متفاوتة كتكذيبه اي ادعا كذبه فيما بلغه عن ربه وتكفيره اي قوله انه
صدر منه كفر ونحوه فانه متضمن لعدم الايمان به صلى الله عليه وسلم وهو عين الكفر
فهذا مما لا اشكال فيه اي في الحكم بكفره لما عرفته ويقتل ان لم يتب بل وان تاب
منه لكن قتله مع عدم توبته لردته به لانا لا نقبل توبته فهو لا يدفع عنه القتل
ونقتله بعد التوبة حدا لا لكفر الرجوع عنه وانما نقتله لقوله الذي صدر منه
ومتقدم كفره قبل توبته صيانة لمقام النبوة

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى ... حتى يراق على جوانبه الدم

وهذا احد المذهبين فيه عند الشافعي والاخر انه اذا قبلت توبته وانتقل عنه
لا يقتل وهذا حكمه في الدنيا وامره بعد اي بعد قبول توبته في الاخرة مفوض
الى الله المطلع على صحة اقلاعه واخلاص طويته في توبته العالم بسره وما اضمره
في قلبه من عقيدته وكذلك من سبه ولم يظهر التوبة واعترف بما شهد به
عليه وصمم اي بقي ثابتا ملازما لقوله عليه فهذا كافر بلا خلاف في كفره وقتله
بقوله الصادر عنه وباستحلاله هتك حرمة الله وحرمة نبيه صلى الله
عليه وسلم والحرمة ما يجب احترامه وتوقيره وهتكها تركها واظهار ما يخالفها
يقتل كافرا بلا خلاف في كفره وقتله فعلى هذه التفصيلات المذكورة خذ
كلام العلما اي اعلم واعتمد ما نقل عن علما الامة من اصحاب المذاهب على الاصح
عندهم فهو وما بعده امر بخا وذال معجمتين من الاخذ وقيل انه بحا مهملة ودال
مهملة مشددة اي اعتبر حدوده ونزل اي احمل مختلف عباراتهم المنقولة
عنهم في كتبهم في الاحتجاج عليها فعدم القتل ينزل على بعض الصور ووجوبه
ينزل على بعض اخر مما فصله واجر اختلافهم المنقول عنهم في الموارثة اي نفيه
احكامها وتطبيق بعضها على بعض كما تقع المناسبة بين نفيها وفي منعه والوراثة
وغيرها بحيث يقتضي الجمع لغيره على ترتيبها اي ترتيب التفصيلات المتقدمة
يتضح لك مقاصدهم نفيا واثباتا لتوفيق بينها ان شا الله تعالى فصل

اذا قلنا بالاستتابة لمن سب النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الانبيا حيث
تصح اي في محل حكم بصحتها فيه الفقها فالاختلاف فيها اي الاستتابة على الاختلاف
في توبة المرتد لاشتراكهما في الكفر بعد الاسلام اذ لا فرق بينهما عند مالك واصحابه
ولو قال استتابة المرتد كان احسن لانه اذا جا تائبا من نفسه لم يجر فيه هذا
الخلاف وقد اختلف في وجوبها وصورتها اي كيفية الاستتابة على اي وجه يكون
ومدتها التي يمهل فيها فذهب جمهور العلما اي اكثرهم الى ان المرتد يستتاب اي
يطلب منه التوبة عن ردته وحكى ابن القصار من ائمة المالكية وقد تقدمت
ترجمته انه اجماع من الصحابة في زمنهم رضي الله عنهم اجمعين ثم بين الاجماع بانهم
اتفقوا على تصويب قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الاستتابة حين حكم بها ولم
ينكره واحد منهم ولم يخالفه فيه احد وهو قول عثمان بن عفان رضي الله عنه وعلي
ابن ابي طالب كرم الله وجهه وابن مسعود من الصحابة رضوان الله عليهم ثم ذكر من
تابع الصحابة عليه من كبار التابعين ولذا غير اسلوبه فقال وبه قال اي افتى واعتمد
عطا بن ابي رباح كما تقدم وابراهيم النخعي بفتح الخا المعجمة وسكنها بعضهم تخفيفا وسفيان
الثوري ومالك واصحابه والاوزاعي نسبة للاوزاع قبيلة كما تقدم والشافعي
واحمد بن حنبل واسحاق بن ابراهيم بن راهويه واصحاب الراي قال النووي المراد
باصحاب الراي في عرف اهل خراسان من الشافعية ابو حنيفة واصحابه وهي عبارة غير
لائقة ان قصدوا بها انهم يتبعون اراهم ولا يتقيدون بنصوص الاحاديث فان اريد
به شدة ذكائهم في استنباط الاحكام كما قال المتنبي

الراي قبل شجاعة الشجعان ... هو اول وهي المحل الثاني

فلا باس به وذهب طاوس بن كيسان اليمني ومحمد بن حسن وعبيد بن عمير بن
قتادة بن سعد الليثي وهو ثقة اخرج له الستة وتوفي سنة اربع وسبعين ومائة
والحسن في احدى الروايتين عنه والاخرى موافقة الجمهور فيه الى انه لا يستتاب
فيقتل وقاله عبد العزيز بن ابي سلمة بفتحتين وهو المعروف بالماجشون كما
وهو امام معظم مشهور توفي سنة اربع وعشرين ومائة وليس هو عبد العزيز بن
ابي سلمة العمري وذكره عن معاذ بن جبل الانصاري الصحابي اي رواه عنه وانكره
سحنون عن معاذ اي انكر روايته عنه وحكاه الطحاوي عن ابي يوسف وهو قول
اهل الظاهر اي من مذهبهم الاخذ بظاهر الادلة وهو مذهب داود بن محمد
الظاهري ومن تبعه كابن حزم قالوا انه لم يستتب تنفعه توبته عند الله
في الاخرة لانه ليس بكافر ولكن توبته لا تدرا اي تدفع وترفع عنه القتل عند
الحاكمين بقتله حدا لقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن ابن
عباس من بدل دينه فاقتلوه وظاهره يقتضي المبادرة لقتله من غير استتابة
والقائل بخلافه يقول ان لم يتب لقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما
قد سلف الى غير ذلك من الادلة وحكى ايضا عن عطا ابن ابي رباح انه كان المرتد

والساب من ولد في الاسلام بان ولد مسلما وكان بين اظهر المسلمين لم يستتب
لانه غير معذور في مثله ويستتاب الاسلامي اي من ولد كافرا ثم طرا عليه الاسلام
لقيام شبهة عنده بما كان في طبعه من الكفر فيجدد ردته لذلك وجمهور العلما على ان
المرتد والمراة المرتدة في ذلك اي في القتل بالردة سوا لا فرق بينهما وروي
عن علي رضي الله عنه موقوفا عليه وهو مذهبه لا تقتل المرتدة وتسترق او تحبس
لما ورد في الحديث من النهي عن قتل النسا وقاله عطا وقتادة وروي عن
ابن عباس لا تقتل النسا في الردة اي بسببها ولاجلها وبه اي بهذا المذهب
قال ابو حنيفة وروي عن مالك ايضا القول به وفي نسخة وقال مالك رحمه
الله وقد علمت ان مذهب ابي حنيفة انها لا تقتل بل تحبس ودليله ما ورد في الحديث
من النهي عن قتل النسا وغيره حمله على الكافرة الاصلية لان قتل الكافر لدفع ضرره
ونكايته والمراة لا يخشى نكايتها وغيره يقول العلة الكفر والحر والعبد والذكر
والانثى في ذلك الحكم سوا فيقتلون جميعا واما مدتها اي مدة الاستتابة عند
القايلين بها فذهب الجمهور من العلما فيها وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
في تقدير المدة انه يستتاب ثلاثة ايام ويحبس فيها فان تاب اطلق والا قتل
وقد اختلف فيه اي في هذا المذهب المروي عن عمر في المدة المذكورة وهو
احد قولي الشافعي والقول الاخر انه يستتاب في الحال فان تاب والا قتل وهو
قول احمد ابن حنبل واسحاق بن راهويه ايضا واستحسنه الامام مالك بن انس
وقال مالك في وجه استحسانه لرجحانه عنده لا ياتي الاستظهار اي الاحتياط
بالتاخير والتثبت حتى يظهر الاولى الا بخير اي التاني وعدم العجلة خير في مثل
هذا وليس عليه اي على هذا القول بالتاخير والتاني جماعة الناس اي فالجمهور
على خلاف هذا القول قال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد من المالكية وقد قدمنا
ترجمته يريد في الاستينا اي التاخير وهو استفعال من التاني والانا واصله
من الان وهو الزمان كما قال تعالى الم يان للذين امنوا ثلاثا من الايام كما تقدم
وقال مالك ايضا الذي اخذ به اي اعمل به واتخذه مذهبا في حكم المرتد
قول عمر رضي الله عنه وهو انه يحبس ثلاثة ايام ويعرض عليه كل يوم التوبة
والرجوع ويوعظ وينصح فان تاب اطلق والا قتل وقال ابو الحسن بن
القصار من المالكية كما تقدم وفي تاخيره ثلاثا روايتان عن مالك هل ذلك
التاخير واجب على الحاكم فلا تجوز المبادرة لقتله او مستحب فيجوز قتله قبلها
واستحسن الاستتابة والاستينا بالمدة اي التاخير ثلاثا اهل الراي اي القياس
والمراد ابو حنيفة واصحابه كما هو دابه وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله
عنه انه استتاب امراة اي طلب توبة امراة ارتدت واسمها ام قرفة وهي من بني
فزارة فلم تتب فقتلها لانه لا فرق عنده بين الذكر والانثى وقاله الشافعي مرة
اي يستتاب مرة واحدة فقال انه لم يتب قتل مكانه اي في محله الذي عرض

عليه

عليه التوبة فيه واستحسنه المزني من ايمة الشافعية وهو القول الاصح في
مذهبهم وقال الامام ابو بكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهري يدعى الى الاسلام
ثلاث مرات في وقت واحد اي في يوم واحد ويحتمل انه في ثلاثة ايام وهو خلاف
الظاهر فان ابى التوبة قتل وروي عن علي انه يستتاب شهرين فان ابى قتل
وقال النخعي يستتاب ابدا المراد به زمنا طويلا وبه اخذ سفيان الثوري
الا انه قال بزيادة ما رجيت توبته فزاد فيه افسر به كلام النخعي بان المراد بالابد
ما دامت التوبة ترتجى منه وربما يكون كلام ابن وهب الاتي عن مالك مفسرا لهذا
وحكى ابن القصار عن ابي حنيفة انه يستتاب ثلاث مرات في ثلاثة ايام او
ثلاث جمع جمع جمعة في كل يوم او في كل جمعة مرة هذا اما تخيير من ابي حنيفة او
شك من ابن القصار رحمه الله وفي كتاب محمد المعروف بابن المواز من المالكية
عن ابن القاسم واسمه عبد الرحمن كما تقدم يدعى المرتد الى الاسلام ثلاث
مرات في ثلاثة ايام كما هو مذهب مالك فان ابى الرجوع ضربت عنقه بعد
دعوته واختلف على هذا اي باستتابته وتاخير قتله هل يهدد بزجره ووعيده
بالقتل ونحوه او يشدد عليه بتضييق حبسه ووضعه في الاغلال ونحوه في مدة
ايام الاستتابة ليتوب بسبب تهديده والتشديد عليه ام لا فيكتفي بحبسه فقال
مالك ما علمت ان في زمن الاستتابة تجويعا بعدم ايصال الطعام ولا تعطيشا
بترك سقيه الما ويوتى من الطعام بما لا يضره فلا يوتى بما هو شديد المرارة
او مستقذر لا يكرهه وقال اصبغ يخوف ايام الاستتابة بالقتل ليرجع ويعرض
عليه الاسلام فيقال له اسلم تسلم وفي كتاب ابي الحسن الطابثي بفتح الطا المهملة
والف بعدها با موحدة ثم ثا مثلثة وبا نسبة نسبة لطابث وهي قرية قريبة
من البصرة وهذا من جملة العلما المشهورين وفي نسخة ابي الحسن انه يوعظ في
تلك الايام التي امهل فيها ويذكر بالجنة ودخوله لها اذا تاب ويخوف بالنار وعذابها
اذا لم يتب ويرجع عما هو عليه وقال اصبغ واي المواضع حبس فيها من السجون
مع الناس المحبوسين فيها بسبب ما او حبس وحده في سجن مخصوص به اذا استوثق
منه وفي نسخة اذا اوثق اي حفظ حتى لا يفر اذ المقصود حفظه حتى يتبين حاله فكل
سجن في حقه سوا لحصول المراد به ويوقف مع ذلك ماله اي كل شيء يملكه يجعل
محفوظا بيد غيره ويجوز جعلها الموصولة وله جار ومجرور صلة لها خيفة
بالنصب مفعول له وفي نسخة اذا اخيف ان يتلفه على المسلمين اي لئلا يتلفه عليهم
وهذه علة لا يلزم اطرادها فلا وجه للاعتراض بانه يقتضي انه لا يوقف ان لم يخش
اتلافه لان وقفه لاجل انه فيء لردته ويطعم منه اي من ماله ويسقى اي ينفق عليه
مدة حبسه من ماله يعني ان ماله موقوف لم يزل ملكه عنه فانه ان اسلم تبين انه باق
على ملكه والا كان فيئا كغيره من اموال الكفرة فيوضع في بيت المال والكلام عليه
مفصل في كتب الفقه وكذلك اي مثل ما تقدم من المدة تفصيلا يستتاب

كلما رجع وارتد لردته ثم تاب اى اذا تكررت ردته ابدا ثم استدل بقوله وقد
استتاب النبي صلى الله عليه وسلم نبهان بفتح النون وسكون البا الموحدة وها
وهو فعلان من نبه وينبه وفى الصحابة ممن اسمه نبهان ثلاثة احدهم نبهان
التمار وكنيته ابو مقبل وسمي تمارا لان امراة جميلة باعته تمرا فقال فى بيتي اجود
منه فذهبت معه فضمها وقبلها فقالت له اتق الله فتركها ثم ندم واخبر بذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فيه والذين اذا فعلوا فاحشة الاية وقال
البرهان فى الصحابة ثلاثة اسم كل منهم نبهان لا اعلم الذى ارتد منهم اربع مرات
او خمسا اهو ابو مقبل التمار الذى روى عنه مقاتل وغيره او نبهان الذى ذكره
ابن شاهين وروى عنه ابنه والثالث نبهان الانصارى قال الذهبى ولعله احد
هذين وذكرا ليبحث من ارتد وان اسمه نبهان ولم يعينه ولم يذكر ابن الجوزى
من اسمه نبهان من الصحابة غير الاول وقال ابن وهب المصرى المالكى وقد تقدم
عن مالك يستتاب ابدا كلما رجع الى ردته وتكررت منه وهو قول الشافعى
واحمد بن حنبل وقاله ابن القاسم وقال اسحاق ابن راهويه يقتل فى الردة
الرابعة دون استتابة لانه علم بها عدم ثباته على الاسلام وقال اصحاب الراى
يعنى الحنفية ان لم يتب فى الردة الرابعة من نفسه من غير استتابة قتل دون
استتابة اى لا نطلب توبة منه ولا نعرضها عليه وان تاب بنفسه فى الرابعة ضرب
ضربا وجيعا شديدا مولما زجرا له على تكرر ردته ولم يخرج من السجن حتى يظهر
عليه خشوع التوبة بانكساره وندمه وتذلله وهذا لا ينافى قوله تعالى قل
للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف لانه فى حق الكافر الاصلى مع انه لا ينافى
مغفرة الله له اصلا قال ابو بكر محمد ابن المنذر الذى تقدمت ترجمته ولا
نعلم احدا ممن يعتد به من العلما اوجب على المرتد فى المرة الاولى من ردته
المنكورة ادبا اى تاديبا بضرب وسجن اذا رجع عنها بنفسه الى الاسلام وهو
مذهب مالك والشافعى وابو حنيفة الكوفى نسبة الى الكوفة فمذهبه معروفة
وفى تقييده بالاولى اشارة الى ان فى غيرها خلافا كالثالثة

فصل

قال القاضى ابو الفضل عياض المصنف رحمه الله هذا المذكور كله حكم من
ثبت عليه ذلك الذى قدمه من السب والردة بما يجب ويتحقق ثبوته شرعا
من اقرار واعتراف بما صدر منه او عدول اى شهادة شهود عدول لم يدفع
فيهم بينا المجهول اى لم يطعن بتهمة فى عدالتهم فاما من لم تتم الشهادة عليه
اى نصابها او لم تقبل انما شهد عليه الواحد فقط او اللفيف اى الجماعة والطائفة
الملتفة من الناس الذين لا تقبل شهادتهم وقيل المراد باللفيف اشخاص مختلفة
لهم عليه حمية وعصبية او اهل التزوير او ثبت قوله الصادر عنه لكن احتمل
معنى اخر لا يقتضى الكفر ولم يكن صريحا فى السب او الكفر وكذلك اى مثل
ما لم يتم من الشهادة ان تاب ورجع بنفسه على القول بقبول توبته كما تقدم

عرضی

نقتله

نقتله فهذا يدرا اى يدفع ويمنع عنه القتل ويتسلط اى يمضى عليه اجتهاد الامام
بقدر ما يقتضيه رايه من زجر وضرب ونحوه بقدر شهرة حاله قبل ذلك
بشهرة ديانته وحفظ لسانه ونحوه مما علم منه وقوة الشهادة عليه ككونهم
غير معروفين بالكذب والغفلة ونحوها وضعفها بكونهم على خلاف ذلك وكثرة
السماع عنه بكثرة ما عزى اليه وصورة حاله اى ظاهرها من التهمة فى الدين
اى كونه متهما فى دينه معروفا بالفسق والتهاون والنبز بفتح النون وسكون
البا الموحدة وزاى معجمة اى وصفه بين الناس وشهرة ذكره بالسفه اى الخفة
فى العقل والدين وكثرة لفظه بما لا ينبغى والمجون اى سخريته وهزله وعدم
مبالاته بما يتكلم به واصل النبز اللقب المذموم قال تعالى ولا تنابزوا بالالقاب
يقال نبزه ينبزه اذا دعى بغيره بلقب قبيح به هنا شهرة اتصافه به حتى كانه صار
علما له والسفه اصله لغة الخفة كما علم والمجون غلظ الوجه فاريد به ما مر ولا
يرد على هذا انه اذا لم يثبت انتفى حكمه فكيف يتسلط عليه حكم الحاكم لانه امر يرجع لاجتهاد
الحاكم صيانة لامر الدين فمن قوى امره بظهور ما نسب اليه بما يقتضى الكفر لكونه
معروفا بقلة دينه ولكثرة صدوره مما نسب اليه منه اذاقه اى فعل به الحاكم ما يقتضيه
حاله من شديد النكال اى العقوبة الشديدة المانعة له عما فعله والاذاقة
فى الطعام استعيرت لما لا الام كما تقرر عندهم من التضييق عليه بحبس فى
السجن ونحوه وهو بيان للنكال والشد اى الربط فى القيود الى الغاية والنهاية
التى هى منتهى طاقته اى ما يطيقه ولا يكلفه بشى مما اى من امور من انواع الشد
والتضييق بحيث لا يمنعه القيام لضرورته اى فعل اموره الضرورية التى لا
بد له منها فى وجوده ولا يقعده عن صلاته اى يعوقه عنها او عن ادا اركانها على
التمام فليس المقصود منه ما صح القيام بل المعوق عنها محالا او فيه ابهام وتورية بجواز ارادة
ان يصلى قاعدا لكنه غير مراد وهو اى النكال المذكور حكم كل من وجب عليه القتل
بوجه من الوجوه لكن وقف بينا المجهول اى توقف الحاكم عن قتله بعدم المبادرة
له لمعنى اى سبب عن وتصدى اوجبه اى التوقف فى قتله وتربص بينا المجهول
اى اخر وانتظر فى امره لاشكال اى لامر اوجب التردد فيه وعاق اى امر عاق
عنه اقتضاه اى انتفى التربص والتاخير امره اى حاله وشانه وحالات
الشدة عليه فى نكاله وعقابه تختلف شدة وضعفا بحسب اختلاف حاله
فى الظهور والقوة وعدمها وقد روى الوليد بن مسلم كما تقدم عن مالك
والاوزاعى انها اى مقالته غير الصريحة ردة فاذا تاب ورجع عنها نكل بينا
المجهول والتعزير اى عوقب ولمالك فى العتبية اسم كتاب كما تقدم وكتاب محمد
ابن المواز كما تقدم من رواية اشهب عن الامام مالك اذا تاب المرتد فلا عقوبة
عليه بقتل وغيره وقاله سحنون رحمه الله تعالى وافتى ابو عبد الله بن عتاب
من المالكية فيمن سب النبى صلى الله عليه وسلم فشهد عليه شاهدان بالذنب لكن

ابن ادريس

عدل احدهما دون الاخر ما لادب اى افتى بتاديبه فهو متعلق با فتى وما بينهما
اعتراض الموجع المولم و التنكيل بعقوبته و السجن الطويل زمانه حتى يظهر
عليه توبته اى علاماتها وقال القابسى مثل هذا الذى قاله ابن عتاب بعينه ومن
كان اقصى اى غاية امره فى الحكم عليه القتل فما فى عايق عن قتله كامر اشكل
صفة عايق فى القتل متعلق بها على التنازع وفى له لم يتبع لم يضبطه احد ممن تكلم
عليه هنا الا انه وقع فى النسخ بنون بعدها موحدة وعين مهملة وهو مكسر العين
مجزوم و اصله ينبغى وقيل انه بسكون العين صح لكنه بعيد من نبغ وهو اذا اسند
لمعنى العقلا كان بمعنى ظهر يقال نبغ الامر اذا ظهر فهو ظاهر هنا وان لم يوله استعماله
ويقال نبغ فلان اذا قال الشعر ويسمى النابغة ان يطلق من السجن اى لا يظهر
اطلاقه منه بل يبقى فيه مدة ولكن يستطال سجنه وفى نسخة ولا يستطال سجنه
وينبغى ان يعطف على يطلق اى لا يقتضى ان لا يستطال سجنه ليتفق معناهما ولو
كان فيه اى فى السجن من المدة الطويلة ما عسى ان يقيم فى السجن اى لو طال
جدا ويحمل عليه من القيد ما يطيق اى غاية ما يطيقه ولا يكلف فوق طاقته وتحمله
وكل هذا التعزير له براى الحاكم لتهمته وان لم يثبت عليه ذلك ومثله كثير فى الاحكام
الشرعية فلا وجه لانكاره والقول بانه لا يلزم من عدم ثبوت ما يوجب القتل ثبوت
ما يوجب التعزير لا يما على مذهب مالك فى سد الذرايع لا وجه له فالمدونة مشتملة والاطالة
فيه من ضيق العطن وقلة الفطن وتذكره وحسبه شيا منه نفرد به وقال القابسى
فى مثله من اشكل امره ولم يظهر حاله يشد فى القيود شدا وثيقا ويضيق عليه
فى السجن اى يضيق عليه بسجنه او يضيق سجنه حتى ينظر اى يعلم امره فيما يجب عليه
من تنكيل او قتل او اطلاق وقال القابسى فى مسئلة اخرى منها متشابهة
لها ولا تهراق الدما اى تصب من الاراقة والهاء مزيدة فيه وفيه كلام مفصل فى كتب
العربية واللغة ليس هذا محله الا بالامر الواضح الذى لا اشكال فيه لان الدما معصومة
شرعا حتى يظهر ما ينقضها وفى الادب اى التاديب بالضرب بالسوط والادب
بالسجن نكال للسفهاء رادع لهم عن التكلم بما لا يليق محقق عن اراقة الدما والجراة على الحدود
المدراة بالشبهات ويعاقب عقوبة شديدة تزدعهم عما جناه مثاله فاما ان لم يشهد
عليه سوى شاهدين لانحصار الشهادة فيهما فاثبت المشهود عليه من عداوتهما
اى اثبت ان بينه وبينهما عداوة تقتضى ان لا يقبل قولهما فى حقه والمراد بالعداوة العداوة
الظاهرة الدنيوية بحيث يسره ما يسوءه ويبغى له المكروه ويعلم انه لو قدر على ايصال
ضرر له لفعل كما بين فى كتب الفقه او جرحتهما اى بيان الجرح ما اسقطهما اى اسقط
شهادتهما وعدم قبولها لفسق وزور عرفا عند الناس فاسقط قبول شهادتهما عنه
ولم يسمع ذلك الامر الذى شهدا به من غيرهما ممن تقبل شهادتهما فامره اخف فى
المسامحة فى امره وترك قتله لسقوط الحكم عنه بعدم قبول الشهادة عليه شرعا
وكانه لم يشهد عليه شاهد اصلا لان الشاهد اذا اسقطت شهادته كالعدم الا

ابن اقبرس

المدونة

ان يكون المشهود عليه ممن يليق به ذلك الامر الذى نسبه الشهود اليه لانه
معروف بعدم الديانة والاستخفاف بالدين فيكون مظنة لما شهدوا به ويكون
الشاهدان عليه اللذان اثبت عداوتهما وجرحتهما من اهل التبريز من برز اذا فاق
اقرانه اى يكونان معروفين بالعدالة والصدق ولم يعهد لهما اهانة احد من
الناس ولو كان عدوا لهما فاسقطهما اى اسقط شهادتهما بالطعن بعداوة
معروفة بينهما قبل فهو اى المشهود عليه او الامر والشان وان لم ينفذ الحكم عليه
بموجب ما شهدا به من سب ونحوه مما يوجب القتل بشهادتهما لثبوت العداوة المانعة
لقبول الشهادة فلا يدفع الظن القوى بصدقهما فيما شهدا عليه لظهور
عدالتهما والجملة الجوابية فى قوله فلا يدفع لكونها منفية يجوز دخول الفا عليها وفى
قلبيته وقيل انها بتقدير مبتدا اى فهو لا يدفع الخ كقوله ومن عاد فينتقم الله منه وفيه
نظر وللحاكم هنا فى هذه المسالة الجارية على هذا المنوال فى تنكيله اى عقوبته بغير
القتل من التعزير والتاديب موضع اجتهاد والله ولى الارشاد فيعمل به ما يقتضيه
اجتهاده من غير ابطال للحكم بالكلية قيل انه شبه تنكيله بمكان رحب فاستعار له وفيه
نظر والتعزير ومراتبه مشهورة فى كتب الفروع فلا حاجة للاطالة بها هنا ولا غبار
على عبارة المص كما توهم فاعرفه ولما فرغ من بيان حال من سب النبى صلى الله عليه وسلم
من المسلمين شرع فى بيان حال غيره فقال فصل قال القاضى ابو الفضل
عياض المص رحمه الله هذا المذكور قبل حكم المسلم اذا سب الانبيا عليهم الصلاة والسلام
فاما الذمى اى الكافر الذى ليس حربيا والذمة هى الاحترام لان دمه وولده وماله
محترم لادايه الجزية اذا صرح بسبه صلى الله عليه وسلم او عرض اى قاله بطريق
التعريض والابهام بلا تصريح به او استخف اى اهان وحقر بقدره الرفيع العلى او
وصفه صلى الله عليه وسلم بامر غير الوجه الذى كفر به اى غير الذى كان كافرا بسببه
كانكار بعثته او عموم دعوته بان وصفه بشى مما مر فلا خلاف عندنا اى عند المالكية
فى قتله ان لم يسلم فان اسلم لا يقتل عند الامام مالك لان الاسلام يجب ما قبله لانا
معاشر المسلمين لم نعطه الذمة مراده بالذمة العهد الذى عقد عليه فى دار الاسلام
وضرب عليه صونا لدمه واهله وماله فالذمة اى احترام ما ذكر والعهد الذى
عوهد عليه حين عقد له الذمة بتبرك الى ما وقع من عمر رضى الله عنه من الشروط
التى شرطها على اهل الذمة وهى مشروطة وسنذكرها ان شا الله وفى نسخة او
العهد باو الفاصلة والاولى اولى ويحتمل ان المراد به المستامن المعاهد ان قلنا
بحكمه الذى ادعى للتقسيم او بمعنى الواو على هذا اى لم نرخص له حين عاهدناه فى
سب النبى صلى الله عليه وسلم او الاستخفاف به وهو قول عامة العلما اى جميعهم او اكثرهم
الا ابا حنيفة النعمان بن ثابت والثورى سفيان بن سعيد وهو صاحب مذهب مجتهد
واتباعهما يعنى من قلدهما واتبع مذهبهما من اهل الكوفة فانهم قالوا لا يقتل بسبب
ما ذكر لان ما هو عليه مرتكب له من الشرك المراد به مطلق الكفر فانه استعمل

ابن اقبرس

بهذا المعنى ايضا اعظم مما صدر منه من السرقة لوا ولكن يعزر ويودب تعزيرا
دون الحد حتى ينزجر ولا يعود لمثل ما صدر منه وما ذكره من مذهب ابي حنيفة
هو المشهور وقد خالفه بعض المتاخرين منهم وقال ابن تيمية في كتابه السيف
المسلول على من سب الرسول قال ابو حنيفة واصحابه لا ينتقض العهد بالسب ولا
يقتل الذمي به لكنه يعزر وحكاه الطحاوي عن الثوري ومن اصولهم ان ما لا قتل فيه
عندهم للامام ان يقتل فاعله ويزيد على الحد المقدر اذا راى المصلحة في ذلك ويحملون
ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه من القتل في مثل ذلك ويسمون هذا القتل
سياسة كتغليظ الحد في الجرائم اذا تكررت وشرعوا القتل في جنسها ولهذا افتى
اكثرهم فقالوا يقتل من اكثر من سب النبي صلى الله عليه وسلم سياسة وهو متجه على اصولهم
انتهى وهو كلام حسن واستدل بعض شيوخنا من ائمة المالكية على قتله اي الذمي
اذا سب بقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم اي نقضوا ما عاهدتم عليه
وطعنوا في دينكم اي عابوه وذموه فقاتلوا ائمة الكفر اي كبار الكفرة ورؤساهم الاية
انهم لا ايمان لهم لعلهم ينتهون وفي الاستدلال بهذه الاية بحث لانه معلق بنقض العهد
وابو حنيفة على قوله المشهور عنه لا يرى السب نقضا للعهد لا سيما والاية نزلت في كفار
قريش لما نقضوا ما عاهدهم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية في القضية
المشهورة وفي هذه الاية كلام طويل الذيل وتخصيص المقاتلة بائمة الكفر ناظر لهذا
والقول بان غيرهم يلحق بالطريق الاولى محل تامل فليحرر ويستدل ايضا اي كما استدل
بالاية عليه اي على قتل من سب يستدل بقتل النبي صلى الله عليه وسلم لابن الاشرف
اليهودي وقد تقدمت قصته مفصلة واشباهه من الكفرة المعاهدين الذين
قتلهم صلى الله عليه وسلم بسبهم له وفي الاستدلال بهذه القضية ايضا نظر لان النبي
صلى الله عليه وسلم صالحه وغيره من اليهود فنقض ابن الاشرف عهده ومضى لكفار
مكة وحثهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهجا النبي صلى الله عليه وسلم واذى
المسلمين اشد الاذى فليس قتله لمجرد سبه ولانا لم نعاهدهم اي اهل الذمة واعطيناهم
ولم نعطهم الذمة اي العقود والعهود على هذا اي سب الرسول صلى الله عليه وسلم
فلم نرخص لهم في مثله ولا يجوز لنا معاشر المسلمين ان نفعل ذلك اي المذكور من
المعاهدة على ترك المواخذة بمثله معهم فيما بيننا وبينهم فاذا اتوا اي فعلوا
ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة بمقابلة ما لنا فيهما فقد نقضوا ذمتهم
وابطلوا عهدهم وصاروا اهل حرب اي مثلهم في انهم يقتلون بكفرهم وايضا
فان ذمتهم وعهدهم وان لم ينتقض لا يسقط حدود الاسلام عنهم اي الحدود الشرعية
وهذا احد تلك الانبا وهو القتل فلا يسقط كساير الحدود من القطع في سرقة
اموالهم اي اموال المسلمين والقتل لمن قتلوه منهم وان كان ذلك حلالا
عندهم اي في اعتقادهم الباطل باباحة اموال المسلمين ودمائهم لانا مامورون
باجرا احكام شرعنا عليهم فكذلك سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم يقتلون به

حدا

حدا لا كفرا وهذا جواب عن قولهم ما هم عليه من الكفر اعظم فان كونه اعظم لا
ينافي اجرا احكام غيره عليهم وورد اي نقلت لاصحابنا من المالكية ظواهر
اي امور تدل بحسب الظاهر على ما يقتضي الخلاف في قتل الذمي بسبه للنبي صلى
الله عليه وسلم بالوجه الذي كفر به كانكار بعثته ونبوته سنقف عليها في هذا
الكتاب فتعرفها من كلام ابن القاسم وابن سحنون بعد اي بعد هذا فيما ياتي وحكى
ابو المصعب الزهري ابن احمد بن ابي بكر القاسم بن الحارث بن زرارة بن مصعب
ابن عبد الرحمن بن عوف المدني الفقيه قاضي المدينة كما تقدم الخلاف فيها اي في سببه
القتل كفر به عن اصحابه من اهل مذهب المالكية المدنيين اي فقها المدينة واختلفوا
في الذمي اذا سبه صلى الله عليه وسلم ثم اسلم فقيل يسقط بضم اوله اي يمنع اسلامه
قتله لان الاسلام يجب ما قبله اي يقطع ويبطل حكم ما قبله من سائر المعاصي وهذا
ورد عنه صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح تقدم بخلاف المسلم اذا سبه صلى الله عليه وسلم
ثم تاب فان توبته لا تمنع قتله كما سلم الحكام كما تقدم والخلاف مبني على ان قتله حدا
او لنقض العهد وفي سقوط بعض الحدود بالاسلام كالزنا خلاف لبعض الشافعية وجب
الاسلام ما قبله انما هو في حقوق الله خاصة كما مر وانما منع الاسلام قتله لانا نعلم
باطنه الكافر الذي في قلبه بكفره في بغضه وعداوته الدينية له صلى الله عليه وسلم
وتنقصه له بقلبه لانه شان كل كافر كما قيل

كل العداوة قد ترجى مودتها الا عداوة من عاداك في الدين

لكنا منعناه من اظهاره اي اظهار ما في قلبه لكونه مقهورا مذللا لانه اظهرنا فلم يزدنا
ما اظهره من كفره بسب ونحوه علما بحاله الا مخالفة للامر اي لامرنا له حقيقة
او حكما بكتم كفره ولم يردنا علما الا نقضا للعهد الذي عقد عليه عقد الذمة فاذا
رجع باسلامه عن دينه الاول وهو الكفر المعروف نسخة دينه بجهة وتوبة وموحدة
الى الاسلام سقط ما قبله من الكفر وحكمه قال الله تعالى قل للذين كفروا ان
ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف امره الله تعالى ان يقول لهم هذه المقالة بهذا اللفظ
او بغيره فالغيبة لانهم ليسوا مخاطبين في ما امره به ويجوز الخطاب على حكاية
ما يقوله لهم ولذلك قرا ابن مسعود بالخطاب وما قد سلف الكفر وما وقع منه من
المعاصي والمسلم حاله بخلافه اي بخلاف حال الكافر اذ كان ظننا بباطنه وما في
قلبه امرا مطابقا حكم ظاهره وهو الاسلام ظاهرا وباطنا وخلاف ما بدا
الآن اي ظهرا وبالهمزة بمعنى حدث وابتدا منه بما صدر عنه مما يقتضي كفره
وتحليه باطنه لظاهره الآن حين ظهر حاله فلم يقبل بعد رجوعه ما ظهر من
توبته وبعد مضمومة ورجوعه مرفوع نائب الفاعل ويجوز الفتح والاضافة ولا
استنمنا بسين مهملة ساكنة بعد الهمزة ومثناة فوقية قبل نون ساكنة قبل ميم مفتوحة
ونون مشددة اي اطمانينا فهو استفعال من النوم اي لم نطمئن ونانس ونركن
الى باطنه فالسين والتا زائدتان او هو من السنام اي اشرفنا وعلونا عليه لتعقب

على حاله وروى استتمناه اى طلبنا الامن منه لسوء الظن به اذ قد بدت سرائره
بظهور ما اخفاه فى قلبه على خلاف ظننا فيه وما ثبت عليه اى على المسلم من
الاحكام اللازمة شرعا باقية انه باعتبار معنى ما عليه لا يسقطها شئ لتعلقه
بالجناية اسلامه بانتهاك حرمة النبوة وحاصله الفرق بين المسلم والكافر وهو
ظاهر وقيل لا يسقط اسلام الذمى الساب له صلى الله عليه وسلم قتله لانه حق
للنبى صلى الله عليه وسلم فهو من حقوق الادميين وهى لا تسقط بالاسلام كما تقدم
كما انه لا يسقط بتوبة المسلم وجب عليه لانه حد من حدود الله لا لاستنهاكه اى
الساب حرمته ومعناه تناوله بما لا يليق بحاله وقصده الحاق النقيصة وقصده
بالجر ويجوز رفعه ورفع الحاق والجملة حالية وفى نسخة الحاقه النقيصة بنصب
النقيصة والمعرة به اى المذمة والعيب به صلى الله عليه وسلم وحاشاه منها فلم يكن
رجوعه الى الاسلام بالذى يسقطه عنه لجراءته كما وجب عليه من حقوق المسلمين
قبل اسلامه من قتل وقذف بيان لما وجب فلا يسقطها اسلامه القصاص وحد القذف
وقوله كما الخ خبر مبتدأ مقدر اى وهو كما الخ فلا وجه لاستشكاله وانا كنا لا نقبل
توبة المسلم اذا سبه صلى الله عليه وسلم فان لا نقبل توبة الكافر اولى الان ما قاله
غير متجه لان الاسلام يجب ما قبله بنص الحديث المار فالفرق بينه وبين توبة المسلم
فى غاية الظهور غنى عن البيان بل لو انه يثاب على كل ما فعله من الحسنات حال
كفره اذا اسلم وسبه صلى الله عليه وسلم فيه حق لله وللادمى فيغلب الاول اذا اعتضد
باسلامه وفى نسخة وان كنا الخ وان هذه قيل انها اذ الشرطية حذفت الجملة المضافة
اليها وعوض عنها التنوين وهذه وان لم تشتهر فان الزركشى نقلها فى البرهان وقرائه
غيره صرح بها ايضا قال مالك فيما نقل عنه فى كتاب ابن حبيب وهو احد من دون
عنه وكتابه يسمى الواضحة والمبسوط اسم كتاب فى الفقه وقال عبد الرحمن ابن القاسم
احد اصحاب مالك كما تقدم وابن الماجشون عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله
ابن ابى سلمة الماجشون التيمى الفقيه صاحب مالك توفى سنة اثنتى او اربع عشرة
ومائتين واخرج له الستة والماجشون معناه الابيض المشرب بحمرة وهو معرب
ماه كون ومعناه لون القمر وله تفصيل فى كتب اسماء الرجال واسمه ميمون او يعقوب
وهو مدنى وابن عبد الحكم وهو محمد بن عبد الله بن عبد الحكم بن عبد الله بن عثمان
او اعين بن الليث توفى فى ذى القعدة سنة ثمان او تسع وستين ومائتين وهو امام
جليل وله اخوة ثلاثة من العلماء واصبغ ابن الفرج كما تقدم فيمن شتم نبينا
صلى الله عليه وسلم من اهل الذمة او احدا من الانبياء غيره عليهم الصلاة والسلام
قتل الا ان يسلم فلا يقتل لما مر وقاله اى قال قول مالك هذا ابن القاسم
فى العتبية الكتاب المشهور فى فقه مالك وعند محمد ابن المواز وابن سحنون
وقال سحنون واصبغ لا يقال له اسلم ولا لا تسلم المراد انه لا يكلف بشئ يتعلق
بالاسلام اى لا يقال له لا تسلم ولكن ان اسلم من قبل نفسه بلا تكليف له فذلك

اى

اى اسلامه يكون له توبة مقبولة تدرأ الحد عنه وقد نقل هنا انما وقع من
مخالفة اصحاب مالك له مع انهم مقلدون له بناء على اعتبار المصالح المرسلة عنده على
ما تقرر فى علم الاصول فان المصلحة اذا اقتضت امرا يرجع اليه وفيه تفصيل لا حاجة
لنا لاطالة به هنا فان اردته فارجع الى ما فى كتاب ابن الحاجب وشروحه وفى
كتاب محمد ابن المواز المالكى اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب رسول الله
صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب اى لم تطلب
منه توبة ولم تقبل لو تاب بعد امرائه فلا وجه للتردد فيه وقيل له من مسلم او كافر
اما المسلم فعدم قبول توبته هو الصحيح واما الكافر فالصحيح قبول توبته باسلامه
ويدل له قوله وروى ابو محمد عن مالك الا ان يسلم الكافر ولا يقبل
على الصحيح وصح بعضهم ان المسلم تقبل توبته وقد روى ابن وهب واسمه عبد الله
كما تقدم عن ابن عمر رضى الله عنهما ان راهبا وهو العابد المنقطع عن الناس من
النصارى تناول النبى صلى الله عليه وسلم وتقدم ان التناول معناه الاخذ باليد تجوز به
عن الكلام فى حقه صلى الله عليه وسلم بما لا يليق فهو استعارة فقال ابن عمر فهلا حرف
معناه التندم على فوت ما يحض عليه قتلتموه ولم يذكر فيه استتابة وروى عيسى
ابن ابراهيم الغافقى الامام الفقيه المحدث توفى سنة احدى وستين ومائتين عن
ابن القاسم عبد الرحمن المصرى الفقيه كما تقدم فى ذمى قال ان محمدا صلى الله عليه
وسلم لم يرسل الينا يعنى اهل الكتاب انما ارسل اليكم اراد العرب فانكر عموم رسالته
صلى الله عليه وسلم وانما نبينا الذى يجب علينا اتباعه موسى او عيسى عليهما الصلاة
والسلام ونحو هذا من انكار عموم الرسالة لا شئ عليه من قتل وغيره وفى نسخة لا شئ
عليهم وبرافقها قوله لان الله تعالى اقرهم على مثله من الكفر بضرب الجزية اذ السم
بجاريو كما هو مذكور فى سورة براءة واما ان سبه فقال نحو ليس هذا ليس بنبى
او لم يرسل الى احد وهو تكذيب له او لم ينزل عليه قرآن ولا وحى وانما هو اى
القرآن شئ تقوله من عنده ويخترعه او نحو هذا من عموم الانكار بجحده لما جاء به
صلى الله عليه وسلم فيقتل لان هذا الملعون كذب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وقال
ابن القاسم واذا قال النصرانى ديننا خير من دينكم وانما دينكم دين الحمير يعنى
به الذى قاتله الله ولعنه انه انما يتبعه احمق لا عقل له او نحو هذا من الكلام القبيح
او سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله
استهزاء منه بما من الله به علينا فى ان جعل رسولا لنا صلى الله عليه وسلم يعنى انه
مناسب لمثلكم ففى هذا الكلام وما يشبهه عند ابن القاسم يستحق قائله الادب
اى التأديب بالضرب الموجع وفى نسخة الوجيع والسجن الطويل مدته زجرا
له ولامثاله لانه ليس صريحا فى الشتم قال واما ان شتم ذمى النبى صلى الله عليه
وسلم شتما يعرف انه شتم صريح فانه يقتل الا ان يسلم قاله مالك غير مرة اى
مرارا عديدة ولم يقل عنه غيره ولم يقل يستتاب بل اطلقه فيحتمل انه ان تاب

يعرف

لم يقتل ولذا قال ابن القاسم وعمل قوله اي مالك عندي ان اسلم بنفسه طائعا من
غير اكراه له وهو مخالف لما تقدم في غير هذه الرواية وهذا بنا على انه لا يصح اكراهه
على الاسلام وعند الشافعي يصح اكراه الحربي عليه دون الذمي وفي قول يصح اكراه الذمي
هنا لانه بشتمه صلى الله عليه وسلم نقض العهد فيصير حربيا والكلام عليه مفصل في
كتب الفقه وقال ابن سحنون في جواب سؤال سليمان بن سالم في اليهودي
وفي نسخة حذف في فهو مبتدا خبره قوله يقول للمؤذن اذ تشهد اي قال في اذانه
اشهد ان محمدا رسول الله كذبت انكار الرسالة يعاقب العقوبة الموجعة بالضرب
الشديد والسجن الطويل ولا يقتل لانه مما كفر به وفي النوادر اسم كتاب لابي ابي
زيد صاحب الرسالة المالكي من رواية سحنون عنه اي عن مالك من شتم الانبيا عليهم
الصلاة والسلام من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا ضربت عنقه
كما مر الا ان يسلم فلا يقتل لان اسلامه توبة مقبولة والاسلام يجب ما قبله قال
محمد بن سحنون فان قيل لم قتلته اي الذمي اي الذمي في سب النبي اي بسبب سبه له
صلى الله عليه وسلم ومن دينه اي اعتقاده وعادته سبه وتكذيبه لانكار رسالته صلى الله
عليه وسلم وهذا انما كفر به قيل في جوابه لانا لم نعطهم العهد على ذلك اذ ضربنا عليهم الجزية
بشروطها ان لا يطعنوا في ديننا فهو نقض عهد منه ولا اي لم نعطهم العهد على قتل
اي قتل احد منا ولم نعطهم العهد على اخذ اموالنا فاذا قتل واحدا منا قتلناه وان
كان من دينه استحلاله اي استحلال قتلنا واخذ اموالنا فكذلك ينتقض عهده
اظهاره لسب نبينا صلى الله عليه وسلم فانا شرطنا عليهم ان لا يطعنوا في الدين وان
لا يظهروا كفرهم لما فيه من نكاية اهل الاسلام وان كان ذلك من اعتقادهم الباطل
قال سحنون حال هذا في الحكم كما لو بذل لنا اهل الحرب اي اعطونا بعد امتناعهم
ومحاربتهم لنا الجزية على شرط اقرارهم على سبه اي على ان نقرهم ولا نمنعهم من سبه
صلى الله عليه وسلم لم يجز لنا ذلك اي اخذ الجزية وتقريرهم على سبه في قول قائل
اي لم يقل بهذا احد من المسلمين وائمة الدين وان كانوا يستحلونه لكنا لا نقرهم
على اظهاره وهذا انما يوضح انا لم نعطهم العهد على اظهاره وكذلك اي كما انه لا
يجوز مصالحة الحربي واقراره على السب ينتقض عهد من سب منهم اي من اهل الذمة
ويحل لنا دمه اي قتله لانه لانتقاض عهده صار حربيا مباح الدم وكما لا يحصن
اي يصون ويحفظ الاسلام من سب من المسلمين كذلك لا تحصنه الذمة فكيف
ينبني على قتله الكافر وسمى المحصن محصنا لصيانته لمن فيه وفي هذه المقدمة امر
لا يخفى فان الاسلام يعصم بالسب لانه مخالف لدينه وكفر منه واما الذمي الكافر
وان خالفه اظهاره السب عقد الذمة وعهدها فهو موافق لاعتقاده فالقياس
مع الفرق الجلي غير ظاهر وكانه امر اقناعي ونقد منه جدلية على طريق التنزل
وفيه ما فيه وكونه اولى غير مسلم قال القاضي ابو الفضل عياض المؤلف رحمه
الله ما ذكره ابن سحنون عن نفسه وعن ابيه سحنون من انه يقتل بمثل ما

ذكر

ذكر ما كفر به واستحله في دينه مخالف لقول ابن القاسم الذي تقدم نقله عنه
فيما خفف عقوبتهم فيه اي افتى به بعقوبة خفيفة غير القتل مما به اي بسببه كفروا
اي ثبت كفرهم به عندنا وعلمنا به حين ضربنا عليهم الجزية ودرى عنهم الحد فتامل
وجه التامل الذي امر به على عادة المصنفين في ذكره فيما يكون توجيهه انا اقررناهم
على كفرهم بشرط عدم اظهار ما فيه طعن في الدين وكيد المسلمين بمواجهتهم باهانة
نبينا سيد المرسلين والمخالفة بينهما ان ابن القاسم فيما نقله المصنف عنه يقول ان
من سب احدا من الانبيا يقتل الا ان يسلم ولم يفرق بين ما كفروا به وغيره وسحنون
في جواب سليمان الزمه العقوبة والسجن لانه مما كفر به وقيل المخالفة بينهما في قول
ابن القاسم انه قال فيمن قال دينكم دين الحمير انه يؤدب بالموجع والسجن الطويل
وهو تخفيف في العقوبة وسحنون وابنه قالا في تكذيب اليهودي للمؤذن انه يعاقب
بالعقوبة الوجيعة والسجن الطويل وليس بشئ ويدل على انه اي ما قاله سحنون
وابنه وقيل الضمير راجع لقول ابن القاسم والصواب الاول وهو الذي عليه الشراح
خلاف ما روي عن المدنيين اي اصحاب مالك من اهل المدينة وهم اعرف بمذهبه
في ذلك المذكور مما اختلفوا في قتله وعدمه وقيل المراد بالمدنيين علما المدينة
واهلها مطلقا وهو ما قاله مالك من احتجاجه بعمل اهل المدينة لانها قبة الاسلام
ومهبط الوحي ومستقر الدين وفي هذه المسئلة كلام لاهل الاصول ولابن حزم
في كتاب الاحكام كلام لا يسعه هذا المقام وحكى ابو المصعب الزهري ابن احمد بن
ابي بكر القاسم بن الحارث ابن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزهري
المدني الفقيه قاضي المدينة كما تقدم وفي نسخة ما حكى بدل قوله وحكى وهو الصواب
كما نبه عليه التلمساني قال ابو مصعب اتيت بضم الهمزة وبنا المجهول بنصراني
قال والذي اصطفى اي اختار وفضل عيسى على محمد عليهما الصلاة والسلام
فاختلف بنا المجهول علي فيه اي اختلف كلام الناس فيه او اختلف رايي فيه واضطرب
ثم ظهر لي امره وحكمه فضربته حتى قتلته بشدة الضرب من حينه او عاش
يوما وليلة بعد ضربه ومات وامرت من جرا اي جره وسحبه برجله من
محله الذي مات فيه وطرح بنا المجهول على مزبلة اي محل بفنا البلدة يطرح فيه
الزبل والقاذورات ومزبلة بفتح الميم لا كسرها كما قيل وباؤه مثلث اسم للمكان
المذكور فاكلته الكلاب لانه لم يدفن حتى اكلته كما اكل سائر الجيف وهذا انما كفر
به فهو مخالف لما تقدم وعدم دفن من قتل من الكفرة مما لا يشرع فكان هذا كله مما
ادى اليه اجتهاده وقصده في دينه وسئل ابو المصعب السابق ذكره عن
نصراني قال عيسى خلق محمدا لزعمه اتحاده في ادعا الوهيته فقال مجيبا
للسائل انه يقتل لاختلاقه الكذب على الله وجعله عيسى عليه الصلاة والسلام
افضل من نبينا صلى الله عليه وسلم وقصده تنقيصه وليس هذا مما كفر به وقال
ابن القاسم من اصحاب مالك كما مر سالنا مالكا عن نصراني بمصر شهد

ابن فرحون

ابن فرحون

عرضي

عليه انه قال مسكين محمد اراد بذلك تحقيره صلى الله عليه وسلم واهانته لا تحقيرا
ورافة عليه وميم مسكين مكسورة وقد تفتح في غير الفصيح وهل ميمه اصلية او زائدة
فيه كلام في التصريف يخبركم انه في الجنة اى يقول انه سيدخل الجنة وانه يتحقق
له دخولها ماله لم ينفع نفسه ملوّحا به عن انه لا يقدر على نفع نفسه في الدنيا اذا
كانت الكلاب تاكل ساقيه لو قتلوه استراح منه الناس وهذا بنا على اعتقاده الفاسد
قاتله الله اى حصل لهم منه بزعمه الباطل انه اتعبهم بكثرة اعدائه الذين اتعبوا
المسلمين بقتالهم وانه اتعب الكفرة بقتاله لهم وقوله لو قتلوه متعلق بما بعده
معنى ويجوز تعلقه بما قبله وما بعده ويسميه اهل البديع التجاذب وقد استوعبنا
الكلام عليه في السوابغ قال مالك ارى ان يضرب عنقه ونرى جيفته حتى تاكله
الكلاب جزاء لعمله قال مالك ولقد كدت اى قربت ان لا اتكلم فيها اى
قربت من ترك الكلام في هذه المسئلة التي سئل عنها ثم رايت اى بدا لي راى امضاه
الدليل انه لا يسعني اى لا يجوز لي ولا يحل الصمت السكوت عن هذه المسئلة وعدم
التكلم فيها بالحق الذي يعتقده هذا الخبيث فيه الصمت بمكان فيه سعة تضيق على من
صمت فكانه لا يدخله لما وجب عليه من اظهار الحق فسكت عن الشبه به ودل عليه بردا وفيه
تجبيلا فيه تجبيله وسكينه وانما كان مالك رحمه الله اراد السكوت عن هذا الا انه كذب
لا يريح على احد في حق من عصى الله وجاه عن ان نصل اليه به احد من يؤذيه وكانه
تلميح لما وقع له صلى الله عليه وسلم حين عرض نفسه على القبائل فزجروه حتى ادموا قدميه وكان
ذلك منا ولا دعيا لبلي كما نصل في السير اولما وقع له صلى الله عليه وسلم باحد وهو
مشهور وايضا قال ابن كنانة تقدمت ترجمته في المبسوط اسم كتاب كما تقدم من
شتم النبي صلى الله عليه وسلم بسبه صريحا من اليهود والنصارى بيان لمن قال رى
اى اعتقد وافتى للامام اى السلطان لانه احق بما فيه وكذا المنصوب من جانبه
ممن له تنفيذ الاحكام ان يحرقه بالنار اى يلقيه فيها وهو حي وهذا امالم يجره
علما الشرع لما ورد في الحديث انه لا يعذب بالنار الا الله ورجالها ولذا قال وان
شا اى الامام قتله بضرب عنقه ثم حرقه بالنار بعد وفي نسخة حرق بحذف
الناحية اى احرق بدنه بتمامه بعد موته وان شا الامام احرقه بالنار
احيا وفي نسخة وان شا احرقه بالنار حيا وهذا مذهب مالك في جواز احراق
من استحق القتل وغيره من العلما بالاه وهو مثله ومذهب الشافعي انه لا يجوز الا
قصاصا لحديث من حرق حرقناه ومن غرق غرقناه واستدل لمالك لما في له بان
عليا كرم الله وجهه فعله وبقوله صلى الله عليه وسلم في حق من ارتد ان وجدتموه
فاحرقوه وغيره يقول انه منسوخ كما نسخت المثلة لقوله تعالى فعاقبوا بمثل ما عوقبتم
به وهو مذهب ابي حنيفة اذ انها قتوا في سبه اى وقعوا فيه والمراد انهم اكثروا
منه علنا واصل التهافت السقوط شيئا فشيئا استعير لما ذكر وهو لا يستعمل الا في
الشر القبيح وفيه اشارة الى انه مثله لشدة ردعهم يقال تهافت في كذا اذا انهمك

فيه

فيه وبالغ و قال ابن كنانة ولقد كتب بهذا المجهول الى مالك من مصر يستفتونه
وذكر ابن كنانة مسئلة ابن القاسم المتقدمة انما التي سئل عنها في نصراني شهد
عليه انه قال مسكين محمد الخ تمامه قال ابن القاسم فامرني مالك فكتبنا اليه
بان يقتل وان تضرب عنقه ضرب العنق كرمي الراس عبارة عن قتل مخصوص
والاولى في التعبير ان يقول فامرني مالك ان اكتب بدليل قوله فكتبت ما قال له
مالك لارسله للسائل ثم قلت له اى لمالك يا ابا عبد الله هي كنيته واكتب بعد ما
قتله ثم يحرق بعد قتله بالنار فقال مالك انه لحقيق بذلك اى احراقه بالنار
عنوانا للخلود فيها وما اولاه افعل تفضيل بمعنى احق به اى بالاحراق فكتبت
اى ذلك الذي قلته بيدي تاكيد لرفع توهم التجوز به بين يديه اى عنده في مجلسه
وهو كناية عن ذلك فما انكره اى ما قلته من احراقه بعد قتله ولا عابه علي لانه
ارتضاه ولقد نفذت بهذا المجهول والنفذ بدو الذال المعجمة اى ارسلت الصحيفة
وهي الورقة التي كتب فيها جواب السائل بذلك الذي قاله مالك فقتل وحرق
عملا بما قاله الامام مالك رضي الله عنه وافتى من ائمة المالكية عبيد الله بن يحيى ابن
يحيى الليثي ابي مروان الليثي فقيه ثقة عمدة في مذهب مالك وهذا هو يحيى بن
يحيى الذي روى عنه الموطا كما تقدم وابن لبابة بضم اللام وبائين موحدتين
مخففتين بينهما الف وهو محمد بن يحيى بن عمر ابن لبابة القرطبي ولد سنة خمس وعشرين
ومائتين ومات ليلة الاثنين لاربع بقين من شعبان سنة اربع عشرة وثلاثمائة
ولهم ايضا ابن لبابة اخر وهو محمد بن يحيى بن لبابة ابو عبد الله واخر وهو احمد بن
محمد بن عمر بن لبابة ابو محمد القرطبي توفي في نصف صفر سنة خمس وعشرين والمراد
هنا الاول في جماعة سلف اصحابنا بني المالكية وفي هذا نوع مع استفادة
تبعية لتمكنه بينهم الاندلسيين تقدم ضبطه وائمتهم في المذهب دون الزمان
فافتى هولاء كلهم بقتل امراة نصرانية استهلت اى صرخت رافعة صوتها
من قولهم استهل المولود اذا صرخ والمراد انها اعلنت واظهرت بنفي الربوبية
بضبر الراء مصدر كالخصوصية والياء للنسبة للتاكيد وبنوة عيسى لله تعالى الله
عن ذلك علوا كبيرا بتقديم الباء الموحدة على النون مصدر ايضا اى اعلنت بنفي
بنوة عيسى اى انه ليس ابنا لله بل هو الله او هو معطوف على نفي اى نفت الربوبية
وقالت ان عيسى ابن الله فالمراد بنفي الربوبية نفي الوحدة والانفراد بها وحرف
بعض البنوة بالنبوة بتقديم النون على الموحدة وقال فيه فلافقة لان نفي الربوبية
يقتضي نفي فرعها من النبوة والرسالة ثم ان النبوة والولادة تستلزم نفي الربوبية
وهو خبط عجيب منه واوله بانه احره واستهلت ايضا بتكذيب محمد صلى الله عليه
وسلم في دعواه النبوة وافتى ايضا بقبول اسلامها اذا اسلمت بعد قولها هذا
ودرا القتل عنها به اى بالاسلام لانه يجب ما قبله وبه قال غير واحد من فقهاء
المالكية المتاخرين منهم القابسي وتقدمت ترجمته وابن الكاتب ابو القاسم

ابن افنيرس

عبد الرحمن بن علي بن محمد الامام المالكي الجليل عرف بابن الكاتب وفي نسخة وتعقبه
بحلق له غير واحد وقال ابو القاسم ابن الجلاب بفتح الجيم وتشديد اللام وبا
موحدة بعد الالف وهو امام جليل اشتهر بكنيته وفي اسمه اقوال وهو صاحب القاضي
ابي بكر الابهري وله تآليف جليلة وتوفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة وهو عبد الله
او عبد الرحمن بن الحسين البصري في كتابه الذي صنفه في فقه مالك رحمه الله من
سب الله تعالى او سب رسوله صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر بان لعن وتهكم
قتل ولا يستتاب اي لا يطلب منه توبة ولا يقبل وهو على احد الاقوال في الكافر
وحكى القاضي ابو محمد المعروف بابن نصر وهو عبد الوهاب كما تقدم في الذمي
يسب ثم يسلم روايتين عن مالك في درءه اي دفع القتل عنه باسلامه اذا اسلم
وهو يعني انه يقبل اسلامه ولا يقتل وفي اخرى عنه يقتل حدا واليه اشار بقوله
وقال ابن سحنون في وجه قتله انه حد وحد القذف وشبهه من الحدود كحد
السرقة والزنا من حقوق العباد لا يسقط عن الذمي باسلامه وفي نسخة لا
يسقط عن الذمي اسلامه وانما يسقط عنه باسلامه حدود الله تعالى لانها
مبنية على المسامحة لكرم الله وعفوه بخلاف فاما حد القذف فحق للعباد لا يسقط
بالتوبة سواء كان ذلك لنبي او غيره ممن يحترم بحيث يتعرض فاوجب الله عز وجل
او ابن سحنون على الذمي اذا قذف النبي صلى الله عليه وسلم ثم اسلم بعد قذفه حد
القذف ولم يسقط عنه توبته واسلامه وقذف الانبياء حده القتل كما تقدم ومن
يقتل غيره هذا وان حد القذف ثابت بالكتاب ولم يجعل الله فيه القتل الى اخره ان له
ما لا فائدة فيه وكيف يخفى عليه هذا مع قول المص رحمه الله ولكن انظر امر لكل
من يأتي منه النظر والفكر في المسائل الشرعية ماذا يجب عليه اي على من قذف
الانبيا هل حد القذف في حق النبي صلى الله عليه وسلم خاصة وهو القتل لا الجلد
كحد غيره لزيادة حرمة النبي صلى الله عليه وسلم اي احترامه وتوقيره على غيره
من امته لا غيره من الانبيا واليه ذهب بعض الشافعية فان الحدود قد تتفاوت
كما قال تعالى في امهات المومنين من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها
العذاب ضعفين ام هل يسقط القتل عنه باسلامه ويجلد ثمانين حد القذف
فتامله امر بالتامل لما فيه من الشبهه وقوة الخلاف فيه فذهبه كمذهب الشافعية
قال امام الحرمين قذف النبي صلى الله عليه وسلم كفر بالاتفاق وقال ابو بكر الفارسي
لو تاب لا يسقط عنه القتل لانه حد قذف النبي صلى الله عليه وسلم وحد القذف
لا يسقط بالتوبة وحكى فيه الاجماع وخالفه الصيدلاني وغيره وقال يجلد ثمانين
اذا اسلم وذكر فيه الامام مباحث طويلة وقال ان ما قاله الفارسي مع بعده
حسن ولعل هذا ما جنح اليه المص ومن لم يتنبه عليه قال ما قال لعدم وقوفه على حقيقة
الحال فصل في حكم ميراث من سب النبي صلى الله عليه وسلم وغيره
من الانبيا وغسله والصلاة عليه كغيره اختلف العلما من ايمة الدين في

ابن القيرسي

تقدم

ميراث من قتل بسبب سب النبي صلى الله عليه وسلم فذهب سحنون من المالكية
الى انه اي ميراثه لجماعة المسلمين يوضع في بيت المال كالفيء من قبل بكسر
القاف وفتح البا الموحدة تعليل اي من جهة ان شتم النبي صلى الله عليه وسلم كفر يشبه
كفر الزنديق لتظاهره اسلامه وخفي كفره الذي دل عليه شتمه فميراثه كميراث الزنديق
عنده وشبه بوزن مثل ومعناه وفي نسخة يشبه مضارع ولبس نزند بق حقيقة
لما مر من معنى الزنديق وانما هو يشبه بحكمه حكمه عنده وقال من ايمة المالكية
اصبغ ابن الفرج كما تقدم ميراثه حق لورثته من المسلمين لكفره اذ كان
مستسرا اي مخفيا من السر وهو الخفي وفي نسخة مستترا بذلك المقال الذي
قاله بان لم يظهره علنا وان كان مظهرا له اي لسبه وشتمه ومستهلا اي معلنا
به لا يكنيه واصل معنى الاستهلال الصراخ كما مر بانه فميراثه للمسلمين كالفي
كما تقدم ويقتل على كل حال اي سوا تاب ام لا ولا يستتاب لا يطلب منه توبة
ولا تقبل وليس المراد بالسر ان يخفيه في قلبه لانه لا يطلع عليه وانما المراد انه
يقوله في خلوته لمن لا يفشي سره لعامة الناس حتى يطلع عليه الحكام وهذا كله
في المسلم فمن توهمه عاما له وللكفرة فقد غفل وقال ابو الحسن القابسي تقدمت
ترجمته ان قتل وهو منكر للشهادة عليه اي لما شهد به عليه من السب فالحكم
في ميراثه شرعا على ما اظهر من اقراره يعني انه اي ميراثه لورثته المسلمين
لان انكاره لما شهدوا به عليه اقرار بانه مسلم معظم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فلا تلغى الشهادة ولا الاقرار والقتل انما هو حد اي لقذف الانبيا لا لكفره
وردته ثبت عليه الحد وحكمه فليس من الميراث في شي فلا يمنعه وكذلك اي
مثل ما قاله القابسي في هذه المسئلة لو اقر بالسب اي سبه صلى الله عليه وسلم
واظهر التوبة لقتل جواب لو اذ هو اي القتل حده اي حد سب الانبيا كما تقدم
وحكمه اي المقتول حكم الشهادة وكذا في ميراثه فيعطى لورثته وفي اسبابه
وفي سائر احكامه من غسله والصلاة عليه حكم الاسلام لانه مسلم كسائر
المسلمين ولو اقر بالسب النبي صلى الله عليه وسلم وتمادى اي استمر في تعدي بعيد
فهو استعارة وبعد اخالف ما قبله وابى التوبة اي امتنع من ان يتوب منه
اي من السب فقتل على ذلك المذكور من السب الذي استمر عليه كان المستمر على
سبه كافرا وميراثه اي ميراثه كالفيء حق للمسلمين لا لورثته لان الكفر من موانع
الارث ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن كفنا تاما كالمسلمين وانما تستر
عورته ويوارى اي يدفن ويستر جثته بالتراب كما يفعل بالكفار اي بغيره
من الكفار الاصليين فلا يدفن في مقابر المسلمين وجوز الشافعية غسله وتكفينه
كما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر عليا لما مات ابوه ابو طالب ان يغسله
ويكفنه ويدفنه وقد ضعفه البيهقي ولا يصلى عليه اجماعا واما صلاته صلى الله
عليه وسلم على ابن سلول فلانه منافق مع ان الله نهى عن ذلك بعده بقوله ولا تصل على

صح

عرضي

احدمنهم مات ابدا وقول الشيخ ابي الحسن القابسي في المجاهر اي المعلن المظهر للسب المتمادي اي المستمر على اظهاره من قبله وكون ميراثه فيا بين اي ظاهر لايكن الخلاف فيه ولا شبهة لانه كافر مرتد غير تائب ولا مقلع اي غير راجع عن كفره وردته هو مثل قول اصبغ ابن الفرج في المظهر المستهل المتمادي كما تقدم وكذلك اي مثل قول اصبغ هذا وقع في كتاب ابن سحنون الذي له في الزنديق الذي يتمادى ويستمر على قوله الصادر عنه ما كفر به ومثله اي مثل قول اصبغ وابن سحنون قول لابن القاسم في العتبية الكتاب المشهور وكذا هو قول لجماعة من اصحاب مالك يعني من علما المالكية في كتاب عبد الملك ابن حبيب فيمن اعلن اي اظهر شيئا اي ما ذكر وقال ابن القاسم في المذكور حكمه حكم المرتد في انه لا ترثه ورثته من المسلمين لانه كافر ولا ترثه ايضا ورثته من اهل الدين الذي ارتد عن الاسلام اليه اي الى دين اخر كاليهودية والنصرانية لانه فارقهم للدين الحق فتعلق به حق اهله فلا يعود اليهم بعوده لانه لا يقر عليه وما له صار فيئا يستحقه المسلمون ولا تجوز وصاياه لان ماله خرج عن ملكه بردته وصار موقوفا ولا ينفذ عتقه ايضا لما ذكر وكذا سائر تصرفاته كبيع وهبة ووقف وغيره فانه محجور عليه لما ذكر وهذا كله مذهب الامام مالك واما مذهب غيره فالكلام عليه مفصل في كتب الفقه وليس هذا محل تفصيله وقاله اي قال بما قاله ابن القاسم اصبغ ابن الفرج من ان حكمه حكم المرتد لا يورث سواء قتل على ذلك او مات عليه اي على اعلانه الكفر وقال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد صاحب الرسالة المالكي الامام المشهور وانما يختلف في ميراث الزنديق الذي يبطن الكفر ويظهر الاسلام وفيه كلام تقدم الذي يستهل بالتوبة اي يظهرها واصلحنا الصياح كما تقدم فكنى به عما ذكر فلا تقبل منه توبته لان توبته لخوف القتل وهذا مذهب مالك وذهب غيره الى قبول توبته وانه يجري عليه احكام الاسلام في الميراث وغيره فاما المتمادي اي المستمر على زندقته واعتقاده الباطل فلا خلاف في انه لا يورث عنده وقال ابو محمد هو ابن ابي زيد رحمه الله المذكور انفا فيمن سب الله تعالى ثم مات ولم تعدل بينة المجهول وتشديد الدال المهملة اي لم تقم عليه بينة زكيت وعدلت او لم تقبل اي او اقيمت عليه بينة ولم تقبل او تهمت زندقته باقراره لكنه لم يقتل انه يصلى عليه ويرثه المسلمون ويدفن في مقابرهم فتجرى عليه احكام المسلمين لانه لم يحكم بكفره وروى اصبغ عن ابن القاسم في كتاب ابن حبيب فيمن كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم اي نسبه الى الكذب في شيء مما اوحي اليه وهو من المسلمين لان الكلام فيهم وفي نسخة فيمن كذب برسول الله او اعلن اي اظهر دينا اي اعتقادا ونحلة مما يفارق فيه الاسلام لكفره به والذي في نسختنا مما بها الموصولة وفي نسخة الشارح الحديثة من يفارق به بمن الموصولة فقال انه اذا وقع من علم ما لا يبعد

من

من غير نحو ونقلهم ولا يجوزه اهل العربية غير نظرب وهو قول ضعيف فكانه تبعه فيه وللك ان تقول ان صحت هذه الرواية فالمعنى مندرجا او منقلبا لدينه ممن يفارق الاسلام انه ميراثه اي ما يورث من ماله وغيره في يوضع في بيت المال ويصرف للمسلمين وقال يقول ماله اي وافقه في قوله ان ميراث المرتد في يصرف للمسلمين ولا ترثه ورثته من اهل الاسلام ربيعة ابن ابي عبد الرحمن بن فروخ فقيه المدينة ومحدثها الذي روى عنه مالك والليث وغيرهما واخرج له الستة ووثقه احمد وغيره توفي سنة ست وثلاثين ومائة وقال بقوله ايضا الامام الشافعي وابو ثور ابراهيم بن خالد الكلبي البغدادي احد المجتهدين الثقة المحدث روى عنه خلق كثير واخرج له اصحاب السنن وتوفي في صفر سنة اربعين ومائتين وابن ابي ليلى وهو القاضي ابو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن بن ابي ليلى الانصاري احد اعلام الدين في الفقه والحديث واخرج عنه اربعة من اصحاب السنن ووثقوه وقال بعضهم انه سيء الحفظ توفي سنة ثمان واربعين ومائة وله ترجمة في الميزان واسمه يسار بمثناة تحتية والمراد انه وافقهم اجتهادا لا انهم قلدوه اذ المجتهد لا يقلد غيره وهذا معنى قولهم في امثاله كالشافعي في الترغيب مع زيد واختلف فيه اي المنقول به الرواية عن احمد بن حنبل فقيل قال به وقيل لم يقل به اما مذهب الصحابة فيه فقال علي بن ابي طالب وابن مسعود ومذهب غيرهم من اهل العصر الاول مثل سعيد ابن المسيب والنخعي والحسن البصري وعمر ابن عبد العزيز ابن مروان بن الحكم الاموي الامام المشهور والحكم بفتحتين بن عتيبة مصغر عتبة بمثناة فوقية الكندي فقيه الكوفة الامام العابد الزاهد توفي سنة خمس عشر ومائة واخرج له الستة ويوافقه في اسمه واسم ابيه دون جده الحكم قاضي الكوفة وليس من رواة الحديث ووهم البخاري في تاريخه فجعلهما واحدا كما ذكره الحلبي والاوزاعي والليث بن سعد واسحق ابن راهويه وابو حنيفة النعمان ترثه ورثته من المسلمين لتعلق حقهم به قبل موته وقيل مذهب ابي حنيفة في ذلك الميراث التفصيل فترثه ورثته منهم فيما كسبه قبل ارتداده لتعلق حقهم به وما يكسبه في الارتداد اي في زمن ارتداده في للمسلمين لانه مال كافر والكلام عليه وعلى ادلته مفصل في شروح الهداية وغيرها قال القاضي ابو الفضل عياض المصنف رحمه الله وتفصيل ابي الحسن القابسي في هذه المسئلة في باقي جوابه كما مر انفا حسن بين ظاهر واضح وهو قوله ان قتل وهو منكر للشهادة فالحكم في ميراثه على ما ظهر من اقراره الخ وهو على رأي في ان ميراثه للمسلمين ان كان مسرا فان اعلن فهو فيء وخلاف قول سحنون بانه للمسلمين كالزنديق واختلافهما اي اصبغ وسحنون مبني على قول مالك في ميراث الزنديق هل ينظر لظاهر حاله او لباطنه لان الله رداه برداء سريرته فمن ورثه ورثته من المسلمين سواء قامت عليه بذلك المقال الذي قاله بينة او اعترف بذلك مع البينة او بدونها واظهر التوبة عما صدر منه وقال اصبغ ابن الفرج

اصبغ ثم

المصرى ومحمد بن مسلمة قد قدمنا ترجمته وغير واحد من اصحابه اى كثير من
اصحاب الامام مالك ودليله ما قاله بقوله لانه مظهر للاسلام بانكاره او توبته
بعد اعترافه ويمكن ان يحكم بالظاهر وحكمه حكم المنافقين الذين كانوا على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اى فى زمنه او المراد انهم على ما عاهدوه عليه
من الاسلام فالعهد على الاول بمعنى الزمان المعهود المعلوم فانه صلى الله عليه وسلم
كان يعامل المنافقين معاملة المسلمين فى ميراثهم وغيره تاليفا لقلوبهم وقلوب
من قرب عهده بالاسلام لئلا تقول الاعداء انه يقتل اصحابه حتى اعلمه الله بذلك
فكان لا يصلى على بعضهم لان صلاته صلى الله عليه وسلم شفاعة لهم واشتهر حذيفة امرهم
فكان عمر رضى الله عنه يصلى على من مات منهم اذا صلى عليه حذيفة واجرا احكام
الاسلام عليهم نظر الظاهر حالهم وروى ابن نافع عنه فى العتبية الكتاب المشهور
وهو عبد الله بن نافع الصايغ المدنى المحدث مولى بنى مخزوم وهو ثقة وقيل فى
حفظه شئ ووثقه ابن معين وهو صاحبه الذى كان يلازمه وروى عنه كثيرا واخرج
له اصحاب السنن وترجمته فى الميزان توفى سنة ست وماتين وكتاب محمد بن المواز
ان ميراثه فى تصرفه لجماعة المسلمين لان ماله تبع لدمه ودمه مهدر فماله
غنيمة وفى وقال به اى بهذا القول جماعة من اصحاب اى صاحب مالك وقاله من
اتباعه ايضا اشهب والمغيرة بضم ميمه وكسرها اتباعا وهو المغيرة بن عبد الرحمن
ابن الحارث ابن عياش بمثناة تحتية وشين معجمة توفى يوم الاربعا سنة ثمان وثمانين
ومائة وولد سنة اربع وعشرين وعبد الملك بن حبيب او المعروف بابن الماجشون
ومحمد ابن المواز وسحنون وذهب ابن القاسم فى العتبية الى انه اى المرتد
او الزنديق ان اعترف بما شهد به عليه وتاب ولم تقبل توبته فيقتل فلا يورث
لانه حكم بكفره وقتل فلا تبقى لتوبته حكم فى الدنيا ولا وجه لما قيل انه يجب كيف لا
يورث وقد تاب ولا وجه لما قيل انه كيف لا يجعل بمقتضى الشهادة وان لم يقر وقد شهد
عليه حتى قتل او مات حتف انفه ورث وورثته المسلمون وهو مخفف او مشدد لان
الاصل بقاؤه على الاسلام قال ابن القاسم وكذلك اى مثل من لم يقر حتى قتل او
مات كل من اسر اى اخفى كفرا باى وجه يكون ولم يظهره حتى مات فانهم يتوارثون
بوراثة الاسلام فتجرى عليهم احكام الاسلام نظرا لظاهر حالهم وسئل ابو القاسم
ابن الكاتب تقدم بيانه عن النصرانى يسب النبى صلى الله عليه وسلم فيقتل بذلك
هل يرثه اهل دينه النصارى ام المسلمون فاجاب بانه اى ميراثه فى بيت مال
للمسلمين لانه طعن فى الدين ونقض للعهد فما له كمال الحربى عنده وليس ما اخذه
المسلمون على جهة الميراث لانه لا توارث بين مسلم وكافر اذ لا توارث بين اهل
ملتين كما ورد فى الحديث الصحيح ولكن لانه اى ماله من فيئهم الذى افاءه الله
عليهم لنقضه العهد بسبه له صلى الله عليه وسلم لانه طعن فى الدين وليس مما كفر به وهذا
معنى قوله اى قول ابن الكاتب واختصاره اى ايراده بعبارة اخصر من عبارته

ولذا

دمجى
ابن افبرس

ولذا لم يقتل لفظه بعينه وحكمه وحكم تصرفاته مفصل فى كتب الفقه

الباب الثالث

من هذا القسم فى حكم
من سب الله بذكر ما هو عز وجل منزه عنه وحكم من سب ملائكته وانبيائه عليهم
الصلاة والسلام وكتبه المنزلة على رسله عليهم الصلاة والسلام وسب آل النبى
صلى الله عليه وسلم وازواجه وصحبه رضى الله عنهم اجمعين اما الملائكة فجمع
ملك واصله مالك من الالوكة وهى الرسالة فقلب وخفف كما مر وحقيقتهم عند
المتكلمين اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال مختلفة والفلاسفة واهل المعتزلة
لا ينكرونها لكنهم اثبتوا جواهر روحانية غير جسمانية سموها عقولا واهل الشرع
سموها ملائكة واثبتوا لها تصرفا فى العالم ومثلها الجن وانكر الفلاسفة وبعض المعتزلة
الملائكة والجن بالمعنى الذى فسرها به المتكلمون من انها اجسام من النور او الريح
قادرة على التشكل كما قاله الامام فى المحصل لانها ان كانت لطيفة كالهواء لم تقدر على
الافعال القوية وان كانت كثيفة لزم ان نشاهد والا لزم ان يجوز وجود جبال
شاهقة عندنا لا نشاهدها وقالوا الجن الارواح البشرية الشريرة المفارقة لابدانها
ثم لا ينكرونها راسا كما يتوهمه بعض الناس فيقول انه مخالف لنص القران والحديث
واجيب عما قالوه كما ذكره الكاتبى فى شرح المحصل بان اللطيف لا ينافى القوة لا ترى
ذى البلوى وما يحوى قوى القوام كالريح فى ارادة الارد فيقوى على الاعمال الشاقة
ولا يرى او الثانى ولا يرى لانها شفافة والشفاف لا يرى اولان للرؤية شروطا
وموانع اولان الله لم يخلق رؤيتها لعبيدها وقيل الجن والملائكة جنس واحد والكلام
على هذا مفصل فى كتب الحكمة والكلام وقد تقدم الكلام على الال وهم الاقارب والصحب
اسم جمع لصاحب وهو معروف قال القاضى ابو الفضل عياض المؤلف رحمه الله لا خلاف
فى ان ساب الله تعالى كافر حلال الدم اى مستحق للقتل شرعا فهو كنابه عما ذكر بقرينة
ان الحل والحرمة من صفات الافعال دون الذوات والمراد ذاسبه بما لم يكفر به كاثبات
الولد والشريك فانه لا يقتل به الا ان اظهره فانه نقض للعهد والظاهر ان المراد
بالسب ما هو سب عندهم فيخرج هذا عنه فلا حاجة للجواب عنه كما قيل واختلف فى
استتابته اى طلب التوبة منه وقبولها فقال ابن القاسم فى كتابه الذى سماه
المبسوط وفى كتاب سحنون ومحمد بن المواز ورواه ابن القاسم عن مالك فى كتاب
اسحاق بن يحيى من سب الله تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب اى لا تقبل توبته
ولعظم جرمه لا يطلب منه توبة لانه قد يتوب فيتردد فى قتله الا ان يكون سبه افترا
على الله بارتداده الى دين غير الاسلام دان به اى اتخذه دينا اطاعه واظهره
ولم يخفه فيستتاب اى يؤمر بالتوبة ورجوعه للاسلام وان ارتد لدين لم يظهره
لم يستتب وقتل لانه زنديق لا يوثق بتوبته والافترا الكذب عمدا وسمى فعله هذا افترا
مجازا ولاستلزامه له وقال فى المبسوطة مطرف منسوب لجزيرة ابن الفاعل وهو ابن
اخت الامام مالك كما تقدم وعبد الملك ابن حبيب او ابن الماجشون مثله بالنصب

دمجى

اى مثل ما مر تفصيله وقال المخزومى ومحمد بن مسلمة تقدم بيانه وابن ابى
حازم بحا مهملة وزاى معجمة وهو عبد العزيز سلمة بن دينار ابن ابى حازم توفى فى
سنة اربع اوخمس اوست وثمانين ومائة وهو ساجد فى مسجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولا يقتل المسلم بالسب اى سب الله الذى كفر به حتى يستتاب فان
تاب والا قتل والبه ذهب الشافعى وغيره وكذلك اليهودى والنصرانى اذا سب
الله تعالى واحد منهما لا يقتل حتى يستتاب فان تابوا قبل منهم الاتيان بالتوبة
وان لم يتوبوا قتلوا ولابد من الاستتابة قبل قتلهم وهذا حكمهم الان اذا قويت
شوكة الاسلام بخلاف زمنه صلى الله عليه وسلم اذ لم يقتل اليهود الذين قالوا يد الله مغلولة
لما نزل اقرضوا الله قرضا حسنا فلم يستتبهم دفعا للفتنة وذلك اى ما تقدم من سب
الله كله كالردة فى حكم الاستتابة وهو اى حكمه المذكور الذى حكاه القاضى بن
نصر تقدمت ترجمته عن المذهب اى مذهب الامام مالك ولبعض الشراح هنا ابن افيرس
كلام طويل بلا طائل وكيف يسوغ له البحث فى مسائل الفقه التى ينقلها المص عن
مذهبه وافتى الشيخ ابو محمد بن ابى زيد امام مذهب مالك المشهور فيما حكى
بينا المجهول عنه فى رجل لعن رجلا اى دعا عليه باللعنة ولعن الله تعالى عز وجل
فقال معتذرا عما قاله انما اردت ان العن الشيطان فزل لسانى اى سبق خطا
لما قلته فقال ابن ابى زيد فى فتواه يقتل بظاهر كفره بما قاله ولا يقبل عذره ابن افيرس
لمخالفته للظاهر واما حاله فى الاخرة فيما بينه وبين الله معذور ان صدق
وترك هذا القيد لظهوره فلا اعتراض عليه وهذه الفتوى الشافعية لان مخالفة الظاهر
الصريح لا تعتبر بدون قرينة وهى قاعدة معتبرة عند الفقهاء هذا وفى كلام ابن حجر
بعد قول المص ولا يقبل عذره ونقضه مذهبنا قبوله وافتى فقها قرطبة مدينة
بالاندلس معروفة بضم القاف والطا المهملة وموحدة فى مسئلة هارون
ابن حبيب اخى عبد الملك الفقيه الذى تقدمت ترجمته واخوه هارون لا يعد من
العلما بل من الامرا وكان ضيق الصدر اى فى نفسه ضيق وسرق كثير التبرم
اى الضجر والقلق مما يصيبه كما فسره به فى الصحاح وكان هارون قد شهد بينا
المجهول عليه بشهادات فى امور تقتضى تكفيره منها انه قال فى استقلاله اى فى خ عند
زمن افاقته وقيامه من مرض اصابه من قولهم استقل اذا ارتفع والمراد انه برى
منه تعالى لما برى منه لقيت فى مرضى هذا اما اى امرا لو كنت قتلت ابا بكر وعمر
رضى الله عنهما وفى نسخة ما قد لو قتلت الخ ما استوجبت اى استحقيت هذا الذى لقيته
كله فافتى ابراهيم بن حسين بن خالد من اجلا فقها المالكية بقرطبة توفى سنة
ثمان وخمسين ومائتين بقتله لان مضمن قوله هو بالتشديد بزنة اسم المفعول
اى ما تضمنه تجوير الله بجيم وراء مهملة اى نسبته للجور والظلم منه اى القول بانه
ظلمه بما فعله والتعريض فيه اى فى نسبة الله تعالى لما لا يليق به كالتصريح اى
كحكمه فى التكفير وايجاب القتل ومعنى التعريض ما يقابل التصريح وهو من الكناية

وليس

وليس بعد احمل بيانه وقول المص التعريض كالتصريح هو نقل عن ائمة مذهبه عرضى
فلا وجه للاعتراض عليه بان الفقها قالوا فى كتب الفقه ليس حكمه حكم الصريح ونقله
عن الشافعية وافتى اخوه عبد الملك بن حبيب الذى تقدمت ترجمته وابراهيم
ابن حسن بن عاصم وصح فى بعض النسخ حسين بالتصغير بدله وهو الفقيه
الجليل القرطبى توفى فى رمضان سنة سبع ومائتين وسعيد بن سليمان القاضى
بطرح القتل عنه اى دفعه واصل معنى الطرح الرمى المحتزاف ففى التعبير به ايما
الى ان قتله جائز ولكنه درى عنه الا ان القاضى راى عليه التثقيل بوضع القيود
والاغلال فى الحبس والشدة اى التشديد فى الادب والنكال لاحتمال
كلامه لما ذكر من نسبة الله تعالى للجور والظلم وصرفه الى التشكى من المرض
لنا لم به لا الشكاية من الله ولهذا الاحتمال دفع عنه القتل وذكر النووى القولين
فى الروضة من غير ترجيح وقال شيخ الاسلام زكريا فى شرح الروض الذى رجحه المحب الطبرى
انه لا يكفر قال ابن حجر والذى عندى ان يفصل فيقال ان اراد بذلك ان الله عذبه وعليه
ذلك لذنوب سبقت له اونحو ذلك لم يكفر وان اراد انه لم يفعل معه الاصلح فى حقه فان كان
مع اعتقاد ان ما فعله معه جور كفر او انه تعالى لا يجب عليه الاصلح او اطلق لم يكفر انتهى عرضى
وليس ما ذكره مبنى على مسئلة وجوب الاصلح على الله وعدم وجوبه على الخلاف المذكور فى
الاصول كما توهم واعلم ان ابن مفلح قال فى كتاب الاداب الشرعية ان ابن عقيل
رحمه الله قال الرضا بقضا الله فى الامراض ونحوها من المصائب واجب وقال الشيخ
تقى الدين انه ليس بواجب على الاصح وانما الواجب الصبر وفيه كلام اطال فيه والحاصل
ان المصائب والامراض ليست بذنب سبق من العبد وانما هى ابتلاء من الله يثيب عبده
عليه كما ورد فى الاحاديث وقد تقدم شئ منه فيما يصيب الانبيا وقول هذا القائل
يقتضى انه يعتقد انها تصيبه بذنوب سلفت منه وهذا اجهل منه فوجه قول من قال
فى ساب الله بالاستتابة اى انه يطلب منه التوبة فان تاب والا قتل انه اى السب
كفر وردة محضة اى خالصة ظاهرة لم يتعلق بها حق لغير الله تعالى من عباده
وحق الله لكرمه وغناه مبنى على المسامحة فاشبه السب قصد الكفر بغير سب
الله فى ان كلا منهما ردة واشبه اظهار الانتقال عن دين الاسلام الى دين اخر من
الاديان كالنصرانية المخالفة للاسلام سوا اظهره ام لا ووجه قول من قال
بترك استتابته كما تقدم نقله عن بعض ائمة المالكية وفى نسخة ووجه ترك
استتابته انه لما ظهر منه ذلك السب المقتضى للكفر بعد اظهار الاسلام قبل غاية
مبنى على الضمير اى السب الذى صدر منه اتهمناه جواب لما اى صار له تهمة فى الكفر
وظننا انه لم ينطق به الا وهو معتقد له مصم عليه بقلبه لغضا رعقيدته اذ لا يتساهل
اى يبدو سهلا هنا يتكلم به هنا من غير تدبر فى هذا اى سب الله تعالى شانه احد
له عقل ودين فحكم له بحكم الزنديق لان ظاهره الاسلام وباطنه مضمر لخلافه بدليل
ما صدر منه والزنديق لا يستتاب فلما اشبهه حكم له بحكمه وهذا لا ينبغى ان سب

ابن افيرس

الرسول صلى الله عليه وسلم ليس ردة محضة حتى يشكل جريان الخلاف فيه كما قيل بل
لان حق الله لا يحكم بحصة كما تقرر عند الفقها ولم تقبل توبته لاخفائه الكفر فالظاهر
استمراره عليه وان توبته انما هي ليتخلص من القتل وهذا ظاهر في ان يعني الزنديق
من يظهر الاسلام ويخفي الكفر كالمنافق وقيل هو من لا ينتحل دينا كما تقدم واذا
انتقل من دين الى دين اخر واظهر السب بمعنى الارتداد اي بمعنى يقتضي انه صار
مرتدا فهذا المنتقل من دين لاخر بسبب ردته قد علم بفعل هذا انه خلع ربقة
الاسلام من عنقه اي خرج من الاسلام خروجا ظاهرا الى الكفر وهو استعارة لان
الربقة عروة في حبل تربط بها البهايم وتشد فاذا خلعتها اي رميتها من عنقها شردت
وذهبت نافرة فجعل احكام الدين وحدوده المانعة بالتزامها عن المعاصي والكفر كالحبل
الذي يربط به وفيه اشارة الى انه ملحق بالحيوانات البهايم الا كالانعام بل هم اضل
وهو مقتبس من الحديث الاتي من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من
عنقه والجماعة اهل السنة والربقة بكسر فسكون وجمعه رباق بخلاف الاول المتمسك
به اي بالاسلام فانه بمجرد سبه الله تعالى شانه لم يعلم انه خلع ربقة الاسلام لتمسكه به
ظاهرا فاشبه من قصد الكفر بغير سب وحكم هذا الذي انتقل من دين الى اخر
واظهر السب حكم المرتد الذي خلع ربقة الاسلام من عنقه يستتاب فان تاب قبلت
توبته والا قتل على مشهور مذاهب اكثر اهل العلم من اكثر علما الحنفية والشافعية
والحنابلة وهو مذهب مالك واصحابه في كتبهم على ما بيناه قبل في الباب الاول
وذكرنا الخلاف مفصلا في فصوله الاتية بعد

فصل

واما من
اضاف الى الله تعالى اي نسب اليه ما لا يليق به اي لا ينبغي ان يعتقده احد
في حقه ليس على طريق السب اي لم يذكره قايله بقصد السب فجعل ما قصد به امر كمن
جلس في طريق يمر به ذلك الامر فهو مجاز وكناية عما ذكر ولا الردة اي ليس ذكره له
على طريق الردة اي على وجه يقتضيها وقصد الكفر اي قصد ما يعد كفرا ولكن كان
ذكره لما لا يليق على طريق التاويل اي قصد غير ما يظهر منه والاجتهاد اي بذل اجتهادا
يراه فيه والخطا في اجتهاده المفضي بما وصل محجته الى الهوى اي تقوله المودي
الى امر من هوى نفسه من غير نظر للحق وتحقيق له والبدعة اي اختراع امر لم يسبق اليه
ولم يرد في الشرع والمراد البدعة التي هي ضلالة فان البدعة قد تستحسن لعدم مخالفتها
الشرع وقد تكون واجبة كما فصل في محله ومقصوده بهذا الفصل بيان حكم من خالف
اهل السنة من الفرق الذين لهم مذاهب مذكورة في الاصول كالمعتزلة وهو مما انهم
من تشبيه اي تشبيه الله تعالى بغيره كاثبات يد له وجسم وهذا بيان لما لا يليق
او نعت اي وصف لله سبحانه وتعالى بجارحة اي باثبات جارحة والجارحة العضو
من اجترح وجرح بمعنى اكتسب قال تعالى ويعلم ما جرحتم كاليد والعين والوجه ونحوه
مما ورد في الايات والقران ولم يقصد ظاهره كالاستوا على العرش مما هو مصروف
عن ظاهره كما سياتي بيانه او نفي صفة كمال كنفي المعتزلة الصفات فرارا من تعدد

القدما

القدما والعجز وانما هو في اثبات ذوات قدما لا ذات وصفات واحترز بقوله
كمال عن الصفات السلبية فلا وجه لما قيل انه لم يحترز به عن شي لان صفاته كلها كمال
فهذا المضاف اليه تعالى عز وجل مما اختلف السلف المتقدمون والخلف المتاخرون
في تكفير قايله ومعتقده اي جعله كافرا فذهب الاشعري الى عدم تكفير اهل
الاهوا والمذاهب المردودة وعلى ذلك اكثر الفقها من الحنفية والشافعية وليس
على اطلاقه كما ستراه واختلف قول مالك واصحابه في ذلك اي في تكفير اهل
الاهوا ولم يختلفوا في قتالهم اذا تحيزوا فئة اي فارقوا اهل السنة وانفردوا بمكان
مختص بهم لاظهار المخالفة وخشية اضلال العامة والخروج اذا قويت شوكتهم
ولم يختلفوا ايضا في انهم يستتابون اي تطلب توبتهم ورجوعهم عما قالوه واعتقدوه
فان تابوا ورجعوا عما هم عليه قبلت توبتهم والا قتلوا دفعا لشرهم واضلالهم لغيرهم
وانما اختلفوا اي مالك واصحابه في المنفرد الذي ليس معه جماعة يتحيز بها عن غيره
منهم اي ممن نسب ما ذكر فاكثر قول مالك واصحابه ترك القول بتكفيرهم
للنهي عن تكفير اهل القبلة وترك قتالهم لنا وقيلهم وارجاء توبتهم ورجوعهم ولعدم
ضررهم لغير انفسهم وفي نسخة وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم اي تشديد عقوبتهم
واطالة سجنهم بفتح السين اي حبسهم مدة طويلة حتى يظهر اقلاعهم اي رجوعهم
عما هم فيه من القلع بمعنى النزع والازالة والمراد به ما ذكر وتتبين اي تظهر توبتهم
ورجوعهم للحق كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بصبيغ بفتح الصاد المهملة وكسر
البا الموحدة وسكون المثناة التحتية وغين معجمة وهو رجل من بني يربوع اسمه صبيغ
ابن شريك بن عسل بكسر العين وسكون السين المهملتين قال ابن ماكولا كان
يتتبع مشكل القران ومتشابهه فامر عمر رضي الله عنه بضربه ومنع الناس من مجالسته
وهذا قول محمد بن المواز في الخوارج وعبد الملك بن الماجشون وهم جماعة كانوا
مع علي كرم الله وجهه في صفين ثم خالفوه وخرجوا عليه لانكارهم التحكيم وقولهم لا حكم
الا لله ولهم عقايد مخالفة للسنة كتكفير مرتكب الكبيرة ووجوب الخروج على الامام
اذا خالف السنة ومع ذلك كان لهم من العبادة والشجاعة والتصلب فيما يعتقدونه
امور عجيبة وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بهم قبل ظهورهم وقصتهم مع علي رضي الله
عنه وقتاله لهم مشهورة في التواريخ وهو ايضا قول سحنون في جميع اهل الاهوا
من الفرق الضالة المضلة المفصلة في محلها فتشدد عقوبتهم ولا يقتلهم بل يطيل سجنهم
حتى يتوبوا وبه اي بما ذكر فسر قول مالك في الموطا كتابه المشهور وفسر قول
مالك بقوله وما رواه مالك وفي نسخة ما رواه بدون واو بدل من قول مالك اي
فسر بعض اصحابه ما اتى له رواية عن عمر بن عبد العزيز عن جده مروان بن الحكم
وعمه عبد الملك بن مروان من قولهم بيان لما في القدرية يستتابون فان
تابوا تركوا والا قتلوا لكفرهم بما مر وهو لا طايفة تقول لا يعلم العبد وان الامر
انف لم يسبق تقديره فنسبتهم للقدر للملابسة السببية وقد ورد في الحديث انهم مجوس

هذه الامة شبههم بهم لاضافتهم الامور لغير الله من النور والظلمة والكلام عليهم
وعلى عقائدهم مفصل في كتب الاصول وهم اصحاب واصل بن عطا الغزال وهم يقولون
يقع في ملكه ما لا يريده تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقال عيسى بن ابراهيم كما تقدم
وقيل هو ابو موسى الغافقي عن ابن القاسم تفسيرا بيانه في اهل الاهوا اي الاراء
الفاسدة الذين اتبعوا اهوائهم الفاسدة من الاباضية بكسر الهمزة وبالباء الموحدة
والضاد المعجمة جماعة من الخوارج اصحاب عبد الله بن اباض ظهروا في خلافة مروان
ابن محمد اخر بني امية زعموا ان من خالفهم كافر غير مشرك يجوز مناكحته والقدرية
وشبههم في عقائدهم الباطلة ممن خالف الجماعة اي اهل السنة فان الجماعة عند
الاطلاق ينصرف لهم لاجتماعهم على الحق من اهل البدع اي الضلالة كالنصيرية والاسماعيلية
وغيرهم ممن فصل في كتاب الملل والنحل والتحريف لكتاب الله بتغييره وتاويله
بالتاويلات الباطلة يستتابون اي تطلب منهم توبتهم ورجوعهم عن اعتقاداتهم
الفاسدة سوا اظهروا ذلك الاعتقاد حتى اطلعت عليهم واسروه اي اخفوه
بحيث لا يطلع عليه الا من هو منهم فان تابوا قبلت توبتهم وعفي عنهم والا اي ان لم
يتوبوا قتلوا وميراثهم لورثتهم من المسلمين لانهم يقولون انهم على الاسلام دينا ويتاولون
النصوص الدالة على خلافهم وانما قتلوا لاصرارهم على البدع المخالفة للحق كما يقتل تارك
الصلاة لا للحكم بكفرهم فلا يرد عليه ما قيل انهم اذا قتلوا لكفرهم كيف يرثهم المسلمون مع ما
فيهم من مانع الارث ولا فرق بينه وبين المرتد والفرق مثل الصبح ظاهر وقال
مثله اي مثل قول عيسى ايضا تاكيد لمثله ابن القاسم في كتاب محمد ابن المواز في
اهل القدر وغيرهم من اهل البدع المخالفين في العقائد لاهل السنة قال اي القاسم
او محمد واستتابتهم معناها ان يقال لهم اتركوا ما انتم عليه من العقائد الباطلة
فان لم يتركوا قتلوا وورثهم ورثتهم كما تقدم ومثله اي مثل قول ابن القاسم في كتاب
محمد المنسوب له في كتاب المبسوط في حق الاباضية والقدرية الذين يشبهانهم
وسائر اهل البدع من الفرق الضالة قال يستتابوا فان تابوا والا قتلوا قال ابن القاسم
وهم مسلمون لاظهارهم الاسلام وشعائره وانما قتلوا جواب سوال مقدر تقديره
فلم قتلوا مع كونهم مسلمين فقال في جوابه لرايهم اي ما راوه من العقيدة السوء
بفتح فسكون اي الشي المخالف لجماعة السنة واهل الحق وبهذا اي بما وافق ما قاله ابن
القاسم عمل الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ابن مروان بن الحكم اي عمل به
وحكم في زمان خلافته به وقد استشكل بعض الشراح كلام المص فيما نقله عن ابن القاسم
بان القدرية اطلقوا تارة على من ينفي القدر كله ويقول ان الامر انف اي مستانف
ليس فيها لله قدرة ولا علم بها وهولا كفرة كما في الحديث الدال انهم مجوس هذه الامة
وهذه الطايفة كانت في اخر الدولة الاموية وانقرضوا فان فرضوا فلا يصح قوله
وهم مسلمون وتارة على المعتزلة القايلين بان الشر ليس بارادة الله وتقديره وهولا
لا يحكم بكفرهم قلت اذا حمل على هذا فلا اشكال فيما نقله ابن القاسم وان كان

مطلب الجماعة عند الاطلاق تنصرف لاهل السنة

ابن اقبرس

عرضي بلغ لابن اقبرس

هو

هو لم يبين مراده لانهم لكونهم انقرضوا كان كلامه منصرفا اليهم بقرينة حالية
وقال ابن القاسم من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى تكليما مصدر موكد لنفي
احتمال التجوز فيه استتيب بطلب توبته ورجوعه عما اعتقده فان تاب ورجع
عن انكاره لكلام الله قبلت توبته والا قتل لانكاره لما اخبر الله به في كلامه الكريم
المتواتر فان اراد ابن القاسم انه يكفر لانكاره القران وتكذيبه لما قاله اصدق
القايلين من غير تفصيل فيه فله وجه وان اراد ان ما ذهب اليه المعتزلة من ان
ما سمعه موسى عليه الصلاة والسلام خلقه الله في الشجرة لا انه صوت وحروف
حادثة صدرت منه لان ذاته لا تقوم بها الحوادث والكلام النفسي لا يسمع عندهم
تكفيرهم بعد اغير مسلم والكلام على مسئلة الكلام مفصل في كتب الاصول لا يسع تفصيله
هذا المقام وقد افرده بالتاليف وابن حبيب وغيره من اصحابنا المالكية فمعنى
صحبتهم موافقتهم مذهبا لا صحبة حقيقية يرى اي يعتقد تكفيرهم اي انهم كفروا ايضا لانهم
هذه ويرى تكفير امثالهم من اهل البدع والعقائد الفاسدة من الخوارج بيان
لامثالهم وقد تقدم بيان الخوارج والقدرية الذين تقدم ذكرهم والمرجية مهموز
بزنة اسم فاعل من الارجاء وهو التاخير والامهال وهم فرقة ضلت ذهبوا الى انه لا تضر
معصية مع الايمان كما لا تنفع طاعة مع الكفر وتكفيرهم لانكارهم النصوص المتواترة
وما علم من الدين بالضرورة فيلزم كان ينبغي ان يسمو المعتزلة لدلالته على انه لا
عذاب اصلا مع موافقته لقولهم الفعلة الزكية وهو كلام في غاية الركاكة واللغة لا تقبل
والتاخير يراد به الترك كثيرا وقد علمت ان المرجية بالهمزة وتبدل ياء والقدرية بفتح
الدال ويجوز تسكينها وقد روى ايضا عن سحنون مثله اي مثل قول ابن حبيب
في التكفير فيمن قال ليس لله كلام انه كافر لانكاره ما ثبت بالتواتر وما يلزم منه
من تكذيب الله ورسله فتكفيره بناء على ظاهر كلامه واطلاقه صيانة للشرع لئلا
يخرق السياج فلو قال اردت بذلك انه ليس له كلام بحروف واصوات حادثة كالبشر
لتنزهه عن قيام الحوادث به كما عند الكرامية وهم من الفرق الضالة فهذا مما ذهب
اليه كثير من اهل السنة كالاشعري المثبت للكلام النفسي فلا يكفر قايله وان ذهب
الى قدم الالفاظ كثير من السلف كالحنابلة واول الشهرستاني كلام الاشعري
في رسالة له لخصها الشريف في شرح المواقف والكلام فيه مشهور بين العلما وفيه تاليف
مستقل واختلفت الرواية عن مالك في اهل البدع والاهوا فاطلق القول بتكفيرهم
عن مالك في رواية الشاميين اي من اتبع مذهب مالك من اهل الشام ابي مسهر
بزنة اسم فاعل بميم ساكنة وبالمهملتين بينهما هاء مكسورة بدل من الشاميين وهو
عبد الله بن مسهر الغساني المالكي كما تقدم ومروان بن محمد الطاطري الدمشقي
والطاطري بطاءين مهملتين مفتوحتين وراء مهملة نسبة الى ثياب بيض كان يبيعها
وهي تعرف بالطاطرية بمصر والشام وهو امام محدث ثقة احتج له مسلم وغيره
وله ترجمة في الميزان وهو من زهاد العلماء توفي سنة ست عشرة ومايتين

ابن اقبرس

مطلب اللغة لا تعقل

الكفر عليهم اى قال بكفرهم مطلقا او سماهم كفرة واطلق اسم الكفر عليهم وقد
شوور بينا للمجهول اى شاوره مالكا واستشاره بعض الناس فى تزويج القدرى
اى عقد النكاح لامرأة من اهل السنة فقال لا اجيزان تزوجه لانه كافر عنده ومثله
لا يجوز تزويجه بمسلمة وقد قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم
اى العبد المؤمن وان كان فقيرا خير من المشرك وان كان غنيا وفيه ترغيب
وترهيب وفى الاية كلام فى كتب التفسير وروى عنه اى عن مالك ايضا اى كما روى
عنه فيما مر انه قال اهل الاهوا اى البدع والمذاهب المخالفة لاهل السنة كلهم
كفار لعقائدهم الباطلة وقال مالك ايضا من وصف شيئا من ذات الله اطلاق
الذات بمعنى النفس على الله مشهور وفيه كلام تقدم واشار حال وصفه له الى شىء
من اعضا جسده بيده بدل من جسده بدل بعض من كل او سمع او بصر او نحوه
قطع ذلك العضو منه الذى اشار به حال وصفه واشارته كناية عن ان ما ذكر
من الاعضا حقيقى كالمحسوس المشار اليه وانما عوقب بذلك لانه شبه بشر بجهة
من التشبيه فهو باشارته شبه الله بنفسه فى اثبات الاعضا والتجسيم له ومثله من
المتشابه وللسلف فيه خلاف فبعضهم نهى عن الخوض فيه وتاويله لانه مما يستحيل حقيقته
وذهب بعضهم الى تاويله بما يصح فى حقه كتفسير اليد بالقدرة والتصرف ونحوه ومنهم
من قال انها صفات له لا نعلم حقائقها وسماها الصفات السمعية وعلى كل حال فالتشبيه
غير صحيح ليس كمثله شىء وهو السميع البصير وقيل ان مالكا قصد بكلامه هذا الزجر
الشديد لا القطع حقيقة لانه عقوبة لم ترد فى الشرع او اراد الدعا عليه بذلك
فانه اجل من ان يقول مثله حقيقة انتهى ولا يخفى ان ما قاله خلاف الظاهر واذا
كان عنده هذا كفرا وهو مستحق للقتل فاى مانع من عقوبته بمثل ما ذكر وما
وجه استبعاده وقال مالك فيمن قال القران مخلوق هو كافر فاقتلوه اعلم
ان هذه المسألة مما ابتلى بها السلف حتى اختار بعضهم السجن والضرب ولم يرضوا
بان يقولوا ذلك ومن الغريب ما روى فى كلامه قال لفظى بالقران مخلوق وقال
بعضهم التوراة والانجيل والزبور والفرقان وعدها باصابعه وقال هذه الاربعة
مخلوقة الى غيره لان القران يطلق على الكلام النفسى والصفة المعنوية القائمة بذاته
تعالى وعلى الكلام القائم به انه عند من قال به من الالفاظ كالكتابة والشهرستانى
وعلى ما يقروه الناس ويكتبونه والاولان قديمان والثالث محدث مخلوق لكنه
منع من قوله ادبا وتنزيلا للصورة منزلة ذيها ولئلا يوهم معنى الاختلاق الذى
هو بمعنى الافترا والكذب قال ابن طلحة فى كتاب اداب حملة القران وممن قاله
الوليد بن المغيرة وقد فسر قوله تعالى قرانا عربيا غير ذى عوج بغير مخلوق وورد
فى الحديث القران كلام الله ليس بمخلوق فعليه انعقد الاجماع قبل ظهور المعتزلة
وحكم من قال انه بدعة يستفصل فان قال اردت الحروف والاصوات ترك
ولا يقتل وان قال اردت المعنى القائم بالذات قتل مطلقا وان لم يثبت حق لان وهل

يعذر

يعذر بجهله ام لا فيه خلاف وموسى سمع كلام الله من غير صوت ولا حرف كما يرى
الله فى الجنة من غير جهة وتجسم ولا تجوز التورية عنه كما مر الا اضطرارا انتهى
وهذه الرواية عن مالك بنا على انه يجوز التعزير بالقتل وهو الذى يسميه بعض
الفقها سياسة لانما يفهمه الناس من انه ما امر بفعله الامام على خلاف الشرع وبه
صرح ابن تيمية فى السيف المسلول كما مر وعليه حمل ما مر من قتل اهل الاهوا
فلا اشكال فيه كما قيل وقال ايضا الامام مالك فى رواية ابن نافع عن مالك
انه يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب وهذا هو الصحيح وابن نافع تقدمت
ترجمته وفى رواية بشر عن مالك وهو بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة وراء
مهملة ابن بكر التنيسى بكسر التاء المثناة الفوقية وتشديد النون المكسورة ومثناة
تحتية وسين مهملة وتنيس قرية كانت بقرب دمياط ينسج فيها ثياب مشهورة بغاية
الجودة وهى فى جزيرة صغيرة تسمى تونة اكلها البحر وها مكسورة على الصحيح
وجوز بعضهم فتحها وبشر بن بكر هذا امام محدث جليل ثقة اخرج له اصحاب السنن
وتوفى سنة خمس ومائتين وله ترجمة فى الميزان عنه اى عن مالك انه يقتل
ولا تقبل توبته والصحيح ما تقدم وقال القاضى ابو عبد الله البركانى بزنة
الزعفرانى بالموحدة والراء المهملة ومثناة فوقية وكاف ونون بعد الالف وبا
نسبة الى نوع من الاكسية والقاضى ابو عبد الله التسترى من اصحاب مالك
نسبة لتستر بتائين مثناتين فوقيتين كما تقدم من ائمة المالكية العراقيين
نسبة لعراق العجم اقليم معروف جوابه اى جواب مالك فى هذه المسئلة مختلف روايته
عنه فى القتل وعدمه بقتل المستنصر هو بسين ساكنة وصاد وراء مهملات قبلها
مثناة ونون اى من له اعوان ينصرونه وقيل انه بنا موحدة اى من له بصيرة فى
اقامة الادلة على مراده كذا فى الشروح والاول انسب بقوله الداعية بدال
وعين مهملتين الذى يدعو الناس لمذهبه ويطلب ظهوره والتا للمبالغة لا للتانيث
كعلامة فهذا استدفعه فلذا راى مالك قتله دفعا لفتنته بخلاف غيره وبنا على
هذا الخلاف فى الرواية عن مالك المبنى على انه كان داعية ام لا انه اختلف
قوله اى مالك فى اعادة الصلاة اذا صليت خلفه اقتدا بامامهم فتارة قال
يعيد وتارة قال لا يعيد وهو مبنى على ان الامام داعية ام لا اى المبنى على التكفير
وعدمه وهو مذهب ابى حنيفة والشافعى فى صحة الاقتدا باهل البدع والاهوا مطلقا
والادلة مفصلة فى كتب الفقه وحكى ابو بكر ابن المنذر وهو امام جليل ادعى
الاجتهاد وعد فى اصحاب الشافعى وهو حافظ ثقة كما تقدم روايته عن الشافعى
رضى الله عنه لا يستتاب القدرى للقول بكفرهم وتعينه تقدير الله كما مر واكثر اقوال
السلف تكفيرهم اى جانب الحكم بتكفيرهم وفيه خلاف وممن قال به اى باعتقاد
كفرهم الليث وابن عيينة وابن لهيعة بفتح فكسر وهولاء كلهم تقدمت تراجمهم
وروى عنهم اى عمن ذكر من السلف ذلك اى تكفيرهم كما روى عنهم فيمن قال

ابن افيرس

تلمسانى

عرضى

بخلق القرآن وقد سمعت ما به وقال ابن المبارك اسمه عبد الله كما تقدم
والاودي بفتح الهمزة وسكون الواو وكسر الدال المهملة منسوب للاود قبيلة
وهو عثمان بن الحكم ووكيع ابو سفيان بن الجراح الرواسي كما تقدم وحفص
ابن غياث بكسر الغين المعجمة وفتح اليا التحتية المخففة والف تليها مثلثة ابو عمر والنخعي
قاضي الكوفة الامام الحافظ اخرج له الستة وترجمته في الميزان توفي سنة اربع عشر
ومائة وابو اسحاق الفزاري ابراهيم بن الحارث بن اسما بن خارجة الفزاري
احد العلما اخرج له ايضا الستة وتوفي سنة ست او ثمان وثمانين ومائة وهشيم
ابن بشير السلمي الواسطي الحافظ الثقة توفي سنة ثلاث وثمانين ومائة واخرج
له الستة وترجمته في الميزان وعلي بن عاصم بن صهيب الواسطي احد الائمة
الاعلام الذي اخرج له اصحاب السنن كما في ترجمته في الميزان وتوفي سنة احدى
ومائة وعمره سبع وتسعون في اخرين من الائمة الذاهبين لهذا او نحو لرمانا له
هولا من قول اكثر المحدثين اي ائمة علم الحديث والفقها والمتكلمين فيهم متعلق
بقول اي في المبتدعة وفي الخوارج والقدرية واهل الاهوا اي المتبعين لهوى
انفسهم في العقايد الفاسدة المضلة بزنة اسم الفاعل ويجوز كونه اسم مفعول
ايضا واصحاب البدع المتاولين للنصوص بتاويلات باطلة وهو قول احمد
ابن حنبل في هولا وكذلك اي مثل هذا القول قالوا اي قال من الائمة الذاهبين
للتكفير في الفرقة الواقفة بالقاف والفا وفي نسخة الواقفية بيا النسبة وفي
الفرقة الشاكة في هذه الاصول متعلق بالواقفة والشاكة على التنازع او
التجاذب والمراد بالواقفة قوم توقفوا في اتباع البدعة او الشبهة لجهلهم او
لتعارض الادلة عليهم فلم يقولوا القرآن مخلوق او غير مخلوق وكذا الشاكة فرقة
شكوا في ذلك وقال بعض الشراح ليس المراد بهم كل من توقف او شك بل هم
طائفة من الامامية لهم اعتقادات فاسدة وتوقفوا في كثير من احكام الدين واخرجوها
عن اصوله واتفقوا في الامامة وانها لاولاد علي وقالوا بالرجعة بعد الموت
في الدنيا وغيبة الامام في جبل رضوى ويجوز ارادة كل من شك ولم يتبع الحق
ولم ينظر في اصول اهل السنة عنادا منه والحادا وممن روى بينا المجهول
عنهم معنى القول الاخر المخالف لهذا القول بترك تكفيرهم اي تكفير اهل
البدع والاهوا من الفرق المذكورة علي بن ابي طالب وعبد الله بن عمر بن
الخطاب والحسن البصري وهو اي القول بترك تكفيرهم راي جماعة من
الفقها كالشافعي لقوله رضي الله عنه لا اكفر احدا من اهل القبلة الا الخطابية كما
حكاه النووي في الروضة والنظار جمع ناظر ككفار جمع كافر اي اصحاب النظر
والمعرفة بالادلة والقادرين على المناظرة والمتكلمين من علما اصول الدين
واحتجوا اي استدلوا على عدم التكفير بتوريث [2] والتابعين اي بحكمهم بتوريث
ورثة اهل حرورا من ابائهم واقاربهم وحرورا بفتح الحا المهملة وراء مهملة مضمومة

[2] الصحابة

قيل

قبل واو وراء اخرى مهملة بعدها الف ممدودة وهمزة ويجوز قصره علم قرية على
ميلين من الكوفة اجتمع فيها الخوارج الذين اجتمعوا على حرب علي رضي الله عنه وتعاقدوا
على ارائهم الفاسدة وعلى قتاله فنسبوا لمحلهم وارائهم واعتقاداتهم مفصلة في المبسوطات
وورثوا من عرف بالقدر وكان من القدرية وورثته ممن مات منهم اي من الخوارج
والقدرية ودفنهم في مقابر المسلمين لعدم تكفيرهم وجرى مصدر مجرور
مضاف لقوله احكام المسلمين عليهم لصيانة دمائهم واموالهم وغير ذلك قال
اسماعيل القاضي هو اسماعيل بن اسحق الحافظ كما تقدم في ترجمته وانما قال
مالك في القدرية وساير اهل البدع جواب عن مخالفة قول مالك لمذهب
هولا مع توثقه وتمسكه بالسلف اليه من الصحابة والتابعين وعلما الدين واهل
الاصول فقول مالك انهم يستتابون اي تطلب منهم التوبة فان تابوا قبلت
توبتهم والا اي ان لم يتوبوا قتلوا فحكمه بقتلهم ليس لكفرهم بل لانه اي اعتقادهم
الباطل من الفساد في الارض وهو مما يجب دفعه فان لم يندفع الا بالمقاتلة
والقتل قتلوا لما يلزمه من اضلال الناس وان اعتقادهم كما قال مالك في
المحارب من البغاة الخارجين على السلطان وعقايدهم غير باطلة ان راى
الامام قتله مصلحة لدفع فساده وان لم يقتل ذلك المحارب احدا فقتله وليس
قتله لكفره بل لدفع فساده وفساد المحارب انما هو في الاموال التي ياخذها او
ليفسدها ومصالح الدنيا التي يجوز نفعها بتغلبه على البلاد واهلها لقوله تعالى
انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا الاية فالساعي بالفساد
يستحق القتل فليس كل قتل للكفر وقد ذهب مالك مخالف قول غيره في قتل اهل البدع
لانه يرى انهم في عدم تكفيرهم وفي شرح المواقف اعلم ان عدم تكفير اهل القبلة
موافق لكلام الاشعري والفقها لكن اذا فتشنا عقايدهم وجدنا فيها ما يوجب
الكفر قطعا مما يقدح في الالوهية او النبوة انتهى قيل فعلى هذا لا ينبغي اطلاق
القول بالتكفير وعدمه وفيه بحث وما قيل من ان ما قاله القاضي غير مستقيم
لانه ان قيد بالكفر في حكمه كفروا والا فلا حاجة للالحاق مع انه يقتضي استحقاق
كل من ظهر فساده للقتل كلام لا وجه له لمن له ادنى تامل وقول المص وان كان
افساد الساعي بالفساد قد يدخل ايضا اي كما يفسد الدنيا معناه انه قد يورد
فساده للدخول في امر الدين اي قد يورد فساد الدنيا الى الافساد في الدين
فلذا امضى مالك بنا على قواعده في الاربعة وسدها وبين ذلك بقوله
من سبيل الحج والجهاد اي بفساده يفسد سبيل الحج والجهاد بما يمنعه فلهذا اجاز
قتله لئلا يسري فساده للدين وفساد اهل البدع معظم اي اكثره وجودا راجح
وعايد على الدين لعقايدهم الفاسدة التي يضلون بها الناس وقد يدخل
في امور الدنيا فما لم عكس حال المحارب الذي معظم فساده في الدنيا وقد يدخل
في امور الدين فيعلم جواز قتله بالطريق الاولى وبين دخوله في الدنيا بقوله

عرض
ابن [illegible]

بما يلقون دهم اوله مصارع التى يعنى رى وطرح وهو كناية عن ظهوره بين المسلمين من العداوة الدينية التى تسرى لدنياهم بالمقاتلة والمحاربة ونهب الاموال وتخريب الديار والله الموفق للصواب من اتباع الحق وترك الباطل وكسر شوكته وهذا بنا على عدم تكفير الخوارج وفيه خلاف مشهور سياتى بيانه والغلاة امرهم مفصل فى كتب الفقه واساطير فصل

ذيل به ما قبله فى تحقيق القول فى اكفار المتاولين من اصحاب البدع والاهوا الذين اولوا عقايد يرون بطلانها بما يجعلها صحيحة اولوا لبعض النصوص المشكل ظاهرها قد ذكرنا فى الفصل الذى قبل هذا مذاهب السلف من الصحابة والتابعين ومن تبعهم من المتقدمين فى اكفار اصحاب البدع والاهوا من الفرق الضالة المتاولين لمقالتهم الباطلة حتى لا يقتلوا ممن قال قولا يوديه بضم التحتية وفتح الهمزة وتشديد الدال المهملة اى يوصل ويفضى مساقه مصدر ميمى اى سوقه وسوق الكلام وسياقه يدل عليه بواسطة ما ذكر معه الى كفر متعلق بيوديه اى يودى اليه كقول المعتزلة انه لا يفعل القبيح ولا يريده وانه لا يودى الى ما لا يليق من عدم القدرة ونحوه ويجب ولونه بانه بتمكينه وخلق القدرة ويجوزون فعل القبيح قبيح والكلام عليه مفصل فى كتب الاصول وهو اى القايل اذا وقف عليه اى على ما يودى اليه كلامه لا يقول اى لا يعتقد اعتقادا واجازما بما يودى قوله اليه من الكفر ومقدماته وقوله وقف عليه كناية عن الاطلاع عليه والعلم به وليس تعديه بعلى لهذا كما قيل فانه يتعدى لها كما يقال وقف على الارض وبنا على اختلافهم اى السلف اختلف الفقها والمتكلمون فى ذلك اى فى تكفيرهم وعدمه بنا على مسئلة اصولية وهى ان لازم المذهب هل هو مذهب ام لا فمنهم اى الفقها والمتكلمين من صوب بتشديد الواو اى عده صوابا صحيحا والتصويب ضد التخطية التكفير اى القول بكفرهم الذى قال به الجمهور من السلف اى اكثرهم نظرا لما يودى اليه صونا لخطاير القدس وحماية لجانب الربوبية والتكفير والتكفار يعنى ومن قال الاول انما هو من الكفارة فقد اخطا كما فى المغرب وغيره من كتب اللغة ومنهم من اباه اى منع تكفيرهم بمثله ولم ير اخراجهم اى اخراجهم لاجل قولهم لا القايلين بما ذكر من سواد المسلمين وفى نسخ المومنين صونا لاهل القبلة للاحاديث الواردة فى النهى عنه كالحديث الاتى قريبا امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا منى دماهم واموالهم ونحوه من الاحاديث الصحيحة والسواد هنا بمعنى الجماعة قال فى الاساس سواد المدينة ما حولها والسواد الاعظم جماعة المسلمين ويقال كثرت سواد القوم بسوادى اى جماعتهم بشخصى وقلت لما تغلب سود الحضبان على ارض مصر فى الدولة الابراهيمية المنوبة سواد وجوه الملك سود عبيده ◦ بتسويده دون الورى بسودها ◦
لقد غلط الدهر الذى بفعله ◦ وظن سواد المسلمين عبيدها ◦

نعماتى

وورد

وورد سواد الناس بمعنى عامتهم وليس بمراد هنا وان جاز على بعد وهو قول اكثر الفقها وقد علمت انه بنا على الظاهر والاكثر وليس على اطلاقه وذلك لانه لتعلقه بذلك من مسايل الكلام من وجه ومن مسايل الفقه من وجه ومن تاولهم اى اهل البدع فساق كالكفار جمع فاسق وعصاة لارتكابهم كبايرمن فساد العقايد والاعمال ضلال بضم الضاد المعجمة وتشديد اللام جمع ضال ونوارثهم مضارع بوث المعظمة او الجماعة من المسلمين اى نورثهم اى نحكم بارث المسلمين لهم ومنهم ونحكم لهم باحكامهم مثالهم وعليهم لعدم تكفيرهم ولهذا القول قال سحنون ولا اعادة للصلاة على من صلى خلفهم لصحة الاقتدا بهم وصحة صلاتهم وفى بعض النسخ فى وقت واحد ولا فى اكثر اى الوقت وذكره دفعا للتوهم انه قد تسقط الاعادة فى الاوقات الكثيرة دون غيرها للمقتدى بهم قال سحنون وهو اى هذا القول او عدم اعادة الصلاة قول جميع اصحاب مالك كلهم وفى نسخة منهم المغيرة وابن كنانة واشهب وقد تقدمت تراجمهم قال سحنون لانه اى المبتدع مسلم وذنبه الذى ارتكبه من بدعته لم يخرجه من الاسلام لتصديقه بالله ورسوله والتزام احكام الدين فى ظاهر حاله واضطرب اى تردد وشك اخرون فى ذلك الحكم من تكفيرهم وعدمه ووقفوا عن احد الطرفين فلم يحكموا باسلامهم ولا بعدمه عن القول بالتكفير وضده وهو الاسلام وقول رابع وهو التفصيل كما تقدم واختلف قول مالك فى ذلك فله قول بتكفيرهم وقول بخلافه فلذا اضطرب بعضهم وتوقف اخرون منهم وفى نسخة واختلاف قولى مالك وتوقفه عن اعادة الصلاة خلفهم منه اى من هذا القبيل الذى اختلف فيه قوله فتارة قال يعيد وتارة قال لا يعيد والى نحو من هذا التوقف المنقول عن مالك ذهب القاضى ابو بكر الباقلانى من ايمة اهل الاصول امام اهل التحقيق والحق ومقتداهم فى الاصول والفروع ولا يلزم من توقفهم اثبات منزلة بين المنزلتين كالمعتزلة كما توهم قيل انه اشكل لتعطيل كثير من الاحكام فان امرهم فى الاخرة الى الله وقد قيل من قال لا ادرى فقد افتى وكم توقف المجتهد وقف فى مسايل من امور الدين لم تضرهم ولا عيرهم والقاضى ابو بكر الباقلانى اشتهر انه شافعى وقيل انه مالكى وصححه بعضهم وسيصرح به المص فهو الاصح وقال القاضى ابو بكر المذكور انها اى هذه المسالة من المسايل المعوصات اى الصعبة المشكلة لقوة الادلة المتعارضة فيها وهو بضم الميم وسكون العين المهملة وكسر الواو المخففة وصاد مهملة وضبطه بعضهم بفتح العين وتشديد الواو وهو من قولهم اعتاص اذا التوى والعويص ما لا يفهم من الشعر وغيره ويصعب استخراجه اذ القوم ممن ارتكب البدعة لم يصرحوا بالكفر فى شى مما قالوه وانما قالوا ما يودى اليه اى ما يلزمه الكفر وظن بعضهم ان القوم هم علما السلف والمراد انهم لم

ابن أقبرس

يطلقوا عليهم اسم الكفر وما بعده بأباه واضطرب قوله اى قول القاضى فى المسئلة فهو مختلف على اضطراب قول امامه مالك بن انس وهذا اصرح فى انه مالكى المذهب وبه صرح الزناتى فى طبقاته فقال ابو بكر محمد بن الطيب المعروف بابن الباقلانى الاصولى الاشعرى المالكى مجدد الدين على رأس المائة الرابعة على الصحيح انتهى الا انه يحتمل ان يريد به ابو بكر بن العربى المالكى الا ان فى العبارة ما يأباه ظاهرا لانه بر ند ر حتى قال القاضى ابو بكر فى بعض كلامه انهم على راى من كفرهم بالتاويل فى اقوالهم لا تحل مناكحتهم اى تزوجهم المسلمات ولا اكل ذبائحهم كالمشركين ولا الصلاة على ميتهم لانهم كفرة عنده ويختلف فى موارثهم على الخلاف المتقدم فى ميراث المرتد وقال القاضى ايضا انما نورث بالتشديد والتخفيف ميتهم اى نعطى ميراث من مات منهم ورثتهم من المسلمين تقديما على بيت المال لعلاقة الاسلام السابقة ولا نورثهم اى لا نعطيهم ميراث من مات من اقاربهم من المسلمين لانقطاع علاقة الارث بينهم عند استحقاق الارث واكثر ميله اى القاضى الى ترك التكفير لاهل البدع بالمال اى ما يؤول اليه كلامهم لان لازم المذهب ليس بمذهب عندهم وكذلك اى مثل ما اضطرب قول القاضى اضطرب قول شيخه ابى الحسن الاشعرى وهو شيخه فى الاصول وقدوته وهو لم يره وانما روى عنه بواسطة لذا قيل واكثر قوله اى ما نقل عنه ترك التكفير لهم وان التكفير انما يلزم خصلة اى صفة واحدة وهو ذكره نظرا للمعنى الوصف الجهل بوجود البارى تقدس وتعالى لقوله فى الحديث حتى يقولوا لا اله الا الله كما تقدم بان لا يعرف الله ولا يقربه ولا بوحدانيته وقال الاشعرى والقاضى مرة من اعتقد ان الله تعالى جسم كالمجسمة والنصارى او المسيح بالرفع اى قال ان الله هو المسيح عيسى او حل فيه او قال ان الله بعض من يلقاه فى الطرق فليس بعارف به اى جاهل بالله لا يعرفه لقوله لمن ليس باله هو الله وهو اعظم جهل به وهو بسبب ما قاله كافر لان كل من لم يعرف الله كافر كما تقدم ولمثل هذا القول الذى قاله الاشعرى ذهب ابو المعالى عبد الملك بن يوسف امام الحرمين كما تقدم فى اجوبته لابى محمد عبد الحق لما سأله عنه قال الحافظ الحلبى ليس هو الحافظ عبد الحق الاشبيلى صاحب كتاب الاحكام وغيره لانه من اهل المائة الخامسة وامام الحرمين من اهل الرابعة فليس من اهل عصره وفى بعض النسخ ذهب ابو الوليد سليمان فى اجوبته لابى محمد عبد الحق وهو لا يصح ايضا لاختلاف عصريهما وقال التلمسانى هو عبد الحق بن محمد بن هارون السهمى توفى سنة ست وتسعين واربعمائة ومن العجب ما قيل ان عبد الحق هذا هو الاشبيلى والعسى واللام فى قوله لابى محمد ليست متعلقة باجوبته وانه هو السائل بل المراد فى اجوبته الكائنة لابى محمد الذى جمعها وصنفها كما يقال اجوبة مالك لابن سحنون والجار والمجرور ليس لغوا وهو تعسف لا معنى له ولا يخطر ببال وكان ابو محمد عبد الحق سأله عن المسئلة المذكورة فى اهل البدع فاعتذر له عن ترك الجواب له

بان الغلط فيها اى فى هذه المسالة يصعب ويشكل على من خاف ان يقول فى الشرع ما ليس منه لان ادخال الكافر فى الملة اى ملة الاسلام وما ليس من اهله لكفره او اخراج مسلم منها اى من ملة الاسلام امر مشكل عظيم فى الدين لما فيه من خطر الجانبين فلذا لم يجبه فى هذه المسئلة تخوفا من الله تعالى واعلم ان الاشعرية قالوا ان المجسمة منهم من قال انه جسم بلا كيف اى ليس جسما كالاجسام فى المادة وهذا امذهب الحنابلة وبه صرح ابن سمعة وقال معنى قولنا جسم انه ليس بعرض وهذا اخوا المكلفة وهو لا يسوا ابكفارهم عندهم بل مبتدعون ومنهم من اثبت له الجهة بجوازها وهو لا كفار كما صرح به الرافعى فى الشرح وقيل ليسوا بكفار مطلقا والاصح الاول ومن لقى رجلا فى الطريق فقال هو الله هم بعض الجهلة من الحلولية وليس منهم مشايخ الصوفية كابن عربى وابن الفارض نفعنا الله ببركاتهم وصانهم عما نسب اليهم فلا يغتربن تعصب عليهم من ظاهرية الفقهاء وقال غيرهما اى غير الاشعرى وابى المعالى من المحققين الذى يجب الوصول مبتدا خبره الاحتراز اى الحذر والتوقى من التكفير فى اهل القبلة من اهل التاويل الذين اولوا ما فيهم لانهم بما يوافق الشرع وان لم يقبل تاويلهم فان استباحة دماء المسلمين وفى نسخة بدله المصلين الموحدين خطر اى امر عظيم يخشى منه غضب الله والخطا فى ترك قتل الف كافر اهون اى اخف واقل عند الله من الخطا فى سفك اى اراقة محجم بكسر الميم اسم آلة يوخذ فيها دم الحجامة المعروفة من دم مسلم واحد بحسب الظاهر لم يحكم بكفره وحاله عند الله غيبه مبالغة لانه كناية عن قلة القتل وتوهم ان نفس اراقة دم محجمة واحدة بالحجامة لان القتل اهون من قتل الف كافر وليس بمراد وقد قال صلى الله عليه وسلم فى حديث صحيح رواه البخارى وغيره امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فاذا قالوها يعنى صلى الله عليه وسلم كلمة الشهادة بوحدانية الله وبرسالة رسوله صلى الله عليه وسلم ولم يقل واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لان من قالها التزم احكام الاسلام يدل عليه بالالتزام ولذا ادخله بعضهم فيه ولانه لا يقاتل وان جاز قتله غالبا عصموا اى حفظوا وصانوا منى دماءهم جمع دم اى لم يقتلوا واموالهم عن اخذها منهم كالفى والغنيمة الا بحقها استثناء مفرغ اى بكل سبب الا بسبب حق يقتل قتلا او اخذ مال كقتل او غصب وحسابهم عما عملوه فى الآخرة على الله اى حسابهم مفوض الى الله المطلع على اعمالهم وسرائرهم وما فى قلوبهم من كفر ونفاق وغيره وانما النبى صلى الله عليه وسلم قال انا امرت ان يحكم بالظاهر والله يتولى السرائر فعلى ليست للدلالة على الايجاب لانها بمعنى الى خلافا للمعتزلة القائلين بوجوب الاصلح على الله او تقول هى على ظاهرها على طريق تنزيله منزلة الواجب عليه لعدم تخلف ما سبق فى علمه وتقديره اولا له وعدمه منه وهو لا يخلف الميعاد فصار كالواجب شرعا ولا معنى للايجاب على الله عنده قد يتوهم النظر الا هذا كما ذكره الجلال الدوانى فى شرح العقايد العضدية

وظاهر الخبر يقتضي ان التلفظ بكلمتي الشهادة لا يتحقق الايمان بدونه كما ذهب اليه بعض اهل السنة وذهب الاشعري وبعض الماتريدية الى انه انما هو لازم لاجراء الاحكام الشرعية عليه في الدنيا وكف القتل عنه فمن آمن بقلبه ولم يتلفظ بهما فهو مؤمن عندهم بدليل قوله تعالى أولئك كتب في قلوبهم الايمان ولما يدخل الايمان في قلوبكم ونحوه والخلاف فيمن امكنه التلفظ بهما وهو قادر لكن العاجز من اجماع والقادر الابي المصر على الترك كافر اجماعا لدلالة ذلك على عدم خلوص سريرته **فالعصمة** للدم والمال والاموال **منوط بجامع** الايمان **بالشهادة** بتلفظه بانه لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وهذا عام مخصوص بغير اهل الذمة والمعاهد والمستأمن بما نطق به من الايات والاحاديث وهل هو ناسخ للعموم او مقيد خلاف لفظي مذكور في اصول الفقه **ولا ترتفع** العصمة اي تزول **ويستباح خلافها** من دم او مال **الا بدليل قاطع** يرفع ما قطع به **ولا قاطع** في حق المبتدعة **من شرع** ورد به كتاب او سنة **ولا قياس جلي عليه** اي على القاطع الشرعي **والفاظ الاحاديث الواردة في هذا الباب** الدالة على تكفير اهل البدع والاهواء الذي تمسك بها من ذهب لتكفيرهم وهو جواب عن سؤال تقديره كيف لا تقول بتكفيرهم والحال انه قام عليه دليل ولا قياس وقد يدعوا ما يدل على خلافه فقال انها **معرضة** بزنة اسم الفاعل لمفعول مشددة الراء وفي نسخة عرضة اي انها قابلة **للتاويل** فلا تعارض الادلة القاطعة بخلافه فشبهها بهدف يوضع لاصابة سهام التاويل ففيه استعارة مكنية تخييلية وذلك لعدم صراحتها **فما جاء منها** اي من الاحاديث الدالة على كفرهم **في التصريح بكفر القدرية** وانهم مجوس هذه الامة كما تقدم **وقوله** صلى الله عليه وسلم **لا سهم لهم** اي للقدرية **في الاسلام** والسهم اما ان يراد به ما هو من سهام القتال لانه انما هو للمسلمين او بمعنى النصيب والمعنى لا اسلام لهم كقول ابن الفارض على نفسه فليبك من ضاع عمره وليس له منها نصيب ولا سهم **وتسميته** الضمير له صلى الله عليه وسلم **الرافضة بالشرك** اي اطلاقه عليهم انهم يشركون فيل وهذا لا نعرف روايته وسياتي رده قريبا **واطلاق اللعنة** اي الطرد والبعد من رحمة الله **عليهم** اي على الرافضة بقوله انهم ملعونون وانما يلعن الكافر **وكذلك** ما ورد **في حق الخوارج** الذين خرجوا على علي رضي الله عنه **وغيرهم من اهل الاهواء** اي الآراء الفاسدة كالشيعة **فقد يحتج بها** اي بهذه الاحاديث **من يقول بالتكفير** لهؤلاء بناء على ظاهرها **وقد يجيب عنها الاخر** الذاهب لعدم تكفيرهم فلذا قال انها قابلة للتاويل **بانه** متعلق بيجيب والضمير للشان **قد ورد** عنهم وروداثابتا متفقا رواته بينهم لا ينكره الا جاهل بل قد ورد في الاحاديث **مثل هذه الالفاظ** المذكورة بها الكفر واللعنة **في حق غير الكفرة** من عصاة المسلمين مع القطع بعدم كفرهم اجماعا **على طريق التغليظ** اي المبالغة والتشديد في الزجر تخويفا لهم فهو مجاز اوكناية بانهم مستحقون لعذاب الكفرة ومتصفون بصفات تلحقهم بالكفرة ومثله كثير في الايات والحديث **وكفر دون كفر** اي اهون منه **واشراك دون اشراك** اخف

دليلي وغيره

منه واهون لتفاوت مراتبه وبعض الشر اهون من بعض وظلم دون ظلم كما في الاثر بعني انه صلى الله عليه وسلم كما سمى الطاعات ايمانا سمى بعض المعاصي كفرا وشركا وسمى الله الكفر في القرآن ظلما كقوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم وقال ان الشرك لظلم عظيم وخلص المؤمنين يرون التوحيد ان لا يرى في الوجود غير الله ولا يرى لغير الله شيئا من الامر ويعدون غيره اشركا خفيا بل ظاهرا كما قال ابن عطاء الله كلك شرك خفي وكما قال بعضهم مهنيا بعيد

عيدي شهودي وعيدي انت يا عيني ... والعيد عندي دوام الجمع عيني

اثبات غيرك شرك في عقيدتنا ... نزك السوى دينا يا قرة العين

وصاحب العرفان يرى الدنيا كلها صغرا وهذا مقام شهود وكشف يعرفه من ذاق حلاوة الايمان ومنكره مريض القلب الذي يلوم العسل من العدم صحة ذوقه اللهم ارزقنا من الذوق للقائك ما يجلو به الصبر على من يلابك واعلم ان البيهقي روى في الدلائل عن علي رضي الله عنه وكرم وجهه عنه صلى الله عليه وسلم انه يكون في امتي قوم اخر الزمان يسمون الرافضة يرفضون الاسلام ورواه من طرق عديدة وقوله في امتي فيه ايما للتاويل وان حمل على انهم في عدادهم وبينهم او المراد بالامة امة الدعوة واما الاحاديث في الخوارج فصحيحة في مسلم وغيره وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم لاخباره بالغيب وسياتي في كلام المصنف الاشارة لها وسنذكره هناك فمن قال حديث الرافضة لا يعلم من رواه فقد قصر **وقد ورد مثله** اي مثل الحديث الوارد في تكفير الرافضة وغيرهم من اهل البدع **في الربا** بالموحدة وبالمثناة التحتية ممدود وهو نقل العبادة وتحسينها لاجل الناس هكذا ضبطه الحافظ الحلبي والاحاديث في الربا مشهورة وكذا اطلاق الشرك عليه فانه يقال له الشرك الخفي وهو انسب بقوله السابق شرك دون شرك وفي الشرح الجديد انه الربا بالقصر وبالموحدة ويكتب بالالف وبالواو والياء وفي حديث مسلم لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده وهو فضل احد المتجانسين على الاخر بالمعيار الشرعي من كيل ووزن ونحوه والكلام فيه معروف غني عن البيان وهو اشارة وفي نسخة الزنا بزاي معجمة ونون فهو اشارة لقوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وعليه بعض الشراح والاول اصح **وعقوق الوالدين** الاب والام وان علوا وهو من الكبائر ايضا والعقوق من عقه بمعنى قطعه وشقه وهو فعل كل ما يؤذيهما ويسوؤهما وبترك صلتهما وضده البر وقد جمع الله ما يلزم في قوله ولا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما الخ وما احسن قول السراج الوراق في بر والده له

من انتدي بالكتاب العزيز ... قد زدت سرورا وزادا بها جا

وما قال لي ان في عمره ... تكون ابا ولكوني سراجا

وفي العقوق احاديث كثيرة تدل على ما قاله المصنف **والزوج** اي وفيما لعن المرأة زوجها ساخطا عليها لم ترح رائحة الجنة وهذا من صفة الكفار وفي بعض النسخ والزور اي

مطلب حد عقوق الوالدين وضابطه

شهادة الزور اى الكذب وسمى به لميله عن الحق ومنه تزاورعن كهفهم **وعبرعصبة** واحدة اى جا فى حق معاص كبيرة وصفها فى الحديث بانها كفر وشرك مع علم كل احد بان فاعلها لا يكفر فدل هذا على ان المراد تغليظ زجره لا انه كفر حقيقة فما ورد من تكفير المبتدعة واهل الاهوا مثله **واذا كان** ما ورد فى حقهم من الكفر **محتملا للامرين** اى كونه على ظاهره وكونه مبالغة فى زجرهم تخويفا لهم **فلا يقطع على احدهما** اى احد الامرين الكفر وعدمه **الا بدليل قاطع** لصعوبة اخراج احد من الاسلام وادخاله فى الكفر كما تقدم وعدى يقطع بعلى لتضمينه معنى يقول ويعتمد لانه يتعدى بالبا يقال قطع به اذا جزم **وقوله صلى الله عليه وسلم فى الخوارج هم من شر البرية** اى الخلق من برا بمعنى خلق فخفف وشر افعل تفضيل مخفف اشر كما سمع نادرا وبه قرى فى قراة شاذة لابى قلابة وكذا اخير والخوارج جمع خارجة او خارجى كما مر **وهذه الصفة** وهى شر البرية **صفة الكفار** وصفهم الله تعالى بها فى القران فى قوله ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين الى قوله اولئك هم شر البرية فوصفهم بصفتهم يقتضى كفرهم ان لم تحمل

على المسلمين ويغيهم عليهم اى جورهم وتعديهم على المسلمين كالبغاة ومن قال لهم قتلهم قيل انما تغليبية اى من اجل قتلهم لانهم قتلوا المسلمين لما خرجوا على ما فى القصة المشهورة ويتمسك بدليله الذى استدل به **من الحديث نفسه** من غير حاجة لدليل اخر كقوله صلى الله عليه وسلم فيه **يقتلون اهل الاسلام** فانه يدل على انهم انما يقتلوا لقتلهم لا لكفرهم كما قال **فقتلهم** اى الخوارج **ها هنا حد** وقصاص ودفع لشرهم **لا لكفر** كما فهمه القائل به ثم استشعر سوالا بانه حينئذ لم شبههم بعاد فقال **وذكر** وفى نسخة وقتل **عاد تشبيه للقتل وحله** اى القتل **لا للمقتول** بخصوصه من الخوارج وقوم عاد ثم وصفه بقوله **وليس كل من حكم بقتله** شرعا **حكم بكفره** كالقاتل وتارك الصلاة عند الشافعى وقطاع الطريق وقتل على كرم الله وجهه للخوارج ذهب كثير الى انه لانهم بغاة كما ذهب بعضهم الى انه لكفرهم **ويعارضه بقول خالد** بن الوليد رضى الله عنه والمعارضة اقامة دليل يدل على خلاف ما قاله وتبين ارجحيته على ما قاله **فى الحديث** الذى رواه الشيخان عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه فى حق رجل اخبر النبى صلى الله عليه وسلم بانه سيصير رءيسا من امرا الخوارج **دعنى** اى اتركنى وهو كناية عن الاذن له فيما ذكر **اضرب عنقه** اى اقتله وهو مجزوم فى جواب الامر **يا رسول الله فقال** رسول الله صلى الله عليه وسلم **لعله يصلى** فجعل الصلاة واظهار شرايع الاسلام مانعة من التكفير والقتل بسببه ولعل للتعليل او للترجى وهو فى كلام الله ورسوله للتحقيق ووقع فى رواية ان القايل لهذه القصة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وجمع بينهما بان القول وقع منهما والرجل الذى اريد قتله ذو الخويصرة **فان احتجوا** اى القايلون بكفرهم **بقوله** صلى الله عليه وسلم فى الحديث الذى رواه البخارى فى حق الخوارج وقوله فيه انهم **يقرون القران لا يجاوز حناجرهم** اى لا يتعداها ويذهب منها جمع حنجرة وهى راس الحلق الخارج منه الكلام وهى الحلقوم ومجرى النفس وطرف المرى مما يليه والمراد انه لا يصل لقلوبهم لعدم العمل والعلم بما فيه من الايمان والعقايد ونحوه او انه لا يجاوز ايمانهم حلوقهم فهم يومنون باللسان دون القلب ولهذا عقبه بقوله **فاخبر ان الايمان لم يدخل قلوبهم وكذلك قوله** صلى الله عليه وسلم **يمرقون** اى يخرجون **من الدين** فالمروق الخروج بسرعة مروقا مثل **مروق السهم من الرمية** قيل هى فعيلة بمعنى مفعولة اى ما يرمى من صيد ونحوه كذا فسروه هنا كلهم والظاهر ان المراد به القوس او الوتر وما يرمى به لقوله بعده **ثم لا يعودون اليه** اى الى الدين **حتى يعود السهم الى فوقه** بضم الفا وواو ساكنة وقاف وهو موضع السهم من الوتر فان الظاهر انه شبه خروجهم بخروج السهم من قوس راميه الذى لا يمكن رجوعه حتى يرميه اليه وهكذا العرف امثال الناس يقولون لما لا يعود سهم رمى ويريدونه نفيه الاتى اراه الا ان يقال السهم الذى يخرج مما رمى به لا يعود لقوسه ايضا فهو ابلغ فى المعنى المراد وهذا هو المراد كما سياتى والحديث كما فى البخارى انه صلى الله عليه وسلم قال يخرج ناس من قبل المشرق يقرون القران لا يجاوز

تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون اليه حتى يعود السهم
الى الرمية الخ وفيه ان سيماهم انهم يحلقون روسهم لان حلق شعر الراس في عهده صلى
الله عليه وسلم انما كانوا يفعلونه لنسك او حاجة اما الان فصار عادة لا تكره وهذا
من معجزاته صلى الله عليه وسلم لما فيه من الاخبار عن المغيبات وكذلك يحتجون بقوله
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان وفي نسخة وكذلك قوله سبق اي السهم
بخروجه سريعا الفرث والدم قال الراغب الفرث ما في الكرش ونبال فرث كبده
اي فتتها وافرث فلان اصحابه اوقعهم في بلية جارية مجرى الفرث انتهى يعني انه لم
تعلق لهم بالاسلام ابدا لسرعة خروجهم منه كما ان السهم النافذ من حيوان رمي به يخرج
قبل ما في باطنه من الفرث والدم فانه يخرج بعده وهذا المذكور في الحديث يدل
على انه اي الخارجي لم يتعلق من الاسلام بشيء كالسهم السريع النفوذ وقوله
اجابهم جواب قوله فان احتجوا الخ اي فان عارضونا اجابهم الاخرون القائلون
بعدم كفرهم بان معنى قوله في الحديث لا يجاوز حناجرهم الذي يتمسكون به انهم
لا يفهمون معانيه بقلوبهم فلا يمتثلون اوامره ونواهيه فهم عصاة لا كفار ولا تنشرح
له صدورهم كغيرهم من المتقين ولا تعمل به جوارحهم اي اعضاؤهم الظاهرة فهم لا
يتدبرون القران وان واظبوا على تلاوته وحسنوا به اصواتهم والهوا في عباداتهم وعارضوهم
معطوف على اجابهم بقوله صلى الله عليه وسلم ويتمارى اي يتردد الرامي في موضعه
من الوتر في الفوق بضبطه السابق فهذا التشبيه يقتضي التشكك في حاله
وانه لا يحكم بكفره وفيه كلام في شرح البخاري وان احتجوا اي المكفرون بقول
ابي سعيد الخدري رضي الله عنه في هذا الحديث ومقول قوله سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج اي يظهر في هذه الامة فعلم انهم لعنهم ولم
يقل يخرج من هذه الامة فانه يقتضي انهم منهم لا مفارقتهم بمخالفة دينهم ورجح هذه
الرواية بقوله وتحرير ابي سعيد اي تهذيبه وتنقيحه الرواية والفائدة اللفظ
بقوله في دون من وتعويله على دقة نظره رضي الله عنه وهذا بحسب الظاهر
اذ يجوز ارجاع كل منهما الى الاخر لان حروف الجر يقوم بعضها مقام بعض والامة
تحتمل امة الدعوة والاجابة كما مر واشار الى الجواب بقوله اجابهم الاخرون الذين
لا يرون تكفيرهم بان العبارة اي التعبير بفي لا يقتضي ويستلزم تصريحا بكونهم
من غير الامة لان بعضهم فيهم وان كان خلاف الظاهر لتخصيص الامة بنا وبلفظ
بخلاف لفظة من التي هي للتبعيض المصرحة بكونهم من الامة ولا يخفى ما فيه
مع انه قد روي عن ابي ذر وعلي وابي امامة وغيرهم ممن رواه في هذا الحديث
يخرج من امتي وسيكون من امتي بلفظ من وهو صريح في انهم منهم وان الروايتين
متوافقتين معنى وحروف المعاني كحروف الجر لا المباني مشتركة اي لها معان
متعددة وضعت لها ويجوز نيابة بعضها عن بعض بتضمين ونحوه واذا كان كذلك
فلا تعويل اي لا اعتماد على اخراجهم من الامة بتكفيرهم بفي اي بسبب قوله

في

في ولا على ادخالهم فيها لاجل تعبيره بمن لاحتمال غيره لكن بالتشديد ابو
سعيد الخدري رضي الله عنه في روايته هذه اجاد ما شاء اي جودة عظيمة في
التنبيه الذي نبه عليه بانيانه بفي الدالة على اخراجهم وهذه العبارة معروفة في
المبالغة كانه يتجدد على الجودة في كل ما يريد وما مصدرية او موصولة وهذا اي
تحرير العبارة وجودتها رعاية للمعاني المرادة مما يدل على سعة فقه الصحابة
رضي الله عنهم اجمعين اي شدة فهمهم لمقاصد الكلام ودقة نظرهم وتحقيقهم المعاني
بما يناسبها من حسن لباسها واستنباطها اي استخراجها من الالفاظ الدالة عليها
وضعا وتحريرهم لها بتهذيبها وتوقيهم اي احترازهم واجتنابهم في الرواية عما لا يليق
وروايته من وفي كلاهما في الصحيحين هذه المذاهب المعروفة في هذه المسالة
لاهل السنة واما ما لغيرهم من الفرق كالمعتزلة والشيعة ونحوهما ففيها مقالات
اي اقوال كثيرة مضطربة متعارضة غير محررة سخيفة اي ركيكة ضعيفة لا يعول
عليها واقربها اي اقرب اقوال غير اهل السنة قول جهم ابن صفوان من المعتزلة
ومحمد بن شبيب من المعتزلة ايضا وقيل مرجي فقد روي ان الكفر بالله هو
الجهل به لان من لم يعلم الله وجوده وسيأتي بسط هذا مع رده عن القاضي ابي بكر الباقلاني
ولا يكفر احد بغير ذلك اي بغير الجهل بالله وهذا قول صحيح ان حمل على ظاهره
لانه يقتضي ان من عرف الله وحده وانكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم او انكر شريعته وما
المنزل عليه لا يكفر فان اراد الجهل بالله وما يستلزمه لم يكن مخالفا لغيره وكانه مراد
القائل انه يلزمه تكفير سائر الفرق الضالة فان لم يرد هذا فلا وجه له وقال ابو
الهذيل ابن احمد بن العلاف شيخ المعتزلة اخذ عن عثمان بن خالد الطويل عن
واصل بن عطاء رئيس المعتزلة وهو القائل بفناء مقدورات الله تعالى وان الجنة
والنار يفنيان لا انهما حادثان وما ليس له اخر فليس غيره كما ان ما ليس له اول
قديم ايضا توفي سنة ست وعشرين ومائتين وتداوى على المائة وهو بصري
ان كل متأول بتشديد الواو المكسورة اسم فاعل ولا وجه لفتحها كما صح في بعض
النسخ لانه يأباه ما بعده كان تأويله تشبيها لله بخلقه بان يثبت له جسما وصورة
وجهة ونحوه مما هو من صفات الخلق المحدثة فان اراد هذا فهو صحيح لكن الفقهاء
لهم خلاف في تكفيرهم وعدم صحة الصلاة خلفهم كما تقدم وما قيل من ان مراده
من تأول بتأويل المتشابهات من اهل السنة غير ظاهر من هذه العبارة وان اطلاق
فيه تعبير باطل وتجويرا له تفعيل من الجور بجيم وراء مهملة ضد العدل واصله
الميل عن الاستقامة وضبطه بعضهم اي نسبة الله الى الجور في تأويله وقد يقال مراده
ايضا الرد على اهل السنة في قولهم ان الله يريد الخير والشر والمعاصي لان
ارادته المعاصي وعقاب فاعلها جور عندهم تعالى سبحانه عنه ورده والكلام عليه مفصل
في محله وعندهم الرضى والارادة بمعنى وتكذيبا لخبره اراد قوله وما الله يريد ظلما
للعباد وتنزيهه للجور كما سمعته انفا فيلزمه تكذيبه في قوله هذا فهو كافر

عرضي

عرضي

بالتشبيه ونسبته للجور وتكذيب خبره وهذا حق اريد به باطل فافرّ بينه بحسب ظاهره
فتأمل وقال ابو الهذيل كل من اثبت شيئا قديما لا يقال له الله فهو كافر وهو
رد للجبائي على اهل السنة في قولهم بقدم الصفات فرارا من عدمها وقيام الحوادث
بذاته وهم ينفون الصفات هربا من تعدد القدماء وعندنا الممنوع تعدد ذوات
قدماء لا ذات وصفات كما مر بيّن في الاصول ويبنى هذا على تفصيل وقال
بعض المتكلمين ان كان المتأول ممن عرف الاصل وبنى عليه اي علم اصول الدين
وفرع عليه تأويله الذي ينتفي ما تقدم من التشبيه وما بعده وكان تأويله فيما
يلحق من اوصاف الله التي لا تليق به فهو كافر لانه نفى ما في ماف له عن علم به وان لم
يكن من هذا الباب اي لم ينف ما اوصله من اوصاف الله فهو فاسق غير طائع لله
لارتكابه كبيرة اعتقادا ما ليس بحق الا ان يكون ممن لم يعرف الاصل اي الاصول
الدينية وانما قال ما قاله لجهله فهو مخطئ غير كافر اي غير مصيب للحق لذهابه
لغير الحق من غير بنا له على اصل من اصول الدين وهذا كله من كلام المعتزلة ودسائسهم
مما يوهم ظاهره الخير وهو شر محض وذهب عبيد الله بالتصغير ابن الحسن
العنبري منسوب لبني العنبر قوم من تميم ويقال لهم في غير النسب بلعنبر وهو عبيد الله
ابن الحسن بن الحسين بن مالك بن الخشخاش بمعجمات ومالك والخشخاش صحابيان وللخشخاش
رواية دون مالك وعبيد الله فقيه بصري تولى قضا البصرة بعد سوار بن عبد الله
وكان عالما ثقة روى عنه غير واحد واخرج له مسلم توفي سنة ثمان وستين ومائة وكان
يرى جواز التقليد في العقائد والعقليات وخالف في ذلك العلما وذهب الى تصويب
اقوال المجتهدين اي القول بانها صواب في اصول الدين مما يتعلق بالاعتقاد
كالاجتهاد في الفروع فيما كان عرضة اي قابلا للتأويل وفي الاساس فرس
عرضة للسباق اي قوية عليه مطلقة له انتهى كانه لما قبلته تعرض له وفارق اي
خالف العنبري في ذلك القول الذي قاله في تجويزه الاجتهاد في اصول الدين
فرق الامة من علما الشرع والسنة والمتكلمين فانها امور سمعية لا بد فيها من نقل
صحيح اذ اجمعوا اي علما الامة سواه اي غير العنبري على ان الحق في اصول الدين
والعقائد في واحد لا يقبل التعدد لبراهينه القطعية فليس كالفروع التي هي
محل الاجتهاد وذهب بعضهم الى ان كل مجتهد فيها مصيب وفي نسخة في الواحد والمخطئ
فيه الذي لم يصادف الحق الواحد اثم عاص فاسق لعدوله عن الحق برأيه وانما
الخلاف في تكفيره باجتهاده المخطئ فيما ليس محل الاجتهاد وانما محله الفروع العملية
فهو مثاب في اجتهاده سواء قلنا المصيب واحد ام لا على ما اشتهر في الاصول اما في
اصول الدين فالمصيب واحد قطعا فلا وجه للاجتهاد فيها وان بذل وسعه
وجهده وذهب الجاحظ كما يأتي والعنبري الى جواز الاجتهاد فيها وانه اذا اخطأ
لا يأثم لكنه معتبر بالاسلام على الصحيح فلو الان قصدهم تعظيم الله وتنزيهه
ولذا لم يبحث الصحابة عن الالفاظ الموهمة للتشبيه وهو كله واه غير سديد وقد

حكى

حكى القاضي ابو بكر ابن الطيب المالكي الباقلاني مثل قول عبيد الله العنبري
في جواز الاجتهاد في الاصول عن داود الاصبهاني اصبهان بفتح الباء وكسرها وفتح الفا والفا
اسم بلدة مشهورة وهو فارسي معرب وداود هذا هو ابن علي بن خلف ابو سليمان
الاصبهاني البغدادي وطن صاحب مذهب الظاهرية ولد سنة مائتين او اثنتين
ومائتين وتوفي سنة سبعين وكان اماما جليلا زاهدا ورعا قلد الشافعي
رضي الله عنه اولا ثم صار صاحب مذهب مستقل وكان صدرا رحلة في عصره
حتى رجح على بعض المجتهدين واختلفوا في انه هل يعتد بخلافه ام لا على اقوال
في الاصول ومن اجل اتباعه ابن حزم قال وحكى قوم عنهما اي عن داود والعنبري
انهما قالا ذلك اي جواز الاجتهاد في الاصول الدينية في كل من اي رجل
علم الله من حاله وما يظهر من امره استفراغ الوسع بجهد فيكون اي بذل
جهده وطاقته وهو في الاصل استعارة تشبيه فرجته ببيت وما يستخرج
بفكره بما يخرج منها ثم صار حقيقة عرفية فيما ذكر في طلب الحق الذي قصده وان
اخطأ في الواقع من اهل ملتنا المسلمين او من غيرهم من الكفرة وقال
نحو هذا القول الجاحظ عمرو بن بحر بن محبوب ابو عثمان الكناني الليثي البصري
العالم المشهور صاحب التصانيف الجليلة وجامع العلوم الغريبة وهو معتزلي صاحب
مذهب في اصول الدين ومن اجل تصانيفه كتاب البيان وكتاب الحيوان لقب بالجاحظ
لجحوظ عينيه اي نتوهما واصابه في آخر عمره داء التصفين فالج وحصر بول ومنه
توفي سنة خمس وخمسين بالبصرة ومن الغريب ما قيل ان جني لقيه ويعرف جني ابي الحسن
وقيل انه لا رجوع له وثمامة بضم المثلثة بوزن كناسة وهو ثمامة ابن اشرس بن معن
النميري كان كما قال الذهبي من كبار المعتزلة ورؤس الضلالة وله نوادر وملح
واتصل بالرشيد والمأمون ومن مذهبه ان المقلدين من اهل الكتاب وعباد الاصنام
لا يدخلون النار وانهم يصيرون ترابا وان الاطفال كذلك يصيرون وهو احد الاذكياء
العشرة في اعتقاد المشركين في ان كثيرا من العامة اي عوام الناس وجهلتهم
والنساء ذكرهم لان اكثرهم يغلب عليه الجهل والبله بضم فسكون جمع ابله المراد
به من قل فهمه وغلب عليه الغفلة وقلة العلم وما في الحديث من ان اكثر اهل الجنة البله
فالمراد بهم من غلب عليه سلامة الصدر وحسن الظن بالناس فاغفلوا امر دنياهم
واقبلوا على آخرتهم وقريب منه قول الزبرقان خير اولادنا الابله العقول اراد انه
مع عقله لشدة حيائه كالابله ومقلدة النصارى واليهود الذين كفروا تقليدا
من غير معرفة دليل وحجة وغيرهم من جهلة الكفرة المقلدين لرؤسائهم لا حجة لله
عليهم لانه عندهم لم يؤتهم نظرا في الحجة والادلة بها اذ احالوه بعد العلم بمعناه كانوا
اهل ضلال كفارا يستحقون العقاب اذ لم يكن لهم وفي نسخة اذ الهم لم توجد بخلق
الله فيهم طباع بزنة رجال مفرد بمعنى طبيعة او جمع طبع وهما قولان لاهل اللغة فهو
مؤنث وقيل انه اسم مؤنث على وزن مثال لا جمع طبع وهو مصدر وهو كلام متناقض

ذهاب

مطلب نظر في تصحيح ادراك داود الاصبهاني

مطلب معنى البله في حديث اكثر اهل الجنة البله

وبجى

والتحقيق ما ذكرناه كما في شرح ادب الكاتب **يمكن** لهم **معها** اى مع وجودها **بهم الاستدلال**
اى اقامة دليل وحجة توصلهم لمطلوبهم فاذن هم معذورون ولا حجة لله عليهم بما فيهم
بها وهو قول باطل لانهم مكلفون عقلا لا سيما من نشا بدار الاسلام وعلى كل
حال فهم متمكنون من النظر ومعرفة الادلة والتفكر فى ملكوت السموات والارض
وقد قرع اسماعهم ما تواتر من ارسال الله رسله وما ظهر من المعجزات الباهرة
الظاهرة ظهور الشمس لمن له عينان فاى عذر لهم تدحض به حجة الله عليهم
وقد نحا الغزالي رحمه الله تعالى **قريبا من هذا المنحى** نحا وانتحى بمعنى ذهب
وقصد اى قال قولا قريبا بحسب المعنى من هذا القول وهو الامام العلامة الزاهد
العابد ابو حامد محمد بن محمد بن احمد الغزالي الطوسي صاحب المؤلفات الجليلة
الذى على كل تعلم فقه الشافعى والاصلين ولد بطوس سنة خمسين واربعمائة واشتغل
بها ثم جال فى البلاد لاخذ العلم ودخل بغداد قصا رمد ... بالنظامية واقام
بدمشق بجامعها بالمنارة الغربية عشر سنين بعدما اخذ العلم عن امام الحرمين
واخذ عن الشيخ نصر المقدسى بزاويته المعروفة بالغزالية ثم اشتغل بمصر والاسكندرية
ثم رجع لبغداد وعقد لها مجلس وعظ وتوفى يوم الاثنين رابع عشر جمادى الاخرة
سنة خمس وخمسمائة عن خمس وخمسين سنة ودفن بطوس وقيل بقصبة طابران وقال
ابن تيمية بضاعته فى الحديث مزجاة ولذا اكثر من ايراد الموضوعات فى كتبه واكثر
فى كتبه من مقالات الفلاسفة حتى قال صاحبه ابو بكر بن العربى مع شدة تعظيمه له
شيخنا ابو حامد دخل فى بطن الفلسفة ثم اراد ان يخرج منها فما قدر وقلت كتاب
التهافت والاحياء يدلان على خلافه وهو يشتد بن الزاى المعجمة فى المشهور واصله
الغزال بغير نسبة فزاد وافيها النسبة تاكيدا كالعصارى على عادة اهل جرجان
وخوارزم وقيل نسب لغزالة بنت كعب الاحبار جدته وقيل انه بتخفيف الزاى
نسبة لغزالة قرية من قرى طوس كما ذكره النووى فى التبيان وانكر ابن الاثير
تخفيفه قال ابن العربى لقيته فى الطواف وعليه مرقعة فقلت له ارى الله من هذا غير
هذا. افانت صيرتك بقندى. وبورك الى معالم المعارف يهتدى. فقال هذه
لما طلع قمر السعادة فى فلك الارادة اشرقت شموس الانوار على مصابيح الاصول
مسجن الكالث لارباب الالباب والبصائر لكل لما طلع عليه راجح وصابر وانشد

تركت هوى ليلى ولبنى بمعزل ... وصرت الى مصحوب اول منزل
ونادتنى الاكوان حتى احببتها ... الا ايها السارى رويدك فانزل
غزلت لهم غزلا دقيقا فلم اجد ... لغزلى نساجا فكسرت مغزلى
فعرست فى دار الذى بجزيه ... قلوب ذوى التغريب عنها بمعزل

واذا سمعت هذا فكيف يظن به اتباع خرافات الفلاسفة وقد راى بعض المشايخ
الغزالي بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو من شخص طعن فيه فامر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بضربه بالسياط فانتبه وبه اثر الضرب والمه **فى كتاب التفرقة**

اسم

مطلب ضبط الغزالي

اسم كتاب له فى الاصول قال ابن حجر وما نسبه المص للغزالي صرح الغزالي فى كتابه
الاقتصاد بما يرده وعبارته التى اشار اليها المص على تقدير كونها عبارته فقد دس عليه
فى كتبه عبارات حسدا لا تفيد ما نسبه المص ولا تقرب مما ذكره وعبارته وصنف
بلغهم اسم محمد صلى الله عليه وسلم ولم يبلغهم بعثته ولا صفته بل سمعوا به انه كذاب يقال
له كذا ادعى النبوة فهو لا عندى من الصنف الاول اى من الذين لم يسمعوا اسمه اصلا فانهم
لم يسمعوا ما يحرك داعية النظر اتينى فتنظر كلامه تجده انما عذرهم لعدم بلوغ دعوته صلى
الله عليه وسلم وهذا لا يخفى منافى ما ذكره المص وقد قال ابن السبكى وغيره لا يحفظ للغزالي
الجاحظ وانه يقفو اثره انتهى وفى الشرح الجديد بعدما ذكر المص هذا الكلام غير مسلم الغزالي
برئ من مثله والذى فى كتاب التفرقة خلافه فانه قال فيه من لم يبلغه اسم محمد معذور
وكذا ان سمع ضده اوصافه فى معناه مدعى النبوة كذابا فان سماع مثله يمنع دواعى
النظر والطلب وكذا من قرع بعثته ومعجزاته المتواترة وادركه الموت قبل التحقيق
فهو معذور وله تشمله الرحمة الواسعة وقال فى المستصفى ذهب الجاحظ الى ان مخالف
ملة الاسلام من اليهود وغيرهم وذريتهم ان كان معاندا فيما يخالف اعتقاده فهو اثم
وان نظر فعجز عن درك الحق فهو معذور وغيرآثم وان لم ينظر لكونه لم يعرف
وجوب النظر فهو معذور وغيرآثم وانما الاثم المعذب المعاند فقط ولا يكلف الله نفسا
الا وسعها وهو لا عجز وا عن درك الحق فلا زموا عقائدهم خوفا من الله اذ لا ينسد
عليهم طرق المعرفة وما ذكره ليس بمحال عقلا لورود الشرع به فهو جائز لورود التعبد
به لكن الواقع خلافه وما ذكره العنبرى باطل بادلة سمعية ضرورية فانا كما
نعلم امره صلى الله عليه وسلم بالصلاة ونحوها ضرورة نعلم امر اليهود وغيرهم بالايمان
واتباعه وذمهم وقتالهم وقتلهم ونحن بهم ونعلم قطعا ان المعاند منهم تقليد الاباء مع
الايات التى لا تخفى الدالة على خلافه وفى القران التصريح به وقول العنبرى كلفهم
ما لا يطيقون الضرورية قاضية على انه اقدرهم بما رزقهم من العقل ونصب لهم من
الادلة وبعث الرسل المؤيدة بالمعجزات حتى لم يبق لهم حجة عليه وقوله كل مجتهد فى
العقليات مصيب كالفروع باطل لان الحرمة والحل تختلف بخلاف العقائد وقد انكره
اصحابه وقالوا انه اقبح من مذهب الجاحظ الى اخر ما فصله فيه ونسب به مذهب
هؤلاء وكيف مع هذا يقول المص رحمه الله انه نحى نحوهم وحاشاه منه وانما نبهته
ذلك فى له انه جائز عقلا ولا يلزم من مجرد الجواز العقلى قبل النظر فى الادلة واستماع
ما اتى له الله ورسوله انه يجوز شرعا فكم من جائز عقلا ممتنع شرعا ونقلا واى محذور
فى مثله وانما ذكره بيانا لمنقولى غلطهم الذى اصله عقولهم فى بوادى الجهالة وهو كلام
حق لا يرتاب فيه عاقل فضلا عن فاضل **وقيل هذا كله كفر بالاجماع على كفره**
متعلق بالاجماع **من لم يكفر احدا من النصارى واليهود** كما ذكره الجاحظ ولم يكفر
كل من فارق دين المسلمين كارباب الملل من المجوس وغيرهم ومفارقته بمخالفته
لهم قولا وفعلا **او وقف فى تكفيرهم** اى احجم عنه وتركه نفيا واثباتا **او شك** فيه

يجوز وجوده وعدمه وفي نسخة توقف وقيل الوقوف التوقف كالتردد بحيث لا يرجح احد الجانبين والشك ان يجوزه يجوز امرهما وكلاهما كفر لانه يقتضي التردد في دين الاسلام وهو كفر بلا شك قال القاضي ابو بكر الباقلاني في بيان كونه كفرا لان التوقيف في كفرهم والحال ان الاجماع منعقد على كفرهم فيه حكم متعدد تقديره لا يصح به لبيل قوله فمن وقف في ذلك اي في كفر اليهود وامثالهم فقد كذب النص الوارد من الله ورسوله بكفرهم من الايات الناطقة به وقيل ان قوله على كفرهم ظرف مستقر خبر ان لا لغو متعلق بالاجماع وكذب التوقيف او الشك فيه وهو ظاهر وهو والتكذيب لما ذكر والشك فيه لا يقع الا من كافر لانه امر مشهور معلوم من الدين بالضرورة فلا يرد عليه انه ليس كل توقف بما جاء به نص يقتضي الكفر وفي عبارته ركاكة واغلاق يظهر بالتامل **فصل في بيان ما هو من المقالات كفر** جمع مقالة بمعنى قول مصدر ميمي **وما يتوقف** في كونه كفرا ام لا **او يختلف فيه** اقوال العلماء **وما ليس بكفر** من غير توقف واختلاف **اعلم** ايها الواقف على ما سياتي من كل من يصلح للخطاب **ان تحقيق هذا الفصل** اي الوقوف على ما هو الحق فيه **وكشف اللبس فيه** اي ازالة ما يلتبس على سامعه شبهه فيها يكشف **مورده الشرع** اي ما يطلب ويعلم منه انما هو الشرع والشرع ما شرعه الله لعباده وبينه من الاعتقاد والعمل والمورد محل الورود وهو اخذ الماء لشرب فشبههما بشفي الظما وشبه ما يفيده بموضعه استعارة مكنية مخيلة **ولا مجال** اي محل واصله محل الجولان والحركة **للعقل فيه** اي العقل بانفراده لا يكفي فيه بل لا بد من تلقيه من الشارع **والفصل** اي الفاصل المميز له عن غيره **البين** اي الظاهر الذي لا اشكال فيه ولا مجال لرده **في هذا** الامر الذي نحن بصدده **ان كل مقالة** اي قول صدر عن احد **صرحت بنفي الربوبية** اي دلت دلالة ظاهرة على ذلك وان الله غير موجود **او صرحت بنفي الوحدانية** نفي توحده وانفراده من غير شريك في الوهيته وصفاته وهي على خلاف القياس وقد اثبتها في الاساس وفي الحديث من شرار امتي الوحداني اي المفارق للجماعة **او صرحت بعبادة غير الله تعالى** وحده **او** صرحت بعبادة احد كعيسى والكواكب **مع الله فهي** اي هذه المقالة **كفر** اي يقتضي كفر من قالها **كمقالة الدهرية** بفتح الدال نسبة للدهر وهو الزمان كما يشير اليه قوله

ان دهرا يلف شملي بسعدى ۝ لزمان يهم بالاحسان

وبناء الحسن او الحاذق او الحسن دهري بضم الدال على خلاف القياس وكثيرا ما يقع التغيير في النسب كما ذكره النحاة والدهرية طائفة من الملحدين المعطلين ينسبون الامور للدهر كالطبايعية وفي العرب منهم لمجردين فلذا ترى في اشعارهم كثيرا ما يشكون منه ويذمونه ولذا قال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فان الدهر هو الله وروى فان الله هو الدهر اي لا تسبوا الصانع فانه هو الله

الجالب

الجالب للخير والشر وقال الشهرستاني في كتاب الملل والنحل لست ارى ان صاحب هذه المقالة ينكر الصانع وانما هو تخيل سبب وجود العالم على الاتفاق احترازا عن التعليل ولذا لم اقم برهانا على بطلان مقالته لان الفطرة السليمة شاهدة بوجود صانعها **وسائر فرق اصحاب الاثنين** اي القائلين بالهين اثنين كالمانوية القائلين بالنور والظلمة وان خالق الخير غير خالق الشر وكالفلاسفة القائلين بان الواحد بالذات لا يصدر عنه الا الواحد ونحوهم من الفرق الضالة فالظاهر ان المراد بالاثنين مطلق التعدد كقوله تعالى ارجع البصر كرتين **و الديصانية** بكسر الدال المهملة ومثناة تحتية ساكنة وصاد مهملة بعدها الف ونون وياء نسبة اسم رجل من المجوس نسب له هذا المذهب من القول بالنور والظلمة وخالق الخير والشر الا انه يقول ان الظلمة ميت والنور حي **وهم** قوم من **المانوية** وهم اصحاب ماني الحكيم الذي ظهر في زمن شابور بن اردشير بعد عيسى وقتله بهرام ابن هرمز زعم ان موجد العالم اثنان النور خالق الخير والظلمة خالق الشر وانهما ازليان حيان دراكان ونحوه من الخرافات وفي نسخة المانية والصحيح الاول قال المتنبي ۝ وكم لظلام الليل عندك من يد ۝ تخبر ان المانوية تكذب ۝ **واشباههم** من اصحاب الملل الباطلة **من الصابئين** وفي نسخة الصابئة وهو من صبا مهموز الاخر والصابئ كل من خرج من دين الى اخر ثم خص بطائفة عبدوا الملائكة او عبدوا الكواكب وهو المراد هنا **و**تطلق على فرقة من **النصارى** وهم اتباع المسيح ودينهم معروف والكلام على فرقهم واعتقادهم مشهور وقد افرده ابن تيمية بكتاب ضخم فيه فوائد جليلة وكذا الامام القرطبي له كتاب في بيان فرقهم والرد عليهم فلا حاجة لنا هنا لايراد ما قيل فيهم **والمجوس** عبدة النار والقائلون بالهين يزدان واهرمن اي النور والظلمة الخالقين للخير والشر **والذين اشركوا** اي اثبتوا لله شريكا **بعبادة الاوثان** جمع وثن وهو الصنم وحجارة تعبد وهو من وثن لم وثنته اذا اجزلت عطيته وقيل الفرق بينهما ان الوثن ما له جثة من جنس الارض ومن خشب او من حجارة بصورة الادمي والصنم ومنهم من لم يفرق بينهما واول من اتى بها لمكة عمرو بن لحي فصارت العرب في ذلك اصنافا **او الملائكة** جمع ملك وقد تقدم الكلام عليهم وقد عبدها قوم من اوائل العرب وسموها بنات الله قال تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون الاية **او الشياطين** وهم مردة الجن جمع شيطان وهم قوم عبدوها حقيقة او عبدوا الاصنام التي تحلها الشياطين اوهم سولوا لهم عبادتها فكانهم عبدوها كما قال الخليل عليه الصلاة والسلام يا ابت لا تعبد الشيطان فهم وان عبدوا الاصنام ظاهرا عبادتهم انما هي للشياطين **او الشمس والقمر او النجوم** عبدها قوم من الاوائل واثبتوا لها عقولا وارواحا وجعلوا لها هياكل عندهم زعموا انها تقربهم لها كما في الملل والنحل **والنار** وهم طائفة من المجوس ببلاد الهند لاعتقادهم ان النور سلطان الله الاعظم وان ذاته نور ليس كالانوار فكل نار شرارة من نوره وقد بنوا لها كنائس عظيمة بالهند يعبدون الهها حتى ان بعضهم يجنها واحراقه بالنار ليصل لربه

وهي عقول اضلها باريها او من اشرك بعبادة احد اي مخلوق اتخذه معبودا غير الله
من مشركي العرب جمع مشرك سقطت نونه للاضافة وهو من اضافة الصفة للموصوف
وهم عبدة الاصنام منهم واهل الهند والصين وهما اقليمان مشهوران اكثر اهل
الاول لهم وفيهم ملل مختلفة كالبراهمة وغيرهم والسودان جمع اسود وهم قوم واجناس
لا يحصون من اولاد سام بن نوح عليه الصلاة والسلام يغلب عليهم الكفر والجهل وفيهم من
يعبد الشجر ومنهم من يعبد الماء ومنهم قوم مسلمون وغيرهم اي غير من ذكر من اهل الملل
ممن لا يرجع الى كتاب هو كناية عن الدين الباطل لان من له دين حق لا بد له من شرع
وكتاب يعمل به فهو يرجع برأيه الى احكامه وكذلك اي مثل من مضى في كفر القرامطة
وهم الاسماعيلية المثبتون لامامة اسماعيل بن جعفر الصادق وغرضهم ابطال الشرع
لانهم في الاصل يهود او مجوس لما ظهر الاسلام اشتد عليهم ذلك وضعفوا عن دفعه فذهبوا
الى تاويلات روجوها على ضعفاء العقول وارادوا بها هدم قواعد الاسلام واسم جدهم
ابن قرمط من قرية من قرى واسط فلذا سموا قرامطة فرتبوا لهم دعاة يدعون لخرافات
رتبوها وكان ظهوره في سنة سبعين ومائتين بقرية من سواد الكوفة وكان احمر البشرة
والعينين تسمى كرمية بالكاف العجمية ومعناه بالفارسية السفلة نحوه وحرفوه وقالوا
قرمط وقيل انه عربي من قرمط البعير اذا تقارب خطوه فزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم
بشر به واظهر زهدا وصلاحا فاجتمع عليه خلق كثير وقال انه الامام المنتظر فابتدع
مقالات في كتاب فقال انه الكلمة والمهدي وجعل الصلاة ركعتين في الصبح وركعتين في
المغرب والصوم يومين يوم المهرجان والنوروز وجعل القبلة لبيت المقدس وبعث دعاة
وخلقا فكان لهم حروب عظيمة مذكورة في التواريخ فظهر منهم سليمان بن الحسن في البلاد
حتى اتى مكة يوم التروية فاخذ كسوة الكعبة وقلع بابها وقتل الحجاج ورماهم بزمزم
وذلك في سنة سبع عشرة وثلاثمائة على خلافة المقتدر واخذ الحجر الاسود فبقي عندهم
اثنان وعشرون سنة وبذل لهم خمسون الف دينار ليردوه فابوا ثم ردوه مكسورا فوضع
في مكانه وتغلبوا على مصر والشام وكانت مدة دولتهم ثمانين سنة ثم ابادهم الله
واهلكهم واصحاب الحلول من النصارى والباطنية وبعض جهلة المتصوفة يقولون
ان الله حل في بعض الاجسام وهو امر لا يعقل والتناسخ وهم القائلون بان الارواح
اذا فارقت الابدان تحل في غيرها وهو مذهب بعض الحكماء والكلام عليه وعلى بطلانه
مفصل في كتب الحكمة من الباطنية هم قوم من الملاحدة ذهبوا الى ان القرآن له
ظاهر وباطن هو المراد منه وان للشريعة مقاصد غير ما فهمه الناس والطيارة
من الروافض وفي نسخة الطيارية بياء النسبة ومنهم كما في بعض النسخ الجناحية
وهم قوم من الغلاة نسبوا لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار ذي الجناحين
لقب به لانه لما احتضن الراية بمؤتة قطعت يداه واستشهد فلما بلغ ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله ابدله بهما جناحين يطير بهما في الجنة والبيانية
نسبة لبيان بن سمعان اليمني يقولون روح الله حلت في علي كرم الله وجهه ثم في ابنه محمد

ابن

ابن الحنفية ثم في ابنه هاشم ثم في بيان وكذا الطيارة والجناحية يقولون روح الله حلت
في الانبياء نبيا بعد نبي ولم تزل تنتقل حتى وصلت لعلي واولاده رضي الله عنهم والغرابية
قوم يقولون ان جبريل عليه الصلاة والسلام نزل بالرسالة من عند الله لعلي فاعطاها
لمحمد غلطا منه لانه يشبهه كما يشبه الغراب الغراب كما ذكره المصنف في الشفا وفي التبصرة
لابي المظفر انهم قوم يقال لهم المفوضة قالوا فوض خلق العالم لمحمد وهم مثل النصارى والفرق
كثيرة اوردت بالتاليف ولا حاجة لنا بايراد خرافاتهم وكذلك اي مثل هؤلاء الذين حكم
بكفرهم كل من اعترف بالهية الله تعالى ووحدانيته اي قال انه اله متوحد في ذاته
وصفاته ولكنه اعتقد انه عز وجل غير حي الحياة في غيره الاعتدال المزاجي
او قوة توجب الحس والحركة وفي حقه تعالى صفة توجب صحة العلم والقدرة وهي ثابتة
له بالاجماع عقلا ونقلا فمن نفاها فقد كفر او غير قديم القديم هو الذي لا اول لوجوده
ولا اخر لوجوب وجوده وسرمديته ووجوده ذاتي لا يقبل العدم اجماعا وخلافه كفر
وهذه المقالة لعمر بن عباد السلمي نقل عنه انه انكر القول بانه تعالى قديم لانه بمعنى التقادم
وهو يشعر بتقدم زماني والله منزه عنه كذا قيل وعلى هذا لا يكفر به لانه انما يتحاشى
عن اطلاق هذا اللفظ لايهامه الحدوث كالعرجون القديم ولذا قال الراغب رحمه الله ورد
في وصف الله بالقديم الاحسان ولم يرد في القرآن والآثار الصحيحة القديم في وصف الله والمتكلمون
يستعملونه ويصفونه به واكثر ما يستعمل القديم باعتبار الزمان انتهى وانه محدث
بصيغة المفعول تفسير لقوله غير قديم وانما ذكره لانه لو لم يقصد هذا لم يكن كفرا اي ببنائه
وليس تنبيها على مذهب الفلاسفة في القدماء كما قيل او مصور اسم مفعول اي جسم ذو
صورة كما ذهب اليه الهشامية اصحاب هشام بن الحكم الذين ذهبوا الى ان له طولا وعرضا
واعضاء على صورة انسان الا انه مصمت لا لحم له ولا دم تعالى وتقدس سبحانه عما يقولونه او
ادعى له ولدا او صاحبة اي زوجة كالنصارى او والدا هذا لم يقل به بشر او انه متولد
من شيء او كائن عنه عطف تفسير لان التولد هنا ليس بمعنى الولادة وانما هو بمعنى التكون
من شيء اخر كتولد الطبائع الناشئ عنها وهو كفر بلا شك الا ان هذه المقالة لا يعرف
لها قائل ويقرب منه قول بعض النصارى ان عيسى اله انقلبت الكلمة فيه لحما ودما او ادعى
ان معه في الازل شيئا قديما غيره اي غير ذاته وصفاته اشارة الى ما ذهب اليه الفلا
من قدم العالم والعقول والازل القدم وانه لم يزل او ان ثم بفتح ونشد بدا اي في الوجود
صانعا للعالم سواه كالمشركين وبعض الثنوية القائلين بالنور والظلمة والفلاسفة
الذين يقولون بان الواحد بالذات لا يصدر عنه الا واحد كما هو مقرر في كتاب التهافت
او مدبرا غيره سبحانه وتعالى والتدبير اصلاح الامور مع العلم بها والمراد بها هنا خلق
ما يصلحها لا مجرد ايصاله والارشاد له فانه لا مانع من ثبوته لغيره كالملائكة قال تعالى
فالمدبرات امرا فذلك المذكور او المدعى كله كفر ومعتقده كافر باجماع المسلمين
كقول الالهيين من الفلاسفة الفلسفة لفظة يونانية معناها محبة الحكمة والفلاسفة
به معنى الفيلسوف والحكمة عندهم اقسام الهي وطبيعي ورياضي فالالهي ما يبحث فيه عن المجردات

عرضي

ابن قبرس

وذات واجب الوجود على ما بين واشتهر عندهم والمنجمين الباحثين عن النجوم واحكامها
القائلين بانها موثرة في الكون اما القائلون بانها علامات الهية جعلها الله بحكمته وبينها
لبعض خليقته والموثر هو الله فلا جحد ورخص فيه عند اهل الشرع كما صرحوا به وقد قال
الشراح الى انها علمت بوحي من الله لبعض انبيائه عليه الصلاة والسلام والطبائعيين
القائلين بان الطبيعة هي الموثرة في الايجاد والتدبير وكذلك من ادعى مجالسة
الله فانه مجسم مجازف وهذا المذهب الباحد او العروج اليه اي الصعود والارتقاء
للعلو و فوق ومكالمته في الدنيا بمن لا يليق به او ادعى حلوله في احد الاشخاص
كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى والقرامطة يعني هولاء كلهم ذهبوا
الى ان الله يحل في غيره اما النصارى والقرامطة فقوم ملحدون ادعوا الحلول
واولوا القرآن بتاويلات فاسدة لا حاجة لذكرها واما المتصوفة فقد نسب لبعضهم
امور وعبارات تقتضي في بادي النظر ذلك دعوا ماولة بما يوافق الحق واجلة مشايخهم
يبرءون مما نسب اليهم فان ما هم عليه من الزهد والعبادة وما يظهر منهم من الكرامات
يقتضي انهم على قدم النبوة فما نقل عنهم اما دسيسة من بعض الملاحدة او كلام على اصطلاح حاتم
يعرفه اهله وهذا هو الذي نعتقده فيهم نفعنا الله بهم كابتهم وكفانا ما في قصة الخضر
شاهد الله فلذا اعرضنا عما في الشروح هنا وكذلك يقطع بكفر وفي بعض النسخ
على كفر بتضمينه معنى يتفق او يجزم ونحوه مما يتعدى بعلى من قال بقدم العالم من
الحكما والمراد الزماني بمعنى عدم سبق العدم لا القدم الذاتي فانه مخصوص بالله
او بقائه به بمعنى انه باق ابدا لا يقبل الفنا والمراد قدم نوعه وبقاؤه ولما تبث هذا فيه
من تغير بعض اجزائه وعدمها او شك في ذلك اي البقاء والقدم على مذهب
بعض الفلاسفة ومنهم من ذهب لغيره وادلتهم مع الجواب عنها مذكور في كتب الكلام
والحكمة وقد كفرهم اهل الشرع لهذا لما فيه من تكذيب الله ورسله وكتبه والدهرية
الذين اسندوا الحوادث كلها للدهر وقالوا ما يهلكنا الا الدهر وهم كفرة لانكارهم
الحشر والنشر والاخرة او قال بتناسخ الارواح وانتقالها ابد الاباد في الاشخاص
اي تخرج من بدن لاخر من جنسه او غيره لان التناسخ معناه الازالة والنقل قال الراغب
الابد مدة الزمان الممتد الذي لا يتجزى ويقال ابد ابيد وابد ابدي دايم وحقه ان لا
يثنى ولا يجمع ولكنه جمع هنا لانه اريد به بعض ما يتناوله وقيل آباد وهو لدليس من كلام
العرب وزعم هولا المتناسخة انها تعذيبها او تنعيمها فيها اي في الاشخاص التي
تنتقل اليها بحسب اي مقدار زكائها اي طيبها وطهارتها وخبثها اي كونها
خبيثة غير طيبة متزكاة يعني انها ان كانت طيبة تنتقل لصورة حسنة مجملة منعمة وان
كانت خبيثة تنتقل لصورة كريهة معذبة كصورة كلب او حمار او نحو خنزير وهذا
كله في الدنيا وكذلك يكفر من اعترف بالالهية والوحدانية فاقر بان له الها
منفردا عما سواه في ذاته وصفاته ولكنه جحد النبوة اي نفاها وانكرها من
اصلها اي لم يقل بوجودها عموما فلم يقل بنبوة نبي من الانبيا او قال بها ولكنه

انكر

انكر نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خصوصا مع قوله بنبوة غيره كاهل الكتاب
او انكر نبوة واحد من الانبيا اي نبي كان كانكار اليهود نبوة عيسى عليه الصلاة
والسلام الذين نص الله عليهم في كتابه الكريم كاولي العزم فمن انكر واحدا منهم
كان مكذبا بالله ورسوله بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب اما اذا لم يعلمه فهو
معذور بجهله كالبراهمة قوم من الكفرة ذهبوا الى ابطال وجود النبوات عقلا
لعدم عقلهم قالوا لان ما يجي به النبي صلى الله عليه وسلم اما ان يقبله العقل او لا
والاول النقل يدل عليه فلا حاجة لغيره والثاني مردود وباطل وهو المدعى
ورد بانه وان كان يقبله العقل لكنه قد يخفى فيحتاج الى مرشد فان ظهر نبينا صلى الله عليه
وسلم عما اتانا به وغيرهم من العقلا النقل يدل على انها لابد منها والبراهمة نسبة
الى رجل يقال له برهام وهو موسس فسادهم ومذهبهم لا الى ابراهيم النبي صلى
الله عليه وسلم كما قيل لانكارهم النبوات الا ان يقال ان منهم طايفة تنكر غير نبوة
ابراهيم ثم سموا به مطلقا ومعظم اليهود اي اكثرهم لان منهم من قال بنبوة محمد
صلى الله عليه وسلم لكنه خصه بالعرب والاروسية بفتح الهمزة وراء مهملة مضمومة
دوا وسين مهملة ويا نسبة وهم قوم من النصارى قيل مرهط هرقيل
وقيل منسوبون لرجل اسمه اريس فعيلا ارس ومعناه ملك او عشار او
صاحب الزراعة او اصله اريوس فعرب وغير وهو صاحب مذهب في النصرانية
لانهم على فرق مختلفة قيل انه زعم ان لله روحا اكبر من ساير الارواح واسطة بين
الاب والابن تودي الوحي وان المسيح اتخذ جوهرا لطيفا روحانيا خالصا
غير مركب ولا ممزوج بالطبايع وقوله الغرابية من الروافض تقدم بيانه والبيه
اشار بقوله الزاعمين ان عليا كرم الله وجهه كان هو المبعوث اليه جبريل
عليه الصلاة والسلام ارسله الله اليه برسالته فغلط وبلغها محمدا صلى الله عليه وسلم
لشبهه به شبه الغراب بالغراب وكالمعطلة الذين جحدوا الالوهية والرسالة
والاحكام والقرامطة تقدم بيانهم ايضا وانهم سعوا في ابطال الشريعة فحللوا
المحرمات واباحوا الفروج والخمور والاسماعيلية هم قوم من الملاحدة المعطلة
وهم باطنية يأولون النصوص ويتاولون لها معنى غير ظاهرها والعنبرية من
الرافضة وهم اتباع عبد الله بن الحسن العنبري منسوب لبني العنبر قبيلة وفي
نسخة العبيدية تصحيف عبد وهم اتباع عبيد الله المعروف من بني عبيد بن بنت القداح
الذين ملكوا مصر والكلام في نسبهم معروف في نسب الفاطميين من الشيعة الذين
فضلوا عليا وهم بحسب الظاهر شيعة وفي الباطن باطنية وان كان هولاء الطوايف
المذكورة قد اشتركوا وفي نسخة فقد اشركوا بنبينا المجهود وكفروا مع من
قبلهم من الطوايف المذكورة وكذلك اي مثل من ذكر في تكفيرهم من دان اي اعتقد
واتخذ دينا وقبل من اقر وخضع بالوحدانية اي بالله الواحد الاحد وصحة النبوة
اي بوجودها وحقيتها واقر ايضا بصحة نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن

جوز على الانبيا كلهم الكذب فيما اتوا به اى فيما بلغوه عن الله سوا ادعى فى ذلك اى فى الكذب الذى صدر عنهم المصلحة بزعمه اى زعمه ان كذبهم كان لمصلحة اقتضته ام لم يدعها اى لم يدع ان فى ذلك الكذب مصلحة فهو كافر بنسبته الكذب لرسل الله عليهم الصلاة والسلام وهم منزهون عن مثله باجماع من علما الدين المعتد بهم وان قيل فيه مصلحة يزعمه كالمتفلسفين اى اصحاب علم الفلسفة وبعض الباطنية الذين زعموا ان لنصوص الشريعة باطنا غير ظاهرها والروافض وهم طايفة رفضوا اهل السنة فسموا رافضة وهم فرق مختلفة مذكورة فى المفصلات وغلاة المتصوفة اى الذين لهم غلو فى اعتقادات لهم واصحاب الاباحة اى الذين ذهبوا الى اباحة المحرمات وان من كمل نفسه ووصل لمرتبة لا تضره المعاصى ثم بين مراده بالكذب الذى جوزه هولا فانه ليس المقصود به ظاهره فقال فان هولا الفرق المذكورة زعموا ان ظواهر الشرع اى ما يدل عليه صريح نصوصهم مما يتعلق بالمعاد وغيره واكثر ما جاءت به الرسل مما اوحى به اليهم من الاخبار عما كان فى الامم السابقة والازمان الماضية وما يكون فى المستقبل من امور الاخرة المبينة بقوله والحشر اى جمع الناس بعد اخراجهم من القبور والقيمة اى مقام من حشر ليقتضى بينهم ويحاسبون والجنة والنار اى دار النعيم والعذاب فذكر الحال واريد المحل ليس منها شى على مقتضى ظاهر من لفظها الذى بلغته الرسل عليهم الصلاة والسلام لاممهم ومفهوم خطابها اى ما يدل عليه من معناها المتبادر منها بحسب الوضع وليس المراد بالمفهوم ما اصطلح عليه اهل الاصول وانما خاطبوا اى خاطب الرسل اممهم بما اتوا به بها اى بالامور التى اتوا بها عن الله الخلق الذين ارسلوا اليهم على جهة المصلحة لهم ليتبعوهم ويكفوا عما لا يليق بهم مما يجهل انفسهم البشرية اذ لم يمكنهم اى رسل الله التصريح بكشف حقيقة الحال لهم لقصور افهامهم اى قصور افهام الخلق عن ادراك حقيقة ما يريدونه وهذا الذى ادعاه هولا الفلاسفة باطل فمضمون بضم الميم الاولى وفتح الضاد المعجمة وفتح الميم الثانية المشددة اسم مفعول اى ما دل عليه مضمون مقالاتهم هذه التى زعموا انهم لم يريدوا بكلامهم ظاهره الدال عليه صراحة ابطال الشرايع التى جا بها رسل الله عليهم الصلاة والسلام لان ظاهرها غير مراد لهم وتعطيل الاوامر والنواهى اى جعل امرهم ونهيهم معطلا غير لازم امتثاله قال القرافى فى شرح المحصول فى كلام الاصوليين ان الامر بمعنى القول المخصوص يجمع على اوامر وبمعنى الفعل والشان يجمع على امور ولم يوافقهم عليه من اهل اللغة احد الا الجوهرى واما الازهرى فقال الامر ضد النهى يجمع على امور وكذا قال ابن سيدة فى المحكم ولم يذكر النحاة ان فعلا يجمع على فواعل وفى شرح البرهان ان قول الجوهرى غير معروف وان الاوامر اما جمع امرة اسم الفاعل بمعنى الامر مجازا وجمع على فواعل لانه اسم او صفة لما لا يعقل وبابه فوق لهم انه جمع امرا وجمع آمرة مجازا عن الصيغة لان الامر الشخص نفسه او مصدر كالعافية او هو جمع الجمع يجمع على افعل كاكلب ثم على فواعل ورد بانه ليس فاعل بل فواعل وقال

الاصفيا فى

الاصفيا فى انه لا يتم فى النواهى لان كونه جمع ناهية مجازا او مشاكلة تكلف اذ لم يسمع ناهية وقد تقدم هذا مرارا ولان ما له تكذيب الرسل اى تكذيب رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم لان ما اتوا به لا يطابق الواقع لانهم لم يريدوا ظاهره وليس بكذب حقيقى لتأويله عندهم والارتياب اى الشك والتردد فيما اتوا به هل المراد به ظاهر ما اتوا به ام لا لنا ونجد بغير ظاهره ولذلك اى مثل ما ذكر فى انه كفر من اضاف اى نسب الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تعمد الكذب اى قصده وذكره عن قصد منه فيما بلغه صلى الله عليه وسلم عن الله من وحيه واخبر به عن ربه او شك فى صدقه للاجماع على انه صلى الله عليه وسلم معصوم عن الكذب فيما طريقه البلاغ وكذا سائر الانبيا او سبه فانه يكفر وذكره هنا وان تقدم لان تكذيبه سب له او قال انه لم يبلغ ما اوحى اليه وكتمه وحذف المفعول اختصارا للعلم به لانه افترا عليه لقوله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس وقد تقدم الكلام عليه ان عايشة رضى الله عنها قالت لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا مما اوحى اليه لكتم قوله تعالى واذ تقول للذى انعم الله عليه الاية النازلة فى قصة زيد او استخف اى استهزا به وذكر ما يدل ازرا بقدره او بقدر واحد من الانبيا غيره صلى الله عليه وعليهم اجمعين او ازرى عليهم اى الازرا والاحتقار اى ذكر ما فيه تحقيرا واهانة لهم او اذاهم اى ذكر ما فيه اذية لهم فى حياتهم او مماتهم كاذية بعض ذريته واقاربه صلى الله عليه وسلم ولاجل عين الف عين تكرم او قتل نبيا من الانبيا كما وقع لبنى اسرايل او حاربه اى بارزه بحرب ومقاتلة كما وقع لقريش وغيرهم فهو كافر باجماع من المسلمين بل من علما الملل كلهم وليس من هذا ما وقع من بعض الصحابة فى بعض معارضتهم له صلى الله عليه وسلم فى بعض الامور كما وقع فى امارة اسامة وفى قصة الحديبية وكتابة الكتاب الذى اراد ان يكتبه فى مرض موته كما مر فانما ذلك لخلوص قلوبهم ومحبتهم لله ورسوله كما قيل

بليته

ما انا صحبك حبا ابا لوردنى رجل له ما لم يرعك بمكروه من العذل

وكذلك اى مثل ما تقدم فى تكفير من ذكر تكفير من ذهب مذهب بعض القدما من الفلاسفة والحكما الخارجين عن ملة الاسلام فيما اعتقدوه وذهبوا اليه من ان كل جنس من الحيوانات غير بنى ادم فيه نذيرا اى رسولا ارسله الله اليهم من نوعهم لانذارهم او نبيا ارسله الله اليهم من نوعه امته من القردة والخنازير والدواب جمع دابة وهى كل ذى روح دب اى تحرك باختياره ثم خص فى العرف اى عرف اللغة بذوات الاربعة والدود وغير ذلك مما يمشى على بطنه وبر حف من دواب البر والبحر ويحتج اى يستدل هذا القايل بان فى كل جنس نبى بقوله تعالى وان من امة الا خلا اى مضى وتقدم فيها نذير اى رسول من جنسها يحذرها والامة الجماعة فحملها على العموم لساير الحيوانات كقوله الا امم امثالكم

ثبت

وجعلها امة بعوه وقال الراغب الامة كل جماعة يجمعها امر واحد اما دين واحد او زمان واحد او مكان واحد سواء كان الامر الجامع تسخيرا او اختيارا فان كل نوع منها على طريقة قد سخرها عليهم بالطبع فهي بين ناسجة كالعنكبوت وبانية كالسرفة ومدخرة كالنمل ومعتمدة على قوت وقت كالعصفور والحمام الى غير ذلك من الطبائع التي يختص بها نوع نوع انتهى وذلك اي القول بان للحيوان رسل وانبيا يودي اي يستلزم واصل معناه يوصل الى ان توصف انبيا هذه الاجناس من الحيوانات اي نسخة الانبيا بصفاتهم المذمومة اي القبيحة من الصور والافعال المستكرهة وهو ظاهر ولم يتل بصفاتها لوصفهم بما حقه ان يصدر عن العقلا كقوله والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين وفيه اي في ما ذكر من صفاتهم القبيحة من الازرا اي التحقير والاهانة على هذا المنصب اي المقام المنيف اي العالي الشريف وهو مقام النبوة والمنصب تقدم بيانه ما فيه اي امر ظاهر فيه من التحقير والاهانة فما موصوفة او موصولة لنسبة امور غير لايقة بالانبيا لمن زعموا انهم انبيا مع اجماع المسلمين بل العقلا على خلافه اي خلاف ما ادعوه وتكذيب قائله الذاهب اليه فان كل احد يعلم ان لا فايدة في تكليف غير العقلا واما الجن فعقلا مكلفون ولكن اختلف هل بعث لهم منهم رسول ام لا وفي الايمان لابي الحسن الاشعري مسالة فرايض الله انما تجب على العقلا خلافا لاهل التناسخ حيث قالوا ان فرايضه تجب على جميع الحيوانات فان جميع الحيوان مكلفون بفرايضه وانه بعث لكل جنس رسولا منهم وخلافا لمن قال منهم ان جميع ما خلق الله من الاجسام حتى الجماد مكلف بالفرايض وقد حكى اجماع الصحابة والتابعين وغيرهم قبل ان يظهر المخالف على ان البهايم والجماد غير مكلفين انتهى ومنه تعلم ان هذا المذهب مبني على التناسخ وان ارذل المتكلمين لما انقلبت لخبرهم بعينه على تقليبها واعلم ان الشيخ الغراوي قال في كتابه ارشاد الطالبين ان بعض اهل الكشف ذهب الى ان لجميع الحيوانات تكليفا الى رسول منهم لا يشعر به الا بعض الاوليا فانه تعالى له الحجة على جميع خلقه فلا يعذب احدا الا بجرايمه وتطهيره وهذا من الاسرار قال تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير وكل جنس موجود امة وما من دابة في الارض ولا طاير يطير بجناحيه الا امم امثالكم وورد في الحديث الكلاب والنمل امة فعمت الرسالة الالهية جميع الامم ودخلوا تحت الخطاب على لسان نذير بعث لها حتى الدودة وكذب الجمهور على خلافه وانه يكفر من زعمه واعلم انه في الملل والنحل لابن حزم ان صاحب احمد بن حابط البصري تلميذ النظام واحمد بن مانوس واتباعه يقال لهم الحابطية ومذهبه كفر لما فيه من الطعن في النبوة وله اراء فاسدة واهية واستدل بما ذكر من الاية السابقة ولا دليل في ذلك لان الامة الفئة والجماعة من الناس واما تسبيح الحصى وكلام الحجارة للنبي صلى الله عليه وسلم فلا دليل فيه لانه من المعجزات الخارقة للعادة كحنين الجذع وكلام الهدهد والنمل وقوله وان من شيء الا يسبح بحمده

الاية

الاية معناه انها بما فيها من بديع الصنعة تدل على صانع قدير ولذا قال ولكن لا تفقهون دون تسمعون ومن الغريب ما ذهب اليه حزم بن منذر من المالكية ان من الحجارة ما له ادراك وتمييز ومما قلته في ابن حابط هذا واتباعه

قل لابن حابط الحمار ومن غدا له ... اشقى الورى ان صح ما يقوله
اخشى الاله فكم نبي مرسل له ... من قمل في كل حين يقتل
والشيء منجذب لما هو شبهه ... ولذاك للحشرات انت تفضل

وكذلك اي مثل تكفير من تقدم يكفر من اعترف من الاصول الصحيحة بما تقدم اي اعترف بالالوهية والوحدانية واعترف بنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن قال في وصفه صلى الله عليه وسلم وخلقته انه كان اسود اللون والمتواتر من حليته انه كان ابيض مشربا بحمرة كما تقدم او مات صغيرا قبل ان يلتحي اي قبل ان تنبت له لحية او قال ليس نبينا صلى الله عليه وسلم ليس الذي كان بمكة اي نشا بها قبل هجرته الى المدينة وليس الذي كان بالحجاز وهو ارض معروفة من الحجر وهو المنع والفصل سمي به لكونه حاجزا بين نجد وتهامة او قال ليس بقرشي اي ليس من قريش وهم ولد النضر بن كنانة وفي وجه تسميتهم بذلك وجوه مشهورة تقدمت فكل هذا كفر لان وصفه صلى الله عليه وسلم بغير صفاته المعلومة سلبا واثباتا نفي له اي لوجوده لا لوصفه وتكذيب به اي تكذيب لمن اثبته وعلم وجوده وكذلك يكفر من ادعى نبوة احد مع نبينا صلى الله عليه وسلم اي في زمنه كمسيلمة الكذاب والاسود العنسي او ادعى نبوة احد بعده فانه خاتم النبيين بنص القران والحديث فهذا تكذيب لله ورسوله صلى الله عليه وسلم كالعيسوية وهم طايفة من اليهود نسبوا لعيسى بن اسحاق بن يعقوب الاصبهاني اليهودي وقيل في اسمه غير ذلك وكان في زمن بني مروان وادعى النبوة في زمن مروان الحمار وتبعه كثير من اليهود وكان من مذهبه تجويز حدوث النبوة بعد نبينا صلى الله عليه وسلم ولولا ذلك ما ادعاها القايلين بتخصيص رسالته اي رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم الى العرب فهو مع تجويزه نبوة نبينا بعده منكر لعموم رسالته وخالف دين موسى عليه الصلاة والسلام في امور كثيرة وادعى اتباعه له معجزات ثم انه قتل في اول الدولة العباسية وقيل مات حتف انفه وكالخرمية اختلفوا في ضبط لفظ هذه الكلمة فقيل انه بضم معجمة وراء مهملة وميم وياء نسبة وهم قوم من اهل الكفر القايلين بتواتر الرسل اي تتابعها وتكررها وانها لا تنقطع وانه يحدث في كل زمان رسول يوحى اليه وهذا الضبط لم يرتضه البرهان الحلبي وارتضى انهم الخرمية بضم الخا المعجمة وفتح الرا المهملة المشددة وميم نسبة لراس ضلالهم ومعناه بالفارسية الفرح والسرور وهم على فرق مزدكية وبابكية ومازيارية وكلهم يستحلون المحرمات ويبيحون الفروج وظهروا في دولة بني العباس بنواحي اذربيجان نحو عشرين سنة في جموع وعساكر كثيرة جدا حتى اسر بابك وصلب بسر من راى في ايام المعتصم وقيل ان الخرمية بخا مكسورة

وراسا كنة مهملتين وهم قوم من القرامطة سموا به لانهم اباحوا المحرمات وزعموا ان النبوة تدرك بالرياضة وتصفية الباطن وترك الشهوات المعبر عنه بالكتاب النبوة الاتي وان النور القدسي انتقل من ادم للانبيا الى ان وصل لمحمد وعلي واولاده ثم ثم النور المحمدي فيهم وانتقلت شريعته لغيره وقال التلمساني انه يقال لهم الخرمانية بضم الخا المعجمة وسكون الرا وفتحها مشددة والخرمان الكذب يخفف ويشدد وكاكثر الرافضة القايلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده وكذلك يقولون ويعتقدون كل امام اي خليفة قرشي عند هولا الفرقة من الرافضة يقوم مقامه في النبوة فتنتقل النبوة بعده لغيره عند هولا وفي الحجة على الخلق بتبليغ الاحكام وهولا من غلاة الرافضة ولهم مقالات في الكفر والضلال لا حاجة لذكرها كما في المثل يكفيك من الشر سماعه واكتفا بالخ وكالبزيعية والبيانية منهم القايلين بنبوة بزيع وبيان هو لاطا بيتان من غلاة الرافضة يزعمون ان النبوة بل الالهية تحل في بعض ايمتهم وتنتقل اليهم وهم اكثر من النصارى واشد ضررا منهم لانهم بحسب الصورة يصلون ويلبسون امرهم على العوام لكن في ضبط اسمايهم اختلاف فقال البرهان الحلبي ان بزيع بموحدة مفتوحة وزاي معجمة مكسورة ومثناة تحتية وعين معجمة علم شخص نسبوا اليه وقيل انه بموحدة وزاي معجمة ومثناة وعين مهملة وقيل فيه غير ذلك وبيان بموحدة مفتوحة وتحتية مثناة والف ونون وقيل انما هو بنونين وهو بيان ابن اسماعيل النهدي وهو يزعم ان الله حل في علي واولاده ويقولون بنبوة بعض ايمتهم وقيل ان الثاني غلط والصواب انه بيان بن سمعان النهدي وقيل غير ذلك واشباه هولا من اهل الضلال او من ادعى النبوة لنفسه بعد نبينا صلى الله عليه وسلم كالمختار بن ابي عبيد الثقفي وغيره قال ابن حجر ويظهر كفر من طلب منه معجزة لانه بطلبه منه مجوز لصدقه مع استحالته المعلومة من الدين بالضرورة نعم ان اراد بذلك تسفيهه وبيان كذبه فلا كفر به او جوز اكتسابها ممن يقول ان النبوة صفة تكتسب بالرياضة والزهد وتصفية الباطن واهل الحق يقولون انها موهبة لمن اصطفاه الله من عباده كما قال الله اعلم حيث يجعل رسالاته والبلوغ بصفا القلب اي بتصفيته من الكدورات البشرية بالرياضة الى مرتبتها كالفلاسفة وقدما الحكما وغلاة المتصوفة جمع غال وهو المبالغ المتجاوز الحد لكن لم نر من ذهب الى هذا من الصوفية والذي نقل فيه انما هو عن الفلاسفة وقدما الحكما وكذلك من ادعى منهم اي من الفلاسفة والغلاة انه يوحى اليه اي يا تيه الملك من الله ببعض الاوامر الالهية بما تزينه له الشياطين وان لم يدع النبوة ولا يقول مع ذلك انا نبي او ادعى انه يصعد الى السما ويدخل الجنة بجسده يقظة وهو حي ويا كل من ثمارها ويعانق الحور العين التي في الجنة معدة للمومنين فيها قال ابن حجر والظاهر ان زعمه دخول الجنة ما صيا ارحالا او مستقبلا قبل موته مرة او اكثر سوا ضم الى ذلك الاكل والمعانقة المذكورين ام لا يكون كفرا وان كان ربما يتوهم من كلام

سلماني

ابن اقبوس

كما علم

المص خلاف ذلك وفي الانوار ويكفر من قال انه يرى الله عيانا في الدنيا ويكلمه شفاها او ان الله يحل في الصور الحسان او قال ان الحق يطعمه ويسقيه واسقط عنه التمييز بين الحلال والحرام وانه يا كل من الغيب ويا خذ منه او قال دع الصلاة والزكاة والصوم والقران او انه سماع الغنى من الدين وانه انفع للقلوب من القران قال ابن حجر ولا انه شرط في كفر من زعم انه يرى الله عيانا في الدنيا ويكلمه شفاها اجتماعهما بين خلافا لما توهمه عبارة الانوار بل يكفر باحدهما ثم رايت الكواشي صرح في تفسيره بكفر معتقد الروية بالعين وهو صريح فيما ذكرته لكن عندي في اطلاق ذلك نظر والذي يتجه حمله على روية او كلام متضمن للاحاطة بذلك تعالى لما مران الاصح لا تكفر الجهوية ولا المجسمة الا ان صرحوا باعتقادهم للوازم فيهم كالحدوث او ما هو نقص فيه كالموت والتركيب والاحتياج ثم قال ابن حجر وكذا يكفر زاعم اسقاط التمييز عنه بين الحلال والحرام او ان الله يطعمه ويسقيه او انه يا كل من الغيب ويا خذ منه ولا يشترط اجتماع هذه الثلاثة خلافا لما توهمه كلام الانوار ايضا وكذا يقال في بقية كلامه فهولا المذكورون كلهم كفار محكوم بكفرهم لانهم مكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم لادعايهم خلاف ما قال له لانه صلى الله عليه وسلم اخبرنا انه خاتم النبيين كما اعلمه الله به فيما اوحاه اليه واخبر ايضا انه لا نبي بعده وما روي عنه في ذلك من الاحاديث الصحيحة ذكرها يطول فيها تكذيب له معنى واما ما روي عنه من انه قال لا نبي بعدي الا ما شا الله فقال ابن الجوزي في كشف المشكل ان هذه الزيادة لا اصل لها ورد على ابن عبد البر في قوله ان المراد بها الرويا الصالحة لانها جز من النبوة وانكر عليه ذلك كما فصله ولا يخرج بكونه من ذكره لعدم وثوقه عليه ومر انه لا يرد عليه عيسى عليه الصلاة والسلام حين ينزل لانه نبي قبله ولانه يكون من امته وعلى شريعته ولا الخضر ايضا مع انه اختلف في نبوته كما تقدم واخبر صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى انه خاتم النبيين في قوله تعالى ولكن رسول الله وخاتم النبيين واخبر ايضا عن الله انه ارسل صلى الله عليه وسلم كافة للناس اي الى الناس كلهم بل والى الملايكة كلهم بل والى الجن وهذا مما خصه الله به ولا يرد عليه ادم ونوح كما تقدم قال تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس اي ارسالة عامة محيطة بهم تكفهم ان يخرج منها احد وقال الزجاج معناه جامعا للناس في الانذار والابلاغ فجعله حالا من الكاف وتاوه للمبالغة كعلامة لا حالا من المجرور لامتناع تقدمه عليه وفيه تفصيل في العربية وخص الناس لانهم محل النزاع وقيل ان الناس يطلق على جميع من ذكر كما ذهب اليه بعضهم في الكلام على المعوذتين وارتضاه السبكي واجمعت الامة اي امته صلى الله عليه وسلم على ان هذا الكلام المذكور من الاية والحديث وانه ارسل لجميع الناس على ظاهره من نفي النبوة بعده وعموم الرسالة وان مفهومه اي معنى لوله الذي فهم منه المراد منه صفة مفهومه دون تاويل اي لها ولا ما يصرفه عن ظاهره ولا تخصيص لبعض افراده فلا شك عند من يعتد به من الامة في كفر هولا الطوايف

عرضي

كلها الذاهبين لما يخالف اجماع المسلمين قطعا اى جزما من غير تردد فيه اجماعا
اى بالاجماع وسمعا من الله ورسوله وكتابه وسنته ولا عبرة بمن خالفه
من الفرق الضالة ولا بمن نازع فى حجية الاجماع كما سبق وكذلك وقع الاجماع
من علماء الدين على تكفير كل من دافع نص الكتاب اى منع ونازع فى ما جاء صريحا
فى القران لبعض الباطنية الذين يدعون لها معان اخر غير ظاهرها وكبعض
جهلة الصوفية واما ما يروى عن بعض كبار المشايخ فليس تفسيرا له وانما هو
اشارة لبعض نكتة يلوح لها لا انها معناه وضعا كما قاله العز بن عبد السلام
او خص حديثا عاما مسطوقه مجمعا على نقله عن ثقات الرواة مقطوعا به فى
دلالته على صريحه مجمعا من العلماء والفقهاء على حمله على ظاهره من غير تاويل
ولا تخصيص ولا نسخ فانه تلاعب مورد للفساد وكتكفير الخوارج تقدم بيانهم
بابطال الرجم للزانى والزانية المحصنين فانه مجمع عليه صار معلوما من الدين
بالضرورة ولهذا اى للقول بكفر من خالف ظاهر النصوص والمجمع عليه نكفر من
لم يكفر من دان بغير ملة الاسلام اى اتخذه دينا من اهل الملل جمع ملة وهى
الدين وبينهما فرق بحسب المفهوم او وقف فيهم اى توقف وتردد فى تكفيرهم او
شك فى كفرهم او صحح مذهبهم اى اعتقد صحته كما تقدم عن بعضهم ان الايمان
انما هو عدم جحد وحدانية الله وقد تقدم بيانه وابطاله والفرق بين التوقف
والشك ان التوقف ان لا يميل الى شئ من الطرفين والشك الميل مع الترجيح للمخالف
وان اظهر الاسلام باعتقاده والتزام احكامه واعتقده بقلبه واعتقد ابطال
كل مذهب سواه اى غير الاسلام بان يقول انه منسوخ باطل فى الواقع غير مقبول
عند الله ولكن يزعم ان من اقر بالالوهية والتوحيد غير كافر كما تقدم من مذهب
الجاحظ ونحو قول المصنف وان اظهر الخ لابد له من تاويل لتضمنه الافتراق عن الصحيح
ظاهرا وباطنا فما معنى الحكم عليه بالكفر مع اظهاره الصحيح ويكون مع ذلك اظهاره
الاسلام واعتقاده ابطال ما سواه رجوعا والاظهر ان لا يكون معتبرا لا للاسلام
بعد الكفر وهو فى حق من لم يصل الى المعتقد فهو اى من لم يكفر وما بعده كافر
باطنا وما اظهر من خلاف ذلك اى ما يجب لحق الاسلام لانه طعن فى الدين وتكذيب
لما ورد عنه من خلافه وكذلك اى كتكفير هؤلاء نقطع ونجزم بتكفير كل من
قال قولا لا صدر عنه يتوصل به الى تضليل الامة اى كونهم فى ضلال عن
الدين والصراط المستقيم ويؤدى الى تكفير جميع الصحابة كقول الطائفة
الكميلية سيأتى بيانهم وانهم قوم من غلاة الرافضة بتكفير جميع الامة
بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم لانهم قالوا بالتناسخ والحلول وان النبوة نور
ينتقل من رجل لاخر وانه حق على كرم الله وجهه وان الصحابة كفروا لما بايعوا
ابا بكر وعلى كفر لما ترك حقه ولم يقاتل والنبى كذلك لما نص على امامة على وقد
كفر بعده ومثله من الخرافات ولا شك فى كفرهم الا انه قيل الصواب ان يقول

المصر

المصر الكاملية لانهم نسبوا لابى كامل رئيسهم الموسوس الكفور كما نص عليه الامام
الرازى وقد فرق بينهما بانهم صغروا كاملا على كميل ونسبوا اليه على خلاف القياس
تصغيرا تحقيرا فهو بعض اوله وقيل انه بفتحها نسبة لكميل بزنة فعيل بمعنى كامل
وهو بعيد ثم بين مقالتهم وسبب كفرهم وتكفيرهم للصحابة بقوله اذ لم تقدم بنا
توقيفة اى الامة وفى نسخة اذ لم يقدموا عليا اى يجعلوه خليفة وكفرت هذه
الطائفة عليا ايضا اذ لم يتقدم بنفسه على ابى بكر رضى الله عنهما ويطلب حقه
من الامة فى التقدم على ابى بكر فهؤلاء الكميلية قد كفروا من وجوه لانهم بما
قالوه ابطلوا الشريعة اى شريعة الاسلام باسرها اى بجميع احكامها اذ لزم
من قولهم بكفر الصحابة انه قد انقطع نقلها لانه لم ينقلها الا الصحابة رضى الله
عنهم وهم عندهم بزعمهم كفرة والكافر لا يقبل نقله ونقل القران لانه لم ينقله الا
الصحابة اذ ناقلوه وهم الصحابة كفرة على زعمهم الفاسد والزعم مثلثا الرأى
القول الباطل كما مر والكافر لا يقبل نقله والى هذا القول بتكفير هؤلاء وامثالهم
واسماعهم بما اراد اشار الامام مالك فى احد قوليه المروى عنه بقتل من
كفر الصحابة اى كلهم او واحدا منهم لان من كفر مسلما بغير حق فقد كفر فما بالك بالصحابة
وهم رضى الله عنهم اساس الاسلام وعماده ثم كفروا اى هؤلاء اصحاب هذه المقالة
الشنيعة من وجه اخر غير المتقدم بما لزم منها لانهم بعده سبهم النبى صلى الله عليه
وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم اى بما يستلزمه قولهم هذا انه عهد الى على رضى
الله عنه اى اوصى له بالخلافة بعده على زعمهم وهو يعلم انه يكفر بعده بتركه
طلب حقه والكافر لا يكون خليفة فيكون ما عهده لكذب وهذا سبب يكفر من
ذهب على قولهم بالعهد وكفره وهو مخالف متناقض باطله ولكفر من وجوه
لعنة الله عليهم اجمعين الى يوم الدين وصلى الله على رسوله وعلى اله وصحبه
وشرفهم وكرمهم عما يقول الكافرون وكذلك اى كما كفرنا هؤلاء نكفر بقول الجماعة وبما
المعقود ادبا للتخفية وبنا المجهود بكل فعل فعله شخص مسلم اجمع المسلمون على انه اى ذلك
الفعل لا يصدر الا من كافر حقيقة لانه من جنس افعالهم وان كان صاحبه اى من
صدر منه مسلما مصرحا بالاسلام حقيقة او حكما بشهادة ظاهر حاله مع فعله ذلك
الفعل الذى هو من افعال الكفرة كالسجود للصنم وهو الوثن وهو ما يتخذ الها يعبد
او الصنم المجسم والوثن الصورة كما تقدم الكلام عليه وكالسجود للشمس والقمر باتخاذ
كالمعبود حقيقة والصليب واصله الخشبة التى يصلب عليها ثم نقل الى ما يجعله النصارى
على صورة الخشبة والمصلوب بعود معترض على اخر لزعمهم انه هيئة ما صلب عليه عيسى عليه
الصلاة والسلام فيعظمونه بالسجود له وكالسجود للنار التى يسجد لها المجوس سواء كان
فى دار الحرب ام دار الاسلام بشرط ان لا تقوم قرينة على عدم استهزائه او عدم رده وما فى الحلبية
عن الناصحى عن النص ان المسلم لو سجد للصنم فى دار الحرب لم يحكم بردته ضعيف والصحيح
ان الكلام فى المختار واستشكل الفرق بين السجود للصنم وبين ما لو سجد الوالد لوالده

على جهة التعظيم حيث لا يكفر مع أنه كما يقصد به التقرب إلى الله قد يقصد بالسجود
للصنم ولا يخلو أن يقال إن الله شرع ذلك للعلماء لا لنا دون الأصنام وأجيب
بأن الوالد وردت الشريعة بتعظيمه بل ورد شرع غيرنا بالسجود له فهذا الجنس
ثبت له السجود ولو في زمن من الأزمان وشريعة من الشرائع فكان شبهة دارئة
لكفر فاعله بخلاف السجود لنحو الصنم أو الشمس فإنه لم يرد هو ولا ما يشابهه في
التعظيم في شريعة من الشرائع فلم يكن لفاعل ذلك شبهة ولا ضعيفة فلا فوقه فكان
كافرا ولا نظر لقصد التقرب فيما لم ترد الشريعة بتعظيمه بخلاف من وردت بتعظيمه
وما تقرر من أن العالم كالوالد في ذلك هو ما دل عليه كلام النووي في الروضة آخر
سجود التلاوة وعبارته وسواء في هذا الخلاف وفي تحريم السجود ما يفعل بعد صلاة
وغيرها وليس من هذا ما يفعله كثير من الجهلة من السجود بين يدي المشايخ فإن
ذلك حرام قطعا بكل حال سواء كان للقبلة أو لغيرها وسواء قصد السجود لله أو غفل
وفي بعض صوره ما يقتضي الكفر عافانا الله من ذلك انتهى فافهم أنه قد يكون كفرا
بأن قصد به عبادة مخلوق أو التقرب إليه وقد يكون حراما بأن قصد به تعظيمه أو
أطلق وكذا يقال في الوالد لا يقال ما ذكر في الوالد لا يأتي في العالم لأنه لم ينقل صورة
السجود له لأنا نقول بل يأتي فيهم لأن تعظيمهم ورد به الشرع على أنه ثبت بجنسهم السجود
في قوله تعالى وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس وآدم عليه الصلاة
والسلام كان بالنسبة للملائكة هو العالم الأكبر فثبت بجنس العلماء السجود فكان شبهة
وكالسعي أي الذهاب **إلى الكنائس** جمع كنيسة **والبيع** بكسر الموحدة وفتح المثناة
التحتية قبل عين مهملة جمع بيعة بكسر فسكون **مع أهلها** متعلق بالسعي أي يمشي معهم لمعابدهم
وهو يقتضي موافقتهم في كفرهم وهو كالتصريح بالكفر فهو كفر وقيده بقوله مع أهلها لأن
المراد به أنه يذهب معهم في وقت ذهابهم للعبادة فيها كما يسعى المسلمون للصلاة في المساجد
إذا نودي للصلاة على هيئة تدل على موافقته لهم وإلا فمجرد الذهاب للكنيسة والدخول
لها ليس بكفر وإنما هو مكروه إن كان لغير غرض صحيح وقيل لا يجوز إذا كان ثم صور ونحوه
مما لا يقرون على إظهاره والكنيسة والبيعة قيل لا فرق بين معبد اليهود والنصارى وقيل
الأول لليهود والثاني مخصوص بالنصارى وهو المشهور وهما معربان وقيل الثاني
عربي قال الراغب فإن كان عربيا في الأصل فهو كقوله إن الله اشترى من المؤمنين
أنفسهم أي كأنهم يبيعون أنفسهم لمعبودهم **والتزيي بزيهم** وفي نسخة والزي بزيهم وهو
بكسر الزاي المعجمة وبالمثناة التحتية مشددة أي التحلي بحليتهم والتلبس بها وهو من زوي
يجمع في الأصل وفي الأساس أنه يائي والزي الهيئة الظاهرة بلباس ونحوه وفي نسخة
بهيئتهم وبينه بقوله **من شد** أي ربط **الزنانير** جمع زنار وزنارة بضم أوله وهو حزام
للنصارى يشدونه في أوساطهم وقيل إنه بكسر أوله والمعروف الأول وهو كالغيار
كما ذكره الفقهاء وهو أمر يختص بهم ويشرط عليهم ليتميزوا به عن المسلمين وقد كان
ذلك معروفا في الصدر الأول فحيث لبس زي الكفار سواء دخل دار الحرب أو لا

بتمييز

بتمييز الرضى بدينهم أو الميل إليه أو تهاونا بالإسلام كفر وإلا فلا واعترض ما ذكر في
مسألة زي الكفار بما نقل عن الشافعي رضي الله عنه أنه لو سجد لصنم في دار الحرب لم يحكم
بردته وأن لبس زي الكفار في دار الإسلام حكم بردته وأجيب بحمل هذا الإطلاق على
التفصيل المذكور واختلفوا فيمن وضع قلنسوة المجوس على رأسه والصحيح أنه يكفر
ولو شد على وسطه حبلا فسئل عنه فقال هذا زنار فالأكثرون على أنه يكفر
ولو شد على وسطه زنارا ودخل دار الحرب للتجارة كفر وإن دخل لتخليص الأسرى
لم يكفر قال الأذرعي واعلم أن أكثر العامة يسمون ما يشده الإنسان وسطه
من حبل ونحوه زنارا ولا يتجه في إطلاق هذا منهم كفر انتهى **وفحص رؤوسهم** بفتح الفاء
وحاء مهملة ساكنة قبل صاد مهملة من فحص الأرض إذا كشفها أي حلق أوساطها وتركها
كمفاحص القطا حولها وهو من شعارهم المعروفة في ذلك الزمان وفي الخبر ستلقون
أقواما في رؤوسهم مفاحص فالقوها بالسيوف أي اضربوها وهو عبارة عن ذلك
وفيه مبالغة وبلاغة عظيمة وتلميح لقول العرب فرخ الشيطان وعشش في قلبه
وهو زي عبادهم فالتشبه بهم قصدا كفر وهي رهبانية ابتدعوها كما حكاه الله عنهم
فقد أجمع المسلمون قاطبة **على أن هذا الفعل** وهو التلبس بهيئة مخصوصة بالكفرة
لا يوجد ويصدر **إلا من كافر** حقيقة أو حكما **وأن هذه الأفعال علامة على
الكفر** المضمر في قلوبهم **وإن صرح فاعلها بالإسلام** لأنه تلاعب بالدين لأنه إن كان
مخلصا بقلبه نفعه ذلك فيما بينه وبين الله ممن صدق ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم
ومع ذلك سجد للشمس كان غير مؤمن بالإجماع لأن سجوده لها يدل بظاهره على أنه
ليس بمصدق ونحن نحكم بالظاهر فلذلك حكمنا بعدم إيمانه لأن عدم السجود لغير الله
داخل في حقيقة الإيمان حتى لو علم أنه لم يسجد لها على سبيل التعظيم واعتقاد الإلهية بل سجد لها
وقلبه مطمئن بالتصديق لم يحكم بكفره فيما بينه وبين الله تعالى وإن أجري عليه حكم
الكافر في الظاهر **وكذلك** أي كما حكم بكفر هؤلاء **قد أجمع المسلمون على تكفير كل من
استحل القتل** أي قال إنه حلال له أو لغيره لم ظلما **أو استحل شرب الخمر والزنا** بزاي
معجمة ونون ونحوه **مما حرم الله** ولا بد أن يكون استحلاله له **بعد علمه بتحريمه**
أي بأن الله حرمه شرعا **كأصحاب الإباحة من القرامطة** الذين تقدم بيانهم من
الإباحية الذين يعتقدون حل ما حرمه الله **وبعض غلاة المتصوفة** الذين يزعمون أن
الواصل إلى الله يرتفع عنه التكليف ولم يؤاخذه بما يرتكبه من المحرمات ثم ما ذكر في استحلال
الخمر استبعده إمام الحرمين بأنا لا نكفر من رد أصل الإجماع ثم أول ما ذكروه بما إذا صدق
المجمعين على أن التحريم ثابت في الشرع ثم حلله فإنه يكون ردا للشرع قال الرافعي وهذا إن
صح فليجر مثله في سائر ما حصل الإجماع على افتراضه أو تحريمه فنفاه وأجاب عنه أبو القاسم
الزنجاني بأن مناط التكفير ليس مخالفة الإجماع بل استباحة ما علم تحريمه من الدين ضرورة
وسيأتي لهذا تتمة عند ذكر المصنف له **وكذلك نقطع** جزما بلا تردد **بتكفير كل من كذب**
أبان الله أو سنة رسوله المعلومة **وأنكر قاعدة من قواعد الشريعة** وفي نسخة

الشرع والمراد بالقواعد ما بني عليه الاسلام كاقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان
والحج فليس المراد بالقاعدة مصطلح اصحاب المعقول فلذا اشار بقوله وما عرف يقينا
بالنقل المتواتر الذي يمتنع تواطؤ كذب قائليه من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم او كان
مشهورا عنه كحل البيع مثلا قيل ان المصنف اطلق هذا وهو مقيد بان يكون مجمعا عليه
معلوما من الدين بالضرورة لانه يكفر كانه جاحد مكذب للرسول صلى الله عليه
وسلم ومعنى علمه بالضرورة استواء العامة والخاصة في معرفته حتى يصير كالضروري
والمشهور في حكمه على الصحيح عندهم ثم ان كان لا يعلمه كل احد ككون بنت الابن سهمها
كذا فيعرف وينكره واحترز بقوله يقينا عن حكم الاجماع الظني وقد يقال ان قوله ودفع
الاجماع الخ مقيد له فلا حاجة لما ذكر وقوله المتصل اي الذي لم يتخلله عدم اجماع
يقطعه وقوله عليه متعلق بالاجماع كمن انكر وجوب الصلوات الخمس من حيث
هي او انكر عدد ركعاتها وسجداتها فيكفر بانكار ما اجمعوا عليه يقينا ويقول في وجه
انكاره انما اوجب الله في كتابه القرآن الصلاة على الجملة اي اجمالا من غير بيان
عدد وقوله ذلك حكاية لصورة الحال الماضية لاستغرابها وكونها على هذه
الصفات والشروط لا اعلمه وعلل قوله المذكور بقوله اذ لم يرد به في القرآن
نص جلي اي منفصل في غاية الظهور والجلاء وانما ورد مجملا كقوله اقم الصلاة وغيرها من
الآيات واراد بالنص الجلي ضد الخفي ومعنى المتواتر ولما كان هذا ممتنعا بالسنة اشار لدفعه
بقوله والخبر اي الحديث الوارد عن الرسول اي رسول الله صلى الله عليه وسلم به
اي ببيان اجماله باظهاره وجلائه خبر واحد لا متواتر فلا يفيد القطع واليقين وقد
اجيب عنه بانه متواتر معنى وقد اوجب علينا العمل به اجماعا لقوله وما اتاكم الرسول
فخذوه وقوله فليحذر الذين يخالفون عن امره الاية وفي الانوار ومن كلمته اثبت انه
لو انكر السنن الراتبة او صلاة العيدين كفر قال ابن حجر والذي يتجه كفر من انكر سنة راتبة
مجمعا عليها معلومة من الدين بالضرورة كما يدل له قوله او صلاة العيدين لكن انكار احدهما
كذلك خلافا لما يوهمه قوله السنن الراتبة وقوله العيدين بل يكفي في الكفر انكار سنة واحدة
بالشروط المذكورة وكذلك اجمع اي اجمع المسلمون على كفر من قال من الخوارج ان
الصلاة الواجبة طرفي النهار فقط والمراد بطرفي النهار اوله واخره فكانوا يجمعون
الصلاة في وقتين من غير عذر وهذا لا يجوز عند احد من فقهاء المذاهب الاربعة
وفي صحيح مسلم وسنن ابي داود عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال جمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء بغير عذر ولا مطر بالمدينة
في غير خوف وقال ابن عباس اراد ان لا يحرج امته وحمله بعضهم على المرض واخره من
نفي الحرج وعلى كل حال ففيه نظر قال بعضهم ومن قال الكفر خير مما يفعل ان اراد به ان
في الكفر خيرا ولو بوجه ما كان كافرا والا فلا ومن قال اطيب الحلال ان لا اصلي الظاهر
انه يكفر به لانه جعل ترك الصلاة من حيث هو من الحلال بل اطيبه وهذا كفر بلا نزاع
لان فيه انكار وجوب الصلاة الشاملة للخمس وذلك كفر واجمعوا ايضا على تكفير الباطنية

وهم

وهم الاسماعيلية والقرامطة الحاقا بالجن بان للنصوص باطنا غير ظاهرها الذي يفهمه
الناس وهو معنى قوله في قولهم ان الفرائض كالصلاة وغيرها مما جاءت به النصوص
القطعية اسماء رجال امروا بولايتهم بكسر الواو وفتحها مصدر كالدلالة والدلالة
اي نصرتهم واتباعهم فيقولون الصلاة الرسول والوضوء الائمة الامام ونحوه من
الخرافات التي فصلها النويري في تاريخه وفسروا الخبائث والمحارم جمع محرمة ومحرمة
وهي الحرمة فالمراد بها المحرمات اسماء رجال امروا بالبراءة منهم اي بالتبري منهم والبعد
عنهم بعداوتهم وبغضهم وقول بعض الملاحدة من المتصوفة الذين يظهرون
الزهد والصلاح ان العبادة كالصوم والصلاة وطول المجاهدة اي محاربة النفس
وملازمة الطاعة فانه الجهاد الاكبر اذا صفت بتشديد الفاء نفوسهم اي نفوس اصحابها
اي خلصت من الكدورات الشهوانية افضت بهم اي اوصلت نفوسهم واصله الايصال
في فضاء واسع الى اسقاطها اي اسقاط الفرائض والتكاليف عنهم واباحة كل شيء من
المحرمات لهم ورفع عهدة الشرائع عنهم اي ما عهد الله من التكاليف وانما ذهب الى هذا
بعض الزنادقة وقال انه روي اذا احب الله عبدا لم يضره الذنب وهذا لم ينقله احد ولو صح
فهو مؤول بانه يحفظه عن ارتكاب الذنوب يعني لا يضره الذنب انه لا يعمل ذنبا حتى يضره
كما ان معنى قول بعضهم رفع عنه التكاليف انه يلتذ بها حتى لا يجدها تكليفا او انه يغلب عليه
محبة الله حتى يخرج عن العقل ويصير مجنونا غير مكلف فهو من قبيل المجانين كما يشاهد
في بعض المجاذيب فان ادعى رفع التكليف عمن لم يخرج عن دائرة العقل فهو كافر بالاتفاق وكذلك
يحكم بكفره ان انكر مكة او البيت وهو الكعبة والبنية المعروفة او المسجد الحرام وهو
مسجد مكة او انكر صفة الحج التي ذكرها الفقهاء من واجباته واركانه ونحوها او قال الحج
واجب في القرآن بقوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ونحوه واستقبال ل
القبلة كذلك اي واجب في القرآن بقوله فول وجهك شطر المسجد الحرام الاية ولكن
كونه اي المذكور من الحج والاستقبال على هذه الهيئة المتعارفة شرعا عند سائر الناس
وان تلك البقعة المعروفة هي مكة والبيت والمسجد الحرام لا ادري واعلم هل هي تلك او
بقعة وارض غيرها قال ايضا لعل الناقلين ان النبي صلى الله عليه وسلم فسرها
وبينها للناس بهذه التفاسير المعلومة غلطوا في نقلها ووهموا اي وقع في اوهامهم
ما لبس لذلك فهذا القائل ما ذكر ومثله ممن يشكك في معاني النصوص المتواترة
لا مرية بكسر الميم وقد تضم اي لا شك في تكفيره اي الحكم بكفره لانكاره ما علم من الدين
بالضرورة وابطاله الشرع وتكذيبه للرسول ان كان ممن يظن به علم ذلك وذكر
الظن لان العلم يعلم بالطريق الاولى وكان ممن يخالط المسلمين في دار الاسلام
وامتدت صحبته لهم اي للمسلمين بين اظهرهم في ديارهم الا ان يكون ذلك القائل
حديث عهد اي قريب جديد تلبسه باسلام ان اسلم بعد كفره في غير دار الاسلام فهو
معذور لجهله بما ذكر كمن نشأ في بادية وجزيرة ولم يسمع احكام الاسلام فيقال نعلمها له
ارشادك وسبيلك اي طريقك الذي يجب عليك سلوكه ان تسأل من الناس عن

هذا الذى لم نعلمه مما ذكر كله بعد ظرف مبنى على الضم اى بعد ما كنت الى الان كافة
المسلمين مفعول نسال اى جميعهم فلا نجد بينهم خلافا اى لا نجد منهم من يجيبك فى تحقيق
ما ذكر لعلمه به بمشاهدة او تواتر كافة عن كافة اى تعرفه جميع اهل عصر بلغوه عن
جميع اهل عصر قبلهم بحيث لا يخفى ذلك على احد منهم وفى دخول الكاف على كافة مع قول النحاة
انها تلزم النصب على الحالية تفصيل بيناه فى شرح الدرة وعن بمعنى بعد كما يقال كابرا عن كابر
اى جميع القرون قرنا بعد قرن حتى ينتهى الى معاصرى الرسول صلى الله عليه وسلم
اى من كان فى عصره وزمنه ان هذه الامور التى سالتم عنها كما قيل لك اى على هذه
الهيئة التى ذكروها لك وعلموها لك وهو ان تلك البقعة المعينة بسماتها هى مكة بلد
الله الامين والبيت الذى هو مبنى فيها هو الكعبة سميت بها لعلوها وارتفاعها او لكونها
مكعبة اى مربعة والقبلة التى يستقبلها الناس بوجوههم كانما هو معنا طبيس انفسنا
فحيثما كان دارت نحوه الصور التى صلى اليها النبى صلى الله عليه وسلم وصلى اليها المسلمون
كلهم بعد ما حولت القبلة عن بيت المقدس من سائر نواحى الارض وحجوا اليها اى قصدوها
من كل فج عميق وطافوا بها تعبدا كما امرهم الله وان الافعال التى تفعلها الحجاج من الاحرام
والطواف والسعى والحلق ورمى الجمار وغيره هى صفات عبادة الحج المامور بها وانها هى ايضا
المراد به فى النصوص المنقولة لنا وهى اى تلك الافعال المذكورة التى فعلها النبى صلى الله
عليه وسلم وفعلها المسلمون بعده قرنا بعد قرن وان صفات الصلاة المذكورة المشهورة
المنصوص عليها فى القران هى التى فعلها النبى صلى الله عليه وسلم وشرح مراد الله بذلك
اى بين المراد منها بفعله ليقتدى به وابان حدودها اى عرفنا حقيقتها واوقاتها الموقتة
لادائها فيقع لك بسوالك عما لم تعلمه العلم بما ذكر وصفته كما وقع لهم العلم بحقيقتها وكيفية
وصفته بذلك ولا تسترتاب بذلك اى لا يقع لك فيها شك وتردد بعدها لنا على الضد
اى بعد ما علمته بسوالك منهم وهذا حال من يعذر بجهله والمرتاب فى ذلك المعلوم
من الدين بالضرورة والمنكر لذلك بعد البحث عنه ومعرفته بالسوال عنه وصحبة
المسلمين كافر بلا نفاق ولا يعذر بقوله لا ادرى المراد بذلك ولا يصدق فيه
اى فى قوله لا ادرى بل ظاهره التمويه باظهار جهله عن التكذيب بما تواتر عن رسوله صلى
الله عليه وسلم فيما نقل عنه اذ لا يمكن انه لا يدرى ذلك مع تواتره وثبوت صفاته وقد
قيل عليه ان ظاهره مشكل فيما قاله او لان التابل بما ذكر كافر الا ان يكون قريب عهد
باسلام وقال هنا انه لا يعذر وليس بشى لانه لا يكفر اذا كان حديث عهد قبل تعلمه
وهنا انه يكفر بعد التعليم كما يكفر بغيره وايضا فانه اى المنكر اذا جحد على جميع الامة
الوهم والغلط فيما نقلوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك المذكور من امور
الحج والصلاة واجمعوا على انه قول الرسول صلى الله عليه وسلم المروى عنه برواية
صحيحة وفعله الذى فعله ليقتدى به وتفسيره صلى الله عليه وسلم لما جاء عن الله اى واجمعوا
ايضا على انه فعله لهذا تفسيرا وبيان مراد الله تعالى به اى بما دل عليه ما اجمعوا على انه
قول الرسول الذى بلغه عن ربه من الصلاة والحج فينبغى بفعله صفة ادائه ووجوبه

وغير ذلك

عرضى

وغير ذلك مما مر فقوله هذا ابع علمه او بعد تعلمه ادخل الاسترابة استفعال من الريبة
وهى الشك وهو جواب اذا اى او تفهها فى جميع احكام الشريعة لانها انما نعلم بنقل الامة
فاذا طعن فيهم فى بعضها سرى ذلك لجميعها اذ هم الناقلون لها وللقران برواياتهم عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا وقعت ريبة فى نقلهم انحلت عرى الدين جمع عروة
وهو ما يتمسك به من الحبل وهنا استعير الحبل للدين والقران فانه يتوصل به الى الله
تعرفه الادلة التى فيه فانحلالها سقوط الاستدلال بها فهو استعارة اخرى تصريحية
او تخييلية والعروة فى الاصل ما له اصل ثابت من الكلا والدواب ترعاه اذا لم تجد غيره
فاستعمل لكل ما يعتصم به وقيل له كرة هى فى الاصل مصدر من الكر وهو العطف على الشىء
بالذات او بالفعل ويقال للحبل المفتول كر كما فى الراغب اى دفعة واحدة وجملة ومن
موصول مبتدا اصلة قال هذا اى انكار ما اجمعوا عليه كافر بانكاره المجمع عليه وكذلك
اى كما كفرنا هذا نكفر من انكر القران كله او انكر حرفا منه او كلمة او غير شيئا منه
بابدال او بزيادة او نقص فيه او زاد فيه كلاما ليس منه والمراد ان ما زاد او نقص ولم
يكن برواية صحيحة ونقل معتمد فلا تدخل القراءات كقراءة تجرى من تحتها الانهار مع قراءة من
تحتها وكالبسملة فى الفاتحة عند الشافعى وغيره ولظهوره لم يقيد المصنف كلامه هنا فلا معنى
للاعتراض به فان تسيا نقصه فيه لمن عنده ادنى بصيرة كفعل الباطنية والاسماعيلية
هم فرقة واحدة سموا تارة باطنية لزعمهم ان للنصوص ظاهرا هو تكليف ومشقة وباطنا بخلافه
هو رحمة والاول فرض للعوام والثانى مطلب لخواص الانام وفسروا به قوله تعالى فضرب بينهم
بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وسموا اسماعيلية لانتسابهم لاسماعيل
ابن جعفر بن محمد الباقر وقالوا هو الامام المعصوم المنصوص على امامته بعد رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولهم خرافات ومجازفات قصدوا بها ابطال الشريعة لالحادهم لا حاجة لنا بها
فان بطلانها غير محتاج لدليل ومنهم القرامطة كما مر او زعم انه اى القران ليس بحجة
اى لا يحتج به لما فيه من الاحكام لان ظاهره غير مراد منه فلا حجة فيه للنبى صلى الله
عليه وسلم او زعم انه ليس فيه حجة لاثبات حكم او نفيه ولا هو ايضا معجزة دالة على
نبوته صلى الله عليه وسلم لانه ينكر اعجاز القران ويزعم ان البشر لهم قدرة على مثله واليه ذهب
بعض غلاة الرافضة كالمرداريه وهو مكابرة تكذب الحس ابطالها وقال ابن حجر بعد كلام
المص يحتمل ان يريد به ما يشمل ما ليس بمعجز بذاته فمن قال ليس بمعجز بذاته وانما هو لكونه
الله صرف القوى عن معارضته لعدم التصريح بكفره شىء عليه الحنابلة وكلام المص هذا
الذى اقره عليه النووى قد يوهمه والذى يظهر عدم كفره لان هذا لا يترتب عليه طعن
فى الدين ولا تكذيب لضرورى من ضروريات بخلاف منكر الاعجاز من اصله ثم رايت بعض
المتكلمين على الشفا حكى ذلك قولا فى معنى الاعجاز وحكى فيه قبل ذلك بعينه وجزم ابن
عقيل بان من ادعى ان القران او بعضه او طلب ان يتناقضه او ادعى انه يختلف فيه او مختلف
او مقدور على مثله ولكن الله منع قدرتهم كفر بل هو معجز بنفسه والعجز شمل الخلق انتهى كقول
هشام الفوطى قال فى التبصرة هشام بن عمرو الفوطى من القدرية وزاد فى مذهبهم

اى الباطنية

امورا باطلة وقال كجهله انه لا يسمى الله الوكيل ولم يعرف انه بمعنى الكافي والحفيظ وانكر
المعجزات وهو بضم الفا وفتح البا الموحدة وسكون الراو وطا مهملة قبل يا النسبة ومعمر
بميمين مفتوحتين بينهما عين مهملة ساكنة وهو من المعتزلة الصيمري بفتح الصاد
المهملة ومثناة تحتية ساكنة وفتح الميم وراء مهملة منسوب لصيمر موضع او بلدة وفي
نسخة الضمري بفتح الضاد المعجمة منسوب لضمرة قبيلة كان له الثماني وفي التبصرة
معمر بن عباد تنسب له المعمرية ونسبت له خرافات يملها السمع انه اي القران لا يدل
على الله وانما كفرناه لذلك لانه انكر الكلام واثباته لله وقال بعدم اعجاز القران و لا
حجة فيه لرسوله صلى الله عليه وسلم لانكاره اعجاز القران ولا يدل على ثواب ولا عقاب
ولا حلال ولا حرام لانه يقول انه ليس لله كلام ولا امر ولا نهي كما في التبصرة ولا حكم
فيه لله ولا حجة له في كفرهما اي لا يعذر بتكفيرهما بذلك القول الذي قاله كما سمعته
انفا وكذلك نكفرهما بانكارهما ان يكون في سائر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم حجة
له اي معجزة تصدقه في دعواه او بانكارهما ان يكون في خلق السموات والارض
دليل على الله لدلالة مصنوعاته سبحانه وتعالى عليه من غير شك وفي كل شيء له اية
تدل على انه واحد لانه كما في التبصرة قال ان الله لم يخلق شيا من الاعراض وان الاجسام
تفعلها بطباعها الى غير ذلك مما ينبغي تطهير الالسنة عن مثله لمخالفتهم الاجماع والنقل
المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم باحتجاجه متعلق بالمتواتر والضمير له صلى الله عليه
وسلم بهذا كله اي القران والمعجزات وخلق السموات والارض دليل على وجوده وانها وعلى
رسالته فالحجج قاطعة وتصريح القران به اي بكون ما ذكر حجة ومعجزة كقوله فاتوا
بسورة من مثله وكقوله اقتربت الساعة وانشق القمر ولئن سالتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله وانما الله اله واحد ونحوه وكذلك نحكم بكفر من انكر شيا مما نص القران
فيه كالقيمة وفي نسخة مما نص في القران بعد علمه انه من القران حتى لا يعذر بجهله
الذي في ايدي الناس ومصاحف المسلمين يقرؤن في كل زمان ولم يكن جاهلا به
تاكيد لما قبله ولا قريب عهد بالاسلام حتى يجهل ذلك واحتج لانكاره شيا من
القران اما ان يحتج بانه لا يصح النقل اي نقل القران الينا عنده اي في اعتقاده
ولا بلغه اي وصل اليه العلم به او اما لتجويزه الوهم اي الخطا على ناقليه فنكفره
بالتخفيف وبنا الفاعل او بالتشديد وبنا المجهول اي نحكم بكفر هذا القائل لما ذكر بالطريقين
المتقدمين اي مخالفة الاجماع والنقل الصحيح منه صلى الله عليه وسلم لانه مكذب للقران
بانكاره او انكار ما نص عليه فيه ومكذب للنبي صلى الله عليه وسلم بانكار معجزته
التي جاء بها لكنه تستر بدعواه التي لا يعذر بها وكذلك نكفر من انكر الجنة
او النار نفسهما او محلهما وموجبهما مثلا اي انكر ايجادهما يوم القيمة واما من انكر
وجودهما الان كبعض المعتزلة فانه خطا ايضا لكنه قيل انه لا يكفر به لاقراره بهما وان
كانت النصوص دالة على بطلان ما قال كما بين في كتب الاصول او البعث اي وكذلك
نكفر من انكر البعث اي احيا الله الموتى وبعثهم اي اخراجهم من قبورهم او انكر الحساب

اى

الخامس والاربعون

الثاني

اي كون الله يحاسب عباده ويسالهم عن اعمالهم يوم القيمة لاقامة الحجة عليهم واظهار
حالهم وان كان الله عالما بذلك او انكر القيمة اي قيامهم في الحشر بين يديه سبحانه
وتعالى بعد احيائهم واخراجهم من القبور فهو كافر باجماع للنص عليه في القران
كقوله تعالى ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون ويوم نحشر المتقين الى
الرحمن وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا ونضع الموازين القسط ليوم القيمة يوم
يقوم الحساب وغيره من النصوص وحديث الشفاعة العظمى شاهد له واجماع الامة
اي امة الاجابة المسلمين على صحة نقله اي النص به متواترا بحيث لا يقبل النزاع فيه
وكذلك نكفر من اعترف بذلك اي الجنة والنار والبعث والحساب والقيمة ولكنه قال
ان المراد بالجنة والنار والحشر اي جمع الناس في الموقف والنشر اي خروجهم من القبور
منتشرين والمراد بالثواب والعقاب المذكور في القران والنصوص معنى غير ظاهره
المتبادر منها وانها اي الامور المذكورة كلها لذات والام تفيده اكتفا روحانية بضم
الرا وفتحها نسبة الى الروح ونحوها به الحياة وبزيادة الالف والنون فيه سماعا على خلاف
القياس وتطلق الروحانيون على الملائكة والمراد هنا امر يتعلق بالروح من اللذة والالم
والروحاني يكون بمعنى الطيب ومعاني تدرك بالعقل دون الحس باطنة غير محسوسة
كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة الذاهبين الى ان الحشر
غير جسماني بل روحاني وزعمهم الفاسد في تاويل النصوص فقالوا ان معنى القيامة الموت
الذي يعوض الحياة او فنا محض اي عدم محض خالص وانتقاض بضاد معجمة اي تغيير
هيئة الافلاك التي هي عليها الان وتحليل العالم بمثناة فوقية وحا مهملة اي حل تركيبه وانا تـ
بعضه من بعض كقول بعض الفلاسفة المنكرين للقيامة والبعث وما ذكره المص عن
بعض المتصوفة مراده بهم الزنادقة الملحدون المتسترون بسمتهم واما مشايخ الصوفية فحاشاهم
من مثله ولا ينبغي تسميتهم متصوفة بل لهم صوفية حقيقة وكذلك كما كفرنا هؤلاء نقطع
بتكفير غلاة الرافضة جمع غال وهو المتجاوز حده في الغلو والمبالغة في امره في
قولهم ان الايمة هم محمد وعلي واولاده رضي الله عنهم الذين يقولون بان الامامة حقهم
افضل من الانبيا كما قدمناه وهؤلا الطائفة تسمى نصيرية يبالغون في ايمتهم بزعمهم
الباطل حتى ادعى بعضهم انهم الهة وهؤلا اشد كفرا من النصارى فاما من انكر من هؤلا
ما عرف بالتواتر من الاخبار جمع خبر المنقولة عن الصحابة والسير بزنة عنب جمع
سيرة وهو ما يتعلق بغزواته واسفاره وانكار البلاد البعيدة كخراسان والعراق
التي لا يرجع انكارها الى ابطال شريعة مما شرعه الله لعباده ولا يفضي اي يوصل الى
انكار قاعدة من قواعد الدين لعدم تعلقه به كانكار غزوة تبوك او مؤتة اما
تبوك فاسم معين ما وسمي به موضعها وهو من ارض الشام بقرب مدين وهي ماخوذة من
باك الحمار الاتان اذا نزى عليها او من باكت الناقة اذا سمنت وسميت بها لانه صلى الله عليه وسلم
غزاها في رجب سنة تسع وصالح اهلها على الجزية من غير قتال واستشهدت الناقة السمينة
في خبرها وقيل لانه رجلين سبقاه لها وما وهما ببعض لعله فعلا يدخلان فيهما سهما ليكثر

ما وبها فقال لها صلى الله عليه وسلم ان لتمانبوكا بها منذ اليوم وموتة بضم الميم
وهمزة ساكنة وتبدل واوا وبالمثناة فوق قرية من ارض البلقا بطرف الشام قريبة من
الكرك على مرحلتين من القدس كان بها تلك الغزوة لانهم قتلوا رسولا ارسله رسول
الله صلى الله عليه وسلم فجهز اليهم جيشا في سنة ثمان وقيل سبع فقتل بها جماعة من المسلمين
ثم فتحها خالد بن الوليد وقصتها مفصلة في السير وتقدم في ذلك ما فيه الكفاية وانما
يكفر منكرهما لانه لا يترتب على انكاره امر ديني او كما لا يكفر من انكر وجود ابي بكر الصديق
رضي الله عنه او وجود عمر بن الخطاب او انكر خلافة علي بن ابي طالب ونحوه مما علم
وجوده بالنقل ضرورة لان التواتر يحصل به علم ضروري يقيني لا يشك فيه وليس في
انكاره لذلك جحد شريعة اي لامر شرعي متعلق بالدين فلا سبيل الى تكفيره اي المنكر
لما ذكر بجحد ذلك ونفي وجوده وانكاره وقوع العلم له اي ان يكون عنده علم به اذ
ليس في ذلك الانكار والجحد امر يبيح الكفر من المباهتة هو مفاعلة من البهتان وهو
الافتراء والكذب ومثله لا يعد كفرا وهي المفاجاة بالتكذيب حتى يبهته ويحيره قال
فبهت الذي كفر اي سكت لحجبته وهذا كله ظاهر فيقبل من انه بجزمه بقتله الحديث في
الغزوات لا وجه له لانه لا يعد كفرا وكذا ما قيل من ان انكار وجود ابي بكر فيه تكذيب
للقران في قوله تعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار الاية لان انكاره انه ليس بكفر من حيث
هو وان عرفه وانكر صحبته التي في القران فهو كفر واما انكار صحبة غيره فصرح بكلامهم
انه لا يكون كفرا لكن اختار بعضهم ان انكار صحبة غيره المجمع عليها المعلومة من الدين بالضرورة
كفر ويجاب بان شرط انكار المجمع عليه الضروري ان يرجع الى تكذيب امر يتعلق بالشرع
بخلاف ما لا يتعلق بذلك وانكار صحبة غير ابي بكر لا يتعلق به ذلك بخلاف انكار صحبته
لان فيها تكذيب القران فتدبر كانكار هشام الفوطي الذي تقدم انه من غلاة الرافضة
وعباد الصيمري الذي تقدم ايضا وقعة الجمل التي كانت بالبصرة بين علي ومعاوية
رضي الله عنهما فخرجت عايشة ام المومنين رضي الله عنها على جمل لها لتصلح بين الفئتين فكان
ما كان من ذلك الحرب العظيم ولذا سميت وقعة الجمل ونسبة انكار هذه الوقعة لابن حزم
كما قاله مغلطاي غلط وكانت الوقعة سنة ست وثلاثين ووقعة صفين سنة سبع وثلاثين
فكانت عايشة على جمل يسمى عسكر وفيها قتل جماعة من الصحابة والقصة مشهورة في
التواريخ وانكار محاربة علي رضي الله عنه من خالفه من الخوارج الذين كانوا اتباعه
اولا ثم لما جرى امر التحكيم انكروه وقالوا لا حكم الا لله وهي كلمة حق اريد بها باطل
وتفرقوا فرقا ولم اعتقاد ات مخالفة لاهل السنة فكانت بينهم حروب عظيمة قد
اشتهرت حتى افردت بالتاليف وفرقهم واعتقاداتهم مفصلة في كتاب التبصرة لا يهمنا
ذكره هاهنا فاما ان ضعف المنكر لما ذكر مع تواتره وضعف سند دليل الناقل
او المنقول ذلك المتواتر من اجل الاخبار التي لا تعود لامر شرعي من اجل تهمة
الناقلين اي لاجل اتهامهم بالكذب ووهم ما ضر سنده معطوف على ضعفه او مصدر
بزنة ضرب معطوف على تهمة المسلمين اجمع اي قال ان جميع المسلمين مخطئون في نقلهم

فتكفيره

فتكفيره بذلك الذي احتاط من خطا جميع المسلمين واتفاقهم على الكذب لسريانه اي
افضائه وتعديه الى ابطال الشريعة المحمدية لانها انما تنقل بنقل المسلمين فاذا جوز اتفاقهم
على الكذب لم يبق ثقة بنقلهم في شيء اصلا وتكفيره لانكاره اجماع المسلمين وهو كفر فاما من
انكر الاجماع اي اجماع المسلمين المجرد وفسر المجرد بقوله الذي ليس طريقه اي ما يستند
اليه النقل المتواتر عن الشارع المراد بالمتواتر ما من شانه التواتر وقيل المراد بالمجرد
ما تجرد عن القراين التي تجعله قطعيا فاكثر المتكلمين المراد بهم هنا العلما ولذا بينهم بقوله
من الفقها والنظار جمع ناظر في هذا الباب اي في هذه المسايل المتعلقة بالتكفير قالوا
اي اعتقدوا وجزموا بتكفير كل من خالف الاجماع الصحيح اي المستجمع لشروطه
المذكورة في كتب الاصول كما بينه بقوله الجامع لشروط الاجماع المتفق عليه عموما
في كل اجماع واعلم ان حقيقة الاجماع العزم قال تعالى فاجمعوا امركم ثم شاع في
الاتفاق وهو من الجمع وهو حقيقة في الاجتماع مجاز مشهور في المعاني ومعناه اتفاق
مجتهدي هذه الامة وقال النووي هو نوعان عام كاجماع الامة على الصلاة وعدد ركعاتها
مما يعرفه العامة والخاصة وانكاره كفر الا ان يكون منكره حديث عهد بالاسلام وخاص
وهو ما يعرفه الخاصة كبطلان نكاح المتعة ولا يكفر جاحده وانما يحكم بخطابه وكذا كل
اجماع لا يعرفه الا العلما كحرمة نكاح المراة على عمتها والاجماع واقع ويمكن الاطلاع عليه على
الصحيح وحجة واختلفوا في حجيته هل هي قطعية او ظنية عقلية او سمعية او مركبة منهما ولم
يخالف في حجيته الا من لا يعتد به كالنظام وبعض الشيعة كما في وحجته التي استدلوا بها
قول الله تعالى ومن يشاقق الرسول اي يخالفه ويعاديه فيكون في شق والرسول في شق
اخر من بعد ما تبين له الهدى الاية وتمامها ويتبع غير سبيل المومنين نوله ما تولى
ونصله جهنم وساءت مصيرا وسبيل المومنين طريقهم التي اتفقوا عليها فتوعده عليه يقتضي
انه دخل طريقا غير طريق المسلمين وهو الكفر وحجته من السنة قوله صلى الله عليه وسلم
كما رواه ابو داود في سننه وصححه من فارق الجماعة اي المسلمين واهل الحق وروي من
فارق الجماعة بترك السنة واتباع الحقوق واتباع البدعة والبغاة والمحاربين قيد شبر
بكسر القاف وسكون المثناة التحتية ودال مهملة والقيد والقاد بمعنى القدر وشبر بكسر
الشين المعجمة وسكون الموحدة وراء مهملة ما بين طرف الخنصر والابهام مفرجا اذا نبسط
وهو كناية عن القلة فقد خلع ربقة بكسر الراء المهملة وسكون الموحدة وقاف وهي
حبل يقاد به وقد تقدم اي نزع عقد الاسلام من عنقه فهو كناية عن مفارقة الاسلام
وتركه بالكلية تشبيها له بحيوان يقاد بحبل فترك الحبل وهرب من قائده وفيه اشارة
الى انه كالانعام بل اضل والربقة في الاصل عروة تجعل في عنق البهيمة او يدها تمسكها
فشبه الاسلام بمنع المجاوزة لما لا ينبغي بها واضافها اليه على طريق التشبيه المؤكد اي
خلع الاسلام المانع له كالعروة المانعة لها من الضياع او شبه ما يلزمه من احكام حدوده
واوامره ونواهيه المانعة له بالربقة المانعة لها على طريق الاستعارة التخييلية والتمثيلية
لها الخلع ترشيحا وحكوا اي الفقها والنظار في ذلك الاجماع على تكفير من خالف

الاجماع لما في الاية المذكورة من الوعيد لمن يتبع غير سبيل المؤمنين وهو الاجماع ومثله
يكون للكثرة وحكاية المصنف في تكفير من جحده الاجماع مناف لما ذكره بعده من التوقف
فيه بقوله وذهب اخرون من اهل الاصول الى الوقوف اي التوقف فيه من غير قطع
بتكفير وعدمه وقد وقع في نسخة التوقف عن القطع اي الجزم بتكفير من خالف
الاجماع الذي يختص بنقله العلما ثم يقطعوا بتكفير ولا عدمه وقيده بهذا ليخرج
الاجماع فيما يتعلق بالصانع لكنه يدخل فيه اجماع اهل العربية وفيه كلام في شرح المغني
ظاهره انه غير معتد به ومثله في خصائص ابن جني ولنا فيه بحث ذكرناه في السوانح
وذهب قوم اخرون من العلما الى التوقف اي عدم الجزم في تكفير من خالف
الاجماع الكائن عن نظر كالقياس الحاصل باجتهاد لا بد له من مستند كتكفير النظام
بفتح النون وتشديد الظا المعجمة وهو ابراهيم بن سيار ابن شيبان بمعجمة وموحدة
بعد الف المثناة التحتية والف ونون ابو اسحاق مولى بني الحارث بن عبس بن ثعلبة احد
فرسان المتكلمين من المعتزلة وله احاطة بالعلوم العقلية وله شعر رقيق كان في دولة المعتصم
بانكاره الاجماع كما انكر القياس وحجيتهما لانه بقوله هذا اخالف اجماع السلف على
احتجاجهم به اي بالاجماع خارق للاجماع اي مخالف للاجماع منهم ومن غيرهم والخرق
كما قال الراغب القطع على سبيل الفساد من غير تدبر وهو ضد الخلق الذي هو فعل بتقدير
ورفق وباعتبار القطع قيل خرق الثوب وخرق المفازة ومنه الخرق والمخرقة كما فصله
في مفرداته فتعبيره في الاجماع بالخرق لانه قطع له من غير تدبر وحكم بلا علم قال تعالى وخرقوا
له بنين وبنات بغير علم تنبيه قال شيخ والدي رحمه الله الشيخ احمد بن حجر
الهيتمي في الفتاوى والاعلام قال ابن دقيق العيد مسائل الاجماع ان صحبها التواتر كالصلاة
كفر منكرها لمخالفته التواتر لا لمخالفته الاجماع وان لم يصحبها التواتر فلا يكفر بها وفرق
الزركشي بين تكفير منكر المجمع عليه وعدم تكفير منكر اصل الاجماع بان منكر الحكم موافق
على كون الاجماع حجة ثم انكر اثره المترتب عليه ذكرنا وبخلاف منكر الاصل فانه لم يوافق
على شي البتة وفي فرقه نظر لاقتضائه ان منكر الحكم لا بد ان يتبين منه اعتراف بحجية
الاجماع وهو مخالف لاطلاقهم فالذي يتجه ان محط التكفير انكار الضروري سواء سبق
اعترافه بحجية الاجماع ام لا فان قلت هل ثم فرق بين انكار اصل الاجماع حيث لم
يكن كفرا وانكار الحكم المجمع عليه الضروري حيث كان كفرا قلت نعم وتقدم قبله
مقدمة وهي ان النظام وغيره انما انكروا كون الاجماع حجة زعما منهم انه لا يستحيل الخطا
على اهل الاجماع وانه لا دليل على عصمتهم قطعا اذ ما استدل به على ذلك يحتمل التاويل
فالاجماع الذي انكروه هو تطابق العلما مع تفرقهم وكثرتهم على راي نظري وهذا
ليس كانكار الضروري الذي هو تطابق على الخبر عن محسوس على نقل التواتر وذلك
قطعي لحصول العلم الضروري به والقطع فيه يؤدي الى ابطال الشريعة من اصلها
فتطابق العلما على راي واحد نظري لا يوجب العلم القطعي الا من جهة الشرع فلم يكفر
انكار كونه من اصله حجة ولا انكار ما ثبت به القطع مع الاعتراف بحجيته مكفرا على الاصح

بخلاف

بخلاف انكار الضروري فانه يجر الى انكار الشريعة بل الشرائع كلها فمن ثم كان كفرا كما تقدم
فاتضح الفرق بين انكار اصل الاجماع او كونه حجة قطعية وبين انكار الضروري وبما
قررته يعلم رد نظير الغزالي في كفر جاحد المجمع عليه بان النظام انكر كون الاجماع حجة فيصير
مختلفا فيه ووجه رده ان النظام لا ينكر الحكم كما مر وعلى التنزل فهو بعد الانكار مبتدع
ضال فلا نكير لانكاره ولا لخلافه فان قلت نافي حكم الاجماع اخف حالا من المجمع عليه
لان الاول ليس معه اعتقاد مخالف بخلاف الثاني فان الجحد يقتضي سبق الاعتراف
والاعتقاد قلت اذا تاملت ما سبق من التقرير علمت ان الملحظ في التكفير انما هو
انكار الضروري المستلزم لانكار الاجماع بخلاف انكار الاجماع من اصله او حجيته او
المجمع عليه الغير الضروري فانه لا يكون كفرا خلافا لما يوهمه كلام بعض المتاخرين
فاذا تدبرت هذا الذي قررته واستحضرت قواعدهم ظهر لك انه احق بالاعتماد والتصويب
مما ذكره بعض المتاخرين هنا انتهى ملخصا وقال القاضي ابو بكر الباقلاني القول المعتمد
عندي ان الكفر بالله تعالى حقيقته معناه شرعا الجهل بوجوده عز وجل وان الايمان
الذي هو ضد الكفر بالله تعالى معناه العلم بوجوده وانه اي الشان لا يكفر احد بقول
يقوله ولا راي يعتقده الا ان يكون ذلك المذكور من قول او راي هو الجهل بالله تعالى
فيكفره بعدم العلم به او انكار وجوده وهذا القول نقل عنه في شرح العقول وتقدم ايضا
وذلك اما حقيقة الجهل او ما يستلزمه كما اشار اليه بقوله فان عصى الله ورسوله
بقول او فعل نص الله تعالى ورسوله اي ذكره صريحا في كتابه او سنته او اجمع
المسلمون على انه لا يوجد بالجيم اي لا يصدر ولا يقع الا من كافر كانكار الشرع
او رسالة محمد صلى الله عليه وسلم او يقوم دليل على ذلك اي على انه لا يوجد الا من كافر
فقد كفر وليس كفره والحكم به لاجل قوله او فعله الذي لا يصدر الا من كافر لكن
يكفر لما علم مما يقارنه واستلزامه له من الكفر بالجهل بالله تعالى وفصله بقوله فالكفر بالله
تعالى لا يكون اي يوجد ويتحقق الا بثلاثة امور احدها اي الامور الثلاثة الجهل
بالله تعالى ووجوده الثاني ان ياتي ويفعل فعلا يصدر عنه او يقول قولا
يخبر الله ويخبر رسوله صلى الله عليه وسلم اي اخبرا وعبر بالمضارع كحكاية الحال الماضية
او يجمع المسلمون على ان ذلك لا يكون الا من كافر وقد تنازع في قوله ان ذلك يخبر
ويجمع كالسجود للصنم والمشي الى الكنائس اي معابد النصارى واليهود كما تقدم في المشي
الذهاب معهم على هيئاتهم بالتزام الزنار وهو ما يشد بالوسط على هيئة مخصوصة
بالكثرة مع اصحابها اي اصحاب الكنائس والزنانير في اعيادهم المعروفة بينهم وهما
حالان متداخلان او يكون ذلك القول الذي قاله او الفعل الذي فعله لا يمكن
معه اي مع ذلك القول او الفعل العلم بالله تعالى قال اي ابو بكر الباقلاني فهذان
الضربان اي الجهل بالله واتيان فعل او قول لا يكون الا من كافر وان لم يكونا جهلا
بالله تعالى اي انه لم يقتض قوله وفعله المذكوران جهلا بالله تعالى فهما علم
يقتضيين اي علامة وامارة على ان فاعلهما كافر منسلخ خارج من الايمان

خ بالجحد

بالله تعالى لان الايمان عند الاشاعرة تصديق النبي صلى الله عليه وسلم فيما علم مجيئه
به ضرورة وبما جاء به الاقرار بالله ورسوله وكتبه فالكفر حينئذ جحود ذلك وقد جعل
الشرع بعض الامور علامة على ذلك واما سجود الملائكة لادم وسجود اخوة يوسف له فليس
على طريق العبادة لانه كان تحية جائزة عندهم ثم نسخ ذلك وابدل بالسلام فانه تحية
الاسلام وقال ابن الهمام الايمان نقل شرعا من معناه اللغوي وهو التصديق الى مجموع
امور اعتبرت في وصفه شرعا والتصديق جزؤها وهو عنده الحاصل في ثلاثة ثم فصلها
كما فصل المصنف" قال فاما من نفى صفة من صفات الله تعالى الذاتية العزيزة الثبوتية
بان قال انه لا يتصف بها او جحدها اي انكرها مع العلم بها والنفي المراد به ان يعتقد
عدم ثبوتها له فهو مغاير للجحود ولذا عطفه او مستبصرا اي على بصيرة في ذلك دون
سهو وسبق لسان فهو قيد للنفي والجحود لا للجحود فقط وتفسيره حينئذ بمتيقنا غير
متوجه ولذا تفسيره الجحد بمطلق الانكار لا وجه له مع عطفه او كما قيل كقوله ليس
بعالم ولا قادر ولا متكلم وشبه ذلك نحو ليس سميعا ولا بصيرا ونحوه من صفات
الكمال الواجبة له عز وجل فقد نص ائمتنا اي صرح بعض المالكية على الاجماع
اي اتفاق المالكية على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها واعراه اي جعل ذاته عارية
عنه غير متصفة به عنها اي عن الصفات الذاتية وهذا مذهب بعض الغلاة منهم ولا
يدخل في هذا المعتزلة الذين قالوا لا صفات له زائدة على ذاته وانما هو عين ذاته ولا
يدخل فيه ايضا نفي الصفات التي فيها اختلاف بين الاشاعرة والماتريدية وعلى هذا
القول المذكور حمل قول سحنون على من قال ليس لله تعالى كلام فهو كافر لانكاره
صفة ثابتة بالنص كقوله تعالى حتى يسمع كلام الله ونحوه وهو اي سحنون لا يكفر
المتأولين اي الذين يتأولون النصوص ومن جملتهم المعتزلة النافون للكلام فانهم
يقولون معنى كلم الله موسى انه خلق كلاما في الشجرة اسمعه موسى لان الكلام اصوات
وحروف حادثة لا تقوم به انه فخالف كلامه هنا قاعدته كما قررناه في عدم
تكفيره لمن تاول فاما من جهل صفة من هذه الصفات الذاتية كالعلم والقدرة
ولم يعرفها مستبصرا اي مستند الدليل ولا جحدها عنادا فاختلف العلماء هاهنا
اي في تكفيره وعدمه لعذره بجهله فكفره بعضهم ولم يجعل الجهل عذرا له لوجوب
النظر عليه وحكى ذلك اي تكفيره عن ابي جعفر محمد بن جرير الطبري العلامة
المفسر كما تقدم في ترجمته وغيره من العلماء وقال به اي ذهب الى مثل رايه في التكفير
ابو الحسن الاشعري امام اهل السنة وقوله مرة اشارة الى انه احد قولين
له في هذه المسئلة وذهبت طائفة من اهل السنة الى ان هذا اي جهله بصفة
من صفات الله تعالى الذاتية لا يخرجه عن اسم الايمان يعني انه مؤمن غير كافر فيطلق
عليه اسم ماخوذ من الايمان او اسم مختص به كقوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما
واليه اي الى هذا القول بعدم تكفيره رجع الاشعري عن قوله الاول لعدم صحته عنده
وقيام الدليل عليه قال الاشعري انما لم نكفره لانه اي النافي لصفة جهلها لم

دبجى
ابن قنبرس

يعتقد

يعتقد ذلك اي انتفاء تلك الصفة الذاتية اعتقادا يقطع بصوابه لقيام دليل
عنده كالغلاة منهم وانما قاله بجهله فهو معذور ويراه دينا وشرعا اي يعتقده
صوابه كذلك وانما قاله توهما وجهلا وانما يكفر من اعتقد ان مقاله وفي نسخة ما
قاله اي قوله حق صواب موافق للبرهان ومطابق للواقع واحتج هؤلاء الذاهبون
لعدم تكفيره بحديث المراة والجارية السوداء الذي رواه ابو داود في سننه وهو ان
رجلا ظاهر من زوجته ولزمه عتق رقبة فاتى بجارية نوبية فقال يا رسول الله
اعتق هذه فقال لا تجزئك الا ان تكون مؤمنة فقال لها يا رسول الله فقال لها اين
الله فاشارت الى السماء وقال لها من انا فقالت رسول الله فقال له اعتقها فانها
مؤمنة وكون هذا العتق كفارة ظهار قاله التلمساني والذي في سنن ابي داود ان
معاوية بن الحكم السلمي قال يا رسول الله لي جارية صككتها فعظم ذلك على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت له افلا اعتقها قال ائتني بها فجئت بها فقال لها اين الله الخ فعتقها
انما هو كفارة لصكها واما كون الكفارة لا يجزي فيها الا رقبة مؤمنة فمختلف فيه فعند الشافعي
ومالك والاوزاعي اشتراط الايمان فيها وعند ابي حنيفة انه يجزي غير المؤمنة الا في كفارة
القتل قيل وفيه اشكال لقوله اين الله واقرار الرسول لقولها في السماء واثباته له
وليس كقوله تعالى وهو الذي في السماء اله ولم يجب عنه وقد اجاب عنه ابن فورك في
كتاب كشف المشكل فقال اين موضوعة للسؤال عن المكان وقد يسئل بها فيقال
اين فلان من فلان لبعد الرتبة المعنوية فقوله اين الله استعلام عن منزلته في قلبها
فاشارت الى السماء اي هو رفيع الشان عظيم المقدار كما يقال هو في السماء لعلو الرتبة
وكانت خرساء فلذا اكتفى باشارتها ومن اصحابنا من قال ان قول القائل ان الله في السماء
يريد به انه فوق السماء من طريق الصفة لا من طريق الجهة على حد قوله ءامنتم من
في السماء لم ينكر عليه ذلك واما قوله انها مؤمنة فيحتمل انه صلى الله عليه وسلم علمه بوحي
وجعل اشارتها علامة ايمانها او سماها مؤمنة نظرا لظاهر حالها لانه يكفي في المطلوب
وقال ابن اللبان في كتاب المتشابه كلما تسمى تعالى باسمائه ووصف به محيطة به وارتبت
السموات والارض وفي تصرفها وسائط سفلية وعلوية هي مظاهر غيبانه فتقرير الجارية
انه في السماء ووصفها بالايمان لم يعتبر فيه ظاهر لفظها فانه لا يجتمع التوحيد مع القول
بالجهة وعدمه اما الثاني فظاهر واما الاول فلانهم موافقون على عبادة الملائكة
والكواكب وليس في اللفظ ما يخرجها فيقتضي الايمان فالاقرب ان الجارية اشرق عليها
نور التوحيد في الافاق السماوية لقوله سنريهم اياتنا في الافاق فقولها في السماء
اي ظهور نور توحيده فيها فقال انها مؤمنة دون مسلمة لان الايمان من القلب انتهى
وقال الشيخ الاكبر في الفتوحات ثبت في لسان الشارع اطلاق الاينية على الله بلا
يتعدى ما ورد منها ولا اينا مر عليه كما في حديث السوداء فقبل اشارتها وقوله انها
مؤمنة واعتقها والسائل بالاينية اعلم الناس وقال ذلك وقبل منها بانه لكون
الالهة المعبودة في الارض وهو وقبل حاصل فان من العرب من عبد الشعرى انتهى

مطلب حديث السوداء

ابن قنبرس

وان النبي صلى الله عليه وسلم انما طلب منها اي من السوداء النوبية التوحيد فاكتفى
باشارتها الدالة على معرفة ذات الله ولم يكلفها بشيء من الصفات فدل على ان الجهل بالصفات
لا ينافي الايمان لعذرها بالخرس والجهل وكونها خرساء وقع في بعض الروايات ما يخالفه
وقوله لا غير مبني على الضم لحذف المضاف ونية بره وقال ابن هشام تبعا للسيرافي غير
تلزم الاضافة وتقطع عنها وتبنى ان تقدمت عليها كلمة ليس وقول لهم لا غير لحن ورد
بانه سمع من كلام العرب في قوله

جوابا به تنجو اعتمد فوربنا ۔ لعن عمل اسلفت لا غير تسال

وقد استعمله المص في مواضع عديدة وفيه كلام في شروح الكتاب وحديث
القائل الذي رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه وهذا القائل نباش الا انه
ابن كرامته وكان اوصى لبنيه فقال احرقوني وانظروا يوما تشتد به الريح فذروني
فيه فوالله لئن قدر الله على بتخفيف الدال من القدرة وتشديدها بمعنى ضيق علي في
الحساب والعقاب على ما ياتي وفي رواية رواها ابن ابي حاتم عن الشعبي في تفسيره لعلي
اضل الله مضارع بفتح اوله وكسر ثالثه من قولهم ضللت فلان ثم اقدر عليه اي لم اجده
وخفي على لذهابه عني وفي النهاية لعلي اضل الله اي افوته ويخفى عليه مكانه وقيل معناه
لعلي اغيب عن عذابه يقال اضللت الشيء وضللته اذا لم تدر في اي مكان هو واضللته اذا
ضيعته وضل الناسي للشيء اذا غاب عنه حفظه ويقال اضللته اذا وجدته ضالا كاحمدته
اذا وجدته محمودا انتهى وفيه كلام لابن قرقول وهذا مؤذن بنفي القدرة عليه وهو جهل الا
لانه صفة من صفات الله والحديث عن حذيفة بن اليمان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان رجلا حضره الموت فلما يئس من الحياة اوصى اهله اذا انا مت فاجمعوا الي حطبا
كثيرا واوقدوا فيه نارا حتى اذا اكلت لحمي وخلصت الى عظمي فامتحشت فخذوها فاطحنوها
ثم انظروا يوما راحا فاذروه في اليم ففعلوا فجمعه الله عز وجل فقال له لم فعلت ذلك فقال
من خشيتك ثم قال فغفر الله عز وجل له وروي من طرق اخر فيها اختلاف وهذا
انما قاله على سبيل الجزع وشدة الخوف والا فالله لا يعجز عليه شيء وقيل هذا يدل على ان
القائل كان مسلما وفيه ما لا يخفى وفي الشرح الجديد لابن عقيل الحنبلي هذا اخبر بما
سيقع له يوم القيامة لانه خاطب روحه لانه لا يناسب قوله في الحديث فجمعه الله بعدما
تفرق فانه انما هو في الجسد والرجل المذكور غلب على طبعه الامور العادية بمقتضى طبعه
وما رسخ له مع انه مؤمن بان الله قادر على كل شيء فظن انه يعجز الله عنه وما ذكره ابن
عقيل من انه اخبار عما سيقع له يوم القيامة عدول عن الظاهر من غير مانع عنه في الدنيا
ذا نظره فانه كلام يحتاج الى التنقيح واي الرجال المهذب قالوا اي ائمة الدين ولو
بوحث مجهود باحث بموحدة وحاء مهملة ومثلثة اي فتش اكثر الناس المسلمين عما
يعلمون ويعتقدون اي عن معرفتهم الصفات اي صفات الله وكوشفوا عنها
اي طلب كشف ما في قلوبهم واظهاره فانه قبل اظهاره كالشيء المستور فان القلوب
صناديق مقفلة لما وجد جواب لو من يعلمها الا القليل وفي نسخة الا قل وهم

الخواص

الخواص وغيرهم من الجهلة المقلدين غافلون عنها وقد اجاب الغزنوي الاخر الذاهب
الى تكفير من نفى صفة من صفات الله ولو جاهلا عن هذا الحديث اي حديث القائل
لئن قدر الله علي الخ بوجوه منها ان قدر ما مخفف في رواية بمعنى قدر بالتشديد بمعنى
تقدير الله لا من القدرة ولا يكون شكه في القدرة على احيائه ليجازيه على عمله
اي على هذا التقدير لا شك في قدرة الله بل في نفس البعث اي احياء الموتى وحشرهم
الذي لا يعلم كثيره من امور الاخرة التي لا تعلم الا بشرع يوحيه الله لرسله ولعله
اي البعث لم يرد في زمن الرجل القائل لذلك لان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخبر به عن احوال الامم السالفة بوحي من الله فلم يكن ورد عندهم به شرع يقطع
به عليه اي يقتضي علما يقينيا قطعيا فيكون الشك فيه اي في البعث حينئذ اي قبل ورود
الشرع لهم به كفرا اي يقتضي كفر الشاك فيه فاما ما لم يرد به شرع فهو اي البعث
من مجوزات بضم الميم وفتح الجيم والواو المشددة اي مما هو جائز عقلا من غير سماع له
من صاحب شريعة يجب اتباعه بل هو مما تجوزه العقول جمع عقل وهو القوة المدركة
وهذا ابنا على ما ياتي انه من اهل الفترة او هو من قوم لم تبلغهم دعوة النبي بناء على ما عليه
المحققون من انهم غير مكلفين لقوله عز وجل وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا والكلام
فيه مفصل في محله من التفاسير والاصليين او يكون قدر مخففا بمعنى ضيق كقوله تعالى
ومن قدر عليه رزقه ويكون ما فعله هذا الرجل بنفسه من توصيته بنيه باحراقه
وامرهم بتذريته في الهواء اذا صار رمادا ازراء عليها اي تنقيصا وتحقيرا واهانة
لها وغضبا على نفسه العاصية لله لعصيانها بكثرة الفسوق والمعاصي لا شكا في قدرة
الله على اعادة ما انفرق من اجزائه فلا يحكم بكفره لذلك وقيل في الجواب ايضا انه
انما قال ما قاله مما وصى به بنيه وهو غير عاقل لكلامه اي وقد اختل عقله فهو غير
مكلف ولا ضابط للفظه اي لا يعرف ما يلفظ به لانه هذر بلا تمييز ككلام النائم والساهي
مما استولى اي غلب عليه من الجزع من الموت على هذه الحالة والخشية اي شدة
الخوف من الله والعياذ به التي اذهلت لبه اي عقله فلم يؤاخذ به لانه غير مكلف
وقيل كان هذا الصادر عنه هذا القول في زمن الفترة اي انقطاع الوحي وطرو
الزمان الذي اندرست فيه الشرائع وحيث ينفع في الاخرة بنجاة صاحبه من النار
مجرد التوحيد اي معرفة ذات الله دون غيرها من امور الشرائع فانهم معذورون
بجهلهم وهذا يقتضي ان الجواب الذي سبق بتقدير انهم ليسوا من اهل الفترة فلا يشكل
حينئذ تقديره وهذا يقتضي ان اهل الفترة كانوا مكلفين بالتوحيد وهي مسالة
اصولية قال الامام الرازي في المحصل وجوب النظر سمعي خلافا للمعتزلة وبعض
الفقهاء من الشافعية والحنفية لنا قوله تعالى وما كنا معذبين الاية ولا فائدة
لوجوب الثواب والعقاب ولا يقبح منه تعالى شيء من افعاله فلا يمكن القطع بالثواب
والعقاب من جهة العقل بالوجوب احتجوا بانه لولا ثبت الوجوب الذي لا يعلم
صحته الا بالنظر فللمخاطب ان يقول لا انظر حتى اعرف كون السمع صدقا وذلك

الى ما لا نهاية الجواب هذا الالزام ايضا لان وجوب النظر وان كان عندكم عقليا لكنه غير معلوم بضرورة العقل لما ان العلم بوجوب النظر عند المعتزلة يتوقف على العلم بوجوب معرفة الله تعالى والنظر طريقا اليها لا طريق لها سواه وما لا يتم الواجب الا به واجب وكل هذه المقدمات نظرية والموقوف على النظري نظري فكان العلم بالوجوب عندكم نظريا فللمخاطب ان يقول لا انظر حتى اعرف وجوب النظر الجواب لا يتوقف على العلم بالوجوب والالزام الدور بل يكفي الامكان وهو حاصل في الجملة انتهى والكلام عليه مفصل في شروحه وانما اوردناه ليعلم ان توقف بعض الشراح هنا في كلام المصنف لا وجه له وقيل لبست هذه الاجوبة بمرضية بل هذا اى قوله لئن تدرا سعلى من مجاز كلام العرب المراد بالمجاز هنا ليس معناه الاصطلاحي بل المراد انه من طرق فهم الكلام التي يتوسعون فيها ويجوزونها وان حقيقته عند اهل المعاني وبيانه ظاهر قوله الذي صورته الشك بوعبارة عما يظهر من فحواه ومعناه التحقيق اى امر محقق عنده وهو اى هذا النوع من الكلام يسمى عند اهل المعاني تجاهل العارف وهو نوع من البديع بان فيه المعلوم مساق المجهول لنكتة كقوله

ايا شجر الخابور مالك مورقا كانك لم تجزع على ابن طريف

وكره بعضهم تسميته بهذا او سماه سوق المعلوم مساق غيره لانه لانه وقع في كلام الله عز وجل ولا يليق ان يقال في حقه التجاهل والمص جرى على منعه ونسميته به انما هو في كلام الناس والبات بعضهم بقوله وقد يسمى ذات قد سوى الجزيه وله امثلة في كلامهم واذا وقع في كلام الله كقوله عز وجل لعله يتذكر او يخشى وقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين ونفو نيه بانه ان يبال عارف عما يجهله فيه قصور لعدم صدقه على الاثنين فالصواب ان يعرف بما قدمناه وله في كل مقام نكتة يدركها من ذاق حلاوة المعاني فالنكتة في البيت اظهار شدة الحزن بالمصاب الذي ينبغي ان يجزع منه كل شيء حتى الجماد وفي الاية الاولى ان لعل للترجي من الله لا للتعليل ولا للترجي من موسى وهارون مع علم الله بان فرعون لا يتذكر ولا يخشى ولكنه اراد اقامة حجة الملامة بعدم معذرته وعلى الوجهين الاخيرين ليس مما نحن فيه فلا شيء عليهما بشيء وقوله وانا او اياكم الخ اى ليس المراد الشك في المهتدي مع انه علم من سياق الاية ان المومنين هم المهتدون وان قبله قوله قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ثم قل من يرزقكم من السموات والارض ليعلم ان خالق هذه المخلوقات العظيمة الرازق لمن فيها هو المختص بالعبادة والوحدانية وان من يعبده هو المهتدي فاتى بما يفيد ان هولاء قامت الحجة عليهم وهو كقول حسان رضي الله عنه

اتهجوه ولست له بكفوء فشركما لخيركما الفداء

فلطفه في كلامه تهاون بالادب كانوهم فاما من اثبت الوصف اى وصف الله

ابن انبرس

ابن انبرس

دلجي

عرضي

دلجي

بصفاته الذاتية ونفى الصفة القائمة بذاته وهم المعتزلة وبعض الفلاسفة القائلين بان صفاته عين ذاته لئلا يلزم تعدد القدماء او قيام الحادث بذاته واهل السنة اثبتوها وقالوا لا محذور في ذلك لان الذي يمتنع تعدد ذوات قدماء لا ذات وصفات كما تقدم والكلام عليه مفروغ منه في علم الكلام واشهر من ان يبين والفرق بين الوصف والصفة ان الوصف معنى مصدري قائم بالواصف والصفة معنى قائم بالموصوف كالكسر والانكسار وهما في الاصل بمعنى واحد وقد يستعمل كل منهما استعمال الاخر فقال اقول ان الله عز وجل عالم بكل شيء من الكليات والجزئيات ولكن لا علم له زائد على ذاته كما البتة بل علمه عين ذاته لما تقدم ومتكلم بكلام نفسي او بكلام حقيقي ولكن لا كلام له خارج عن ذاته وهكذا يقول المعتزلي ونحن وافقه على هذا القول في سائر الصفات فيقول مريد بلا ارادة وقادر بلا قدرة زائدة على ذاته فهي عنده عين ذاته على مذهب المعتزلة في نفيهم الصفات دون الوصف بها ولذا لم يكفروا لانهم مثبتون لها في الجملة وهذا ان نظرنا لظاهر كلامهم فمن قال من اهل السنة بالمال اى بما يؤول ويرجع اليه كلام المعتزلة والمراد لازم مذهبهم وكلامهم الذي قالوه لما يؤدي اليه قوله انه عالم بغير علم وقادر بغير قدرة ومتكلم بغير كلام ويسوقه اليه مذهبه من انه يلزم من نفي الصفة نفي الوصف بطريق برهاني قطعي عنده كفره اى كفر القائل بهذا المقال لما يلزمه وهذا مبني على ان لازم المذهب مذهب وفيه خلاف في كتب اصول الوصف لانه اذا انتفى العلم اى صفة العلم الزائدة على الذات انتفى بحسب الظاهر وصف عالم لان معنى عالم من قام به صفة العلم وهم يقولون اذ لا يوصف بلفظ عالم الا من ثبت له علم اى صفة غير ذاته هي العلم للزوم نفي الوصف المسوق بانتفاء المشتق منه اذ لا معنى له حقيقة غير ثبوته له فكانهم اى المعتزلة النافين للصفة المستلزمة لنفي الوصف بعالم ونحوه صرحوا عنده اى عند المكفر لهم بالذي اى ما وصل للزومه لهم الذي اليه قولهم وهكذا عند هذا المكفر لان لازم المذهب عنده مذهب فيكفر سائر فرق اهل البدع وبل من المشبهة المثبتين لله صفات تشبه صفات عباده كما تقدم والقدرية بمعنى الذي بيناه وغيرهم من الفرق الضالة المبتدعة ومن لم يراى لم يعتقد اخذهم اى مواخذتهم بمآل قولهم ولازم مذهبهم وفي نسخة ومن لم ير اخذهم الخ ولا الزمهم موجب مذهبهم الدال عليه نحو ما ذهبوا اليه مما لا يليق برب العزة لم ير اكفارهم ولم يحكم بكفرهم لقولهم معنى الايمان لم يجب الظاهر وقال لانهم اى اصحاب هذه المقالات اذا وقفوا على هذا اى اطلعوا على ما لزم مذهبهم في نفي اسنى المعلوم مخفف او مبني للمجهول مشدد اى اطلعهم من كفرهم على ما كفرهم به وفي نسخة اذا وقفوا ابواوبن قالوا بصيغة له كن لا نقول ان الله ليس بعالم بريدون به ما تبرهوه من السلب المطلق سه عن العلم بل هو عالم بعلم هو عين ذاته وهكذا سائر الصفات عند اهل الحديث العلا

ونحن معاشر المعتزلة وانتم اهل السنة ننفي اتفاقا من النفي ضد معنى نثبتا
ولذا اسنده للفعلين والانتفاضة المعى من القول بالمحال الذى الزمتموه لنا
معاشر المعتزلة والفلاسفة ونعتقد نحن وانتم انه كفر اى حمل على ظاهره
وما يلزم من نحواه من نفي العلم عنه عز وجل بل نقول قولا اسلم من هذا ان قولنا
الذى اشتهر عن معالنتنا هذه لا يؤل اليه اى الى ما قلتم ان كلامنا يؤدى اليه
على ما اصلناه بتشديد الصاد المهملة اى اتخذناه اصلا وقاعدة نبنيا عليها
النفي فانه لا محذور فيه اذا المحذور فى القول بانه لا علم له ولكن لا نقول به بل
نقول يعلم بعلم هو عين ذاته وهكذا سائر الصفات والمشبهة عندنا هم المجسمة
الذين يا خذون بظواهر النصوص المتشابهة وغيرهم من اهل السنة يتاولون نصوص
بظاهرها ونفوض علم باطنها الى الله اذ لم يكلف بمعرفتها والمعتزلة يقولون لاهل
السنة مشبهة كما قال الزمخشري عفا الله عنه

وجماعة سموا هواهم سنة ٭ فهم لعمرى كالحمير الموكفة

قد شبهوه بخلقه وتخوفوا ٭ شنع الورى فتستروا بالبلكفة

وهو فرقة كما تقدم فعلى هذين المأخذين من النظر لما ل كلامهم والنظر لما اصلوه
من نا ويلهم اختلف الناس من علماء الملة واهل السنة فى اكفار اهل التاويل
بلازم مذهبهم وعدمه بالنظر لمرادهم واذا فهمته اى فهمت المذكور من منشا
الخلاف فى تكفيرهم وعدمه اتضح وظهر لك الموجب اسم فاعل بمعنى المقتضى لاختلاف
الناس فى ذلك التكفير وعدمه والصواب عند المحققين من الفقها واهل
الكلام ترك اكفارهم اى ترك الحكم بكفرهم والاعراض عن الحتم بالمهملة ومثناة
فوقية بمعنى القطع والجزم عليهم بالخسران اى بانهم خسروا بسبب كفرهم فاندهوا الخسران
العظيم واجراحكم الاسلام عليهم فى الدنيا لاعتقادنا انهم مسلمون لهم ما لنا وعليهم ما
علينا فى قصاصهم اى القصاص لهم ومنهم كسائر المسلمين ووراثتهم ومناكحاتهم
ودياتهم والصلاة عليهم ودفنهم فى مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم من المبايعة
واكل ذبايحهم وغير ذلك الذى بينها بقوله وراثتهم وما بعده من غير فرق بيننا
وبينهم لصدق اسم الايمان والاسلام عليهم لكنهم يغلظ عليهم بزجرهم وتعزيرهم
بوجيع الادب من التنبيه والضرب والحبس وبشديد الزجر بتهديدهم وقهرهم
والهجر اى ترك مجالستهم ومعاشرتهم ونحوه مما يشق عليهم من انواع الاهانة
حتى يرجعوا ويتركوا متباعدين عن بدعهم المخالفة لاهل السنة ويتفاوت ذلك
ضعفا وقوة بنظر الحاكم بما هم عليه وهذا مبنى على اطلاقه كما يعلم مما تقدم فان
فيهم من حكموا بكفره وليس الكلام فيه وهذه الامور المذكورة كانت سيرة اى
الطريقة التى كان عليها الصدر الاول المراد بهم اهل العصر الاول من الصحابة
والتابعين ومن قرب منهم وهو مستفاد من صدر الشي بمعنى اعلاه فاوله فيهم اى فى
معاملتهم والحاكم عليهم بما ذكر فقد كان نشا اى وجد وظهر على زمان الصحابة

وبعدهم

وبعدهم فى التابعين على بمعنى فى من قال بهذه الاقوال المذكورة من القدر
اى الاعتزال كواصل بن عطاء وعمرو بن عبيد ومعبد الجهنى واضرابهم ورأى الخوارج
الذين خرجوا على على وجرى بينه وبينهم ما جرى وهم فرق مختلفة لهم اعتقادات باطلة
واحوالهم ومذاهبهم مفصلة فى المطولات واصحاب الاعتزال ومذاهبهم مذكورة
فى كتب الكلام فما ازاحوا بزاى معجمة وحا مهملة اى ازالوا لهم فيئا فى الصدر الاول
ولا قطعوا اى منعوا لاحد منهم ميراثا يرثه من غيرهم او يرثه غيرهم منهم كسائر
مواريث المسلمين لكنهم هجروهم بترك مخالطتهم وادبوهم بالضرب والنفى تغريبا لهم
باخراجهم من ديارهم والقتل هذا على راى من يجوز التعزير بالقتل براى الامام لا قتل
من استحق القتل منهم بسبب اخر كما قتل فانه لا يناسب قوله على قدر احوالهم الموجبة
لتاديبهم لانهم بسبب بدعهم فساق كغيرهم من الفسقة غير الكفرة ضلال اهل
ضلال وبدع عصاة اصحاب كبائر عطف بيان بمعنى لما قبله عند المحققين الذين
لا يكفرون احدا من اهل القبلة واهل السنة عطف تفسير ممن لم يحكم بكفرهم منهم
اى لم يحكم بكفر اصحاب الاراء الباطلة لتاويلهم خلافا لمن راى غير ذلك من تكفيرهم
ولم يكتف بتاديبهم بما تقدم وبما ذكرناه علم ان من قال المراد بالقتل التاديب لا ازهاق
الروح لم يصب وكذا لو قيل من قال انه يدخل فى كلامه القرامطة ونحوهم ممن حكم بكفره
فالاحسن ان يعبر باهل القبلة وفى كلام المصنف وشرح فالى مذهب القدرية والخوارج
كان فى زمن الصحابة والاعتزال انما فشا فى زمن التابعين وذكر من التاديب انواعا منها
الهجر وقد ورد فى الحديث النهى عن هجر المسلم فوق ثلاث الا انه محمول على غير المبتدع
والمتجاهر بالظلم والفسق او لمحذور يعذر به شرعا وعليه يحمل ما رواه ابن الصلاح من
ان سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه هجر عمار بن ياسر حتى مات وكذا عائشة هجرت
حفصة وعثمان رضى الله عنه هجر عبد الرحمن بن عوف وكذا ما وقع لغيرهم واما الضرب
فهو مفصل فى باب التعزير من كتب الفقه والنفى تعزير عندنا ويكون حما عند الشافعى فى
الزنا على كلام وهل يكون دون الحد او هو مفوض لراى الامام فيه واما القتل فيكون
تعزيرا عند مالك دون غيره وقال ابن تيمية انه ذهب له غيره ايضا وسموه سياسة
قيل وفى بعض النسخ القتل بقاف ومثناة فوقية فتامله والله الموفق للصواب ضد
الخطا قال القاضى ابو بكر الباقلانى واما مسائل الوعد والوعيد وانه لا يجوز
تخلفه عند المعتزلة بقولهم انه يجب على الله تعذيب العاصى واثابة الطايع على ما قرروه
فى قواعدهم ومن نفى الوعد والوعيد نبه السائل غير وعذابه لم يصب والرؤية
اى انكار المعتزلة لرؤية الله فى الاخرة والمخلوق اى قول المعتزلة ان العبد يخلق
افعاله لا قول المفوضة ان الله فوض بخلق الناس لمحمد صلى الله عليه وسلم كما قيل فانه
كفر ليس موافقا لما بعده وخلق الافعال اى قول المعتزلة ان افعال العباد مخلوقة
لهم كما ذهب اليه الجبائى واتباعه فهو كالتفسير لما قبله وبقاء الاعراض وهى جمع
عرض بفتحتين وهو ما لا يقوم بنفسه كالالوان وهذا مبنى على مذهب الاشعرى من ان

يقول بكفرهم ابن الفارس

عرضى

عرضى

ذكى

الاعراض لا تبقى وهو ما ذهب اليه خلافه كثير من اهل السنة حتى قال السعد فى
شرح المقاصد انه مكابرة فى المحسوس واغرب منه ما قاله الشيخ الاكبر فى الفصوص
من ان الاجسام لا تبقى زمانين ايضا ونسب به قوله تعالى بل هم فى لبس من خلق
جديد وهو ما خفى على كثير من المحققين وقد افردت بيانه بتعليقة وتحقيقه ان نقول
ان ما سوى الله وصفاته فان لا عند ارباب الكشف وهو معنى قوله كل شئ هالك
الا وجهه كما اشار اليه ايضا وى فى تفسيره لانها من ابتداء خلقها الى ظهور فنا يها
فى تبدل وتغير الا انه لتقصه نقصا فى غاية لا يدركه الحس الا اذا اجتمع منه مقدار
يدرك الا ترى الشمعة التى تذهب اجزاؤها لا يحس نقصها فى كل ان حتى يبقى منه اد
منها له قدر كثير وهو امر محسوس الا انه كان على المصنف ان لا يذكره لخفائه **والتوليد**
الذى ذهب اليه المعتزلة والحكما كتولد العلم من الدليل وحصوله عقبه لحركة المفتاح
بحركة اليد وهذا ايضا مما ينبغى تركه هنا **وشبهها من الدقائق** الفلسفية التى
ادخلها المعتزلة فى الكلام **فالمنع فى اكفار المتاولين فيها اوضح** من القول باكفارهم
لانها لا يترتب عليها امر دينى **اذ ليس فى الجهل بشئ منها جهل بالله** حتى يكفر الذاهب اليها
ولا اجمع المسلمون على اكفار من جهل شيئا منها كما تقدم فى تفسير الكفر عنده **وقد قدمنا**
فى الفصل الذى ذكر قبله **من الكلام وصورة الخلاف** ومعناه الذى قرره **فى هذا**
النوع **ما اغنى عن اعادته** لظهوره وقرب العهد به **بحول الله تعالى** وحمايته عن مخالفة
الكتاب وغيره وبقية اعتقادات المعتزلة مذكورة فى الكلام ولا حاجة لتكثير السواد بها   عرضي نبها لابن فرحون
هنا كما فى بعض الشروح **فصـــل هذا** اشارة لما ذكره سابقا **حكم المسلم**
الساب لله تعالى وما يعد سبا وغيره مما فصله قبل هذا وسمى ما يؤمه من الفاظ الكفر
سبا اما لانفا منه فى ذكرها لا يليق بجلال الله او لانها تستلزم تكذيبه وهو سب
وتسميته الساب مسلما باعتبار ظاهر حاله وما كان عليه فلا اشكال فيه **واما الذى**
الكافر الذى له ذمة وامان **فروى عن عبد الله بن عمر** رضى الله عنهما ولم يذكر احد
هنا من رواه عنه **فى ذمى تناول من حرمة الله تعالى** اى تكلم فى حق الله بما لا يجوز واصل
التناول الاخذ باليد فتجوز به عما ذكر والحرمة ما يجب احترامه وترك الخوض فيه
غير ما هو عليه اى ما استقر عليه باكفر **من دينه** اى مما اعتاده او اعتقد انه دين
له فانه يسمى دينا كما قال تعالى لكم دينكم ولى دين **وحاج فيه** وجادل فيه وخاصم او الكلام
ما هو حجة بزعمه **فخرج ابن عمر** رضى الله عنهما من داخل بيته **عليه بالسيف** يريد قتله
لكانه سمعه يتكلم خارج بيته **فطلب** اى قصده ليضربه بسيفه **فهرب** منه لخوفه على
نفسه **وقال مالك** فيما روى عنه **فى كتاب ابن حبيب** اسمه عبد الملك كما تقدم
وفى المبسوطة اسم كتاب **وابن القاسم فى المبسوط** كتاب ايضا **وكتاب محمد**
ابن سحنون رحمه الله تعالى فى فقه مذهب مالك **من شتم الله تعالى** عز وجل **من**
اليهود والنصارى بغير الوجه الذى به كفروا كادعا الولد والشريك كا يا **فى**
قتل ولم يستتب اى لم يكلف التوبة ولم تطلب منه **وقال ابن القاسم** انه يقتل من غير

استتابة **الا ان يسلم قال فى المبسوطة طوعا** باختياره من غير اكراه فان اسلام
المكره غير مقبول وفى صحته خلاف لغيرهم وسرى فى بعض الشافعية بين الحربى والذمى
فيصح من الاول دون الثانى **قال اصبغ** تقدم انه ابن الفرج **لان الوجه** اى الامر
من قول او فعل **الذى به** اى بسببه **كفروا هو دينهم** اى عادتهم ومعتقدهم ولعله
منهم ومشاهدته يسمى وجها **وعوهد واعليه** اى اخذت عليهم العهود مع استقرارهم
عليه لانهم اخذ عليهم العهد به فى نفسه فانا لا نرضاه او هو مضمن معنى الاقرار فاندفع
ما قيل من انه كان ينبغى ان يقول تركوا عليه لقوله صلى الله عليه وسلم اتركوهم وما يدينون   ابن فرحون
لان العهد يكون على ما شرط عليهم وقوله اكره ان اقول اقررناهم وانما اقول تركناهم
غير مسلم **من دعوى الصاحبة والشريك والولد** بيان لما كفروا به **واما غير هذا**
من الفرية اى الكذب والاختلاق على الله فى غير ما كفروا به **والشتم** كما قال تعالى
فيسبوا الله عدوا بغير علم **فلم يعاهدوا عليه** اى لا يقرو عليه **فهو نقض للعهد** الذى
عاهد الامام عليه اهل الذمة ومن انتقض عهده منهم يخير فيه الامام بين القتل والرق
والمن عليه وعند بعضهم يتعين القتل **قال ابن القاسم فى كتاب محمد** بن سحنون وقيل
هو محمد بن ابراهيم بن المواز قيل انه نسبة للموز وهو ولد فى رجب سنة ثمانين ومائة
ومات سنة احدى وثمانين ومائتين وقيل سنة سبع ومائتين بدمشق واختلف فى
لقائه لابن القاسم والصحيح انه روى عنه بواسطة **ومن شتم الله تعالى من غير**
اهل الاديان اى غير المسلمين بعد لقوله بعده **بغير الوجه الذى ذكر فى كتابه**
فانه صريح فى انه من اهل الكتاب ولا بد ان يراد بقوله فى كتابه الكتاب الذى حرف فان
الكتب الالهية ليس فيها كفر فهو على زعمهم او المراد كتب احكامهم التى وضعوها لانفسهم   ابن فرحون
كما وقع لهم فى زمن قسطنطين من اجتماعهم على اراء وضعوها كما فصل فى الملل والنحل وهذا
بنا على ان الكفر ليس ملة واحدة ولذا اجمع الاديان او المراد بالكتاب ما كتبوه من عند
انفسهم واتفقوا عليه تسمى فيتم الجواب عما قيل ان فى عبارته تناقضا وان قوله من غير
اهل الاديان يقتضى انه لا كتاب وقوله فى كتابه يخالفه والكفر كله ملة واحدة **قتل الا**
ان يسلم فلا يقتل فان الاسلام يجب ما قبله وهذا كله مذهب مالك رحمه الله ومذهب
الشافعى والحنفية فيه ما يخالفه **وقال المخزومى فى المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن**
ابى حازم لا يقتل من سب الله **حتى يستتاب** اى تعرض عليه التوبة **مسلما** كان الذى
سب **او كافرا فان تاب** ورجع عما صدر منه فذاك **والا قتل** لنقض عهده **وقال**
مطرف بن عبد الله كما تقدم **وعبد الملك** هو ابن الماجشون **مثل قول مالك وقال**
الشيخ **ابو محمد بن ابى زيد** صاحب الرسالة وقد تقدم وهذا خلاف ما تقدم عنه
فهو قول اخر **من سب الله تعالى بغير الوجه الذى به كفر قتل الا ان يسلم وقد**
ذكرنا قول ابن الجلاب قبل اى قبل هذا وقد تقدم ان ابن الجلاب هو البغدادى
البصرى وانه بفتح الجيم واللام المشددة واخره موحدة **وذكرنا قول عبيد الله**
ابن يحيى **وابن لبابة** بضم اللام كما تقدم **وشيوخ الاندلسيين** من علما المالكية **فى المرأة**

الصوابية وقيامهم بقتلها بسبها بالوجه الذي كفرت به لتصريحها بالافتراء على
نبيه لله متعلق بسبها الا ان لم ونبه عليه اشارة الى ان في المسئلة غير الذي ذكره
وقيامهم بقتل الساب للنبي صلى الله عليه وسلم واجماعهم اي فقهاء الاندلس على ذلك
اي قتل من سب بالكفرية وهو اي هذا القول الذي اجمعوا عليه نحو القول الاخر
في هذه المسئلة فيمن سب منهم اي من اهل الذمة النبي صلى الله عليه وسلم بالوجه
الذي كفر به كانكار نبوته فيقتل الا ان يسلم طوعا ولا فرق في ذلك اي قتله بما كفر
به من سب الله سبحانه وتعالى وسب نبيه صلى الله عليه وسلم لانا عاهدناهم
حين عقدت لهم الذمة على ان لا يظهروا لنا شيئا من كفرهم وتركناهم على ماهم عليه فيما
بينهم وان لا يسمعونا شيئا من ذلك الكفر الذي كفروا به باي طريق كان فمتى فعلوا شيئا
منه من ذلك فهو نقض منهم لعهدهم لمخالفته لعهدهم وهذا كله اشارة الى ما في
العهود العمرية التي وقعت حين فتح المسلمين لبلادهم فكلما شرط الامام مخالفته نقض
عهده موجب للقتل واختلف العلماء من السلف في الذمي اذا تزندق بظهور علامة
تدل على انه مبطن لما يخالف دينه ويخالف دين الاسلام فلا يبقى على دين اصلا فقال
مالك ومطرف وابن عبد الحكم واصبغ لا يقتل لانه خرج من كفر الى كفر يعني الزندقة
وقال عبد الملك بن الماجشون يقتل لانه دين لا يقر عليه احد يعني من المسلمين
فاذا اتصل به السلم تعتبره بالطريق الاولى وتسميته دينا تسامح فانه لا دين له ولا
يؤخذ عليه جزية كمن انتقل من اليهودية للنصرانية مثلا وقد شدد في قوله هذا كما
قال ابن حبيب ولا اعلم من قاله غيره اذ لم يقله احد من المالكية ودليله في غاية الضعف
وعند الشافعي انه لا يقر عليه والصحيح عنده انه لا يقبل منه الا الاسلام وقيل يقبل منه
كل دين يساوي دينه واذا انتقل الذمي لدين اخر فيه خلاف وعنده مبني على ان الكفر ملة واحدة
او ملل متعددة

فصل هذا المذكور في الفصل الذي قدمه حكم من
صرح بسبه عز وجل واضافة اي نسبته اليه ما لا يليق بجلاله اي عظمته والهيته
اي كونه الها والاضافة تنصرف الى شيء فاما مفترى الكذب عليه الافتراء تعمد الكذب
فهو اخص منه بادعاء الالهية اي انه اله كفرعون لعنه الله والرسالة كمسيلمة الكذاب
او النافي ان يكون الله خالقه او نفي ان يكون الله ربه بل رب غيره او قال
ليس لي رب بانكار انه خلقه وهو في معنى ما تقدم لكنه اراد تعديد الفاظ الكفر او
المتكلم بما لا يعقل بالبناء للمجهول من ذلك من ادعاء الالوهية او الرسالة او نفي الخالقية
او الربوبية في حال سكره وغيبة عقله او غمرة جنونه اي شدة ذهاب عقله وهي
بفتح الغين المعجمة وسكون الميم قبل راء مهملة من غمرة الماء اذا غطاه ثم استعير لكل شدة فقيل
غمرة الموت وغمرة الفتنة فلا خلاف في كفر قائل ذلك اي شيء منه ومدعيه اي الذي يقوله
ويدعي حقيقته مع سلامة عقله لانه افترى الكذب على الله قال تعالى انما يفترى الكذب الذين
لا يؤمنون بايات الله ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وسب في حكم
من زال عقله كما قدمناه اي القول بعجزه وبيان وجهه لكنه تقبل توبته على القول

المشهور

المشهور وتنفعه انابته اي رجوعه الى الله وهي عبارة عن التوبة وعبر بها تفننا وتنجيه
من النجاة مضارع نجى او لمه اي تخلصه من القتل فيئته بفتح فاء فتحتية ساكنة
وهمزة مفتوحة وتاء وحدة مصدر فاء بمعنى رجع وكله تفنن وذكر هذه الفقرات اشارة
الى انه بعد انابته لا يبقى عليه عهدة في الدنيا ولا في الاخرة لا للاعتناء به ولذا قال لكنه لا
يسلم في الدنيا من عظيم النكال اي العقوبة من النكل وهو القيد ولا يرفه اي ينفس عنه
ويخفف ويهون بضمها وله وتشديد فايه عن شدة العقاب ليكون ذلك النكال والعقاب
زجرا اي ردعا ومانعا لمثله ممن يتوقع منه قول مثل قوله من قوله اي مثل قول ذلك
المفترى على الله وزجرا له اي لذلك القائل اولا عن العودة لكفره بما قاله
افتراء على الله تعالى مع علمه بما فيه من المحذور او وجهله بشناعة منه لتوهمه انه امر واقع
الا من تكرر اي وقع ذلك الافتراء منه مرارا وعرف استهانته اي عدم هيبته واهانته
لعدم مبالاته به بما اتى به بما كفر به فهو دليل على سوء طويته اي ما اخفاه من
سوء الاعتقاد وسمي المضمر طوية تشبيها بما طوى في داخل غطاء يغطيه ودليل على كذب
توبته وانه انما تاب خوفا من العقوبة وصار بما ذكر كالزنديق الذي يظهر الاسلام
ويخفي الكفر الذي لا نامن مع ما ذكر باطنه مما اخفاه من كفره فيتدين به شيئا
من ذلك ولا يقبل رجوعه لما علم من سوء عقيدته وما اخفاه مما اذا وجد فرصة
عاد اليه وحكم السكران في عقوبته وتكفيره حكم الصاحي في مؤاخذته بما صدر
منه لتعديه بسكره فيغلظ عليه والسكر غيبة العقل بما تعاطاه من الخمر والمفتي فيه حدود
كلها ترجع للعرف والعادة وتعريفه يعني غير محتاج لتعريف وللسكر حالات فاولها نشأة
وفرح واوسطه فوق ذلك فهو تراخ في الاعضاء واخره زوال العقل وسقوط الحركة
ولذا اختلفوا فيه هل هو مكلف ام لا على اقوال ثلاثة ثالثها ان تعدى بسكره يجري
عليه احكام التكليف من طلاقه وضمانه وكفره واسلامه فان لم يتعد بان اكره او شرب
لبنا او اضطر ازالة غصة لعقد او شدة عطش لم يكلف ويجري عليه قول المصنف
حكمه حكم الصاحي واما المجنون وهو الذي زال عقله بالكلية وهو معلوم والمعتوه
من العته وهو اختلال في العقل دون الجنون بحيث يكثر ذهوله ونسيانه ويختلط
كلامه احيانا حتى يشبه المجنون لكن يفيق بتنبيه غيره له ويكمل افعال معاشه فما علم
انه قاله من ذلك السب ونحوه في حال غمرته بغين معجمة مفتوحة وميم ساكنة اي
ذهاب عقله بالكلية وقد سمعت تحقيق معنى الغمرة قريبا وذهاب ميزه بفتح الميم وسكون
المثناة التحتية وزاي معجمة اي تمييزه وادراكه بالكلية بحيث لا يعقل اصلا ولا يفهم شيئا
فلا ينظر فيه اي لا يتعرض له ولا يحكم عليه بكفر ولا غيره لانه غير مكلف ولا يؤاخذ بما
يصدر عنه وما فعله من ذلك السب ونحوه في حال ميزه اي تمييزه لما يصدر عنه
وهو من جنونه متقطع غير مطبق وقوله وان لم يكن معه عقله اما ان يريد به لم يكن
عقله مستمرا لتقطع جنونه او يريد بعقله الكامل اي يدرك امرا دون امر والا ينافي نقض
كلامه لان من لا عقل له لا ميز له وسقط تكليفه لجنونه وان كان له تمييز ما ادب

مبني للمجهول اي يضرب ونحوه على ذلك القول وزجر عنه اي منع بنهره وتخويفه كما ترك بعض الجانبين بجانب من الضرب والزجر وفي نسخة ليزجر عنه كما يؤدب على قبائح الافعال غير ذلك اذا صدر عنه ويوالي مبني للمجهول اي يكرر ادبه مرارا لان التكرار له فائدة تاثير حتى في البهائم وغيرها كما قيل اما ترى الحبل بتكراره في الصخرة الصما قد اثرا كما تؤدب البهيمة التي له تفعل كالفرس والحمار على سوء الخلق كحران ورمح وغير ذلك حتى ترتاض اي تنقاد وتستقيم افعالها من الرياضة في الامور وقد حرق علي بن ابي طالب رضي الله عنه من ادعى الالهية له بان قال له انت الله اي احرقه بالنار لكفره وهو كما في تاريخ الصفدي نصير مولى علي رضي الله عنه لما قال له انت الله فحرقه بالنار فقال وهو يحترق لو لم تكن الها لم تعذب بالنار واليه تنسب الفرقة النصيرية وهم فرق منهم ادعوا ان في علي جزءا او لاده جزءا من الالهية وقالوا ظهور الروحاني بالجسماني امر معقول كظهور جبريل في صورة البشر الى اخر ما حكاه عنهم وقول الذهبي هو عبد الله ابن سبا واتباعه قالوا له انت الله حقا فنفاه الى المدائن كلام متناقض لانه يريد نفي اتباعه ولا قرينة تدل على هذا الخ هو سبق قلم لان التحريق بالنار لا يجوز لحديث ابن عباس رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم انه لا يعذب بالنار الا خالقها وكان امر بتحريق ناس ثم نهى عنه فهو منسوخ فان كان قتلهم ثم احرقهم تنكيلا بهم فهو مذهب له لان الصحابة مجتهدون ومن احرق رجلا ففي القصاص بمثل فعله عن مالك روايتان وما روي عن بعض الصحابة من التحريق فيه كلام ليس هذا محله فالصحيح المنع منه وقد قتل عبد الملك بن مروان هو احد الملوك من بني مروان وترجمته معروفة مشهورة في التواريخ الحارث المتنبي وصلبه اي الذي ادعى النبوة وهو الحارث بن سعيد الكذاب وله ترجمة في الميزان وتاريخ الذهبي وعبد الملك ليس ممن يقتدى باقواله وافعاله فلعله استانس به لانه في عصر السلف ولم ينكروا عليه ذلك كما يشير اليه قوله وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك باشباههم ممن قال بمثل قولهم واجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم اي تصويبه وهو من اضافة الصفة للموصوف وذلك [illegible] وتكذيب النبي صلى الله عليه وسلم في انه خاتم الرسل وانه لا نبي بعده واجمعوا ايضا على ان المخالف في ذلك اي تكفيرهم بما ادعوه من كفرهم هو مفعول المخالف اي من خالف مكفرهم في تكفيرهم فقال لا يكفرون كافر لانه رضي كفرهم وتكذيبهم لله ورسوله وافتى فقهاء بغداد ايام المقتدر بالله ابو الفضل جعفر بن المعتضد بالله ابي العباس احمد ابن طلحة الموفق بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم ابن هارون الرشيد الخليفة العباسي من المالكية وقاضي قضاتها ابو عمر المالكي محمد بن يوسف بن يعقوب بن اسماعيل بن حماد بن زيد على قتل الحلاج الحسين بن منصور المشهور وتاتي ترجمته وصلبه اي صلب الحلاج بعد قتله ليزجر امثاله واتباعه لدعواه الالهية اي قوله انا الله كما هو مشهور عنه ودعواه الحلول اي ان الله يحل في بعض الناس ويظهر بصورته كما ظهر جبريل عليه الصلاة والسلام بصورة دحية رضي الله عنه او يسري فيه سريان الما

رد على المرتضى

في

في العود الاخضر كما قاله بعض الملحدين وهو امر باطل زينه لهم الشياطين وليس هذا وحدة الوجود التي ذهب اليها الصوفية كما بينه السيد الشريف في شرح التجريد وقوله اي الحلاج انا الحق يريد انا الله لان الحق من اسمائه تعالى مع تمسكه في الظاهر من احواله واموره بالشريعة ولم يقبلوا توبته لتكرر ذلك منه واعلم ان الحارث المتقدم قيل انه ابن عبد الرحمن مولى ابي الجلاس العبدري نزل دمشق واظهر الزهد والعبادة ثم حل به وزين له الشيطان انما لا اضل الناس بها فكان يأتي المسجد ويقرر رخامة به فتسبح ابلغ تسبيح حتى يصبح الحاضرون فياخذ عليهم العهود وان يكتموا امره ويطعم اصحابه في الشتاء فاكهة الصيف وفي الصيف فاكهة الشتاء ويري الناس اشباحا على خيول ويقول هم الملائكة وادعى النبوة وكثر اتباعه وشاع امره فطلبه عبد الملك فاختفى وذهب الى القدس فركب اليه الخليفة واتى برجل ممن يجتمع به فاعلمه انه هو فارسل معه طائفة من الجند وكتب لنائبه بالقدس ان يطيع امره فاخذ معه جماعة معهم شموع وقال اذا امرتكم اوقدوها فالطريق الى داره ليلا وقال لبوابه استاذن لي على نبي الله فقال ليس هذا وقت اذن فصاح على من معه حتى اوقدوا الشموع وصار الليل كالنهار فتحير عليه فنزل سردابا اعده واختفى فيه فقال اصحابه انه رفع للسماء فهيهات ان تصلوا اليه فدخل سردابه واخرجه وسلمه للجند فاخذوه وقيدوه وشدوه في سلاسل فكانت تسقط وهو يقول اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله فلما اتوا به عبد الملك صلبه ومثل هذه القصة قصة المقنع وغيره مما ظهر في صدر الاسلام واما المقتدر فهو كما علمت ابو الفضل جعفر بن المعتضد العباسي توفي مقتولا في شوال سنة عشرين وثلاثمائة واما ابو عمر قاضي القضاة في زمن المقتدر فهو محمد بن يوسف بن يعقوب بن اسماعيل كما مر الازدي البغدادي كان من خيار القضاة جلالة وعلما وعقلا وذكاء وصلاحا وروى عنه وهو من الثقات توفي سنة عشرين وثلاثمائة في رمضان واما الحلاج فهو كما علمت الحسين ابن منصور قيل كان ابوه من مجوس فارس والحلاج في اول امره صحب الجنيد والسري والمشايخ مع الزهد ولزوم العبادة اقامة ببغداد واختلف في امره فقيل انه ذهب في سبب حسنه للهند وخراسان وتعلم السحر واظهره في صورة الكرامات واضل به الناس وسكن بغداد وبنى بها دارا واتخذ بها املاكا كثيرة وصار يدعو الناس حتى شاع امره وذاع ثم وقع بينه وبين الشبلي وداود الظاهري والوزير علي بن عيسى لما شاع عنه من الاخبار بالمغيبات واظهار الامور الخارقة فقيل انه ساحر وشعبذة ومخرقة وله معرفة بالطب والكيميا وغير ذلك من علوم الحكماء فقيل انه ادعى الالوهية واظهر الزندقة وكتب عليه محضر بذلك فقتل واحرقت جثته في يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذي القعدة سنة سبع وثلاثمائة بامر المقتدر بالله وحكي عنه انه طلع المؤذن يؤذن فسمعه فقال للمؤذن كذبت فاستفتي عليه فقالوا يرمى عنقه ويحرق فقال لاخته اذا نادى عنقي وصلبت فخذي بعد الحرق فالقي من رمادي على الدجلة ببغداد ثم انها فعلت ما قال لها فاشرفت بغداد على الغرق ولما اندى عنقه صارت راسه تنط وتقول الله الله الله والناس

شموع

بة

يتطوفون اليها وقيل انه قبل ذلك وضع بالسجن وصور في حائط الحبس صورة مركب
وقال للمحبوسين قوموا اذكروا الله تعالى ثم انتم تفعلوا ذلك حتى غابوا عن الحس فاذا هو وهم
دخلوا في المركب المصورة ونجوا جميعا وقيل انه حفر حفرة واوقد فيها النار ووضع فيها هاون
ثم انه بقي كالجمر وقال لاهل المدينة وللاولياء كل من كان صادقا بالله فليتقدم ويثب على
الهاون داخل النار فلم يتقدم احد منهم ثم انه تقدم ووقف عليه فذاب تحت اقدامه حتى صار
كالماء وذهب كثير من المشايخ الى انه من اولياء الله منهم الغزالي واعتذر عما صدر منه في كتابه
مشكاة الانوار وافرد ابن الجوزي ترجمته بتاليف مستقل وصح عن الشبلي انه قال كنت انا
والحلاج شيئا واحدا الا انه اظهر وكتمت وقد شهد بولايته كثير من كبار المشايخ وقالوا
انه عالم رباني منهم الشيخ عبد القادر الجيلاني وقال ان قوله انا الحق انما قاله لما غلب عليه شوقه
وسكر من كاس محبته حتى غاب عن قدرته في كل شيء

فكل شيء راه ظنه قدحا ٭ وكل شخص راه ظنه الساقي

وهو مقام الجمع عندهم لكن اهل الشرع حفظوا حمى الشريعة ولذا سئل عن حالة بعضهم
فقال تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم والاعتقاد خير من الانتقاد والكف
اسلم قال الشاذلي اصطحبت في المسجد الاقصى في وسط الحرم فدخل خلق كثير افواجا
فقلت ما هذا الجمع قالوا جميع الانبياء والرسل قد حضروا ليشفعوا في حسين الحلاج عند محمد عليه
الصلاة والسلام في اساءة ادب وقعت منه فنظرت الى التخت واذا نبينا عليه الصلاة
والسلام جالس عليه بانفراده وجميع الانبياء على الارض جالسون مثل ابراهيم وموسى وعيسى
ونوح فوقفت انظر واسمع كلامهم فخاطب موسى محمدا فقال له انك قلت علماء امتي كانبياء بني
اسرائيل فارني منهم واحدا فقال هذا واشار الى الغزالي فسأله موسى سؤالا فاجابه بعشرة
اجوبة فاعترض عليه موسى بان السؤال ينبغي ان يطابق الجواب والسؤال واحد والجواب
عشرة فقال له الغزالي هذا الاعتراض وارد عليك ايضا حين سئلت وما تلك بيمينك يا موسى
وكان الجواب هي عصاي فعددت لها صفات كثيرة قال فبينا انا متفكر في جلالة قدر محمد عليه
السلام وكونه جالسا على التخت بانفراده والجميع على الارض اذ رفسني شخص برجله رفسة مزعجة
فانتبهت فاذا ابغيهم يشعل قناديل الاقصى فقال لا تعجب فان الكل خلقوا من نوره فخررت مغشيا
فلما اقاموا الصلاة افقت وطلبت القيم فلم اجده الى يومي هذا ومن هنا قال صاحب البردة

وانسب الى ذاته ما شئت من شرف ٭ وانسب الى قدره ما شئت من عظم

وكذلك اي كما حكموا في الحلاج حكموا في ابن ابي العزاقر هو في بعض النسخ بعين مهملة
وراء مهملة والف بعدها قاف وياء مثناة تحتية ودال مهملة وروي بزاي معجمة بعد الراء
وياء مثناة وبدونها وقيل انه اصوب وقال البرهان انه قيل ان صوابه ابن ابي
العزاقر والصواب الاول وانه جمع عزاقره او عزاقر ومنه ينبوع العزاقر وهو منبع
المدينة والعزاقر بقعة معروف والمذكور هو محمد بن علي بن ابي العزاقر وكان
شاع امره ببغداد وادعى الالوهية وانه يحيي الموتى وادعى التناسخ والحلول
فشاع وكثر اتباعه وضل به ناس كثير وطلبه الراضي فهرب وغاب سنين ثم عاد فقبض

عليه

عليه ابن مقلة وامسكه فاثبت كفره وكتب عليه القضاة وافتوا بقتله فقتل واحرقت
جثته في سنة اثنين وعشرين وثلثمائة وتبعه على حاله المذكور ابن ابي عون صاحب
كتاب التشبيه فقتل معه وكان ابن ابي العزاقر على نحو مذهب الحلاج فيما ادعاه
مما نسب اليه وقد علمت ما فيه بعد هذا اي قتل الحلاج وصلبه ايام الراضي بالله
ابن المقتدر بالله وله ترجمة تقدم بعض منها قريبا وقاضي قضاة بغداد اذ ذاك ك
يومئذ ابو الحسين بن ابي عمر المالكي ابن يوسف بن يعقوب الازدي الذي تقدم
ذكره قريبا وقال محمد بن عبد الله ابن عبد الحكم في المبسوط من تنبأ بهمزة
بعد الباء اي الاكثار ادعى النبوة قتل لما تقدم كما تقدم وقال ابو حنيفة
واصحابه من جحد اي نفى الكذب ونفى ان الله خالقه او ربه او قال ليس
لي رب خلقني فهو مرتد فله حكم المرتد المشهور في كتب الفقه وقال ابن القاسم
في كتاب ابن حبيب المعروف عند المالكية وفي كتاب محمد وفي العتبية ومحمد
هو ابن سحنون او ابن المواز فيمن تنبأ وادعى النبوة يستتاب يطلب توبته
سواء اسر ذلك اي اخفاه او اعلنه اي اظهره وهو كالمرتد في احكامه وقال
سحنون وغيره وقاله اشهب في حق رجل يهودي تنبأ وادعى انه رسول من
الله ارسله الينا ان كان معلنا بذلك اي مظهرا له فانه استتيب فان تاب
فذاك والا قتل لانه اظهر امرا عظيما كفر به وقال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد
صاحب الرسالة المشهورة من لعن بارئه بهمزة بعد الباء من برأ الخلق اي اوجدهم
بغير مثال وادعى ان لسانه زل اي اخطأ ولم يرد ان يقول ذلك وانما اراد ان
يقول لعن الشيطان فلا يصدق بل يقتل بكفره ولا يقبل عذره بقوله ان
لساني زل خطأ لما علم من كذب اليهود وحيلهم وهذا على القول الاخر من احد
القولين في مذهب مالك من انه لا تقبل توبته وفيما ذكره عن ابن ابي زيد من ان
الخطأ وسبق اللسان لا يعمل نظر لما في مسلم ان رجلا اراد ان يقول اللهم انت ربي
وانا عبدك فقال انت عبدي وانا ربك لدهشة وسبق لسانه اليه ولم يؤاخذ به ولا
شك ان مثله معفو عنه لعدم قرينة على مدعاه ولظهوره لم يصرحوا به فلا يرد عليه عرضي
اعتراض كما توهم فانه اجل من ان يخفى مثله وقد تقدمت هذه المسألة في كلامه
ولذا احض الشيء بل لانه يهودي اذ المسلم لا يؤاخذ بمثله وقال ابو الحسن القابسي
الذي تقدمت ترجمته في سكران قال في حال سكره انا الله انا الله فتكراره
يدل على تعمده فيما قاله ان تاب عن مقاله وادعى عدم قصده ادب بما لمجهول
بضربه وزجره وكونه بما يراه ولسكره وغيبة عقله وبما ورد انه لم يقتل فلا وجه لما
قيل انه مخالف لما قيل في الحلاج واضرابه كما لا يخفى فان عاد الى مثل قوله انا الله دهي
مكررا طولب مطالبة الزنديق لانا لا نأمن باطنه وخبث طويته لان هذا
لعوده وتكراره كفر كفر المتلاعبين بالدين المستخفين المتهاونين كما هو داب
الزنادقة الذين لا يبقون بدين اصلا ولا وهو ابنا على ما نقمتم من الله بجاهل معاملة

الصاحي كما تقدم وهذا مذهب مالك وعند غيره فيه خلاف مبسوط في كتب الفقه

فصل واما من تكلم بشيء من سقط القول السقط بفتحتين الخطا
والامر الذي لا يعتد به حتى ينبغي ان يسقط ويطرح ويعني الفضيحة والوهم في الكلام
وسخف اللفظ السخف بضم فسكون بسين مهملة وخا معجمة وفا قلة العقل والمراد
به ما ينشا منه من الالفاظ السخيفة الركيكة ممن لم يضبط كلامه واهمل لسانه
اي اطلقه في الكلام فيتكلم من غير تدبر وتفكر فيتهم به اية تهمل ولا ترتبط والاصل
في الضبط انه بمعنى الامساك باليد والمراد به انه لم يصن ولم يحفظ لسانه فهو من
الكناية بما يقتضي الاستخفاف اي الاهانة والتحقير من غير سبالان واصله
عد الشي خفيفا فعبر به عما ذكر وهو متعلق بتكلم او با هملا بمعنى اطلق بعظمة ربه
والشي العظيم لا يكون خفيفا فهو هنا في موضع حسن اي ما قدر الله حق قدره حيث
استخف بما هو اعظم من كل عظيم فهو سخف وحماقة وجلالة مولاه اي سيده والعبد
الذليل اذا استخف بسيده الجليل حقيق بكل تذليل او تمثل في بعض الاشيا مثل المتعدد
في بعض معموله وفي نسخة تمثل بشاة ما ص الاشيا اي الامور غير ذات الله
وصفاته ببعض ما عظم الله من ملكوته تقدم ان الملكوت مبالغة في الملك ويراد
به عالم الامر وهو ما كان مخفيا عنا من الملائكة والسموات والعرش ونحوه اي جعله
مثله كان يشبه محمد رجاله بجبريل او عدد ابملك الموت ونحوه مما يدل على سخافة
عقله ودينه او يقول نصر الملك كمبة يطوف لها او نزع بنون وزاي معجمة مفتوحة
وعين مهملة اي اخذ وذهب في وصفه من الكلام لمخلوق بما لا يليق اي لا يجوز ويناسب
الا في حق خالقه كان يقول باذ الجلال والاكرام ونحوه لغير رجل غير قاصد
بما قاله للكفر والاستخفاف اي الاهانة ولا عامد اي متعمد للالحاد اي
الميل عن الحق او الشرك بالله فانه احد معانيه كما في العرسين واصل معناه الميل
فانما صدر عنه لجهله او سخافة عقله فان تكرر هذا القول منه وعرف به
اي اشتهر بين الناس قوله لمثله دل تكرر صدوره منه على تلاعبه بدينه
اي عدم مبالاته به كاللعب واللهو فان من يعمد بدينه لا يقدم على مثله واستخفافه
بحرمة ربه اي ما يلزمه احترامه وصيانته ودل ايضا على جهله بعظيم عزته
وكبريائه مقوبا له بمعنى غاية العظمة في شانه سبحانه وتعالى اي تنزه وعلا
جناب عزته عن مخلوقاته وهذا المذكور كفر لا مرية فيه اي لا شك في كونه
كفرا وتقدم ان فيه مكررة ونظم وكذلك يكفر ان كان ما اورده مما صدر عنه
يوجب وفي نسخة يقتضي الاستخفاف والاهانة ونحوه اي جبارته على
عظيم عزته والتنقص لربه اي التنقيص الكامل له باهانته وقد افتى عبد الملك
ابن حبيب وقد تقدمت ترجمته واصبغ بن خليل ابو القاسم من فقها
قرطبة ذكره الذهبي في الميزان وقال انه كان يتهم بالكذب توفي سنة ثلاث
وسبعين وقيل سنة ست وخمسين ومائتين بقتل الرجل المعروف بابن اخي

ويروى

ويروى اخته عجب بفتحتين على زوجة عبد الرحمن الاموي امير قرطبة ممنوع من
الصرف للعلمية والتانيث المعنوي وهي عمة الرجل المذكور كما ياتي وكان هذا الرجل
خرج يوما من منزله فاخذه المطر اي وقع عليه بشدة حتى كانه اخذه وعاقه
عن مقصده فقال بدا بهمزة اخره اي شرع وابتدا الخراز بفتح الخا المعجمة
وتشديد الرا المهملة والف وزاي معجمة من الخرز وهو ثقب الجلود لخياطتها كالخفاف
والقرب وهي تبل ويرش عليها الما عند خرزها لتلين يرش جلوده جمع جلد وهو
معروف ويرش مضارع غائب من رشه يرشه اذا بلله بالما ويروى يرش بالجيم
فشبه ابر السما بجلد واه بخاط حتى عند الما فكان المطر نزل عليه من قربة بالية
مرقع ونحيه سخافة لا تخفى فان دباغ الخراز فيوم السموات وملائكته وعلى كل حال
فهو تلاعب وكان بعض الفقها بها اي بقرطبة في ذلك الزمن ابو زيد صاحب
الثمانية لكون له العدد المعروف وقيل انه ضبط بضم المثلثة وجيم والف ونون
مكسورة بعدها يا مشددة ولم يفسروه وعبد الاعلى بن وهب وابان بن عيسى
قد توقفوا اي لم يحكموا او حجموا عن سفك دمه اي قتله لعدم ما يقتضيه لانه لم
يصرح باسم الله وانما شبه السحاب بشي بال ومثله لا يعد كفرا واشاروا اي قالوا
براىهم فيه الى انه اي ما قاله عبث من القول اي كلام لا معنى له يعتد به كهزل من
اعتاد الهزل والعبث بما لا يفيد يكفي فيه الادب اي التاديب والتعزير دون
القتل وافتى بمثله اي انه عبث يؤدب قائله القاضي حينئذ اي حين اذ وقعت
هذه القصة وهو موسى بن زياد قاضي قرطبة فقال ابن حبيب دمه في عنقي اي
انا احكم بقتله واراقة دمه فان كان فيه وزر قتله فعلي وزره وجزاؤه في
الدنيا والاخرة والعنق عضو معروف ويقال اثم كذا في عنقه اذا لزمه كما قال تعالى
الزمناه طائره في عنقه فهو كناية او استعارة ايشتم ربا عبدناه ربا ناب تاعلى
وحده سيما تنبيها على انه اراد بالخراز الله عز وجل عبدناه كناية عن عظمته وانه اهل
للعبادة والخضوع فكيف يشتم ثم لا ننتصر له اي نغار لما يجب له حقه وما يجب له
انا اذن اي اذ لم ننصره لعبيد سوء اذ لم يتوهموا الحق سيدهم وربهم وما نحن له
بعابدين له حق عبادته لرضانا بما قيل فيه وبكى لغيرته وخوفه من الله ورفع
المجلس اي ذكر واعلم بهذه الواقعة اي خبره وما وقع فيه فاطلق عليه لتوليه واشت
بعد ذلك باكثير المجلس الى الامير بها بالاندلس وحاكمها عبد الرحمن بن الحكم الاموي
بضم الهمزة وفتحها نسبة لامية وهو اي عبد الرحمن بن الحكم بن هشام صاحب الاندلس
وكان عادلا لا تقيا محبا للعدل توفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين وعمره ستون وذكرنا
ابن عبد الملك مفتي الاندلس وعالمها صاحب الواضحة في مذهب مالك توفي في تلك
السنة ايضا وكان اخذ عن اصحاب مالك وكانت عجب اي المراة المذكورة عمة
هذا الرجل المطلوب بما قاله وقيل خالته من حظاياه اي من زوجات عبد
الرحمن امير الاندلس جمع حظية كهدية وهي المراة التي تحظى عند زوجها اي تقترب

وتكرم لشدة محبته لها وذكروا انه رده الى شدة دين الامير وزوجته اذ لم يباح الازنا
والتابع لها مع شدة محبته لها وقرب الرجل منها واعلم الامير وهو مبني للمجهول
باختلاف الفقهاء في قتله فرجح الاذن لشرطته ونوابه بالاخذ بقول ابن حبيب
في قتله وصاحبه اصبغ بن خليل فقتل وصلب بحضرة الفقيهين ابن حبيب
واصبغ بن خليل وعزل القاضي موسى بن زياد الذي قال يؤدب لتهمته بالمداهنة
في هذه القصة المذكورة اي المسامحة في حدود الله لقرب الرجل من حظية الامير
مع انه قول وتقدم انه يستتاب في قول اخر رجحه بعض الشراح هنا وسر الفرق بين
المداهنة والمداراة فان الاولى مذمومة والثانية ممدوحة ان المداهنة استحسان
ما لا يجوز لغرض فاسد والمداراة معاملة بعض الناس بلين ورفق حتى يدفع به الضرر
او يحصل به نفع ديني باعتبار وان كان الظاهر خلافه ووبخ بقية الفقهاء وسبهم
لعدم حكمهم بقتله ولهذا احكم من عرف مثل ذلك وتكرر وقوعه منه واما من صدرت
عنه من ذلك القول الدال على الاستخفاف اي وجدت ووقعت منه الهنة الواحدة
اي قباحة وقعت منه نادرا قال فيه هنة وهناة وهنوات خصال سوء قال لبيد

اكرمت عرضي ان ينال بنحوه ۞ ان البري من الهناة سعيد

كذا في الاساس وفيه كلام في كتب اللغة والنحو وتقدم الكلام على شيء منه في اول
الباب الاول من القسم الرابع والفلتة هي الامر الذي يقع بغتة من غير تدبر ونحوه
نظم ونثر والثاني اجلى واصح الشاردة من شردت البهيمة اذا نفرت من صاحبها
فاستعارها للزلة الصادرة بغتة او النادرة المنفردة التي لا تستقر وكانها
شاردة ولعل معناها السائرة من قولهم قافية شاردة اي سائرة في البلاد لانها اذا
سارت اشتهرت وانتشرت ما لم تكن تنقصا او ازراء اي اهانة وتنقيصا فيعاقب
عليها ويؤدب بزجر وتعزير دون قتل بقدر مقتضاها اي بحسب ما تقتضيه
وشنعة اي قباحة معناها وصورة حال قائلها بحسب ما يليق بحاله وشرح
سببها فان بمعرفة سببها الباعث عليها يعلم سر امر من صدرت عنه ومقدارها
من احوال قائلها المؤذنة بانه يستحق مقدارا من التأديب من ضرب وحبس او حبس
جديد لانه تعزير تتفاوت مراتبه بحسب صاحبه بخلاف الحدود كما بينه الفقهاء وقد
سئل ابن القاسم رحمه الله عن رجل نادى رجلا باسمه نحو يا زيد ويا عمرو
فاجابه بقوله لبيك اللهم لبيك فقوله اللهم بمعنى يا الله في جواب من ناداه باسمه
ومعنى لبيك المثنى اجابة بعد اجابة من لب والب بمعنى اقام بمكان وتفصيله شهير
غني عن ذكره هنا فقال ابن القاسم ان كان جاهلا بمعناه او قاله على وجه
سفه اي خفة وطيش من غير تامل وفكر فلا شيء عليه قال القاضي ابو الفضل
عياض المؤلف في تفسيره وشرح قوله لا شيء عليه معناه انه لا قتل يترتب عليه
فيما صدر منه ثم بين ما يستحقه اذا لم يقتل فقال والجاهل يزجر حتى يتبين
ما قاله ويعلم ما جهله والسفيه الذي لا يضبط لسانه لخفته يؤدب

يضرب

بضرب وحبس ونحوه واعلم ان المراد بالسفيه هنا من في عقله خفة ونقص
لا الذي عرفه الفقهاء بالمبذر ولو قالها اي قال لبيك اللهم لبيك لمن ناداه باسمه
على اعتقاد انزاله اي مناديه منزلة ربه تعالى بجعله الها لكفر ووجهه
ظاهر هذا الذي نصه مقتضى قوله اي قول ابن القاسم في هذه المسئلة
وهذا هو الحكم فيما ذكر عند المالكية وغيرهم خالفهم فيه وقال لا يعذر الا
قريب عهد باسلام او مجنون كذا قيل وقد ينزل عليه كلام المص فتدبر وقد
اسرف كثير اي تجاوز الحد في قباحته وترك ادبه وهو حسنها رهنا من اسراف
المال لا اسراف المقال من سخفاء الشعراء اي من سخف عقله وقل دينه كالمعري
في ديوانه الكبير كما يعرفه من رآه ومتهميهم جمع متهم وهو من اتهم بالزندقة والالحاد
كابن عون في هذا الباب اي ذكر رب العزة بما لا يليق به واستخفوا عظيم
الحرمة اي احترام الله واجلاله اي عدوه خفيفا هينا لا يبالي به فاتوا في
اشعارهم من ذلك النوع بما ننزه اي نصون كتابنا هذا عنه فانه دال شهد له
ولساننا واقلامنا عن ذكره وكتابته فضلا عن تعظيمه وذلك لقبحه فلا يوجد به
وجه قرطاس ثم اعتذر عن ذكره لبعض الالفاظ التي فيها سب لله ولرسوله صلى
الله عليه وسلم كما تقدم فقال ولولا انا قصدنا نص مسائل حكيناها عن الائمة
في كتبهم ونصا بالنون وفي نسخة نقضي بالقاف والاولى احسن لما ذكرنا شيئا مما
يثقل بالمثلثة ذكره علينا اي يعد ثقيلا لشدة قباحته لما فيه من الازراء بمقام
الربوبية والنبوة مما حكيناه في هذه الفصول التي تقدمت واما ما
ورد في مثل هذا الامر المنقول من اهل الجهالة اي جهلة الاعراب واهل
البادية الذين لا يعرفون الله ورسوله حق معرفته ولا يعرفون امر الدين
والشريعة لعدم مخالطة اهل الاسلام لجفائهم وغلظ طباعهم واغاليط اللسان
اي الذين اعتادت السنتهم الغلط في وصفهم لله ورسوله وهو جمع اغلوطة كالاحجوبة
وهو الغلط الفاحش الذي يتجوز عند الطباع السليمة كقول بعض الاعراب
جمع اعرابي وهو من يسكن البادية من العرب وكان قاله في سنة مجدبة رب
العباد ما لنا وما لكا قد كنت تسقينا فما بدا لكا انزل علينا الغيث
لا ابا لكا في اشباه لهذا من كلام الجهال رب العباد منادى مضاف منصوب
اي يا رب العباد وحرف النداء محذوف وهو جائز كثيرا والعباد جمع عبد كالعبيد
وقيل ان الاول في القران للمؤمنين والثاني للكفار وليس مطردا والعباد ايضا
لله والعبيد له ولغيره ولا يختص بغيره كما قيل وقوله ما لنا وما لكا استفهام
والالف في لكا للاطلاق بزيادة مطردة في الشعر اي شيء كان لك واي
شان من شؤونك اقتضى منع ما عودتنا من احسانك وبين هذا بقوله قد كنت
تسقينا الخ اي عودتنا بغياثك وانزال المطر فما سبب تغير الحال وتسقينا بفتح
النون المضارعة وضمها لانه يقال سقاه واسقاه بمعنى وقيل سقاه اعطاه الماء واسقاه

دل عليه وقوله فما بدا لك بمعنى ما ظهر لك منا حتى غضبت علينا ومنعت عوائد فضلك
يقال هذا في السؤال ثم جعل عبارة عن تغير الرأي والرجوع عنه والندامة عليه كقوله

ولو انني اضمرت في القلب توبة ... وابصرت هذا في المنام بدا لي

ومنه البدا الذي قاله اليهود وهو لا يجوز على الله فان كان قصد هذا وكان الاستفهام
فيه وفيما قبله للانكار فهو جهل منه والسؤال من اصله منكر فانه تعالى لا يسال عما يفعل
ومالي ومالك تستعمله الناس في التبري ويقوله العزيز للضعيف وانت لا امر والمراد به
الدعا والغيث المطر الذي الاول يختص بالخير لانه يغاث به الناس وقوله لا ابا لك
جا في كلامهم كثيرا للمدح والذم واصله دعا وهو على خلاف القياس لاعرابه بالحروف
وشرطه وقياسه لا اب لك وقد سمع فيه لا اباك ولا ابك ايضا وخرج الاول على ان الالف
اقحمت بين المضاف والمضاف اليه فاذا مدح به فمعناه انت شريف بنفسك من غير حاجة
لانتساب وقد روي ان سليمان بن عبد الملك لما سمع هذا حمله على محمل حسن فقال اشهد
ان الله لا اب له ولا صاحبة ولا والد ولا ولد وهذا كله جرى له الاعراب على عادتهم في تخاطبهم
ولم يقصد ظاهره ان كان مسلما فانه لم يعرف حاله وقريب منه قول ابن رواحة رضي الله
عنه فاغفر فداك ما اقتفينا فان الفدا لا يتصور في حق الله او الكلام ثم عند الغيث
وهذا خطاب لمن معه كما قيل في كلام ابن رواحة وقيل لا ابا لك تستعمل كناية
للمدح والذم وفيه كلام في كتب النحو وقيل انه مبني على الفتح والغيث اتباع اجرا للوصل مجرى
الوقف وليس هذا محل تفصيله والحاصل انه خاطب الله بما لا يليق به بما هو بحسب ظاهره
كفر لكنه ناش من غلظ طبعه وجاهليته ان كان مسلما فان كان كافرا فحاله معلوم وجهال
جمع جاهل ومن كلام من لم يقومه اي يجعله مستقيما ثقاف بكسر المثلثة وقاف والف
وفا والثقاف في الاصل تقويم الرماح والخشب المعوج بالنار ونحوها يقال رمح مثقف ثم
استعمل في غيره مجازا كقوله

عمرت من الليالي صعدة لم يقوم ... ذوابها غمز الثقاف

فاستعير لما يقومها ولما يقيم الانسان من تاديب الشريعة والعلم اي تاديبه بتعليمه
وارشاده لما يجب عليه ومنه قول عايشة في ابيها رضي الله عنهما اقام اوده بثقافه اي
اصلح امور المسلمين بتدبيره في هذا الباب اي باب السخافة والتهاون او الامور
المتعلقة بالله والاول انسب بقوله فقل ما يصدر هذا الكلام السخيف الا من جاهل
بمقام الربوبية وقل ما فيها كافة ولذا دخلت على الفعل وهي على اصلها او بمعنى النفي وفيه
كلام مشهور فيعذر بجهله لقرب عهده بالاسلام وكونه من اهل البوادي الذين لم يخالطوا
المسلمين فيجب تعليمه ما يجب عليه وزجره والاغلاظ له بتوبيخه اشد توبيخ عن
العود لمثله اي لينتهي عنه فان لم ينته بعد التعليم قتل قال ابو سليمان الخطابي وهذا
الكلام الصادر عن السخفا منتزع من الغزل النهو بعبارة الحمد بالوقوع من غير
مبالاة في شكر عظيم من قولهم هار البنا اذا سقط وانهار لقوله تعالى فانهار به في نار جهنم
والله جل جلاله منزه عن هذه الامور السخيفة التي تقدم ذكرها وقد روينا

عن

عن عون بن عبد الله بن عتبة الهذلي الكوفي الزاهد الفقيه المحدث التابعي
توفي في حدود العشرين ومائة انه قال ليعظم بلام الامر المكسورة احدكم ربه
فينزهه عن ان يذكر اسمه في كل شي لذكره مقترنا به حتى يقول اخزى الله الكلب
وفعل به اي بالكلب كذا من قتل ونحوه فان اقتران اسمه بهذه المحقرات لا يليق
وان كان ذلك بحسب المعنى صحيحا وكذا اسم النبي صلى الله عليه وسلم كقول العامة ذلك في
بيع امور حقيرة كما نبه عليه بعض الفقها قال وكان عادة من ادركنا من مشايخنا
المالكية بالمغرب فلا يذكروا اسم الله تعالى في شي من الاشيا التي لم يذكرها الا فيما
يتصل بطاعته من امور الدين والشريعة والعبادة ولذا لم يجيزوا الشرور والقبايح
وخلق المحقرات تادبا وان كان خالقا وفاعلا لكل امر فلا يقال خالق الكلاب والقاذورات
كما صرحوا به وكان الشبلي ينشد اذا سئل عن هذا وينشد

ويقبح من سواك الفعل عندي ... وتفعله فيحسن منك ذاكا

وكان بعض مشايخنا يقول للانسان اذا دعا له جزيت بالبنا للمجهول خيرا ونحو ذلك
استحبابا صونا لاسم الله عن الابتذال كما بين ذلك بقوله وقلما يقول جزاك الله خيرا
مصرحا باسم الله تعالى اعظاما لاسمه تعالى عن ذكره في غير طاعة كالصلاة والاوراد
والذكر ان يمتهن امتهانا من المهانة وهي الابتذال والحقارة وعدم كثرة ذكره حقارة
في غير قربة اي في غير امر يتقرب به الى الله من عبادة كما تقدم والدعا للمسلمين وان
كان عبادة لكنه ليس من الطاعات التي بها تعظيم لله وتعظيم لذكره وتبيتا اسمه المقدر
في الدعا يكفي في وجوده وكونه عبادة ولا يرد عليه ما قيل ان الدعا للمومن على خير
فعله طاعة مندوبة لقوله تعالى هل جزا الاحسان الا الاحسان والقربة اخص من الطاعة
فذكر الله في الدعا وان كان فيه تعظيم له ايضا الا ان ذكره في الصلاة ونحوها اكثر تعظيما
الا انه لا يخلو من شي ولذا قيل انه مخالف للسنة الماثورة من التصريح باسمه تعالى في
الدعا وفي الايمان وقوله في الشروع في الافعال وعقب الطعام والشراب الحمد لله فكيف
يستدل بفعل بعض مشايخه على ما يخالف السنة فتدبر وحدثنا الثقة اي الموثوق به
وهذا اثر يشبه المجهول فلا فايدة فيه وقيل ان تعريفه للعهد وانظر للامام ابي بكر بن
العربي وسيبويه في كتابه يقول قال لي الثقة يعني الخليل وما ذكر عمن ياتي ليس حديثا
نبويا فيحتج فيه بجهل راويه وتقدم في استعمال لفظ الثقة تفصيل للشافعي رضي الله عنه
ان الامام ابا بكر الشاشي هو رحمه الله الامام ابو بكر محمد بن علي بن اسماعيل القفال
الشاشي نسبة لشاش مدينة فيما ورا النهر وهو امام عظيم له تصانيف جليلة وهو
عمدة في مذهبه واختلف في وفاته فقيل سنة ست وستين وثلاثمائة وقيل سنة
ست وثلاثين وقيل انه كان في اول امره معتزليا ثم رجع عن الاعتزال كان
يعيب على اهل الكلام وهو علم اصول الدين كثرة خوضهم فيه تعالى اي في البحث عن
ذات الله تعالى اي يعده عيبا اي ينهى عنه ومراده اصل معنى الخوض الشروع في دخول الما
ثم استعير للشروع في الامور ويقال تخاوضوا في الحديث اذا تفاوضوا فيه والكثر ما

ابن ادريس

عرضي

ورد في القرآن فيما يوهم شرعا وفي ذكر صفاته اي ذكر حقيقة صفات الله تعالى والبحث
عنها اجلالا لاسمه تعالى ويجول بقول الباحثون عن ذات الله وصفاته يتمندلون
بالله عز وجل تفعل من المنديل وهو خرقة يمسح بها الايدي وجمعه مناديل ومنه
اشتق تفعل فيقال تمندلت وتمندلت وانكر بعضهم الثانية وقال انها مولدة غير فصيحة
وهو هنا استعارة للابتذال والامتهان وقد يقال ان مراده ذكر ما لا حاجة اليه
من المباحث الكلامية والاكتفاء بكتب علم الكلام وقد قال صلى الله عليه وسلم ستفترق امتي
ثلاثا وسبعين فرقة فهذه الفرق الضالة لها اعتقادات باطلة قد يظهرونها ويذكرون لها
ادلة فمعرفة بطلانها وابطال ادلتهم واجب فكيف يمنع منه مطلقا فكلام المصنف ليس على اطلاقه وقد
يقال ان في قوله يتمندلون اشارة الى التقييد لمن فهمه ويتنزل الكلام في هذا الباب الذي
وقع فيه مثل ما تقدم في حق الله عز وجل تنزيله في باب ساب النبي صلى الله عليه وسلم فيجعل
احكام هذا كاحكامه على الوجوه السابقة في المسائل التي فصلناها في هذا الكتاب
كما تقدم والله الموفق للصواب فصل وحكم من سب سائر انبياء الله
تعالى عز وجل وملائكته واستخف بهم اي ذكر ما فيه تحقيرا واهانة لهم او كذبهم اي نسبهم
الى الكذب فيما اتوا به عن الله من وحيه او انكرهم اي اعتقد عدم وجودهم او انكر
وجود النبوة والرسالة او جحدهم اي انكر وجودهم عنادا مع علمه به كبعض اليهود والنصارى
حكم من سب نبينا صلى الله عليه وسلم وقد تقدم تفصيله وحكم الاول مبتدا وهو
خبره على مساق اي على الحكم الذي سقناه على تفصيل ما قررناه عن ائمة الدين في هذا
الكتاب كما سمعته ثم استدل على ان حكم سائر الانبياء كحكم نبينا فقال قال الله تعالى عز وجل
في كتابه الكريم ان الذين يكفرون بالله ورسله من رسل البشر ورسل الملائكة ويريدون
ان يفرقوا بين الله ورسله ايمانا وكفرا لقوله ويقولون نؤمن ببعض منهم ونكفر
ببعض كاليهود كفروا بعيسى ومحمد والانجيل والقرآن والنصارى كفروا بمحمد والقرآن الاية
اي اذكر الاية واقرأها الى آخرها يعني ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون
حقا فهذه الاية وما بعدها تدل على ان الايمان لا يكون ايمانا مخلصا من الخلود في النار
الا ان امنوا بالله عز وجل وبجميع رسله وكتبه وما جاءهم من الوحي من عند الله فمن امن
ببعض وكفر ببعض فكمن لم يؤمن بشيء اصلا وقال تعالى عز وجل قولوا امنا بالله وما
انزل الينا من القرآن وغيره من الاحكام وما انزل الى ابراهيم من الصحف وغيرها الاية
من قوله واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي
النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم وقال كل امن بالله وملائكته وكتبه ورسله
لا نفرق بين احد من رسله فهذه الاية صريحة فيما قلنا قال مالك في كتاب
عبد الملك ابن حبيب ومحمد بن سحنون وقال ابن القاسم وابن الماجشون وابن
عبد الحكم واصبغ وسحنون تقدمت تراجم هؤلاء فيمن شتم الانبياء او احدا منهم
صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين او تنقصه اي نسب احدا منهم بشيء من النقص مما لا
يليق به قتل ولم يستتب فان تاب لم تنفعه توبته لان حده القتل ومن سبهم اي الانبيا

او

او احدا منهم من اهل الذمة كاليهود والنصارى قتل الا ان يسلم فلا يقتل لان
الاسلام يجب ما قبله وفيه ما لا يخفى وروى سحنون عن ابن القاسم من سب الانبيا
صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا
ككون المسيح ابن الله والعزير ابن الله ضربت عنقه ولا يستتاب لانه لم يتب توبة
الا ان يسلم طوعا منه كما قيده في المبسوطة وقد تقدم الخلاف بين ائمة الدين
في هذا الاصل اي من سب الله بغير الوجه الذي به كفر هل يستتاب ام لا وقال
القاضي بقرطبة سعيد بن سليمان في بعض اجوبته عن هذه المسئلة من سب
الله تعالى عز وجل وملائكته قتل لجرائته على الله وملائكته وقال سحنون من
شتم ملكا من الملائكة فعليه القتل لانهم عباد مكرمون بريئة مبرءون من النقائص
وفي كتاب النوادر لابن ابي زيد رحمه الله عن مالك بن انس فيمن قال ان جبريل
عليه الصلاة والسلام اخطأ بالوحي الذي اتى به لمحمد صلى الله عليه وسلم فوضعه في
غير محله وقال انما النبي الذي امر جبريل عليه الصلاة والسلام بانزال الوحي عليه
علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لا محمد صلى الله عليه وسلم استتيب اي عرضت عليه التوبة
عما قاله فان تاب والا قتل واذا ابى ان يتوب قتل لكذبه على جبريل ونسبته الخطا وهو لا
يفعل الا ما يؤمر به ونحوه عن سحنون اي مثل ما في النوادر روي عن سحنون وهذا
اي نسبة الخطا لجبريل قول الغرابية هم طائفة من الرافضة قالوا علي اشبه بمحمد من
الغراب بالغراب كما بينه بقوله من الروافض سموا بذلك اي بالغرابية لقولهم كان النبي
صلى الله عليه وسلم اشبه بعلي اي اشد شبها من الغراب بالغراب والذباب بالذباب
فلذا اغلط جبريل عليه الصلاة والسلام في تبليغ رسالته الى محمد صلى الله عليه وسلم ويسمون
جبريل ذا الريش قيل وهذا معتقد بعض اليهود فانهم صرحوا بعداوة جبريل كما رواه
الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم ان اليهود قالوا له لكل نبي من الانبيا ملك يأتيه برسالة
ربه فمن صاحبك حتى نتبعك قال جبريل فقالوا هو ينزل بالحروب والقتال وهو
عدونا فلو قلت ميكائيل الذي يأتي بالقطر والرحمة لتبعناك فانزل الله قل من كان
عدوا لجبريل الاية وقال ابو حنيفة واصحابه ممن هو على مذهبه كمحمد وغيره
بنا على اصلهم اي قاعدة مذهبهم من كذب باحد من الانبيا اي قال بانه كذب لا
اصل له وجحده او تنقص احدا منهم اي نسب له ما فيه نقص له او برئ منه
اي من محبته والايمان به او شك في شيء من ذلك فقال لا اتحققه فهو مرتد فحكمه
حكم المرتد في مذهبه وقد تقدم وقال ابو الحسن القابسي الذي قدمنا ترجمته
في الرجل الذي قال لاخر ممن يكرهه كانه اي كان وجهه وجه مالك خازن النار
الغضبان الذي يظهر الغضب والعبوس وانما تشبيهه به في لزوم الغضب وهذا
تخيل ناشئ والا فهو مشروح للقيام بما امره الله به وقيل انما اطلق اسم البعض على الكل
مبالغة لو عرف من حال القائل انه قصد ذم الملك قتل فان لم يبلغ ذلك لعدم
يقتل لقصوره ان عضبه انشا لا لامر به في مسائله العلجم بذلك كالسلطان

عرض

دجى

المشد دخل من في سجنه بامر الملك وهذا مذهب مالك وابي حنيفة واما عند الشافعي ففيه خلاف في كتبهم قال القاضي ابو الفضل عياض مصنف هذا الكتاب رضي الله عنه وهذا كله اي ما ذكر في هذه المسائل فيمن تكلم فيهم اي في الانبيا والملايكة بما قلناه مما تقدم ذكره على جملة الملايكة والنبيين اي مجموعهم لا جميعهم او تكلم بما قلناه على واحد معين منهم ممن حققنا اي بينا واثبتنا فيما تقدم كونه من الملايكة والنبيين ممن نص الله عليه في كتابه بذكره باسمه صريحا في القران او حققنا علمه بانه منهم بالخبر المتواتر الذي لا يقبل الكذب والاجماع القاطع بوجوده والخبر المشهور المتفق عليه ممن يعتد به من رواة الحديث وعلما الدين وفي نسخة المشهور وهو ما رواه جمع كثير لم يبلغوا حد التواتر كجبريل وميكائيل هما من رسل الملايكة وايل اسم من اسما الله بالعبرانية ومعنى جبريل عبد الله فجبريل موكل بالوحي وتبليغ اسرار الملكوت وميكائيل موكل بالامطار والارزاق كما مر واحوال الملايكة فصلها السيوطي في كتاب مستقل سماه الحبايك في اخبار الملايك وهو كتاب جليل ومالك اسم الملك الموكل بالنار وهو ثابت بالتواتر وخزنة الجنة كحافظ وحفظة وزنا ومعنى وهم الملايكة الموكلون بحفظ الجنة واهلها وخزنة جهنم والزبانية وحملة العرش وهذا مما علم بنص القران والتواتر اما جبريل وميكائيل فملكان عظيمان مشهوران وفي حديث رواه الحاكم وزيراي من اهل السما جبريل وميكائيل ومن اهل الارض ابو بكر وعمر ومالك خازن النار ذكره الله في قوله ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك وخزنة الجنة ورد ذكرهم في احاديث كثيرة وخزنة جهنم ذكرهم الله تعالى في قوله عليها ملايكة غلاظ شداد وهم تسعة عشر قال تعالى عليها تسعة عشر وما جعلنا اصحاب النار الا ملايكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا وقال القرطبي التسعة عشر روساهم وعدة الخزنة لا يعلمها الا الله وجهنم علم لدار العذاب ممنوع من الصرف للعلمية والتانيث والزبانية ملايكة العذاب ورد في الحديث راس احدهم في السما ورجله في الارض وهم اعظم الناس خلقا واشدهم من زبنه اذا دفعه لانهم يدفعون الكفار باجلهم وواحدهم زبنية كعفريت او زبني كجني وقال قتادة هم الشرط في كلام العرب وحملة العرش جمع حامل كخزنة وهم ثمانية قال تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وورد في صفتهم وتسبيحهم احاديث كثيرة ولم يسم منهم غير اسرافيل المذكورين باسمايهم في القران من الملايكة الذين تقدم ذكرهم وذكر الايات التي فيها اسما الملايكة وثمة ملايكة كثيرة ذكروا بصفاتهم دون اعلامهم ومن سمي فيه اي في القران من الانبيا كادم ونوح وابراهيم وغيرهم وكعزرايل وهو ملك الموت ولم يذكر في القران باسمه وذكر فيه ملك الموت واسرافيل لم يصرح باسمه في القران وذكر بصفته ورضوان بكسر الرا وضمها وبهما قرئ في القران ومنه نقل علم خازن الجنة سمي به لانه خازن محل الرضوان وروى ابن عساكر وغيره في اسباب النزول ان المشركين لما عيروا النبي صلى الله عليه وسلم بالفاقة وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام الاية حزن لذلك فنزل عليه جبريل وقال ربك يقريك السلام ويقول لك وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون

الطعام

الطعام ويمشون في الاسواق فبينما هو معه راه ذاب من خوفه فقال فتح باب من ابواب السما لم يفتح قبل ثم عاد لحاله وقال له ابشر هذا رضوان خازن الجنان فسلم رضوان عليه ومعه سفط من نور يتلالا فقال يا محمد ربك يقريك السلام ويقول لك هذه مفاتيح خزاين الدنيا ان شيت خذها ولا ينقص لك مما عندي مثقال جناح بعوضة فنظر لجبريل كالمستشير له فقال له تواضع لله فقال يا رضوان لا حاجة لي بها فقال له اصبت اصاب الله بك ويروى ان رضوان نزل بهذه الاية تبارك الذي ان شا جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا وفيه ان من الايات ما نزل به غير جبريل من الملايكة وفيه فايدة غريبة والحفظة بزنة كتبة جمع حافظ وهم الكرام الكاتبون قال تعالى وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وايات اخر وهما ملكان احدهما يكتب الحسنات والاخر يكتب السيات وروي انه وكل بالانسان خمسة ملكان بالليل وملكان بالنهار واخر لا يفارقه ويجتمعون في صلاة الفجر والعصر فيسالهم الله كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم يصلون واخرج الطبري من طريق كنانة العدوي ان عثمان رضي الله عنه سال النبي صلى الله عليه وسلم عن عدد الملايكة الموكلين بالادمي فقال لكل ادمي عشرة بالليل وعشرة بالنهار واحد عن يمينه واخر عن يساره واثنان من بين يديه ومن خلفه واثنان على جبينه واخر قابض على ناصيته فان تواضع رفعه وان تكبر وضعه واثنان على شفتيه ليس يحفظان عليه الا الصلاة على محمد والعاشر يحرسه من الحية ان تدخل فاه يعني اذا نام والاحاديث في ذلك كثيرة استوفاها الجلال السيوطي في كتبه فجزاه الله خيرا ومنكر بضم الميم وفتح الكاف وكسرها خطا ونكير بفتح النون وكسر الكاف وهما ملكا السوال اللذان ياتيان الميت لسواله في قبره كما ورد في الصحيحين وقال السيوطي ان حديث ملكي السوال متواتر وذكر من رواه وطرقه وذكر بعضهم ان اللذين ياتيان المومن يسميان مبشرا وبشيرا وذكر القرطبي انه روي ان السايل منكر وان السوال قبل انصراف الناس وهو معارض لما روي انهما ملكان وسوالهما بعد انصراف الناس وجمع بينهما بانهما باعتبار الاشخاص فمنهم من ياتيه اثنان ومنهم من ياتيه واحد ومنهم من يسال والناس عند قبره حتى لا يستوحش ومنهم من هو بخلافه اذا ما اثنان والسايل له احدهما قال السيوطي وهو الصواب وان ذكر الملكين نحو الوارد في غالب الاحاديث وله في هذين الملكين تاليف مستقل فيه فوايد جمة لا يستغني عنها طالب علم ونحو ذلك من الملايكة المتفق بين المحدثين على ثبوت الخبر بها مما ورد في كتب السنة المعتمد عليها فاما من لم تثبت الاخبار بتعيينه باسمه معينا ولا وقع الاجماع من الامة على كونه من الملايكة او لم يقع الاجماع على كونه من الانبيا والمرسلين كهاروت وماروت في الملايكة وهما اعجميان وقيل انهما مشتقان من الهرت والمرت وهو الكسر والاول راجح لمنع الصرف واختلف هل هما ملكان بفتح اللام او بكسرها سميا ملكين لحسن صورتهما وسيرتهما فلا تنافي بين القراءتين والجمهور على الفتح اقرب وفي الحديث انه شرك

الملائكة على الارض فراوا بنى ادم يعصون فقالوا ما اجهل هولاء نعظمك يا رب فقال الله
لهم لو كنتم مثلهم عصيتم فقالوا كيف هذا ونحن لا نعفو عن عبادتك فقال اختاروا ملكين
فاختاروا هاروت وماروت فركب فيهما شهوة بنى ادم واهبطهما الى الارض ومثلت
لهما الزهرة امراة حسنا فافتتنا بها ولم يزل الامر وافتتنا فخيرهما الله بين عذاب
الدنيا وعذاب الاخرة فاختارا عذاب الدنيا لانقطاعه وهما المذكوران وانكر بعضهم
هذا الحديث لعصمة الملائكة وقال الحافظ ابن حجر والسيوطي كما تقدم انه روى من طرق
الكثير منها يبلغ الحديث مرتبة الحسن وقد افرده بالتاليف فلا وجه لانكاره وتبعهما
ابن حجر الهيتمي فقال في الاعلام بعد سياق كلام المصنف برمته وبعوطه هو جلى وبه يعلم خطا من
قال ان ما يحكيه المفسرون في قصة هاروت وماروت في ابيها في سورة البقرة لعرد ليس
كما زعم ولقد وقع بذلك في ورطة عظيمة وان كان جليلا فقد حكى هذه القصة اكابر
من المفسرين كابن جرير الطبري والامام البغوي وغيرهما ومن ثم انتصر لهم بعض المتاخرين من
المحدثين وخرج هذه القصة باسانيد صحيحة ورد على من خالف في ذلك جزاه الله على ذلك
خيرا انتهى واما عصمة الملائكة فذهب بعض اهل الاصول كما مر الى ان المعصوم انما هو رسلهم
لا غيرهم كرسل البشر وعليه حمل قوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ولك ان تقول انه لا
يرد ولو قلنا بعصمة الجميع لانه بتركيب الشهوة فيهم انتقلوا من الملكية الى البشرية فصار
حكمهم في التكليف وغلبة الشهوة البشرية ولا مانع من قدرة الله تعالى ان يصيرهم نوعا
لنوع اخر وفي الانبيا كالخضر تقدم الكلام عليه تفصيلا ولقمان الحكيم لا لقمان بن عاد
وهو من اهل ايلة ولد بعد عشر خلت من ملك داود وفي اسم ابيه خلاف فقيل باعور
وقيل عنقا كان اسود اللون مرع له عرف من اماته ولم يكن عبدا وقيل كان عبدا حبشيا
او نوبيا لرجل نصارى من بني اسرائيل اشتراه وقيل كان نجارا واختلفوا هل كان نبيا او
رجلا صالحا غير نبي وقال سعيد بن المسيب كان نبيا خياطا والاكثر على خلافه وقال
هو نبيه من الجان من الله عليه بالحكمة وحزن عند النبوة وله كلمات كثيرة في الحكمة ذكرها
في مراة الزمان وذي القرنين كان في زمن الخليل عليه الصلاة والسلام من ولد
يافث بن نوح وقيل من ولد سام بن سام ولقى الخليل صلى الله عليه وسلم فاوصاه بوصايا
واختلفوا في اسمه على اقوال فقيل عبد الله وقيل اسكندر وقيل وهب وقيل الصعب
واختلف فيه هل كان نبيا ام لا والاكثر انه كان رجلا صالحا على يد ابراهيم وفي تسميته
بذي القرنين عشرة اقوال فقيل لانه ضرب على حافتي راسه وهما يسميان
قرنين فهلك وقيل لانه سار لقرني الارض وهما المغرب والمشرق وقيل لان صفحتي
راسه كالنحاس وقيل لانه راى في منامه انه اخذ بقرني الشمس فقصه على قومه
فسموه به وقيل لانه كانت له ضفيرتان شعر في راسه والضفيرة تسمى قرنا وقيل غير
ذلك وقصته مفصلة في مراة الزمان وقيل انه ملك بفتح اللام والاصح انه
رجل صالح ومريم ابنة عمران التي قص الله قصتها في القران واختلف في نبوتها
والمشهور ان النبي لا يكون الا رجلا ذكرا ورجح بعض العلماء انها كانت نبية

وان

وان الذكورة انما تشترط في الرسول دون النبي لانه قد لا يومر بالتبليغ ورجحه
القرطبي وابن السيد البطليوسي وليس ببعيد والذي ذهب لنبوتها استدل بكلام
الملائكة لها وهو غير مسلم ومريم عم عيرانف وقيل اشعرى واختلف في وزنه هل هو
فعيل او فعلل وآسية بالمد فتل سين مهملة ومثناة تحتية وهي امراة فرعون وكانت
امراة مومنة صالحة ولم تكن نبية على الصحيح وخالد بن سنان المذكور في التواريخ
وبعض التفاسير انه نبي اهل الرس كان هو وقومه يسكنون عدن فخرجت لهم
نار عظيمة اهلكت الضرع والزرع فالتجا اليه قومه في دفعها فاخذ عصاه وطردها
حتى ادخلها مغارة واطفاها وامر قومه ان يدعوه ثلاثة ايام بالمغارة فانهم ان نادوه
قبلها ليخرج اليهم ويموت وان تركوه خرج اليهم وكشف لهم احوال البرزخ وكان اوحى اليه
انه سيطلعه عليها ان مكث بالمغارة ثلاثة ايام فاستنزلهم الشيطان حتى نادوه قبلها
وصاحوا فخرج اليهم وراسه سنا لمة من صياحهم وقال لهم اضعتموني ان لم تخلوا بوصيتي
واخبرهم بموته وامرهم ان يتركوه اربعين يوما حتى يمر قطيع غنم يقدمها حمار ابتر الذنب
اي مقطوعه فاذا راوا ذلك نبشوا قبره ليخرج اليهم ويخبرهم باحوال البرزخ فلما تم
ميقاته راوا القطيع فارادوا نبش قبره ليخبرهم بالبرزخ فابى اولاده فنبش قبره مخافة
ان تعيرهم العرب بذلك وتسميهم اولاد المنبوش فضيعوا وصيته لعابرة جاهلية منهم
فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءته ابنته واخبرته بانها ابنته فقال لها مرحبا
بابنة نبي ضيعه قومه وهو من بني عبس وقد اختلف في قصته هذه فذكرها الراغب
وابن عربي في فصوصه وغير واحد من المحدثين وقيل انه لا اصل لها واستدل بما رواه
البخاري في صحيحه انه صلى الله عليه وسلم قال انا اولى الناس بعيسى بن مريم والانبيا اولاد
علات وليس بيني وبينه نبي فهذا الحديث الصحيح ينافيه وهو الذي رجحه الان ابن حجر
قال ان حديث خالد رواه الحاكم في مستدركه وله طرق اخر تقتضي انه غير موضوع
كما قيل وجمع بينهما بان قوله لا نبي بيني وبينه المراد به نبي صاحب شريعة واقرب منه
انه يقال انه كان وعد بالنبوة لو تم امره الذي وعد به قومه ولم يتم فلم يكن نبيا كما يشير
اليه قوله في الحديث ضيعه قومه فان قلت فما فائدة هذا الوعد حينئذ قلت
فائدته اعلامهم بحقية امر البرزخ والارهاص ببعثة نبينا الذي كشف بعض احواله والرس
براء مفتوحة وسين مشددة مهملتين وهي بير لم تطو ام نبي بالحجارة وعن كعب الاحبار
ان نبي اهل الرس هو المذكور في سورة يس القائل يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي
وان قومه قتلوه وطرحوه في بير يقال لها الرس بانطاكية وهو حبيب النجار على القول
بنبوته وعن علي كرم الله وجهه انهم كانوا يعبدون شجرة صنوبر فدعى عليهم نبيهم وكان
من اولاد يهودا فيبست الشجرة فقتلوه ورسوه في بير فاظلتهم سحابة سودا فاحرقتهم
وقيل انه كان باذربيجان وفي اصحاب الرس اقوال اخر في التفاسير ومثل الكلام في
خالد بن سنان الكلام في حنظلة بن صفوان وزرادشت الذي تدعي المجوس ويذكر
المورخون نبوته قال البرهان زرادشت بزاي معجمة مفتوحة وراء مهملة والف ودال

مهملة مفتوحة وشين معجمة ساكنة وتاء مثناة فوقية هو صاحب كتاب المجوس هذا
هو المحفوظ وقيل الزاي المعجمة في اوله مضمومة انتهى وقيل داله مضمومة وقيل انها
معجمة وقيل انه كان نبيا حرفوا شريعته والمجوس من يزعم انه نبي وهم قوم من الكفار
الذين قالوا بالنور والظلمة ومنهم المانوية ولهم اصول فاسدة وكان زرادشت
حكيما ظهر في زمن كشتاسف ابن لهراسف واختلف في المجوس هل لهم شريعة وكتاب
ام لا والكلام فيهم وفي اخذ الجزية منهم مفصل في كتب الفقه تنبيه قال
نجم الدين الطوفي الحنبلي في تفسيره بعد ما ذكر كلام المص زرادشت متفق على عدم نبوته
وهو من طبقة ماني ومزدك فلا شك في سبه ولعنه فهذا الواهم من القاضي او راوي خبره
حبرا انتهى اقول قال الشهرستاني في الملل والنحل زرادشت حكيم مجوسي ظهر في
زمن موسى عليه الصلاة والسلام من اذربيجان وهو كما تزعم الصابئة نبي مرسل
دينه عبادة الله والكفر بالشيطان والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والخبائث
وقال النور والظلمة اصلان متضادان كيزدان واهرمن وهما مبدا موجودات
العالم حدثت التراكيب من امتزاجهما والباري خلق النور والظلمة وانما حدثت
الشرور والخبائث من امتزاجهما وهو الذي مزجهما لحكمة وهو واحد لا شريك له وله
كتاب سماه زند وستا صنفه وقيل انه انزل عليه انتهى ومنه تعلم انه من قوم من الصابئة
لكنه اقرب الى الحق من بقيتهم وترك سبه اولى لانه موحد ولعل المجوس حرفوا ما نقلوه
عنه وفي كلام المص ايماء لهذا ثم رايت ما ذكره القاضي في كتب سائر الشفا فيه وانه
كان انزل عليه كتاب ثم رفع ومنه يعلم صحة ما في الشفا وان ما قاله الطوفي غير مسلم وما
كل داء يعالجه الطبيب فاعرفه فليس الحكم في سابهم اي من سب هؤلاء المختلف في نبوتهم
وملكيتهم والكافر بهم اي من انكرهم او انكر نبوتهم وملكيتهم كالحكم فيمن قدمناه ممن
اتفق على انه نبي او ملك اذ لم يثبت لهم اي لهؤلاء المختلف فيهم تلك الحرمة اي الاحترام
لرفعة مقامهم ووجوب تعظيمهم وتوقيرهم ولكن يزجر اي يمنع بزجر وتغليظ القول
له من تنقصهم اي من ذكرهم بما فيه ذم ونقص لهم واذاهم اي ذكرهم بما فيه اذية لهم
ويؤدب اي يعزر بما يليق به من ضرب وحبس ونحوه من انواع الاهانة بقدر حال
المقول فيهم على قدر مراتبهم في الشرف يكون مقدار الزجر والتاديب مفوضا لراي
الحاكم لا سيما اي احق بذلك واولى بذلك من تكلم في حق من عرفت صديقيته
والكلام عليها تقدم وشهرته تغني عن اعادته والصديقية بكسر الصاد وتشديد
الدال المهملتين وبالتحتية ساكنة وقاف تليها ياء نسبة وهي صيغة مبالغة من الصدق
ضد الكذب وهو معروف قال الراغب الصديق من كثر منه الصدق وقيل هو من
صدق بقوله واعتقاده وحقق صدقه بفعله قال تعالى في حق ابراهيم عليه الصلاة
والسلام انه كان صديقا نبيا وقال تعالى اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين فهم قوم دون الانبياء في الفضيلة انتهى اي من عرف معظم تصديقه
بالله وباياته وشرائعه ومن عرف فضله منهم اي ممن ذكرناه وان لم تثبت نبوته

اى

اى كونه نبيا بنص معلوم لكنه علم فضله وصديقيته فانها كافية في لزوم توقيره
كمريم واسية واما انكار نبوته اي نبوة من لم يتفقوا على انه نبي او انكار كون
الآخر من الملائكة المتفق على ملكيتهم كجبريل مثلا فهو في هذا التفصيل فان كان المتكلم
في ذلك المقول في حقهم ما تقدم من تنقيص او انكار من اهل العلم العالمين بما
قاله علماء السلف الثقات فلا حرج اي لا اثم عليه ولا تضييق لعله بما يقول له نقلا عنهم
لاختلاف العلماء المجتهدين والمرجحين المعول عليهم في ذلك المذكور من كونهم
انبياء وملائكة اولا وان كان الذي ذكرهم بما تقدم من انكار ونحوه من عوام الناس
الذين لم يعلموا ذلك ولم ينقلوه عن اهله زجر ونهي عن الخوض في مثل
هذا اي التكلم والمحادثة به واصله المشي في الماء الغير العميق فاستعير للتلبس بالامر
والتصرف فيه اي نهي ومنع عنه وعن المجادلة فيه والتكلم فيما لا يعنيه وهو الامر الذي
فيه خلاف من غير علم به لانه ليس اهلا له فقد يقع في ورطة تجره لما يصعب عليه الخلاص
ولذا استعار له الخوض الذي هو المشي في الماء على سبيل الكناية والتخييل فان الماشي في
الماء لا يرى ما يمشي عليه من الارض فربما صادف ماء عميقا لجة فيغرق ولذا احسنت هذه
الاستعارة بما لا يجد من الكلام كما مر فان عاد للتكلم ولم ينته بالزجر ادب بضرب ونحوه
لان اصراره على التكلم في مثله دليل على انه متهاون بمن لا يليق به الا تعظيمه ويكون تاديبه بحسب
المقول فيه كما مر اذ ليس لهم اي للعوام الكلام في مثل هذا لعدم اهليتهم واحتياج الناس
لكلامهم وقد كره السلف اي من ائمة الدين الاعلام الكلام في مثل هذا الامر الذي
اختلف فيه مما ليس تحته اي في معناه وما يدل عليه فكانه امر يجب ستره عمل من اعمال
العبادة والطاعة فتركه لا يفوت به شيء وذكره لا يترتب عليه امر من الطاعة لاهل
العلم متعلق بقوله كره فكيف بالعامة الذين لا علم عندهم فهو احق بالكراهة والمنع
من الخوض في مثله والتكلم فيه فمن حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه ولذا قال صلى
الله عليه وسلم لما ذكر من قال لا اله الا الله محمد رسول الله صادقا حرمه الله على
النار فقال معاذ ابشر الناس بهذا فقال لا اذن يتكلوا اي يتركوا العمل والعبادة
لامنهم من العذاب فليس للوعاظ والعلماء الاكثار من الترغيبات في العفو ومنه
الحكمة المسكوت عنها التي ذكرها الشارح فصل اعلم ان من استخف
بالقرآن اي تهاون بتعظيمه وتوقيره او المصحف بضم الميم وكسرها وقيل فيه
التثليث وهو مجموع المصحف من اصحف اذا جمع وهو مخصوص بالقرآن او استخف
بشيء منه كبعض اجزائه قال ابن حجر ومن الاستخفاف به القاؤه في القاذورات
لغير عذر ولا قرينة تدل على عدم الاستهزاء وان ضعفت والمراد بها النجاسات
مطلقا بل والقذر الطاهر ايضا كما صرح به بعضهم وكالقاء المصحف ونحوه بالقذر
تلطيخ الكعبة وغيرها من المساجد بنجس ولو قيل ان تلطيخ الكعبة بالقذر الطاهر
كذلك لم يبعد الا ان كلامهم ربما يأباه والقاء المصحف في المكان القذر كالقائه في القاذورات
انتهى ملخصا او سبها اي سب القرآن او شيئا منه والمراد به ألفاظه والمراد بالمصحف

صور الغافلة الموسومة وما كتبت فيه أو كذب به أي كذب القرآن بتكذيب ما فيه
أو جحده أي أنكره تعنتا وعنادا والفرق بين التكذيب والجحد أن الأول مطلق الإنكار
والثاني الإنكار لما يعلم حقيقته عنادا أو حرفا منه أي كذب أو جحد حرفا من القرآن
كإنكار سورة منه أو آية أي أنكر آية منه ومراده لا تزد الزيادة والنقص
الواقع في القراءات فإنه وقع زيادة بعض حروف وكلمات فيها بل آيات كالبسملة
في الفاتحة فإنه ليس زيادة ونقصا من القارئ لتواتره فإن ما بين دفتي المصحف
متواتر أو كذب به أي بحرف منه ملفوظا أو مكتوبا أو كذب بشيء منه أي مما
تضمنه من الأحكام وغيرها أو كذب بشيء مما صرح به كبعض الرسل المصرح بهم
فيه من حكم من أحكامه الشرعية كالصلاة والزكاة والحج والعمرة أو خبر مما أخبر به
كإباء إبليس السجود لآدم عليه الصلاة والسلام وغيره أو أثبت ما نفاه القرآن
أو نفى ما أثبته كنفي بعض الخوارج سورة يوسف وقولهم إنها ليست قرآنا على علم
منه بذلك المذكور من النفي والإثبات بخلاف ما أثبته أو نفاه على غير علم أو شك في
شيء من ذلك المذكور كله فهو كافر بسبب ما صدر منه عند أهل العلم بإجماع
من أهل العلم المعتد بهم ثم استدل على ما ذكر فقال قال الله تعالى وإنه أي القرآن
المذكور في قوله إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم لكتاب عزيز أي منيع محمي بحماية
الله كما قال إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد هو مثل ضربه الله لنفي تطرق الإبطال به
وأنه لا يتوصل إليه فلا يجد طعن طاعن إليه سبيلا لأنه في غاية الإحكام والرصانة
فلا يتطرق الباطل له من جهة من الجهات فقوله من بين يديه ولا من خلفه كناية عن سائر
الجهات كما في الكشاف وغيره في شروحه والباطل فسرهما بالشيطان والسحر ثنا اختصار
حدثنا وقد يكتفى برسم نا كما بين في مصطلح الحديث ومواضعه من [illegible] الفقيه أبو
الوليد هشام بن أحمد تقدم بيانه قال حدثنا أبو علي الحافظ الغساني الثقة
وقد تقدم قال حدثنا ابن عبد البر النمري الحافظ إمام أهل المغرب بل الدنيا
كما تقدم قال حدثنا ابن عبد المؤمن هو عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن القرطبي
وله ترجمة مفصلة في الميزان قال حدثنا ابن داسة بمهملتين مفتوحتين الإمام
أبو بكر راوي سنن أبي داود كما تقدم تفصيله قال حدثنا أبو داود سليمان
ابن الأشعث السجستاني صاحب السنن وقد قدمنا ترجمته قال حدثنا أحمد
ابن حنبل إمام أهل السنة كما تقدم قال حدثنا يزيد بن هارون أبو خالد
السلمي الواسطي أحد الأعلام كما تقدم قال حدثنا محمد بن عمرو بن علقمة بن
أبي وقاص الليثي احتج له الشيخان وغيرهما توفي سنة مائة وأربعة وأربعين عن
أبي سلمة أحد الفقهاء السبعة عند بعضهم وفي اسمه اختلاف تقدم في ترجمته عن أبي
هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه أبو داود
وأحمد في مسنده قال صلى الله عليه وسلم المراء بكسر الميم وراء مهملة قبل مد مصدر

ماراه

ماراه بمادته سواس المرية قال الراغب هي التردد في الأمر وهي أخص من الشك
قال تعالى ولا تكن في مرية من لقائه والامتراء والمماراة المحاجة فيما فيه مرية قال
تعالى ما كانوا فيه يمترون وقال تعالى فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا وأصله من مريت
الناقة إذا مسحت ضرعها للحلب انتهى في القرآن كفر وفي رواية أبي داود لا تماروا
في القرآن فإن مراء فيه كفر تأول بعض أئمة العربية والهمزة وبرا ومشددة
ولام مجهولا تأويله فسره بعضهم بمعنى الشك وفسره آخرون بمعنى الجدال
الشك معلوم والجدال من الجدل وهو النزاع والمغالبة من جدلت الحبل إذا أحكمت
فتله كأن كل أحد يفتل صاحبه عن رأيه ويصرفه وقيل أصله الصراع لإسقاط
كل إنسان صاحبه على الجدالة وهي الأرض الصلبة قال تعالى قالوا يا نوح قد
جادلتنا فأكثرت جدالنا الآية قاله الراغب وفي نهاية ابن الأثير تبعا للهروي
المراء الجدال والتماري والمماراة المجادلة على مذهب الشك والريبة ويقال
للمناظرة مماراة لأن كل واحد يستخرج ما عند صاحبه ويمتريه كما يمتري الحالب
اللبن من الضرع وقال أبو عبيد ليس وجه الحديث عندنا على الاختلاف في التأويل
ولكنه على الاختلاف في اللفظ وهو أن يقرأ الشخص على حرف فيقول الآخر ليس هو هكذا
ولكنه على خلافه وكلاهما منزل مقروء به فإذا جحد كل واحد قراءة صاحبه لم يؤمن
أن يكون ذلك أخرجه إلى الكفر لأنه نفى حرفا أنزله الله على نبيه صلى الله عليه
وسلم والتنكير في لفظ مراء في رواية أبي داود إيذان بأن شيئا منه كفر فضلا عما زاد عليه
وقيل إنما جاء هذا في الجدال والمراء في الآيات التي فيها ذكر القدر ونحوه مما هو على
مذهب أهل الكلام والأهواء والآراء دون ما تضمنته من الأحكام من الحلال والحرام فإنه
مما جرى بين الصحابة والعلماء من بعدهم والغرض الباعث عليه ظهور الحق ليتبع دون
الغلبة والتعجيز انتهى وقيل الأظهر أن المراد بالمراء الاختلاف في القرآن المتواترة
كما في البخاري ولا يخفى أنه القول الأول بعينه فلا وجه لعده وجها آخر وعن ابن
عباس رضي الله عنهما في حديث رواه ابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
من جحد أي أنكر آية من كتاب الله من المسلمين الذين لم يجرب عليهم إسلامهم فقد
حل ضرب عنقه أي قتله لتكذيبه لله ولرسوله وكذلك أي مثل من جحد آية
من القرآن فأوجب ذلك قتله أي جحد التوراة والإنجيل وسائر كتب الله المنزلة
بجملتها إجمالا أو كفر بها بإنكار نزول الوحي على الرسل أو لعنها أو سبها أو سب بعضها
أو استخف بها أي إهانتها وحقرها فهو كافر لأنها كلها كلام الله سواء قلنا بالكلام
النفسي أو بقدم الألفاظ على مذهب السلف والشهرستاني صاحب الملل والنحل على ما
نقله عنه في المواقف وارتضاه المحققون وقد أجمع المسلمون على أن القرآن المتلو
أي المقروء بألسنتنا في جميع أقطار الأرض أي نواحيها وجهاتها المعمورة جمع قطر بضم
فسكون بمعنى ناحية وجانب المكتوب في المصحف وفي نسخة في المصاحف بأيدي
المسلمين مما جمعه الدفتان مثنى دفة بفتح الدال المهملة وضمها وهو جانب المصحف

عرض

الذي بينه من جلد وخشب ونحوه ومنه دفة السفينة لسكانها وروى فيه الدفات بالجمع مكان المثلثة من اول الحمد لله رب العالمين الى اخر قل اعوذ برب الناس اي من اول هذه السورة فانه علم لها بالغلبة بناء على قراءة الحمد لله الخ وهذه السورة فهو شامل لمن قال ان البسملة اية منها ولمن قال بخلافه على الخلاف المشهور فيها وهذا كما قيل في حديث كانوا يفتتحون القراءة بالحمد لله رب العالمين انه اسم من اسماء الفاتحة اي كانوا يفتتحون السورة المسماة بالحمد لله الخ فلا حجة فيه على ان البسملة ليست اية منها ومثله عبارة المصنف فلا وجه لما قيل من انه بناء على مذهب مالك من ان البسملة ليست اية منها فان العبارة جارية على المذهبين ويجوز في قوله الحمد لله رب الحمد والرفع على الحكاية وكذا النصب على حكاية قراءة شاذة فيه قيل ويجوز كسر الدال اتباعا للام انه كلام الله تعالى ووحيه المنزل بواسطة جبريل عليه الصلاة والسلام على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان جميع ما فيه حق اي ثابت لا ريب فيه لفظا ومعنى من امر ونهي وخبر ومواعظ وان من نقص منه حرفا قاصدا لذلك فان لم يقصده لنسيان ونحوه فلا حرج فيه او بدله بحرف اخر مكانه مع كونه ثابتا فيه على انه اسقط ذلك واثبت هذا او زاد فيه حرفا لم يقرأ به مما لم يشتمل عليه المصحف العثماني المسمى بالامام الذي وقع الاجماع من الصحابة عليه واجمع بفتح المهملة وقيل اجمع مبني للفاعل بمعنى نصه وعزم على انه ليس من القران اي ما زاده فيه ولو حرفا عامدا بالقصد لكل هذا انه كافر فان قلت ما بين الدفتين يشمل البسملة في اول كل سورة فانها ثابتة في المصحف العثماني وقد اسقط القراء السبعة فصلا ووصلا فيلزم تكفير من قال الغالبية قرانا في اوائل السور قلت المراد بما بين الدفتين ما اثبت فيه متفقا على انه قرانية وهذا ليس كذلك فهو كاسماء السور وهذا معلوم من قوله الذي وقع الاجماع عليه فخرج ما ذكر والمراد بتبديل القران تغييره بتبديله مع اعتقاد انه قران فلا يدخل فيه من يترجم القران بالفارسية ويحيل به لعجزه عن التكلم بالعربية كما في رواية عن ابي حنيفة فان المترجم لا يقول ان كلامه قران وكلام الله وهذا مع ظهوره خفي على بعض الشراح حتى اجاب بان ابا حنيفة رجع عن هذا القول وهو مما يقضي منه العجب ولو كان كذلك كان حكمه بكفر قايله قبل الرجوع ولهذا اي لاجل ان جميع ما في المصحف حق وان من زاد فيه او نقص كافر راى الامام مالك قتل من سب عايشة ام المومنين رضي الله عنها بالفرية بكسر الفاء مصدر اي الافتراء والكذب عليها بما افترى له المنافقون في قصة الافك المشهورة وتعريف الفرية للعهد لانه خالف القران الذي نزل فيه براءتها من تلك الفرية ومن خالف القران عمدا قتل اي لانه كذب بما فيه مكذب الله ورسوله مع اثبات ما يقتضي مقام النبوة كما لا يخفى وقد اعترض على هذا المنقول عن مالك في حق عايشة فانه لا يعم مدعي ودليلا بانه ارادتكذيب القران فيه انه كذبه حيث قذف عايشة فلا نص فيه على ذلك لان خصوص السبب غير معتبر في تخصيص الحكم وان اراد ان

ابن افيرس

مخالفة القران بارتكاب ما صرح به فيه من النهي فيلزم تكفير كل من ارتكب كبيرة ورد في القران النهي عنها وليس كذلك الا ان يستحل ما ارتكبه بعد العلم به مع انه قد صرح في الاية بانه يجلد على انه لو سلم انه كفر يكون حكمه حكم المرتد فان اسلم لا يقتل وجوابه ان هذا مخصوص بعايشة عند مالك قال القرطبي من سب عايشة رضي الله عنها مطلقا كفر لقوله عز وجل يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مومنين لانه فيه اذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بهتك عرض زوجاته فهو كفر قال هشام بن عمار سمعت هذا من مالك وقال ابو بكر بن عربي قال اصحاب الشافعي من سب عايشة ادب كسائر المومنات وقوله ان كنتم مومنين لا يقتضي كونه كفرا حقيقة كحديث لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن ولنا ان اهل الافك رموا عايشة المطهرة بفاحشة برأها الله منها ومن سب من براه الله بما براه منه فقد كذبه ومن كذب الله فهو كافر وهذا طريق قول مالك وقيل عليه ان ما نقله ابن عربي عن الشافعية ليس كذلك فانه صرح في شرح الروض بخلافه وان مذهبهم كمذهب مالك في خصوص عايشة وقال في الكافي ايضا ولو قذف عايشة بالزنا صار كافرا بخلاف غيرها من الزوجات لان القران العظيم نزل ببرائتها وبانه ايضا حكم قذف غيرها في كلام المصنف نقلا عن ابن شعبان وقال ابن القاسم من ائمة المالكية من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما يقتل لانه كذب الله في قوله وكلم الله موسى تكليما واتى بالمصدر الموكد تنبيها للاية وايما الى انه نص فيه ما يمنع عن تاويله وحمله على المجاز فيه وهذه المسئلة تقدمت في نفي صفات الله فلا تكرار في كلامه وقاله اي ما ذكر من نفي تكليم الله لموسى عبد الرحمن بن مهدي بن حسان ابو سعيد البصري اللولوي الحافظ احد الاعلام في الحديث قال ابن المديني كان اعلم الناس بالحديث ولد في ثلاث وستين سنة ومائة وتوفي في سنة ثمان وتسعين ومائة واخرج له الستة وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان بكسر الواو المشددة وهما سورة قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس سميتا بها ولهما ليستا اي السورتان من كتاب الله اي القران يضرب عنقه اي يقتل الا ان يتوب فيرجع عما قاله وهذا اشارة الى ما اشتهر عن ابن مسعود من ان المعوذتين ليستا من القران وانهما دعاء كان يتعوذ بهما النبي صلى الله عليه وسلم كقوله اعوذ بكلمات الله التامة من كل هامة ولامة وقد قال ابن حزم انه افترى عليه وكيف يتوهم في مثله من اهل اللسان من عدم الفرق بين الكلام المعجز وغيره وسبب الغلط انه لم يكتبهما في مصحفه اكتفاء بحفظه او انه كتب مصحفه قبل نزولهما وكان لكل احد من كبار الصحابة مصحف يخصه فلما كتب المصحف العثماني بمعرفة الصحابة تركت تلك المصاحف كلها وفي الانوار من كتب الشافعية وانه لو قال ليست المعوذتان من القران اختلف في كفره وقال بعضهم ان كان عاميا كفر او عالما فلا قال ابن حجر في الاعلام والوجه تكفير منكر المعوذتين اذا كان مخالطا للمسلمين لان ذلك لا يخفى على احد منهم وقال في فتاويه وكذا يكفر من انكر اية او حرفا من القران مجمعا عليه كالمعوذتين بخلاف البسملة فان قلت فقد انكر

ابن افيرس

عرضي

ابن مسعود كون المعوذتين قرآنا قلت قال النووي يشبه انه كذب عليه فان قلت هل
من جواب على تقدير الصحة التي انتصر لها شيخ الاسلام ابن حجر وبين انه جاء من طرق صحيحة
قلت الجواب عنه انه لم يستقر الاجماع عنده انكاره على كونهما قرآنا اما الان فقد ثبت كونهما معلوما
من الدين بالضرورة وكفر منكرهما على ان ما روي من انكاره انما هو انكار رسمهما في مصحفه
لا لكونهما قرآنا كما قاله الباقلاني وغيره لانه لم يثبت في المصحف الذي عنده الا ما امر النبي
صلى الله عليه وسلم باثباته وهو لم يجده مكتوبا عنده ولا سمع امره به انتهى ولذلك
كل من كذب بحرف منه اي يجترم عنقه الا ان يتوب قال سحنون ولذلك اي
يقتل ان لم يتب ان شهد شاهد عدل على من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى
تكليما كما مر وشهد اخر عليه اي على من قال ذلك القول انه قال ايضا ان
الله تعالى لم يتخذ ابراهيم خليلا يقتل لانه ينفي ما اثبته الله فهو تكذيب لله
ورسوله لانهما بما شهدا به عليه اجتمعا على انه كذب النبي صلى الله عليه وسلم
فيما جاء به من الوحي من ورود تكليمه واتخاذه خليلا في القرآن مصرحا به وفي هذا
اشارة الى مسيلة ذكرها الفقهاء وهي تلفيق الشهادة بان يشهد كل منهما على شي
غير ما شهد عليه الاخر بحيث العبارة لكن المعنى المقصود منهما واحد فهل ينظر للاول
فلا تقبل الشهادة او للثاني فتقبل كان يشهد شاهد على انه وكله في اموره ويشهد اخر
على انه جعله وصيا له في حياته او وكله في بيع هذه الجارية واخر انه وكله في بيعها
وبيع عبد اخر معها ويسمى تلفيقا وتواردا عند الفقهاء وله نظائر كثيرة وللفقهاء فيه
خلاف مفصل في كتب الفقه وقال ابو عثمان بن الحداد القاضي البصري
الشافعي الكناني صاحب التآليف البديعة والاثار العجيبة توفي في سنة اربع واربعين
وثلثمائة وترجمته في التواريخ غنية عن الاعادة كذا في بعض الشروح ولست على ثقة
منه جميع من ينتحل التوحيد اي ادعاه وانتسب اليه ويستعمل كثيرا بمعنى الزعم
والنحلة والعطية والهبة ايضا وهي بحاء مهملة كناية هنا عن اهل الاسلام الموحدين
وما قيل من انه عبر به هنا لانه تصديق وكيفية نفسية يخلقها الله عز وجل من
غير دخل للعبد فيها وانما هو يدعيها لنفسه ويتسمى بها تكلف وكلفة متفقون على
ان الجحد لحرف من التنزيل اي القرآن المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم
كفر وعداه بالباء وهو متعد بنفسه لواحد او لاثنين او باللام كما وقع في بعض
النسخ للتقوية لتضمنه الكفر لقوله بعده كفر وقال ابو العالية تقدم في ترجمته
ان ابا العالية متعدد ولا يدرى المراد به هنا منهما اذا قرأ عنده رجل بقراءة
غير التي قرأ بها لم يقل له اي لمن قرأ عنده انه ليس كما قرأت لئلا يكذب شيئا من
القرآن ويقول القائل اما انا فاقرأ كذا تباعدا عن الانكار صريحا فبلغ
ذلك اي قول ابي العالية ابراهيم الظاهر انه النخعي لشهرته كما تقدم في ترجمته
ويحتمل انه التيمي فقال ابراهيم اراه بضم الهمزة اي اظنه ويجوز فتحها سمع انه
من بدل من الضمير اي المخبر عنه من كفر بحرف منه فقد كفر بكله اي القرآن وقال

عرض

اثنان

عبد

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فيما رواه عبد الرزاق عنه من كفر باية من القرآن
فقد كفر به كله لانه مكذب لقائلها عز وجل فقال اصبغ بن الفرج بالجيم المصري
من كذب بالتشديد ببعض القرآن فقد كذب به كله ومن كذب به كله فقد كفر به
ومن كفر به فقد كفر بالله سبحانه وقد سئل ابو الحسن القابسي الحافظ وتقدمت
ترجمته عمن خاصم يهوديا فحلف اليهودي له بالتوراة فقال الاخر الذي خاصمه لعن
الله التوراة فشهد عليه شاهد واحد بذلك الذي قاله ثم شهد اخر انه سأله
عن القضية التي جرت بينهما فقال اللاعن انما لعنت توراة اليهود المحرفة
التي يقرؤونها بينهم فقال ابو الحسن القابسي المسؤول عنه الشاهد الواحد لا يوجب القتل لعدم
نصاب الشهادة عليه والشاهد الثاني علق الامر الذي شهد به بصفة هي توراة اليهود
التي يتدارسونها بينهم وتلك الصفة التي تحتمل التاويل في كلام اللاعن لان توراة
اليهود تحتمل التي نزلت على نبيهم وتحتمل التي حرفوها وانها توراتهم لا توراة نبيهم وكلام الله
اذ لعله اي القائل لعن الله التوراة لا يرى اي لا يعتقد ان اليهود متمسكين بشيء من
عند الله مما اوحي به لموسى صلى الله عليه وسلم لتبديلهم وتحريفهم التوراة التي اتى بها
موسى عليه الصلاة والسلام بتبديل بعض الفاظها وتاويل بعض بما لم يرده الله ولو
اتفق الشاهدان في شهادتهما على لعن التوراة لعنا مجردا عما قالاه ثانيا من
تعليقه بامر وتقييده بصفة تحتمل اضافتها لليهود لضاق التاويل عن صرفه عن ظاهره
لامر اخر ونقل ابن حزم ان بعضهم انكر تحريف التوراة وقال انها وصلت اليهم تواترا وانما اختلفوا
في تفسيرها وهذا لا ينبغي لمسلم ان يعتقده بعدما قص الله تعالى تحريفهم الكلم عن مواضعه
والقرآن والاحاديث شاهدة بخلافه فلا حاجة لنا بالاشتغال بمثله وعملت ولي تعريف
التوراة في كلامه للعهد اي نسختها المحرفة المبدلة وقد اتفق فقهاء بغداد المدينة المعروفة
وهي فارسية معربة وفيها لغات هذا اشهرها وتعجم الدال الاخيرة توبوا على استتابة ابن
شنبوذ اي على انه طلب منه التوبة عما صدر منه مما ياتي المقرئ اسم فاعل بزنة مكرم
مهموز الاخر وهو العالم بعلم القرآن ووجوهها من كيفية الاداء المعروفة وابن شنبوذ
هو ابو الحسن محمد بن احمد بن ايوب بن الصلت بن شنبوذ بفتح الشين المعجمة وسكون النون
وضم الباء الموحدة وواو ساكنة وذال معجمة علم اعجمي جمع شناذ وهو علم بنونه ممنوع من
الصرف وتردد الشمني في انه يجري ولا يجري اي ينصرف ويمنع من الصرف لا وجه له وهو احد
ائمة المقرئين المتصدرين للاقراء بها اي ببغداد مع ابن مجاهد احمد بن موسى بن العباس
ابن مجاهد التميمي الاستاذ ابو بكر البغدادي وشيخ القراء وهو اول من جمع القراءات ولد سنة
خمس واربعين ومائتين وكان ابن شنبوذ من مشاهير علماء القراءات من اقران ابن مجاهد وكان
بينهما منافسة ومخاصمة وكان من الاعيان العلماء الروساء مع غفلة فيه ولما تصدر للاقراء في
القراءات انكروها عليه فعقد له مجلس واثبت عليه ذلك فاغلظ عليه القول وضرب بالسياط
وحبس من علو الناس عليه فاخرج لمدائن او البصرة ثم عاد لبغداد وكتب عليه محضر بعد
استتابته ان لا يقرأ بما كان يقرأ به في الصلاة وغيرها من الشواذ كما قال المصنف لقراءته

جمع شاذ وهو ما لم يتواتر

واقرأ بشواذ من الحروف جمع حرف بمعنى الوجه واللغة وهو احد الوجوه في حديث انزل القرآن على سبعة احرف كلها كاف شاف والمصدران تنازعا قوله بشواذ **مما ليس في المصحف** تعريفه للعهد والمراد به مصحف عثمان بن عفان المسمى بالامام والذي ذكره ابن الانباري في طبقات النحاة انه كان يرى القراءة بالرأي فيما وافق العربية والسبيل كلام الزمخشري والرضي والذي شدد عليه النكير الوزير ابن مقلة الآتي ذكره فدعا عليه ابن شنبوذ ان يقطع الله يده ويشتت شمله فاستجاب الله دعاءه فيه وتوفي في سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة يوم الاثنين لثلاث خلون من صفر وكان مجاب الدعوة وفي القاموس انه احمد بن احمد بن شنبوذ وهو مخالف لما في التواريخ **وعقد واعطيه** العقد اصل معناه الربط مقابل الحل والمراد به ما يجيء من غير تردد فيه والعهد ايضا **بالرجوع عنه** اي عما كان يذهب اليه من الاقراء بما ليس في المصحف العثماني مما تقدم **والتوبة منه** باعترافه بخطائه وندمه مع العزم على عدم الرجوع اليه **سجلا** بكسر السين والجيم وتشديد اللام وهو في الاصل اسم لما يكتب فيه كقوله تعالى كطي السجل اي كطيه لما كتب فيه حفظا له ثم اختص في العرف بما يكتب فيه حجة شرعية وثيقة وهو المراد هنا **اشهد فيه** بيناء الفاعل اي رضي شهادة من حضر **بذلك** اي برجوعه وتوبته **على نفسه في مجلس الوزير ابي علي بن مقلة سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة** من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام والوزير الكاتب المشهور استوزره الخليفة المقتدر بالله سنة عشر وثلاثمائة ثم قبض عليه سنة ثمان عشرة وصادره ونفاه الى فارس ثم استوزره القاهر بالله واتهمه بامر فاستعفاه من الوزارة فلما تولى الراضي بالله سنة اثنين وعشرين استوزره ثم غضب عليه وقطع يده وسجنه فقال وهو مسجون

خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها ۝ فلسنا من الاحياء فيها ولا الموتى
اذا جاءنا السجان يوما لحاجة ۝ فرحنا وقلنا جاء هذا من الدنيا
ونفرح بالرؤيا فجل حديثنا ۝ اذا نحن اصبحنا الحديث عن الرؤيا

ومن الحكمة السجن قبر الاحياء والوزير وكيل السلطان في تصرفاته واختلف في اشتقاقه هل هو من الوزر بالسكون والتحريك او من الازر بالهمز لكونه يشد ازره او يتحمل ثقله واوزاره والى ذلك اشار الغزي بقوله

هل الوزير ولا ازر يشد به ۝ مثل العروض له بحر بلا ماء

وكان ممن افتى عليه بذلك اي بما لزمه **ابو بكر الابهري** المالكي احد فقهاء بغداد المشهورين بها والابهري بفتح الهمزة والباء الموحدة وسكون الهاء بينهما وراء مهملة نسبة الى ابهر مدينة مشهورة وقبلها هاء ساكنة وبعدها راء مفتوحة **ولذا غيره** من العلماء بها **وافتى الشيخ ابو محمد ابن ابي زيد** القيرواني وتقدمت ترجمته **بالادب** اي بالتاديب والتعزير بما يليق به **فيمن قال لصبي** يتعلم القرآن **لعن الله معلمك** اي الذي علمك القرآن واقرأك **وما علمك** اي ولعن ما علمك وهذا هو الذي يحمل عليه منه لان الذي علمه معلوم لا يجوز الاستخفاف به فضلا عن لعنه فهو بحسب الظاهر مستكره جدا فان اوله **وقال** اللاعن

اردت

اردت بالمذكورة الصادقة على المقرئ وصفته التي دفع عليها وهو **سوء الادب** في حال قراءته وعدم تعظيم ما قرأه ووقوعه على حال غير مستحسنة كان القارئ اذا ذكر وهامن خالقها سوء ادبه **ولم ارد** بما في كلامي **القرآن** الذي تعلمه **قال ابو محمد ابن ابي زيد واما من لعن المصحف** وفي نسخة من لعن القرآن **فانه يقتل** لكفره لانه على الله تعالى وعلى كلامه ولعنه ما يرة عليه والمراد انه يكفر فيستحق القتل

فصل وسب آل بيته وازواجه امهات المؤمنين واصحابه صلى الله وسلم عليه وعليهم اجمعين السب الشتم كما مر وآل النبي صلى الله عليه وسلم للفقهاء فيهم اختلاف مذكور في كتب الفروع فذهب الشافعي الى انهم علي وفاطمة وولدهما والعباس وجعفر وعقيل وآلهم وهم من لا تحل لهم الزكاة من بني عبد المطلب لحديث نحن وبنو المطلب شيء واحد لم نفترق في جاهلية ولا اسلام وشبك بين اصابعه وبقية الكلام عليه مفصل في محله وازواجه جمع زوج وزوجة وهي المنكوحة والاصحاب جمع صاحب وهو من لقيه صلى الله عليه وسلم مسلما **وتنقصهم حرام** شرعا لكرامتهم عند ربهم وثناء الله عليهم في كتابه العزيز في آيات عديدة **ملعون** مطرود مبعد من رحمة الله **فاعله** ومن يعد رحمه فضدها ثم اوضحه بحديث صحيح رواه الترمذي فقال **حدثنا القاضي الشهيد ابو علي** هو الحسين بن محمد بن فيرة الصدفي المعروف بابن سكرة لما تقدم **قال حدثنا ابو الحسين الصيرفي** تقدم ايضا **وابو الفضل العدل** هو احمد بن الحسين بن خيرون الحافظ كما تقدم **قالا حدثنا ابو يعلى** احمد بن عبد الواحد المعروف بزوج الحرة كما تقدم **قال حدثنا ابو علي السنجي** احمد بن محمد المروزي كما تقدم **قال حدثنا ابن محبوب قال حدثنا الترمذي** صاحب السنن وقد تقدمت ترجمته **قال حدثنا محمد بن يحيى** بن عبد الله بن خالد بن فارس ابو عبد الله الذهلي توفي سنة خمس وخمسين ومائتين **قال حدثنا يعقوب بن ابراهيم** بن سعد الزهري توفي سنة مائتين وثمان واخرج له الستة كما تقدم **قال حدثنا عبيدة بن ابي رائطة** بفتح العين المهملة مثلها موحدة مكسورة عند الحفاظ كما قاله ابن ماكولا والذهبي وضم عبيدة كما في بعض النسخ خطأ من النساخ كما قاله السبكي وتبعه البرهان الحلبي وهو ثقة اخرج له اصحاب السنن **عن عبد الرحمن بن زياد** اخو عبيد الله بن زياد وهو غير معروف **عن عبد الله ابن مغفل** بزنة اسم المفعول مفتوح الغين المعجمة مشدد الفاء **قال** ابن مغفل رضي الله عنه **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله** بنصبهما تحذيرا وكرره ووضع الظاهر موضع الضمير مبالغة في التحذير وتأكيدا في تفخيم شانهم وتوقيرهم اي اتقوا الله **في حق اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي** اي بعد موتي فانهم في حياته صلى الله عليه وسلم لم يصبهم ما يخصهم من ضرر وفيه اخبار بالغيب فانهم بعد موته صلى الله عليه وسلم حل بهم امور عظيمة كقضية الدار وصفين وقتل الفاروق وتقدم ان الغرض هو الهدف الذي ينصب لترمى اليه السهام فشبه به من يذمهم ويطعن فيه ويلزمه تشبيه كلامه بالسهام التي ترمى كقوله

سهم اصاب ورامیه بذی سلم من بالعراق لقد ابعدت مرماك

وعلیه قول العارف بن الفارض نفعنا الله به عرضت نفسك للبلا فاستهدف
وعلوهنا استعارة وقیل انه تشبیه بلیغ ولیس لهذا اصل تفصیله والعامل هنا مقدّر
یجوز اظهاره وقیل انه لا یجوز اظهاره اذ التکرار لان الثانی قائم مقام العامل وقیل
اظهاره ایضا واجب مع فتحه کما تقدم عن الجزولی والکلام علیه مفصل فی کتب النحو قال
ابن حجر فی الزواجر اکد التحذیر من ذلك بقوله الله الله ای اخشوا الله علی حد قوله
ویحذرکم الله نفسه کما تقول لمن تراه مشرفا علی دقوعه فی نار دعظیمة النار النار
فمن احبهم فبحبی ای بسبب حبی لهم علی ما اثبتم عندی احبهم لا لغرض اخر من امور الدنیا
ومن ابغضهم فببغضی ای بسبب عداوتی لعداوة المشرکین ابغضهم لا لشیء اخر قال
ابن حجر بعد ما تقدم فتامل عظیم فضلهم ومناقبهم التی نوه بها حیث جعل محبتهم محبة له
وبغضهم بغضا له وناهیك بذلك جلالا لا وشرفا لحبهم وبغضهم عنوان محبته وبغضه ومن
ثمة کان حب الانصار من الایمان وبغضهم من النفاق لبذلهم الاموال والانفس فی محبته
ونصرته ومن اذاهم فقد اذانی لان المحب المخلص یسوءه ما یسوء حبیبه ویسره ما
یسره ویتاخره الاذیة عن البغضاء فی محجته لترتبها علیها ومن اذانی حقیقة بفعل ما
یسوءه فی نفسه واتباعه فقد اذی الله تقدم ان الاذیة ایصال الضرر فهی هنا
مجاز عن مخالفة امره ونهیه اذ لا یتصور الاذیة فی حقه عز وجل ومن اذی الله ای عصاه
یوشك سرعة بکم ای یقرب من ان یاخذه ای یهلکه بنکال وشیك واوشك ان
یخرج ای قرب اسراعه للخروج قال

وصار علی الادنین کلا واوشکت صلاة ذوی القربی له ان ینکرا

والاخذ کما قال الراغب حوز الشیء وتحصیله وذلك تارة یکون بالتناول
نحو معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده وتارة بالقهر کقوله تعالی لا تاخذه
سنة ولا نوم والمواخذة المجازاة انتهی وقد تقدم هذا ایضا فیاخذه هنا اما یعنی
یقهره او یجازیه علی اذیته وفی هذا الحدیث اشارة الی شدة قربهم منه صلی الله علیه وسلم
وتنزیلهم منزلة نفسه حتی کان اذیتهم اذیة له وانما قدم علیه ثم اظهر ذلك علی وجه الترقی
بقوله فقد اذی الله اذ لا یضر الله شیء فهو ایما لشدة قربه صلی الله علیه وسلم من الله
فهو مجاز بطریق الاعتبار والمجازی ایضا وقال رسول الله صلی الله علیه وسلم لا
تسبوا اصحابی فمن سبهم فعلیه لعنة الله والملائکة والناس اجمعین ثم لا کفر للعموم
لا یقبل الله منه صرفا ای توبة او طاعة یتصرف وجه بها الله ولا عدلا ای
فدیة او فریضة وقد تقدم الکلام علی هذا الحدیث فتذکره وقال صلی الله علیه وسلم
لا تسبوا اصحابی فانه یجی قوم ای ناس من المسلمین وصیغة انه صیغة شأن فی اخر
الزمان یسبونهم ای یسبون الاصحاب فلا تصلوا علیهم بعد موتهم ولا تصلوا
معهم ای لا تقتدوا بهم والنهی کما قیل تنزیهی لجواز الاقتدا بالمبتدع والصلاة خلف
کل بر وفاجر ولا تناکحوهم ای لا تتزوجوهم ولا تزوجوا منهم ولا تجالسوهم

اى

ای لا تعاشروهم ولا تخالطوهم وان مرضوا وانقطعوا فی بیوتهم لمرض اصابهم فلا
تعودوهم ای لا تذهبوا لعیادتهم وهو مبالغة فی اهانتهم وترکهم بالکلیة زجرا لهم باظهار
عداوتهم وهذا کله مما خرج مخرج التغلیظ علیهم وقیل انه یحتمل انه کشف له صلی الله علیه
وسلم عن سرائرهم وانهم کفرة باطنا ولا یخفی انه غیر صحیح فانه فی قوم غیر معینین والحکم
بالاسرار الباطنة لا یجوز لامته کما تقدم فکیف یامر به غیره وظاهر هذا الحدیث ان سب
الصحابة کفر مطلقا ولیس کذلك فان فیه تفصیلا یاتی فاما ان یحمل علی المبالغة والتغلیظ
فی الزجر وقد یقال انه من معجزاته صلی الله علیه وسلم اذ یکون من الاخبار عن المغیبات فاخبر
عن بعض من وقع منه ما هو کفر کبعض الرافضة کما ورد التصریح به فی بعض الاحادیث
کالحدیث الذی رواه البیهقی فی دلائل النبوة بسند حسن عنه صلی الله علیه وسلم انه قال
یخرج قبل قیام الساعة قوم یقال لهم الرافضة یرفضون الاسلام فاقتلوهم فانهم مشرکون
ولذلك اشار الصرصری فی قصیدته النونیة فی قوله

ولذاك اخبر ان سب صحابه ما للمصر علیه من غفران
علما بقوم یجهرون بسبهم من کل غمر فاحش لعان

وقد قیل من ابغض الصحابة من حیث انهم صحابة فقد ابغضه صلی الله علیه وسلم واذاه وایضا
منهم قوم صرحوا بما هو کفر وهم کفرة یتسترون بالرفض وحب اهل البیت فیأتی الحدیث
صریحا فی کفرهم من ترك الصلاة علیهم ومناکحتهم ومجالستهم وهم یرون ترك الجمعة والجماعة
وغیر ذلك مما هو کفر وعنه صلی الله علیه وسلم فی حدیث اخر من سب اصحابی
فاضربوه تعزیرا له واهانة لبدعته وفسقه وامثاله وفی الحدیث ایضا من سب اصحابی
فاجلدوه کما یاتی وقد اعلم النبی صلی الله علیه وسلم ان سبهم واذاهم من عطف العام
علی الخاص یوذیه وایذا النبی صلی الله علیه وسلم حرام بالاتفاق وایذا مصدر اذاه
ونقل فی القاموس لا تقل ایذا غلط کانه مصدر قیاسی وقد سمع ایضا وقد مر التنبیه
علی ذلك ایضا وفی نسخة واذی فقال لا تؤذونی فی اصحابی ومن اذاهم فقد
اذانی وقد تقدم ما فیه وفی الانوار لو استحل ایذا احد من الصحابة کفر وفی الاعلام
واستحلال ایذا اعز الصحابة مکفر ایضا کما هو ظاهر ویحمل تکفیر المستحل ایذا اصحابی
ما لم یکن عن تاویل ولو خطا لانه ظنی فله شبهة مانع الکفر تنبیه الحدیث
الذی تقدم ورواه الترمذی وقال انه صحیح حسن لا تسبوا اصحابی فو الذی نفسی
بیده لو ان احدکم انفق مثل احد ذهبا ما ادرك مد احدهم ولا نصیفه فیه
سؤال مشهور وهو ان المخاطب به الصحابة والحدیث هنا یقتضی خلافه واجیب
بان مراده باصحابی من اسلم قبل الفتح من السابقین الاولین والمخاطب من اسلم بعده
ویشیر الیه قوله مثل احد لقوله تعالی لا یستوی منکم من انفق من قبل الفتح الایة
فالمراد بالخطاب غیرهم وان شملت الصحبة الجمیع قاله السبکی وقال سمعت ابن عطاء الله
یقول فی وعظه للنبی صلی الله علیه وسلم تجلیات یری بها من بعده ویخاطبه ومنه خطابه
هذا وهو منزع صوفی وعلیه فالحدیث شامل لجمیع الصحابة وعلی غیره مخصوص بالمتقدمین

ابن اقبرس

ويدخل من بعدهم في حكمهم وعليهما الحرمة ثابتة للجميع والكلام في سب بعضهم معينا
او غير معين اما سب الجميع فقيل انه كفر بلا شك كسب الصحابي من حيث انه صحابي فانه
تعريض بسب النبي صلى الله عليه وسلم وعليه حمل قول الطحاوي بغضهم كفر فان سب
صحابيا لا من حيث كونه صحابيا وكان ممن تحققت فضيلته بان كان ممن اسلم قبل الفتح
كالراوي ض الذين يسمون الشيخين وهما السمع والبصر منه صلى الله عليه وسلم كما ورد في
الحديث ففيه وجهان فانه قد يكون لامر اخر دنيوي غير الصحبة وليس بكفر لانه لتقدم
علي واعتقاده بجهلهم انها طاعة وهما بريان من ذلك وفي كتب الحنفية ان سبهما وانكار
امامتهما كفر وفي صحة الصلاة خلفهم خلاف مبني على هذا هذا زبدة ما قاله السبكي
في فتاويه ونقله من خط الشافعي وقد سئل عن هذا الحديث فاجاب بانه جاء في الحديث
انه صلى الله عليه وسلم قال ليأتين على الناس زمان للعامل فيه اجر خمسين فقال الصحابة رضي
الله عنهم اجمعين منهم فقال بل منكم فيحمل الاول على الاتفاق خاصة والثاني على كلمة الحق
الان لدلالته على كمال الايمان لتوقع الضرر بقتل ونحوه لغلبة اهل الفساد والطغيان
وعدم الانصار والاعوان وهاهنا دقيقة وهي ان قوله تعالى لا يستوي منكم الاية نص
في ان ابا بكر رضي الله عنه افضل من جميع الصحابة فالكلام قد حمله بلا شبهة وفي الانوار
ان من انكر خلافة الصديق مبتدع لا كافر ومن سب الصحابة او عائشة من غير استحلال
فاسق واختلفوا فيمن سب ابا بكر وعمر دون غيره وفي كفر من سب الختنين وجهان **وقال**
صلى الله عليه وسلم في حديث اخر **لا تؤذوني في عائشة** الظاهر انه مخصوص بها رضي
الله عنها ويحتمل انه شامل لجميع امهات المؤمنين رضي الله عنهن ويدل للظاهر الاول
ما روي عن ابن عباس انها قالت اعطيت عشر خصال لم يعطهن ذات خمار قبلي صورت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان اصور في رحم امي ولم يتزوج بكرا غيري وكان ينزل
عليه الوحي وكان بين سحري ونحري وتوفي بين سحري ونحري ونزلت براءتي من السماء في
سبع ايات وكنت احب النساء اليه وابي احب الرجال اليه وخيرهم وخير رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو بين حاقنتي وذاقنتي ونزل في يومي ودفن في بيتي قال ابن المنير
ومن خصايص عائشة انها ولدت مسلمة باسلام ابويها قبل ولادتها قال وهذا الازم لاهل
السير والتواريخ ما يحكوه ولم ار احدا الشرعه قبل ذلك وفضايلها لا تحصى **وقال**
صلى الله عليه وسلم **في** حق **فاطمة** الزهراء رضي الله عنها هي **بضعة مني** قال في
مختصر النهاية البضعة بالفتح القطعة من اللحم وقد تكسر وفاطمة بضعة مني اي جزء
مني كما ان البضعة قطعة من اللحم انتهى والكسر به اشهر على الالسنة لانها متكونة من
مائه صلى الله عليه وسلم الذي هو جزء منه وفيه فضيلة لها لا تبا وبها غيرها وبهذا
الاعتبار يجوز تفضيلها على من سواها لان التفضيل قد يكون من وجه وهو لا ينافي
تفضيل غيره عليه من وجه فلا تغتر في مثله لمن له بصيرة **يؤذيني ما اذاها**
فيه من احكام البلاغة مرتبة عليه فان الجسد كله يتالم لجرحها يتالم به بعضه فمن
ضربت يده تالم لها البدن كله فكونها بضعة علة لما بعده فتدبر وحديث فاطمة

في

في الصحيحين **وقد اختلف العلماء في هذا** اي فيما يستحقه من صدر عنه مثله **فمشهور
مذهب مالك في ذلك** النكال الذي يستحقه **الاجتهاد** وللحاكم مفوض لرايه
وما يقتضيه **والادب الموجع** بضرب ونحوه **قال مالك** رحمه الله **من شتم النبي
صلى الله عليه وسلم قتل** حدا او لكفر كما تقدم **ومن شتم اصحابه ادب** بما يقتضيه
من تعزير ونحوه لكفره **وقال ايضا** مالك رحمه الله ايضا **من شتم احدا من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر او عمر او عثمان او عليا او معاوية او عمرو بن العاص** ابن
وائل السهمي **فان قال كانوا على ضلال وكفر قتل** ولعله لان قال ارتد
قبل اسلامهم فان فيه تكذيبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولجميع الامة وهذا مذهب
مالك ولم يذكر اصحابنا ههنا **وان شتمهم** اي شتم الصحابة **بغير هذا** المذكور من
الضلال والكفر بل شتمهم بما هو **من** جنس **مشاتمة الناس** بعضهم لبعض فيما يجري
بينهم **نكل** اي عوقب **نكالا شديدا** بما يوجعه من ضرب ونحوه **وقال ابن
حبيب** المالكي **من غلا** اي بالغ في غلوه **من الشيعة** المفرطين في محبة علي واعتقاد
افضليته وان الخلافة حقه وهم فرق مشهورة ولهم مذاهب وانتهى في غلوه **الى** بغض **عثمان** بغض م
ابن عفان رضي الله عنه بالوقوع في حقه **والبراءة منه** وانه لم يكن خليفة بحق وعلى
حق **ادب ادبا شديدا** حتى ينزجر هو وامثاله بضرب ونحوه **ومن زاد في ذلك**
اي في غلوه في حق الصحابة رضي الله عنهم **الى بغض ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فالعقوبة
عليه اشد** لزيادة جرمه **ويكرر ضربه ويطال سجنه** بفتح السين ويجوز كسرها كما مر
حتى يموت في السجن ليتعظ به غيره **ولا يبلغ به** في عقوبته **القتل الا في سب النبي صلى
الله عليه وسلم وقال سحنون من كفر احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عليا
او عثمان او غيرهما** من الصحابة رضي الله عنهم **يوجع ضربا** وهذا المذكور
عن مذهب مالك مخالف لما تقدم عن مالك من ان من قال انهم كانوا على ضلال
وكفر قتل ولذا اعقبه بقوله **وحكى** الشيخ **ابو محمد بن ابي زيد عن سحنون فيمن قال
في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي** رضي الله عنهم **انهم كانوا على ضلال وكفر قتل** كما
تقدم عن مالك وذكره لما فيه من زيادة نقله **ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا**
بنسبتهم للضلال والكفر **نكل** اي عوقب **النكال الشديد** بلا قتل للفرق بين
كبار الصحابة وغيرهم **وروي عن مالك** في قول اخر له **من سب ابا بكر جلد** تعزيرا
له ونكالا **ومن سب عائشة** رضي الله عنها **قتل قيل له** اي سئل مالك عن وجه الفرق
فيما قاله فقيل له **لم** ذلك هذا **فقال من رماها** اي سبها وافترى عليها بما برأها
الله منه والرمي يستعمل لما ذكر تشبيها له بالرجم قال

رماني بامر كنت منه ووالدي ... بريا ومن اجل الطوي رماني

فقد خالف القرآن لان الله برأها فيه من كل عيب في قصة الافك **وقال ابن
شعبان** تقدمت ترجمته **عنه** اي عن مالك في رواية عنه **لان الله يقول** في
القايلين في حق عائشة رضي الله عنها **يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان**

ابن اقبرس

كنتم مؤمنين فمن عاد لمثله فقد كفر لقوله ان كنتم مؤمنين فمن عاد لمثله بعد ما سمعتموه يؤمن كما يدل على ذلك المفهوم لتذكيره لهم بما يحلو به الايمان المانع لهم من العود لما صدر عنهم من القبائح تهييجا لغيرتهم الحاملة لهم على الاتعاظ وتذييل على ذلك ان فيه بحثا لان السب اعم من الرمي ومطلق محبا لمة القران لا تقتضي الكفر كما تقدم الا انه ضم الى المحبا لمة مفهوم الشرط في قوله ان كنتم مؤمنين الخ كما بينه ابن شعبان وخطاب المشافهة في الاية مختص باصحاب الافك وحكم غيرهم استفيد مما تقدم وقوله ان تعودوا لمثله يعني في عائشة بعينها اوهي ومن في مرتبتها من امهات المؤمنين لما فيه من اذية النبي صلى الله عليه وسلم في عرضه واهله وقوله روى بينا المجهول راويه هشام بن عمار فانه نقل عنه انه قال سمعت مالكا الخ وساق ما ذكر برمته انتهى وليس بشيء اما قوله السب عام فسلم ولكنه مخصوص هنا بقرينة المقام وقوله مخالفة القران لا تقتضي الكفر هو كذلك لو بقي على اطلاقه اما اذا انضم اليه انه تكذيب لله ورسوله فهو كفر كما بينه ابن شعبان وتقدم عن ابن العربي المالكي قريبا انه قال ان اصحاب الافك لو قالوا ان من سب عائشة ادب كما في سائر المؤمنين وقوله ان كنتم مؤمنين لا يقتضي انه كفر لانه تغليظ في الزجر كقوله لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وانه اجاب بان مالكا سيل عمن رمى عائشة بالافك فقال ليس هو كرمي غيرها لان الله برأها مما قالوه فرامها مكذب لله فيما اخبر به من براءتها وهو ملحظ اخر لا تعلق له بمفهوم الشرط وتقدم ما فيه وما يرد به قول ابن عباس من اذنب ثم تاب قبلت توبته الا من خاض في الافك وفي كون النبي صلى الله عليه وسلم حد اصحاب الافك ام لا روايتان ذكرهما الماوردي والكلام عليه مذكور في التفاسير والسير والكلام السابق في سب ابي بكر رضي الله عنه مفيد لغير انكار صحبته اما هو فانه كفر عند الشافعية وبعض الفقهاء لانه ثابت بالنص ومجمع عليه كما مر بسطه **وحكى ابو الحسن الصقلي** نسبة الى صقلية بفتح الصاد المهملة وفتح القاف وكسر اللام المشددة وهي جزيرة من جزائر المغرب بحر وقد هذا هو المشهور على الالسنة ى دبعض شعرائها

ذكرت صقلية والاسى ... فهيجت دمعي بتذكارها

وذكر البرهان الحلبي ان صادها مكسورة وقيل صادها وقافها وكذا رايته في نسخة الجمع للصغاني الا انه ضبط فلا يعول عليه **ان القاضي ابا بكر بن الطيب** هو الامام الباقلاني كما تقدم في ترجمته **قال ان الله تعالى اذا ذكر في القران ما نسبه اليه المشركون سبح** اي نزه وبرأ **نفسه** اي ذاته المقدسة **لنفسه** اي قاله ابتداء من غير اسناده لغيره **كقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه** بل عباد مكرمون نزلت في خزاعة اذ قالوا الملائكة عليهم الصلاة والسلام بنات الله **في اي** الى جمع اية او اسم جنس جمعي كثمر وتمرة اي بعد احد كور في القران في ايات اخر **كثيرة** كقوله وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه **وذكر تعالى في القران ما نسبه المنافقون الى عائشة** رضي الله عنها في قصة الافك

فقال

فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا اي لا يجوز ولا يصح لان ما كان ولا ينبغي ورد في القران لمعان منها هذا كما مر ولولا بمعنى هلا وقدم الظرف لانه هو الاهم بالانكار على سماع مثله **ان نتكلم بهذا** اي نتلفظ به فضلا عن اشاعته واعتقاده **سبحانك** منصوب على المصدرية والاصل فيه التعجب من صنعه ثم شاع في مطلق التعجب وهو مصدر كالغفران وتقدم الكلام عليه مفصلا **هذا بهتان عظيم** اي امر اعظم لا يليق بعاقل التكلم به لانه فيه تكون زوجته صلى الله عليه وسلم منسوبة لمثله والبهتان في الاصل كذب وبهتان يبهت سامعه تحيرا من امر مثله فكانه قال تعجبوا ايها السامعون منه ويجوز ان يكون على اصله بان نزه الله ان يرجم مثل هذا السوء وينزعه اكرم خلقه عليه الصلاة والسلام والباقلاني يقول له **سبح نفسه** اي برأها ونزهها مبالغة **في تنزيهها** اي تنزيه عائشة وفي نسخة تبريتها من السوء اي الامر السيء القبيح **كما سبح نفسه في تنزيهه** اي تنزيه الله لذاته وفي نسخة لتبريته **من السوء** وضع الظاهر موضع الضمير تقبيحا لشانه وتلويحا لوجوب التنزيه منه وفيه تنويه بقدرها ورفعة لمقامها حيث جعل ما لا يليق بالله لا يليق بها رضي الله عنها وهو في غاية الظهور **وهذا** الذي ذكره الباقلاني من تنزيهها كما نزه الله عنه ذاته **يشهد** اي يدل دلالة ظاهرة كانها شاهدة **لقول مالك** المذكور انفا **في قتل من سب عائشة** رضي الله عنها لتنويهه وجعله كسب الله بطريق التلويح واشارة النص المعلومة من عرف الاستعمالات القرانية فلا وجه لما اورد عليه من انها وردت لمطلق التعجب كما وقع في الحديث سبحان الله ان المؤمن لا ينجس والبه اشار في الكشاف وانما اتت هذا من عدم التنبه لما اراده ولذا وصفه بقوله **ومعنى هذا** الذي قاله الباقلاني ونبل الاشارة لقول مالك انه يقتل من سبها **ان الله تعالى لما عظم سبها** اي جعله عظيما في قبحه **كما عظم سبه** باستعماله فيه ما استعمله في حق نفسه من التنزيه تنويها بقدرها كما تقدم **وكان سبها** بما نسب لها **سبا لنبيه صلى الله عليه وسلم** لان نسبة اهله لمثل ذلك يشين عرضه ويؤذيه كما لا يخفى والله عز وجل **قرن سب نبيه** صلى الله عليه وسلم **واذاه باذاه تعالى** اي اذى الله في نفسه كقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة **وكان حكم مؤذيه تعالى شرعا القتل كان حكم مؤذي نبيه** صلى الله عليه وسلم **كذلك** اي القتل لتسويته بينهما وجعلهما في قرن واحد **كما قدمنا** في هذا الكتاب مرارا في حكم سب الله واورد عليه انه على ما قاله لا يلزم قتل لسب عائشة رضي الله عنها بل للازمه من سب النبي صلى الله عليه وسلم وايضا لو سلم هذا لزم قتل اصحاب الافك ولم يقع وايضا قد تقدم الفرق بين سب الله وسب رسوله صلى الله عليه وسلم على اقوال تقدمت وايضا يلزمه ذلك في سب الصحابة مطلقا لانه يؤذيه صلى الله عليه وسلم وليس بشيء لما علمته من ان المراد به اذية عظيمة لما فيه من الشين الذي لا يرضاه احد في نسبة اهله للزنا والرضا به واما عدم قتل

ابن اقبرس

دنجى

افعل الافك المنافقين في حياته صلى الله عليه وسلم فالحكمة اقتضته من اثارة الفتن وصدر من ضعف اسلامه عنه باشاعة انه يقتل اصحابه كما تقدم وشتم رجل عايشة كرمها الله بالكوفة هذا الرجل غير معروف وقوله كرمها الله اى جعلها مكرمة محفوظة عن النقايص فقد صادف محزه والكوفة احد المصرين المعروفين بانها محط رحال الفضلا ويقال لها كوفة الجند اى مجتمعهم سميت بذلك لان سعدا رضي الله عنه لما اراد ان يبنيها قال لهم تكوفوا بهذا المكان اى اجتمعوا فيه فسميت كوفة لذلك ولزمته اللام او الاضافة لانه علم بالغلبة وقيل كان اسمها قديما كوفان فقدم الى موسى بن عيسى العباسى منسوب الى العباس بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم والذى فى التواريخ انه عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس واول من ولى الخلافة من بنى العباس السفاح وجعل ولى العهد بعده اخاه المنصور وبعده عيسى بن موسى حتى خلع نفسه كرها وقيل عوضه عشرة الاف درهم وجعل ابنه المهدى بعده وبعده عيسى بن موسى فمات قبل المهدى سنة ثمان وستين ومائة ومات المهدى بعده بسنة فقال عيسى بن موسى لما ادعى عليه بما صدر منه من حضر هذا الرجل لما قال ذلك الشتم او من سمع هذا الكلام منه فقال ابن ابى ليلى انا كنت حاضرا سامعا لمقاله وابن ابى ليلى هو محمد بن عبد الرحمن الانصارى الفقيه المشهور كان صاحب قران وعنه اخذ حمزة احد القرا السبعة وكان افقه اهل عصره واعلمهم بالسنة حتى وصل لمرتبة الاجتهاد والشتم المراد به هنا القذف وكانه لم يكن قذفه الافك بدليل قوله فجلده ثمانين لانه حد القذف وكانه لم يكن قذفه الافك ولعله شهد معه شهود اخر واقتصر على ذكر ابن ابى ليلى لجلالة قدره ولو كان الرجل اقر لم يحتج للسوال عمن سمع منه ذلك وحلق راسه لان هذا كان تعزيرا فى العصر الاول لان العرب كانت لا تحلق الروس الا فى نسك وكان الاسير اذا حلق راسه عد وعارا عليه وورد فى الحديث ان الخوارج شعارهم حلق روسهم وجمع له بين الحد والتعزير لانه يجوز الجمع بينهما عند الشافعى فى مسايل ذكروها وللامام اوناييه استيفا حد القذف عن ميت لا وارث له معروف وعايشة رضى الله عنها لم يكن لها وارث حاضر فى هذه القضية ويحتمل ان لها وارثا ثمة والمصنف اقتصر من القضية على محل الشاهد منها فلا اشكال فى كلام المصنف ثم قيل واسلمه للحجامين ليطيفوا لهم اما ليحبسوه عندهم او ليجرحوا منه دما يضعفه او ليكون معهم فى حطتهم تهوينا له او ليهوا اهانته له بسقوط قبول شهادته بر ذاله صنعته وهذا الظهر وروى ابو ذر الهروى المشهور رضى الله عنه وهذا مما نقله الخطيب وابن عساكر فى التاريخ عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه نذر قطع لسان عبيد الله بضم العين بن عمر اذ شتم المقداد بن الاسود الصحابى المشهور رضى الله عنه والمراد بالنذر هنا الزام نفسه جزما بفعله لا النذر الشرعى وهو نذر شرعى لانه علق على شى لقصد المنع وتسميه الفقها نذر اللجاج والغضب وهو مخير فيه بين الفعل وكفارة اليمين والنذر على اثنا هم

ذكرها الفقها فكلم بالبنا للمجهول فى ذلك اى كلمه الناس بالشفاعة فيه والعفو عنه فقال عمر رضى الله عنه لمن كلمه فى شانه دعونى اقطع لسانه اى اتركونى افعل ذلك ولا تمنعونى منه حتى لا يشتم احد من الناس بعد مبنى على الضم اى بعد هذا اصحاب النبى محمد صلى الله عليه وسلم وعبيد الله بن عمر بن الخطاب بالتصغير كما علمت وله اخ من ابويه اسمه زيد الاصغر وامهما مليكة ابنة جرول وتكنى ام كلثوم وهى بنت لعلى بن ابى طالب من فاطمة رضى الله عنها مات هو وامه فى وقت واحد فلم يورث احدهما من الاخر وقيل رمى بحجر فى حرب بين حيين فمات والمقداد رباه فتبناه الاسود وهو عبد حبشى وتبناه فنسب له وابوه عمرو بن ثعلبة العبي بن ثعلبة النهروانى او الحضرمى ولذلك قال بعضهم ان ابن هذا وامثاله يكتب بالالف لانه ليس واقعا بين علمين ورد بان القاعدة انه اذا وصف العلم بابن متصل كفى فى حذف الالف من ابن خطا سوا كان العلم الذى اضيف اليه ابن علما للابن الاول حقيقة ام لا كما اقتضاه اطلاقهم وكون الابوة حقيقة لم يتعرضوا لاشتراطه الا انه قد يقال الاب حقيقة فى اب الولادة فيحمل اطلاقهم عليه لانه الاصل والتبنى لا يدفع صورة الواقع من كون الابن وقع بين علمين وشهد المقداد بدرا لما قدم مسلما وما بعدها ومات ببلده بمحل بالمدينة ودفن بها وصلى عليه عثمان سنة ثلاث وثلاثين وهو ابن سبعين وقطع اللسان من المذكور تعزير له حده فلا يجوز الشفاعة فيه بخلاف التعزير وللامام ان يغلظ فى الحد بما اراد فلا يقال ان قطع اللسان لم يرد فى الشرع مع ان التعزير فيه حق لله للامام ان يستوفيه لهيبة طلب والمقداد كان من كبار الصحابة رضى الله عنهم فلذا اغضب ذلك عمر رضى الله عنه وروى ابو ذر الهروى هو عبد الله بن احمد ابن محمد بن عبد الله الهروى الحافظ كما تقدم ان عمر بن الخطاب اتى باعرابى يهجو الانصار فقال لولا ان له صحبة اى لولا انه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لكفيتكموه الخطاب لمن عنده من الانصار او لمن حضره اى لقتلته وكفيتكم شره وهجوه ولكن لشرف صحبته عفى عنه وهذا لم يكن بلغ مرتبة حد القذف وسره ان هذا بنا على ان الامام له ان يبلغ باجتهاده فى التعزير القتل وهو الذى يسميه الفقها سياسة وهذا رواه ابن قدامة عن ابى سعيد الخدرى بسند رجاله ثقات وقال الامام مالك وفى نسخة وقال مالك فى رواية عنه من انتقص احدا من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم اى ذكرهم بما فيه نقص لهم فليس له فى هذا الفى حق وسهم منه اى لا نصيب له فى مال يوخذ فيا من الكفار واستدل عليه بقوله قد قسم الله الفى فى ثلاثة اصناف من المسلمين فقال فى قسم منه للفقرا من المسلمين فقال فى قسم منه للفقرا المهاجرين الاية اى الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون اى الذين هاجروا من ديارهم للمدينة لنصرة نبيه صلى الله عليه وسلم وابتغا فضل الله ورضوانه ثم قال فى القسم الثانى والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا ويوثرون الاية

على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وهولاء هم الانصار الذين اووا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونصروه ثم قال في القسم الثالث والذين جاووا للاسلام من غير المهاجرين
والانصار من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان
الاية ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك روف رحيم فهولاء يدعون لهم ويستغفرون
لهم ويعطونهم سبقهم للسعادة في الدارين فمن تنقصهم فلا حق له في في المسلمين لخروجه
عن الاصناف الثلاثة وهذا بنا على ان قوله للفقرا الخ بدل من قوله لذى القربى وما بعده
والمعدود منه في حكم الطرح لانه لفظا بحسن فاى اعجبوا لهم كي تركهم اموالهم واهلهم وديارهم
رجا فضل الله ونصرة دينه ومدح الله لهم بالصدق في ذلك والذين تبوو الدار وايثارهم
على انفسهم ولو كان بهم خصاصة والذين جاووا من بعدهم داعين للسابقين وهو على مذهبه
من ان الفى لا يخمس كالفية وعند بعضهم يخمس والكلام فيه مفصل في كتب الفقه والتفسير
والفى ما اخذ من الكفار من غير قتال فيدخل فيه الخراج والعشور الفية وفيه خلاف هل يخمس
ام لا والخمس الذى كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرفه في مصالحه اختلف فيه بعد موته
على ما فصله الفقها وفي كتاب ابن شعبان من قال في واحد منهم اى الصحابة رضي الله
عنهم انه ابن زانية وامه مسلمة حد عند بعض اصحابنا حدين حد له
وحد لامه قيل فيه تغليب والمراد انه يجلد لامه لان الحد حق لها وعزر له وفيه نظر
لان قوله ولا اجعله كقاذف الجماعة في كلمة بل بالنسبة لفضل هذا على غيره اى لزيادة
جرمه فالفضل بمعناه اللغوى ومن قذف جماعة بكلمة واحدة حد حدا واحدا عند الاكثر
وللشافعي فيه خلاف ولقوله صلى الله عليه وسلم من سب اصحابي فاجلدوه قال
ابن شعبان ومن قذف ام واحد منهم وهي كافرة حد حد الفرية اى الكذب لا القذف
بنا على انه يشترط في وجوبه الاسلام لانه سب له فان كان احد من ولد هذا الصحابي الذى
سب حيا وقد مات ابوه قام مقام ابيه بما يجب له اى يطلب حقه الواجب بسببه لانه
وارثه في ماله وحقوقه فليس لغيره حق في هذه الدعوى والا اى وان لم يكن له ولد حي
فمن قام اى يطلب حقه ودعواه من المسلمين لان لهم طلب حقه كان واجبا على الامام
ادنا به قبول قيامه باستماع دعواه والحكم بمقتضاه معاونة ونصرة له قال ابن
شعبان وليس هذا اى استحقاق غير الولد من المسلمين للدعوى بالحد والتعزير كحقوق
غير الصحابة فانه لا يستحقها غير الوارث لحرمة هولاء اى الصحابة بنبيهم صلى الله
عليه وسلم فيه حق من حقوق الله يستحقه كل احد من هذه الامة ولو سمعه اى سمع قوله
الامام او اثبته واشهد عليه كان الامام او ثابته ولى القيام به اى كان يتولى الحد
واستيفاه قال ومن سب غير عايشة من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ففيها
قولان احدهما يقتل كما يقتل من سب عايشة لانه يسب زوجة ام المومنين سب
النبي صلى الله عليه وسلم لتعدى عار هن له لسب حليلته اى زوجته وهي من الحلال لكنها
له او من الحلول لانها تحل حيث حل والقول الاخر في غير عايشة انه اى سب غيرها
كساير الصحابة فيلزمه ان يجلد حد المفترى بنا على انه يلزمه فيه ذلك وقتل ساب
عايشة لتكذيبه لله ورسوله والقرآن كما مر قال ابن شعبان وبالقول الاول
وهو القتل اقول لاختياره له دقة دليله عنده وروى ابو مصعب احمد بن
ابي بكر القاسم بن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن الزهرى المدني القاضي
قاضي المدينة كما تقدم عن مالك في حق من انتسب الى ال بيت النبي صلى الله عليه
وسلم بغير انه او دولا قيل او صحبة يضرب ضربا وجيعا نكالا له وردعا لامثاله
منهم ويشهر بالتخفيف اى يطاف به في الاسواق ليعلم الناس حاله ويشتهر ضلاله لئلا
يقتدى به غيره ويحبس حبسا طويلا مدة حتى تظهر توبته فاذا ظهرت اطلق
لانه اى ما فعله استخفاف بحق الرسول صلى الله عليه وسلم فيجب عقوبته لذلك
وحاصل قوله من انتسب الى هنا ان من ادعى انه من اهل البيت وهو منهم واثبت له
اثباتا لهم يستحق النكال والتشهير وقد روى في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال ايما
رجل دعى الى غير ابيه فقد كفر وهذا ابدل على عظم هذا وانه يشدد فيه وقد كثر هذا
في زماننا هذا وتساهل الناس فيه ودخلوا في هذا النسب الطاهر وادعاه كثير من
الاشرار وشادع القضاة بذلك الى اثبات الانساب وجعلوا لهم علامة كما قيل
جعلوا لابنا الرسول علامة ان العلامة شان من لم يشرف
نور النبوة في كريم وجوههم يغنى الشريف عن الطراز الاخضر
وافتى ابو المطرف بضم الميم وفتح الطا وكسر الرا المشددة المهملتين وابا الشعبى بفتح
الشين المعجمة وسكون العين المهملة والموحدة ويا النسبة مشددة فقيه مالقة بزنة فاعلة
اسم بلدة مشهورة بالمغرب بيد النصارى الان اعادها الله للاسلام في رجل انكر
على بعض القضاة تحليف امراة مخدرة ادعى عليها بحق شرعى فامرها ان تحلف عنده
بالليل ستر الها وقال من انكر تحليفها ليلا لو كانت المراة بنت ابي بكر الصديق
رضي الله عنه ما حلفت الا نهارا حتى يستوى بينها وبين غيرها وصوب ماض مشدد
الواو اى عد قوله هذا صوابا وهو انكاره تحليفها الخدرة ليلا بعض المتسمين
اى المتصفين بمعرفة الفقه فقال ابو المطرف فقيه مالقة ذكر هذا المنكر تحليف
النسا ليلا لابنة ابي بكر الصديق رضي الله عنهما في مثل هذا الامر الذى سوى بها
غيرها من النسا يوجب عليه شرعا التعزير البليغ والضرب الشديد والسجن
الطويل لجرائه على بنت خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وام المومنين فان المتبادر منها
عند الاطلاق عايشة رضي الله عنها وان كان له غيرها والفقيه الذى صوب قوله
في الانكار المذكور هو احق واولى باسم الفسق اى وصفه بانه فاسق وجعل فقيه
الذى ادعاه فيها احق بالعقود من اطلاق اسم الفقيه عليه فيتقدم اليه اى يبرز
لما لفته وتسفيهه بما قاله في ذلك القائل الذى قاله ويزجر ويوبخ على ما قاله ولا
تقبل فتواه التي افتى بها ولا شهادته بتصويب ما قاله ذلك القائل فسق الذى طعنوا
نسفه فيها وهي اى فتواه بتصويبه لمقالته هذه جرحة فعلة لما لضم من الجرح القابل
للتعديل اى قوله هذا جارح له مسقط له من العدالة فلا يقبل ما قاله ثابتة فيه

يشتهر هو الاصح

صح

عايشة

حسبة عليه الجرح وعدم العدالة **وبغض** منها ربع بزنة بكرم المجهول لعيني وصاد
مجتنى معطوف على قوله يتقدم اى يظهر بغضه وعداوته **في الله تعالى** عز وجل اهانة
له وتركا لمقاله وهذا اخر كلام ابي المطرف كما نقله عنه السبكي في فتاويه وقال الغرض
من هذا كله انه فاسق مرتكب لكبيرة عظيمة لا مخلص له منها ولا سبيل الى العدالة ومن
كان بهذه الصفة لا تقبل شهادته قطعا ومن تخيل ان لقبول ساب الصحابة وجها وتاويلا
فليعلم ان هذا وان كان فاسدا فالشيخان خارجان عن ذلك اذ تاويلهما انما هو يتبين خاصة
العين ولا يبين قتل عثمان وقاتل علي والشيخان بريان من ذلك قطعا ولهذا اجرى الخلاف
في تكفير سابهما وساب عثمان وعلي دون غيرهم من الصحابة انتهى واذا عرفت ان ما ذكره
المص عبارة ابي المطرف فالمقصود منه ان السلف كانوا اجابوا وتكلموا في مقام الصحابة ويعظمون
الكمراة عليهم ولذا نقله السبكي ولم يتعقبه فما قيل عليه من انه غير مسلم لان انكاره التحليف
ليلا له وجه لان اليمين قد تقصد لتغليظها ومن تغليظها اظهارها بين الناس حتى قيل
قد تغلظ بعد عصر الجمعة فلا احتمال بمجرد سع وايضا فانه لو كانت بنت ابي بكر ليس
فيه ذكر لها بنته فله بنت اخرى وهي اسماء ولو سلم فبادرها فليس فيه تحقيرها بل هو تعظيم
لها لادعا انها في اعظم مراتب الشرف حتى لو كانت هذه مرتبتها لم تحلف والعرف فاصل
بهذا ربه اتى بعض الفقهاء كالسبكي وابن ابي شريف فقال السبكي وغيره لو قال
لو جاءني هذا الامر جبريل او رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعلته انه تغليظ فيه تعظيم
للمشبه به وان له مرتبة لا يصل اليها احد ولو وصل لها هذا حكم عليه ايضا لان الاحكام
لا تختلف بتشريف ولا وضيع ومثله ما ورد في الحديث لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعتها قد
علمت الجواب عنه ولو مثله للتعظيم بعلم من السياق واذا كان كذلك فقد يوخذ من
السياق غيره ولذا قال المص **وقال ابو عمران في رجل قال لو شهد علي ابو بكر**
حذف الجواب لظهوره وعدم الفضل له هنا **انه** اى انسانا والقول المذكور **ان**
كان مراده ان شهادته **في مثل هذا الامر** ولا يكفي وحدها **بهذا الشاهد**
الواحد لان شهادة رجل واحد لا تقبل مطلقا وما في نسخة حزبه ما ول كما تقدم
فلا شيء عليه من تعزير وغيره لانه لا يشعر باهانة ولا تنقيص **وان اراد غير هذا**
مما يقتضي الاهانة بقرينة سوق الكلام **فيضرب ضربا** بليغا **يبلغ به الموت**
اي يوصل ذلك الضرب الى مرتبة الموت لذكره من هو افضل الخلق بعد رسول الله صلى
الله عليه وسلم في مقام لا يليق به فهذا يشعر بان مثل هذه العبارة قد يكون فيها نوع من
الاهانة والحقارة **وذكروها رواية** وكون الشاهد الواحد لا يقبل ليس على اطلاقه فقد
تقدم ذكر الفقهاء ما يقبل فيها شهادة واحد ليس محل تفصيلها هنا كما وقع في بعض الشروح
فانه تكثير للسواد ليس في محله **تنبيه** في الخصائص الكبرى للسيوطي اخرج
الطبراني عن ابي امامة انه صلى الله عليه وسلم قال ان ربنا يوتين اجورهم مرتين ازواجه
امهات المومنين تقبل في الاخرة وقبل احدها في الدنيا والاخرى في الاخرة واختلف في
حصا عنه عنه انهن تقبل عقاب في الدنيا وعقاب في الاخرة وغيرهن اذا عوقب في الدنيا

عرض

عرض

لا يعاقب في الاخرة لان الحدود كفارات وقال مقاتل يعذبان في الدنيا وقال ابن
جبير وكذا عذاب من قذفهن يضاعف في الدنيا فيجلد مائة وستين وفي الشفا
انه خاص بغير عائشة لانه فيها يقتل وقيل يقتل من قذف واحدة من سائرهن وقال
في التلخيص قال تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك وعمل غيره انما يحبط بالموت على الكفر
انتهى وقد تقدم الكلام عليه وعلى ما في كلام ابي عمران وكذا ابطل اجره مرتين من
توضأ مرتين ومن يقرا القرآن وهو عليه شاق والمجتهد اذا اصاب والمتصدق على قريبه
والمراة على زوجها ومن عمر جانب المسجد الايسر لقلة اهله والغني الشاكر ومن سن سنة
حسنة ومن صلى بالتيمم ثم وجد الماء فاعاد والجبان ومن اشترى امة فادبها فاحسن تاديبها
ثم اعتقها وتزوجها وكتابي امن بنبيه ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم ومن صلى في الصف الثاني
مخافة ان يوذي مسلما والامام والموذن ومن طلب علما فادرك ومن اسبغ الوضوء في البرد
الشديد ومن دنى من الخطيب فاستمع وانصت ومن غسل يوم الجمعة واغتسل ومن قتله
اهل الكتاب وشهيد البحر ومن حافظ على صلاة العصر ومن استمع لقراءة القرآن وسرية
عزت للعز وفرجت وقد احصنت اي رجعت ولم تيمم ومن قتله سلاحه ومن توضأ بعد الطعام
ومن يعمل العمل سرا فاذا اطلع عليه اعجبه قال الترمذي فسره بعض اهل العلم بان يعجبه ثناء الناس
عليه بالخير لقوله صلى الله عليه وسلم انتم شهداء الله في الارض لا للاكرام والتعظيم وقال بعضهم
اذا اطلع عليه فاعجبه رجاء ان يعمل بعمله فيكون له مثل اجورهم ومن كان موقتا في وقت
الفساد ومن تصدق في يوم جمعة ومن عمل بعمل خير اطلقا ومن اتى الى الجمعة ماشيا ومن
تبع الجنازة ماشيا ومن صلى على جنازة وتبعها حبا من اهلها فيحصل له اجر صلاته على
اخيه واجر صلته للحي ومن يقرأ في المصحف ومن قرأ القرآن فاعربه والمراد باعرابه معرفة
معاني الفاظه وليس المراد به الاعراب المصطلح عليه في النحو وهو ما يقابل اللحن لان القراءة
مع فقده ليست قراءة ولا ثواب فيها ومن تاب ودعى الى الخير ماشيا حافيا ثم ختم المص رحمه الله
كتابه بقوله **قال ابو الفضل** عياض مصنف هذا الكتاب رضي الله عنه **هنا انتهى** اي
تم وبلغ نهايته **القول بنا** اي القول المتعلق بنا حيث قصدناه من هذا التاليف **فيما**
حررناه اي كتبناه محررا مهذبا من الباعث على هذا التاليف **وانجزنا** اي تممنا من
ايجاز الوعد الذي وعدنا بتمامه في اول الكتاب وفي نسخة انجزنا افتعال من الانجاز وهو
التمام **الغرض** بمعنى اي المطلوب **الذي انتحيناه** بحاء مهملة اي قصدناه في تاليفنا هذا
في ذكر حقوق المصطفى كما تقدم في الديباج واتى بصيغة الافتعال لزيادة قصده والغرض
اصله كما تقدم الذي يرمى له السهام ثم عبر به عن كل مقصود وبينه وبين الغاية عموم
وخصوص مطلق وصوب بعضهم انه رجح تفسير الغاية في تعريفات افعال الله بناء على
انها لا تسمى غرضا ويجرد الغرض فيها لو قصد امرا ما لا يترتب عليه خطا واجنا عنهما
ظاهر غني عن البيان **واستوفي** اي كمله واتى به وانما **الشرط الذي شرطناه** فيما
بينه اول الكتاب واستوفى مبنيا للفاعل وجوز كونه للمفعول والضمير لما **ما ارجو**
اي اؤمل من الرجا بمعنى الامل ويكون في غير هذا المحل بمعنى الخوف ايضا مع النفي كقوله

لا تزيدون سهو قال ان يكون كل قسم منه اي مما حرره للمريد الطالب لهذه المقاصد مقنع بفتح الميم من القناعة اي كفاية وهو اسم مكان او مصدر ميمي والمراد بالمريد من يطلب الوقوف على معرفة مقدار النبوة وحقوقها وعبر بالمقنع اشارة الى انه لا يمكن الوصول الى حقيقتها المعنية والا فالطالب يقتنع بقدر منها فلله دره وفي كل باب من ابوابه اي كل جملة ونوع من انواعه وهو في العرف جملة من المسائل يرتبط بعضها ببعض بحيث تعد امرا واحدا منهج هو كالمنهاج الطريق الواضح الى بغيته بكسر الباء وضمها وعين معجمة وهي المطلوب ومنزع بفتح الميم والزاي المعجمة بينهما نون ساكنة محل النزع او النزاع فهو اما بمعنى مخرج يخرج اليه او محل احابه الذي يشتاق اليه من نزع الى اهله ووطنه اذا اشتاقه او من نزع السهم اذا جذبه ليرميه فالمقصود انه يجد ما يهمه طلبه فيه وقد سفرت فيه اي كشفت وبينت في هذا الكتاب ما حررته وجمعته فيه وازلت الحجاب عن نكت جمع نكتة وهي الامر الدقيق المستخرج بالفكر تستغرب اي تعد غريبة نادرة وتستبدع اي تعد بديعة غير مسبوقة بالمثل في جنسها ولو اقتصر على قوله تستغرب ربما يتوهم ان غرابتها لعدم الف الطباع لها اذ ليس كل مستغرب مستبدع فلله دره وكرعت اي احتويت بدخولها ووصولها في مشارب اي مطالب ومقاصد من التحقيق اي بيان الحق المشتمل الثابت لم يورد بالبناء للمجهول اي يذكر لها قبل اي قبل هذا الكتاب في اكثر التصانيف التي صنفت في هذا الباب مشرع اي محل يستقى منه مثلها هذا هو المراد وحقيقته ان الكرع في الاصل شرب الدواب بفيها من الماء لانها تدخل اكارعها فيه والورود الذهاب للشرب ضد الصدر والمشرع محل الماء المورود وكذا المنهل والمورد والشريعة النهر ونحوه فالكل هنا اما استعارة تمثيلية بتشبيه المسائل المطلوبة بما ينتفع به العطاش وتشبيههم ثانيا بسبيل لم حاجة له وتشبيه الصحف بموارد الماء يحط عندها الرحال وهذا ابلغ من جهة استعارات تصريحية او مكنية تخييلية مرشحة ولكل وجهة فلله دره واودعته اي جعلته فيه كائنة وربعية غير ما فصل اي فصولا كثيرة وما مزيدة لتاكيد الكثرة ووددت اي تمنيت من الود وهو المحبة والصو اذا ثم استعير للتمني وهو المراد كقوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين لو وجدت من بسط اي بين وشرح من غير اختصار فيه قبلي الكلام فيه اي في بيان ما هو مسطور في او وجدت مقتدى اي احدا من ائمة العلم المتقدمين وفي نسخة مقيدا بالنا من الفائدة يفيدنيه اي يستفيده منها عن كتابه الذي صنفه في هذا الغرض او فيه اي اسمعه من تقريره ليفيدنيه لاكتفي بما ارويه عما اريه اروي الاول مضارع بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة وكسر الواو المخففة ثم بالمثناة تحتية وفاعله ضمير مستتر للمتكلم والثاني بضم الهمزة وكسر الواو المشددة بعد راء مهملة مفتوحة اي ارويها بسمعه من غيره او اخذ من كتابه ومعنى الثاني اي احمل غيري على روايته عني اي اكتفي بالاول عن الثاني وفيه تجنيس بديع وقوله يفيدنيه باتصال الضميرين جائز وظاهر كلام سيبويه ان الانفصال في

مثله

مثله لازم واختار ابن مالك الاول ولكنا بين في كتب النحو يعني ان بيان حق المصطفى صلى الله عليه وسلم وما يجب له امر واجب لم ار من وفاه حقه فوجب على بيانه فلله دره رحمه الله فانه قام بامر عظيم لم يقم به غيره وفسر بعضهم ارويه المشدد بافكر فيه واعمل رويتي فيه من روية في كذا او تروية اذا اعملت النظر والفكر فيه وما ذكرناه هو المروي وجوز بعضهم في ارويه الثاني ضم الهمزة وسكون الراء المهملة من ارواه المزيد ويمكن حمله على الرواية ايضا والى الله تعالى وحده لا الى غيره كما يفيده تقديم الجار على متعلقه جزيل الضراعة الضراعة بمعنى التذلل والخضوع والجزيل الكثير القوي وهو صفة معنى اي الضراعة الجزيلة وهو دعا في المنة اي الانعام والاحسان بقبول ما حصل منه بفضله وكرمه بوجهه الكريم اي ما فعله خالصا لله لا رياء للناس كما اشار اليه بقوله والعفو معطوف على المنة اي وفي العفو عما تخلله اي وقع في خلال كلامه وبين اجزائه في اثنا فصوله التي ذكرها في كتابه هذا من تزين اي اظهار ما فيه زينة وحلية وتصنع اي تكلف صنعة في كلامه كالسجع والالفاظ التي قصد تحسينها مما يخشى ان يكون ذلك رياء منه بقصد التبجح بقدرته على الكلام البليغ لغيره اي لغير الله بل لاجل من يمدحه من الناس وهو دعا طلب به من الله ان يرزقه الاخلاص في تاليف هذا الكتاب وان يصونه عن الريا فيما حسنه من كلامه وزينه من عباراته وان يهب لنا ذلك اي ما وقع في التزين والتصنع مما فيه شائبة ريا وهبته مجاز عن التجاوز عن المواخذة به لئلا يحبط ما صنعه بجميل كرمه وعفوه عنه ان وقع ريا لغيره لنا او دعناه اي عفوه بما ذكر لاجل ما اورده في كتابه هذا من شرف مصطفاه اي رسوله الذي اختاره لرسالته وتبليغ امانته وامين وحيه الذي ايتمنه على تبليغه لخلقه فان الحسنات يذهبن السيئات وحاصله انه خشي من ان يخالط عمله ريا يحبطه فرجا من الله ان يعفو عنه ان كان والريا اذا خالط العمل هل يحبطه ام لا فيه خلاف وصحح بعضهم انه ينظر فيه للباعث عليه والاغلب فيه فان غلب اخلاصه وكان هو الباعث له لم يحبط شيء من عمله والا حبط وهذا قول الذي عليه المحققون وله تفصيل في كتب الغزالي والعز بن عبد السلام فهذا محصله ان يغفر لنا ذلك لاجل ما قاسيناه في تحصيله وتاليفه واسهرنا به اي تركنا النوم والراحة فلم تغمض جفوننا جمع جفن وهو غطا العين اضاف له السهر لتوقفه عليه لتتبع فضايله التتبع هو التفتيش اريد به التفتيش والبحث عن فضايل المصطفى صلى الله عليه وسلم من كتب القوم واعمال الفكر فيها واعملنا اي شغلنا واتعبنا فيه خواطرنا جمع خاطر وهو كما في الاساس ما يتحرك في القلب من راي او معنى يقال خطر على بالي وبباني من ابراز اي اظهار خصايصه اي ما خصه الله به دون غيره مما يجب او يباح او يحرم ووسايله اي ما يتوسل به الى الله مما قربه اليه او ما اكرمه به يوم القيامة كالشفاعة العظمى والحوض ولواء الحمد وغيرها مما تقدم تفصيله والكلام عليه ويحمي اي يصون اعراضنا جمع عرض بكسر فسكون وصاحجة والمراد به ابداننا

فان العرض يطلق على هذا او على ما يصونه ويحميه من صفاته وادعى بعض اهل
اللغة انه حقيقة في الاول دون الثاني وفيه كلام في كتب اللغة عن نار الموقدة
التي يبات بها من عصاه نجيا بنا اي صيانتنا كريم عرضه اي عرضه الكريم اي
المكرم المحترم عند كل مسلم والعرض هنا بمعناه المعروف ويجعلنا ممن لا يذاد
بضم المثناة التحتية وذال معجمة والف بعدها دال مهملة اي يطرد اذا ذيد مبني
للمجهول بذال معجمة مكسورة ودال مهملة اي طرد وصد المبدل اي الذي بدل دينه
بردة ونحوها عن حوضه المورود يوم القيمة يوم الحسرة والندامة وهو تلميح
واشارة لما ورد في الحديث من انه صلى الله عليه وسلم ينادي بعض الطائفة في القيمة
من القيمة فيمنعون عنه فيقول ما لهم طردوا فيقال له انك لا تدري ما فعلوا
بعدك انهم بدلوا دينهم وبه استدل بعض الرافضة على تكفيرهم لبعض الصحابة
فنطلب من الله ان يحميه مما يبدل دينه حتى لا يكون من المطرودين عن الحوض وهذا
الحديث في صحيح مسلم وغيره ولفظ الذي في مسلم انه صلى الله عليه وسلم اغفى اغفاءة ثم
رفع راسه متبسما فقالوا لم فقال انزل علي انفا سورة وقرا انا اعطيناك الكوثر الخ وقال
هل تدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال نهر اعطانيه ربي عليه خير كثير ترده
امتي يوم القيمة فيختلج العبد منهم اي يجذبه الملائكة ويدفعه فاقول يا رب انه من امتي
فيقال انك لا تدري ما احدث بعدك وفي رواية ما زالوا بعدك مرتدين على
اعقابهم قال القرطبي رحمه الله قالوا كل من ارتد واحدث ما لا يرضاه الله فهو من
المطرودين عن الحوض واشدهم طردا من خالف جماعة المسلمين كالخوارج والظلمة
واهل الجور فهذا صريح في ان طردهم عن الحوض على ظاهره وقال ابن حجر رحمه الله
تعالى انهم طردوا ليرشد كل احد الى حوض نبيه بما صرح به في الروايات الاخرى
وهذا غير بناء لما ورد من انه صلى الله عليه وسلم تعرض عليه اعمال امته في البرزخ لانه
قد يجني ابواد اظها رما عملوه على رؤس الاشهاد ونحو ذلك ويجعله لنا لجين نفسه
ومن اخذ عنه ولمن تهمم اي اعتنى وتعبد باكتبا به اي كتابته والكتابة اي
تحصيله باي طريق كان سببا اي وسيلة موصلة يصلنا باسبابه اي طرقها موصلا
بالامور الموصلة لقرب الله ورضاه وذخيرة اي امرا نذخره ونعده نجد ها
يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا اي نجده اي لها حاضرة عندها وهو
تجوز عن حضور صحفها او ظهور ها بشهادة الاعضا ونحوها لان الاعمال اعراض لا
تعاد وتحضر وذهب بعضهم الى ان الاعمال تجسم حتى توزن وهو والبه ذهب بعض
العلما وللجلال السيوطي فيه رسالة اقام فيها الادلة على ذلك والله على كل شيء قدير
وعبر باسم المفعول لان الفاعل معلوم اذ لا يحضرها الا الله تجوزنا بها اي تحصل
بالاعمال الصالحة اذا احضرت رضاه وجزيل ثوابه كما وعد به من لا يخلف
الميعاد وتخصنا اي تميزنا بما علمناه من العمل الصالح تخصيصا زمرة نبينا صلى
الله عليه وسلم وجماعته اي اتباعه من امته وخص يتعدى بالبا وتدخل على الماخوذ

كما

كما نصوا على المتروك والكلام فيه مشهور والزمرة والجماعة مترادفان وخصيصى
بكسر الخا المعجمة وكسر الصاد المهملة المشددة ثم مثناة تحتية وصاد مهملة والف
مقصورة وتمد كما في القاموس وغيره وهو مصدر بمعنى الاختصاص وهو الذي
جزم به السيوطي وقيل انه مثنى خصيص بوزن صديق واليه ذهب السخاوي
وغيره وغيره ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ولما قراه بالتثنية الشيخ برهان الدين
النعماني في الدرس بين يدي المحيوي الكافيجي بالتحتية والجلال حاضر رده وقال
انه خطا فلم يقبله وقال انه هو الصواب فكتب اليه بعد ذلك ما صورته بعد البسملة
الحمد لله الذي محن العلما والاشراف بمعاندة الجهال والاطراف والصلاة والسلام على
سيدنا محمد واله وصحبه اولي الفضل والانصاف وبعد فقد وقع البحث العام في
اخر كتاب الشفاء في قوله وتخصنا بخصيصي الى اخره بكون اليا بصيغة التثنية المحذوفة
النون فقلنا له انما هي خصيصى بالفا التانيث المقصورة وانما له العذر في ذلك
بكونه راها مرسومة باليا فظن انها يا وادعى انها رواية ولم يدر في ذلك وادعى
انه ذلك هو الصواب وان المراد بخصيصي ابو بكر وعمر رضي الله عنهما واتى له
ما ادعاه باطل رواية ولغة ومعنى اما الرواية فان الذي تلقيناه من المعتبرين
وضبطه من من يرجع اليه في النقل انه بالالف لا غير كما نبه عليه الحافظ البرهان الحلبي
في شرحه للشفا وشيخنا الامام تقي الدين الشمني في حاشيته عليه وكذلك قراناه عليه
وسمعناه من غيره واما لغة فقال الجوهري في الصحاح والقاموس والمجمل خصه بالشيء
خصا وخصوصا وخصوصية بالفتح وخصيصا ويمد فهو لا ثم اللغة قالوا خصيصا
بالالف المقصورة مصدر خصه ولم يقل احد منهم ان خصيص سمع مصدرا ولا صفة
واصرح منه ما في ديوان الادب للفارابي في باب فعيلى انه سمع منه نحو الفاظ شرح
صاحب شرحها دتيمس ورجل ضليل ضالا جدا وشنين ضرب من الحيات ورجل
عنين ثم ذكر خصيصا واخواته ولم يذكر خصيص وبه سماعي لا يقاس عليه كما هو مقرر
عند اهل العربية واما بطلانه معنى فلان المقصود من الكلام المصدر لا الوصف والمراد
ان يخصنا بهذه الخصوصية وهو ان يكون من جملة الجماعة المنسوبين الى النبي صلى الله
عليه وسلم والزمرة الداخلين تحت لوائه وليس المراد الاختصاص بالذوات وهذا ما
لا يخفى الا على جاهل بالعربية ايضا لو كان خصيصي مثنى مضاف وجب ان يضاف الى
اثنين معا يربن وليس بعده الا زمرة وهي جماعة بمعنى واحد وما عبر به كلامه
غلط صراح يضحك منه السامع ويفرح به العدو ويغم الصديق واي معنى لقوله وتخصنا
الى ابي بكر وعمر والاختصاص منه انما يكون بالمعنى لا بالذوات فليتامل المنصف هذا الكلام
فانه لا يساوي مثقال ذرة والله اعلم انتهى ما قاله السيوطي ملخصا وارسله لعلما
عصره واستفتاهم وطلب منهم بيان الصواب فقال السخاوي في فتاويه في الحديث
ان من استفتاه العلامة الاميني الاقصرائي فكتب مضروب ما قاله البرهان وقال
ان انكاره بغير موجب ومعناه صحيح فلا وجه لانكاره وكتب الشمس الباجي ان الذي

سمعناه من مشايخنا تدريبا وحديثا وذكر عليهم ان هذه اللفظة مثناة والمعنى عليها
فلا يحل لاحد انكارها فمن انكرها وصوب غيرها في الحشية مشى على القاضي عياض
فهو دب على اساتذه على العلما وكتب الحجري عثمان الديمي مثله وكذا الشيخ قاسم الحنفي
وقال ان التثنية لا تمتنع رواية ودراية اما الرواية فلانها الثابتة في الاصل المعتمد
المقابل مع الحافظ الذي صححه عبد المجيد اليمني في حاشيته عليه ونقل ذلك على ابن
حجر وناهيك به فمن نسب قائلها الى الكذب فهو كذاب يستحق التاديب كذا في السخاوي
في فتاويه ثم قال انه سيل عنه مرة اخرى فاجاب بان التثنية ثابتة دون غيرها كما
قاله التاج اليمني وشهد له تاج الدين السبكي بانه الذي يروي ويروى كل طالب ويدل
في ابن شجرة الايمان وهو الثابت في الاصول المعتمد عليها وما يحتجه انه استدل
بها في ديوان الادب لاقتصاره في تمثيل على خمسة الفاظ مع وجود الفاظ غيرها واذا
تقرر هذا فالتثنية في كلام القاضي بالنظر لشيئين وهما الزمرة الشاملة لجميع من اتبع
النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة وغيرهم الى يوم القيامة والجماعة الذين هم الصحابة
خصهم بعد دخولهم في العموم لشرفهم فكانه سال الله ان يجعلنا في ثقاطريقي الكرام
من اصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم ومن سائر امته وهو كقول القائل هب لنا ما وهبته
لاوليائك واحبابك ويجوز ان يعنى بتخصيص هذه الامة وهما ابو بكر وعمر رضي الله عنهما
حسبما ورد في حديث ضعيف رواه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود رضي الله عنه انه صلى
الله عليه وسلم قال ان لكل نبي خاصة من اصحابه وان خاصتي ابو بكر وعمر رضي الله عنهما
اخرجها البيهقي في الفضايل ولا يكون من خواصهما الا سلوك طريقهما واقتفا سننهما
وعلى المقدر التنزل في كون الزمرة والجماعة واحدا فليس يمتنع الاتيان بلفظ
التثنية مع اضافة لفظ الواحد مثاله زيد وعمرو عالما البلد انتهى باختصار لما
اطال به مكررا فحذفنا منه لا حاجة لنا به **وانا اقول** ان السخاوي رحمه
الله اطال لسانه على السيوطي رحمه الله وادعى ان علما عصره كلهم وافقوه وكتبوا
خطوطهم بنصرته ولم ار ما قاله في كتاب غير فتاواه والحق احق بالقبول فالذي
يقبله الطبع ما قاله السيوطي وهو ان خصيصا مصدر فان النقل والعقل شاهدان
له اما الاول فان الموجود في كتب اللغة كلها ذكر خصيصى وقول السخاوي انه لا
حصر في كلامهم مسلم لكنه لا يفيد اثبات كلمة لم يذكرها اهل اللغة ولم يسمع في كلام
احد من العرب واما الثاني فان معناه في غاية الظهور وكونه مثنى مرادا به الجمع لم
يدل عليه سباق ولا سياق الا ان قول الكلام انه لا ينطبق الا على الاثنين لا وجه له
كما قاله السخاوي **ويحشرنا** اي يجمعنا في الحشر **في الرعيل الاول** الرعيل والرعلة
القطعة من الخيل وجماعة منها والرعيل الاول السابقون من الفرسان ثم كني به عن كل
سابق للخير والفعل الحسن يتمدح به كما قال حسان رضي الله عنه نحن الاولون من الرعيل
الاول فالمراد به هنا من يبادر لفعل الخير ممن يكرمه الله بدخول الجنة قبل غيره
وهم بعد الانبيا عليهم الصلاة والسلام العلما العاملون **واهل الباب الايمن** اي

اصحاب

اصحاب اليمين الناجين وجوههم ممن يؤتى كتابه بيمينه **من اهل شفاعته** وتقدم
الكلام على ذلك **ونحمده تعالى على ما هدى اليه من حمده** اي جميع ما فيه مما يتعلق
بمرضه **والهم** الالهام القا الخير في القلب **وفتح البصيرة** اي قوة النفس المدركة
في الباطن بمنزلة البصر في الظاهر وجعلها كالعين تخييلا قال **لدرك** بفتح فسكون
اي ادراك **حقايق ما اودعناه** دفتر **ونستعيذه** اي نلجأ اليه **جل اسمه** وعز
ذاته **من دعا لا يسمع** اي لا يجاب ولا يقبل كقوله سمع الله لمن حمده **وعلم لا ينفع** لعدم
العمل به والاخلاص فيه **وعمل لا يرفع** اي لا يقبل ولا يعتد به قال تعالى والعمل
الصالح يرفعه وقال ان كتاب الابرار لفي عليين **فهو الجواد** بتخفيف الواو بمعنى الكريم
الكثير الجود اي العطا وهو من اسما الله تعالى كما ذكره ابن حجر وقد ثبت في حديث
صحيح وذكره النووي كالترمذي في جامعه والبيهقي في الاسما والصفات واعتضد بسند
وبالاجماع خلافا لمن انكره **الذي لا يخيب من امله** يخيب بوزن يزيد اي لا يحرم
من قصده ويجوز تشديده فان الكريم لا يخيب من قصده **ولا ينتصر من خذله**
كذلك لانه ضد النصرة ومن خذله الله لا يقدر احد ان ينصره ولا هادي لمن اضله
ولا يرد دعوة القاصدين لسواله الراغبين لما عنده وفي الحديث ان الله يستحيي ان
يرد يد عبده صفرا اذا رفعها **ولا يصلح عمل المفسدين** فيمحقه ويبطله **وحسبنا
الله ونعم الوكيل** وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى اله وصحبه اجمعين وسلم
تسليما كثيرا ولما تم بفضل الله وتوفيقه هذا الشرح المبارك فلنختم ذلك راجيا
قبوله وعود بركته علي وعلى احبابي وجميع المسلمين امين امين

بجاه النبي الكريم الاجل ... ومن قد كسي المجد اسنى الحلل
توسلت ربي الذي ... به لا يخيب من قد سال
فان الشفا وما فيه من ... مناقبه للاماني كفل
وقد تم شرح بطارقي ... بان يشرح الله صدر العمل
بهي السلام وبحر الكرم ... حباه الصبا من عظيم الزلل
فيا سيد الرسل يا من رزق ... مواطبه انه للمقل
تقبل هدية اهنا ... هدية عبد لمولى اجل
فما مال فالي غدا رجيته ... ثمر الثنا وصح الامل
فصل وسلم ربي عليه ... مقام به نوره ما افل
فلا زال مطلع شمس الثنا ... وروضته نبلة للقبل

قال مولفه وتم يوم الجمعة ثامن عشري ربيع الثاني سنة ثمان وخمسين بعد الالف
على يد اضعف العباد واحوجهم الى مغفرته ورضوانه ابراهيم بن احمد بن محمد
ابن احمد اللبان الشناوي بلدا الشافعي مذهبا غفر الله له ولوالديه
ولمن طالع فيه ودعا له بالمغفرة ولمن راى عيبا فستره وكتب
بالجامع الازهر من نسخة العلامة الشيخ محمد العناني
عامله الله بلطفه الخفي امين

وكان الفراغ من كتابته يوم الاربع المبارك العصر خامس عشري جمادي الثاني من سنة خمسة وثمانين والف

مدح الشيخ ابراهيم بن حسن الحنفي نفعنا الله بعلومه الشفا للقاضي عياض

شفا الشفاءُ من الادواء ما عظما وابعد الغي عن قاريه والتهما
وفاح نور سناه كل مظلمة اذ صار عقداً فريد الدر منتظما
وفاق شمس نهار نور طلعته فزال منه عن الجهال كل عما
فلا يولف في ذا الشان من احد الا وقد خاض بحراً منه ملتطما
لا تعجبن لهذا ان مقصده ومنتماه لمن عند المليك سما
نبينا الاكرم اللذ كان مظهره بين الانام مزيح الظلم والظلما
من قد حباه اله العرش مرتبة عليا وصيره للانبياء علما
ونور الكون من انوار بعثته فالشمس ضاءت وبدر الليل منه نما
وخصه بمقام فيه يحمده كل الورى جاء في الاخبار مبتسما
كذاك منزله الاعلى لديه ومن يطيق عد عطاء الله اذ عظما
صلى عليه اله الخلق ما ابتسمت زهر الرياض لجود المزن حين هما
والآل وكذا الاصحاب قاطبة من هم رجائي لخطب حل اذ دهما

حسبي الله وحده
من الكتب التي وقفها الفقير
الى الله ربه ذي المواهب
محمد المدعو بين الصدور بعنب...
١٢٧٥ وكفى عبده